سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٦٢٣)

قيل لأعرابي

حكم و لطائف من أجوبة الأعراب

في كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"المشعشعة: الرقيقة من العصر أو من المزج، والحص: الورس، و (فيها) أي في الخمر، ويقال في الحص: إنه الزعفران، شبه صفرتها بصفرته، وقوله: (سخينا) قال أبو عمرو الشيباني: كانوا يُسخنون لها الماء في الشتاء، ثم يمزجونها به، وهو على هذا منصوب على الحال، أي إذا خالطها في هذه الحال، وقيل: هو نعت لمحذوف، والمعنى فاصبحينا شرابا سخينا، ثم أقام الصفة مُقام الموصوف، وقيل: سخينا فعل، أي إذا شربناها سخينا كما قال:

وَنَشْرَبُهَا فَتَتْرُكُنَا مُلُوكاً ... وَأُسْدَا مَا يُنَهْنِهُنَا اللِّقَاءُ

فأما قوله (مشعشعة) فانه منصوب على الحال، وان شئت على البدل من قوله (خمور الأندرينا) وإن شئت رفعت بمعنى هي مشعشعة، وقد قيل: أن مشعشعة منصوبة بقوله: فاصبحينا.

(تَجُورُ بِذِي اللُّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ ... إذا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلِينَا)

تجور: تعدل، واللبانة: الحاجة، أي تعدل بصاحب الحاجة عن هواه حتى يلين لأصحابه ويجلس معهم ويترك حاجته، وقيل: حتى يلين عن هواه فيسكر عنه.

(تَرَى اللَّحِزَ الشّحِيحَ إذا أُمِرَّتْ ... عَلَيْهِ لِمَالِهِ فيها مُهينا)

اللحز: الضيق البخيل، وقيل: هو السيئ الخلق اللئيم، ويقال: هي من الأشياء التي تجمع كثيرا من الشرور مثل الهلباجة، وروى بعض أهل اللغة إنه **قيل لأعرابي**: ما الهلباجة؟ فقال: السيئ الخلق، ثم قال: والأحمق، ثم قال: والطياش، ثم." [١]

"﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

قال الْحَرَالِّي: فكان هذا التحذير الخاتم ابتدائيا، والتحذير السابق انتهائيا، فكان هذا رأفة سابقة، وكان الأول الذي ترتب على الفعل تحذيراً لاحقا متصلا بالمصير إلى الله، وهذا الخاتم مبتدئا بالرأفة من الله.

والرأفة - يقول أهل المعاني - هي أرق الرحمة، والذي يفصح عن المعنى - والله سبحانه وتعالى أعلم - أنها عطف العاطف على من يجد عنده منه وصلة، فهي رحمة ذي الصلة بالراحم، فمن تحقق أن الأمر لله، سبحانه وتعالى، وجد رفقه وفضله ورحمته عليه، لما بريء من دعوى شيء من نسبة الخير إلى نفسه، فأحبه لذلك.

"**قيل لأعرابي**: إنك تموت وتبعث وترجع إلى الله، فقال: أتهددونني بمن لم أر الخير قط إلا منه! فلذلك إذا تحقق العبد ذلك من ربه أحبه بما وحده، وبما وحده في العاجلة، فحماه أن يجد عمل نفسه في الآجلة - انتهى.

وقال الْحَرَالِّي: لما كان أعظم ما يترامى إليه مقامات السالكين إلى الله، سبحانه وتعالى، القاصدين إليه من مبدأ حال الذكر، الذي هو منتهي المقامات العشر المترتبة في قوله، سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ﴾ محبة الله سبحانه." [٢]

"قلت له والجدي تحت الفرقد ... إنك أن لم تزجها بالفدفد

لا ترد الأمواه إلا من غد

---

(١) شرح القصائد العشر، التبريزي، أبو زكريا ص/٢١٨

(٢) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي، الحرالي، أبو الحسن ص/٥٦٣

وقال الآخر: (الرجز)

لوح خليك الأداوى والنجم ... وطول تخويد المطي والسعم

أراد انهم يهتدون بالنجم، فقد غير جسومهم السعم، وهو ضرب من سير الإبل.

وأقول: قوله: هاجوك: أي حملوك ليس كذلك، ولكن: هاجوك بمعنى: بعثوك وأثاروك ومنه: هيجت الشر، أي: أثرته.

وقوله في قول الراجز:

لوح خليك الأداوى (والنجم)

أراد أنهم يهتدون بالنجم كان يحسن بالشيخ أن يفسر قوله:

. . . . . . الاداوى والنجم

فيجمع ما بينهما وما معنى ذلك، فقد روى أبو حاتم عن الأصمعي، وقد قيل لأعرابي: ما لوح جسمك؟ فقال: الأداوى والنجم! يريد إنه كثير الأسفار فهو يراعي أداوته وكم فيها من الماء، ويراعي النجم من خوف الهلاك، وأنشد: (المتقارب)." (١)

"واختار هذا القول النحاس، قال: ومنه قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات «١» [التوبة: ٥٨]. وقال مقاتل ضد هذا الكلام: إن الهمزة: الذي يغتاب بالغيبة، واللمزة: الذي يغتاب في الوجه. وقال قتادة ومجاهد: الهمزة: الطعان في الناس، والهمزة: الطعان في أنسابهم. وقال ابن زيد الهامز: الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، واللمزة: الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم. وقال سفيان الثوري يهمز بلسانه، ويلمز بعينيه. وقال ابن كيسان: الهمزة الذي يؤذي جلساءه بسوء اللفظ، واللمزة: الذي يكسر عينه على جليسه، ويشير بعينه ورأسه وبحاجبيه. وقال مرة: هما سواء، وهو القتات الطعان للمرء إذا غاب. وقال زياد الأعجم:

تدلي بودي إذا لاقيتني كذبا ... وإن أغيب فأنت الهامز اللمزه

وقال آخر:

إذا لقيتك عن سخط تكاشرني ... وإن تغيبت كنت الهامز اللمزة

الشحط: العبد. والهمزة: اسم وضع للمبالغة في هذا المعنى، كما يقال: سخرة وضحكة: للذي يسخر ويضحك بالناس. وقرأ أبو جعفر محمد بن علي والأعرج (همزة لمزة) بسكون الميم فيهما. فإن صح ذلك عنهما، فهي في معنى المفعول، وهو الذي يتعرض للناس حتى يهمزوه ويضحكوا منه، ويحملهم على الاغتياب. وقرأ عبد الله بن مسعود وأبو وائل والنخعي والأعمش:" ويل للهمزة اللمزة". وأصل الهمز: الكسر، والعض على الشيء بعنف، ومنه همز الحرف. ويقال: همزت رأسه. وهمزت الجوز بكفي كسرته. وقيل لأعرابي: أتهمزون (الفارة)؟ فقال: إنما تهمزها الهرة. الذي في الصحاح: وقيل لأعرابي أتهمز الفارة؟ فقال السنور يهمزها. والأول قاله الثعلبي، وهو يدل على أن الهر يسمى الهمزة. قال العجاج:

ومن همزنا رأسه تهشما

---

(١) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، المهلبي، أبو العباس ٢/٩٥

وقيل: أصل الهمز واللمز: الدفع والضرب. لمزه يلمزه لمزا: إذا ضربه ودفعه. وكذلك همزه: أي دفعه وضربه. قال الراجز:

ومن همزنا عزه تبركعا ... على استه زوبعة أو زوبعا

---

(١). آية ٥٨ سورة التوبة.." (١)

"بها فاسقا، فقال يصح ذلك بمعنى أبدا المانع جهالة عن الفسق، كما قال: "أشد الناس عذابا يوم القيامة الشيخ الزاني، والعالم المستكبر، والأمير الكذاب"، لأن الداعي لهم إلى الفسق معدوم في حقهم، قال: [ولمز الإنسان على غيره*] من باب لمزه نفسه.

ابن عطية: لأنه يطعن بعضكم على بعض بذكر النقائص وقد تكون اللمز بالقول وبالإشارة، والهمز لا يكون إلا باللسان وهو مشبه بالهمز [بالعود*].

قيل لأعرابي: أتهمز الفأرة، فقال: الهر همزها. انتهى. ذكر هذا ليستدل به على أن الهمز يكون بالفعل، ومعنى قوله أتهمز الفأرة، أي تقول: بالهمز، فأجابه الأعرابي مستخفا به؛ لأن الهر يهمزها، وهمز الهر لها بالفعل.

وما ذكر ابن عطية: من أن سبب نزول الآية [...] بما يكره ضعيف؛ لأنه مسرع فيبعد أن يترك ردا عليه.

ابن عطية: [كأن المؤمنين كنفس واحدة*] فإذا لمز أحدهم صاحبه فكأنه لمز نفسه، انتهى. والمراد النهي عن سبب اللمز، أي لا تفعلوا من المعايب ما يكون سببا في لمزكم، فإن فعلتم ذلك فكأنكم لمزتم أنفسكم بفعلكم سببه فإنه من إطلاق اسم المسبب وهو اللمز على سببه وهي العيوب.

الزمخشري: وعن الحسن رضي الله عنه في ذكر الحجاج: [أخرج إلى بنانا قصيرة قلما عرقت فيها الأعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول: يا أبا سعيد يا أبا سعيد، وقال لما مات: اللهم أنت أمته فاقطع سنته، فإنه أتانا أخيفش أعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلاة، لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي*]. انتهى.

ابن عرفة: وهذه غيبة لكن في فاسق وقد ورد "لا غيبة في فاسق" إذا تظاهر بالمعاصي فلا تحرم غيبته، ولقد سئل بعضهم عمن حلف بالطلاق أن الحجاج من أهل النار، فقال: قل له يبقى مع زوجته فلان غفر الله للحجاج، فهو راحم به إذا بقي مع زوجته في الحرام وهي سيئة من سيئات عبد الملك بن مروان.

قوله تعالى: (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان).

فسره الزمخشري بثلاثة أوجه:

أحدها: استقباح ما بين الإيمان وبين الفسق الذي يأباه الإيمان ويمنعه، وهذا توقيف على مذهبه في أن الفاسق كافر وليس بمؤمن، ولو صدر هذا الكلام من سني." (٢)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٨٢/٢٠

(٢) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٣٩/٤

"اللهم إن أنزلت بلاء فأنزل صبراً ووهبت عافية فهب شكراً وقيل لبعضهم لم لا يجتمع الكمال والمال قال لعزة الكمال وقال آخر إذا نزل بك المهم فانظر فإن كان فيه حيلة فلا تعجز وإن لم تكن فيه حيلة فلا تجزع وقال آخر تقدم بالحيلة قبل نزول الأمر فإنه إذا نزل ضاقت الحيل وطاشت العقول وقال خالد بن صفوان لا تغترر بمن يميل غليك حتى تعرف علة ميله فإن كان لشيء من صفاتك الذاتية فارج ثباته وإن كان لشيء من أحوالك العارضة فلا تحفل به فإنه يقيم معك بما قام ذلك الشيء وينصرف عنك بانصرافه وفي كتاب كليلة ودمنة إذا أحدث لك العدو صداقة لعلة ألجأته إليك فمع ذهاب العلة رجوع العداوة كالماء تسخنه فإذا أمسكت عنه عاد إلى أصله بارداً والشجرة المرة لو طليتها بالعسل لم تثمر إلا مرّا وقيل لبقراط ما أهم الأشياء نفعاً قال فقد الأشرار وقيل لبعضهم ما بال السريع الغضب سريع الرجعة والبطيء الغضب بطيء الرجعة فقال مثلهما كمثل النار في الحطب اسرعها وقوداً أسرعها خموداً وقال آخر لتكن سيرتك وأنت خلو في منزلك سيرة من هو جماعة من الناس يستحيي منهم وقال آخر غاية المروءة أن يستحيي الإنسان من نفسه وقال آخر مثل الأغنياء البخلاء كمثل البغال والحمير تحمل الذهب والفضة وتعتلف بالتبن والشعير وقال حسان بن تبع الحميري لا تثقنّ بالملك فإنه ملول ولا بالمرأة فإنها خئون ولا بالدابة فإنها شرود وقال ينبغي للعاقل أن يكسب ببعض ماله المحمدة ويصون ببعضه وجهه عن المسئلة وقيل للأحنف بن قيس ما أحلمك! قال لست بحليم ولكني أتحالم والله إني لأسمع الكلمة فأحلم لها ثلاثاً ما يمنعني من الجواب عنها إلا خوف من أن أسمع شراً منها وقيل لامرئ القيس ما السرور فقال بيضاء رعبوبة بالطيب مشوبة بالشحم مكروبة، وقيل للأعشى ما السرور فقال صهباء صافية تمزجها غانية من صوب غادية وقيل لطرفة ما السرور فقال مطعم شهي ومشرب ذوي وملبس دفي ومركب وطي وقيل لأعرابي ما السرور فقال الكفاية في الأوطان والجلوس مع الإخوان وقال الحجاج للأديب الناعم ما السرور فقال الأمن فإني رأيت الخائف لا عيش له قال زدني، قال الغنى فإني رأيت الفقير لا عيش له قال زدني قال الصحة فإني رأيت المريض لا عيش له قال زدني قال لا أجد مزيداً قلت عندي المزيد وهو الكرم فإني رأيت البخيل لا عيش له وقيل لفاضل ما السرور." (١)

"يجب على العاقل أن يتحفظ منهما حسد أصدقائه ومكر أعدائه وقال بعض الأدباء شيآن لا يجتمعان الشعر الجيد واللسان البليغ وقال آخر اثنان معذبان غني حصلت له الدنيا فهو بها مهموم مشغول وفقير زُويت عنه فنفسه تتقطع عليها حسرات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات وثلاث
منجيات فأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات فخشية الله في السرّ والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ثلاث يثبتن لك الودّ في صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب الأسماء إليه، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً ولا صلاة ولا يرفع لهم حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مولاه والمرأة الساخط عليها بعلها حتى يرضى عنها والسكران حتى يصحو) وقال المأمون: ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يقدم عليها شرب السم للتجربة وإفشاء السرّ إلى ذي القرابة الحاسد وركوب البحر وإن ظن فيه الغنى، وقال الحسن بن سهل: ثلاثة تذهب ضياعاً دين بلا عقل وقدرة

(١) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، الشرواني، أحمد ص/١٦٥

بلا فعل ومال بلا بذل، وقال لقمان: ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن، الشجاع عند الحرب والحليم عند الغضب وأخوك عند حاجتك إليه، وقال آخر: ثلاثة من أعزهم عادت عزته ذلاً السلطان والولد والغريم، وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: من طلب ثلاثاً بغير حق حرم ثلاثاً بحق، من طلب الدنيا بغير حق حرم الآخرة بحق، ومن طلب الرياسة بغير حق حرم الطاعة بحق، ومن طلب المال بغير حق حرم بقاءه بحق، وقال آخر: الأنس في ثلاثة، الصديق المصافي والولد البارّ والزوجة الصالحة، وقال آخر: ثلاثة ينبغي أن يُكرموا ذو الشيبة لشيبته وذو العلم لعلمه وذو السلطان لسلطانه، وقال آخر: في المال ثلاثة عيوب يكسب بالحظ ويحفظ باللؤم ويتلف بالجود، وقال آخر: ليس في ثلاثة حيلة فقر يخالطه كسل، وعداوة يداخلها حسد، ومرض يمازجه هرم، وقال آخر: ثلاثة أشياء قليلها كثير المرض والنار والعداوة، وكان يقال من ألهم ثلاثاً لم يحرم ثلاثاً، من ألهم الدعاء لم يحرم الإجابة، ومن ألهم الاستغفار لم يحرم المغفرة، ومن ألهم الشكر لم يحرم المزيد، **وقيل لأعرابي** ما نقمتم من أميركم فقال ثلاث خصال: يقضي بالعشوة ويطيل النشوة ويأخذ الرشوة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أربعة لا تكون." (١)

"وأصله من العق وهو الشق والقطع، يقال عق الولد والده يعقه عقا وعقوقا ومعقة: إذا شق عصا طاعته، وعق والديه: قطعهما ولم يصل رحمه منهما وقد يعم بلفظ العقوق جميع الرحم، والولد عاق، والجمع عققة، مثل كفرة.

فمن قولهم في العقوق: العقوق ثكل من لا يثكل. . . . . الثكل الموت والهلاك، وأكثر ما يستعمل في فقدان الرجل والمرأة ولدهما، يعنون أن من ابتلي بولد عاق فكأنه ثكله وقال بعضهم لابن له عاق: أنت كالإصبع الزائدة، إن تركت شانت وإن قطعت آذت. . . **وقيل لأعرابي** كيف ابنك؟ – وكان عاقا – فقال: عذاب رعف به الدهر، فليتني قد أودعته القبر، فإنه بلاء لا يقاومه الصبر، وفائدة لا يجب فيها الشكر قوله رعف به الدهر: يريد تقدم به الدهر وعجل.

وأورد أبو العباس المبرد في الكامل هذه الأبيات لامرأة يقال لها أم ثواب الهزانية، في ابنها – وكان لها عاقا – وقد اختارها أبو تمام في حماسته:

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه ... أم الطعام ترى في ريشه زغبا

حتى إذا آض كالفحال شذبه ... أباره ونفى عن متنه الكربا

أنشا يخرق أثوابي ويضربني ... أبعد ستين عندي يبتغي الأدبا

إني لأبصر في ترجيل لمته ... وخط لحيته في وجهه عجبا

قالت له عرسه يوما لتسمعني ... رفقا فإن لنا في أمنا أربا

ولو رأتني في نار مسعرة ... من الجحيم لزادت فوقها حطبا

هذه أبيات من شعر الفطرة، تصف في دقة حال الابن العاق يكون ضلعه وهواه مع زوجه على أمه، وكذلك تصف ذلك العداء القديم بين الكنة." (٢)

---

(١) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، الشرواني، أحمد ص/١٦٨

(٢) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ١٩/١

"لاستفساده لهم وسماحته بهم.

والعرب تقول في العطف على القريب والحمية له وإن لم يكن وادا: أنفك منك وإن ذن وعيصك منك وإن كان أشبا وقال قائلهم – وهو حريث بن جابر –:

إذا ظلم المولى فزعت لظلمه ... فحرك أحشائي وهرت كلابيا

وقيل لأعرابي: ما تقول في ابن العم؟ فقال عدوك وعدو عدوك، ولما مات عبادة بن الصامت بكى عليه أخوه أوس بن الصامت، فقيل له: أتبكي عليه وقد كان يريد قتلك؟ فقال: حركني للبكاء عليه ارتكاضنا في بطن، وارتضاعنا من ثدي. . . ودخل رجل من أشراف العرب على بعض الملوك، فسأله عن أخيه، فأوقع به يعيبه ويشتمه، وفي المجلس رجل يشنؤه – يبغضه – فشرع معه في القول، فقال له: مهلا! إني لآكل لحمي ولا أدعه لآكل. . . وقال الشاعر – قيل هو زرارة بن سبيع، وقيل نضلة بن خالد، وقيل دودان بن سعد، وكلهم من بني أسد، شعراء جاهليون، والأبيات من الحماسة:

لعمري لرهط المرء خير بقية ... عليه وإن عالوا به كل مركب

من الجانب الأقصى وإن كان ذا غنى ... جزيل ولم يخبرك مثل مجرب." (١)

"أما رأيت بني بدر وقد خلقوا ... كأنهم خبز بقال وكتاب

قطيعة الإخوة

ومما جاء في قطيعة الإخوة وتبريرها – والقطيعة الهجران، ضد الصلة –: ما روي أنه

قيل لأعرابي: لم تقطع أخاك شقيقك؟ فقال: أنا أقطع الفاسد من جسدي الذي هو أقرب إلي منه، فكيف لا أقطعه إذا فسد! وكتب الفضل بن سهل الوزير إلى المأمون – الخليفة العباسي –: أما بعد، فإن المخلوع – يريد الأمين أخا المأمون – وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة، فقد فرق كتاب الله بينهما فيما اقتص علينا من نبأ نوح، فقال: ﴿يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾، فلا صلة لأحد في معصية الله، ولا قطيعة ما كانت القطيعة في ذات الله، والسلام. . . وقيل لبزرجمهر: أخوك أحب إليك أم صديقك؟ فقال: إنما أحب أخي إذا كان صديقا. ويقال: القرابة محتاجة إلى المودة، والمودة أقرب الأنساب، والبيت المشهور في هذا:

فإذا القرابة لا تقرب قاطعا ... وإذا المودة أقرب الأنساب

الناس تجاه البنات

وقد كان الأوائل تجاه البنات – وكذلك الناس إلى يومنا هذا – فريقين –: فأما فريق فقد كانوا يفضلونهن ويحنون عليهن، ومن قولهم في ذلك ما يروى أن معن بن أوس المزني – شاعر إسلامي من الفحول –." (٢)

---

(١) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ٤٢/١

(٢) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ٤٩/١

"لا در دره: لا زكا عمله، دعاء عليه أن لا يجعله الله نافعا.

وقال سقراط – في الاعتذار عمن شرفت نفسه ولم يشرف أصله – وقد عيره رجل بحسبه: حسبي مني ابتدأ، وحسبك إليك انتهى. . . وقال قائل في هذا المعنى: لأن يكون الرجل شريف النفس دنيء الأصل، أفضل من أن يكون دنيء النفس شريف الأصل، ألا ترى أن رأس الكلب خير من ذنب الأسد!

ومما يستظرف من اعتذار المتخلفين الأنذال، عن تخلفهم عن آبائهم الأشراف ما روي: أنه **قيل لأعرابي**: ما أشبهت أباك! فقال: لو أشبه كل رجل أباه كنا كآدم. . . وخطب رجل قصر عن أبيه إلى رجل رفيع القدر، ابنته، فقال له العظيم: لو كنت مثل أبيك! فقال: لو كنت مثل أبي لم أخطب إليك. . .

ومن محاسنهم في ذم من قصر عن آبائه: قول بعضهم:

لئن فخرت بآباء لهم شرف ... لقد صدقت ولكن بئسما ولدوا

وقول أبي تمام:

يا أكرم الناس آباء ومفتخرا ... وألأم الناس مبلوا ومختبرا

ونظر رجل إلى ابن نذل من أب كريم فقال: سبحان الله من قائل: يخرج الخبيث من الطيب.

وقال شاعر في لئيم النفس كريم الأبوين:

فلا يعجبن الناس منك ومنهما ... فما خبث من فضة بعجيب

الخبث من الحديد والفضة ونحوهما: ما نفاه الكير ولا خير فيه.." (١)

"وقال عمرو بن قميئة – شاعر قديم في الجاهلية –:

كأني وقد جاوزت تسعين حجة ... خلعت بها عني عذار الجامي

على الراحتين مرة وعلى العصا ... أنوء ثلاثا بعدهن قيامي

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى ... فكيف بمن يرمى وليس برام

فلو أنها نبل إذن لاتقيتها ... ولكنني أرمى بغير سهام

قوله: خلعت بها عني عذار لجامي: فالعرب تقول: خلع فلان العذار يريد: خلع الحياء، مثل للشاب المنهمك في غيه كما يخلع الفرس العذار فيجمح ويطمح لأن اللجام يمسكه، والعذار: الذي يضم حبل الخطام إلى رأس البعير والناقة وعلى ذلك يكون معنى قوله: أنه أسام سرح اللهو حيث أسام الغواة في هذا العمر المديد، ولعله يريد بذلك عدم التماسك كما بينه في البيت الثاني، وقوله: أنوء ثلاثا يعني: أنه ينهض ثلاث مرات بانحناء ثم يستقيم، وبنات الدهر: نوبه.

البقاء في الدنيا سبب الفناء

قال سيدنا رسول الله: (لو لم يكسب ابن آدم إلا الصحة والسلامة لكفى بهما داء) لأن السلامة تسلمه إلى الهرم وما

---

(١) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ٥٨/١

يستتبعه من الهم والسقم.

وقيل لأعرابي: كيف حالك؟ فقال: ما حال من يفني ببقائه، ويسقم بسلامته، ويؤتى من مأمنه! وقال حميد بن ثور الهلالي – وهو شاعر إسلامي ترجم له أبو الفرج في الجزء الرابع من أغانيه –:

أرى بصري قد رابني بعد صحة ... وحسبك داء أن تصح وتسلما

ولا يلبث العصران: يوم وليلة ... إذا طلبا أن يدركا ما تيمما." (١)

"دون قتال أو نزال، لا يمكننا حذاره ولا يتهيأ لنا دفاعه، ثم قال في البيت الثاني: ونرتبط الخيول الكريمة ومع هذا لا تنجينا من طلب الدهر إيانا وخبب لياليه في آثارنا:

كأننا في حروب من حوادثه ... فنحن من بين مجروح ومطعون

وقد تقدم معنى البيت الثالث.

موت الفجاءة والصحيح يموت

قيل لأعرابي: مات فلان أصح ما كان! فقال: أوصحيح من الموت في عنقه! وكان الحسن البصري يقول في دعائه: اللهم أجرني من أن أكون مختلسا أي يختلسه الموت على غفلة وفي الحديث: (بادروا بالأعمال مرضا حابسا أو موتا خالسا) **وقيل لأعرابي**: كيف مات أبوك؟ قال: مات سرا أي فجأة وقال الشاعر:

وربما غوفص ذو غرة ... أصح ما كان ولم يسلم

يقال: غافص الرجل مغافصة وغفاصا. أخذه على غرة فركبه بمساءة وقيل لرجل: ما كان سبب موت فلان؟ قال: كونه أي وجوده والبيت المشهور في هذا:

من لم يمت بالسيف مات بغيره ... تنوعت الأسباب والموت واحد

كل إنسان معرض لموته أو موت أحبته

قال حكيم: من طال عمره رأى المصائب في إخوانه وجيرانه، ومن قصر عمره كانت مصيبته في نفسه؛ وقال الشاعر:." (٢)

"رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله! فقال: يا ابن

عوف، إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى – أي أتبع الدمعة الأولى بأخرى – وقال صلوات الله عليه: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي الله، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون). . قوله صلوات الله عليه: ولا نقول إلا ما يرضي الله وفي رواية: ولا نقول ما يسخط الرب: أي من النياحة والصراخ وما إلى ذلك مما يوجب سخط الله عز وجل **وقيل لأعرابي**: اصبر فالصبر أجر، فقال: أعلى الله أتجلد! والله: للجزع أحب إليه، لأن الجزع استكانة والصبر قساوة. . . وقيل لفيلسوف:

---

(١) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ١/٢٥١

(٢) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ١/٢٩١

أخرج الحزن من قلبك فقال: لم يدخله بإذني فأخرجه بإذني. . . وأفرطت امرأة في الجزع على ابنها، فعوتبت في ذلك، فقالت: إذا وقع حكم الضروريات لم يقع عليها حكم المكتسبات، فأما جزعي فليس في الطاقة صرفه، ولا في القدرة منعه، ولي عذر للضرورة، فإن الله تعالى يقول: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾. . .

في البكاء تخفيف من الحزن

قال ابن عباس رضي الله عنه: كنت إذا أصابتني مصيبة وأنا شاب لا أبكي، وكان يؤذيني ذلك، حتى سمعت أعرابيا ينشد:

لعل انحدار الدمع يعقب راحة ... من الوجد أو يشفي شجي البلابل

فسألته لمن الشعر؟ فقال: لذي الرمة، فكنت إذا أصبت بكيت، فاسترحت. . .

ضعف بنية الإنسان

سئل جالينوس عن الإنسان فقال: سراج ضعيف، وكيف يدوم ضوؤه." (١)

"وقال أبو تمام:

لم تشن وجهه البهيج ولكن ... جعلت ورد وجنتيه بهارا

البهار: نبت بري طيب الرائحة له فقاحة – زهرة – صفراء ينبت أيام الربيع، يقال له: العرار وعين البقر. .

تهنئة من برأ من المرض

قال أبو تمام:

سقم أتيح له برء فزعزعه ... والرمح ينآد طورا ثم يعتدل

قد حال لون فرد الله نضرته ... والنجم يخمد حينا ثم يشتعل

يقال: زعزع الشيء: حركه ليقلعه، والمراد هنا: دفعه وأزاحه، وينآد: يميل، وحال لون: تغير، والنضرة: الحسن والجمال

وقال أشجع بن عمرو السلمي:

لئن جرحت شكاتك كل قلب ... لقد قرت بصحتك العيون

وقيل لأعرابي برأ من علته: الحمد لله الذي سلمك، فقال: أو يسلم من الموت في عنقه؟ وقد تقدم

وقال المتنبي:

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم ... وزال عنك إلى أعدائك الألم

صحت بصحتك الغارات وابتهجت ... بها المكارم وانهلت بها الديم." (٢)

---

(١) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ٣١٥/١

(٢) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ٥٩/٢

"البيت التالي: إذا كشر الأسد عن نابه فليس ذلك تبسما، بل قصدا للافتراس، يريد: أنه وإن أبدى بشره، وتبسمه للجاهل فليس ذلك رضى عنه، وفي مثل هذا يقول أبو تمام:

قد قلصت شفتاه من حفيظته ... فخيل من شدة التعبيس مبتسما

العدو يكاشرك إذا حضرك

قال المثقب العبدي – شاعر جاهلي –:

إن شر الناس من يكشر لي ... حين ألقاه وإن غبت شتم

وقال ابن الرومي:

يبيح لي صفحة السلامة والسل ... م ويخفي في قلبه مرضا

وقال المتنبي:

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني ... ولا أعاتبه صفحا وإهوانا

ومما يصح أن يذكر هنا ما روي: أنه **قيل لأعرابي**: كيف فلان فيكم؟

فقال: إذا حضر هبناه، وإن غاب اغتبناه، قال: ذاك هو السيد فيكم. . .

من نظره ينبئ عن عداوته

وتحذيرهم من العداوة المستورة

قال شاعر:

ستور الضمائر مهتوكة ... إذا ما تلاحظت الأعين

وقال زهير بن أبي سلمى:

وما يك في عدو أو صديق ... تخبرك العيون عن القلوب." (١)

"الإحجام عن الفرصة عجز.

وقال المتوكل الخليفة العباسي لأبي العيناء: إني لأفرق من لسانك! فقال: يا أمير المؤمنين، الكريم ذو فرق وإحجام، واللئيم ذو وقاحة وإقدام.

وقال الشاعر:

أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلا ... وأنجو إذا غم الجبان من الكرب

المتفادي من حضور الحرب

والمحتج لانهزامه بالخوف من القتل

---

(١) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ٢/١٤٥

قيل لأعرابي: ألا تغزو فإن الله قد أنذرك؟ فقال: والله إني لأبغض الموت على فراشي فكيف أمضي إليه ركضا!

ورأى المعتصم الخليفة العباسي في بعض متنزهاته أسدا، فنظر إلى رجل أعجبه زيه وقوامه وسلاحه فقال له: أفيك خير؟ فعلم الرجل مراده، فقال: لا، فقال: لا قبح الله سواك.

واجتاز كسرى في بعض حروبه برجل قد استظل بشجرة وألقى سلاحه وربط دابته فقال له: يا نذل، نحن في الحرب وأنت بهذه الحالة! فقال: أيها الملك، إنما بلغت هذه السن بالتوقي، فقال: زه، وأعطاه مالا. . . . .

وقيل لرجل: إنك انهزمت! قال: غضب الأمير علي وأنا حي خير من أن يرضى وأنا ميت. وقال أبو دلامة:

قالوا: تقدم قلت: لست بفاعل ... أخاف على فخارتي أن تحطما." (١)

"**وقيل لأعرابي**: كيف تصنع بالبادية ، إذا انتصف النهار ، وانتعل كل شيء ظله؟ فقال: وهل العيش إلا ذاك ، يمشي أحدنا ميلا ، فيرفض عرقا كأنه الجمان ، ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساه ، وتقبل الرياح من كل جانب فكأنه في إيوان كسرى. وقيل لآخر: ما الغبطة؟ قال: الكفاية ، ولزوم الأوطان ، والجلوس مع الإخوان ، وقيل: فما الذل؟ قال: التنقل في البلدان ، والتنحي عن الأوطان. وكان يقال: الغريب عن وطنه ومحل رضاعه كالغرس الذي زايل أرضه ، وفقد شربه ، فهو ذاو لا يثمر ، وذابل لا ينضر. . . والجالي عن مسقط رأسه كالعير الناشر عن موضعه الذي هو لكل سبع فريسة ، ولكل كلب قنيصة ، ولكل رام رمية

وقال الشاعر:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبدا لأول منزل

عن الجاحظ

المتوفى سنة ٢٥٥هـ=٨٦٨م

خواطر

لكارمن سليفا ملكة رومانيا الحالية

سيمون غالبا سليم الطوية من ليس بذي عقل نبيه!

متى وجد المر في حالة محزنة ومركز حرج غلبت على لسانه الترهات. ألا ترى أن الكلب يعوي متى خاف ذوو العقول يحجبهم ذوو العظمة كما تحجب النجوم أمام الشمس!." (٢)

" ٣٩ – أبدى الصريح عن الرغوة : هذا من مقلوب الكلام وأصله أبدت الرغوة عن الصريح كقوله (الوافر)

---

(١) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ٢/٢٧٠

(٢) مجلة «الزهور» المصرية، أنطون الجميل ٤/٩٦

(وتحت الرغوة اللبن الصريح ...)

قاله عبيد الله بن زياد لهانيء بن عروة حين سأله عن مسلم بن عقيل بن أبي طالب وكان متواريا عنه فجحده ثم أقر يضرب في ظهور كامن الأمر

٤٠ – ابذأ من مطلقة : أي أفحش لأن المرأة إذا طلقت حملها الغيظ على ما قدرت عليه من القذع والبذاء قال (الكامل)

(كفا مطلقة تفت اليرمعا ...)

٤١ – ابرد من الثلج

٤٢ – ٠٠ من جربياء : هي الشمال **وقيل لأعرابي** ما أشد البرد فقال ريح جربياء في ظل عماء غب سماء ." [1]

"أهما فيه سواءٌ عندكم ... ليست السّنّة فينا كالبدع

وكذاك الجهل والعلم فخذ ... منه ما شئت وما شئت فدع

كان أبو مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان، قد نظر في النحو، فلما أحدث الناس التصريف لم يحسنه، وهجا أصحابه فقال:

؟ قد كان أخذهم في النّحو يعجبني ... حتّى تعاطوا كلام الزّنج والرّوم

لّما سمعت كلاماً لست أعرفه ... كأنّه زجل الغربان والبوم

تركت نحوهم والله يعصمني ... من التّقحّم في تلك الجراثيم

وقال عمّار الكلبي:

ماذا لقيت من المستغربين ومن ... قياس نحوهم هذا الّذي ابتدعوا

إن قلت قافيةً بكراً يكون لها ... معنىً يخالف ما قاسوا وما صنعوا

قالوا لحنت فهذا الحرف منخفضٌ ... وذاك نصبٌ وهذا ليس يرتفع

وحرّشوا بين عبد الله فاجتهدوا ... وبين زيدٍ وطال الضّرب والوجع

فقلت واحدةً فيها جوابهم ... وكثرة القول بالإيجاز تنقطع

ما كلّ قولي مشروحٌ لكم فخذوا ... ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا

حتّى أعود إلى القوم الّذين غذوا ... بما غذيت به والقول يتّسع

فتعرفوا منه معنى ما أفوه به ... كأنّني وهم في قوله شرع

كم بين قومٍ قد احتالوا لمنطقهم ... وبين قومٍ على الإعراب قد طبعوا

وبين قومٍ رأوا أشيا معاينةً ... وبين قومٍ حكوا بعض الّذي سمعوا

إنّي ربيت بأرض لا يشبُّ بها ... نار المجوس ولا تبنى بها البيع

---

(١) المستقصى في أمثال العرب، ١٥/١

ولا يطا القرد والخنزير تربتها ... لكن بها الرّيم والرّئبال والضّبع

وقال أبو هفان:

إذا ما شئت أن تحظى ... وأن تلبس قوهيّا

وأن تصبح ذا مالٍ ... فكن علجاً نبيطيّا

وإن سرّك أن تشقى ... وأن تصبح مقليّا

فكن ذا نسبٍ ضخمٍ ... وكن مع ذاك نحويّا

؟باب اختلاف عبارتهم عن البلاغة

قال المفضّل الضّبّي لأعرابي:ما البلاغة؟ قال الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل.

وقيل للأحنف:ما البلاغة؟ قال: الإيجاز في استحكام الحجج،والوقوف عند ما يكتفى به.

وقال خالد بن صفوان لرجل كثر كلامه:إنّ البلاغة ليست بكثرة الكلام، ولا بخفّة اللسان، ولا كثرة الهذيان.ولكنها إصابة المعنى القصد إلى الحجة.

وقيل لأعرابي: ما البلاغة؟ فقال: لمحة دالّة.

وقيل لبشر بن مالك: ما البلاغة؟ قال: التقرّب من المعنى،والتباعد عن حشّو الكلام،ودلالةٌ بقليل على كثير.

سئل عبيد الله بن عتبة: ما البلاغة؟فقال:القصد إلى عين الحجة بتقليل اللفظ.

وقال غيره: البلاغة معروفة الفصل من الوصل، وفرق ما بين المشترك والمفرد وفصل ما بين المقيّد والمطلق، وما يحتمل التأويل ويستغني عن الدليل.

وقيل لبعض اليونانية: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام .

وقيل لرجل من الرّوم:ما البلاغة؟ حسن الاقتصاد عند البديهة، والغزارة يوم الإطالة.

وقيل لرجل: ما البلاغة؟ فقال: حسن الإشارة، وإيضاح الدلالة، والبصر بالحجة، وانتهاز مواضع الفرصة.

وسأل معاوية بن أبي سفيان صحاراً العبديّ؟ ماالبلاغة عندكم؟ قال: الإيجاز. قال: ما الإيجاز؟ قال:أن تقول فلا تخطئ وتسرع فلا تبطئ، فقال معاوية. وكذلك تقول؟ قال:أقلني يا أمير المؤمنين.أنت لا تخطئ ولا تبطئ.

وقد روي مثل هذا المعنى للحجّاج مع ابن القبعثري. فالله أعلم.

وقالوا: أبلغ النّاس أحسنهم بديهة، وأمثلهم لفظا.

قال خالد بن صفوان: خير الكلام ما ظرفت معانيه،وشرفت مبانيه والتذّت به آذان سامعيه.

؟باب من خطب فأريج عليه

قال الحرّ بن جابر،وكان أحد حكماء العرب – فيما أوصى به ابنه: وإياك والخطب فإنّها مشوارٌ كثير العثار.

صعد عثمان بن عفّان رضي الله عنه على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم أرتج عليه، فقال:أمّا بعد فإنّ أول كلّ مركبٍ صعب، وما كنا خطباء، وسيعلم الله، وإن امرأً ليس بينه وبين آدم أب حيٌّ لموعوظ.." (١)

"الرَّاوية للهجاء أحد الهجَّائين.

فصلٌ منه قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم لرجل أوصاه: " حافظ على العصرين " .

والعصران: الصبح والظهر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من صلى البردين دخل الجنة " .

البردان: الغداة والعشي.

وقال بعضهم: الأبردان: الغداة والعشيّ.

الأيهمان: السّيل والحريق.

الأحمران: الذَّهب والزَّعفران.

الأسودان: التَّمر والماء.

الأطيبان: الأكل والجماع.

الأجوفان :الفم والفرج.

الأصغران: القلب واللسان.

الأكبران : الهمَّة واللُّب.

الأصمعان: الفهم الذكي والرأي الحازم.

الجديدان: اللَّيل والنَّهار وكذلك الملوان، وكذلك العصران، قال حميد ابن ثور الهلالي:

ولن يلبث العصران يوماً وليلةً ... إذا طلبا أن يدركا ما تيمَّما

وقال أبو بكر بن دريد:

إنَّ الجديدين إذا ما استوليا ... على جديدٍ أدنياه للبلى

وقال سليمان بن بطّال:

وتقلُّب الملوين بينهما الرَّدى ... إن لم يكن هذا يجيء به فذا

العمران: أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - هذا قول الأكثر.

كما قالوا: المكَّتان: مكَّة والمدينة.

والقمران :الشمس والقمر.

قال الفرزدق:

أخذنا بآفاق السَّماء عليكما ... لنا قمراها والنُّجوم الطَّوالع

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/٩

لم يختلفوا أنه أراد الشمس والقمر.

وقال أبوعبيدة في قول قيس بن زهير.

جزاني الزَّهدمان جزاء سوءٍ ... وكنت المرء يجزي بالكرامة

أراد زهدماً وأخاه قيساً ابني محمد بن وهب من بني عبس بن بغيض، وقال أبو عبيدة: الزهدمان: زهدمٌ وكردم.

قال أبو عمر: الحجة في هذا قول الله عزّ وجلّ: " ولأبويه " ، فالأبوان الأب والأم.

وقد قال قتادة: العمران: عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز. والأول أشهر وأكثر.

باب من الأجوبة المسكتة وحسن البديهة

لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر بضرب عنق عقبة بن أبي معيط، فقال له:من للصِّبية يا محمد؟ قال: النَّار.

قال الأعمش: احذروا الجواب،فإن عمرو بن العاص قال لعديّ بن حاتم: متى فقئت عينك يا أبا طريف؟ قال: يوم طعنت في استك وأنت مولّ يوم صفين.

شهد أعرابيّ بشهادة عند معاوية على شيء، فقال: كذبت.فقال: الكاذب والله مزمل في ثيابك.فتبسم معاوية وقال:هذا جزاء من عجل.

أنشد ابن الرِّقاع قصيدة يذكر فيه الخمر، فقال له معاوية: أما إني قد ارتبت فيك في جودة وصف الشراب، فقال: وأنا قد ارتبت بك في معرفته.

قال تميم بن نصر بن سيَّار لأعرابي: هل أصابتك تخمة قط؟ قال:أما من طعامك وشرابك فلا. قال عبد الملك بن مروان لبثينة: ما رجا منك جميل؟ قالت: ما رجت منك الأمَّة حين ملكتك أمرها.

قيل لبعضهم: صحبت الأمير فلانا إلى اليمن، فما ولاّك؟ قال:قفاه.

قيل لأعرابي: صف لنا النخلة. فقال: صعبة المرتقى، بعيدة المهوى، مهولة المجتنى، رهيبة الِّسلاح، شديدة المؤونة، قليلة المعونة، خشنة الملمس، ضئيلة الظل.

دخل معن بن زائدة على المنصور، فأسرع المشي وقارب الخطر، فقال له المنصور: كبرت سنُّك يا معن؟ قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين. قال: وإنك مع ذلك لجلد. قال:على أعدائك يا أمير المؤمنين.قال: وإن فيك لبقية. قال: هي لك يا أمير المؤمنين.

دخل عديّ بن حاتم على معاوية، وعنده عبد الله بن عمرو، فقال له عبد الله: يا عديّ متى ذهبت عينك؟ قال: يوم مثل أبوك هارباً، وضرب على قفاه مولياً، وأنا يومئذ على الحق، وأنت وأبوك على الباطل.

قال المهديّ لجرير بن زيد: يا جرير إني لأعدُّك لأمر. قال جرير: إن الله قد أعدَّ لك منّي قلباً معقوداً بنصيحتك ويداً مبسوطة بطاعتك، وسيفاً مشحوذاً على عدوك، إذا ما شئت.

قالت جارية ابن السَّمَّاك له: ما أحسن كلامك إلا أنك تردده.قال: أردده حتى يفهمه من لم يكن فهمه. قالت: فإلى أن يفهمه من لم يكن فهمه يمله من فهمه.

قال الحسن لابن سيرين: تعبر الرؤيا كأنك من آل يعقوب. فقال ابن سيرين: وأنت تفسر القرآن كأنك شهدت التنزيل.

قال رجل لعمر بن الخطاب :أهلكنا النوم: فقال: بل أهلكتم اليقظة.

مرت أمة بسعيد بن المسيب وقد أقيم ليضرب، فقالت: يا شيخ! لقد أقمت مقام الخزي. فقال : بل من مقام الخزي فررت.." (١)

"قال رجلٌ لعمرو بن العاص لأتفرغَنَّ لك. فقال: حينئذ تقع في الشغل.

لقي الحسن الفرزدق في حين خروجه إلى العراق، فسأله عن الناس، فقال:القلوب معك، والسيوف عليك، والنصر من الله.

قال رجل عند الحسن: أهلك الله الفخار. قال :إذا استوحش في الطريق. قيل للأصمعي: لماذا لا تقول الشعر؟ قال: الذي أريده لا يواتيني، والذي يواتيني لا أريده، أنا كالمسنّ أشحذ ولا أقطع.

قيل لابن المقفع: مالك لا تقول الشعر؟ فقال: الذي يواتيني لا أريده، والذي أريده لا يواتيني. قال: ابن مناذر:

لا تقل شعراً ولا تهمم به ... وإذا ما قلت شعراً فأجد

قال عبد الله بن مروان لثابت بن عبد الله بن هلال: إنك أشبه الناس بإبليس.

قال: وما تنكر أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن.

قيل لأعرابية من بني عامر: لقد أحسنت العزاء على ابنك. قالت: إن فقده أيأسني من المصائب بعده. ونعى إلى أعرابية ابن لها، فقالت: لقد نعيتموه كريم الجدّين، ضحوكاً إذا أقبل كسوباً إذا أدبر، يأكل ما وجد، ولا يسأل عما فقد.

قال الأحوص للفرزدق: متى عهدك بالزنا؟ قال: مذ ماتت العجوز أمك.

قال أبو الزناد لابن شبرمة في مناظرته له: من عندنا خرج العلم. فقال ابن شبرمة:ثم لم يعد إليكم.

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: ما أبين الشبق في رجالكم يا بني هاشم! قال: لكنه في نسائكم يا بني عبد شمس أبين.

قال زهير:

" ومن لا يكرِّم نفسه لا يكرَّم " ... " ..ومن لا يتّق الشَّتم يشتم "

قال معاوية لابن عباس: أنتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم. فقال ابن عباس:وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائركم.

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: أين ترى عمك أبا لهب؟ قال:في النار، مفترشاً عمتك حمَّالة الحطب. وكانت أم جميل امرأة أبي لهب بنت حرب بن أمية ابن عبد شمس.

قال الرشيد لشريك القاضي: يا شريك! آية في الكتاب ليس لك ولا لقومك فيها شيء. قال: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال قوله تعالى: " وإنَّه لذكرٌ لك ولقومك " ، فقال آية أخرى ليس لي ولا لقومي فيها شيء. قال: وما هي؟ قال: " وكذَّب به قومك وهو الحقُّ " .

قال الرشيد لأبي الحارث جمَّيرا: أيسرك أن تخرا الغالية؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين. قال: ولم؟ والناس يتمنونها قال: أخاف أن يختم أمير المؤمنين على سراويلي فلا يفتحها.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/١٤

قال معاوية بكلام عرّض فيه بعبد الله بن الزبير، فقال: يا أمير المؤمنين لا يكن حقنا منك أن تمسك يدك مغلولة إلى عنقك، وتعمل لسانك في قومك.

وروى أن أبا بكر بن عياش كان أبرص، وكان رجل من قريش يشرب الخمر، فقال له أبو بكر: قيل لنا إن نبيا من الأنبياء بعث بحلّ الخمر. فقال: لا أومن به حتى يبرئ الأبرص.

قدم الوليد بن عقبة الكوفة في زمن معاوية، فأتاه أهل الكوفة يسلمون عليه، وقالوا: ما رأينا بعدك مثلك. فقال خيراً أم شراً؟ قالوا: لم نر بعدك إلا شراً منك. قال: لكني والله ما رأيت بعدكم شرا منكم، والله يا أهل الكوفة، إن حبكم لصلف، وإن بغضكم لتلف.

قال المنذر بن الجارود لعمرو بن العاص:أي رجل أنت لو كانت أمك من عز قريش؟ قال عمرو: أحمد الله إليك، لقد عرضت قبائل العرب على نفسي أتمنى من أيهم تكون أمّي في طول ليلتين، فما خطرت عبد القيس على بالي.

جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص، وهو على المنبر عن أمه، فسأله. فقال: هي سلمى بنت حرملة، تلقب النابغة، من بني عنزة، ثم أحد بنى جلاَّن، أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائل، فولدت وأنجبت. فإن كان لك جعل فخذه.

فاخر رجل من ولد أبي البختريّ بن هشام رجلا من ولد الزبير، فقال: أنا ابن عقير الملائكة. قال ابن الزبير: فنعم العاقر وبئس المعقور، فقال: أنا ابن شداد البطحاء. قال: شدها أبوك بسلحه، وشدها أبي برمحه.

جلس معاوية يأخذ البيعة على أهل العراق بالبيعة له والبراءة من على، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين! إنا نبايع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم، فنظر معاوية إلى المغيرة بن شعبة، فقال: رجل، فاستوص به خيراً.." (١)

"قال الفرزدق لكثير – وقد أنشد: ما أشبه شعرك بشعري! أفكانت أمك أتت البصرة؟ فقال:لا ولكن أبي أتاها، ونزل في بني دارم.

قال المثّقب العبديّ:

وكلمة حاسدٍ من غير جرمٍ ... سمعت فقلت مرّي فانفذيني

وعابوها عليَّ ولم تعبني ... ولم يعرق لها يوماً جبيني

وما من شيمتي شتم ابن عميّ ... ولا أنا مخلفٌ من يرتجيني

وذو الوجهين يلقاني طليقاً ... وليس إذا تغّيب يأتليني

بصرت بعيبه فكففت عنه ... محافظةً على حسبي وديني

قال رجلٌ من بني عجل لأبي الرَّوحاء الشاعر، بهمذان: ممن الرجل؟ قال:من العجم. قال العجلي: إنما الشعر للعرب، والمحال أن يقول الشعر رجل من العجم حتى ينزو على أمه رجل من العرب. فقال أبو الروحاء: فكل من لم يقل الشعر من العرب، فقد نزا على أمه رجل من العجم على هذا القياس.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/١٥

قال مسكين الدارمي: ؟وإذا الفاحش لاقى فاحشاً فبهذا وافق الشَّنّ الطبق

إنما الفحش ومن يعتاده ... كغراب البين ما شاء نعق

أو حمار السُّوء إن أمسكته ... رمح الناس وإن جاع نهق

أو غلام السُّوء إن جوّعته ... سرق الجار وإن يشبع فسق

قال رجل لشريح القاضي: لشد ما ارتفعت فقال له شريح: هل ضرك ذلك؟ إنك لتبصر نعمة الله على غيرك وتعمى عنها في نفسك.

قيل لمزيد – وهو يحمل شيئاً تحت إبطه – : يا مزيد! ما هذا الذي تحت حضنك؟ قال: يا أحمق! ولم خبأته؟ قال الفرزدق للحسن: يا أبا سعيد إني قد هجوت إبليس، أفتسمع؟ فقال له الحسن: اسكت، فإنك على لسانه تنطق.

قيل لأعرابي: أتهمز الفارة؟ قال: إنما يهمزها السنور. قال حمزة الكسائي: أتهمز الذيب؟ قال: لو همزته أكلني.

سأل رجل من الشعراء رجلا من المتكلمين بين يدي المأمون، فقال: ما سنك؟ قال:عظم. قال: لم أرد هذا، ولكن كم تعدَّ؟ قال: من واحد إلى ألف ألف وأزيد. قال: لم أرد هذا، ولكن كم أتى عليك؟ قال: لو أتى علي شيء لأهلكني. فضحك المأمون. فقيل له: كيف السؤال عن هذا؟ فقال: أن تقول؟ كم مضى من عمرك.

لقي رجل رجلاً راكباً، فقال له: أين تنزل فقال له: حيث أضع رجلي.

وهب المفضل الضبي لبعض جيرانه أضحية، فلقيه بعد النحر، فقال: كيف وجدت أضحيتك؟ فقال: ما وجدت لها دماً، أراد قول الشاعر: ؟ ولو ذبح الضّبِّي بالسيف لم تجد من اللؤم للضَّبِّيّ لحماً ولا دما اجتمع ناس من الشعراء على باب عدي بن الرِّقاع الشاعر، فخرجت بنت له، فقالت: ما تريدون، قالوا: نريد أباك لنخزيه ونفضحه. فقالت:

تجمّعتم من كلِّ أوبٍ وبلدةٍ ... على واحدٍ لا زلتم قرن واحد

تفاخر أهل الكوفة وأهل البصرة، فقال ابن شبرمة – وكان كوفياً – : لنا أحلام ملوك المدائن، وسخاء أهل السواد، وظرف أهل الحيرة، ولكم سفه السند، وبخل الخزر، وحمق أهل غسان. قال الربيع الحاجب لشريك القاضي بحضرة المهدي: بلغني أنك اختنت أمير المؤمنين. فقال شريك: لا تقل ذلك. لو كنت اختننته لكان قد أتاك نصيبك.

قال مؤدب يزيد بن عبد الملك يوماً له: لحنت. فقال: الجواد يعثر. قال المؤدب: إي والله، ويضرب حتى يستقيم. فقال: نعم، وربما كسر أنف سائسه.

وقف أعرابي على قوم فقال: رحم الله من لم تمج أذنه كلامي، وقدم لنفسه معاذه من سوء مقامي، فإن البلاد مجدبة، والحال مسغبة، والحياء زاجر يمنع من كلامكم، والفقر يدعو إلى إخباركم، والدعاء أحد الصدقتين، فرحم الله امرءاً أمر بخير. فقيل له: من أنت؟ فقال: اللهم اغفر، سوء الاكتساب يمنعني من الانتساب.

سمع إياس بن معاوية – رحمه الله – يهوديا يقول: ما أحمق المسلمين! يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ولا يحدثون. فقال له

إياس بن معاوية: أو كل ما تأكله تحدثه؟ قال: لا. لأن الله يجعل أكثره غذاء. قال: فلم تنكر أن يجعل الله جميع ما يأكله أهل الجنة غذاء.." (١)

"وقال عليه السلام لعبد الله بن مسعود: " لا تكثر همَّك يا عبد الله، ما يقدَّر يكن، وما ترزق يأتك " .

قال الشاعر:

فإنَّك ما يقدر لك الله تلقه ... كفاحاً وتجلبه عليك الجوالب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن روح القدس نفث في روعي، أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب " .

أنشد ابن أبي الدنيا:

ومن ظنّ أنَّ الرِّزق يأتي بحيلةٍ ... فقد كذَّبته نفسه وهو آثم

يفوت الغنى من لا ينام عن السُّرى ... وآخر يأتي رزقه وهو نائم

فما الفقر في ضعف احتيالٍ ولا الغنى ... بكدٍّ وللأرزاق في النَّاس قاسم

سأصبر إن دهرٌ أناخ بكلكلٍ ... وأرضى بحكم الله ما الله حاكم

لقد عشت في ضيقٍ من الدَّهر مدَّةً ... وفي سعةٍ والعرض منِّي سالم

وقال جعفر بن محمَّد: إني لأملق فأتاجر الله بالصدقة فأربح.

وقال عروة بن الزبير: العاقل من إذا رزق ما لا نظر فيه، فإنه لا يدري لعله يكون آخر رزقه.

ومما يروي لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وفيه نظر:

لو كان صخرةٍ في البحر راسيةٍ ... صمَّاء ململومةٍ ملسٍ نواحيها

رزقٌ لعبدٍ يراه الله لانفلقت ... حتَّى يؤدَّي إليه كلُّ ما فيها

أو كان تحت طباق السَّبع مطلبها ... لسهَّل الله في المرقى مراقيها

حتَّى تؤدَّي الَّذي في الَّلوح خطّ له ... إن هي أتته وإلاَّ سوف يأتيها

وأنشد ابن الأعرابي:

الحمد لله ليس الرِّزق بالطَّلب ... ولا العطايا لذي عقلٍ ولا أدب

إن قدّر الله شيئاً أنت طالبه ... يوماً وجدت إليه أقرب السبب

وإن أبى الله ما تهوى فلا طلبٌ ... يجدي عليك ولو حاولت من كثب

وقد أقول لنفسي وهي ضيِّقةٌ ... وقد أناخ عليها الدَّهر بالعجب

صبراً على ضيقة الأيَّام إنّ لها ... فتحاً وما الصَّبر إلاّ عند ذي الأدب

سيفتح الله أبواب العطاء بما ... فيه لنفسك راحاتٌ من التّعب

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/١٧

ولو يكون كلامي حين أنشره ... من الُّلجين لكان الصَّمت من ذهب

وقيل لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف يحاسب الله العباد على كثرتهم؟ قال: كما قسَّم بينهم أرزاقهم.

ولسريج بن يونس المحدث:

يا طالب الرّزق في الآفاق مجتهداً ... أتعبت نفسك حتَّى شفَّك التَّعب

تسعى لرزق كفاك الله مؤنته ... أقصر فرزقك لا يأتي به الطَّلب

كم من سخيفٍ ضعيف العقل نعرفه ... له الولاية والأرزاق والذَّهب

ومن حصيفٍ له عقلٌ ومعرفةٌ ... بادي الخصاصة لم يعرف له نشب

فاسترزق الله مما في خزائنه ... فالله يرزق لا عقلٌ ولا حسب

وقال آخر:

كم من قويٍّ قويٍ في تقلُّبه ... مهذّب الرأي عنه الرِّزق منحرف

وكم ضعيفٍ ضعيف الرأي تبصره ... كأنه من خليج البحر يغترف

أنشد أبو حاتم عن الأصمعي:

يا أيُّها المضمر همَّاً لا تهمّ ... إنك إن تقدر لك الحمَّى تحم

ولو علوت شاهقاً من العلم ... كيف توقّيك وقد جفّ القلم

قالوا: المقادير تبطل التقدير،وتنقض التدبير.

قال الشاعر:

إذا عقد القضاء عليك عقداً ... فليس يحلُّه إلا القضاء

وقال ابن المعتز:

يا مكلَّ العيس في ديمومةٍ ... يتبع الآمال كالباغي المضلّ

إنَّ مفتاح الذي تطلبه ... بيد المقدار فاصبر واتكل

فرغ الله من الرزق ومن ... مدَّة العمر ومن وقت الأجل

وقال أبو العتاهية:

وفدت إلى الله في وفده ... لألتمس الرّزق من عنده

إذا ما قضى الله أمراً مضى ... ولم يقو حيٌّ على ردِّه

قال المفضَّل الضَّبِّي: **قيل لأعرابيّ** من أين معاشكم؟ قال: من أزواد الحاجّ. قلت: فإذا صدروا فبكى، ثم قال: لو كنا نعيش من حيث نعلم لم نعش.ثم قال: أتفهم؟ قلت:نعم،فقال:." (١)

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/٢٥

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " السفر قطعةٌ من العذاب، فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجِّل الرجوع إلى أهله " .

وزاد بعضهم في هذا الحديث " السفر قطعة من العذاب، فاقطعوه بالدُّلجة " .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:تلقَّوا الحاجَّ ولا تشّيعوهم.

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم: " سافروا تصحّوا وتغنموا " .

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " مامات ميت بأرض غربةٍ إلا قيس له من مسقط رأسه إلى منقطع أثره في الجنة " .

ومن حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلَّم، قال: " موت الغريب شهادة " .

ومن حديث أنس، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، قال: " من مات غريباً مات شهيداً " .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " العباد عباد الله، والبلاد بلاد الله، فأينما وجدت الخير فأقم واتق الله " .

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه – ومنهم من يرفعه – قال: من سعادة المرء أن تكون زوجته موافقة، وأولاده أبراراً، وإخوانه صالحين، ورزقه في بلده الذي فيه أهله. مكتوبٌ في التوراة: ابن آدم؟ أحدث سفراً أحدث لك رزقاً.

قالت العرب: من أجدب انتجع.

قيل لأعرابيّ أين منزلك؟ قال: بحيث ينزل الغيث.

من أمثال العامة: البركات مع الحركات.

وقالوا: ربما أسفر السَّفر عن الظَّفر.

قال البحتري: ؟؟وإذا الزَّمان كساك حلَّة معدمٍ فالبس لها حلل النَّوى وتغرَّب وقال زهير:

ومن يغترب يحسب عدوّاً صديقه ... ومن لا يكرِّم نفسه لا يكرَّم

وقال الأعشى:

ومن يغترب عن قومه لا يزل يرى ... مصارع مظلومٍ مجرّاً ومسحبا

وتدفن منه الصَّالحات وإن يسيء ... يكن ماأساء النَّار في رأس كبكبا

وقال آخر:

إنَّ الغريب بأرضٍ لا عشير بها ... كبائع الرِّيح لا يعطى به ثمنا

وقال سابق:

لا ألفينَّك ثاوياً في غربةٍ ... إنَّ الغريب بكلِّ سهمٍ يرشق

وقال آخر:

فلم أرعزَّ المرء إلاَّ عشيرةً ... ولم أر ذلاً مثل نأيٍ عن الأهل

وقال آخر:

إِنِّي الغريب فما ألام على البكا ... إنَّ البكا حسنٌ بكلِّ غريب

وقال آخر:

يجازى بالَّذي تجد القلوب ... ويأنس بابن بلدته الغريب

وصادفني غريبٌ فالتقينا ... وكلُّ مساعدٍ فهو القريب

وقال آخر:

تغرَّبت عن أهلي أؤمِّل ثروةً ... فلم أعط آمالي وطال التَّغرُّب

فما للفتى المحتال في الرِّزق حيلةٌ ... ولا لجدودٍ جدَّها الله مذهب

وقال كعب بن زهير:

فقرِّي في بلادك إنَّ قوماً ... متى يدعوا بلادهم يهونوا

وقال آخر:

ليس ارتحالك تزداد الغنى سفراً ... بل المقام على خسفٍ هو السَّفر

قالوا: ترك الوطن أحد اليسارين.

قال الشاعر:

ومالموت إلأَّرحلةٌ غير أنَّها ... من المنزل الفاني إلى المنزل الباقي

وقال آخر:

لقرب الدَّار في الإقتار خيرٌ ... من العيش الموسَّع في اغتراب

وقال آخر:

ومهمةٍ فيها السَّراب يسبح ... يدأب فيه القوم حين يصبح

كأنَّما ثووا بحيث أصبحوا ... الَّليل أخفى والنَّهار أفضح

قالوا: إذا كنت في غير بلدك، فلا تنس نصيبك من الذل.

وأنشدوا:

إنَّ الغريب له استكانة مذنبٍ ... وخضوع مديانٍ وذلٌ مريب

وقال آخر:

إذا كنت في قومٍ عداً لست منهم ... فكل ما علفت من خبيثٍ وطيِّبٍ

وقال آخر:

إنّ الغريب وإن أقام ببلدةٍ ... يهدى إليه خراجها لغريب

وقال آخر:

غريبٌ يقاسي الهمَّ في أرض غربةٍ ... فياربِّ قرِّب دار كلِّ غريب

قالوا: الغريب كغرس ذابل ماتت أرضه، ونفد شربه.

قال النمر بن تولب:

إذا كنت في سعدٍ وأمُّك منهم ... غريباً فلا يغررك خالك من سعد

فإنّ ابن أخت القوم مصغىً إناؤه ... إذا لم يزاحم خاله بأبٍ جلد

قالت العرب: ليس بينك وبين بلاد نسب، خير البلاد ما حملك.

وقال آخر:." (١)

"ليس في كلِّ ساعةٍ وأوان ... تتهيَّا صنائع الإحسان

فإذا أمكنت فبادر إليها ... حذراً من تعذُّر الإمكان

كان زياد إذا أتي بصاحب زلة، أخرّ عقوبته أياماً يسأل عن قضيته مخافة الزيادة في العقوبة. صعد عبد الملك المنبر، فقال في خطبته: يا معشر رعيتنا سألتمونا سيرة أبي بكر وعمر، ولم تسيروا فينا ولا في أنفسكم سيرة رعية أبي بكر وعمر، ولكن نسأل الله أن يعين كلاً على كل. تعرَّض رجل للحسن بن سهل، فقال:من أنت؟ فقال: أنا الذي أحسنت إليَّ عام كذا فقال الحسن: مرحباً بمن توسل إلينا بنا.

وهذا عندي مأخوذ من قول معاوية: أحب الناس إلي، من له عندي يد ثم أحبهم إليّ بعده من لي عنده يد.

قال الشعبي:دخلت يوماً على ابن هبيرة وبين يديه رجل يريد قتله، فقلت: أصلح الله الأمير، أنت على فعل مالم تفعل أقدر منك على ما فعلت، ولأن تندم على العفو خير من أن تندم على العقوبة. قال: صدقت يا شعبي. وأمر بالرجل إلى السجن.

قال المأمون: تحتمل الملوك لأصحابهم كل شيء إلا ثلاث خصال:القدح في الملك، وإفشاء الأسرار، والتعرض للحرم.

روى ابن دريد، عن ابن أخي الأصمعي، عن عمه عن أبي عمرو بن العلاء أنه دخل على سليمان بن علي،فسأله عن شيء فصرفه عنه، فغضب سليمان بن علي فخرج أبو عمرو وهو يقول:

أنفت من العار عند الملوك ... وإن أكرموني وإن قرَّبوا

إذا ما صدقتهم خفتهم ... ويرضون منّي بأن يكذبوا

قيل للعتابي: لم لا تخدم الأمير؟ أو لا تكتب للأمير، فقال: لأني رأيته يعطي رجلاً ألف مثقال بلا خصلة، ويرمي آخر من أعلى السور على الرأس بلا ذنب، فلا أدري أي الرجلين أكون عنده، مع أن الذي أعطي في ذلك، أكثر من الذي آخذ – يريد مهجته – وركوب الغرر فيها معه، والعتابي هو القائل:

تلوم على ترك الغنى باهلِّيةٌ ... زوى الدَّهر عنها كلَّ طرفٍ وتالد

رأت حولها النِّسوان يرفلن في الكسى ... مقلَّدةً أجيادها بالقلائد

يسرُّك أنِّي نلت ما نال جعفرٌ ... من الملك أو ما نال يحيى بن خالد

وأنَّ أمير المؤمنين أغصَّني ... مغصَّهما بالمرهفات البوارد

ذريني تجئني ميتتي مطمئنَّةً ... ولم أتجشَّم هول تلك الموارد

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/٤٥

وإنَّ كريمات المعالي مشوبةٌ ... بمستودعاتٍ في بطون الأساود

وقال الغزال:

وإن أعطيت سلطاناً ... فحاذر صولة الزَّمن

أخو السُّلطان موصوفٌ ... بحسن الرَّأي والفطن

فساعة ما يزاوله ... رماه النَّاس باللَّعن

ويصبح رأيه المحمو ... د منسوباً إلى الأفن

وتبصر في مطِّيته ... سقوط العين والأذن

وتسترخي مفاصله ... وتكسى كسوة الحزن

كأن بشاشة السُّلطا ... ن حين تزول لم تكن

وقال إدريس بن مقيم الإشبيلي:

قالوا تقرَّب من السُّلطان قلت لهم: ... يعيذني الله من قرب السَّلاطين

إن قلت دنيا فلا دنيا لممتحنٍ ... أو قلت دينٌ فلا ديناً لمفتون

قيل لأعرابي: من أنعم الناس عيشاً؟ قال: من لم يعرف السلطان ولم يعرفه السلطان، وكان في كفاف وغنى.

وأما أهل الآخرة فطريقتهم الإعراض عنهم، وترك معاشرتهم.

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:حدثونا أن الحسن البصري نظر إلى قوم صحبوا السلطان واتسعت دنياهم، فقال:ماتنظرون إليهم، فوالله لئن كانوا من أهل الجنة لقد عجل لهم قليل من كثير ذخرلهم، ولئن كانوا من أهل النار لقد أعطوا قليلاً من كثير صرف عنهم فأتاهم، فارحموا ولا تغبطوا.

أنشدني عبد الله بن محمد بن يوسف لنفسه:

مايشتهي قرب السَّلاطين ... غير ضعيف العقل مجنون

لا تكذبن عنهم فما صحبهم ... منهم على دنيا ولا دين

دنياهم بالخزي موصولةٌ ... ولا تسل عن دين مفتون

خيرهم فاعلمه لا يرتجى ... وشرُّهم ليس بمأمون

لا رأي لهم في نيل دنياهم ... حسبي بأن يسلم لي ديني." (١)

"أنشدني أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان ، قال : أنشدنا أبو محمد قاسم ابن أصبغ ، قال : أنشدنا أبو بكر بن أبي خيئمة لأبي الشيص محمد بن عبد الله ابن رزين:

صاحبٌ كان لي وكنت له ... أشفق من والدٍ على ولدٍ

كنا كساق تسعى بها قدمٌ ... أو كذراع نيطت إلى عضد

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/٧٥

وكان لي مؤنساً وكنت له ... ليست بنا حاجةٌ إلى أحد

حتى إذا حلت الحوادث من ... ساحتي وحل الزمان من عقدي

احول عني وكان ينظر منعيني ويرمي بساعدي ويدي حتى إذا استرفدت يدي يدهكنت كمسترفدٍ يد الأسد

وقال آخر :

واني لأستحي أخي أن أبره ... قريباً وأن أجفوه وهو بعيد

وقال آخر :

قلت للفرقدين إذ طال ليلي ... وهما في السماء مقترنان

ابقيا كيف شئتما عن قليل ... سوف تطوى السما وتفترقان

قيل لأعرابي : لم قطعت أخاك من أبيك ؟ فقال : إني لأقطع الفاسد من جسدي الذي هو أقرب إلي من أبي وأمي وأعز فقدا.

وقال آخر :

لا تهني بعد أن أكرمتني ... فشديدٌ عادةٌ منتزعته

وقال آخر :

وكل أخ مفارقه أخوه ... لعمر أبيك إلا الفرقدان

وقال آخر :

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا ... ليلٌ يكر عليهم ونهار

وقال محمد بن أبي حازم الباهلي :

لم يكن من شكلي ففارقته ... والناس أشكالٌ وألاف

وقال ابن الرومي : " وبعض السجايا ينتمين إلى بعض " قال حبيب :

ولن تنظم العقد الكعاب لزينةٍ ... كما ينظم الشّمل الشتيت الشمائل

وقال المساحقي :

تزهّدني في ودّك ابن مسافع ... مودتك الأرذل دون ذوي الفضل

وأن شرار الناس سادوا خيالاهم ... زمانك إن الرّذل للزمن الرّذل

قال أكثم بن صيفي : أحقّ من يشركك في شركاؤك في المكاره.

أخذه دعبل فقال ، ويروي لحبيب :

وإن أولى البرايا أن تواسيه ... عند السّرور لمن واساك في الحزن

إنّ الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن

وقال آخر :

إذا ماخليلي أسا مرّةً ... وقد كان من قبلها مجملا

شكرت المقدّم من فعله ... ولم يفسد الآخر الأوّلا

وقال امرؤ القيس بن عانس الكندي :

إني بحبلك واصلٌ حبلي ... وبريش نبلك رائشٌ نبلي

وشمائلي ما قد علمت وما ... نبحت كلا بك طارقاً مثلي

قال عبيد :

لا ألقينّك بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زوّدتني زادي

الخير أبقي وإن طال الزمان به ... والشرّ أخبث ما أوعيت من زاد

قال آخر :

وإذا تكون عظيمةٌ أدعي لها ... وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

وقال آخر :

إذا كنت تأتي المرء تعرف حقّه ... ويجمل منك الحقّ فالترّك أجمل

وفي البعد منجاة وفي الصرم راحةٌ ... وفي الأرض عمن لا يواتيك مرحل

وقال آخر :

له حقٌ وليس عليه حقٌ ... ومهما قال فالحسن الجميل

وقد كان الرسول يرى حقوقاً ... عليه لأهلها وهو الرسول

قال آخر :

وددتك لما كان ودّك خالصاً ... وأعرضت لما صار نهباً مقسّماً

ولن يلبث الحوض الجديد بناؤه ... على كره الورّاد أن يتهدّما

وقال إبراهيم بن العباس الصولى :

نعم الزمان زماني ... والشّان في إخواني

ممن رماني لّما ... رأى الزمان رماني

لو قيل لي خذ أماناً ... من أعظم الحدثان

لما أخذت أماناً ... إلا من الإخوان

وقال أيضاً :

وكنت أخي بإخاء الزمان ... فلما نبا صرت حرباً عوانا

وكنت أذمّ إليك الزمان ... فأصبحت فيك أذم الزمانا

وكنت أعدك للنائبات ... فها أنا أطلب منك الأمانا

وقال آخر وهو كثيّر عزّة:

خير إخوانك المشالاك في المرّ ... وأين الشريك في المرّ أينا." (١)

"قال محمد بن يحيى النديم :أول شعر قاله عليّ بن الجهم وهو غلام في المكتب ،وذلك أن أباه أمر المؤدّب أن يجلسه يوم الخميس عنده في المكتب حتى يحفظ حزبه ،فحبسه فكتب إلى أمه :

أمّي جعلت فداك من أمّ ... أشكو إليك فظاظة الجهم

قد سرّح الصبيان كلّهم ... وحسبت بالعدوان والظّلم

قال الزيادي :كنت رجلا مئناثاً ،فقيل لي :أكثر من الاستغفار وقت الجماع ،واستغفر الله عند الجماع ،فف علت فولد لي بضعة عشر ولداً ذكراً.

قال الشاعر :

وما كل مئنات سيشقى ببنته ... وما كلّ مذكار بنوه سرور

ومن هذا المعنى ذكرٌ في باب النساء.

قال أبو العلاء محمد بن أحمد بن جعفر الوكيعي :ما سمعت بكار بن قتيبة القلضي قط ينشد بيت شعر إلاّ مرة ،كنت عنده وأختصم إليه رجل وابنه ،فكان من كل واحد منهما إلى صاحبه ما لم يحمد بكار ،فالتفت إليهما وأنا أسمع. فقال :

تعاطتيما ثوب العقوق كلا كما ... أب غير بر وابنه غير واصل

كان لعبد الملك بن مروان بيت ملٍ كان قد حجزه من خالص غلاته وضياعه ،لا يدخله شئ من الغلول ،يعدّه للتزويج وشراء الجواري اللواتي يطلب أولادهن ،وكان يقول :إنّ الغلول يبقى في الولد.

قال أعرابي لأبيه وهو عمر بن ذّر الهمداني يعاتبه :يا أبت!إن عظيم حقك عليّ لا يذهب صغير حقيّ عليك ،والذي تمتّ به إليّ أمت بمثله إليك ،ولست أزعم أنا سواء ولكني أقول لا يحل الاعتداء.

قيل لأعرابي ،وكان له ابن عاقّ :كيف ابنك ؟قال :عذابٌ أزغف عليّ به الدهر ،فليتني قد أودعته القبر ،فإنه بلاء لا يقاومه الصبر ،وفائدة لا يلزم عليها الشكر.

دخل إلى جعفر بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي أعرابي ،فسأله جعفر عن بنيه فقال :

إنّ بنّي خيرهم كالكلب ... أبرّهم أولعهم بسبّي

لم يغن عنهم أدبي وضربي ... فليتني كنت عقيم الصّلب

ولبعض العقلاء البررة الأدباء :

بنفسي أنت لا بأبي فإني ... رأيت الجود بالآباء لؤما

كان يقال :من فوائد الدهر موت الابن العاقّ.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/١٥٣

قال أمية بن أبي الصلت ،وهو قد عتب على ابنه :

غذوتك مولوداً وغلتك يافعا ... تعلّ بما أسعى عليك وتنهل

إذا ليلةٌ جاءتك بالشكو لم أكن ... بشكواك إلاّ ساهراً أتملتل

كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني عيني تهمل

تخاف الرّدى نفسي عليك وإنما ... لتعلم أن الموت وقتٌ مؤجل

فلما بلغت السنّ والغاية التي ... إليها مدى ما كنت قبل أؤمل

جعلت جزائي غلظةً وفظاظةً ... كأنك أنت المنعم المتفضل

فليتك إذ لم ترع حقّ أبوّتي ... كما يفعل الجار المجاور تفعل

ورضى أبو الشغب العبسي عن أبنه فقال :

رأيت رباطا حين تمّ شبابه ... وولىّ شبابي ليس في برّه عتب

إذا كان أولاد الرجال حزازةً ... فأنت الحلال الحلو والبارد العذب

لنا جانبٌ منه دميثٌ وجانب ... إذا رامه الأعداء ممتنعٌ صعب

يخبرني عما سألت بهيّنٍ ... من القول لا جافي الكلام ولا لغب

وقال آخر :

فلو كنتم لكيّسة أكاست ... وكيس الأمّ أكيس البنينا

باب الأقارب والموالى

قال رجلٌ لرسو ل الله صلى الله عليه وسلم. " يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يزال معك من الله ظهيرٌ ما كنت على ذالك " .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : " ما من ذنبٍ أجدر بأن تجّعل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة ، من البغي وقطيعة الرحم " .

ويروي عنه صلى الله عليه وسلم : " حقّ كبير الإخوة على صغيرهم كحقّ الوالد على ولده " .

وقال أبو الدرداء :مكتوب في التوراة : إن أحسد الناس لعالمٍ وأبغاهم عليه ، قرابته وجيرانه " .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مولى القوم منهم " .." (١)

"عشق أبو القمقام بن بحر السقا امرأة موسرة ، فأطمعته في نفسها ، فبعث يستهديها طعاماً ، حتى فعل ذلك غير مرة ، فلما أكثر عليها ، بعثت إليه :رأيت العشق يكون في القلب ويفيض إلى الكبد ، ثم يستبطن الأحشاء ، وحبّك لا أراه تجاوز المعدة.

قال أعرابيّ من فزارة : عشقت امرأة من طّي ، فكانت تظهر لي مودّة ، فو الله ما جرى بيني وبينها شئ من ريبة ، غير أني

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/١٦٤

رأيت بياض كفها ليلة ، فوضعت كّفي على كفها ، فقالت : مه! لا تفسد ما صلح ، فأرفضضت عرقا من قولها ، فما عدت لمثل ذلك.

قال بعضهم : الرجل يكتم بغض المرأة أربعين يوماً ، ولا يمكنه أن يكتم حبها يوماً واحدا ، والمرأة تكتم حب الرجل أربعين يوماً ، ولا يمكنها أن تكتم بغضه يوما واحداً.

قال يوسف بن هرون :

دقّت معاني الحبّ عن أذهانهم ... فتأوّلوها أقبح التأويل

وقال كثيرّ :

إذا ما رادت خلّةً أن تستميلنا ... أبينا وقلنا الحاجبية أوّل

وقال حبيب :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلباً خالياً فتمكّنا

لعليّ بن الجهم :

يا سائلي ما الهوى اسمع إلى صفتي ... الحّب أعظم من وصفي ومقداري

ماء المدامع نار الشوق تحدره ... فهل سمعت بماءٍ فاض من نار

وقال أبو العتاهية :

أذاهب الهوى جسمي ولحمي وقوّتي ... فلم يبق إلاّ الروح والجسد النضو

رأيت الهوى حجر الغضا غير أنّه ... على كلّ حال عند صاحبه حلو

وقال آخر :

أسرّ الذي بي والدموع تبوح ... وجسمي سقيم والفؤاد قريح

وبين ضلوعي لوعة لم أزل بها ... أذوب اشتياقاً والفؤاد صحيح

وقال الصّمّة القشيري :

أما وجلال الله لو تذكرينني ... كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا

فقالت : بلى والله ذكراً لو انّه ... يصبّ على صمّ الصفا لتصدّعا

وأكثرهم ينسون إليه في هذا الشعر قوله :

حننت إلى ريّا ونفسك باعدت ... مزارك من ليلي وشعبا كما معا

فما حسن أن تأتي الأمر طائعاً ... وتجزع أن داعي الصّبّابة أسما

بكت عيني اليسرى فلمّا زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

وأذكر أيّام الحمى ثم أنثني ... على كبدي من خشيةٍ أن تصدّعا

فليست عشيّات الحمى برواجعٍ ... إليك ولكن خلّ عينيك تدمعا

ومهم من ينسبها إلى قيس بن ذريح ، وللمجنون أيضا تنسب ، والأكثر أنّها للصّمّة.

/باب في وصف النساء بالحسن والرقة وما يحمد من نعوتهن، ووصف منطقهن قال أنس بن مالك: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره في حجة الوداع، ومعه نساؤه، وكان له حادٍ يحدو بهن يقال له أنْجَشَةَ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا أنجشة رفقاً! رويداً بالقوارير " . يعني أنهن ضعاف يسرع إليهن الكسر، ولا يقبلن الجبر.

ذكر أعرابي امرأة، فقال: كاد الغزال يكونها لولا ماتم فيها ونقص منه.

وصف أعرابي النساء، فقال: ظعائن في سوالفهن طول، غير قبيحات العطول، إذا مشين أسبلن الذيول، وإذا ركبن أثقلن الحمول.

كتب الحجاج بن يوسف إلى محمد أخيه، وهو أمير على اليمن: أن اخطب على ابني امرأة حسناء من بعيد، مليحة من قريب شريفة في قومها، ذليلة في نفسها، أمة لبعلها. فكتب إليه: قد أصبتها لك، وهي خولة بين مسمع، على عظم ثدييها.

فكتب إليه: إن المرأة لا يحسن صدرها حتى يعظم ثدياها.

قال المهلب: عليكم من بنات خراسان بمن عظمت هامتها، وطالت قامتها.

قال محمد بن حسين: عليكم بذوات الأعجاز فإنهن أنجب.

كان يقال: إذا طال ساعد المرأة وعنقها وساقها لم يشك أنها تنجب.

قيل لأعرابي: أي النساء أفضل؟ قال: الطويلة السالفة، الرقيقة الرادفة، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، التي في حجرها غلام، وفي بطنها غلام، ولها في الغلمان غلام.

وصف علي بن أبي طالب رضى الله عنه امرأةً، فقال: تدفئ الضجيع، وتروى الرضيع. يعني بعظم ثدييها.

قال ابن شبرمة: سمعت محمد بن سيرين يقول: ما رأيت على رجل لباساً أزين من فصاحة، ولا رأيت لباساً على امرأة أزين من شحم.

كان يقال: لو قيل للشحم أين تذهب؟ لقال: أقوم العوج.." (١)

"أمّ هلالٍ أبْشري بالحسرةِ ... وأبْشري منّي بوقع الضرّةِ

خطب النوار بنت أعين بن ضبعة المجاشعية رجل من قيس، فجعلت العقد عليها إلى الفرزدق، وكان أبوها قتلته الخوارج أيام الحكمين، وكان علي رضى الله عنه بعثه إلى البصرة، فقال لها الفرزدق: أشهدي لي أنك جعلت أمرك إلى فإني أخاف من هو أقرب إليك مني من أوليائك. فأشهدت له. فأنكحها الفرزدق من نفسه، وأشهدهم، فلم ترض النوار، فتنازعا. فخرجا إلى عبد الله بن الزبير، وكان العراق والحجاز يومئذ إليه. فتشفعت النوار يومئذ بخولة بنت منظور بن زبان الفزاري، وتشفع الفرزدق بابنها حمزة بن عبد الله بن الزبير، فأنجحت خولة وشفّعها زوجها ابن الزبير وقال الفرزدق: لا تقربها حتى تصير إلى البصرة فتحكم معها إلى عاملي بها، فقال الفرزدق:

أمّا بِنوه فلم يقبلْ شفاعَتَهمُ ... وشّفعوا بنتَ منظورِ بنِ زَبَّانَا

ليس الشفيعُ الذي يأتِيكَ مُئْتَزراً ... مثلَ الشفيعِ الذي يأتيك عُرْيَانَا

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/١٧٤

خطب العريان بن الهذيل البرجمي امرأةً، فكان أصم وكانت عوراء، فقالت: تسأل عنا ونسأل عنك، فقال:

فإن تسألِي عنّا وَعَنْكِ فإنَّنا ... كِلانَا به داءٌ أصمَّ وأعْورَا

فقالت: أمّا إذ عرفت الداء فاجلس، فبعثت إلى وليها فزوجها إياه.

قال **الأصمعي:قيل لأعرابي**: من لم يتزوج امرأتين لم يذق لذة العيش، فتزوج امرأتين ثم ندم، فقال:

تزوجتُ اثنتين لفرطِ جَهْلي ... بما يَشْقَى به زوجُ اثنتين

فقلتُ أصِيرُ بينهما خروفاً ... أنَّعم بين أكرمِ نعجتينِ

فصرتُ كنعجةٍ تُمْسِي وتُضْحِى ... تَرَدَّدُ بين أخبثِ ذئبتينِ

رضى هَذِي يهيّجُ سُخطْ هذى ... فما أعْرَى من إحدى السّخْطتينِ

وأَلْقَى في المعيشة كلَّ بُوسٍ ... كذاك المرءُ بين الضّرَّتينِ

لَهذِي ليلةٌ ولتلك أُخرْى ... عِتابٌ دائمٌ في الليلتينِ

وقال الغزال:

إن الفتاةَ وإن بَدَا لك حبهُّا ... فبقلبها داءٌ عليكَ دفينُ

وإذا ادّعين هوى الكبير فإنّما ... هو للكبير خديعةٌ وقُرُونُ

وإذا رأيتَ الشيخَ يهوىَ كاعباً ... فَعَلَيْه من دركِ القُرُون دُيُونُ

وقال الغزال أيضاً:

أنا شيخٌ وقلتُ في الشيخ مَا يَعْ ... لُمه كلُّ أبْلهٍ وذَهِينِ

كلُّ شيخ تراه يكثر من كس ... ب الجوارِي فخذه لي بالقرونِ

قال الأحنف بن قيس: إذا أردتم الحظوة عند النساء فأفحشوا في النكاح، وأحسنوا الأخلاق.

قيل لأعرابي: ما تقول في نساء طي؟ قال: إذا شئت. قيل: فما تقول في نساء ضبة؟ قال: نك ودحرج.

روى عن النبي عليه السلام أنه قال: " النساء حبائل الشيطان " .

قال معاوية: ما رأيت منهوماً في النساء إلا رأيت ذلك في ضعف منته.

قال عبد الملك: من أراد النجابة فبنات فارس، ومن أراد النكاح فبنات البربر، ومن أراد الخدمة فالروميات.

قال سعيد بن المسيب: ما عرفنا أولادنا حتى عرفنا بنات فارس.

قال أبو هلال الراسبي: جاء رجل إلى أهله بجزر، فقال: يا هذه! اطبخيه أو اشويه وكليه، فإن المطبوخ جيد للبطن، والمشوي جيد للظهر، والنّيئ جيد للجماع، قالت: ليس عندنا نار فكله.

غاضب رجلٌ امرأته ثم ترضاها، فلجت فكابرها حتى جامعها، فقالت: أخزاك الله، كلما وقع بيني وبينك شيء جئتني بشفيع لا يمكنني رده.

قال الشاعر أيمن بن خريم:

لقيتُ من الغانياتِ العُجَابَا ... لو أدركَ منى العَذَارى الشَّبابَا

ولكنّ جِمَاعُ العذاري الحِسَانِ ... عذابٌ شديدٌ إذا المرءُ شاباَ

يُرَضْنَ بكلِّ عَصَا رائضٍ ... ويُصْبحْنَ كلَّ غداةٍ صِعَاباَ

عَلاَمَ يكَحِّلْن حور العُيونِ ... ويُحْدثْنَ بعد خَضابٍ خِضَاباَ

ويبرُقْنَ إلاّ لما تَعْلَمُون ... فلا تحْرِمُوا الغانياتِ الضّراباَ

فلو كلْتَ بالْمُدِّ للغانياتِ ... وظاهَرْتَ بعد الثيابِ الثياباَ." (١)

"ودع التَّواضُعَ في اللّباس تحرّياً ... فاللهُ يعلم ما تجنُّ وتكتمُ

فَدَنِيّ ثوبِك لا يزيدُك زُلْفَةً ... عند الإله وأنت عبدٌ مُجْرِمُ

وبهاءُ ثوبِك لا يضرُّك بعد أنّ ... تخشى الإله، وتَتّقى ما يَحْرُمُ

كان بكر بن عبد الله المزني، يقول: البسوا ثياب الملوك، وأميتوا قلوبكم بالخشية.

وقال الحسن: إن قوماً جعلوا خشوعهم في لباسهم، وكبرهم في صدورهم، وشهروا أنفسهم بلباس هذا الصوف، حتى إن أحدهم بما يلبس من الصوف أعظم كبراً من صاحب المطرف بمطرفه.

قال الوليد بن مزيد: كان الناس عندنا يلبسون الأردية، وكان الأوزاعي يلبسها، فترك الناس لبسها ولبسوا السيجان، فرأيت الأوزاعي قد ترك لبس الأردية ولبس الساج، فقلت له: يا أبا عمرو! كنت تلبس الأردية فتركتها ولبست الساج، فما الذي دعاك إلى ذلك، فقال: يا ابن أخي! رأيت الناس يلبسون الأردية فلبستها معهم، وتركوها فتركتها معم، ولبسوا السيجان فلبست معهم، ولو عادوا إلى الأردية لعدت معهم.

قال سفيان بن حسين: قلت لإياس بن معاوية: ما المروءة؟ قال: أما في بلدك فالتقوى، وأما حيث لا تعرف فاللباس.

روى بقية عن الأوزاعي، قال: بلغني أن لباس الصوف في السفر سنة، وفي الحضر بدعة.

كان النبي صلى الله عليه وسلم، يحب من الألوان الخضرة ويكره الحمرة، ويقول: " هي زينة السلطان " .

قال مالك بن الأشتر لعلي بن أبي طالب: تمام جمال المرأة في خفها، وتمام جمال الرجل في عمامته.

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسامة بن زيد في بعض السرايا فعممه بيده وسدل طرف عمامته.

قيل لأعرابي: إنك لتديم لبس العمامة؟ قال: إن عضواً فيه السمع والبصر لحقيق أن يوقى من الحر والقر.

روى عن النبي عليه السلام، أنه قال: " الشعر الحسن كسوة الله، فأكرموه " .

وقال عليه السلام لأبي قتادة: " رجل جمتك وأحسن إليها وأكرمها " .

قال أبو هريرة: إذا كان في الرجل ثلاث فهو الكامل، إذا فخر في المجلس وأحسن جوابات الكتب، وأحسن كور العمامة.

روى الرياشي وأبو حاتم عن الأصمعي، قال: ألا أدلك على لباس إن لبسته كان سريا، وإن رفعته كان بهيا، وإن ذخرته كان طرياً؟ قال: نعم. قال: عليك بالتقوى. قال: ألا أدلك على خليلٍ إن صحبته صانك، وإن احتجت إليه مانك، وإن تجرت

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/١٨٢

به أربحك، وإن ترحلت به حملك؟ قال: نعم. قال: عليك بالأدب. ثم قال: ألا أدلك على بستانٍ تكون منه في أكمل روضة، وميت يخبرك عن المتقدمين، ويذكرك إذا نسيت، ويؤنسك إذا استوحشت، ويكف عنك إذا سئمت؟ قال: نعم. قال: عليك بالكتاب.

قالت ابنة العوام أخت الزبير لزوجها حكيم بن حزام – وكان كثير المال – : مالك لا تلبس لباس الناس اليوم؟ قال: وما تنكرين من لباسي، وإزاري قطري، وردائي مغافري، وقميصي سابري، وعمامتي خرقانية.

نظر بعض الأمراء إلى رجلٍ في أطماره فازدراه، فقال له: أصلحك الله، لا تنظر إلى هيئتي، ولكن انظر إلى همتي، فأنا – والله – كما قال عبد الله بن زياد:

فإنْ أَكُ قَصْداً في الرجالِ فإنّني ... إذا حلَّ امرؤٌ ساحتي لجسيمُ

وكما قال الآخر:

لا تنظرنّ إلى الثيابِ فإنّني ... خَلِقُ الثِّيَاب، من المُروءةِ كاَسِي

أنشد ثعلب:

وإنما الشّعر عقلٌ أنت تَعْرِضه ... على المجالس إنْ كَيْساً وإن حُمُقا

وإنّ أشعرَ بيتٍ أنت قائُلهُ ... بيتٌ يقالُ إذا أنشَدتَه صَدَقا

البس جديدَك إنّي لابسٌ خَلَقي ... ولا جديدَ لمن لا يلبسُ الخَلَقا

قال عبد الله بن المبارك: مخامر الرجال في اللحى والأكمام، ومخامر النساء تحت القمص.

وأنشد غير واحد للشافعي رحمه الله تعالى:

علّى ثيابٌ لو تباعُ جميعُها ... بفَلْسٍ لكان الفَلْسُ منهنّ أكثّرا

وفيهنّ نفسٌ لو يقاسُ ببعضها ... نقوسُ الورى كانت أجلَّ وأكبراَ

وأخذ هذا المعنى ابن أبي الفضل البصري الشاعر يخاطب المتنبي، فقال:

لئن كان ثوبي فوقَ قيمته الفَلْسُ ... فلي فيه نفسٌ دون قيمتها الإنسُ

فثوبُك بدر تحت أنواره دُجًي ... وثوبِيَ ليلٌ تحتَ أطمارِهِ شمسُ

وسبق إلى هذا المعنى ابن هرمه، فقال:." (١)

"نُقاَسِمُها المعيشةَ كلَّ يومٍ ... ونكسوها البراقِعَ والجِلاَلاَ

قال الحسن البصري: الجفاء مع أذناب الإبل، والذلة مع أذناب البقر، والسكينة مع أذناب الغنم، والعز مع نواصي الخيل وقد روى بعض هذا مرفوعاً. قال خالد بن صفوان: الخيل للرغبة والرهبة، والبراذين للدعة، والبغال للسفر البعيد والأثقال، والإبل للتحمل، والحمير للزينة وخفة المؤونة.

ساير شبيب بن شيبة بعض الأمراء، وهو على برذون، والأمير على فرس، فقال له الأمير: سِر، فقال: كيف أسايرك وأنت

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/١٨٦

على فرس، إن تركته سار، وإن حركته طار، وأنا على برذون، إن تركته وقف، وإن ضربته قطف. فأمر له بفرس فاره.

قيل لأعرابي: صف لنا فرسك. قال: سوطه عنانه، وهمه أمامه، وما ضربته قط إلا ظالماً له.

بعث الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بفرس، وكتب إليه: قد وجهت إليك بفرس حسن المنظر، محمود المخبر، أسيل الخد، رشيق القد.

قال بعض الحكماء: أكرم الخيل أجزعها من الضرب، وأكرم الصفايا أشدها ولها إلى أولادها، وأكرم الإبل أشدها حنيناً إلى أوطانها، وأكرم المهار أشدها ملازمة لأمهاتها.

للحسن بن يسار:

يا فارساً تَرْهَبُ الفرسانُ صَوْلَتَهُ ... أما عَلِمتَ بأن النَّفْسَ تُفْتَرَسُ

يا راكبَ الفرسِ السّامي بغُرَّتِهِ ... ولابسَ السَّيْفِ يحكي لونَهُ القبسُ

لا أنت تبقى على سيفٍ ولا فَرَسٍ ... وليس يبقى عليك السَّيْف والفَرَسُ

وهو شعر جيد محكم، فيه مواعظ وحكم، وأوله:

إنّ الحبيبَ من الأحبابِ مُخْتَلسُ ... لا يمنعُ الموتَ حُجَّابٌ ولا حَرَسُ

قال بعض البلغاء: البغل تواضع عن خيلاء الخيل، وارتفع عن ذلّة العير، فهو وسط، وخير الأمور أوساطها.

قال ابن أبي طاهر: ما وصف برذون بأحسن من قول المسلمي من ولد مسلمة بن عبد الملك، واسمه محمد بن يزيد:

فإذا احْتَبَى قَرَبُوسَه بِعنَانِه ... عَلَكَ الشَّكِيمَ إلى انْصِرافِ الزَّائر

باب الطعام والأكل

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعجبه الذراع.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سيد أدام الدنيا والآخرة، اللحم " .

قال سفينة: أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لحم حباري، وقال في الضب: " لست بآكله ولا بمحرمه " .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فلا تأكلوا الثوم ولا البصل، ومن أراد أكلهما فليمتهما طبخاً " .

والكراث والفجل في معنى الثوم والبصل.

قال عمر بن الخطاب: إياكم واللحم، فإن له ضراوةً كضراوة الخمر.

إنما كره الإدمان عليه، والله أعلم، لما فيه من التنعم والتشبه بالأعاجم، ألا ترى أنه كتب إلى عماله: اخشوشنوا، وإياكم والتنعم وزي العجم.

ذكر عند بعض العرب اللحم، فقال: إنه ليقتل السباع. يريد إدخال بعضه على بعض قبل تمام الهضم – والله أعلم.

خطب عمر بن الخطاب يوماً، فقال: إياكم والبطنة، فإنها مكسلة عن الصلاة، مؤذية للجسم. وعليكم بالقصد في قوتكم، فإنه أبعد من الأشر، وأصح للبدن، وأقوى على العبادة، وإن امرءًا لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

مر علي بن أبي طالب بمجلسٍ من مجالس الأنصار، فسلم عليهم، فقاموا له وحفوا به ورحبوا وقالوا: لو نزلت فأكلت من طعامنا، فقال لهم: إما حلفتم علينا، وإما انصرفنا.

قال علي بن أبي طالب: المعدة حوض البدن، والعروق واردة عليها وصادرة عنها، فإذا صحت صدرت العروق عنها بالصحة، وإذا سقمت صدرت العروق بالسقم.

قال بعض الأطباء: اللحم ينبت اللحم، والشحم لا ينبت اللحم ولا الشحم.

قال علي بن أبي طالب: الشحم يخرج مثله من المدا.

أتى عمر بن عبد العزيز بيته يوماً، فقال: هل عندكم من طعام؟ فأصاب تمراً وشرب من ماء، وقال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله.

قيل للشعبي: أي الطعام أحب إليك؟ قال: ما صنعه النساء، وقل فيه العناء.

قال سلمان: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا نجد في التوراة أو قال في الإنجيل: البركة في الطعام غسل اليد قبله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " البركة في الطعام غسل اليد قبله وبعده " .." (١)

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن للطعام حقا. قيل: وما حقه يا رسول الله؟ قال: ذكر الله في أوله وحمده في آخره " .

ومن حديث على بن ثابت، عن حمزة بن أبي حمزة، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من نَسِي أن يُسم الله على طعامه، فليقرأ: قل هو الله أحد " .

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأكل بالشمال، والشرب بالشمال، وعن الاستنجاء باليمين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لربيبه عمر بن أبي سلمة: يا بني: " قل بسم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك " .

كان علي بن أبي طالب إذا دعى إلى طعام أكل شيئاً قبل أن يأتيه، ويقول: قبيح بالرجل أن يظهر نهمته في طعام غيره.

وقال رحمه الله: من أراد البقاء - ولا بقاء - فليباكر الغداء، وليخفف الرداء، وليقل غشيان النساء.

قال منصور الفقيه:

قارب فديتُك إن أكلْ ... تَ وإن شربتَ وإن غَشِيتاَ

وأنا الكفيلُ لك الحيا ... ةَ بأن تعافَى ما حييتاَ

قال قيس بن أبي حازم: نزل بي أعرابي من أحمس، فلم آله تكرمةً، فقال لي: أكل الحي يجد مثل هذا الذي أرى عندك؟ فقلت: إن أخبثهم عيشاً يشبع من الخبز والتمر، فقال: أقسم بالله لئن كنت صادقاً ليوشكن أن يقتتلوا، فإن العرب - والله - ما زالت إذا شعبت اقتتلت. قال قيس: فلم ألبث إلا أربعة أشهر حتى قتل عثمان، ثم كانت وقعة الجمل، ثم وقعة صفين والنهروان.

قال الشعبي: الناس في جنة الله تعالى ستة أشهر - يعني أيام الرطب.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/١٨٨

ذكر أبو الحسن بن مقسم، قال: سمعت محمد بن مسلم الزجاج جارنا، قال: سمعت عباس الدوري، يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: لا يمل الباذنجان عاقل.

وسمعت القاضي أبا عمرو، يقول: لو علم الثور الذي يحمل الباذنجان أنه عليه، تاه على الثيران.

قلت: هذا لمن استطابه، وعذب عنده، وأما من جهة الطب، فذمه عندهم أكثر من مدحه.

قال طريح بن إسماعيل الثقفي:

دَعْ بَعْضَ أكلك ربّ آكلِ أكلةٍ ... يوماً سيلفظها إذا هُو لاكَهَا

ولبعض المتأخرين في رجل مات من أكلةٍ أكلها في شعرٍ له فيه:

يا مَنْ جنت كَفُّه على جَسَدِه ... يَرْحَمُك الله يا قَتِيلَ يَدِهْ

قال الفضيل بن عياض: خصلتان يقسيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل.

قال حميد الأرقط:

أتانا ولم يَعْدِلْه سحبان وائِلُ ... بياناً وعلماً بالّذي هو قائلُ

فما زال عنه اللقُم حتّى كأنّه ... من العيّ لما أن تكلّمَ باقلُ

دعا عبد الملك بن مروان رجلاً إلى غدائه، فقال له قد تغديت. قال عبد الملك: ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا تكون فيه بقية للطعام! فقال: يا أمير المؤمنين! بي فضل، ولكني كرهت أن آكل فأصير إلى ما استقبح أمير المؤمنين.

قال إبراهيم النخعي: ما رأيت راكباً أحسن من زبدٍ على تمر.

قال الشاعر:

ألم تَرَ أن الزُّبْد بالتّمرِ طيبٌ ... وأنّ الحُبَاري خالةُ الكَرَوَانِ

قال عمر بن بحر: العامة لاتشك بأن الكروان ابن الحباري.

وقال آخر:

نُنَافِسُ في طيبِ الطَّعام وكلُّه ... سواءٌ إذا ما جَاوَز اللَّهَوَاتِ

دعا الحجاج رجلا إلى غدائه، فقال: قد تغدّيت. قال: إنك لتباكر الغداء قال: لخلالٍ ثلاث: إن ناجيتُ رجلا لم يجد في خلوفا، وإن شربت ماء شربته على ثقل، وإن حضرت قوماً على طعام حضرتهم ومعي بقية من غرض. فعجب منه.

قال سليمان بن عبد الملك لسالم بن عبد الله، وقد رآه حسن السحنة: أي شيء تأكل؟ قال: الخبز والزيت، وإذا وجدت اللحم أكلته. قال له: وتشتهيه؟ قال: إذا لم أشتهه تركته حتى أشتهيه.

قيل لأعرابي: أتحسن تأكل الرأس؟ قال: نعم. فقيل له: كيف تأكله؟ فقال: أبخص عينيه، وأسحي خديه، وأفك لحييه، وأعفص أذنيه، وأرمى بالدماغ إلى من هو أحق به مني.

قيل لبعض العقلاء: أي الطعام أطيب؟ قال: الجوع أعلم.

كان يقال: نعم الإمام الجوع، ما ألقيت إليه شيئاً إلا قبله وطاب عنده.

روى معن بن عيسى، عن مالك بن أنس، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، قال: الخبيص يزيد في الدماغ.

وروى عن جعفر بن محمد رحمه الله، أنه قال: الخلال بعد الطعام يشد اللثات، ويجلب الرزق، ويطيب نكهة الفم.." [١]

"فلم أر ديباجاً ولم أَرَ سُنْدُساً ... بأحسنَ في بيتِ الكريم من الخبزِ

وقال آخر:

فكم من أَكْلةٍ مَنَعَتْ أَخَاهَا ... بلَّذةِ ساعةٍ أَكَلاَتِ دَهْرِ

وكم من طالبٍ يَسْعَى لشيءٍ ... وفيه هلاَكُهُ لو كان يدرِي

قال المأمون: سبعة أشياءٍ لا تمل، أكل خبز البر، وشرب ماء العنب، وأكل لحم الضان، والثوب اللين، والرائحة الطيبة، والفراش الوطئ، والنظر إلى كل شيء حسن. فقال له الحسن ابن سهل: أين محادثة الإخوان يا أمير المؤمنين؟ قال: هن ثمانٍ وهي أولهن.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يرويه عن علي، أنه قال: لا يقام عن الطعام حتى يرفع.

قال ابن عباس: من السنة إذا دعوت أحداً إلى منزلك أن تخرج معه حتى يخرج.

روى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، أنه قال: رب البيت آخر من يغسل يديه.

وقال أبو الزناد: من إكرام الضيف وحسن الأدب في مؤاكلته، أن تغسل يديك قبله أولا، وبعده آخراً.

لعبد الله بن المبارك، وتمثل بها المأمون:

احضر طعامَك وابْذُلْه لمن أكلا ... واحَلِفْ على من أبى، واشكرْ لمن فَعَلاَ

ولا تكن سَابريَّ العَرْضِ مُحْتَشِماً ... مِنَ القليلِ، فلستَ الدَّهْرَ مُحْتَفِلاَ

وقال آخر في ذم الشراب:

لا تفتكنّ على الكؤوس بِشُرْبها ... فهيَ التي بكَ عن قليلٍ تَفْتِكُ

يكفيك منْها أنَّ عقَلكَ تَارةً ... يبكي عَلَيْك، وَأنَّ جَهْلك يضحكُ

وقال آخر:

وإني لأستحيي أكيلِيَ أن يَرَى ... مكانَ يدي من جانبِ الزَّاد أقْرَعَا

أبيتُ هضم الكَشْح مضطمر الحشا ... من الجُوع أخْشى الذَّمَ أن أتضَلَّعَا

وإنَّك إنْ أَعطيتَ بطنك سُؤْلَهُ ... وَفَرْجَكَ نالا مُنْتَهَى الذِّم أَجْمَعَا

وقال كعب بن سعد الغنوي:

وزادٍ رفعتُ الكفَّ عنه تَجَمُّلاً ... لأوثَر في زادِي عليَّ أكيِلي

وما أنا للقول الذَّي لَيْس نَافِعِي ... ويغضبُ منه صاحبي بَقؤُولِ

باب النوم وتصرف المعاني فيه

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/١٨٩

روى أن المسيح عليه السلام قال: خلقان أكرههما، النوم من غير سهر، والضحك من غير عجب، والثالثة وهي العظمى: إعجاب الرجل بعلمه.

قال داود لابنه سليمان عليهما السلام: إياك وكثرة النوم، فإنه يفقرك إذا احتاج الناس إلى أعمالهم.

قال لقمان لابنه: يا بني! إياك وكثرة النوم والكسل والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا، وإذا ضجرت لم تصبر على حق.

كتب عمر بن الخطاب إلى بعض عماله: بلغني أنك لا تقيل، وإن الشياطين لا تقيل.

قال علي: من الجهل النوم في أول النهار من غير سهر، والضحك من غير عجب، والقائلة تزيد في العقل.

قال عبد الله بن مسعود: النوم – عند الموعظة من الشيطان – .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: النوم على ثلاثة أوجه، نوم خرق، ونوم خلق، ونوم حمق. فأما النوم الخرق، فنومة الضحى، يقضى الناس حوائجهم وهو نائم، وأما نوم الخلق، فنوم القائلة نصف النهار، وأما نوم الحمق، فالنوم حين تحضر الصلوات.

قال غيره: نوم أول النهار خرق، ونوم القائلة خلق، ونوم العشى حمق، والنوم بين العشاءين يحرم الرزق.

قيل لأعرابي: ما يدعوك إلى نومه الضحى؟ قال: مبردة في الصيف، مسخنة في الشتاء.

قال بعض العلماء: النعاس يذهب العقل، والنوم يزيد فيه.

قال عبد الله بن شبرمة: نوم نصف النهار يعدل شربة دواء، يعني في الصيف.

قال عباس بن الأحنف:

قالوا: تنامُ، فقلت: الشّوْق يمنعُني ... من أن أنامَ وعيني حشَوها السُّهُدُ

أبكي الذَّين أذاقُوني مَوَدّتَهُمْ ... حتّى إذا أيقظوني للهوى رَقَدُوا

هم قد دَعَوْني فلما قمتُ مقتضيا ... للحبِّ نحوَهُمُ من قُرْبِهم، بَعُدُوا

لأخرجنّ من الدنيا وحُبُّهُمُ ... بين الجوانِحِ لم يَشْعرْ به أحدُ

كان يقال: لإبليس لعوق وكحل وسعوط، فلعوقه الكذب، وكحله النعاس عند سماع الخير، وسعوطه الكبر.

قال علي بن الجهم، يهجو قوما:

أكثرُ ما يعرفُه القَوْمُ ... الأكْلُ والراحةُ والنّومُ." (١)

"وقال معمر المتكلم صاحب المعاني: حضرت الوفاة رجلاً كان معي في الحبس، وكان داؤه البطن، فقلت له: كيف تجدك؟ قال: أجد تحرري أكثر من تبردي، وأجد روحي قد خرج من نصفي الأسفل، وكأن السماء قد دنت مني فلو شئت أن ألمسها بيدي لفعلت، ومهما شككت في شيءٍ فلا تشك أن الموت برد وييس، وأن الحياة رطوبة وحرارة.

ليعقوب بن الربيع يرثي جاريته:

حتى إذا فتر اللسان وأصبحت ... للموت قد ذبلت ذبول النرجس

وتسهلت منها محاسن وجهها ... وغدا الأنين تحثه بتنفسٍ

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/١٩١

رجع اليقين مطامعي يأساً كما ... رجع اليقين مطامع المتلمسِ

لما احتضر سعيد بن المسيب، وجه إلى القبلة، فقال: ما هذا؟ فقالوا: وجهناك إلى القبلة. فقال: أولست على القبلة؛ أليس وجهي إلى الله حيث كان.

قال عطاء بن يسار: تبدي إبليس لرجل عند موته، فقال: نجوت قال ما أمنتك بعد.

لما احتضر عمرو بن عبيد، قال: جاءني الموت ولم أتأهب له، اللهم إنك تعلم أنه لم يسنح لي أمران لك في أحدهما رضى، ولي في الآخرة هوىً، إلا اخترت رضاك على هواي، اللهم فاغفر لي.

قيل لبعضهم، وقد احتضر: أي شيءٍ تشتكي؟ قال: تمام العدة، وانقضاء المدة.

قيل لأعرابي في مرضه: ما الذي تجدٍ؟ قال: أجد مالا أشتهي، وأشتهي مالا أجد.

قال: لما احتضر الحجاج قال: والله لئن كنت على سبيل هدىً فليس حين جزع، وإن كنت على سبيل ضلالة فليس حين فزع.

قال عبد الأعلى بن حماد البرقي: دخلت على بشر بن منصور، وهو في الموت: فرأيته مستبشراً، فقلت له: ما هذا السرور؟ قال: أخرج من بين الحاسدين والباغين والمغتابين، وأقدم على رب العالمين، ولا أفرح.

لما مرض أمية بن أبي الصلت – اسم أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف من ثقيف – مرضه الذي مات فيه، جعل يقول: قد دنا أجلي، وهذه المرضة منيتي، وأنا أعلم أن الحنيفية حق، ولكن الشك يداخلني في محمد، فلما دنت وفاته أغمى عليه قليلاً، ثم أفاق وهو يقول: لبيكما لبيكما، هأنذا لديكما. لا مال فيقذيني ولا عشيرة فتنجيني. ثم أغمى عليه أيضاً بعد ساعة حتى ظن من حضر من أهله أنه قد مضى، ثم أفاق وهو يقول: لبيكما لبيكما، هأنذا لديكما، لا برئ فأعتذر، ولا قوى فأنتصر. ثم إنه بقى يحدث من حضره ساعة، ثم أغمى عليه مثل المرتين الأوليين، حتى يئسوا من حياته، وأفاق وهو يقول: لبيكما لبيكما، هأنذا لديكما محفوف بالنعم، محفوظ من الريب:

إن تغفر الله تغفر جما ... وأي عبدٍ لك لا ألما

ثم أقبل على القوم، فقال: قد جاء وقتي، فكونوا في أهبتي، وحدثهم قليلا، ثم يئس القوم من موته، وأنشأ يقول:

كل عيشٍ وإن تطاول دهراً ... قصره مرةً إلى أن يزولا

ليتني كنت قبل ما إن بدا لي ... في رؤوس الجبال أرعى الوعولا

اجعل الموت نصب عينيك واحذر ... غولة الدهر إن للدهر غولا

ثم قضى نحبه، ولم يؤمن بالنبي عليه السلام.

لما احتضر سيبويه، جعل رأسه في حجر أخيه، فقطرت قطرة من دموع أخيه على وجهه، فأفاق من غشيته، وقال:

أخيين كنا فرق الدهر بيننا ... إلى المنزل الأقصى ومن يأمن الدهرا

قال محمد بن إبراهيم الكاتب، دخلنا على أبي نواس نعوده في مرضه الذي مات فيه، ومعنا صالح بن علي الهاشمي، فقال له صالح: تب إلى الله يا أبا علي؛ فإنك في أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، وبينك وبين الله هنات.

فقال: أسندوني. فأسندوه، فقال: إياي تخوف الله؟ قد حدثني حماد بن سلمة، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي " ، أتراني لا أكون منهم؟ وقد حدثني حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة " . ورآه بعض إخوانه بعد موته بأيام في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بأبيات قلتها، وهي الآن تحت وسادتي. فنظروا وإذا برقعة تحت وسادته في بيته فيها مكتوب:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فمن الذي يدعو إليه المجرم." (١)

"إذا تمَّ أمرٌ بدا نقصُه ... توقَّعْ زوالاً إذا قيل تمّ

ومما يقرب من هذا المعنى ما أخبرنا به محمد بن يحيى قال: أخبرنا الغلاميّ عن ابن عائشة قال: قلتُ لأبي يوماً: حدثني حماد بن سلمة عن حميد عن ثابت عن أنس، أن النبي عليه السلام قال: " وكفى بالسلامة داء " فقال لي: يا بنيّ ما كنت أراه مسنداً إلى النبي عليه السلام، فقد قال حميد بن ثور:

أرى بصري قد رابني بعد صحّة ... وحسبُك داءً أن تصحَّ وتسلما

وقال النمر بن تولب:

يودُّ الفتى طول السلامة والغنى ... فكيف ترى طول السلامة يفعل

وقال غيره:

كانت قناتي لا تلين لغامزٍ ... فألانها الإصباحُ والإمساءُ

ودعوت ربِّي بالسلامة جاهداً ... ليُصحَّني فإذا السلامةُ داءُ

أخبرنا أبو بكر بن دريد قال: أخبرنا الرياشيُّ قال: **قيل لأعرابيّ**: كيف حالك؟ فقال: ما حال من يفنى ببقائه، ويسقم بسلامته، ويؤتي من مأمنه.

أخذه الناجم فقال:

هل موئلٌ من شهاب الدهر ينجينا ... أيٌّ وما نتّقيه كامنٌ فينا

إنَّ الغذاءَ الذي نحيا به زمناً ... يعود آونةً داءً فيفنينا

وأخذه أيضاً ابن الروميّ فقال:

لعمرك ما الدُّنيا بدار إقامة ... إذا زال عن عين البصير غطاؤها

وكيف بقاءُ النفس فيها وإنّما ... ينال بأسباب الفناءِ بقاؤها

ونقله إلى موضع آخر فقال:

فإنَّ الداءَ أكثرَ ما تراه ... يكونُ من الطّعام أو الشَّرابِ

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/٢٥٥

وقال أيضاً:

فإنّ الداء أكثر ما تراه ... من الأشياء تحلو في الحلوقِ

أنشدنا أبو بكرٍ ابن الأنباريّ قال: أنشدنا أحمد بن يحيى:

إذا ما القلَنْسِي والعمائُم أُخِّرت ... ففيهن عن صلع الرِّجال خشوعُ

فيا ليت أياما مضينَ رواجعٌ ... علينا وغربانٌ عليَّ وقوعُ

يعني أنَّ العمائم إذا أخِّرت عن الرؤوس وكُشفت ففيهنَّ يعني في النساء عن صلْع الرجال خشوعٌ، أي إعراض. والقلنسي: جمع قلنسوة.

وسمعت أبا بكر يقول: في القلنسوة سبع لغات، يقال قلنْسُوة، وقُلَنْسِيَة، وقُلَيسيَّة، وقُلَيْسَةٌ، وقُلَيْسِيَة، وقَلَنْساةٌ، وقَلْساة.

وقوله وغربانٌ عليّ يعني الشَّباب.

قال أوس بن حجر:

وإنّي وجدتُ الناسَ إلاّ أقلَّهم ... خفافَ عهودٍ يكثرون التنقُّلا

وليس أخوك الدائمُ العهدِ بالذي ... يذمُّك إنْ ولَّى ويرضيكَ مُقْبلا

ولكنّه النائي إذا كنتَ آمناً ... وصاحبك الأدنى إذا الأَمْر أَعضلا

لم يُسبَق أوسٌ إلى هذا المعنى. وأخذه المرّارُ الفقعسِيُّ فقال:

إذا افتقر المرّارُ لم يُرَ فقرُه ... وإن أَيسَرَ المرّارُ أيسَرَ صاحبُه

وقال الهذلّي:

أبو جابرٍ قاصرٌ فقرُه ... على نَفْسِه ومُشيعٌ غِناه

إذا سدتَه سُدتَ مِطواعةً ... ومهما وكلتَ إليه كَفاه

أخبرنا أبو بكر قال: حدّثني أبو ذكوان قال: دخلت إلى إبراهيم بن العباس وهو بالأهواز لخدمته، فقال لي: ما تقول في شعر النابغة:

ألم تر أنّ الله أعطاك سُورةً ... ترى كلَّ مَلْك دونها يتذبذب

بأَنك شمس والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعتْ لم يبد منهنّ كوكب

فقلت: ما عندي إلاّ الظاهر المشهور. يقول: فضلك على الملوك كفضل الشمس على الكواكب. فقال: تفهّم معناه قبل هذا فإنه يعتذر إلى النّعمان من مدحه آل جفنة الغسّانيين وتركه له، ويريه أنَّ له في مدحهم عذراً إذا تركه النعمان. ألا ترى إلى قوله:

ولكنّني كنتُ أمرأً ليَ جانبٌ ... من الأرض فيه مُستزادٌ ومذهبُ

ملوكٌ وإخوان إذا ما لقيتُهم ... أحُكَّمُ في أموالهم وأقرَّبُ

يدلّ على جلالة النابغة في قومه ونفسه قوله ملوك وإخوان

كفعلِكَ في قومٍ أراك اصطنعتَهم ... فلم تَرهم في مثل ذلك أذنبوا

يقول: لا تلمني على شكري لهم وقد أحسنوا إذْ لجأتُ إليهم وإن كانوا أعداءك؛ فقد أحسنوا ولم يذنبوا. ثم قال: فاعملْ على أنّي أذنبتُ فمن أين تجد من لا يذنب؟ فقال:

فلستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمُّه ... على شعثٍ أي الرِّجال المهذَّبُ

فإنْ أكُ مظلوماً فعبدٌ ظلمتَه ... وإن تك ذا عتْبي فمثْلك يُعتِبُ." [١]

" (من ان يكون لنذل ... علي فضل ومنه)

وأنشد أعرابي

(أيا مالك لا تسأل الناس والتمس ... بكفيك فضل الله فالله أوسع)

(ولو تسأل الناس التراب لأوشكوا ... إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا)

وقال رجل لرسول الله أوصني قال عليك باليأس مما في أيدي الناس وإياك والطمع فإنه فقر حاضر وقيل إذا وجدت الشيء في السوق فلا تطلبه من صديقك **وقيل لأعرابية** من أين معاشكم قالت لو لم نعش إلا من حيث نعلم لم نعش

وقال أعرابي أحسن الأحوال حال يغبطك بها من دونك ولا يحقرك معها من فوقك

وقال المعري

(إذا كنت تبغي العيش فابغ توسطا ... فعند التناهي يقصر المتطاول)

(توقى البدور النقص وهي أهلة ... ويدركها النقصان وهي كوامل)

وقال آخر

(اقنع بأيسر رزق أنت نائله ... واحذر ولا تتعرض للإرادات)

(فما صفا البحر إلا وهو منتقص ... ولا تعكر إلا في الزيادات)

وقال أعرابي استظهر على الدهر بخفة الظهر قال هشام بن إبراهيم البصري

(وكم ملك جانبته عن كراهة ... لإغلاق باب أو لتشديد حاجب)

(ولي في غنى نفسي مراد ومذهب ... إذا انصرفت عني وجوه المذاهب)

وقيل ينبغي أن يكون المرء في دنياه كالمدعو إلى الوليمة أن أتته صحفة تناولها وإن لم تأته لم يرصدها ولم يطلبها وقال شقيق بن إبراهيم البلخي قال لي إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أخبرني عما أنت عليه قلت إن رزقت أكلت وإن منعت صبرت قال هكذا تعمل كلاب بلخ فقلت كيف تعمل أنت قال أن رزقت آثرت وان منعت شكرت وقال بعضهم

(هي القناعة فالزمها تعش ملكا ... لو لم يكن منك إلا راحة البدن) ." [٢]

" الباب الثاني والثلاثون في ذكر الأشرار والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة

---

(١) المصون في الأدب، ص/٢٤

(٢) المستطرف، ١/١٦٠

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي أنه قال قبل قيام الساعة يرسل الله ريحا باردةطيبة فتقبض روح كل مؤمن ويبقي شرار الخلق يتهارجون تهارج الحمير وعليهم تقوم الساعة وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى كفى بالمرء شرا أن لايكون صالحا ويقع في الصالحين وقال لقمان لابنه يا بني كذب من قال الشر يطفيء الشر فإن كان صادقا فليوقد نارين ثم ينظر هل تطفيء إحداهما الأخرى وإنما يطفيء الشر الخير كما يطفيء الماء النار ووصف بعضهم رجلا من أهل الشر فقال فلان عري من حلة التقوى ومحى عنه طابع الهدى لا تثنيه يد المراقبة ولا تكفه خيفة المحاسبة وهو لدعائم دينه مضيع ولدواعي شيطانه مطيع شعر

(كأنه التيس قد أودى به هرم ... فلا لحم ولا صوف ولا ثمر)

وقيل من فعل ما شاء لقي ما ساء وقيل زني رجل بجارية فأحبلها فقالوا له يا عدو الله هلا إذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغني أن العزل مكروه قالوا فما بلغك أن الزنا حرام **وقيل لأعرابي** كان يتعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها قال فمن لي إذ ذاك بلذة الخلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد وقال أبو العيناء رأيت جارية مع النخاس وهي تحلف أن لا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت يا سيدي إنه يواقعني من قيام ويصلي من ." (١)

" وقال صالح بن عبد القدوس لا تودع سرك إلى طالبه فالطالب للسر مذيع ولا تودع مالك عند من يستدعيه فالطالب للوديعة خائن **وقيل لأعرابي** ما بلغ من حفظك للسر قال أفرقه تحت شغاف قلبي ثم أجمعه وأنساه كأني لم أسمعه وكان احزم الناس من لا يفشي سره إلى صديقه مخافة أن يقع بينهما شر فيفشيه عليه وقال حكيم قلوب الأحرار قبور الأسرار وقيل الطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار حمق وقال بعضهم

(إذا ما غفرت الذنب يوما لصاحب ... فلست معيدا ما حييت له ذكرا)

(ولست إذا ما صاحب خان عهده ... وعندي له سر مذيعا له سرا

وأين هذا من قول القائل

(ولا تودع الاسرار أذني فإنما ... تصبن ماء في إناء مثلم) أوالقائل

(ولا أكتم الاسرار لكن اذيعها ... ولا أدع الاسرار تعلو على قلبي)

(وإن قليل العقل من بات ليلة ... تقلبه الأسرار جنبا إلى جنب)

وقال آخر

(وإنك كلما استودعت سرا ... أنم من النسيم على الرياض)

وقال اسحاق بن إبراهيم الموصلي

(أناس أمناهم فنموا حديثنا ... فلما كتمنا السر عنهم تقولوا)

ولله در المتنبي حيث قال

(وللسر مني موضع لا يناله ... نديم ولا يفضي إليه شراب)

---

(١) المستطرف، ٣٣٩/١

وقد اقتصرنا من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين ." (١)

" ومما يستحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شيء مما جاء في ذم السؤال والنهي عنه

روي عن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله ؟ فبسطنا أيدينا وكنا حديثي عهد بالمبايعة فقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام يا رسول الله نبايعك ؟ قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا الله وأسر كلمة خفية وهي ولا تسألوا الناس شيئا فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه رواه مسلم وقال رجل لابنه إياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه وكان لقمان يقول لولده يا بني إياك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام لأن تدخل يدك فم التنين إلى المرفق خير لك من أن تبسطها إلى غني قد نشأ في الفقر **وقيل لأعرابي** ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل ؟ قال حاجة الكريم إلى اللئيم وقال أبو محلم السعدي

(إذا رماك الدهر في الضيق فانتجع ... قديم الغنى في الناس إنك حامده)

(ولا تطلبن الخير ممن أفاده ... حديثا ومن لا يورث المجد والده)

وقال رسول الله " مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها " وقال عليه الصلاة و السلام " لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه "

قال الشاعر

(ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... عوضا ولو نال الغني بسؤال)

(وإذا السؤال مع النوال وزنته ... رجح السؤال وخف كل نوال)

وقال أحمد الأنباري

(لموت الفتى خير من البخل للغنى ... وللبخل خير من سؤال بخيل) ." (٢)

" (بيضاء صفراء قد تنازعها ... لونان من فضة ومن ذهب) قالوا ليس المرأة الجميلة التي تأخذ ببصرك جملة على بعد فإذا دنت منك لم تكن كذلك بل الجميلة التي كلما كررت بصرك فبها زادتك حسنا وقالوا إن أردت أن ينجب ولدك فاغضبها ثم قع عليها قال الشاعر

(ممن حملن به وهن عواقد ... حبك النطاق فعاش غير مهبل)

(حملت به في ليلة مزورة ... كرها وعقد نطاقها لم يحلل)

الفصل الثالث في صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها

---

(١) المستطرف، ٤٤٦/١

(٢) المستطرف، ١١٥/٢

في حكمة داود عليه السلام " أن المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها إلا من رضي الله تعالى عنه " وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى في عنق من يشاء من عباده **وقيل لأعرابي** كان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم المحياض المراض المصفرة الميشومة العسرة المبشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأنها لسان حربة تضحك من غير عجب وتبكي من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنف في السماء وإست في الماء عرقوبها حديد منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها شديد وتدفن الحسنات وتفشي السيآت تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس في قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة إن دخل خرجت وإن خرج دخلت وإن ضحك بكت وإن بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الإرعاء تأكل لما وتوسع ذما ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها مزبول إذا حدثت تشير بالإصبع وتبكي في المجامع بادية من حجابها نباحة عند بابها تبكي وهي ظالمة وتشهد وهي غائبة ." (١)

" إلا عقلي وأنا أكره أن يدخل عليه ما ينقصه فأعجبه كلامه ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج في وفدة وفدها عليه هل لك في الشراب فقال يا أمير المؤمنين لا خلاف لما أمرت ولكن أنا أمنع أهل عملي منه وأكره أن أمنعهم عن شيء ولا أمتنع منه وقال الله تعالى (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) وقال تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) **وقيل لأعرابي** لم لا تشرب النبيذ فقال لا أشرب ما يشرب عقلي وقال الضحاك بن مزاحم لرجل ما تصنع بشرب النبيذ قال يهضم طعامي قال أما أنه يهضم من دينك وعقلك أكثر قال ابن أبي أوفى لقزمه حين نهوا عن الخمر

(ألا يا لقومي ليس في الخمر رفعة ... فلا تقربوا منها فلست بفاعل)

(فإني رأيت الخمر شيئا ولم يزل ... أخو الخمر دخالا لشر المنازل) وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس في ثمنه فالعجب ممن يشتري بماله ما يفسده وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان والخمر داعية إلى كل شر وقال بعضهم

(بلوت نبيذ الخمر في كل بلدة ... فليس لأخوان النبيذ حفاظ)

(إذا دارت الأرطال أرضوك بالمنى ... وإن فقدوها فالوجوه غلاظ) وقال حكيم إياك وإخوان النبيذ فبينما أنت متوج عندهم مخدوم مكرم معظم إذ زلت بك القدم فجروك على شوك السلم فاحفظ قول القائل فيه

(وكل أناس يحفظون حريمهم ... وليس لأصحاب النبيذ حريم)

(فإن قلت هذا لم أقل عن جهالة ... ولكنني بالفاسقين عليم) وللأعرج الطائي

(تركت الشعر واستبدلت منه ... إذا داعي صلاة الصبح قاما) ." (٢)

" قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت خبروني عن نسائكم بالعراق أيشربن النبيذ قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله إن صدقتم ما فيكم من يعرف أباه

---

(١) المستطرف، ٤٩١/٢

(٢) المستطرف، ٥٠١/٢

وصلى اعرابي خلف إمام فقرأ (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه) ثم وقف وجعل يرددها فقال الأعرابي أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك

وصلى آخر خلف إمام فقرأ (فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي) ووقف وجعل يرددها فقال الأعرابي يا فقيه إذا لم يأذن ذلك أبوك في هذا الليل نظل نحن وقوفا إلى الصباح ثم تركه وانصرف

ولزم أعرابي سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث فلما أن جاء ليسافر قال له سفيان يا أعرابي ما أعجبك من حديثنا قال ثلاثة أحاديث حديث عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي أنه كان يحب الحلوى والعسل وحديثه عليه الصلاة و السلام إذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدأوا بالعشاء وحديث عائشة عنه ايضا ليس من البر الصوم في السفر **وقيل لأعرابية** ما صفة الإير عندكم قالت عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا يرد أمرها وانفرد الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل ين يحي فإذا هو بشيخ من الأعراب على حمار وهو رطب العينين فقال له الفضل هل أدلك على دواء لعينيك قال ما أحوجني إلى ذلك قال خذ عيدان الهواء وغبار الماء فصيره في قش بيض الذر واكتحل به ينفعك فانحنى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه في لحيتك أجرة وصفتك وإن زدت زدناك فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته وخرج معن بن زائدة في جماعة من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي حتى انقطع عن أصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال من أين وإلى أين قال أتيت من أرض لها عشرون سنة مجدبة وقد أخصبت في هذه السنة فزرعتها مقثاة فطرحت في غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور وفضله المشهور ومعروفه المأثور واحسانه الموفور قال وكم أملت منه (١) ".

" قدرتنا فأرنا عفوك فذهب الريح وسكن البحر وقال الثوري كان من دعاء السلف اللهم زهدنا في الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها وكان بعض الأعراب إذا آوى إلى فراشه قال اللهم إني أكفر بكل ما كفر به محمد وأؤمن بكل ما آمن به ثم يضع رأسه وسمعت بدوية تقول في دعائها يا صباح يا مناح يا مطعم يا عريض الجفنة يا أبا المكارم فزجرها رجل فقالت دعني أصف ربي وأمجد إلهي بما تستحسنه العرب وقال الزمخشري في كتابه " ربيع الأبرار " سمعت أنا من يدعو من العرب عند الركن اليماني يا أبا المكارم يا أبيض الوجه وهذا ونحوه منهم إنما يقصدون به الثناء على الله تعالى بالكرم والنزاهة عن القبيح على طريق الاستعارة لأنه لا فرق عندهم بين الكريم وأبي المكارم ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه والأبيض الوجه **وقيل لأعرابي** أتحسن أن تدعو ربك ؟ قال نعم قال اللهم إنك أعطيتنا الإسلام من غير أن نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك وذكر لعبد السلام بن مطيع أن الرجل تصيبه البلوى فيدعو فتبطئ عنه الإجابة فقال بلغني أن الله تعالى يقول كيف أرحمه من شيء به أرحمه وقال طاوس بينما أنا في الحجر ذات ليلة إذ دخل علي علي ابن الحسين فقلت رجل صالح من أهل بيت الخير لأسمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك فما دعوت بهما في كرب إلا فرج عني ودعا أعرابي فقال اللهم إنا نبات نعمتك وقال ابن المسيب سمعت من يدعو بين

---

(١) المستطرف، ٥١٣/٢

القبر والمنبر اللهم إني أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فدعوت به فما وجدت إلا خيرا ودعت أعرابية بالموفق فقالت أسألك سترك الذي لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل اتقوا مجانيق الضعفاء أي دعواتهم ودعا أعرابي فقال اللهم أمح ما في قلبي من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وأمانة وصلى رجل إلى جنب عبد الله بن المبارك وبادر القيام فجذب ثوبه وقال أما لك إلى ربك حاجة ؟ وقال سفيان الثوري سمعت أعرابيا يقول اللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله وإن كان في الأرض فأخرجه وإن كان بعيدان فقربه وإن ." (١)

" عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى أنها سمعت رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت له يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمي العين عن الدنيا والله لوددت أن الله وهب لي كنه معرفته ولم يبق مني جارحة إلا أخذها

وكتب مبارك لأخيه سفيان الثوري يشكو إليه ذهاب بصره فكتب إليه أما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك فاذكر الموت يهن عيك ذهاب بصرك والسلام وقيل لعطاء في مرضه ما تشتهي ؟ قال ما ترك خوف جهنم في قلبي موضعا للشهوة وأصاب ابن أدهم بطن فتوضأ في ليلة سبعين مرة **وقيل لأعرابي** في مرضه ما تشتهي ؟ قال الجنة فقيل أفلا ندعوا لك طبيبا ؟ قال طبيبي هو الذي أمرضني

الفصل الثاني من هذا الباب في ذكر العلل كالبخر والعرج والعمى والصمم والرمد والفالج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة

قيل تسارر أبخر وأصم فقال له الأصم قد فهمت ثم فارقه فسأله رجل فقال والله لا أدري غير انه فسا في أذني وقيل ان عبد الملك بن مروان كان أبخرا فعض يوما على تفاحة ورمى بها إلى زوجته فدعت بسكين فقال ما تصنعين بها ؟ قالت أميط الأذى عنها فشق عليه ذلك منها فطلقها و سارر أبو الأسود الدؤلي سليمان ابن عبد الملك وكان أبو الأسود أبخر فستر سلميان أنفه بكمه فعبر أبو الأسود وهو يقول لا يصلح للخلافة من لا يقدر على مناجاة الشيوخ البخر وقيل طول انطباق الفم يورث البخر وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الزنج أطيب الناس أفواها والسباع موصوفة بالبخر ولا المثل مضروب بالأسد والصقر في البخر والكلب من بينهما طيب الفم وليس في البهائم أطيب أفواها من الظباء ." (٢)

" وقيل لما دنا منه الموت تمثل بهذا البيت

(هو الموت لا منجى من الموت والذي ... نحاذر بعد الموت أدهى وأقطع) ثم قال رفع يديه وقال اللهم أقل العثرة وأعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق إلا بك فإنك واسع المغفرة وليس الذي خطيئة منك مهرب ومات رحمه الله تعالى وذكر أبو العباس الشيباني قال وفد على أبو دلف عشرة من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في العلة التي مات فيها فأقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التي أصيب بها ثم أفاق فقال لخادمه بشر إن قلبي يحدثني إن بالباب قوما لهم إلينا حوائج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا قال فكان أول من دخل آل علي رضي الله عنه فسلموا عليه

---

(١) المستطرف، ٢/٥٣٤

(٢) المستطرف، ٢/٥٦١

ثم ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال أصلحك الله أنا من أهل بيت رسول الله وفينا من ولده وقد حطمتنا المصائب وأجحفت بنا النوائب فان رأيت أن تجبر كسيرا وتغني فقيرا لا يملك قطميرا فأفعل فقال لخادمه خذ بيدي وأجلسني ثم أقبل معتذرا إليهم ودعا بدواة وقرطاس وقال ليكتب كل منكم بيده أنه قبض مني ألف دينار قالوا فبقينا والله متحيرين فلما أن كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه قال لخادمه علي بالمال فوزن لكل واحد منا ألف دينار ثم قال لخادمه يا بشر إذا أنا مت فادرج هذه الرقاع في كفني فإذا لقيت محمدا في القيامة كانت حجة لي إني قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال يا غلام ادفع لكل واحد منهم ألف درهم ينفقها في طريقه حتى لا ينفق من الألف دينار شيئا حتى يصل إلى موضعه قال فأخذناها ودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله وقيل لما دفن عمر بن عبد العزيز نزل عند دفنه مطر من السماء فوجدوا بردة مكتوبا فيها بالنور (بسم الله الرحمن الرحيم أمان لعمر بن عبد العزيز من النار) وقيل لأعرابي إنك تموت قال وإلى أين أذهب قالوا إلى الله تعالى فقال لا أكره أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه وبكى الخولاني عند موته فقيل له ما يبكيك قال أبكي لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبة ولا أدري إلى أين أهبط وإلى أي مكان ." (١)

"أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: سأل أعرابي رجلين من الأعراب: أين مطرتما؟ قالا: مطرنا بمكان كذا وكذا، قال: فما أصابكما من المطر؟ قالا: حاجتنا، قال: فماذا سيل عليكما؟ قالا: ملنا لوادي كذا وكذا فوجدناه مكسراً سالت معنانه، وملنا لوادي كذا وكذا فوجدناه مشطئاً، قال: فماذا وجدتما أرض بني فلان؟ قالا: وجدناها ممطورةً قد ألس غميرها، وأخوص شجرها، وأدلس نصيها، وألث سخبرها، وأخلس حليها، ونبتت عجلتها.

قال أبو بكر: قوله وجدناه مكسراً: يقول قد سالت جرفته ومعنانه: جوانبه؛ ومشطئ: قد سال شطآنه، وهو جمع شاطئ، ولم يسل بأجمعه، وقوله: ألس: أي أمكن أن تلسه الماشية أي ترعاه؛ وأخوص الشجر: قال أبو بكر: أحمد ما يكون المطر إذا كان الخوص وافراً، والنصي ضرب من النبت، وهو يبيس الحلي؛ أدلس: أورق واسود، وألث سخبرها اللثا صمغ أي صار فيه الصمغ، والسخبر شجر؛ أخلس حليها، الحلي نبت؛ أخلس: أي صار لونين، وكل ذي لونين خليس من شدة خضرة الورق؛ والعجلة: بقلة مستطيلة مع الأرض؛ وقوله: إذا نبتت: أي صار لها أنابيب.

حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال: قال أبو المجيب، وكان أعرابياً من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم: لقد رأيتنا في أرض عجفاء وزمان أعجف، وشجر أعشم في وقد قدمنا ذكره غليظ، وجادة مدرعة غبراء فبينا نحن كذلك إذ أنشأ الله من السماء غيثاً مستكفاً نشؤه، مسبلة عزاليه، ضخاماً قطره جوداً صوبه زاكياً أنزله الله رزقاً لنا، فنعش به أموالنا، ووصل به طرقا، فأصابنا، وإنا لبنوطة بعيدة بين الأرجاء فاهرمع مطرها، حتى رأيتنا، وما نرى غير السماء والماء وصهوات الطلح، فضرب السيل النجاف، وملأ الأودية فرحبها، فما لبثنا إلا عشراً حتى رأيتها روضةً تندى.

أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: قال أعرابي: ليس الحيا بالسحيبة تتبع أذناب أعاصير الريح؛ ولكن كل ليلة مسبل رواقها، منقطع نطاقها تبيت آذان ضأنها تنطف حتى الصباح.

أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: قيل لأعرابي: كيف كان كلأ أرضك؟ فقال: أصابتنا ديمة بعد ديمة، على عهاد غير قديمة،

---

(١) المستطرف، ٥٧٣/٢

فالناب تشبع قبل الفطيمة.

أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال شام أعرابي برقاً فقال لابنته: أنظري أين ترينه؟ فقالت:

أناخ بذي بقر بركه ... كأن على عضديه كتافا

ثم قال لها بعد قليل: عودي فشيمي، فقالت:

نحته الصبا ومرته الجنو ... ب وانتجفته الشمال انتجافا

أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: خرج صالح بن عبد الرحمن يسير بين الحيرة والكوفة فإذا هو براكب فقال: ممن أنت؟ فقال: من بني سعد فمن أنت؟ فإني أرى بزة ظاهرةً وجلدةً حسنةً. فقال بعض أصحاب صالح: أتقول هذا للأمير؟ فقال صالح: دعوه فلم يقل إلا خيراً، ثم استخبره عن المطر فقال: أقبلت حتى إذا كنت بين هذا الحزن والسهل، وفي كفة النخل رأيت خريجاً من السحاب منكفت الأعالي، لاحق التوالي، فهو غاد عليك أو سار، يسيل السلان ويروى الغدران.

أخبرنا أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال: أخبرت عن عبد الملك بن عمير قال: كنت عند الحجاج بن يوسف فقال لرجل من الشام: هل أصابك مطر؟ فقال: نعم أصابنا مطر أسال الإكام، وأدحض التلاع، وخرق الرجع، فجئتك في مثل مجر الضبع؛ ثم سأل رجلاً من أهل الحجاز: هل أصابك مطر؟ قال: نعم، سقتني الأسمية فغيبت الشفار، وأطفئت النار، وتشكت النساء، وتظالمت المعزى، فاحتلبت الدرة بالجرة؛ ثم سأل رجلاً من أهل فارس فقال: نعم، ولا أحسن كما قال هؤلاء! إلا أني لم أزل في ماء وطين حتى وصلت إليك.

قوله غيبت الشفار يريد أخصب الناس فلم يذبحوا الغنم والإبل، وأطفئت النار كذلك أيضاً وتشكت النساء وتظالمت المعزى في المرعى: في الكلأ.

أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: سأل سليمان بن عبد الملك أعرابياً عن المطر فقال: أصابنا مطر انعقد منه الثرى واستأصل منه العرق ولم تر وادياً دارئاً.." (١)

"أكافي خليلي ما استقام بوده، ... وأمنحه ودي، إذا يتعتب

ولست ببادي صاحبي بقطيعة، ... ولا أنا مفش سره، حين أغضب

عليك بإخوان الثقات، فإنهم ... قليل، فصلهم دون من كنت تصحب

وما الخدن إلا من صفا لك وده، ... ومن هو ذو نصح، وأنت مغيب

إذا ما وضعت السر عند مُضيّع، ... فذو السر ممن ضيّع السرّ أذنب

وقال معاوية بن أبي سفيان: الحازم من كتم سره من صديقه مخافة أن تبدَّل صداقته عداوة، فيذيع سره. وقال بعض الشعراء:

تواقف معشوقين من غير موعد ... وغيب عن نجواهما كل كاشح

وكلّت جفون الماء عن حمل مائها، ... فما ملكت فيض الدموع السوافح

وإني لأطوي السرّ عن كل صاحب، ... وإن كان للأسرار عدل الجوانح

---

(١) المطر والسحاب، ص/٩

وكتب عبد الملك بن مروان ببعض سره إلى الحجاج بن يوسف، ففشا، حتى بلغه ذلك، فكتب إليه عبد الملك يعاتبه، فكتب إليه: والله ، يا أمير المؤمنين، ما أخبرت به إلا إنساناً واحداً. فكتب إليه عبد الملك: إن لكل إنسان نصيحاً يفشي إليه سره.

وقال بعض الشعراء في ذلك:

ألم ترَ أن وشاة الرجا ... ل لا يتركون أديماً صحيحاً

فلا تفش سرك إلا إليك، ... فإن لكل نصيح نصيحا

وقال آخر:

إذ أنت لم تحفظ لنفسك سرها، ... فسرك عند الناس أفشى وأضيع

وقال آخر:

أمت السر بكتمان، ولا ... يبدون منك إذا استودعت سرّ

فإذا ضقت به ذرعاً فلا ... تجعلن سرك إلا عند حرّ

وقيل لأعرابي استودع سراً فكتمه: أفهمت؟ قال: لا، بل نسيت. وأخبرني أحمد بن عبيد قال: أخبرني ابن الأعرابي قال: **قيل لأعرابي**: كيف كتمانك السر؟ فقال: أجحد المخبر، وأحلف للمستخبر.

وقيل لأعرابي: كيف حفظك للسر؟ فقال: أنا لحده.

ومما استحسنته في كتمان السر قول كثُير:

أتى دون ما تخشون من بث سركم ... أخو ثقة، سهل الخلائق، أروع

ضنين ببذل السر، سمح بغيره، ... أخو ثقة، عفُّ الوصال، سميدع

أبى أن يبث، الدهر، ما عاش، سركم ... سليماً، وما دامت له الشمس تطلع

وله أيضاً:

كريم يميت السر، حتى كأنه، ... إذا استنطقوه عن حديثك، جاهله

رعى سركم في مضمر القلب والحشا، ... شفيق عليكم، لا تخاف غوائله

وأكتم نفسي بعض سري تكرماً، ... إذا ما أضاع السر في الناس حامله

وقول صاحبه أيضاً:

لعمري ما استودعت سري وسرها ... سوانا، حذاراً أن تشيع السرائر

ولا خاطبتها مقلتاي بنظرة، ... فتعلم نجوانا العيون النواظر

ولكن جعلت اللحظ بيني وبينها ... رسولاً،فأدى ما تجن الضمائر

ومنه قول الآخر:

ليهنك مني أنني غير مظهر ... هواك، ولو أشرفت منه على نحبي

ولو أن خلقاً كاتم الحب قلبه ... لمتُّ، ولم يعلم بحبكم قلبي

وقال آخر:

لو أن امرأً أخفى الهوى عن ضميره، ... لمتُّ، ولم يعلم بذاك ضمير

ولكن سألقى الله، والقلب لم يبح ... بسرّك، والواشون عنك كثير

وقال العباس بن الأحنف:

أيا من سروري به شقوة، ... ومن صفو عيشي به أكدر

تجنيت تطلب ما أستحق ... به الهجر، هيهات لا يقدر

وماذا يضرك من شهرتي، ... إذا كان سرّك لا يشهر

أمني يُخاف انتشار الحديث، ... وحظي في صونه أكثر

ولو لم يكن فيه بقيا عليك، ... نظرت لنفسي، كما تنظر

وأنشدني لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

ومؤتمن بالحزم في كل أمره، ... وأسراره منه بحيث المقاتل

فلا سره عن ساحة الصدر نازح، ... ولا هو عن سرٍّ تعداه سائل

ولغيره في مثله:

فلنقل الجبال أهون من بث ... حديث حنت عليه الضلوع

فلك الله أنني لك راعٍ، ... ما بدا كوكب، وبرق لموع." (١)

"قال أبو الطيب: الفارك المبغضة لزوجها، يقال: قد فركت المرأة زوجها، تفركه، إذا أبغضته، وهي فارك، والرجل مفروك. ومثله قول الحسين بن مطير:

أحبك يا سلمى، على غير ريبة، ... وما خير حب لا تعف سرائره

ومثله أيضاً قول الآخر:

أتأذنون لصبٍ في زيارتكم، ... فعندكم شهوات السمع والبصر

لا يفعل السوء إن طال الجلوس به، ... عفُّ الضمير، ولكن فاسق النظر

وقال محمود الوراق:

إني أحبك حباً لا لفاحشة، ... والحب ليس به في الله من باس

وأنشدني بعض الأدباء قال: أنشدني أعرابي ببلاد نجد:

ويوم كإبهام الحبارى قطعته ... بمقمعة، والقوم فيهم تحرف

إذا ما هممنا صد زي نفوسنا، ... كما صد من بعد التهمم يوسف

---

(١) الموشى، ص/١٦

قال أبو الطيب: قوله كإبهام الحبارى، يريد نهاية ما يكون من القصر وأنشدني آخر:

ما الحب إلا قبلٌ، ... وغمزُ كف، وعضد

أو كتب فيها رقى، ... أنفذ من نفث العقد

ما الحب إلا هكذا، ... إن نكح الحب فسد

من لم يكن ذا عفة، ... فإنما يبغي الولد

ومن ذلك قول بثينة لجميل، وقد قال لها: هل لك يا بثينة أن نحقق قول الناس فينا؟ فقالت له: مه، دع حبنا مكانه، إن الحب إذا نكح فسد.

عبد الملك بن مروان وبثينة

ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها: والله يا بثينة ما أرى فيك شيئاً مما كان يقول جميل. قالت: يا أمير المؤمنين، إنه كان يرنو إليَّ بعينين ليستا في رأسك. قال: وكيف صادفته في عفته؟ قالت: كما وصف نفسه حيث يقول:

لا والذي تسجد الجباه له ... ما لي بما دون ثوبها خبر

ولا بفيها، ولا هممت بها ... ما كان إلا الحديث، والنظر

وقيل لأعرابي: هل زنيت قط؟ قال: معاذ الله إنما هما اثنتان إما حرة آنف لها من فسادها، وإما أمة آنف لنفسي من فسادي إياها.

جميل في يومه الأخير

وروى عن ابن سهل بن سعد الساعدي قال: دخلت على جميل بن معمر العذري، وهو عليل، وإني لأرى آثار الموت على وجهه، فقال: يا ابن سهل! أتقول إن رجلاً يلقى الله لم يسفك دماً حراماً، ولم يشرب خمراً، ولم يأت بفاحشة، أترجو له الجنة؟ قلت: إي والله، فمن هو؟ قال: إني لأرجو أن أكون أنا ذلك الرجل. قلت: بعد زيارتك بثينة وما تحدث به عنكما؟ فقال: والله إني لفي يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، ولا أنالتني شفاعة محمد، صلى الله عليه وسلم، إن كنت حدثت نفسي فيها بريبة قط. قال: فما انقضى يومه حتى مات.

عمر بن أبي ربيع وامرأة من ربيعة

وقال الأصمعي: كان عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق جالسين بفناء الكعبة، فمرت بهما امرأة من ربيعة، وقيل من آل أبي سفيان، فدعا عمر بكتف، فكتب فيها:

ألما بذات الخال، فاستطلعا لنا ... على العهد باق ودها أم تصرما

وقولا لها: إن النوى أجنبية ... بنا وبكم، قد خفت أن تتيمما

فقال له ابن أبي عتيق: ما تريد إلى امرأة مسلمة محرمة تكتب إليها بمثل هذا؟ فقال: أترى ما سيرت في الناس من الشعر، ورب هذه البنية ما قبل منها وما دبر، ما قولت امرأة قط ما لم تقله، ولا طالعت فرج حرام قط.

وقيل لكثير عزة: هل نلت من عزة شيئاً طول مدتك؟ فقال: لا والله، إلا أنه ربما كان يشتد بي الأمر، فآخذ يدها، فأضعها

على جبيني فأجد لذلك راحة.

الأعرابي المتعفف

وقال أعرابي، وخلا بامرأة كان يتعشقها: ما زال القمر يرينها، فلما غاب أرتينه، قيل: فما كان بينكما؟ قال: أقصى ما أحل الله وأدنى ما حرم الله عز وجل، إشارة في غير باس، ودنو في غير مساس، وأنشأ يقول:

ولرب لذة ليلة قد نلتها، ... وحرامها بحلالها مدفوع

الأعرابي العاشق

قال أعرابي من فزارة: عشقت جارية من الحي، فحادثتها سنين كثيرة، والله ما حدثت نفسي بريبة قط، سوى أن خلوت بها، فرأيت بياض كفها في سواد الليل، فوضعت كفي على كفها،فقالت: مه! لا تفسد ما صلح. فارفض جبيني عرقاً، ولم أعد.

تعريف الظرف." (١)

"وذلك أن المعزى تدفع في أول حملها فيقول: انتظر الولاد وإن أبطأ فهو كماء يرنق وهو رقرقته، والضأن لا تدفع إلا عند الولاد فإذا رمّدت الضأن فهي الأرباق لأولادها. وتقول: المعزى تبهي ولاتبني، تبهي تخرق وتقطع، ولا تبني أي لا يفيد منها ما يبني به كما تفعل الضائنة، يقال أبنيت فلاناً بيتاً إذا أفدته إياه وأعنته على عمله قال أبو زيد، بهى البيت بهاء إذا تخرق، والعنز تصعد على ظهور الأخبية فتقطعها بأظلافها والنعجة لا تفعل ذلك وبيوت العرب إنما تعمل من الصوف والوبر ولا تعمل من الشعر، والمعزى تخرق ولا يصلح شعرها لعمل البيوت. ويحكون عن البهائم قالوا قالت الضائنة، أولد رخالا، وأجز جفالا وأحلب كثبا ثقالا، ولم تر مثلي مالا. جفالا تقول أجزّ بمرة وذلك أن الضائنة إذا جزت فليس يسقط من صوفها شيء إلى الأرض حتى يجز كلها، والكثب جمع كثبة وهي قد رحلبة، وما صب في شيء فقد انكثب فيه، ومنه سمي الكثيب من الرمل لأنه انصب في مكان فاجتمع فيه. وقال دغفل بن حنظلة في بني مخزوم: معزى مطيرة، عليها قشعيرة، إلا بني المغيرة، فإن فيهم تشادق الكلام، ومصاهرة الكرام. والعرب تقول: أصرد من عنز جرباء. وقيل لابنة الخس: ما تقولين في مائة من المعزى؟ فقالت: فناء، قيل: فمائة من الضأن؟ قالت: غني، قيل: فمائة من الإبل؟ قالت: منى. وقالوا: العنوق بعد النوق، والعنوق جمع عناق، يراد الصغير بعد الكبير. وقيل لأعرابي بأي شيء تعرف حمل شاتك، قال: إذا ورم حياؤها ودجت شعرتها واستفاضت خاصرتاها وكثفت، يقال كان ذاك وقد دجا ثوب الإسلام. وقال آخر:

إني إذا شاركني في جسمي ... من ينتفي مخي ويبري عظمي

لم أطلب الدنيا بثأر البهم

يقال أراد الحمى، ويقال أراد الكبر. وقال حميد بن ثور وذكر بعيراً:

محليّ بأطواق عتاق يبينها ... على الضرّ راعي الضأن لا يتقوّف

خص راعي الضأن لجفائه وجهله بأمر الإبل، يقال في المثل: أجهل من راعي ضأن، لا يتقوف من القيافة، أي لا يطلب

---

(١) الموشى، ص/١٩

أمراً يستدل به على نجابته لأن النظر إليه يدل عليه. وقال آخر ويروي لذي الرمة:

كأن القوم عشوا لحم ضأن ... فهم نعجون قد مالت طلاهم

وقال أبو ذؤيب وذكر وقتاً من الليل:

إذا الهدف المعزاب صوّب رأسه ... وأعجبه ضفو من الثلّة الخطل

الهدف الشيخ المسن، والمعزاب الذي يعزب عن أهله في الغنم، صوّب رأسه أي نام وأسكنه: ضفو أي اطمأن إلى سعة في ماله يضفو عليه أي يتسع، والثلّة الضأن ولا يكون من المعز.

وروي عن العجاج أنه قال في وصف شاة: حسراء المقدم، شعراء المؤخر، إذا أقبلت حسبتها نافراً، وإذا أدبرت حسبتها ناثراً، أي كأنها تعطس، يقول: من أي أقطارها أتيتها وجدتها مشرفة. الأصمعي: قال أعرابي يهزأ بصاحبه: اشتري لي شاة فقماء تضحك مندلقة خاصرتاها لها ضرع أرقط كأنه ضب، قال وكيف العطل؟ قال: أولهذه عطل؟. العطل طول العنق يقال شاة حسنة العطل قال أبو النجم يذكر فرساً.

عن مفرع الكتفين حلو عطله

الأبيات في الظباء والبقر

قال الشاعر يذكر الظباء:

وينبح الشعب نبحاً كأنه ... نباح سروق أبصرت ما يريبها

وبيضه الهزل المسوّد غيره ... كما ابيّض عن حمض المراضين نيبها

الظبي إذا أسن وصارت لقرونه شعب قيل له أشعب، وقيل له نبّاح وذلك لأن صوته يغلظ، وفيه قول أبي دواد وذكر فرساً:

وقصرى شنج الأنسا ... ء نبّاح من الشعب

والظبي يوصف بشنج النسا، والظبي إذا هزل ابيض وكل أبيض إذا هزل أسود، والبعير يشيب وجهه إذا رعى الحمض. قال آخر:

أكلن حمضاً فالوجوه شيب ... شربن حتى نزح القليب

وقال ابن لجأ:

شابت ولما تدن من ذكائها

وقال عمرو بن قميئة من عبد القيس يذكر وعلاً

فلو أن شيئاً فائت الموت أحرزت ... عماية إذ راح الأرحّ الموقّف

سما طرفه وابيض حتى كأنه ... خصيّ جفت عند الرحائل أكلف

الأرح الذي في ظلفه انفتاح، والموقّف الذي في أرساغه بياض والوقف السوار، وقوله: أبيض - يعني أن الوعل اسن وإذا

أسن ابيض، كأنه برذون قد خصي فهو لا يركب، والرحالة سرج من جلود، والكلفة حمرة يدخلها سواد. وقال امرؤ القيس:." (١)

"أقولُ بما صبّتْ على عما يتي ... وأمري وفي حبلِ العشيرة أحطمب

يقول أقول بما جربت وما علمت مما مضى من دهري وهو مثل. وقال جرير:

إني إذا الشاعرُ المغرورُ حرّبني ... جار لقبرٍ على مرّانِ مرموسِ

حربني أغضبني يعني قبر تميم، يقول أنا جار لتميم ممن يهجوها أذب عنهم الشعراء. وقال عنترة:

سيأتيكما عني وإن كنت نائياً ... دخانَ العلندَي دون بيتي مذود

يقال أن العلندي جبل لم ير إلا وعليه كالدخان، ويقال العلندي شجر له دخان كثير إذا أوقد به وهذا من قولك: لأثيرن عليكم شرا يبلغ دخانه السماء - أي يأتيكم من هجائي شيء له دخان كدخان العلندي، مذود يذود عنه ويدافع.

قصائذ من قيل امرىء يحتديكُم ... وأنتم بِجسمَى فارتدوا وتقلدّوا

بيّن ذلك الدخان فقال قصائد، يحتديكم يتعمدكم بها، فارتدوا هذا الهجاء وتقلدوا، كما قال الآخر أبو ذؤيب:

لخبِرّت أنا نحتدي الحمد إنما ... تكلّفه من النفوسِ خيارها

ومثل قول الأول:

سأكسوكما يا ابن يزيد بن جعشمٍ ... رداءيْن من قارٍ ومن قِطرانِ

اذا لُبسا زاداً على اللبسِ جدّة ... ولم يلَ وَشى منهما لِأوانِ

وقال أوس:

وما أنا إلا مستعد كما ترى ... أخو شرَكيّ الورد غير معتمِ

شركي الورد سريع يقال لطمه لطما شركيا أي متتابعا، يريد أنه ورد في إثر ورد ومعنى الورد أنه أغشاهم ما يكرهون، يقال لا يزال فلان يتوردنا بالشر، معتِم محتبس، **قيل لأعرابي**: ما قمر أربع؟ فقال عتمة ربع، أي قدر ما يحتبس في عشائه، وقوله:

على حينِ أن جد الذكاءِ وادركَتْ ... قريحَةَ حسى من شريح معمِمِ

الذكاء السن، يقال فرس مذكّ إذا كان قد أسن، والقريحة أول ما يخرج من البئر، واقتراح القول ابتداؤه، ومنه اقترحْ عليّ ما شئت وشريح ابنه، أي بعد ما أسننت وادرك ابني وقال الشعر، وضرب الحسى مثلا للشعر. وقال الشماخ:

نبئتُ أن ربيعاً أن رعى إبلاً ... يهدي إلىّ خناه ثاني الجِيد

فان كرهتَ هجائي فاجتنبْ سخطَي ... لا يعقلنّكَ إفراعي وتصعيدي

أن رعى إبلا أي استغنى وصار له مال، ثاني الجيد أي رخى البال غير مكترث لذلك، وإفراعي هاهنا انحداري وهذا حرف من الأضداد، يقال أفرع في الجبل صد وأفرع منه إنحدر. وقال آخر في الصعود وهو رجل من العبلات:

إني امروء من يمانٍ حين تنسبني ... وفي أميةٍ إفراعي وتصويبي

---

(١) المعاني الكبير، ص/١٦٤

وقال آخر:

إني لأشقى الناس إن كنتَ غارماً ... ضمان التي يسقي بها نخلُ مَلهمُ

عبدالرحمن عن عمه قال: يقول إن كنت كلما عقرت سانية ضمنتها فإني شقي. وقال غيره: أراد جريرة القصيدة يتغنى بها الساقي نخل ملَهم وذلك انه رمى بشيء فانتفى منه، كما قال ابن أحمر:

وإن قال غاوٍ من تنوخ قصيدةً ... به جربٌ عدّت عليَّ بزوبرا

يعني الداهية. وقال النابغة للنعمان بن جبلة:

ولولا أبو الشقراء ما زال ماتح ... يعالج خطّافاً بإحدى الجرائرِ

الجرائر جمع جريرة، يعني ما ينشد إذا استقى، وكان بعضهم يجعله من غير هذا، يقول: لولا أبو الشقراء وأنه أعتق أسراءنا ما زال رجل منا قد أسرته قوم فهو يستقي لهم، والجرائر في هذا التفسير جع جرور وهي البئر البعيدة القعر. وقال الأعشى:

وإن عتاقَ الطيرِ سوف يزور ... ثناءً على أعجازهُنَ معلّقُ

به تنفض الأحلاس والديكُ نائم ... وتعقَد أطراف الحبالِ وتطلقُ

يعني أنهم إذا رحلوا وحطوا تمثلوا بهذه القصيدة. وقال المسيب:

إني امرؤ مهدِ بغيب تحيةِ ... إلى ابن الجلنديّ فارس الخيلَ جيفر

بها تنفض الأحلاس والديَكُ نائمَ ... إلى مسنفاتِ آخر الليلِ ضمّر

يقول إذا رحلوا إبلهم وحطوا عنها تمثلوا بهذه القصيدة وأنشدوها. وقال آخر:

سأرفع قولاً للحصيْن ومالكِ ... تطيرُ به الغربان سطرَ المواسمِ

وتروي به الهيم الظماء وَيطّي ... بأمثالها الغاوون سجع الحمائم." (١)

"قالوا: إذا نحرت الجزور جعل لحمها على وضم – والوضم كل ما ألقى عليه لحم يقيه من الأرض، يقال وضمت اللحم، فإن أردت أنك جعلت له وضماً قلت أوضمته – ثم يقسم على عشرة أجزاء: الوركان والفخذان والكاهل والزور والملحاء والكتفان فيهما ابنا ملاط الأصمعي: ابنا ملاط العضد والذراع – والملاط عند الأصمعي الجنب، وقال غيره الإبط – ثم يعمد إلى الطفاطف وفقر الرقبة فيقسم على تلك الأجزاء، بالسوية، فإذا استوت وبقي عظم أو بعضه فذلك الريم سمي بذلك لأنه قصر عن الأجزاء، يقال للشيء الذي يوضع فوق الحمل ريم لأنه فضل، وهو العلاوة أيضاً، يريد ما كان فوق الحمل، ثم ينتظر به الجازر من أراده ممن فاز قدحه فإن أخذه سب به وإلا فهو للجازر، والبدء والبدأة النصيب منه قول النمر بن تولب:

فمنحت بدأتها رقيباً جانحاً ... والنار تلفح وجهه بأوارها

وهو أيضاً النصيب من غير الجزور، وكان الأصمعي يجعل أجزاء الميسر ثمانية وعشرين جزءاً ذهب إلى جمع أنصباء القداح السبعة وهي ثمانية وعشرون جزءاً. أبو حاتم عن أبي زيد: يقال لأفعلن ذلك قبل حساس الأيسار، قبل أن يحسحسوا من

(١) المعاني الكبير، ص/١٩٠

جزورهم شيئاً والحسحسة أن يجعلوا اللحم على النار.

وقال أبو ذؤيب وذكر إبلاً:

أما أولات الذرى منها فعاصبة ... تجول بين مناقيها الأقاديح

أولات الذري أولات الأسنمة، عاصبة مجتمعة، يقال عصب القوم بفلان إذا استداروا حوله، والمنقية السمينة، والأقاديح جمع قدح وأقدح وقداح وأقاديح.

باب المعاني في وصف الشعر والشعراء

قال عنترة:

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

غادر ترك، متردم مترقع، يقال ردمت ثيابي ولدمتها إذا أصلحتها وثوب مردم إذا سدّ خلله بالرقاع، وهذا كقولك: هل ترك الأول للآخر شيئاً، أي هل ترك الشعراء شيئاً ينظر فيه لم ينظروا فيه، ويروى: من مترنم، والمترنم المتغنى.

وقال جرير:

إني إذا الشاعر المغرور حربني ... جار لقبر على مران مرموس

حربني أغضبني، والقبر قبر تميم، يقول أنا جار لتميم ممن يهجوها أذب عنهم الشعراء.

وقال أوس بن حجر:

وإن هز أقوام إلي وحددوا ... كسوتهم من حبر بزمتحم

هز أقوام ساروا سيراً سريعاً، ومنه قول ابن قيس الرقيات:

ألا هزئت بنا قريشة يهتز موكبها

حبر حسن، يقال رجل حبر الشباب أي حسنه، متحم من البز الذي جعل أتحميا وهو ضرب من برود اليمن، يقول كسوتهم من أحسن ذلك البز، وإنما هذا مثل أي أهجوهم هجاء يرى عليهم كما يشهر صاحب هذا اللباس. وقال آخر:

سأكسو كما يا ابني يزيد بن جعشم ... رداءين من قار من قطران

ذا لبسا زاداً على اللبس جدةً ... ولم يبل وشى منهما لأوان

وقال عنترة:

سيأتيكما عني وإن كنت نائياً ... دخان العلندي دون بيتي مذود

يقال إن العلندي جبل لم ير قط إلا وعليه كالدخان، وقيل العلندي شجر إذا أوقد كان له دخان كثير، وهذا من قولك: لأثيرن لك شراً يبلغ دخانه السماء، أي يأتيكم من هجائي شيء له دخان كدخان العلندي، مذود يذود عنه ويدفع.

قصائد من قول امرئ يحتديكم ... وأنتم بحسمي فارتدوا وتقلدوا

بيّن ذلك الدخان فقال: قصائد، يحتديكم يتعمدكم بها فارتدوا هذا الهجاء وتقلدوه.

وقال أوس:

وما أنا إلا مستعد كما ترى ... أخو شركي الورد غير معتم

شركي سريع، يقال لطمه لطماً شركياً أي متتابعاً، يريد أنه ورد في إثر ورد، ومعنى الورد أنه أغشاهم ما يكرهون، يقال لا يزال فلان يتورد الشر، معتم محتبس، **وقيل لأعرابي**: ما قمر أربع؟ فقال: عتمة ربع، أي قدر ما يحتبس في عشائه وقال:

هجاؤك إلا أن ما كان قد مضى ... عليّ كأثواب الحرام المهينم

يقول هجاؤك حرام علي مثل الثياب على رجل قد أحرم فهو يقرأ ويسبح ويدعو ربه. وقال:

على حين أن جد الذكاء وأدركت ... قريحة حسي من شريح مغمم

شريح ابنه، أي بعدما أسننت وقال ابني الشعر، وضرب الحسى مثلاً للشعر. وقال الشماخ:

نبئت أن ربيعاً أن رعى إبلاً ... يهدي إليّ خناه ثاني الجيد." (١)

"أهون إذا عز الجليل وربما ... أزمت برأس الحية المتمعج

أخبرنا أبو سعيد السيرافي، قال: أخبرنا ابن دريد قال: قال أبو حاتم السجستاني: إذا مات لي صديق سقط مني عضواً.

كتب علي بن عبيدة الريحاني البصري إلى صديق له: كان خوفي من أن لا ألقاك متمكناً، ورجائي خاطراً، فإذا تمكن الخوف طفيت، وإذا خطر الرجاء حييت.

وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما: صحبة عشرين يوماً قرابة.

وقال رجل لضيغم العابد: أشتهي أن أشتري داراً في جوارك حتى ألقاك كل وقت، قال ضيغم: المودة التي يفسدها تراخي اللقاء مدخولة.

وكتب آخر إلى صديق له: مثلي هفا، ومثلك عفا، فأجابه: مثلك اعتذر، ومثلي اغتفر.

وقال أعرابي: الغريب، من لم يكن له حبيب.

وقيل لأعرابي: من أكرم الناس عشرة؟ قال: من إن قرب منح، وإن بعد مدح، وإن ظلم صفح، وإن ضويق فسح، فمن ظفر به فقد أفلح ونجح.

وقال الفضل بن يحيى: الصبر على أخ تعتب عليه خير من آخر تستأنف مودته.

وقال عبد الله بن مسعود: ما الدخان على النار بأدل من الصاحب على الصاحب.

كتب رجل إلى صديق له: أما بعد: فإن كان إخوان الثقة كثيراً، فأنت أولهم، وإن كانوا قليلاً فأنت أوثقهم، وإن كانوا واحداً فأنت هو! وقال آخر:

تركت لك القصوى لتدرك فضلها ... وقلت ترى بيني وبين أخي فرق

ولم يك بي عنها نكول وإنما ... توانيت عن حقي فتم لك الحق

ولا بد لي من أن أكون مصلياً ... إذا كنت أهوى أن يكون لك السبق

قال العباس بن الحسن العلوي يصف جليساً له: لطيب عشرته أطرب من الإبل على الحداء، والثمل على الغناء! وقال آخر:

---

(١) المعاني الكبير، ص/٢٨٤

ذهب التواصل والتعارف ... فالناس كلهم معارف

لم يبق منهم بينهم ... إلا التملق والتواصف

وعناق بعضهم لبعض ... في التساير والتواقف

صارفهم عن المود ... دة إنهم قوم صيارف

إني انتقدت خيارهم ... فالقوم ستوق وزائف

وقال آخر:

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى ... بصاحبه يوماً دماً فهو آكله

وكتب يحيى بن زياد الحارثي إلى عبد الله بن المقفع يلتمس معاقدة الإخاء، والاجتماع على المخالصة والصفاء، فلما لم يجبه كتب إليه يعتب، فكتب له عبد الله: إن الإخاء رق، وكرهت أن أملكك رقي قبل أن أعرف حسن ملكتك.

شاعر:

وأعرض عن ذي المال حتى يقال لي ... قد احدث هذا جفوة وتعظما

وما بي جفاء عن صديق ولا أخ ... ولكنه فعلي إذا كنت معدما

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم وآله كان يأكل تمراً ومعه جليس له، فكان النبي صلى الله عليه وسلم وآله إذا رأى حشفة عزلها، فقال جليسه: يا رسول الله أعطني الحشفة حتى آكلها، قال: لا أرضى لجليسي إلا ما أرضاه لنفسي.

وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما: لن لمن يجفو فقل من يصفو.

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: قليل للصديق الوقوف على قبره.

أبو زبيد الطائي:

إذا نلت الإمارة فاسم فيها ... إلى العلياء بالحسب الوثيق

فكل إمارة إلا قليلاً ... مغيرة الصديق على الصديق

ولا تك عندها حلواً فتحسى ... ولا مراً فتنشب في الحلوق

وأغمض للصديق عن المساوي ... مخافة أن أعيش بلا صديق

وقال موسى بن جعفر رضي الله عنهما؛ خير إخوانك المعين لك على دهرك، وشرهم من لك بسوق يومه.

كان أبو داود السجستاني أيام شبابه وطلبه للرواية قاعداً في مجلس، والمستملي في حدته، فجلس إليه فتى وأراد أن يكتب فقال له: أيها الرجل استمد من محبرتك، قال: لا، فانكسر الرجل، فأقبل عليه أبو داود، وقد أحسن بخجله: أما علمت أن من شرع في مال أخيه بالاستئذان، فقد استوجب بالحشمة الحرمان، فكتب الرجل من محبرته، وسمي أبو داود حكيماً.

وقال شاعر:

مولاك مولى عدو لا صديق له ... كأنه نفر أو عضه صفر

وقال ابن الحشرج:

فلا وأبيك لا أعطي صديقي ... مكاشرتي وأمنعه تلادي

وقال العجير:

بعيد من الشيء القليل احتفاظه ... عليك ومنزور الرضا حين يغضب

وقال آخر:." (١)

"قيل لأبي علي النصير: لم لا تتخذ الأصدقاء؟ قال: حتى أفرغ من الأعداء، فو الله لقد شغلوني بأنفسهم عن كل صديق يعينني عليهم، وإحالة العدو عن العداوة أولى من استدعاء الصداقة من الصديق.

قيل لرويم: ما الذي أقعدك عن طلب الصديق؟ قال: يأسي من وجدانه.

قيل لأعرابي: ألك صديق؟ قال: أما صديق فلا، ولكن نصف صديق، قيل: فكيف انتفاعك به؟ قال: انتفاع العريان بالثوب البالي.

قيل لصوفي: صف لنا الصديق؟ قال: هو الذي إذا عرض لك بالمكروه، صرحت أنت له بالمحبوب، وإذا صرح لك بالمحبوب ساعدته عليه.

قلت للأندلسي: مم أخذ لفظ الصديق؟ قال أخذ بنظر من الصدق، وهو خلاف الكذب. ومرة قال من الصدق، لأنه يقال: رمح صدق أي صلب، وعلى الوجهين، الصديق يصدق إذا قال، ويكون صدقاً إذا عمل، قال: وصدقة المرأة وصداقها وصدقتها كله منتزع من الصدق والصدق، وكذلك الصادق، والصديق، والصدوق والصدقة، والمتصدق والمصدق، كل هذا متواخ.

سمعت القاضي أبا حامد يقول: قلت للمنصوري: ما أشغفك بابن عبدك مع تشاكس ما بينكما في البلد والمذهب فقال: ذاك لأني وجدته كما قال الشاعر:

موفق لسبيل الرشد متبع ... يزينه كل ما يأتي ويجتنب

تسمو العيون إليه كلما انفرجت ... للناس عن وجهه الأبواب والحجب

له خلائق بيض لا يغيرها ... صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

وحدثنا حمد بن محمد كاتب ركن الدولة قال: دب بيني وبين أبي الفضل يعني ابن العميد بعض المفسدين فكتب إلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

إن تسفيق الكلام بيني وبينك موضوع، لأنك عن ذلك مرفوع، وقد رضيت أن تستأني فيما تسمع، فإذا صح به ذنب عاقبت بقدره، أباد أم أبقى، توسط أم تطرف، ولا أقول إلا ما قال الأول:

أطعت الوشاة الكاشحين ومن يطع ... مقالة واش يقرع السن من ندم

أتاني عدو كنت أحسب أنه ... علينا شفيق ناصح كالذي زعم

فلما تباثثنا الحديث وصرحت ... سرائره عن بعض ما كان قد كتم

تبين لي أن المحرش كاذب ... فعندي لك العتبي على رغم من زعم

(١) الصداقة والصديق، ص/٤

قيل لصوفي: من الصديق؟ قال: من لم يجدك سواه، ولم يفقدك من هواه.
وقيل للشبلي: من الرفيق؟ قال: من أنت غاية شغله، وأوكد فرضه ونفله. قيل له: فمن الشفيق؟ قال: من إن دهمتك محنة قذيت عينه لك، وإن شملتك منحة قرت عينه بك. قيل له: من الوافي؟ قال: من يحكي بلفظه كمالك، ويرعى بلحظه جمالك. قيل له: فمن الصاحب؟ قال: من إن غاب تشوفت إليه الأحباب، وإن حضر تلقحت به الألباب. قيل: فمن النديم؟ قال: من إن نأى ذكر عند الكاس، وإن دنا ملك بالاستئناس.
كتب محمد بن عبد الملك بن محمد الزيات إلى إبراهيم بن العباس الصولي أيام مقامه بالأهواز كتاباً يقول فيه: قلة نظرك لنفسك حرمتك سنا المنزلة، وإغفالك حظك حطك عن أعلى الدرجة، وجهلك بقدر النعمة أحل بك اليأس والنقمة حتى صرت من قوة الأمل معتاضاً شدة الوجل، ومن رجاء الغد متعوضاً يأس الأبد، وركبت مطية المخافة بعد مجلس الأمن والكرامة، وصرت معرضاً للرحمة بعد ما تكنفتك الغبطة، وقد قال الشاعر:
إذا ما بدأت امرءاً جاهلاً ... ببر فقصر عن حمله
ولم تره قابلاً للجمي ... ل ولا عرف الفضل من أهله
فسمه الهوان فإن الهوا ... ن دواء لذي الجهل من جهله
قد فهمت كتابك، وإغراقك وإطنابك، وإضافة ما أضفت بتزويق الكتب بالأقلام، وفي كفاية الله غنى عنك يا إبراهيم، وهوض منك، وهو حسبنا ونعم الوكيل.
فكتب إليه إبراهيم يستعطفه:
أخ كنت آوي منه عند إدكاره ... إلى ظل أفنان من العز باذخ
سعت نوب الأيام بيني وبينه ... فأقلعن منا عن ظلوم وصارخ
وإني وإعدادي لدهري محمداً ... كملتمس إطفاء نار بنافخ
فما نجع فكتب:
وكنت أخي بإخاء الزمان ... فلما نبا صرت حرباً عوانا
وكنت أذم إليك الزمان ... فأصبحت منك أذم الزمانا
وكنت أعدك للنائبا ... ت فها أنا أطلب منك الأمانا
فلم يثن ذلك محمداً فكتب إليه كتاباً غليظاً وكتب في آخره:." (١)
"أبا جعفر خف نبوة بعد دولة ... وعرج قليلاً عن مدى غلوائكا
فإن يك هذا اليوم يوماً حويته ... فإن رجائي في غد كرجائكا
فما مرت الأيام حتى كان من أمر محمد ما كان، وولي إبراهيم ديوان الرسائل فأمر أن ينشأ فيه رسالة بقلة طاعته ففعل.
كان بين أبي الخطاب الصابي وبين أبي كعب الداهية التي لا ترام بعد صداقة كانت زائدة على شبكة الرحم، ولحمة النسب،

(١) الصداقة والصديق، ص/١٧

فقيل له – أعني أبا الخطاب – كيف أنت مع ابن كعب فأنشد:

خليلان مختلف شأننا ... أريد العلاء ويبغي السمن

وكان ابن الجلاء الزاهد بمكة يقول لأصحابه: اطلبوا خلة الناس في هذه الدنيا بالتقوى تنفعكم في الدار الأخرى، ألم تسمعوا الله تعالى يقول: " الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين " .

وقال الحراني في تصنيف الناس: منهم من هو كالغذاء الذي يمسك رمقك ولابد لك منه على كل حال، لأنه قوام حياتك، وزينة دهرك، ومنهم من هو كالدواء يحتاج إليه في الحين بعد الحين على مقدار محدود، ومنهم من هو كالسهم الذي لا ينبغي أن تقربه فإنه سبب هلكتك.

قيل لأعرابي: كيف أنسك بالصديق؟ قال: وأين الصديق، بل أين الشبيه به، بل أين الشبيه بالشبيه به؟ والله ما يوقد نار الضغائن والذحول في الحي إلا الذين يدعون الصداقة، وينتحلون النصيحة، وهم أعداء في مسوك الأصدقاء وما أحسن ما قال حضريكم:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

وقال آخر:

إذا نوبة نابت صديقك فاغتنم ... مرمتها فالدهر بالناس قلب

وبادر بمعروف إذا كنت قادراً ... وحاذر زوالاً من غنى عنك يعقب

فأحسن ثوبيك الذي هو لابس ... وأفره مهريك الذي هو يركب

أيضاً:

اجعل صديقك من إذا أحببته ... حفظ الإخاء وكان دونك يضرب

واطلبهم طلب المريض شفاءه ... ودع اللئيم فليس ممن يصحب

يعطيك ما فوق المنى بلسانه ... ويروغ عنك كما يروغ الثعلب

واحذر ذوي الملق اللئام فإنهم ... في النائبات عليك ممن يخطب

فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتي ... والنصح أفضل ما يباح ويوهب

آخر:

خير إخوانك المشارك في الض ... ر وأين الشريك في الضر أينا؟

لا يني جاهداً يحوطك في الحض ... ر فإن غبت كان أذناً وعينا

أنت في معشر إذا غبت عنهم ... بدلوا كل ما يزينك شينا

وإذا ما رأوك قالوا جميعاً: ... أنت من أكرم البرايا علينا

وقلت لأبي المتيم الصوفي الرقي: كيف حالك مع فلان؟ قال: نتداوى بالرياء إلى أن يفرج الله، قلت: هلا تخالصتما عن الرياء والنفاق؟ فقال: والله إن خوفي من أن يصير الرياء والنفاق مكاشفة، والمكاشفة مفارقة، أشد من خوفي من الرياء.

والعجب أن المؤونة علينا في الصبر على هذه الحال أغلظ من المؤون لو تصافينا، إلا أن التصافي لا يكون مني وحدي، ولا منه وحده، ولعله يتمنى ذلك مني، كما أتمنى ذلك منه، ولكن لا يطابق ذلك مطابقة لحيلولة الزمان، والفساد العام، وغلبة ما لا سبيل إلى تغييره، طلعت الأرض بأهلها، والحاجة ماسة إلى كلمة طرية، ودعوة فاشية، وأمر جامع، حتى تأتلف القلوب، وتنتفي العيوب، وهذا إلى الله الذي خلق الخلق، ودبر الشأن، وتفرد بالغيب، وتعزز بالقدرة، وكما أن في السنة الواحدة للزمان أحوالاً في الحر المفرط، والحر المتوسط، والبرد المتوسط، كذلك للدهر المديد أحوال في الخير العام، والشر العام، والخير الخاص، والشر الخاص، والعاقل من لا يتمنى مالا يوجد، ولكن يصبر على ما يجد إن حلواً فحلواً، وإن مراً فمراً، إلى أن يأذن الله بالفرج من حيث لا يحتسب.

قال معمر صاحب عبد الرزاق: ما بقي من لذات الدنيا إلا محادثة الإخوان، وأكل القديد، وحك الجرب، والوقيعة في الثقلاء.

قال الشاعر:

وما بقيت من اللذات إلا ... محادثة الرجال ذوي العقول

وقد كانوا إذا عدوا قليلاً ... فقد صاروا أقل من القليل

قال الأحنف: لا خير في صديق لا وفاء له، ولا خير في منظر لا مخبر له، ولا خير في فقه لا ورع معه.." [1]

"كتب أبو بكر لرجل كتاباً في شيء جعله قطيعة له فحمله الرجل إلى عمر بن الخطاب ليمضيه: فلما نظر عمر فيه بزق عليه ومحاه، فعاد الرجل مستعراً إلى أبي بكر فقال: فعل عمر كذا وكذا، والله ما أدري أأنت الخليفة أو عمر، فقال أبو بكر: هو، إلا أنه أنا! وكان الزهري يرويه: إلا أنه أبلى، وعلى الوجهين المراد صحيح، والمرمى عال، والغاية بعيدة.

قيل لأعرابي: أبا لصديق أنت آنس أم بالعشيق؟ فقال: يا هذا الصديق لكل شيء، للجد والهزل، وللقليل والكثير، ولا عاذل عليه، ولا قادح فيه، وهو روضة العقل، وغدير الروح.

فأما العشيق فإنما هو للعين، وبعض الريبة، والعذل إليه من أجله سريع، وفي الولوع به إفراط مزجور عنه، وحد موقوف دونه، فأين هذا من ذاك؟ نهار بن توسعة:

عتبت على سلم فلما فقدته ... وجربت أقواماً بكيت على سلم

آخر:

ونعتب أحياناً عليه ولو مضى ... لكنا على الباقي من الناس أعتبا

قال أعرابي: تصف عقلك مع أخيك فالقه واستشره.

شاعر:

واحفظ صديق أبيك حين وجدته ... واحب الكرامة من بدا فحباكها

آخر:

---

(١) الصداقة والصديق، ص/١٨

قبح الإله عداوة لا تتقي ... وقرابة يدلى بها لا تنفع

آخر:

فتى لا يرزأ الخلان إلا ... مودتهم ويرزأه الخليل

آخر:

وكل إمارة عما قليل ... مغيرة الصديق على الصديق

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: المؤمن مألفة.

قال أبو سعيد السيرافي: معناه أنه يؤلف ولا يجوز أن يؤلف حتى يألف، فذكر المثال الذي يقع الفعل فيه ومنه.

وقال بعض السلف: خير الناس إلف الناس للناس.

وقال الشاعر:

أقلل زيارتك الصدي ... ق تكن كثوب تستجده

إن الصديق يغمه ... أن لا يزال يراك عنده

وقال أبو هريرة: لقد دارت كلمة العرب: زرغباً تزدد حباً إلى أن سمعت من الرسول صلى الله عليه وآله وأصحابه، ولقد قالها لي.

قال العسجدي: ليست هذه الكلمة محمولة على العام، ولكن لها مواضع يجب أن تقال فيها، لأن الزائر يستحقها، ألا يرى أنه صلى الله عليه وآله وأصحابه لا يقول ذلك لأبي بكر، ولا لعلي بن أبي طالب وأشباههما، فأما أبو هريرة فأهل لذاك لبعض الهنات التي يلزمه أن يكون مجانباً لها، وحائداً عنها وقد قال الشاعر:

إذا شئت أن تقلى فزر متواتراً ... وإن شئت أن تزداد حباً فزرغبا

آخر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

آخر:

زر قليلاً لمن يودك غباً ... فدوام الوصال داعي الملال

للعتابي:

ولقد أقول تصبراً وتكرماً ... لما تخرم ودك الأيام

إن تجفني فلطالما قربتني ... هذا بذاك وما عليك ملام

سعيد بن حميد:

إذا كثرت ذنوب من خليل ... فقفه بين وصل واجتناب

وأنظره فللأيام حكم ... بذلك كل ماضي العزم آب

وعاتبه فكم أبدي عتاب ... جلية مشكل بعد ارتياب

ورج النفع في الإعراض عنه ... إذا أخفقت من نفع العتاب

وراجعه بعفوك حين يثني ... عناناً للرجوع أو الإياب

فإن العفو عن ذي الحزم أولى ... إذا قدرت يداك على العتاب

فإنك واجد للحي ذنباً ... وتعدم ذنب من تحت التراب

آخر:

تغير لي فيمن تغير حارث ... وكم من فتى قد غيرته الحوادث

أحارث إن شوركت فيك فطالما ... عتبنا وما بيني وبينك ثالث

سعيد بن حميد:

جعلت لأهل الود ألا أريبهم ... بغدر، وإن مالوا إلى جانب الغدر

وإن أجزي الود الجميل بمثله ... وأقبل عذراً جاء من جهة العذر

واحملهم مني على حكم منصف ... تعلم حزم الرأي من عقب الدهر

وإن يدعني وصل أجبه ملبياً ... وإن يدعني هجر أجب داعي الهجر

وقال:

وكنت إذا ما صاحب مل صحبتي ... صددت، وبعض الصد في الحب أمثل

وقلت جميلاً حين أصرم حبله ... فإن كان لم يأت التي هي أجمل

وقال:." (١)

"قلت للهائم أبي علي: من تحب أن يكون صديقك؟ قال: من يطعني إذا جعت، ويكسوني إذا عرين، ويحملني إذا كللت، ويغفر لي إذا زللت، فقال له علي بن الحسين العلوي: أنت إنما تريد إنساناً يكفيك مؤونتك، ويكفلك في حالك، كأنما تمنيت وكيلاً فسميته صديقاً، فما أحار جواباً.

وقلت للبنوي ولقيته بالدسكرة سنة خمس وستين: من تحب أن يكون صديقك؟ قال: من يقيلني إذا عثرت، ويقومني إذا ازوررت ويهديني إذا ضللت، ويصبر علي إذا مللت، ويكفيني ما لا أعلم وما علمت.

وسمعت أبا عامر النجدي يقول: الصديق من صدقك عن نفسه لتكون على نور من أمرك، ويصدقك أيضاً عنك لتكون على مثله، لأنكما تقتسمان أحوالكما بالأخذ والعطاء، في السراء والضراء، والشدة والرخاء، فليس لكما فرحة، ولا ترحة، إلا وأنتما تحتاجان فيهما إلى الصدق والانكماش، والمساعدة على اجتلاب الحظ في طلب المعاش.

وقال أيضاً: قيل لأعرابي: ألك صديق؟ قال: لا ولكن أليف.

شاعر:

ويلقونني بالبشر ما دمت فيهم ... فإن غبت عنهم قطعوا الجلد بالسب

وأغضي على أشياء منك تريبني ... ولولا اصطباري فاض عن عظمها قلبي

---

(١) الصداقة والصديق، ص/٢٥

وما ذاك من ضعف ولا سوء محتد ... ولكن تناسي الذنب أقطع للذنب

آخر:

لقد أسمع القول الذي كاد كلما ... تذكرنيه النفس قلبي يصدع

فأبدي لمن أبداه مني بشاشة ... كأني مسرور بما منه أسمع

وما ذاك من عجب به غير أنني ... أرى أن ترك الشر للشر أقطع

آخر:

نغيب إذا غبنا بنصح ونلتقي ... بأحسن ما إلفان ملتقيان

ونخفي الهوى عمن أخاف وإننا ... إلى من أمناه لمشتكيان

آخر:

يحيي ويستحيي إذا ما لقيته ... وإن غبت أو وليت أرتع في عرضي

ولو شئت قد عض الأنامل نادماً ... وأوطأته عن ذاك في منزل دحض

ولكنه إحدى يدي فلم إجد ... سبيلاً إلى صول لبعضي على بعض

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر:

فأنت أخي ما لم يكن لي حاجة ... فإن عرضت أيقنت أن لا أخاليا

فلا ازداد ما بيني وبينك بعدما ... بلوتك في الحاجات إلا تماديا

وله:

أصد صدود امرىء مجمل ... إذا حال ذو الود عن حاله

ولست بمستعتب صاحباً ... إذا جعل الصرم من باله

ولكنني صارم حبله ... وذلك فعلي بأمثاله

وإني على كل حال له ... من إدبار ود وإقباله

لراع لأحسن ما بيننا ... لحفظ الإخاء وإجماله

وأنشد الأصمعي:

إذا ما امرؤ ساءتك منه خليقة ... ففي الصفح طي للذنوب جميل

وإني لأعطي المال من ليس سائلاً ... حفاظاً وإخوان الحفاظ قليل." (١)

"قد يحقر المرء ما يهوى فيركبه ... حتى يكون إلى توريطه سببا

شر الأخلاء من كانت مودته ... مع الزمان إذا ما خاف أو رغبا

إذا وترت امرءاً فاحذر عداوته ... من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

---

(١) الصداقة والصديق، ص/٢٩

آخر:

ليس الصديق الذي يعطيك شاهده ... شهد الوداد وخان الغيب غائبه

وقال عبيد بن الأبرص:

قد يوصل النازح النائي وقد ... يقطع ذو السهمة القريب

آخر:

تلوم على القطيعة من أتاها ... وأنت شببتها في الناس قبلي

آخر:

قد فرق الله بين شيمتنا ... في كل أمر فكيف نأتلف

قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما: من أفطر من أجل أخ له، ثم لم يمنن عليه عدل له ذلك بصيام شهر.

وقال الحسن البصري: لا ينظر الله إلى من بذل الود لأخيه حتى ائتمنه ثم انطوى له على غل.

شاعر:

وأخ إن جاءني في حاجة ... كان بالإلحاح مني واثقاً

وإذا ما جئته في حاجة ... كان بالرد بصيراً حاذقا

يعمل الفكرة لي في الرد من ... قبل أن أبدأ فيها ناطقا

آخر:

أراك مع الأعداء في كل موطن ... وقلبك من ضغن علي مريض

وما بي من فقر إلى أن تحبني ... وما ضرني أني إليك بغيض

وقال ابن عباس: العاقل الكريم صديق كل أحد، إلا من ضره، والجاهل اللئيم عدو لكل أحد إلا من نفعه.

وقال آخر:

لنا صديق مبغض للأدب ... إخوانه من جهله في تعب

يغضب حيناً عند حد الرضا ... نوكاً ويرضى عند حال الغضب

كأنه من سوء تأديبه ... أسلم في كتاب سوء الأدب

آخر:

الحمد لله عامل الصدقه ... كان صديقاً فقد لوى عنقه

آخر:

يا صديقي ما كنت لي بصديق ... إنما كنت للزمان صديقا

قال بعض السلف: أحق الناس بأن يتقى: العدو القوي، والصديق المخادع، والسلطان الغشوم.

شاعر:

إذا عدوك لم يظهر عداوته ... فما يضرك إن عاداك أشرار

وقال رجل لعمر بن الخطاب: والله إني لأحبك في الله، قال: لو كنت كما تقول لأهديت إلي عيوبي.

وقال أعرابي: السؤال عن الصديق أحد اللقائين.

شاعر:

من لم يكن ذا صديق ... يفضي إليه بسره

ويستريح إليه ... في خير أمر وشره

فليس يعرف طعماً ... لحلو عيش ومره

آخر:

وأبيض قد صادفته فدعوته ... إلى بدوات الأمر حلو شمائله

أخي ثقة إن أبتغ الجد عنده ... أجده ويلهيني إذا شئت باطله

وإني لمعراض عن المرء بعدما ... يبين وتبدو لو أشاء مقاتله

آخر:

أغيب عنكم بود لا يغيره ... طول البعاد ولا ضرب من الملل

آخر:

ولا يلبث الحبل الضعيف إذا التوى ... وجاد به الأعداء أن يتخذما

قال الحسن البصري: ليس من المروءة أن يربح الرجل على أخيه.

وقال الحسن: كان أحدهم يشق إزاره اثنين، ولا يستأثر دون أخيه بورق ولا عين.

وقال الحسن: لأن اقضي لأخ من إخواني حاجة أحب إلي من أن أصلي ألف ركعة.

وقال الحسن: ما تحاب اثنان ففرق بينهما إلا ذنب يحدثه أحدهما.

وقال الحسن: لا تشتر مودة ألف بعداوة واحد.

وقال الشاعر:

إذا ما امرؤ ولى علي بوده ... وأدبر لم يهدر بإدباره ودي

قيل لأعرابي: كيف ينبغي أ، يكون الصديق؟ قال: مثل الروح لصاحبه، يحييه بالتنفس، ويمتعه بالحياة ويريه من الدنيا نضارتها، ويوصل إليه نعيمها ولذتها.

وأخبرنا ابن مقسم العطار النحوي قال: أنشدنا ثعلب لأعرابي:

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه ... بحلمي عنه وهو ليس له حلم

إذا سمته وصل القرابة سامني ... قطيعتها، تلك السفاهة والظلم

ويسعى إذا أبني ليهدم صالحي ... وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم

يحاول رغمي لا يحاول غيره ... وكالموت عندي أن يسوغ له الرغم

فإن أنتصر منه أكن مثل رائش ... سهام عدو يستهاض بها العظم." (١)

"كاتب: عرفني وقتك أوافقك فيه خالياً، لا تزاحمني الألسن فيه على محادثتك، ولا الأعين عن النظر إليك لأقضي حق المودة، وآخذ بثأر الشوق.

الأخطل:

بني أمية إني ناصح لكم ... فلا يبتن فيكم آمناً زفر

واتخذوه عدواً إن ظاهره ... وما يغيب من أخلاقه دعر

مسكين الدارمي:

إذا ما خليلي خانني وائتمنته ... فذاك وداعيه وذاك وداعها

رددت عليه وده وتركته ... مطلقة لا يستطاع رجاعها

وإني امرؤ مني الحياء الذي ترى ... أعيش بأخلاق قليل خداعها

قيس بن الخطيم:

إذا ضيع الإخوان سراً فإنني كتوم لأسرار العشير أمين

يكون له عندي إذا ما ائتمنته ... مكان بسوداء الفؤاد مكين

شاعر:

ارى قوماً وجوههم حسان ... إذا كانت حوائجهم إلينا

فإن كانت حوائجنا إليهم ... تغير حسن أوجههم علينا

ومنهم من سمنع ما لديه ... ويغضب حين نمنع ما لدينا

فإن يك فعلهم سمجاً وفعلي ... قبيحاً مثله فقد استوينا

قيل لأعرابي: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت بين حاذف وقاذف، وبين ستوق وزائف.

شاعر قديم:

أناجي أخي في كل حق وباطل ... وأرغمه حتى يمل ملائلي

فإن رامه بالظلم غيري وجدتني ... له باذلاً من ذاك نفس مقاتلي

فأظلمه جهدي وأمنع ظلمه ... بجهدولا أخليه شحمة آكل

فإن سيم خسفاً أو هواناً تربدت ... قسائم وجهي واعترتني أفاكلي

وخضت غمار الموت دون مناله ... حفاظاً ولم أسلم أخي للمناضل

وهذه أبيات تصلح للحفظ لما فيها من شرف اللفظ، وحسن الرونق، وصحة المعنى، وطراز العرب غير طراز المتشبهين بهم،

---

(١) الصداقة والصديق، ص/٥٥

ولعمري إن حسبية الطبع أكثر ماء، وأبهى نضارة من مثقف التكلف، والجواهر تشرف بمعادنها، والفروع تزدهي بأصولها، والنجوم بأفلاكها، ومن الغي أن يقال: الأفلاك بنجومها.

قال عبد الله بن طاهر:

طلبت أخاً محضاً صحيحاً مسلماً ... نقياً من الآفات في كل موسم

لأمنحه ودي فلم أجد الذي ... طلبت، ومن لي بالصحيح المسلم

فلما بدا لي أنني غير مبتلى ... من الناس إلا بالمريض المسقم

صبرت ومن يصبر يجد غب ضره ... ألذ وأشهى من جنى النحل في الفم

ومن لم يطب نفساً ويستبق صاحباً ... ويغفر لأهل الود يصرم ويصرم

تفقد هذا النحت لهذا المحدث من ذلك النحت لذلك الأعرابي، فإنك تجد بين الديباجتين، بالحسن الصحيح، فرقاً يشهد لك بتقدم الدعي على الصريح.

قد تكرر اعتذاري من طول هذه الرسالة، هذا وكان ظني في أولها أنها تكون لطيفة خفيفة، يسهل انتساخها وقراءتها، فماجت بشجون الحديث، وروادف من الطيب والخبيث، فاقبل حاطك الله هذا العذر الذي قد بدأته وأعدته، ونشرته وطويته، على أنك لو علمت في أي وقت ارتفعت هذه الرسالة، وعلى أي حال تمت، لتعجبت، وما كان يقل في عينك منها، يكثر في نفسك، وما يصغر منها ينقدك، يكبر بعقلك، والله أسأل خاتمة مقرونة بغنيمة، وعاقبة مفضية إلى كرامة، فقد بلغت شمسي رأس الحائط، والله أستعين على كل ما هم النفس، ووزع الفكر، وأدنى من الوسواس، إنه نعم المعين، على أمور الدنيا والدين، والحمد لله رب العالمين، وصلواته على نبيه المصطفى محمد وآله الطيبين، والطاهرين أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.." (١)

"والجمال في عذرة والعشق كثيرٌ، قيل لأعرابي من العذريين: ما بال قلوبكم كأنها قلوب طيرٍ تنماث كما ينماث الملح في الماء؟ أما تجلدون؟! قال: إنا لننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون إليها! وقيل لآخر: ممن أنت؟ فقال: من قومٍ إذا أحبوا ماتوا، فقالت جاريةٌ سمعته: عذري ورب الكعبة.

وعشق جميلٌ بثنية وهو غلامٌ صغير فلما كبر خطبها فرد عنها، فقال الشعر فيها، وكان يأتيها سراً، ومنزلها وادي القرى، فجمع له قومها جمعاً ليأخذوه إذا أتاها، فحذرته بثنية، فاستخفى وقال: أأ

ولو أَنَّ أَلْفاً دُونَ بَثْنَةَ كُلُّهُمْ ... غَيَارَى وَكُلُّ حارِبٌ مُزْمِعُ قَتْلِي

لَحاولْتُها إِمَّا نَهاراً مُجاهِراً ... وإِمَّا سُرَى لَيْلٍ ولو قُطِعتْ رِجْلي

وهجا قومها فاستعدوا عليه مروان بن الحكم، وهو يومئذ عامل معاوية على المدينة، فنذر ليقطعن لسانه، فلحق بجذام، وقال:

أَتَانِيَ عن مَرْوانَ بالغَيْبِ أَنَّه ... مُقِيدٌ دَمِي أَو قاطِعٌ من لِسانِيَا

---

(١) الصداقة والصديق، ص/٨٥

فَفِي العِيس مَنْجاةٌ وفي الأَرضِ مَهْرَبٌ ... إِذَا نَحْنُ رَفَّعْنا لَهُنَّ المَثَانِيَا

فأقام هناك إلى أن عزل مروان عن المدينة، وانصرف إلى بلاده، وكان يختلف إليها سراً.

وكان لبثينة أخ يقال له جواسٌ، فشبب بأخت جميل، فغضب جميلٌ وتواعدا لمراجزةٍ، فغلبه جميل، ولما اجتمعوا لذلك قال أهل تيماء: يا جميل قل في نفسك ما شئت فأنت الباسل الجواد الجميل، ولا تقل في أبيك شيئاً فإنه كان لصاً بتيماء في شملة لا تواري استه! وقالوا لجواسٍ: قل وأنت دونه في نفسك، فقل ما شئت في أبيك، فإنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال كثيرٌ: قال لي جميلٌ: خذ لي موعداً من بثينة! قلت له: هل بينك وبينها علامةٌ؟ فقال لي: عهدي بها وهم بوادي الدوم يرحضون ثيابهم، فأتيتهم فأجد أباها قاعداً بالفناء، فسلمت فرد، وحادثته ساعةً حتى استنشدني، فأنشدته:

فقلتُ لها يا عَزَّ أَرسَلَ صاحبي ... على نَأْيِ دارٍ والمُوَكَّلُ مُرْسَلُ

بأَنْ تَجْعَلِى بَيْنِى وبَيْنَك مَوْعِداً ... وأنْ تَأْمُرِينِى بالذِى فيه أَفْعَلُ

وآخِرُ عَهْدٍ منك يَوْمَ لَقِيتِنِى ... بأَسْفَلِ وادِى الدَّوْمِ والثُّوْبُ يُغْسَلُ

فضربت بثينة جانب الخدر وقالت: اخسأ! فقال لها أبوها: مهيم يا بثينة؟ قالت: كلب يأتينا إذا نوم الناس من وراء هذه الرابية، قال: فأتيت جميلاً فأخبرته أنها واعدته وراء الرابية إذا نوم الناس! قال أبو محمد: هكذا حدثنا دعبل بن علي الشاعر، وأما أبو عبد الله الزبيري فقال: التقى جميلٌ وكثيرٌ، فشكا أحدهما، لصاحبه أنه محصرٌ لا يقدر أن يزور، فقال جميلٌ لكثير: أنا رسولك إلى عزة، فأخبرني بآخر عهدٍ كان لك بها؟ قال كثير: فأن آخر عهدي أني مررت بها وبجواريها يغسلن ثياباً بأسفل وادي الدوم، فأتهم فانشدهم ثلاث ذودٍ سودٍ ثم انظر ما يقال لك! فأتاهم جميلٌ فجعل ينشدهم الذود، فقالت له جاريتها: لقد رأيت ثلاثاً سوداً مررن بالقاع خلفنا، ثم عهدي بهن وإحداهن تحتك بالطلحة ومضى سائرهن، فانصرف جميلٌ حتى أتى كثيراً فأخبره، فلما كان في بعض الليل أتيا الطلحة وأتته عزة وصاحبةٌ لها معها، فتحادثا طويلاً، وجعل كثير يرى عزة تنظر نحو جميلٍ، وكان جميل جميلاً، وكان كثير دميماً، فغضب كثيرٌ وغار، فقال لجميل: انطلق بنا قبل أن نصبح، فانطلقا، وقال:

رَأَيْتُ ابْنَةَ الضَّمْرِيّ عَزَّةَ أَصْبَحَتكمُحْتَطبٍ ما يَلْقَ باللَّيلِ يَحْطِب

وكانَتْ تُمَنِّينَا وتَزْعُمُ أَنَّها ... كَبَيْضَ الأَنُوقِ في الصَّفَا المُتَنَصِّب." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٨٣ """""""

وقيل لأعرابي : من أبلغ الناس : قال : أقلهم لفظا ، وأحسنهم بديهة .

قال الإمام فخر الدين الرازي في حد البلاغة : إنها بلوغ الرجل بعبارته . كنه ما يقول في قلبه ، مع الاحتراز عن الإيجاز المخل والتطويل الممل .

قال فيلسوف : كما أن الآنية تمتحن بأطنانها فيعرف صحيحها ومكسورها فكذلك الإنسان يعرف حاله بمنطقه .

---

(١) الشعر والشعراء، ص/٨٩

مر رجل على أبي بكر ومعه ثوب فقال له أبو بكر : أتبيعه ؟ فقال : لا يرحمك الله ، فقال أبو بكر : لو تستقيمون لقومت ألسنتكم ، هلا قلت لا ويرحمك الله ؟ .

قال كاتب الأحرف : إعتراض أبي بكر غير وارد على ذلك الرجل لاحتمال أن يكون قصده من قوله : لا يرحمك الله معنى غير محتاج إلى الواو فتأمل .

وحكي أن المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شيء . فقال : لا وأيد الله أيد الأمير فقال المأمون : ما أظرف هذا الواو وما أحسنها في موضعها .

وكان الصاحب يقول هذا الواو أحسن من واوات الأصداغ . قالت الأشاعرة : شكر المنعم ليس بواجب أصلا ، ومثلوها بتمثيل ، فقالوا : وما مثله إلا كمثل الفقير حضر مائدة ملك عظيم يملك البلاد شرقا وغربا يعم البلاد وهبا ونهبا فتصدق عليه بقلمة خبز ، فطفق يذكره في المجامع ، ويشكره عليها بتحريك أنملته دائما لأجله ، فإنه يعد استهزاء بالملك ، فكذا هنا ، بل اللقمة بالنسبة إلى الملك وما يملكه أكثر مما أنعم الله به على العبد بالنسبة إلى الله وشكر العبد في قلتها أقل قدرا في جنب الله من شكر الفقير بتحريك أصبعه . وأتت المعتزلة بتمثيل آخر أحسن منه ، فقالوا التمثيل المناسب للحال أن يقال : إذا كان في زاوية الخمول وهاوية الذهول رجل أخرس اللسان ، مشلول اليدين والرجلين ، فاقد السمع والبصر ، بل لجميع الحواس الظاهرة والمشاعر الباطنة ، فأخرجه الملك من تلك الهاوية ، وتلطف عليه بإطلاق لسانه وإزالة شلل أعضائه ، ووهب له الحواس لجلب المنافع ودفع المضار ورفع رتبته وكرمه على كثير من أتباعه وخدمه ، ثم إن ذلك الرجل بعد وصول تلك النعم الجليلة إليه ، وفيضان تلك التكريمات عليه ، طوى عن شكر ذلك الملك كشحا وضرب عنه صفحا ولم يظهر منه ما ينبيء عن الإشعار بشيء من تلك النعم أصلا ، بل كان حاله قبلها كحاله بعدها من غير فرق بين وجودها وعدمها فلا ريب أنه مذموم بكل لسان ومستحق للإهانة والخذلان .

وحكي أن بعضهم دخل على عدوه من النصارى فقال له : أطال الله بقائك ، وأقر عينك ، وجعل يومي قبل يومك ، والله إنه يسرني ما يسرك ، فأحسن إليه وأجازه على دعائه وأمر له بصلة ولم يعرف لحن كلامه ، فإنه كان دعا عليه ؛ لأن معنى أطال الله بقائك لوقوع المنفعة للمسلمين به لأداء الجزية ، وأقر عينك : معناه سكن الله حركتها فإذا سكنت ،." [1]

"""""""""" صفحة رقم ٤٤ """""""""

من كتاب عدة الداعي ونجاح الساعي قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه للمفضل بن صالح : يا مفضل إن لله عبادا عاملوه بخالص من سره فعاملهم بخالص من بره ، فهم الذين تمر صحفهم يوم القيامة فرغا فإذا وقفوا بين يديه ملأها من سر ما أسروا إليه ، قال : فقلت : مولاي ولم ذلك ؟ قال : أجلهم أن تطلع الحفظة على ما بينه وبينهم .

قيل : قريبا من هذا المضمون ، وأظنه بابا فغاني .

قيل لأعرابي : إن الله محاسبك غدا ، فقال : سررتني يا هذا إذن إن الكريم إذا حاسب تفضل .

---

(١) الكشكول ، ٢٨٣/١

حكي أنه حاك بعض العارفين ثوبا وتأنق في صنعته فلما باعه رد عليه بعيوب فيه فبكى فقال المشتري : يا هذا لا تبك فقد رضيت به ، فقال : ما بكائي لذلك بل لأني بالغت في صنعته وتأنقت فيه جهدي فرد علي بعيوب كانت خفية عني فأخاف أن يرد علي عملي الذي أنا أعمله هذا أربعين سنة .

قيل لبعض العارفين : كيف أصبحت ؟ قال : أسفا على أمسي ، كارها ليومي مهنا ، لغدي .

صواب الرأي بالدول ، ويذهب بذهابها .

شعر

أرى ناسا بأدنى الدين قد قنعوا . . . ولا أراهم رضوا بالعيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك . . . كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

إذا املقتم فتاجروا الله بالصدقة . من ظن بك خيرا فصدق ظنه . كفى بالأجل حارسا .

شتان بين عملين عمل تذهب لذته ، وتبقى تبعته ، وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره .

برهان على إبطال الجزء مما سنح بخاطر كاتب الأحرف نفرض دائرة مركبة من الأجزاء ، ونخرج فيها خطين مارين بالمركز من طرفها جزء واحد من محيط الدائرة فهما متقاطعان على المركز ، فالإنفراج الذي بينهما قبل التقاطع ، إما أن يكون بقدر الجزء أو أكثر أو أقل ، والكل باطل ، لاستلزام الأول كون المتقاطعين متوازنين ، والثاني كون المتقاربين في جهة المتباعدين فيها ، والثالث الإنقسام .

من النهج والذي وسع سمعه الأصوات : ما من أحد أودع قلبا سرورا إلا وخلق الله." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٥٩ """""""

قال بعضهم : إن الأمل رفيق مؤنس ، إن لم يبلغك فقد ألهاك .

مجنون ليلى :

أماني من ليلى حسان كأنما

سقتني بها ليلى على ظلما بردا

منى إن تكن حقا غاية المنى

وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا

لبعضهم :

أعلل بالمنى قلبي لأني

أذود الهم بالتعليل عني

وأعلم أن وصلك لا يرجى

ولكن لا أقل من التمني

---

(١) الكشكول ، ٢/٤٤

قيل لأعرابي : ما لذة الدنيا ؟ فقال في ثلاث : ممازحة الحبيب ، ومحادثة الصديق ، وأماني تقطع بها أيامك :

ابن أبي حازم :

طب عن الأمة نفسا

وارض بالوحدة أنسا

ما عليها أحد يسوى

على الخبرة فلسا

محمود الوراق :

أظهروا للناس دينا

وعلى المنقوش داروا

وله صلوا وصاموا

وله حجوا وزاروا

لو علا فوق الثريا

ولهم ريش لطاروا

تركان : اسم امرأة فصيحة ، جيدة الشعر ، فمن شعرها إلى رجل خاشنها في كتابه كتبها إليها :

قد راينا تنكرا

وسمعنا تنقصا

وأتانا كتابكم

أمس في كفه عصا

وتخرصتم الذنوب

علينا تخرصا

فعلمنا بأنكم

تشتهون التخلصا

أمر بعض الخلفاء لبعض الفقهاء بكيس فيه دراهم ، فقال : يا أمير المؤمنين آخذ الخيط ؟ فقال له الخليفة : ضع الكيس .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٧٥ """""""

قال بوزرجمهر : من لم يكن له أخ يرجع إليه في أموره ، ويبذل نفسه وما له في شدته فلا يعدن نفسه من الأحياء .

وقال بعض الحكماء : لا تساغ مرارة الحياة ، إلا بحلاوة الإخوان الثقات .

---

(١) الكشكول . ، ١٥٩/٢

وقال بعضهم : من لقي الصديق الذي يفضي إليه بسره ، فقد لقي السرور بأسره وخرج من عقال لهم بعمره .

وقيل : لقاء الخليل يفرج الكروب ، وفراقه يقرح القلوب .

من كتاب أدب الكاتب يذهب الناس إلى أن الظل والفيء واحد ، وليس كذلك : لأن الظل يكون من أول النهار إلى آخره ومعنى الظل الستر ، والفيء لا يكون إلا بعد الزوال ولا يقال لما كان قبل الزوال فيء ، وإنما سمي فيئا : لأن الظل فاء من جانب إلى جانب : أي رجع من جانب المغرب إلى جانب المشرق ، والفيء الرجوع قال الله تعالى : ' حتى تفيء إلى أمر الله ' أي ترجع .

قيل لأعرابي : كيف حالك ؟ فقال : بخير أمزق ديني بالذنوب وأرقعه بالإستغفار وإليه ينظر قول الشاعر :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

لبعضهم

ولما توافينا بمنعرج اللوى بكيت إلى أن كدت بالدمع أشرق

فقالت أتبكي ؟ والتواصل بيننا فقلت ألسنا بعده نتفرق ؟

قال بعضهم : عشيرتك من أحسن عشرتك ، وعمك من عمك خيره ، وقريبك من قرب منك نفعه .

قال ابن السكين : الشرف والمجد يكونان بالآباء ، يقال رجل شريف ماجد أي له آباء متقدمون في النبالة والشأن ، وأما الحسب والكرم فيكونان في الرجل وإن لم يكن له آباء ذو نبل وشرف .

لبعض الأعراب :

تسبق أموالنا مؤملنا . . . لا يعترينا مطل ولا بخل

تسمح قبل السؤال أنفسنا . . . بخلا على ماء وجه من يسل." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٥٦ """""""

فلما استهانوا بتوبيخنا

فزعنا إلى الله حتى كفى

فماتوا على دين رسطاطليس

ومتنا على ملة المصطفى

قيل لأعرابي على مائدة بعض الخلفاء – وقد حضر فالوذج وهو يأكل منه – يا هذا ، إنه لم يشبع منه أحد إلا مات ، فأمسك يده ساعة ، ثم ضرب بالخمس وقال : استوصوا بعيالي خيرا .

حكى الأصمعي قال : نزلت في بعض الأحياء ، فنظرت إلى قطع من القديد منظومة

---

(١) الكشكول ، ٢/١٧٥

في خيط ، فأخذت في أكلها ، فلما استوفيتها أقبلت المرأة صاحبة الخباء وقالت : أين ما كان في الخيط ؟ فقلت : أكلته ، فقال : ليس هذا مما يؤكل ، إنني امرأة أخفض الجواري ، وكلما خفضت جارية علقت خفضتها في هذا الخيط .

كان الجاحظ قبيح الصورة جدا ، حتى قال الشاعر فيه :

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا

ما كان إلا دون قبح الجاحظ

قال يوما لتلامذته : ما أخجلني إلا امرأة أتت بي إلى صائغ ، فقالت : مثل هذا ، فبقيت حائرا في كلامها ، فلما ذهبت سألت الصائغ ، فقال : استعملتني أن أصنع لها صورة جني فقلت : لا أدري كيف صورته ، فأتت بك . .

جلس كسرى يوما للمظالم ، فتقدم إليه رجل قصير وجعل يقول : أن مظلوم وهو لا يلتفت إليه ، فقال الوزير : أنصف الرجل ، فقال : إن القصير لا يظلمه أحد . فقال : أصلح الله الملك ، إن الذي ظلمني أقصر مني .

قال حائك للأعمش : ما تقول في الصلاة خلف الحائك ؟ قال : لا بأس بها على غير وضوء . قال : فما تقول في شهادته ؟ قال : تقبل مع عدلين يشهدان معه .

لبعضهم :

والله والله وحق الهوى

وعيشنا الماضي وودي القديم

ما خطر السلوان في خاطري

أعوذ بالله السميع العليم

ولي أعرابي اليمن ، فجمع اليهود فقال : ما تقولون في عيسى ؟ قالوا : قتلناه وصلبناه ، فقال : لا تخرجوا من السجن حتى تؤدوا ديته .

عزم الحجاج على قتل رجل فهرب واستخفى منه ، ثم جاء إليه بعد أيام وقال : أيها." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٧١ """""""

كن مثل ماش فوق أرض

الشوك تحذر ما ترى

لا تحقرن صغيرة

إن الجبال من الحصا

---

(١) الكشكول. ، ٢٥٦/٢

قال رجل لبعض الظرفاء : ابتلاك الله بحب فلانة ، وكانت قبيحة الشكل ، فقال : يا أحمق ، لو ابتليت بحبها لكانت أحسن في عيني من الحور العين .

قال مالك بن دينار لراهب : عظني ، فقال إن قدرت أن تجعل بينك وبين الناس سورا فافعل .

كان بعضهم يقول : اللهم احفظني من صديقي ، فقيل له : في ذلك ، فقال : لأني أتحرز من العدو ، ولا أقدر أن أتحرز من الصديق .

قال في الكشاف : قيل لإبراهيم بن أدهم : مالنا ندعو ولا نجاب ؟ فقال لأنه دعاكم فلم تجيبوه ، ثم قرأ :) والله يدعو إلى دار السلام (.) ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات (.

سئل سقراط : ما سبب فرط نشاطك وقلة حزنك ؟ فقال : لأني لا أقتني ما إذا فقدته حزنت عليه .

لبعضهم :

كم تدعي بطريق القوم معرفة

وأنت منقطع والقوم قد وصلوا

فانهض إلى ذروة العلياء مبتدرا

عزما لترقى مكانا دونه زحل

فإن ظفرت به قد حزت مكرمة

بقاؤها ببقاء الله متصل

وإن قضيت بهم وجدا فأحسن ما

يقال عنك قضى من وجده الرجل

من وصية للنبي [ ] : إن النور إذا وقع في القلب انشرح وانفسخ ، قيل يا رسول الله فهل لذلك علامة ؟ فقال : نعم ، التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله .

ابن مسعود : من اشتاق إلى الجنة نازع في الخيرات ، ومن خاف النار ترك الشهوات . ومن ترقب الموت زهد في الدنيا وهانت عليه المصيبات .

قال بعض العارفين : من استثقل سماع الحق كان للعمل به أشد استثقالا .

قيل لأعرابي : ما تقرأ في صلاتك ؟ قال : هجو أبي لهب ونسبة الرب ، أي سورة الإخلاص .." (١)

"وينشد في الرأي بعد فوته : وعاجز الرأي مضياع لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدرا ومن قولنا في هذا المعنى : فلئن سمعت نصيحتي وعصيتها ما كنت أول ناصح معصي وقال حبيب في بني تغلب عند إيقاع مالك بن طوق بهم : لم يألكم مالك صفحاً ومغفرةً ولو ينفخ قين الحي في فحم

حفظ الأسرار

وقالوا : سرك من دمك فانظر أين تريقه .

يعنون أنه ربما كان في إفشائه سفك دمك .

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف : ولا تفش سرك إلا إليك فإن لكل نصيح نصيحا فإني رأيت غواة الرجا ل لا يتركون أديماً صحيحا وقالت الحكماء : ما كنت كاتمه من عدوك فلا تطلع عليه صديقك .

وقال عمرو بن العاص : ما استودعت رجلاً سراً فأفشاه فلمته لأني كنت أضيق صدراً منه حين استودعته إياه حتى أفشاه .

وقال الشاعر : إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق **قيل لأعرابي** : كيف كتمانك للسر أجحد المخبر وأحلف للمستخبر .

وقيل لآخر : كيف كتمانك للسر قال : ما قلبي له إلا قبر .

وقال المأمون : الملوك تحتمل كل شيء إلا ثلاثة أشياء : القدح في الملوك وإفشاء السر والتعرض للحرم .

وقال الوليد بن عتبة لأبيه : إن أمير المؤمنين أسر إلي حديثاً ولا أراه يطوي عنك أفلا أحدثك به قال : لا يا بني إنه من كتم سره كان الخيار له ومن أفشاه كان الخيار عليه فلا تكن مملوكاً بعد أن كنت مالكاً .

وفي كتاب التاج .

أن بعض ملوك العجم استشار وزيريه فقال أحدهما : لا ينبغي للملك أن يستشير منا أحد إلا خالياً به فإنه أموت للسر وأحزم للرأي وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض .

فإن إفشاء السر إلى رجل واحد أوثق من إفشائه إلى اثنين وإفشائه إلى ثلاثة كإفشائه إلى جماعة لأن الواحد رهن بما أفشي والثاني مطلق عنه بذلك الرهن والثالث علاوة فيه فإذا كان السر عند واحد كان أحرى أن لا يظهره رغبة ورهبة وإن كان اثنين دخلت على الملك الشبهة .." (٢)

"فقال مروان : من يخرج إليه وله عشرة آلاف قال : فلما سمعت عشرة آلاف هانت علي الدنيا وسخوت بنفسي في سبيل عشرة آلاف وبرزت إليه فإذا عليه فرو قد أصابه المطر فارمعل ثم أصابته الشمس فاقفعل وله عينان تتقدان كأنهما

---

(١) الكشكول . ، ٢٧١/٢

(٢) العقد الفريد، ص/٣٨

جمرتان .

فلما رآني فهم الذي أخرجني فأقبل نحوي وهو يرتجز ويقول : وخارج أخرجه حب الطمع فر من الموت وفي الموت وقع " من كان ينوي أهله فلا رجع " فلما رأيته قنعت رأسي ووليت هارباً ومروان يقول : من هذا الفاضح لا يفتكم فدخلت في غمار الناس .

وقيل لأعرابي : ألا تغزو العدو قال : وكيف يكونون لي عدواً وما أعرفهم ولا يعرفوني وقيل لآخر : ألا تغزو العدو قال : والله إني لأبغض الموت على فراشي فكيف أخب إليه راكضاً .." (١)

"وقال آخر: لا تجفُ أرضاً بها قوا بلك، ولا تشكُ بلداً فيه قبائلك.

وقال أصحاب القيافة في الاسترواح: إذا أحسَّت النفس بمولدها تفتَّحتْ مسامُّها فعرفت النَّسيم.

وقال آخر: يحنُّ اللبيب إلى وطنه، كما يحنُّ النَّجيبُ إلى عطنه.

وقال: كما أنَّ لحاضنتك حقَّ لبنها، كذلك لأرضك حرمة وطنها.

وذكر أعرابيٌّ بلدةً فقال: رملةٌ كنت جنين رُكامها، ورضيع غمامها، فحضنتني أحشاؤها، وأرضعتني أحساؤها.

وشبَّهت الحكماء الغريب باليتيم اللَّطيم الذي ثكل أبويه، فلا أُمَّ ترأمه، ولا أبَ يحدب عليه.

وقالت أعرابية: إذا كنت في غير أهلك فلا تنسَ نصيبك من الذلّ.

وقال الشاعر:

لعمري لرهطُ المرءِ خيرٌ بقيَّةً ... عليه وإن عالوْا به كلَّ مركبِ

إذا كنت في قومٍ عدىً لست منهم ... فكُلْ ما عُلفت من خبيثٍ وطيِّبِ

وفي المثل: " أوضحُ من مرآة الغريبة " . وذلك أن المرأة إذا كانت هديّاً في غير أهلها، تتفقَّد من وجهها وهيئتها ما لا تتفقَّده وهي في قومها وأقاربها، فتكون مرآتها مجلوَّةً تتعهَّد بها أمر نفسها. وقال ذو الرمّة:

لها أُذنٌ حشْرٌ وذفرى أسيلةٌ ... وخدٌّ كمرآة الغريبة أسجحُ

وكانت العرب إذا غزتْ وسافرتْ حملتْ معها من تُربة بلدها رملاً وعفراً تستنشقه عند نزْلةٍ أو زكام أو صُداع. وأُنشد لبعض بني ضبَّة:

نسير على علمٍ بكُنه مسيرنا ... وعُدّةِ زاد في بقايا المزاودِ

ونحمل في الأسفار ماء قبيصةٍ ... من المنشأ النائي لحبِّ المراودِ

وقال آخر: أرضُ الرَّجل أوضحُ نسبه، وأهله أحضر نشبه.

وقيل لأعرابيّ: كيف تصنع في البادية إذا اشتدَّ القيظُ وانتعل كلُّ شيء ظلَّه؟ قال: وهل العيش إلا ذاك، يمشي أحُدنا ميلاً فيرفضُّ عرقاً، ثم ينصب عصاه ويلقى عليها كساءه، ويجلس في فيئه يكتال الرِّيح، فكأنَّه في إيوان كسرى!.

وقيل لأعرابيّ: ما أصبركم على البدو؟ قال: كيف لا يصبر من وطاؤه الأرض، وغطاؤه السماء، وطعامه الشَّمس، وشرابه

---

(١) العقد الفريد، ص/٨٠

الريح! والله لقد خرجنا في إثر قومٍ قد تقدَّمونا بمراحل ونحن حُفاة، والشَّمس في قُلَّة السماء، حيث انتعل كلُّ شيءٍ ظلَّه، وأنَّهم لأسوأُ حالاً منّا، إنّ مهادهم للعفر، وإنَّ وسادهم للحجر، وإنّ شعارهم للهواء، وإنّ دثارهم للخواء.

وحدّثني التوّزيُّ عن رجلٍ من عُرينة قال حدّثني رجلٌ من بني هاشمٍ قال: قلتُ لأعرابي من بني أسد: من أين أقبلت؟ قال: من هذه البادية. قلت: وأين تسكن منها؟ قال: مساقط الحمى حمى ضريّة، بها لعمر الله ما نُريد بدلاً، ولا نبغي عنها حولا، أمّا الفلوات، فلا يملوْلح ماؤها، ولا يحمى ترابها، ولا يُعمر جنابها، ليس فيها أذىً ولا قذىً، ولا أنينٌ ولا حُمَّى؛ فنحن بأرفه عيشٍ وأرفع نعمْة! قلت: فما طعامكم فيها؟ قال: بخٍ بخ! عيشُنا والله عيشٌ تعلَّل جادبه، وطعامنا أطيب طعامٍ وأهنؤه: الهبيد والضِّبّاب واليرابيع، والقنافذ والحيَّات، وربَّما والله أكلْنا القدّ، واشتوينا الجلْد، فلا نعلم أحداً أخصب منّا عيشاً، فالحمد لله على ما بسط من السَّعة، ورزق من الدَّعة، أو ما سمعت قول قائلنا وكان والله عالماً بلذيذ العيش:

إذا ما أصبنا كلَّ يومٍ مُذيقةً ... وخمس تُميراتٍ صغارٍ كنائزِ

فنحن ملوك الأرض خصْباً ونعْمةً ... ونحن أسود الغاب عند الهزاهزِ

وكم متمنٍّ عيْشنا لا يناله ... ولو ناله أضحى به حقَّ فائزِ

ولهذا خبر طويلٌ وصف فيه نُوقاً أضلَّها، واقتصرنا منه على ما وصف من قناعته بوطنه.." (١)

"وأنزلني طولُ النَّوى دار غرْبةٍ ... إذا شئتُ لاقيت امرأً لا أشاكلُه

فحامقتُه حتَّى يقالُ سجيّةٌ ... ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أعاقلُه

ولو كنتُ في قومي وجُلِّ عشيرتي ... لألفيت فيهم كلّ خرقٍ أواصلُه

وأنشد لذي الرمة:

إذا هبَّت الأرواح من نحو جانبٍ ... به أهلُ ميٍّ هاج قلبي هبوبُها

هوىً تذرف العينان منه، وإنّما ... هوى كلِّ أرض حيث حلّ حبيبُها

وقال أبو عثمان: رأيت عبداً أسود حبشيّاً لبني أسيد قدم من شقِّ اليمامة فصار ناوراً، وكان وحشيّاً مجنوناً لطول الغربة مع الإبل، وكان لا يلقى إلاّ الأكرة، فلا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم، فلمَّا رآني سكن إليَّ، وسمعته يقول: لعن الله أرضاً ليس بها عرب، قاتل الله الشاعر حيث يقول: " حرُّ الثرى مُستعرب التُّراب " .

أبا عثمان، إنَّ هذه العُريب في جميع الناس كمقدار القُرحة في جلد الفرس، فلولا أنَّ الله رقَّ عليهم فجعلهم في حشاةٍ لطمست هذه العجم آثارهم. أترى الأعيار إذا رأت العتاق لا ترى لها فضلا! والله ما أمر الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم بقتلهم، إذْ لا يدينون بدينٍ، إلاّ لضنِّه بهم، ولا ترك قبول الجزية منهم إلاّ تنزيهاً لهم.

وقيل لأعرابيّ: ما السُّرور؟ فقال: أوبةٌ بغير خيبة، وألفةٌ بعد غيبة.

وقيل لآخر: ما السُّرور؟ قال: غيبةٌ تُفيد غنىً، وأوبةٌ تُعقب مُنىً. وأنشأ يقول:

وكنت فيهم كممطورٍ ببلدته ... يُسرُّ أن جمع الأوطانَ والمطرا

---

(١) الرسائل للجاحظ، ص/١٦١

وأحسن ما سمعنا في حبِّ الوطن وفرحة الأوبة قوله:

ويا سرتها فاستعجلت عن قناعها ... وقد يستخفُّ الطامعين المُياسرُ

مشمِّرة عن ساق خدلاء حُرَّة ... تُجاري بنيها مرّةً وتُحاضرُ

وخبَّرها الرُّواد أن ليس بينها ... وبين قُرى نجران والدَّربِ صافرُ

فألقت عصاها واستقرَّت بها النوى ... كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ

وقيل لبعض الأعراب: ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوس مع الإخوان. قيل: فما الذّلّة؟ قال: التنقُّل في البلدان، والتنحِّي عن الأوطان.

وقال آخر:

طلب المعاشِ مفرِّقٌ ... بين الأحبَّة والوطنْ

ومصيرٌ جلَّد الرجا ... ل إلى الضراعة والوهن

حتى يقاد كما يقا ... د النَّضو في ثني الرَّسنْ

ثم المنيَّة بعده ... فكأنه ما لم يكنْ

ووجدنا من العرب: من قد كان أشرف على نفسه، وأفخر في حسبه؛ ومن العجم: من كان أطيب عنصراً وأنفس جوهراً أشد حنيناً إلى وطنه، ونزاعاً إلى تربته.

وكانت الملوك على قديم الدَّهر لا تؤثر على أوطانها شيئاً.

وحكى المُوبذ أنَّه قرأ في سيرة إسْفنديار بن يستاسف بن لُهْواسف، بالفارسية، أنه لمَّا غزا بلاد الخزر ليستنقذ أخته من الأسر، اعتلَّ بها، فقيل له: ما تشتهي؟ قال: شمَّةً من تُربة بلخ، وشربةً من ماء واديها.

واعتلَّ سابور ذو الأكتاف بالرُّوم، وكان مأسوراً في القدّ، فقالت له بنت ملك الرُّوم وقد عشقتْه: ما تشتهي مما كان فيه غذاؤك؟ قال: شربةً من ماء دجْلة، وشمَّةً من تربة إصطخر! فغبرت عنه أيّاماً ثم أتته يوماً بماءٍ الفرات، وقبضةً من تراب شاطئه، وقالت: هذا من ماء دجلة، وهذه من تربة أرضك، فشرب واشتمَّ من تلك التُّربة فنقه من مرضه.

وكان الإسكندر الرُّومي جال في البلدان وأخْرب إقليم بابل، وكنز الكنوز وأباد الخَلق،فمرض بحضْرة بابل، فلما أشفى أوصى إلى حكمائه ووزرائه أن تحمل رمَّته في تابوتٍ من ذهبٍ إلى بلده؛ حبّاً للوطن.

ولَّما افتتح وهرز بن شيرزاد بن بهرام جور اليمن، وقتل ملك الحبشة المتغلب -كان - على اليمن، أقام بها عاملاً لأنوشروان، فبنى نجران اليمن - وهي من أحصن مدن الثغور - فلما أدركته الوفاة أوصى ابنه شير زاد أن يحمل إلى إصطخر ناوس أبيه، ففعل به ذلك.

فهؤلاء الملوك الجبابرة الذين لم يفتقدوا في اغترابهم نعمة، ولا غادروا في أسفارهم شهوة، حنُّوا إلى أوطانهم، ولم يؤثروا على تُربهم ومساقط رءوسهم شيئاً من الأقاليم المستفادة بالتغازي والمدن المغتصبة من ملوك الأمم.." (١)

---

(١) الرسائل للجاحظ، ص/١٦٤

"وكنتُ كليلةِ الشيباءِ همَّتْ ... بمنعِ الشَّكرِ أتأمها القبيلُ

وفي ذكر الشمس قول الراجز من بديع الشعر:

وقدْ تعاللتُ ذميلَ العنسِ ... بالسَّوطِ في دَيمومةٍ كالتُّرسِ

إذْ عرّجَ الليلُ بروجَ الشمسِ

وقال الآخر:

إنْ سر... عدد ملمّسا ... لو بطحوا الشمسَ لكانتْ أشمُسا

أو حبسوها احتبسَتْ عن المسا

والشمس شيء من حلي العرب. قال ابن ميّادة:

وجيدٍ حُلِيُّ الشَّذرِ منهُنَّ شامِسُ

وقال ابن مناذر:

جاءتْ ترفّل في ثيا ... بِ اسكندرانيةٍ حسانِ

شمسٌ على وجهها شُموسٌ ... تزفُّها أشمسٌ ثمانِ

وليس على قول الصنوبري مزيد على حسنه وإحسانه:

ويومٍ يكللهُ بالشموسِ ... صفاءُ الهوى في صفاءِ الهواءِ

بشمسِ الجنانِ وشمسِ الدنانِ ... وشمسِ القِيانِ وشمسِ السماءِ

الفَيْهَج: قال: الفيهج اسم موضوع غير مشتق، ومثاله حرف واحد يشبهه وهو سَيْهج للريح الشديدة، وهما حرفان، واختلف أولهما؛ بالعكس منهما في اختلاف آخره تَنوّم وتنوّر، وليس لهما ثالث.

قال:

ألا سَقّياني فَيهجاً جَدَريّةً ... بماءِ سحابٍ يسبقُ الحقُّ باطلي

الفيهج الياء والهاء من حروف الزوائد، فإن جعلت الهاءَ أَولى بالزيادة فهو من أفاج الرجل إفاجة إذا أسرع، ومنه الفيج كأنها سُميت بذلك لإسراعها في عقول الشاربين.

قال الشاعر:

الفيجُ علقمةُ الكبريُّ خبّرَنا ... أنَّ الربيعَ أبا مروان قد حضرا

فقلتُ للنفسِ هاتا مُنيةً قدرَتْ ... وقدْ توافقُ بعضُ المنيةِ القدَرا

وتفاجَّت الناقة إذا فجَحت رجليها لتبول. **وقيل لأعرابي**: تعرف لقاح الناقة؟ قال: أرى العين هاجّاً، والسَّنام راجّاً، وأراها تَفاجَّ كأنها تبول.

الغَرَب

قال: الغرب اشتقاقها من شيئين، من الغَرْب وهو الحدّ، يقال سيفٌ دقيق الغرْب أي الحد، والغُراب أيضاً، وفي وصف

بعضهم هو أحدُّ غرْباً، وأغربُ سَكباً، كأنها لحدّتها وسَورتها سميت بذلك. والثاني سميت غرباً لغُربتها وغروبها في الخوابي. وأكثر ما تضع العرب الغين والراء والباء على تواري الشيء وغيبته وبعده واستخفائه، ومنه غربت الشمس أي غابت، الغُراب لغُربته عن الناس والعمران، وهم يسمون الذئب والغراب أصرمين لانصرامهما عن الناس، والغرَب الفضة لغيبتها في المعدن. وعلى هذا يكون اسم الخمر فعَلاً بمعنى مفعول أي مُغَربة في الأوعية والخوابي، كالطَّرَح بمعنى المطروح، والقبَض للمال المقبوض، والنفَض للورق المنفوض، كما أن المفعول يقع بمعنى فعَلٍ كقولهم ماله مجلودٌ أي جَلَدْ.

قال جرير:

.... بلغَ العزاءَ وأدركَ المجلودا

ومما يقوي هذا الاشتقاق أن الطاء واللام والعين ضدّه، تصفه العرب بالظهور والبروز وخروج الشيء من حجابه. تقول طلعت الشمس خرجت من حجابها، والطلع طلع النخل لظهوره، ورجل طُلَعة قُبَعة، ومنه طليعة الجيش أول ما يظهر، وطلْعة الإنسان. وطُويلع اسم ماء لطلوعه وظهوره قليلاً قليلاً. قال لبيد:

............كما ... دَعدعَ ساقي الأعاجمِ الغَرَبا

وقال الأعشى:

إذا انكبَّ أزهرُ بينَ السُّقاةِ ... ترامَوْا بهِ غَرَباً أو نُضارا

وتقول العرب هل من مُغرَّبةِ خبَرٍ؟ أي خبر جاء من مكان بعيد.

الحُمَيّا

قال هم تارةً يجعلون الحميّا الخمر كما قال الهجيمي:

ألا رُبَّ ندمانٍ كرامٍ تركتُهم ... بكأسِ الحُمَيَّا بعدَ إغرابِهم عنّا

وتارةً يجعلونها سَورة الخمر، فيقولون سارت فيهم حميّا الكأس، وسميت بذلك لمنعها جانبَها وشدتها. وأصل الكلمة حمي ثم بنوها مصغرة بناء حُبَيْلى حُميّا فأدغموا إحدى الياءين في الأخرى فصارت حميا على وزن ثُريّا، وتكبيرها ثَرْوى وهي المرأة الكثيرة الولد. وسمي الرجل ثروان، والمال الثريّ: الكثير، والثريان المطر وندى الأرض. وقال جرير:." (١)

"ورأى أعرابي رجلاً ظلوماً يدعو فقال: يا هذا إنما يستجاب لمظلوم أو مؤمنٍ ولست أحداً منهما، أراك تخفّ عليك الذنوب وتحسن عندك مقابح العيوب.

وذم أعرابي رجلاً فقال: فلان لا يستحيي من الشر ولا يحب أنه أحب الخبر، ولا يكون في موضع إلا حرمت فيه الصلاة، ولو قذف لؤمه على الليل طمس نجومه، ولو أفلتت كلمة سوء لم تصر إلا إليه.

وسأل أعرابي رجلاً فقال: لقد نزلت بوادٍ غير ممطور وبرجل بك غير مسرور، فارتحل بندم أو أقم بعدم.

وذم آخر رجلاً فقال: ما كان عنده فائدة ولا عائدة ولا رأي جميل ولا إكرام الدخيل.

وقيل لأعرابي: ما بلغ من سوء خلقك؟ قال: تبدو لي الحاجة إلى الجار أو الصاحب في بعض الليل فأصبح غضبان عليه

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ص/١١٢

أقول كيف لم يعلمها؟ وذكر أنه تنافر رجلان من بني أسد إلى هرم بن سنان المرّيّ في الشرّ وعنده الحطيئة فقال أحدهما: إني بقيت زماناً وأنا أرى أني شر الناس وألأمهم حتى أتاني هذا فزعم أنه شر مني، فقال هرم: أخبراني عنكما. فقال أحدهما: لم يمر بي أحد قط إلا اغتبته ولا ائتمنني إلا خنته ولا سألني إلا منعته.

وقال الآخر: أما أنا فأبطر الناس في الرخاء وأجبنهم في اللقاء وأقلهم حياء وأمنعهم خباء. فقال هرم: وأبيكما لقد ترددتما في الشر ولكن أخبركما بمن هو شر منكما! قالا: ما ولدت ذاك النساء! قال: بلى، هذا الحطيئة هجا أباه وأمه ونفسه ومن أعطاه ومن أحسن إليه، فقال لأبيه:

لحاك الله ثم لحاك حقاً ... أباً ولحاك من عمّ وخال

فبئس الشيخ أنت على النوادي ... وبئس الشيخ أنت لدى المعالي

جمعت اللؤم لا حياك ربي ... وأبواب المخازي والضلال

وقال لأمه:

تنحّي فاقعدي مني بعيداً ... أراح الله منك العالمينا

أغربالاً إذا استودعت سراً ... وكانوناً على المتحدثينا

ألم أوضح لك البغضاء مني ... ولكن لا إخالك تعلمينا

وقال لنفسه:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلما ... بشرٍّ فما أدري لمن أنا قائله

أرى لي وجهاً شوه الله خلقه ... فقُبّح من وجهٍ وقبح حامله

وقال لمن أعطاه:

سألتُ فلم تبخل ولم تُعطِ نائلاً ... فسيّان لا ذمٌّ عليك ولا حمد

قيل: ولما حضرت الحطيئة الوفاة قيل له: أوص. فقال:

الشعر صعبٌ وطويلٌ سلّمه ... إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلّت به إلى الحضيض قدمه ... والشعر لا يسطيعه من يظلمه

يريد أن يعربه فيعجمه

فقيل له: أوص للمساكين بشيء. فقال: أوصيهم بالمسألة ما عاشوا فإنها تجارة لن تبور. قيل: أوص فقد حضرك أمرك. فقال: مالي للذكور من ولدي دون الإناث. قيل له: إن الله عز وجل لم يأمر بهذا! قال: لكني آمر به. فقيل له: اعتق غلامك يساراً الأسود. قال: هو مملوك ما دام على ظهر الأرض عبسيّ. قيل له: من أشعر الناس؟ فقال: هذا المِحجن ما أطمع في خير، وأومأ إلى لسانه ثم جعل يبكي. فقيل له: ما يبكيك، أجزعاً من الموت يا أبا مليكة؟ قال: لا ولكن ويل للشعر من رواية السوء! ثم قال: أبلغوا الشمّاخ أنه أشعر غطفان على وجه الأرض، وإن متّ فاحملوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم قط. وفي غير هذه الرواية أنه قال: احملوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم قط لعلي أن أنجو، ثم أنشأ يقول:

لكل جديدٍ لذةٌ غير أنني ... رأيت جديد الموت غير لذيذ

له نكهةٌ ليست بطعم سفرجلٍ ... ولا طعم تفّاحٍ ولا بنبيذ

ثم خرجت روحه، فلما مات قال فيه الشاعر:

لا شاعرٌ ألأم من حطيه ... هجا بنيه وهجا المريه

من لؤمه مات على فريّه." (١)

"قال وقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: لقد رأيتني في الجاهلية وأخية لي وإنا لنرعى ناضحاً لأبوينا قد زودتنا أمنا يمنتيها من الهبيد فإذا أسخنت علينا الشمس ألقيت الشملة على أختي وخرجت عرياناً أسعى فنظلّ نرعى ذلك الناضح فنرجع إلى أمنا من الليل وقد صنعت لنا لفيتةً من ذلك الهبيد فنتعشى فواخصباه! قال بعض جلسائه: فوالله لقد حسدته على ذلك.

قال: وسئل عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عن جهد البلاء فقال: قلة المال وكثرة العيال.

وكان الفضيل يقول: المال يسوّد غير السيّد ويقويّ غير الأيّد.

وفي كتاب كليلة ودمنة: الرجل إذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمناً وأساء به الظن من كان يظن به حسناً، وإن أذنب غيره ظنوه به، وإن كان لسوء الظن والتهمة موضعاً حملوا على ذلك الذي يفعله غيره، وأنشد في ذلك:

إذا قلّ مال المرء قلّ صديقه ... وأومت إليه بالعيوب الأصابع

ولآخر:

إذا قلّ مال المرء قلّ حياؤه ... وضاقت عليه أرضه وسماؤه

وحار ولا يدري وإن كان حازماً ... أقدّامه خيرٌ له أم وراؤه

إذا قلّ مال المرء قلّ حياؤه ... ولا خير في وجهٍ يقلّ حياؤه

وقيل لأعرابي: ما أشد الأشياء؟ قال: كبدٌ جائعة تؤدي إلى أمعاء ضيقة.

وقيل لأعرابي: لم يقول أهل الحضر باعك الله في الأعراب؟ قال: لأنا والله نعري جلده ونجيع كبده ونطيل كدّه.

ومما قيل فيه من الشعر:

أعظم من فاقةٍ وجوع ... مقام حرٍّ على خضوع

فلا ترده ولا ترد ما ... أُنيل بالذل والخشوع

واطلب معاشاً بقدر قوتٍ ... وأنت في منزلٍ رفيع

لعل دهراً غداً بنحسٍ ... يعود بالسعد في الرجوع

ولآخر:

الموت خيرٌ للفتى ... من أن يعيش بغير مال

والموت خيرٌ للكري ... م من الضراعة للرجال

---

(١) المحاسن والمساوئ، ص/١٢٦

ولآخر:

بخلت وليس البخل مني سجيةً ... ولكن رأيت الفقر شرّ سبيل

لموت الفتى خيرٌ من البخل للفتى ... وللبخل خيرٌ للفتى من سؤال بخيل

لعمرك ما شيء لوجهك قيمةٌ ... فلا تلق مخلوقاً بوجه ذليل

ولا تسألن من كان يسأل مرةً ... فللموت خيرٌ من سؤال سؤول

ولآخر:

لاتحسبن الموت موت البلى ... فإنما الموت سؤال الرجال

كلاهما موتٌ ولكن ذا ... أشد من هذا لذلّ السؤال

ولآخر في معناه:

من كان في الدنيا أخا ثروةٍ ... فنحن من نظارة الدنيا

نرمقها من كثبٍ هكذا ... كأننا لفظٌ بلا معنى

ولآخر:

قد أراح الله من غ ... مٍ شديدٍ وعذاب

واسترحنا من عيالٍ ... وعبيدٍ ودواب

وضياعٍ ونخيلٍ ... وحصادٍ وكراب

واسترحنا من وقوفٍ ... لبني الدنيا بباب

وقنعنا وأقمنا ... وحططنا عن ركاب

حبّذا الوحدة إن كا ... ن بصيراً بالحساب

ولآخر:

الحمد لله ليس لي مال ... ولالخلقٍ عليّ إفضال

الخان بيتي ومشجبي بدني ... وخادمي والوكيل بقّال

ولآخر:

بقيت ومركبتي البرذون حتى ... أخفّ الكيس إغلاء الشعير

وصرت إلى البغال فأعجزتني ... وصرت من البغال إلى الحمير

فعزّتني الحمير فصرت أمشي ... أزجّي الرّجل تزجية الكسير

ولآخر:

أتراني أرى من الدهر يوماً ... لي يوماً مطيةٌ غير رجلي

وإذا كنت في جميعٍ فقالوا ... قرّبوا للرحيل قرّبت نعلي

حيثما كنت لا أخلّف رحلاً ... من رآني فقد رآني ورحلي

أبو هفان:

يا مولج الليل في النهار ... صبراً على الذّلّ والصّغار

كم من حمارٍ له حمارٌ ... ومن جوادٍ بلا حمار

الحمدوني:

تسامى الرجال على خيلهم ... ورجلي من بينهم حافيه

فإن كنت حاملنا ربنا ... وإلا فأرجل بني الزانية." (١)

"أبعدَ خمسٍ قد حفظتُ عدّها ... أحمل قوسي وأُريد ردها

أخزى الله لينها وشدّها ... والله لا تسلم عندي بعدها

ولا أرجي ما حييت رفدها

ثم عمد إلى القوس فضرب بها حجراً فكسرها ثم بات، فلما أصبح إذا الحمر مطرحة حوله واسهمه مضرجة بالدم، فندم على كسر قوسه وشدّ على إبهامه فقطعها، وأنشأ يقول:

ندمت ندامة لو أن نفسي ... تطاوعني إذاً لقطعت خمسي

تبيّن لي سفاه الرأي مني ... لعمر أبيك حين كسرت قوسي

وقال الفرزدق:

ندمت ندامة الكُسعيّ لما ... غدت مني مطلقةً نوار

وكانت جنتي فخرجت منها ... كآدم حين لجّ به الضرار

ومنه ما قيل في خفي حنين وكان حنين إسكافاً من الحيرة فساومه أعرابي بخفيه واختلفا في ذلك حتى أغضبه فأراد أن يغيظ الأعرابي، فلما ارتحل أخذ حنين الخفين فألقى أحدهما على الطريق وألقى الآخر في موضع آخر من طريقه، فلما مر الأعرابي رأى أحدهما فقال: ما أشبه هذا بخفّ حنين ولو كان معه أخوه نزلت فأخذته، ومضى، فلما انتهى إلى الآخر ندم على ترك الأول وأناخ راحلته فأخذه ورجع إلى الأول. وقد كمن له حنين فعمد إلى راحلته فذهب بها وما عليها، وأقبل الأعرابي وليس معه إلا الخفان، فقال له قومه: ما الذي أتيت به؟ قال: أتيت بخفّي حنين، فضربته العرب مثلاً. و قال الشاعر في مثله:

لتقرعنّ عليّ السنّ من ندمٍ ... إذا تذكرت يوماً بعض أخلاقي

محاسن الحنين إلى الوطن

قال الله تبارك وتعالى: " ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم " ، فقرن جل ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل، وقال جل وتعالى: " وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا " ، فجعل القتال ثأراً للجلاء. وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: الخروج عن الوطن عقوبة.

---

(١) المحاسن والمساوئ، ص/١٣٠

وقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: لولا حب الوطن لخرب بلد السوء.

وكان يقال: بحب الأوطان عمرت البلدان.

وقال جالينوس: يتروّح العليل بنسيم أرضه كما تتروح الأرض الجدبة ببلل المطر.

وقال بقراط: يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فإن الطبيعة تنزع إلى غذائها.

ومما يؤكد ذلك قول أعرابي وقد مرض بالحضرة فقال له قائل: ما تشتهي؟ قال: مخضاً روياً وضباً مشوياً.

وحدث عن بعض بني هاشم قال: قلت لأعرابي: من أين أقبلت؟ قال: من هذه البادية! قلت: وأين تسكن منها؟ فقال: مساقط الحمى حمى ضرية لعمر الله ما نريد بها بدلاً ولا نبغي عنها حولاً نفحتها العذاوات وحفّتها الفلوات فلا يعلولج ترابها ولا يتمعّر جنابها ولا يملولح ماؤها، ليس بها أذىً ولا قذىً ولا موم، فنحن فيها بأرفه عيش وأنعم معيشة وأرغد نعمة. قلت: فما طعامكم؟ قال: بخ بخ عيشنا عيش تعلل جاذبه وطعامنا أطيب طعام وأهنأه وأمرأه الفثّ والهبيد والصليب والعنكث والعلهز والذآنين والينمة والعراجين والحسلة والضِّباب واليرابيع والقنافذ والحيات وربتما والله أكلنا القدّ واشتوينا الجلد فما نعلم أحداً أخصب منا عيشاً ولا أرخى بالاً ولا أعمر حالاً، أوما سمعت قول شاعر وكان والله بصيراً برقيق العيش ولذيذه؟

قلت: وما قال؟ قال قوله:

إذا ما أصبنا كل يومٍ مذيقةً ... وخمس تميراتٍ صغارٍ كوانز

فنحن ملوك الناس خصباً ونعمة ... ونحن أسود الناس عند الهزاهز

وكم متمنٍّ عيشنا لا يناله ... ولو ناله أضحى به حقّ فائز

فالحمد لله على ما بسط من حسن الدعه ورزق من السعة وإياه نسأل تمام النعمة.

وقيل لأعرابي: كيف تصنع بالبادية إذا انتصف النهار وانتعل كل شيء ظله؟ فقال: وهل العيش إلا ذاك؟ يمشي أحدنا ميلاً فيرفضّ عرقاً كأنه الجمان، ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساءه وتقبل عليه الرياح من كل جانب فكأنه في إيوان كسرى.

ذكر من اختار الوطن على الثروة – قال بعض الأدباء: عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك.

وقيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الإخوان. قيل: فما الذلة؟ قال: التنقل في البلدان والتنحي عن الأوطان.

وقال بعض الأدباء: الغربة ذلة فإن ردفتها علة وإن أعقبتها قلة فتلك نفس مضمحلة.

وقالت العرب: الغربة ذلة والذلة قلة.." (١)

"**وقيل لأعرابي** وقد تزوج بعدما كبر وأسن: لم تأخرت عن التزوج؟ قال: أبادر ابني باليتم قبل أن يسبقني بالعقوق.

قال: وقال رجل لأبيه: يا أبتا إن عظيم حقك لا يبطل صغير حقي، ولا أقول إني وإياك بالسواء، ولكن الله جل وعز لا يحب الاعتداء.

---

(١) المحاسن والمساوئ، ص/١٣٨

محاسن بر الأبناء بالآباء والأمهات

عن طاؤوس عن أبيه قال: كان رجل له أربعة بنين فمرض فقال أحدهم: إما أن تمرّضوه وليس لكم من ميراثه شيء وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء. قالوا: بل تمرضه وليس لك من ميراثه شيء. فمرضه حتى مات ولم يأخذ من ميراثه شيئاً. قال: فأُتي في النوم فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار. فقال: أفيها بركة؟ قالوا: لا. فلما أصبح ذكر لك لامرأته فقالت: خذها فإن من بركتها أن نكتسي منها ونعيش بها. فلما أمسى أُتي في النوم فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير. فقال: أفيها بركة؟ قالوا: لا. فلما أصبح ذكر لك لامرأته فقالت له مثل ذلك، فأبى أن يأخذها. فأُتي في الليلة الثالثة فقيل له: ائت مكان كذا وكذا وخذ منه ديناراً. فقال: أفيه بركة؟ قالوا: نعم. قال: فذهب فأخذ الدينار ثم خرج به إلى السوق فإذا هو برجل يحمل حوتين. فقال: بكم هما؟ قال: بدينار. فأخذهما منه وانطلق بهما إلى بيته، فلما شقهما وجد في بطن كل واحد منهما درة لم ير الناس مثلها، فبعث الملك يطلب درة يشتريها فلم توجد إلا عنده فباعها بثلاثين وقراً ذهباً. فلما رآها الملك قال: ما تصلح هذه إلا بأخت فاطلبوا أختها ولو أضعفتم الثمن. فجاؤوه وقالوا: أعندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك؟ قال: نعم. فأعطاهم الثانية بضعف ما با ع به الأولى.

قال: وذكر المأمون بر الأبناء بالآباء فقال: لم أر أحداً أبرّ من الفضل بن يحيى، فإنه بلغ من بره بأبيه أنهما حيث حبسا كان الفضل يسخن ليحيى الماء لوضوئه لأنه كان يتوضأ بالماء السخن، فمنعهم السجان ذات ليلة من إدخال الحطب والليل بارد فقام الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قمقم كان يسخن فيه الماء فملأه من الجبّ ثم جاء به إلى القنديل فأدناه منه فلم يزل قائماً والقمقم في يده حتى أصبح وقد سخن الماء، فأدناه من أبيه.

قال: ولما وجه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، الجيش إلى اليرموك قام إليه أمية بن الأسكر الكناني فقال: يا أمير المؤمنين هذا اليوم من أيامي لولا كبر سني. فقام إليه ابنه كلاب، وكان عابداً زاهداً، فقال: لكني يا أمير المؤمنين أبيع الله نفسي وأبيع دنياي بآخرتي. فتعلق به أبوه وكان في ظل نخل له وقال: لا تدع أباك وأمك شيخين ضعيفين ربياك صغيراً حتى إذا احتاجا إليك تركتهما! فقال: نعم أتركهما لما هو خير لي. فخرج غازياً بعد أن أرضى أباه، فأبطأ وكان أبوه في ظل نخل له، وإذا حمامة تدعو فرخها، فرآها الشيخ فبكى، فرأته العجوز فبكت، وأنشأ يقول:

لمن شيخان قد نشدا كلاباً ... كتاب الله إن ذكر الكتابا

أناديه ويعرض لي حنينٌ ... فلا وأبي كلابٌ ما أصابا

تركت أباك مرعشةً يداه ... وأمك ما تسيغ لها شرابا

فإن أباك حين تركت شيخٌ ... يطارد أينقاً شزباً جذابا

إذا رُتّعن إرقالاً سراعاً ... أثرن بكل رابيةٍ ترابا

طويلاً شوقه يبكيك فرداً ... على حزنٍ ولا يرجو الإيابا

إذا غنت حمامة بطن وجٍّ ... على بيضاتها ذكرا كلابا

فبلغت هذه الأبيات عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فأرسل إلى كلاب فوافاه فقال: إنه بلغني أن أباك وجد لفراقك وجداً شديداً فبماذا كنت تبره؟ قال: كنت أبره بكل شيء حتى أني كنت أحلب له ناقة فإذا حلبتها عرف حلبي. فأرسل عمر،

رحمه الله، إلى الناقة فجيء بها من حيث لا يعلم الشيخ فقال له: احلبها. فقام إليها وغسل ضرعها ثم حلبها في إناء. فأرسل عمر، رحمه الله، بالإناء إلى أبيه فلما أُتي به بكى ثم قال: إني أجد في هذا اللبن ريح كلاب. فقال له نسوة كن عنده: قد كبرت وخرفت وذهب عقلك، كلاب بظهر الكوفة وأنت تزعم أنك تجد ريحه! فأنشأ يقول:

أعاذل قد عذلت بغير علمٍ ... وهل تدري العواذل ما ألاقي

سأستعدي على الفاروق رباً ... له حجُّ الحجيج على اتساق." (١)

""""""""" صفحة رقم ٤٦٣ """""""

في المقام ثم قال و أنشد أبو علي ، و لم يثبت البيت هنا ، إلى أن نقل شعرا :

يقول لي دار الأحبة قد دنت . . . و أنت كئيب إن ذا لعجيب

فقلت وما تغني ديار تقاربت . . . إذا لم يكن بين القلوب قريب

قال أبو علي ' ١ – ١٩٥ ، ١٩٢ ' ومن كلام العرب ' الحسن أحمر ' أي من أراد الحسن صبر على أشياء يكرهها . ع فمعنى أحمر على هذا التأويل شديد و قد تقدم القول في ذلك ' ٥٧ ' و ذكرنا حديث علي : كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فلم يكن أحد أقرب إلى العدو منه . وقال الأشتر يوم صفين : من أراد الموت الأحمر فليتبعني . و في المثل الذي ذكره تأويل آخر وهو أن المراد به اللون ، والعرب تسمى المرأة الحسناء حمراء . قال جرير وسئل عن الأخطل فقال : هو أوصفنا للخمر والحمر : يعني حسان النساء . وثبت أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يسمى عائشة : الحميراء . قال الأصمعي وغيره : الحمراء : المرأة الجميلة الحسناء . وقال سيبويه وهذه الصفة لما كثر استعمالهم لها لزمت فصارت كالاسم كالأدهم والأجدل . وقيل لأعرابي تمنه فقال : حمراء مكسال ، من بنات الأقيال . وكذلك تقول العرب أيضا." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٦٩٣ """""""

إلا بهزهاز يسلى همى . . . يسقط منه فتخي في كمي

وقالت أخرى :

لا يقنع الجارية اللعاب . . . ولا الوشاحان ولا الجلباب

من دون أن تصطفق الأركاب . . . وتلتقي الأسباب والأسباب

ويخرج الزب له لعاب

وأكثر الناس يرى أن الظفر بالمعشوقة يسقط شطر عشقيهما ، وأن النكاح يسقط الحب ، قيل لأعرابي وقد طال عشقه لجارية : ما كنت صانعا لو ظفرت بها ولا يراكما غير الله ، قال : إذن والله لا أجعله أهون الناظرين ، لكني أفعل بها ما أفعله بحضرة أهلها ، شكوى وحديث عذب ، وإعراض عما يسخط الرب ، ويقطع الحب . وقال ابن الدمينة :

---

(١) المحاسن والمساوئ، ص/٢٣٤

(٢) اللآلي في شرح أمالي القالي . موافقا للمطبوع، ٤٦٣/١

أحبك يا سلمى على غير ريبة . . . وما خير حب لا تعف سرائره

وماذا الذي يشفى من الحب بعدما . . . تشربه بطن الفؤاد وظاهره

وقال عمر ابن أبي ربيعة :

بعثت وليدتي سحرا . . . وقلت لها خذي حذرك

وقولي في ملاطفة . . . لزينب نولى عمرك

فهزت رأسها عجبا . . . وقالت من بذا أمرك ؟

أهذا سحرك النسوا . . . ن قد خبرنني خبرك

وقلن إذا قضى وطرا . . . وأدرك حاجة هجرك." (١)

"حديث: "ألا أخبركم بأحبكم إلي..."

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقا، الموطأون أكنافا،الذين يألفون ويؤلفون،ألا أخبركم بأبغضكم إلي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة؟ الثرثارون المتفيهقون".

قوله صلى الله عليه وسلم: "الموطأون أكنافا" مثل، وحقيقته أن التوطئة هي التذليل والتمهيد، يقال: دابة وطيء، يا فتى، وهو الذي لا يحرك راكبه في مسيره، وفراش وطيء إذا كان وثيرا لا يؤذي جنب النائم عليه، فأراد القائل بقوله: " موطأ" الأكناف" أن ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذى، ولا ناب به موضعه.

قال أبو العباس: حدثني العباس بن الفرج الرياشي قال: حدثني الأصمعي قال: قيل لأعرابي وهو المنتجع بن نبهان١ ما السميدع؟ فقال: السيد الموطأ الأكناف.

وتأويل الأكناف الجوانب، يقال: في المثل: فلان في كنف فلان، كما فلان في ظل فلان، وفي ذرى فلان، وفي ناحية فلان٢، وفي حيز فلان.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "الثرثارون" يعني الذين يكثرون الكلام تكلفا وتجاوزا، وخروجا عن الحق. وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء، يقال: عين ثرثارة. وكان يقال لنهر بعينه: الثرثار٣، وإنما سمي به لكثرة مائه، قال الأخطل: ٤

لعمري لقد لاقت سليم وعامر ... على جانب الثرثار راغية البكر

قوله: " راغية البكر" أراد أن بكر ثمود رغا فيهم فأهلكوا،فضربته العرب مثلا، وأكثرت فيه،قال علقمة بن عبدة الفحل:

رغا فوقهم سقب السماء فداحض ... بشكته لم يستلب وسليب٥

_

١ من طيء؛ ذكره الزبيدي في الطبقة الأولى من اللغويين البصريين ص ١٧٥.

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي . موافقا للمطبوع، ٢/٦٩٣

٢ تكملة من ر.

٣ الثرثار: موضع عند تكريت.

٤ زيادات ر: "واسمه غياث بن غوث، يكنى أبا مالك، ويلقب بدوبل، والدوبل: الخنزير"، وكذلك في س.

٥ زيادات ر: "السقب: ولد الناقة، والشكة: مايلبس من السلاح، والسليب: من سلب سلاحه".." (١)

"لبعض المحدثين في الخضاب

وقال بعض المحدثين: ذكرناه بقول أبي الأسود:

قد كنت أرتاع للبيضاء في حلك ... فصرت أرتاع للسوداء في يقق١

من لم يشب ليس مملاقا حليلته ... وصاحب الشيب للنسوان ذو ملق

قد كن يفرقن منه في شبيبته ... فصار يفرق ممن كان ذا فرق

إن الخضاب لتدليس يغش به ... كالثوب في السوق مطويا على حرق

ويروى: "يطوى لتدليس على حرق".

وشبيه بهذا المعنى قول أبي تمام:

طال إنكاري البياض وإن عمر ... ت شيئا انكرت لون السواد

وحدثني الزيادي قال: **قيل لأعرابي**: ألا تخضب بالوسمة، فقال: لم ذاك؟ فقال: لتصبو ليك النساء، فقال: أما نساؤنا فما يردن بنا بديلا، وأما غيرهن فما نلتمس صبوتهن.

-

١ اليقق: البياض.." (٢)

"ليزيد بن المهلبي

وقال آخر - وهو أبو خالد يزيد بن محمد المهلبي:

صبغت الرأس ختلا للغواني ... كما غطى على الريب المريب

أعلل مرة وأساء أخرى ... ولا تحصى من الكبر العيوب

أسوف توبتي خمسين عاما ... وظني أن مثلي لا يتوب

يقولم بالثقاف العود لدنا ... ولا يتقوم العود الصليب١

وقال مالك بن دينار: جاهدوا أهواءكم، كما تجاهدون أعداءكم. وكان يقول: ما أشد فطام الكبير.

وقال آخر:

دعي لومي ومعتبتي أماما ... فني لم أعود أن ألاما

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ١/٨

(٢) الكامل في اللغة والأدب، ٢/١٢٧

وكيف ملامتي إذ شاب رأسي ... على خلق نشأت به غلاما

وقيل لأعرابي: ألا تغير شيبك بالخضاب؟ فقال: بلى، ففعل ذاك مرة، ثم لم يعاود، فقيل له: لم لا تعاود الخضاب؟ فقال: يا هناه، لقد شد لحياي فجلت أخالني ميتا.

-

١ الثقاف: آلة لتقويم الرماح.." [1]

"أي: تأبدن، فأبدل من النون الخفيفة ألفا عند الوقف. ونكح: أي: جامع، قال الفرزدق: التاركين على طهر نساءهم والناكحين بشطي دجلة البقرا

(خ) قلخ الفحل من الإبل: صوته.

ونتخ العين: نزعها.

(د) يقال: تلد المال يتلد ويتلد، من التالد.

وثمد الرجل: كده بالمسألة. وثمد النساء الرجل: إفناؤهن ماءه.

ويقال: جلده السلطان. وجلدت الأرض، من الجليد.

ويقال: حردت حردك، أي قصدك، قال الله عز وجل: (وغدوا على حرد قادرين). قالوا: على قصد، وقالوا: على منع. من قولك: حاردت الإبل: إذا قلت ألبانها. قال الراجز: أقبل سيل جاء من أمر الله

يحرد حرد الجنة المغله

وحرود الرجل: تحوله عن قومه. وهو الحسد.

وحشد القوم: اجتماعهم. ويقال: حفد البعير: إذا دارك المشي وفيه قرمطة. وقول الداعي: "ونحفد: نرجو رحمتك" من هذا. أي نبادر. وحقد عليه: من الحقد.

ويقال: خضد الله شوكته، أي: قطع. قال الله جل وعز: (في سدر مخضود)، أي: قطع شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة. وخضدت الشيء، فانخضد، أي: يأكل أكلا شديدا، قيل لأعرابي وكان معجبا بالقثاء : ما يعجبك منه؟ قال: خضده، قال امرؤ القيس: ويخضد في الآري حتى كأنما به غرة أو طائف غير معقب

ويقال: رفدته، أي: أعنته وأعطيته. ورمد القوم: هلاكهم، ومنه قيل: عام الرمادة، قال أبو وجزة: صببت عليكم حاصبي فتركتكم كأصرام عاد حين جللها الرمد

ويقال: زبده، أي: أعطاه، ووهب له. وفي الحديث: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زبد المشركين"، أي: عطاياهم وهداياهم.

ويقال: صفدته، أي شددته وأوثقته. وصلد الزند: إذا صوت ولم يخرج نارا.

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ١٢٨/٢

وضمد رأسه بالعصا، أي: ضربه بها. وضمد الجرح: من الضماد.
." (١)

"طالما أيس من وعد المحبوب وتمسك من رؤية ساقه بمواعيد عرقوب كما قيل:

وما بلوغ الأماني في مواعدها ... إلا كأشعب يرجو وعد عرقوب

تنبيه قولهم في المثل مواعيد عرقوب يقال لمن وعد وعداً وأخلف وأصل المثل المذكور أن عرقوباً كان له أخ فسأله شيئاً فقال له عرقوب إذا طلع نخلي فلما أطلع قال: إذا أبلح فلما أبلح قال إذا أزهى فلما أزهى قال إذا أرطب فلما أرطب قال إذا صار تمراً فلما صار تمراً أخذه من اليل ولم يعط أخاه شيئاً فضرب به المثل في خلف الوعيد فقيل مواعيد عرقوب.

قال الشماخ:

وواعدتني ما لا أحاول نفعه ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

وقال ابن حجاج:

فديت من لقيني مثل ما ... لقيته والحق لا يصعب

فقلت يا عرقوب أطمعتني ... فقال لم نفسك يا أشعب

وقلت أنا من قصيدة حجازية:

يهددني بالهجر في كل ليلة ... أصدق فيها وصله وأكذب

ولما وردنا ماء مدين قال لي: وحق شعيب أنت في الحب أشعب والناس في الأماني على قولين: فمنمهم من يرى راحة قلبه وتنفيس كربه فيريح بها النفس ويتعلق من ضيائها بحبال الشمس.

ومنهم من يقول:

ليس الترجي مما ينجي ... فيرى الأماني من الخداع

والوقوع في النزاع ولكل من القولين حجة ومذهب مسلوك المحجة ومن أحسن ما سمعته في القول الأول قول بعض بني الحرث.

أماني من سعدى حسان كأنما ... سقتنا بها سعدى على ظمأ بردا

منى أن تسكن حقاً تكن أحسن المنى ... وإلا فقد عشنا بها زمناً رغدا

وقول الآخر:

ولما حللنا منزلاً طله الندى ... أنيقاً وبستانا من النور حاليا

أجد لنا طيب المكان وحسنه ... منى فتمنينا فكنت الأمانيا

وقال أفلاطون الأماني حلم المستيقظ وسلوة المحزون.

وقال غيره: الأماني رفيق مؤنس إن لم ينفعك فقد ألهاك.

---

(١) ديوان الأدب تأليف: أبو إبراهيم الفارابي، /

وقيل لأعرابي: ما أمتع لذات الدنيا فقال: ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق وأماني تقطع بها أيامك.

وقال القاضي الفاضل: وأحسن ما شاء وجدت ريح كتبه وروح قربه فرجعنا إلى العادة وعادت أيامنا وصرنا إلى الحسني ورق كلامنا وعاودتنا المنى وما كادت تحطر وإن حطرت فإنها كلا منا:

أتمنى تلك الليالي المنيرا ... ت وجهد المحب أن يتمنى

وقال يا قوت الرومي

لله أيام تقضت بكم ... ما كان أحلاها وأهناها

مرت فلم يبق لنا بعدها ... شيء سوى أن نتمناها

وقال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس:

أصبو إلى البان بانت عنه هاجرتي ... تعللاً بليالي وصلها فيه

عصر مضى وجلابيب الصبا قشب ... لم يبق من طيبه إلا تمنيه

وقال العفيف: أيحق كاتب الإنشاء للناصر داود.

لولا مواعيد آمال أعيش بها ... لمت يا أهل هذا الحي من زمن

وإنما طرف آمالي به مرح ... يجري بوعد الأماني مطلق الرسن

وقال ابن خفاجة:

وليل إذا ما قلت قد بان وانقضى ... تكشف عن وعد من الظن كاذب

ولا أنسى إلا أن أضاحك ساعة ... ثغور الأماني في وجوه المطالب

حسبت الدياجي فيه سود ذوائب ... لها عنق الآمال بيض الترائب

وقال آخر:

في المني راحة وإن عللتنا ... من هواها ببعض ما لا يكون

وقلت أنا:

رقي لصب غدا مما يكايده ... من دمعه الصب يجري في مجاريه

لم يبق فيه سوى روح يرددها ... لولا المني مات يا أقصى أمانيه

وقلت أيضاً:

يا طيب ريح سرى من نحوهم سحرا ... لولا تلافيه قلبي في الهوى تلفا

كم ذا أعلل قلبي بالنسيم وما ... أرى لداء غرامي في هواء شفا

وقال ابن زيدون:

لأسرحن نواظري ... في ذلك الروض النضير

ولآكلنك بالمني ... ولأشربنك بالضمير

وقال آخر:

علليني بموعد ... وامطلي ما حييت به

ودعيني أفوز منك ... بنجوى تطلبه

فعسى يعثر الزمان ... بحظي فينتبه

وقال آخر:." (١)

" ٣٢٧ - أبرد من غب المطر

٣٢٨ - وأبرد من جربياء

وهي الشمال

وقيل لأعرابي ما أشد البرد قال ريح جربياء في ظل عماء في غب سماء

وغب كل شيء عاقبته

والسماء المطر وقيل ما اطيب المياه قال نطفة زرقاء من سحابة غراء في صفاة زلقاء يعني الملساء

قيل فما احسن المناظر قال ما يجرى الى عمارة

قيل فما أطيب الروائح قال بدن تحبه وولد تربه

٣٢٩ - أبخل من مادر

سيجيء حديثه في الباب السادس عشر

٣٣٠ - أبخل من أبي حباحب ومن حباحب

قالوا هو رجل من العرب كان لبخله يوقد نارا ضعيفة فإذا أبصرها مستضيء أطفأها

وقيل يعني بها النار التي تنقدح من سنابك الخيل وهي نار اليراعة وهي طائر مثل الذباب إذا طار بالليل حسبته شرارة ." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٣٧ """""""

الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين وقيل لأعرابي ليلة تزويج محبوبته أيسرك أن تظفر بها قال نعم قيل فما كنت تصنع بها قال أطيع الحب في لثمها وأعصي الشيطان في اثمها .

وعن الأصمعي قيل لأعرابي ما تصنع إن ظفرت بمحبوبتك قال امتع عيني من وجهها وسمعي من حديثها واستر منها ما يحرم كشفه إلا عند حله وأنشد ابن القاسم في المعنى وإن كان فيه بعد لأنك تعتبر الحياء من الايمان اللازم للعفة وخوف الله تعالى

كم قد خلوت بمن أهوى فيمنعني . . . منه الحياء وقد أودى بمعقولي

---

(١) ديوان الصبابة، ص/٧٠

(٢) جمهرة الأمثال / العسكري، ٢٤٦/١

يأبى الحياء وشيبي أن ألم به . . . وخشية اللوم من قال ومن قيل

وأصرح منه في المقصود ما أنشده إبراهيم بن عرفة

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني . . . منه الحياء وخوف الله والحذر

وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني . . . منه الفكاهة والتحديث والنظر

أهوى الحسان وأهوى أن أجالسهم . . . وليس لي في حرام منهم وطر

كذلك الحب لا اتيان معصية . . . لا خير في لذة من بعدها سقر

وأخرج صاحب الأصل عن سعيد بن عقبة الهمذاني قال لأعرابي حضر مجلسه ممن الرجل قال من قوم إذا عشقوا ماتوا فقال عذري ورب الكعبة ثم سأله علة ذلك." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٩٩ """""""

وقال آخر

وما بلوغ الأماني في مواعدها . . . إلا كاشعب يرجو وعد عرقوب

ومن كلام أفلاطون الأماني حلم المستيقظ وسلوة المحروم وقال غيره التمني مؤنس إن لم ينفعك فقد ألهاك . **قيل لأعرابي** ما أمتع لذات الدنيا قال ممازحه الحبيب ومحادثة الصديق وأماني تقطع بها أيامك .

ياقوت الرومي

لله أيام تقضت بكم . . . ما كان أحلاها وأهناها

مرت فلم يبقى لنا بعدها . . . شيء سوى أن نتمناها

ابن الوردي

وشادن قلت له . . . هل لك في المنادمه

فقال كم من عاشق . . . سفكت في المني دمه

الحسين بن الضحاك

وصف البدر حسن وجهك حتى . . . خلت أني وما أراك أراك

وإذا ما تنفس النرجس الغض . . . توهمته نسيم شذاك

خدعات المني تعللني فيك . . . باشراق ذوا بهجة ذاك

ابن أبي حجلة

رقي لصب غدا مما يكابده . . . من دمعه الصب يجري في مجاريه." (٢)

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ٣٧/١

(٢) تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ١٩٩/٢

"والله ما حركتني لنبذ هذا الكلام إليك حِيبةٌ عليك؛ لأني لم أنتجِعك، ولم أطمع في مالك، ولا عرفت وجهي، ولا سمعت باسمي، لكن أبت نفسي أن تقرّ على الجهل بحالك، وبِدُخلة ما يكون أمثالك، فآثرتُ نصيحتك؛ فإن النّبي صلى الله عليه قال: " الدِّين النَّصِيحة " . وما أخوفني أن تكون جرأتك على هَتك حُرُمات الدين، ومُعارضة الصالحين، مع العكوفة على الخُسران المبين، إنما قَويت ورَبت لأنك شارد على ربك، نافر من دين نبيّك، مُدَّع له بلسانك، شاكٌّ فيه بفؤادك، مُتعجّب ممّن له إخلاص، أو له بالدَّينونة اختصاص؛والويل لك إن كنت بهذا قانعاً من نفسك في الحال الأُولى، ثم الويل لك مع الثُّبور إن كنت جاهلاً بما عليك في الحال الأخرى.

حدّثني أي أمرٍ أنت فيه على رشد، وآخذ منه باحتياط؟ أما أنت عليه مع الغلمان المُرْد الجُرد؟ أم ما أنت مشهور به من المجانة والسُخف؟ ثم تدّعي الإطعام للخاصّ والعام، وقد شاهدنا فوجدنا على بابك قوماً يضربون بالمقارع وجوه الناس، ويُحطُّون على رؤوسهم العذاب، طرداً لهم وإبعاداً، أَ فَما هذا بأمرك وعينك وأُذنك؟ فلِم تتكلّف ما لا تُقرّ به؟ ولِمَ تدّعي مالا تسلم فيه؟ لقد وقفنا عياناً من استخفافك بالأحرار، ووضعك من ذوي الأقدار، وكُفرك بوليّ نعمتك، وتعرّيك من كل شبهة في أمرك، ما لو تنفَّسنا به بين الناس، أو رسمناه بالقلم بالقرطاس، لكان ذلك زائداً على تمرّد فرعون، وكفر أبي جهل وجُرأة ديك الجن.

لقد قيسَتْ مروّتك إلى مروات قوم قُرفوا بالزندقة فوُجدت مروّاتهم فوق ديانتك، ولقد رأينا قوماً لم يتحلّوا بالدعوى تحلّيك استنفدوا قوتهم في طلب مرضاة مؤمِّليهم ومُنتجعي قطْرهم، وبلغوا من ذلك المبالغ. وأنت مع تمكّنك ويسارك لم تسمح من الشاة بظلفها، ثم ملأت الدنيا بَقْباقاً بالامتنان على الصغير والكبير، كأنك خالق الخلق وباسط الرزق. انظر أيها الرجل أي آخر سوءٍ لك؛ والله إنك شديد الثقة، وقد قيل: رب واثق خَجِل. أيها الرجل!

ما طار طَير فارتَفَعْ ... إلاّ كما طار وقَعْ

أما تعتبر بما آل إليه أمر ذي الكفايتين مع ذلك البأو والخُنزُرانة؟ أما رأيت بعينك في هذه السنين ما يحدوك على الأخذ بالوثيقة لنفسك؟ وكف اليد عن كثير مما يوتغ دينك، ويهشم أنف مُروتك، ويقطع عرق أُبوتك، ويهيج الألسنة على تبكيتك، ويبسط الأيدي في الدعاء عليك، ويحشو القلوب في الدعاء عليك، ويحشو القلوب تمنّي زوال دولتك.

فاتَّعظ بقول الشاعر:

يا أيها الباغِي عَلَى الأَحرار ... ثقةً بلِين مَقادَة الأَقدارِ

لا تَغْتَرِرْ بمدىً تَطاولَ حينُه ... فالظلْمُ يُقصِر من خُطى الأَعمارِ

والعيشُ نَهْلةُ واردٍ ولَرُبَّما ... سُدَّت عليه مَدارجُ الإصدارِ

وأختم قولي هذا بما قال بعض السّلف لأصحابه، قال: أُحذِّركم الدُّنيا وأُخوّفكم يوم التَّناد، يوم لا يُعرف لخيرٍ أَمَدٌ، ولا ينقطع لشرٍّ أمد، ولا يعتصم من الله أحد.

وأرجو أن تسمع ما صدقت القول فيه بانتصاح، وتعرف ما تؤتيه بارتياح، والسلام.

قال: ويقول أيضاً: قال أبو العيناء لحجّاج الكاتب: ابنك في أي شيء هو من النّحو؟ قال: هو في باب الفاعل والمفعول. قال: هو إذن في باب والدَيه.

ويقول: قيل لأعرابي: اشترى الأمير سراويل من فَنَك. قال: التقى الثوبان.

ويُنشد:

شيخٌ لنا يُعرَفُ بالخُلْدِي ... يُريده في غلظ المُرِدِي

أَدْخَلني يوماً إلى دارِه ... فناكَني والايرُ من عندي

قال الخثعمي: وهو في هذا اكله على نَزَق فيه شديد، وقهقهة عالية، وتفكُّك قبيح، وسيَلان مُنكر، وشمائل مندثرة.

الويلُ له! هلاّ ترك هذه السخافات والحماقات على قومٍ يليق بهم هذا النّمط، وأقبل على الدّولة فنظم مختلّها، وسدّد التي ليس لها محصول.

يا قوم! أيُّ دينٍ يصحّ له وقد قتل آل العميد؟ وأي وفاءٍ يسلم له وقد سمّ أولاد بُويه الذي هو وليّ نعمته، وحافظ مُهجته، وباسط يديه، وبه نال ما نال، وبلغ ما بلغ؟ وأيّ مُروّة تبقى له، وهو يمنّ بالقليل إذا أعطى؟ وأي كرم يُعتقد فيه، وهو يَغُرّ الآمل ويسحبه على الوعد حتى إذا انتهى فقراً أو ضجراً حرمه حرماناً يابساً، ورده ردّاً مُرّاً، وأعطاه شيئاً قليلاً وقحاً؟." (١)

"وفي حديث أشراط الساعه ﴿ والأمانة مغنما ﴾ أي يرى من في يده أمانة أن الخيانه فيها غنيمه قد غنمها. وفيه ﴿ الزرع أمانة والتاجر فاجر ﴾ جعل الزرع أمانة لسلامته من الآفات التي تقع في التجارة من التزيد في القول والحلف وغير ذلك. وفيه ﴿ أستودع الله دينك وأمانتك ﴾ أي أهلك ومن تخلفه بعدك منهم، ومالك الذي تودعه وتستحفظه أمينك ووكيلك. وفيه ﴿ من حلف بالأمانة فليس منا ﴾ يشبه أن تكون الكراهية فيه لأجل أنه أمر أن يحلف بأسماء الله وصفاته. والأمانة أمر من أموره، فنهوا عنها من أجل التسوية بينها وبين أسماء الله تعالى، كما نهوا أن يحلفوا بآبائهم. وإذا قال الحالف: وأمانة الله كانت يمينا عند أبي حنيفة، والشافعي رضي الله عنهما لا يعدها يمينا

أنح : في حديث عمر رضي الله عنه ﴿ أنه رأى رجلا يأنح ببطنه ﴾ أي يقله مثقلا به، من الأنوح وهو صوت يسمع من الجوف معه نفس وبهر ونهيج يعتري السمين من الرجال. يقال أنح يأنح أنوحا فهو أنوح

أنبجان : فيه ﴿ ائتوني بأنبجانية أبي جهم ﴾ المحفوظ بكسر الباء ويروى بفتحها. يقال كساء أنبجاني منسوب إلى منبج المدينة المعروفة، وهي مكسورة الباء، ففتحت في النسب وأبدلت الميم همزة. وقيل إنها منسوبة إلى موضع اسمه أنبجان، وهو أشبه؛ لأن الأول فيه تعسف، وهو كساء يتخذ من الصف وله خمل ولا علم له، وهي من أدون الثياب الغليظة، وإنما بعث الخميصة إلى أبي جهم لأنه كان أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم خميصة ذات أعلام، فلما شغلته في الصلاة قال ردوها عليه وأتوني بأنبجانيته. وإنما طلبها منه لئلا يؤثر رد الهدية في قلبه. والهمزة فيها زائدة في قول

أندروردية : في حديث علي رضي الله عنه ﴿ أنه أقبل وعليه أندروردية ﴾ قيل هي نوع من السروايل مشمر فوق التبان يغطي الركبة. واللفظة أعجمية. ومنه حديث سلمان رضي الله عنه ﴿ أنه جاء من المدائن إلى الشام وعليه كساء أندرورد كأن الأول منسوب إليه

أنا : في حديث غزوة حنين ﴿ اختاروا إحدى الطائفتين إما المال وإما السبي، وقد كنت استأنيت بكم ﴾ أي انتظرت

---

(١) أخلاق الوزيرين، ص/٣٣

وتربصت يقال أنيت، وأنيت، وتأنيت، واستانيت. ومنه الحديث ﴿ أنه قال لرجل جاء يوم الجمعة يتخطى رقاب الناس: آذيت وآنيت ﴾ أي آذيت الناس بتخطيك، وأخرت المجيء وأبطأت. وفي حديث الحجاب ﴿ غير ناظرين إناه ﴾ الإنا بكسر الهمزة والقصر: النضج. وفي حديث الهجرة ﴿ هل أنى الرحيل ﴾ أي حان وقته. تقول أنى يأنى. وفي رواية هل آن الرحيل: أي قرب. وفيه ﴿ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا أن يزوج ابنته من جليبيب، فقال: حتى أشاور أمها، فلما ذكره لها قالت: حلقا، أجليبيب إنية، لا، لعمر الله ﴾ قد اختلف في ضبط هذه اللفظة اختلافا كثيرا،فرويت بكسر الهمزة والنون وسكون الياء وبعدها هاء، ومعناها أنها لفظة تستعملها العرب في الإنكار، يقول القائل جاء زيد، فتقول أنت: أزيد نيه، وأزيد إنيه كأنك استبعدت مجيئه. وحكى سيبويه أنه **قيل لأعرابي** سكن البلد: أتخرج إذا أخصبت البادية؟ فقال: أأنا إنيه؟ يعني أتقول لي هذا القول وأنا معروف بهذا الفعل، كأنه أنكر استفهامهم إياه. ورويت أيضا بكسر الهمزة وبعدها باء ساكنة ثم نون مفتوحة، وتقديرها ألجليبيب ابنتي؟ فأسقطت الياء ووقفت عليها بالباء. قال أبو موسى: وهو في مستند أحمد بن حنبل بخط أبي الحسن بن الفرات، وخطه حجة، وهو هكذا معجم مقيد في مواضع. ويجوز أنه لا يكون قد حذف الياء وإنما هي ابنة نكرة، أي أتزوج جليبيبا ببنت؟ تعني أنه لا يصلح أن يزوج مثله بأمة استنقاصا له. وقد رويت مثل هذه الرواية الثالثة بزيادة ألف ولام التعريف: أي ألجليبيب الابنة. ورويت ألجليبيب الأمة؟ تريد الجارية، كناية عن بنتها. ورواه بعضهم أمية، أو آمنة على أنه اسم البنت. ٣باب الهمزة مع الواو

أنب : في حديث طلحة رضي الله عنه ﴿ أنه قال: لما مات خالد بن الوليد استرجع عمر رضي الله عنهما، فقلت: يا أمير المؤمنين. ألا أراك بعيد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي فقال عمر: لا تؤنبني ﴾ التأنيب: المبالغة في التوبيخ والتعنيف. ومنه حديث الحسن بن علي لما صالح معاوية رضي الله عنهم ﴿ قيل له: سودت وجوه المؤمنين فقال: لا تؤنبني ﴾. ومنه حديث توبة كعب بن مالك ﴿ ما زالوا يؤنبونني ﴾. وفي حديث خيفان ﴿ أهل الأنابيب ﴾ هي الرماح، واحدها أنبوب، يعني المطاعين بالرماح." (١)

"وقوله وددت أني أطقت ذلك يحتمل أن يكون إنما خاف العجز عى ذلك للحقوق التى تلزمه لنسائه لأن ذلك يخل بحظوظهن منه لا لضعف جبلته عى احتمال الصيام أو قلة صبره عن الطعام في هذه المدة والله أعلم .

٣١/٥٥م ومن باب صوم أشهر الحرم

قال أبو داود :

٥٥٦- حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن سعيد الجريري عن أبي

السليل عن مجيبة الباهلية عن أبيها أوعمها أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انطلق فأتاه بعد سنة وقد تغيرت حاله وهيئته فقال يا رسول الله أما تعرفني قال ومن أنت قال أنا الباهلي الذي جئتك عام الأول ، قال فما غيرك وقد كنت حسن الهيئة ، قال ما أكلت طعاما منذ فارقتك إلا بليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم عذبت نفسك ، ثم قال صم شهر الصبر ويوما من كل شهر ، قال زدني فإن بي قوة ، قال صم يومين ، قال زدني قال صم ثلاثة أيام ، قال زدني قال صم من

---

(١) جامع غريب الحديث، ٦٣/١

الحرم وأترك ، صم من الحرم وأترك ، صم من الحرم وأترك . وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها .

قلت شهر الصبر هو شهر رمضان ، وأصل الصبر الحبس فسمي الصيام صبرا لما فيه من حبس النفس عن الطعام ومنعها عن وطء النساء وغشيانهن في نهار الشهر .

وقوله صم من الحرم فإن الحرم أربعة أشهر وهي التي ذكرها الله في كتابه فقال ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ﴾ [التوبة : ٣٦] وهي شهر رجب وذي القعدة وذي الحجة والمحرم ، **وقيل لأعرابي** يتفقه كم الأشهر الحرم قال أربعة ثلاثة سرد وواحد فرد .

٦٣/٣٢م ومن باب صوم يوم عرفة

قال أبو داود :

٥٥٧- حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حوشب بن عقيل عن مهدي الهجري حدثنا عكرمة قال كنا عند أبي هريرة في بيته فحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صوم يوم عرفة .." (١)

"٥٥/٣١م ومن باب صوم أشهر الحرم

٥٥٦- قال أبو داود : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن سعيد الجريري ، عن أبي السليل عن مجيبة الباهلية عن أبيها أوعمها أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انطلق فأتاه بعد سنة وقد تغيرت حاله وهيئته فقال يا رسول الله أما تعرفني قال ومن أنت قال أنا الباهلي الذي جئتك عام الأول ، قال فما غيرك وقد كنت حسن الهيئة ، قال ما أكلت طعاما منذ فارقتك إلا بليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم عذبت نفسك ، ثم قال صم شهر الصبر ويوما من كل شهر ، قال زدني فإن بي قوة ، قال صم يومين ، قال زدني قال صم ثلاثة أيام ، قال زدني قال صم من الحرم وأترك ، صم من الحرم وأترك ، صم من الحرم وأترك . وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها.

قلت شهر الصبر هو شهر رمضان ، وأصل الصبر الحبس فسمي الصيام صبرا لما فيه من حبس النفس عن الطعام ومنعها عن وطء النساء وغشيانهن في نهار الشهر.

وقوله صم من الحرم فإن الحرم أربعة أشهر وهي التي ذكرها الله في كتابه فقال ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم﴾ [التوبة : ٣٦] وهي شهر رجب وذي القعدة وذي الحجة والمحرم ، **وقيل لأعرابي** يتفقه كم الأشهر الحرم قال أربعة ثلاثة سرد وواحد فرد.." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٦٣ """""""

المدفوع : لتجدني ذا منكب مزحم ، وركن مدغم ، ورأس مصدم ، ولسان مرجم ، ووطء ميثم ، أي مكسر . ١٦٨ - قال ابن الأعرابي ، **قيل لأعرابي** : ما أشد البرد ؟ قال : إذا كانت السماء نقية ، والأرض ندية ، والريح شآمية . توق تشديد ياء ندية وشآمية ؛ ألا ترى أنك تقول : هذا تراب ند ، وروض ند ، ورجل شآم ، وامرآة شآمية ؟ ١٦٩ - وقال ابن

(١) تفسير سنن أبي داود (معالم السنن) لأبي سليمان الخطابي، ٣٩٢/١

(٢) معالم السنن للخطابي ٢٨٨، ١٣٠/٢

الأعرابي ، قال آخر : إذا صفت الخضراء ، ونديت الدقعاء ، وهبت الجربياء ، يعني في شدة البرد ؛ الخضراء : السماء ، والدقعاء : الأرض ، والجربياء : الشمال ؛ هكذا حفظته . ١٧٠ - مدح أعرابي نفسه فقيل له : أتمدح نفسك ؟ فقال : أفاكلها إلى عدو يشتمني ويذمني ؟ ١٧١ - وأنشد ابن الأعرابي لشاعر : الطويل." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٤١ """""""

ومن نوادر كلام الأعراب **قيل لأعرابي** : أتأكل الضب ؟ قال : وما ظلمني أن آكله ؟ أي ما منعني ؛ قال أبو عثمان سعيد بن هارون : ومنه قول الله عز وجل ' ولم تظلم منه شيئا ' الكهف : ٣٣ ، أي لم تمنع . قال التوزي : دابة مهزول ثم منق إذا سمن قليلا ، ثم شنون ، ثم سمين ، ثم ساح ، ثم مترطم الذي قد انتهى سمنا . قال الأشناندانى : كل نار يشتوى عليها فالمشتوى حنيذ . يقال شارب وشاربون وشرب ، مثل : صاحب وصحب ، وشربة ، مثل : كاتب وكتبة وحاسب وحسبة ، وشرباء ، مثل : عالم وعلماء ، ويكون شرباء جمع شريب ، مثل : نديم وندماء ؛ ورجل شريب وشراب وشروب بمعنى واحد ؛ الشاربة : الذين يردون الماء فيشربون . هكذا حفظت عن أئمة هذا اللسان ، وما لي منه إلا حظ الرواية ، إن وقعت موقعها منك ، وحلت محلها عندك ، وإن تكن الأخرى فما أقدرك على رد." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٢٠ """""""

أعرابي ذكر الريح فقال : أصبحت الشمال تتنفس الصعداء . قيل لأم البنين : ما أحسن شيء رأيته ؟ قالت : نعم الله مقبلة . قال أعرابي لرجل : لا جعلك الله آخرا يتكل على أوله . **قيل لأعرابية** : ما خبر قدرك ؟ قالت : حليمة مغتاظة ، أي هي ساكنة الغلي لم تبرد . وكتب علي بن هشام إلى الموصلي : ما أدري كيف أصنع ، أغيب فأشتاق ، وألتقي فلا أشتفي ، ثم يحدث لي اللقاء نوعا من الحرقة للوعة الفرقة . وكتب آخر : من العجب إذكار معني ، وحث متيقظ ، وأستبطاء ذاكر ، إلا أن ذا الحاجة لا يدع أن يقول في حاجته ، حل بذلك منها أو عقل ، وكتابي تذكرة والسلام .." (٣)

""""""""" صفحة رقم ٣٥ """""""

السكري عن الزيادي عن الأصمعي ، **قيل لأعرابي** : إنك لكذوب خوار ، فقال : والله لأنا أصدق من قطاة ، وأصلب من صفاة . قال الأصمعي : سئل عبيد الله بن عتبة عن الفصاحة فقال : دنو المأخذ ، وقرع الحجة ، وقدح المراد ، وقليل من كثير . قال السكري : حدثني صديق لي قال : اشتريت جارية فلما خلوت بها فترت ، فجعلت تعضني وتعبث بي ، فلما رأته لا يتحرك قالت : يا مولاي ليس هذا من عملي ، هذا من عمل المسيح عليه السلام . المبرد عن التوزي عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال : قال أكثم بن صيفي لبعض ولده : يا بني ، الغنى أنفع ، والسلطان أرفع ، والعدو

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٦٣/١

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ١٤١/١

(٣) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٢٢٠/١

أمنع ، والعافية أوسع . وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا من الأنصار إلى بعض ملوك العجم يدعوه إلى الإسلام ، فقدم عليه في وقت ثمار بلاده ، فجعل يدور به." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٩٢ """"""""

نظر أعرابي إلى رجل جيد الكدنة فقال له : يا هذا إني لأرى عليك قطيفة من نسج أضراسك محكمة . يقال : حصب في الأرض إذا ذهب . العرب تقول : شر النساء الحميراء المحياض ، والسويداء الممراض . يقال : ليس على مختف قطع ، أي ليس على النباش قطع ، يقال خفاه واختفاه إذا أظهره ، فكأنه يظهر الكفن ، كذا قيل . السمهري : الرمح الشديد ، يقال اسمهر الأمر إذا اشتد ، وكذلك ازمهر ، ويقال ازمهر الحر أيضا . المذلق : المحدد ، وفلان ذليق اللسان وذلق كما قالوا : رهيف اللسان ، ويشار بذلاقة اللسان إلى استمرار اللفظ ، ويشار بها أيضا إلى شدة الجواب وإصابته . والربل : نبت ، ويقال ربل القوم إذا كثر مالهم وهي الربالة . إناء روي : إذا كان يروي من يشربه ، وماء روي ورواء إذا كان لا ينزح ؛ جفالة الضائنة : صوفها ، وجفالة الناقة : وبرها . **قيل لأعرابي** : أي الناس أشد ؟ قال : الأعجف الضخم ،." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٩٥ """"""""

وقال جالينوس : من أصابه قولنج فليأت كلبا نائما ، وليثره عن موضعه وليبل فيه . قال جعفر بن محمد : من أنصف من نفسه ، رضي به حكما لغيره . العرب تقول : شر الجيران من عينه تراك ، وقلبه يرعاك ، إن رأى حسنة سترها ، وإن سمع سيئة نشرها . لأعرابية في زوجها : المتقارب يحب النكاح أبو مسهر . . . وليس يطاوعه أيره وقد أمسك البخل من كفه . . . فأصبح لا يرتجى خيره فيا ليت ما يجري في آسته . . . ويملكني رجل غيره **قيل لأعرابية** : ما للبرق البعيد أشوق من القريب ؟ قالت : لأن القريب أرجى ، والبعيد أيأس . قال ابن الكلبي : الأقوال والأقيال من العرب : الملوك ، والقمامسة : الأشراف ، الواحد قمس ، والبطارقة من الروم ، الواحد بطريق ، والمرازبة من الفرس ، والطراخنة من الترك ، والتكاكرة من السند والهند ، الواحد تكرك ، والأقاصرة - كذا قال ، والسماع القياصرة - ملوك الروم ،." (٣)

"""""""""" صفحة رقم ٩٦ """"""""

والأكاسرة ملوك الفرس ، والتبايعة ملوك اليمن . قال الحارث بن كلدة : إذا أردت أن تحبل منك المرأة فمشها في عرصة الدار عشرة أشواط ، فإن رحمها ينزل ولا تكاد تخلف . سمعت أشياخا يقولون : من أمثال الفرس : ما دخل مع اللبن لا يخرج إلا مع الروح ، والعرب تقول : آطبع الطين ما دام رطبا ، واغرس العود ما كان لدنا **قيل لأعرابي** : ما اللذة ؟ قال : قبلة على غفلة . قيل لملك : فيم لذتك ؟ قال : في ظفر ، بعد دور ، وليالي سمر . وقيل لطفيلي : فيم لذتك ؟ قال : في مائدة منصوبة ، ونفقة غير محسوبة ، عند رجل لا يضيق صدره من البلع ، ولا تجيش نفسه من الجرع . وقيل لتاجر : فيم

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٣٥/٢

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٩٢/٢

(٣) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٩٥/٢

لذتك ؟ قال : في ربح على السوم ، ونقد في اليوم . وقيل لعالم : فيم لذتك ؟ قال : في حجة تنبختر اتضاحا ، وشبهة تتضاءل افتضاحا .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٣٧ """""""

وأول من عمل السويق ذو القرنين ، وأول من خبز له الرقاق نمرود بن كنعان ، وأول من لبس الخفاف الساذجة والكتان زياد . قال أبو عبيدة : قال لي أبو مهدية : أتشرب هذا النبيذ ؟ قلت : لا ، قال : ولم ؟ قلت : إنه يذهب بعقلي ، قال : ويحك إن ذهب اليوم عاد غدا . **قيل لأعرابي** : ألا تمزجها ؟ قال : حسبها ما شربت في كرمها . كتب طاهر إلى أبيه رقعة يستزيده فيها ويلومه في تقديم أخيه عليه – وكان أسن منه – فوقع أبوه في ظهر رقعته : أكلت خراك بعود أراك ، ليت أباك أشبه أخاك . لمنصور التميمي الفقيه : الخفيف المجزوء ربما نال وادع . . . حظوة الطالب الملط وله أيضا : البسيط لا والذي جعل الدنيا مغيرة . . . الشر مجتنبا والخير متبعا ما ساءني هجر من لم يرع سالفة . . . ولم أكن بدنوي منه منتفعا." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١٤٩ """""""

ويروى للقدسي الكوفي يمدح الكتاب : الكامل إن كنت تقصدني بظلمك عامدا فحرمت نفع صداقة الكتاب السائقين إلى الصديق ثرى الغنى . . . والناعشين لعثرة الأصحاب والناهضين بكل عبء مثقل . . . والناطقين بفصل كل خطاب والعاطفين على الصديق بفضلهم . . . والطيبين روائح الأثواب ولئن جحدتهم الثناء فطالما . . . جحد العبيد تفضل الأرباب قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : القناعة سيف لا ينبو ، والصبر مطية لا تكبو ، وأفضل عدة صبر على شدة . أهدى أبو موسى الأشعري لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ألوانا من الخبيص ، فقال له : ما هذا ؟ قال : الخير عندنا كثير والمؤونة عندنا تخف . قال : هل أطرفت أحدا م أهل المدينة بشيء من هذا ؟ قالك لا ، قال : إياك أن يراه أغيلمة قريش فيضيقوا عليكم بلادا كثيرة . **قيل لأعرابي** أسرع في مسيرة : كيف كان مسيرك ؟ قال : كنت." (٣)

""""""""" صفحة رقم ١٥١ """""""

وفي كتب الهند : لا ظفر مع بغي ، ولا صحة مع نهم ، ولا ثناء مع كبر ، ولا صداقة مع غضب ، ولا شرف مع سوء أدب ، ولا برمع شح ، ولا اجتناب محرم مع غرض ، ولا محبة مع هزؤ ، ولا عذر مع إصرار ، ولا راحة مع حسد ، ولا سؤدد مع انتقام ، ولا رئاسة مع غيرة وعجب ، ولا صواب مع ترك المشاورة ، ولا ثبات ملك مع تهاون وجهالة . سئل ملك : أي مكايد الحروب أعظم ؟ قال : إذكاء العيون ، واستطلاع الأخبار ، وإظهار الغلبة ، وإفشاء السرور ، وإماتة الفرق ، والاحتراس من البطانة من غير استقصاء لمن يستنصح ، ولا استنصاح لمن يستغش ، ولا تحويل شيء عن شيء . **قيل لأعرابية** : كيف حزنك على ولدك ؟ قال : ما ترك لنا حب الغداء والعشاء حزنا . شاعرك : الطويل لعمرك ما النائي

---

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٢/٩٦

(٢) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٢/١٣٧

(٣) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٢/١٤٩

البعيد بنازح . . . إذا قربت ألطافه ونوافله ولكنهما النائي البعيد محجب . . . قريب ولا تهدى إلينا رسائله وما ضرنا أن السماك محلق . . . بعيد إذا جادت علينا هواطله." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٧٥ """""""

جلس سليمان بن عبد الملك للمظالم يوما ، فقام إليه رجل فقام : ألم تسمع قول الله عز وجل ' فأذن مؤذن بينهم ا ، لعنة الله على الظالمين ' الأعراف : ٤٣ قال : فما خطبك أيها الرجل ؟ قال : وكيلك اغتصب ضيعتي وضمها إلى ضيعتك الفلانية ، قال : فضيعتي لك ، وضيعتك مردودة إليك ؛ وكتب إلى الوكيل برد ضيعته عليه وتسليم ضيعة سليمان إليه والأنصراف عن عمله . وقال أعرابي : حاجب الرجل عامله على عرضه . قيل لأعرابية : ما لك لا تحبين زوجك ؟ قالت : لخصال كن فيه : خبيث العرق ، قليل المرق ، ضجعته انجعاف ، وشملته التفاف ، يشبع ليلة يضاف ، وينام ليلة يخاف ، ولا يقضيني أمري – أي الجماع . قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : إذا كان المال عند من لا ينفقه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والرأي عند من لا يقبل منه ، ضاعت الأمور . قيل لشبيب بن شيبة المنفري وقد اشتد عليه حجاب المهدي :." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢١٩ """""""

قيل لأعرابي : كيف ترى الدنيا ؟ قال : وهل فرغني شغلي بها أن أراها ؟ قال محمد بن إبراهيم كاتب سيما الدمشقي : سألني علي بن الهيثم حاجة ثم تواني عنها ، فقلت له : أنمت عن حاجتك ؟ فقال : ما ناء عن حاجته من أسهرك لها ، ولا عدل بها عن محجة النجح من قصدك بها . قال الأصمعي : الشرائع جمع شريعة ، وهي حيث يشرع في الماء ، وكأن الشريعة في الدين من هذا لن صاحبها يشرب منها فيروى ، ويكرع فيها فيسلى ، ويغسل نفسه بها فيطهر . ويسقى منها بالبادية سفره فيقطع ، فكأنه كمن قدم من الشريعة طاعة الله عز وجل بما تضمنه من الأمر والنهى ، والتحليل والتحريم ، والحظر والإباحة ، والرغبة والرهبة ، والخوف والرجاء ، والسلامة واليقين . والحميل : الكفيل ، والحمولة – بالفتح – البعران ، – والضم – الأحمال . وبار المتاع : كسد – بفتح السين – ، والحمالة – بالكسر – علاقة السيف ، والحمالة – بالفتح – الغرم والدية . وأبشمني الطعام فبشمت ؛ ويقال : كسدت يا فلان علي بيعي وأكسدت .." (٣)

""""""""" صفحة رقم ٢٢٥ """""""

نرجو ، وعذابك نخاف ، ووصالك نبغي ، وهجرك نعاف ، وإلى رضاك نميل ، ومن سخطك نهرب ، وإياك نطلب ، وفيك نتهالك ، فأجعل جزعنا من أحكامك صبرا ، واقلب معارضتنا لك تسليما ، وانتصر لفاقتنا إليك بغنانا على يديك ، حتى لا يرد علينا من قضائك إلا ما يقرن بالرضى ، ولا يصعد إليك من شكرنا إلا ما يمتري المزيد ، ولا يهجس في نفوسنا مما فيه هلاكنا إلا محقته من قدرتك بما يكون فيه ملاذنا ، إنك أهل لما لاق بإلهيتك ، وحكى آثار تفضلك . إلهي لو ظهر

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ١٥١/٢

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ١٧٥/٢

(٣) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٢١٩/٢

سرك كظهور قدرتك ، لباد خلقك ، ولو خفيت نعمتك كخفاء سرك لجهل حقك ، لا إله إلا أنت حقا ، ولا زال خلقك لك خلقا . بعث الحجاج أدهم بن محرز الباهلي إلى أهل سجستان وكتب إليهم : أما بعد ، فإني قد بعثت إليكم أدهم بن محرز ، ومو ما علمته طويل الجلوس ، دائم العبوس ، سمين الأمانة ، أعجف الخيانة ، فاسمعوا له وأطيعوا . **قيل لأعرابي** مات أخوه : صف لنا أخاك ، فقال : كان شديد العقدة ، لين العطفة ، يرضيه أقل مما يسخطه .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٢٦ """""""""

وقال معاوية على المنبر : يا أهل الشام ، إنكم والله ما أنتم بخير من أهل العراق ، ثم تداركها فقال : إلا أنكم أعطيتم بالطاعة ، وحرموا بالمعصية . لله أبوه من منذر ثم مبشر في ضروب الخير والشر . دخل نساء من أهل الكوفة إلى سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام يعزينها في زوجها مصعب ، فقالت : لا جزاكم الله خيرا يا أهل الكوفة : أيتمتموني صغيرة وأرملتموني كبيرة . أتي محرق غسان بنسوة من تميم ، فأراد قتلهن لنذر ، فطلبن إليه العفو فأبى ، فقالت له امرأة منهن : ما لك أطال الله سهادك ، وأطفأ رمادك ، والله إن تقتل إلا نساء أعلاهن ثدي ، وأسفلهن دمي ، والله ما أدركت ثارا ، ولا محوت عارا . فأمر بتخلية النساء غيرها وقال : ما أقتلك إلا مخافة أن تلدي مثلك . **وقيل لأعرابي** : كيف ترى شيخوختك من شبابك ؟ قال : كما ترى عمارتك من خرابك .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٤١ """""""""

ليشتد منهم ، والغيظ يكبر عليهم ، وإن كانوا نالوا الآخرة مع ما نالوا من الدنيا ، إن القوم لصفوة الله وأبرار عباده : نسأل الله أن يجعل حظنا من الآخرة فوق حظنا من الدنيا ، فالخاسر من أراد حرث العاجلة دون حرث الآجلة . **قيل لأعرابي** : صف لنا أفضل الخيل فقال : المقبلات كالقنا ، المعرضات كالدبا ، المترصات كالنوى ، المدبرات كالفرا . شاعر : الطويل وما هي إلا ليلة بعد ليلة . . . وحول إلى حول وشهر إلى شهر مطايا يقربن البعيد من الردى . . . ويذهبن أشلاء الأنام إلى القبر ويتركن أزواج الغيور لغيره . . . ويقسمن ما يحوي الشحيح من الوافر قال المدائني : قدم أعرابي من بني هلال يكنى أبا الرغيف من أخوال عبد الله بن عباس البصرة ، وعبد الله بها وال ، فكان يكرمه ويدنيه فقال له يوما : هل تتخمون في بلادكم ؟ قال : وما التخم أصلح الله الأمير ؟ قال : الطسأ ، قال : لاها الله إذن ما نطسأ ، قال عبد الله : مم ذاك ؟ قال : من أنا لا نخلي المعدة فترق ، ولا نكظها فتحق ، وأنا نأدم الأكل بشيء من الذوب ولا نستكمل التكاة . قال : فهل تلوون ؟ قال : وما اللوي ؟ قال : المدخر قال : لا ، قال : ولم ذاك ؟ قال : لأنا إذا طبخنا اللحم هرتناه ، وإذا شويناه أنضجناه ، وإذا مضغناه فتنناه ، قال : هذا إذن من هذا . قال : فهل تتعرون ؟." (٣)

""""""""" صفحة رقم ٢٤٢ """""""""

فتضاحك ثم قال : وأنى لنا بالتعري أصلح الله الأمير ، في أجسادنا ربل . قال ثعلب ، **قيل لأعرابي** : ما تطعم الخزء ؟ قال

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٢/٢٢٥

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٢/٢٢٦

(٣) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٢/٢٤١

: أذقته ؟ كتب بشار بن برد المرعث يعزي أخا له : أما بعد ، فإن أحق ما اغتنمنا حلوه ، وصبرنا على مره ، واستدمنا مكروهه ، ونافسنا فيه أهله ، وأحق ما أغلقنا أبوابه ، وصرمنا أسبابه ، وزهدنا في وده ، ومللنا فجائعه ، الدنيا التي لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن فجائعها . وقد خبر الله تعالى عنها وكفى به خبيرا فقال ' إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح ' الكهف : ٤٦ فكتاب الله موعظتنا ، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسوتنا ، فأي موعظة بعد كتاب الله ، وأي أسوة بعد رسول الله ، وقد قال الله تعالى ' لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ' الأحزاب : ٢١ ثم دعا للميت بالثواب والمغفرة ، وللمعزى بإلهام الصبر ، وتعويض الأجر . هذا آخر الثاني ، والثالث على أثره إن صرفت عني عتبك في جميع ما غرض من النفس ، ودل على العجز ، وأغلق باب العذر ، والله أسأل معونة تكفي مؤونة ، وهداية تنفي ضلالة ، وإزاحة تكسب راحة ، وحالا تحمد عاقبة ، إنه ولي الخير ، ومالك الأمر ، لا إله إلا هو سبحانه عما يصفه الظالمون .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٨ """""""

قال الزياتون : من مناقب الزيت أنه يعصر أول عصرة فيكون منه زيت للأكل ، ثم يعصر ثانية فيكون منه زيت السراج ، ثم يعصر ثالثة فتطيب به زقاق الزيت ، ثم يباع ثجيره فيجفف وتسجر به النار فتكون ناره أحر نار ، ثم يعزل رماد ذلك الوقود فيباع لأصحاب الصابون فيدخلونه في عمله فيجود ، فلا يسقط منه شيء . وصف بعض العلماء الذهب فقال : هو أبقى الجواهر على الدفن ، وأصبرها على الماء ، وأقلها نقصانا على النار ، وهو أوزن من كل ذي وزن إذا كان في مقدار شخصه ، وجميع جواهر الأرض إذا وضع على ظهر الزئبق في إنائه طفا ، ولو كان وزنا عظيما ، وحجما ثقيلا ، وإن وضع قيراط من ذهب رسب حتى يبلغ قعر الإناء ، وميله أجود الأميال ، والهند تمره في العين بغير كحل ، ولا يسود لصلاح طبعه وموافقة جوهره لجوهر الناظر ، ومنه الزرياب والصفائح التي تتخذ لسقوف الخلفاء والملوك ، وعليه مدار تبايع الخلق ، وهو ثمن لكل شيء ، والأرض التي تنبته تحيل الفضة إلى جوهرها في السنين الكثيرة ، وتقلب الحديد إلى طبعها في الأيام اليسيرة ، والطبيخ الذي يكون في قدوره أغذى وأمرأ وأصح في الجوف . **قيل لأعرابي** : كيف أنت مع صديقك ؟ قال : نتعايش بالنفاق ، ونتجاوز بهجر وفراق . قال خالد الكاتب في أبي المثنى الطفيلي : السريع." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٤٦ """""""

مع عيسى ، فأبى فقال : أتأنف ويحك أن تكون معه ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إني حلفت يمينا لا أكون على أمير المؤمنين في جد ولا هزل . **قيل لأعرابي** : كيف ترى الدهر ؟ قال : خدوعا خلوبا ، وثوبا غلوبا . قال رجل لمتكلم : ما الدليل على صانع العالم ؟ قال : شعرة أمك ، فإنها تحلقها فتنبت وتعلم أن لها منبتا ، فقال الرجل : إن كان هذا دليلا على إثبات الصانع فإن بظر أمك يدل على نفي الصانع ، لأنها إذا قطعته لم ينبت ؛ فانقطع المتكلم . والسفه في المتكلمين فاش ، وسوء الأدب عندهم من أجود سلاح ، والمكابرة من أكبر عدة ، ولهذا يجتمعون فلا ينفع الله باجتماعهم وبتعاطيهم

---

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٢/٢٤٢

(٢) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٣/٣٨

وبأهوائهم . وما زال هذا الدين بهي المنظر مهيب المخبر ، عذب المورد محمود المصدر ، حتى تكلم هؤلاء القوم فأثاروا الشبه ، وأقاموا الحجج ، وطرحوا في القلوب العار ، وحملوا الألسنة على الإنكار ؛ كفى الله المسلمين شرهم ، إنه نعم الكافي والمعين . قال أبو عبيدة : السحاب فحل الأرض . قال المدائني : كان فروخ العلج موسرا ، فزوج إلى بعض أشراف." [1]

""""""""" صفحة رقم ٥١ """""""

قيل لأعرابي : ما أطيب الروائح ؟ قال : بدن تحبه ، وولد تربه . أبو العمثيل : الطويل وبيضاء مكسال لعوب خريدة . . . لذيذ لدى ليل التمام شمامها كأن وميض البرق بيني وبينها . . . إذ حان من بعض البيوت أبتسامها قال مروان بن أبي حفصة لبشار : أنت باز والشعراء غرانيق . قال ابن سلام : ذكر عند الأحنف الحضين بن المنذر بن الحارث فقالوا : ساد وهو حدث لم تتصل لحيته ، فقال الأحنف : السؤدد مع السواد . قال المبرد : كان سلم بن نوفل الدئلي سيد بني كنانة ، فوثب رجل من أهله على ابنه فجرحه ، فجيء به فقال له : ما أمنك مني وجرأك علي ، أما خشيت عقابي ؟ قال : لا ، قال : ولم ؟ قال : لأنا سودناك لتكظم الغيظ." [2]

""""""""" صفحة رقم ٦٣ """""""

اللهم أهلك أبا حسان الدقاق فإنه تربص بالمسلمين وفعل السوىء بهم ، ومنزله أول باب في الدرب على يسارك . قال الهيثم بن عدي : كان يقال : لا يوجد العجول محمودا ، ولا الغضوب مسرورا ، ولا الكريم حسودا ولا الشره غنيا ، ولا الملول ذا إخوان . أنشد لعمران بن حطان : الكامل حتى متى تسقى النفوس بكأسها . . . ريب المنون وأنت لاه ترتع أفقد رضيت بأن تعلل بالمنى . . . وإلى المنية كل يوم تدفع أحلام نوم أو كظل زائل . . . إن اللبيب بمثله لا يخدع **قيل لأعرابي** : أين الجد من الأدب ؟ قال : هذا مشرق وهذا مغرب . قال عبد الله بن قيس في بني عمارة بن عقبة بن أبي معيط ، وكانوا أكرموه : الكامل المجزوء ما إن رأيت بني أب . . . في الناس مثل بني عماره." [3]

""""""""" صفحة رقم ٨١ """""""

قال الأصمعي : سمعت جعفر بن سليمان يسأل أعرابيا : ما بال الأرنب أحب إلى الصقر من الحبارى ؟ قال : لأن الحبارى تكلح في وجهه ، وتسلح على سبلته . **قيل لأعرابي** : فلان يعيبك ، قال : ذاك المائل عن المجد رجلا ، المطلي باللؤم وجها ، ولكن قد ينبح القمر الكلب . قال أعرابي وذكر شبابه قيل له : ثم مه ، قال : ثم مللت راحة الصبا ، وسقيت سلوة عن الهوى ، وأعلم أن أغنى الناس من كثرت حسناته ، وأفقرهم من قل نصيبه منها . شاعر : الكامل هذا الربيع كأنما أغصانه . . . أبناء فارس في بنات الروم بسط البسيطة سندسا وتبرقعت . . . قلل المياه بلؤلؤ منظوم والورد يحكي في ذرى أغصانه . . . قضب الزبرجد نظمت بنجوم في الأمثال : أنا الغريق فما خوفي من البلل ومنها : إن الدلاء ملاكها الوذم." [4]

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٤٦/٣

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٥١/٣

(٣) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٦٣/٣

(٤) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٨١/٣

"""""""" صفحة رقم ٨٦ """"""

كان العباس يقول : الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس ، ومن الذنب للمصر ، ومن الحكم للمقر ، وهو عندهم أرفع من السماء ، وأعذب من الماء ، وأحلى من الشهد ، وأذكى من الورد ، خطأه صواب ، وسيئته حسنة ، وقوله مقبول ، يغشى مجلسه ، ولا يمل حديثه ؛ والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب ، ومن رؤيا الكظة ، ومن مرآة اللقوة ، ومن سحاب تموز ، لا يسأل عنه إن غاب ، ولا يسلم عليه إن قدم ، إن غاب شتموه ، وإن حضر حقروه ، وإن غضب صفعوه ، مصافحته تنقض الوضوء ، وقرانه يقطع الصلاة ، أثقل من الأمانة ، وأبغض من الملحف الملزم . قال أعرابي : أجمعوا الدراهم فإنها تلبس اليلمق ، وتطعم الجردق . **قيل لأعرابي** : ما السرور ؟ قال : كثرة المال ، وقلة العيال . قيل لفيلسوف : فيم السرور ؟ قال : في إيضاح حق قد ألتبس بباطل ، وإزالة باطل قد جار على الحق . قيل لصوفي : فيم السرور ؟ قال في توحيد يقام شاهده ، ومقام يصدق وارده . أنشد ابن الأعرابي : الكامل إني لألبسكم على علاتكم . . . لبس الشفيق على العتيق المخلق ولقد أرى ما لو أشاء عتبته . . . فأصد عنه ببقيتي وترفقي ليرى العدو قناتنا لم تنصدع . . . ويكون ذاك كأنه لم يخلق." (١)

"""""""" صفحة رقم ٩٢ """"""

لا تقل بشرى ولكن بشريان . . . غرة الداعي ويوم المهرجان فكره الحسن ابتداءه ب لا تقل بشرى فقال : لو قلت : غرة الداعي ويوم المهرجان . . . لا تقل بشرى ولكن بشريان لكان أحسن ، لأن الأبتداء ب لا قبيح ، فقال له أبو مقاتل : لا كلمة أشرف من التوحيد ، وابتداؤه ب لا . قيل لسقراط : متى أثرت فيك الحكمة ؟ قال : مذ بدأت أحقر نفسي . قال أبو بكر الدلال : رئي غزوان الضرير في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : الخفيف المجزوء حاسبونا فدققوا . . . ثم منوا فأعتقوا قيل لزيد بن علي : يا ابن رسول الله ، أما ترى فقيرا يستغني ، وغنيا يفتقر ، وشيخا يبقى ، وطفلا يخترم ، وأحوالا هذه سبيلها خارجة عن العادة ، فكيف ذلك ؟ قال : نؤخذ في كل حال حتى لا نأمن في حال . سمعت علي بن الحسين العلوي يقول : الموت طريق تستوي فيه الأقدام ، ويسلكه المقصر والمقدام . **قيل لأعرابي** : ما يغنيك ؟ قال : السلامة في الدنيا ، والكرامة في الآخرة .." (٢)

"""""""" صفحة رقم ١٢١ """"""

على نهر ابن عمر بالبصرة على النيل ، فاراد منه أن يصف بناءه فقال : أعز الله الأمير ، بنيت أحسن بناء ، بأوسع فضاء ، وأخصب فناء ، على أصفى ماء ، وأغذى هواء ، وبين صراري ورعاء ، وحيتان وظباء ؛ فقال : والله لكلامك أحسن من بنائي ، ووصله وخلع عليه . قال رجل لأعرابي بحضرة قوم يتخاصمون : أما ترى أجيج اليوم ؟ قال : إن ضجيج القوم أشد من أجيج اليوم . **قيل لأعرابي** : ما أعددت لحالي فقرك والغنى ؟ قال : الذي أعددته لحفظ الغنى هو الذي أعددته لصرف الفقر . كتب عبد الله بن عباس إلى عبد الملك بن مروان لما خرج محمد ابن الحنفية إلى الشام : إنه خرج إليك رجل

---

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٨٦/٣

(٢) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٩٢/٣

منا ، لا يبدأك بالشر ولا يمالئ على الظلم ، يتحرى الحق ولا ينوي الباطل ، فاحفظنا فيه . فأجابه عبد الملك : ما أسرني لصلة رحمك وحفظ توصيك ، وكل ما سألت مفعول ، وكل ما هويت متبع . معنى قوله : يتحرى الشيء أي يطلب حراه أي مكانه وفناءه ، يقال : نزلت بحراه وذراه وكنفه وعقوته ؛ وأما ما مالأت فلانا فإن السيرافي سأل أهل." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٤٧ """""""

ضاحكا ، حتى ألحق بالله عز وجل . قال مغيرة : كنت كثير الضحك فلم يقطعه عني إلا قتل زيد بن علي . لما احتضر معاذ قال : قد كنت أخشاك وأنا اليوم أرجوك . قال عبد الله بن أبي الهذيل : إن كان أحدهما ليبول فيتسمح بالتراب مخافة أن تقوم الساعة . **قيل لأعرابي** : ما أضنك بالخمر ؟ قال : سبحان الله ، كيف لا أضن بها وهي تسرج في عيني نورها ، وفي سرورها . قال العتبي : كان معاوية يقوم لرجل من أهل الشام ، وكان شيخا مسنا قد بلغ التسعين ، فقيل له : أتقوم لهذا ؟ فقال : إن فيه شبها من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأنا أقوم للنبي (صلى الله عليه وسلم) . ذكر أعرابي شيبه فقالك كنت أنكر البيضاء فصرت أنكر السوداء .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١١٤ """""""

والندمان واحد فإذا رضيته فلا تفارقه ما لم يفارقك الرضا به ، والغناء صوت واحد فإذا استطبته فاستزده حتى تقضي وطرك منه . قال أعرابي : اللهم إنا نبات نعمتك فلا تجعلنا حصاد نقمتك . كان ابن يسار يقول : اللههم يسر لنا ما نخاف عسره ، وسهل لنا ما نخاف حزونته ، ونفس عنا ما نخاف غمه ، واكشف عنا ما نخاف كربه . اختصم اثنان من الشطار إلى قاض لهم ، يقول كل واحد : أنا أفتى منك ، فقال القاضي لأحدهما : الخبيص أحب إليك أم الفلوذج ؟ فقال : الخبيص ، فقال الآخر : الفالوذج ، فحكم للذي فضل الفالوذج ، فسئل عن الحجة فقال : لأن الخبيص يعمل من السكر ، والسكر من القند ، والقند من القصب ، والقصب يمصه الصبيان في الكتاتيب ، وليس فيهم فتوة ؛ والفالوذج من العسل ، والعسل من الشهد ، والشهد من النحل ، والنحل أيوي الجبل ، والجبل يكون فيه الصعاليك ، والصعاليك فتيان . **قيل لأعرابي** : لم لا تشرب ؟ فقال : والله ما أرضى عقلي مجمعا فكيف أفرقه ؟." (٣)

""""""""" صفحة رقم ١١٥ """""""

وقيل لأعرابي : أما تشرب ؟ فقالك لا أشرب ما يشرب عقلي . خرج سكران من داره فاستقبله الطائف فقال : أنت سكران ، قال : لا ، قال : أتقرأ القرآن ؟ قال : نعم ، قال : فاقرأ آية فيها أربع صادات ، فقال السكران : وما قص صالح صاحب المصلى ، فضحك الطائف ، وإنما أراد ' فاقصص القصص ' الأعراف : ١٧٦ . قال حماد : قلت لمغن : غن ، قال : هذا أمر ، قلت : فأحب أن تفعل ، قال : هذا حاجة ، قلت : فلا تفعل ، قال : هذا عربدة . قال أحمد بن أبي العلاء : قلت لمغن في مجلس : غن لي صوت كذا ، وبعده كذا ، وبعده كذا ، قال : يا ابن الزانية ، ولا تقترح صوتا إلا

---

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١٢١/٣

(٢) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١٤٧/٣

(٣) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١١٤/٤

بولي عهد ؟ ؟ خرج سكران من موضع ليلا فتلقاه الطائف ، فلف السكران رأسه ووجهه برداء كان معه ، فقال الطائف : وما هذا ؟ قال : هذا شيء مغطى وقد نادى الأمير ألا يكشف مغطى ، فمن خالف الأمير جلده ، قال الطائف : فاكشف لي عن رأسك لي عليك بأس ، قال : ليس لي رأس ، ومن أين لك أني برأس ؟ قال الطائف : ويلك فمن أين تكلمني ؟ قال : ليس هذا." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٤١ """""""

رأوا أبا نواس بقطربل وفي يده شراب وعن يمينه عنقود وعن يساره زبيب ، فقيل له : ما هذا ؟ قال : ابن وأب وروح القدس . قال أبو العيناء : تذاكرنا النبيذ فقال الجماز : نبيذ الزبيب تمكسود الخمر . قال بعض الأدباء : إنما اشتق لها من الروح – يعني الراح – هذا الاسم لأنها تزيد في الحياة ؛ وقال أيضا : دما لأنها تزيد في الدم ؛ وقال صريع الغواني : الطويل خلطنا دما من كومة بدمائنا . . . فأظهر في الألوان منا الدم الدم **قيل لأعرابي** :كم تشرب من النبيذ ؟ قال : على قدر النبيذ . قال فيلسوف : بنيت الدنيا على أربعة أركان تستصلح بأمور أربعة : بنيت على الرغبة والشهوة والعداء ومنع البيضة ؛ فتستصلح الرغبة بالقصد ، والشهوة بالعفة ، والعداء بالمسالمة ، ومنع البيضة بالنجدة .." (٢)

"""""""" صفحة رقم ١٤٥ """""""

مروءة قد وجب عليه الحد ، فقال لخصمائه : ألكم شهود ؟ قالوا نعم ، قال : فأتوني بهم إذا أمسيتم ولا تأتوني بهم إلا معتمين ، فلما أمسوا اجتمعوا فأتوه ، فقال لهم علي رضي الله عنه : نشدت الله تعالى رجلا لله تعالى عنده مثل هذا الحد إلا انصرف ، فما بقي أحد ، فدرأ الحد . **قيل لأعرابي** : ما الذي يعجبك من الدنيا ؟ قال : سيف كبرق ثاقب ، ولسان كمخراق لاعب . قال الزهري : سمعت رجلا يقول لهشام بن عبد الملك : لا تعدن يا أمير المؤمنين عدة لا تثق من نفسك بإنجازها ، ولا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعرا ، وأعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب ، وأن للأمور تعاقبا فكن على حذر . قال ابن دأب : فحدثت بهذا الحديث الهادي وفي يده لقمة قد رفعها إلى فيه ، فأمسك يده ولم يولجها فاه حتى سمع الحديث مرات . قال سلام بن أبي مطيع : اللهم ارزقني رزقا لا أشخص له ، وإن حضرته لم أتعب فيه ، وإن أتاني عن غير مسألة لم أرغب عنه ؛ اللهم إن كنت بلغت أحدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية .." (٣)

"""""""" صفحة رقم ١٦٨ """""""

من يرد عليه ، فمن مستقص محتج ومن مسامح موسع ، يكون هذا المحتمل لصاحبه العذر والمحتج له من حيث لا يحتج لنفسه . قال الشاعر : الطويل إذا ما أتت من صاحب لك زلة . . . فكن أنت محتالا لزلته عذرا قال أعرابي : اللهم لك الحمد على طول النية ، وحسن النظرة . وقال : الحمد لله الذي أباتنا نائمين وأنبهنا سالمين . وقال آخر : الحمد لله فالق الإصباح ، وباعث الأرواح . قال هداف التميمي : الحمد لله على نوم الليل وهدوء العروق وسكون الجوارح وكف الأذى

---

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١١٥/٤

(٢) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١٤١/٤

(٣) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١٤٥/٤

والغنى عن الناس . **قيل لأعرابي** : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت أحتسب على الله الحسنة ، ولا أحتسب على نفسي السيئة . قيل لأبي مسمع الوتري : أخبرنا عن قولهم : عطشان نطشان وجائع نائع ، قال : كلمة يشد بها الرجل كلامه . نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الغارفة ، أي جز الشعر ؛ يقال منه : غرف شعره .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٧٥ """""""

قال أحمد بن يزيد حدثني أب عن عمه حبيب بن المهلب قال : ما رأيت رجلا قط مستلئما في حرب إلا كان عندي رجلين ، وما رأيت رجلين حاسرين في حرب قط إلا كانا عندي بمنزلة رجل واحد . قال علي عليه السلام : الحرص مقدمة الكون . قيل لصوفي : لم لا تعمل عملا ؟ قال : إذا كان مستعملي قد أراحني فما وجه فضولي وتكلفي ؟ شاعر : الطويل إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه . . . شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا وصار على الأدنين كلا وأوشكت . . . صلات ذوي القربى له أن تنكرا فسر في بلاد الله وألتمس الغنى . . . تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا **قيل لأعرابي** : أيسرك أن تكون أحمق وأن لك مائة ألف درهم ؟ قال : لا ، قيل : ولم ؟ قال : لأن حمقة واحدة تأتي على مائة ألف درهم وأبقى بعدها أحمق . قيل لصوفي : على من تعول في معاشك ؟ قال : على لطف من." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٠٩ """""""

أن القصار لا يقصر أبدا . **قيل لأعرابي** : أتحب الريف ؟ قال : لا ، قيل : ولم ؟ قال : الريف مبطنة . أنشد ثعلب في المجالسات لخارجة : البسيط ما تدلك الشمس إلا حذو منكبه . . . في حومة حولها الهامات تبتدر آل الزبير بحور سيب أنملهم . . . إذا دجا الليل في ظلمائه زهروا قال ثعلب : العرب تسمي السل داء إلياس ، وهو إلياس بن مضر ، كان أصابه السل . وقال ثعلب : الخزرج ريح الجنوب . وأنشد : البسيط تأتي أمور فلا تدري أعاجلها . . . خير لنفسك أم ما فيه تأخير فاستقدر الله خيرا وأرضين به . . . فبينما العسر إذ دارت مياسير." (٣)

""""""""" صفحة رقم ٢٣٧ """""""

في أحد ، قال : وأعسر من ذلك أن تجتمع بلاغة القلم وبلاغة الشعر . قال حذيفة بن اليمان : الحسد أهلك الجسد . قال بشر بن المعتمر : إذا كان العقل تسعة أجزاء احتاج إلى جزء من الجهل ليقدم على الأمور ، فإن العاقل أبدا متوان متوقف ، مترقب متخوف . **قيل لأعرابية** في البادية : من أين معاشكم ؟ فقالت : لو لم نعش إلا من حيث يعلم لم نعش . قال بعض الشجعان لرفيق له ، وقد أقبل العدو : أشدد قلبك ، قال : أنا أشده وهو يسترخي . قال أعرابي : الصبر قطب الأمر الذي عليه تدور الأمور ، وليس علم من أعلام الفضل إلا والصبر سببه ومسببه . سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول لمسافر : وجهك الله في الخير ، وزودك التقى ، وجعلك مباركا أينما كنت . شاعر : المتقارب." (٤)

---

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١٦٨/٤

(٢) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١٧٥/٤

(٣) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٢٠٩/٤

(٤) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٢٣٧/٤

"""""""""" صفحة رقم ٢٤٢ """""""""

قال الأصمعي ، **قيل لأعرابي** : إنك تموت ، قال : فإلى أين يذهب بي ؟ قالوا : إلى الله تعالى ، قال : فما أكره أن أذهب إلى من لم أر الخير قط إلا منه . قال الأصمعي : سمعت أعرابيا وهو متعلق بأستار الكعبة يقول : إلهي ، من أولى بالزلل والتقصير مني ، وقد خلقتني ضعيفا ؛ إلهي ، من أولى بالعفو منك ، وقضاؤك علي نافذ ، وعلمك بي محيط ؛ أطعتك بإذنك والمنة لك علي ، وعصيتك بعلمك ، فالحجة لك علي ، فبثبات حجتك وانقطاع حجتي ، وبفقري إليك وغناك عني ، إلا غفرت لي ذنوبي . قال منذر الثوري : مررت بعلي بن الحسين رضي الله عنه فرأيته في حائط له يتفكر فقلت : ما وقوفك ها هنا ؟ قال : وقفت أفكر ، فهتف بي هاتف فقال : يا ابن الحسين ما هذا الفكر ، أفي الدنيا والرزق حاضر للبر والفاجر ؟ أم في الآخرة والوعد صادق من ملك قادر ؟ قلت : لا في هذا ولا في هذا ، قال : ففيم ؟ قلت : فيما يخوفنا الناس من فتنة ابن الزبير ؛ قال : فأعاد الصوت فقال له : أرأيت رجلا خاف الله فلم يكفه ؟ أو توكل عليه فوكله إلى غيره ؟ قال : ثم قال : أنا الخضر يا ابن الحسين . **قيل لأعرابي** : ما أشد البرد ؟ قال : إذا دمعت العينان ، وقطر المنخران ، ولجلج اللسان .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٤٣ """""""""

قيل لأعرابي : ما تصنع بالبادية إذا اشتد القيظ وحمي ومتع الحر ؟ قال : يمشي أحدنا ميلا حتى يرفض عرقا ثم ينصب عصاه ، ويلقي عليها كساءه ويجلس في قبة يكتال الريح ، فكأنه في إيوان كسرى . قال عتبة بن أبي سفيان لابن عباس : ما منع علي ابن أبي طالب – رضي الله عنه – أن يبعثك مكان أبي موسى ؟ فقال عبد الله : منعه من ذلك حاجز القدر ، وقصر المدة ، ومحنة الابتلاء ، أما والله لو بعثني مكانه لاعترضت في مدارج نفس عمرو ، ناقضا لما أبرم ، ومبرما لما نقض ، أسف إذا طار ، وأطير إذا أسف ، ولكن مضى قدر وبقي أسف ، ومع يومنا غد ، وللآخرة خير لأميرالمؤمنين رضي الله عنه . أنشد : المتقارب أبى الناس أن يدعوا موسرا . . . سليم الأديم سليم النشب فقد خيروك فإن لم تطب . . . بعرضك نفسا فطب بالذهب ويقال : من تمنى طول العمر فليوطن نفسه على المصائب .." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٢٤٦ """""""""

قيل لأعرابي : إنكم لتكثرون الرحل والتحول وتهجرون الأوطان ، فقال : إن الوطن ليس بأب والد ولا أم مرضع ، فأي بلد طاب فيه عيشك ، وحسنت فيه حالك ، وكثر فيه دينارك ودرهمك ، فاحطط به رحلك ، فهو وطنك وأبوك وأمك ورحلك . قال الأحنف : ما عرضت الإنصاف على أحد فقبله إلا هبته ، ولا أباه إلا طمعت فيه . قال ابن المقفع : العقول رسل الله تعالى إلى أهلها ، والألسنة ترجمانها ، والأقلام بردها . هذا تمام الجزء الرابع ، والخامس يقفوه على أثره ، على المذهب المألوف في تحبير الكلام على فنونه ، ورواية ما متح السماع به ، وذكر ما تمت الشهادة عليه ، فقدم مراقبة ربك على جميع أربك ، وأعلم أنك بمرأى منه ومسمع ، يعلم خائنة طرفك ، وخافية صدرك ، ولاحظ نعمة التي قد أكتنفتك

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٢٤٢/٤

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٢٤٣/٤

، من شباب وجدة ، وكفاية وراحة ، وأرتبطها بالشكر ، وأستدمها بالمواساة ، وودعها بالحمد ، وشرف نفسك بالعلم ، وزينها بالحلم ، تنل خير الدارين ، وشرف المنزلتين .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٦ """""""

ابن عاصم المنقري ، فلما دخل عليها قالت : الوافر للبس عباءة وتقر عيني . . . أحب إلي من لبس الشفوف وبيت تخفق الأرواح فيه . . . أحب إلي من قصر منيف وخرق من بني عمي نحيف . . . أحب إلي من علج عنيف ٥١ - قال محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة : هذه الملح تعجب عقلاء الرجال . ٥٢ - قال المبرد : الوجذ : جمعه وجاذ ، وهي النقرة التي يستنقع فيها الماء ، كالوهد والوهاد ؛ قال أبو عمر الجرمي : الوجذ : كل مستنقع ماء . ٥٣ - قيل لأعرابي : ما أحسن الثناء عليك ؟ قال : بلاء الله عندي أحسن من وصف المادحين وإن أحسنوا ، وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الذامين وإن أكثروا ، فواحسرتي على ما فرطت ، وواسوأتي مما قدمت ، بلى ، ثلجت." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٨ """""""

٥٩ - قيل لأعرابي : كيف فلان ؟ قال : يقطع نهاره بالمنى ، ويتوسد ذراع الهم إذا أمسى . ٦٠ - وقال أعرابي : أما فلان فلسانه أحلى من الشهد ، وصدره سجن الحقد . ٦١ - وقال آخر في وصف آخر : إذا نزلت به النوائب قام إليها ، ثم قام بها ولم تقعد به علات الأنفس . ٦٢ - وقال أعرابي في وصف قوم : والله ما نالوا بأطراف أناملهم شيئا إلا قد وطئنا بأقدامنا ، وإن أقصى مداهم لأدنى فعالنا . ٦٣ - ذم أعرابي آخر فقال : لا يخشى عاجل عار ، ولا آجل نار ، كالبهيمة تأكل ما وجدت ، وتنكح ما لحقت . ٦٤ - قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : ليس خياركم من ترك الآخرة للدنيا ، ولا من ترك الدنيا للآخرة ، ولكن من أخذ من هذه لهذه . ٦٥ - وقال أعرابي : خطب رجل منا مغمور امرأة مغمورة ، فقيل لولي المرأة : تعمم لكم فزوجتموه ، فقال : إنا تبرقعنا له قبل أن يتعمم لنا . ٦٦ - وقال غيره : لئن هملجت في الباطل إنك عن الحق لقطوف ، ولئن أبطأت عن الحق ليسر عن إليك .." (٣)

""""""""" صفحة رقم ٣٤ """""""

٩٣ - وقال في كليلة ودمنة : صحبة الأخيار تورث الخير ، وصحبة الأشرار تورث الشر ، كالريح إذا مرت على النتن حملت نتنا ، وإذا مرت على الطيب حملت طيبا . ٩٤ - قيل لأعرابي : صف الزلزلة ، فقال : كأنها فرس انتفض ثم راجع . ٩٥ - قيل لرجل : صف لنا وليمة فلان ، قال : كأنها زمن البرامكة في حسنها . ٩٦ - قال صاحب كليلة : من نصح لمن لا يشكر له كان كمن ينثر بذره في السباخ ، أو كمن أشار على معجب ، أو كمن سار الأصم . ٩٧ - وقال أيضا

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٢٤٦/٤

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٢٦/٥

(٣) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٢٨/٥

: لا يخفى فضل ذي فضل وإن أخفاه بجهده ، كالمسك الذي يخبأ ويستر ثم لا يمنع ذلك ريحه من التذكي . ٩٨ - وذكر الجماز رجلا فقال : كأن قيامه من عندنا سقوط جمرة من الشتاء .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٩ """""""

٢٥ - ذكر أبو العيناء ولد موسى بن عيسى فقال : كأن أنوفهم قبور نصبت على غير القبلة . ١٢٦ - قال رجل لابن الزيات : إني أتوسل إليك بالجواز وأسألك العطف ، فقال : أما الجواز فنسب بين الحيطان ، وأما العطف والرقة فهما للنساء والصبيان . ١٢٧ - قيل لراهب : إن فلانا رجع عن القراءة ، فقال : دعوه فإنه لا يرجع إلى شيء أحلى من عبادة الله عز وجل . ١٢٨ - وقيل لراهب : أين الطريق ؟ يسألونه الهداية ، فأشار إلى السماء وقال : ها هنا . ١٢٩ - وقدم بعض الصوفية إلى المحراب ليصلي بالناس ، فوقف ثم التفت يمينا وشمالا وقال : استووا رحمكم الله ، ثم خرج ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : إني استحييت من ربي أن آمركم بالاستواء ، وأكون مقيما على عوج . ١٣٠ - **وقيل لأعرابية** معها شاة تبيعها : بكم تبيعين هذه الشاة ؟ قالت : بكذا ، قيل لها : أحسني ، فتركت الشاة ؟ وانصرفت ، فقيل لها : ما هذا ؟ فقالت : لم تقولوا أنقصي وإنما قلتم أحسني ، فالإحسان ترك الكل .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٧٠ """""""

٤٧ - قال الأصمعي ، **قيل لأعرابي** من بني كلاب : كيف تأكل الرأس ؟ قال : أفك لحييه ، وأخص عينيه - هذا قوله باللام وقال غيره بالباء ، وله وجه - وأعرك أذنيه ، وأسحي خديه ، وأرمي بالدماغ إلى من هو أحوج مني إليه ؛ فقيل له : إنك لأحمق من ربع ، قال : وما حمق الربع ؟ فوالله إنه ليجتنب العدوى ، ويتبع المرعى ، ويراوح بين الأطباء ، فما حمق ربع يا هؤلاء ؟ ٢٤٧ ب - وقد رأيت ابن هلال الخوزي يقرأ : ويرواج بين الأطباء ، يريد جمع طبيب ، فضحك به ، وكان ضحكة ، يقال : هو ضحكة إذا ضحك به ، وضحكة إذا كان كثير الضحك ، وبابه مطرد في نظائره . ٢٤٧ ج - وهذا الخوزي يدعي كل شيء وهو لا يقوم بشيء ؛ وكان ابن هلال الخوزي وفد على قابوس صاحب جرجان ، فقال في كلام دار بينهما : فهزم أعداء الله ، وكسر ، فزوى قابوس وجهه ، وكان أمر له بأربعة آلاف درهم ولآخر بألفي درهم ، فقال لحاجبه : اجعل ما لهذا لصاحب الألفين واجعل الألفين لهذا ، ووالله ما يستحق هذا المقدار أيضا ، وأظن أن موفده أراد أمرا .." (٣)

""""""""" صفحة رقم ١٠٢ """""""

وقال أيضا : ما آثر الدنيا على الآخرة حكيم قط ، ولا عصى الله كريم . قال الأصمعي ، **قيل لأعرابية** : ما أحسن عزاءك عن ابنك ؟ فقالت : إن فقدي ابني أمنني من المصائب بعده . قال ابن السماك يوما : إن الله تعالى ملأ الدنيا لذات ، وحشاها بالآفات ، ومزج حلالها بالمؤونات ، وحرامها بالتبعات . قال ابن عائشة : قيل لبعض السلف : ما الكرم ؟ قال

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٣٤/٥

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٣٩/٥

(٣) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٧٠/٥

: التأني للمعروف ، قيل له : فما اللؤم ؟ قال : التقصي على الملهوف . قال الأصمعي ، قال أعرابي : إن الآمال قطعت أعناق الرجال ، كالسراب غر من رآه ، وأخلف من رجاه ، ومن كان الليل والنهار مطيتيه أسرعا به ، ثم أنشد : البسيط المرء يفرح بالأيام يقطعها . . . وكل يوم مضى نقص من الأجل قال الأصمعي ، قال أعرابي : إن أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم . وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : إذا نبتت الأصول في القلوب ، نطقت الألسن بالفروع ، والله يعلم أن قلبي لك شاكر ، ولساني ذاكر ، هيهات لن يظهر الود المسقيم إلا من القلب السليم .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١١٣ """""""

واحد منهما المطرف ، فدعا إياس بمشط وماء فبل رأس كل واحد منهما وسرح شعره ، فخرج المشط وعليه غفر المطرف ، فدفع المطرف إلى صاحبه . كان عمر بن هبيرة أميا لا يقرأ ولا يكتب ، وكان إذا أتاه كتاب فتحه ونظر فيه كأنه يقرأه ، فإذا نهض من مجلسه حملت الكتب معه ، فيدعو جارية كاتبة ويدفع إليها الكتب فتقرأها عليه ، فيأمرها فتوقع بما يريد ويخرج الكتاب ، فاستراب به بعض أصحابه ، فكتب كتابا على لسان بعض العمال وطواه منكسا . فلما أخذه قرأه ولم ينكر تنكيسه ، فعلم أنه أمي . قال صالح المري : التهنئة على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة . قال الأصمعي : سألت امرأة من الأعراب عن حال لحقتهم فقالت : سنة جردت ، ونار خمدت ، وحال جهدت ، فهل فاعل للخير ، أو دال عليه ، أو لا ، فمن يجير ، رحم الله من رحم ، وأقرض من لا يظلم . قال الأصمعي ، **قيل لأعرابي** : صلب الخليفة زنديقا فقال : من طلق الدنيا فالآخرة صاحبته ، ومن فارق الحق فالجذع راحلته . قال الأصمعي ، **قيل لأعرابي** : أتؤمن بالموت ؟ قال : إي." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٠٤ """""""

لعمرك ما الدنيا بدار لأهلها . . . ولو عقلوا كانوا جميعا على رحل فما تبحث الساعات إلا عن البلى . . . ولا تنطوي الأيام إلا على ثكل دعا أعرابي فقال : اللهم ذلل صعوبة هذا الأمر ، وسهل لي حزونته ، وارزقني من الخير أكثر مما أرجو ، واصرف عني من الشر أكثر مما أخاف . كاتب : ومن حدود فضائل الرؤساء مقابلة سوء من أساء بالإحسان ، ولا نعمة أجزل من الظفر بالمجرم ، ولا عقوبة لمجرم أبلغ من الندم ، وقد ظفرت وندمت ، والسلام . قيل لعلي بن الحسين رضي الله عنهما : أنت أبر الناس ولا نراك تواكل أمك ، قال : أخاف أن أمد يدي إلى ما سبقت عينها إليه فأكون قد عققتها . **قيل لأعرابي** : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت وأرى غروب الشمس وطلوعها يأخذان مني كل يوم جزءا ، وكم عسى أن يدوم عدد ليس له مدد حتى يبيد وينفد . قال يحيى بن معاذ الرازي : أشهد أن السماوات آيات بينات ، وشواهد

---

(١) البصائر والذخائر - موافقا للمطبوع، ١٠٢/٥

(٢) البصائر والذخائر - موافقا للمطبوع، ١١٣/٥

قائمات ، كل يؤدي عنك بالحجة ، ويقر لك بالربوبية ، وهي موسومة بآثار قدرتك ، ومعالم تدبيرك التي تجليت بها لخلقك ، وأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر ، ورجم الظنون ، فهي على اعترافها." [1]

""""""""" صفحة رقم ٢٢٥ """""""

قيل لعلي رضي الله عنه : كم بين السماء والأرض ؟ قال : دعوة مستجابة ، قيل : فكم بين المشرق والمغرب ؟ قال : مسيرة يوم للشمس ، قيل : فكيف يحاسب الله يوم القيامة الخلق على كثرة عددهم ؟ قال : كما يرزقهم في الدنيا على كثرة عددهم . قيل لأفلاطون : أي الأمور أعجب ؟ قال : أن يكون العمل على خلاف العلم . **قيل لأعرابي** : أما تتأذى برائحة الودك ؟ قال : فقدي له أشد أذى . قيل لفيلسوف : لم لا يشتد فرحك بأخيك في حياته كشدة حزنك عليه بعد وفاته ؟ قال : لأني كنت أعلم في حياته أنه يموت ، والآن أعلم بعد وفاته أنه لا يعيش . قال أعرابي : أتيت فلانا قبل أن ينطق الديك فخرس عن جوابي ، ورجعت إلى أهلي خفيف الظهر وافر العرض . قال ابن السماك في دعائه : اللهم أصلحني قبل الموت ، وارحمني عند الموت ، واغفر لي بعد الموت . قيل لمحمد بن واسع : كسف أصبحت ؟ قال : أصبحت والله طويلا أملي ، قصيرا أجلي ، سيئا عملي .." [2]

""""""""" صفحة رقم ١٦ """""""

سئل أعرابي عن ابن أخيه فقال : سكير لا يفيق ، يتهم الصديق ويعصي الشفيق . **قيل لأعرابي** : في خلافة من ولدت ؟ قال : في خلافة يوسف بن عمر ، أو كسرى بن هرمز ، وأعوذ بالله أن أقول على الله إلا حقا . قال أعرابي : الدراهم مواسم ، تسم جميلا أو دميما ، فمن حبسها كان لها ، ومن أنفقها كانت له . وصف أعرابي مملوكا له فقال : الرجز يزعزع الدلو . . . وما يزعزعه يكفيه من جم . . . ع البنان إصبعه تكاد آذان . . . الدلاء تتبعه كاتب : كرم الوزير ورغبته في المعروف يطلقان الألسن بالمسألة ، ويقربان الطالب من البغية ، وعوائد إحسانه وترادف امتنانه يضمنان النجح ويؤكدان الثقة . كان الشعبي يجلس إلى خياط ، فقال له يوما : إذا حدثت فلا." [3]

""""""""" صفحة رقم ٥٥ """""""

ورثوا المكارم كابرا عن كابر . . . وإليهم بالصالحات يشار قوم بهم منع الإله حماءه . . . وبهم على الملك الغشوم يجار هذه أبيات قرئت على السيرافي وأنا أسمع ، من كتاب الشدة ، ومد الحمى ، وهو عند أصحابنا مقصور ، والشعر عربي عليه فجاجة المحرمين وسيما العنجهيين ، ولا يطرد على مثله اعتراض ، بل الواجب أن يقتدي به ويرجع إليه ؛ وفي الأبيات كلمات غريبة تقتضي التفسير ، ولكن أكره التثقيل والتطويل ، فإن الكتاب قد أسأم القارئ وأمل الناظر وخيب الطالب ومنع جانبه المستنسخ ، والرأي فيما هذا حاله التخفيف والاسترسال ، والأخذ بما أمكن في الحال ، وعلى ذلك قد جرينا ، وإليه انتهينا ، والله المعين . قال أبو العيناء في رجلين فسد ما بينهما : تنازعا ثوب العقوق حتى صدعاه صدع الزجاجة

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٢٠٤/٥

(٢) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٢٢٥/٥

(٣) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١٦/٦

ما لها من جابر . قال : **وقيل لأعرابي** وهو على ركية ماء ملح : كيف هذا الماء ؟ فقال : يخطئ الفؤاد ويصيب الأست . **قيل لأعرابي** : ما تقول في الجري ؟ قال : تمرة وسنانة غراء الطرف ، صفراء السائر ، عليها مثلها من الزبد أحب إلي منه ، وما أحرمه . قال أعرابي : بأبي وأمي رسول رب العالمين ، ختمت به الدنيا وفتحت الآخرة . قال يوسف بن أسباط لعلي النسائي : يا أبا الحسن ، أتدري لم." (١)

""""""""" صفحة رقم ٥٦ """""""

اتخذ الله إبراهيم خليلا ؟ قال : لا ، قال : قال الله تعالى : يا إبراهيم تدري لم اتخذتك خليلا قال : لا ، قال : لأنك تأخذ وتعطي . **قيل لأعرابي** : لا أقل من الرجاء ، قال : بلى والله ، اليأس الصريح . قال بعض أهل اللغة : المنسر : ما بين الأربعين إلى السبعين ، والرعلة : ما بين السبعين إلى المائة ، والمقنب : من المائة إلى المائتين ، والخميس : الخمسمائة ، والفيلق : الألف ، والجحفل : أربعة آلاف . شاعر : الهزج إذا ما كنت ذا مال . . . ولم تبن به مجدا ولم تحي به ذكرا . . . ولم تور به زندا ولم تحرز به أجرا . . . ولم تكسب به حمدا فإن شئت فكن كلبا . . . وإن شئت فكن قردا وإن شئت فخنزيرا . . . ترى أسنانه دردا وإن شئت فكن هزلا . . . وإن شئت فكن جدا وإن شئت فكن سلحا . . . إلى مخرأة يهدي قال ابن عمار : تذاكرنا ضيق المنازل ، فقال الجماز : كنا على نبيذ لنا ، فكان أحدنا إذا دخل الكنيف وجاءه القدح مد يده إلى الساقي فناوله إياه .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٦٧ """""""

وأم الحجاج قوما فقرأ : ' والعاديات ضبحا ' العاديات : ١ ، فقال في آخرها ' أن ربهم ' – بالنصب – ثم تنبه على اللام في لخبير ، وأن إن قبلها لا تكون إلا مكسورة فحذف اللام فقال : خبير ، فكان نقص الكلام أسهل عليه من اللحن . قال رجل لأعرابي : كيف أهلك ؟ فقال الأعرابي : صلبا ، ظن أنه سأل عن هلكته كيف تكون ، وإنما سأله عن أهله . قال : وهذا وأشباهه يدلك على معرفة العرب بالمعاني التي اختلف لها الإعراب ، وتلك المعاني هي العلل . وقالت بنت لأبي الأسود لأبيها : ما أطيب الرطب ؟ فقال : جنس كذا ، أرادت التعجب وذهب هو إلى الاستفهام . فأما الرفع والنصب والخفض والهمز والإدغام والإمالة وأشباه ذلك فألقاب وضعها النحويون للمتعلمين من العجم والمنطيقيين ليقربوا بها عليهم البعيد ويجمعوا الشتيت ، فإذا قال المعلم للمتعلم : حركة كذا رفع ، وكل فاعل رفع ، وحركة كذا نصب ، وكل مفعول به نصب ، وحركة كذا جر ، وكل مضاف مجرور ، وكذا ظرف ، والظرف منصوب ، وكذا حال ، والحال منصوب ، كفاه بهذه الجمل على كثرته واعتبار بعضه ببعض ؛ وأما العرب فإنها لا تعرف مواضع هذه الألقاب : **قيل لأعرابي** : أتهمز إسرائيل ؟ قال : إني إذن لرجل سوء .." (٣)

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٥٥/٦

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٥٦/٦

(٣) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٦٧/٦

""""""""" صفحة رقم ٦٩ """""""

دخل أبو حفص الكرماني على المأمون فقال : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في المداعبة ؟ فقال : وهل العيش إلا فيها ، قال : يا أمير المؤمنين ، ظلمتني وظلمت غسان بن عباد ، قال : ويلك ، وكيف ذلك ؟ قال : رفعت غسان فوق قدره ، ووضعتني دون قدري ، إلا أنك لغسان أشد ظلما ، قال : وكيف ؟ قال : لأنك أقمته مقام هزؤ وأقمتني مقام رحمة ، فقال المأمون : قاتلك الله ما أهجاك . **قيل لأعرابي** : ما وقفك ها هنا ؟ قال : وقفت مع أخ لي يقول بلا علم ، ويأخذ بلا شكر ، ويرد حشمة . قال الأصمعي : وصف رجل طعاما علمه ، فقال له أعرابي : هل دعوت عليه أحدا من جيرانك ؟ قال : لا ، قال : فهل أطعمت يتيما ؟ قال : لا ، قال : فجعله الله في بطنك حشا وقذاذا . قال عدي بن حاتم لابن أقيصر : كيف ترى فرسي هذا ؟ قال : ما أرى به بأسا إلا انه يعثر ، قال : وما يدريك ؟ قال : شعرته ميتة لم ينضجها الرحم ، فكان كما قال . قال أبو حاتم : قيل لميمون بن مهران : إن رقية امرأة هشام ماتت فأعتقت كل مملوك لها ، قال ميمون : يعصون الله مرتين ، يتجملون به." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢١٩ """""""

قيل لأعرابي : هل استمريت ما أكلت البارحة ؟ فقال : لو تغذى أحدنا بالدنيا وما فيها لأحب أن يتعشى بالآخرة . وقال بعضهم : المائدة بلا بقل كالشيخ بلا عقل . وكتب عبد الملك إلى الحجاج كتابا فيه : ولا تولين الأحكام بين الناس جاهلا بالأحكام ، ولا حديدا طائشا عند الخصام ، ولا طعما هلعا يقرب أهل الغنى ، ويبش بأهل السعة ، يكسر بذلك أفئدة ذوي الحاجة ، ويقطع ألسنتهم عن الإفلاج بالحجة والإبلاغ في الصفة ، واعلم أن الجاهل لا يعلم ، والحديد لا يفهم ، والطائش القلق لا يعقل ، والطمع الشره لا تنفع عنده الحجة ولا تغني فيه البينة ، والسلام . قد وليناك كذا لما بلوناه من جميل أثرك ، ورضيناه على الامتحان من مختبرك . وفصل آخر في حديث القضاء من إنشاء بعض البلغاء : يعتمد على الحق وبيناته ، ويتجنب الزيغ وشبهاته ، ولا يقطع ضعيفا عن حجته ، ولا يطمع خصما في منزلته ، وينعم النظر في مشكلات الأحكام ، آخذا بالاحتياط ، معتقدا للإقسام ، مجتهدا في الفصل بين الخصوم ، والأخذ من الظالم للمظلوم ، ويستبطن أهل الحجى ، ويستظهر بذوي النهى . فصل آخر في هذا المعنى : هذا ما عهد عبد الله الإمام أمير المؤمنين إلى فلان حين رداه رداء الشرف ، وبوأه المتبوأ العالي المنيف ،." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٠ """""""

كما يقل غناء المكثر البخيل . **قيل لأعرابي** : مذ هنت دقت محاسنك ؛ قال : أي والله ، ومساوئي . قال فيلسوف : العقل صنفان : أحدهما مطبوع والآخر مسموع ؛ فالمطبوع منهما كالأرض ، والمسموع كالبذر والماء ، فلا يخلص للعقل المطبوع عمل ولا يكون له غناء دون أن يرد عليه العقل المسموع فينبهه من نومه ، ويطلقه من عقاله ، ويستخرجه من مكامنه ، كما يستخرج البذر والماء ما في قعر الأرض . قال أعرابي : يكتفي اللبيب بوحي الحديث ، وينبو البيان عن قلب

---

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٦٩/٦

(٢) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٢١٩/٦

الجاهل ؛ إذا دخلت الموعظة أذن الجاهل مرقت من الأخرى . قال أعرابي : سيرة الصالح زينة لعقبه ، وحياة الفاجر فضيحة الدهر . قال بعض الفرس : كما أن من السحاب ما ينقشع عن غير مطر ، فكذلك وعد الكذوب من غير وفاء ؛ وكما أن الإكثار ثم الأكل غير رفق من." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٢ """""""

قال عمر بن الخطاب : يحتاج الوالي إلى أن يستعمل مع رعيته في عدله عليها الإحسان إليها ، فلو علم الله تعالى أن العدل يسع الناس لما قرن الإحسان به فقال ' إن الله يأمر بالعدل والإحسان ' . **قيل لأعرابي** : أتحسن أن تدعو ربك ؟ قال : نعم ، قيل : فادع ، فقال : اللهم إنك أعطيتنا الإسلام من غير أن نسألك ، فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك . كتب علي بن عبيدة إلى صديق له : كان خوفي من أن لا ألقاك متمكنا ، ورجائي خاطرا ، فإذا تمكن الخوف ظننت ، وإذا خطر الرجاء خفت . قال الجاحظ : رأيت أربعة أشياء عجيبة : رأيت رجلا يسأل الناس ويستقري بيوت الحمام بيتا بيتا ، يأخذ مواعيدهم إلى أن يخرجوا ؛ ورأيت معلما يعلم الصبيان القرآن والصبايا الغناء ؛ ورأيت حجاما رافضيا يحجم إلى الرجعة نسيئة من فرط إيمانه ؛ ورأيت أربعة حمالين يحملون جنازة كلما أعيوا وضعوها عن رؤوسهم وجلسوا يتحدثون حتى بلغوا شفير القبر . قيل لأبي سعيد وهو مهموم : ما هذا الذي أثر فيك ؟ قال : دنيا لا تؤاتي ، وآخرة لا يعمل لها ، وأجل ينقضي ، وذنوب لا تحصى .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٥٤ """""""

ترى عبد الله بن الربيع ما أحسنه ؟ قال : أنا أحسن منه ، قال عبد الله : أما ترى هذا الشيخ يا أمير المؤمنين ما أكذبه ؟ فقال ابن عياش : يا أمير المؤمنين ، احلق لحيته وأقمه إلى جانبي ثم انظر أينا أحسن ، فضحك المنصور حتى استلقى . قال رجل لأبي حازم : إن الشيطان قد أولع بي يوسوس لي أني قد طلقت امرأتي ؛ فقال له : أنا أحدثك أنك قد طلقتها ؛ قال : سبحان الله يا أبا حازم ، قال : فتكذبني وتصدق الشيطان ؟ قال : فانتبه الرجل وذهبت وسوسته . **قيل لأعرابي** : من أجدر الناس بالصنيعة ؟ قال : من إذا أعطي شكر ، وإذا حرم صبر ، وإذا قدم العهد ذكر . **قيل لأعرابي** : من أكرم الناس غرة ؟ قال : من إذا قرب منح ، وإذا بعد مدح ، وإذا ظلم صفح ، وإذا ضويق سمح . **قيل لأعرابي** : من ألأم الناس ؟ قال : من إذا سأل خضع ، وإذا سئل منع ، وإذا ملك خنع ، ظاهره جشع وباطنه طبع .." (٣)

""""""""" صفحة رقم ١٧٧ """""""

صادقا فليس ينبغي أن أغضب ، وإن كان كاذبا فبالحري أن لا أغضب . تقدم إلى الشعبي رجلان فقال أحدهما : إني اشتريت من هذا غلاما صبيحا فصيحا صحيحا ، فقال : هذه صفة محمد بن عمير سيد بني تميم . كان على سيف بعض الشراة مكتوبا : ثأر الله من الظالمين . شاعر : الطويل حسام غداة الروع ماض كأنه . . . من الله في قبض النفوس رسول

---

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٢٠/٧

(٢) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٣٢/٧

(٣) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٥٤/٧

قال رجل لآخر : أتدري لم غلا السعر ببغداد ؟ قال : لا ، قال : لأن كل بلد خبزه أكثر من أهله وبغداد أهله أكثرن خبزه . **قيل لأعرابي** : أتحن إلى الحاضرة ؟ فقال : البادية أفسح ، والجسم فيها أصح . كاتب : لي حرمة سالفة ، وفيك أمل قديم ، وهما يقتضيانك حقا لا تدفعه ، ويطالبانك بذمام لا تنكره .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٠٢ """""""

مقلب للسانه بالملق ، يتأبس بالتخلق وجه الخلق ، موجود عند النعمة ، مفقود عند الشدة ، قد أنس بالمسألة ، وضري بالرد ، فلا تعق عقلك باختياره ، ولاتوحش النعمة بإذلالها به ، والسلام . قيل لمجنون كان بالبصرة : عد لنا مجانين البصرة ، قال : كلفتموني شططا ، أنا على عد عقلائهم أقدر . **قيل لأعرابي** : لم يقال أباعك الله في الأعراب ؟ قال : لأنا نجيع كبده ، ونعري جلده ، ونطيل كده . وصف أعرابي رجلا فقال : كان إذا تكلم أفاد ، وإذا سئل جاد ، وإذا ابتدأ أعاد . شاعر : الرجز يا إبلي روحي إلى الأضياف . . . إن لم يكن فيك صبوح كاف فأبشري بالقدر والأثافي . . . وغارف ومغرف غراف." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٧٦ """""""

عن مقلتيك رأينا الحسن مبتسما . . . دهرا كما ابتسم المرجان من فيك يا بهجة الشمس ردي غير صاغرة . . . علي قلبا ثوى رهنا بحبيك ما استحسنت مقلتي شيئا فأعجبها . . . إلا رأيت الذي استحسنته فيك إذ منك يبتسم الإقبال عن غصن . . . لدن ويضحك عن دعص توليك وقال : بيوت العرب ستة : قبة من أدم ، ومظلة من شعر ، وخباء من صوف ، وبجاد من وبر ، وخيمة من شجر ، وأقنة من حجر . **قيل لأعرابي** : أي شيء ألذ في العين ؟ قال : نظرة على خطرة ، قيل : فأي شيء أحلى في القلب ؟ قال : كسر الجفون ، ومراسلة العيون . قال سفيان بن عيينة : أكبر الكبائر الشرك بالله تعالى ، والقنوط من رحمة الله عز وجل ، واليأس ن روح الله عز ذكره ، والأمان من مكر الله جل ثناؤه ، ثم قرأ : ' فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ' ' ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ' ' ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ' ' ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ' . وقال : ثنتان منجيتان ، وثنتان مهلكتان ؛ فالمنجيتان النهي والنية ، قال : والنية أن تنوي أن تطيع الله فيما تستقبل ، والنهي أن تنهى نفسك عما حرم الله عليك ؛ والمهلكتان : العجب والقنوط .." (٣)

""""""""" صفحة رقم ١١٧ """""""

شاعر : الكامل المجزوء لما رأيت الدهر يفني الن . . . اس من جيل فجيل وعلمت أني هالك . . . وسبيل من ولى سبيلي أوطأت نفسي عشوة . . . وعزفت عن قال وقيل وشربتها مشمولة . . . نشأت على الدهر الطويل رقت فليس تحس كال . . . شيء الخفي المستحيل من كف ظبي فاتر ال . . . ألحاظ كالرشأ الكحيل قال أعرابي : الفقير من الأهل مصروم ،

---

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١٧٧/٧

(٢) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٢٠٢/٧

(٣) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٧٦/٨

والغني في الغربة موصول . قال أعرابي : أوحش قومك ما كان في إيحاشهم أنسك ، واهجر أوطانك ما نبت عنها نفسك . قيل لأعرابي : أتشتاق إلى وطنك ؟ قال : كيف لا أشتاق إلى رملة كنت جنين ركامها ، ورضيع غمامها . قال أعرابي : الاغتراب يرد الجدة ، ويكسب الجدة . شاعر : الرمل المجزوء إن يكن مات صغيرا . . . فالأسى غير صغير كان ريحاني فصار ال . . . يوم ريحان القبور." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٤٦ """""""""

ما كان أحوج أبا سليمان أن يوضح علة هذا فإنه شنيع ، وقد رأيت من أبناء التصوف من هجر العبادة بمثل هذا القول ، وإذا أفردنا الكلام في فنونهم أتينا على شبههم بظنونهم إن شاء الله . قال فيلسوف : اعتقد لولدك كتب آداب تنعم أرواحهم ، لا عقد مال تنعم أشياحهم . قيل لأعرابي : هل تحدث نفسك بدخول الجنة ؟ قال : والله ما شككت قط أني سوف أخطو في رياضها ، وأشرب من حياضها ، وأستظل بأشجارها ، وآكل من ثمارها ، وأتفيأ بظلالها ، وأترشف من قلالها ، وأستمتع بحورها في غرفها وقصورها ، قيل له : أفبحسنة قدمتها أم بصالحة أسلفتها ؟ قال : وأي حسنة أعلى شرفا ، وأعظم خطرا من إيماني بالله تعالى ، وجحودي لكل معبود سوى الله تبارك وتعالى ، قيل له : أفلا تخشى الذنوب ؟ قال : خلق الله المغفرة للذنوب ، والرحمة للخطأ ، والعفو للجرم ، وهو أكرم من أن يعذب محبيه في نار جهنم ، فكان الناس في مسجد البصرة يقولون : لقد حسن ظن الأعرابي بربه ، وكانوا لا يذكرون حديثه إلا انجلت غمامة اليأس عنهم ، وغلب سلطان الرجاء عليهم . يقال : ما المعذول ، وما المعدول ، والمعلول ، والمعبول ، والمعتول ، والمعزول ، والمفضول ، والمقلول ، والمسلول ، والمشلول ، والمطلول ، والمهبول ، والمهطول ، والمعقول ، والمألول ، والمقذول ، والمفلول ، والمغلول ، والمكبول ، والمضلول ، والمغمول ، والمعسول ، والمغسول ، والمفسول ، والمقصول ، والمسمول ، والمنصول ، والمغزول ، والمتلول ، والمبلول ، والمثلول ، والمجلول ، والمحلول ، والمخلول ، والمدلول ،." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ١٦٩ """""""""

أقدها أضناك أم دلها . . . أم وجهها المشرق أم نحرها أم طرفها الفاتر أم ظرفها . . . أم ريقها البارد أم ثغرها أم حسن تفاح بدا مونقا . . . مدورا أنبته صدرها قلت له أعشق ذا كله . . . ونصف حران وثلثي رها مر شبيب بن يزيد الخارجي على غلام قد استنقع في الفرات فقال : يا غلام ، اخرج أسائلك ، فقال : إني أخاف ، قال : ومن أي شيء تخاف ؟ قال فأنا في أمن حتى أخرج ؟ قال : نعم ، قال : فوالله لا أخرج اليوم ، فقال شبيب : أوه ، خدعني الغلام ، وأمر رجلا يحفظه لئلا يصيبه أحد بمكروه ، ومضى وخرج الغلام . مر سليمان بن عبد الملك بميل في بعض أسفاره فقال : من هاهنا يخبرنا على كم هذا الميل من البريد ؟ فلم يجد أحدا ، فقال أعرابي يعدو بين يديه : أنا أخبرك ، قال : وكيف وأنت لا تقرأ ، فعدا ثم عاد فقال : ما رأيت ؟ قال : رأيت محجنا ، وحلقة وثلاثة كأطباء الكلبة ومثل رأس القطاة بمنقارها ، فقال : قد

---

(١) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٨/١١٧

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٨/١٤٦

أخبرت وأبلغت ، هو خمسة من البريد . **قيل لأعرابي** : أي الزاد أحب إليك ؟ قال : الغريض النضيج . **قيل لأعرابي** : ما بال مراثيكم أجود ، قال : لأنا نقولها وأكبادنا تحترق . شاعر : مخلع البسيط." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٧٣ """""""

لعمارة بن عقيل : الوافر وما ينفك من سعد إلينا . . . قطوع الرحم فارية الأديم ونغفرها كأن لم يفعلوها . . . وبعض العفو أذرب للظلوم ورميك من رماك أخف ثقلا . . . عليك غدا وأمنع للحريم **قيل لأعرابي** :كيف ابنك ؟ قال : عذاب رعف به الدهر ، فليتني قد أودعته القبر ، فإنه بقاء لا يقاومه الصبر ، وفائدة لا يجب فيها الشكر . رقص أعرابي ابنه فقال : الرجز أحبه حب الشحيح ماله . . . قد ذاق طعم الفقر ثم ناله إذا أراد بذله بدا له آخر : البسيط إذا رأيت ازورارا من أخي ثقة . . . ضاقت علي برحب الأرض أوطاني فإن صددت بوجهي كي أكافئه . . . فالعين غضبى وقلبي غير غضبان يقال : سلقى بناءه يسلقيه أي جعله مستلقيا ولم يجعله شكا ، والشك : المستقيم .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٢ """""""

أحناهن على ولد ، وأرعاهن على زوج في ذات يد . مات أعرابي عن أعرابية يقال لها طيبة ، وخلف عليها بنيا ، وتزوجت المرأة سرا والغلام لا يعلم ، وكانت تختضب وتكتحل ويرى الغلام ما لا يعجبه ، وكان الرجل يأتيها ليلا وينصرف مع الصبح ، فقال الغلام : ياطيب ما هذا بفعل حانيه أكل يوم حلة مدانية وكحل عينين وكف قانيه إما على بعل وإما زانيه والله ما أرضى بهذا ثانيه الحانية : المتعطفة ، والمصدر الحنو ، فأما قولهم : حنت النعجة فيريدون اشتهت الذكر . قال أعرابي : في وصف الجارية يقال : ناصعة اللون ، جيدة الشطب ، نقية الثغر ، حسنة العين والأنف ، ظريفة اللسان ، واردة الشعر ، يقال في اللغة : التليعة : الطويلة العنق ، ويقال : فيها تلع . **قيل لأعرابي** : أتحسن وصف النساء ؟ فقال : إذا عذب طرفاها ، وسهل خداها ، ونهد ثدياها ، ولطف كفاها ، وبض ساعداها ، وعرض وراكها ، والتف فخذاها ، واخدلج ساقاها ، فهي هم النفس ومناها .." (٣)

""""""""" صفحة رقم ٢٤ """""""

علينا ساعة من أعمارنا إلا ونحن نؤثر الدنيا على ما سواها ، ثم ما نزداد لها إلا تحليا ، ولا تزداد عنا إلا توليا . **قيل لأعرابي** : ما خلفت لأهلك ؟ قال : الحافظين ، قيل : وما هما ؟ قال : أعريهن فلا يبرحن ، وأجيعهن فلا يمرحن . وقال كعب بن جعيل : مدحت قريشا واصطفيت ابن خالد . . . وللخير آيات بها يتوسم وكنت كمرتاد بمنقاره الثرى . . . وصادف عين الماء إذا يترسم غياث الجياع والمراضيع إ ن . . . بمكة يوم ذو أهابي أيتم فإن يسأل الله الشهور شهادة . . . ينبأ جمادى عنكم والمحرم بأنكم من خير من وطئ بالحصى . . . إذا طفق المعطي يضن ويسأم قال ابن أبي بردة : غزا قوم الديلم فأسروا

---

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١٦٩/٨

(٢) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١٧٣/٨

(٣) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٢٢/٩

، وأسر الديلم شديد ، قال : فاشتكى ابن ملك الديلم فقالت أمه : اذهبوا به إلى العرب لعل عندهم دواء ، فجاءت به امرأة فقال لها رجل : هاتيه ، فقال له رفيقه : أنشدك الله لا تعرضنا للهلكة ، قال : هاتيه ، فجعل يعوذه ويقول :." [1]

""""""""" صفحة رقم ١٢٠ """""""

ابن زيادة وعلى غطريف بن أحمد – وعد قوما من العسكر – إنما يحتسبون علينا لأنا فقراء . دخل رجل على محمد بن سليمان فقال له محمد : أين كنت فإني لم أرك منذ أيام ، فأراد أن يقول التواني فقال : التهاون ، فقال محمد : أنت علينا أهون . **قيل لأعرابي** : صف نفسك ، قال : إن كان أكل فقرب ، وإن كان نبيذ فجرب ، وإن كان قتال فغرب . قال المبرد : كنت أغشى مجلس جعفر بن القاسم ، وكان يتقلد إمارة البصرة للواثق ، وأنا حدث السن ، ليس في المجلس أصغر مني سنا ، وكان يخلطني بحداثتي ويخاطبني ، ثم تأخرت عنه لأسباب ، فلما عدت قال لي : ما أخرك عنا ؟ قلت : عله مرة وغيبة مرة ، قال : وتوان مرة وتقصير مرة ، فقلت : والله ما أغيب عن الأمير إلا بود حاضر ، ولا أعصيه إلا بنية طائع فضحك ثم أنشد بيتين لإبراهيم بن المهدي ، أحدهما : ما إن عصيتك والغواة تمدني . . . أسبابها إلا بنية طائع فقلت : أعز الله الأمير ، إذا كان سارق لفظ لا يفوتك فكيف يفوتك سارق مال ؟ فضحك وقال أنا احب حضورك .." [2]

""""""""" صفحة رقم ١٥٤ """""""

يقال : النضنضة بطرف اللسان والشفتين ، والمضمضة بالفم كله ، والنضح كالرش ، والنضخ كالتبليل ، والقضم بالأسنان ، والخضم بالفم كله . **قيل لأعرابي** : لم تسمى الغراب غرابا ؟ قال : لأنه نأى واغترب . قال الأصمعي ، قلت لأبي عمرو : الذفرى من الذفر ؟ قال : نعم ، والمعزي من المعز ؛ والذفر : الرائحة الطيبة ، فأما الذفر – بتسكين الفاء – فإنه النتن خاصة . سأل المنصورعمرو بن عبيد عن قوله عليه السلام فيمن اقتنى كلبا لغير زرع ولا حراسة أنه ينقص كل يوم من أجره قيراط ؛ قال : كذا جاء ، ولا أدري لم قال ذلك . قال النبي صلى الله عليه وعلى آله : لا زمام ولا خزام ولا رهبانية ولاتبتل ولا سياحة في الإسلام ، وهو معنى قوله عز وجل ما جعل عليكم في الدين من حرج . قال عبد الله بن عمر : دخل يحيي بن زكريا بيت المقدس وهو ابن ثماني حجج فنظر إلى عبادها وقد لبسوا مدراع الشعر وبرانس الصوف ، وقد." [3]

""""""""" صفحة رقم ١٦٧ """""""

وعصبة لما توسطتهم . . . ضاقت علي الأرض كالخاتم كأنهم من بعد أفهامهم . . . لم يخرجوا بعد إلى العالم يضحك إبليس سرورا بهم . . . لأنهم عار على آدم **قيل لأعرابي** : أتعرف ربك ؟ قال : إن عرفناه أبلانا ، وإن أنكرناه أصلانا . قال مسلم : مازلت أستجفي عائشة في قولها : بمن الله لا بمنك ، حتى سألت أبا زرعة الرازي فقال : ولت الحمد أهله . حمل إلى حماد القرشي دنانير فردها فقال له أصحابه ، وكانوا أضيافه على كسر قد بدع بها كبة غزل : ما وجب أن ترد ، فقال : إني لم أختر الفقر للغنى ، إنما اخترت الفقر للفقر . كان العتابي واقفا بباب المأمون ، فوافى يحيى بن أكثم ، فقال له العتابي

---

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٢٤/٩

(٢) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١٢٠/٩

(٣) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١٥٤/٩

: إن رأيت أن تعلم أمير المؤمنين مكاني فافعل ، فقال : لست بحاجب ، فقال : قد علمت ، ولكنك ذو فضل ، وذو الفضل معوان ، قال : سلكت بي غير طريقي ، قال : إن الله أتحفك منه بجاه ونعمة ، وهو مقبل عليك بالزيادة." (١)

"؟وقال المدائني: حج الحجاج فنزل بعض المياه، ودعا بالغداء فقال لحاجبه: اطلب من يتغدى معي واسأله عن بعض الأمر، فنظر الحاجب فإذا هو بإعرابي في شملتين من شعر نائم، فضربه برجله وقال: إيت الأمير، فأتاه فقال له الحجاج: اغسل يديك للغداء قال: إنه دعاني من هو خير منك فأجبته، قال: من هو ؟ قال: الله تعالى، دعاني إلى الصوم فصمت، قال: أوفي مثل هذا اليوم الحار؟ قال: نعم ليوم هو أحر منه، قال: فافطر وصم غدا، قال: إن ضمنت لي بالبقاء، قال: ليس ذلك إلي، قال: فكيف تسألني آجلا لعاجل لا تقدر عليه ؟ قال: إنه طعام طيب قال: إنك لم تطيبه ولا الخباز ولكن تطيبه العافية.

؟ذكرت الدنيا عند الحسن فقال:

أحلام نوم أو كظل زائل ... إن اللبيب بمثلها لا يخدع

؟وكان يتمثل:

اليوم عندك دلها وحديثها ... وغدا لغيرك كفها والمعصم

؟قال عبد الله بن الخارق الشيباني:

كم من مؤمل شيء ليس يدركه ... والمرء يزري به في دهره الأمل

ترجو الثراء وترجو الخلد مجتهدا ... ودون ما ترتجي الأقدار والأجل

؟قال محمد بن الحسين الأسدي:

إذا طمحت إلى أمل وطي ... تعرض دونه أجل قريب

؟قال عبدة بن الطيب:

إن الحوادث يخترمن وإنما ... عمر الفتى في أهله مستودع

يسعى ويجمع جاهدا مستهترا ... جدا وليس بآكل ما يجمع

؟وقال الجراح بن عمرو:

يرجون أيام السلامة والغنى ... وتغتالهم دون الرجاء غوائله

؟روي أن عابدا قدم قرصيه ليتعشى فعرض له سائل فأعطاه أحدهما ثم قال: ما ذاك بمشبعه ولا هذا بمشبعي، ولأن يشبع واحد خير من أن يجوع اثنان، ثم ناوله القرص الآخر فلما نام أتي في منامه، فقيل له: سل حاجتك ؟ فقال: أن يغاث الناس.

؟وكان أبو عمران الجوني يقول: لا يغرنكم من ربكم طول النسيئة وحسن الطلبة فإن أخذه أليم شديد.

؟قال مجاهد في قوله عزوجل: (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) (الفتح: ٢٩) هو الخشوع.

---

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١٦٧/٩

؟قالت أعرابية في الموقف: سبحانك ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله، وأوحشه على من لم تكن أنيسه.

؟قيل لأعرابي: كيف أصبحت؟ قال: كيف يصبح من يفنى ببقائه ؟ ؟سمع يحيى بن خالد نوح بن قدامة العدوي ينشد في صفة الدنيا.

حتوفها رصد وشربها رنق ... وعيشها نكد وملكها دول

فقال: لقد انتظم هذا الشعر صفة هذه الغرارة.

الباب الثاني

في الآداب والسياسة الدنيوية

ورسوم الملوك والرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبدع الأشياء بمتقن فطرته، ومودعها لطائف حكمته، ومصرف الأقدار على مشيئته، ومدبرها بقدرته، خلق خلقه أغيارا وأخيافا، ورتبهم منازل وأصنافا، وجعل بعضهم لبعض سخريا، وفضلهم في الرزق فكانوا فقيرا وغنيا، وأرضى كلا بما قسم فسكنوا إليه متبوعا وتبعا، وشرع لهم في دينهم سياسة أمرهم باتباعهم شرعا، حتى دانت الرعية لملوكها وقادتها، وأعطت طوعا وكرها ذليل مقادتها، فانتظم بذلك فيهم التدبير وتم، وجرى عليهم حكم القضاء فحتم. أحمده على ما بطن من نعمه وظهر وأشكر له على ما أعلن من مواهبه وأشر حمد راض بما سني من فضله ويسر، شاكرا لما عم من جوده ونشر، وأستمد منه صدق البصيرة فيما أدبنا به من الأمثال والحكمة، وحسن السريرة فيما ألزمنا به من طاعة الولاة والأئمة، وأسأله الصلاة على نبيه خير البشر، وخاتم الأنبياء والنذر، أقام في أمته سائسا ومدبرا، وداحضا كيد الكفر وله مدمرا، ومجاهدا في دينه مشمرا، وأوجب عليهم استخلاف قائم من بعده احتياطا لهم ونظرا، وجمع بذلك أمرهم فلم يجعله هملا ولا نشرا، وعلى آله وأصحابه، الناطقين برشد الحكم وصوابه.

هذا الباب يشتمل على بدائع الحكم وفوائد الآداب التي نطق بها العلماء والحكماء ضياء للقلوب، وشفاء للألباب، وأصناف السياسة التي هي قوام العالم، وبها انتظام مصالحهم، وما يلزم منها طبقات الناس على اختلافها وتنوعها، وما جاء في ذلك من تمثيل الحكماء وأخبار ولاة الأمور في آدابهم وسياستهم، ومن تلاهم من أتباعهم وغيرهم، وهو ستة فصول: الفصل الأول: فيه الحكم والآداب التي نطق بها الحكماء والعلماء تهذيبا للنفوس، يشترك فيها السائس والمسوس.." (١)

"نبهت زيدا ولم أفزع إلى وكل ... رث السلاح ولا في الحي مغمور

سالت عليه شعاب الحي حين دعا ... أنصاره بوجوه كالدنانير

سقط الجراد قريبا من بيت أبي حنبل جارية بن مر، فجاء الحي وقالوا: نريد جارك فقال: أما إذ جعلتموه جاري فو الله لا تصلون إليه، فأجاره حتى طار من عنده فقيل له: مجير الجراد، وفي ذلك يقول هلال بن معاوية الثعلي: من المتقارب

وبالجبلين لنا معقل ... صعدنا إليه بصم الصعاد

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٦٠/١

ملكناه في أوليات الزمان ... من قبل نوح ومن قبل عاد

ومنا ابن مر أبو حنبل ... أجار من الناس رجل الجراد

وزيد لنا ولنا حاتم ... غياث الورى في السنين الشداد

كان يقال: من تطاول على جاره، حرم بركة داره.

وكان عبيد الله بن أبي بكرة ينفق على من حول داره على أهل أربعين دارا من كل جهة من جهاتها الأربع، وكان يبعث إليهم بالأضاحي والكسوة، ويقوم لمن تزوج منهم بما يصلحه، ويعتق في كل عيد مائة رقبة سوى ما يعتق في سائر السنة.

قال الحسن: ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى.

وجاءته امرأة محتاجة وقالت: أنا جارتك، قال: كم بيني وبينك؟ قالت: سبع أدؤر، فنظر الحسن فإذا تحت فراشه سبعة دراهم، فأعطاها إياها وقال: كدنا نهلك.

كان كعب بن مامة إذا جاوره رجل قام بما يصلحه وأهله، وحماه ممن يقصده، وإن هلك له شيء أخلفه، وإن مات وداه، فجاوره أبو دواد الإيادي، فزاده على عادته. واحتذى أبو دواد فعله حتى قال فيه قيس بن زهير: من الوافر

أطوف ما أطوف ثم آوي ... إلى جار كجار أبي دواد

وصار مثلا في حسن الجوار وله خبر قد ذكر من قبل الرضي أبو الحسن الموسوي: من الطويل

وأبيض من عليا معد كأنما ... تلاقي على عرنينه القمران

إذا رمت طعنا بالقريض حميته ... وإن رام طعنا بالرماح حماني

وقال أيضا: من المنسرح

لو أمطرته السماء أنجمها ... عزا لما قال للسماء قد

لا يسأل الضيف عن منازله ... ومنزل البدر غير مفتقد

نوادر من هذا الباب كان عقيل بن علفة من الغيرة والأنفة على ما ليس عليه أحد، فخطب إليه عبد الملك بن مروان ابنته على أحد بنيه، وكانت لعقيل إليه حاجات، فقال له: إما إذ كنت فاعلا فجنبني هجناءك.

وخطب إليه ابنته إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة، وهو خال هشام بن عبد الملك ووالي المدينة، وكان أبيض شديد البياض، فرده عقيل وقال: من الوافر

رددت صحيفة القرشي لما ... أبت أعراقه إرلا احمرارا

قدم أعرابي رجلا إلى القاضي واستعدى عليه، وتقدم شاهدان فقالا: نشهد أن قد ظلم الأعرابي، فقال الأعرابي: كذبا ما ظلمني ولكنه لوى حقي، كأنه أنف أن يكون مظلوما.

ومثل هذا أن أعرابيا من بني سليم قيل له: أيما أحب إليك: أن تلقى الله ظالما أو مظلوما؟ فقال: بل ظالما، قالوا: سبحان الله أتحب الظلم؟ قال: فما عندي إذا أتيته مظلوما يقول لي: خلقتك مثل البعير الصمحمح ثم أتيتني تعصر عينيك وتشتكي؟

! **قيل لأعرابي** اشتد به الوجع: لو تبت؟ فقال: لست ممن يعطي على الضيم، إن عوفيت تبت.

قال أعرابي لرفقيه: أترى هذه الأعاجم تنكح نساءنا في الجنة؟ قال له: نعم أرى ذلك بأعمالهم الصالحة، فقال: توطأ إذن والله رقابنا قبل ذلك.

نزل عطار يهودي بعض أحياء العرب ومات، فأتوا شيخا لهم لم يكن يقطع في الحي أمر دونه، فأعلموه خبر اليهودي، فجاء فغسله وكفنه وتقدم وأقام الناس خلفه وقال: اللهم إن هذا اليهودي جار وله ذمام، فأمهلنا حتى نقضي ذمامه، فإذا صار في لحده فشأنك والعلج.

كان خالد بن صفوان أحد من إذا عرض له القول قال، فيقال إن سليمان بن علي سأله عن ابنيه جعفر ومحمد، فقال له: كيف إحمادك جوارهما يا أبا صفوان؟ فقال: من الطويل

أبو مالك جار لها وابن برثن ... فيا لك جاري ذلة وصغار

والشعر ليزيد بن مفرغ الحميري، فأعرض عنه سليمان، وكان سليمان من أجمل الناس وأكرمهم، وهو في الوقت الذي أعرض فيه عنه والي البصرة وعم الخليفة المنصور.." (١)

"خرج زياد الأعجم إلى المهلب ومدحه وهو بخراسان، فأمر له بجائزة، وأقام عنده أياما، فقال: فإنه لعشية يشرب مع حبيب بن المهلب في دار فيها دلبة وفيها حمامة، فسجعت الحمامة فقال زياد: من الوافر

تغني أنت في ذممي وعهدي ... وذمة والدي ألا تضاري

وبيتك أصلحيه ولا تخافي ... على صفر مزغبة صغار

فإنك كلما غنيت صوتا ... ذكرت أحبتي وذكرت داري

فاما يقتلوك طلبت ثأرا ... له نبأ لأنك في جواري

فقال حبيب: يا غلام هلم القوس، فأتي به، فنزع لها بسهم فقتلها، فوثب زياد فدخل على المهلب، فحدثه الحديث وأنشده الشعر، فقال المهلب: علي بأبي بسطام فأتي بحبيب، فقال: أعط أبا أمامة دية جاره ألف دينار، فقال: أطال الله بقاء الأمير إنما كنت ألعب، فقال أعطه كما آمرك، فأعطاه، فأنشأ زياد يقول: من الطويل

فلله عينا من رأى كقضية ... قضى لي بها قرم العراق المهلب

قضى ألف دينار لجار أجرته ... من الطير حضان على السقب ينعب

رماها حبيب بن المهلب رمية ... فأثبتها بالسهم والشمس تغرب

فألزمه عقل القتيل ابن حرة ... وقال حبيب إنما كنت ألعب

فقال زياد لا يروع جاره ... وجارة جاري مثل جاري وأقرب

قال: فإنه لبعد هذا يشرب مع حبيب، وفي قلب حبيب عليه الألف، إذ عربد عليه فشق قباء ديباج عليه فقام وقال: من الطويل

لعمرك ما الديباج خرقت وحده ... ولكنما خرقت جلد المهلب

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١٨٣/١

فبعث المهلب إلى حبيب فأحضره وقال: صدق زياد ما خرقت إلا جلدي، تبعث علي هذا يهجوني؟! ثم أحضره وتسلل سخيمته وأمر له بمال وصرفه.

قيل لأعرابي ما يمنعك أن تمنع جارتك فإنه يتحدث إليها فتيان الحي، قال: وهي طائعة أو كارهة؟ قالوا: طائعة، قال: إنما أمنع جاري مما يكره.

قدم الحكم بن عبدل الأسدي على ابن هبيرة واسطا، فأقبل حتى وقف بين يديه ثم قال: من الطويل

اتيتك في أمر من آمر عشيرتي ... وأعيا الأمور المفظعات جسيمها

فإن قلت لي في حاجة أنا فاعل ... فقد ثلجت نفسي وولت همومها

فقال ابن هبيرة: أنا فاعل إن اقتصدت، فما حاجتك؟ قال: غرم لزمنا في حمالة، قال: وكم هي؟ قال: أربعة آلاف، قال: نحن مناصفكوها، قال: أصلح الله الأمير، أتخاف علي التخمة إن أتممتها؟ قال: أكره أن أعود الناس هذه العادة، قال: فأعطني جميعها سرا وامنعني جميعها ظاهرا حتى تعود الناس المنع، وإلا فالضرر عليك واقع إن عودتهم نصف ما يطلبون، فضحك ابن هبيرة وقال: ما عندنا غير ما بذلنا لك، فجثا بين يديه وقال: امرأته طالق لا أخذت أقل من أربعة آلاف أو أنصرف وأنا غضبان، قال: أعطوه إياها قبحه الله فإنه ما علمت حلاف مهين، فأخذها وانصرف.

قال الأصمعي: دخلت خضراء روح فإذا أنا برجل من ولده على فاحشة يؤتى، فقلت: قبحك الله، هذا موضع كان أبوك يضرب فيه الأعناق ويعطي فيه اللهى، وأنت تفعل فيه ما أرى؟! فالتفت إلي من غير أن يزول عنها وقال: الشعر لمعن بن أوس المزني من الوافر

ورثنا المجد عن آباء صدق ... أسأنا في ديارهم الصنيعا

إذا الحسب الرفيع تواكلته ... بناة السوء أوشك أن يضيعا

حضر يوما بشر بن هارون وجماعة من الكتاب في دار أبي محمد المهلبي الوزير، وكان المهلبي بحيث يراهم ويسمع كلامهم، وهم لا يشاهدونه، فأنشأ أحدهم يقول: من المتقارب

سبال الوزير سبال كبير

فقال الآخر:

وعقل الوزير فعقل صغير

فقال بشر بن هارون:

زيادة هذا بنقصان ذا ... كما طال ليل النهار القصير

فخرج إليهم المهلبي وشاتمهم وجلس معهم ومازحهم وأجاز كل واحد منهم.

نظر أبو الحارث جمين إلى برذون يستقى عليه الماء فقال:

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه

لو هملج هذا البرذون لم يجعل للرواية، والشعر لمعاوية بن فروة المنقري، وأوله: من الطويل

وإن خفت من أمر هوانا فوله ... سواك وعن دار الأذى فتحول

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ... ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعل." (١)

"بات جماعة من الرؤساء عند أحمد بن أبي دواد، فلما أخذوا مضاجعهم إذا الخدم قد أخرجوا لكل واحد منهم جارية، قال: فاحتشموا من ذلك، وبات الجواري ناحية، فلما أصبحوا وجه بجارية كل واحد إلى منزله ومعها وصيفة.

قال شريح بن الأحوص: من الطويل

ومستنبح يبغى المبيت ودونه ... من الليل سجفا ظلمة وستورها

رفعت له ناري فلما اهتدى بها ... زجت كلابي أن يهر عقورها

فبات وقد أسرى من الليل عقبة ... بليلة صدق غاب عنها شرورها

إذا الشول راحت ثم لم تفد لحمها ... بألبانها ذاق السنان عقيرها

وقال عروة بن الورد: من الطويل

إني امرو عافي إنائي شركة ... وأنت امرو عافي إنائك واحد

أتهزأ مني أن سمنت وأن ترى ... بوجهي شحوب الحق والحق جاهد

أقسم جسمي في جسوم كثيرة ... وأحسو قراح الماء والماء بارد

وقال آخر: من البسط

ألا ترين وقد قطعتني عذلا ... ماذا من الفوت بين البخل والجود

إلا يكن ورق يوما أجود بها ... للمعتفي فإني لين العود

وقال قيس بن عاصم: من الطويل

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ... وبا ابنة ذي البردين والفرس الورد

إذا ما صنعت الزواد فالتمسي له ... أكيلا فإني غير آكله وحدي

كريما قصيا أو قريبا فإنني ... أخاف مذمات الأحاديث من بعدي

وكيف يسبغ المرء زادا وجاره ... خفيف المعا بادي الخصاصة والجهد

وللموت خير من زيارة باخل ... يلاحظ أطراف الأكيل على عمد

وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا ... وما في إلا تيك من شيمة العبد

وقال آخر: من الطويل

ومستنبح قال الصدى مثل قوله ... حضأت له نارا لها حطب جزل

وقمت إليه مسرعا فغنمته ... مخافة قومي أن يفوزوا به قبل

وأوسعني حمدا وأوسعته قرى ... وأرخص بحمد كان كاسب الأكل

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١/١٨٤

وقال محمد بن يسير: من البسيط

لقل عارا إذا ضيف تضيفني ... ما كان عندي إذا أعطيت مجهودي

فضل المقل إذا اعطاه مصطبرا ... ومكثر في الغنى سيان في الجود

لا يعدم السائلون الخير أفعله ... إما نوال وإما حسن مردود

وقال الهذلي: من البسيط

وهاب ما لا تكاد النفس ترسله ... من التلاد وصول غير منان

وقال البحتري: من الطويل

ألست ترى مد الفرات كأنه ... جبال شروري جين في البحر عوما

وما ذاك من عاداته غير أنه ... رأى شيمة من جاره فتعلما

وقال حاتم: من الطويل

لا تسألني واسألي أي فارس ... إذا الخيل جالت في قنا فتكسرا

ولا تسأليني واسألي أي ياسر ... إذا بادر القوم الكنيف المسترا

وإني لوهاب لقطعي ونمرقي ... إذا ما صحوت والكميت المصدرا

وإني لتغشى أبعد الحي جفنتي ... إذا ورق الطلح الطوال تحسرا

نزل رجل بامرأة من العرب فقال لها: هل من لبن أو طعام يباع، فقالت: إنك للئيم أو حديث عهد باللئام، فاستحسن ذلك منها وخطبها فتزوجها.

قيل لأعرابية وقد حملت شاة تبيعها: بكم هذه؟ قالت: بكذا، قيل لها: أحسني، فتركت الشاة ومرت لتنصرف، فقيل لها: ما هذا؟ فقالت: لم تقولوا أنقصي، وغنما قلتم أحسني، والإحسان ترك الكل.." (١)

"لم يكن في بني العباس أشجع من المعتصم، ولا أشد قلبا وأيدا، ولا أحسن تيقظا في الحرب، وكان من شدته يسمي ما بين إصبعيه السبابة والوسطى المقطرة، واعتمد بها مرة على ساعد إنسان فدقه، وكتب إليه ملك الروم يتهدده، فأمر بكتب جوابه فلما قرئ عليه لم يرضه وقال للكاتب: اكتب، بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فقد قرأت كتابك والجواب ما ترى لا ما تسمع " وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار " " الرعد: ٤٢ " .

وقال ابن أبي دواد: كان المعتصم يقول لي: يا أبا عبد الله عض ساعدي بأكثر قوتك، فأقول: والله يا أمير المؤمنين ما تطيب نفسي بذلك، فيقول إنه لا يضرني، فأروم ذلك، فإذا هو لا تعمل فيه الأسنة فكيف الأسنان؟ ويقال إنه طعنه بعض الخوارج وعليه جوشن، فأقام المعتصم ظهره فقصف الرمح بنصفين.

كان عبد الملك بن صالح واليا للرشيد على الشام، فكان إذا وجه سرية إلى أرض الروم أمر عليها أميرا شهما وقال له: اعلم أنك مضارب الله تعالى بخلقه، فكن بمنزلة التاجر الكيس إن وجد ربحا وإلا احتفظ برأس المال، وكن من احتيالك على

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢١٨/١

عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك.

وولى العباس بن زفر الثغر فودعه وقال: يا عباس إن حصن المحارب من عدوه حسن تدبيره، والمقاتل عنه جليد رأيه وصدق بأسه.

يقال: إنه لا يصدق ويصبر في اللقاء إلا ثلاثة: مستبصر في دين، أو غيران على حرمه، أو ممتعض من ذل.

كان حبيب بن مسلمة الفهري يغزو الترك، فخرج ذات مرة إلى بعض غزواته فقالت له امرأته: أين موعدك؟ قال: سرادق الطاغية أو الجنة، قالت: إني لأرجو أن أسبقك إلى أي الموضعين كنت فيه، فجاء فوجدها في سرادق الطاغية تقاتل الترك.

قال جعفر بن علبة الحارثي: من الطويل

لا يكشف الغماء إلا بن حرة ... يرى غمرات الموت ثم يزورها

نقاسمهم أسيافنا شر قسمة ... ففينا غواشيها وفيهم صدورها

وقال ابن هرمة: من الوافر

إذا شدوا عمائمهم ثنوها ... على كرم وإن سفروا أناروا

يبيع ويشتري لهم سواهم ... ولكن بالطعان هم تجار

قيل: دخل على معاوية بعض كنانة فقال له: هل شهدت بدرا؟ قال: نعم قال: مثل من كنت يومئذ؟ قال: غلام ممدود مثل عصا الجلمود، قال: فحدثني ما رأيت وحضرت، قال: ما كنا إلا شهودا كأعياب، وما رأيت ظفرا كان أوشك منه، قال: فصف لي من رأيت، قال: رأيت في سرعان الناس علي بن أبي طالب غلاما ليثا عبقريا يفري الفري، لا يلبث له أحد إلا قتله، ولا يضرب شيئا إلا هتكه، لم أر من الناس أحدا قط أثقف منه، يحمل حملة ويلتفت التفاتة كأنه ثعلب رواغ، وكأن له عينين في قفاه، وكأن وثوبه وثوب وحشي، يتبعه رجل معلم بريش نعامة، كأنه جمل يحكم يبيسا، لا يستقبل شيئا إلا هده، ولا يثبت له شيء إلا ثكلته أمه، شجاع ابله يحمل بين يديه، قيل هذا حمزة بن عبد المطلب عم محمد صلى الله عليه وسلم قال: فرأيت ماذا؟ قال: رأيت ما وصفت لك، ورأيت جدك عتبة وخالك الوليد حيث قتلا، ورأيت من حضر من أهلك لم يغنوا عنه شيئا، قال: فكنت من المنهزمين؟ قال: نعم لما انهزمت عشيرتك، قال: فأين كنت منهم؟ قال: لما انهزمنا كنت في سرعانهم، قال: فأين أرحت؟ قال: ما أرحت حتى نظرت إلى الهضبات، قال: لقد أحسنت الهرب، قال: قبلي ما أحسنه أبوك وبعد ما اتعظت بمصرع كمصرع جدك وخالك وأخيك، قال: إنك لغليظ الكلام، قال: إنني ممن تعرف، قال: إنكم لتبغضون قريشا، قال: أما من كان أهله منهم فنبغضه، قال: ومن الذين هم أهله؟ قال: من قطع القرابة واستأثر بالفيء وطلب الحق فلما أعطيه منعه، قال: ما فيك خير من أن نسكت عنك، قال: ذاك إليك قال: قد فعلت، قال: فقد سكت.

قال الحارث بن خالد المخزومي، وقد فر عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد من الخوارج فرارا قبيحا، على كثرة عدده وقلتهم: من الخفيف

فر عبد العزيز حين رأى الأب ... طال بالسفح نازلوا قطريا

عاهد الله إن نجا ملمنايا ... ليعودن بعدها حرميا

حيث لا يشهد القتال ولا يس ... مع يوما لكر خيل دويا

قيل لأعرابي: ألا تغزو فإن الله قد أمرك به، فقال: والله إني لأبغض الموت على فراشي في عافية فكيف أمضي إليه ركضا، ومثله قول الشاعر: من البسيط." (١)

"مر أبو دهمان، وهو أمير نيسابور، على رجل جالس، ومع أبي دهمان صديق له يسايره، فقام الناس إليه ودعوا له إلا ذلك الرجل، فقال أبو دهمان لصديقه الذي يسايره: أما ترى ذلك الرجل في النظارة وتيهه علي؟ فقال له: وكيف يتيه عليك وأنت الأمير؟ قال: لأنه قد ناكني وأنا غلام.

قيل لأعرابي كيف تقول: استخذأت أو استخذيت؟ قال: لا أقوله، قيل: ولم؟ قال: لأن العرب لا تستخذي.

الهنادي: من الكامل

يا قبلة ذهبت ضياعا في يد ... ضرب الإله بنانها بالنقرس

يتلوه: باب القناعة والحرص إن شاء الله تعالى.

الباب العاشر

في القناعة والظلف والحرص والطمع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوهاب المفضل، المعطي المجزل، باسط الرزق لمن يشاء ومقدره، ومانع ما يشاء وميسره، الذي مدح القناعة وأعزها، وذم الضراعة وأذلها، وأنزل الحريص بمنزلة المتسخط فكدر حياته وحرمه، وعلم أن القنوع راض بقسمته فهنأ عيشه وسلمه. وأعوذ بعصمته من موردات الطمع، وألوذ برأفته من مخزيات الطبع، وأسأله أن يرضينا بما قسم لنا من رزقه، ولا يجعل لنا تطلعا إلى ما في أيدي خلقه، والصلاة على نبيه وصفوته، ورسوله وخيرته، الراضي من الدنيا بكفافها وميسورها، الرافض لما آتاه من كنوزها حين حيزت له بحذافيرها، وعلى آله ما حسر الصبح عن ظلم الدياجي وديجورها.

جاء في تفسير قوله عز وجل: " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة " " النحل: ٩٧ " أن المراد بها القناعة. وقال تعالى لنبيه عليه السلام: " ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى " " طه: ١٣١ " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله: القناعة مال لا ينفد.

وقال صلى الله عليه وسلم: ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه وسلم: أربع من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، والحرص، والأمل.

ومن كلام علي بن أبي طالب عليه السلام: كفى بالقناعة ملكا، وبحسن الخلق نعيما. من اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة وتبوأ خفض الدعة. ما أقبح الخشوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى. الطمع مورد غير مصدر، وضامن غير وفي، وربما شرق شارب الماء قبل ريه، وكلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده. والأماني تعمي البصائر.

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢٦٢/١

أزرى بنفسه من استشعر الطمع.

وقال أرسطاطاليس: لا غنى لمن ملكه الطمع واستولت عليه الأماني.

ويقال: لا تخلق نفسك بالحرص فتذهب عنك بهجة الوقار.

وقال أعرابي لرجل حريص على الدنيا: يا أخي أنت طالب ومطلوب: يطلبك ما لا تفوته، وتطلب ما قد كفيته، كأنك بما غاب عنك قد كشف لك، وما أنت فيه قد نقلت عنه، أما رأيت حريصا محروما وزاهدا مرزوقا؟ وقال آخر: الحرص ينقص من قدر الإنسان ولا يزيد في رزقه.

قيل: أنفق ما يكون التعب إذا وعد كذاب حريصا.

وقال آخر: احتمل الفقر بالتنزه عما في يدي غيرك، والزم القناعة بما قسم لك، فإن سوء حمل الفقر يضع الشريف، ويخمل الذكر، ويوجب الحرمان.

قال أبو ذؤيب: من الكامل

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقال سالم بن وابصة: من الطويل

غنى النفس ما يكفيك من سد خلة ... فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

قال الكندي: العبد حر ما قنع، والحر عبد ما طمع.

قيل: إن الغنى والعز خرجا يجولان فلقيا القناعة فاستقرا.

وقيل: انتقم من الحرص بالقناعة كما تنتصر من العدو بالقصاص.

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله: ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم فأفسداها أشد من حرص المرء على المال.

وقال صلى الله عليه وسلم: يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان: الحرص على المال، والحرص على العمر.

وقال صلى الله عليه وسلم: إن لكل رجل من الدنيا رزقا هو يأتيه لا محالة، من رضي به بورك له فيه ووسعه، ومن لم يرض به لم يبارك له فيه ولم يسعه.

وقال صلى الله عليه وسلم: لا تستبطئوا الرزق فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغه آخر رزق هو له، فأجملوا في الطلب: أخذ الحلال وترك الحرام.

وقيل: يا رسول الله: ما الغنى؟ قال: اليأس عما في أيدي الناس؛ وإياكم والطمع فإنه الفقر الحاضر.." (١)

"قيل لأنوشروان: أي الجنن أوقى؟ قال: الدين، قيل فأي العدد أقوى؟ قال العدل.

قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات: جلس أبي يوما للمظالم، فلما انقضى المجلس رأى رجلا جالسا فقال له: ألك حاجة؟ قال: نعم، تدنيني إليك فإنني مظلوم، فأدناه فقال: إني مظلوم وقد أعوزني الإنصاف، قال ومن ظلمك؟ قال: أنت، ولست أصل إليك فأذكر حاجتي. قال: ومن يحجبك وقد ترى مجلسي مبذولا؟ قال: يحجبني عنك هيبتك، وطول لسانك،

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٣١٨/١

وفصاحتك واطراد حجتك. قال: ففيم ظلمتك؟ قال: ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غصبا بغير ثمن، وإذا وجب عليها خراج أديته باسمي لئلا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي، فوكيلك يأخذ غلتها وأنا أؤدي خراجها، وهذا ما لم يسمع في الظلم بمثله. فقال له محمد: هذا قول يحتاج إلى بينة وشهود وأشياء، فقال له الرجل: أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أجيب؟ قال: قد أمنتك. قال: البينة هم الشهود، وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شيء، فما معنى قولك: فيه شهود وأشياء؟ ماهذه الأشياء إلا العي والحصر والتغطرس؟ فضحك وقال: صدقت، والبلاء موكل بالمنطق، وإني لأرى فيك مصطنعا. ثم وقع له برد ضيعته وبأن يطلق له كر حنطة وكر شعير ومائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته، وصيره من أصحابه واصطنعه.

قيل لأعرابي من بني أسد: كيف تركت الناس قال: بشر، من مظلوم لا ينتصر، وظالم لا يقلع.

قال عبد الملك بن مروان: كنت أجالس بريرة قبل أن ألي هذا الأمر، فقالت لي: يا عبد الملك إنك لخليق أن تلي هذا الأمر، فإن وليته فاحذر الدماء، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله يقول: إن الرجل ليحال بينه وبين الجنة بعد أن ينظر إليها بملء كف من دم مسلم سفكه بغير حق.

وروي أن رجلا من عمال عمر رضي الله عنه أمر رجلا أن ينزل في واد ينظر كم عمقه، فقال الرجل: إني أخاف، فعزم عليه فنزل، فلما خرج كز فمات، فنادى: يا عمراه، فبعث عمر إلى العامل فقال: أما لولا أني أخاف أن تكون سنة بعدي لضربت عنقك، ولكن لا تبرح حتى تؤدي ديته، والله لا وليتك شيئا أبدا.

وروي أن يهوديا جاء إلى عبد الملك بن مروان فقال: إن ابن هرمز ظلمني، ثم أتاه الثانية ثم الثالثة فلم يلتفت إليه، فقال له اليهودي: إنا نجد في التوراة أن الإمام لا يشرك في ظلم أحد ولا جوره حتى يرفع إليه فإذا رفع إليه ولم يغير شرك في الظلم والجور. ففزع عبد الملك وأرسل إلى ابن هرمز فنزعه.

قال سريع الأهوازي: بعث إلي عيسى بن جعفر فسألني عن النبيذ فقلت: سل عن الماء الذي يشربه النصارى واليهود والمجوس والكلاب والخنازير جلالا وتشربه أنت حراما، قال: وكيف ذاك؟ قلت: إن غلمانك يسخرون الناس ويستقونه لهم. فبكى.

قال محمد بن صفوان الضبي: كنت أقوم على رأس سليمان بن عبد الملك، فدخل عليه رجل من حضرموت من حكمائهم، فقال له سليمان: تكلم بحاجتك، فقال: من كان الغالب على كلامه النصيحة وحسن الإرادة أوفى به كلامه على السلامة، وإني أعوذ بالذي أشخصني من أهلي حتى أوفدني عليك أن ينطقني بغير الحق، وأن يذلل لساني بما فيه سخطه علي، وإن إقصار الخطبة أبلغ في أفئدة أولي الفهم من الإطالة والتشديق في البلاغة، إلا وإن من البلاغة يا أمير المؤمنين ما فهم وإن قل، وإني مقتصر على الاقتصار مجتنب لكثير من الإكثار. أشخصني إليك وال عسوف ورعية ضائعة، وإنك إن تعجل تدرك ما فات، وإن تقصر تهلك رعيتك هناك ضياعا، وها فخذها إليك قصيرة موجزة. فقال سليمان: ادع لي رجلا من الحرس فاحمله على البريد وقل له: إذا أتيت البلاد فلا تنزل من مركبك حتى تعزله، ومن كانت له ظلامة أخذت له بحقه.

ثم أمر للحكيم بمال فأبى أن يقبل وقال: إني والله يا أمير المؤمنين أحتسب سفري على الله عز وجل، وإني أكره أن آخذ عليه من غيره أجرا. قال: انطلق بارك الله عليك. فلما ولى قال سليمان: ما أعظم بركة المؤمن في كل شيء.." (١)

"قدم أبو نخيلة على أبان بن الوليد فامتدحه فكساه ووهب له جارية جميلة، فخرج يوما من عنده فلقيه رجل من قومه فقال له: كيف وجدت أبان ابن الوليد؟ فقال: من الرجز

أكثر والله أبان ميري ... ومن أبان الخير كل الخير

ثوب لجلدي وحر لأيري

تكلم رجل عند عبد الله بن العباس فأكثر الخطأ، فدعا بغلام له فأعتقه، فقال له الرجل: ما سبب هذا الشكر؟ فقال: إذ لم يجعلني مثلك.

قيل لأعرابي في الشتاء: أما تصلي؟ قال: البرد شديد وما علي كسوة أصلي فيها، وقال: من الطويل

إن يكسني ربي قميصا وريطة ... أصل وأعبده إلى آخر الدهر

وإن لم يكن إلا بقايا عباءة ... مخرقة ما لي على البرد من صبر

السري الرفاء الموصلي: من المنسرح

من ذم إدريس في قيادته ... فإنني حامد لإدريس

كلم لي عاصيا فكان له ... أطوع من آدم لإبليس

وكان في سرعة المجيء به ... آصف في حمل عرش بلقيس

الفصل الثاني

الاعتذار والاستعطاف

وثمرتهما العفو والصفح، وهما خير مندوب إليه، وأحسن محضوض عليه، قال الله عز وجل: " وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم " . النور:٢٢.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا من الحدود.

وقال صلى الله عليه وسلم: من اعتذر إليه أخوه المسلم فلم يقبل لم يرد علي الحوض.

وقال علي عليه السلام: أولى الناس بالعفو أقدرهم على القعوبة.

وقال أيضا: العفو زكاة الظفر.

وقال أيضا: إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه.

وقال الحسن بن علي عليهما السلام: لا تعاجل الذنب بالعقوبة واجعل بينهما للاعتذار طريقا.

وقال أيضا: أوسع ما يكون الكريم بالمغفرة إذا ضاقت بالذنب المعذرة.

وقال جعفر بن محمد: شفيع المذنب إقراره، وتوبة المجرم اعتذاره.

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٣٣٩/١

وقال رجل من بني تميم لقومه: ألا أدلكم على ما هو أفضل من الحق؟ قالوا: وما هو؟ قال: العفو.

وقال الشاعر: من الطويل

فإن كنت ترجو في العقوبة راحة ... فلا تزهدن عند التجاوز في الأجر

وقال الحسن بن أبي الحسن رضي الله عنه: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلا العافون عن الناس، وتلا قوله تعالى: " فمن عفا وأصلح فأجره على الله " الشورى: ٤٠.

وقال عمر بن حبيب العدوي: كنت في وفد أهل البصرة لما قدموا على المنصور يسألونه أن يولي عليهم قاضيا، فبينا نحن عنده إذ جيء برجل مصفد يحمل في الحديد، فوقف بين يديه فغلوا يده إلى عنقه، فساءله طويلا ثم بسط له نطع وأقعد عليه، ونحن ننظر إليه، فأمر بضرب عنقه، والرجل يحلف له وهو يكذبه، ولم يتكلم أحد من الجمع، فقمت وكنت أحدثهم سنا، فقلت: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في الكلام؟ فقال: قل. قلت: يروى عن ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من اعتذر إليه أخوه المسلم فلم يقبل عذره لم يرد علي الحوض " ، وقد اعتذر إليك فاقبل عذره. فقال: يا غلام اضرب عنقه. فقلت: إن أباك حدثني عن جدك عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا كان يوم القيامة نادى مناد تحت العرش ليقم من كان له عند الله يد فلا يقوم إلا من عفا عن أخيه المسلم " ، فقال: الله أن أبي حدثك عن جدي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا؟ فقلت: الله إن أباك حدثني عن جدك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا. فقال أبو جعفر: صدق أبي عن جدي عن ابن عباس بهذا. يا غلام خل عنه، وأمر له بجائزة وولاني قضاء البصرة.

وأتي المأمون برجل يريد أن يقتله، وعلي بن موسى الرضا جالس، فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال: أقول إن الله تعالى لا يزيدك بحسن العفو إلا عزا، فعفا عنه.

وكان المأمون مؤثرا للعفو كأنه خلق غريزة له، وهو القائل: لقد حبب إلي العفو حتى أظن أني لا أثاب عليه. وسأذكر جملا من أخباره فيه هاهنا.

وقع جعفر بن يحيى في رقعة معتذر: قد تقدمت طاعتك ونصيحتك، فإن بدرت منك هفوة فلن تغلب سيئة حسنتين.

وقال الشاعر: من الخفيف

ارض للسائل الخضوع وللقا ... رف ذنبا خصاصة الاعتذار." (١)

"من كلام الحسن: يا ابن آدم إياك والغيبة فإنها أسرع في الحسنات من النار في الحطب. يحسد أحدكم أخاه حتى يقع في سريرته، والله أعلم بعلانيته. يتعلم في الصداقة التي بينهما ما يعيره به في العداوة إذا هي كانت، فما أظن أولئك من المؤمنين. إن الله لا ينظر إلى عبد يبدي لأخيه الود وهو مملوء غشا، يطريه شاهدا، ويخذله غائبا، إن رأى خيرا حسده، وإن ابتلي ابتلاء خذله.

وقد قيل: الإخوان نزهة القلوب وسلوة الهموم.

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٤٥٣/١

إبراهيم بن العباس: من مجزوء الرمل

يا أخا العرف إذا ع ... ز إلى العرف الطريق

وأخا الموتى إذا لم ... يبق للميت صديق

قال إياس بن معاوية لبنيه: يا بني تثبتوا في من تؤاخون، فإن كانت المحاسن أكثر من المقابح فتقدموا، وإن كانت المقابح أكثر من المحاسن فتأخروا، فإن التحول عن الإخاء شديد، وليس الأخ كالثوب يبلى فيطرح، ولا كالعلق يزهد فيه فيستبدل به.

قال بشر بن الحارث: ينبغي أن يكون للإنسان ثلاثة إخوان: واحد لآخرته، وآخر لدنياه، و آخر يأنس به.

المغيرة بن حبناء: من الطويل

خذ من أخيك العفو واغفر ذنوبه ... ولا تك في كل الأمور تعاتبه

فإنك لن تلقى أخاك مهذبا ... وأي امرئ ينجو من العيب صاحبه

أخوك الذي لا ينقض النأي عهده ... ولا عند صرف الدهر يزور جانبه

وليس الذي يلقاك بالبشر والرضى ... وإن غبت عنه لسعتك عقاربه

قال أعرابي لابنه: يا بني ابذل المودة الصافية تستفد إخوانا، وتتخذ أعوانا، فإن العداوة موجودة عتيدة، والصداقة مستعزة بعيدة. جنب كرامتك اللئام فإنهم إن أحسنت إليهم لم يشكروا،وإن نزلت شديدة لم يصبروا.

وقال أكثم بن صيفي لبنيه: يا بني تقاربوا في المودة، ولا تتكلوا على القرابة.

شاعر: من الكامل المرفل

اترك مكاشفة الصديق إذا ... غطى على هفواته ستر

واعلم بأنك لست عاطفه ... باللوم حين يفوته العذر

قيل لأعرابي: لم تقطع أخاك وهو شقيقك وابن أمك أبيك؟ فقال: والله إني لأقطع العضو النفيس من جسدي إذا فسد، وهو أقرب إلي من أخي.

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في مثل ذلك: من الطويل

ألم تر أن المرء تدوي يمينه ... فيقطعها عمدا ليسلم سائره

فيكف به من بعد يمناه صانعا ... بمن ليس منه حين تبدو سرائره

قيل: الإخوان كالنار فقليلها مشاع وكثيرها بوار.

وقال عمرو بن العاص: إذا كثر الإخاء كثر الغرماء. أراد بالغرماء الحقوق.

وقيل: لا أنس لمن لا إخوان له، ولا ذكر لمن لا ولد له، ولا شيء لمن لا عقل له، ولا مكرمة لمن لا مال له.

كتب رجل إلى أخ له: أما بعد فإن كان إخوان الثقة كثيرا فأنت أولهم، وإن كانوا قليلا فأنت أوثقهم، وإن كانوا واحدا فأنت هو.

مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن شمس: من الطويل

أخوك الذي إن تجن يوما عظيمة ... يبت ساهرا والمستذيقون رقد

تمت إلى الأقصى بثديك كله ... وأنت على الأدنى صروم مجدد

شريح بن عمران اليهودي: من الكامل المجزوء

آخ الكرام إن استطع ... ت إلى إخائهم سبيلا

واشرب بكأسهم وإن ... شربوا بها السم الثميلا

قال ابن المقفع: كل مصحوب ذو هفوات، والكتاب مأمون العثرات.

وقال ابن طباطبا: من الكامل

اجعل جليسك دفترا في نشره ... للميت من حكم العلوم نشور

ومفيد آداب ومؤنس وحشة ... وإذا انفردت فصاحب وسمير

قيل: محاسبة الصديق دناءة، وترك الحق للعدو غباوة.

قيل لابن السماك: أي الإخوان أخلق ببقاء المودة؟ فقال: الوافر دينه، والوافي عقله، الذي لا يملك على القرب، لا ينساك على البعد، إن دنوت منه راعاك، وإن بعدت عنه اشتاقك، لا يقطعه عنك عسر ولا يسر، إن استعنته عضدك، وإن احتجت إليه رفدك، وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله، يستقل كثير المعروف من نفسه، ويستكثر قليل المودة من صاحبه.

وقال بعض السلف: ابذل لصديقك دمك ومالك، ولمعرفتك رفدك ومحضرك، ولعدوك إشفاقك وعدلك.." (١)

"دخل أبو دلامة على المهدي وعنده إسماعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وغيرهم من بني هاشم، فقال له المهدي: أنا أعطي الله عهدا لئن من تهج واحدا ممن في البيت لأقطعن لسانك. فنظر إليه القوم وغمزه كل واحد منهم بأن علي رضاك. قال أبو دلامة: فعلمت أني قد وقعت، وأنها عزمة من عزماته لا بد منها، فلم أرد أحدا أحق بالهجاء مني، ولا أدعى إلى السلامة من هجائي نفسي، فقلت:

ألا أبلغ لديك أبا دلامه فلست من الكرام ولا كرامه

جمعت دمامة وجمعت لؤما كذلك اللؤم تتبعه الدمامه

فإن تك قد أصبت نعيم دنيا فلا تفرح فقد دنت القيامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه.

رؤي أعرابي يبول في المسجد فصاحوا عليه فقال: أنا واله أفقه منكم، إنه مسجد باهلة.

وقيل لأعرابي: أيسرك أن تدخل الجنة وأنت باهلي؟ قال: على أن لا يعرف فيها نسبي.

وقال أحمد بن سعيد الباهلي لأبي العيناء: إني أصبت لباهلة فضيلة لا توجد في سائر العرب، قال: وما هي؟ قال: لا يصاب

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٣٩/٢

فيهم دعي، قال: لأنه ليس فوقهم من يقبلهم، ولا دونهم أحد فينزلون إليه.

وقيل له: ما تقول في محمد بن مكرم والعباس بن رستم؟ قال: هما الخمر والميسر وإثمهما أكبر من نفعهما.

وسقط نجاح بن سلمة عن دابته، فوثب إليه إبراهيم بن عتاب فأخذه من الأرض، فقال أبو العيناء: يا أبا الفضل لميتة مجهزة اصلح من عالفة على يد ابن عتاب.

واعترضه يوما أحمد بن سعيد فسلم عليه، فقال أبو العيناء: من أنت؟ قال: أحمد بن سعيد، فقال: إني بك لعارف، ولكن عهدي بصوتك مرتفع إلي من أسفل،، فما له منحدر علي من علو؟ قال: لأني راكب قال: لا إله إلا الله، لعهدي بك وأنت في طمرين لو أقسمت على الله تعالى في رغيف لأعضك بما تكره.

وقال له رجل: ما أنتن إبطك!! قال: نلقاك أعزك الله بما يشبهك.

وقال لرجل: والله ما فيك من العقل شيء إلا مقدار ما تجب الحجة به عليك، والنار لك.

تغدى الجماز عند إنسان هاشمي، ومر الغلام بصحفة فقطر مها شيء على ثوب الجماز، فقال الهاشمي: يا غلام اغسل ثوبه، فقال الجماز: دعه فمرقتكم لا تدسم الثوب.

وقف رجل على بهلول فقال له: تعرفني؟ قال بهلول: أي والله وأنسبك نسب الكمأة: لا أصل ثابت، ولا فرع نابت.

شاعر:

أم زياد لم ولدتيه ملتحفا بالكبر والتيه

ليتك إذ جئت به هكذا أكلته لما خريتيه

علي بن خليل في دعي:

متى تعربت وكنت امرءا من الموالي صالح الدين

لو كنت إذ صرت إلى دعوة فزت من القوم بتمكين

لكف من وجدي ولكنني أراك بين الضب والنون

فلو تراه صارفا أنفه عن ريح خيري ونسرين

لقلت جلف من بني دارم حن إلى الشيح بيبرين

دعموص رمل زل عن صخرة فعاف أرواح البساتين

تنبو عن القاقم أعطافه والخز والسنجاب واللين

كان لهشام النحوي جارية يقال لها خنساء، وكانت تقول الشعر، فعبث بها يوما أبو الشبل فأغضبها، فقالت له: ليت شعري بأي شيء تدل؟ أنا والله أشعر منك، ولئن شئت لأهجونك حتى أفضحك، فأقبل عليها وقال:

خنساء قد أفرطت علينا فليس منها لنا مجير

تاهت بأشعارها علينا كأنما ناكها جرير

فخجلت حتى بان فيها وأمسكت عن جوابه.

قال ابن قتيبة: مكثت مية زمانا لا ترى ذا الرمة، وهي تسمع مع ذلك شعره، فجعلت لله عليها أن تنحر بدنة يوم تراه.

فلما رأته رجلا أسود دميما قالت: واسوأتاه وابؤساه، واضيعة بدنتاه،فقال ذو الرمة:

على وجه مي مسحة من ملاحة وتحت الثياب الخزي لو كان باديا

قال فكشفت ثوبها عن جسدها ثم قالت: أشينا ترى لا أم لك؟ فقال:

ألم تر أن الماء يخبث طعمه وإن كان لون الماء أبيض صافيا

فقالت: أما ما تحت الثياب فقد رايته وعلمت ألا شين فيه،ولم يبق إلا أن أقول: هلم حتى تذوق ما وراءه، والله لا ذقت ذلك أبدا. فقال:

فيا ضيعة اشعر الذي لج فانقضى بمي ولم أملك ضلال فؤاديا

خالد الكاتب:

وقائل إن حماري له مشي إذا صوب أوصعدا

فقلت لكن حماري إذا حثثته لا يلحق المقعدا

يستعذب الضرب فإن زدته كاد من اللذة أن يرقدا

ومثله لابن الحجاج يذكر فرسه:

حاشاه أن يعدو ولكنني امشي فلا يلحقني إن عدا." (١)

"وقال صلى الله عليه وسلم، وذكر الخيل: بطونها كنز وظهورها حرز وروي عن مكحول قال: سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس فجثا على ركبتيه وقال: إنه لبحر. فقال عمر، رضي الله عنه: كذب الحطيئة حيث يقول:

وإن جياد الخيل لا تستفزناولا جاعلات الريط فوق المعاصم

وقد أمر الله عز وجل بإعدادها إرهابا لأعدائه. وكانت العرب تفتخر بارتباطها وتراه من أسرى مآثرها وتجيع لها العيال. والأخبار في ذلك تجيء في أماكنها. وهذا موضع إثبات ما جاءفي أوصافها من معنى بديع ولفظ بليغ.

والمقدم في ذلك قول امرئ القيس، وليس إخلاقه بتداول الألسن بمانعه من هذه الرتبة:

وقد أغتدي والطير في وكناتهابمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معاكجلمود صخر حطه السيل من عل

له أبطلا ظبي وساقا نعامةوإرخاء سرحان وتقريب تتفل

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي يصف جملة خيل:

متى ما أدع في أسد تجبنيعلى خيل مسومة صيام

تراها نحو داعيها سراعاكما انسل الفريد من النظام

وقال الاسعر بن أبي حمران الجعفي:

باعوا جوادهم لتسمن أمهمولكي يعود على فراشهم فتى

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٨٦/٢

لكن قعيدة بيتنا مجفوةباد جناجن صدرها ولها غنى

تقفى بغيبة أهلها وثابةأو جرشع عبل المحازم والشنى

ولقد علمت على تجشمي الردىأن الحصون الخيل لا مدر القرى

راحوا بصائرهم على أكتافهموبصيرتي يعدو بها عتد وأي

نهد المراكل مدمج أرساغهعبل المعاقم لا يبالي ما أتى

إني وجدت الخيل عزا ظاهراتنجي من الغمي ويكشفن الدجى

ويبتن بالثغر المخوف طليعةويبتن للصعلوك حكة ذي الغنى

يخرجن من خلل الغبار عوابساكأصابع المقرور أقعى فاصطلى

وقال مزرد بن ضرار أخو الشماخ:

وعندي إذا الحرب العوان تلقحتوأبدت هواديها الخطوب الزلازل

أجش صريحي كأن صهيلهمزامير شرب جاوبتها جلاجل

متى ير مركوبا تقل باز قانصوفي مشيه عند القياد تساتل

تقول إذا أبصرته وهو صائمخباء على نشز أو السيد ماثل

خروج أضاميم وأحصن معقلاإذا لم يكن إلا الجياد معاقل

يرى طامح العينين يرنو كأنهمؤانس ذعر فهو بالأنس خاتل

وصم الحوامي ما يبالي إذا عداأوعث نقا عنت له أم جنادل

وقال جرير يصف حالا منها:

وطوى الطراد مع القياد بطونهاطي التجار بحضرموت برودا

وقيل لأعرابي: كيف عدو فرسك؟ فقال: يعدو ما وجد أرضا.

وقال زهير بن أبي سلمى:

صبحت بمشتد النواشر سابحممر أسيل نهد مراكله

أمين شظاه لم يخرق صفاقهبمنقبة ولم تقطع أباجله

إذا ما غدونا نبتغي الصيد مرةمتى نره فإننا لا تخاتله

فبتنا عراة عند رأس جوادنايزاولنا عن نفسه ونزاوله

فنضربه حتى اطمأن قذالهولم يطمئن قلبه وخصائله

النواشر: عروق الذراع، واحدها ناشرة، والنهد: الضخم، والممر: المفتول، والشظا: عظم ملصق بالذراع، وبعضهم يقول: الشظايا: انشقاق العصب. والصفاق: الجلدة السفلى تحت الجلد عليه الشعر. المنقب: حيث ينقب البيطار من البطن، والمنقبة حديدة ينقب بها البيطار، وتقال منقبة بكسر الميم، والخصائل جمع خصيلة وكل لحمة في عصبة خصيلة.

وقال زهير أيضا:

ولقد غدوت على القنيص بسابحمثل الوذيلة جرشع لأم

قيد الأوابد ما يغيبهاكالسيف ولا ضرع ولا قحم

صعل كسافلة القانة من ال ... مران ينفي الخيل بالعذم

الوذيلة: الفضبة شبه بريقه وصفاءه بها، والجرشع: الضخم الجنبين واللأم: الملتئم الشديد والسيد: الذئب، والضرع: الصغير السن. القحم : الكبير. والصعل: الدقيق العنق الصغير الرأس. والمران: شجر تتخذ منه الرماح. والعذم: العض.

وقال آخر:

جاء كلمع البرق جاش ما طرهتسبح أولاه ويطفو آخره

فما يمس الأرض منه حافره

وصف عبد الحميد فرسا ركبها فقال: همها أمامها، وسوطها عنانها، وما ضربت قط إلا ظلما.

وصف ابن القرية فرسا أهداه الحجاج إلى عبد الملك بن مروان فقال: قد وجهت إليك بفرس أسيل الخد، حسن القد، يسبق الطرف، ويستغرق الوصف.

وقال عبد العزيز الحمصي في وصف فرس: كأنه إلا علا دعاء، وإذا هبط قضاء.

وقال النجاشي الحارثي:." (١)

"رأى رجل الهلال فاستحسنه فقال له الجماز: وما يستحسن منه؟! فوالله إن فيه لخصالا لو كانت إحداهن في الحمار لرد بها، قال: وما هي؟ قال: إنه يدخل الروازن، ويمنع من الدبيب، ويدل على اللصوص، ويسخن الماء، ويحرق الكتان، ويورث الزكام، ويحل الدين، ويزهم اللحم.

قيل لأعرابي: ما صفة الأير عندكم؟ قال: عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا ترد.

سئل رقبة بن مصقلة عن مأدبة حضرها فقال: أتينا بخوان كأنه جوبة من الأرض، ورقاق كآذان الفيلة، وجرجير كآذان المعزى، ثم أتينا بساكنة ماء كأن ظهرها قرطاسي، وبفالوذج رعديد كأن الزنبق والجاذي ينبعان منه ترى النفش من تحته.

أتى رجل مكفوف نخاسا فقال: اطلب لي حمارا ليس بالصغير المحتقر، ولا الكبير المشتهر، إن خلا الطريق تدفق، وإن كثر الزحام ترفق، لا يصادم السواري، ولا يدخلني تحت البواري، إن أقللت علفه صبر، وإن أكثرت شكر، وإن ركبته هام، وإن ركبه غيري نام، فقال له النخاس: اصبر فإن مسخ الله القاضي حمارا قضيت حاجتك.

وقالت أم الورد بنت أوس العجلانية:

هن لعمارة جهم منظرهيروق عيني كل خرق يبصره

ظلت به لاهية تزعفرهمثل السنام طار عنه وبره

كأن حجاما شديدا أبهرهيمص ماء ظهره ويحدره

(١) التذكرة الحمدونية، ١٠٣/٢

كأن رمانا يفت أحمرهبعثره في جوفه مبعثره

تم له منظره ومخبره

وقالت:

بيضاء من مصايد الشيطانلها هن مستهدف الأركان

أقمر تطليه بزعفرانأخثم يملأ راحة الإنسان

بجبهة كالقدح الجيشانيكأن فيه فلق الرمان

أو لهبا من لهب النيرانرابي المجس مشرف المكان

تراه عند الشم والتدانيمبرطما برطمة الغضبان

بشفة ليست على أسنانادرد معشوق من الدردان

يزل عنه الفعل في الطعانكما يزل طرف السنان

عن ترس مخشي من الفرسان

رأى عبادة دابة تحت مخارق يقرمط فقال: برذونك هذا يمشي على استحياء.

آخر باب الصفات والنعوت يتلوه باب الشيب وهو الباب الثامن والعشرون من كتاب التذكرة والحمد الله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

المجلد السادس

الفصل الأول

الفجيعة بالشيب وحلوله

يقال: إن أول من شاب إبراهيم الخليل عليه السلام ليتميز به عن إسحاق فإنه كان شديد الشبه به، فلما وخطه الشيب قال: يا رب ما هذا؟ قال: هو الوقار، قال: يا رب زدني وقارا، ولم يكن أحد رأى الشيب قبله.

والشيب رائد الموت، قال الله عز وجل: " أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير " . جاء في التفسير: أنه الشيب.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو لم يوكل بابن آدم إلا الصحة والسلامة لأوشك أن يرداه إلى أرذل العمر.

وقال صلى الله عليه وسلم: كفى بالسلامة داء.

وقال النمر بن تولب: من الطويل

يسر الفتى طول السلامة جاهدا ... فكيف ترى طول السلامة يفعل

ومثله لحميد بن ثور: من الطويل

أرى بصري قد رابني بعد صحة ... وحسبك داء أن تصح وتسلما

وقال عبد الرحمن بن سويد المري: من الكامل

كانت قناتي لا تلين لغامز ... فألانها الإصباح والإمساء

ودعوت ربي بالسلامة جاهدا ... ليصحني فإذا السلامة داء

كعب بن زهير: من البسيط

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يوما على آلة حدباء محمول

بعض المعمرين: من الكامل

وإذا رأيت عجيبة فاصبر لها ... فالدهر قد يأتي بما هو أعجب

ولقد أراني والأسود تخافني ... وأخافني من بعد ذاك الثعلب

قال ابن عباس: ما آتي الله عبده علما إلا شابا، والخير كله في الشباب، ثم تلا قوله تعالى: " قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم " وقوله عز وجل: " إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى " وقوله تعالى: " وآتيناه الحكم صبيا " .

وكان أنس يقول: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، فقيل له: يا أبا حمزة وقد أسن؟ فقال: لم يشنه الله تعالى بالشيب، فقيل: أو شين هو؟ قال: كلكم يكرهه.

قال بعض الزهاد: الشيب للجاهل نذير، وللعاقل بشير.

وقال آخر: الشيب تبسم المنايا.." (١)

"وقد جاءت الأخبار عن القرن الأول دالة على طول العمر المضاعف على أعمار هذا العصر، فمن الحجة فيها عمر نوح عليه السلام في قومه الذي لا خلاف فيه، دل عليه كتاب الله تعالى والتوراة وسائر الكتب.

وقال وهب: إن أصغر من مات من ولد آدم عليه السلام ابن مائتي سنة فبكته الإنس والجن لحداثة سنه.

وقال عبد الله: كان الرجل ممن كان قبلكم لا يحتلم حتى تأتي عليه ثمانون سنة.

الفصل الخامس

نوادر هذا الباب

قال سهل بن غالب الخزرجي في معاذ بن مسلم جد يحيى بن معاذ: من المنسرح

إن معاذ بن مسلم رجل ... ليس لميقات عمره أمد

قد شاب رأس الزمان واكتهل الد ... هر وأثواب عمره جدد

قل لمعاذ إذا مررت به ... قد ضج من طول عمرك الأبد

يا بكر حواء كم تعيش وكم ... تسحب ذيل الحياة يا لبد

قد أصبحت دار آدم خربت ... وأنت فيها كأنك الوتد

تسأل غربانها إذا نعبت ... كيف يكون الصداع والرمد

فاشخص ودعنا فإن غايتك ال ... موت وإن شد ركنك الجلد

قيل لأعرابي: ألا تغير مشيبك بالخضاب؟ قال: ألا بلى! ففعل ذلك مرة ثم لم يعاوده، فقيل له: لم لم تعاود الخضاب؟ فقال:

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١٥١/٢

يا هناه لقد تشد لحياي فجعلت إخالني ميتا.

نظر يزيد بن مزيد الشيباني إلى رجل ذي لحية عظيمة وقد تلففت على صدره وإذا هو خاضب، فقال له: إنك من لحيتك لفي مؤونة؟ قال: أجل! ولذلك أقول: من الطويل

لها درهم للزيت في كل جمعة ... وآخر للحناء يبتدران

فلولا نوال من يزيد بن مزيد ... لصوت في حافاتها الجلمان

قيل للجماز وقد أسن: ما بقي من شهوتك للنساء؟ قال: القيادة عليهن.

نظر شاب إلى شيخ تقارب خطاه فقال له: من قيدك؟ قال: الذي تركته يقتل قيدك.

قال رجل لجارية أراد شراءها: لا يريبك شيبي فإن عندي قوة، قالت: أيسرك أن عندك عجوزا مغتلمة؟! بعض العرب: من الرجز

رأت شبابا بان واضمحلا ... وفاتها الدهر به فولى

وصار شيخا فانيا انقحلا ... فاستعبرت تهمر سجلا سجلا

الإنقحل: المسن الذي تجاوز المائة.

تقول للموت بهذا أولى ... بئس امرؤ هذا لمثلي بعلا

مازح اشيخ جارية من الأعراب فقالت: من البسيط

يا أيها الشيخ ما عناك للغزل ... قد كنت في مقعد عن ذا ومعتزل

رضت القلاص فلم تحكم رياضتها ... فاعمد برحلك نحو الجلة الذلل

صاح صبي بشيخ قد احدودب: بكم ابتعت هذه القوس يا عماه؟ قال: يا بني إن عشت أعطيتها بغير ثمن.

رأى الخليل مع رجل دفترا بخط دقيق فقال: يا هذا أيئست من طول العمر؟ عبد المحسن الصوري: من البسيط

أهدى لي الشيب رجلا منه ثالثة ... وكنت من قبله أمشي برجلين

هدية كنت آباها فصيرها ... علي بالرغم مني قرة العين

أبو نواس: من الكامل

قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدي ... عن أن تحث إلى فمي بالكاس

نظر رجل إلى فيلسوف يدب شيخا فقال: ما تصنع؟ قال: أغسل مسحا لعله يبيض.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الإعانة

اللهم إنا نحمدك على ما سترت من العيوب، وأسبلت دونه من ذيل عفوك المطلوب، ونستغفرك من موبقات الذنوب، ونسألك عصمة الأجساد والقلوب، حتى لا تسعى تلك إلى هواها، ولا ترتع هذه عن هداها، وأن تجعل الصون لنا شعارا، والعفة سجيتنا إعلانا وإسرارا، ولا تؤاخذنا بلغو الألسنة الناطقة عن قلوب سليمة، ولا بطرب النفوس المرتاحة ما لم يكن ذا نية سنية وعزيمة، ونسألك الصلاة على نبيك الداعي إلى دار السلام، الناهي عن الرهبانية في الإسلام، وعلى آله الأصفياء

الكرام.

الباب التاسع والعشرون

في النسيب والغزل

وهو اثنان وعشرون نوعا:." (١)

"دخل أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني على معاوية فقال له: أنت من قتلة عثمان؟ قال: لا ولكني ممن حضره فلم ينصره، قال: وما منعك من نصره؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار؛ قال معاوية: لقد كان حقه واجبا وكان يجب عليهم أن ينصروه، قال: فما منعك يا أمير المؤمنين من نصرته ومعك أهل الشام؟ قال: أو ما طلبي بدمه نصرة له؟ فضحك عامر وقال: أنت والله وعثمان كقوله: من البسيط

لا أعرفنك بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زودتني زادي

فقال له معاوية: دع عنك هذا وقل لي ما بقى الدهر من ثكلك علي بن أبي طالب؟ قال: ثكل العجوز المقلات والشيخ الرقوب، قال: كيف حبك له؟ قال: حب أم موسى لموسى، وإلى الله أشكو التقصير.

أتي الحجاج بامرأة من الخوارج فقال لمن حضره: ما ترون فيها؟ قالوا اقتلها. فقالت: جلساء أخيك خير منك ومن جلسائك قال: ومن أخي؟ قالت: فرعون، لما شاور جلساءه في موسى قالوا: أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين الأعراف: ١١١.

أتي عتاب بن ورقاء بامرأة من الخوارج، فقال لها: يا عدوة الله ما دعاك إلى الخروج؟ أما سمعت الله تبارك وتعالى يقول: من الخفيف

كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جر الذيول

قالت: يا عدو الله، أخرجني قلة معرفتك بكتاب الله تعالى.

قال المنصور لبعض الخوارج وقد ظفر به: عرفني من أشد أصحابي إقداما كان في مبارزتك؟ قال: ما أعرفهم بوجوههم ولكني أعرف أقفاءهم، فقل لهم يدبروا حتى أصفهم؛ فاغتاظ وأمر بقتله.

قال الحجاج لرجل من الخوارج: والله إني لأبغضكم، فقال الخارجي: أدخل الله أشدنا بغضا لصاحبه الجنة.

خفف أشعب الصلاة مرة، فقال له بعض أهل المسجد: خففت الصلاة جدا، قال: لأنه لم يخالطها رياء.

عاد المعتصم أبا الفتح ابن خاقان، والفتح صغير، فقال له: داري أحسن أم دار أبيك؟ قال: يا أمير المؤمنين، دار أبي ما دمت فيها.

اجتاز عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير، فتهاربوا إلا عبد الله، فإنه وقف. فقال له عمر: لم لم تفر مع أصحابك؟ قال: لم يكن لي جرم فأفر منك، ولا كان الطريق ضيقا فأوسعه عليك.

أتي الحجاج بأعرابي في أمر احتاج إلى مساءلته عنه، فقال الحجاج: قل الحق وإلا قتلتك، فقال له: اعمل به أنت، فإن الذي أمرك بذلك أقدر عليك منك علي، فقال الحجاج: صدق. فخلوه.

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١٦٣/٢

قدم أعرابي على سلطان ومعه قصة، فجعل يقول: هاؤم اقرأوا كتابيه، فقيل له: هذا يقال يوم القيامة، فقال: هذا شر من يوم القيامة، إنه يؤتى يوم القيامة بحسناتي وسيئاتي، وأنتم جئتم بسيئاتي وتركتم حسناتي.

حلف أعرابي بالمشي إلى بيت الله الحرام لا يكلم ابنه، فحضرته الوفاة، فقيل له: كلمه قبل أن تفارق الدنيا، فقال: والله ما كنت قط أعجز عن المشي إلى بيت الله تعالى مني الساعة.

قيل لأعرابي ينسج: ألا تستحي أن تكون نساجا فقال: إنما أستحي من أن أكون أخرق لا أنفع أهلي.

مد المأمون يده إلى أعرابي ليقبلها، فتناولها بكمه، فقال: أتتقزز منها؟ قال: لا بل أتقزز لها.

قال رجل: رأيت أعرابيا في إبل قد ملأت الوادي، فقلت: لمن هذه؟ قال: لله في يدي.

سأل أعرابي فقيل له: بورك فيك، وتوالى عليه ذلك من غير مكان فقال: وكلكم الله إلى دعوة لا تحضرها نية.

سألت أعرابية المنصور في طريق مكة فحرمها، فقالت: من الطويل

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى ... فأبعدكن الله من شجرات

وسألته أخرى فمنعها، فقالت: من الطويل

دنوك إن كان الدنو كما أرى ... علي وبعد الدار يستويان

قيل لجاذوسيس الصقلي: إنك من مدينة خسيسة، قال: أما أنا فيلزمني العار من قبل بلدي، وأما أنت فعار لازم لأهل بلدك.

وعير آخر سقراط ببلده، فقال سقراط: نسبي مني ابتدأ، ونسبك إليك انتهى.." (١)

"ولقد جزأت العرب الليل عشرة أجزاء، فجعلوا لكل ثلاث صفة، فقالوا: ثلاث غرر، وبعضهم يقول: غر، وثلاث شهب، وثلاث بهر وبهر، وثلاث عشر، وثلاث بيض، وثلاث درع ودرع، ومعنى الدرع سواد مقدم الشاة وبياض مؤخرها، وإنما قيل لها درع لأن القمر يغيب في أولها فيكون الليل أدرع، لأن أوله أسود وما بعده مضيء، وثلاث خنس، وإنما قيل لها خنس لأن القمر يخنس فيها أي يتأخر، وثلاث دهم لأنها تظلم حتى تدهام. وقال بعضهم: ثلاث حنادس، وثلاث قحم، لأن القمر ينقحم فيها أي يطلع في آخر الليل، وثلاث دآدي، وهي أواخر الشهر، وإنما أخذ من الدأدأة؛ وهو ضرب من السير تسرع فيه الإبل نقل أرجلها من موضع أيديها، فالدأدأة آخر نقل القوائم، وكذلك هي أواخر أيام الشهر.

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: الوليمة في أربع: في عرس أو خرس أو إعذار أو توكير. فالعرس طعام المبتني، والخرس طعام الولادة مأخوذ من الخرسة؛ وهو طعام النفساء، والإعذار طعام الختان، والوكيرة طعام البناء، كان الرجل إذا فرغ من بنائه أطعم أصحابه، يتبرك بذلك. يقال: غلام معذور. وقال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: كنا من أعذار عام واحد، يريد تقارب أسنانهم.

كانت العرب أشد الأمم عناية بمعرفة النجوم وأنوائها، وهم أحوج إليها لأنهم أهل عمد وطنب، وحل وترحال، فلهم في كل نوء حال يصرفون أمرهم عليها.

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٣٥٧/٢

وقد **قيل لأعرابي**: ما أعلمك بالنجوم؟ قال: من الذي لا يعلم أجذاع بيته؟ **وقيل لأعرابية**: تعرفين النجوم؟ قالت: سبحان الله أما نعرف أشياخنا وقوفا علينا كل ليلة؟ ولهم فيها أسجاع محفوظة متداولة.

قالوا: إذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء.

إذا طلع الدبران توقدت الحزان، واستعرت الدبان، وييست الغدران.

إذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء وأوفى على عوده الحرباء، وكنست الظباء، وعوق العلباء، وطاب الخباء.

إذا طلع الدراع حسرت السمش القناع، وأشعلت في الأفق الشعاع، وترقرق السراب بكل قاع.

إذا طلعت الشعرى، نشفت الثرى، وأجن الصرى، وجعل صاحب النحل يرى.

إذا طلعت الجبهة، كانت الولهة، وتغارت السفهة.

إذا طلع سهيل، طاب الليل، وحدى النيل، وامتنع القيل، وللفصيل الويل، ورفع كيل، ووضع كيل.

إذا طلعت الصرفة، اختال كل ذي حرفة، وجفر كل ذي نطفة.

إذا طلعت العواء، ضرب الخباء، وطاب الهواء، وكره العراء، وسنن السقاء.

إذا طلعت السماك ذهبت العكاك، وقل على الماء اللكاك.

إذا طلعت الزباني أحدثت لكل ذي عيال شانا، ولكل ذي ماشية هوانا، وقالوا كان وكانا، فاجمع لأهلك ولا توان.

إذا طلع الإكليل هبت الفحول، وشمرت الذيول، وخيفت السيول.

إذا طلع القلب، جاء الشتاء كالكلب، وصار أهل البوادي في كرب.

إذا طلع الهراران، هزلت السمان، واشتد الزمان، وجوع الولدان. والهراران قلب العقرب والنسر الواقع يطلعان معا.

إذا طلعت الشولة، أخذت الشيخ البولة، واشتدت على العيال العولة، وقيل شتوة زولة، أي عجيبة.

إذا طلع سعد السعود ذاب كل جمود، واخضر كل عود، وانتشر كل مصرود.

إذا طلع الحوت، خرج الناس من البيوت.

وهذا موضع آرائهم وأقوالهم في الأنواء. قال أبو جعفر محمد بن حبيب: العهاد الوسمي من المطر، والولي ما كان من مطر بعد الوسمي حتى تنقضي السنة، فذلك كله ولي. والوسمي أول مطر يقع في الأرض، وله سبعة أنجم: الفرع والموخر والحوت والشرطين والبطين والثريا – وهو النجم – والدبران والهقعة. والوسمي يسمى العهاد، ثم يكون الوسمي الدفيء وهو مطر الشتاء وهو الربيع، وأنجمه الهقعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة وهي الخراتان والصرفة آخر مطر الشتاء.." (١)

"حكى يونس عن أبي عمرو بن كعب بن أبي ربيعة: اشترى لأخيه كلاب بن ربيعة بقرة بأربعة أعنز، فركبها كلاب ثم أجراها فأعجبه عدوها، فجعل يقول:

فدى لها أبو أبي بويب الغصن بي

ثم التفت إلى أخيه كعب فقال: زدهم عنزا حين أعجبته، فذهبت مثلا للأحمق إذ أمره بالزيادة بعد البيع. ويزعمون أنه

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢/٣٩٩

ألجمها من قبل استها وحول وجهه إلى استها. قال: ولما ركب كلاب البقرة نظر إلى أرنب ففزع منها وركض البقرة وقال: من الرجز

الله نجاك وجري البقره ... من جاحظ العينين تحت الشجره

ويقولون: كان الأسد يهاب الحمار ويرى فيه القوة والمنعة، فاستجره ذات يوم ليبلوه، فقال: يا حمار ما أكبر أسنانك قال: للتمام، قال: ما أنكر حوافرك قال: للصم ذاك، قال: ما أتم أذنك قال: للذب ذاك، قال: ما أعظم بطنك قال: ضرط أكثر ذاك. فلما سمع مقالته اغتنم فيه فوثب عليه فافترسه. فكلهن يضربن مثلا للمنظر الذي يخالف المخبر.

حدث الأصمعي عن يونس قال: صرت إلى حي بني يربوع فلم أجد إلا النساء فأضر بي الجوع، فصرت إليهن وقلت: هل لكن في الصلاة؟ قلن: أيم الله إن لنا فيها لأهلا، فأذنت وأقمت وتقدمت وكبرت وقرأت الحمد لله رب العالمين، ثم قلت: يا أيها الذين آمنوا إذا نزل بكم الضيف فلتقم ربة البيت فتملأ قعبا زبدا وقعبا تمرا فإن ذلك خير وأعظم أجرا، قال: فوالله ما انقلبت من صلاتي إلا وصحاف القوم حولي، فأكلت حتى امتلأت. ثم جاء رجال الحي، فسمعت امرأة وهي تقول لزوجها: يا فلان ما سمعت قرآنا أحسن من فرآن قرأه اليوم ضيفنا، فقال لها زوجها: تبارك ربنا إنه ليأمرنا بمكارم الأخلاق.

قيل لأعرابي: ما أصبركم على البدو، قال: كيف لا يصبر من طعامه الشمس وشرابه الريح، ولقد خرجنا في إثر قوم تقدموا مراحل ونحن حفاة والشمس في قلة السماء حيث انتعل كل شيء ظله، وما زادنا إلا التوكل وما مطايانا إلا الأرجل حتى لحقناهم.

عبيد: من الطويل

لعمرك إني والظليم بقفرة ... لمشتبها الأهواء مختلفا النجر

خليلا صفاء بعد طول عداوة ... ألا يا لتقليب القلوب وللدهر

قال: اجتمع السرور والنوك والخصب والوباء والمال والسلطان والصحة والفاقة بالبادية، فقالوا: إن البادية لا تسعنا فتعالوا نتفرق في الآفاق، فقال السرور: أنا منطلق إلى اليمن، قال النوك: أنا معك، قال الخصب: أنا إلى الشام، قال الوباء: أنا معك، قال المال: أنا إلى العراق، قال السلطان: أنا معك، قال الفاقة: ما بي حراك، فقالت الصحة: أنا معك، فبقيت الفاقة والصحة بالبادية.

الحرقوص دويبة أكبر من البرغوث وعضها أشد. تزعم العرب أنها مولعة بفروج النساء، ويقال لها: النهيك، وقيل هو البرغوث بعينه، قال أعرابي وقد عض بهن امرأته: من الطويل

وإني من الحرقوص إن عض عضة ... بما بين رجليها لجد غيور

تطيب نفسي عندما يستفزني ... مقالتها إن النهيك صغير

ويتلوه الباب السادس والثلاثون والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد نبيه وآله وصحبه وسلم

المجلد الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلا بالله

الحمد لله الذي نفذ في خلقه أمره، ولا يرد حكمه بعيق الطير وزجره، ولا معقب لما حكم، ولا ماح لما أجرى به القلم، تفرد بالغيب فلم يظهر على غيبه من أحد، ولم يجعل السانح والبارح مخبرا بما يكون في غد. أحمده حمد راض بقضائه، عالم أن سر الغيب لا كاشف لغطائه، وتماالصلاة على محمد رسوله، داحض البهتان ومشرد عبدة الأوثان، ومبطل دعوى الكهان، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بالإحسان.

الباب السادس والثلاثون

في الكهانة والقيافة والزجر والعيافة

والفأل والطيرة والفراسة." (١)

"دخل داود عليه السلام غارا فيه رجل ميت وعند رأسه لوح مكتوب فيه: أنا فلان بن فلان ملكت ألف عام، وبنيت ألف مدينة، وتزوجت ألف امرأة، وهزمت ألف جيش، ثم صار أمري إلى أن بعثت إلى السوق قفيزا من الدراهم في رغيف فلم يوجد، فبعثت قفيزا من الدنانير فلم يوجد، فبعثت قفيزا من الجواهر فلم يوجد، فدققت الجواهر فاستففتها فمت مكاني، فمن أصبح له رغيف وهو يحسب أن على وجه الأرض أغنى منه فأماته الله كما أماتني.

وذكر أن عبد الرحمن بن زياد ولي خراسان، فعاد وقد كسب ثمانين ألف ألف درهم وافية، وقدر لنفسه أنه إذا عاش مائة سنة ينفق في كل يوم ألفا أنه يكفيه، فرئي بعد مدة على حمار تنال رجله الأرض، واحتاج حتى با ع حلية مصحفه.

وقال هيثم بن خالد الطويل: دخلت على صالح مولى منارة في يوم شات وهو جالس في قبة له مغشاة بالسمور وجميع فرشها سمور، وبين يديه كانون فضة يسجر عليه العود، ثم رأيته بعد ذلك في رأس الجسر وهو يسأل الناس ويقول: أنا مولى منارة، فربما وهب له درهم والشيء (اليسير).

ومثل هذا كثير لا يحصى. وقد رأينا في عصرنا مسعود بن المؤمل بن الهيتي اليهودي، ملك مائتي ألف دينار عينا وأجناسا وقروضا، ثم رأيناه بعد وقد أسلم وهو يطلب رغيف خبز من اليهود يقتاته في السوق مكانه.

ورأينا نصر بن الدريج ملك ستين ألف دينار عينا سوى ما له من الأملاك والعقار، ثم احتاج حتى كتب رقاعا يستميح الناس، ومات على تلك الحال.

وهذان لما ابتدأت حالهما في التناقص، وقبل أن تنتهي إلى الفقر لم يراقبا الله ولا استعانا بلطفه في حفظ ما أبقى من نعمتهما، بل طلبا العوض عما ذهب منهما بضمان المكس والدخول في المحرمات، فآل بهما فعلهما إلى الفقر الذي ذكرناه.

وأعجب من كل ما وجد في السير خبر القاهر وخروجه إلى جامع المدينة في حشو جبة بغير ظهارة يمد كفه إلى الناس، بعد الخلافة ونفاذ أمره في أقطار الأرض. فتبارك الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء.

قال علي عليه السلام: إن الله فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما منع غني، والله سائلهم عن ذلك.

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٤٢٧/٢

وعنه: العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى.

إبراهيم بن أدهم: اكتسب فإنك إن لم تفعل احتجت فداهنت الناس للطمع، فخالفت حينئذ الحق وأهله.

كان لعمر بن عبد العزيز سفينة يحمل فيها الطعام من مصر إلى المدينة فيبيعه وهو واليها. فحدثه محمد بن كعب القرظي عن النبي صلى الله عليه وآله سلم: أيما عامل تجري في رعيته هلكت رعيته. فأمر بما في السفينة فتصدق به، وفككها وتصدق بخشبها على المساكين.

قيل لرجل أصابته حاجة: لو خالطت هؤلاء فأصبت من دنياهم، فقال: دعوني عنكم فإني قد لقيت من فقر الدنيا ما لا أحب أن أجمع إليه فقر الآخرة.

أبو نواس: من الطويل

كفى حزنا أن الجواد مقتر ... عليه ولا معروف عند بخيل

آخر: من الطويل

ألم تر أن المال عون على التقى ... وليس جواد معدم كبخيل

المتنبي: من الخفيف

والغنى في يد اللئيم قبيح ... قدر قبح الكريم في الإملاق

يقال: كثرة مال الميت تعزى عنه ورثته.

قيل للحسن البصري: لم صارت الحرفة مقرونة بالعلم، والثروة مقرونة مع الجهل؟ قال: ليس كما قلتم، ولكن طلبتم قليلا في قليل فأعجزكم، طلبتم المال وهو قليل في أهل العلم وهو قليل، ولو نظرتم إلى من يحارف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر.

وقد قال أبو إسحاق الصابي ولم يقنعه الحسن: من الطويل

فحيث يكون النقص فالرزق واسع ... وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق

وهذا معنى مطروق، وقد تداوله الشعراء وأصحاب النثر كلهم. نظروا إلى الخبر المشهور: حذق المرء محسوب عليه من رزقه.

نوادر من هذا الكتاب

دخل الصوص على رجل فقير ليس في بيته شيء، وجعلوا يطلبون ويفتشون، فانتبه الرجل فرآهم فقال: يا قتيان هذا الذي تطلبون بالليل قد طلبناه بالنهار فلم نجده.

دخل لص دارا فلم يجد فيها شيئا إلا دواة، فكتب على الحائط: عز علي فقركم وغناي.

احتاج مزبد أن يبيع جبة لسوء حاله فنادى المنادي عليها فلم تطلب بشيء، فقال مزيد: ما كنت عريانا إلا الساعة.

قيل لأعرابي فقير: ما تلبس؟ قال: الليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس.." (١)

"محمد بن أحمد الحزور: (من البسيط)

ما لي وللأرض لم أوطن بها وطنا ... كأنني بكر معنى سار في مثل

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢/٤٦٤

أبو الحسن بن المنقذ: (من الوافر)

ونفسك فز بها إن خفت ضيما ... وخل الدار تنعى من بناها

فإنك واجد أرضا بأرض ... ولست بواجد نفسا سواها

الطائي: (من الطويل)

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس إذ ليست عليهم بسرمد

نظر إليه ابن المعتز فقال: (من الطويل)

كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله ... كذا يخلق المرء العيون اللوامح

ولابن المعتز: (من البسيط)

إني غريب بأرض لا كرام بها ... كغربة الشعرة السوداء في الشمط

لا ابسط العين في ئيء أسر به ... ولست ابدي الرضا إلا على سخط

وجد على حائط مكتوب لبعض الغرباء: (من الكامل)

وبقيت بين عزيمتين كلاهما ... أمضى وأنفذ من شباة سنان

هم يشوقني إلى طلب العلى ... وهوى يشوقني إلى الأوطان

ابن أبي عيينة: (من المنسرح)

من أوحشته البلاد لم يقم ... فيها ومن آنسته لم يرم

ومن يبت والهموم قادحة ... في صدره بالزناد لم ينم

ومن ير النقص في مواطنه ... زل عن النقص موطئ القدم

كان عبد الله بن أبي معقل الأوسي كثير الأسفار، فلامته امرأته أم نهيك عن ذلك وقالت له: لا تزال في أسفارك هذه تتردد حتى تموت، فقال: أو أثري، ثم أنشأ يقول: (من الطويل)

أأم نهيك ارفعي الظن صاعدا ... ولا تيأسي أن يثري الدهر بايس

سيغنيك سيري في البلاد ومطلبي ... وبعل التي لم يخط في الحي جالس

سأكسب مالا أو تبيتن ليلة ... بصدرك من وجد علي وساوس

ومن يطلب المال الممنع بالقنا ... يعش مثريا أو يود في ما يمارس

ودخل يوما على مصعب بن الزبير وهو يندب الناس إلى غزاة زرنج ويقول: من لها؟ فوثب إليه عبد الله فقال: أنا لها، فقال: اجلس! كذلك ثلاث مرات وهو يجلسه. فقال عبد الله: أدنني إليك فأدناه فقال: قد علمت أنه ما يمنعك مني إلا أنك تعرفني، ولو انتدب لها رجل لا تعرفه لبعثته، فلعلك تحسدني أن أصيب خيرا أو أستشهد فأستريح من الدنيا والطلب لها. فأعجبه قوله وجزالته فولاه، فأصاب في وجهه ذلك مالا كثيرا وانصرف إلى المدينة، فقال لزوجته: ألم أخبرك أنه سيغنيك سيري في البلاد ومطلبي؟ قالت: بلى والله! لقد أخبرتني وصدق خبرك.

قيل لأعرابي: إنكم لتكثرون من التجول والرحيل وتهجرون الأوطان، قال: ليس الوطن بأب والد ولا بأم مرضع، فأي بلد طاب فيه عيشك، وحسنت فيه حالك، وكثر فيه درهمك ودينارك، فاحطط به رحلك، فهو وطنك وأبوك وأمك وأهلك.

قال أبو محلم الشاعر: شخصت مع عبد الله بن طاهر إلى خراسان في الوقت الذي شخص، وكنت أعادله فأسايره، فلما صرنا إلى الري مررنا بها سحرا، فسمعنا أصوات الأطيار من القماري وغيرها، قال لي عبد الله: لله در أبي كبير الهذلي حيث يقول: (من الطويل)

ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر ... وغصنك مياد ففيم تنوح

ثم قال: يا أبا محلم هل يحضرك في هذا شيء؟ فقلت: أصلح الله الأمير كبرت سني، وفسد ذهني، ولعل شيئا أن يحضرني، ثم حضر شيء فقلت: أصلح الله الأمير حضر شيء، تسمعه؟ فقلت: (من الطويل)

أفي كل عام غربة ونزوح ... أما للنوى من ونية فيريح

لقد طلح البين المشت ركائبي ... فهل أرين البين وهو طريح

وذكرني بالري نوح حمامة ... فنحت وذو الشجو الحزين ينوح

على أنها ناحت ولم تذر دمعها ... ونحت وأسراب الدموع سفوح

وناحت وفرخاها بحيث تراهما ... ومن دون أفراخي مهامه فيح

عسى جود عبد الله أن يعكس النوى ... فنلقي عصا التطواف وهي طريح

فقال عبد الله: يا غلام لا والله لا جزت معي خفا ولا حافرا حتى ترجع إلى أفراخك، كم الأبيات؟ قلت ستة، قال: يا غلام أعطه ستين ألفا ومركبا وكسوة. وودعته وانصرفت.." (١)

"وأشقر خنذيذ يجر عنانه ... إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا

أقول لأصحابي ارفعوني لأنني ... يقر بعيني أن سهيل بدا ليا

فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا ... برابية إني أقيم لياليا

أقيما علي اليوم أو بعض ليلة ... ولا تعجلاني قد تبين شانيا

وخطا بأطراف الرماحلمصرعي ... وردا على عيني فضل ردائيا

ولا تحسداني بارك الله فيكما ... من الأرض ذات العرض أن توسعا ليا

خذاني فجراني ببردي إليكما ... فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا

وقد كنت عطافا إذا الخيل أدبرت ... سريعا لدى الهيجا إلى من دعانيا

فقوما على بئر الشبيك فأسمعا ... بها الوحش والبيض الحسان الروانيا

بأنكما خلفتماني بقفرة ... تهيل علي الريح فيها السوافيا

يقولون لا تبعد وهم يدفنوني ... وأين مكان البعد إلا مكانيا

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٤٦٨/٢

ويا ليت شعري هل بكت أم مالك ... كما كنت لو عانوا نعيك باكيا

إذا مت فاعتادي القبور وسلمي ... على الرمس أسقيت السحاب الغواديا

أقلب طرفي في الرقاقفلا أرى ... به من عيون المؤنسات مراعيا

وبالرمل منا نسوة لو شهدنني ... بكين وفدين الطبيب المداويا

وما كان عهد الرمل عندي وأهله ... ذميما ولا ودعت بالرمل قاليا

فمنهن أمي وابنتاي وخالتي ... وباكية أخرى تهيج البواكيا

صافح أبو العميثل عبد الله بن طاهر عند قدومه من سفر فقبل يده، فقال له عبد الله: خدش شاربك كفي، فقال: شوك القنفذ لا يضر برثن الأسد. فتبسم عبد الله وقال: كيف كنت بعدي؟ قال: إليك مشتاا، وعلى الزمان عاتبا، ومن الناس مستوحشا؛ فأما الشوق إليك فلفضلك، وأما العتب على الزمان فلمنعه منك، وأما الاستيحاش من الناس فإني لا أراهم بعدك. فاحتبسه، فلما حضر الشراب سقاه بيده فقال: (من البسيط)

نادمت حرا كأن البدر غرته ... معظما سيدا قد أحرز المهلا

فعلني برحيق الراح راحته ... فملت سكرا للذي فعلا

أبو هريرة يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لأصبح الناس على ظهر سفر. إن الله بالمسافر رحيم.

لما خرج يوسف عليه السلام من الجب واشتري، قال لهم قائل: استوصوا بهذا الغريب خيرا، فقال لهم يوسف: من كان مع الله فليس عليه غربة.

وقالوا: الحركة ولود والسكون عاقر.

وقالت الفرس: وجدنا في مهارقنا القديمة: إذا لم يساعد الجد فالحركة خذلان.

قالت قريبة الأعرابية: إذا كنت في غير قومك فلا تنس نصيبك من الذل.

أعرابي: لا يغني المخلب ما دام في المقنب.

حكيم: لا توحشنك الغربة إذا أنستك الكفاية.

قيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان.

إن أعانتك الغربة على الزمن فلا تطع النزاع إلى الوطن.

يقال للرجل المسفار: خليفة الخضر.

قال أبو تمام: (من البسيط)

خليفة الخضر من يربع على وطن ... في بلدة فظهور العيس أوطاني

بالشام قومي وبغداد الهوى وأنا ... بالرقمتين وبالفسطاط إخواني

قيل لأعرابي: إنك لتبعد السفر، قال: رأيت ما في أيدي الناس أبعد مما في السفر.

قيل لابن الأعرابي: لم سمي السفر سفرا؟ قال: لأنه يسفر عن أخلاق القوم، أي يكشف.

قال علي عليه السلام: ست من المروءة: ثلاث في الحضر وثلاث في السفر. فأما اللاتي في الحضر: فتلاوة كتاب الله، وعمارة مساجد الله، واتخاذ الإخوان في الله، وأما اللاتي في السفر: فبذل الزاد، وحسن الخلق، والمزاح في غير معاصي الله.

أغار حذيفة بن بدر على هجائن المنذر، وسار في ليلة مسيرة ثمان، فضرب بمسيره المثل فقيل: سار فلان مسير حذيفة.

قال قيس بن الخطيم: (من الوافر)

هممنا بالإقامة ثم سرنا ... مسير حذيفة الخير بن بدر." (١)

"وقال عمر رضي الله عنه: عمر الله البلدان بحب الأوطان.

والعرب تقول: حماك أحمى لك، وأهلك أحفى بك.

وقال ابن الزبير: ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم.

قيل لأعرابي: أتشتاق إلى وطنك؟ فقال: كيف لا أشتاق إلى رملة كنت جنين ركامها ورضيع غمامها.

بعض العرب: (من الطويل)

ألا ليت شعري هل تخلف ناقتي ... بصحراء من نجران ذات ثرى جعد

وهل تنفضن الريح أفنان لمتي ... على لاحق الأطلين مضطمر ورد

وهل أردن الدهر حسي مزاحم ... وقد ضربته نفحة من صبا نجد

وقال صاحب الزنج في اليوم الذي قتل فيه، وكان هرب من داره: (من الطويل)

عليك سلام الله يا خير منزل ... خرجنا وخلفناه غير ذميم

فإن تكن الأيام أحدثن فرقة ... فمن ذا الذي من ريبها بسليم

قال الجاحظ: رأيت المتفلسف من البرامكة إذا سافر أخذ معه تربة مولده في جراب يتداوى به.

وقد كان شرف الملك أبو سعيد مستوفي ملكشاه يسافر إلى العراق والشام وسائر الأقطار ومعه حنطة خوارزم يأكل منها، وماؤها في قوارير يشرب منه، وكذلك شربه من خمرها، ويقول: هذه مآلف مزاجي فلا أغيرها.

قال سفيان: والله ما أدري أي البلاد أسكن؟ فقيل له: خراسان، فقال: مذاهب مختلفة وآراء فاسدة؛ قيل: فالشام، قال: يشار إليك بالأصابع أراد الشهرة؛ قيل: فالعراق، قال: بلد الجبابرة؛ قيل: فمكة، قال تذيب الكيس والبدن.

وصف بعضهم بلاد الهند فقال: بحرها در، وجبالها ياقوت، وشجرها عود، وورقها عطر.

وقال عبيد الله بن سليمان في نهاوند: أرضها الزعفران، وسماؤها الفاكهة، وحيطانها الشهد.

وقال عمرو بن الليث في نيسابور: حجرها الفيروزج، وترابها النقل، وحشيشها الريباس.

وقال الحجاج لعامله على أصفهان: قد وليتك بلدة حجرها كحل وذبابها النحل، وحشيشها الزعفران.

كان يقال للبصرة: خزانة العرب وقبة الإسلام، لانتقال قبائل العرب إليها، واتخاذ المسلمين لها وطنا ومركزا.

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢/ ٤٧٠

دخل الرشيد منبج فقال لعبد الملك بن صالح الهاشمي، وكان لسان بني العباس: هذا البلد مقر لك، قال: يا أمير المؤمنين هو لك ولي بك. قال: كيف منازلك به؟ قال: دون منازل أهلي وفوق منازل غيرهم. قال: كيف صفة مدينتك هذه؟ قال: عذبة الماء، طيبة الهواء، قليلة الأدواء. قال: كيف ليلها؟ قال: سحر كله، ولتربها عن الطيب غنى، وهي تربة حمراء، وسنبلة صفراء، وشجرة خضراء وفياف فيح، بين قيصوم وشيح. فقال الرشيد: هذا الكلام والله أحسن منها.

قال أبو العتاهية يوما لبدوي: هل لك في أرض الريف والخصب، أرض العراق؟ قال: لولا أن الله أرضى بعض العباد بشر البلاد لما وسع خير البلاد جميع العباد.

وقال الجاحظ في ذكر العراق: موضع التميمة، وواسطة القلادة، فيه تلاقحت الطبائع، وصرحت عن اللب الأصيل، والخلق الجميل.

ابن زريق الكاتب: (من البسيط)

سافرت أبغي لبغداد وساكنها ... مثلا وذلك شيء دونه الياس

هيهات بغداد الدنيا بأجمعها ... عندي وسكان بغداد هم الناس

ويقال لأهل العراق: ملائكة الأرض للطافة أخلاقهم وخفة أرواحهم. قال: (من المتقارب)

ملائكة الأرض أهل العراق ... وأهل الشآم شياطينها

وقال: وكان أبو إسحاق الزجاج يقول: بغداد حاضرة الدنيا وما عداها بادية.

وكان أبو الفضل بن العميد إذا امتحن رجلا من أهل العلم سأله عن بغداد فإن وجده منتبها على خصائصها، وعن الجاحظ: فإن رآه منتسبا إلى مطالعة كتبه، رجح في عينيه وإلا لم يعبأ به.

وسأل أبو الفضل بن العميد الصاحب أبا القاسم بن عباد عن بغداد فقال: بغداد في البلاد كسيدنا في العباد.

نوادر من هذا الكتاب

قال الرع بن معاذ القشيري: (من البسيط)

إني امرؤ قد حلبت الدهر أشطره ... وساقني طبق منه إلى طبق

فليس أصبو إلى إلف يفارقني ... ولا يقطع أحشائي من الشفق

لقي رجل المهلب فنحر ناقته في وجهه فتطير من ذلك وقال: ما قصتك؟ فقال: (من الكامل)

إني نذرت لئن لقيتك سالما ... أن يستمر بها شفار الجازر

فقال المهلب: فأطعمونا من كبد هذه المظلومة ووصله.." (١)

"قال حاتم الأصم: ما من صباح إلا والشيطان يقول: ما تأكل؟ وما تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر.

قال عامر بن قيس يوما: أتاني الشيطان فقال لي: ما في يدك؟ فقلت: ما يكفيني اليوم، قال: فغدا؟ قلت: أموت، فخصمته.

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٤٧٤/٢

وقال الجنيد: مر بي الحارث بن أسد المحاسبي، فرأيت فيه أثر الجوع، فقلت: يا عم، تدخل الدار وتتناول شيئا؟ وقدمت إليه طعاما حمل إلي من عرس، فأخذ لقمة ونهض، فألقاها في الدهليز ومضى. فالتقيت به بعد أيام فقلت له في ذلك، فقال: كنت جائعا، وأردت أن أسرك بأكلي وأحفظ قلبك، ولكن بيني وبين الله علامة: أن لا يسوغني طعاما فيه شبهة، فمن أين كان ذلك الطعام؟ فأخبرته، ثم قلت له: تدخل اليوم؟ قال: نعم. فقدمت إليه كسرا كانت لنا، فأكل وقال: إذا قدمت إلى فقير شيئا، فقدم مثل هذا.

قال المنتجع بن نبهان: سألت بعض أهل اليمامة: كيف ضبطتم القرى؟ فقال: لا نتكلف ما ليس عندنا.

وكان صفوان بن محرز يقول: إذا أتيت أهلي، فقربوا إلي رغيفا فأكلته وشربت عليه من الماء، فعلى الدنيا العفاء.

ويقال: المروءة أن لا تدخر ولا تعتذر.

وروي أن عمرو بن العاص قال لمعاوية وأصحابه يوم الحكمين: أكثروا لهم الطعام؛ فإنه والله ما بطن قوم إلا فقدوا بعض عقولهم، وما مضت عزمة رجل بات بطينا. فلما وجد معاوية ما قاله صحيحا، قال معاوية: إن البطنة تأفن الفطنة.

تأفن: أي تنقص، ومنه رجل مأفون وأفين: أي ناقص العقل.

قال الحسن: لقد صحبت أقواما ما كان يأكل أحدهم إلا في ناحية بطنه، ما شبع رجل منهم من طعام حتى فارق الدنيا: كان يأكل، فإذا قارب شبعه، أمسك . الفضل والله للمعاد.

قيل لأعرابي: ما طعامك؟ قال: الخل والزيت، فقيل له: أتصبر عليهما؟ قال: ليتهما يصبران علي.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلوب تموت كالزرع إذا كثر عليه الماء.

وقال عيسى عليه السلام: يا بني إسرائيل، لا تكثروا الأكل، فإن من أكثر الأكل أكثر النوم، ومن أكثر النوم أقل الصلاة، ومن أقل الصلاة كتب من الغافلين.

وقال الخليل: أثقل ساعاتي علي ساعة آكل فيها.

وقال الفضيل: أتخاف أن تجوع؟ لا تخف؛ أنت أهون على الله من ذاك، إنما كان يجوع محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

وعنه: خصلتان تقسيان القلب: كثرة الأكل، وكثرة الكلام.

دخل سفيان بن عيينة على الرشيد وهو يأكل بملعقة، فقال: حدثت عن جدك ابن عباس في قوله تعالى: ولقد كرمنا بني آدم.

قال: جعلنا لهم أيديا يأكلون بها. فكسر الملعقة.

دخل عمر رضي الله عنه على عاصم بن عمر وهو يأكل لحما، فقال: ما هذا؟ قال: قرمنا إليه، قال: ويحك، قرمت إلى شيء فأكلته! كفى بالمرء شرها أن يأكل كل ما يشتهي! .

أ قال ابن دريد: العرب تعير بكثرة الأكل، وأنشد: من الرجز:

لست بأكال كأكل العبد ... ولا بنوام كنوم الفهد

بعض بني نهد: من الطويل:

إذا لم أزر إلا لآكل أكلة ... فلا رفعت كفي إلي طعامي

فما أكلة إن نلتها بغنيمة ... ولا جوعة إن جعتها بغرام

في الحديث: من داوم على اللحم أربعين يوما، قسا قلبه، ومن تركه أربعين يوما، ساء خلقه.

قال أنس: ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفا محورا حتى لقي الله.

وقال أيضا: أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعا، ولبس خشنا: لبس الصوف، واحتذى المخصوف.

قيل للحسن خبز الشعير ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بجرعة من ماء.

قال عمر رضي الله عنه: ما اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أدمان إلا أكل أحدهما، وتصدق بالآخر.

وقال أبو سليمان الداراني: خير ما أكون، إذا لزق بطني بظهري؛ أجوع الجوعة، فأخرج فترحمني المرأة فما ألتفت إليها، وأشبع الشبعة، فأخرج فأرى عيني تطمحان.

وقال أيضا: من صدق في ترك الشهوة، كفي مؤونتها؛ الله أكرم من أن يعذب قلبا بها وقد تركها له.

قيل لابن عمر: أتجعل لك جوارشا؟ قال: وما الجوارش؟ قيل: شيء تأكله يهضم طعامك، قال: ما شبعت منذ أربعة أشهر، وما ذلك أني لا أجد، وأني لا أجوع، ولكن شهدت أقواما كانوا يجوعون أكثر مما يشبعون.." (١)

"دخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك وهو يأكل، فقال: اجلس وكل - وكان سليمان قاذورة نهما، وكان يوضع بين يديه قصعتان، فيأكل من واحدة، والناس من واحدة - فجعل الأعرابي يأكل من القصعة التي بين يدي سليمان ويتعدى إلى الأخرى، فقال سليمان: كل مما بين يديك، قال: أو ههنا حمى؟! قال: لا، كل من حيث شئت، فلما أتي بالفالوذج، قال له سليمان: يا أعرابي، أتعرف هذا؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، إلا أني أرى رونقا حسنا، ومزدردا لينا، وطعما طيبا، وإني لأظنه مما يخرج من بطون النحل، فقال سليمان: إنه مع هذا يزيد في الدماغ؛ فقال كذبوك يا أمير المؤمنين، ولو صدقوك لأصبح رأسك مثل رأس البغل الأطحل.

موسى الثقفي: من الوافر:

فما شيء بأحسن من خوان ... أتاك يزفه خلق الثياب

وقد ناجاك سر الجوع حتى ... تعلق خمص بطنك بالحجاب

فتغمس خمس كفك في ثريد ... بلقم مثل منكمش الذهاب

كأن دويه في الحلق لما ... هوى، رعد يهمهم في سحاب

قيل لأعرابي: ما اسم المرق عندكم؟ قال: السخين، قال: فإذا برد؟ قال: لا ندعه يبرد.

قعد صبي مع قوم، فقدم شيء حار، فأخذ الصبي يبكي، قالوا: ما يبكيك؟ قال: هو حار، قالوا: فاصبر حتى يبرد، قال: أنتم لا تصبرون.

قال بعضهم: رأيت ثلاثة من الهراسين على بقعة واحدة، وهم يتكايدون في مدح هرايسهم. فأخرج أحدهم من هريسته

(١) التذكرة الحمدونية، ٩٥/٣

قطعة على المغرفة وأسالها وهو يقول: انزلي ولك الأمان، فقال الثاني: يا قوم، أدركوني، الحقوني، أنا أجذبها وهي تجذبني، والغلبة لها، فقال الثالث: لا أدري ما تقول، من أكل من هريستي، أسرج ببوله شهرا.

كان بعض الأكلة يباكر الأكل، فقيل له: اصبر حتى تطلع الشمس، فقال: أنا لا أنتظر بغدائي من يقدم من أقصى خراسان.

قيل لبعضهم: التمر يسبح في البطن، قال: إذا كان التمر يسبح، فاللوزينج يصلي في البطن تراويح.

قال عثمان الدقيق الصوفي: رأيت أبا العباس بن مسروق، وهو أحد شيوخ الصوفية، في يوم مطير على الجسر مشدود الوسط، فقلت له: يا عم، إلى أين في هذا اليوم المطير؟ فقال: إليك عني، فقد بلغني أن بالمأمونية رجلا يقول: ليس الباذنجان طيبا؛ أريد أن أمضي إليه وأقول له: كذبت، وأرجع.

خرج طفيلي من منزل قوم مشجوجا، فقيل له: من شجك؟ قال: ضرسي.

قيل لأعرابي: كيف حزنك على ولدك؟ قال: ما ترك لي حب الغداء حزنا على أحد.

سمع بنان رجلا يقول: يخرج الدجال في سنة قحط مجدبة، ومعه جرادق أصفهانية، وملح درآني، وأنجداني سرخسي، فقال: هذا – عافاك الله – رجل يستحق أن يسمع له ويطاع.

قال أبو بكر بن عياش: كنا نسمي الأعمش سيد المحدثين، وكنا نجيئه آخر من يقصده، لأنا نطيل عنده، وكان لا يزال يطعمنا الشيء مما يحضره، ويسألنا فيقول: بمن مررتم اليوم، ، وعمن أخذتم؟ فنسمي له الواحد، فيشير بيده، أي جيد، ونسمي آخر فيومئ بأصبعه، أي صالح، ونسمي آخر، فيقول: طير طيار، ونسمي آخر، فيقول: طبل مخرق. فقال بعضنا لبعض ذات يوم: لا يخرج الأعمش إلينا شيئا إلا أكلناه كله. فأخرج إلينا خوانا عليه خبز وتمر، فأكلناه، ثم عاد فأخرج قتائت مما يسرب انسيابا فأكلناه، ثم عاد فأخرج كسيرات، فأكلناها، ثم عاد فأخرج إجانة فيها كسب ونوى فقال: أما طعام العيال فأكلتموه، وهذا علف العنز فدونكم.

كان رجل يطعم رجلا يلازمه، ولم يكن عنده في بعض الأيام ما جرت به عادته، فقال لغلامه: خذ المفتاح معك، وكن قريبا من الدار، فإذا جاء ورأى الباب مقفلا انصرف. فلما جاء الرجل ورأى الباب مقفلا، جلس ينتظر أن يجيء ويفتح الباب، فأدركته الشمس، فلم يزل ينتقل من موضع إلى موضع حتى لم يبق ظل، فقال: من السريع:

البيت لا أبرح من بابه ... حتى يموت الرجس من جلسي

أقتله في البيت جوعا كما ... يقتلني بالجوع في الشمس

أليس في منزل فرقاننا ... أن قتل النفس بالنفس

أسماء هزلية وضعها الطفيليون والصوفيه للأطعمة وآلتها وما يتبعها: الطست والإبريق: بشر وبشير.

الخوان: أبو جامع.

السفرة: أبو رجاء.

الخبز: أبو جابر.

اللحم: أبو عاصم.

الملح: أبو عون.." (١)

"وقال الأصمعي: أحفظ اثني عشر ألف أرجوزة، فقال رجل: منها البيت والبيتان، فقال: ومنها المائة والمائتان.

ورد أبو مسعود الرازي أصفهان، ويقال إنه أملي عن ظهر قلبه مائة ألف حديث. فلما وصلت كتبه قوبلت بها، فلم يعثر منها على سقطة إلا في متن حديثين.

وادعى الخوارزمي أنه يحفظ كتاب الأمثال لأبي عبيد في ليلة.

وقد ذكر في موضع آخر من هذا الباب حفظ المتنبي لكتاب خلق الإنسان في إطلاعه واحدة.

وقيل: جرى ذكر الحفظ لما كان أبو مسعود بأصفهان، فقرئ عليه أوراق من حساب البقالين وأعادها على الترتيب.

وقد حكي مثل ذلك عن أبي العلاء المعري.

بدر من أبي عمر الصباغ إلى الصاحب جفاء، وكان مؤدبه، فقام من عنده وكتب إليه: من السريع:

أودعتني العلم فلا تجهل ... كم مقول يجني على مقتل

أنت وإن علمتني سوقة ... والسيف لا يبقى على الصيقل

فاتصل ذلك بأبي الحسين بن سعد فتعجب منه وكتبه، وقال: ابن ثمانين يكتب شعر ابن عشرين، ثم تلا: وآتيناه الحكم صبيا.

قال محمد بن إسحاق بن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل البخاري. وكان يقال: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث. وقال البخاري: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح. وقال: ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين ووضعت تراجمه بين قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره. وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين. وقال: أخرجته من ستمائة ألف حديث، وصنفته في ست عشرة حجة وجعلته حجة فيما بيني وبين الله.

معن بن أوس المزني: من الطويل:

رأيت رجالا يكرهون بناتهموفيهن لا يكذب نساء صوالح

وفيهن الأيام تعثر بالفتى نوادب لا يمللنه ونوائح

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة، فقال: من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه تفاحة القلب، قال: انبذها عنك، فإنهن يلدن الأعداء، ويقربن البعداء، ويورثن الضغائن. قال: لا تقل يا عمرو، فو الله ما مرض المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الأحزان إلا هن، وإنك لواجد خالا قد نفعه بنو أخته. فقال عمرو: ما أراك يا أمير المؤمنين إلا وقد حببتهن إلي.

قال عمرو بن العاص لمعاوية: ما بقي من لذتك؟ قال: عين خرارة في أرض حرارة، وعين ساهرة لعين نائمة.

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١٠٧/٣

وقال عمرو: أن أبيت معرسا بعقيلة من عقائل العرب.

وقال وردان: الإفضال على الإخوان.

وقال عبد الملك: محادثة الإخوان في الليالي القمر على الكثبان العفر.

وقال سليمان ابنه: صديق أطرح بيني وبينه مؤونة التحفظ.

وقيل لأعرابي: فيم اللذة؟ قال: في قبلة على غفلة.

وقال آخر: سيف كبرق ثاقب، ولسان كمخراق لاعب.

وقال طفيلي: في مائدة منصوبة، ونفقة غير محسوبة، عند رجل لا يضيق صدره من البلع ولا يحبس نفسه من الجزع.

وقال آخر: في ندامى تغلق دورهم وتغلي قدورهم.

وقال عالم: في حجة تتبختر إيضاحا وحجة شبهة تتضاءل افتضاحا.

وقال الراعي: في واد عشيب ولبن حليب.

وقال عابد: في عمل يخلص، ورياء ينقص، وقلب عن الدنيا يسلو، وهمة إلى الله تعلو.

وقال أعرابي: أشتهي محضا رويا، وضبا مشويا.

وقال مضياف: في كوم تنحر، ونار تسعر، وضيف ينزل، وآخر يرحل.

وقال معن: في مجلس يقل هذرة، وعود ينطق وتره، ورجل عقول يفهم ما أقول.

وقال شجاع: طرف سريع وقرن صريع.

وقال بحار: شربة من ماء الفنطاس بقشر النارجيل، ونومة في ظل الشراع.

لم يكن في العجم أرمى من بهرام جور الملك. فتصيد وهو مردف جظية له يتعشقها، فعرضت له ظباء، فقال: في أي موضع تريدين أن أضع السهم؟ فقالت: أريد أن تشبه ذكرانها بالإناث وإناثها بالذكران. فرمى ذكرا بنشابة ذات شعبتين، فاقتلع قرنيه، ورمة ظبية بنشابتين أثبتهما في موضع القرنين. ثم سألته أن يجمع بين ظلف الظبي وأذنه بنشابة، فوصل أذنه بظلفه. ثم رمى بالجارية إلى الأرض ووطئها، وقال: شد ما اشتططت وأردت إظهار عجزي.." (١)

"خرج المهدي يتصيد فعار به فرسه حتى دفع إلى خباء أعرابي، فقال: يا أعرابي هل من قرى؟ قال: نعم، وأخرج فضلة من لبن في كرش فسقاه. ثم أتاه بنبيذ في زكرة فسقاه قعبا، فلما شرب المهدي قال: أتدري من أنا؟ قال: لا والله، قال: أنا من خدم الخاصة، قال: بارك الله لك في موضعك. ثم سقاه آخر فشربه، ثم قال: يا أعرابي أتدري من أنا؟ قال: نعم زعمت أنك من خدم الخاصة، قال: بل أنا من قواد أمير المؤمنين قال: رحبت بلادك وطاب مزادك. ثم سقاه قدحا ثالثا فلما فرغ منه قال: يا أعرابي أتدري من أنا؟ قال: زعمت آخرا أنك من القواد، قال: لا ولكني أمير المؤمنين. فأخذ الأعرابي الزكرة فأوكاها وقال: والله لئن شربت الرابع لتقولن إنك لرسول الله. فضحك المهدي وأحاطت بهم الخيل، ونزل إليه الملوك والأشراف، فطار قلب الأعرابي فقال له: لا بأس عليك؛ وأمر له بصلة. فقال: أشهد أنك لصادق، لو ادعيت الرابعة

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٣/١٨٣

لخرجت منها.

قال بعضهم: رأيت أعرابيا في بعض أيام الصيف قد جاء إلى نهر وجعل يغوص في الماء، ثم يخرج، ثم يغوص، ثم يخرج، وكلما خرج مرة حل عقدة من عقد في خيط كان معه. فقلت: ما شأنك؟ قال: جنابات الشتاء أحسبهن كما ترى وأقضيهن في الصيف.

عض ثعلب أعرابيا فأتى راقيا، فقال له الراقي: ما عضك؟ قال: كلب واستحى أن يقول ثعلب. فلما ابتدأ يرقيه قال: اخلط به شيئا من رقية الثعلب.

وقال بعضهم: صليت في مسجد باهلة بالبصرة، فقام أعرابي يسأل، فأمر له إنسان منهم برغيفين، فرآهما صغيرين رقيقين فلم يأخذهما ومضى وجاء برغيف كبير حسن وقال: يا باهلة، استفحلوا هذا الرغيف بخبزكم فلعله ينجب.

قرأ إمام في صلاة: إذا الشمس كورت. فلما بلغ إلى قوله فأين تذهبون أرتج عليه، فجعل يرددها، وكان خلفه أعرابي معه جراب، فلما طال عليه الأمر ولم ينبعث تقدم الأعرابي فصفعه بالجراب، وقال: أما أنا فإلى كلواذى وهؤلاء الكشاخنة فلا أدري أين يذهبون.

كان أعرابي يفلي كساءه ويأخذ البراغيث ويدع القمل، فقيل له في ذلك فقال: أبد بالفرسان وأكر على الرجالة.

ورؤي أعرابي يأكل ويخرى ويفلي كساءه، فقيل له: ما تصنع؟ قال: أخرج عتيقا، وأدخل جديدا، وأقتل عدوا.

رأى أعرابي قوما يطلبون الهلال لغرة شهر رمضان، فقال: أما يكفيكم ظهوره إذا ظهر حتى تطلبوه مكانه، والله لئن أثرتموه لتمسكن منه بذنابي عيش أغبر.

قيل لبعض الأعراب: قد جاء شهر رمضان، فقال: والله لأبددن شمله بالأسفار.

دخل عقيل بن علفة المري على عمر بن عبد العزيز، وكان جافيا، فقال له عمر: ما أراك تقرأ من كتاب الله شيئا، قال: بلى إني لأقرأ، قال: فاقرأ، فقرأ: إذا زلزلت الأرض زلزالها. فلما بلغ آخرها قرأ فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. فقال عمر: ألم أقل لك إنك لا تحسن تقرأ. قال: أولم أقرأ؟ قال: لأن الله عز وجل قدم الخير وأنت قدمت الشر، فقال عقيل: من الطويل:

خذا بطن هرشى أو قفاها فإنه ... كلا جانبي هرشى لهن طريق

وعقيل هذا من قوم فيهم جفاء وغلظ. مات رجل منهم فكفنه أخواه في عباءة له، وقال أحدهما للآخر: كيف تحمله؟ قال: كما تحمل القربة. فعمد إلى حبل فشد طرفه في عنقه وطرفه في ركبته، وحمله على ظهره. فلما أراد دفنه حفر له حفرة وألقاه فيها، وهال عليه التراب حتى واراه. فلما انصرفا قال لأخيه: يا هناه! أنسيت الحبل في عنق أخي ورجليه، وسيبقى مكتوفا إلى يوم القيامة. فقال له: دعه يا هناه! قال: إن يرد الله به خيرا يحله.

قيل لأعرابي وقد تزوج بعدما كبر: لم تأخرت عن التزويج؟ فقال: أبادر ابني باليتم قبل أن يسبقني بالعقوق.

وقيل لأعرابي: ما تقرأ في صلاتك؟ قال: أم الكتاب ونسبة الرب وهجاء أبي لهب.

وسمع آخر يقرأ: الأعراب أشد كفرا ونفاقا. فقال: لقد هجانا. ثم سمعه يقرأ بعده: ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر.

فقال: لا بأس هجا ومدح، هذا كما قال شاعرنا: من الطويل:

هجوت زهيرا ثم إني مدحته ... وما زالت الأعراب تهجى وتمدح

سرق أعرابي غاشية من سرج ودخل مسجدا فقرأ الإمام: هل أتاك حديث الغاشية. فقال: اسكت فقد أخذت في الفضول، فقال الإمام: وجوه يومئذ خاشعة. فقال: ها هو ذا غاشيتكم فلا تخشعوا وجهي.." (١)

"دخل بعض الفصحاء على بعض عمال البصرة، وكان يعرب في كلامه، فقال له يوما: إن لم تترك الإعراب ضربتك. فقال: إني إذن أشقى الناس به، ضربت صغيرا لأتعلم وضربت كبيرا لأترك.

صلى رجل اسمه يحيى بأربعة نفر فأكثر اللحن في : قل هو الله أحد؛ فلما فرغ قال أحدهم: من الرجز:

أكثر يحيى غلطا ... في قل هو الله أحد

فقال الثاني:

قام يصلي قائما ... حتى إذا أعيا قعد

فقال الثالث:

كأنما لسانه ... شد بحبل من مسد

فقال الرابع:

يزحر في محرابه ... زحير حبلى للولد

دخل أبو النجم العجلي على هشام فأعطاه جارية، فلما باتت عنده وراح عليه من الغد سأله عن حاله معها، فأنشده أبياتا منها: من الكامل:

نظرت فأعجبها الذي في درعها ... من حسنه ونظرت في سرباليا

فرأت لها كفلا ينوء بخصرها ... وعثا روادفه وأجثم جاثيا

ورأيت منقشر العجان مقبضا ... رخوا حمائله وجلدا باليا

أدني له الركب الحليق كأنما ... أدني إليه عقاربا وأفاعيا

فاذهب فإنك ميت لا يرتجى ... أبد الأبيد ولو عمرت لياليا

أبو سهل البوشنجي: من الكامل المجزوء:

شهر الصيام مبارك ... إن لم يكن في شهر آب

اليوم منه كأنه ... في طوله يوم الحساب

خفت العذاب فصمته ... فوقعت في عين العذاب

قال الفراء: أنشدني صبي من الأعراب أرجوزة فقلت: لمن هي؟ فقال: لي. فزبرته، فأدخل رأسه في فروته ثم قال: من الرجز:

إني وإن كنت صغير السن ... وكان في العين نبو عني

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٣/٢٠٦

فإن شيطاني أمير الجن ... يذهب بي في الشعر كل فن

قيل: سمع أعرابي مؤذنا يقول: أشهد أن محمد رسول الله بالنصب، فقال: ويحك! يفعل ماذا.

وقيل لأعرابي: أتهمز إسرائيل؟ قال: إني إذن لرجل سوء. وقيل لآخر: أتهمز الفارة؟ قال: السنور يهمزها.

وقيل لآخر: أتجر فلسطين؟ قال: إني إذن لقوي.

أحمد بن أبي سلمة الكاتب: من المتقارب:

حلفت بأنك من حمير ... وليس اليمين على المدعي

أعرابي وذكر الحقنة: من الطويل:

لقد سرني والله وقاك شرها ... نفارك منها إذ أتاك يقودها

كفى سوأة إذ لا نراك مجيبا ... على شكوة وفراء في استك عودها

قال رجل لأبي العيناء: تأمر بشيئا؟ قال: نعم بحذف الألف من شيء.

أنشد رجل الفرزدق شعرا فقال: كيف تراه؟ فقال: لقد طاف إبليس على هذا الشعر في الناس فلم يجد أحمق يقبله سواك.

كان للمبرد ابن متخلف فقيل له يوما: عط سوأتك، فوضع يده على رأس ابنه.

نوادر الظرفاء.

كان أبو عيسى ابن الرشيد من أحسن الناس وجها وأجملهم، وكان المأمون مقبحا. فقال الرشيد لابنه أبي عيسى وهو صبي: ليت جمالك لعبد الله يعني المأمون. فقال أبو عيسى على أن حظه منك لي. فعجب من جوابه مع صباه وضمه إليه وقبله.

وسأل إبراهيم بن العباس بن صول يوما عن ابن أخيه أحمد بن عبد الله ابن العباس المعروف بطماس، فقيل إنه مشغول بطبيب عنده ومنجم.

وكان إبراهيم يستثقله فقال: قل له يا غلام، والله ما لك في السماء نجم ولا له في الأرض طبع فما هذا التكلف؟ مر أبو حفص الشطرنجي بأبي نواس، وكان أبو نواس يستثقله، فقال له: يا أبا علي، ما لي أراك مصفرا؟ قال: رأيتك فذكرت ذنوبي، فخشيت أن يمسخني الله عز وجل في خلقك إذا عاقبني، فاصفر وجهي.

قال أبو مجالد: كنا يوما عند بعض الوراقين ومعنا أبو الحارث جمين. فنزل إلينا راكب له جلالة في العين ومنظر، فقال للوراق: ههنا مصحف جامع للقراءات الثلاث: قراءة حمزة وعاصم وأبي عمرو، وقد نسخ بالكوفة، وعرض بالبصرة، وحمل إلى المدينة، صحيح الأخماس والعشور والورق والدفتين. فقال الوراق: كم تحد – أصلحك الله – في الثمن؟ قال: ثلثا دينار إلا ثلاثة أرباع دينار. قال: يقول أبو الحارث جمين: لم يرد شيخنا مصحفا على هذه الصفة بهذه القيمة إلا ليكفروا بما فيه.." (١)

"لأميرنا وأمير شرطتنا معا ... لكليهما يا قومنا رجلان

فإذا يكون أميرنا ووزيرنا ... وأنا فإن الرابع الشيطان

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢١٣/٣

وأنشد الأعور: من الوافر:

ألم تربي وعمرا حين نغدو ... إلى الحانات ليس لنا نظير

أسايره على يمنى يديه ... وفيما بيننا رجل ضرير

دخل آخر إلى بعض الرؤساء فساره بشيء فتأذى ببخره. فلما فرغ من حديثه فسا وزاد البلاء على الرجل، فقال له: قم بالله فإنك عارم الطرفين.

قال بعضهم: خرجت في الليل لحاجة فإذا أنا بأعمى على عاتقه جرة وفي يده سراج، فلم يزل يمشي حتى أتى نهرا فملأ الجرة ورجع. فقلت له: أنت أعمى والليل والنهار عليك سواء، فما معنى هذا السراج؟ قال: يا فضولي، حملته معي لأعمى القلب مثلك يستضيء به ولا يعثر بي في الظلمة فيقع علي ويكسر جرتي.

جلس كسرى للمظالم فتقدم إليه رجل قصير، فأقبل يصيح أنا مظلوم، وهو لا يلتفت إليه؛ فقال له الموبذان: أنصفه قال: إن القصير لا يظلمه أحد، فقال: الذي ظلمني أقصر مني، فضحك وأشكاه.

سار سعيد بن حميد رجل به بخر فقال: مثلك لا يسار وإنما يكاتب. وأنشد: من الخفيف:

كلمتني فقلت خرا وخير

ورأى فيلسوف قملة تدب على رأس أصلع فقال: هذا لص يروم القطع في خربة.

اتفق في ملك محمود بن ملكشاه توجيه القضاة الثلاثة، الهروي والشهرزوري والهيتي، رسلا إلى الأطراف، وكانوا أعيان عصرهم إلا أنهم عور، فقال فيهم محمد بن الحسين الآمدي: من البسيط:

أرى العراق بمحمود على خطر ... ظمآن أنا رويت فيه السيوف روي

ولست أرجو له صلحا يهذبه ... بالشهوزوري والهيتي والهروي

عور وأخلق بملك رسله طير ... أن لا يروم وهذا قد بري ودوي

كتب بعضهم إلى محمد بن عبد الملك الزيات: نعمتني بوطء المطهمات حتى أصابني الفالج، وأتخمتني بأكل الطيبات حتى أصابني النقرس، ولولاك لكنت أبعد من النقرس من فيج، وأسلم من الفالج من مكار؛ وأين شرف أدوائي من جرب الحسن بن وهب ودود أحمد بن أبي خالد؟ وأين أدواء الملوك والأنبياء من أدواء السفلة والأغبياء؟ فمن كان داؤه أفضل من صحة غيره، وعيبه أحمد مما تراه ضده، فما ظنك بغير ذلك من أمره؟! أبو حكيمة: من الطويل:

أيحسدني إبليس داءين أصبحا ... برأسي ورجلي دملا وزكاما

فليتهما كانا به وأزيده ... زمانة شيء لا يري قياما

رجل من بني عجل: من الطويل:

وشى بي واش عند ليلى سفاهة ... فقالت له ليلى مقالة ذي عقل

وما بي من عيب الفتى غير أنني ... جعلت العصا رجلا أقيم بها رجلي

وخبر أني قد عرجت فلم تكن ... كورهاء تجري بالملامة للبعل

آخر: من الرجز:

ليس يضر الطرف توليع البلق ... إذا جرى في حلبة الخيل سبق

لما شاع في بلعاء بن قيس الوضح قيل له: ما هذا يا بلعاء؟ فقال: سيف الله جلاه.

نوادر البلغاء.

وصفوا غلاما عند بعضهم فقالوا: هو فاسد، قال: في فساده صلاحي.

وقال ابن وهب في مرد التحوا: من المنسرح.

ما بالكم يا ظباء وجرة أم ... ما غالكم يا جآذر البقر

ماتوا فلم يدفنوا فيحتسبوا ... ففيهم عبرة لمعتبر

كأنهم بعد بهجة درست ... ركب عليهم عمائم السفر

وقال ابن بسام في مثله: من البسيط:

يا من نعته إلى الإخوان لحيته ... أدبرت والناس إقبال وإدبار

حانت منيته واسود عارضه ... كما تسود بعد الميت الدار

وقال آخر: من الوافر:

وعلق لو تنسك يوم حج ... لواحر بين زمزم والحطيم

ولو يوم المعاد رأى لواطا ... لنام على الصراط المستقيم

قيل لأعرابي: أغلمة الرجل أشد أم غلمة المرأة؟ فقال مرتجلا: من الطويل:

فو الله ما أدري وإني لخابر ... أالأير أدنى للفجور أم الحر." (١)

" ٥٤ -

(باب في صوم أشهر الحرم)

(ثم قال صم شهر الصبر) قال الخطابي شهر الصبر هو شهر رمضان وأصل الصبر الحبس فسمي الصيام صبرا لما فيه من حبس النفس عن الطعام ومنعها عن وطء النساء وغشيانهن في نهار (صم من الحرم) بضمتين أي الأشهر الحرم وهي أربعة أشهر التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه فقال إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم وهي شهر رجب وذي القعدة وذي الحجة والمحرم

وقيل لأعرابي كم الأشهر الحرم فقال أربعة ثلاثة سرد وواحد فرد انتهى (وقال بأصابعه الثلاثة) أي صم منها ما شئت وأشار بالأصابع الثلاثة إلى أنه لا يزيد على الثلاث المتواليات وبعد الثلاث يترك يوما أو يومين والأقرب أن الإشارة لإفادة أنه يصوم ثلاثا ويترك ثلاثا والله أعلم

قاله السندي

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٢٢٠/٣

قال المنذري وأخرجه النسائي وبن ماجه إلا أن النسائي قال فيه عن مجيبة الباهلي عن عمه وقال بن ماجه عن أبي مجيبة الباهلي عن أبيه أو عمه وذكره أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة وقال فيه عن مجيبة يعني الباهلية قالت حدثني أبي أو عمي وسمى أباها عبد الله بن الحارث فقال سكن البصرة وروى عن النبي صلى الله عليه و سلم حديثا وقال في موضع اخر أبو مجيئة الباهلية أو عمها سكن البصرة وروى عن النبي صلى الله عليه و سلم حديثا ولم يسمه وذكر هذا الحديث وذكره بن قانع في معجم الصحابة وقال فيه عن مجيبة عن أبيها أو عمها وسماه أيضا ." (١)

"سيقت هذه الآيات كلها في رواية كريمة وهي ثلاث عشرة آية وفي رواية أبي ذر من قوله ودخل معه السجن فتيان ثم قال إلى قوله إرجع إلى ربك قوله لقوله تعالى وفي بعض النسخ وقوله تعالى بدون لام التعليل والأول أولى لأنه يحتج بقوله ودخل معه إلى آخره على اعتبار الرؤيا الصالحة في حق أهل السجن والفساد والشرك وهو أيضا يوضح حكم الترجمة فإنه لم يتعرض فيها إلى بيان الحكم قوله ودخل معه أي مع يوسف فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن ريان ملك مصر الأكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه واسمه مجلث والآخر ساقيه صاحب شرابه واسمه نبوء غضب عليهما الملك فحبسهما وكان يوسف لما دخل السجن قال لأهله إني أعبر الأحلام فقال أحد الفتيين لصاحبه فلنجرب هذا العبد العبراني فتراءيا له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا فقال أحدهما إني أراني أعصر خمرا أي عنبا بلغة عمان وقيل لأعرابي معه عنب ما معك قال خمر وقرأ ابن مسعود عصر عنبا وقيل إنما قال خمرا باعتبار ما يؤول إليه قولهنبئنا بتأويله أي أخبرنا بتعبيره وما يؤول إليه أمر هذه الرؤيا قولهإنل نراك من المحسنين أي من العالمين الذين أحسنوا العلم قاله الفراء وقال ابن إسحاق المحسنين إلينا إن قلت ذلك قوله لا يأتيكما طعام ترزقانه إنما قال ذلك لأنه كره أن يعبر لهما ما سألاه لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما فأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره فقال لهما لا يأتيكما طعام ترزقانه في نومكما إلا نبأتكما بتأويله أي بتفسيره وألوانه أي طعام أكلتم وكم أكلتم ومتى أكلتم من قبل أن يأتيكما فقالا له هذا من فعل العرافين والكهنة فقال يوسف ما أنا بكاهن وإنما ذلكما العلم ما علمني ربي ثم أعلمهما أنه مؤمن فقال إني تركت ملة أي دينهم وشريعتهم قولهواتبعت ملة آبائي إبراهيم هي الملة الحنيفية قوله ذلك أي التوحيد والعلم من فضل الله فأراهما دينه وعلمه وفطنته ثم دعاهما إلى الإسلام فأقبل عليهما وعلى أهل السجن وكان بين أيديهم." (٢)

"وفي حديث الهيثم زيادة أعرجين، أحدهما ابن أبي موسى والآخر سليمان بن كيسان وهذا عندي عجب.

وكان الحكم بن عبدل قد خافه الناس وهابته الأمراء بعد هجائه لمحمد بن حسان وكان بعد ذلك لا يغشى أبوابهم، ولكنه كان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع غلامه فيدخل الحاجب العصا ويقضي حاجته، والناس والشعراء محجوبون، فلما رأى يحيى بن نوفل وحمزة بن بيض وأبو جسرح ما صنع الحاجب بعصا الحكم وهم بمزجر الكلب، قال يحيى بن نوفل:

عصا حكم في الناس أول داخل ... ونحن لدى الأبواب نقضي ونحجب

ومن العرجان ثم من العبيد الشعراء، وممن يعد في الحدب والعرج: ذو الركبة العوجاء وأظنه السائل المثري، وهو الذي يقول

---

(١) عون المعبود، ٥٨/٧

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٠/٣٥

فيه الشاعر في قصيدته التي ذكر فيها شعر العبيد، وقد ذكرنا هذه في كتاب " الصحراء والهجناء " وإياه يعني في قوله:

وفي درك والعبد ذكوان والذي ... أراح على بشرٍ بقاصمة الظهر

وعبد بني الحسحاس والشيخ مورقٍ ... وذي الركبة العوجاء والسائل المثري

فذو الركبة الذي يقول:

سخر الغواني إن رأين مويهناً ... كالنوء أكلف شاحبٍ منهوك

ورأى البيوت فجاء يأمل خيرها ... مهرى حدي فعليه وسلوك

والركبتان مفارلاقٌ رأساهما ... والظهر أحدب والمعاش ركيك

سئم الحياة ولاح في أعطافه ... قشف الفقير وذلة المملوك

مثل البلية برحت بحياته ... خرق البطون قليلة التبريك

يقول: أنا راعي ضأن والضائنة آكل كل شيء، وأدومه رغبة وأكلاً، وهي لا تبرك كبروك الإبل فيستريح الراعي، ولغظ مؤونتها على الراعي قالوا: أحمق من راعي ضأن ثمانين، لأنه يتعايا بها وتغلبه فيعجز عنها، والنعجة موصوفة بشدة الأكل ودوامه، وهي آكل من الكبش. والرمكة آكل من البرذون، **وقيل لأعرابي**: أي الدواب آكل؟ قال: برذونةٌ رغوثٌ، فإذا كانت البرذونة آكل الدواب فعلى حساب ذلك أكلها إذا أرضعت، ويقال: إنه لو جمع أكل المرأة من غدوة إلى الليل لكان أكثر من غداء الرجل وعشائه، هكذا يحكون في أكثر النساء، وهي تمضغ من غدوة إلى الليل وكذلك الحجر والفرس.

ومن العرجان، معاذ بن جبل، قالوا: وكان معاذ أمة، وكان يشبه إبراهيم خليل الرحمن، ولم يكن في السلف أحسن جردةً ولا أنعم بدناً من معاذ وسهل بن حنيف. وقال النبي صلى الله عليه وسلم " آمن كل شيء من معاذ حتى خاتمه " ، وكان يعد من الزهاد الستة، وقد شهد المشاهد وولى للنبي الولايات، وقبض الصدقات، وتعليم الناس الإسلام وتدريسهم القرآن. وهو ابن أقل من عشرين سنة، وكان عند رسول الله وجيهاً وفي عيون المسلمين عظيماً، وقال الهيثم: أنبأنا أبو الهذيل سعيد بن عبيد الطائي في إسناد له، قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن فنزل في حي منهم، وقال: لا تروني أصنع شيئاً إلا صنعتم مثله، وكان به عرج فكان إذا صلى قدم إحدى رجليه، قال: فلما صلوا لم يبق منهم أحدٌ إلا قدم إحدى رجليه، قال: فلما انصرفوا قال لهم: إني إنما فعلت هذا من عرجٍ، فلا تفعلوا مثل هذا.

وزعموا أنه صلى إلى قرب شجرةٍ فكان غصنٌ منها قد ضرب إحدى عينيه فتناوله فكسره فلم يبق أحد ممن خلفه إلا تقدم إلى الشجرة فكسر منها غصناً.

قالوا: ولما قدم معاذ على النبي عليه السلام ومعه أصحابه الذي قدم بهم سجدوا للنبي عليه السلام، وكان يرون ذلك من صنيع العامة تعظيماً للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي: " اسجدوا لربكم وأكرموا أخاكم، ولو أمرت أحداً يسجد لأمرت المرأة أن تسجد لبعلها " .

وكان أبو عبدان المخلع مولى بلعنبر واسمه مرثد، وكان أطيب الناس شعراً، وكان صعترياً صاحب نيزكيةٍ وتخلع، وكان ذا نشال، وإذا تكلم عقف أصابعه، فلم يزل يتكلف ذلك حتى صار مخلعاً بالحق، وصار أسوأ حالاً من الأشل، وكان في

صغره خياطاً فصار في حال لا يستطيع أن يملك نفسه ولا يمسك إبرةً بيده، وهو الذي يقول:

الدين أدناني وما كنت بالدني ... وأدنى من الدين الذي لديات

وهو الذي يقول في أبيات له فحشةٍ يذكر فيها الغلمان:

وكل نكش بالكشح مغترف ... أصبح نحوي مزاجراً ذربا

صار له خاضباً فواحزناً ... لو عز هذا النمير ما خضبا." (١)

"وصرت لهم عتبي بيوم حريةٍ ... كأنهم تدبيج شاءٍ معفر

عمدتم إلى شلوٍ تنوذر قبلكم ... كبير عظام الرأس ضخم المذمر

وقال الآخر:

يقول لي الأمير بغير نصحٍ ... تقدم حين جد به المداس

فمالي إن أطعتك من حياة ... ومالي بعد هذا الرأس رأس

وقال أخر وقدمة قائد في الحرب فأبى مقال:

ألا لا تلمني يا بن صوحان إنني ... أخاف على فخارتي أن تحطما

فلو أنني أبتاع في السوق مثلها ... متى شئت ما باليت أن أتقدما

ومنهم ذو الرأسين جد شوال بن المرقع بن ذي الرأسين، وقال الشاعر:

أما لابن ذي الرأسين مجدٌ مقومٌ ... وسيفٌ إذا مس الكريهة يقطع

وكنا نتعجب من حسن يقول:

منا الكواهل والأعناق تقدمها ... فيها اللسان وفيها السمع والبصر

فلما سمعنا قول الآخر:

لا تقبروني إن قبري محرمٌ ... عليكم ولكن أبشري أم عامر

إذا ضربوا رأسي وفي الرأس أكثري ... وغودر عند الملتقى ثم سائري

هنالك لا أبغي حياة تسرني ... سمير الليالي مسلمٌ بالجرائر

رأيناه عالياً على كل ما جاء في هذا الباب من الشعر، فقال في ذلك بلعاء بن قيس:

كالرأس مرتفع فيه مشاعره ... تهدي السبيل له سمعٌ وعينان

قال: وكان رأس هشام بن عبد الملك صغيراً، ولذلك قال الفرزدق حين مدحه فلم يعطه إلا خمس مائة درهم:

وقبلت رأساً لم يكن رأس سيدٍ ... وكفا ككف الكلب بل هي أحقر

ومما يدخل في هذا الباب – وإن لم يكن في ذكر الرأس – قول الآخر:

دعا ابن مطيع للبياع فجئته ... إلى بيعةٍ قلبي لها غير عارف

---

(١) البرصان والعرجان، ص/٤٠

فناولني خشناء لما لمستها ... بكفي ليست من أكف الخلائف

وضخم الرأس في المرأة أحمد، وعلى حسب ذلك يكون صغر رأسها في القبح، ورأس الرجل وإن كان العظم ممدوحاً فيه فإن للعظم غاية إذا جاوزها الرأس عاد ذلك إلى فساد، وضخم الثدي في غير سرد محمود في المرأة، قال المرار بن منقذ:

صلتة الخد طويلٌ جيدها ... ضخمة الثدي ولما ينكسر

جعدةٌ فرعاء في جمجمةٍ ... ضخمةٍ تفرق عنها كالضفر

ودخل مالك الأشتر على علي بن أبي طالب في صبيحة عرسه ببعض نسائه، فقال: كيف رأى أمير المؤمنين أهله؟ قال: كالخير من امرأة خباء قباء، قال: وهل يريد الرجال من النساء غير ذلك؟ قال: لا، حتى تدفئ الضجيع وتروي الرضيع.

وقد سمعت رجالاً من أهل البيان يستحسنون هذا الكلام جداً.

ورب جنس من الحيوان يكون عظم الرأس فيه أحمد، وذلك كالجمل، ولذلك قال ذو الرمة:

ورأس كقبر المرء من آل تبع

فأما البقر فصغر الرأس فيها أحمد.

ولما هجا أبا موسى رجلٌ من العرب فقال له: أنت بالبقر أبصر منك بالخيل، فقال أبو موسى: لئن قلت ذلك إني لعالم بها، إذا أردتها عزيزة فعليك بها ضخمة الجوف صغيرة الرأس دقيقة القرن.

قال الكميت بن معروف:

إنا إذا اجتمع النفير لمجمع ... ينفي الأفل به العزيز الأكثر

يحمي حقيقتنا ويدرك حقنا ... رأس إذا اجتمع الجماجم مجهر

وإذا عزت القبيلة وقهرت القبائل فهي رأس كذلك تسمى، ولذلك قال عمرو بن كلثوم:

برأسٍ من بني جشم بن بكر ... ندق به السهولة والحزونا

قال: **وقيل لأعرابي**: إنك لتكثر لبس العمامة، قال: إن شيئاً فيه السمع والبصر لجدير بأن يوقى الحر والقر.

وقال نصيب أبو الحجناء:

الحمد لله أما بعد يا عمر ... فقد أتتك بنا الحاجات والقدر

وأنت رأس قريش وابن سيدها ... والرأس يكون السمع والبصر

وقال الشاعر:

قاوص الظلامة من وائل ... يرد إلى الحارث الأضجم

وقال لقيط بن زرارة أو حاجب بن زرارة:

قتلت به خير الضبيعات كلها ... ضبيعة قيسٍ لا ضبيعة أضجما

وكان ابن مارية أقصم أثرم، وهو الملك الذي مدحه الحارث بن حلزة، فقال:

فإلى ابن مارية الجواد وهل ... شروى أبي حسان في الإنس

ولذلك قال الحارث بن حلزة:

فهلا سعيت لصلح الصدي ... ق كسعي ابن مارية الأقصم." (١)

" بسم الله الرحمن الرحيم

باب من القول في القوافي الظاهرة واللفظ الموجز

من ملتقطات كلام النساك

قال بعض الناس من التوقي ترك الافراط في التوقي وقال بعضهم اذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون

وقال الشاعر

(قدر الله وارد ... حين يقضى وروده)

(فأرد ما يكون إن ... لم يكن ما تريده)

وقيل لأعرابي في شكاته كيف تجدك قال أجد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجد وأنا في زمان من جاد لم يجد ومن وجد لم يجد وقال بعض النساك أنا لما لا أرجو أرجى مني لما أرجو وقال بعضهم أعجب من العجب ترك التعجب من العجب وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لعبد بني مخزوم أني أخاف الله فيما تقلدت قال لست أخاف عليك ان تخاف وإنما أخاف عليك أن لا تخاف وقال الاحنف لمعاوية أخافك إن صدقتك وأخاف الله إن كذبتك وقال رجل من النساك لصاحب له وهو يجود بنفسه اما ذنوبي فاني أرجو لها مغفرة الله ولكني اخاف على بناتي الضيعة فقال له صاحبه فالذي ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجه لحفظ بناتك وقال رجل من النساك لصاحب له مالي أراك حزينا قال كان عندي يتيم أربيه لأوجر فيه فمات فانقطع عنا أجره إذ بطل قيامنا بمؤونته فقال له صاحبه فاجتلب يتيما اخر يقوم لك مقام الاول قال أخاف ان لا أصيب يتيما في سوء خلقه قال له صاحبه اما انا فلو كنت في موضعك معه لا ذكرت سوء خلقه وقال اخر وسمعه ابو هريرة النحوي وهو يقول ما يمنعني من تعلم القران الا اني أخاف ان أضيعه قال اما انت فقد عجلت له التضييع ولعلك اذا تعلمته لم تضيعه وقال عمر ابن عبد العزيز لرجل من سيد قومك قال انا قال لوكنت كذلك لم تقل ." (٢)

" وددت والله الذي لا إله الا هو ان الله لم يكن خلفني وأني الساعة أعمى مقطوع اليدين والرجلين

عمر والزبرقان والحطيئة

ولما استعدى الزبرقان على الحطيئة فأمر عمر بقطع لسانه قال الزبرقان نشدتك الله يا امير المؤمنين ان تقطعه فان كنت لا بد فاعلا فلا تقطعه في بيت الزبرقان قيل له انه لم يذهب هناك انما اراد ان يقطع لسانه عنك برغبة او رهبة

من كلام العرب

---

(١) البرصان والعرجان، ص/٥٩

(٢) البيان والتبيين، ص/١٢٠

وتقول العرب قتلت أرض جاهلها وقتل أرضا عالمها وتقول ذبحني العطش والمسك الذبيح وركب بنو فلان الفلاة فقطع العطش أعناقهم وتقول العرب فلان لسان القوم ونابهم الذي يفترون عنه وهؤلاء أنف القوم وخراطيمهم وبيان لسان الارض يوم القيامة وفلان اصطلمه الوادي وفلان عين البلد

قال الاصمعي قال رجل لأبي عمرو بن العلاء أكرمك الله قال محدثة قال وكان ابو عون يقول كيف انت أصلحك الله

وكان الاصمعي يقول قولهم جعلت فداك وجعلني الله فداك محدث وقد روى علماء البصريين ان الحسن لما سمع صراخا في جنازة أم عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فالتفت قال له عبد الأعلى جعلت فداك لا والله ما أمرت ولا شعرت قال الاصمعي صلى أعرابي فأطال الصلاة والجانبه ناس فقالوا ما أحسن صلاته قال وانا مع هذا صائم قال الشاعر

(صلى فأعجبني وصام فرابني ... عد القلوص عن المصلى الصائم)

وقال طاهر بن الحسين لأبي عبد الله المروزي منذكم صرت البالعراق يا أبا عبدالله قال دخلت العراق منذ عشرين سنة وانا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة قال يا أبا عبدالله سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين

العرب والمراثي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عوانة قال زياد بن أبيه من سعادة الرجل ان يطول عمره ويرى في عدوه مايسره قال الباهلي قيل لأعرابي مابال المراثي أجود أشعاركم ." (١)

" (واذا شنئت فتى شنئت حديثه ... واذا سمعت غناءه لم أطرب)

وأنشد المسروحي لكامل بن عكرمة

(لهاكل عام موعد غير منجز ... ووقت اذا ما رأس حول تجرما)

(فان وعدت شرا اتي قبل وقته ... وان وعدت خيرا أراث وعتما)

وقال الآخر

(ألم تر ان سير الخير ريث ... وان الشر راكبه يطير)

وقال محمد بن يسير

(تأتي المكاره حين تأتي جملة ... وترى السرور يجيء في الفلتات)

وقال الآخر

(اذا ما بريد الشام أقبل نحونا ... ببعض الدواهي المفظعات فأسرعا)

(فان كان شرا سار يوما وليلة ... وان كان خيرا أقصد السير أربعا)

وقال آخر

---

(١) البيان والتبيين، ص/٣٧١

(فاذا نهضت فما النهوض بدائم ... واذا نكبت توالت النكبات)

وقال آخر

(وتعجبنا الرؤيا فجل حديثنا ... اذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا)

(وان حسنت لم تأت عجلى وأبطأت ... وان قبحت لم تحتبس وأتت عجلى)

قيل لأعرابي ما أعددت للشتاء قال جلة ربوضا وصيصة سلوكا وشملة مكودا وقرمصا دفيئا وناقة مجالحة وقيل لاخرما أعددت للشتاء قال شدة الرعدة وقيل لاخر كيف ليلكم قال سحر كله وقيل لآخر كيف البرد عندكم قال ذلك الى الريح

وقال معن بن أوس المزني

(فلا وأبي حبيب ما نفاه ... من ارض بني ربيعة من هوان)

(وكان هو الغني الى غناه ... وكان من العشيرة في مكان)

(تكنفه الوشاة فأزعجوه ... ودعس من قضاعة غير وان)

(فلولا ان أم أبيه أمي ... وان من قد هجاه فقد هجاني)

(وان أبي أبوه لذاق مني ... مرارة مبردي ولكان شاني)

(اذا لأصابه مني هجاء ... يمر به الروي على لساني)

(أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني) ." [1]

" ١٢٠٦ - (أغبط) لفظ رواية الترمذي إن أغبط (الناس) اسم تفضيل مبني للمفعول من غبط أي أحقهم (عندي) بأن يغبط أي يتمنى مثل حاله ونص على العندية تأكيدا لاستحسان ذلك وجزما بأغبطية من هذا حاله (مؤمن) لفظ رواية الترمذي لمؤمن بزيادة اللام أي موصوف بأنه (خفيف الحاذ) بحاء مهملة وذال معجمة مخففة أي خفيف الظهر من العيال والمال بأن يكون قليلهما والغبطة تمني أن يكون لك مثل ماله ويدوم عليه ما هو فيه . قال الزركشي في اللآلىء : وأصل الحاذ طريقة المتن وهو ما يقع عليه اللبد من متن الفرس ضرب به المصطفى صلى الله عليه و سلم المثل لقلة ماله وعياله انتهى (ذو حظ من صلاة) أي ذو نصيب وافر منها من مزيد النوافل والتجهد (وكان رزقه كفافا) أي كافا عن الحاجة يعني بقدر حاجته لا ينقص ولا يزيد بل يكفيه على وجه التقنع والتقشف لا التبسط والتوسع كما يفيده قوله (فصبر عليه) أي حبس نفسه على القناعة به غير ناظر إلى توسع أبناء الدنيا في المطاعم والملابس ونحوها (حتى يلقى الله) أي إلى أن يموت فيلقاه (وأحسن عبادة ربه) بأن أتى بها بكمال الواجبات والمندوبات ونص على الصلاة مع دخولها فيها اهتماما بها لكونها أفضلها وخص الرب إشارة إلى أنه إذا أحسنها أحسن إليه بالقبول والتربية . ألا ترى إلى قوله في الحديث الآتي إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه ويربيها كما يربي أحدكم مهره حتى أن اللقمة لتصير مثل أحدا (وكان غامضا) بغين وضاد معجمتين أي خاملا لا يعرفه كل أحد وروي بصاد مهملة وهو فاعل بمعنى مفعول أي محتقرا (في أعين الناس عجلت منيته) أي كان قبض روحه سهلا لأن من كثر ماله وعياله شق عليه الموت لالتفاته إلى ما خلف

---

(١) البيان والتبيين، ص/٤٩٩

وطموحه إلى طيب العيش ولذة الدنيا والمنية الموت وسمي منية لأنه مقدر بوقت مخصوص (وقل ترابه) بمثناة فوقية مضمومة مبدلة من أو ثم مثلثة أي ميراثه (وقلت) وفي رواية فقلت (بواكيه) لقلة عياله وهوانه عليهم وهو جمع باكية ومنه حديث " اللهم غبطا لا هبطا " أي أسألك منزلة أغبط عليها لا ما يهبطني فمن قلت بواكيه وشكرت مساعيه وأنطق الله الألسنة بالثناء فيه فخليق بأن يغبط وإنما كان قليل العيال والمال أغبط من غيره لأن الأولاد من أعدى أعداء الإنسان وكثرة المال تحمله على الطغيان فإن فرض عدمه فذلك ضار له بطول وقوفه للحساب عليه حتى يسبقه الفقير إلى الجنة بخمس مئة عام وإن فرض وجود عيال تحمل الرجل على فعل ممنوع شرعا وقد كفاه غيره مؤنتهم لكن ما يعرض من حادث سرور أو شرور يشغله الالتفات له عن التفرغ لعبادة ربه وفيه حث على الخفاء وعدم الشهرة قال في الحكم ادفن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه وقيل لأعرابي من أنعم الناس عيشا قال أنا ؟ قيل فما بال الخليفة فقال :

وما العيش إلا في الخمول مع الغنى . . . وعافية تغدو بها وتروح

والخمول واجب في ابتداء السلوك عند الصوفية محبوب في غيره وتختلف باختلاف المقامات فخمول المريد عزلته عن الناس وخروجه عن أوصافه النفسانية بحيث لم يبق له ملكا ولا سلكا ولا علما ولا عملا ولا جاها ولا وجهة ولا قولا ولا فعلا وعلى أساس هذا الخمول تبنى قلعة التحصن من جند عدو النفس الشيطانية وخمول السالك إخفاء أفعاله الحسنة المتقرب بها إلى الحق فإظهار ما يناقضها حرصا على الرقي والخلاص إلى مقام الصدق بالإخلاص وهذا التستر محمود عند ذوي الحقيقة معظم بين أهل الطريقة حتى قالوا الخمول نعمة وكل الناس تأباه والظهور نقمة وكل الناس [ص ١٥] تتمناه والظهور يقطع الظهور وفيه حجة لمن فضل الفقير على الغني

(حم ت) في الزهد (ك هب) وكذا أبو نعيم (عن أبي أمامة) قال الزركشي في اللآلىء بعد عزوه للترمذي : إسناده ضعيف وقال الصدر المناوي فيه على بن زيد وهو ضعيف ." (١)

"قال: أما العباس فمات وعلي عنده أفضل الصحابة، وقد كان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما ينزل من النوازل، وما احتاج هو إلى أحدٍ حتى لحق بالله تعالى، وأما عبد الله فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين، وكان في حروبه رأساً متبعاً وقائداً مطاعاً، فإن كانت إمامة علي جوراً لكان أول من يقعد عنها أبوك لعلمه بدين الله تعالى وفقهه في أحكام الله.

فسكت المهدي وأطرق، ولم يمض بعد هذا المجلس إلا قليلٌ حتى عزل شريك.

لطيفة بين خالد بن عبد الله وأعرابي قصده

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي، حدثنا محمد بن كثير العبدي، حدثنا عبد الملك بن قريب الأصمعي، قال: حدثني عمر بن الهيثم، قال: بينما خالد بن عبد الله بظهر الكوفة متنزهاً إذ حضره أعرابي، فقال: يا أعرابي! أين تريد؟ فقال: هذه القرية – يعني الكوفة – قال: وماذا تحاول بها؟ قال: قصدت خالد بن عبد الله متعرضاً لمعروفه، قال: فهل تعرفه؟ قال: لا، قال: فهل بينك وبينه قرابة؟ قال: لا، ولكن لما بلغني من بذله المعروف، وقد قلت فيه شعراً أتقرب به إليه، قال: فأنشدني مما قلت فيه، فأنشأ يقول:

---

(١) فيض القدير، ٢/١٤

إليك ابن كرز الخير أقبلت راغباً ... لتجبر مني ما وهى وتبددا

إلى الماجد البهلول ذي الحلم والندى ... وأكرم خلق الله فرعاً ومحتدا

إذا ما أناسٌ قصروا في فعالهم ... نهضت فلم يلفى هنالك مقعدا

فيا لك بحراً يغمر الناس موجه ... إذا يسأل المعروف جاش وأزبدا

بلوت ابن عبد الله في كل موطنٍ ... فألفيت خير الناس نفساً وأمجدا

فلو كان في الدنيا من الناس خالدٌ ... لجودٍ بمعروف لكنت مخلدا

فلا تحرمني منك ما قد رجوته ... فيصبح وجهي كالح اللون أربدا

فحفظ خالد الشعر، وقال له: انطلق، صنع الله لك.

فلما كان من غدٍ ودخل الناس إلى خالدٍ واستوى السماطان بين يديه، تقدم الأعرابي وهو يقول: إليك ابن عبد القيس، فأشار إليه خالدٌ بيده أن اسكت.

ثم أنشد خالد بقية الشعر، وقال له: يا أعرابي! قد قيل هذا الشعر قبل قولك، فتحير الأعرابي وورد عليه ما أدهشه، وقال: والله ما رأيت كاليوم سبباً لخيبةٍ وحرمان، فانصرف وأتبعه خالدٌ برسولٍ ليسمع ما يقول، فسمعه الرسول يقول:

ألا في سبيل الله ماكنت أرتجي ... لديه وما لاقيت من نكد الجد

دخلت على بحرٍ يجود بماله ... ويعطي كثير المال في طلب الحمد

فحالفني الجد المشوم لشقوتي ... وقارنني نحسي وفارقني سعدي

فلو كان لي رزقٌ لديه لنلته ... ولكنه أمرٌ من الواحد الفرد

فقال له الرسول: أجب الأمير، فلما انتهى إلى خالدٍ، قال له: كيف قلت فأنشده، ثم استعاده فأعاده ثلاثاً إعجاباً منه به، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم.

تعليق نحوي

قوله: فلم يلفى، والوجه: لم يلف، ولكنه اضطر فجاء به على الأصل، كما قال الشاعر:

ألم يأتيك والأنباء تنمي ... بما لاقت لبون بني زياد

وقد استقصينا هذا الباب في غير هذا الموضع.

اعفني من أربع

حدثني عبيد الله بن محمد بن الأزدي، حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، قال: حدثني أبي، قال: أخبرنا بعض أصحابنا ، قال: كان عبدالملك بن مروان إذا دخل عليه رجلٌ من أفقٍ من الآفاق، قال له: اعفني من أربع، وقل بعدها ما شئت ألا تكذبني فإن الكذوب لا رأي له، ولا تجبني فيما لا أسألك عنه، فإن في الذي أسألك عنه شغلاً عما سواه، ولا تحملني على الرعية، فإنهم إلى معدلتي ورأفتي أحوج.

الزرع والجراد

حدثنا الحسين بن علي بن المرزبان النحوي، قال: حدثني أبو الحسن الأسدي أحمد بن عبد الله بن صالح بن شيخ بن

عميرة، حدثنا عبدالرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه الأصمعي، قال: **قيل لأعرابي**: أكان لك زرع؟ قال: نعم، ولكن أتانا رجلٌ من جراد، تنبل مناجل الحصاد، فسبحان مهلك القوي الأكول، بالضعيف المأكول.

المتفضل جاوز حد المنصف

حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن خلف السكري، حدثنا أبو يعلى زكريا بن يحيى بن خلاد المنقري البصري الصيرفي، ثنا الأصمعي، عمن أخبره:." (١)

"وقال أبو الحسن عن أبي خيران الحماني عن عوف الأعرابي عن أبي رجاء العطاردي قال: رأيت رجلاً مصطلم الأذن فقلت: أخلقة أم حادث ؟ قال: بل حادث. بينا أنا يوم الجمل أجول في القتلى، مررت برجل منهم ينشد: الطويل

لقد أوردتنا حومة الموت أمّنا ... فما صدرت إلاّ ونحن رواء

أطعنا قريشاً ضلّةً من حلومنا ... ونصرتنا أهل الحجاز عناء

لقد كان عن نصر ابن ضبّة أمّه ... وشيعتها مندوحةٌ وغناء

أطعنا بني تيم بن مرّة شقوةً ... وهل تيم إلاّ أعبدٌ وإماء

فقلت: من أنت ؟ قال: أدن مني أخبرك. فدنوت منه فأزم بأذني فقطعها وقال: إذا أتيت أمك فأخبرها أن عمير بن الأهلب فعل ذلك بي، ومات.

وقال أبو الحسن عن عامر بن حفص قال: بلغني أن رجلاً من بني الهجيم قال وهو بالموت: الرجز

كيف تراني والمنايا تعترك ... تنهض أحياناً وحيناً تبترك

وقال أبو الحسن عن عامر بن الأسود: ثقل وكيع بن أبي سود فأشرف عليه عدي بن أرطاة وهو يومئذ أمير البصرة من دار الإمارة، فقال: كيف أصبحت يا أبا المطرف ؟ قال: أصبحت وثاباً جرياً، فضحك عدي ورجع. فما جلس حتى سمع الواعية عليه.

وقال حمزة بن إبراهيم: قال لبطة بن الفرزدق: لما ظننا أن أبي قد احتضر بكينا حوله، ففتح عينيه ثم قال: أعلي تبكون ؟ فقلنا: أفعلى ابن المراغة نبكي ؟ قال: أو ها هنا موضع ذكره ؟ ثم أغمي عليه، فلما أفاق قال: الوافر

إذا ما دبّت الأنقاء فوقي ... وصاح صدىً عليّ مع الظّلام

لقد شمتت أعاديكم وقالت ... أدانيكم من أين لنا المحامي ؟

وقال أبو الحسن عن كليب بن خلف قال: قال وكيع بن أبي سود عند موته لأهله وولده: إني إذا مت جاءكم قوم قد سودوا جباههم، ونشروا لحاهم، وعرضوا نعالهم، يقولون إن على أبيكم ديناً فاقضوه، فلا تقضوا عني شيئاً، فإن على أبيكم من الذنوب ما إن غفرها الله فالدين من أيسرها.

قال أبو الحسن عن عامر بن الأسود قال: قيل لأبي السفاح بكير بن معدان أوص، قال: إنا الكرام يوم طخفة. قالوا: إنك في الموت فقل خيراً وتشهد. قال: غلامي إذا مات فهو حر.

---

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص/١٤٢

قال أبو الحسن: قال دحيم وهو بالموت: الرجز

قد وردت نفسي وما كادت ترد ... قد كنت ذا أزرٍ شديد المعتمد

وكنت ذا شغبٍ على الخصم الألدّ ... قد جاء قرنٌ ليس بالقرن يردّ

ثم هلك.

قال أبو الحسن: قيل لرجل وهو مريض: قل لا إله إلا الله. ب: فقال: لم يأن لذلك بعد.

وقيل لهرم بن حيان: أوص. فقال: صدقتني في الحياة نفسي، ما لي مال أوصيكم به، ولكني أوصيكم بخواتيم سورة البقرة.

وأخبر أبو الحسن عن شعبة بن عبد الله الأنصاري قال: عزى إياس بن معاوية رجلاً عن ابنه فقال: لا ينقص الله عددك، ولا يزل نعمةً عنك، وعجل الله لك من الخلف خيراً مما رزئت به وعزى آخر رجلاً فقال: إن فيما عوضك الله من الأجر خيراً مما فجعك به من الرزية.

وقيل لأعرابية: ما أحسن عزاءك عن ابنك ! فقالت: إن فقدانيه أمنني من المصائب بعده.

وقال: أخبرني سعيد عن رجل منهم قال: خرجت إلى اليمن فنزلت على امرأة منهم، فرأيت مالاً كبيراً ورقيقاً وولداً وحالاً حسنة، فأقمت حتى قضيت حاجتي. فأردت الرحيل فقلت لها: ألك حاجة ؟ قالت: نعم، كلما نزلت هذه البلاد فانزل علي، فغبرت أعواماً، ثم أتيت اليمن، فأتيت منزل المرأة فإذا حالتها قد تغيرت، وذهب رقيقها، ومات ولدها، وباعت منزلها، وإذا هي مسرورة بحالها، ضاحكة. فقلت: أتضحكين مع ما قد نزل بك ؟ قالت: يا عبد الله، كنت في حال النعمة ولي أحزان كثيرة، فعلمت أن ذلك من قلة الشكر، فأنا اليوم في هذه الحال أضحك شكراً لله على ما أعطاني من الصبر. فقلت لعبد الله بن عمر: ما رأيت منها ؟ فقال: ما كان صبر أيوب النبي عليه السلام إلى هذه بشيء.

وقال سفيان: شكا الربيع بن أبي راشد إلى محارب بن دثار إبطاء خبر أخيه جامع. فقال له محارب: إن لم تكن وطنت نفسك على فراق جامع فأنت عاجز.." (١)

"وحدثنا أبو بكر قال حدّثنا الرياشيّ عن العتبي قال: سئل أعرابي عن امرأة فقال: هي أرقّ من الهواء، وأطيب من الماء، وأحسن من النّعماء، وأبعد من السماء.

وحدثنا قال حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال: العرب تقول: لا ثناء مع الكبر، ولا صديق لذي الحسد، ولا شرف لسيّىء الأدب. قال: وكان يقال: شرّ خصال الملوك الجبن عن الأعداء، والقسوة على الضعفاء، والبخل عند الإعطاء.

وحدثني أبو يعقوب ورّاق أبي بكر بن دريد قال حدّثنا أحمد بن عبيد الجوهريّ قال سمعت أحمد بن عبد العزيز يقول سمعت أبي يقول: قام رجل إلى معاوية فقال له: سألتك بالرحم التي بيني وبينك؛ فقال: أمن قريش أنت؟ قال: لا؛ قال: أفمن سائر العرب؟ قال: لا؛ قال: فأيّة رحم بيني وبينك؟ قال: رحم آدم؛ قال: رحم مجفّوة، والله لأكوننّ من وصلها؛ ثم قضى حاجته.

وحدثنا أبو بكر قال حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال: **قيل لأعرابي** قدم الحضرة: ما أقدمك؟ فقال: الحين الذي يغطّي العين.

---

(١) التعازي والمراثي، ص/٦٤

وحدثنا أبو عبد الله نفطويه قال حدّثنا محمد بن موسى السامي قال حدّثنا الأصمعيّ قال: مات ولد لرجل من الأعراب فصلّى عليه فقال: اللهم إن كنت تعلم أنه كريم الجدّين، سها الخدّين؛ فاغفر له وإلا فلا.

وحدثنا قال حدّثنا أحمد بن يحيى النحويّ عن ابن الأعرابي قال: ضلّت ناقة أبي السّمّال فقال: والله لئن لم يردّها الله عليّ لا أصل أبداً؛ قال: فوجدها متعلقة بزمامها بشجرة؛ فقال: علم الله أنها منّي صرّى، أي عزيمة.

وحدثني أيضاً قال حدّثني أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال: قيل لابنه الخسّ: ما أحدّ شيء؟ قالت: ضرس جائع، يقذف في معىً ضائع.قيل: فما ألذّ شيء؟ قالت: قبلة فتاة فتىً، وعيشك ما ذقتها. وقرأنا على أبي بكر بن دريد قول الشاعر:

وخمار عانية شددت برأسها ... أصلاً وكان منتشّراً بشمالها

هذه امرأة فزعة، أخذت خمارها بيدها، فلما أدركها أمنت فاختمرت؛ ونحو منه بيت عنترة:

ومرقصة رددت الخيل عنها ... وقد همّت بإلقاء الزّمام

مرقصة: امرأة قد ركبت بعيراً فهي ترقصه، أي تنزّيه وتحثّه، وقد همّت أن تلقي زمامها وتستسلم.

" مطلب استعطاف إبراهيم بن المهدي للمأمون وعفوه عنه وردّ ماله وضياعه إليه " وحدثنا الأخفش قال: بلغني أن إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون قبل رضاه عنه فقال: يا أمير المؤمنين، ولى الثأر محكّم في القصاص، ومن تناوله الاغترار بما مدّ له من أسباب الرخاء أمن عادية الدّهر، وقد جعلك الله فرق كل ذي ذنب، كما جعل كل ذي ذنب دونك، فإن تأخذ فبحقّك، وإن تعف فبفضلك؛ ثم قال:

ذنبي إليك عظيم ... وأنت أعظم منه

فخذ بحقّك أولاً ... فاصفح بفضلك عنه

إن لم أكن في فعلي ... من الكرام فكنه

فقال: القدرة تذهب الحفيظة، والندم توبة، وعفو الله بينهما، وهو أكبر ما يحاول؛ يا إبراهيم، لقد حبّبت إليّ العفو حتى خفت إلاّ أوجر عليه، لا تثريب عليك، يغفر الله لك. وعفا عنه وأمر بردّ ماله وضياعه؛ فقال:

رددت مالي ولم تخل عليّ به ... وقبل ردّك مالي قد حقنت دمي

فأبت منك وما كافأتها بيد ... هما الحياتان من وفر ومن عدم

وقام علمك بي فاحتجّ عندك لي ... مقام شاهد عدل غير متّهم

فلو بذلت دمي أبغي رضاك به ... والمال حتّى أسلّ النّعل من قدمي

ما كان ذاك سوى عاريّة رجعت ... إليك لو لم تهبها كنت لم تلم." (١)

"ما لرسولي أتاني منك بالياس ... وقال أظهرت بعدي جفوة القاسي

إني أحبّك حبذاً لا لفاحشة ... والحبّ ليس به في الله من باس

وقرأت على أبي بكر بن دريد:

---

(١) أمالي القالي، ص/٩٥

ولّما أبى إلا جماحاً فؤاده ... ولم يسل عن ليلى لمال ولا أهل

تسلّى بأخرى غيرها فإذا التي ... تسلّى بها تعزى بليلى ولا تسلى

وأنشدنا أبو عبد الله:

يا منية النفس إن أعطيت منيتها ... وسؤلتي إن دنونا أو نأيناك

هل بعثنا ببديل منذ لم نركم ... فما بشيء من الأشياء بعناك

إن كنت لم تذكرينا عند فرقتنا ... فيشهد الله أنّا ما نسيناك

وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: تذاكر قوم صلة الرّحم وأعرابي جالس، فقال: منسأة في العمر، مرضاة للرب، محبّة في الأهل.

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: وصف أعرابيّ ناقة فقال: إذا اكحالّت عينها، وأللت أذنها، وسجح خدّها، وهدل مشفرها، واستدارت جمجمتها، فهي الكريمة.

قال أبو علي: سجح: سهل وحسن. وهدل: استرخى.

وحدثنا أبو بكر قال حدّثنا عبد الرحمن قال سمعت عمي يقول سمعت أعرابية تقول لرجل: رماك الله بليلة لا أخت لها، أي لا تعيش بعدها.

وحدذثنا أبو بكر قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه قال قال أكثم بن صيفيّ: سوء حمل الفاقة يحرض الحسب، ويقويّ الضّرورة، ويذئر أهل الشّماتة.

قال أبو علي: يذئر: يحرّش، يقال: أذرأته بأخيه إذا حرّشته عليه وأولعته به، وقد ذئر هو ذأراً حين أذرأته؛ قال الشاعر:

ولقد أتاني عن تميم أنّهم ... ذرئوا لقتلي عامر وتغضّبوا

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال قال بعض العرب: أولى الناس بالفضل أعودهم بفضله، وأعون الأشياء على تذكية العقل التعلم، وأدلّ الأشياء على عقل العاقل حسن التدبير.

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال قال رجل من العرب: ما رأيت كفلان، إن طلب حاجة غضب قبل أن يردّ عنها، وإن سئل حاجة ردّ صاحبها قبل أن يفهمها.

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال قال بعض الأعراب: لا أعرف ضراً أوصل إلى نياط القلب من الحاجة إلى من لم تثق بإسعافه ولا تأمن ردّه، وأكلم المصائب فقد خليل لا عوض منه.

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: ذكر رجل حاتماً الطائي فقال: كان إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سئل وهب، وإذا أسر أطلق.

وحدّثنا قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: **قيل لأعرابي**: أيّ شيء أمتع؟ فقال: ممازحة المحبّ، ومحادثة الصديق، وأمانيّ تقطع بها أيّامك.

وحدّثنا قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه قال سمعت أعرابياً يقول: من لم يرض عن صديقه إلا بإيثاره على نفسه دام سخطه،

ومن عاتب على كل ذنب كثر عدّوه، ومن لم يؤاخ من الإخوان إلا من لا عيب فيه قلّ صديقه. وأنشدنا أبو عبد الله:

الرّمح لا أملأ كفي به ... واللّبد لا أتبع تزاوله

يقول: لا أقاتل بالرمح وحده فأشغل كفي به دون غيره من السلاح، ولكني أقاتل به وبغيره، وإذا زال اللّبد عن متن الفرس لم أزل معه وثبتّ؛ يصف نفسه بالفروسية.

وحدّثنا أبو بكر ابن الأنباري قال حدّثنا عبد الله بن خلف عن موسى بن صالح عن معاوية بن صدقة الجحدريّ قال: كان رجل من مجاشع يقال له: سعد بن مطرّف، يهوى ابنة عمّ له يقال لها: سعاد، فكان يأتيها ويتحدث إليها ولا يعلمها بما هو عليه من حبّها، حتى سلّ جسمه ونحل بدنه، فبينا هو ذات يوم معها جالس إذ نظر إليها وأنشأ يقول:

وما عرضت لي نظرة مذ عرفتها ... فأنظر إلا مثّلت حين أنظر

أغار على طرفي لها فكأنني ... إذا رام طرفي غيرها لست أبصر

وأحذر أت تصغي إذا بحت بالهوى ... فأكتمها جهدي هواي وأستر

فلّما سمعت ذلك منه ساءها وكرهت أن ينشر خبرهما، فأقصته وأظهرت هجره؛ فكتب إليها:

متّ شوقاً وكدت أهلك وجداً ... حين أبدى الحبيب هجراً وصدّا

بأبي من إذا دنوت إليه ... زادني القرب منه نأياً وبعدا." (١)

"السنا: الضوء، فيقول: كأن على أعرافه ولجامه ضوء ضرم، واذا كان له ضوء كان له حفيف، فيقول: يحف من شدة العدو حتى كأن عرفجاً يضرم على أعرافه وعنانه ومثله قول العجاج:

كأنما يستضرمان الرفجا

يستضرمان: يوقدان، يعني حمارين كأنما حفيفهما حفيف العرفج. وكان ابن الأعرابي يقول: سألت غنياً كلها أو سمعت غنياً تقول: إنما وصفه بالشقرة شبه شقرته على عنانه في حر الشمس بتوقد النار في يبيس العرفج. وكان عمارة بن عقيل يقول أيضاً: وصفه بالشقرة. قال أبو علي: وبيت طفيل هذا أحد الأبيات التي غلبت فيها أبو نصر على ابن الأعرابي وذلك أن أبا نصر ذهب فيه الى قول الأصمعي وهو التفسير الأول ومثله في الحفيف:

جموحاً مروحاً واحضارها ... كمعمعة السّعف المحرق

" حديث رجل من الأعراب تزوج اثنتين وقد قيل له من لم يتزوج اثنتين لم يذق حلاوة العيش " قال أبو علي: وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: **قيل لأعرابي**: من لم يتزوج امرأتين لم يذق حلاوة العيش فتزوج امرأتين ثم ندم فأنشأ يقول:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي ... بما يشقى به زوج اثنتين

فقلت أصير بينهما خروفاً ... أنعم بين أكرم نعجتين

فصرت كنعجة تضى وتمسي ... تداول بين أخبث ذئبتين

(١) أمالي القالي، ص/١٠٢

رضا هذي يهيج سخط هذي ... فما أعرى من أحدي السخطتين

وألقى في المعيشة كلّ ضرّ ... كذاك الضّرّ بين الضرتين

لهذي ليلة ولتلك أخرى ... عتابٌ دائمٌ في الليلتين

فإن أحببت أن تبقى كريماً ... من الخيرات مملوء اليدين

وتدرك ملك ذي يزن وعمرو ... وذي جدنٍ وملك الحارثين

وملك المنذرين وذي نواسٍ ... وتبعٍ القديم وذي رعين

فعش عزباً فإن لم تستطعه ... فضرباً في عراض الجحفلين

" حديث الأصمعي مع رجل من أهل حمى ضرية " قال أبو علي: وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: كنت مؤاخياً لرجل من أهل حمى ضرية، وكان جواداً رث الحل، فمررت به يوماً في بعض ترددي على الأحياء فإذا هو كئيبٌ، فسألته عن شأنه فقال:

ثمانين حولاً لا أرى منك راحةً ... لهنك في الدنيا لباقية العمر

فإن أنقلب من عمر صعبة سالماً ... تكن من نساء الناس لي بيضة العقر

والبيتان لعروة الرحال فأقبلت عليه أعظه وأصبّره، فأشنأ يقول:

لو أن نفسي في يدي مطيعتي ... لأرسلتها مما ألاقي من الهمّ

ولو كان قتيلها حلالاً قتلتها ... وكان ورود الموت خيراً من الغم

تعرضت للأفعى أحاول وطأها ... لعلي أنجو من صعيبة بالسمّ

فيا رب إكفنيها وإلا فنجني ... وإن كان يومي قبلها فاقضين حتمي

قال أبو علي: وحدثنا أبو بكر رحمه الله أن أبا عثمان أنشدهم عن التوزي عن أبي عبيدة لأعرابي طلق امرأة ندم فقال:

ندمت وما تغني الندامة بعد ما ... خرجن ثلاثٌ ما لهنّ رجوع

ثلاثٌ يحرمن الحلال على الفتى ... ويصدعن شعب الدار وهو ربيع

" حديث عمر بن عبد العزيز رحمه الله مع وافد عليه " قال أبو علي: وحدّثنا أبو بكر رحمه الله قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: بلغني أن وافداً وفد على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال له: كيف تركت الناس؟ قال: تركت غنيهم موفوراً، وفقيرهم محبوراً، وظالمهم مقهوراً، ومظلومهم منصوراً، فقال: الحمد لله، لو لم تتم واحدة من هذه الخصال إلا بعضو من أعضائي لكان يسيراً.

"كلام بعض الحكماء " وحدثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال قال بعض الحكماء: من كانت فيه سبع خصال لم يعدم سبعاً: من كان جواداً لم يعدم الشرف، ومن كان ذا وفاء لم يعدم المِقة، ومن كان صدوقاً لم يعدم القبول، ومن كان شكوراً لم يعدم الزيادة، ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعدم السؤدد، ومن كان منصفاً لم يعدم العافية، ومن كان

متواضعاً لم يعدم الكرامة.

" حديث قس بن ساعدة مع قيصر "." (١)

"هم خير من يمشي على الأرض معشرا ... لجارٍ جنيبٍ أو لضيفٍ محوّل

إذا طانبت أبياتهم بيت جارهم ... فقد حلّ حيث العصم من فرع يذبل

معاقلهم في يوم كلّ كريهة ... قواضب تقضي بالحمام المعجّل

مغايير دون المحصنات إذا بدت ... كواكب صبح تحت ظلماء قسطل

إذا البطل المرهوب سطوة بأسه ... تقى لهم الرّوع يوماً بالنجاء الهمرجل

ألاذت بأحقيهم بنوا الحرب في الوغى ... فكانوا لهم ملموت أمنع معقل

بمجدكم آليت أنّ أكفّكم ... على الناس أجرى من رواجس هطّل

وإن لكم في ذروة المجد سورةً ... تقاصر عنها كلّ بدءٍ مرفّل

قال أبو علي: القسطل: الغبار. والهمرجل: السريع. وأحقيهم: جمع حقوٍ. والبدء: السّيّد، قال أوس بن مغراء:

ترى ثنايا إذا ما جاء بدأهم ... وبدؤهم إن أتانا كان ثنيانا

قال أبو علي: الثّني والثّنيان: دون السّيّد، وقد ذكرنا الإختلاف فيه واشتقاقه في كتابنا المقصور والممدود. والمرفّل: المعظّم، قال الشاعر:

إذا نحن رفّلنا امرأً ساد قومه ... وإن كان فيهم سوقةً ليس يعرف

" ما قيل في كتمان السر " قال وأنشدنا أبو بكر بن الأنباري قال أنشدني أبي رحمه الله لقيس بن ذريح:

لو أن امرأً أخفى الهوى من ضميره ... لمتّ ولم يعلم بذاك ضمير

ولكن سألقى الله والنفس لم تبح ... بسرّك والمستخبرون كثير

قال وقرأت على أبي بكر بن دريد:

ومستخبرٍ عن سرّ ريّا رددته ... بعمياء من ريّا بغير يقين

فقال ائتمنّي إنني ذو أمانة ... وما أنا إن خبّرته بأمين

قال وقرأت عليه لمسكين:

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم ... على سرّ بعضٍ كان عندي جماعها

لكلّ امرئ شعبٌ من القلب فارغٌ ... وموضع نجوى لا يرام اطّلاعها

يظلّون شتّى في البلاد وسرّهم ... إلى صخرةٍ أعيا الرجال انصداعها

قال وقرأت على أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة عن أبيه قال: **قيل لأعرابي**: كيف كتمانك للسرّ؟ أجحد المخبر، وأحلف للمستخبر.

---

(١) أمالي القالي، ص/١٥٠

قال وقرأت على أبي بكر في شعر قيس بن الخطيم:

أجود بمضنون التّلاد وإنّني ... بسّرك عمن سالني لضنين

إذا جاوز الإثنين سرٌ فإنه ... بنثٌ وتكثير الحديث قمين

وإن ضيّع الإخوان سراً فإنني ... كتومٌ لأسرار العشير أمين

يكون له عندي إذا ما ضمنته ... مكانٌ بسوداء الفؤاد كنين

ويروى:.. ... ... إذا ما ائتمنته ... مقرٌ بسوداء الفؤاد كنين

سلي من جليسي في النّديّ وما لقي ... وهو من لي عند الصفاء خدين

وأيّ أخى حربٍ إذا هي شمّرت ... ومدره خصمٍ يا نوار أكون

ويروى: عند ذاك أكون.

وهل يحذر الجار الغريب فجيعتي ... وخوني وبعض المقرفين خؤن

وما لمعت عيني لغرة جارةٍ ... ولا ودعت بالذّم حين تبين

أبى الذّمّ آباء نمتنى جدودهم ... وفعلي بفعل الصالحين معين

فهذا كما قد تعلمين وإنّني ... لجلدٌ على ريب الخطوب متين

وإني لأعتام الرّجال بخلّتي ... أولى الرأي في الأحداث حين تحين

فأبري صدري وأصفي مودّتي ... وسرّك عندي بعد ذاك مصون

أمرّ على الباغي ويغلظ جانبي ... وذو الودّ أحلولي له وألين

" فصل في ألفاظ معناها واحد وبعض حروفها مختلفة " قال أبو علي الأصمعي يقال: طاروا عباببد وأباديد أي متفرقين.

ويقال: هاث فيه وغاث إذا أفسد وأخذ الشيء بغير رفق. ويقال: بطّ فلان جرحه وبجّه وأنشد:

لجاءت كأنّ القسور الجون بجّها ... عساليجه والثّامر المتناوح." (١)

"وصاحب السوء كالداء الغميص إذا ... يرفضّ في الجوف يجري ها هنا وهنا

يبدي ويظهر عن عورات صاحبه ... وما رأى من فعالٍ صالح دفنا

كمهر سوءٍ إذا سكّنت سيرته ... رام الجماح وإن رفّعته سكنا

إن عاش ذاك فأبعد عنك منزله ... أو مات ذاك فلا تقرب له جنبا

قال أبو علي يقال: غمص وغمض، فمن قال، غمض قال في الفاعل: غميص، ومن قال: غمض، قال في الفاعل: غامض.

والجنن والريم والرمس والجدث والجدف: القبر.

قال وقرأت عليه قال أنشدنا أبو العباس عن ابن الأعرابي:

وإذا صاحبت فاصحب ماجداً ... ذا عفاف وحياء وكرم

---

(١) أمالي القالي، ص/٢١٣

قوله للشيء لا إن قلت لا ... وإذا قلت نعم قال نعم

قال وقرأت عليه قال حدّثنا أبو العباس عن ابن الأعرابي قال **قيل لأعرابي**: أيّما أحبّ إليك، الخبز أو التمر؟ فقال: التمر حلوٌ، وما عن الخبز مصبّر. قال: ومضى هذا الأعرابي الذي قال: التمر حلو ثم عاد، فقيل له: مالك عدت؟ فقال: إن الذئب لا يدع غيطاً شبع فيه.

قال وحدثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: نزل رجلٌ من العرب في قوم عدىً فأساؤوا عشرته، فقيل له، كيف وجدت جيرتك؟ فقال: يغتابنا أقصاهم، ويكذب علينا أدناهم، ويكثرون لدينا نجواهم، ويكشفون علينا خصاهم.

قال وحدثني أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: قرأ إمام " والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحقّ ولا يزنون " ثم أرتج عليه، فقال أعرابي من خلفه: إنك يا إمام ما علمت لفعولٌ لما تحيّرت فيه.

قال وأنشدنا أبو بكر:

وكنا كغصني بانةٍ ليس واحدٌ ... يزول على الحلات عن رأي واحد

تبدّل بي خلاً فخاللت غيره ... وخلّيته لمّا أراد تباعدي

ولو أن كفي لم تردني أبنتها ... ولم يصطحبها بعد ذلك ساعدي

ألا قبح الرحمن كلّ مماذق ... يكون أخاً في الخفض لا في الشدائد

قال وحدثنا أبو بكر بن الأنباري قال حدّثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال: أنشدنا عبد الله ابن شبيب:

طرقتك بين مسبّح ومكبّر ... بحطيم مكّة حيث كان الأبطح

فحسبت مكّة والمشاعر كلّها ... ورحالنا باتت بمسكٍ تنفح

قال وقرأت على أبي عمر قال: أنشدنا أبو العباس عن ابن الأعرابي:

خبّرونا بأنني قد تزوّج ... ت فظلّت تكاتم الغيظ سرا

ثم قالت لأختها ولأخرى ... جزعاً ليته تزوّج عشرا

وأشارت إلى نساء لديها ... لا ترى دونهنّ للسرّ سترا

ما لقلبي كأنّه ليس مني ... وعظامي إخال فيهنّ فترا

من حديث نمي إليّ فظيع ... خلت في القلب من تلظّيه جمرا

قال: وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال: أنشدنا أبو عثمان الأشناندايي:

بئس قريناً يفنٍ هالك ... أمّ عبيدٍ وأبو مالك

قال: أم عبيد: المفازة. وأبو مالك: الكبر، وأنشد:

أبا مالكٍ إنّ الغواني هجرنني ... أبا مالكٍ إنّي أظنّك دائبا

قال أبو علي قال الأصمعي: يقال: قرقاط وقرطان. وحجرٌ أيرّ إذا كان صلاداً صلباً. ويقال: اغبن من ثوبك واخبن واكبن. ويقال للناس والدواب إذا مرّوا يمشون مشياً ضعيفاً: مرّوا يدبون دبيباً ويدجّون دجيجاً. ويقال: أقبل الحاجّ والدّاجّ، فالحاجّ: الذين يحجّون، والداجّ: الذين يدجّون في أثر الحاج. ويقال للرجل والدابة إذا تعوّد الأمر: قد جرن عليه يجرن جرونا، ومرن عليه مروناً ومرانة.

وقال أبو عبيدة؛ ريحٌ ساكرةٌ وساكنةٌ. والزور والزون: كل شيء يتّخذ ربّاً ويعبد، وأنشد:

جاءوا بزوريهم وجئنا بالأصمّ

وكانوا جاءوا ببعيرين فعقلوهما وقالوا: لا نفرّ حتى يفرّ هذان فعابهم بذلك، وجعلهما ربّين لهم.

قال أبو علي قال أبو عمرو الشيباني: المغطغطة والمغطمطة: القدر الشديدة الغليان. وحكى الفراء عن امرأة من بني أسد أنها قالت: جاءنا سكران ملتكّاً في معنجاء ملتخاً وهو اليابس من السكر. وقال ابن الأعرابي: شيخٌ تاكٌّ وفاكٌّ، وقحرٌ وقحمٌ.." (١)

"كان الحسن البصري يقول: إذا بلغك عن أخيك ما تكره فابحث عن عذر، فإن لم تجد له عذراً فقل: لعل له عذراً. إذا لم تجد له عذراً، فمطلوب منك أن تستغفر له، ويجب أن تتمتع بقدر من التغابي، لا أقول الغباء؛ فإن العلم لا يصلح لغبي، لا يتعلم غبي ولا عصبي، لكن ينبغي أن تتمتع بقدر كبير من التغابي.. **قيل لأعرابي**: من العاقل؟ قال الفطن المتغافل. إذاً تتغافل، أنت تعرف أن هذا الإنسان فعل فعلاً ويريد أن يخرج من سخطك بعذر، فلو لم تكن صاحب حشمة ولم تعذره لما خرج من سخطك، هو يحسن نفسه أمامك؛ لأنه ما زال يحترمك، ما زلت كبير القدر عنده، فلا تضع قدرك، طالما أنه حريص على أن يواري سوأته عنك، فأتح له الفرصة، وافتح له طريق. والنبي عليه الصلاة والسلام قال: (ما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه) قال نحو هذا الكلام لعائشة رضي الله عنها لما كانت تسرع بالجمل، قال: (يا عائشة ! عليك بالرفق) حتى مع الدواب. وأنا أقول لك مثلاً: تخيل أنك تدق مسماراً في هذا حائط، وأنت رجل لديك عضلات قوية، وضربت المسمار ضربة قوية، ماذا سيحدث؟ سيرتد عليك، لكن لو ضربت عليه بهدوء، سيثبت ويستقيم معك. هناك ناس كثيرون مثل هذا المسمار لا يأتي إلا بالدق، لا يأتي بالذوق أبداً، فأنت كن حليماً، وكن رفيقاً، ينبغي أن يتخلق الداعية بالحلم، فلست جهة محاسبة، أنت جهة إصلاح. وأيضاً نقول لإخواننا الذين يتعلمون -لا أقصد إخواننا الدعاة؛ لأنهم أفضل مني، ولا أنصحهم ولا أعيبهم، هم يعرفون ذلك، لكن إخواني الذين يريدون أن يترقوا بالعلم-: عليكم بالرفق، أخي! عليك بالرفق لكي تصل إلى مطلوبك، إياك وأنت تطلب العلم أن تفكر أن تكون إدارياً، الإداري مكروه، حتى وإن كان محقاً فيما يفعل، لكنه مكروه، لو تعامل الإداري الداعية بأسلوب الدعاة أفسد الإدارة.. لماذا؟ لأن الإدارة تحتاج إلى حزم، كل شخص يأتي ويقول: يا إداري سهّل لي المسألة الفلانية، وأدخلني إلى." (٢)

---

(١) أمالي القالي، ص/٢١٦

(٢) شرح كتاب العلم من صحيح البخاري للحويني، ص/٧٣

"وجبذته بمعنى جذبته ومثله كبكبت الشيء وبكبكته إذا طرحت بعضه على بعض وهجهجت بالسبع وجهجهت به وفثأت القدر وثفأتها إذا سكنت غليانها وقول مروان ذهب ما تعلم أي ترك اتباع السنة وقوله ((يكثرن اللعن ويكفرن العشير)) قد سبق في مسند ابن عباس

وذكر نقصان عقلهن ودينهن قد تقدم في مسند ابن عمر وأما امرأة ابن مسعود فاسمها زينب بنت أبي معاوية الثقفية وقد دل حديثها على أن الصدقة على الأقارب أولى من الصدقة على الأجانب

١٤٦٢ ١٧٧٠ - وفي الحديث الثامن والثلاثين في ذكر أبي طالب ((لعله تنفعه شفاعتي فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه)) قال ابن الأنباري الضحضاح القليل من العذاب والعرب تسمى الماء القليل ضحضاحا **قيل لأعرابي** إن فلانا يدعي الفضل عليك فقال لو وقع في ضحضاح مني لغرق أي في القليل من مياهي وقال غيره الضحضاح ما يبلغ الكعبين وكل ما رق من الماء على وجه الأرض فهو ضحضاح

١٤٦٣ ١٧٧١ - وفي الحديث التاسع والثلاثين ((من صام يوما في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا)) إذا أطلق ذكر سبيل الله كان المشار به إلى الجهاد والخريف زمان معلوم من السنة تخترف فيه الثمار المراد به ها هنا السنة كلها والمعنى مسيرة سبعين سنة

١٤٦٤ ١٧٧٢ - وفي الحديث الأربعين الجواد المضمر وقد

سبق بيانه في مسند سهل بن سعد

١٤٦٥ ١٧٧٣ - وفي الحديث الحادي والأربعين نهى عن المزابنة والمحاقلة وقد فسرناه في مسند ابن عباس ". (١)

"""""""""" صفحة رقم ٣٧٣ """""""""

وهو إذا قيل له : ويهاً فل . . . فإنه أحج به أن ينكل قيل لصوفي : ما حد الشبع ؟ قال : لا حد له ، ولو أراد الله أن يؤكل بحدٍ لبين كما بين جميع الحدود . وكيف يكون للأكل حد ، والأكلة مختلفو الطباع والمزاج والعارض والعادة ، وحكمة الله ظاهرة في إخفاء حد الشبع حتى يأكل من شاء على ما شاء كما شاء . وقيل لصوفٍي : ما حد الشبع ؟ فقال : ما نشط على أداء الفرائض ، وثبط عن إقامة النوافل . وقيل لمتكلم : ما حد الشبع ؟ فقال : حده أن يجلب النوم ، ويضجر القوم ، ويبعث على اللوم . وقيل لطفيلي : ما حد الشبع ؟ قال : أن يؤكل على أنه آخر الزاد ، ويؤتى على الجل والدق . **وقيل لأعرابي** : ما حد الشبع ؟ قال : أما عندكم يا حاضرة فلا أدري ؛ وأما عندنا في البادية فما وجدت العين ، وامتدت إليه اليد ، ودار عليه الضرس وأساغه الحلق ، وانتفخ به البطن ، واستدارت عليه الحوايا ، واستغاثت منه المعدة ، وتقوست منه الأضلاع ، والتوت عليه المصارين ، وخيف منه الموت . وقيل لطبيب : ما حد الشبع ؟ قال : ما عدل الطبيعة ، وحفظ المزاج وأبقى الشهوة لما بعد . وقيل لقصار : ما حد الشبع ؟ قال : أن تثب إلى الجفنة كأنك سرحان

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص/٧٨٠

وتأكل وأنت غضبان ، وتمضغ كأنك شيطان ، وتبلغ كأنك هيمان ، وتدع وأنت سكران ، وتستلقي كأنك أوان . وقيل لحمال : ما حد الشبع ؟ قال : أن تأكل ما رأيت بعشر يديك غير عائفٍ ولا متقززٍ ، ولا كارهٍ ولا متعزز .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٣٨٥ """""""""

قال المفجع : الرأس الرئيس . اشتد بأبي فرعون الشاشي الحال فكتب إلى بعض القضاة بالبصرة : يا قاضي البصرة ذا الوجه الأغر . . . إليك أشكو ما مضى وما غبر عفا زمانٌ وشتاءٌ قد حضر . . . إن أبا عمرة في بيتي انجحر يضرب بالدف وإن شاء زمر . . . فاطرده عني بدقيق ينتظر فأجابه إلى ما سأل . ويقال : وقف أعرابيٌ على حلقة الحسن البصري رحمة الله عليه ، فقال : رحم الله من أعطى من سعة ، وواسى من كفاف ، وآثر من قلة . فقال الحسن : ما أبقى أحداً إلا سأله . وقال ابن حبيب : يقال أحمق من الضبع ، وذلك أنها وجدت تودية في غدير ، فجعلت تشرب الماء وتقول : يا حبذا طعم اللبن حتى انشق بطنها فماتت . والتودية : العود يشد على رأس الخلف لئلا يرضع الفصيل أمه . دعا رجل آخر فقال له : هذه تكسب الزيارة وإن لم تسعد ، ولعل تقصيراً أنفع فيما أحب بلوغه من برك . فقال صاحبه : حرصك على كرامتي يكفيك مؤونة التكلف لي . **قيل لأعرابي** : لو كنت خليفةً كيف كنت تصنع ؟ قال : كنت أستكفي شريف كل قومٍ ناحيته ، ثم أخلو بالمطبخ فآمر الطهاة فيعظمون الثريدة ويكثرون العراق ، فابدأ فآكل لقماً ، ثم آذن للناس ، فأي ضياعٍ يكون بعد هذا ؟." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٣٨٦ """""""""

وقال أعرابي لابن عم له : والله ما جفانكم بعظام ، ولا أجسامكم بوسام ، ولا بدت لكم نار ، ولا طولبتم بثار . **وقيل لأعرابي** : لم قالت الحاضرة للعبد : باعك الله في الأعراب ؟ قال : لأنا نعري جلده ، ونطيل كده ، ونجيع كبده . وقال طفيلي : إذا حدثت على المائدة فلا تزد في الجواب على نعم ، فإنك تكون بها مؤانساً لصاحبك ، ومسيغاً للقمتك ، ومقبلاً على شأنك . **وقيل لأعرابي** : أي شيء أحد ؟ قال : كبدٌ جائعة ، تلقى إلى أمعاء ضالعة . وقيل لآخر : أي شيء أحد ؟ قال ضرس جائع ، يلقى إلى معي ضالع . وقال آخر : أحب أن أصطاد ضباً سحبلا . . . وورلاً يرتاد رملاً أرملا قالت سليمى لا أحب الجوز لا . . . ولا أحب السمكات مأكلا الجوزل : فرخ الحمام . والورل : دابة . أرمل : صفةٌ للورل . وإذا كان كذلك كان أسمن له ، وهو يسفد فيهزل . ويقال : أقبح هزيلين : المرأة والفرس ، وأطيب غثٍ أكل غث الإبل ، وأطيب الإبل لحماً ما أكل السعدان ، وأطيب الغنم لبناً ما أكل الحربث . ويقال : أهون مظلومٍ سقاءٌ مروب ، وهو الذي يسقى منه قبل أن يمخض وتخرج زبدته .." (٣)

"""""""""" صفحة رقم ٤٣٦ """""""""

تحث على البسالة والإقدام والانتصار والحمية والجسارة ؛ وربما عدلت إلى أضداد هذه الأخلاق والسجايا والضرائب

---

(١) الإمتاع والمؤانسة، ص/٣٧٣

(٢) الإمتاع والمؤانسة، ص/٣٨٥

(٣) الإمتاع والمؤانسة، ص/٣٨٦

والأحوال ؛ في أوقاتٍ يحسن فيها بعضها ، ويقبح بعضها ، ويعذر صاحبها في بعضها ، ويلام في بعضها ؛ وذلك لأن الطبائع مختلفة ، والغرائز متعادية ، فهذا يمدح البخل في عرض الحزم ، وهذا يحمد الاقتصاد في جملة الاحتياط ، وهذا يذم الشجاعة في عرض طلب السلامة ؛ وليس في جميع الأخلاق شيءٌ يحسن في كل زمانٍ وفي كل مكانٍ ، ومع كل إنسان ، بل لكل ذلك وقتٌ وحينٌ وأوان . قال : ولعمري إن القيام بحقائق هذه الأشياء وحدودها صعبٌ ، لأنها لا توجد إلا متلابسةً ومتداخلةً ، وتخليص كل واحدٍ منها بحده وحقيقته ووزنه مما يفوت ذرع الإنسان الضعيف المنة ، المنتشر الطينة . قال : ومنه أن الحكيم قال للإسكندر : أيها الملك أرد حياتك لرجالك ، ولا ترد رجالك لحياتك ؛ ولو قلب عليه قالبٌ فقال : لا ، ولكن أرد رجالك لحياتك ، ولا ترد حياتك لرجالك ، لكان الفضل واقعاً ، والدعوى قائمة . وكان يحكى عن أعرابي حديثٌ مضحكٌ : قيل لأعرابي : أتريد أن تصلب في مصلحة الأمة ؟ فقال : لا ، ولكني أحب أن تصلب الأمة في مصلحتي . قال : وليس يجوز أن يكون الناس مختلفين في ظاهرهم بالصور والحلي حتى يعرف بها زيدٌ من عمرو ، وبكرٌ من خالد ، ولا يختلفون في باطنهم حتى يكون هذا مطبوعاً على الشح وإن مدح الجود ، وهذا مجبولاً على الجبن وإن تشيع للشجاعة ؛ وليس يجوز في الحكمة أن يكثروا ولا يختلفوا ، وليس يجوز أيضاً أن يضم الجنس والنوع ولا يأتفلوا ؛ وكل ما أساغته الحكمة أبرزته القدرة ، وكل ما جادت به القدرة شهدت له الحكمة ؛ فسبحان من له هذا التدبير اللطيف ، وهذا العز الغالب ، وهذا السر الخافي ، وهذه العلانية البادية ، وهذا الفعل المحكم ، وهذا النعت المستعظم .." [1]

" صفحة رقم ٦١

شديدا) ولو أن بينها وبينه) أي ذلك العمل السوء) أمدا) أي زمانا .

قال الحرالي : وأصله مقدار ما يستوفي جهد الفرس من الجري ، فهو مقدار ما يستوفي ظهور ما في التقدير إلى وفاء كيانه) بعيدا (من البعد ، وهو منقطع الوصلة في حس أو معنى – انتهى .

فالآية من الاحتباك : ذكر إحضار الخير دلالة على حضور السوء ، وود بعد السوء دلالة على ود لزوم الخير .

ولما ذكر هول ذلك اليوم كان كأنه قال : فاتقوه فإن الله يحذركموه) ويحذركم الله) أي الذي له العظمة التي لا يحاط بها) نفسه (فالله سبحانه وتعالى منتقم ممن تعدى طوره ونسي أنه عبد ، قال الحرالي : أن تكون لكم أنفس فتجد ما عملت ، ويلزمها وطأة هذه المؤاخذة ، بل الذي ينبغي أن يبرىء العبد من نفسه تبرئته من أن يكون له إرادة ، وأن يلاحظ علم الله وقدرته في كلية ظاهره وباطنه وظاهر الكون وباطنه – انتهى .

ولما كان تكرير التحذير قد ينفر بين أن تحذيره للاستعطاف ، فإنه بنصب الأدلة وبعث الدعاة والترغيب في الطاعة والترهيب من المعصية المسبب عنه سعادة الدارين ، فهو من رأفته بالمحذرين فقال بانيا على ما تقديره : ويعدكم الله سبحانه وتعالى فضله ويبشركم به لرافته بكم : (والله) أي والحال أن الذي له وحده الجلال والإكرام) رؤوف بالعباد (قال الحرالي : فكان هذا التحذير الخاتم ابتدائيا ، والتحذير السابق انتهائيا ، فكان هذا رأفة سابقة ، وكان الأول الذي ترتب على الفعل تحذيرا لاحقا متقصلا بالمصير إلى الله ، وهذا الخاتم مبتدأ بالرأفة من الله .

(١) الإمتاع والمؤانسة، ص/٤٣٦

والرأفة – يقول أهل المعاني – هي أرق الرحمة ، والذي يفصح عن المعنى – والله سبحانه وتعالى أعلم – أنها عطف العاطف على من يدجد عنده منه وصلة ، فهي رحمة ذي الصلة بالراحم ، فنم تحقق أن الأمر لله سبحانه وتعالى وجد رلفقه وفضله ورحمته عليه لما برىء من دعوى شيء من نسبة الخير إلى نسفه ، فأحبه لذلك ، **قيل لأعرابي** : إنك تموت وتبعث وترجع إلى الله ؟ فقال : أتهددونني بمن لم أر الخير قط إلا منه فلذلك إذا تحقق العبد ذلك من ربه أحبه بما وحده وبما وجده في العاجلة فحماه أن يجد عمل نفسه في الآجلة – انتهى .

وقد علم أن الآية من الاحتباك : التحذير أولا دال على الوعد بالخير ثانيا ، والرأفة ثانيا دالة على الانتقام أولا – والله سبحانه وتعالى الموفق .

ولما فطمهم سبحانه وتعالى عن موالاة الكفار ظاهرا وباطنا بما اقتضى القصر على موالاة أهل الله لنفيه من تولي الكفر عن أن يكون في شيء من الله ، وكان الإنسان ربما وإلى الكافر وهو يدعي محبة الله سبحانه وتعالى ، وختم برأفته سبحانه و تعالى بعباده ، وكانت الرأفة قد تكون عن المحبة الموجبة للقرب ، فكان الإخبار بهما ربما دعا إلى." (١)

"النساء

دخل أعرابي على الحجاج فسمعه يقول: لا تكتمل النعمة على المرء حتى ينكح أربع نسوة يجتمعن عنده، فانصرف الأعرابي فباع متاع بيته، وتزوج أربع نسوة، فلم توافقه منهن واحدة، خرجت واحدة حمقاء رعناء، والثانية متبرجة، والثالثة فارك أو قال فروك، والرابعة مذكرة، فدخل على الحجاج فقال: أصلح الله الأمير، سمعت منك كلاما أردت أن تتم لي به قرة عين؛ فبعت جميع ما أملك، حتى تزوجت أربع نسوة، فلم توافقني منهن واحدة، وقد قلت فيهن شعرا، فاسمع مني، قال: قل. فقال:

تزوجت أبغي قرة العين أربعا فيا ليت أنى لم أكن أتزوج

ويا ليتني أعمى أصم ولم أكن تزوجت بل يا ليت أنى مخدج

فواحدة ما تعرف الله ربها ولا ما التقى تدري ولا ما التحرج

وثانية ما إن تقر ببيتها مذكرة مشهورة تتبرج

وثالثة حمقاء رعناء سخيفة فكل الذي تأتي من الأمر أعوج

ورابعة مفروكة ذات شرة فليست بها نفسي مدى الدهر تبهج

فهن طلاق كلهن بوائن ثلاثا ثلاثا فاسهدوا لا تلجلجوا

فضحك الحجاج حتى كاد يسقط من سريره، ثم قال له: كم مهورهن؟ قال: أربعة آلاف درهم. فأمر له بثمانية آلاف درهم.
****

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦١/٢

قال **الأصمعي:قيل لأعرابي**: من لم يتزوج امرأتين لم يذق لذة العيش، فتزوج امرأتين ثم ندم، فقال:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي بما يشقى به زوج اثنتين

فقلت أصير بينهما خروفا أنعم بين أكرم نعجتين

فصرت كنعجة تمسي وتضحى تردد بين أخبث ذئبتين

رضى هذى يهيج سخط هذى فما أعرى من إحدى السخطتين

وألقى في المعيشة كل بوس كذاك المرء بين الضرتين

لهذى ليلة ولتلك أخرى عتاب دائم في الليلتين

****************". (١)

"قال **الأصمعي:قيل لأعرابي**: من لم يتزوج امرأتين لم يذق لذة العيش، فتزوج امرأتين ثم ندم، فقال:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي ... بما يشقى به زوج اثنتين

فقلت أصير بينهما خروفا ... أنعم بين أكرم نعجتين

فصرت كنعجة تمسي وتضحى ... تردد بين أخبث ذئبتين

رضى هذى يهيج سخط هذى ... فما أعرى من إحدى السخطتين

وألقى في المعيشة كل بوس ... كذاك المرء بين الضرتين

لهذى ليلة ولتلك أخرى ... عتاب دائم في الليلتين

****

ضرب عبد الملك بن مروان بعثا إلى اليمن، فأقاموا سنين، جنى إذا كان ذات ليلة وهو بدمشق، قال: والله لأعسن الليلة مدينة دمشق، ولأسمعن ما يقول الناس في البعث الذي غربت فيه رجالهم، وغرمت فيه أموالهم. فبينما هو في بعض أزقتها إذا هو بصوت امرأة قائمة تصلي، فتسمع إليها، فلما انصرفت إلى مضجعها قالت: اللهم يا غليظ الحجب، ويا منزل الكتب، ويا معطي الرغب، ويا مؤدي الغرب. أسألك أن ترد غائبي، فتكشف به همي، وتصفي به لذتي، وتقر به عيني، وأسألك أن تحكم بيني وبين عبد الملك بن مروان الذي فعل بي هذا، فقد صير الرجل نازحا عن وطنه، والمرأة مقلقة على فراشها، ثم أنشأت تقول:

تطاول هذا الليل فالعين تدمع ... وأرقني حزني وقلبي موجع

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٥١

فبت أقاسي الليل أرعى نجومه ... وبات فؤادي هامدا يتفزع

إذا غاب منها كوكب في مغيبه ... لمحت بعيني آخرا حين يطلع

إذا ما تذكرت الذي كان بيننا ... وجدت فؤادي للهوى يتقطع

وكل حبيب ذاكر لحبيبه ... يرجى لقاه كل يوم ويطمع

فذا العرش فرج ما ترى من صبابتي ... فأنت الذي ترعى أموري وتسمع

دعوتك في السراء والضر دعوة ... على غلة بين الشراشيف تلذع." (١)

"قيل: عظمت المؤنة في عاقل وجاهل متعاقل وددت أني مثلك في ظنك وأن أعدائي مثلك في الحقيقة. قال المتنبي:

ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل ... يرى الناس ضلالا وليس بمهتد

صعوبة مداواة الأحمق:

لكل داء دواء يستطب به ... إلا الحماقة أعيت من يداويها

المتنبي:

ومن البلية عذل من لا يرعوي ... عن جهله وخطاب من لا يفهم

روى أن عيسى عليه الصلاة والسلام أتى بأحمق ليداويه فقال: أعياني مداواة الأحمق ولم يعيني مداواة الأكمه والأبرص. وقال الحجاج: أنا للعاقل المدبر أرجى مني للجاهل المقبل. وقيل: أنك تحفظ الأحمق من كل شيء إلا من نفسه، وتداويه إلا من حمقه.

تعب العاقل واستراحة الجاهل:

قيل لحكيم: من أنعم الناس عيشا؟ فقال: من كفى أمر دنياه ولم يهتم لأمر آخرته.

أبو علي كاتب بكر:

من رزق الحمق فذو نعمة ... آثارها واضحة ظاهره

يحط ثقل المرء عن نفسه ... والفكر في الدنيا وفي الآخرة

آخر:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

موصوف بالعقل:

كان ابن المقفع والخليل يحبان أن يجتمعا، فاتفق التقاؤهما، فاجتمعا ثلاثة أيام يتحاوران، فقيل لابن المقفع: كيف رأيته؟ فقال: وجدت رجلا عقله زائد على علمه. وسئل الخليل عنه فقال: وجدت رجلا علمه فوق عقله؛ قال بعض العلماء: صدقا فإن الخليل مات حتف أنفه في خص وهو أزهد خلق الله، وتعاطى ابن المقفع ما كان مستغنيا عنه حتى قتل أسوأ قتلة.

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١٠٤/٣٣٩

الصنوبري:

فإن يلتمس يوما حجاكم فإنكم ... جبال الحجا لكنكم أبحر الجدوى

وقال آخر:

فإن يك حائلا لوني فإني ... لعقل غير ذي سقط وعاء.

موصوف بالحماقة والجهل:

سئل أعرابي عن رجل فقال: لو كان في بني إسرائيل ووقعت قصة البقرة ما ذبحوا غيره!. وقيل: فلان ليس له من عقله فاه ولا من نفسه واعظ. وقيل: أحمق من دغة ومن رخمة؛ وفي الرحمة: إنك من طير الله فانطقي؛ يقال ذلك كناية عن الحمق. خامري أم عامر. وقيل: ليس مع فلان من العقل إلا ما يوجب حجة الله عليه إذا أمر به إلى النار. وقيل: فلان مخدوع من عقله فلا تستعن به،

ليس يدري من الجهالة ماذا ... دور البعر في بطون الجمال

وقال آخر:

رب ما أبين التباين فيه ... منزل عامر وعقل خراب!

وإذا قيل: فلان سليم الصدر، أو جامح في المسجد، أو هو من أهل الجنة، فهو كناية عن الحمق.

تفضيل الجد على العقل:

قيل: استأذن العقل على الجد فلم يأذن له وقال إنك تحتاج إلي وأنا لا أحتاج إليك، وافتخر العقل فقال له الجد: أمسك فالك نفاذ ما لم أصحبك. **وقيل لأعرابي**: فلان أحمق مرزوق.

فقال: هذا هو الرجل الكامل: وهيهات الحظوظ من العقول.

آخر:

وما لب اللبيب بغير حظ ... بأغنى في المعيشة من فتيل

صعوبة اجتماع العقل والجد:

قيل: من زيد في عقله نقص من حظه، وما جعل الله لأحد عقلا وافرا إلا احتسب عليه من رزقه. وقال شاعر في المعنى:

وخصلة ليس فيها من يخالفني ... الرزق والجهل مقرونان في قرن

كون الجد من جملة العقل:

روي في الخبر أن الله تعالى إذا أراد أن يزيل نعمة عبد فأول ما يسلب منه عقله. وفي كتاب كليلة: السبب المانع حظ العاقل هو السبب لحظ الجاهل. وسئل بعضهم: العقل أفضل أم الجد.

فقال: العقل من جملة الجد.

موصوف بالجنون:

وكأنه من دير هرقل مفلت ... جرد يجر سلاسل الأقياد

آخر:

به ما شئت من حمق ... ومن جهل ومن هوج

آخر:

به طائف من جنة غير معقب

آخر:

كأنه من شهود الجن محتضر ... وقد رأى عقله منه على سفر

ويقال: فلان سمين الجهل مهزول العقل.

كون الهوى غالبا للهدى:

قال عامر بن الظرب: الرأي نائم والهوى يقظان، فإذا هوي العبد شيئا نسي الله ثم تلا قوله تعالى: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه؟ العقل صديق مقطوع، والهوى عدو متبوع، كما من عقل أسير في يدي هوى أمير؟ وقيل: الهوى شريك العمى، واتباع الهوى أوكد أسباب الردى.

منصور الفقيه:

إن المرآة لا تريك خدوش وجهك في صداها." (١)

"قل للأمير: جزاك الله صالحة ... لا يجمع الدهر بين السخل والذيب!

السخل غر، وهم الذيب غفلته ... والذيب يعلم ما في السخل من طيب!

فلما قرأها الرشيد نفى قطربا واتخذ حماد عجرد، وجعل عليه ثمانين من الرقباء، فخاف قطرب لم وسم بهذه السمة فهرب إلى الكرج، والتجأ إلى أبي دلف فحسن حاله. ودخل المأمون ديوان أحمد بن يوسف فصادف حوله مردا حسانا فقال:

أسد رابض حواليه أسد ... ليس ينجو من الأسود الظباء

وقال خلف الأحمر لمعلمه وهو في الكتاب، وقد راوده عن نفسه:

أتترك في الحلال مشق صاد ... وتأتي في الحرام مدا رميم؟

حماقة المعلمين:

قال يعقوب الدورقي: الله أعان على عرامة الصبيان بحماقة المعلمين. وقال سهل بن هارون: لم أر قاضيا ولا عدلا معلم كتاب، لا في تافه حقير ولا في ثمين خطير. وقال الشاعر:

وكيف يرجى العقل والرأي عند من ... يروح على أنثى ويغدو على طفل؟

وقال آخر:

أنت ألحى معلم وطويل ... حسبنا ربنا ونعم الوكيل!

وقال الجاحظ:

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢/١

المعلمون على ضربين، منهم من ارتفعوا عن أولاد العامة إلى تعليم أولاد الملوك والمرشحين للخلافة كالسائي وقطرب وحماد وعبد الصمد، فهؤلاء لا تجوز عليهم الحماقة، وإن لكل قوم حاشية وجهالا وسفهاء.

ما وصف من ذكاء الصبيان وكيسهم في الكتاب:

قال مؤدب يزيد بن عبد الملك له: لم لحنت؟ فقال: الجواد يعثر. فقال المؤدب: إي والله ويضرب حتى يستقيم. فقال يزيد: وربما يرمح سائسه فيكسر أنفه. ويروى عن ابن السكيت قال: أحضرت لأتخذ على المعتز بالله فقلت له: بأي شيء نبدأ اليوم؟ فقال: بالخروج. فقلت: نعم. فعدا من بين يدي وعير على المرمر فقال:

يموت الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فقلت للمتوكل: جئتم بي لتأديبه وهو آدب مني فأمر لي بعشرة آلاف درهم. قال أبو محمد يحيى وكان مؤدب المأمون في صغره: صليت يوما قاعدا فأخطأ المأمون فقمت لأضربه. فقال: أيها الشيخ أتطيع الله قاعدا وتعصيه قائما؟ فكتبت بهذا إلى الرشيد، فأمر لي بخمسة آلاف درهم. وحكي أنه بدر من أبي عمر الصباغ إلى الصاحب جفاء وكان مؤدبه، فقام من عنده وكتب إليه:

أودعتني العلم فلا تجهل ... كم مقول يجني على مقتل؟

وأنت إن علمتني سوقة ... والسيف لا يبقى على الصيقل!

فاتصل ذلك بأبي الحسين بن سعد فتعجب منه وكتبه، وقال: ابن ثمانين يكتب شعر ابن عشر، ثم تلا: وآتيناه الحكم صبيا.

أمارة نجابة الصبيان:

قيل لأعرابي: ما أمارة النجابة في صبيانكم؟ قال: إذا كان أعنق أشدق أحمق فأقرب به من السودد! وقال الزبرقان: أكيس صبياننا العريض الورك، السبط الغرة، الطويل الغرلة، الأبله العقول. وقال بزرجمهر لكسرى وعنده أولاده: أي أولادك أحب إليك؟ قال: أرغبهم في الأدب وأجزعهم من العار، وأنظرهم إلى الطبقة التي فوقه. وروى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: عرامة الصبي في صغره زيادة في عقله إذا كبر. وقال معاوية: طيروا الدم في وجوه الصبيان، فإن بدا في وجوههم الحياء وإلا فلا تطمعوا فيهم.

صبي استدل بعقله على كبر همته:

قيل: أول ما عرف من سودد خالد القسري أنه مر في بعض طرق دمشق راكبا وله عشر سنين، فوطىء فرسه صبيا فوقف عليه فرآه لا يتحرك، فانتهى إلى أول مجلس مر به فقال: إن حدث بهذا الغلام حدث فأنا صاحب الجناية ولم أعلم. ومر عمر رضي الله عنه بصبيان يلعبون، وفيهم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، فعدا الصبيان ووقف عبد الله فقال له عمر: ما لك لا تذهب مع الصبيان؟ فقال: يا أمير المؤمنين لم أجن إليك فأخافك، ولم يكن في الطريق ضيق فأوسعه لك! فقال عمر: أي شيطان يكون هذا؟ وكان عبد الملك صغيرا فأربى عليه صبي فضربه فقيل له: لو شكوته إلى عمك لانتقم منه! فقال: أنا لا أعد انتقام غيري انتقاما. وقال السري الرفاء يصف غلاما بعلو الهمة:

لا تعجبن من علو همته ... وسنه في أوان منشاها

إن النجوم التي تضيء لنا ... أصغرها في العيون أعلاها." [١]

"قيل: الكلام بذلة ومدخر، فمن تكلم وقت البذلة بالمدخر أتعب نفسه، ومن تكلم وقت المدخر بالبدلة هجن نفسه.

من خاطب عاميا بتفاصح وتذلق:

اشترى رجل من أصحاب يعقوب الكندي جارية، فاغتاظت عليه فشكاها إلى يعقوب فقال: جئني بها لأعظها. فجاء بها إليه فقال: يا لعوبة ما هذه الاختيارات الدالات على الجهالات؟ أما علمت أن فرط الاعتياصات من الموبقات على طالبي المودات، الباذلين الكرائم المصونات موذنات بعدم المعقولات؟ فقالت الجارية: أما علمت أن هذه العثنونات المنتشرات على صدور أهل الركاكات محتاجات إلى المواسي الحالقات؟ قال يعقوب: لله درها فلقد قسمت الكلام تقسيما فلسفيا فاشدد يديك بها! فلم يستوحش من سفاهتها لما أوردت الكلام مسجعا موزونا. وقال نحوي لصاحب بطيخ: بكم تانك البطيختان اللتان بجنبهما السفرجلتان ودونهما الرمانتان؟ فقال: بضربتان وصفعتان ولكمتان، فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ وصار أبو علقمة إلى كواز فقال: أعندك جرة لا فقداء ولا دناء، ولا مغربلة الجوانب، خضرة نضرة قد مستها النار، إن نقرت عليها طنت، وإن أصابتها ريح غنت، ولكن بدرهم. فقال الكواز: دعني من شتمك يا ماص بظر أمة!

الأحوال الدالة على العي:

من العي البهر وفتل الأصابع ومس اللحية. ولذلك قال:

ملى ببهر والتفات وسعلة ... ومسحة عثنون وفتل الأصابع

وقال ابن المقفع: من علامة العي النكث في الأرض والإطراق من غير فكرة.

المحتبس في كلامه:

شاعر:

كان في فيه لقمة عقلت ... لسانه فالتوى على حنق

محرك رأسه توهمه ... قد قام من عطسة على شرق

وقال آخر:

كأن فيه لفقا إذا نطق ... من طول تحبيس وهم وأرق

وقال آخر:

ديافية قلف كأن خطيبهم ... سراة الضحى في سلحه يتمطق

ويقال: هو عياياء طباقاء.

اعتذار محتبس في كلامه:

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/٢٠

قال بعضهم: نحن حي فعال ولسن بحي مقال، ونحن بأدنى مقالنا عند أحسن فعالهم. وقال بعض وفد خراسان: إنا ببلاد نأت عن العرب شغلتنا الحرب عن الخطب. واعتذر رجل لحبسة فقال: يعزب البيان ويعتقم الصواب، وإنما اللسان مضغة من الإنسان، يفتر بفتوره إذا نكل ويثوب بانبساطه إذا ارتجل. **وقيل لأعرابي**: أين فصاحتك؟ قال: لحقت بمواطنها بنجد.

شاعر:

إرفق بعبدك إن فيه بلادة ... جبلية، ولك العراق وماؤه

المقام الذي لا يستنكف فيه من العي والحصر:

سئل ابن داود متى يكون البليغ عييا؟ فقال: إذا سأل عما يتمناه وشكاه حبه إلى من يهواه. ثم أنشد:

بليغ إذا يشكو إلى غيره الهوى ... وإن هو لاقاه فغير بليغ

وقال بعضهم: موطنان لا آنف من الحصر فيهما: إذا شكوت إلى محبوبي عشقي، وإذا سألت حاجة لنفسي.

المحسن في كلامه ابتداء والمسيء انتهاء:

تكلم ابن ثوابه ثم غلط في آخره. فقال أبو العيناء: ترفعت حتى خفتك ثم تخفضت حتى عفتك. وتكلم رجل فأحسن ثم أعاد فأساء. فقال له أعرابي: إنك تسترجع محاسنك.

وصف كلام غير مفهوم:

قال الله تعالى حكاية عن فرعون: " أم أن خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين " .

قال الشاعر:

قلت لما بدا يجمجم في القو ... ل ويهذي كأنه مجنون

أنت حقا شبيه ما ذكر ... الله مهين ولا يكاد يبين

محمد بن صالح:

يهوى إلي بأقوال يلفقها ... فلا أعي منه شيئا وهو يسمعني

يلقى صداي صفير الطير من فمه ... مخاطبا وهو إنسان يكلمني

المستقبح إنشاده:

قال عبد الله بن معاوية:

يزين الشعر أفواه إذا نطقت ... بالشعر يوما وقد يذري بأفواه

أبو خليفة:

كأن الشعر من فيه إذا تمت ... قوافيه كنيف قد خري فيه

ذم من يطول سكوته عيا:

قال الشاعر:

يا صنما في الصمت لا في الحسن

ووصف رجل آخر فقال: يصلح لصدور المجالس ونظم المحافل ما لم يكن كلام.

كلمات لأهل العي:." (١)

"قال الحجاج لأبي الجهمة النخاس: أتعيب الدواب المعيبة من جند السلطان؟ فقال: شركتنا في هوازها وشركتنا في مدانيها، وكما يجيء يكون. قال الجاحظ: طلبت بعض أصدقائي في داره فلم أجده، فقلت لجاريته: إذا حضر صاحبك فقولي له إن الجاحظ كان بالباب. قال: نعم الجاحد بالباب! قلت: قولي الحدقي. قالت: نعم الجلقي. فقلت: عليك بالأول!

المتكلم بكلام غير متسق:

دق رجلان على باب نحوي فقيل: من؟ فقال أحدهما: أنا الذي اشترى عبد الله كلم الآجر، وقال الآخر: أنا الذي أبو يعقوب الجصاص عقد طاق باب هذه الدار. فقال صاحب الدار: انصرفا فما أرى لكلاميكما صلة. وقال رقبة بن مصقلة: ما أعجزني شيء كما أعجزني رجل قام إلي يوما وقد دخلت المسجد فقال: إني رأيتك فشبهتك بي فأعجبني ذلك لك وأنا فيه متفكر بعد، ولا أدري ما معنى كلامه!

من جارى غيره فلحن فأجابه بمقتضى كلامه:

قال رجل أعرابي: كيف أهلك! قال: صلبا؛ أراد كيف أهلك. وقال الوليد لرجل: من ختنك؟ قال: الحجام! فضحك القوم وخجل الوليد؛ وإنما أراد أن يقول من ختنك. ومر رجل بدار ميت فقال: من المتوفي؟ قال له رجل: الله. فقال له: يا كافر، الله يموت؟ فقال: لعلك تريد المتوفى؟

من سئل عن نحو فأجاب بمقتضى اللغة:

قيل لرجل: هل ينصرف إسماعيل؟ قال: نعم إذا صلى العشاء فما قعوده؟ وتعرض بعضهم للطائي حين أنشد:

وهن عوادي يوسف وصواحبه

فقال: إن يوسف لا ينصرف. فقال: اصفعه حتى ينصرف! وقال نحوي لأعرابي قال: أعجبني القصر، بم يرفع القصر؟ فقال: بالآجر والجص. **وقيل لأعرابي**: أتجر فلسطين؟ فقال: إني إذا لقوي! فقيل: أتهمز إسرائيل؟ فقال: إني إذا رجل سوء! وقيل: أتهمز الفأرة؟ فقال: الهرة تهمزها. وحكي أن جماعة عند محمد بن بحر اختلفوا في بناء سراويل، فدخل البرقي فقال: فيم كنتم؟ فقالوا: في بناء سراويل فما عندك فيه؟ قال: مثل ذراع البكر أو أشد. وحكي أن أبا سعيد السيرافي سأل أبا الحسن الموسوي وهو صغير: إذا قلت رأيت عمرا فما علامة النصب فيه؟ فقال: بغضه لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه!.

من أنكر لحنا بنادرة:

مر رجل بأديب فقال: كيف طريق البغداد؟ قال: بالحذاء. ثم مر به آخر فقال له: كيف طريق كوفة؟ فقال: من ههنا، وبادر مع ذلك المار ألف ولام تحتاج إليهما، وهو مستغن عنهما فخذهما منه! وقال رجل لأبي العيناء: أتأمر بشيأ؟ فقال: نعم بتقوى الله وحذف الألف من شيأ. وكان رجل يسقي صديقا له صرفا ويغني له:

يديرونني عن سالم وأديرهم ... وجلدة ما بين الأنف والعين سالم

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/ ٢٤

فقال: أحب أن تجعل ماك من البيت في القدح.

من اعتذر عن لحنه بعذر مستملح:

قصد رجل الحجاج فأنشده:

أبا هشام ببابك ... قد شم ريح كبابك

فقال: ويحك لم نصبت أبا هشام؟ فقال: الكنية كنيتي إن شئت رفعتها وإن شئت نصبتها! وكتب محمد الأمين فيما أظن، على ظهر كتاب:

عشقت ظبيا رقيقا ... في دار يحيى بن خاقا

وكتب تحته: أردت خاقان، وخاقان مولى لي إن شئت أنبت نونه وإن شئت أسقطته. وقال رجل لآخر: ما اشتريت؟ قال: عسل. فقال: هل لا زدت في عسلك ألف؟ فقال: وأنت هلا زدت في ألفك ألفا؟

من أنكر لحنا بطبعه:

سمع أعرابي مؤذنا يقول: أشهد أن محمدا رسول الله، بالنصب. فقال الأعرابي فعل ماذا؟ فهذا علم بطبعه أنه لم يأت بخبر أن. وسمع رجل آخر يقرأ: وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر، بفتح الكاف والفاء، فقال: لا يكون هذا. فقالوا: كفر! فقال: أم هذا فنعم.

المتأذى بلحنه:

قدم رجل على زياد فقال: إن أبونا مات، وأخينا وثب على مال أبانا فضيعه! فقال زياد: الذي وضيعته من لسانك أضر عليك مما ضيعه أخوك من مالك! ومر عثمان رضي الله عنه برماة يسيئون الرمي فقال: ما أسوأ رميكم! فقال بعضهم: نحن متعلمين! فقال: كلامكم أسوأ من رميكم! ودخل الخليل على مريض نحوي وعنده أخ له فقال للمريض: افتح عيناك وحرك شفتاك؛ إن أبو محمد جالسا. فقال الخليل: أرى أن أكثر علة أخيك من كلامك! وسمع الأعمش إنسانا يلحن فقال: من هذا الذي يتكلم وقلبي منه يتألم؟

المتفادى في كلام الكبار عن كلام فيه إيهام:." (١)

"قال الحسن: لسان العاقل من وراء قلبه. فإذا أراد الكلام رجع إليه، فإن كان له تكلم به وإلا تركه، ولسان الجاهل قدام قلبه يتكلم بما عرض له. وقيل: من لم يخف الكلام تكلم، ومن خافه تبكم قال الشاعر:

تأمل فلا تستطيع رد مقالة ... إذا القول في زلاته فارق ألفما

وقال بعضهم: ذر الرأي الفطير والكلام القضيب فلا يطيب الخبز إلا بائتا.

التحذير من جناية اللسان:

سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: الأجوفان البطن والفم. وقيل فيما روي عنه: وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟ وكان لقمان عبدا أسود لبعض أهل الأيلة فقال له مولاه: اذبح

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢٥/١

لنا شاة وائتنا بأطيب مضغة فأتاه باللسان، فقال له: اذبح لي أخرى وائتني بأخبث مضغة. فأتاه باللسان، فقال له في ذلك فقال: ما شيء أطيب منه إذا طاب، ولا أخبث منه إذا خبث. وقيل: لم يستر من الجوارح شيء كما ستر اللسان فإن عليه طبقتين وسترين. وقيل لحذيفة: لم أطلت سجن لسانك؟ فقال: لأنه غير مأمون الضرر إذا أطلق. وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه كان يمسك بلسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد. قال الشاعر:

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الأقران؟

متكلم بكلام أدى إلى هلاكه:

بينما المنذر في بعض متصيداته إذ وقف على رابية فقال بعض أصحابه: أبيت اللعن، لو أن رجلا ذبح على هذا الرابية إلى أي موضع عسى أن يسيل دمه؟ فقال: أنت والله المذبوح لننظر ذلك، وأمر به فذبح. ومر ببهرام طائر بالليل فصاح، فرماه بسهم فأصابه فقال: لو سكت الطائر لكان خيرا له.

التثبت في الجواب والتسرع فيه:

سأل يهودي النبي صلى الله عليه وسلم مسألة فمكث عليه السلام ساعة ثم أجابه عنها، فقال اليهودي: ولم توقفت فيما علمت؟ قال: توقيرا للحكمة. وقيل: من إمارة الحكيم التروي في الجواب بعد استيعاب الفهم. وقيل: من علامة الحمق سرعة الجواب وطول التمني، والإستغراب في الضحك، وقال رجل لاياس: ليس فيك عيب غير أنك تعجل بالجواب؟ فقال: كما أصبع في يديك؟ فقال الرجل: خمس، فقال: لقد عجلت أيضا، فقال: هذا علم قد قبلته، فقال إياس: وأنا أعجل أيضا في ما قد قبلته علما.

الحث على حسن الإستماع والممدوح به:

قيل: تعلم حسن الإستماع كما تتعلم حسن المقال، ولا تقطع على أحد حديثا. وقيل: استمع فسوء الإستماع نفاق. وقيل: للسائل على السامع ثلاثة أمور: جمع المال، وحسن الإستماع، والكتمان لما يقتضي الكتمان. وقيل: أساء سمعا فأساء إجابة. وقال فيلسوف لتلميذ له: أفهمت؟ قال: نعم. قال: كذبت، لأن دليل الفهم السرور ولم أرك سررت؟ وقيل: نشاط القائل على قدر فهم السامع. وقيل: من سعادة القائل أن يكون المستمع إليه فهيما. وقيل: فلان في الإستماع ذو أذنين، وفي الجواب ذو لسانين.

قال الشاعر:

إذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم ... وإن حدثوا قالوا بحسن بيان

وقال رجل: أذني قمع لمن يحدثني.

النهي عن محادثة من ساء استماعه:

قيل: من لم ينشط لاستماع حديثك فارفع عنه مؤنة الإستماع. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: حدث الناس ما حدجوك بأسماعهم ولحظوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم إعراضا فأمسك. وقيل: لا تطعم طعامك من لا يشتهيه. وقيل: حدث حديثين امرأة، فإن لم تسمع فأربع أي كف.

الحث على ازدياد السمع على المقال:

سمع بقراط رجلا يكثر من الكلام فقال له: إن الله تعالى جعل للإنسان لسانا واحدا وأذنين ليسمع ضعف ما يقول.

تفضيل السماع على المقال:

كان أعرابي يجالس الشعبي فأطال الصمت، فسأله عن ذلك فقال: أسمع فأعلم، وأسكت فأسلم. **وقيل لأعرابي**: لم لا تتكلم؟ فقال: حظ لسان الرجل لغيره وحظ سمعه له. وقال محمد بن المنكدر: لأن أسمع أحب إلي من أن أنطق، لأن المستمع يتقي ويتوقى.

الحث على التصامم عن الخنا والتمدح به:

محمود الوراق:

وسمعك صن عن سماع القبيح ... كصون اللسان عن النطق به

أبو تمام:

أذن صفوح ليس يفتح سمها ... لدنيئة وأنامل لم تقفل

وقال آخر:

فتى عزت عنه الفواحش كلها

وقال آخر:

عي عن الفحشاء أما لسانه ... فعف، وأما طرفه فكليل

الموسوي:." (١)

"قال خالد بن صفوان: إني لا أسمع الحديث فلا أحدث به حتى أتوبله وأفلفله وأسعتره. وقال: إني لأسمع الحديث مجردا فأكسوه وممرطا فأريشه. وقيل لحيان: إنك لتكذب في الحديث! فقال: ما يضرك كذبه ولا ينفعك صدقه، وما يدور إلا على لفظ جيد ومعنى حسن، ولو أردته لتلجلج لسانك وذهب بيانك.

المعتذر منه:

بعضهم: ونصرة الحق أفضت بي إلى الكذب شاعر:

وزعمت أني قد كذبتك مرة ... بعض الحديث وما صدقتك أكثر

وفي المثل: عند النوى يكذبك الصادق.

المتأهب في الكذب:

تشاجر رجلان في سواد تراءى من سطح فقال أحدهما: غراب! وقال الآخر: خف! وحلف كل منهما على صدق ما قاله، فدنوا منه فطار فقال صاحب الغراب: كيف ترى؟ فقال الآخر: امرأته طالق ثلاثا إن كان إلا خفا ولو بلغ مكة طيرانا. وقال بعضهم لابنه: اكذب على الأموات وباهت مع الأحياء. **وقيل لأعرابي**: بما غلبت؟ فقال: أبهت بالكذب وأستشهد الموتى.

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/٢٧

صعوبة سماع الكذب:

قيل لبعض ندماء السلطان: ما حالكم معه؟ قال: نحن كمال قال الله تعالى: " سماعون للكذب أكالون للسحت " . وكان رجل يكثر الكذب وله غلام يخالفه ويكذبه فقال له يوما: كنت في ضيعة لي في حصاد زرع فرميت طيرا فوجدت في حوصلته رطبة لم ينضج نصفها، فقال الغلام: استدع السوط ولا تهذ! متى يجتمع الحصاد والرطب يا أحمق؟

ما يجوز أن يكذب المرء فيه:

في كتاب جاويزان فروخ محرم: على السامع تكذيب القائل إلا في ثلاث: صبر الجاهل على مضض المصيبة، وعاقل أبغض من أحسن إليه، وحماة أحبت كنة! وقيل: إذا أردت أن تعرف عقل الرجل فحدثه في خلال حديثك بما لا يكون، فإن أنكره فهو عاقل، وإن صدقه فهو أحمق. وقيل: كذب بالمحالات، وأقر بالواجبات، وتوقف عن الممكنات.

ذكر أكاذيب متناهية:

تكاذب أعرابيان فقال أحدهما: خرجت مرة على فرس فإذا أنا بظلمة فيممتها حتى وصلت إليها، فإذا قطعة من الليل فأنبهتها، فما زلت أحمل عليها حتى اصطدتها! وقال الآخر: رميت مرة ظبيا بسهم فعدل الظبي فعدل السهم خلفه، فعلا الظبي ثم انحدر فانحدر السهم حتى أصابه! وقال رجل لرؤبة: إن حدثتني بحديث لم أصدقك عليه فلك عندي جارية فقال: أبق لي غلام يوما، فاشتريت يوما بطيخة، فلما قطعتها وجدته فيها، فقال قد علمت! فقال: دبر لي فرس فعالجته بقشور الرمان فنبت على ظهره شجرة رمان تثمر كل سنة، فقال قد علمت، فقال لما مات أبوك كان لي عليه ألف دينار، فقال: كذبت يا ابن الفاعلة! فأخذ الجارية. وقال بعضهم: كان لأبي منقاش اشتراه بعشرين ألف درهم، فقيل له:إذا كان من جواهر أو مكللا، فقال: ولكن كان إذا نتف به شعرة بيضاء عادت سوداء وقال رجل: كان أبي زرع سنة السلجم وكان يبلغ مساحة كل شجرة جريب أرض! فقال الآخر: كان أبي اتخذ مرجلا في بعض السنين، وكان يعمل فيه خمسون أستاذا لا يسمع كل واحد منهم صوت مطرقة الآخر! فقال صاحبه: ما أكذبك! أي شيء كان يطبخ في ذلك المرجل؟ فقال: السلجم الذي زرعه أبوك! وقالت ليلى لأبيها: أرأيت قول أبيك:

بجيش تضل البلق في حجراته ... بيثرب أخراه وبالشأم قادمه

كم كنتم يومئذ؟ فقال: حضرتها وكنت أنا وابني ومعنا اثنان!

مما جاء في السر

المنع من إظهار السر قبل تمامه:

قيل: استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود. وقيل: من وهى الأمر إعلامه قبل إحكامه. وقيل: من حصن سره أمن ضره.

الحث على حفظ السر:

قيل: من لم يكتم السر فقد استكمل الجهل. وسمع ابن المقفع قول الشاعر:

إذا جاوز الاثنين سر فإنه ... ببث وتكثير الحديث قمين

فقال: أراد بالاثنين الشفتين، ويدل على ذلك قول الآخر:

فلا تفش سرك إلا إليك ... فإن لكل نصيح نصيحا

وفي المثل: اجعل هذا في وعاء غير ذي سرب، سرك من دمك فانظر أين تريقه. وقيل: من أفشى سره كثر المتآمرون عليه، الصلتان، وسر الثلاثة غير الخفي.

المستوخم عاقبة إفشاء السر:." [1]

"منهم: قس بن ساعدة، ولقيط بن معبد، وزيد بن جندب، وصعصعة بن صوحان، وقطري بن الفجاءة، وعمران بن حطان. وتكلمت الخطباء يوما عند معاوية. فقال: والله لأرمينهم بالخطيب الأشدق! قم يا زيد فتكلم. ومن الخطباء القدماء كعب بن لؤي، وكان يخطب على العرب كافة، فلما مات أكبروا موته وأرخوا بموته إلى عام الفيل. ومن خطباء اليمن حمير بن الصباح. وكان المفضل بن عيسى الرقاشي من أخطب الناس، وكان متكلما قاصا يقعد إليه عمرو بن عبيد.

المعتذر بعجزه عن الخطبة:

كعب الأسدي:

فإن لا أكن في الأرض أخطب قائما ... فإني على ظهر الكميت خطيب

وإن لا أكن فيكم خطيبا فإنني ... بسمر القنا والسيف جد خطيب

لبيد:

إذا اقتسم الناس فضل الفخار ... أطلنا على الأرض ميل العصا

وله:

ما إن أهاب إذا السرادق غمه ... قرع القسي وأرعش الرعديد

ومن السنة أن يتناول الخطيب سيفا أو قوسا يمسك به نفسه، وقد تقدم شيء من هذا الباب.

ذم خطيب:

وائلة الدوسي:

لقد صبرت للدل أعواد منبر ... يقوم عليها في يديك خطيب

بكى المنبر الشرقي لما علوته ... وكادت مسامير الحديد تذوب

منصور بن ماذان:

أقول غداة العيد والقوم شهد ... ومنبرنا عالي البناء رفيع

لعمري لأن أضحى رفيعا فإنه ... لمن يرتقي أعواده لوضيع

آخر:

سلي ببهر والتفات وسعلة ... ومسحة عثنون وفتل الأصابع

المصيصي في خطيب:

---

(١) محاضرات الأدباء، ٥١/١

ينشي لنا كل جمعة عظة ... يشلي علينا بها الشياطينا

فضل قراءة القرآن:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في السر والإجهار. وقال صلى الله عليه وسلم: خيركم من تعلم القرآن وعلمه. ولبعضهم: إن الله تعالى جعل القرآن سراجا لا تطفأ مصابيحه، وشهابا لا يخبو زنده ونورا لا يتغير ذكاؤه، ومن قرأه وتبعه دله على المكارم وصده عن المحارم، وشفع له يوم القيامة، قال الله تعالى: " وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون " . وقال تعالى: " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر؟ وقال صلى الله عليه وسلم: من بلغه القرآن فكأنما شافهته لقوله تعالى: " لأنذركم به ومن بلغ " . وقد ذكرنا أحوال القرآن في باب الديانة مستقصاة.

نوادر العرب فيما سمعوه من القرآن:

قيل لأعرابي: إقرأ قل يا أيها الكافرون. فقال: أدخلت يدك في الجراب فأخرجت شيئا فيه صعود وهبوط، هات غيرها. وقيل لآخر: ما تقرأ في صلاتك؟ قال: أم القرآن ونسبة الرب وهجاء أبي لهب. وقيل لآخر: ما قرأ أمامكم البارحة في صلاته؟ فقال: أوقع بين موسى وهارون شراشر. وسمع آخر رجلا يقرأ " الأعراب أشد كفرا ونفاقا " فقال: لقد هجانا، ثم سمعه يقرأ بعده: ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، فقال: لا بأس هجاء ومدح، هذا كما قال الشاعر:

هجوت زهيرا ثم إني مدحته ... وما زالت الأشراف تهجى وتمدح

وسمع آخر قوله تعالى: " وفي السماء رزقكم وما توعدون " ، فقال: وأين السلم إليه؟ وسرق أعرابي غاشية سرج فدخل مسجدا فقرأ الإمام: " هل أتاك حديث الغاشية " ؟ فقال: اسكت قد أخذت في الفضول، فقرأ الإمام: " وجوه يومئذ خاشعة " . فقال: ها هي غاشيتكم فلا تخشعوا وجهي.

من غير حرفا من القرآن فأتى بنادرة لما روجع:

قال الحجاج لامرأة من الخوارج: اقرئي شيئا من القرآن، فقرأت: إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يخرجون من دين الله أفواجا! فقال: ويحك يدخلون! قالت: قد دخلوا وأنت تخرجهم. وقرأ أعرابي: إنا بعثنا نوحا إلى قومه. فقيل: إنما هو أرسلنا. فقلنا: ما بينهما إلا لجاجك. وقرأ آخر: فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. فقالوا له: قد غيرت. فقال:

خذوا أنف هرشي أو قفاها فإنه ... كلا جانبي هرشي لهن طريق

بعض ما جعلته العرب قرآنا:

قرأ أعرابي في صلاته الفيل: وما أدراك ما الفيل، له ذنب طويل، ومشفر وئيل، وإنه من خلق ربنا لقليل الله أكبر! وقرأ آخر:." (١)

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/٥٨

"فما رغبة عنه تخطت حباله ... ولكنها كانت لآخر حطت

وقيل لرجل خطب ولاية من أمير: ما ولاك الأمير؟ فقال: ولاني ظهره وأعطاني منعه، وحماني نفعه ورب ساع لم يدرك المنى، وحال بينه وبين مطلوبه القضاء!

مدح الإمارة والرخصة في الولاية:

روي أن رجلا ذم الإمارة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام: نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقها. وقال بعضهم: لولا الحظ في الولاية لما قال نبي الله يوسف عليه السلام لكافر: اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم! وقال بزرجمهر: أغبط الناس الملك الحازم المظفر. وقيل: الإمارة ولو على الحجارة. وقال بعضهم: ما السرور؟ قال: رفع الأولياء وحط الأعداء، وطول البقاء مع القدرة والنماء؛ وقيل لآخر فقال: اللواء المنشور، والجلوس على السرير، والسلام عليك أيها الأمير.

مدح الاشتغال وذم الفراغ:

قيل: العطلة موت الحال. وطالت عطلة دينار ثم عرض عليه شغل فشاور الموبذ في ذلك فقال: إعلم أن العلة سكون والحياة حركة، فإن استطعت أن تخرج من حيز الأموات إلى حيز الأحياء فافعل. وقيل: إذا كان الشغل مجهدة فالفراغ مفسدة. وقال أكثم: ما يسرني أني مكفي كل أودي؛ فقيل له: ولم؟ قال: اكره طاعة العجز! وذلك أن مع الكفاية العجز والبلادة، ومع الحاجة الفطنة والشهامة.

ذم الولاية والتزهيد فيها:

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس رضي الله عنه: يا عم، نفس تحييها خير من إمارة تحصيها. وقال صلى الله عليه وسلم: ستحرصون على الإمارة، ثم تكون حسرة وندامة يوم القيامة، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة! ولما ولي أبو بكر رضي الله عنه خطبا لناس فقال: إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك! فرفع الناس رؤوسهم فقال: ما لكم إن الرجل إذا صار ملكا زهد الله فيما في يده، ورغبة فيما في يد غيره، وانتقصه شطر أجله، وأشرب قلبه الإشفاق، فهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير، فهو كالدرهم والسراب الخادع جذل الطاهر حزين الباطن، فإذا وجبت نفسه ونضب عمره حاسبه الله فأشد حسابه وأقل عفوه! وقال مطرف: لا تنظروا إلى خفض عيش السلطان ولين لباسه ولكن انظروا إلى سرعة ظعنه وسوء منقلبه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما ملك أحد قط إلا شوطر عقله وضوعف بلاؤه وحزنه. ولما ولي محارب القضاء قيل للحكم بن عتيبة ألا تأتيه؟ قال: ما أصاب عند نفسه مصيبة فأعزيه، ولا نالته نعمة فاهنئه، وما كنت زوارا له من قبل فآتيه. وقال بعض الولاة لبهلول: كيف تجدك؟ قال: بخير ما لم أتول شيئا من أمور المسلمين! قال: أتحب أن تكون صحيحا؟ قال: لو كنت صحيحا لنزعت نفسي إلى طلب الدنيا، فهذا أصلح لي أرجو أن أكسب الأجر وأن يحط الله عني الوزر. وقيل لأعرابي: أيسرك أن تكون خليفة وتموت أمتك؟ قال: لا لأنها تذهب الأمة وتضيع الأمة.

النهي عن طلب الرئاسة:

قال رجل لبشر الحافي: أوصني. قال: الزم بيتك! فترك طلب الرئاسة رئاسة. وقال ابن مسهر: ما بينك وبين أن تكون من

الهالكين إلا أن تكون من المعروفين. وكان سفيان يتمثل بقول الشاعر:

حب الرئاسة داء لا دواء له ... وقلما تجد الراضين بالقسم

وقال آخر:

وأكثر هالك في الناس تلقى ... فرأس هلاكه طلب الرئاسه

وقال آخر:

بلاء الناس، مذ كانوا ... إلى أن تنهض الساعه،

طلاب الأمر والنهي ... وحب السمع والطاعه!

قساوة قلب من تولى رئاسه:

كان عبد الملك بن مروان يسمي حمامة المسجد للزومه المسجد الحرام، فلما أتاه الخبر بخلافته كان المصحف في حجره، فوضعه وقال: هذا فراق بيني وبينك. وقال: إني كنت أتحرج أن أطأ غلة، وأن الحجاج يكتب إلي في قتل فئام من الناس فما أحفل بذلك! وقال له الزهري يوما: بلغني أنك شربت الطلاء! فقال: أي والله والدماء! وقال: عجبا للسلطان كيف يحسن، وإذا أساء وجد من يزكيه ويمدحه! وفي كتاب الهند: السلطان ذو غدوات وبدوات أي أنه سريع الإنصراف كثير البذاء هجوم على الأمور.

تكدر عيشه:

قيل: لا أحد أمر عيشا وأكد تعبا وأطول من فكرة من الملك العارف بالمعاد المتيقن بالثواب والعقاب. قال الشاعر:

يا رب أفئدة بنار همومها ... تكون فتشقى في جسوم ناعمه." (١)

"روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أعان ظالما سلطه الله عليه. وقال المأمون لبعض ولاته: لا تظلم لي فيسلطني الله عليك. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس للظالم عهد فإن عاهدته فانقضه فإن الله تعالى يقول: " لا ينال عهدي الظالمين " . وسمعت بعض العلماء يقول: ما ظلمت أحدا قط لغيري، فإني إذا ظلمت ظلمت نفسي. ويشبه ذلك ما يحكى أن عاملا عزل عن عمله بغيره فقال المولى لمن ولي مكانه: أعرني دواتك لأكتب منها حرفا فقال: لا فإني لا أستحل معاونة الظلمة ولا أحب أن يكتب من دواتي ظالم. فقيل: ألم تك تكتب منها آنفا؟ فقال إني أحرق بالنار نفسي لنفسي ولا أحرقها لغيري. وقيل لأبي مسلم صاحب الدولة. قد قمت مقاما لا يقصر بك عن الجنة في إزالة دولة بن أمية وإقامة شعار بني العباس. فقال: لخوفي من النار أولى من طمعي في الجنة، فإني أطفأت من بني أمية جمرة ألهبت بها نيرانا لبني العباس وسأحرق بها.

المتفادي من أن يظلم أو يظلم:

كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج من بيته: بسم الله وبالله إني أعوذ بك من أن أزل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي. وقال بعضهم: لنا عز يمنع من أن نظلم، وحلم يمنع من أن نظلم.

---

(١) محاضرات الأدباء، ٧٧/١

المصوف بالظلم:

قيل: فلان أظلم من حية لأنها لا تحفر الجحر بل تسلب غيرها جحره فتدخله. ويقال: أظلم من ذئب؛ قال:

وأنت كذئب السوء إذ قال مرة ... لعمروسه، والذئب غرثان خاتل:

أأنت الذي من غير شيء سببتني؟ ... فقال: متى ذا؟ قال: ذا عام أول

فقال: ولدت العام بل رمت غدرة ... فدونك كلني! ما هنالك مأكل

فقال: أعدى من الدهر ومن التمساح ومن الجندي، وهو فيما قيل اسم الملك الذي قال الله تعالى فيه: " وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا " . وقال أعرابي: لئن هملجت إلى الباطل إنك عن الحق لقطوف. وقيل: الفتنة عرس الظالم.

المتبجح بالظلم:

قيل لأعرابي: أيما أحب إليك أن تلقى الله ظالما أو مظلوما؟ فقال: ظالما! قيل: ويحك ولم؟ قال: ما عذري إذا قال لي خلقتك قويا ثم جئت تستعدي؟ **وقيل لأعرابي** ولد له ابن: جعله الله برا تقيا فقال: بل جعله جبارا عصيا، يخافه أعداؤه ويؤمله أولياؤه.

الممدوح بكونه مظلوما لمن هو دونه:

وقع الرشيد في قصة رجل: الشريف من يظلم من فوقه، ويظلمه من دونه، فأنظر أي الرجلين أنت.

محمود الوراق:

ما زال يظلمني وأرحمه ... حتى رثيت له من الظلم

وقال ابن زهير: تحمل بعض الظلم أبقى للأهل والمال. قال الشاعر:

ولا تحم من بعض الأمور تعززا ... فقد يورث الذل الطويل تعزز

الرخصة في المجازاة بالظلم:

قال الله تعالى في مدح ذلك: وانتصروا من بعد ما ظلموا. وقال تعالى: " ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل " . وقال بعضهم لسلطان: إني وإن خشنت في المال فقد عذر الله المظلوم إذا جهر بالسوء طلبا للنصفة من ظالمه حيث قال: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم. وقال جرير: إني لا أبتدي لكن أعتدي.

من لا يبالي بأن يظلم:

قيل: أهون مظلوم سقاء مروب. وقيل: أهون مظلوم عجوز معقومة.

شاعر:

وظلم النهشلي من السواء

من لا يبالي بأن يظلم:

أبو فراس:

وبعض الظالمين وإن تعدى ... شهي الظلم مغفور الذنوب

ولبعض الصوفية:

دع الحب يصلي بالأذى من حبيبه ... فكل الأذى ممن يحب سرور

تراب قطيع الشاء في عين ذئبها ... إذا سار في آثارهن ذرور

آخر:

وقد يؤذى من المقة الحبيب

تحسر من ظلمه دنيء أو لئيم وتعزيه:

في المثل: لو ذات سوار لطمتني. الفرزدق:

فوا عجبا حتى كليب تسبني ... كأن أباها نهشل أو مجاشع!

وقد يؤذى من المقة الحبيب

تحسر من ظلمه دنيء أو لئيم وتعزيه:

في المثل: لو ذات سوار لطمتني. الفرزدق:

فوا عجبا حتى كليب تسبني ... كأن أباها نهشل أو مجاشع!

أبو فراس:

ما للرجال من الذي ... يقضي به الله امتناع

ذدت الأسود عن الفرا ... ئس ثم تفرسني الضباع

أبو سعيد بن نوقة وقد أجاد ما شاء:." (١)

"الموسوي: الفيل يضجر وهو أعظم ما رأيت من البعوض. وفي المثل: إذا عز أخوك فهن، وإذا لم تغلب فاخطب. لا يتقى العدو القوي بمثل الخضوع واللين، فمثل ذلك كمثل الريح العاصف تقلع الأشجار العظام لتأبيها عليها، ويسلم منها النبات اللين لتمايله معها.

سليمان بن وهب:

غرك الدهر بما تهوى فهن ... وإذا ما خشن الدهر فلن

لا تعاسره وخذ ميسوره ... وتفنن معه في كل فن

قال المأمون لأبي دلف: شد ما استحذيت للحسن بن رجاء! فقال: يا أمير المؤمنين ذلك بما وهبت له من القدرة، وصحبت من حداثة الغرارة؛ وكانت الطاعة تعارض الانتصار منه وخفت أن يكون من قدرته ما يعنيك بي، فلا أجد لذلك عوضا فسلمت: ابن نباتة:

وإذا عجزت عن العدو فداره ... وامزج له إن المزاج رفاق

فالنار بالماء الذي هو ضدها ... تعطي النضاج وطبعها الإحراق

---

(١) محاضرات الأدباء، ١٠١/١

حمد المداجاة طلبا للفرصة:

قيل لابن القرية: ما الدهاء؟ فقال: إن تجرع الغصة، وتوقع الفرصة، وتوقع الفرصة! وتوقع الفرصة! وقيل: من تمام الأدب أن تستر العداوة إلى وقت الفرصة، لئلا يستسلح؛ لذلك قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: أنكى الأشياء لعدوك أن لا تعلمه أنك اتخذته عدوا. وقيل: لا يكونن سلاحك على عدوك أن تكثر ثلبه وقصبه، فإنك تخبر عن حزمه وعجزك، ولكن دامجه حتى تبادره بالكظم وتسأثره بالختل.

التنوخي:

إلق العدو بوجه لا قطوب به ... يكاد يقطر من ماء البشاشات

فاحزم الناس من يلقى أعاديه ... في جسم حقد وثوب من مودات

وقيل: إذا لم تجد لشفرتك محزا فلا تضعها في صلابة فتكلها.

المتبجح بإظهار الليان وإبطان العداوة:

قال عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو الأشدق:

سكنته ليقل منه نفره ... فأصول صولة حازم مستمكن

حميد الأكاف:

وإني ليلقاني العدو مواصلا ... فيحسبني منه أبر وأوصلا

أجر له ذيلي لأدرك فرصتي ... ويحسبني في جر ذيلي مغفلا

المتنبي:

وجاهل مده في جهله ضحكي ... حتى أتته يد فراسة وفم

آخر:

أجامل أقواما حياء وقد أرى ... صدروهم باد علي مراضها

وصف عدو يكاشرك إذا حضرك:

عمرو بن جابر الحنفي:

يكاشرني وأعلم أن كلانا ... علي ما ساء صاحبه حريص

عمرو بن أم عاصم:

كل يداجي على البغضاء صاحبه ... ولن أعالنهم إلا كما علنوا

المثقب:

إن شر الناس من يكشر لي ... حين ألقاه وإن غبت شتم

ابن الرومي:

يبيح لي صفحة السلامة والسلم ويخفي في قلبه مرضا

المتنبي:

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني ... ولا أعاتبه صفحا واهوانا

وقيل لأعرابي: كيف فلان فيكم؟ فقال: إذا حضر هبناه، وإن غاب اغتبناه. قال: ذاك هو السيد فيكم.

من نظره ينبئ عن عداوته:

زهير:

الود لا يخفى وإن أخفيته ... والبغض تبديه لك العينان

وقال آخر:

ستور الضمائر مهتوكة ... إذا ما تلاحظت الأعين

وذكر أعرابي قوما فقال: ما زالت عيون العداوة تتجهم فتمجها أفواههم، وأسباب المودة تخلق من قلوبهم فتخرس عنها ألسنتهم، حتى ما لعداوتهم مزيد.

العداوة المستورة والتحذير منها:

قال شاعر:

وفينا، وإن قيل اصطلحنا، تضاغن ... كماطر أوبار الجراب على النشر

وقال آخر:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

أبو نواس:

كما الشنآن فيه لنا ... ككمون النار في حجره

المتنبي:

وإن الجرح ينفر بعد حين ... إذا كان البناء على فساد

وقيل: هدنة على دخل، وجماعة على أقذاء.

شاعر:

ومستخبر عنا يريد لنا الردى ... ومستخبرات والعيون سواجم

وفي كتاب كليلة: لا تأمنن عدوك على مكون سرك، فكمون عداوته ككمون الجمر في الرماد، إذا وجد فرصة اشتعل.

ثبات العداوة الجوهرية:." (١)

"وقيل في المثل: أبر من الهرة.

وصف عقلة:

قيل: الولد العاق إن مات نغصك وإن عاش نقصك. وقال بعضهم لابن له عاق: أنت كالإصبع الزائدة إن تركت شانت، وإن قطعت آذت! وقيل: أعظم الأسف سوء الخلف. العقوق ثكل من لا يثكل. **قيل لأعرابي**: كيف ابنك؟ قال: هو

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/١١٤

عذاب رعف به الدهر، وبلاء لا يقاومه البر، وفائدة لا يجب بها الشكر. وكان لمنازل بن رفعان ابن يقال له خلنج، فعق والده فقدمه إلى والي اليمامة فقال:

تظلمني حقي خلنج وعقني ... علي حين كانت كالحني عظامي

لعمري لقد ربيته فرحا به ... فلا يفرحن بعدي امرؤ بغلام

قال: فأراد الوالي ضربه فقال الابن للوالي: لا تعجل علي، هذا منازل بن فرعان الذي يقول فيه أبوه:

جزت رحم بيني وبين منازل ... جزاء كما يستنزل الدين طالبه " الأبيات "

وهي في الحماسة فقال الوالي: يا هذا عققت وعققت.

قال:

إن بني خيرهم كالكلب ... أبرهم أولعهم بسبي

فليتني كنت عقيم الزب ... وليتني مت بغير عقب

وقيل في المثل: أعق من ضب.

احتجاج عاق لعقوقه:

قيل لبعض الفلاسفة: لم تعق والديك؟ قال: لأنهما أخرجاني إلى الكون والفساد. وقال العتبي لابن له صغير: يا بني اعرف وصية الله إياك بي. فقال: يا أبت وأنت اعرف وصيته إياك بي، واستجز الأولى بالأخرى. وضرب رجل أباه فقيل له: أما عرفت حقه؟ قال: لا لأنه لم يعرف حقي! قيل: فما حق الولد على الوالد؟ قال: أن يتخير أمه ويحسن أسمه ويختنه ويعلمه القرآن! ثم كشف عن عورته فإذا هو أقلف وقال: اسمي برغوث ولا أعلم حرفا من القرآن، وقد استولدني من زنجية، فقيل للوالد: احتمله فإنك تستأهل!

المعارض أبويه فيما ادعيا من حقوقهما عليه بسخف:

جفى جحا أمه فقال: هذا جزائي وقد حملتك في بطني تسعة أشهر؟ فقال: ادخلي في أستي حتى أحملك سنين وخلصيني. وقال امرأة لابنها: هذا جزائي وقد أرضعتك سنتين؟ فقال: ارتجعي عن دورقين لبنا دورقين مخيضا واعفيني.

المناقض أباه فيما ادعى عليه من فساد أمه:

غضب الرشيد يوما على المأمون فقال: يا ابن الزانية! فقال المأمون: الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك! وقال أبو العيناء مثل ذلك لابنه فقال: لقد كنت والله أحفظ لأهلك من أبيك لأهله. وعير رجل ابنه بأمه فقال: هي والله خير لي منك لأنها أحسنت لي الاختيار فولدتني من حر، وأنت أسأت الاختيار فولدتني من أمة!

المعارض أباه في السب:

كان لحنظلة النميري ابن عاق يقال له مرة فقال له يوما: يا مرة إنك لمر! فقال: أعجبتني حلاوتك يا حنظلة! فقال: إنك خبيث كاسمك! فقال: أخبث مني من سماني به! فقال: كأنك لست من الناس! فقال: من أشبه أباه فما ظلم! فقال: ما أحوجك إلى أدب! فقال: الذي نشأت على يده أحوج إليه مني! فقال: عقمت أم ولدتك! فقال: إذ ولدت من مثلك! فقال: لقد كنت مشؤوما على أخوتك دفنتهم وبقيت! فقال: أعجبني كثرة عمومتي! فقال: لا تزداد إلا خبثا! فقال: لا

يجتنى من الشوك العنب. وقال عبد الله بن صفوان لابنه: يا لكع! فقال: أما يشبه الرجل أباه؟ فمهما كان من حسن وقبيح فمنك تولد وفعلك جالبه. وقال رجل لابنه: ما أطيب الثكل يا بني! فقال الابن: اليتم أطيب منه يا أبت.

اختيار الأمهات للأولاد:

قال أبو الأسود لبنيه: أحسنت إليكم قبل أن ولدتم وبعده. قالوا: كيف أحسنت قبل الولادة؟ فقال: لأني اتخذت أمهاتكم من حيث لا تعابون به! شاعر:

حميت على الأولاد أطهار أمهم ... وبعض الرجال المدعين جفاء

آخر:

تخيرتها للنسل وهي غريبة ... فجاءت به للنسل خرقا سميدعا

تأثير أجناس الأمهات في الأولاد:

سئل بعضهم عن ولد الروميه فقال: صلف معجب بخيل. قيل: فولد الصقلبية. قال: طفس زنيم! قيل: فولد السوداء. قال: شجاع سخي. قيل فولد الصفراء. قال: هم أنجب أولادا وألين أجسادا وأطيب أفواها! قيل: فولد النوبية. قال: فاسق زان! قيل: فولد العربية: قال: أنف حسود! قيل: فولد اليهودية؟ قال: دغل قذر. قيل: فولد الفارسية؟ قال: مكر وخديعة. وقيل: لما نر أما حمقاء أنجبت إلا أم نعمان بن المنذر وأم هشام بن عبد الملك؛ قال:." (١)

"رب بعيد كأخ ناصح ... وابن أب منهم الغيب

الزبيري:

لمغترب يسر بحسن حالي ... وإن تدنه مني قرابه

أحب إلي من ألفي قريب ... تبات صدورهم بي مسترابه

بشار:

ربما سرك البعيد وأصلا ... ك القريب النسيب نارا وعارا

يزيد بن الحكم:

ولقد يكون لك الغريب ... أخا ويقطعك القريب

التذمم لترك الأقارب واتباع الأباعد:

الحارث بن ظلامة:

سفهنا باتباع بني بغيض ... وترك الأقربين لنا انتسابا

سفاهة قارص لما تروى ... هراق الماء واتبع السرابا

ذم من نفعه للأباعد دون الأقارب:

ابن الأحوص:

---

(١) محاضرات الأدباء، ١٤٩/١

من الناس من يغشى الأباعد نفعه ... ويشقى به حتى الممات أقاربه

آخر:

وما خير من لا ينفع الأهل عيشه ... وإن مات لم تجزع عليه أقاربه

آخر:

فتى هو لابن العم كالذئب إن رأى ... لصاحبه يوما دما فهو آكله

ذم من يناوىء ذويه ويضرع لأعاديه:

ذم أعرابي رجلا فقال: هو أقل الناس ذنوبا إلى أعدائه، وأكثرهم تجرؤا على أصدقائه وأقربائه. وقيل لمعاوية، ما النذالة؟ فقال: الجراءة على الصديق والنكول عن العدو.

الجعدي:

ألا إن قومي أصبحوا مثل خيبر ... بها الداء لكن لا يضر الأعاديا

بيهس الضبي:

إذا ما ألقى العدو فثعلب ... وعلى الأقارب شبه ليث ضيغم

الغطفاني:

جهلا علينا وجبنا عن عدوهم ... لبئست الخلتان: النكل والجبن!

زياد الأعجم:

تلين لأهل الغل والغم منهم ... وأنت على أهل الصفاء غليظ!

أيوب:

تصول على الأدنى وتجتنب العدا ... وما هكذا تبنى المكارم يا يحيى

وأنت كفحل السوء يبدأ بأمه ... ويترك باقي الخيل سائمة ترعى

كشاجم:

وتراه يكرم من نأى ... عنه، ويؤذي من حضر

كالشمس تنحس من دنا ... منها، وتسعد من نظر

عذر من يكره ويطرح قريبا:

إن يعجب الأقوام أني عندهم ... من دون ذي رحم بها يتوصل

فبنو أمية والفرزدق صنوهم ... نسبا وكان وصالهم لا يقبل

عداوة الأقارب وتعسر إزالتها:

أعداؤكم أكفاؤكم، والأقارب عقارب، وأمسهم بك رحما أشدهم لك لدغا! وقال جاويذان فروخ: ثلاث لا يستصلح فسادهم بشيء من الحيل: العداوة بين الأقارب، وتحاسد الأكفاء، والركاكة في الملوك. وكان ابن هبيرة يقول: اللهم احفظني من عداوة الأقارب.

طرفة بن العبد:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند

ويروي عداوة ذي القربى:

الهيثم النخعي:

بني عمنا إن العداوة شرها ... ضغائن تبقى في نفوس الأقارب

ببغاء:

للظلم بين الأقربين مضاضة ... والذل ما بين الأباعد أروح

فإذا أتتك من الرجال قوارض ... فسهام ذي القربى القريبة أجرح

من يتحامل على ذويه إذا رآهم في محنة:

عامر بن لقيط:

لعمرك إني لو أخاصم حي ... إلى قعفس ما أنصفتني قعفس

فلما لهم طلسا إلي كأنهم ... ذئاب الفضا والذئب بالليل أطلس

عدي النبهاني:

أعاد على الدهر إذ حل برك ... كفى الدهر لو وكلته بي كافيا

آخر:

وكنت كذئب السوء لما رأى دما ... بصاحبه يوما أحال على الدم

الحمية للأقارب وإن كانوا أعداء:

في المثل:آكل لحمي ولا أدعه لآكل. وقيل: الحفائظ تذهب الأحقاد. لا يعدم الجوار من أمة حية.

شاعر:

لكل امرء حالان بؤس ونعمة ... وأعطفهم في النائبات أقاربه!

حريث بن جابر:

إذا ظالم المولى فزعت لظلمه ... فحرك أحشائي وهرت كلابيا

وقيل لأعرابي: ما تقول في ابن العم؟ فقال: عدوك وعدو عدوك. ولما مات عبادة بن الصامت رضي الله عنه بكى عليه أخوه أوس بن الصامت فقيل له: أتبكي عليه وقد كان يريد قتلك؟ فقال: حركني للبكاء عليه ارتكاضنا في بطن وارتضاعنا من ثدي.

التجافي عن ذنوبهم ومداواة عداوتهم:." (١)

---

(١) محاضرات الأدباء، ١٦٤/١

"حضر عند النبي صلى الله عليه وسلم أخوة فتكلم أصغرهم فقال عليه السلام: كبروا كبروا! وقيل لحكيم معه أخ أكبر منه: أهذا أخوك؟ فقال: بل أنا أخوه. وكان بين الحسن والحسين رضي الله عنهما كلام فقيل للحسين: ادخل على أخيك فهو أكبر منك! فقال: إني سمعت جدي صلى الله عليه وسلم يقول: أيما اثنين جرى بينهما كلام، فطلب أحدهما رضا الآخر كان سابقه إلى الجنة، وأنا أكره أن أسبق أخي الأكبر! فبلغ قوله أخاه فأتاه عاجلا وأرضاه.

وصف أخوين مختلفين في الكيس والبله:

من الأخوين اللذين كانا لأب وأم وتفاوتا في العقل جدا علي وعقيل ابنا أبي طالب، أمهما فاطمة الأسدية، ومعاوية وعتبة إبنا أبي سفيان أمهما هند بنت عتبة.

وصف أخوين وضيع ورفيع:

قال الأصمعي: لم يقل أحد في تفضيل أخ على أخ وهما لأب وأم مثل قول ابن المعتز لأخيه صخر:

أبوك أبي وأنت أخي ولكن ... تفاضلت المناكب والرؤوس

ابن أبي عيينة:

داود محمود وأنت مذمم ... عجبا لذاك وأنتما من عود!

فلرب عود قد يشق لمسجد ... نصف وسائره لحش يهود

الموسوي:

تفرد بالعلياء عن أهل بيته ... وكل بهديه إلى المجد والد

وتختلف الأثمار في شجراتها ... إذا شرقت بالماء والماء واحد

السيد الحميري:

فإن قلتم: أبونا عبد شمس ... فإن الزنج من أولاد نوح

هما عرقان من أصل جميعا ... ولكن ليس نبع مثل شيح

أبو العواذل:

علي وعبد الله ينميها أب ... وشتان ما بين الطبائع والفعل

ألم تر عبد الله يلحي على الندى ... عليا، ويلحاه علي على البخل

وقال رجل لأخيه: لأهجونك! فقال: كيف تهجوني وأنا أخوك لأبيك وأمك؟ فقال:

غلام أتاه اللؤم من شطر نفسه ... ولم يأته من شطر أم ولا أب

عذر من صارم أخاه وباعده وجفاه:

كتب الفضل بن سهل إلى المأمون: أما بعد فإن المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة، فقد فرق كتاب الله بينهما فيما اقتص علينا من نبأ نوح قال: يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح. فلا صلة لأحد في معصية الله، ولا قطيعة ما كانت القطيعة في ذات الله والسلام. **وقيل لأعرابي**: لم تقطع أخاك شقيقك؟ فقال: أنا أقطع الفاسد من

جسدي الذي هو أقرب إلي منه، فكيف لا أقطعه إذا فسد؟

وصف أخوة متفاوتة في الخلقة:

قال مخنث لأبي عباد وكان قبيحا ومعه أخ صبيح: ما أمك إلا شجرة البلوط تحمل سنة بلوطا وسنة عفصا؛ أخذه ابن طباطبا فقال:

أم أبي عيسى واسحق غدت مرتهنة

بصورة قبيحة جدا وأخرى حسنة

متى تسل عن قصة ابنيها تقل: يا ابن هنه

أنا تشبهها البلوطة الممتحنة تحمل بلوطا سنه وتحمل العفص سنه لقد أتت بحجة لله در الفطنة! آخر:

أم رأيت بني بدر وقد حفلوا ... كأنه خبز بقال وكتاب

هذا طويل وهذا حنبل جحد ... يمشون خلف عمير صاحب الباب

ما يجب أن يكون عليه فضلاء الأقارب:

قال عبد الملك لغيلان: أخبرني عن أفضل البنين. فقال: السار البار المأمون منه العار. قال: فأفضل البنات. قال: المتعجلة إلى القبر المفيدة أباها سنا الأجر. قال: فأفضل الإخوان. قال: الشديد العضد الكريم المشهد، الذي إذا شهد سرك وإذا غاب برك. قال: فأفضل الأخوات. قال: التي لا تفضح أخاها ولا تكسو عارا أباها. فقال عبد الملك: لله أم درت عليك! فضيلة الخؤولة وكونها كالأبوة:." (١)

"قيل: أعوذ بالله من صديق يطري وجليس يغري. وكان رجل يكثر على الثناء على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وعلم من قلبه خلاف قوله فقال له: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك! الجاحظ: شر الشكر ثناء المواجه لك المسرف في مدحك، وخيره ثناء الغائب عنك المقتصد في وصفك. وصف العتابي رجلا بالمداهنة فقال: ذلك إن وجد مادحا مدح، وإن وجد قادحا قدح، وإن استودع سرا افتضح.

أبو فراس:

ولا تقبلن القول من كل قائل ... سأرضيك مرأى لست أرضيك مسمعا

التحذير ممن يتجاوز الحد في مدحك:

قيل: كن ممن أفرط في تزكيتك أحذر ممن أفرط في الزراية بك. وقيل: من مدح الرجل بما ليس فيه فقد بالغ في ذمه. وفي المثل: من حقنا أو رفنا فليقتصد. وقيل: من أحب أن يمدح بما ليس فيه استهدف للسخرية.

من وضع نفسه وكره الثناء:

لما ولي أبو بكر رضي الله عنه خطب فقال: إني وليتكم ولست بخيركم؛ فلما بلغ الحسن قوله قال: بلى ولكن المؤمن يهضم نفسه. وقال الفضيل: لو شممتم رائحة الذنوب مني ما قربتموني. وأثنى على زاهد فقال: لو عرفت مني ما عرفت من نفسي

---

(١) محاضرات الأدباء، ١٦٦/١

لأبغضتني.

المتنبي:

يحدث عن فضله مكرها ... كأن له منه قلبا حسودا

ما يقول الفاضل عند مدح الناس له:

كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يقول إذا مدح: اللهم أنت أعلم مني بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون. **وقيل لأعرابي**: ما أحسن الثناء عليك؟ فقال: بلاء الله عندي أحسن من وصف المادحين وإن أحسنوا، وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الذامين وإن أكثروا.

النهي عن المدح قبل الإختبار:

قيل: لا تهرف قبل أن تعرف. وقيل: لا تحمدن أمة عام شرائها ولا حرة قبل بنائها. وقال رجل لعمر رضي الله عنه: أن فلانا رجل صدق. فقال: هل سافرت معه أو ائتمنته؟ قال: لا. فقال: إذا لا تمدحه لا علم لك به، لعلك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد.

عتب من يمدح نفسه:

قيل: خطب معاوية خطبة حسنة فقال: هل من خلل؟ فقال رجل من عرض الناس: خلل كخلل المنخل! فاستدعاه وقال: ما ذاك الخلل؟ فقال: إعجابك به ومدحك له! وقيل لحكيم: ما الذي لا يحسن وإن كان حقا؟ قال: مدح الرجل نفسه. وقال معاوية لرجل: من سيد قومك؟ فقال: أنا. فقال له: لو كنت كذلك لم تقله. وسئل الشاعر الأهوازي: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت والله أظرف الناس، وأشعر الناس، وآدب الناس! فقال السائل: أسكت حتى يقول الناس ذلك! فقال: أنا منذ ثلاثين سنة أنتظر الناس وليسوا يقولون. ومدح أعرابي نفسه فعوتب في ذلك فقال: أكله إليكم إذا لا تقولون أبدا.

الرخصة في ذلك:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: أنا سيد العرب ولا فخر. وحكى الله تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام أنه قال: إني حفيظ عليم. ولم يستقبح ذلك من الشعراء إذ قالوه نظما.

عذر من يحوج إلى مدح نفسه ومن عرض بذلك:

قد أحسن ابن الرومي في ذلك حيث يقول:

وعزيز علي مدحي انفسي ... غير أني جشمته للدلالة

وهو عيب يكاد يسقط فيه ... كل حر يريد يظهر حاله

ووصف للمنصور مشير بن ذكوان فأمر باشخاصه إليه، فلما دخل قال له: أعالم أنت؟ فقال: أكره أن أقول نعم وفيه ما فيه، أو أقول لا فأكون جاهلا. فأعجب المنصور بجوابه وألزمه المهدي. وسأل المأمون عبد الله بن طاهر عن ابنه فقال: إبني إن مدحته ذممته، وإن ذممته ظلمته إلا أنه نعم الخلف لسيده من عبده إذا اخترمته منيته.

من عجز الشعراء عن استيعاب مدحه:

الماكي:

جهدت ولم أبلغ مداك بمدحة ... وليس مع التقصير عندي سوى العذر

وفي شعر آخر:

وليس على من كان مجتهدا عتب

آخر:

يزيد على شأوي زياد وجرول ... وقد غودر ابن العبد في نظمه عبدي

أشجع:

مدحناهم فلم ندرك بمدح ... مآثرهم ولم نترك مقالا

المتنبي:

وقد وجدت مكان القول ذا سعة ... فإن وجدت لسانا قائلا فقل

ابن الحجاج:

هو البحر إن حدثت عن معجزاته ... ضعفت عن استغراق تلك العجائب

وإن رام شعري أن يحيط بوصفه ... أحاط بشعري العجز من كل جانب

من كثرت ممادحه سهل الشعر على مادحه:." (١)

"وقيل لأعرابية: فلانة تقع فيك. فقالت: دعوها فشكاتها وسكاتها عندي سواء. وقيل لرجل: فلان يغتابك. فقال: دعني يسترفعني الله بذلك، فمن أكثرت فيه الوقيعة رفعه الله، فإن بني أمية لعنوا عليا على المنابر فما زاده الله إلا رفعة. وحكي عن ببغا الشاعر البغدادي أنه قيل له: أن فلانا يغتابك. فقال: لا ضير أنه أراد أن يمتحن ودي. وقيل لآخر ذلك فقال:

ولم يمح من نور النبي أبو جهل!

ذم ناقص يغتاب فاضلا:

قيل: كفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا وهو يقع في الصالحين.

شاعر:

عثيثة تقرض جلدا أملسا

المتنبي:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فخي الشهادة لي بأني كامل

الموسوي:

عادات هذا الدهر ذم مفضل ... وملام مقدام ونقص جواد

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/١٧١

وكأنه من قول الآخر:

وما زالت الأشراف تهجى وتمدح

ونحوه قول الآخر:

إنما الغيبة تلقيح الشرف

من رمى غيره بعيبه:

رمتني بدائها وانسلت. عير بجير بجره نسي بجير خيره. وقيل: أتبصر القذاة في عين أخيك وتدع الجذع المعترض في حلقك؟

اغتياب المرء غيره يدل على عيبه:

قيل: من وجدتموه عيابا وجدتموه معيبا لأنه بعيب الناس بفضل عيبه. وفي ذلك قال:

ويأخذ عيب المرء من عيب نفسه ... مراد لعمري ما أراد قريب

قال أبو العيناء: ما قطعني أحد كما قطعني المهدي فإنه قال: بلغني أنك تغتاب الناس! فقلت له: يبطل ما قيل في شغلي بعيني. فقال: والله ذاك أشد لغيظك على أهل العافية أعرف الناس بعوار الناس المعور.

تشهي الغيبة واستطابها:

قال قتيبة لرجل يغتاب آخر: لقد تلمظت بما يعافه الكرام. فقال: لو تلمظت به ما صبرت عنه. وقال رجل لبنيه: إذا اجتمعتم فعليكم حديث أنفسكم ودعوا الاغتياب. فقال أحدهم: نحن نحتاج في هذه السنة إلى كذا وكذا، ونفعل ونصنع كذا وكذا، فقد فرغنا من حديثنا فبماذا نشتغل؟ وقيل: الغيبة فاكهة النساك والقراء. وقصد رجل ابن عمه مستردا لحق له فأحسن إليه، فلما عاد سئل فقال: منعني التلذذ بالغيبة والشكوى. ونحوه قول الآخر:

فقضت حاجتي معجلة ... فجعتني بلذة الشكوى

من اغتاب فاغتيب:

قيل: من رمى الناس بما فيهم رموه بما ليس فيه. وقيل: بحثك عن عيوب الناس يدعو إلى بحثهم عن عيوبك. وقال آخر:

ومن دعا الناس إلى ذمه ... ذموه بالحق وبالباطل

الكاروشي:

تحللت بالسب لما رأيت ... أديمك صح، ومن سب سب

فإن لم نجد فيك من مغمز ... سلكنا إليك طريق الكذب

الشطني:

لا تكشفن مساوي الناس ما ستروا ... فيهتك الله سترا عن مساويكا

النهي عن استماع الغيبة:

قال عمرو بن عبيد لرجل يستمع إلى آخر يغتاب: ويلك نزه أذنك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن النطق به.

شاعر:

وسمعك صن عن سماع القبيح ... كصون اللسان عن النطق به

آخر:

والسامع الذم شريك له ... والمطعم المأكول كالآكل

وقال الفضيل: الرجل يقول سبحان الله وأخشى عليه بذلك النار، وهو الذي يستمد بذلك الغيبة إذا سمعها. وقيل: إذا رأيت من يغتاب الناس فأجهد جهدك أن لا يعرفك، فأشقى الناس به معارفه.

إبراهيم بن المهدي:

من نم في الناس لم تؤمن عقاربه ... على الصديق ولم تؤمن أفاعيه

الممدوح بصيانة مجلسه عن الغيبة:

مدح بعضهم رجلا فقال: ينزه مجالسه عن الغيبة ومسامعه عن التميمة.

كعب الغنوي:

إذا ما تراءاه الرجال تحفظوا ... فلم تنطق العوراء وهو قريب

ومثله قول البهلول:

نبئت أن النار بعدك أوقدت ... واستب بعدك يا كليب المجلس

الحث على التثبت فيما يسمع من السعاية:

وشي برجل إلى بلال فلما أتى به قال: قد أتاك كتاب الله في أمرنا فاعمل به؛ قال اله تعالى: " إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين " . فقال: صدقت! وأبلغ ملك عن رجل منكرا فأمر بقتله فقال: إن قتلتني ومن سعى بي كاذب يعظم وزرك، وإن تركتني وهو صادق قل وزرك، وأنت من وراء ما تريد، والعجلة موكل بها الزلل، فأمر بإبقائه والفحص عن أحواله.

كثير:." (١)

"قال يوحنا: بشروا المريض بالبرء ونشطوه لشرب الدواء، ولا تصعبوا عليه العلة فتخاف نفسه ويموت حسه. وقال بقراط: حدثوا المريض حال من كان في أصعب من علته فبرأ، ولا تحدثوه عمن كان في مثل علته فمات. وقيل: أدب العيادة تشجيع العليل بلطيف اللطف وحسن الفأل.

الحث على تخويفه ليجتنب المضار:

قيل: خوفوا المريض ليجتنب المضار، فمن خوفك لتلقى الأمن خير لك ممن أمنك لتلقى الخوف. وقيل: من أوجرك المر لتبرأ خير ممن أوجرك الحلو لتسقم. ودخل طبيب على مريض قد أصاب إصبعه ريح فشمها فقال: إن أكلت اليوم شيئا مت. فلما كان من الغد برأ فقيل له في ذلك فقال: لو لم أخوفه لتجاسر على الأكل فكان يطول عليه.

رقيع خوف مريضا برقاعته:

عاد رجل مريضا لم يكن به بأس فقال: لا ضير إذا رأيتم المريض هكذا فاغسلوا أيديكم منه، فقد كان أبي به هذا الداء

(١) محاضرات الأدباء، ١/١٧٨

فمات. وعاد آخر عليلا فقال: ما علتك؟ قال: وجع الركبة. فقال: إن جريرا يقول بيتا ذهب عني صدره وآخره:

وليس لداء الركبتين دواء

فقال: ليتما ذهب عنك عجزه مع نفسك! ودخل آخر على مريض فقال: آجركم الله. فقيل: إنه لم يمت! فقال: يموت إن شاء الله! وقال رجل لمريض: كيف أنت جعلني الله فداءك؟ فقال: على الموت. فقال: إذا لا جعلني الله فداءك فإني قدرت أن في الأمر فسحة.

تهنئة من برأ من مرض والدعاء له:

أشجع:

لئن جرحت شكاتك كل قلب ... لقد قرت بصحتك العيون

وله:

لقد أمسى صلاح أبي علي ... لأهل الأرض كلهم صلاحا

قيل لأعرابي برأ من علته: الحمد لله الذي سلمك. فقال: أو يسلم من الموت في عقبه؟ كتب عبد الله بن المعتز: أذن الله بشفائك وتلقى داءك بدوائك، ومسحك بيد العافية ووجه إليك وافد السلامة، وجعل علتك ماحية لذنوبك مضاعفة لثوابك.

ابن المعتز:

يا رب أمسك رمق الدنيا به ... وأغسله بالصحة من أوصابه

أبو تمام:

سقم أتيح له برء فزعزعه ... والرمح ينآد طورا ثم يعتدل

قد حال لون فرد الله نضرته ... والنجم يخمد حينا ثم يشتعل

المتنبي:

صحت بصحتك الغارات وابتهجت ... بها المكارم وانهلت بها الديم

وراجع الشمس نور كان فارقها ... كأنما فقده في جسمها سقم

تفدية المريض:

شاعر:

فديناك لو نعطى المنى فيك والهوى ... لكان بنا الشكوى وكان لك الأجر

البحتري:

بأنفسنا لا بالطوارف والتلد ... نقيك الذي تخفي من السقم أو تبدي

بنا، معشر العافين، ما بك من أذى ... فإن أشفقوا مما أقول فبي وحدي

آخر:

يا ليت علته بي غير أن له ... أجر العليل وأني غير مأجور

ديك الجن:

يا ليت حماه بي كانت مضاعفة ... يوما بشهر وأن الله عافاه

فيصبح السقم منقولا إلى جسدي ... ويجعل الله منه البرء عقباه

من ذكر شدة ما قاساه بعد ما صح:

عبد الله بن المعتز:

أتاني ببرء لم أكن فيه طامعا ... كمثل أسير حل بعد وثاقه

فإن كنت لم أجزع من الموت جزعة ... فإني مججت الموت بعد مذاقه

تغير اللون:

قال الصولي: لم يسمع أحسن من قول البحتري في صفرة اللون:

بدت صفرة في لونه أن حمدهم ... من الدر ما أصفرت حواشيه في العقد

أبو تمام:

لم يشن وجهه البهيج ولكن ... جعلت ورد وجنتيه بهارا

أنواع مختلفة في الطب:." (١)

"من كان مرعى عزمه وهمومه ... روض الأماني لم يزل مهزولا

آخر:

إن المنى رأس أموال المفاليس

افنون التغلبي:

ولا خير في أن يكذب المرء نفسه ... وتقواله للشيء: يا ليت ذاليا!

أماني من تمنى أمرا فأدركه:

اجتمع ابن عمر وعروة بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة فقال مصعب: هلموا نتمن. فتمنى عروة الفقه وأن يحمل عنه الفقه، وتمنى عبد الملك الخلافة، وتمنى مصعب ولاية العراق وتزويجه سكينة بنت الحسين بن علي وعائشة بنت طلحة، وعبد الله ابن عمر الجنة؛ فنال مصعب وعبد الملك وعروة ما تمنوا، شهد ابن عمر رضي الله عنهما مدرك ما تمناه وطلبه. وروي أن كعب بن ربيعة بن عامر أتاه آت في المنام فقال: إجمع بنيك ومرهم بالتمني فإنه يعطون. فجمعهم فقال لعقيل تمن فقال: العدد والرمي، فليس في بني كعب أكثر عددا منهم ولا أرمى. وقال لجعدة تمن فقال: المال؛ فهم أكثر بني كعب خيلا وإبلا وهم أهل رضاخ وضربة والفلج. وقال لقشير تمن فقال: البقاء والجمال؛ فهم أجمل بني كعب ويكثر فيهم ذو السن، وذو الرقية منهم أدرك الإسلام وله مائة وعشرون سنة وله ألف من والده، هذا يقول يا أبتاه وذا

---

(١) محاضرات الأدباء، ١٩٩/١

يقول يا جداه. وقال لحريش تمن فقال: النعظ؛ فهم أنكح بني كعب. وقال لحبيب تمن فقال: المودة من أخوتي فيما بينهم وأن لا يؤثروا بهم. قال الشيخ أبو القاسم رحمه الله نسأل الله أن يعطينا منانا بعد أن يوفقنا لتمني ما فيه مصالحنا.

من ذكر قلة مبالاته بالمنية لادراكه قاصية الأمنية:

قال الله تعالى مخبرا عن يوسف عليه السلام: " رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين " .

قيس بن الحطيم:

متى يأت هذا الموت لا تلف حاجة ... لنفسي، إلا قد قضيت قضاءها

ونحوه:

أدركت في الدهر أياما بلغت بها ... رضا الشباب الذي قد كان عاصاني

وقال منصور بن طلحة بن عامر: رأيت عبد الله بن طاهر في المنام بعد موته فقلت له: ما خبرك أيها الأمير؟ فقال:

من كل شيء قضت نفسي لبانتها ... فإذ أتاني قاضيا أجلي

زهير بن خباب الكلبي وكان من المعمرين:

من كل ما نال الفتى ... قد نلته إلا التحية

طيب إدراك المنى:

في المثل: أطيب من نيل المنى وإدراك الأمل. وقيل: ليس بعد بلوغ المنى إلا نزول المنية، قال الله تعالى: " حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة " .

أبو الفتح بن العميد:

إذا المرء أدرك آماله ... فليس له بعد ذا مقترح

أماني قوم بحسب أحوالهم:

قال قتيبة بن مسلم للحصين بن المنذر: ما تتمنى؟ فقال: لواء منشور وجلوس على السرير وسلام عليك أيها الأمير. وقيل لعبد الله بن الاهتم ذلك فقال: رفع الأولياء وقمع الأعداء وطول البقاء مع القدرة والنماء. وقيل ذلك للفضل بن سهل فقال: توقيع نافذ وأمر جائر. وقيل لحكيم تمن فقال: محادثة الأخوان وكفافا من عيش والانتقال من ظل إلى ظل. وقيل ذلك لمطرف فقال: مركب وطي ومطعم شهي وملبس دفي. وقيل لآخر فقال: شواء مستنشل وغناء مسترسل ونكاح مستعجل. وقال بعضهم: العي كله في صحة البدن وكثرة المال وخمول الذكر. وقيل لحكيم فقال: هوى وافق حقا. وقيل لرجل فقال: أن تعطي جوارحك لذاتها. **وقيل لأعرابي** فقال: خباء في أرض خلاء وكلب إذا أصابه المطر زاحمني فيه. وقيل لابن سنان فقال: ليل طويل الطرفين أقرن بينهما بذكر الله تعالى. وقيل لمأبون فقال: لذة الابنة وحك الجرب فمن حرمهما فقد حرم لذات الدنيا! نعوذ بالله من بعض الأماني.

أماني البله:

شاعر:

إذا تمنى مائق أمنية ... تحسبها كائنة مقضية." (١)

"قال النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس: ما المروءة فيكم؟ قالوا: العفة والحرفة. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: خير الكسب كسب اليد لمن نصح. وكان عمر رضي الله عنه إذا نظر إلى رجل سأله: أله حرفة؟ فإذا قال لا سقط من عينه. ونظر عمر رضي الله عنه إلى أبي رافع وهو يقرأ ويصوغ فقال: يا أبا رافع أنت خير مني، تؤدي حق الله تعالى وحق مواليك. وقيل لأعرابي ينسج: ألا تستحي أن تكون نساجا؟ قال: إنما أستحي أن أكون أخرق لا أنفع أهلي، وحرفة يقال فيها خير من مسألة الناس. وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله يحب التاجر الصدوق والصانع الناصح لأنه حكيم.

أبو العتاهية:

ولا تدع مكسبا حلالا ... تكون منه على بيان

ذم السرقة:

قيل: لا ترج الخير ممن يكون رزقه من ألسنة الموازين ورؤوس المكاييل، يؤتى يوم القيامة بسوقي فيوزن عمله فتميل به الميزان، فيقول: حولوا إلى الكفة الأخرى ففي الميزان عيب.

أصناف الصناع وتفضيل بعضها على بعض:

قيل: الناس أربعة ذو صناعة وزراعة وتجارة وإمارة، وما سوى ذلك فإنهم يغلون الأسعار ويكدرون المياه. وقال المأمون: السوقيون سفل، والصناع أنذال، والتجار بخلاء، والكتاب ملوك على الناس. كتب الوليد إلى صاحب الساحل: اجعل الحائك والإسكاف في مرتبة، والحجام والبيطار في مرتبة، والبزاز والصيرفي في مرتبة، والمعلم والخصي في مرتبة، والنخاس والشيطان في مرتبة. وقيل: ثلاثة أعمال لم تزل في سفلة الناس: الحياكة والحجامة والدباغة. وقال الحبيب بن محمد لمالك بن دينار: لو خيرت في الصناعات ما كنت تختار؟ فقال: أكون حدادا فأرى لفح النار لعلي أتقيها. فقال حبيب: كنت أختار أن أكون حفارا للقبور.

المتولي صناعة تنافيه:

قال شريك بن عبد الله: خمسة من الكبائر، عمياء مكتحلة، وسوداء مختضبة، وخصي له امرأة، ومخنث يؤم قوما، وأعرابي أشقر. ومن العجائب: منجم أعمى، وأطروش صاحب خبر، وعطار أخشم، ومناد أخرس، ومؤاجر أصلع، وجندي محفوف الشوارب، وكناس متعزز، وفيج منقرس ولحياني ينتف لحية كوسج، وديدبان أعمش، وحجام قليل الفضول، وإمام أمي، وكحال أرمد. وضرب عبد الله بن أبي بكر ملاحا لم يحسن السباحة وقال: من العجائب ملاح غير سابح!

المتولي صناعة تليق به:

من تمام آلة القاضي أن يكون لحيانيا، والقاص أن يكون أعمى شيخا بعيد الصوت، والزامر أن يكون أسود، والمغني فاره الدابة يراق الثوب عظيم الكبر سيء الخلق، والشاعر أن يكون أعرابيا، والدعي إلى الله أن يكون صوفيا. من عمل عمل

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢٠٦/١

أبيه كفي نصف المعاش.
أنذال من الصناع متبجح بعضهم على بعض:
دعا حجام كناسين يكنسان له كنيفا فقال أحدهما للآخر: أتدري عند من نعمل؟ قال: لا. قال: نعمل عند حجام. فقال: الحمد لله الذي أعلمنا ذلك أن نشرب من كوزهم، أردت والله أن أرمي بكل ما في جوفي أطلب لي شيئا أشرب به، فضرب يده إلى كوز معه في جوف جرة ينقلون فيه الخرء فمسحه بيده وناوله فشرب منه. اجتمع كناسان على كنيف فقال أحدهما: فيه من الخرء قامة، وقال الآخر: قامة وبسطة فنزع ثوبه وقفز فيه وغاص، ثم أخرج رأسه وقال: تظنني حائكا. وقع شر بين حجام وحذاء. فقال: أنت تمشط وتسرح، وأنا أحذو، وأنت تشق بمبضع، وأنا أشق بمخصف فما فضلك علي؟
ذكر من تولى صناعة دنيئة من الأكابر:
قيل: كان طالوت دباغا فآتاه الله الملك عل رغم من ذكره، وكان داود صلى الله عليه وسلم راعي غنم وآتاه الله الملك والحكمة، وموسى راعيا أجيرا لشعيب صلوات الله عليهما، وعيسى عليه السلام صياد سمك، وهذا باب يكثر أن يتبع.
ذم الحاكة:." (١)

"وقيل لأبي العيناء: كيف وجدت فلانا لما قصدته؟ قال: وجدته لا يعود إليه حر! وقصد رجل سلطانا فلما رجع قيل له: ما ولاك؟ فقال: ولاني قفاه وأولاني منعه وحماني نفعه.
من تأبى نفسه السماحة:
شاعر:
يعالج نفسا بين جنبيه كزة ... إذا هم بالمعروف قالت له: مهلا!
آخر:
كأنما يعطيك من بصره
سعيد بن عبد الرحمن:
أبى لك فعل الخير رأي مقصر ... و نفس أضاق الله بالخير باعها
إذا هي حثته على الخير مرة ... عصاها، وإن همت بشر أطاعها
المتلقي سائله بلفظ المنع:
قيل: فلان مشجب من أي النواحي أتيته وجدت لا. وقال عمرو بن عبيد لرجل قد أكثر من لا: أيها الرجل أقل من لا فليس في الجنة لا. قال أعرابي: وجدت فلانا أخرس بنعم فصيحا بلا.
بخيل متكبر:
قال النبي صلى الله عليه وسلم: خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق. قال خلف الأحمر:
إناس تائهون لهم رواء ... تغيم سماؤهم من غير وبل

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢٠٨/١

وقيل: رب صلف تحته راعدة.

وقال:

أتجمع بخلا فاحشا وتكبرا ... وما جر ذما كالتكبر والبخل

فلو كان عفى البخل منك تواضع ... أو الكبر جود كنت من ذاك في وعل

وقد تقدم بعض ذلك في الكبر.

من عادته البخل:

قيل: لثمامة: أي الناس أبخل؟ فقال: لم أر الديكة في بلد إلا تأخذ بمناقيرها ما تلتقطه فتلقيه قدام الدجاج الا ديكة مرو فإنها تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحبوب، فعلمت أن البخل في طباعهم. وقال بعضهم: من لم يأت الخير صغيرا لم يأته كبيرا. أما سمعت قول الشاعر:

إذا المرء أعيته المروءة ناشئا ... فمطلبها كهلا عليه شديد

ابن العميد:

البخل مستحسن في شيمة الخوز

ذم من لا يعطي إلا على الخسف:

قال أبو نعامة: جل الناس لا ترشح أناملهم إلا بعسف وعنف. هذا محمد بن علي بن عصمة صرت إليه أطوارا أقتضيه، فكان يعد ويماطل، فأتيته يوما فقلت: أتسمع بيتا حضر؟ قال: هات فقلت:

محمد بن علي بن عصمة بن عصام

فقال: هذه نسبتنا؟ فقلت:

جليل فضل كريم ... من أهل بيت كرام

فقال: أحسنت! فقلت: أتسمه بيتا أم تنجز الوعد؟ فقال: غدا فقلت: فاسمع:

لكنه مستهام ... بأخذ أير الغلام!

فقال: آه آه! ويلك يا غلام، أعطه وأرحنا منه.

بعضهم:

العبد لا يطلب العلاء ولا ... يعطيك شيئا إلا إذا رهبا

مثل الحمار الموقع الظهر لا ... يحسن مشيا إلا إذا ضربا

آخر:

رأيتك مثل الجوز يمنع خيره ... صحيحا ويعطي نفعه حين يكسر

شاعر:

صاحب لي ليس فيه ... خصلة أشكرها له

سمجا شخصا ومخبو ... را وتفصيلا وجملة

ومريدا من جفاه ... ومهينا من أذله!

بخيل أعطي عطية لطمع:

قيل لأعرابي: أعطاك فلان؟ فقال: نعم أعطاني طلب الثواب، وصانع المعروف لعاجل الجزاء كملقي الحب للطير ليصيده به لا لينفعه، ومن هنا أخذ المتنبي تعريضا بكافور:

ومن قد ظن نثر الحب جودا ... وينصب تحت ما نثر الشباكا

المصطنع إلى الأراذل دون الأفاضل:

ابن الرومي:

تنبه للأنذال يرفع أمرهم ... وأصبح عن أهل المروءة ساهيا

آخر:

صنائعه لدى الأنذا ... ل تنبي أنه سفلة

آخر:

وابن اللئيمة للئام وهوب

بخيل متشبه بالأسخياء:

كان لبعض الموسرين أخ لا يواسيه فقيل له: لو واسيت أخاك كان أشبه بك من هذا البخل الذي استشعرته، فقال: والله ما أنا ببخيل، لو ملكت ألف ألف لوهبت له الساعة خمسمائة درهم، ثم التفت إلى القوم فقال: يا قوم رجل يهب لأخيه في مجلس واحد خمسمائة درهم يقال له بخيل؟ قالوا: لا والله أنت أجود من يمشي على قدم! جحظة:

ومخرق يصف السما ... ح ونفسه نفس بخيلة

وقيل للماجشون: كيف رأيت أهل العراق؟ فقال:

ما شئت من رجل بخيل ... يأوي إلى عرض دخيل

يأتي الجميل بقوله ... وفعاله غير الجميل

المتعجب من بخيل سمح وقتا بطفيف:." (١)

"سأل أبو العيناء رجلا شيئا فاعتذر إليه وحلف أنه صادق في اعتذاره، فقال: من كان الصدق حرمان صديقه ماذا يكون كذبه؟ وسأل رجل آخر فاعتذر بأحسن اعتذار فقال: يعبر عن اللئيم لسانه وعن الكريم فعاله. واعتذر آخر فقال السائل: إن كنت كاذبا فجعلك الله صادقا، وإن كنت معتذرا فجعلك الله معذورا، وهذا مأخوذ من قول لآخر: لا جعل الله حظ السائل منك عذرة صادقة.

الجريمي:

لا ينهضون إلى مجد ولا كرم ... ولا يجودون إلا بالمعاذير

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢٧٣/١

الملحف إذا سأل الحارم إذا سئل:

قال أعرابي: فلان إذا سأل الحف، وإذا سئل سوف، وإذا حدث حلف، وإذا وعد أخلف، ينظر نظرة الحقود ويعتذر اعتذار الحسود. وقيل: إذا سئل أقنط وإذا سأل أفرط. آخر: لم أر أحصر يدا منه بالنوال، ولا أطول لسانا منه بالسؤال، إن سئل فجحد، وإن سأل فحرب، إن سئل أرز وإن سأل انتهز، هو بالإنجاح إذا سأل واثق، وبالرد إذا سئل حاذق.

شاعر:

وأخ إن جاءني في حاجة ... كان بالإنجاح مني واثقا

وإذا ما جئته في مثله ... كان بالرد بصيرا حاذقا

يعمل الفكرة في ردي بها ... قبل أن أفرغ منها ناطقا

وممن تلطف لرد سائل: كان لسعيد بن خالد قصر بازاء قصر عبد الملك فقال له عبد الملك: إن لي إليك حاجة. فقال: مقضية. قال: اجعل لي قصرك. قال: هو لك. فقال عبد الملك. فلك خمس حاجات مقضية. فقال سعيد: أولها أن ترد علي قصري! قال: فعلت فما بعد ذلك؟ قال: أنت في حل من الأربع. وقال رجل لآخر: إن لي إليك حاجة. قال: بشرط أن تقضي قبلها لي حاجة. فقال: لك ذلك! قال: حاجتي أن لا تسألني حاجة. قال: قد فعلت.

من رد سائله بشتم أو سفاهة:

سأل أعرابي شيخا من بني أمية وحوله مشايخ فقال: أصابتنا سنة ولي بضعة عشر بنتا فقال الشيخ: وددت أن الله ضرب بينكم وبين لشماء صفائح حديد، فلا تقطر عليك قطرة وأضعف بناتك أضعافا، وجعلك بينهن مقطوع اليد والرجل ما لهن كاسب سواك، ثم صفر بكلب له فشد عليه وقطع ثيابه فقال السائل: ما أدري ما أقول ذلك! إنك لقبيح المنظر سخيف المخبر، فأعضك الله ببظور أمهات من حولك. ودخل رجل إلى محمد بن عبد الملك فقال: لي بك سببان: الجوار وسوء الحال، وذلك داع إلى الرحمة. فقال: أما الجوار فبين الحيطان، والرحمة من أخلاق الصبيان، أخرج عني! فما مضى عليه أسبوع حتى نكب.

ذم من ينسب بخل نفسه إلى القدر:

خطب معاوية ذات يوم فقال: إن الله تعالى يقول: وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم، فلم نلام نحن؟ فقام إليه الأحنف فقال: إنا والله ما نلومك على ما في خزائن الله تعالى، ولكن نلومك على ما أنزل الله علينا من خزائنه فأغلقت بابك دونه، فسكت معاوية. وقال بعض الشعراء:

إذا أعطاك قصر حين يعطي ... وإن لم يعط قال: أبى القضاء!

يبخل ربه سفها وجهلا ... ويعذر نفسه فيما يشاء

المحسن للبخل المحتج به:

قيل لخالد بن صفوان: ما لك لا تنفق ومالك عريض؟ قال: الدهر أعرض منه. قيل له: كأنك تؤمل أن تعيش أبدا. قال: لا ولا أخاف أن أموت في أوله. قال الجاحظ: قلت لبعض الأغنياء البخلاء أرضيت أن يقال لك إنك بخيل؟ قال: لا أعدمني الله هذا الاسم لأنه لا يقال بخيل إلا لذي مال، وادعني بما شئت من الأسماء. من وهب ماله في عمله فهو أحمق،

ومن وهبه في عزله فهو مجنون. وقيل لأبي الأسود: أنت ظرف علم ووعاء حلم غير أنك بخيل! فقال: وما خير ظرف لا يمسك ما فيه؟ وقيل: من لم يمنع لم يكن له ما يعطي. قال: وللبخل خير من سؤال بخيل. وقيل: الشحيح أعذر من الظالم. وقال المنصور: الناس يزعمون أني بخيل وما أنا ببخيل، ولكني رأيت الناس عبيد المال، فحظرت ذلك عليهم ليكونوا عبيدي. وعمل سهل بن هارون كتابا في مدح البخل وأهداه إلى الحسن بن سهل، وطلب منه ثوابا، فوقع على ظهره: قد جعلنا ثوابك ما حسنته وأمرت به.

الموسوي في عذر فاضل بخيل:

لاغرو إن كنت حرا لا تفيض ندى ... فالبحر غمر ولكن ليس بالجاري

ذم ممتن بالإعطاء:

قيل: المنة تهدم الصنيعة. وقيل لأعرابي: فلان يزعم أنه كساك. فقال: المعروف إذا من به كدر، ومن ضاق قلبه اتسع لسانه. وقيل لآخر في المعروف إذا أحضى. قال:." (١)

"إن الذين يسوغ في أعناقهم ... طعم يمن عليهم للئام

آخر:

أفسدت بالمن ما قدمت من حسن ... ليس الجواد إذا أسدى بمنان

وقيل لرجل: هل لك في ندى فلان؟ فقال: لا خير في تمرة مقترنة بزنبور:

ومن ذا الذي يلتذ شهدا بعلقم ... أبت لهواتي ذاك والشفتان

وقيل: شوى أخوك حتى إذا أنضج رمد. وقول الله تعالى: " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله " . قال: فتقديره يقولون إنما نطعمكم، قال مجاهد: لم يكن ذلك منهم مقالا وإنما أخبر عما كان لهم اعتقادا. دعا المنصور طبيبا للخيزران، وكانت قد اشتكت عينها، فقال: إن هذه في عينها شوكة سنبل، فانتزع من عينها فإذا هو شيء طار من السنبل ولصق بعينها، وتراكبت إلا كحال التي تعالج بها فزال الألم في الوقت، فأعطاه عشرة آلاف درهم، فلما دفعها إليه ندم فأوصاه فقال: احفظها فإنها مال له خطر. فقال: نعم وفارقه فاسترده وقال: إياك أن تنفق منها شيئا حتى تنفق ضيعة تشتريها بها. فقال: نعم. وفارقه ثم استرده فأوصاه فقال: إن رأيت يا أمير المؤمنين فاختمها بختمك حتى ألقاك بها يوم القيامة على الصراط بختمك. فضحك وخلاه.

النهي عن الإمتنان:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: إياكم والإمتنان بالمعروف، فإن ذلك يبطل الشكر ويمحق الأجر، ثم تلا قول الله تعالى: " لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى " . وقيل: تمام البذل ترك المن. وقال بعضهم: لا تمنن بالمعروف فالمعروف إذا ذكر كدر، وإذا أنسي أمر. تعداد المنة من ضعف المنة. وقيل: المنة تهدم الصنيعة وتسترد النعمة، فنزه منتك عن الإمتنان. وسأل رجل آخر حاجة فجعل يؤنبه فقال: أترى أن تقيم ترك التأنيب مقام قضاء الحاجة؟

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/٢٧٦

أنواع منه:

المتنبي:

وما كل بمعذور ببخل ... ولا كل على بخل يلام

نصيب الصغير:

متى يجتمع يوما حريص ومانع ... فليس إلى حمد هناك سبيل

آخر:

ولو عليك اتكالي في الطعام إذا ... لكنت أول مدفون من الجوع!

أحقر الناس البخيل لكي يستغنوا عن ماله. وسأل ابن عباس إنسانا حاجة فرده فقال: أبوك لم يرد حاجة أحد جودا، كان قد أتاه قوما يستعيرون كلبا لينزوه على كلبتهم فقلا: لا ينزو عليها غيري إيجابا لكم! وقيل: أتاك ريان بلبنه إذا أعطى ما يفضل منه.

أبو علي المحمودي:

أعز علي من أبوي عندي ... ومن نفسي أعز علي فلسي

فلولا الفلس هنت على صديقي ... ولم تكرم على الأطماع نفسي

وله:

ومت على الدرهم المنقوش موت فتى ... يرى الممات عليه أكرم الكرم

لولا غناك لكنت الكلب عندهم ... فإن أبيت فجرب وأشق بالندم

آخر:

لا لوم في القصد على ذي حبا ... يكرم ما يكرم من أجله

آخر:

لا أحسبنك بعد الموت تنفعني ... وفي حياتي ما زودتني زادي

ومن أمثالهم:

لأي يوم يخبأ المرء السعة

آخر:

إذا فات في الدنيا الذي بك أرتجي ... فنفعك عني في المعاد قليل

محمد بن يزيد كتبه إلى من استعان به في أمر فلم يجد عليه:

أترضى لي بأن أرضى بتقصيرك في أمري؟

لعل الله أن يصنع لي من حيث لا تدري

فألقاك بلا شكر وتلقاني بلا أجر!

الحد العاشر

في الأطعمة

مما جاء في أوصاف الأطعمة

الخبز:

قيل: الخبز يسمى جابر أو عاصم بن حبة. كما قيل: التمر بنت نخيلة. وقال أعرابي عير بعمل تعاطاه:

فلا تلوماني ولوما جابرا ... فجابر كلفني الهواجرا

وقيل لأعرابي: الخبز أحب إليك أم التمر؟ فقال: التمر طيب وما عن الخبز صبر. وقيل لبعضهم: ما طعم الخبز؟ قال: طعم أدامة. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أكرموا الخبز فإن الله تعالى: سخر له ما في السموات والأرض.

السويق:

عاب عائب السويق عند الطفاوية، وكانت امرأة أدركت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: لا تفعل فإن السويق طعام المسافر والعجلان والحزين والسمنة والنفساء والمريض. وقيل: هو يرفو الضعيف ويشد فؤاد السقيم وفقاره، ويجلو البلغم ومسمونه يصفي الدم، إن شئت كان ثريدا وإن شئت كان خبيصا.." (١)

"حمد اللحم وذمه:

قيل: أطيب اللحم عوده أي ما عاد منه بالعظم. وقيل: اللحم أقل الطعام نجوا. وقيل: من لم يأكل اللحم أربعين يوما نقص عقله. وقيل: من تركه أربعين يوما ساء خلقه. وقال بعض الأطباء: عجبا لمن أكله الخبز واللحم وشربه ماء الكرم ثم اقتصد في تناولها كيف يموت؟ واستقبل عمر رجلا ثلاثة أيام على الولاء وقد اشترى لحما فعلاه بالدرة وقال: إن الله تعالى يبغض قوما لحميين، عاقب بين اللحم وغيره. وقيل: إياكم وهذه المجازر فإن لها ضراوة كضراوة الخمر. وقال المسيح: ألحم تأكل لحما؟ أف لهذا عملا! وسئل بعض الرهبان عن تركه أكل اللحم فقال: إنا رأينا الغوائل تتولد من أكل اللحم، ألا ترى أن أكلة اللحم من السباع هي أشد ضررا من أكلة الحشيش؟

السكباج والزيرباج:

يقال للسكباج الخلية والمخللة والشمقمقة، والصفصاف لغة ثقيف، وسموه أم القرى. ولم يكن يطلق السكباج أن يطبخ في أيام الفرس إلا بخاتم من الملك. وسئل بعضهم عنه فقال: إنه يشفي العرم ويفتق الشهوة، ويقدم في الثرائد وتزين به الموائد، تجيدها الخاصة ولا تغلط فيها العامة قال الحجاج لطباخه: اتخذ لنا صفصافة وأكثر فيجنها. فلم يدر الطباخ ما عناه فسأل ابن القرية فقال: اتخذ سكباجة وأكثر سدابها. وقال المنصور يوما لحظية له: إلى كم نأكل السكباج؟ يعرض بها. فقالت: يا أمير المؤمنين هو مخ الأطعمة لا يمل حارها ولا يكره باردها. فاستحيا منها.

عبد الملك بن محمد بن إسماعيل:

وسكباجة تشفي السقام بطيبها ... على أنها جاءت بلون سقيم

إذا زارها أيدي الرجال تزاحمت ... كأيدي نساء في ظلال نعيم

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢٧٧/١

بعضهم:

فتنتنا بريحها السكباجه ... فتركنا من أجلها ألف حاجة

وأكل أعرابي القريش فقيل له: ما أكلت؟ قال: الفالوذج ألا إنكم هضمتموه بعد.

بعضهم:

قدم طاهيك زيرباجه ... وهي على الدهر خير باجه

صبيغة الزعفران تحوي ... أطايب الفرخ والدجاجه

وقدم إلى طفيلي سكباجة بلا زعفران فقال: ما لها خرجت متفضلة بلا لباس.

الثريد:

قيل لأعرابي: أي الطعام أطيب؟ فقال: ثريدة دكناء من الفلفل رقطاء من الحمص ذات حفافين من الصبغ لها جناحان من العراق، أضرب بها ضرب الولي السوء في مال اليتيم! حسان:

ثريد كأن السمن في جنباته ... نجوم الثريا أو عيون الضياون

قال الأصمعي: قلت لأعرابي هل لك في ثريدة؟ قال: نعم.

ثريدة محمومة في صفحة مكمومة

قد ألحفت رقاقا وكللت عراقا

المرق:

قيل: المرق أحد اللحمين. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا طبخ أحدكم اللحم فليستكثر من المرق، فمن عدم اللحم أكل المرق فهو أحد اللحمين. قال: وأكثر الشرب إن لم يكن يكثر اللبن.

وأهدى صالح بن عميرة إلى سعيد بن سلم جوذابة فكتب إليه:

بعثت إلي بجوذابة ... فأين التي جاء جوذابها؟

فقال لابن أخيه: أجبه فكتب إليه:

بعثنا إليك بجوذابة ... وحاز الإوزة أصحابها

الشواء:

ابن الرومي:

وسميطة صفراء دينارية ... ثمنا ولونا زفها لك حزور

ظلنا نقشر جلدها عن لحمها ... فكأنك تبرا عن لجين يقشر

ويقاربه في صفته:

شديد اصفرار الكشيتين كأنما ... يطلى بورس بطنه وشواكله

ابن طباطبا:

إن أنس لم أنس قبل الحشر مائدة ... ظلنا لديك بها في أشغل الشغل

إذ أقبل الجدي مكشوفا ترائبه ... كأنه متمط دائم الكسل

قد مد كلتا يديه لي فأذكرني ... بيتا تمثلته من أحسن المثل

كأنه عاشق قد مد بسطته ... يوم الفراق إلى توديع مرتحل

وقدم إلى بعضهم جدي خشب لم ينضج فقال: كأنه شريحة من قصب.

ابن طباطبا يذمه:

قد أتينا به عواري ضلوع ... هي في الوصف والمدار سواء؟

حار فهمي فلست أدري أمدرا ... ة بدت أم شريحة أم شواء؟

وقدم لأبي علي القسري مرة شواء غير نضيج فقال: هذا لا تعمل فيه العوامل. وقال بعض القدماء في سفود عليه لحم:

وذي شعب شتى كسوت فروجه ... بغاشية يوما مقطعة حمرا." (١)

"وينشد في غير النضيج عبدة بن الطيب:

لما نزلنا رفعنا ظل أخبية ... وفاز للحم بالقول المراجيل

وردا وأشقر لم ينهبه طالبه ... ما غير القلي منه فهو مأكول

القديد:

حمل إلى أعرابي لحم مقدد صلب فقال: ما هذا لحم مقدد بل حبل ممدد.

البيض والعجة:

ابن أبي البغل:

وصف على الكانون بيض كأنه ... فرائد در سل من صدف البحر

كما اصطف أرجاء الندي وصائف ... على دستبيد قد تملى من الخمر

أكل بعضهم بيضا مع سلطان يأكل الصفرة ويؤثره بالبياض فقال الرجل: سقى الله العجة ما أعدلها. وكتب منصور الفقيه إلى جار له يستدعي منه بيضا لابنه:

لأبي الفضل إذا هم بما يهوى لجاجه

فله عندك مطلو ... ب ومأمول وحاجه

درة ليست من البحر ولكن من دجاجه

البرزماورد:

قيل: البرزماورد نرجس الموائد. وقد أحدثته الفرس في بعض الحروب واستخفوا حمله في المعازل وسموه رزماورداي. هو طعام أفاده الحرب ثم قيل بزم أورد، وقيل سمي زماورد، وسمي المهيأ والميسر. قال الشاعر:

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢٧٨/١

كل الميسر من راسين يا سكني ... لا يستطاع ولا سيفان في غمد

البقل:

قال أبو نواس: مائدة بلا بقل كشيخ بلا عقل، ومجلس بلا ريحان كشجرة بلا أغصان.

الخل: قال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم الادام الخل. وقال: ما أفقر بيت فيه خل.

الأرز:

كان الحسن بن سويد يأكل مع المأمون، فقد الأرز فقال: الأرز يزيد في العمر. فقال المأمون: كيف؟ فقال: ذكر أطباء الهند أن الأرز يري المنامات الحسنة، ومن رأى مناما حسنا كان في نهارين، فاستحسن المأمون منه ذلك، وجرى ذكر البهطة في مجلس إبراهيم التيمي القاضي فقال رجل حضر لإقامة شهادة: ما هو؟ فقيل: الأرز باللبن. فقال: لا أشتهيه. فسكت ثم قال: وما أظن عاقلا يشتهيه. فقال إبراهيم: أما الأولى فقد احتملناها، وأما الثانية فلا محتمل عليها، فأخر شهادته. وكان بعض شعراء الزمان عند عضد الدولة فقدم البهطة فقال: صفها. فعجز عن ذلك فقال عضد الدولة:

وبهطة تعجز عن وصفها ... يا مدعي الأوصاف بالزور

كأنها في الجام مجلوة ... لآلىء في ماء كافور

آخر:

ولست أحب الرز إن قل طبخه ... فكيف أحب الرز وهو مسخن؟

الطباهجة:

ابن الرومي:

طباهجة كأعراف الديوك ... تروق العين من شرط الملوك

هلم إلى مساعدتي عليها ... فلست لمثل ذلك بالتروك

الهريسة:

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن نبيا من أنبياء الله تعالى شكا ضعفا في بدنه، ووجعا في صلبه، فأوحى الله تعالى إليه أن أطبخ اللحم بالبر وكل، فإني قد جعلت القوة فيهما.

ابن الرومي:

هلم إلى من عذبت طول ليلها ... بأضيق حبس في تنور تعذب

وقد ضربت حدين وهي بريئة ... فقوموا إلى دفن الشهيدة تؤجروا

وقيل: الهريسة أوطأ فراش هيىء لنبيذ.

وللخوارزمي:

هل تنشطون لتنورية خنقت ... من أول الليل حتى قلبها يجف

كأنها وهي فوق الجام قد غرقت ... في دفنها قمر بالشمس ملتحف

أو درهم فوقه الدينار منطبق ... أو لوح عاج على الزدياب مكتنف

أبو طاهر المأموني:

در نثير اسلاكه قطع ... في ماء ورد وصندل نقعا

الرؤس:

كان الثوري يعجب بالرؤس، ويسميها مرة عرسا لما تجمع من الألوان المختلفة الطيبة، ومرة الجامع ومرة الكامل ويقول: هو شيء واحد ذو ألوان عجيبة وأطعمة مختلفة. **وقيل لأعرابي**: تحسن أكل الرؤوس؟ فقال: نعم أبخص عينيه وأقلع أذنيه، وأفك لحييه، وأشج شدقيه، وأرمي بالعظم إلى من هو أحوج إليه مني. ودعا بعضهم آخر إلى دعوته وقال: عندي رغف خوارة ورؤوس فوارة. ودعي رجل إلى أكل الرؤوس فلما قام قال: أطعمكم الله من رؤوس أهل الجنة.

وقال ابن الرومي:

هام وأرغفة وضاء ضخمة ... قد أخرجا من فاحم فوار

كوجوه أهل الجنة ابتسمت لنا ... مقرونة بوجوه أهل النار

الدماغ والمخ:." (١)

"بدلوها بلقمتي سكباج ... أو شواء مفصل من عظام

السمك:

قال أعرابي: كل من السمك القذال ودع منه المبال. وقال آخر: كل ما تفلس ودع ما تملس. وقدم إلى جعفر بن يحيي سمك فقال: هذا إن لم يكفن بخبيص ويقبر بنبيذ فالحذر منه وقال طبيب الهند: اجتنبوا ما يخرج من الضرع والبحر.

أبو طالب المأموني:

ماوية فضية لحمها ... ألذ ما يأكله الآكل

يضمها من جلدها جوشن ... مدبل فهو لها شامل

تعيشها اللجة ما خيمت ... بها كما يتلفها الساحل

لو نلت من فضتها عسجدا ... بقليها ما ضافني نازل

الباذنجان:

في الخبر: كلوا القرع واجتنبوا الباذنجان. **قيل لأعرابي**: ما تقول في الباذنجان؟ قال: لونه لون بطون العقارب، وأذنابه كأذناب المحاجم، وطعمه طعم الزقوم! فقيل: إنه يحشى باللحم ويقلى بالزيت فيكون طيبا. فقال: لو حشي بالتقوى، وقلي بالمغفرة، وطبخته الحور العين، وحملته الملائكة ما كان إلا بغيضي. وقيل لآخر: ما تقول في باذنجان عملته بوران؟ فقال: إن شققته مريم وطبخته سارة وقدمته فاطمة، لا رغبة لي فيه! وحكي أن الشبلي رئي يوما على الجسر، وكان يوما مطيرا، فقيل له: إلى أين؟ فقال: بلغني أن فلانا يعيب الباذنجان فأريد أن أمر عليه فأخاصمه.

الوأواء الدمشقي:

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢٧٩/١

أتانا بمقلي بورانه ... وشيرازه من لبان الغنم

وقد شنج القلي منه الجلود ... كتشنيج أوجه سود الخدم

آخر:

كرة من المسك الذكي تضمنت ... من تحت مسك لؤلؤا مقشورا

عبد العزيز:

وسود تروت بالدهان فأبدلت ... بتوريدها لونا من النار أكلفا

كأفواه زنج تبصر الجلد أسودا ... وتبصر إن فرت لجينا مؤلفا

كخلق حبيب خاف اكثار حاسد ... فأظهر صرما وهو يعتقد الوفا

المزور:

قال أحمد بن حمدون:

قلت: الطعام! فقالوا: من مزورة! ... فقلت: زور وليس الزور من وطري

هاتوا أطايب ثور فائق سمنا ... كالفيل قدا وإن عدوه في البقر

وسكبجوها ووفوها توابلها ... وزعفروها وصفوها عن الغير

وقدموها على بيضاء صافية ... كأنما خرطت من دارة القمر

فمن نجا فدفاع الله سلمه ... ومن مضى فإلى الفردوس أو سقر!

وقال ابن سكرة:

قد صرت كالزور في أكلي مزورة ... فإنها كاسمها بين الورى زور

خذ الحقاق واترك ما تزوره ... فالحق متبع والزور مهجور

ولا تؤخر لذيذ الأكل خوف أذى ... فليس في الموت تقديم وتأخير

طعام يعاد على مائدة واحدة:

ابن طباطبا:

أرز جاء يتبعه أرز ... هو الإيطاء يتخذ اتخاذ

فإيطاء القريض كما علمنا ... وإيطاء الطعام كمثل هذا

الملح:

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من الداء، منها الجذام والبرص.

الخوارزمي:

فهو بقل وروضة وجوارشن ... وأدم وزاد حامل زاد

المأموني:

لا تدن مني الملح إن شبته ... من الأبازير بألوان

فوجهه أبرص ذو نمشة ... بين ثآليل وخيلان

وهاته من غير خلط له ... أدام زهار ورهبان

العسل:

قيل: أجود العسل الذهبي الذي إذا قطرت منه على الأرض قطرة استدارت استدارة الزئبق، ولم يتغبش ولم يختلط بالتراب. وقيل: أجوده ما يلطخ على الفتيلة ثم توقد فيها النار فتعلق. وكتب هشام إلى عامله أن ابعث إلي بعسل من عسل خدار، من النحل الأبكار من المستشار الذي لم تقربه نار. وقيل لرجل: ما تشتهي؟ فقال: جنى النحل وجنى النخل. فقيل له: أيهما أحب إليك؟ قال: أشفاهما وأنقاهما، وأبعدهما من الداء وأدناهما من الشفاء. وجعله الله تعالى في الجنان اللطيف بلا تفل، الخفيف بلا ثقل. وقال ديمقراطيس وقد سئل عما يزيد في العمر فقال: من أدام أكل العسل ودهن جسمه زاد الله في عمره.

الحلواء:." (١)

"ويأكلون الهبيد، وهو الحنظل المالح. وقال بعضهم: نزلت برجل فأضافني فأتى بحية فشواها فأطعمنيها، ثم أتى بماء منتن فسقانيه، فلما أردت الإرتحال قال: ألا أقمت؟ طعام طيب وماء نمير! وكانوا يأكلون في الجدب العلهز، وهو الحلم الكبار يدق مع الوبر. وقيل: هو العلهز بالفتح. وكان أحدهم يتناول الشعر المحلوق فيجعله في حفنة من الدقيق ثم يأكله مع ما فيه من القمل، ولذلك قال شاعرهم:

بني أسد جاءت بكم قملية ... بها باطن من داء سوء وظاهر

ومن طعامهم الفظ، وهو ماء الكرش. وقيل لأعرابي: ما تأكلون؟ فقال: نأكل ما دب ودرج إلا أم حبين. فقال: لتهن أم حبين العافية.

أبو نواس:

ولا تأخذ عن الأعراب طعما ... ولا عيشا فعيشهم جديب

وكان رؤبة يأكل الفأر فقيل له: ألا تستقذره؟ فقال: هو والله ما يأكل إلا فاخرات متاعنا. وبنو تميم يعيرون بأكل الضب؛ قال أبو نواس:

إذا ما تميمي أتاك مفاخرا ... فقل: عد عن ذا كيف أكلك للضب؟

أكل قاذورات على غلط:

قال الأصمعي: دنوت من بعض الأخبية في البادية فسقيت لبنا في إناء، فلما شربته قلت هل كان هذا الإناء نظيفا؟ فقيل: نعم إنا نأكل منه بالنهار، ونبول فيه بالليل، فإذا أصبحنا سقينا الكلب فيه فلحسه ونقاه! فقلت: لعن الله هذه النظافة ولعنكم من قوم متقذرين! قال: ونزلت على امرأة فنظرت إلى قطع من القديد منظومة في خيط، فأمعنت في أكله، فأقبلت المرأة فقالت: يا هذا ليس ما أكلت مما يؤكل! فقلت: ما هو؟ قالت: إني امرأة خاتنه أختن جواري الحي، فكلما خفضت

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/٢٨١

واحدة نظمت خافضتها في هذا الخيط لأعرف عددهن، فتقأيت استشباعا. وقعد رجل في سفينة، وركب معه يهودي قد احتضن سلة قديد، فاستولى عليها الرجل وأخذ يأكلها حتى لم يبق إلا عظيمات، فلما أراد الخروج إلى البر رأى اليهودي السلة فارغة، فسأل عنها فقيل: إن هذا الرجل أكل ما فيها. فولول وقال: أكلت أبي! فسئل عن ذلك فقال: كان أبي أوصى أن يدفن بيت المقدس، فلما مات قددناه ليسهل حمله فأكله هذا.

الموصوف بالطيب:

يقال ألذ من زبد بنرسيان، وأحلى من الشهد، وأزكى من الورد، وأشهى من إنجاز الوعد. أحلى من المن والسلوى. ألذ من نظر المعشوق في وجه عاشق بابتسام.

آخر:

وألذ من أنغام خلة عاشق ... زارته بعد تمنع وشماس

أعذب من الماء الزلال. أطيب من قبلة الحبيب على غفلة الرقيب. طعام تضن به العين عن الفم. وقال رقبة بن مصقلة في صفة دعوة: جاؤنا بخوان كالقاع في بياض الفضة، عليه رقاق كقباطي مصر، ورغف كدارة القمر وبقول كوشي السندس، وخل كذوب العقيق، ثم جاؤوا بفالوذج كأن الزئبق الجاري ينبع من خلله للجريان على وجهه، ترى نقش الدرهم من تحته ظاهرا، يذوب فبل التطعم، ويبتلع قبل التينع.

الموصوف بالنتن:

أنتن من الجيفة ومن ريح الجورب ومن العذراء، ومن مرقات النعجة أي ما تمرق من شعرها أي ما ينتف.

كنى الأطعمة وأسماؤها الأعلام عند الصوفية:

قد أكثر الناس من ذلك وذكرت منه طرفا هو اقرب: الخبز أبو جابر، والسكباج أم القدور، والقلية زلزل المغني، والطباهج الزرزر الصناج، والمضيرة الشيخ اليهودي، أبو الزئبق البقل، أبو زحام بلا منفعة الخل، أبو عامر الغضبان. الخيار أبو الأخضر. البندق القثاء. أبو القرون البصل. أبو قمصان الدجاج. أم حفص الفروج. بنات المؤذن السكر. أبو شيبة الخوزي.

أنواع من ذكر الأطعمة:." (١)

"قال النبي صلى الله عليه وسلم: إياكم والبطنة فإنها مفسدة للبدن مورثة للسقم، مكسلة عن العبادة. وقال صلى الله عليه وسلم: الرغب شؤم. وقيل: الموت جوعا خيرا من الحياة شبعا. وقال ذو الرياستين: ما عجبت لاتفاق الأطباء على ثلاث كلمات. قال طبيب الروم: كل قليلا ولا تكن عليلا، وقال طبيب فارس: كل قصدا لا تلق من الكظة جهدا، وقال طبيب الهند كل قدرا لا تضيق به صدرا. وقيل:صحة الجسم قلة الطعم وصحة الروح اجتناب الإثم. وجاء رجل إلى أبي مسلم فقال: أعطيك دواء تأكل معه ما شئت فلا يضرك. فقال: لا حاجة لي فيه فقبيح بالإنسان أن يدخل المستراح في كل يوم أكثر من مرة، وقبيح به أن يحن في الشهر أكثر من مرة. وقال الخليل: اثقل ساعاتي ساعة آكل فيها. وقال مالك بن دينار: وددت أن رزقي حصاة أمصها فقد ضجرت من كثرة ترددي إلى الخلاء. وقال تعالى: " والذين كفروا يتمتعون

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/٢٨٥

ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم " . وقال صلى الله عليه وسلم: ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان ولابد فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس. وفي كتاب كليلة ودمنة: ليعد من البهائم من همته بطنه وفرجه. وكانت العرب تسمي الشبع أبا الكفر. وقيل: إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة. البطنة تذهب الفطنة. قيل: لا تسكن الحكمة بطنا ملىء طعاما. من الكرم تنزيه القرم. وقيل: الشبع داعية البشم، والبشم داعية السقم، والسقم داعية الموت، ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة. قال الحسن: مسكين ابن آدم صريع الشبع أسير الجوع.

شاعر:

وإن امتلاء البطن في جسد الفتى ... قليل غناء وهو في الجسم صالح

وقال طرفة في عمرو بن هند:

ويشرب حتى يغمر المحض قلبه ... وإن أعطه أترك لقلبي مجثما

وباع مالك بن دينار جارية فزارته يوما فقال: كيف ترين مواليك؟ فقالت: ما أكثر خير بيوتهم! فقال: أخبرتني عن عمران حشوشهم. وقال يحيى بن معاذ: من أكل حتى شبع عوقب بثلاث: يلقي الغطاء على قلبه، والنعاس على عينيه، والكسل على جسمه. وقال بشر الحافي: من ضبط بطنه فقد ضبط الأعمال الصالحة كلها. وقال بشر بن الحارث: لا تعود نفسك الشبع من الحلال فتدعوك إلى الحرام. وسأل رجل عن غسل الجمعة فقال: اغسل بطنك بكفيك من غسل بدنك. واشتهى أبو مسلم الهريسة فقال لطباخه: اشتهيت هريسة فاتخذها أجود ما يكون. فلما قدمت إليه أمر بأن ترفع ولم يأكل. ثم قال له من بعد: اتخذ هريسة. فاتخذها وقدمها إليه فلم يأكل. وتقدم إليه ثالثا فعملها وقدمها فلم يأكل فقال الطباخ: أيها الأمير لقد أجدت حتى لا غاية فما الذي يحجزك عنها؟ قال: رأيت نفسي قد شرهت إلى تناولها فكرهت أن تغلبني شهوتي. وقيل: لا تجعلوا بطونكم خزائن الشيطان يضع فيها ما أحب.

حد الشبع:

قيل لأعرابي سأل ما حد الشبع: هو الامتلاء من الطعام حتى لا تشتهيه. فقال: وهل يكون ذلك إلا في الجنة؟ أعرابي: اللهم إن أسالك ميتة كميتة عرفجة. فقيل: كيف مات؟ قال: أكل بزجا وشرب مشعلا والتف في كسائه ومات، فلقي الله شبعان ريان دفآن.

حمد الطوى وذمه:

المغيرة بن شعبة: علموا أولادكم الخفاف، احملوهم على الطوى لأن من اتبع أمرا لزمه، ومن أكثر من تركه أجمه. الحارث بن كلدة: خير الدواء الأزم، وشر الدواء إدخال الطعام على الطعام. قيل ليوسف عليه السلام: لم تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ فقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع. وقيل: ترك الأكل يضيق الأمعاء.

الصابر على الجوع:

قال:

ولقد أبيت على الطوى وأظله ... حتى أنال به لذيذ المطعم

وخرج أبو خراش في سفر فعدم الطعام أياما، فمر بامرأة فقال: هل من طعام، فأتته بعمروس فقالت: اذبحه، فذبحه وسلخه ثم شواه، فلما وجد رائحة الشواء قرقر بطنه فقال: أتقرقر من رائحة الشواء، يا ربة البيت هل من صبر؟ فأتته بصبر فاقتحمه وأتبعه بماء، ثم ارتحل ولم يأكل وقال:

وإني لأثوي الجوع حتى يملني ... فيذهب لم تدنس ثيابي ولا عرضي

آخر:

وأغتبق الماء القراح وأنتهي ... إذا الزاد أمسى للمزلج ذا طعم

مخافة أن أحيا برغم وذلة ... وللموت خير من حياة على رغم." (١)

"الصائن بطنه عما يلزم منة أو مذمة:

قيل: أحسن بيت في هذا المعنى قول نهشل:

أغر كمصباح الدجنة يتقى ... قذى الزاد حتى يستفاد أطايبه

وقال:

إذا مطعمي كان ذا غصة ... غسلت يدي منه قبل أكتفائي

آخر:

ألبان إبل تعلة بن مساور ... ما دام يملكها علي حرام

وطعام عمران بن أوفى مثلها ... ما دام يسلك في البطون طعام

إن الذين يسوغ في أعناقهم ... زاد يمن عليهم للئام

قال بعضهم: اكتريت من جمال فكان يحدو بنا بقول الشاعر:

أبلج بين ... حاجبيه نوره

فلما بلغ قوله:

إذا تغدى ... رفعت ستوره

أمسك حتى بلغنا المنزل فقلنا: لم لم تكن تنشد قبل هذا؟ فقال: تفاديا من أن تحسبوني أعرض بزادكم.

حمد الرضا بما يتسهل:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: كفى بالمرء عيبا أن يتسخط ما قرب إليه. وقيل: كل في شهوة أهلك. قال الأصمعي: رأيت أعرابية تأكل قشور الرمان فقلت: ما هذا؟ قالت: أدفع به الجوع فإن الجوع إذا دفعته بشيء اندفع.

شاعر:

تنافس في طيب الطعام وكله ... سواء إذا ما جاوز اللهوات

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢٨٨/١

ابن الرومي:

ومتى شرهت فإن أيسر لذة ... لك إن نظرت مع السلامة كافيه

آخر:

وما هي إلا جوعة إن سددتها ... فكل طعام بين جنبيك واحد

آخر:

وما أكلة إن نلتها بغنيمة ... ولا جوعة إن جعتها بغرام

وقال بعضهم: لقيت أعرابيا فقلت من أين؟ فقال: من البادية من جبل ضربة، أرض لا نبتغي بها بدلا ولا عنها حولا، في أرغد عيش وأنعم معيشة، فالحمد لله على ما بسط من السعة ورزق من حسن الدعة، أو ما سمعت قول قائلنا:

إذا ما أصبنا كل يوم مذيقة ... وخمس تميرات صغار هوامز

فنحن ملوك الناس خصبا ونعمة ... ونحن أسود الغاب وقت الهزاهز

وكم من متمن عيشة لا ينالها ... ولو نالها أضحى بها جد فائز

الشاكي عدم المأكل:

قيل لرجل: بم تسحرت البارحة؟ فقال: باليأس عن الفطور الليلة. وقيل لرجل: ما تأكل؟ قال: الخبز والزيت. فقيل: أتصبر عليهما؟ فقال: ليتهما صبرا علي.

جرير:

تكلفني معيشة آل زيد ... ومن لي بالمرفق والصناب

وقال أعرابي لامرأته: لو كان عندنا تمر وسمن لطلبنا دقيقا، واستعرنا طنجيرا واتخذنا عصيدة. والعرب تسمي الجوع أبا عمرة. قيل لأعرابي: أتعرف يا أبا عمرة؟ قال: كيف لا أعرفه وكبدي مخيمة على أمعائه والصفر. وقيل: هو حية في البطن تعض إذا جاعت صاحبها. قال أعرابي: ما لي عهد بعضاض ولا مضاغ ولا لماج ولا شماج منذ زمان. وقيل: نزل به أبو عمرة؛ وهو كناية عن الجوع. وقال:

حل أبو عمرة وسط حجرتي

استطابة الجائع الطعام:

قيل لأبي العملس: أي طعام أطيب؟ فقال: طعام لقي الجوع بطعم وافق الشهوة. قيل: فما ألذ الأشربة؟ قال: شربة ماء تضيع بها غلتك. وقال محمد بن جعفر: العين طليعة المعدة. وكان مكتوبا على مائدة أنوشروان. ما طعمته وأنت تشتهيه فقد أكلته. وما طعمته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك. وقيل: أحد شيء ضرس جائعة.

من جسمه ينبيء عن جودة أكله:

في المثل: أفواهه هجاسة. قيل: يريك البشر ما أجاد مشفر. وقيل لرجل: ما أسمنك! فقال: أكلي الحار وشربي القار والاتكاء على الشمال. وقيل لآخر فقال: قلة الفكرة وطول الدعة والنوم في الكظة.

وصف الأكلة:

من الأكلة سعد الفراقر الذي قيل فيه: أجوع من كلب حومل، ودرواس الذي يقول: الغداء غذاء والغبوق دواء والقيل حمض والجاشرية خفض. وزهمان الذي قيل فيه: في بطن زهمان زاده. أكل سليمان بن عبد الملك أربعين دجاجة وثمانين كلية بشحومها، وثمانين جردقة وأحضر الأجاص فاحصي له ثمانمائة نواة. وكان هلال بن مشعر التيمي أكل فصيلا وأكلت امرأته فصيلا فلما تضاجعا لم يصل إليها فقالت: تصل إلي وبيننا جملان؟ وقال سالم بن قتيبة: عددت الحجاج أربعا وثمانين لقمة في كل لقمة رغيف فيه ملء كف من سمك طري. وكان معاوية يأكل حتى يتربع ثم يقول: ارفع، ما شبعت حتى مللت.

ابن أبي الأسود:

كأنما في فيه أحجار الرحا ... وكأنما في جوفه تنور

آخر:." (١)

"قد جن أضيافك من جوعهم ... فاقرأ عليهم سورة المائده

وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما في دعوة، فاستبطأ الطعام فقال: ائتونا بالخوان نأنس به إلى أن يحضر الطعام. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الملائكة لا تزال تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة. ودخل أعرابي على رجل بين يديه سلة فيها طعام فقال: ما هذا؟ قال: بظر أمك. فقال: اعضضن به. ودخل الشعبي على أبي عمرو فتطاولا ثم قال الشعبي: أعندك تحفة؟ فقال: نعم أي التحفتين أحب إليك أتحفة إبراهيم أم تحفة مريم؟ فقال: تحفة إبراهيم عهدي به الساعة، يعني اللحم، ولكن ائتني بتحفة مريم فأتاه بالرطب. **وقيل لأعرابي**: ما تشتهي؟ فقال: حرف جردق وعرق مرق. وقال بعض أهل الكوفة: دخل علي جعيفران فقال: هل من طعام؟ فقلت: سلق بخردل. فقال: فاشتر بطيخا. فقلت للجارية: قدمي الطعام واذهبي فاشتري بطيخا، فقدمت الطعام وذهبت وتباطأت فقال جعيفران:

سلقتنا وخردلت ... ثم ولت وهرولت

وأراها بواحد ... وافر الأير قد خلت

فخرجت في طلبها فإذا بالسائس قد خلا بها في الدهليز كما وصف.

الاحتجاج للتطفل والتبجح به:

عوتب طفيلي فقال: كلكم طفيليون لكنكم تجهلون أنكم تؤدون الأعمال من غير أن تدعوا إليها، وسواء تطفل على طعام أو على تمنية. وقال طفيلي وقد عوتب: قد تطفل بنو إسرائيل على الله فقالوا: ربنا أنزل علينا مائدة من السماء. وقيل لطفيلي: لا يحل لك أن تأكل من طعام لم تدع إليه، فقال: هذا خلاف قول الله تعالى حيث قال: ليس على الأعمى حرج، إلى قوله: ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم، أو بيوت إخوانكم. وقد قال الله عز وجل: " إنما المؤمنون أخوة " . وقال طفيلي: إن لم أدع ولم أجيء وقعت وحشة، ثم أنشد:

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢٨٩/١

نزوركم لا نكافئكم بجفوتكم ... إن المحب إذا لم يستزر زارا

آخر:

لا أرى التطفيل إلا ... في فتى حر كريم

وقال علي البصري:

أحسن الأخوان إن خفت من الإخوان جفوه

طرحك الحشمة عنهم ... وتجي من غير دعوه

آخر:

قد أتيناك زائرين خفافا ... وعلمنا بأن عندك فضله

إن تجدنا كما تحب وإلا ... فاحتملنا، فإنما هي أكله!

المهجو بالتطفل وذمه:

قيل: فلان أطفل من ليل على نهار، وألزم للخوان من منديل الغمر، يأكل لما ويوسع الحي ذما.

ابن طباطبا:

ولو نشر النبي لكنت منه ... مكان أبي هريرة غير مين

ألح زيارة ليلف زادا ... معدا لابن فاطمة الحسين

آخر:

لو يسمعون بأكلة أو شربة ... بعمان أمسى جمعهم بعمان

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراما. وكان أبو دلف العجلي كتب من الكرخ إلى محمد بن فاخر بأصبهان: إني أريد أن ألم بك يوما فأضيفك وأرى أصبهان. فهيأ ابن فاخر وأنفق مالا جما، وكان بأصبهان شويعر بينه وبين ابن فاخر عداوة، فكتب مرقعة ودفعها إلى من تصدى لأبي دلف لما قرب من أصبهان فقرأها فإذا فيها:

جئت في ألف فارس ... لغداء من الكرج

ما على المرء بعد ذا ... في دنا النفس من حرج

فانصرف أبو دلف راجعا وأفسد على محمد ما كان هيأه.

ابن بشير فيمن أكل وحمل:

أكلوا حتى إذا شبعوا ... حملوا الفضل الذي تركوا

احتمال المشقة فيه:

قال أبو الجهم:

كم لطمة في حر وجهك صلبة ... من كف بواب سفيه ضابط

حتى وصلت قتلت أكلة ضيغم ... متضمخ بدم وأنف ساقط

فسمعها طفيلي قال: نعم من طلب عظيما خاطر بعظيم.

الشديد الطمع:

قيل: هو أطمع من أشعب. وكان قيل لأشعب: ما بلغ من طمعك؟ فقال: ما زفت عروس إلا كنست بابي ورششته طمعا أن تحمل إلى داري، وما سارر أحد أحدا إلا ظننته يأمر لي بشيء. وقيل لطفيلي: ما بلغ من طمعك؟ فقال: ما سألتني عن هذا إلا وفي نيتك أن تعطيني شيئا.

حث المتطفل على الوقاحة:

رأى طفيلي آخر فقال له: هلا حضرت دعوة فلان؟ فقال: لا يجتمع التطفيل والحياء أما سمعت قول الشاعر:

لا تستحين من القريب ... ولا من الفظ البعيد." (١)

"فقو عزيمته في الوفا ... بتذكرة لك في رقعة

واجتمع قوم في دار ليلة فأرادوا الصبوح فقال المغني: دعوا صاحب الدار لي فإني أحمله على أن يحتبسكم فغنى:

ومعرس طلب الصبوح وإنني ... لفتى يوافقني الصباح وحسنه

فقال الرجل لجاريته: القوم أرادوا الاصطباح فما الحيلة؟ فقالت الجارية: دعهم لي. وأخذت العود وغنت:

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا ... بها أثر منهم جديد ودارس

فانصرف القوم.

مما جاء في الأجواد بالقرى

قيل لأعرابي: ما القرى؟ فقال: نار يعلو شرفها وخيمة يوطأ كنفها. وقال آخر: تلقى النزيل بالوجه الجميل. وقيل: بذل القرى فوق بذل الندى.

الحث على الإضافة:

قال لله تعالى في مدح قوم: " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا " . وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أطعموا الطعام، وأفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام. قال صلى الله عليه وسلم: إذا نزل الضيف بقوم نزل برزقه، وإذا ارتحل عنهم ارتحل بذنوبهم. وقال: أيما مسلم أضاف فأصبح الضيف محروما، فحق على كل مسلم نصرته حتى يأخذ قرى ليلته من زرعه أو ماله. أنس بن مالك: كل بيت لا يدخله ضيف سبعة أيام لم تدخله الملائكة. ومر قتيبة بعذرة فقال: إن من يبخل بما يصير حاله إلى هذا لبخيل. وقيل لبعضهم: ما الكرم؟ فقال: طعام مبذول ونائل موصول ووفاء لا يحول. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: لأن اختبز صاعا أو صاعين فأدعو إليه نفرا من أخواني أحب إلي من أن أعتق رقبة.

حث الشافع المشفوع إليه على الاصطناع:

كلم علي بن الحسين رضي الله عنهما عاملا في رجل فقال: أنا لا أكلمك في ما يوهي دينك ويوقع أمانتك، ولكن الحر

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢٩١/١

القادر إذا أراد أن يحسن أحسن. وقال الواثق يوما لأحمد بن أبي داود تضجرا بكثرة حوائجه: قد اختلت بيوت المال بطلباتك للائذين بك والمتوسلين إليك. فقال: يا أمير المؤمنين هي نتائج شكرها متصل بك وذخائر أجرها مكتوب لك، وما لي من ذلك إلا أن أخلد المدح فيك. فقال: أحسنت! وشفعه. وكتب الصاحب في فصل:

والفتى إن أراد نفع أخيه ... فهو يدري في أمره كيف يسعى

مما جاء في الجود والأجواد

ما حد به الجود والأجواد:

قيل للأحنف: ما السخاء؟ قال: الاستقصاء على الملهوف. وقيل: السخي من كان بماله متبرعا وعن مال غيره متورعا وقيل لصوفي: من الجواد من الناس؟ فقال: الذي يؤدي ما افترض عليه. وقيل للحسن رضي الله عنه: من السخي؟ فقال: الذي لو كانت الدنيا له فأنفقها لرأى عليه بعد ذلك حقوقا. وقال بعضهم: الناس أربعة، جواد وهو الذي يعطي حظ دنياه وآخرته، وبخيل وهو الذي لا يعطي واحدا منهما، ومسرف وهو الذي جعل ماله لدنياه، ومقتصد وهو الذي أعطى كلا بقدره.

كون السخاء واقيا من النقم:

قال الله تعالى: " وما تفعلوا من خير يعلمه الله " . وقال تعالى: " وما تفعلوا من خير فلن تكفروه " . وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة. وقال: عليكم باصطناع المعروف فإنه يقي مصارع السوء. وقال صلى الله عليه وسلم: السخاء شجرة من أشجار الجنة أغصانها متدلية في الدنيا. فمن أخذ بغصن من أغصانها أداه إلى الجنة، والبخل شجرة من أشجار النار، فمن أخذ بغصن من أغصانها أداه إلى النار. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنما أمهل فرعون مع ادعائه الربوبية لسهولة أذنه وبذل طعامه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: صاحب المعروف لا يقع وإن وقع وجد متكا. وقيل لحكيم: ما الذي يشبه من أفعال العباد فعل الله؟ فقال: الإحسان إلى الناس.

كون المحسن محبوبا عند الله ورسوله:." (١)

"تناوح إن رأت شخصا غريبا ... يوافي عند هبات الرياح

الموقد ناره للأضياف:

قيل لأعرابي: ممن أنت؟ قال: ممن لا يزجر وفودهم ولا يسر وقودهم. وقيل لآخر مثله فقال: ممن يهتدي برأيه الصحب، ويستدل بناره الركب. وقال آخر: لهم نار وارية الزناد قديمة الولاد، تضيء لها البلاد ويحيى بها العباد.

مضرس:

وإني لأدعو الضيف بالضر بعدما ... كسا الأرض نضاح الجليد وجامده

آخر:

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/٢٩٥

له نار تشب بكل قاع ... إذا النيران ألبست القناعا

ابن مطرود:

أوقد النار بالفضا حين لم ير ... ض نباح الكلاب للأضياف

كعب الأشعري:

رفعوا الوقود على الجبال ترفعا ... أن يستدل عليهم بنباح

ابن ميادة:

وناراه نار يجذب الضيف ضوؤها ... وآخرى يصيب المجرمين سعيرها

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ... تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

فلم يتبجح إلا بوجود الحطب والنار في اللفظ، وقد أحسن القائل:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره ... تجد خير نار عندها خير موقد

المتبجح بأن كلابه تسر بمجيء الضيف:

قال جرير:

حبيب إلى كلب الكريم مناخه ... يفيض إلى الكوماء والكلب أبصر

آخر:

وكلبك أبصر بالمعتفين ... من الأم بابنتها الزاهده

عبد الأعلى العبدي:

فللكلب لما أن هداه إلى القرى ... نصيب وللنور الدليل نصيب

ابن هرمة:

ويدل ضيفي في الظلام على القرى ... إشراف ناري أو نباح كلابي

حتى إذا واجهته وعرفته ... فديته ببصابص الأذناب

آخر:

يبصبص كلبنا إن جاء ضيف ... ويقتل إن ترمرم بالهرير

المتبجح بأن كلابه لا تهر على الضيف:

حسان بن ثابت:

يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل

آخر:

وما يك في من عيب فإني ... جبان الكلب مهزول الفصيل

قال الأصمعي لبعض الأعراب: ما تعرفون من مكارم الأخلاق؟ قال: تضيء نارنا للضيف ولا تنبح كلابنا، ونقريه وجوهنا قبل طعامنا.

الفرزدق:

وإني سفيه النار للمبتغي القرى ... وإني حليم الكلب للضيف يطرق

فيجمع بين سفه النار وهو فرط التهابها وحلم الكلب، وذلك بديع.

البارز قدره:

بعض بني غطفان:

قدوري بصحراء منصوبة ... ولا تمنع الضيف اسجافيه

حاتم:

لأن تستري قدري إذا ما طبختها ... علي إذا ما تطبخين حرام

الراعي:

إني أقسم قدري وهي بارزة ... إذ كل قدر عروس ذات جلباب

العظيم قدره:

حسان:

رأيت قدور الصاد حول بيوتنا ... قنابل دهما في المباءة صيما

آخر:

نصبنا له جوفاء ذات ضبابة ... من الدهم مبطانا طويلا ركودها

ولم قال مضرس:

وقدر كحيزوم النعامة أحمشت ... باجذال خشم زال عنها هشيمها

سمع ذلك زياد الأعجم فقال: وما حيزوم النعامة؟ لعن الله هذه من قدر! فما أحسبها تشبع آل مضرس، فقيل له: فكيف تقول أنت؟ قال أقول:

وقدر كجوف الليل أحمشت غليها ... ترى الفيل فيها طافيا لم يفصل

ولو أن بني حواء حول رمادها ... لما كان منهم واحد غير مصطلي

غليان القدر:

الفرزدق:

كأن المجال الغر في حجراتها ... عذارى بدت لما أصيب حميمها

دعبل:

وباتت قدرنا طربا تغني ... علانية بأعضاء الجزور

الكميت:

كأن هرير الغلي في جنباتها ... تغيظ غيرا عند بعض الضرائر

وقال شاعر:

وقدور على اليفاع ينادي ... الضيف منها تغيظ الغليان

وقد زاد هذا الشاعر حيث زعم أن غليان قدره يدعو أضيافه، وإن كان فيه غلو معن بن زائدة في وصفه:

إذا اختلفت أوصالها فكأنما ... يزعزعها من شدة القلي افكل

آخر:

كأن صياح الغلي في سجراتها ... بغايا عليهم الحلي يقعقع

عامر بن الصلتان:

كأن تتابع الغليان فيها ... فوارس عامر تبغي قراعا

العظيم الجفان:

الأعشى:." (١)

"حضر نصيب عند عبد الملك بن مروان فدعاه إلى الشراب فقال: إني لم أصل إليك بنفسي ولا بحسن صورتي، وإنما قربت منك بعقلي، فإن رأى الأمير أن لا يحول بيني وبينه فعل. **وقيل لأعرابي**: لم لا تشرب؟ فقال: لا اشرب من يشرب عقلي. وروي أن ابن أبي شيبة مر بغلام يلعب بالتراب فقال: لا تفعل يا أحمق! فقال الغلام: الأحمق من يشتري الحمق بماله فيدخله رأسه. ويقيء في جيبه ويسلح في ذيله، ويصبح محمرا ويمسي مصفرا! وقيل للعباس بن مرداس: لو شربت النبيذ لازددت جرأة؟ فقال: ما كنت لأصبح سيد قومي وأمسي سفيههم، وأدخل جوفي ما يحول بيني وبين عقلي. **وقيل لأعرابي**: لم لا تشرب؟ فقال لأنه يفني مالي ويغير عقلي. وعلى هذا الحديث وإن لم يكن من صريح المعنى قال بشر المريسي: دخلت على بعض أصدقائي فقلت: مر جاريتك تسقيني نبيذا. فقال: أخاف أن تأتمر. ثم قال: اسقيه. فلما شربت قال: تفكرت في أمرك فرأيت النبيذ يزيل العقل ولم أجد لك عقلا أخاف أن يزيله! شاعر:

سآلة للفتى ما ليس في يده ... ذهابه بعقول القوم والمال

وقال المحكم بن هشام لابنه وكان مولعا بالشراب: يا بني دع الشراب، فإنما هو قيء في شدقك، وسلح على عقبك أو حد في ظهرك.

من تركها تفاديا من ذم الناس:

قال بعضهم: تركت كثيره لله تعالى إجلالا، وقليله للناس جمالا. وعوتب بعضهم على تركه فقال: لو علمت أن الماء ينقص من مروءتي ما ذقته. قال الوليد للحجاج: هل لك في الشراب؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، وليس بحرام ما أحللته، ولكني أمنع أهل عملي منه وأخاف أن أخالف قول العبد الصالح: وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه؛ فأعفاه. وسأل المنصور أبا بكر الهذلي عن النبيذ فقال: تمادت فيه السفهاء حتى كرهته العلماء.

ذمها بأنها تدعو إلى الفسق:

قال الله تعالى: " إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة،

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/٢٩٩

فهل أنتم منتهون " . مرت أعرابية بقوم يشربون نبيذا فسقوها، فلما شربت أقداحا اعترتها أريحية فقال: أيشرب هذا نساؤكم؟ قالوا: نعم. قالت: إذا زنين ورب الكعبة فما يدري أحدكم من أبوه! جحظة:

لم يبلغ الشيخ إبليس إرادته ... حتى تكاثف في عنقوده العنب

سئل عبد اله بن إدريس عن الشرب فقال: اشرب ما لا يشربك.

قدر الشرب وزمنه:

قال المأمون: اشرب النبيذ ما استبشعته، فإذا استطبته فدعه. سئل أبو محمد بن عبد الله عن شرب الربيع فقال: ربيع أهل المروآت وميدان اللذات، وفي إدمانه ذهاب الفطنة وفي تركه فقد السرور. قيل: فما تقول في محادثة الرجال؟ قال: روضة لا يجف نورها وغدير لا ينضب ماؤه وجوهر لا يصلح إلا للملوك.

شاعر:

شرب النبيذ على الطعام ثلاثة ... فيها الشفاء وصحة الأبدان

وقيل: القدح الأول يكسر العطش، والثاني يمرىء الطعام، والثالث يفرح النفس وما زاد على ذلك فضل. وقال قتيبة لقاضي مرو: بلغني أنك تشرب. قال: أجل. قال: فكم تشرب؟ قال: ما بل الثفل وطيب النفس وأغنى عن الماء. قال: فما أبقيت منه؟ قال: أكثره وأخبثه التكاءة على الشمال ومنادمة الرجال والاختلاف إلى المبال. وقال بعض الظرفاء: للنبيذ حدان، حد لا هم فيه، وحد لا عقل فيه، فعليك بالأول واتق الثاني.

ابن المقفع:

سأشرب ما شربت على طعامي ... ثلاثا ثم أتركه صحيحا

فلست بقارف منه آثاما ... ولست براكب منه قبيحا

ذم إدمانها:

قال بعض الظرفاء: أربعة أشياء إن أفرط فيها الرجل أهلكته واستهوته: إدمان الخمر، وحب النساء، وشهوة الصيد، والمماراة. وفي الخبر: لا يدخل الجنة مدمن خمر.

الحث على استيفاء شربها أو تركها:

قال ابن شبرمة لكاتبه: أتشرب النبيذ؟ قال: القدحين والثلاثة. فقال: والله ما شربته شرب من يلتذ به ولا تركته ترك من يتحرج منه. وقيل في جواب هذا المثل: اشرب شرب فتوة أو اترك ترك مروءة. وقيل لبعضهم: كم تشرب؟ قال: مقدار ما أفسد به ديني! وقيل ذلك لآخر فقال: مقدار ما أقوى به على ترك الصلاة.

من أظهر رغبته فيها وقلة صبره عنها:." (١)

"ومر النخاسي بأبي السماك في شهر رمضان فقال: هل لك في رؤس وشراب كالورس يطيب النفس، ويهضم الطعام ويسهل للفدم الكلام؟ فنزل وتغديا. فأخبر أمير المؤمنين بذلك فأفلت أبو السماك وأخذ النخاسي فأتي به فضربه ثمانين،

(١) محاضرات الأدباء، ٣٠٨/١

وزاده عشرين. فقال: يا أمير المؤمنين وما هذه العلاوة؟ فقال: لجراءتك على ربك في شهر رمضان!
من تخلص من الحد في شرب الخمر:
دخل عمر رضي الله عنه على قوم يشربون فقال: ألم أنهكم عن الشرب فشربتم؟ فقال أحدهم: ألم ينهك الله عن التجسس. فلم تجسست؟ فقال: صدقت! فتجافى عنهم. وقال العبدلي للواثق: ما قمرتني إلا لكوني سكران. فقال: قد وجب عليك الحد لأنك أقرزت. فقال: هذا افتخار لا اقرار اعتراف.
التعريض بمن تغرس فيه بأنه شارب:
دخل أمية بن عبد الله على عبد الملك وبوجهه أثر فقال: ما هذا؟ قال: قمت في بعض الليل فأصابني الحائط؛ فتمثل عبد الملك بقول الشاعر:
رأتني صريع الخمر يوما فرعتها ... وللشاربيها المدمنيها مصارع
فقال أمية: لا آخذك الله يا أمير المؤمنين بسوء ظنك، ولا يؤاخذك بسوء مصرعك. وكان البراء بن قبيصة صاحب شراب، فدخل على الوليد بن عبد الملك وبوجهه أثر فقال: ما هذا؟ قال: ركبت فرسا أشقر فكبا بي. فقال: لو ركبت الأشهب لم يعثر بك. فعرض بأنه شرب الخمر ولو شرب اللبن لما سقط. وأنشد ابن الرقاع عبد الملك قصيدة وذكر فيها الخمر فأجاد وصفها، فقال عبد الملك: لقد ارتبت بك في إجادة وصفك الشراب. فقال: وأنا ارتبت بك يا أمير المؤمنين لمعرفتك بجودته.
وصف خصائص جميع الأشربة:
قيل لبعض الحكماء: صف لنا خصائص الأشربة فقال: أما الماء فيعظم خطره عند الحاجة إليه بحسب تعذره عند العدم، وأما اللبن فشبع الغرثان وري الظمآن وزاد العجلان، وأما الماذي فكالمروزي في الدثار، والنرسي في الشعار، وأما الزبيبي فنبيل المنظر سخيف المخبر، وأما الخمر فمزاج الروح وصفية النفس. وقيل لآخر: ما تقول في الماء؟ فقال: هو الحياة ويشركني فيه الحمار. فقيل: فاللبن؟ قال: ما رأيته إلا ذكرت أمي واستحييت. قيل: فالخمر؟ قال: تلك السارة البارة شراب أهل الجنة. ودعا الوليد بن يزيد شراعة من الكوفة وهو من فتيانها، فلما قدم عليه قال: إني والله لم أدعك لأسألك عن قرآن ولا استفتيك في سنة. فقال: لو سألتني عنهما لأصبتني فيهما ثورا فلم دعوتني؟ قال: لأسألك عن الفتوة. فقال: أنا دهقانها الخبير وعالمها الطبيب فسل. فقال: ما تقول في نبيذ التمر؟ قال: اشربه حتى تحر. قال: فنبيذ الدن؟ قال: اشربه حتى تجن. قال: فالدادي؟ قال: أحلى من الماذي. قال: فنبيذ الذبيب؟ فستر وجهه وقال: العظمة لله. قال: فالخمر؟ قال لا أرى شربها. قال: ولم؟ قال: لأني أؤدي شكرها. قال أبو العيناء: النبيذ المكسود الخمر.
أبو نواس:
ولا تأخذ عن الإخوان لهوا ... ولا عيشا، فعيشهم جديب
دع الألبان يشربها رجال ... رقيق العيش بينهم غريب
بأض نبتها عشب وطلح ... وأكثر صيدها ضبع وذيب
إذا راب الحليب فبل عليه ... ولا تحرج فما في ذاك حوب
فأطيب منه صافية شمول ... يطوف بكأسها ساق أديب

يمد لك القنان إذا حساها ... ويفسخ عقد تكته الدبيب

فذاك العيش لا خيم البوادي ... وذاك العيش لا اللبن الحليب

آخر:

الأشربات سوى ما كان من عنب ... داء وأي لبيب يشرب الداء؟

وصف الشراب بإزالة الغم:

قيل لأعرابي: أتحب الخمر! فقال: أي والله فإنها تسرح في بدني بنورها، وفي قلبي بسرورها. وقيل: لذة الدنيا في الغناء والطلاء والنساء والبناء. وجماع ذلك العافية والشباب والبقاء. ونحوه لأبي نواس:

إنما العيش سماع ... ومدام وغلام

فإذا فاتك هذا ... فعلى العيش السلام." (١)

"هو القطب الذي دارت عليه ... رحى اللذات في الزمن القديم

سعيد بن حميد:

الكأس حرمتها أدلى من النسب

حصابة الجرجراي:

إن المنادمة الرضاع الثاني

وكان القعقاع إذا جالسه جليس فعرفه بالقصد إليه، جعل له نصيبا من ماله وأعانه على عدوه، وشفع له في حاجته وغدا إليه بعد المجالسة شاكرا له؛ وفيه يقول:

وكنت جليس قعقاع بن شور ... ولا يشقى بقعقاع جليس

قال يحيى بن أكثم: ما رأيت أكرم من المأمون، بت عنده ليلة فعطش فكره أن يصيح بالغلمان، وكنت منتبها فرأيته قد قام فمشى قليلا إلى البرادة حتى شرب ورجع. ورأيته ليلة وأنا عنده وحدي، وقد أخذه سعال، يسد فاه بكمه كيلا انتبه.

الانخراط في سلك الشرب والصحب:

جلس المتوكل مع جماعة وفيهم يحيى بن أكثم، فلما شرب الناس ثلاثة أرطال أمر يحيى بالانصراف فقال له: ولم يا أمير المؤمنين؟ فقال: لأنا قد خلطنا. فقال: أحوج ما يكون إلى قاض إذا خلطتم. فاستظرفه المتوكل وأمر أن تغلف لحيته بالغالية ففعل فقال: ضاعت الغالية وكان هذا يكفيني دهرا فأمر بزورق من الغالية ودرج بخور فجعلا في كمه.

طيب المدام بطيب الندام:

قيل لأعرابي: كم تشرب من النبيذ؟ فقال: مقدار النديم.

أبو نواس:

الراح طيبة وليس تمامها ... إلا بطيب خلائق الجلاس

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/٣١١

آخر:

إنما تستعذب الرا ... ح بأخلاق النديم

العطوي:

تصفو الزجاجة بالنديم إذا صفا ... ويكدر الندمان صفو الراح

آخر:

يقولون: قبل الدار جار موافق ... وقبل الطريق النهج أنس رفيق

فقلت: وندمان الفتى قبل كأسه ... وما حث كاس اللهو مثل صديق

آخر في صديق استطاب مجالسته:

يا ليلة لست أنسى طيبها أبدا ... كأن كل سرور حاضر فيها

باتت وبت وبات الزق ثالثنا ... حتى الصباح تسقيني واسقيها

كأن سود عناقيد بلمتها ... أهدت سلافتها صرفا إلى فيها

اختيار عدد الندمان:

منصور الفقيه:

فليدع منها خمسة ... متخيرين ولا يزد

فدوين هذا وحشة ... وفويقه سوق الأحد

آخر في المعنى:

إذا ما جاوز الندمان خمسا ... برب البيت والساقي اللبيب

فأير في حر أما فتى دعانا ... وأير في حر أم فتى مجيب

طرح الحشمة في المنادمة ومراعاتها:

جاء محمد بن حماد إلى ابن الجنيد فقال: يقول لك أمير المؤمنين المعتصم تهيأ لمزاملتي. قال: كيف أتهيأ. قال: إذا زاملته فإياك أن تبزق أو تمخط أو تتثاءب أو تسعل أو تعطس! فقال ابن الجنيد: ارجع إليه وقل له: في حر أم من يزاملك على هذا الشرط! فلما رجع إليه ضحك واستدعاء فقال: آمرك بمزاملتي فتراسلني بذلك؟ فقال: إن هذا الأحمق شرط علي شروطا يهرب منها الشيطان، فإن رضيت أن تفسو علي وأفسو عليك وإلا فلست بصاحبك! وقيل لبعضهم: ما العيش؟ فقال: طرح الحشمة وترك الطب. قال إسحاق الموصلي: كانت الخلفاء من بني أمية لا يظهرون للندماء والمغنين، وكان بينهم وبين ندمائهم ستارة، وكان بنو العباس يظهرون ثم احتجبوا عنهم، ولم ير أبو جعفر قط بشرب إلا الماء، وكان المهدي في أول أمره يحتجب متشبها بمن قبله ثم ظهر لهم وقال: اللذة في مشاهدة السرور والدنو من الأحباب.

الوصية بطي حديث الشرب:

قال المأمون رحمه الله: أطووا خبر أمس مع ذهاب أمس فهو أدوم للسرور وأسلم للصدور. وقال: النبيذ بساط إذا رفع لم ينشر.

علي بن صالح:

حكم العقار إذا قصدت لشربها ... في لذة من مسمع وقيان

أن لا تعود لذكر ما أبصرت من ... أحدوثة من شارب سكران

آخر:

إذا ذكر النبيذ فليس حقا ... اعادة ما يكون مع النبيذ

إعادة ما يكون من السكارى ... يكدر صفوة العيش اللذيذ

الممدوح بترك إعادة الحديث ومعاتبة النديم:

شاعر:

ولست بلاح لي نديما بزلة ... ولا هفوة كانت ونحن على خمر

عركت بجنبي قول خدني وصاحبي ... ونحن على صهباء طيبة النشر." (١)

"تسلى بأخرى غيرها فإذا التي ... تسلى بها تغري بليلى ولا تسلي

البحتري:

وقالوا: تجنبها تفق فاجتنبها ... زمانا فما أسلى فؤادي التجنب

وقالوا: تقرب يخلق الحب أو تجد ... علالة قلب، فاختلاني التقرب

من بغي له بعد ما تسلى علالة من الهوى:

معاوية:

سرحت سفاهتي وأرحت حلمي ... وفي علمي تحلمي اعتراض

على أني أجيب إذا دعتني ... إلى حاجاتها الحدق المراض

البحتري:

إني إذا جانبت بعض بطالتي ... وتوهم الواشون أني مقصر

ليشوقني سحر العيون المجتلى ... ويروقني ورد الخدود الحمر

من قرب سلوه من عشقه:

محمد بن بشير:

سريع العلوق إذا ما هوى ... سريع النزوع إذا ما علق

فبينا يرى عاشقا إذ سلا ... وبينا يرى قاليا إذ عشق

رأيت الوصال وهجرانه ... يكونان منه معا في نسق

وقيل لأعرابية: كم تعشقين؟ فقالت:

---

(١) محاضرات الأدباء، ٣١٥/١

ثلاثين ألفا كل يوم أحبهم ... وما في فؤادي واحد منهم يبقى

امتناع النفس من الرجوع إلى من أبغضته:

العباس:

رد الجبال الرواسي عن أماكنها ... أخف من رد نفس حين تنصرف

وقال:

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد ... إليه بوجه آخر الدهر تقبل

آخر:

إن قلبي أعز من أن تراه ... في محل الهوى لقلبك عبدا

الراغب في محبوبه:

أبو عيينة:

لقد جعلت تعرض لي سعاد ... تعرض من يريد ولا يراد

فقلت لها: كسدت فلا تعني ... بنا فلكل نافقة كساد!

فما لك إن أقمت علي رزق ... ولا لك إن ظعنت علي زاد

وكتب أبو نواس لما خرج من بغداد:

ألا قل لأخلائي ... ومن همت بهم وجدا

شربنا ماء بغداد ... فأنساناكم جدا

خذوا منا فإنا قد ... وجدنا منكم بدا

ولا ترعوا لنا عهدا ... فما نرعى لكم عهدا

كثير:

فإن سأل الواشون: فيم هجرتهم؟ ... فقل: نفس حر سليت فتسلت

التسلي عمن رغب في غيرك:

الخبزارزي:

اذهب وهبتك للذين اخترتهم ... هبة الكريم فإنه لا يرجع

وقال:

ولما بدا لي منك ميل مع العدا ... سواي ولم يحدث سواك بديل

صددت كما صد الرزي تطاولت ... به مدة الأيام وهو قتيل

ابن المعتز:

القلب لا يجمع اثنين ... والغمد لا يجمع سيفين

تاه فأفضيت إلى غيره ... خار إلهي للفريقين

ابن الرومي:

يا ذا الذي منك التنكر والتغير والنبو

إن كان أدركك الملا ... ل فقد تداركني السلو

وقال:

كلانا واجد في النا ... س ممن مله خلفا

أبو الشيص:

إذا لم تكن طرق الهوى لي ذليلة ... تنكبتها وانحزت للجانب السهل

ومالي أرضى منه بالجور في الهوى ... ولي مثله ألف، وليس له مثلي!

المتبجح بالغدر مع أحبابه:

بعضهم:

يا رب مثلك في النساء عزيزة ... بيضاء قد متعتها بطلاق

لم تدر ما تحت الضلوع وغرها ... مني تحمل شيمتي وخلاقي

من ذكر قلة توفره على الهوى:

يقال: رجل عزهاة إذا لم يكن غزلا. وقيل في ضده : زير نساء.

البستي:

وللخود مني ساعة ثم بيننا ... فلاة إلى غير الوفاء تجاب

وغير فؤادي للغواني رمية ... وغير بناني للزجاج ركاب

استدعاء القلب إلى التسلي:

المتنبي:

وأعلم أن البين يشكيك بعده ... فلست فؤادي إن رأيتك شاكيا

بشار:

وقد رابني قلبي يكلفني الصبا ... وما كل حين يتبع القلب صاحبه

آخر:

كل اللذاذات والتصابي ... قبل الثلاثين تستطاب

آخر:

كفى سفها بالشيب أن يأتي الصبا ... وأن يأتي الأمر الذي هو عائبه

مما جاء في فنون مختلفة من الغزل

شاعر:

إذا اجتمع الجوع المبرح والهوى ... على الرجل المسكين كاد يموت

ابن ميادة:." (١)

"قال أبو عبيدة: فرسان العرب المجمع عليهم دريد بن الصمة وعنترة العبسي وعمرو بن معدى كرب، وقد عد من أكابرهم عامر بن الطفيل وعتيبة وعنبسة بن الحارث وزيد الفوارس، والحارث بن ظالم وعباس بن مرداس وعروة بن الورد، ومن فتاك الجاهلية الحارث بن ظالم والبراض بن قيس وتأبط شرا وحنظلة بن فاتك الأسدي. ومن رجالاتهم أوفى بن مطر المازني وسليك بن السلكة والمنتشر بن وهب الباهلي، وكل واحد منهم كان أشد عدوا من الظبي، وربما جاع أحدهم فيعدو إلى الظبي فيأخذ بقرنه، ولا يحملون زادا. وكان أحدهم يأخذ بيض النعام في الربيع، فيجعل فيه ماء ويدفنه في الفلاة حيث يغزو، حتى يكون له في الصيف إذا سلك ذلك الطريق، ومنهم الشنفري.

المتفادي من التعرض له:

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: فلان مضغني فلما ضرسته لفظني.

طوال قنى تطاعنها قصار ... وقطرك في وغى وندى بحار

وقال:

إن الرماح وإن طالت ذوائبها ... من العدى تتواصى عنه بالقصر

من لا يخضع في شدة:

قيل لأعرابي اشتد به المرض: لو تبت. قال: لست أعطي على الذل، إن عافاني الله تبت، وإلا أموت هكذا:

لا يخرج القسر مني غير معصية ... ولا ألين لمن لا يبتغي ليني

وقال شداخ:

أبينا فلا نعطي مليكا ظلامة ... ولا سوقة إلا الوشيج المقوما

وسأل عمر بن عبد العزيز ابن ابي مليكة عن عبد الله بن الزبير فقال: ما رايت نفسا أثبت من نفسه، مر حجر من المنجنيق وهو قائم يصلي بين جنبه وصدره، فما خشع له بصره وما قطع قراءته ولا ركع دون الركوع. وعن أمه: أنها دخلت عليه في بيته وهو قائم يصلي، فسقطت حية فتطوقت بابنه هاشم، فتصايح أهل البيت بها حتى قتلوها، وعبد الله قائم يصلي فما التفت ولا عجل، فلما فرغ قال: ما بالكم؟

المتاني:

قال خارجة:

قوم إذا شومسوا لج الشماس بهم ... ذات العناد وإن ياسرتهم يسروا

المؤثر الموت في العز على الحياة في الذل:

هيم إلى الموت إذا خيروا ... ما بين تبعات وتقتال

---

(١) محاضرات الأدباء، ٣٧٩/١

ولما وقعت الهزيمة على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، أهاب بالناس أن يرجعوا فلم يلووا. فانتضى سيفه وقاتل قتال مستقتل، فقيل له لا تهلك نفسك ولك الأمان. فتمثل بأبيات قالها الحسين رضي الله عنه يوم قتل وهي:

أذل الحياة وذل الممات ... وكلا أراه طعاما وبيلا

فإن كان لا بد إحداهما ... فسيري إلى الموت سيرا جميلا

أبو تمام:

يرى العلقم المأدوم بالعز أرية ... يمانية والأري بالذل علقما

المتنبي:

فاطلب العز في لظى وذر الذل ... ولو كان في جنان الخلود

الموسوي:

فعاف المنايا وامتطى الموت شامخا ... بمارن أنف لا يذل لخاصم

منصور بن باذان:

فعش ما تعيش عزيز البقاء ... فعزك خير وإن قيل بل

فطول الحياة على ذلة ... لعمرك عندي حياة السفل

وكل مساع له همة ... من الناس إلا قصير الأجل

النهي عن مخافة القتل والحث على تصور الموت والتمدح بذلك:

قيل لعلي رضي الله عنه: أتقاتل أهل الشام بالغداة، وتظهر في العشي في ثوب ورداء؟فقال: أبالموت أخوف؟والله ما أبالي أسقطت على الموت ام سقط الموت علي!وقد أحسن المتنبي في قوله:

إذا غامرت في شرف مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر حقير ... كطعم الموت في أمر عظيم

وفي قوله:

ترى الجبناء أن العجز عقل ... وتلك خديعة الطبع اللئيم

وقوله:

فلو أن الحياة تبقى لحي ... لعددنا أضلنا الشجعانا

وإذا لم يكن من الموت بد ... فمن العجز ان تموت جبانا

أبو فراس:

تهون علينا في المعالي نفوسنا ... ومن خطب العلياء لم يغله المهر

قوم تسلط عليهم القتل فلم يغنهم:." (١)

---

(١) محاضرات الأدباء، ٣٨٤/١

"العين والمؤتي والشاغل والطراز، فالعين الذي يلزم الصيارف يتأمل كل مال محمول يأتي السفن، فيتعرف موضع الحرز ويأتي دار قوم يتطلب أنه يتوضأ، فيتعرف خزائنهم والموضع الذي يقصدون منه. والمؤتي الذي يتولى البيع والإبتياع لهم، ويجعل عند ذلك كأنه أمير قرية أو زعيم محلة، والشاغل هو الذي يشغل القوم عن اللص، والطراد إذا ظفروا به يجيء اللص فيضربه ما لا يضربه السلطان. ويقول: هذا والله صاحبي هو الذي ذهب بمالي، ويضربه ويحتال بذلك حتى يتشاغل عنه القوم، فإذا تشاغلوا عنه أفلته وتأسف مع القوم.

المتبجح بالتصعلك المتشوق إليه:

قال عروة بن الورد:

أقيموا بني لبنى صدور مطيكم ... فإن منايا القوم شر من الهزل

لعل انطلاقي في البلاد وبغيتي ... وشدي حيازيم المطية بالرحل

سيدفعني يوما إلى رب هجمة ... يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

آخر:

وأني لأستحيي من الله أن أرى ... أطوف بحبل ليس فيه بعير

وأسأل ذياك البخيل بعيره ... وبعران ربي في البلاد كثير

بعض اللصوص:

وكم بيت دخلت بغير إذن ... وكم مال أكلت بغير حل

آخر:

وعيابة للجود لم تدر أنني ... بإنهاب مال الباخلين موكل

غدوت على ما أحتازه فحويته ... وغادرته ذا حيرة يتململ

وقيل لأعرابي أتسرق بالنهار؟قال:

معاذ الله من سرق بليل ... ولكني أجاهر بالنهار

وقال بعض الخراب والخارب سارق الإبل خاصة:

أيذهب بارح الجوزاء عني ... ولم أذعر هوامل بالستار؟

وإنما قال ذلك لأن البارح يعفى الأثر فيأمن أن يقتص أثره فيؤخذ.

ولبعض لصوص التمر:

ألا يا جارنا بباض إنا ... وجدنا الريح خير منك جارا

يخبرنا إذا هبت علينا ... وتملأ وجه ناظركم غبارا

تحسين التلصص والتبجح به:

قال عثمان الخياط: لم تزل الأمم يسبي بعضهم بعضا ويسمون ذلك غزوا، وما يأخذونه غنيمة، وذلك من أطيب الكسب،

وأنتم في أخذ مال الغدر والفجرة أغدر، فسموا أنفسكم غزاة كما سمى الخوارج أنفسهم سراة وأنشد:

سأبغي الفتى إما جليس خليفة ... يقوم سواء أو مخيف سبيل

وأسرق مال الله من كل فاجر ... وذي بطنة للطيبات أكول

وقالوا: اللص أحسن حالا من الحاكم المرتشي والقاضي الذي يأكل أموال اليتامى.

التجسير على التلصص:

عثمان الخياط: جسروا صبيانكم على المخارجات وعلموهم الثقافة، وأحضروهم ضرب الأمراء أصحاب الجرائم لئلا يجزعوا إذا ابتلوا بذلك، وخذوهم برواية الأشعار من الفرسان، وحدثوهم بمناقب الفتيان وحال أهل السجون وإياكم والنبيذ فإنها تورث الكظة وتحدث الثقل، ودعوا إلى البول والنوم ولا سيما بالليل، ولا بد لصاحب هذه الصناعة من جراءة وحركة وفطنة وطمع، وينبغي أن يخالط أهل الصلاح ولا يتزيا بغير زيه.

استعمال الظرف في التلصص:." (١)

"وما هذه الأيام إلا مراحل ... فمن منزل رحب إلى منزل ضنك

وقد هذبتك النائبات وإنما ... صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبك

أما لك في الصديق يوسف أسوة ... لمثلك محبوس على الظلم والإفك

أقام جميل الصبر في السجن برهة ... فآل به الصبر الجميل إلى الملك

المصلوب:

مرت امرأة بجعفر بن يحي وقد صلب فقالت: لئن صرت اليوم راية لقد كنت بالأمس غاية. **وقيل لأعرابي**: إن الخليفة صلب فلانا. فقال: من طلق الدنيا فالآخرة صاحبته، ومن فارق الخز فالجذع راحلته.

أبو تمام:

بكروا وأسروا في متون ضوامر ... قيدت لهم من مربط النجار

سود الثياب كأنما نسجت لهم ... أيدي السموم مدارعا من قار

لا يبرحون ومن رآهم خالهم ... أبدا على سفر من الأسفار

ابن سلكة:

كأنه شلو شاة والهواء له ... تنور شاوية والجزع سفود

آخر:

يظل في منزل أناف به ... مستضحكا لا يطيق ضم فمه

تنتابه الطير والنسور وما ... يبخل عنها بلحمه ودمه

عوفي من ضمة الضريح ومن ... نقل الثرى والثواء في رحمه

---

(١) محاضرات الأدباء، ٤٠٣/١

وقال أعرابي وقد صلب صاحب له:

من مبلغ الحسناء أن خليلها ... بأرض الأعادي فوق إحدى الرواحل

على ناقة لم يضرب الفحل أمها ... مشذبة أطرافها بالمناجل

الأخطل:

كأنه عاشق قد مد بسطته ... يوم الفراق إلى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه لوثته ... مداوم لتمطيه من الكسل

أبو تمام:

سام كأن العز يجذب ضبعه ... وسموه من ذلة وسفال

مسلم:

جعلته حيث ترتاب الظنون به ... وتحسد الطير فيه أضبع البيد

تعدو السباع فترميه بأعينها ... يستنشق الجو أنفاسا بتصعيد

جارية محمود الوراق وقد أكثرت في وصف ذلك في بابك:

على مركب خشن ظهره ... طويل الوقوف بطيء المسير

تظل الذئاب وعرج الضباب ... بعقوته حسدا للطيور

فأسفله مأتم للسباع ... وذروته عرس للنسور

المضروب بالسياط:

الفرزدق:

لعمري لقد صبت على ظهر خالد ... شآبيب ما استهللن من سبل القطر

آخر:

كأنما جلده والسوط يأخذه ... قطن تطاير عن قضبان نداف

الببغا في لص جعل على رأسه برنس فطوق به:

وبدل من تاج العمامة برنسا ... يبالغ في تقويمه وهو مائل

أمال به طولا سوى الجسم وهو من ... زيادته في طوله متضائل

الحد الخامس عشر

في التزويج والأزواج والطلاق والعفة والتديث

ما جاء في النكاح والطلاق

وأحوال الأزواج وسياستهن

حث الرجل على التزوج:

قال الله تعالى " فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع " وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلاقا

مذواقا، فقيل له في ذلك فقال: إن الله تعالى علق بهما الغنى فقال: " وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم أن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله " ، وقال: " وأن يتفرقا يغن الله كلا من سعته " . فأنا أتزوج للغنى وأطلق للغنى. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل: ألك زوج؟قال: لا. قال: وأنت صحيح سليم؟قال: نعم. قال: إنك إذا من إخوان الشياطين عن شراركم عزابكم، وإن أرذل موتاكم عذابكم، إن المتزوحين هم المبرؤون من الخنا، والذي نفسي بيده ما للشيطان سلاح في الصالحين من الرجال والنساء، أبلغ من ترك النكاح.

شاعر وأجاد:

إذا لم يكن في منزل المرء حرة ... تدبره ضاعت مصالح داره

وفي رواية: رأى ضيعة فيما تولد الولائد.

الحث على التزوج أيام الشباب:." (١)

"زوجت امرأة ابنتها فقالت: يا بنية تركت الوصية لأحد لحسن أدب أو لكرم حسب لتركتها لك، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل. يا بنية إنك قد خلفت العش الذي منه درجت، والموضع الذي منه خرجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه. كوني له أمة يكن لك عبدا، واحفظي عني خصالا عشرا تكن لك دركا وذكرا: أما الأولى والثانية فحسن الصحابة بالقناعة وجميل المعاشرة بالسمع والطاعة، ففي حسن المصاحبة راحة القلب وفي جميل المعاشرة رضا الرب. والثالثة والرابعة التفقد لموضع عينه والتعاهد لموضع أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك خبيث ريح، واعلمي أن الكحل أحسن الحسن المودود، وأن الماء أطيب الموجود، والخامسة والسادسة فالحفظ لماله والرعاية لحشمه وعياله، واعلمي أن الإحتفاظ بالمال حسن التقدير والإرعاء على الحشم حسن التدبير، والسابعة والثامنة التعاهد لوقت طعامه والهداء عند منامه، فحرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة، والتاسعة والعاشرة لا تفشين له سرا ولا تعصين له أمرا، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره. وقال أبو الأسود لابنته: إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وامسكي عليه الفضلين: فضل النكاح وفضل الكلام، وكوني كما قيل:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

وصية الأبوين بقبح معاشرة الزوج:

زوجت امرأة ابنتها فقالت: يا بنية اقلعي زج رمح زوجك أولا، فإن أقر فاقلعي سنانه، فإن أقر فاكسري العظام بسيفه، فإن أقر فاقطعي اللحم وضعيه على ترسه، فإن أقر فضعي الأكاف على ظهره فإنه حمار! شاعر:

عليك يا سيدة البنات ... معصية الزوج إلى الممات

وداومي غيرته وشتمه ... وقاتلي في كل يوم أمه

وباعدي ما بينها وبينه ... وعينها فأسخني وعينه

التهنئة بالزفاف والدعاء للزوجين:

---

(١) محاضرات الأدباء، ٤٠٨/١

قال خالد بن صفوان لرجل من باهلة: باليمن والبركة وشدة الحركة والظفر عند المعركة.

استعلام حال الزوج في افتضاض امرأته:

قيل لسليمان: كيف وجدت امرأتك؟قال: ولم أرخين الستر إذا؟ شاعر:

أبا حسن قل لي وأنت المصدق: ... هل إنجاب ذلك العارض المتفلق؟

وهل غاب ذاك الحوت في قعر لجة ... رأيتك منها تستعن وتفرق؟

فقد قيل: إن الباب دونك مغلق ... وإن عليك الرحب منه مضيق

وكتب الصاحب إلى أبي العلاء الحسين بن محمد بن سهلوية لما تزوج بابنة ابي الحسن بن إسحاق:

قلبي على الجمرة يا أبا العلا ... فهل فتحت الموضع المقفلا؟

وهل فضضت الكيس عن ختمه ... وهل كحلت الناظر الأحولا؟

إن كان قد قلت نعم صادقا ... فابعث نثارا يملأ المنزلا

وإن تجبني من حياء بلا ... أنفذ إليك القطن والمغزلا

الرخصة في تزويج الأم:

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب إلى سلمة بن هشام أمه ضباعة بنت عامر وزوج علي بن الحسين أمه سلافة الكابلية مولى له ليحيي سنة في الإسلام. وممن زوج أمه عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد.

المستنكف من تزويج أمه:

تزوج مروان أم خالد بن يزيد فلاحاه يوما فقال له: يا ابن الرطبة!فقال مخبر مختبر ثم دخل على أمه فقال: أنت جلبت علي هذا وأنشدها هجاء فيه:

أما رأيت خالدا يهمه ... أن سلب الملك ونيكت أمه

فقالت: دعه لي، فلما علمت أن مروان قد امتلأ نوما عمدت إلى مخدة فوضعتها على أنفه فمات. وكان رجل قاعد على باب داره وعنده صديق له ورجل يدخل الدار ويخرج فقال له: من هذا؟فقال: زوج أخت خالتي.

المعيب بتزويج أمه:

قيل لأعرابي: إن فلانا زوج أمه وأخذ مهرها فأيسر به. فقال: أعوذ بالله من بعض الرزق!وقال الجاحظ: معنى قول القائل يا ماص بظر أمه يعني آكلا مهر أمه من غير أبيه! شاعر:

رب حلال أكله ... أقبح من نجس الدبر

من ظن مهر أمه ... جبرا له فلا جبر

وعاتب الصاحب رجلا قد زوج أمه فقال له: ما في الحلال بأس. فقال: كذا أحب أن تكون لغة كل من أحب أن تناك أمه. ثم قال فيه:." (١)

---

(١) محاضرات الأدباء، ٤١٥/١

"عفيف تروق الشمس صورة وجهه ... فلو نزلت يوما لحاد إلى الظل

وقال:

كم حبيب لا عذر في اللوم فيه ... لك فيه من التقى لوام

وسمعت امرأة رجلا ينشد:

وكم ليلة قد بتها غير آثم ... بمهضومة الكشحين ريانة القلب

فقالت له: خزاك الله ألا تأثمت؟

من تعفف عن امرأة حراما فأوصله الله إليها حلالا:

كان لأمير المؤمنين عليه السلام جارية وعلى بابها مؤذن، إذا اجتازت به يقول لها: أما أحبك!فحكت الجارية لأمير المؤمنين فقال لها: قولي له وأنا أحبك فماذا؟فقالت له فقال: نصبر إلى يوم يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب. فأخبرت أمير المؤمنين بذلك، فدعاه وقال: خذ هذه الجارية فهي لك.

صعوبة الأمر على من اجتمع فيه العفة والغزل:

نظر محمد بن عبد الله بن الحسين إلى امرأة جميلة فأعجبته فقال:

أهوى هوى الدين واللذات تعجبني ... فكيف لي بهوى اللذات والدين؟

فقالت: يا هذا دع أحدهما تنل الآخر.

المتنبي:

إذا كنت تخشى العار في كل خلوة ... فلم تتصباك الحسان الخرائد؟

متى يشتفي من لاعج الشوق في الحشى ... محب له في قربه متباعد

المتعفف عن الجارة:

مر سفيان بن عيينة بدار فسمع قينة تغني:

ما ضر قوما كنت جارهم ... أن لا يكون لبيتهم ستر؟

ناري ونار الجار واحدة ... وإليه قبلي ينزل القدر

فدق الباب وقال: مثل هذا علموا فتيتكم.

حاتم الطائي:

وما تشتكيني جارتي غير أنني ... إذا غاب عنها زوجها لا أزورها

سيبلغها خيري فيرجع بعلها ... إليها ولم ترسل عليها ستورها

وقال:

رب بيضاء فرعها يتثنى ... قد دعتني لوصلها فأبيت

لم يكن بي تحرج غير أنني ... كنت خدنا لزوجها فاستحيت

أبو تمام:

بيضاء كان لها من غيرها حرم ... ولم يكن يستحل الصيد في الحرم

التغازل بالنظر والقول دون الفعل:

قيل لأعرابي: ما الزنا عندكم؟فقال: الشمة والضمة والقبلة، فقيل: لكن أهل القرى يعدون ذلك المباضعة فقال: ليس ذلك زنا إنما هو طلب ولد. وقالت جارية لرجل:

إن كانت الغلمة هاجت بكم ... فعالج الغلمة بالصوم

ليس بك الحب ولكنما ... تدور من هذا على الكوم

وقيل: إن عمر بن أبي ربيعة لما اشتد به المرض بكى أخوه، فرفع طرفه وقال: لعلك تشفق مما قلته في شعري!قال: نعم. قال: عتق ما أملك إن وطئت امرأة حراما قط. فقال: الحمد لله هونت علي. وقال أبو زيد: كان الرجل إذا عشق جارية فراسلها سنة رضي بأن تمضغ علكا فتبعثه إليه، والآن لا يرضى إلا أن يشيل رجليها كأنه قد أشهد على نكاحها أبا هريرة وحزبه. وقال أعرابي: خلوت الليلة بفلانة فكان القمر يرينيها، فلما غاب خلفته، قيل: ما جرى؟قال: الإشارة بغير بأس والتقرب بلا مساس.

ابن طباطبا:

فطربت طربة فاسق متهتك ... وعقدت حبوة ناسك متحرج

والله يعلم كيف كانت عفتي ... ما بين خلخال هناك ودملج

العباس بن الأحنف:

أتأذنون لصب في زيارتكم ... فعندكم شهوات السمع والبصر

لا يضمر السوء إن طال الجلوس به ... عف الضمير ولكن فاسق النظر

أبو عيينة:

إن تروني فاسق العينين فالفرج عفيف ... ليس إلا النظر الفاسق والشعر الظريف

الحصين بن سهم:

وما في اكتحال العين بالعين ريبة ... إذا عف فيما بينهن السرائر

امرأة شارفت شهوة فارتدعت لكرم أو ديانة:

حكي أن امرأة عشقت فتى فدعاها يوما فأجابته، فغنى مغن عندهما:

من الخفرات لم تفضح أخاها ... ولم ترفع لوالدها ستارا

فلما سمعت ذلك أبت إلا الخروج، ثم بعثت للرجل بألف دينار، وقالت: هذا مهري فإن أردتني فاخطبني من أبي. واشترى عبد الملك جارية فلما خلا بها قالت: يا أمير المؤمنين ما منزلة أرفع منزلة من منزلتي هذه ولكن القيامة لها خطر، إن ابنك

فلانا كان قد اشتراني وخلا بي ليلة فلا يحل لك مسي، فاستحسن قولها وولاها أمر داره.

عفيفة القت بريبة عن نفسها:." (١)

"ولما التقينا لجلجت في حديثها ... ومن آية الحب الحديث الملجلج

فقال:

ولما التقينا لجلجت في ضراطها ... ومن آية السرم الضراط الملجلج

ألا أيها الأستاذ دعوة شاعر ... طريقته في السخف لا تتبهرج

التعريض بمن خرجت منه ضرطة فقدر أنها لم تسمع:

اضطجع رجل في مجلس فيه مزيد فضرط فضحكوا، وثنى فقال مزيد: نبهوه قبل أن يأتي بظلمة، فنبه فقال: كنت في أطيب نومة رأيت كأني صدت ديكين ألعب بهما، فقال مزدي: صدقت قد زقيا وسمعنا. ودخل بعض الكتاب حماما بأصبهان وقدر أن ليس فيه أحد، فضرط ضرطة صياحة وقال: ما أطيب الضراط في الحمام!وكان ثم المعروف بابن الهذرة فسعل بعد ضراطه بساعة فقال: إذا خرجت فألقني قبل كل أحد، فدخل عليه فكتب له رقعة بخمسة أقفزة حنطة، زدني، فقال: أخزاك الله فقد صار ذلك نادرة.

لغز فيها:

ومولودة لم تدر ما الطمث أمها ... وليس لها زوج ولا تتحرك

يقهقه منها القوم من غير رؤية ... ووالدها من عارها ليس يضحك

ابن الرومي:

ماهنة عمت بني آدم ... فعير الناس بها الناسا

يعتمد العامد إتيانها ... فلا يرى الناس لها باسا

حتى إذا جاء بها فلته ... نكس من أصواتها الراسا

الضراط على الغير على سبيل التهكم:

الصاحب:

قل لابن حمزة يمسح ... بكفه عارضيه

فقد قرأت بجدر والمرسلات عليه

وقال:

وضرطة مرعدة مبرقه ... يحملها سرم إلى عنفقه

مسحتها الشيخ ابا جعفر ... وبعدها من سلحتي ملعقه

وقال:

---

(١) محاضرات الأدباء، ٤٢٤/١

ولحية طويلة عريضه ... الضرط في أمثالها فريضه

الفساء:

دخل أعرابي الحمام في البصرة وكان يفسو، فأنكر القيم عليه فقال: الحلقة لي والريح لله يرسلها، فدع عنك أن للاست نمة وللأنف شمة، وليس كل ما تلقاه حبيبا ولا كل ما تشمه طيبا. وقيل: هو أفسى من الظربان، وذلك أنه يفرق بين الإبل بفسوه ويأتي حجر الضب فيفسو عليه فيأكله، ويقولون: هو أفسى من الخنفساء. ولبعضهم:

ولي صاحب أفسى البرية كلها ... يشككني فوه إذا ما تنفسا

تحولت الأنفاس منه إلى استه ... فما أحد يدري تنفس أم فسا

وقال:

لله در عصابة نادمتهم ... من كل خرق في بيوت بلال

باتوا موترة علي قسيهم ... يرمونني رشقا بغير نبال

يرمون نبلا من رياح بطونهم ... هطلت مقاتلة لغير قتال

سئل ابو حفص الوراق في بعض مداعباته: ما بال الفسو لا يبقى والطيب يعلق ويبقى؟فقال: إن للباطل جولة ثم يضمحل وللحق دولة لا ينخفض ولا يذل. وقال بعض القصاص: اشكروا الله فقيل: شكر الله على ماذا؟قال: تفسون فتذهب عنكم رائحته، وتتبخرون فتعلق بكم فائحته، أليس هذه نعمة من الله صافية؟

التخري على سبيل التلاعب:

تقايأ رجل على أبي الصلت فقال: ويحك ما هذا؟قال: جاشت نفسي!فقام وخرأ عليه فقال: ما هذا؟قال: جاشت استي.

عبد الصمد بن بابك:

ولحية للمختلي ... خبأتها في أسفلي

حتى إذا ما اختضبت قلت لها: تنطلي

ابن الحجاج:

إن كنت تأذى نداني ... فر يشر باب كوني

وكنت داني بناجي ... فهاتها في البطون

وقال:

لو تمنيت أن أبلغ حالا ... لتمنيت ساحة في سبالك

وروي في مداعبات لأبي الفضل بن العميد، وكان عنده بعض من يخلع العذار في مداعبته، فتناول طاقة شعر من لحيته وقال: خذها يا فلان ودسها في استك حتى إذا قلت: لحيتك في استي كنت صادقا.

ويقرب منه لزيتور بن أبي حماد:

كتبت على حر أم أبي نواس: ... أباجاد وهواز وحطي

وصيرت الختام عليه ايري ... فإن هم غيروه عرفت خطي

الحد السابع عشر

في خلق الإنسان

الخلقة المستحسنة عند العرب:

قيل لأعرابي: ما الجمال؟قال: ضخم الهامة وطول القامة، ورحب الشدق وبعد الصوت، ومما دل على حمد عظم الرأس ما قال جالينوس: إن الصغير الرأس لا عقل له. وسئل آخر فقال: غور العينين وإشراف الحاجبين ورحب الشدقين، وقال:." (١)

"ويوصف القصير بالمكر والخبث. قيل: إن كسرى جلس للمظالم فتقدم إليه رجل قصير فأخذ يصيح: أنا مظلوم، وهو لا يلتفت إليه. فقال الموذبان: أنصفه!فقال إن القصير لا يظلمه أحد؛فقال الرجل: إن الذي ظلمني هو أقصر مني؛فضحك وأشكاه. وقيل إن سقراط قال: لا تجوز شهادة الأحدب والقصير، وأن تزكيا لخبثهما. فقيل: ولم خبثا؟قال: لقرب دماغيهما من فؤاديهما. كان يوسف بن عمر عامل هشام على العراق قصيرا وكان إذا خاط الخياط له ثوبا فقال له تحتاج إلى خرقة لأن تفصيل الأمير طويل يعطيه ما يريد، وإذا قال يكفيك أو يفضل يضربه ويشتمه.

المعتذر للقصر:

قال المهلب لرجل: ما أصغرك وأقلك!فقال: إن كثر عقلي فما تضرني قلتي، وإن طال زهدي فما يعيبني قصري. ولما استحضر النعمان ضمرة بن ضمرة قال: إن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. فقال: كلا، الرجال ليسوا بجزر إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، إن نطق نطق ببيان وإن قاتل قاتل بجنان.

وما عظم الرجال لهم بفخر ... ولكن فخرهم كرم وخير

الممدوح بالخفة والمعتذر للنحافة:

فتى قد دق السيف لا نتضائل ... ولا رهل لباته وبآذله

الأشجعي:

وإني على ما تزدري من نحافتي ... تزيد موازيني على الرجل الضخم

آخر:

بدن ناحل وعزم جسيم

حاتم:

تراني كأشلاء اللجام ولا ترى ... أخا الحرب إلا ساهم الوجه أغبرا

ابن نباتة:

إن كان يؤتى فؤاد من نحافته ... فإن قلبي لا يؤتى من الخور

آخر:

---

(١) محاضرات الأدباء، ٤٤٨/١

لا تجزعن من الهزال فطالما ... ذبح السمين وعوفي المهزول

وقيل لأعرابي: ما أنحفك!فقال: سوء الغذاء وجدب المرعى وتناجي الهموم في صدري.

ذم السمن:

قيل: السمنة عقلة. ونظر عمر رضي الله عنه إلى رجل بادن فقال: ما هذا؟قال: بركة الله. فقال: بل سخطه، ثم قال: إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة ونتن في الممات. ورأى حكيم رجلا سمينا فقال: ما أكثر عنايتك برفع سور جسمك!وقال الشافعي: ما رايت سمينا ذكيا إلا محمد بن الحسن.

ابن الرومي:

ليس بالراجح من رجحانه لحم وشحم

من رأيتم بعد طالو ... ت له جسم وعلم

وقال:

أمير كله شحم ولحم ... وليس وراءه علم وفهم

وقال بعضهم: محال أن يكون روح خفيف في جسم كثيف.

كشاجم:

كأنما قدامه بطنه ... راوية قد نقصت دلوا

السبب المسمن:

قيل لسمين: أي شيء أسمنك؟فقال: أكلي الحار وشربي القار وإتكائي على اليسار، وأكلي من مال كل ذي يسار. ولآخر: لاتكائي على شمالي والأكل من غير مالي. وسئل آخر فقال: قلة الفكرة وطول الدعة والنوم على الكظة. وقيل لمحبوس فقال: القيد والرتعة.

ومن يكن جار الأمير يسمن

أعسر أيسر:

حضر أبو العيناء علوية المغني وكان يضرب بالعسر فقال: اسأل الله الذي جعل السرور بيسارك أن يعطيك كتابك بيمينك.

ذم القلح:

قال صلى الله عليه وسلم: ما لكم تدخلون علي قلحا؟استاكوا وقال: نظفوا أفواهكم إنها ممر القرآن.

جرير:

كأن مقالع أضراسهم ... إذا ضحكوا جيف الخنفس

عبد الصمد:

إذا افتر أبرز قلح الأصول ... كما كشر العير للنهقه

عبدان:

ومن رأى من شيخهم ... أبدانه ومقشره

تجيش منه نفسه ... حتى يقيء العذره

ذم البخر:

شكا أبخر ضرسه ففتح فاه للطبيب، فشم منه رائحة كريهة فقال له: مر كناسك يكنسه فهذا كنيف!وقيل: اشترى رجل أبخر جارية فسأله صالح الخياط عن خبرها فقال: ما زالت تمص البارحة لساني؛فقال: أن صدقت فإنها بنت وردان. وكان عبد الملك يسمى أبا الذباب لأن الذباب كان يسقط إذا قرب من فيه. وسار سعيد بن حميد رجل به بخر فقال: مثلك لا يسار وإنما يكاتب.

ابن المعتز:

وإن امرءا يقوى على لثم ثغره ... على الضغط والتعذيب في قبره ويقوى

وقال:

كلمتني فقلت خرأ وخيرا ... جعل الله بين فكيك دبرا

وقال:

إنما نحن في كنيف إذا ما ... جمع الريق والخرا في مكان

وقالت امرأة:

فما جيفة الخنزير عند ابن مقرب ... قتادة الأريج مسك وغاليه." (١)

"وإذ هي تمشي كمشي النزيف ... يصرعه بالكثيب البهز

الشماخ:

تخامص عن برد الوشاح إذا مشى ... تخامص حافي الخيل في الأمغر النوحى

لو قاله في المرأة كان أبلغ.

ابن مقبل:

يهززن للمشي أعطافا منعمة ... هز الرياح ضحى عيدان يبرينا

يمشين هيل النقا مالت جوانبه ... ينهال حينا وينهال الثرى حينا

ويستحسن للسعدي:

مريضات أوبات التهادي كأنما ... تخاف على أحشائها أن تقطعا

تسيب انسياب الأيم أحصره الندى ... فرفع من أعطافه ما ترفعا

البحتري:

لما مشين بذي الأراك تشابهت ... أعطاف قضبان به وقدود

---

(١) محاضرات الأدباء، ٤٥١/١

آخر:

يطأن ولو أعنقن في جد دوحلا

فهذا زاد بقوله يطأن في جد دوحلا.

الموسوي:

وكأنهن إذا أردن خطا ... يقلعن أرجلهن من وحل

وفي الربيبة النعمة:

عمر بن أبي ربيعة:

وأعجبها من عيشها ظل غرفة ... وريان ملتف الحدائق أخضر

ووال كفاها كل شيء يهمها ... فليس لشيء آخر الليل تسهر

نصيب:

قليلة لحم الناظرين يزينها ... شباب ومخفوض من العيش بارد

المرقش:

نواعم لا يرين لبؤس عيش ... أوانس لا تراع ولا تذاد

تفضيل السوداء:

العباس:

إن سعدى والله يكلأ سعدي ... ملكت بالسواد رق سوادي

أشبهت مقلتي وحبة قلبي ... وبها فهي ناظري وفؤادي

ابن الرومي في سوداء:

كأنها والمزاح يضحكها ... ليل تعرى دجاه عن فلق

وذكرت قصيدة ابن الرومي في وصف السوداء وأبو الحسن الموسوي حاضر فأسرف بعضهم في مدحها فقال أبو الحسن بديها:

أحبك يا لون السواد لأنني ... رأيتكما في العين والقلب توأما

سكنت سواد العين إذ كنت شبهه ... فلم أدر من عز من القلب منكما

أوصاف مجموعة من الجمال:

قيل لأعرابي: أي امرأة أحسن؟قال: التي لطفت كفاها وخدلت ساقاها والتفت فخذاها وعرضت وركاها ونهد ثدياها، وعظمت اليتاها وسال خداها. ويقال: كأن وجهه البدر ليلة سعده وتمامه قد ركب في غصن بان وقضيب ريحان، أهيف القد أدعج العين مقرون الحاجبين أسيل الخدين مسبل الذراعين، أرق من الهواء والماء وأحسن من الدمى، وأضوأ من النهار إذا استنار وأبهى من سرابيل الأنوار لا يجري بوصفه الوهم ولا يبلغ نعته الفهم، كأن أنفه قصبة در وحد حسام وكأن فمه

حلقة خاتم، وكأن جيده جيد ظبي قد أتلع لرؤية قانص، سبط الأنامل لين القصب دقيق الخصر حلو الشمائل، كأنما خلق من كل قلب فكل طرف له فيه حظ ولكل قلب إليه ميل. وفي وصف جارية: وجهها كضوء البدر وخدها كجنى الورد ولسانها ساحر وطرفها فاتر ضمها يهيج اللوعة ونطقها ينقع الغلة، تنهض بقد كالقضيب وتدبر بكفل كالكثيب، ثديها يرنو إلى ذقنها ولا يطرف عكنها، شعرها لاحق بذيلها في مثل سواد ليلها ثغرها ، كاللؤلؤ النظيم يجلو دجا الليل البهيم، ريحها كالراح المعتق ختامه كالمسك المفتق، يستجمع صنوف النعيم مضاجعها ولا يأسى على ما فاته مالكها، صحيحة الحدقة مريضة الجفون، كأن ساعدها طلعة ومعصمها جمار وأصابعها مداري فضة، وكأن نحرها من ساج وبشرتها من زجاج وسرتها من عاج، ولينها من خز ودثارتها من قز. وقال أعرابي في وصف امرأة: عذب ثناياها وسهل خداها ونهد ثدياها ولطف كفاها، ونعم ساعداها وعرضت وركاها والتفت خداها وخدلت ساقاها فتلك هي النفس ومناها.

المرقش الأكبر:

النشر مسك والوجوه دنانير ... وأطراف الأكف عنم

علي بن عاصم:

السيف مضحكه والقوس حاجبه ... والنبل عيناه والأشفار أرماح

المتنبي:

سهاد لأجفان وشمس لناظر ... وسقم لأبدان ومسك لناشق

ما يجب أن تكون عليه الحسان من حسن الجوارح:." (١)

"تعيب الغانيات علي شيبي ... ومن لي أن أمتع بالمعيب؟

أنشد ابن دريد في وصفه:

ولي صاحب ما كنت أهوى لقاءه ... فلما التقينا كان أكرم صاحب

عزيز علينا أن يفارق بعدما ... تمنيت دهرا أن يكون مجانبي

الشيب داء متمنى:

قيل لأبي العيناء: كيف أنت؟فقال: في الداء الذي يتمناه الناس؛يعني الهرم. **وقيل لأعرابي** وقد ضعف من الكبر: لقد أذنب إليك الدهر!فقال: كثر الله من ذنوبه عندي.

طول العمر يفضي إلى الهرم والمصائب:

قيل: من أخطأه سهم المنية قيده الهرم، ومن وطن نفسه على طول العمر فليوطنها على كثرة المصائب. وقال ابن الحارث في وصيته لبنيه: من متع بكبر بلي بعبر، ومن تأخر يومه مله قومه.

وقال زهير:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب ... تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

---

(١) محاضرات الأدباء، ٤٥٩/١

وقيل: كفى بالسلامة داء.

وقال:

فكيف ترى طول السلامة يفعل

من أضعفه كبره وهرمه:

سأل الحجاج شيخا فقال: كيف طعمك؟قال: إذا أكلت ثقلت وإذا تركت ضعفت. قال: كيف نكاحك؟قال: إذا بذل لي عجزت وإذا منعت شرهت. قال: كيف نومك؟قال: أنام في المجمع وأسهر في المضجع. قال: فكيف قيامك وقعودك؟قال: إذا قعدت تباعدت عني الأرض وإذا قمت لزمتني. قال: كيف مشيك؟قال: تعقلني الشعرة وتعثرني البعرة. وقيل لشيخ: ما صنع بك الدهر؟قال: فقدت المطعم وكان المنعم، وأجمت النساء وكن الشفاء، فنومي سنات وسمعي خفات وعقلي تارات. وقيل لآخر فقال: أدرج من العشاش وآخرأ في الفراش وأنبو عن القماش وأنفر من لاش. وقيل لآخر فقال: ضعضع قناتي وأوهي شواتي وجرأ علي عداتي. وسئل ابن الفرية عن وصف الكبر فقال: إقبال البخر وإدبار الزفر وإنقباض الذكر. وقيل: الشيخوخة غمامة تمرض الأمراض.

قال أبو الطمحان:

حنتني حانيات الدهر حتى ... كأني خاتل أدنو لصيد

قربت الخطو يحسب من رآني ... ولست مقيدا، أني بقيد

وهذا من قول شيخ مر به غلام فقال: يا عماه قد قصر قيدك، فقال: تركت الذي قيدني يفتل قيدك. وقال ديك الجن:

نهنهت الخمسون من شدتي ... وضيقت خطوي بعد اتساع

وأتحفتني خورا ظاهرا ... وكنت قبل الشيب عين الشجاع

تعترف النفس ببعض القوى ... فأمسك النفس ببعض الخداع

أذكر إنسان التي فوقها ... والموت قد يودي بمن في الرضاع

وكان أبو محلم لما كبر ينشد:

إذا ما امرؤ أحصي ثمانين حجة ... وعاش تشكى كل عضو ومفصل

وقد أحسن القائل:

قالوا أنينك طول الليل يسهرنا ... فما الذي تشتكي؟قات: الثمانينا

المشيب مؤذن بالموت:

قيل: المشيب تمهيد الحمام وتاريخه وعنوانه ورائده ونذيره. وقيل: الشيب مقوض الخيام ومقيض الحمام. وقيل: هو أول مواعيد الفناء. وقيل: هو واعظ نصيح ومنذر فصيح. وقيل: هو لمحة من لمحات المنون ونوبة من نوب الدهر الخؤون. وقيل في قوله تعالى " أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير " إن النذير الشيب. وقيل: إذا ضحك الشيب في القذال بكت الحياة للزوال. ونظر حكيم إلى شيبة فقال: أرى شيبة قد أينع ثمرها وحان قطافها. وأطرف ما قيل في ذلك قول منصور:

من شاب قد مات وهو حي ... يمشي على الأرض وهو هالك
لو كان عمر الفتى حسابا ... لكان في شيبه فذالك
وقال:
الشيب والموت مقرونان في قرن
ونظر فضيل إلى رجل قد وخطه الشيب فقال: اتق الله فإن الموت قد غرز أعلامه في لحيتك. ولأبي الفضب بن العميد من فصل: قد طرزت الأيام عارضيك بتاريخ يفصح عما كتمته، وينشر للناس من أمرك ما طويته، وكأنك تقول هو مقدمة الهرم والمؤذن بالخرف، والعائد لي ولا أريد تطيرا من ذكره.
من مات أقرانه فقد آن أوانه:
أبو عيينة:
واستحصد القرن الذي أنا منهم ... وكفى بذاك علامة لحصادي
وقال معاوية لجلسائه: ما تعدون الغريب فيكم؟قالوا: الذي لا أحد له. فقال: بل الغريب الذي مات نظراؤه الذين كان يأنس بهم.
أبو محمد التيمي:
إذا ذهب القرن الذي أنت منهم ... وخلفت في قرن فأنت غريب
ابن المعتز:." (١)

"وعاش معدي كرب الحميري مائتين وخمسين سنة، وعاش عامر بن الظرب ثلاثمائة سنة، وكذلك أكثم ابن صيفي، وكانا من حكماء العرب، وأدرك أكثم الإسلام واختلف في إسلامه. وعاش قس بن ساعدة الأيادي ستمائة سنة وكان من عقلاء العرب وحكمائهم، وهو أول من أقر منهم بالبعث، وأول من قال في الخطبة أما بعد. وعاش دريد ابن الصمة دهرا طويلا حتى سقط حاجباه على عينيه ولم يسلم وشهد حنينا، وعاش عبيد الجرهمي مائة سنة وعشرين سنة. وكان معاوية حج من الشام فقال: هل تعرفون أحدا بقي له علم بأيام العرب فنسأله؟فقالوا: عبيد وهو على طريقك!فدعاه فقال: ممن أنت؟فانتسب إلى قبيلة فقال: وهل بقي منهم أحد؟قال: نعم أنا، قال: وكم لك من السنين؟فقال: مائتان وعشرون سنة. فقال: من أين تعلم؟قال: أما قال الله تعالى " وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا " . فقال: أخبرني عما رايتفقال: باتت علي سنيهات بلاء وسنيهات رخاء ويوم في أثر يوم وليلة في أثر ليلة. ومنهم لبيد بن ربيعة وخبره مشهور ومعاذ بن مسلم عاش مائة وخمسين سنة صحب بني مروان وفيه يقول الشاعر:
قل لمعاذ إذا مررت به: ... قد ضج من طول عمرك الأبد
قد أصبحت دار آدم خربت ... وأنت فيها كأنك الوتد

---

(١) محاضرات الأدباء، ٤٦٧/١

تسأل غربانها إذا أنعبت ... كيف يكون الصداع والرمد؟

فصل من ذلك:

قيل: فلان أعمر من القراد، وذلك أنه يعيش سبعمائة سنة، وأعمر من الضب. قال الأصمعي: إن الحسل يبلغ مائة سنة ثم يسقط.

قال:

فقلت لو عمرت عمر الحسل ... أو عمر نوح زمن الفحظل

والصخر مبتل كطين الوحل ... صرت رهين هرم أو قتل

وقيل: أعمر من حية لأنها لا تموت حتف أنفها فيما يقال، وأعمر من نسر. وللفرس: زيود هشتاد كور نبرست رهمنه مروا ماري نه مريد خركش يوزينه مرد، معناه يعيش العير ثمانين سنة وثلاثمائة، والحية لا تموت إلا قتلا.

الترغيب في الإختضاب والرغبة فيه:

قال عمر رضي الله عنه: اختضبوا بالسواد فإنه أسكن للزوجة وأهيب للعدو، وقيل لرجل: إلام أخضب؟قال: مال قام ايرك.

شاعر:

الشيب ضيفك فأقره بخضاب

وقال:

إن الخضاب هو الشباب الثاني

وقال:

إن الخضاب لحليلة ... في رد أيام الشباب

رستم بن محمود:

ولما رأيت الشيب قد شان أهله ... تقنعت وابتعت الشباب بدرهم

ابن المعتز وقد ناقض بذلك محمودا الوراق حيث قال:

يا خاضب الشيب الذي ... في كل ثالثة يعود

إن النصول إذا بدا ... فكأنه شيب جديد

فقال:

وقالوا: النصول مشيب جديد ... فقلت: الخضاب شباب جديد

اساءة هذا بإحسان ذا ... فإن عاد هذا فهذا يعود

الاعتذار لذلك:

قال علي بن عيسى لإبراهيم بن غسماعيل يوما: الخضاب باطنه داء وظاهره غرور، ثم لقيه وقد اختضب فقال: اين كلامك؟قال: فكرت فإذا أمور الدنيا كلها مرمة وهذا من مرمتها.

ابن الرومي:

فإن تسأليني ما الخضاب؟فإنني ... لبست على فقد الشباب حدادي

من اختضب لمجيء الشيب في غير وقته:

محمود الوراق:

إذا ما الشيب جار على الشباب ... فعالجه وغالط في الحساب

فقل: لا مرحبا بك من نزيل ... وعذبه بأنواع العذاب

بنتف أو بقص كل يوم ... وأحيانا بمكروه الخضاب

وإن هو لم يجر وأتى لوقت ... فقل: في رحب دار واقتراب

الترغيب عن الخضاب والرغبة فيه:

قيل لأفلاطون: لم اختضب فلان؟فقال: كره أن يؤخذ بحنكة المشايخ.

ابن الرومي:

يا أيها الرجل المسود وجهه ... كيما يعد به من الشبان

أقصر فلو سودت كل حمامة ... بيضاء ما عدت من الغربان

وقيل لأعرابي: لم لا تختضب لتصبو إليك النساء؟فقال: أما نساؤنا فما يردن بنا بدلا، وأما غيرهن فلا نريد صبوتهن.

كشاجم:

يا خاضب الشيب والأيام تظهره ... هذا شباب لعمر الله مصبوغ." (١)

"**وقيل لأعرابية**: فلان يختضب، فقالت: لا ينال الشباب بالخضاب كما لا ينال الغنى بالمنى، ولما وفد عبد المطلب على سيف بن ذي يزن ورأى لحيته بيضاء بعث إليه جارية ومعها خطر ليخضب لحيته فأنشأ عبد المطلب:

وقائلة تخضب فالغواني ... نوافر عن مصادقة الفتير

فقلت لها المشيب نذير عمري ... ولست مسودا وجه النذير

وقال:

إذا ذهب الشباب فليس إلا ... غبار الشيب أو ذل الخضاب

مدح الصلع:

قال الخليل: كان الشريف إذا لم يصلع نتفوا شعره تشبها بذلك.

وأنشد العتبي:

قد حص رأسي فتيت المسك أخلطه ... بالعنبر الورد حتى ما به شعر

فقال: لشتان ما بينه وبين أبي قيس بن الأسلت في قوله:

قد حصت البيضة رأسي فما ... أطعم نوما غير تهجاع

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/٤٦٩

ذم الصلع:

دخل الأبرش الكلبي على هشام بن عبد الملك وحجام يحجمه فمس رأسه فقال: يا ابرش ما صلع لئيم قط؟فكشف رأس الحجام فإذا هو أصلع فقال: أمن كرم صلع هذا؟وقالت امرأة لزوجها وكان أصلع: لست أغبط إلا شعرك حيث فارقك فاستراح منك! شاعر:

خفافان مثل القدتين وهامة ... يزل الذباب النقف عنها فيصرع

وقال:

إذا أبصرتهم صلعا وثطا ... فقبح ذاك من صلع وهام

التأسف لذلك:

قال بعضهم:

جزعت للشيب لما حل أوله ... فجاءني حادث أنساني الجزعا

هب المشيب يداوي الخطر شائعه ... فكيف لي بدواء يذهب الصلعا

أبو النجم:

قد ترك الدهر صفاتي صفصفا ... فصار رأسي جبهة إلى القفا

- كأنما تلقى به ضعفي عفا

الاعتذار عنه:

بشر:

رأتني كأفحوص القطاة ذؤابتي ... وما مسها من منعم يستشيبها

ابن الرومي:

يعير في لبس العمامة سادرا ... ويزعم لبسيها بعيب مكتم

فقولا له: هبني كما أنا صلعة ... ألست حصين الخلف ماضي المقدم

وأنى تعيب الصلع والاير منهم ... وأنت بحب الاير عين المتيم

نوادر للصلع:

قيل لأصلع: إن الصلعة من نتن الدماغ فقال: لو كان ذلك كذا لم يكن على حرامك طاقة شعر. وجلس أصلع بين يدي حجام فحلق نصف رأسه، وتماسكا في الأجرة فقال الأصلع: حلق نصف رأسي فله نصف الأجرة!فقال الحجام: حلقت له إبطين أذرع كأنهما تنوران يشوى فيهما السالخ لنتنهما، فحكم له بالأجرة تماما. وقال أصلع لرجل رأى عليه جربا كثيرا: أراك لابسا جوشنا بلا بيضة.

مما جاء في الأسماء والكنى والألقاب

الحث على تسمية الأبناء بأحسن الأسماء:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: إياكم وهذه الأسماء القبيحة فما من مولود إلا ويحضره ملك وشيطان فيقول الملك: سموه

بكذا اسما حسنا ويقول الشيطان: سموه بكذا اسما قبيحا. وقال: كنية الرجل أحد شواهد عقله، واسمه أحد شواهد عقل أبيه. وقيل: أشيعوا الكنى فإنها منبهة. وقال صلى الله عليه وسلم: من آتاه وجها حسنا واسما حسنا وجعله في غير موضع شائن فهو من صفوة خلقه.

الميل إلى الأسماء الحسنة والتفاؤل بها:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أحبكم غلينا أحسنكم أسماء، فإذا رأيناكم فأجملكم منظرا، فإذا اختبرناكم فأحسنكم مخبرا. وخرج الرشيد يوما فرأى سعيد بن سلم فقال: من؟قال: سعيد أسعدك الله. فقال: ابن من؟قال: ابن سلم سلمك الله. قال: أبو من؟قال: أبو عمرو عمرك الله. قال: بارك الله عليك، وأكرمه.

المسمى باسم حسن معناه موجود فيه:

قال:

وقلما أبصرت عيناك من رجل ... إلا ومعناه في اسم منه أو لقب

ابن الرومي:

أنت أبو الفضل وأنت ابنه ... فالفضل لا يعدوك في كل حال

وسأل رجل صبيا صبيحا: ما اسمك؟قال: وصف وجهي. فقال: ما أراك تسمى إلا حسنا فقال: كذلك؛وفي ذلك لأبي النواس:

إن اسم حسنى لوجهها صفة ... وما رأى ذا لغيرها اجتمعا

فهي إذا سميت فقد وصفت ... قد يجمع الاسم معنيين معا

ونظر المأمون إلى غلام فقال له: ما اسمك؟قال: لا أدري. فقال: لم أر مثل هذا، وأنشد:

تسميت لا أدري لأنك لا تدري ... بما فعل الحب المبرح في صدري." (١)

"قيل لأعرابي اسمه نعامة: أي شيء هذا الاسم؟قال: الاسم علامة ولو كان كرامة لتشارك الناس كلهم في اسم واحد. وقال برصوما لأبيه: ألم تجد اسما أحسن من هذا؟قال: لو علمت أنك تجالس الخلفاء باسمك لسميتك يزيد بن مزيد. وطلب الحسن مؤدبا لولده فأتي بمعاوية بن القاسم وكان ضئيلا فقال: ما اسمك؟قال: كنيتي أبو القاسم، ولضرورة تكنيت فاستظرفه. وقيل لحرم المخنث: لم تسميت بذلك؟قال: حتى أدبن فيقال: واحرماه!وأتى ضرار المتكلم بمجوسي ليكلمه فقال: أبو من أنت؟قال : نحن أجل من أن ننسب إلى أبنائنا إنما ننسب إلى آبائنا، فورد على ضرار ما لم يكن في حسابه فأطرق ساعة ثم قال: أبناؤنا أفعالنا وآباؤنا أفعال غيرنا. وسئل بعض الأعراب لم سموا أبناءهم بالأسماء القبيحة وعبيدهم بالحسنة فقال: لأن أبناءهم لأعدائهم وعبيدهم لأنفسهم.

مدح الكنية واللقب وذمهما:

قيل: الكنية للإبانة واللقب للتبجيل فلا يكون لله تعالى كنية لأنه بان بصفاته. واللقب على أوجه لقب على سبيل الهزء

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/٤٧٠

وذلك منهي عنه، وربما يخص الرجل على التعيين وربما يعم الجنس كقولهم للأحدب ابو الغصن وللقصير أبو الرماح، والثاني على سبيل التخفيف يستغنى به عن الاسم والنسب، وهو كثير كابي فلان، والثالث للتعظيم كلقب الخلفاء والأمراء، والرابع لفعل يختص به كهاشم لهشمه الثريد، وعدوان لعدوه على أخيه وقتله إياه، ودارم لدرمانه تحت المال.

المتفائل باسمه حسنا كان أو قبيحا:

خرج عمر رضي الله عنه فلقي رجلا من جهينة فقال: ما اسمك؟قال: شهاب. قال: أبو من؟قال: أبو جمرة. فقال: ممن أنت؟؟قال: من بني حرقة ثم من بني ضرام. قال: أين مسكنك؟قال: ذات لظى. قال: أدرك أهلك وما أراك تدركهم إلا وقد احترقوا!فأتاهم وقد أحاطت بهم النار، ولما حاصر قتيبة سمرقند أرسل إليه دهقانها: لو حاصرتها الدهر الأطول لم تظفر بها فإنا نجد في كتبنا أنه لا يفتحها إلا بالان، فقال قتيبة: الله أكبر أنا صاحبها!لأن قتيبة تفسيره بالفارسية بالان، فلما يئس من مكابرتها هيأ صناديق وجعل لها أبوابا تغلق من داخل، وجعل فيها رجالا مستلئمين وقال: أنا راحل عنكم ومعي أموال أريد أن أجعلها عندكم، فأمر دهقانها ففتح الباب وأدخلت الصناديق، فخرجوا وقتلوا من فيها وفتحوها.

المتسمي باسم لا يليق به:

بكر بن النطاح:

وأعجب منك اليوم تسليم أمره ... عليك على طنز وأنك قابله

عبدان:

هل رأيتم أو سمعتم ... بكياء أصفهان

الصاحب:

الغضاري قال ادعى كياء ... لست أرضى بالشيخ والأستاذ

هل رأيتم يا سادتي أو سمعتم ... بكياء من أهل نصرأباذ؟

الحث على تعرف أسماء الأصدقاء:

قال ابن عباس: إذا آخى رجل رجلا فليسأله عن اسمه واسم أبيه، وإلا فهي معرفة حمقى.

المشتركان في الاسم المختلفان في الفضل:

قال رجل لمعاوية: ولد لي ولد فسميته معاوية فقال: الطريق مشتركة فضلان ضمهما اسم وشتت الأخبار وقال:

وقد تلتقي الأسماء في الناس والكني ... كثيرا ولكن لا تلاقى الخلائق

وقال:

وكم من سمي ليس مثل سميه ... وإن كان يدعى باسمه فيجيب

وقال:

لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سليم والأغر بن حاتم

وفي فصل لأبي الفضل بن العميد إلى محمد بن يحيى: وما أحسبنا نشترك في الاسم، وشتان بين محمد ومحمد، فلو كنا السماكين لكنت الرامح وكنت الأعزل، أو النسرين لكنت الطائر وأنا الواقع، أو السعدين لكنت سعد السعود وكنت سعد

الذابح.

الحث على تسمية الغير بأحسن الأسماء:

قال الله تعالى " ولا تنابزوا بالألقاب " .

وقال ابن الخزاعي:

ولست بذي نيرب في الكرام ... ومناع خير وسبابها

ولكن أطاوع ساداتها ... ولا أتعلم ألقابها

وقيل: ثلاثة تثبت لك الود عند أخيك: أن تبدأه بالسلام وتوسع له في المجلس وتناديه بأحب الأسماء إليه. وقال الطائي:

لا يضمر الغدر للصديق ولا ... يخطو اسم ذي وده إلى لقبه

وقال:

أكنيه حين أناديه لأكرمه ... ولا ألقبه والسوءة اللقب." (١)

"دخل النجار العذري على معاوية فازدراه فقال: يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك إنما يكلمك من فيها. فملأ سمعه حكمة ثم نهض ولم يسأله شيئا فقال: ما رأيت أحقر أولا ولا أكبر آخرا منه!وعاتب يحيى بن خالد العتبي في خلق ثيابه فقال: أخزى الله من ترفعه هيئتاه جماله وثيابه، ولم يرفعه أكبراه همته ونفسه، إنما الهيئة للأبناء والنساء. وقال حبيب بن أبي ثابت: لأن أعز في خميصة أحب إلي من أن أذل في مطرف. وقيل: لا يسود الرجل حتى لا يبالي في أي ثوبيه ظهر.

أبو هفان:

تعجبت در من شيبي فقلت لها: ... لا تعجبي فطلوع الشمس في السدف

وزادها عجبا أن رحت في سمل ... وما درت در أن الدر في الصدف

وقال:

أعاذل إن يكن برداي رثا ... فلا يعدمك بينهما كريم

النمر بن تولب:

فإن يك أثوابي تمزقن عن بلى ... فإني كمثل السيف في خلق الغمد

ونظرت جارية لابن هبيرة وهو أمير العراق وعليه قميص مرقوع فضحكت فأنشد:

هزئت أمامة أن رأتني مملقا ... ثكلتك أمك أي ذاك يروع؟

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه ... خلق وجيب قميصه مرقوع

وقيل: لا يسود الرجل حتى لا يدري أي ثوبيه لبس. وقال البحتري:

وليس العلى دراعة ورداءها ... ولا جبة موشية وقميصها

وفي صبيح الوجه عليه خلق:

---

(١) محاضرات الأدباء، ٤٧٢/١

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر أزراره على القمر

من عوتب في خلق ثيابه فاعتذر بالفقر:

قال بعض الكبار لأبي الأسود وعليه جبة خز خلقة طال صحبتها له: أما تمل لبسها؟فقال: رب مملول لا يستطاع فراقه؛فأمر له بمال. ودخل محمد بن كعب على سليمان فقال: ما هذه الثياب الرثة؟قال: أكره أن أقول الزهد فأطري نفسي، أو الفقر فأشكو ربي. وقال الإسكندر لرجل رث تكلم بفصاحة: ليكن حسن ثيابك كحسن كلامك فقال: أما الكلام فأنا قادر عليه، وأما الثياب فأنت تقدر عليها!فخلع عليه.

العريان:

قيل: فلان أعرى من المغزل. **وقيل لأعرابي**: ما تلبس؟قال: الليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس.

أبو هفان:

عريان أعرى من فصوص النرد ... كالسيف ماض ما له من غمد

وأنشد رجل يحيى بن خالد:

إني امرؤ في أعالي بيت مكرمة ... إذا تمزق ثوبي أرتدي حسبي

فقال يحيى: ما أقل غناء هذا الرداء في الكانونين. وقال الأصمعي: قلت لأعرابي في يوم بارد ألا تصلي؟قال: البرد شديد ومالي كسوة. وأنشد:

فإن يكسني ربي قميصا وجبة ... أصل وأعبده إلى آخر الدهر

وإن لا يكن إلا بقايا عباءة ... مخرقة ما لي على البرد من صبر

من يصون ثوبه ويهين نفسه:

ابن أبي الصمت:

أرى حللا تصان على رجال ... وأعراضا تزال ولا تصان

وقال:

فترى خسيس القوم يترك عرضه ... دنسا ويمسح نعله وشراكها

عذر من يتشوه لبسه:

قال ابن أبي داوود، وكان مضطرب الطيلسان: لا يحسن لبسه. فقال له ابو العلاء المعري: لئن كنت لا تحسن أن تلبس الطيلسان إنك لتحسن أن تلبس نعمك جماعة الإخوان. وقال آخر وقيل له: لا تحسن أن تلبس الثياب فقال: لكني أحسن أن ألبسها. وعوتب آخر فقال: من عظمت مؤونته في نفسه قل تفقده لأمر غيره. وقيل: من كان شغله بنفسه فقد مكر به. وقيل: ما استوت عمامة على رأس كريم قط.

اعطاء الخلع:

قيل: من راح منك في الثياب تغدو منه في الثناء.

البحتري:

وراح في ثنائي ... ورحت في ثيابه

وقيل: أحق الناس بحلتك أصدقهم في خلتك. وقيل: ثوبك على أخيك باليا أحسن منه عليك جديدا. وقال المهلب لأولاده: ثيابكم على غيركم أحسن منها عليكم.

من تزين به الثياب ولا يتزين بها:

كتب بعضهم: فلان تتزين به المطارف وتتشرف به المكارم.

بشار:

زين الملابس حين يلبسها ... وإذا تسلب زانه سلبه

وقال:

إن المليحة من تزين حليها ... لا من غدت بحليها تتزين

جميل:

إذا ابتزلت لم يزرها ترك زينة ... وفيها إذا ازدانت لدى نيقة حسب

المتنبي:

لبس الوشي لا متجملات ... ولكن كي يصن به الجمالا

كشاجم:." (١)

"قال عبد الله بن المبارك في قوله تعالى " ولا تنس نصيبك من الدنيا " : أي اعمل في الدنيا لآخرتك. وقيل: من لعب في عمره ضيع أيام حرثه، وإذا ضيع أيام حرثه ندم عند حصاده. وقال الحسن: ما وعظني شيء مثل ما وعظني كلام الحجاج في خطبته: إن امرأ ذهبت عنه ساعة من عمره في غير ما خلق له لحقيق أن تطول حسرته يوم القيامة. وقال حكيم: الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما. وقال رجل لداود الطائي: ما ترى أن أتعلم الرمي؟قال: حسن ولكن إنما هي أيامك فافنها فيما شئت.

مرور الوقت هادمة للحياة:

حكيم: من كان الليل والنهار مطيته سارا به وإن لم يسر.

رأيت أخا الدنيا وإن كان خافضا ... أخا سفر يسعى به وهو لا يدري

وقيل: أنفاس المرء خطاه إلى أجله، وأمله خادعه عن عمله. لكل زمن فوت وفي كل طرفة موت. وقال:

ما ارتد طرف امرئ بلحظته ... إلا وشيء يموت من جسده

وقال أعرابي: كيف تفرح بعمر تقطعه بالساعات معرضا للآفات؟ أبو العتاهية:

تظل تفرح بالأيام تقطعها ... وكل يوم مضى يدني من الأجل

---

(١) محاضرات الأدباء، ٤٧٦/١

وقيل لأعرابي: انظر إلى الهلال. فقال: ما أصنع به؟محل دين ومقرب حين.

عبدة:

إذا ما سلخت الشهر أهللت مثله ... كفى قاتلا سلخي الشهور وإهلالي

وقال:

ألا إن الفتى رهن ... بذي لونين خداع

ومنه قول ابن قميئة:

رمتني صروف الدهر من حيث لا ترى ... فكيف بمن يرمي وليس برام؟

فلو أنني لما رمتني رميتها ... ولكنها ترمي بغير سهام

وقال:

فوق الدهر إلينا نبله ... عللا يقصدنا بعد نهل

فهو رامينا ولا نبصره ... مثل رام رام صيدا فختل

البقاء في الدنيا سبب الفناء:

قال بعضهم: انصرفت من مجلس حماد الراوية فقال أبي: ما حدثكم؟قلت: حدثنا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لو لم يكسب ابن آدم إلا الصحة والسلامة لكفى بهما داء. فقال أبي: قاتل الله حميدا حيث قال:

أرى بصري قد رابني بعد صحة ... وحسبك داء أن تصح وتسلما

وقال:

ودعوت ربي بالسلامة جاهدا ... ليصحني فإذا السلامة داء

وقال:

لو لم يوكل بالفتى ... إلا السلامة والنعم

فتداولاه لأوشكا ... أن يسلماه إلى الهرم

معدي كرب:

أراني كلما أبليت يوما ... أتاني بعده يوم جديد

يعود شبابه في كل فجر ... ويأبى لي شبابي ما يعود

الصلتان:

إذا ليلة هرمت يومها ... أتى بعد ذلك يوم فتي

فرح الدنيا مشوب بالترح ومعقب بالهموم:

قيل: في كل جرعة شرطة ومع كل أكلة غصة. ونظر أنشروان إلى ملكه فأعجبه فقال: هذا ملك لولا أنه هالك، ونعيم لولا أنه عديم، وغناء لولا أنه عناء، وسرور لولا أنه شرور، ويوم لو كان يوثق له بغد.

المغيرة بن جيناء:

وكذاك الدهر مأتمه ... أقرب الأشياء من عرسه

وقال:

لا يغرنك عيش ساكن ... قد تولى بالمنيات السحر

وقال:

إن الليالي لم تحسن إلى أحد ... إلا أساءت إليه بعد إحسان

وقال بعضهم: ما من إنسان قيل له طوباك إلا وقد هيأ له الدهر يوم سوء.

المتنبي:

ومن كان في السراء في حال معجب ... فمحصوله منها على حال نادم

ابن لنكك:

كل من حاز سرورا ... أو نعيما هو فيه

فالمنايا والرزايا ... عن قريب تقتضيه

وقال:

لم يشفع الدهر الخؤون لمهجة ... في العمر إلا عاد وهو خصيمها

الدنيا هموم وغموم:." (١)

"روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين سلمان وابي الدرداء، فرأى سلمان امرأة أبي الدرداء صيدله فقال لها: ما شأنك؟قالت: إن أخاك أبا الدرداء يقوم بالليل ويصوم بالنهار، وليبس له في أي شيء من الدنيا حاجة. فجاء ابو الدرداء فرحب به وقرب إليه طعاما فقال له سلمان: أطعمه. قال: إني صائم. قال: أقسمت عليك لتفطرن. فقال: ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل معه ثم بات عنده فلما كان من الليل أراد أبو الدرداء أن يقوم، فسمعه سلمان فقال: إن لجسدك عليك حقا ولربك عليك حقا ولأهلك عليك حقا صم وافطر وصل وائت أهلك وأعط كل ذي حق حقه. فلما كان وجه الصبح قال له: قم الآن إن شئت. فقام وتوضأ ثم ركعا وخرجا إلى الصلاة، فدنا أبو الدرداء ليخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي أمره سلمان، فقال رسول الله صلى لله عليه وسلم: يا أبا الدرداء إن لجسدك عليك حقا على ما قال سلمان.

المسرة بإتيان الصيام:

شاعر:

جاء الصيام فجاء الخير أجمعه ... ترتيل ذكر وتحميد وتسبيح

فالنفس تداب في قول وفي عمل ... صوم النهار وبالليل التراويح

أدعية الصوم:

---

(١) محاضرات الأدباء، ٤٨٣/١

كان صلى الله عليه وسلم يقول في شهر رمضان: اللهم سلمه لنا وتسلمه منا. وكان الربيع بن خيثم يقول: الحمد لله الذي أعانني فصمت ورزقني فأفطرت. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت.

التبرم بالصوم في غير رمضان:

قيل لأعرابي: ألا تصوم البيض؟قال: دعني منها فبين يديها ثلاثون كأنها القباطى. وقيل لمزيد: صوم يوم عرفة يعدل صوم سنة، فصام إلى الظهر وقال: يكفيني ستة أشهر فيها رمضان.

التبرم بشهر رمضان:

أسلم مجوسي فأطل عليه شهر رمضان فعجز عن الصوم فقيل له: كيف ترى في الإسلام؟قال:

وجدنا دينكم سهلا علينا ... شرائعه سوى شهر الصيام

ابن الرومي:

شهر الصيام وإن عظمت حرمته ... شهر ثقيل بطيء السير والحركه

يا صدق من قال: أيام مباركة ... إن كان يكنى عن اسم الطول بالبركه!

آخر:

الغوث من شهر الصيام ... إذ صار لي مثل اللجام

ما إن أمتع بالطعا ... م وبالمدام وبالغلام

بعض الكتاب:

ثقل الصوم علينا ... أثقل الله عليه!

زارني بالأمس خل ... كنت مشتاقا إليه

فمضى فلم أقض منه ... حاجة كانت لديه

المسرة بانقضاء شهر رمضان:

أبو علي البصير:

أقول لصاحبي وقد بدا لي ... هلال الفطر من خلل الغمام:

غدا نغدو إلى ما قد ظمئنا ... إليه من المدامة والغلام

ونسكر سكرة شنعاء جهرا ... وننقر في قفا شهر الصيام

أبو نواس:

من شوال علينا ... وحقيق بامتنان

جاء بالقصف وبالعز ... ف وتغريد القيان

أوفق الأشهر لي ... أبعدها من رمضان

السري:

تصرم شهر الصوم شهر الزلازل ... وشال به شوال شهر الفضائل

ولاح هلال الفجر نضوا كأنه ... سنان لواه الطعن في رأس عامل

ودارت علينا الراح ين أهلة ... تضيء وأغصان رطاب موائل

فرحنا وفي أجسامنا سحر بابل ... يدب وفي ايماننا خمر بابل

التجاسر على ركوب المعاصي في رمضان:

حكى بعض الناس أن ديك الجن رآه يوما في شهر رمضان فقال له: هل لك في سكباجة وشواء حنيذ وخمر صافية وغلام غرير يلهينا؟فقلت: أفي هذا الوقت؟قال: أي والله، فأزريت به وأعرضت عنه فقال:

وحياة ظبي لم أصم عن ذكره ... إلا عضضت تندما إبهامي

لأشافهن من الذنوب عظامها ... ينقد عنها جلد كل صيام

الخبزارزي:

أرى لي في شهر الصيام إذا أتى ... ليالي عيار وأيام عابد

أناس بعلات الصيام تفرجوا ... وكانت أمور باعتلال المساجد

صام أعرابي رمضان فلما اشتد أفطر فقالت ابنته: ألا تصوم يا أبت ؟فقال:

أتأمرني بالصوم لا در درها ... وفي القبر صوم يا أميم طويل

وقال:." (١)

"قال بعض الحكماء: ما طال عمره رأى المصائب في إخوانه وجيرانه، ومن قصر عمره كانت مصيبته في نفسه.

شاعر:

كل امرئ ستئيم منه العرس أو منها يئيم

الموسوي:

فمؤجل يلقى الردى في أهله ... ومعجل يلقى الردى في نفسه

المتنبي:

سبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها ... منعنا بها من جيئة وذهوب

تملكها الآتي تملك سالب ... وفارقها الماضي فراق سليب

الموت لا يدفع بالأسلحة:

علقمة:

بل كل قوم وإن عزوا وإن كثروا ... عريقهم بأثافي الشر مرحوم

المتنبي:

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢٦/٢

نعد المشرفية والعوالي ... وتقتلنا المنون بلا قتال

ونرتبط السوابق مقربات ... وما ينجين من خبب الليالي

ومن لم يعشق الدنيا قديما ... ولكن لا سبيل إلى الوصال

الموسوي:

تفوز بنا المنون وتستبد ... ويأخذنا الزمان فلا يرد

رويدك بالفرار من المنايا ... فليس يفوتها الساري المجد

وكل فتى يحف بجانبيه ... خواطر بالقنا قنب وجرد

فما دفع المنايا عنه وفر ... ولا هزم النوائب عنه جند

الحياة معرضة لسهام المنايا:

أبو العتاهية:

إن للموت لهما قاصدا ... ليس يفدي أحدا منه أحد

الرفاء:

نحن أغراض خطوب إن رمت ... حيرت في دقة الرمي ثعل

وإذا ما اختلفت أسهمها ... فأصابت بطل القرم بطل

صحيح مات:

قيل لحكيم: مات فلان أصح ما كان!فقال: أو صحيح من الموت في عنقه. وقيل للحسن: مات فلان فجأة، المرض فجأه، ثم قال: اللهم أجرني من أكون مختلسا، **وقيل لأعرابي**: كيف مات أبوك؟قال: مات سرا؛يعني فجأة.

شاعر:

وربما غوفص ذو غرة ... أصح ما كان وما يسلم

وقيل لرجل: ما كان سبب موت فلان؟فقال: كونه. وقال سفيان: يا ابن آدم إن جوارحك سلاح الله عليك بأيها شاء قتلك.

ضعف بنية الإنسان وتركيبه:

سئل جالينوس عن الإنسان فقال: سراج ضعيف وكيف يدوم ضوؤه بين أربع رياح، يعني بالسراج روحه وبالرياح الأربع طبائعه.

شاعر:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يصير رمادا بعد إذ هو ساطع

وقال أفلاطون: إذا كانت الطينة فاسدة والبنية ضعيفة والطبائع متنافية، والعمر يسيرا والمنية راصدة فالثقة باطلة.

شاعر:

انظر إلى هذه الأنام بعبرة ... لا يعجبنك خلقه ورواؤه

بيناه كالورق النضير تقبضت ... أغصانه وتسلبت شجراؤه

وقال الحسن: مسكين ابن آدم مكتوب الأجل والعلل، أسير الجوع والشبع.

إتيان المرء حتفه حيثما قدر له:

قيل لفيلسوف: مات فلان في الغربة، فقال: ليس بين الموت في الوطن والغربة فضل، لأن الموت في جميع المواضع واحد، والطريق إلى الآخرة من كل مكان سواء.

شاعر:

إذا ما امرؤ حانت عليه منية ... بأرض أتاها مكرها لا تطوعا

آخر:

إذا ما حمام المرء كان ببلدة ... دعته إليها حاجة أو تطرب

جهل الإنسان بوقت موته وموضع مضجعه:

قال الله تعالى " وما تدري نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت " . وقيل لجعفر بن محمد عليهما رضوان الله: كيف يأتي الموت من وجوه شتى على أحوال شتى؟فقال: إن الله أراد أن لا يؤمن في حال. وقيل: أمر لا تدري متى يغشاك، ألا تستعد له قبل أن يفجأك؟ ديك الجن:

الناس قد علموا أن لا بقاء لهم ... لو أنهم عملوا مقدار ما علموا

آخر:

وإنك لا تدري بأية بلدة ... تموت ولا عن أي شقيك تصرع

تسوية الموت بين الأفاضل والأراذل:

قال مالك بن دينار: قدم علينا بشر بن مروان أخو الخليفة، فطعن في قدمه فمات فأخرجناه إلى القبر، فلما صرنا إلى الجبان إذا نحن بسودان يحملون صاحب لهم إلى القبر، فدفناه ودفنوا صاحبهم، فعدت قبل السبوع فلم أعرف قبر الأسود من قبره.

وعلى هذا قول الشاعر:

ولقد مررت على القبور فما ... ميزت بين العبد والمولى

المتنبي:

وصلت إليك يد سواء عندها الباز الاشيهب والغراب الأبقع." (١)

"روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الميت ليعذب ببكاء أهله. وأنكرت عائشة ذلك وقرأت " ألا تزر وازرة وزر أخرى " . وقيل: معناه يعذب بأفعاله التي يندب بها من غاراته وقتاله. ودخلت أعرابية الحضر فسمعت بكاء من دار فقالت: ما هذا؟أراهم من ربهم يستغيثون، ومن استرجاعه يتضجرون، ومن جزيل ثوابه

---

(١) محاضرات الأدباء، ٤٦/٢

يتبرمون!وقال أبو سعيد البلخي: من أصابته مصيبة فأكثر الغم جعل الله عقوبته غما مثله. قال الله تعالى " فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا " . وقال عليه السلام: النائحة إذا لم تتب قبل أن تموت أقيمت يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من كبريت.

الرخصة في البكاء وإظهار الجزع ما لم يكن إفراطا:

دخل عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه على النبي صلى الله عليه وسلم يوم موت ابنه إبراهيم، فوجد عينيه تذرفان فقال: يا رسول الله ألست تنهانا عنه؟قال: أنا ذو رحمة ولا يرحم من لا يرحم، وإنما نهى عن النياحة وأن يندب المرء بما ليس فيه. وسمع عمر رضي الله عنه باكية في جنازة فزجرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعها فإن العهد قريب، والنفس مصابة!وقام الحسن البصري على قبر أخيه فبكى شديدا، فقيل له في ذلك فقال: ما رأيت الله عاتب يعقوب على طول بكائه على يوسف عليهما السلام بل قال: وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم. **وقيل لأعرابي**: اصبر فالصبر أجر؛فقال: أعلى الله أتجلد؟والله لا الجزع أحب إلي لأن الجزع استكانة والصبر قساوة. وقيل لفيلسوف: أخرج الحزن من قلبك؛فقال: لم يدخله بإذني فأخرجه بإذني. وأفرطت امرأة في الجزع على ابنها، فعوتبت في ذلك فقالت: إذا وقع حكم الضروريات لم يقع عليها حكم المكتسبات، فأما جزعي فليس في الطاعة صرفه ولا في القدرة منعه، ولي عذر للضرورة فإن الله تعالى يقول " فمن اضطر غير با غ ولا عاد فلا إثم عليه " . وقال خالد بن صفوان: صبرك في مصيبتك أحمد من جزعك، وجزعك في مصيبة أخيك أحمد من صبرك.

نفع البكاء في دفع الأحزان:

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه كنت إذا أصابتني مصيبة وأنا شاب لا أبكي وكان يؤذيني ذلك حتى سمعت أعرابيا ينشد:

لعل انحدار الدمع يعقب راحة ... من الوجد أو يشفي نجي البلابل

فسألته لمن الشعر؟فقال: لذي الرمة، فكنت إذا أصبت بكيت فاسترحت.

العبق: ويشفي مني الوجد ما أتواجع المتنبي:

وقل غناء عبرة تكسباها ... على أنها تشفي الحرارة في الصدر

قلة نفع البكاء:

أبو تمام:

أجدر بجمرة لوعة اطفاؤها ... بالدمع إن تزداد طول وقوع

وقال اراكة:

أعيني إن كان البكا رد هالكا ... على أحد قبلي فلا تتركا جهدا

الموسوي:

وإن غبين القوم من ظاعن الردى ... إذا جاء في جيش الرزايا بأدمع

آخر:

إن الدموع طليعة الأحزان

من سلا عن الولد أو سلي عنه بسلامته في نفسه:

قيل لعبد الله بن عبيد الله بن طاهر وقد مات له ولد، ثم أتاه الخبر قبل عوده من جنازته بأن مات له آخر، فانتظر حتى جهز فدفنه وانصرف مع أصحابه ودعا بالطعام، فقيل له في ذلك فقال: إذا سلمت الجلة فالسخل هدر!ودخل أبو العتاهية على الفضل بن الربيع يعزيه بابنه فقال: الحمد لله الذي جعلنا نعزيك به ولا نعزيه بك.

الموسوي:

فتسل عن سيف طبعت غراره ... وأعرت صفحته سنا ومضاء

فالابن للأب إن تعرض حادث ... أولى الأنام بأن يكون فداء

من تسلى عنه بما له من الثواب:." (١)

"دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك، وكان قد أصابه الطاعون، فقال: دعني أمس قرحتك. وكان يقال إذا كان لينا يرجى، وإذا كان خشنا لا يرجى، فامتنع عبد الملك من أن يمسها، فعلم عمر لم منعه فقال: دعني أمسها فوالله لأن أقدمك فتكون في ميزاني أحب إلي من أكون في ميزانك!فقال: والله لأن يكون ما تريد أحب إلي من أن يكون ما أريد، فلمسها فقال: يا عبد الملك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين!فقال: ستجدني إن شاء الله من الصابرين. وقال عليه السلام: من مات له ولد فصبر أو لم يصبر، جزع أو لم يجزع، احتسب أو لم يحتسب، لم يكن له ثواب إلا الجنة. ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه على قبره فقال: يا ذر شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك، فليت شعري ما الذي قلت وما الذي قيل لك؟اللهم إنك قد ألزمته طاعتك وطاعتي لإغني قد وهبت له ما قصر فيه من حقي، فهب لي ما قصر فيه من طاعتك. اللهم ما وعدتني من الأجر على مصيبتي به فقد وهبته له فهب لي من فضلك؟ثم قال عند انصرافه: ما علينا بعدك من غضاضة وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة، وقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك.

من رأى المفقود من ولده له دون الباقي:

قال زياد لرجل: أين منزلك؟قال: وسط البلد. قال: كم لك من ولد؟قال: تسعة. فقال بعض من حضر: أيها الأمير إنه يسكن المقابر وله ابن واحد. فقال: أجل داري بين أهل الدنيا والآخرة. ومات لي تسعة فهم لي، وبقي واحد لا أدري أهو لي أو أنا له. **وقيل لأعرابي**: كم لك من الولد؟فقال: لي عند الله خمسة وعندي ثلاثة. وقال رجل للرشيد: بارك الله لك في الماضين وآجرك في الباقين. فقال له: اعكس تصب. قال: لا لأن الله تعالى يقول " ما عندكم ينفد وما عند الله باق " .

التسلية عن الأب ببقاء الابن:

عزى رجل آخر بموت أبيه فقال: من كنت من بقيته لموفور، ومن كنت خلفه لمجبور، ومن كنت وليه لمنصور! المتنبي: فإنك ماء الورد إن هذب الورد علي بن الجهم:

فما مات من كنت ابنه لا ولا الذي ... له مثل ما اسدى أبوك وما سعى

(١) محاضرات الأدباء، ٥٤/٢

التعزية بالبنات:

نعي إلى ابن عباس رضي اللله عنهما بنت له وهو في سفر فقال: عورة سترها الله، ومؤونة كفاها الله، وأجر ساقه الله. وماتت لعمر بن عبد العزيز بنت، فأقبل الناس لتعزيته فأمر بحجبهم وقال: إنا لا نعزى في البنات ولا في الأخوات.

من فجع بمختص به فلم يحزن لتصوره قبل وقوعه:

دخل رجل على حكيم وهو يأكل فقيل له: قد مات ابنك!فقال: قد علمت ولم يقطع الأكل. فقيل له: ومن أين علمت ذلك؟قال: من قول الله تعالى " إنك ميت وإنهم ميتون " . وحضر الموبذ عند المأمون بمرو وهو يكالمه إذ وردت عليه خريطة من الحسن فيها أخبار العراق، وموت ابن الموبذ، فقال المأمون: أحسن لله لك العوض وعليه الخلف!فأجابه: بصالح الأدعية فعجب المأمون وقال: أتدري ما أردت؟قال: لا. قال: يقال أن ابنك مات. قال: قد علمت ذلك. قال: ومن أين علمت ذلك والخريطة الساعة وردت؟قال: قد علمت ذلك يوم ولد!وهذا كما سئل أفلاطون فقيل له: ما علة موت ابنك؟قال: وحوده!وقيل لعمر رضي الله عنه مثل ذلك فقال: هذا أمر كنا نتوقعه قبل كونه فلما ورد لم ننكره.

شهر: وهل جزع مجد علي فأجزع وقال الطرماح:

ولما رأى أن الأسى غير دافع ... عن المرء مقدورا من الأمر سلما

وقال:

هممت بأن لا أطعم الدهر بهدهم ... حياة وكان الصبر أبقى وأكرما

المتنبي:

أردد ويلي لو قضى الويل حاجة ... وأكثر لهفي لو شفى غلة لهف

من مات له عدة بنين فصبر:

مات لأنس بن مالك رضي الله عنه في الطاعون ثلاثون ابنا، ولعبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنهما أربعون ابنا، ولعبيد الله بن عمر رضي الله عنهما ثلاثون ابنا سنة أربع وستين. ومات لأعرابية ابن وأخ وزوج دفعة فلم تبك وقالت:

أفردني ممن أحب الدهر ... ثلاثة هم نجوم زهر

فإن جزعت إن ذا لعذر ... وإن صبرت لا يخيب الصبر." (١)

"تحاول فتق غيم وهو يأبى ... كعنين يحاول فتق بكر

ذو الرمة في وصف ذلك:

أصاب خصاصة فبدا كليلا ... كلا وانعل سائره إنعلالا

أي ضعيفا ليس بشيء.

آخر:

وشمس الله مسرجة الغلاف

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢/٥٥

؟الشمس الجانحة للغروب: أبو النجم:

وصارت الشمس كعين الأحول

آخر:

والشمس كالمرآة في كف الأشل

ابن الرومي:

كأن حنو الشمس ثم غروبها ... وقد جعلت في مجنح الليل تمرض

تخاوص عين ملء أجفانها الكرى ... يرنق فيها النوم ثم تغمض

حميد:

والشمس قد نفضت روسا على الأفق

آخر:

وودعت الدنيا لتقضي نحيبها

؟الهلال لأول الشهر: ابن المعتز في وصفه:

انظر إليه كزورق من فضة ... قد أثقلته حمولة من عنبر

الناجم:

البدر قد قابلنا طالعا ... كأنه حزة بطيخ

كشاجم فيه:

كشعيرة من فضة ... قد ركبت في خنجر

الرفاء:

ولاح لنا الهلال كشطر طوق ... على لبات زرقاء اللباس

آخر:

سنان لواه الطعن في رأس عامل

ابن طباطبا:

كالنون إذ خطت بماء الذهب

؟البدر وقت طلوعه: قيل لأعرابي: الشمس أحسن أم القمر؟فقال: القمر أحسن والشمس أجهر. قيل: وكيف صار القمر أحسن؟قال: لأن العيون عليه أجسر. وقال بعضهم: سافروا في هذه الليالي فإن أنس القمر يذهب وحشة السفر. وقال أعرابي: ما فقدت القمر إلا فقدت أخا أنيسا.

الموسوي:

يا من بغرته الهلال أما ترى ... بدر الهلال وقد بدا في المشرق؟

كظريفة نظرت إلى عشاقها ... فتنقبت خجلا بكم أزرق

وخرج أعرابي في ليلة مظلمة فضل عن الطريق ثم طلع القمر فاهتدى فرفع رأسه إلى القمر وقال: ماذا أقول لك؟إن قلت حسنك الله فقد فعل وإن قلت رفعك الله فقد فعل. . وقال آخر يخاطب القمر: والله ما أبقيت لليل إلا اسمه. وزعم بعض العلماء أن السواد الذي في القمر هو صورة ما قابله من سواد الأرض لأن القمر كالمرآة يقبل الصورة المقابلة لانصقاله.

الهلال الماحق:

ابن المعتز في آخر شهر رمضان:

يا قمرا قد صار مثل الهلال ... من بعد ما صيرني كالخلال

فالحمد لله الذي لم أمت ... حتى أرانيك بهذا المثال

وله في وصفه:

مثل القلامة قد قدت من الظفر

الهلال في النهار:

ابن المعتز:

إذا الهلال فارقته ليلته ... يبدو لمن يبصره وينعته

- كأنه أسمر شابت لحيته

القمر مع الشمس:

بعضهم:

قد أصبح الجو مثل منتقد ... في كفه درهم ودينار

ابن المعتز في وصفهما:

فكأنه وكأنها ... قدحان من خمر وماء

البدر المبتدئ من وراء الغيم:

بعضهم:

البدر يأخذه غيم ويتركه ... كأنه سافر عن خد ملطوم

الرفاء:

والبدر يظهر في السحاب كأنه ... عذراء تنظر من وراء سجاف

القمر اللامع في الماء:

شاعر:

البدر يجنح للغروب كأنما ... قد سل فوق الماء سيفا مذهبا

ابن المعتز:

البدر يضحك وسط دجلة وجهه ... والماء يرقص حولنا ويصفق

فكأنه فيها طراز مذهب ... وكأنها فيه رداء أزرق

القمر المجتمع مع بعض النجوم:

ابن المعتز:

وهلال شوال يلوح ضياؤه ... وبنات نعش وقف بإزائه

كبناته من مخلص لما بدا ... وجه الوزير دعا بطول بقائه

ابن طباطبا:

كأن الثريا والهلال جلتهما ... لي الشمس إذ ودعت كرها نهارها

كأسماء إذ باتت عشاء وغادرت ... لدينا دلالا قرطها وسوارها

عبد الله بن الخازن:

فأصبح بدرا والثريا تميمة ... على جيده خوف العيون الحواسد

الكسوف والخسوف:." (١)

"قال الرقاشي: حكي أن الزنج كانت تعبد القمر والهند تعبد الشمس، فألقى الله عليهما الكسوف والخسوف. وقيل: لما مات إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم كسفت الشمس فقال الناس: إن ذلك لموته. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الشمس والقمر آيتان لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما كذا فافزعوا إلى الدعاء. بعضهم شبه القمر الذي بدا من الكسوف فقال: كأنه درهم بدر من سكة.

النجوم:

قال الله تعالى " هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر " . وقال تعالى " الشمس والقمر بحسبان " . وقال تعالى " لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون " . وقال تعالى " فلا أقسم بمواقع النجوم " . وقال تعالى " تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا " . وقال تعالى " هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب " .

معرفة النجوم:

قيل لأعرابي: أتعرف النجوم؟قال: وهل يجهل أحد سقف بيته. وقيل لآخر فقال: لا أعرف إلا بنات نعش ولو تفرقن. وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: كفى بالمرء جهلا أن ركبا وقوفا على رأسه كل ليلة لا يسميهم؛يعني النجوم.

المجرة:

شاعر:

كخط لجين في الزبرجد ممتد

آخر:

---

(١) محاضرات الأدباء، ٦٧/٢

غصن بأحداق النجوم وريق

التنوخي:

وكأنما شرك المجرة بينها ... ماء تسرى في نبات أخضر

ابن طباطبا:

كأن التي حول المجرة أوردت ... لتكرع في ماء هناك صبيب

خوافات للعرب في النجوم:

قالت العرب: إن الدبران خطب الثريا وأراد القمر أن يزوجه، فأبت عليه وولت عنه. وقالت للقمر: ما أصنع بهذا السبروت الذي لا مال له؟فجمع الدبران قلاصه يتمول بها فهو يتبعها حيث توجهت، يسوق قلاصها لصداقها، وإن الجدي قتل نعشا فبناته تدور به، وإن سهيلا خطب الجوزاء فركضته برجلها فطرحته حيث هو وضربها هو بالسيف فقطع وسطها، وإن الشعرى اليمانية كانت مع الشعرى الشامية ففارقتها وعبرت المجرة فسميت الشعرى العبور، فلما رأتها الشامية بكت حتى عمصت عيناها فسميت الشعرى العميصاء.

وصف حمل من النجوم غير مسماة:

سميت الكواكب شواهد الليل. قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا صلاة بعد العصر حتى يبدو الشاهد. وقيل في قول الله تعالى " فلا أقسم بالخنس: أنها زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد. وقيل في قوله تعالى " المدبرات أمرا أنها النجوم السبعة.

وشبه امرؤ القيس النجوم بقوله:

مصابيح رهبان تشب لقفال

وفي وصفها:

دراهم قد نثرت ... على بساط أزرق

آخر:

در على أرض من الفيروزج

ابن طباطبا:

كأن اخضرار الجو صرح ممرد ... وفيه لآلي لم تشن بثقوب

التنوخي:

كأن نجوم الليل في ظلماته ... ثغور بني حام بدت للثات

البحتري:

كأن النجوم المستسرات في الدجى ... شكال دلاص أو عيون جراد

يحيى بن علي بن المهلب:

ترى الفلك الدزوار زهرا نجومه ... كقبة ياقوت بتبر مدثرا

أبو بشر عبد الواحد بن علي بن أحمد بن سهل:

كأن السماء روضة قد تفتقت ... أكمتها والبدر في الأرض درهم

تحير النجوم في الجو:

العباس بن الأحنف:

والنجم في كبد السماء كأنه ... أعمى تحير ما لديه قائد

وذكروا أن بشارا كان يتعجب منه ويقول: لم يرض أن جعله أعمى حتى جعله بغير قائد.

الثريا:

ابن الطثرية:

إذا ما الثريا في السماء كأنها ... جمان وهي من سلكه فتبددا

ابن المعتز:

كأن الثريا هودج فوق ناقة ... يخب بها حاد إلى الغرب أبلج

وله:

يتلو الثريا كفاغر شره ... يفتح فاه لأكل عنقود

ونحوه:

كعنقود ملاحية حين نورا

وفي وصفها:

عنقود در في كرم فيروزج

وفيه:

ولاحت لساريها الثريا كأنها ... على جانب الغربي قرط مسلسل

آخر:

هي كأس في شروق ... وهي قرط في غروب

الخباز البلدي:

ونجم الثريا في السماء كأنه ... على نطع كيمخت بيادق عاج

محمد بن وهيب:

أما ترون الثريا ... كأنها عقد ريا." (١)

"وهاجرة يشوي هواء سمومها ... طبخت بها عيرانة فاشتويتها

شمردل:

وهاجرة صادق حرها ... تكاد الثياب بها تلهب

---

(١) محاضرات الأدباء، ٦٨/٢

كأن الحرابي من حرها ... تلوح بالنار أو تصلب

آخر:

والشمس حيرى لها بالجو تدويم

آخر:

إذا الشمس في الأيام طال ركودها

آخر:

إذا الشمس مجت ريقها بالكلاكل

صفة الحر:

وهاجرة بيضاء يعدي بياضها ... سوادا كأن الوجه منه محمم

آخر:

وانتعل الظل فصار جوربا

الأعشى:

حتى إذا انتعل المطي ظلالها

وله:

كالظل حين أحرزته الساق

تحرك الرياح:

قيل: خرج أعرابيان في غداة باردة فقال أحدهما: أرى الشمال تنفس الصعداء، وقال الآخر: أراها تشعبت على الجو. وقال بعضهم: جاءت الريح كأنها نسيم معشوق بعد هجير كأنه نفس مهجور.

ريح شديدة:

المتلمس:

ومستنسج يستكشف الريح ثوبه ... ليسقط عنه وهو بالثوب معصم

الفرزدق:

وركب كأن الريح تطلب عندهم ... لها ترة من جذبها بالعصائب

المهلب:

وريح يضل الروح عن مستقره ... وتستلب الركبان فوق الركائب

فلو أنها ريح الفرزدق لم يكن ... لها ترة من جذبها بالعصائب

نصبت لها وجهي وأنصبت صاحبي ... إلى أن حللنا في محل الحبائب

ابن أحمر:

عشواء تلتهم الجبال وأج ... واز الفلاة وبطنها صفر

آخر:

ريح لجوج سهوة المجاري

ابن أبي ربيعة في الشمال والجنوب:

ضرائر أوطن العراص كأنما ... أجلن على ما غادر الحي منجلا

حميد:

جرت به هوج الرياح ذيولها ... جر النساء فواضل الأذيال

ذو الرمة:

ثلاث مرنات إذا هجن هيجة ... قذفن الحصى قذف الأكف الرواجم

وقيل: الرياح أربعة: ريح تقسم السحاب، وريح تثيره فتجعله كسفا، وريح تؤلف بينه فتجعله ركاما، والشمال تفرقها وهي باردة. ولذلك قال:

وأنت على الأدنى شمال مرية ... شآمية تزوي الوجوه بليل

وأنت على الأقصى صبا غير قرة ... تداءب منها مزرع ومسيل

الريح المستطابة والمتمناة:

أنشد المجنون:

أيا جبلي نعمان بالله خليا ... نسيم الصبا تخلص إلي نسيمها

أجد بردها أو تشف مني حرارة ... على كبد لم يبق إلا رسومها

فإن الصبا ريح إذا ما تنفست ... على كبد حرى تجلت همومها

يزيد بن الطثرية:

إذا ما الريح نحو الأثل هبت ... وجدت الريح طيبة جنوبا

آخر:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد ... فقد زادني مسراك وجدا على وجد

أم المثلم:

أتينا بريح المسك خالط عنبرا ... وريح الخزامى باكرتها جنوبها

الموسوي:

وهبت لأصحابي شمال لطيفة ... قريبة عهد بالحبيب بليل

ترانا إذا أنفاسنا مزجت به ... نرنح في أكوارنا ونميل

كيفية البرد الشديد:

قيل لأعرابي: ما أشد البرد؟فقال: إذا أصبحت الأرض ندية والسماء نقية والريح شآمية. وقيل آخر فقال: إذا دمعت

العينان وقطر المنخران ولجلج اللسان. وقيل لآخر فقال: إذا نديت الدقعاء وصفت الخضراء وهبت الجربياء. وقيل لآخر أي اليوم ابرد؟فقال: الأحص الورد والأزب الهلوف؛فالأحص الورد يوم تصفو شماله ويحمر أنفه، والأزب الهلوف يوم تهب فيه نكباء فتسوق الجهام. وسأل الرشيد بعض أصحابه عن شدة البرد فقال: ريح جربياء في ظل عماء في غب سماء.

وصف البرد:

كان أعرابي يرتعد في يوم شات فقيل له: تحول إلى الشمس؛فقال: الشمس تحتاج إلى قطيفة. وقيل لرجل: ما أثقل جبتك . فقال: البرد أثقل منها.

وهب الهمداني:

يوم من الزمهرير مقرور ... عليه ثوب الصباء مزرور

كأنما حشو جوه إبر ... وأرضنا فرشها قوارير

وشمسه حرة مخدرة ... ليس لها من ضيائها نور

الشمسياطي في وصف شتاء:

ألقى كلاكله ببرد قارص ... حتى غدا من في جهنم يحسد

أخذه من أعرابي قال:." (١)

"فإن كنت ربي مدخلي في جهنم ... ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم!

وجد أعرابي البرد فقيل له: هذا لكون الشمس في العقرب. فقال: لعن الله العقرب فإنها مؤذية في الأرض كانت أم في السماء.

شاعر:

قد منع الماء من المس ... وأمكن الجو من الحس

أبو محمد المطراني:

وشتاء يخنق الكلب فلا يعلو هريره

كلما رام هريرا زم فاه زمهريره

هو من قول الراعي:

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة ... حتى يلف على خرطومه الذنبا

قال الرشيد: ما أبلغ بيت في شدة البرد؟فأنشد هذا البيت بعضهم، فقال: أبلغ منه:

وليلة قر يصطلي القوس ربها ... وأسهمه اللاتي بها يتنبل

فقال: حسبك ما بعد هذا شيء. وقال ابن سمعون: البرد بالري رافضي يقول بالرجعة أي متى ذهب رجع. **وقيل لأعرابي**: أما تجد البرد؟فقال: لا لأن العري اتصل على بدني فاعتاده كاعتياد وجوهكم. وقيل لآخر: ما أصبرك على البرد!قال: كيف

---

(١) محاضرات الأدباء، ٧١/٢

لا يصبر عليه من طعامه الريح وسراجه الشمس وسقفه السماء؟

حمد البرق في الشتاء:

قال عروة بن الزبير: خير شتائكم ما اشتد برده، وخير صيفكم ما اشتد حره. وكانوا يستعيذون من الشتاء البارد. وقال الأصمعي: ما وقع طاعون في بلد إلا في شتاء سخن أو تعقبه مضرة البرد. وقال سعيد بن عبد العزيز: البرد عدو الدين. وفي الخبر: إن الملائكة لتفرح بذهاب الشتاء لما يدخل في فقراء أمتي. وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من كلب الشتاء.

من شكا الفقر والقر:

صودف أعرابي يتكفف ويقول:

جاء الشتاء ومسنا قر ... وأصابنا في عيشنا ضر

ضر وفقر نحت بينهما ... هذا لعمر أبيكم الشر

وقيل لشيخ: كيف أنت؟قال: خلق في خلق.

أبو الحسن الطوسي:

هجم البرد والشتاء فما أملك ... إلا رواية العربيه

ويقل الغناء عني فنون العلم إن عصفت شمال عريه

وقيل لأعرابي: ما أعددت للبرد؟قال: شدة الرعدة وتفرقص القعدة وذرب المعدة. وقيل: رماه الله بالحرة تحت القرة أي العطش مع البرد.

جملة من أوصاف السحاب من نشئه وقطاره:

ملحد الجرمي:

أرقت وطال الليل للبارق الرمض ... حثيث سرى مجتاب أرض إلى أرض

نساري من الإدلاج كدري مزنة ... نقضي بجذب الأرض ما لم نكن نقضي

تحن بأغوار الفلاة قطاره ... كما حن نيب بعضهن إلى بعض

كأن شماريخ العلى من صبيره ... شماريخ من لبنان بالطول والعرض

يباري الرياح الحضرميات مزنه ... بمنهمر الأوداق ذي قزع رفض

يغادر محض الماء وهو محضه ... على إثره إن كان للماء من محض

يروي العروق الهامدات من البلى ... من العرفج النجدي ذو باد والحمض

وبات الحيي الجون ينقض بالحيا ... كنهض المداني قيد بالموعث النقض

الحسين بن دعبل:

أما ترى الغيث قد سالت مدامعه ... كأنه عاشق يسطو به الذكر

جاءت موقرة الأطراف خاشعة ... تكاد تؤخذ بالأيدي فتقتصر

راحت رياح الصبا ينظمن عارضها ... حتى إذا نظمته ظل ينتثر

أضحت له الأرض سكرى والثرى طرب ... والأفق مبتسم والجدب مستتر

السحاب المتدلية:

عبيد بن الأبرص:

دان منسف فويق الأرض هيدبه ... يكاد يدفعه من قام بالراح

آخر:

ويسحب ذيليه على عفر الترب

آخر:

كأنه نعام تعلق بالأرجل

السحابة البطيئة:

جاءت تهادى مشرفا ذراها ... تحن أولاها على أخراها

الأخطل:

إذا زعزعته الريح جرت ذيولها ... كما زحفت عود ثمال تحمل

الحطيئة:

تزجي الصبا منقل السحاب كما ... تزجي المطالي فصالها سبقا

آخر:

سحاب يزحف زحف الكبير

وكان معقر قد كف بصره فقال: يا بنية ما ترين؟قالت: سحابة عقاقة كأنها حولاء ناقة، ذات هيدب دان وسير وان. فقال: يا بنية وائلي إلى قفلة فإنها لا تنبت إلا بمنجاة من السيل.

السحاب المتحلبة المطر:

الحسين بن مطير:." (١)

"وكرسف يندف في الهواء ... منتثر لم يعد في استواء

مثل نقي الفضة البيضاء

كشاجم في وصفه:

شابت فسرت بذاك وابتهجت ... وكان شيبي بالشيب مستكرها

ويشبه الثلج بالحبيب وبلجين يسبك، وبآل يلمع ودراهم تنتثر وقرطاس ينشر:

كأن ستائر الكافور مدت ... بها والجو عريان سليب

---

(١) محاضرات الأدباء، ٧٢/٢

البرد:

الأخطل:

نثرت على الحصباء كالحصباء بل ... ألقت على الرضراض كالرضراض

علي بن جبلة:

كأن قوالبه بالعرا ... ء تلقى على الجلمد الجلمدا

آخر:

جاءت تهادى في برود من حبر ... تنثر دراً كان لو ذاب مطر

تطير في الجو كنوار الزهر ... أو شرر لو كان للماء شرر

؟الصقيع:

الفرزدق:

وأصبح مبيض الصقيع كأنه ... على سروات النبت قطن مندف

وجاء بصراد كأن صقيعه ... خلال البيوت في المنازل كرسف

؟اللثق:

شاعر:

لقد صار وجه الأرض كلاء مزلة ... تمايل صاحبها تمايل شارب

وقال الصاحب وقد ركب في وحل عظيم فترشش باللثق ثوبه:

لقد ركبت وكف الأرض كاتبة ... على ثيابي سطورا ليس تنكتم

فالأرض محبرة والزاج من لثق ... والطرس ثوبي ونهي الأشهب القلم

؟انقطاع المطر:

قيل لأعرابي: كيف خلفت ما وراءك؟قال: التراب يابس والأرض عابس.

شاعر:

إن وجه البقاع ينتظر القطر المحب رجع الرسول

العباس بن المأمون:

متى تريك رياض الأرض أوجهها ... إن لم يكن لك لا طل ولا مطر

؟ماهية الماء ووصفه:

قال الحجاج لغلامه: ائتني بأعز مفقود وأذل موجود؛فلم يفهم ما عناه فقال له ابن القرية: ائته بالماء. وقال ابن يزيد لشراعة: ما تقول في الماء؟قال: هو الحياة ويشركني فيه الحمار. وقيل: ليس للماء قيمة لأنه لا يباع إذا وجد، ولا يبتاع إذا فقد. وسمى الماء نفسا في قوله:

أتجعل النفس التي تدير ... في مسك شاة ثم لا تسير

ووصفه آخر فقال: هو مزاج الروح وصفاء النفس وقوى البدن. ومن فضيلته أن كل شراب وإن رق وصفا وعذب وحلا فليس يعوض عنه، بل يطيب بممازجته ويعذب بمخالطته. قيل للنظام: ما لون الماء؟قال: لون إنائه وإذا بعد قعره تصور اسود. وقيل: الماء من جنس الهواء وكل واحد منهما يستحيل إلى الآخر لما بينهما من المناسبة ولا لون لهما. وقيل: بعث ملك الروم إلى معاوية بقارورة فقال: اجعل فيها من كل طعام وشراب شيئا فلم يدر فقال ابن عباس: اجعل فيها الماء فإن الله تعالى يقول " وجعلنا من الماء كل شيء حي " فلما أتى به ملك الروم قال: هذا فعل رجل من بيت النبوة. وقال الله تعالى " فيها أنهار من ماء غير آسن فلم يذكره بأكثر مما في خليقته من السلامة من التغير الداخل عليه. وقال تعالى " هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج " .

شاعر:

مواقع الماء من ذي غلة صادي

وقال بعض البلغاء في وصفه: وما ظنكم بشراب إذا ملح وخبث أنبت العنبر؟وولد القار والماء لا يغذو ولا يرى من اغتذى به، واستدلوا على ذلك بأن كل سيال إذا طبخ انعقد إلا الماء. وعلى قياسه قالوا: لا ينعقد في الجوف إذا طبخته الكبد، وإذا لم ينعقد لم ينبت منه لحم ولا عظم.

؟جريان ماء الأودية:

ابن طباطبا:

يا حسن وادينا ومد الماء ... يختال في حلية دكناء

فصيحه يفتر عن مساء

في صخب عال وفي ضوضاء ... يحكي رغاء الناقة الكوماء

ترى به مناطح الظباء ... جماء قد شدت إلى قرناء

البحتري:

كأن مداد دجلة حين جاءت ... بأجمعها هلال أو سوار

الولادي الأصبهاني:

كأن زر نرود السؤر منعطفا ... نؤي حوالي خباء مده سيل

الشريف:

أما ترى زر نرود طالعه ... غيم فأدى مثاله فيه

بين بياض ودكنة وتكا ... سير من الموج في حواشيه

كأنه الرمل من زرود إذا ... الحيات يزحفن في نواحيه

حسبت ماء على تكدره ... أخلص ودي له وصافيه

ليس عجيبا منك التلون لي ... فهكذا كل من أؤاخيه

ابن مندويه:." (١)

"يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدي ... بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك

آخر:

ترى الليل كورا والمجرة مقودا

المتنبي:

وإني لنجم يهتدي صحبتي به ... إذا حال من دون النجوم سحاب

وقيل: فلان أدل من دعميص الرمل لأنه بلغ آخر رمال بني سعد ولم يبلغه غيره. وعبد الله ابن اريقط وهو الذي دل النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة. وفلان أهدى من القطا ومن اليد إلى الفم.

القادر على المشي:

أعشى باهلة:

لا يغمز الساق من أين ولا وصب ... ولا يعض على شرسوفه الصقر

وقال:

تحسبني محجلا سبط السا ... قين أبكي أن يظلع الجمل

المسرة بالعود من السفر سالما:

ابن عيينة:

إذا نحن عدنا آيبين بأنفس ... كرام رجت أمرا فخاب رجاؤها

فأنفسنا خير الغنيمة إنها ... تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها

وقال:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

آخر:

رضيت من الغنيمة بالإياب

مسرة الراجع بقضاء الحاجة:

قيل لأعرابي: ما السرور؟فقال: أوبة بغير خيبة. وقال آخر: غيبة تفيد غنى وأوبة تعقب منى.

أبو تمام:

ما آب من آب لم يظفر بحاجته ... ولم يغب طالب للنجح لم يخب

وسأل الحجاج أصحابه: أي شيء أذهب للتعب؟فقيل: التمريخ؛وقيل: الحمام وقيل: النوم، وكان فيهم فيروز فقال: ما شيء

---

(١) محاضرات الأدباء، ٧٥/٢

أذهب للتعب من قضاء الحاجة؛قال المؤلف: وهذا من قول القطامي:

وقد يهون على المستنجح العمل

الدعاء للمسافر:

كان يقال للمسافر: استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل: اللهم أطوله البعيد وهون عليه السير. وقال: نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، ومن الحور بعد الكور، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والوطن.

مما جاء في الحنين إلى الأوطان

رضى الناس بمسقط رأسهم:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: لولا حب الوطن لخربت بلاد السوء. وقيل: بحب الأوطان عمارة البلدان. وقال ابن عباس: لو قنع الناس بأرزاقهم قنوعهم بأوطانهم لما شكا عبد رزقه. **وقيل لأعرابي**: كيف تصبرون على جفاء البادية وضيق العيش؟قال: لولا أن الله تعالى أقنع بعض العباد بشر البلاد ما وسع خير البلاد جميع العباد. وقال بعض الفلاسفة: فطرة الرجل معجونة بحب الوطن.

فضل محبة الوطن:

روي في الخبر: حب الوطن من طيب المولد. وقال أبو عمرو بن العلاء: مما يدل على كرم الرجل وطيب غريزته حنينه إلى أوطانه، وحبه متقدمي إخوانه وبكاؤه على ما مضى من زمانه. وقالت العجم: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة وإلى مسقط رأسها تواقة. وسمع ابو دلف رجلا ينشد:

ألقى بكل بلاد إن حللت بها ... ناسا بناس وإخوانا بإخوان

فقال: هذا ألأم بيت قالته العرب لقلة حنينه إلى ألافه.

الحث على صيانة مسقط الرأس:

قيل: لا تجف بلدا فيه قوابلك وأرضا تبنكها قبائلك. وقيل: احفظ بلدا رشحك غذاؤه وارع حمى أكنك فناؤه. وقيل: ميلك إلى بلدك من شرف محتدك.

حب مسقط الرأس وصعوبة مفارقته:

قال حفص الطائي: رأيت جارية تقود عنزا، فقلت: يا جارية أي البلاد أحب إليك؟فقالت:

أحب بلاد الله ما بين منعج ... إلي وسلمى أن تصوب سحابها

بلاد بها نيطت علي تمائمي ... وأول أرض مس جلدي ترابها

ابن الرومي:

ولي وطن آليت أن لا أبيعه ... ولا أن أرى غيري له الدهر مالكا

عهدت به شرخ الشباب ونعمة ... كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا

فقد ألفته النفس حتى كأنه ... لها جسد إن بان غودر هالكا

وحبب أوطان الرجال إليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم ... عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

آخر:

وكل نفس تحب محياها

وكفى بدلالة محبته قول الله تعالى " ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه " . وقال الشريف الموسوي:." (١)

"وصف الفضل بن عيسى الحمار فقال: هو أقرب الدواب داء وأكثرها دواء وأكبرها جماحا أخفض مهوى وأقرب مرتقى، وقد تواضع راكبه ولو أراد أبو سيارة لركب في الموسم مهريا وفرسا عربيا، لكنه ركب الحمار أربعين سنة فعارضه أعرابي فقال: الحمار إن وقفته أدلى وإن تركته ولى، كثير الروث قليل الغوث، لا ترقأ به الدماء ولا تمهر به النساء ولا يندى به الإناء. ونظر الرقاشي إلى حمار فاره لمسلم بن قتيبة فقال: قعدة نبي وبذلة جبار، ذهب إلى حمار عزير وحمار عيسى وحمار بلعم. وقرب إلى أبي لجيم حمار له يركبه وهو والي البصرة فقال خالد بن صفوان: أعيذك بالله ايها الأمير من ركوبه فإنه عير والعير عار وشنار، منكر الصوت بعيد الفوت متفرق الصحل متورط في الوحل بسائره مشرف ولراكبه مقرف. فقال أبو لجيم: أمصله. فقال خالد: اجعله لي. فقال: هو لك فعاد عليه راكبا فلما بصر به قال: ما هذا؟قال: عير من نسل الكداد أصحر السربال محملج القوائم، يحمل الرجل ويبلغ القعقبة ويمنعني أن أكون جبارا. وقيل: شر المال مالا يزكي ولا يذكى، يعني الحمار لأنها لا تجيب الزكاة في سائمتها. وكتب قيصر إلى الرشيد على سبيل المعاياة: ابعث إلي بشر الطعام على شر الدواب مع شر الناس. فبعث إليه جبنا على حمار مع خوزي. وقيل: أصبر على الذل من الحمار. ويضرب المثل به في الصوت، قال الله تعالى " إن ا، كر الأصوات لصوت الحمير " **وقيل لأعرابي**: ألا تركب الحمار؟قال: إنه عثرة نخرة تبوع للحجرة. وقيل: الحمار مطية الدجال.

شاعر:

إن الحمار مع الحمار مطية ... فإذا خلوت به فبئس الصاحب

وقيل لبعضهم: أي مركوب كلما كان أكبر كان أذل لصاحبه؟فقال الحمار. وقيل: لا تركب الحمار فإنه إذا كان سلسا أتعب يديك، وإن كان بليدا أتعب رجليك. ولقي جحظة بعض أصحابه على حمار فقال: ما لك اقتصرت على ركوب الحمار لا يساوي ثمن قضيمة؟فأنشأ يقول:

لا تنكرني على حمار ... يضيع في مثله الشعير

وكيف لا يمتطي حمارا ... من جل إخوانه حمير

وقال:

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢/٩٩

ولا عن رضا كان الحمار مطيتي ... ولكن من يمشي سيرضى بما ركب

فضل الفرس:

قال الله تعالى في الامتنان به " ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم " . ومن فضيلته أن النبي عليه السلام أسهم له سهمين ولم يجعل لراكبه إلا سهما. وقال عليه السلام: الخيل معقود في نواصيها الخير. وقال رجل من الأنصار وقد روي لامرئ القيس:

الخير ما طلعت شمس وما غربت ... معلق بنواصي الخيل معصوب

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرغ فرسا له ثم جعل يمسحه بردائه، فقيل له في ذلك فقال: بت البارحة وجبريل يعاتبني في سياسة الخيل. وكانت العرب لا تهنأ إلا بثلاث: إذا ولد للرجل ذكر قيل له: ليهنك الفارس، وإذا نبغ في الحي شاعر قيل: ليهنك من يذب عن عرضك، وإذا نتج مهرا قيل له: ليهنك ما تطلب عليه الثأر. وقال الجاحظ: لم تكن أمة قط أشد عجبا بالخيل ولا أعلم بها من العرب، ولذلك أضيفت إليهم بكل لسان ونسبت إليهم بكل مكان، فقالوا فرس عربي ولو يقولوا هندي ولا رومي ولا فارسي. وعرض الحجاج أفراسا وجواري بين يديه أعرابي فخيره بين فرس وجارية فقال:

لصلصلة اللجام برأس طرف ... أحب إلي من أن تنكحيني

أخاف إذا حللنا في مضيق ... وجد الركض أن لا تحمليني

الحث على إيثاره والإحسان إليه والتمدح بذلك:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: من قدر على ثمن دابة فليشترها فإنها تعينه على رزقه وتأتيه برزقها. وقال أبو ذر: ما من ليلة إلا والفرس يدعو ربه ويقول: اللهم سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي بيده، فاجعلني أحب إليه من أهله وماله، اللهم ارزقه وارزقني على يديه. وقال ابن سيرين لرجل: لم بعت فرسك؟قال: لمؤدنتها. فقال: تراه خلق عليك رزقه؟وقال مالك بن نويرة:

جزاني دوائي ذو الخمار ومنعتي ... بما بات أطواء بني الأصاغر

رأى أنني لا بالقليل أموره ... ولا أنا عنه في المواساة ظاهر

يزيد العبدي:

قصرنا عليه بالمقيض لقاحنا ... رباعية أو بازلا أو سداسيا

وقال:

مفداة مكرمة علينا ... تجاع لها العيال ولا تجاع

وقال:." (١)

"قيل لأعرابي: كيف عدو فرسك؟قال: يعدو ما وجد أرضا. وقيل لآخر فقال: همه أمامه وسوطه عنانه وما ضربه أحد إلا ظلما. وقال أعرابي في صفة فرس وهو رخو العنان: كأن له في كل قائمة جناحا. وذكر رجل فرسا فقال: كأنه

---

(١) محاضرات الأدباء، ١٠٦/٢

شيطان في أشطان إذا أرسل لمع لمع سحاب، أقرب الشياء إليه الذي تقع عينه عليه. ووصف ابن القرية فرسا بعثه الحجاج إلى عبد الملك: بعثت بفرس حسن القد أسيل الخد يسبق الطرف ويستغرق الوصف. وكتب عمرو بن مسعدة: يمر بالشاب مع قواه ويسير بالشيخ تحت هواه.

لاحق غير ملحوق:

عرض أعرابيا فرسا للبيع فقيل له: كيف هو؟قال: ما طلبت عليه إلا لحقت ولا طلبت إلا فت. فقيل له: ولم تبيعه؟فأنشأ يقول:

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... كرائم من رب لهن ضنين

المرقش:

ويسبق مطرودا ويلحق طاردا ... ويخرج من غم المضيق ويخرج

الناشي:

لم يعتصم ذو مهرب بفراقه ... يوما ولا ذو مطلب بلحاقه

المتنبي:

أدركته بجواد ظهره حرم

المدرك ما طلب:

امرؤ القيس وهو أول من ابتدعه:

بمنجرد قيد الأوابد هيكل

الأسود:

قيد الأوابد والرهان جواد

عمارة بن عقيل:

وأرى الوحش في يميني إذا ما ... كان يوما عنانه بشمالي

ابن مقبل:

لا ينفع الوحش منه أن تحذره ... كأنه معلق منها بخطاف

المشبه بالوحشيات:

مالك بن نويرة:

وكأنه فوق الجوالب جاليا ... ريم تضايقه كلاب أخضع

الجعدي:

كلفتها شيدا أزل مصدرا

آخر:

رحيل كسرحان الفضا المتأوب

؟؟؟المشبه في السرعة بالطيور:

كأنه فتخاء كاسر وكأنما يهفو بتمثال طائر.

امرؤ القيس:

كأن غلامي إذ علا خال متنه ... على ظهر باز في السماء محلق

آخر:

تحسبه يطير وهو يعدو

مروان:

أقبل ينقض انقضاض الكوكب ... كأنه باز هوى من مرقب

يطلب صيدا في فضاء سبسب ... لجائع في وكره مزغب

؟المشبه بالدلاء:

أبو النجم:

يهوى هوي الغرب من رشائه ... أخطأه المفرغ من أهوائه

ابن نويرة:

كالدلو خان رشاؤها المتقطع

آخر:

هوي دلو خانه الكرب

؟المشبه بالماء الجاري والمطر:

ابن المعتز:

أسرع من ماء إلى تصويب

المرقش الأكبر:

يجم جموم الحسي جاش مضيقه ... وجرده من تحت ذيل وأبلج

زهير:

كشؤبوب غيث يحفش الأكم وأبله

المشبه بالريح والبرق والنجم:

نصيب الأصغر:

هي الريح إلا خلقها غير أنها ... تبيت غوادي الريح حيث تقيل

آخر:

سليل ريح لقحت من برق

امرؤ القيس:

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه ... تقول هوي الريح مرت بآثار

آخر:

كأنه لمعة من عارض برد

أبو العتاهية:

قد خلف الريح حسرى وهي تتبعه ... ومر يختطف الأبصار والنظرا

ابن الرومي:

تراه كالنجم خر منصلتا ... أثر العفاريت والشياطين

السابق الطرف والوهم:

أبو النجم:

يسبق طرف العين من مضائه

في وصفه:

طرف يسبق الطرف ويفوت الوهم:

المتنبي:

أربعها قبل طرفها تصل

الناشي في وصفه:

مثل دعاء مستجاب إن علا ... أو كدعاء ناذل إذا هبط

المشبه بالنار والغليان:

شد كإضرام الحريق، كمعمعة السعف الموقد، كحريق في غريق إذا جاش حمية على مرجل.

تواتر أيديها وأرجلها في العدو: بكر بن النطاح:

كأنما اليدان والرجلان ... طالبتا وتر وهاربان

العماني يصف فرسا محجلا:

كأن تحت البطن منه أكلبا ... بيضا صغارا ينتهشن المنقبا

ابن خلف:

وكأنما جهدت أليته ... أن لا تمس الأرض أربعه

آخر:

وكأنما يرفعن ما لا يوضع

الموسوي:

كأنه في سرعان الوخد ... يلعب في أرساغه بالنرد

الحاذق بالناورد:

كشاجم:

ماء تدفق طاعة وسلاسة ... فإذا استدر الحضر منه فنار

وإذا عطفت به على ناورده ... لتديره فكأنه بركار

المتنبي:." [1]

"عوج فواج إذا حث الحداة بها ... حسبت أرجلها قدام أيديها

وصف أعرابي بعيره فقال في صفة قوائمه: وضعها تعليل ودفعها تحليل.

رمي الحصى بالأخفاف:

امرؤ القيس وعنه أخذ الشعراء:

كأن الحصى من خلفها وأمامها ... إذا نجلته رجلها حذف أعسرا

كأن صليل المروحين تشده ... صليل ذيوف يتقدن بعبقرا

عبدة بن الطيب:

ترى الحصى مشمغرا عن مناسمها ... كما تخلخل بالوغل الغرابيل

ابن المعتز:

كأن يديها وهي تسترفض الحصى ... يدا ناقد او نابل لم يسدد

الخائف من الضرب والزجر:

وصف الكميت ناقة فقال:

بزجرة أخرى من سواهن تضرب

إبراهيم بن هرمة:

تكاد تخرج من بين الجبال إذا ... ما قال غيري لأخرى غيرها عاج

آخر:

سوطها لنقر الخفى ويداها لزجر الرحى

آخر:

كأن النير يلسعها ... إذا غرد حاديها

طريح:

تكاد تخرج من أنساعها مرحا ... إذا ابن أرض عوى بالبيدا وضبحا

الشماخ:

وتقسم نصف الأرض طرفا أمامها ... ونصفا تراه خشية السوط أزورا

---

(١) محاضرات الأدباء، ١٠٨/٢

أخذه مسلم بن الوليد فقال:

تمشي العرضنة قد تقسم طرفها ... وضح الطريق وخوف وقع المحصد

المشبه بالريح والبرق:

نصيب:

هي الريح إلا خلقها غير أنها ... تبيت غوادي الريح حيث تقيل

بكر بن النطاح:

كأن قوائمه في المسير ... رياح تطارد بالقفر

وقال:

أي قلوص راكب تراها ... من ذكر الريح فقد سماها

... أو نعت البرق فقد كناها

المشبه بالطير:

وصف رجل بعيره فقال: ركبته كأنه نعامة أو إعارته الأجنحة حمامه.

مسلم:

إلى الإمام تهادينا بأرجلنا ... خلق من الريح في أشباه ظلمان

أبو سعيد المخزومي:

إليك خليفة الرحمن طارت ... ولم أر قبلها خفا يطير

المشبه بالوحشيات:

زهير:

كأن كوري وأنساعي وراحلتي ... كسوتهن شبوبا من لظى لهبا

لبيد:

كأخنس ناشط جادت عليه ... ببرقة واجف إحدى الليالي

وكل ذلك يدخل في صفة الوحشيات.

المشبه بالسفينة:

المثقب:

كأن الكور والأنساع منها ... على قرواء ماهرة دقين

يشق الماء جؤجؤها وتعلو ... غوارب كل ذي حدب مصين

أبو النجم:

كأنه إذ خط في الزمام ... قرقور ساج مرسل الخطام

فهو يشق الماء بانتحام

النابغة:

يستن في ثني الجديل وينتحي ... فعل الخلية في الخليج الجاري

القليل المبالاة ببعد المفاوز:

الحطيئة:

إذا نظرت يوما بمؤخر عينها ... إلى علم بالغور قالت له ابعد

المتقدم على ما يسايره من المطايا: **قيل لأعرابي**: كيف بعيرك؟قال: يتدرع المطايا إذا ماشته بغباره، ويخدن إذا برك في آثاره لا يبرك خفيا يتقدمه فهو كما قال:

موكلة بالأقدمين فكلما ... رأت رفقة فالأولون لها تصبو

أبو نواس:

تذر المطي أمامها فكأنها ... صف تقدمهن وهي أمام

أخذه ابن المعتز وأبدع فقال:

وهي أمام الركب في ذهابها ... كسطر بسم الله في كتابها

المتنبي:

يمشي إذا عدت المطي وراءها ... ويزيد وقت جمامها وكلاله

ما يعجز الحادي عن إدراكه:

قال:

كيف ترى مر طلى حياتها ... والحادي اللاغب من حداتها

الأعشى:

حمين عراقيب الحصى وتركنه ... به نفس عال يخالطه بهر

آخر:

وإذا انتقصت إلى المفازة غادرت ... زيدا يبغل خلفها تبغيلا

أي لا يدركها الحادي السريع.

المترقص من الإبل:

المثقب:

وترقص في المسير كأن هرا ... يباريها ويأخذ بالوضين

الممزق:

ترى لو تراءى عند معقد غرزها ... تهاويل من إجلاء دهر معلق

آخر:

كأن بها من طائف الجن أولقا

الساكن من الإبل:

ذو الرمة:

تصغي إذا شدها بالكور جانحة ... حتى إذا ما استوى في غرزها تثب

آخر:." (١)

"والمصروع إذا أكل لحم الضأن اشتد ما به في أوان الشرع في مبادئ الأهلة وانتصاف الشهور. جاءت امرأة إلى رسول الله عليه السلام فقالت: إني اتخذت غنما ورجوت نسلها ورسلها وإني لا أراها تنمو. قال: ما ألوانها؟قالت: سود؟فقال: عفري أي اخلطي بها بيضاء.

الزاخر:

لهفي على عنزين لا أنساهما ... كأن ظل حجر صغراهما

... وصانع معطرة كبراهما

آخر:

أعددت للضيف وللرفيق ... حمراء من معز أبي مرزوق

تلحس خد الحالب الرفيق ... بلين المس قليل الريق

كأن صوت شنجها العتيق ... نحيح ضب حنق فتيق

... في حجر ضاق أشد الضيق

وفي صفتها:

تحلب رسلا طيب المذاق

امرؤ القيس:

لنا غنم نسوقها غزار ... كأن قرون حلتها عصي

فتملأ بيتنا أقطا وسمنا ... وحسبك من غنى شبع وري

؟نعت التيس:

قال مخارق بن شهاب المازني، وكان سيدا يصف تيس غنمه:

وراحت أصيلانا كأن ضروعها ... دلاء وفيها وائد القرن ليلب

له رعثان كالشنور وغيره ... شريح ولون كالوذيلة مذهب

وعين أحم المقلتين ووغرة ... يواصلها دان من الظلف مكتب

أبو الحو والغر اللواتي كأنها ... من الحسن في الأعناق جزع مثقب

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢/١١٤

ترى ضيفها فيها يبيت بغبطة ... وضيف ابن قيس جائع متحوب

ووفد قيس هذا على النعمان فقال له: كيف مخارق فيكم؟فقال: سيد كريم يمدح تيسه ويهجو ابن عمه. وقيل: فلان أعلم من تيس بني حمان، زعموا أنه نفط سبعين عنزا بعد أن فريت أوداجه. وحكي أن ثورا وثب على بقرة بعد أن خصي فأحبلها.

حمل الشاة وولادتها:

قال الأصمعي: الوقت الجيد في حمل الشاة أن تخلى سبعة أشهر بعد ولادتها، ويكون حملها خمسة أشهر فتلد في السنة مرة فإن حمل عليها في السنة مرتين فذلك الأمغال يقال أمغل. **وقيل لأعرابي**: بأي شيء تعرف حمل شاتك؟قال: إذا ترزم حياؤها وزجت شعرتها واستفاضت خاصرتها.

ذم العنز:

اشترى رجل من طيء عنزا بثمانية دراهم من ابن عم له يقال له حميد، فلم يحمدها فقال:

لقد لقيت من حميد داهيه ... من أعور العين مشوم الناصيه

قد باعني الغول بأرض خاليه ... أعجبني ضرع لها كالداليه

فقلت ما هذا بجد غاليه ... ليت السباع لقيتها عادية

... أسأل رب الناس منها العافيه

مما جاء في الوحشيات

البقر:

تسمى مولعة لتولع جسدها ومذرعة لكون طرفها اسود وسائرها أبيض، وتوصف بأنها مخذمة الشري وخنساء الخنس لأنفها لا لطول ذنبها.

الجعدي:

ووجها كبرقوع القناة ملمعا ... وروقين لما يعدوان تقشرا

لبيد في وصف بقرة وحش أكل وحيش ولدها:

أفتلك أم وحشية مسبوعة ... خذلت وهادية الصوار قدامها

لمعفر فهد تنازع شلوه ... غبش كوسب ما يمن طعامها

الثور:

يوصف باللهق لبياضه وبالزهرة، ولذلك قال:

ولاح أزهر مشهور بنقبته ... كأنه حين يعلو عاقرا لهب

العاقر الرمل. النابغة:

كأن رحلي وقد زال النهار بنا ... بذي الجليل على مستأنس وحد

من وحش وجرة موشي أكارعه ... طاوي المصير كثيف الصيقل الفرد

آخر:

وانقض كالدري يتبعه ... نقع يثور تخاله طنبا

الطرماح:

يبدو وتضمره البلاد كأنه ... سيف على شرف يسل ويغمد

لبيد في سرعته:

يشق خمائل الدهنا يداه ... كما لعب المقامر بالفيال

آخر:

يقابل الريح روقيه وكلكله ... كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما

ويقال به داء الظباء إذا لم يكن به داء. كان جعفر بن سليمان أحضر على مائدته بالبصرة يوم زاره الرشيد ألبان الظباء وسلاها وسمنها فاستطاب طعمها، فسأله عن ذلك فغمز جعفر بعض الغلمان فأطلق عن ظباء معها خشفانها فمرت في عرض الدار تجاه عينه مقرطة مخضبة.

أبو ذؤيب:

فما أم خشف بالفلاة مشدن ... تنوش البرير حيث نال اهتصارها." (١)

"تعمد الجرادة إلى الصخرة الملساء التي لا يعمل بها المعول فتغرس ذنبها فيها فتصير كالأخدود لها، فتنتر فيها أي تبيض فيخرج منها الدبى فتصفر، فيقال لها اليرقان ثم تصير فيها خطوط سود وصفر فيقال مسيح، ثم يبدو حجم جناحها كثيفا ثم ينبت جناحها ويحمر فيقال لها الغوغاء، ثم يقال الخيفان. ويقال للجرادة: أم عوف:

تنفض بردتيها أم عوف ... كأن رجيلتيها منجلان

وبردتاها أي جناحاها.

سعيد بن عبد الرحمن:

من كل كنعان تراه أحدبا ... كأن سرجا جيدا مضببا

على قراه ثابتا مركبا ... لم يجعل الله عليه مركبا

أعرابي:

مر الجراد على زرعي فقلت لها: ... إياك أعني فلا تولع بإفساد

فقام منها خطيب فوق سنبلة ... إنا على سفر لا بد من زاد

وقال عوف بن دروة في وصفها:

قد خفت أن يحدر بالمصعرين ... ويترك الدين علينا والدين

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢/١١٦

زحف من الحيفان بعد الزحفين ... ملعونة تسلح لونا لونين

كأنها ملتفة في بردين ... تنحى على الشمراخ مثل الفاسين

... أو مثل منشار غليظ الحرفين

العنكبوت:

قال الله تعالى " مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون " . وذلك أجنس. جنس رديء على وجه الأرض فيجعله خارجا وأطراف داخلة، فإذا انتهى إليها ما يألكها تناولها. وجنس حاذق يسدي بيته ويلحمه فإذا وقع عليه ذباب تثبت، فإذا وهن نقله إلى خزانته فمص رطوبته ثم رمى ما تشعث منه من بيته. وإنما تنسج الأنثى، وأما الذكر فإنه ينقض. وولدها أكيس من الفروج ساعة يولد. وجنس يصيد الذباب صيد الفهد يقال له الليث له ست عيون. قال الجاحظ: لا ينبغي أن يكون في الدنيا أصيد من فهد الذباب لأنه لا يطير، ويصيد ما يطير ويصيد ما يصيد، لأن الذباب يصيد البعوض. وخديعتك الخداع أعجب وجنس طويل الأرجل إذا مشت على جلد الإنسان بثر.

الورل:

لا يتخذ البيوت ابقاء على برثنه، ويعلم أن سلاحه الذي به يقوى وله ذنب يؤكل ويستطاب، ويأكل الضب ويشدخ رأس الحية ثم يبتلعها لا يضره سمها، وهو كثير التوقف والتلبث إذا مشى، وتزعم المحوس أن اهرمن لما قسم الشرور والسموم كان أخذ من الجرذ شرا فحضر وقد قسم الشر، فتداخلها الحسرة متى اشتدت تتذكر ما فاتها لتباطئها فتقوم وتنحسر.

الخنفساء:

موصوفة بالصبر وربما غرز على ظهرها شوكة فتجول كأنها عقرت، وربما تكون في العلف فيأكلها البعير، فمتى وصلت البعير، فمتى وصلت إلى جوفه حية قتلته وهي موصوفة باللجاج. قال:

أشد لجاجا من الخنفساء

أم حبين:

دويبة أصغر من الحرباء كدرة المسراة بيضاء البطن. وقيل لأعرابي: ما تأكلون؟قال: ما دب ودرج إلا أم حبين؟فقال: لتهن أم حبين العافية.

الظربان:

على خلقة الكلب الصيني أخبث دابة فساءة لا يقوم لفسوها شيء، وتأتي جحر الضب فتفسو فيه وتضيق عليه حتى تداريه فيأخذه ويأكله، ويسمى مفرق النعم لأنها إذا فست فيها ندت تأذيا بفقسوها. وقيل: فسا بينهم الظربان إذا تفرقوا.

الوجرة:

دويبة كالعظاءة تلزق بالأرض، وقيل: وجر صدره إذا التزق بالعداوة التزاق تلك بالأرض؛وهذا كما يقال للحقود ضب.

العضرفوط:

دويبة لا خير فيها، تذكر العرب أنها لا تبول إلا تشعر بذنبها تلقاء القبلة والحيات تأكله.

الجعل:

يموت من ريح الورد ويعيش بالروث.

المتنبي:

كما تضر رياح الورد بالجعل

وتحرس القوم فكلما قام قائم منهم لحاجته تبعه وهو يدحرج الجعر. قال يهجو:

حتى إذا أضحى تدرى فاكتحل ... بجاريته ثم ولى فنبل

... رزق الأنوقين قرينا والجعل

وله جناحان لا يكادان يريان إلا إذا طار.

النمل:

يدخر في الصيف للشتاء ويخرج بالليل متى خاف بالنهار، وعادته أن ينقر القطمير من الحبة فيفلقها أنصافا، فإذا كان حب الكزبرة فلقه أرباعا لأن أنصافه تنبت من بين الحبوب، ولها حس وشم عجيب وينقل أضعاف جسمه مائة مرة، ومتى عجز عن حمل شيء ذهب إلى صواحبه فيتبعنه ويكلم بعضها بعضا بدلالة قوله تعالى " قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم " قال:." (١)

""""""""" صفحة رقم ٤٠ """""""

وهذا رأسي - فكشفت عن عناقيد كالحمم - وما رأيت في رأسي بياضا قط ، ولكن أحببت أن تعلم أنا نكره مثل ما يكره منا . وأنشدت : أرى شيب الرجال من الغواني . . . بموضع شيبهن من الرجال قال : فرجعت خجلا كاسف البال . وصفت امرأة نساء فقالت : كن صدوعا في صفا ليس لعاجز فيهن حظ .

من أقوال ابنة الخس

قيل لابنة الخس : من تريدين أن تتزوجي ؟ فقالت : لا أريده أخا فلان ولا ابن عم فلان ، ولا الظريف ، ولا المتظرف ، ولا السمين الألحم ولكني أريده كسوبا إذا غدا ، ضحوكا إذا أتى ، أخال ولا تيمنه وقيل لها : من أعظم الناس في عينيك ؟ قالت : من ٣٦٦ كانت لي إليه حاجة . قيل لأعرابية قد حملت شاة تبيعها : بكم ؟ قالت : بكذا . قيل لها : أحسني . فتركت الشاة ومرت لتنصرف . فقيل لها : ما هذا ؟ قالت : لم تقولوا أنقصي ، وإنما قلتم : أحسني . والإحسان ترك الكل . قالت قريبة الأعرابية : إذا كنت في غير قومك فلا تنس نصيبك من الذل قيل لأعرابية : ما أطيب الروائح ؟ قالت : بدن تحبه ، وولد تربه . سأل رجل الخيزران حاجة ، وأهدى إليها هدية فردتها وكتبت إليه : إن كان الذي وجهته ثمنا لرأي فيك فقد بخستني في القيمة ، وإن كان استزادة فقد استغششتني في النصيحة . قتل قتيبة أبا امرأة وأخاها وزوجها ثم قال لها : أتعرفين أعدى لك مني ؟ قالت : نعم : نفس طالبتني بالغداء بعد من قتلت لي . تقدمت امرأة إلى قاض فقال

(١) محاضرات الأدباء، ١٢٦/٢

لها القاضي : جامعك شهودك كلهم ؟ فسكتت فقال كاتبه : إن القاضي يقول : جاء شهودك معك ؟ قالت : نعم . ثم قالت للقاضي :." (١)

"""""""" صفحة رقم ٤١ """""""

ألا قلت كما قال كاتبك . كبر سنك ، وذهب عقلك . وعظمت لحيتك فغطت على عقلك ؛ وما رأيت ميتا يحكم بين الأحياء غيرك . قالت أعرابية لزوجها ، ورأته مهموما : إن كان همك بالدنيا فقد فرغ الله منها ، وإن كان للآخرة فزادك الله هما بها . قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول : إلهي ؛ ما أضيق على من لم تكن دليله ، وأوحشه على من لم تكن أنيسه وافتخرت جاريتان من العرب بقوسي أبويهما . فقالت إحداهما : قوس أبي طروح مروح ، تعجل الظبي أن يروح . وقالت الأخرى : قوس أبي كرة ، تعجل الظبي النفرة . قال عتبة بن ربيعة لابنته هند : قد خطبك إلي رجلان ؛ خطبك السم ناقعا ، وخطبك الأسد عاديا . فأيهما أحب إليك أن أزوجك ؟ قالت : الذي يأكل أحب إلي من الذي يؤكل . فزوجها أبا سفيان ، وهو الأسد العادي وكان الآخر سهيل بن عمرو . سمعت امرأة بدوية وهي ترقص ابنا لها وتقول : رزقك الله جدا يخدمك عليه ذوو العقول ، ولا رزقك عقلا تخدم به ذوي الجدود .

حديث أختين

قال ابن أبي طاهر : حدثني علي بن عبيدة قال : تزاورت أختان من أهل القصر ، فأرهقتهما الصلاة ، فبادرت إحداهما فصلت صلاة خفيفة ، فقال لها بعض النساء : كنت حرية أن تطولي الصلاة في هذا اليوم شكرا لله حين التقينا . قالت : لا ، ولكن أخفف صلاتي اليوم وأتمتع بالنظر إليها ، وأشكر الله في صلاتي غدا . قالت الخنساء : النساء يحببن من الرجال المنظراني الغليظ . القصرة ، العظيم الكمرة ، الذي إذا طعن حفر ، وإذا أخطأ قشر ، وإذا أخرج عقر . قيل لأعرابية في البادية : من أين معاشكم ؟ فقالت : لو لم نعش إلا من حيث نعلم لم نعش .." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٨٦ """""""

قيل لأعرابي : أنشرب قدحا من لبن حازر ولا تتنحنح ؟ قال : نعم فأخذه في حلقه مثل الزجاج فقال : كبش أملح . فقيل له : إنك تنحنحت فقال : من تنحنح فلا أفلح . ومد صوته فقضى وطره . قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان : إياكم والطمع فإنه يردي . والله لقد هممت أن أفتك بالحجاج ، فإني لواقف على بابه بدير الجماجم ، إذا بالحجاج قد خرج على دابة ، ليس معه غير غلام ، فأجمعت على قتله فكأنه عرف ما في نفسي قال : فقال : ألقيت ابن أبي مسلم ؟ قلت : لا . قال : فالقه فإن عهدك معه على الري . قال : فطمعت وكففت فأتيت يزيد بن أبي مسلم فسألته فقال : ما أمرني بشيء . وقال عمرو بن يزيد الأسيدي : خفنا أيام الحجاج ، وجعلنا نودع متاعنا ، وعلم جار لنا ، فخشيت أن يظهر أمرنا ، فعمدت إلى سفط فجعلت فيه لبنا ودفعته إليه ، فمكث عنده حتى أمنا . فطلبت منه ، فقال لي : أما وجدت أحدا تودعه لبنا غيري . لقي الحجاج أعرابيا خاليا بفلاة فسأله عن نفسه فأخبره بكل ما يكره وهو لا يعرفه . فقال : إن لم أقتلك

---

(١) نثر الدر ، ٤/٤٠

(٢) نثر الدر ، ٤/٤١

فقتلني الله . قال الأعرابي : فأين حق الاسترسال ؟ فقال الحجاج : أولى . وأعرض عنه .

حيلة عمرو بن العاص

توجه عمرو بن العاص حيث فتح قيسارية إلى مصر وبعث إلى علجها فأرسل إليه : أن أرسل إلي رجلا من أصحابك ٣٩٣ أكلمه . فنظروا فقال عمرو : ما أرى لهذا أحدا غيري . فخرج ودخل على العلج ، فكلمه فسمع كلاما لم يسمع مثله قط ، فقال : حدثني . هل في أصحابك مثلك ؟ قال : لا تسل عن هواني عليهم ؛ إلا أنهم بعثوني إليك وعرضوني لا يدرون ما تصنع بي . فأمر له بجائزة وكسوة وبعث إلى البواب : إذا مر بك فاضرب عنقه ، وخذ ما معه .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٨٠ """""""

قيل لأعرابي : هذا قصر . بما ارتفع . فقال : بالجص والأجر . مدح شاعر طلحة صاحب البريد بأصبهان ، فلم يثبه . فقال : لو كنت من مدحي بلا صفد لاكتلت من طلحة كرين من خير . فقال له طلحة : لحنت ، لأنك صرفت طلحة ، وطلحة لا ينصرف . فقال له : الذي لا ينصرف طلحة الطلحات فأما أنت فتبلغ الصين بنفخة . قيل لأعرابي : كيف تقول : ضرب عبد الله زيد ؟ فقال : كما قلت . قيل : لم ؟ قال : لشر أحسبه وقع بينهما . قدم رجل على بعض الولاة ، فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من أرض الله . قال : وأين تريد ؟ قال : بيت الله . قال : وممن أنت لا أم لك ؟ قال : من تيم الله . فأمر بوجيء عنقه . فقال : بسم الله . فقال : اتركوا ابن الخبيثة . فلو ترك الرفع وقتا تركه الساعة . قال أبو العيناء : دخل رجل إلى عليل : فقال له : لا إله إلا الله ، وإن شئت لا إله إلا الله ، والأولى أحب إلى سيبيويه فقال أبو العليل : حرمني الله أجره إن لم يكن مشهدك له أشد علي من مؤته . قال رجل لآخر : تأمر بشيئا ؟ قال : بتقوى الله ، وإسقاط الألف . قال خلف قلت لأعرابي : ألقي عليك بيتا ؟ قال : على نفسك فألقه . قال رجل من البلديين لأعرابي – وأراد مسألته عن أهله – كيف أهلك ؟ قال – بكسر اللام . فقال الأعرابي : صلبا . لأنه أجابه على فهمه ، ولم يعلم أنه أراد المسألة عن أهله . قال الجاحظ : قال بشر المريسي لجلسائه : قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه ، وأهنؤها . فقال له قاسم التمار : هذا على قوله : إن سليمي والله يكلؤها . . . ضنت بشيء ما كان يرزؤها." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١٨١ """""""

فصار احتجاج قاسم أطيب من لحن بشر . وقال : قدم رجل من النحويين رجلا إلى السلطان في دين له عليه ، فقال : أصلح الله الأمير ، لي عليه درهمان . فقال خصمه له : والله – أصلحك الله ثلاثة دراهم ولكنه لظهور الإعراب ترك من حقه درهما . وكان سابق الأعمى يقرأ : ' الخالق البارئ المصور ' فكان ابن جابان إذا لقيه قال : يا فاسق ما فعل الحرف الذي تشرك بالله فيه ؟ قال : وقرأ مرة : ' ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ' بفتح تاء تنكحوا ، فقال ابن جابان : وإن آمنوا لم ننكحهم . سمع أعرابي رجلا يقول : أشهد أن محمدا رسول الله بالفتح ، فقال : يفعل ماذا ؟ قيل لأعرابي : كيف تقول استخذيت أو استخزيت ؟ فقال : لا أقولهما . قيل : ولم ؟ قال : العرب لا تستخذي . سكر هارون بن محمد بن

---

(١) نثر الدر . ، ٨٦/٤

(٢) نثر الدر . ، ١٨٠/٥

عبد الملك ليلة بين يدي الموفق ، فقام لينصرف ، فغلبه السكر ، فقام في المضرب . فلما انصرف الناس جاء راشد الحاجب ، فأنبهه وقال : يا هارون انصرف . فقال بسكره : هارون لا ينصرف . فسمع الموفق فقال : هارون لا ينصرف فتركه راشد فلما أصبح الموفق وقف على أن هارون بات في مضربه . فقال : يا راشد أيبيت في مضربي رجل لا أعلم به ؟ فقال : أنت أمرتني بهذا ، قلت : هارون لا ينصرف . فقال : إنا لله – وضحك – أردت الإعراب وظننت أنت غيره . يقال : إن يزيد بن المهلب كان فصيحا لم يؤخذ عليه زلة في لفظ إلا واحدة ، إنه قال على المنبر – وذكر عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب فقال – : وهذه الضبعة العرجاء . فاعتدت عليه لحنا ، لأن الأنثى إنما يقال لها الضبع ، ويقال للذكر الضبعان . قيل : كان خالد بن صفوان يدخل على بلال بن أبي بردة يحدثه ، فيلحن . فلما كثر ذلك على بلا قال له : أتحدثني أحاديث الخلفاء ، وتلحن لحن الستات .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٨ """""""

قيل لأعرابي : ما وراءك ؟ قال : خلفت أرضا تتظالم معزاها يقول : سمنت ، وأشرت فتظالمت . قال سعيد بن سلم : كنت واليا بأرمينيه فغبر أبو دهمان الغلابي على بابي أياما فلما وصل مثل بين يدي قائما بين السماطين فقال : إني والله لأعرف أقواما لو علموا أن سف التراب يقيم من إصلاح أولادهم لجعلوه مسكة لأرماقهم إيثارا للتنزه عن عيش رقيق الحواشي ، أما والله إني لبعيد الوثبة ، بطيء العطفة ، إنه والله ما يثنيني عليك إلا مثل ما يصرفك عني ، ولأن أكون مقلا مقربا ، أحب إلي من أن أكون مكثرا مبعدا والله ما نسأل عملا لا نضبطه ولا مالا إلا ونحن أكثر منه ، إن هذا الأمر الذي صار في يدك قد كان في يد غيرك ، فأمسوا والله حديثا ، إن خيرا فخيرا ، وإن شرا فشرا فتحبب إلى عباد الله . بحسن البشر ولين الجانب ، فإن حب عباد الله موصول بحب الله ، وبغضهم موصول ببغض الله وهم شهداء الله على خلقه ، ورقباء على من اعوج عن سبيله . دخل على المهدي وفود خراسان فقام رجل منهم فقال : أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، إنا قوم نأينا عن العرب ، وشغلتنا الحروب عن الخطب ، وأمير المؤمنين يعرف طاعتنا ، وما فيه مصلحتنا ، فيكتفي منا باليسير دون الكثير ويقتصر منا على ما في الضمير دون التفسير فقال أنت خطيب القوم . قال أبو عمرو بن العلاء ، رأيت أعرابيا بمكة فاستفصحته فقلت ممن الرجل ؟ قال ، أسدي يريد أزدي قلت ، أين بلدك ؟ قال ، عمان قلت : صف لي بلدك . فقال : بلد صلدح ، وكثيب أصبح ، وفضاء صحصح قلت : ما مالك ؟ قال : النخل قلت : أين أنت من الإبل ؟ قال : إن النخل ثمرها غذاء ، وسعفها ضياء وكربها صلاء وليفها رشاء ، وجذعها بناء ، وقروها إناء قلت أنى لك هذه." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٩ """""""

الفصاحة ؟ قال : إنا ننزل حجرة لا نسمع فيها ناجخة التيار . وخطب بعض الأعراب فقال : إن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار ، أيها الناس خذوا من ممركم لمقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، واخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ففيها حييتم ولغيرها خلقتم ، اليوم عمل بلا حساب وغدا حساب بلا عمل ، إن

---

(١) نثر الدر . ، ١٨١/٥

(٢) نثر الدر . ، ٨/٦

الرجل إذا هلك قال الناس : ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قدم ؟ فلله آباؤكم قدموا بعضا يكن لكم قرضا ، ولا تخلفوا كلا فيكون عليكم . قيل لبني عبس : كيف كنتم تصنعون ؟ قالوا : كنا لا نبدأ أبدا بظلم ، ولم نكن بالكثير فنتوكل ، ولا بالقليل فنتخاذل ، وكنا نصبر بعد جزع الناس ساعة . وسئل دغفل عن المماليك فقال : عز مستفاد ، وغيظ في الأكباد كالأوتاد . قال أبو بكر لسعيد ، أخبرني عن نفسك في جاهليتك وإسلامك فقال : أما جاهليتي فوالله ما خمت عن بهمة ، ولا هممت بأمة ولا نادمت غير كريم ، ولا رئيت إلا في خيل مغيرة أو في حمل جريرة أو في نادي عشيرة ، وأما مذ خطمني الإسلام فلن أذكي لك نفسي . قال رجل لغلامه : إنك ما علمت لضعيف قليل الغناء . قال : وكيف أكون ضعيفا قليل الغناء ، وكيف كفيتك ثمانين بعيرا نزوعا وفرسا جرورا ورمحا خطيا وامرأة فاركا . **قيل لأعرابي** : صف لنا خلوتك مع عشيقتك قال : خلوت بها والقمر يرينيها ، فلما غاب القمر أرتنيه ، قيل فما أكثر ما جرى بينكما ؟ قال : أقرب ما أحل الله مما حرم ، الإشارة بغير بأس ، والتعرض لغير مساس ، ولئن كانت الأيام طالت بعدها ، لقد كانت قصيرة معها . وذكر بعضهم مسجد الكوفة فقال : شاهدنا في هذ المسجد قوما كانوا إذا خلعوا الحذاء ، عقدوا الحبا ، وقاسوا أطراف الأحاديث ، حيروا السامع وأخرسوا الناطق .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٧ """"""""

لأعدتها جدعة قال عمر : لهذا العقل تحاكمت إليك العرب . قال عامر بن الظرب : الرأي نائم ، والهوى يقظان فمن هناك يغلب الهوى الداني . قال أعرابي لهشام بن عبد الملك بن مروان : أتت علينا أعوام ثلاث ، فعام أكل الشحم ، وعام أكل اللحم ، وعام أنتقي العظم ، وعندكم فضول أموال ، فإن كانت لله فأقسموها بين عباد الله ، ولو كانت لكم فتصدقوا ، إن الله يجزي المتصدقين . قال : هل من حاجة غير ذلك ؟ قال : ما ضربت إليك أكباد الإبل ، ادرع الهجير ، وأخوض الدجى لخاص دون عام . **قيل لأعرابي** : مالك لا تضع العمامة عن رأسك ؟ قال : إن شيئا فيه السمع والبصر لحقيق بالصون . كان هشام يسير ومعه أعرابي إذا انتهى إلى ميل عليه كتاب ، فقال للأعرابي أنظر أي ميل هذا ؟ فنظر ثم رجع . فقال : عليه محجن ، وحلقة ، وثلاثة كأطباء الكلبة ورأس كأنه منقار قطاة فعرفه هشام بصورة الهجاء ولم يعرفه الأعرابي ، وكان عليه خمسة . قال الهيثم بن عدي : يمين لا يحلف بها الأعرابي أبدا أن يقول له : لا أورد الله لك صادرا ، ولا أصدر لك واردا ، ولا حططت رحلك ، ولا خلعت نعلك . خرج عثمان من داره فرأى أعرابيا في شمله . فقال : يا أعرابي أين ربك ؟ قال : بالمرصاد . وكان الأعرابي عامر بن عبد قيس وكان ابن عامر سيره إليه . سأل الحجاج أعرابيا عن أخيه محمد بن يوسف فقال : كيف تركته ؟ قال : عظيما سينما قال ليس عن هذا أسألك قال تركته ظلوماغشوما قال : أما علمت أنه أخي ؟ قال : أتراه بك أعز مني بالله . قيل لشيخ من الأعراب : قمت مقاما ما خفنا عليك منه ؟ قال : الموت أخاذ." (٢)

---

(١) نثر الدر ، ٦/٩

(٢) نثر الدر ، ٦/٢٧

"""""""" صفحة رقم ٣٢ """""""

قيل لأعرابي : أعطى الخليفة فلانا مائة ألف . قال : بل أعطاه إياه الذي لو شاء لأعطاه مكانه عقلا . **قيل لأعرابي** له أمة يقال لها زهرة : أيسرك أنك الخليفة وأن زهرة ماتت ؟ قال : لا والله قيل : ولم ؟ قال : تذهب الأمة ، وتضيع الأمة . أتى الحجاج بأعرابي في أمر احتاج إلى مسألته عنه ، فقال له الحجاج : قل الحق وإلا قتلتك . فقال له : اعمل أنت به فإن الذي أمر بذلك أقدر عليك منك علي . فقال الحجاج : صدق ، فخلوه . مدح أعرابي قوما فقال : يقتحمون الحرب حتى كأنما يلقونها بنفوس أعدائهم . قال أعرابي في حكم جليس الملوك : أن يكون حافظا للسمر ، صابرا على السهر . وقال بعضهم : قلت لأعرابي : كيف رأيت الدهر ؟ فقال : وهوبا لما سلب ، سلوبا لما وهب ، كالصبي إذا لعب . وقال أعرابي : لا يقوم عن الغضب بذل الاعتذار . ووصف آخر رجلا فقال : ذاك ممن ينفع سلمه ، ويتواصف حلمه ، ولا يستمرا ظلمه . وقال آخر : فلان حتف الأقران غداة النزال ، وربيع الضيفان عشية النزول . وقال آخر : لكل كاس حاس ، ولكل عار كاس . وقال آخر : لا أمس ليومه ، ولا قديم لقومه . وقال آخر : فلان أفصح خلق الله كلاما ، إذا حدث ، وأحسنهم استماعا إذا حدث ، وأمسكهم عن الملاحاة إذا خولف ، يعطي صديقه النافلة ولا يسأله الفريضة ، له نفس عن العوراء محصورة وعلى المعالي مقصورة ، كالذهب." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣٣ """""""

الإبريز الذي يعز في كل أوان والشمس المنيرة التي لا تخفى بكل مكان ، هو النجم المضيء للجيران ، والبارد العذب للعطشان . وقال آخر : فلان ليث إذا عدا ، وغيث إذا غدا ، وبدر إذا بدا ، ونجم إذا هدى ، وسم إذا أردى . وقال آخر : الفقير في الأهل مصروم ، والغني في الغربة موصول . وقال آخر : الاغتراب يرد الجدة ويكسب الجدة . وقال آخر : أعظم لخطرك ، الآ ترى عدوك أنه لك عدو . **قيل لأعرابي** : كيف أبنك ؟ فقال : عذاب رعف به الدهر ، فليتني قد أودعته القبر ، فلأنه بلاء لا يقاومه الصبر ، وفائدة لا يجب فيها الشكر . قال أعرابي : لا تضع سرك عند من لا سر له عندك . وقال آخر : من سعى رعى ، ومن لزم المنام رأى الأحلام . قال أعرابي لرجل : ويحك إن فلانا وإن ضحك إليك فإن قلبه يضحك منك ، ولئن أظهر الشفقة عليك ، فإن عقاربه لتسري إليك فإن لم تتخذه عدوا في علانيتك ، فلا تجعله صديقا في سريرتك . وحذر آخر رجلا فقال : احذر فلانا فإنه كثير المسألة حسن البحث ، لطيف الاستدراج ، يحفظ أول كلامك على آخره ويعتبر ما أخرت بما قدمت فباثه مباثة الأرض ، وتحفظ منه تحفظ الخائف واعلم أن من يقظة المرء إظهار الغفلة مع الحذر . قال أعرابي : حاجيتك : ما ذو ثلاث آذان تسبق الخيل بالرديان ؟ يعني : سهما . ومدح أعرابي نفسه فقيل له : أتمدح نفسك ؟ قال : أفآكلها إلى غيري .." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٣٥ """""""

وقال آخر : مجالسة الأحمق خطر ، والقيام عنه ظفر . قال الأصمعي : جلس إلى أعرابي تقتحمه العين يحمي دربه . والله

---

(١) نثر الدر . ، ٣٢/٦

(٢) نثر الدر . ، ٣٣/٦

ما ظننته يجمع بين كلمتين فاستنطقته ، فإذا نار تأجج فقلت : أتحسن شيئا من الحكمة تفيد منه ؟ قال : نعم ، الرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام ، والعطية بعد المنع ، أجمل من المنع بعد العطية ، والإقدام على العمل بعد التأني فيه ، أحسن من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه . قال فعظم في عيني حتى ملأ عيني وقلبي هيبة . قال أعرابي : العذر الجميل أحسن من المطل الطويل ، فإذا أردت الإنعام فانجح ، فإن تعذرت الحاجة فأفصح . **قيل لأعرابي** : ما وقوفك ها هنا ؟ فقال : وقفت مع أخ لي يقول بلا علم ، ويأخذ بلا شكر ، ويرد بلا حشمة . قال أعرابي لآخر : لا كل لسانك عن البيان ، ولا أسكتك الزجر والهوان . وقال آخر لرجل : حاجتي إليك حاجة الضال إلى المرشد ، والمضل إلى المنشد . وقال آخر : بالفحول تدرك الذحول . وقال آخر : أنا أستنجدك إذا كنت مضافا ، وأسترفدك إذا كنت مضيفا . **قيل لأعرابي** : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت أحتسب على الله الحسنة ، ولا أحتسب على نفسي السيئة . وقال آخر وقد قيل له : أيسرك أنك أحمق وأن لك مائة ألف درهم ؟ قال : لا . قيل : ولم ؟ قال : لأن حمقة واحدة تأتي على مائة ألف ، وألفي بعدها أحمق . قال آخر : من جاد بماله فقد جاد بنفسه ، إلا يكن جاد بها فقد جاد بقوامها . وقال آخر : من هذل جواده في الرخاء ، قام به في الشدة .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣٦ """""""""

ذكر رجل عند أعرابي بشدة العبادة فقال : هذا والله رجل سوء يظن أن الله لا يرحمه حتى يعذب هذا التعذيب . قال رجل لشيخ بدوي : تمرنا أجود من تمركم . فقال : تمرنا جرد فطس ، عراض كأنها ألسن الطير ، تمضغ التمرة في شدقك فتجد حلاوتها في عقبك . قال أعرابي : سألت فلانا حاجة أقل من قيمته ، فردني ردا أقبح من خلقته . وقال : مواقعة الرجل أهله من غير عبث من الجفاء . **قيل لأعرابي** : ما تصنع بالبادية إذا اشتد القيظ وحمي الوطيس . فقال : يمشي أحدنا ميلا ، حتى يرفض عرقا ثم ينصب عصاه ، ويلقي عليها كساه ، فكأنه في إيوان كسرى . قال بعضهم : رأيت أعرابيا يصلي ويسيء الصلاة فقال له رجل : يا أعرابي ، أحسن صلاتك . فقال : إن المطالب بها كريم . عاب أعرابي قوما فقال : هم أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم ، وأكثرهم تجرما على أصدقائهم ، يصومون عن المعروف ، ويفطرون على الفحشاء . وصف بعض الأعراب النساء فقال : عليك منهن بالجاليات العيون ، الآخذات بالقلوب ، بارع الجمال ، وعظم الأكفال ، وسعة الصدور ولين البشرة ورقة الأنامل وسبوطة القصب ، وجزالة الأسوق ، وجثولة الفروع ، ونجالة العيون ، وسهولة الخدود ، وامتداد القوام ، ورخامة المنطق ، وحسن الثغور ، وصغر الأفواه وصفاء الألوان . وصف أعرابي امرأة : هي خالية إلا من ألا وليت . **قيل لأعرابي** : كيف كتمانك للسر ؟ فقال : أجحد المخبر ، وأحلف للمستخبر .." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٣٧ """""""""

قيل لآخر : بماذا تغلب الناس ؟ قال : أبهت بالكذب ، وأستشهد بالموتى . قال الأصمعي : سألت أعرابيا عن الدنيا فقال : إن الآمال قطعت أعناق الرجال ، كالسراب ، غر من رآه ، وأخلف من رجاه ، ومن كان الليل والنهار مطيته ، أسرعا

---

(١) نثر الدر ، ٦/٣٥

(٢) نثر الدر ، ٦/٣٦

السير به والبلوغ . ثم أنشد يقول : المرء يدفع بالأيام يدفعها . . . وكل يوم مضى يدني من الأجل ذكر أعرابي رجلا بقلة الحياء فقال : لو دقت بوجهه الحجارة لرضها ولو خلا بالكعبة لسرقها . **قيل لأعرابي** : بم سدت قومك ؟ قال : بحسب لا يطعن عليه ، ورأي لا يستغنى عنه . قيل لآخر : بم تعرفون السؤدد في الغلام ؟ قال : إذا كان سابل الغرة ، طويل الغرلة ، ملتاث الأزرة ، وكانت فيه لوثة ، فلسنا نشك في السؤدد . وقال آخر لسنان بن سلمة الهذلي : ما أنت بأرسخ فتكون فارسا ، ولا بعظيم الرأس فتكون سيدا . وقال بعضهم : نحن لا نسود إلا من موطننا رحله ، ولفرسنا عرضه ويملكنا ماله . سأل أعرابي عن رجل فقال : أحمق مرزوق . فقال : والله ذاك الرجل الكامل . قال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : تمرنا جرد فطس ، يغيب فيها الضرس عراض كأنها ألسن الطير تضع التمرة في فيك فتجد حلاوتها في كعبك . قال أعرابي لأخيه : إن لم يكن مالك لك ، كنت أنت له ، فإن لم تفنه ، أفناك ، فكله قبل أن يأكلك .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٨ """""""

وحلف آخر فقال : لا والذي شقهن خمسا من واحد ، وأشار إلى كفه ، شق الرجال للخيل ، والجبال للسيل . وقال آخر في رجل : صغره في عيني ، كبر الدنيا في عينه . **قيل لأعرابي** : كيف حزنك على ولدك ؟ قال : ما ترك لنا حب الغداء والعشاء حزنا . قيل لرجل منهم كان يجمع بين ضرائر : كيف تقدر على جمعهن قال : كان لنا شباب يظأرهن علينا ، ومال يصيرهن لنا ، ثم قد بقي لنا خلق حسن ، فنحن نتعايش به . قال أعرابي : ما تم عقل أحد ، إلا قل كلامه . وقال أعرابي : إن فلانا ليكنس على أعراض النيل من غيظه . وقال آخر : مع الشعاب التحاب ، والافراط في الزيارة ممل ، والتفريط فيها مخل . قدم أعرابي على السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته ، فجعل يقول : هاؤم اقرءوا كتابيه . فقيل له : هذا يقال يوم القيامة . قال : هذا والله شر من يوم القيامة ، إنه يؤتى يوم القيامة بحسناتي وسيئاتي ، وأنتم جئتم بسيئاتي ، وتركتم حسناتي . قال أبو العيناء : قلت لأعرابي : إن الله محاسبك فقال : سررتني فإن الكريم إذا حاسب تفضل . وقال معاوية لأعرابي : ما العيش ؟ قال : ركوب الهوى وترك الحيا . **قيل لأعرابي** وقد عمر مائة وعشرين سنة : ما أطول عمرك ؟ قال : تركت الحسد فبقيت .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٣٩ """""""

حلف أعرابي بالمشي إلى بيت الله ألا يكلم ابنه فحضرته الوفاة فقيل له : كلمه قبل أن تفارق الدنيا . قال : والله ما كنت قط أعجز عن المشي إلى بيت الله مني الساعة . قال عبد الملك لأعرابي : تمن . قال : العافية . قال : ثم ماذا ؟ قال : رزق في دعة . قال : ثم ماذا ؟ قال الخمول ، فإني رأيت الشر إلى ذوي النباهة أسرع . **قيل لأعرابي** من بني يربوع : مالكم على مثال واحد ؟ قال : لأنا من بني فحل واحد . ذم أعرابي رجلا فقال : عليه كل يوم قسامة من فعله تشهد عليه بفسقه وشهادات الأفعال ، أعدل من شهادات الرجال . وذكر آخر رجلا بالعي فقال : رأيت عورات الناس بين أرجلهم وعورة فلان بين فكيه . وقال آخر لرجل دفعه : لتجدني ذا منكب مزحم ، وركن مدعم ، ورأس مصدم ، ولسان مرجم ووطء

---

(١) نثر الدر . ، ٦/٣٧

(٢) نثر الدر . ، ٦/٣٨

ميثم . قال الأصمعي : نظر أعرابي إلى الهلال فقال : لا مرحبا بك عقفان يحل الدين ، ويقرب الآجال . **قيل لأعرابي** : ما تلبس ؟ فقال : الليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس . سئل أعرابي عن ألوان الثياب فقال : الصفرة أشكل والحمرة أجمل والخضرة أنبل والسواد أهول والبياض أفضل . وصف أعرابي الكتاب ، وقد دخل الديوان فرآهم فقال : أخلاق حلوة وشمائل معشوقة ووقار أهل العلم وظرف أهل الفهم فإن سبكتهم وجدتهم كالزبد يذهب جفاء . وذم أعرابي رجلا فقال : عبد البدن ، خز الثياب ، عظيم الرواق ، صغير الأخلاق ، الدهر يرفعه وهمته تضعه .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٤٠ """"""""

قيل لأعرابي ينسج : ألا تستحي أن تكون نساجا ؟ فقال : إنما أستحي أن أكون أخرق لا أنفع أهلي . مد المأمون يده إلى الأعرابي ليقبلها فتناولها بكمه فقال : أتتقزز منها ؟ قال : لا بل أتقزز لها . وصف أعرابي قوما فقال : هم كلاب وفلان من بينهم سلوتي . سئل رجل عن نسبه فقال : أنا ابن أخت فلان . فقال أعرابي : الناس ينتسبون طولا وأنت تنتسب عرضا . رأى أعرابي عودا فلما عاد إلبالبادية وصفه لأصحابه فقال : رأيت خشبا محدودب الظهر ، أرسح البطن ، أكلف الجلد ، أجوف أغضف ، جبينه في استه ، وعيناه في صدره ، وأمعاءه خارج بطنه ، بها يتكلم ، وعينه تترجم ، معروك الأذن ، مخنوق الحلق . سئل آخر عن امرأته فقال : أفنان أثلة ، وجنى نخلة ، ومس رملة وكأني قادم في كل ساعة من غيبة . اجتمع إعرابي مع صاحبة له فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ذكر معاده فاستعصم وقال : إن من با ع جنة عرضها السموات والأرض بمقدار فتر بين رجليك ، لقليل البصر بالمساحة . اشتكى أعرابي بالحضر فقيل : ما تشتهي ؟ قال : حشك فلاة ، وحسي قلاة . قال أعرابي لرجل : اكتب لابني تعويذا . فقال : ما اسمه ؟ قال : فلان قال : فما اسم أمه ؟ قال : ولم عدلت عن اسم أبيه ؟ قال : لأن الأم لا يشك فيها . قال : فاكتب : فإن كان ابني فعافاه الله ، وإن لم يكن ابني فلا شفاه الله . **قيل لأعرابي** : ما تقول في إبن العم ؟ قال : عدوك وعدو عدوك . ووعظ آخر ابنا له أفسد ماله في الشراب فقال : لا الدهر يعظك ولا الأيام تنذرك ، ولا الشيب يزجرك ، والساعات تعد عليك ، والأنفاس تعد منك والمنايا تقاد إليك ، أحب الأمرين إليك ، أردهما بالمضرة عليك .." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٤١ """"""""

قيل لأعرابي : ما تقول في الجري . قال : تمرة نرسيانة غراء الطرف ، صفراء السائر ، عليها مثلها من الزبد ، أحب إلي منها ولا أحرمه . وقال آخر : كن حلو الصبر عند مر النازلة . ومر أعرابي في أطمار رثة برجل فقال الرجل : والله ما يسرني أني كنت ضيفك في ليلتي هذه . فقال له الأعرابي : أما والله لو كنت ضيفي ، لغدوت من عندي أبطن من أمك قبل أن تضعك بساعة ، أما الله إنا وجدناك آكلكم للمأدوم ، وأعطاكم للمحروم . قال أعرابي : رب موثق مؤبق . قيل لآخر : أتشرب النبيذ ؟ فقال : والله ما أرضى عقلي مجتمعا فكيف أفرقه ؟ . وقيل لآخر : أما تشرب ؟ قال : أنا لا أشرب ما يشرب عقلي . قال بعضهم : رأيت أعرابيا والإبل قد ملأت الوادي فقلت : لمن هذه ؟ فقال : لله في يدي . قال أبو

---

(١) نثر الدر . ، ٣٩/٦

(٢) نثر الدر . ، ٤٠/٦

العيناء : أضفت أعرابيا قدم من المدينة ، فلما قعدنا نأكل ، جعلت أذكر غلاء السعر في تلك السنة ، فرفع الأعرابي يده عن الطعام ، وقال : ليس من المروءة ذكر غلاء الأسعار للضيف . فقام ، فاجتهدت به أن يأكل شيئا فأبى ، وانصرف . حكى عن حصين بن أبي الحر قال : وفدت إلى معاوية فطلبت عامر بن عبد قيس فقال لا تريه بالنهار فأتيته عند المغرب وهو يتعشى ، فسلمت عليه فرد السلام ، ولم يدعني إلى عشائه ولم يسألني عن أهله ، فقلت : العجب منك لم تدعني إلى عشائك ولم تسألني عن أحد من أهلك ، فقال : أما عشائي فخشن ، وأنت قد تعودت النعمة ، فكرهت أن أحملك من تجشمه على ما يشق عليك . وأما أهلي ، فأنا أعرف أخبارهم ، الماضي فلا يرجع إليهم ، وأما الباقي فلا حق بمن مضى منهم .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٤٢ """""""

قال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : المعتذر من غير ذنب يوجب الذنب على نفسه . قال : وقلت لغلام عذري : ما بال العشق يقتلكم ؟ قال : لأن فينا جمالا وعفة . قال أعرابي : بلوت فلانا فلم يزدني اختباره إلا اختيارا له . وقال آخر : هلاك الوالي في صاحب ، يحسن القول ، ولا يحسن العمل . تكلم أعرابي فقال : لا تنكحن واحدة فتحيض ، إذا حاضت ، وتمرض إذا مرضت ، ولا تنكحن اثنتين ، فتكون بين شرتين ، ولا تنكحن ثلاثا ، فيفلسنك ويهزمنك ، وينحلنك ويحظرنك . فقيل له : حرمت ما أحل الله . وأثنى أعرابي على رجل فقال : إن خيرك لصريح ، وإن منعك لمريح وإن رفدك لربيح . قيل لأعرابي : ما أعددت للشتاء ؟ فقال : جلة لبوضا وصيصية سلوكا ، وشملة مكورة قويمصا دفيا وناقة مجالحة . وقيل لآخر : ما أعددت للشتاء ؟ فقال : شدة الرعدة وقرفصاء القعدة ، وذرب المعدة . وقيل لآخر : كيف البرد عندكم ؟ قال : ذاك إلى الريح . سمع عمر أعرابيا يقول : اللهم اغفر لأم أوفى . فقال : ومن أم أوفى ؟ قال : امرأتي وأنها لحمقاء مرغامة ، أكول قامه ، لاتبقى لها حامة ، غير أنها حسناء فلا تفرك ، وأم غلمان فلا تترك . قال أبو مهدى : تحرشت بشجاع فخرج يطردني كأنه سهم رابح ، ثم استكف كأنه كفة في ميتة ، فانتظمت ثلاثة إثنان أحدهن رأسه . قال الأصمعي : كانت العرب تستعيذ من خمشة الأسد ، ونفثة الأفعى وضبطة الفالج .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٤٥ """""""

قدم وفد طيء على معاوية فقال : من سيدكم اليوم ؟ قالوا : خزيم بن أوس بن حارثة بن لام ، من احتمل شتمنا ، وأعطى سائلنا وحلم عن جاهلنا ، وأغتفر ضربنا إياه بعصينا . حلف أعرابي على شيء فقيل له : قل إن شاء الله ، فخضع نفسه حتى لصق بالأرض ثم قال : إن شاء الله تذهب بالحنث ، وترضى الرب ، وترغم الشيطان ، وتنجح الحاجة . قال أعرابي لابن عم له : مالك أسرع إلى ما أكره من الماء إلى قرارة ولولا ضني بإخائك ، لما أسرعت إلى عتابك ، فقال الآخر : والله ما أعرف تقصيرا فأقلع ، ولا ذنبا فأعتب ، ولست أقول لك كذبت ، ولا أقر إني أذنبت . وقال أعرابي : ما زال يعطيني حتى حسبته يردعني ، وما ضاع مال أودع حمدا . وقال أعرابي : شر المال ، مالا أنفق منه ، وشر الأخوان الخاذل في

---

(١) نثر الدر ، ٤١/٦

(٢) نثر الدر ، ٤٢/٦

الشدائد وشر السلطان من أخاف البرى ، وشر البلاد ما ليس فيه خصب وأمن . وقال : سمعت آخر يقول لابنه : صحبة بليد نشأ مع الحكماء ، خير من صحبة لبيب نشأ مع الجهال . قال أعرابي لابنه : إياك يا بني وسؤال البلغاء في الرد . **قيل لإعرابي** : كيف كتمانك السر ؟ قال : ما جوفي له إلا قبر . وأسر رجل إلى بعضهم ، ثم قال له : أفهمت ؟ قال : بل جهلت قال : أحفظت ؟ قال : بل نسيت . قال أعرابي من غطفان : لقد أحببت امرأة من بني ذهل بن شيبان ، فكنت أنام وقلبي طائر ، وأهب ودمعي قاطر . **قيل لأعرابي** : علي من البرد أشد ؟ قال : علي خلق في خلق . قيل لطائي مرة : إن امرأتك تبغضك . فقال : ما أبالي إذا نلت منها ذو أحب ، أن تنال مني ذو تكره . وذو في لغة طيء : الذي .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٩٤ """""""

الصحاري كتب إليهم أبو الهيذام : يا أهل مزة ، ليمسينني الماء أو لتصبحنكم الخيل ؟ قال : فوافاهم الماء قبل أن يعتموا فقال أبو الهيذام : الصدق يني عنك لا الوعيد . **قيل لأعرابي** من طيئ : أبا مرأتك حبل ؟ فقال : لا ، وذو بينة في السماء ، ما أدري ، ما لها ذنب تشتال به ، ولا آتيها إلا وهي ضبعة . وقف أعرابي فسأل قوما ، فقالوا : عليك بالصيارفة فقال : هناك والله قرارة اللؤم . خطب عتاب بن ورقاء فحث على الجهاد وقال : هذا كما قال الله عز وجل . كتب القتل والقتال علينا . . . وعلى الغانيات جر الذيول وخطب والي اليمامة فيقال : إن الله لا يأخذ عباده على المعاصي ، وقد أهلك أمة عظيمة في ناقة ما كانت تساوي مائتي درهم . خطب عدي بن وتاد الإيادي فقال : أقول لكم كما قال العبد الصالح ' ما أريكم إلا ما رأى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ' قالوا ليس هذا قول العبد الصالح ، إنما هو من قول فرعون ، فقال : ومن قاله ، فقد أحسن . سمع أعرابي سورة براءة فقال : ينبغي أن يكون هذا آخر القرآن ، قيل له : ولم ؟ قال : رأيت عهودا تنبذ . وقال الأصمعي : صلى أعرابي فأطال الصلاة ، وإلى جانبه ناس فقالوا : ما أحسن صلاته فقطع صلاته وقال : وأنا مع هذا صائم . استشهدوا أعرابيا على رجل وامرأة ، فقال : رأيته قد تقمصها ، يحفزها بمؤخره ، ويجذبها بمقدمه ، وخفي علي المسلك .." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٢٩٦ """""""

جلس أعرابي وأعرابية ، طائي وطائية ، فأكلا من التمر ، وشربا من اللبن فقال الرجل : أنحن أشبع يا أم فلان أم معاوية ؟ فقالت : نحن أشبع ، وهم أكسى ؟ ؟ ؟ ؟ ركب شيخ من بني تميم سفينة ومعه ابن له ، وفي السفينة جماعة نسبهم الشيخ فإذا كلهم من الأزد ، فأخذ الشيخ حديدة ، وجعل ينقر بها السفينة فقال له ابنه : يابه ما تصنع ؟ قال : أخرقها ، قال : إذا تغرق قال : يا بني : ألا ترضى أن أغرق أنا وأنت وثمانية عشر رجلا من الأزد ؟ . كان أعرابي إذا توضأ ، غسل وجهه قبل استه ، فقيل له في ذلك ، فقال : لا أبدأ بالخبيثة قبل الطيبة . قال بعضهم : أتيت لخما وجذاما ، فكانوا يقدمون العروس ، فصلى بهم سبعة أيام ، فقلت لهم : ما هذه السنة ؟ قالوا : أما سمعت الله يقول في كتابه : كاد العروس أن يكون ملكا . قال الأصمعي : عذلت أعرابيا في الكذب ، فقال : والله إني لأسمعه من غيري ، فيدار بي من شهوته . كان بعض

---

(١) نثر الدر . ، ٤٥/٦

(٢) نثر الدر . ، ٢٩٤/٦

الأعراب يأكل ومعه بنوه ، فجعلوا يأخذون اللحم من بين يديه فقال : يا بني إن الله تعالى يقول : ' فلا تقل لهما إف ولا تنهرهما ' ، ولأن تقولوا لي أف ألف مرة ، إذ في كل مرة سبعون انتهارا ، أهون علي مما تفعلون . قال بعضهم : سمعت أعرابيا يقول في صلاته : أغفر لي ولمحمد فقط ، وأسألك تعجيل حسابي قبل أن يهلك الخلق . **قيل لأعرابي** : ما طعم اللبن ؟ قال : طعم الخير . قال أعرابي : خطب منا رجل مغموز امرأة مغموزة فقيل لولي المرأة : تعمم لكم فزوجتموه ، فقال : إنا تبرقعنا له ، قبل أن يتعمم لنا . قدم بعضهم الصلاة على امرأة كانت فاسدة فقال في الدعاء : اللهم إنها كانت تسيء خلقها ، وتعصي بعلها ، وتبذل فرجها ، وتحزن جارها ، فحاسبها حسابا أدق من شعر استها .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٩٧ """""""

ولي أعرابي البحرين فجمع اليهود فقال لهم : ما تقولون في عيسى ؟ قالوا : قتلناه وصلبناه ؛ فقال : لا تخرجوا من السجن حتى تؤدوا ديته . **قيل لأعرابي** : أتعرف أبا عمرو ؟ قال : وكيف لا أعرفه ؟ وهو متربع في كبدي ، يعني الجوع . خرج المهدي يتصيد فغار به فرسه حتى دفع إلى خباء أعرابي فقال : يا أعرابي : هل من قرى ؟ قال : نعم ، وأخرج له فضلة من ملة فأكلها ، وفضلة من لبن في كرش فسقاه ، ثم أتاه نبيذ في زكرة ، فسقاه قعبا ، فلما شرب المهدي قال : أدري من أنا ؟ قال : لا والله ، قال : أنا من خدم الخاصة ، قال : بارك الله لك في موضعك ، ثم سقاه آخر ، فلما شربه قال : يا أعرابي أدري من أنا ؟ قال : نعم زعمت أنك من خدم الخاصة ، قال : لا بل أنا من قواد أمير المؤمنين ، فقال : رحبت بلادك ، وطال مزارك ، ثم سقاه قدحا آخر ثالثا ، فلما فرغ منه قال : يا أعرابي أتدري من أنا ؟ قال : زعمت أخيرا أنك من قواد أمير المؤمنين ، قال : لا ولكني أمير المؤمنين ، فأخذ الأعرابي الزكرة فأوكاها وقال : والله لئن شربت الرابع لتقولن : إنك لرسول الله ، فضحك المهدي وأحاطت بهم الخيل ونزل أبناء الملوك والأشراف ، فطار قلب الأعرابي فقال له : لا بأس عليك ، وأمر له بصلة فقال : أشهد أنك صادق ولو ادعيت الرابعة لخرجت منها . رأوا أعرابيا يبول في المسجد ، فصاحوا إليه فقال : أنا والله أفقه منكم ، إنه مسجد باهلة . وقيل لآخر : لم لا تشتري البطيخ ؟ قال : لا والله لا أشتري حتى يبلغ من رخصه أن يكون من تناول من بائعه بطيخة ، وعدا ، رماه بأخرى . لزم أعرابي سفيان بن عيينة حتى سمع منه ثلاثة آلاف حديث ، ثم جاء يودعه فقال له سفيان : يا أعرابي ما أعجبك من حديثنا ؟ قال : ثلاثة أحاديث : حديث عائشة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يحب الحلواء ويحب العسل ، وحديث عليه." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٩٨ """""""

السلام إذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فأبدأوا بالعشاء ، وحديث عائشة عنه (صلى الله عليه وسلم) : ليس من البر الصوم في السفر . دخل أعرابي على يزيد بن المهلب ، وهو في فراشه والناس سماطان فقال : كيف أصبح الأمير ؟ قال يزيد : كما تحب . فقال : لو كنت كما أحب ، كنت أنت مكاني ، وأنا مكانك . فضحك . **وقيل لأعرابي** : لم يقال للعبد : باعك الله في الأعراب ؟ قال : لأنا نجيع كبده ، ونعري جلده ، ونطيل كده . توفي ابن لأعرابي ، فعزاه بعض إخوانه فقال

---

(١) نثر الدر . ، ٦/٢٩٦

(٢) نثر الدر . ، ٦/٢٩٧

لانتهم الله في قضائه فقال : والله لا أتهم غيره ، ولا ذهب بابني سواه . قيل لأعرابي : في خلافة من ولدت ؟ قال : في خلافة يوسف بن عمر أو كسرى بن هرمز وأعوذ بالله أن أقول على الله إلا حقا قال الأصمعي : رأيت أعرابيا يرفع على وال ضربه فقال : والله إنه ليقبل الرشوة ، ويقضي بالعشوة ، ويطيل النشوة ، ولقد بنى جماما زندقة وكفرا . قدم إلى أعرابي كامخ فقال : مم يعمل هذا ؟ قالوا : من اللبن والحنطة ، قال : أصلان كريمان ، لكنهما ما أنجبا . قال ابن قريعة : سمع أعرابي قارئا يقرأ القرآن ' الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ' ، وقوله عز وجل : ' تخشع قلوبهم لذكر الله ' فقال الأعرابي : اللهم لا تجعلني منهم ، فقيل له : ويحك لم قلت هذا ؟ قال : لولا أنهم قوم سوء ، لم توجل قلوبهم . قال الأصمعي : أصابتنا السماء بالبدو فنزلنا بعض أخبية بني نعيم ، وفيهم عروس فلما حضرت الصلاة قدموه فصلى بهم ، وكان ذلك سنتهم أن يقدموا." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٩٩ """""""

العروس سبعة أيام ، فقلت لهم : ما هذه السنة ؟ قالوا : أوما سمعت الله يقول : كاد العروس أن يكون ملكا . مر أعرابي بقوم من اليهود فقال : ويلكم ألا تسلمون ، ألا تأنفون مما أنزل الله فيكم وعيركم به ؟ قالوا : يا أعرابي ، وما الذي أنزله فينا ؟ قال قوله : ألا لعنة الله على اليهود ، إن اليهود إخوة القرود ، قالوا : فإن الذي أنزل فيكم أعظم من هذا ، قال : وما هو ؟ قالوا قوله : ' الأعراب أشد كفرا ونفاقا ' فقال : يا أخوتاه ، مكذوب علينا وعليكم . وأخذ رجل ينكح شاة ، فرفع إلى الوالي وكان أعرابيا ، فقال الرجل : يا قوم أوليس الله يقول : ' أو ما ملكت أيمانكم ' والله ما ملكت يميني غيرها ، فخلى عنه وحد الشاة ، وقال : الحدود لا تعطل ، فقال إنها بهيمة ، فقال : لو وجب حكم على بهيمة وكانت أمي وأختي لحددتهما . قال بعضهم : وليت مخلافا من مخاليف اليمن فأتيت بشيخ كبير فقلت : أمسلم أنت ؟ قال : بلى ، قلت : أتعرف النبي ؟ قال : بلغني أنه كان رجلا صالحا ، قلت : فابن من كان ؟ قال : لا والله ما أدري ، إلا أني أظنه رهط معن بن زائدة . أصاب أعرابي سروالا وهو لا يدري ما هو ، فأخذه فأدخل يده في رجل السروال وبقي رأسه داخلا ، وجعل يقلب وليس يدري كيف يلبسه ، فلما أعياه ، رمى به وقال : ما أظن هذا إلا من قمص الشيطان . وقيل لأعرابي : إقرأ : لم يكن فقال : ما وددت أن أحس ما كان فكيف ما لم يكن ؟ قال الأصمعي : نزلنا على المياه ، فإذا أعرابية نائمة ، فأنبهناها للصلاة ، فأتت الماء فوجدته باردا فتركته ، وتوجهت إلى القبلة وهي قاعدة ، فكبرت ثم قالت : اللهم إني قمت إليك وأنا عجلى ، وصليت وأنا كسلى ، فاغفر لي ما ترى ، عدد الثرى ، قبل غيري وما جرى ، قال : فعجبنا ، فقلت : يا هذه ، ليست هذه بصلاة ، قالت : يا عم ، إنها والله صلاتي منذ أربعين سنة .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٣٠١ """""""

تجاثينا لركبنا قبلا ، فأكبها الله لوجهها ، ولو أمر بي إلى السجن . قال : سمعت أعرابيا يدعو مادا يده عند الكعبة وهو يقول : اللهم إن كنت ترى يدا أكرم منها ، فاقطعها . صعد بعضهم المنبر في عمله يخطب فقال : والله لئن أكرمتموني

---

(١) نثر الدر . ، ٦/٢٩٨

(٢) نثر الدر . ، ٦/٢٩٩

أكرمتكم ، وإن أهنتموني لتكونن أهون علي من ضرطتي هذه ، وضرط . **قيل لأعرابي** : أتعرف الأنبياء ؟ قال : أي والله ، إني بهم لعالم ، قالوا : فسمهم ، قال : لا تمسكوا محمدا صلى الله عليه ، وعيسى ، وموسى ، وأمسكوا فرعون ، والله ما الثناء عليه بحسن ، ولوطا والله أهل البادية يكرهون فعله ، ولكن أهل العراق لا يرون به بأسا . وقال : رأيت أعرابيا من طيئ ، وهو يتوضأ للصلاة ولا يحسن ، فقلت : يا أعرابي ما هذا الوضوء ؟ قال : يا جاهل أما سمعت الله يقول في محكم كتابه : من شدد على عبادي شددت عليه . **وقيل لأعرابي** : كيف أصبحت ؟ قال : بخير . فقال له آخر : كيف أصبحت ؟ قال : كما أخبرت هذا . وشهد أعرابي عند عامل على رجل ، فقال المشهود عليه : لا تقبل شهادته فإنه لا يقرأ من كتاب الله شيئا قال : بلى ، قال : فاقرأ ، فقال : بنونا بنو أبنائنا وبناتنا . . . بنوهن أبناء الرجال الأباعد فقال القاضي : إنها لمحكمة ، قال المشهود عليه : تعلمها والله البارحة . قال رأيت أعرابيا يتيمم فقال : والله إني لأكره عادة السوء . قال : بلغني أن أعرابيين كانا يطوفان بالبيت ، فكان أحدهما يقول : اللهم." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٣٠٤ """""""""

فالأمير إذا مجنون . قال النضر بن شميل : ما شيت أبا جابر الأعرابي فرأى بقعة شمس فرمى بنفسه فيها فقلت : مالك ؟ قال : الشمس ، قلت : أوتعجبك ؟ قال : هي أدفأ ثيابي . قال : وسمعته يقول : اللهم اسقنا شمسا . قيل له : إنما يقال هذا في الغيث ، قال : أنا إلى الشمس أعطش . **قيل لأعرابي** : ألا تغزو ؟ فإن الله قد أنذرك فقال : والله إني لأبغض الموت على فراشي في عافية ، فكيف أن أمضي إليه ركضا . حكى أنه أولم رجل وليمة ، فحضرها أعرابي ، وجعل يأكل ولا يرفع رأسه ، حتى حضره الفالوذج فرفع رأسه فنظر إلى شيخ معتزل عن القوم فقال : ما بال شيخنا لا يأكل ؟ قيل إنه صائم ، فقال : وما أحوجه إلى الصوم ؟ قال : طلب المغفرة والفوز بالجنة ، فقال الأعرابي : فإذا نال الجنة أفتراه يطعم فيها أطيب من الفالوذج . ركب أعرابي بحيرة ، فقيل له : إنها حرام لا يحل ركوبها ، قال : يركب الحرام من لا حلال له . قدم أعرابي إلى والي ، ليشهد على رجل بالزنا ، فقال له الوالي : بم تشهد ؟ قال : رأيت هذا دائم الأفكل كأنما هو عسالة عسل تلسب خصييه والمرأة سطيحة تحته ، وهي تغط غطيط البكر ، ولعابها يهمع ، والله أعلم بما وراء ذلك . وسئل أبو المغوار ، وقد تقدم ليشهد مثل ذلك فقال : رأيت امرأة صرعى ، ورجل يقوي فوه على فيها ، ومسربته على مسربتها ، والقنب غائب واليافعان يضربان بين المسفعة وهو يردي باسته والله أعلم بما وراء ذلك . دخل أعرابي سوق النخاسين يشتري جارية فلما اشتراها وأراد الانصراف ، قال النخاس : فيها ثلاث خصال ، فإن رضيت وإلا فدعها ، قال : قل : قال : إنها." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٣٠٥ """""""""

ربما غابت أياما ثم تعود إذا طلبت ، قال : كأنك تعني أنها تأبق قال : نعم ، قال : لا عليك أنا والله أعلم الناس بأثر الذر على الصفا ، فلتأخذ أي طريق شاءت فإنا نردها ، ثم ماذا ؟ قال : إنها ربما نامت فقطرت منها القطرة بعد القطرة ، قال : كأنك تعني أنها تبول بالفراش ؟ قال : نعم ، قال : لا عليك فإنها لا تتوسد عندنا إلا التراب ، فلتبل كيف شاءت ، ثم

---

(١) نثر الدر . ، ٣٠١/٦

(٢) نثر الدر . ، ٣٠٤/٦

ماذا ؟ قال : أنها ربما عبثت بالشيء تجده عندنا ، قال : كأنك تعني أنها تسرق ما تجد . ؟ قال : نعم قال : لا عليك فإنها والله ما تجد ما يقوتها ، فكيف ما تسرقه ، وأخذ بيدها وانطلق بها . **قيل لأعرابي** : أيسرك أنك نبي ؟ قال : لا . قيل : ولم . ؟ قال : يطول سفري ، وأهجر دار قومي ، وأنذر بالعذاب عشيرتي ، قيل له : فيسرك أنك خليفة ؟ قال : لا ، قيل : ولم ؟ قال : ينقص عمري ويكثر تعبي ، ولا تكبروني ، أمشي وحدي ، قيل : أيسرك أن تدخل الجنة وأنت باهلي ؟ قال : على أن لا يعرف فيها نسبي . سمع أعرابي قوما يقولون : إذا كان للإنسان على شحمة أذنه شعر كان دليلا على طول عمره ، فضرب يده على شحمة أذنه فوجد عليها شعرا فقال : أنا بالله وبك . **قيل لأعرابي** ما ترى يصنع الخليفة في مثل هذا اليوم الشديد البرد . قال : تجده قد أخذ لحم جزور بيده اليمنى ، وقدرة تمر بيده اليسرى ، وبين يديه قصعة لبن ، وقد استقبل الشمس بوجهه ، واحتبى بكسائه فيكدم هذا مرة وهذه مرة ويتحسى من اللبن مرة . وقفت أعرابية على قوم يصلون جماعة فلما سجدوا صاحت وقالت : صعق الناس ورب الكعبة . **قيل لأعرابي** : أتعرف إبليس ؟ قال : أما الثناء عليه فسيء ، والله أعلم بسريرته . ودخل آخر مسجدا والإمام يقرأ : ' حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ' فقال الأعرابي : والكامخ فلا تنسه أصلحك الله . وسمع آخر رجلا يقرأ : ' وفي السماء رزقكم وما توعدون ' فقال : يا بن عم ، إنه لبعيد سحيق .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٣٠٧ """""""

قيل لآخر : هل في بيتك دقيق ؟ فقال : لا . والله ، ولا جليل . **قيل لأعرابية** : ما صفة الأير عندكم ؟ فقالت : عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا يرد أمرها . وشربت أعرابية نبيذا ، فسكرت ، وقالت : لبعض الحاضرين : أيشرب هذا نساؤكم . ؟ قال : نعم ، قالت : لئن صدقت ، ما يدري أحدكم من أبوه . قال بعضهم : سألت أعرابيا عن شهر رمضان ، كيف صاموه . فقال : تجرد منا ثلاثون رجلا ، وأنذرناه في يوم واحد . مات لأعرابي ابن صغير فقيل : هذا شفيعك يوم القيامة فقال : هلكنا والله ، هو أضعفنا حجة ، وأقطعنا لسانا ، وليته يقوم بأمر نفسه . شرب أعرابي لبنا ، وابنه على يساره ورجل آخر عن يمينه ، فسقى ابنه قبل الرجل ، فقيل له : السنة أن تسقي من عن يمينك فقال : قد علمت أنه أحب إلي من السنة . **قيل لأعرابي** أتخاف أحدا قال : نعم ، الذئب في البادية ، والشرطي في الحضرة . صلى أعرابي خلف إمام قرأ : ' قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي ' فقال : أهلكك الله وحدك ما ترد إلا من معك . قيل لآخر : مالك لا تغزو الروم ؟ قال : أخشى أن أقتل ولا يطلب بثأري . سقط أعرابي عن بعيره فانكسر بعض أضلاعه ، فأتى الجابر يستوضفه فقال : خذ تمر شهرين فانزع أقماعه ونواه واعجنه بسمن ، واضمد عليه ، فقال الأعرابي : تمن ؟ قال : خباء خلق في أرض قفر وجله ، في أسفلها تمر ، وكلب إذا أمطرت السماء يزاحمني في البيت . **قيل لأعرابي** : كيف أكلك ؟ قال : كما لا يحب البخيل . سأل رجل من بني تميم عن رجل فقيل له : دعاه ربه ، فأجاب ، فقال : ولم أجاب ؟ لا أجاب ، أما علم أن الموت إحدى المهالك ؟ .." (٢)

---

(١) نثر الدر . ، ٣٠٥/٦

(٢) نثر الدر . ، ٣٠٧/٦

"""""""""" صفحة رقم ٣٠٨ """"""""

جاء أعرابي الحضر وكان يوم جمعة ، فرأى الناس في الجامع ، فقال لبعضهم : ما هذا ؟ وكان المسئول ماجنا ، قال : هذا يدعو إلى طعام ، قال : فما يقول صاحب المنبر ؟ قال : يقول ما يرضى الأعراب أن يأكلوا ، حتى يحملوا معهم ، فتخطى الأعرابي رقاب الناس ، حتى دنا من الإمام فقال : يا هذا إنما يفعل ما تقول سفهاؤنا . جاء آخر إلى صيرفي بدرهم ، فقال الصيرفي : هذا الستوق ، قال : وما الستوق ؟ قال : داخله نحاس ، وخارجه فضة ، فكسره فلما رأى النحاس قال : بأبي أنت ، أشهد أنك تعلم الغيب . وجاء آخر إلى السوق بدرهم يشتري به تمرا ، فقيل له مثل ذلك ، فقال : أعطوني بالفضة تمرا ، وبالنحاس زيتا . نزل عطار يهودي بعض أحياء العرب ومات ، فأتوا شيخا لهم لم يكن يقطع في الحي أمر دونه فأعلموه خبر اليهودي ، فجاء فغسله وكفنه ، وتقدم وأقام الناس معه ، وقال : اللهم إن هذا اليهودي جاء وله ذمام ، فأمهلنا نقضي ذمامه ، فإذا صار في لحده فشأنك والعجل . مر أعرابي وفي يده رغيف ، بغلام معه سيف ، فقال له : يا غلام ، بعني هذا السيف بهذا الرغيف قال : ويلك أمجنون أنت ؟ قال الأعرابي : لعن الله شرهما في البطن . **قيل لأعرابي** : هل تعرف من النجوم شيئا ؟ قال : ما أعرف منها إلا بنات نعش ، ولو تفرقن ما عرفتهن . عض ثعلب أعرابيا ، فأتى راقيا ، فقال له الراقي : ما عضك ؟ قال : كلب ؛ واستحى أن يقول ثعلب ، فلما ابتدأ يرقيه ، قال : اخلط به شيئا من رقية الثعلب . سئل آخر عن حاله مع عشيقته فقال : ما نلت منها محرما ، غير أنني إذا هي بالت بلت حيث تبول .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٣١٠ """"""""

وقرأ آخر : فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فقيل له : غيرت فقال : خذا صدر هرشي أو قفاها فإنه . . . كلا جانبي هرشي لهن طريق صلى آخر بقوم وجعل يردد : ' أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي ' . فقال أعرابي من خلفه : أهلكك الله وحدك ، ما تريد إلا من معك . **قيل لأعرابي** : أيهما أحب إليك : أن تلقى الله ظالما أو مظلوما ؟ فقال : بل ظالما قيل . ولم ؟ قال : وما عذري إذا قال لي : خلقتك قويا ، ثم جئت تستعدي . سأل أعرابي عبد الملك فقال : سل الله فقال : قد سألته فأحالني عليك ، فضحك وأعطاه . سمع أعرابي يقول : أترى هذه الأعاجم تنكح نساءنا في الجنة ؟ فقال له آخر : ذلك بأعمالهم الصالحة ، فقال : توطأ إذا رقابنا والله قبل ذلك . وكان آخر يدعو فيقول : اللهم اغفر للعرب خاصة ، وللموالي عامة ، فأما العجم فهم عبيدك والأمر إليك . أكل أعرابي قرشيا فقيل له : ما تأكل . ؟ فقال : فالوذج ، إلا إنكم قد حمصتموه بعدي . امتنع أعرابي من غسل اليد بعد الأكل ، وقال : فقد ريحه كفقده . قيل لآخر : هل تعرف التخمة . ؟ فقال : ما هو ؟ قال أن يمتلئ الإنسان من الطعام حتى يؤذيه ولا يشتهيه ، قال : وهل يكون إلا في الجنة ؟ قيل لآخر اشتد به الوجع : لو تبت ؟ فقال : لست ممن يعطي على الضيم ، إن عوفيت تبت .." (٢)

---

(١) نثر الدر . ، ٣٠٨/٦

(٢) نثر الدر . ، ٣١٠/٦

"""""""" صفحة رقم ٣١٢ """"""""

له الرجل : لم تفعل ذلك ؟ قال : لأني أثق بأن الله عز وجل لم ينلك بهذا في الدنيا ، إلا وأنت من أهل الجنة . وروى أبو هريرة قال : جاء أعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : إني جائع فأطعمني ، فقدم له لقمة من سلت وقال له سم وكل ، يا أعرابي ، فأكل حتى شبع ، وبقيت منها بقية ، فقال الأعرابي للنبي عليه السلام : إنك لرجل صالح . قيل لأعرابي : ما اسم المرق عندكم ؟ قال : السخين . قيل : فإذا برد ؟ قال : لا ندعه حتى يبرد . قال بعضهم : أبقيت جارية للحي فقيل لنا : إنها عند بني أبي الحلاج ، فأتيته وقلت له : إن جارية من الحي أبقت ، وبلغنا أنها عند بنيك ، فقال : حتى أنظر ، فدخل ثم خرج فقال : هي عندهم ، فأوردوا قليلا لمخجونها بخجات ثم ندفعها إليكم . ذكر أعرابي امرأة وزوجها بالحدة فقال : هي قداحة وزوجها حراق . قيل لأعرابي : أتعرفون التخمة عندكم ؟ قال : نعم ، هي كثيرة عندنا ، قيل : وما هي ، قال : يصبح الإنسان وكأن بنات البقر تلحس فؤاده ، يعني الجوع . قيل لأعرابي من بني تميم : أيهما أحب إليك أن تلقى الله ظالما أو مظلوما ، قال : لا بل ظالما والله ، قالوا : سبحان الله أتحب الظلم ، قال فما عذري إن أتيته مظلوما . يقول : خلقتك مثل البعير الصحيح ثم تأتيني تعصر عينك وتشتكي . ؟ ؟ ؟." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٦٢ """"""""

الباب الثامن عشر نوادر لأصحاب الخطب والأذان والصلاة

جاز شيخ بباب مسجد ، والمؤذن يقيم الصلاة ، فدخل يستغنم الجماعة ، فلما نظر المؤذن إلى شيهته ووقاره سأله أن يتقدم ويصلي بهم ، فامتنع ، وتقدم المؤذن فصلى بهم ، فلما فرغ أقبل على الشيخ وقال : ما منعك أن تصلي بنا وتكتسب أجرا مع محلك من السن ؟ فقال : أنا – وحقك – إذا كنت على غير طهر لا أؤم بالناس . قيل لأعرابي : ما قرأ إمامكم البارحة ؟ فقال : أوقع بين موسى وهارون شرا وشمرا . قرأ إمام في صلاته ' ومن يكن الشيطان له قرينا فساء . . ' وركع . وقرأ آخر : ' قل إن كان للرحمن ولد فأنا . . . ' وركع . كان بعض المغفلين يؤذن في مسجد ، فكان إذا فرغ من أذانه يقول : لا إله إلا الله ، سبحانك ، هذا بهتان عظيم . استأجر أهل ضيعة مؤذنا بعشرة دراهم كل شهر ، فاستزادهم فقالوا : لا نزيدك ، ولكن نسامحك حي على الفلاح . كان ابن مكرم يسجد سجدتي السهو قبل الصلاة ، فقيل له في ذلك ، فقال : إذا لم أشك في أني أسهو فلم لا أقدم سجدتي السهو ؟ رأى أبو حنيفة رجلا يصلي ولا يركع ، فقال : يا هذا ، لا صلاة لك بغير ركوع . فقال : إني رجل عظيم البطن ، فإذا ركعت ضرطت ، فأيما خير : صلاة بلا ركوع ، أو ركوع بضراط .." (٢)

"""""""" صفحة رقم ١١ """"""""

وقولهم : " إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر " يقال : إن بني ثعلبة ابن سعد في الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة ، فقالت طائفة : تطلع الشمس والقمر يرى ، وقالت طائفة : بل يغيب قبل طلوعها ، فتراضوا برجل جعلوه

---

(١) نثر الدر . ، ٣١٢/٦

(٢) نثر الدر . ، ١٦٢/٧

بينهم ، فقال رجل منهم : إن قومي يبغون علي ، فقال العدل : إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر ، فذهبت مثلا : يضرب للأمر المشهور .

وقولهم : " إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا " الإعصار : ريح شديدة تهب فيما بين السماء والأرض : يضرب للمدل بنفسه إذا صلى بمن هو أدهى منه وأشد .

وقولهم : " إنك خير من تفاريق العصا " قالوا : قالته غنية الأعرابية لابنها ، وكان عارما مع ضعفه ، فواثب يوما فتى فقطع أذنه فأخذت ديتها ، فزادت حسن حل ثم واثب آخر فقطع شفته فأخذت الدية فذكرته في أرجوزتها فقالت :

أحلف بالمروة حقا والصفا . . . إنك أجدى من تفاريق العصا

فقيل لأعرابي : ما تفاريق العصا ؟ فقال : العصا تقطع ساجورا والسواجير للكلاب والأسرى من الناس ثم تقطع عصا الساجور فتصير أوتادا ويقطع الوتد فيصير كل قطعة شظاظا وإن جعل لرأس الشظاظا كالفلكة صار للبختي مهارا وهو العود الذي يدخل في أنفه ، وإذا فرق المهار جاءت منه تواد وهي الخشبة التي تشد على خلف الناقة .

وقولهم : " إنه ليعلم من أين تؤكل الكتف " : يضرب للرجل الداهي ، قال بعضهم : لم تؤكل الكتف من أسفلها ؟ قال : لأنها تنقشر عن عظمها وتبقى المرقة مكانها ثابتة .

وقولهم : " إنك لا تجني من الشوك العنب " أي لا تجد عند ذى المنبت السوء جميلا ، والمثل من قول أكثم قال : إذا ظلمت فاحذر الانتصار ، فان الظلم لا يكسبك إلا مثل فعلك .." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٢٢ """""""

وقال آخر : الحرب مقتلة للعباد ، مذهبة للطارف والتلاد .

وقيل لجبان : لم لا تقاتل ؟ فقال : عند النطاح يغلب الكبش الأجم .

وقالوا : الحياة أفضل من الموت ، والفرار في وقته ظفر .

وقالوا : الشجاع ملقى ، والجبان موقى . قال البديع الهمداني : ما ذاق هما كالشجاع ولا خلا . . . بمسرة كالعاجز المتواني

وقالوا : الفرار في وقته ، خير من الثبات في غير وقته .

وقالوا : السلم أزكى للمال ، وأبقى لأنفس الرجال .

وقالوا : الحمام في الإقدام ، والسلامة في الإحجام .

وقال المتوكل لأبي العيناء : إني لأفرق من لسانك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الكريم ذو فرق وإحجام ، واللئيم ذو وقاحة وإقدام .

وقيل لأعرابي : ألا تعرف القتال ؟ فإن الله قد أمرك به ، فقال : والله إني لأبغض الموت على فراشي في عافية ، فكيف أمضي إليه ركضا ، قال شاعر :

تمشي المنايا إلى قوم فأبغضها . . . فكيف أعدو إليها عاري الكفن

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١١/٣

وقيل ليزيد : إن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " إذا رأيت شخصا بالليل ، فكن للإقدام عليه أولى منه عليك " . فقال : أخاف أن يكون قد سمع الحديث قبلي ، فأقع معه فيما أكره ، وإنما الهرب خير .

وسمع سليمان بن عبد الملك قارئا يقرأ : " قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا " . فقال : ذلك القليل نريد .

ولما فر أمية بن عبد الله بن خالد بن أسد يوم مرداء هجر بالبحرين من أبي." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٠ """"""""

ذكر شيء من مجون الأعراب

سئل أعرابي عن جارية له يقال لها زهرة ، فقيل له : أيسرك أنك الخليفة وأن زهرة ماتت ؟ فقال : لا والله تذهب الأمة وتضيع الأمة . وجد أعرابي مرآة وكان قبيح الصورة ، فنظر فيها فرأى وجهه فاستقبحه ، فرمى بها وقال : لشر ما طرحك أهلك . وقيل لأعرابي : لم يقال : باعك الله في الأعراب ؟ فقال : لأنا نجيع كبده ، ونعرى جلده ، ونطيل كده . وتزوج أعرابي على كبر سنه ، فقيل له في ذلك ، فقال : أبادره باليتم ، قبل أن يبادرني بالعقوق . ومر أعرابي وفي يده رغيف برجل في يده سيف ، فقال : بعني هذا السيف بهذا الرغيف ، فقال : أمجنون أنت ؟ فقال الأعرابي : ما أنكرت مني ؟ انظر أيهما أحسن أثرا في البطن . وحكي أن المهدي خرج للصيد فغلبه فرسه حتى انتهى به إلى خباء لأعرابي ، فقال : يا أعرابي ، هل من قرى ؟ قال : نعم ، وأخرج له فضلة من خبز ملة فأكلها وفضلة من لبن فسقاه ، ثم أتى بنبيذ في زكرة فسقاه قعبا . فلما شرب قال : أتدري من أنا ؟ قال : لا والله . قال : أنا من خدم الخاصة ، قال : بارك لك الله في موضعك . ثم سقاه آخر ، فلما شربه قال : أتدري من أنا ؟ قال : نعم ، زعمت أنك من خدم الخاصة ، قال : بل أنا م قواد أمير المؤمنين ، فقال له الأعرابي : رحبت بلادك ، وطاب مادك ومرادك . ثم سقاه قدحا ثالثا ، فلما فرغ منه قال : يا أعرابي ، أتدري من أنا ؟ قال : زعمت أخيرا أنك أنك من قواد أمير المؤمنين ، قال : لا ولكني أمير المؤمنين . فأخذ الأعرابي الزكرة فأوكاها وقال : والله لئن شربت الرابع لتقولن : إنك لرسول الله ، فضحك المهدي . ثم أحاطت بهم الخيل ، فنزل أبناء الملوك والأشراف ، فطار قلب الأعرابي ، فقال له المهدي : لا." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٨٢ """"""""

إذا جئتهم حيوك ألفا ورحبوا . . . وإن غبت عنهم ساعة فذميم

إخاؤهم ما دارت الكأس بينهم . . . وكلهم رث الوصال سئوم

فهذا بياني لم أقل بجهالة . . . ولكنني بالفاسقين عليم

قيل : سقى قوم أعرابية مسكرا ، فقالت : أيشرب نساؤكم هذا الشراب ؟ قالوا : نعم . قالت : فما يدري أحدكم من أبوه . وقال قصي بن كلاب لبنيه : اجتنبوا الخمر فإنه يصلح الأبداء ويفسد الأذهان . وقيل لعدي بن حاتم : مالك لا تشرب

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٣٢٢/٣

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١٠/٤

النبيذ ؟ قال : معاذ الله أصبح حليم قوم وأمسي سفيههم . **وقيل لأعرابي** : مالك لا تشرب النبيذ ؟ قال : لا أشرب ما يشرب عقلي . وقيل لعثمان بن عفان : ما منعك من شرب الخمر في الجاهلية ولا حرج عليك ؟ قال : إني رأيتها تذهب العقل جملة وما رأيت شيئا يذهب جملة ويعود جملة . وقال عبد العزيز بن مروان لنصيب بن رباح : هل لك فيما يثمر المحادثة ؟ يريد المنادمة ، فقال : أصلح الله الأمير الشعر مفلفل واللون مرمد ، ولم أقعد إليك بكرم عنصر ولا بحسن منظر ، وإنما هو عقلي ولساني ، فإن رأيت ألا تفرق بينهما فافعل . ودخل مصيب هذا على عبد الملك بن مروان فأنشده فاستحسن عبد الملك شعره فوصله ، ثم دعا بالطعام فطعم معه . فقال له عبد الملك : هل لك أن تنادم عليه ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، تأملني . قال : قد أراك . قال : يا أمير المؤمنين ، جلدي أسود وخلقي مشوه ووجهي قبيح ولست في منصب ، وإنما بلغ بي مجالستك ومؤاكلتك عقلي ، وأنا أكره أن أدخل عليه ما ينقصه . فأعجبه كلامه وأعفاه .

وقال الحسن : لو كان العقل عرضا لتغالي الناس في ثمنه ، فالعجب لمن يشتري بماله شيئا ليشربه فيذهب عقله .." [(١)]

""""""""" صفحة رقم ١٦٢ """""""

وإن عظمت في غيرها آثاره ، وهو أبعد الأربعة التي فرغ منها ، وصرفت وجوه المطامع عنها . وقد قالت الحكماء : أعظم المصائب كلها انقطاع الرجاء . وقالوا : كل شيء يبدو صغيرا ثم يعظم إلا المصيبة فإنها تبدو عظيمة ثم تصغر . وقالوا : لا يكون البكاء إلا من فضل ، فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء . قال الشاعر :

فلئن بكيناه لحق لنا . . . ولئن تركنا ذاك للصبر

فلمثله جرت العيون دما . . . ولمثله جمدت فلم تجر

وقيل : مر الأحنف بامرأة تبكي ميتا ورجل ينهاها ، فقال : دعها فإنها تندب عهدا وسفرا بعيدا . **وقيل لأعرابية** مات ابنها : ما أحسن عزاءك ؟ قالت : إن فقدي إياه آمنني كل فقد سواه ، وإن مصيبتي به هونت علي المصائب بعده ، ثم أنشأت تقول :

كنت السواد لمقلتي . . . فعمى عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت . . . فعليك كنت أحاذر

ليت المنازل والديا . . . ر حفائر ومقابر

إني وغيري لا محا . . . لة حيث صرت لصائر

وقد نقل أبو الفرج الأصفهاني : أن بعض هذا الشعر لإبراهيم بن العباس بن محمد بن صول يرثي ابنا له فقال :

أنت السواد لمقلة . . . تبكي عليك وناظر

من شاء بعدك فليمت . . . فعليك كنت أحاذر

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٨٢/٤

ولم يزد على هذين البيتين شيئا . أخذ الحسن بن هانئ معنى البيت الأول فقال في الأمين :

طوى الموت ما بيني وبين محمد . . . وليس لما تطوي المنية ناشر." (١)

"""""""" صفحة رقم ٦٢ """""""

الحبس ممن يؤمن شره غيرهما فليفرج عنه ودعهما في موضعهما ، فإنه من أطلق مثلهما على الناس فهو شر منهما وشريكهما في فعلهما .

وكتب رجل إلى المأمون – وكان قد طال حبسه – : أغفلت يا أمير المؤمنين أمري ، وتناسيت ذكري ، ولم تتأمل حجتي وعذري ، وقد مل من صبري الصبر ، ومسني في حبسك الضر ؛ فأجابه المأمون : ركوبك مطية الجهل ، صيرك أهلا للقتل ، وبغيك علي وعلى نفسك نقلك من سعة الدنيا إلى قبر من قبور الأحياء ، ومن جهل الشكر على المنن قل صبره على المحن ، فاصبر على عواقب هفواتك وموبقات زلاتك ، على قدر صبرك على كثير جناياتك ؛ فإن حصل في نفسك كف عن معصيتي ، وعزم على طاعتي ، وندم على مخالفتي ، فلن تعدم مع ذلك جميلا من بيتي والسلام .

وقيل لأعرابي : أ يسرك أن تدخل الجنة ولا تسيء إلى من أساء إليك ؟ قال : بل يسرني أن أدرك الثار وأدخل النار .

قال البحتري :

تذم الفتاة الرؤد شيمة بعلها . . . إذا بات دون الثأر وهو ضجيعها

ويقال : إنما هو مالك وسيفك ، فازرع بمالك من شكرك ، واحصد بسيفك من كفرك .

قال الشاعر :

قط العدا قط اليراع وانتهز . . . بظبا السيوف سوائم الأضغان

إن البيادق إن توسع خطوها . . . أخذت إليك مآخذ الفرزان

وقالوا : العفو يفسد من اللئيم ، بقدر ما يصلح من الكريم .

وقال معاوية ابن يزيد بن معاوية لأبيه : هل ذممت عاقبة حلم قط ؟ قال : ما حلمت عن لئيم وإن." (٢)

"ومنها تشبيهه بالسيف، قال:

أنا إن نزعت عن الغواية والصبا ... فلطالما استهوتني الآثام

أصبو سيفٌ للمشيب مجرّدٌ ... وقلت نورٌ بدا على قضبه

ومنها تشبيهه بالزهر. قال الغزي:

تألق الشيب فاعتذرت له ... وقلت نورٌ بدا على قضبه

كأن ثغر الحبيب ركّب في ... مفارقي ما أضاء من شنبه

ومنها تشبيهه بالبوم والقطاة كقول الشافعي رضي الله عنه في أبياته التي منها:

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١٦٢/٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٦٢/٦

أيا بومةً قد عششت فوق هامتي ... على الرغم مني حين طار غرابها

وقال الغزي:

قطاةً في الهداية كان شيبي ... وإن سمّته نقبته غرابا

وشبهه السراج الوارق بالقرطم، وإنما حسن ذلك لأنه رحمه الله تعالى كان أشقر. فقال.

ذهب العصفر مني ... وبدا قرطم شيبي

والتي قد ملكت رق ... بي ردّتني بعيبي

وقيل لأعرابي عن الشيب: ما هذا البياض الذي في رأسك ؟ فقال زبدة مخضتها الأيام وفضة سبكتها التجارب.

وما أحسن قول القاضي الفاضل رحمه الله .

إليك بعد انقضاء اللهو واللعب ... عني فلم أر بي ما يقتضي أربي

والعمر كالكأس والأيام تمزجه ... والشيب فيه قذىً في موضع الحبب

وشبه بأشياء مناسبة غير هذه، ولم أر لأحد تشبيهه بآلة الحرث، وأي مناسبة بين آلة الحرث والشيب وما وجه الشبه وليس هذا من باب تشبيه المحسوس بالمحسوس، ولا من باب المحسوس بالمعقول، وما أدري ما هو، وأما تشبيه الهرم بالحرث نفسه فجائز وأما قوله اعدام لا يسار، فمأخوذ من قول المتنبي:

وقد أراني الشباب الروح في بدني ... وقد أراني المشيب الروح في بدلي

وأما قوله ظلام لا أنوار، فمأخوذ من قول أبي تمام:

له منظرٌ في العين أبيض ناصعٌ ... ولكنه في القلب أسود أسفع

وقول أبي الطيب:

ابعدت بياضا لا بياض له ... لأنت أسود في عيني من الظلم

وما أحسن قول الغزي:

كيف لا ينفر الظباء من الشي ... ب ومن عادة الظباء النفور

أبيضٌ مظلمٌ وكل بياضٍ ... في سوى العين والمفارق نور

وأما قوله: وهو الموت الأول.. السجعة، قال محمود الوراق: الشيب إحدى الميتتين.

وقال غيره: الشيب غمام قطر الغموم.

وأما قوله: ولئن قال قوم إنه جلالة.. السجعة، فذكرت به قول بعض المتأخرين:

وقالوا شباب المرء لهوٌ وغرّةٌ ... ومن خلفه شيب الوقار ولا ريب

وأي وقارٍ لامرىءٍ عرّي الصبا ... وقدّامه شيبٌ ومن خلفه شيب

وأما قوله: وهو المملول الذي يشفق من بعده، فمأخوذ من قول مسلم ابن الوليد وقول مسلم في غاية الحسن:

الشيب كرهٌ وكره أن يفارقني ... اعجب بشيءٍ على البغضاء مودود

يمضي الشباب فيأتي بعده بدلٌ ... والشيب يذهب مفقودا بمفقود
قيل: إن المنذر بن أبي سبرة نظر إلى أبي الأسود الدؤلي وعليه قميص مرقوع فقال له: ما أصبرك على هذا القميص ؟ فقال: رب مملول لا يستطاع فراقه. فبعث إليه تختا من ثياب.
ونظر سليمان بن وهب في المرآة فرأى الشيب فقال: عيب لا عدمناه وقد جاء في ترسل الفاضل ذكر الشيب فقال: فمن يطلع شرف السبعين يهبط إلى الحضيض، ومن يعمر العمر الطويل يقع في الطويل العريض وأيام المشيب كلها بيض، وما نحن ممن يصوم الأيام البيض.
وما ألطف قول ابن المعتز:
أيا نفس قد أثقلتني بذنوبي ... أيا نفس كفي عن هواك وتوبي
وكيف التصابي بعد أن ذهب الصبا ... وقد ملّ مقراضي عتاب مشيبي
وما أحلى قول:
ألا يا ساريا في بطن قفرٍ ... ليقطع في الفلا وعرا وسهلا
قطعت نقا المشيب وبنت عنه ... وما بعد النقا إلا المصلّى
ولبعض الشعراء:
ولما رأيت الشيب راءً بعارضي ... تيقنت أنّ الوصل لي منك واصل
ربما يفهم من هذا البيت غير ما قصده الناظم، فيتوهم أنه يظن أن الشيب سبب لوصاله وهو على خلاف المعهود من كلام الشعراء، فإنهم ما زالوا يقولون إن الشيب سبب نفار الغواني عن المحبين.
وما أحسن قول خالد الكاتب في هذا:." (١)

"وقد اعترض هذا الشاهد بأنه إنما سماه فقيرا بعد أن صار لا حلوبة له وإنما ذكر الحلوبة بأنها كانت وهذا اعتراض يرده معنى القصيدة ومقصد الشاعر بأنه إنما يصف سعاية أتت على مال الحي بأجمعه فقال أما الفقير فاستؤصل ماله فكيف بالغني مع هذه الحال وذهب من يقول إن المسكين أبلغ فاقة إلى أنه مشتق من السكون وأن الفقير مشتق من فقار الظهر كأنه أصيب فقارة فيه لا محالة حركة وذهب من يقول إن الفقير أبلغ فاقة إلى أنه مشتق من فقرت البئر إذا نزعت جميع ما فيها وأن المسكين من السكن
قال القاضي أبو محمد ومع هذا الاختلاف فإنهما صنفان يعمهما الإقلال والفاقة فينبغي أن يبحث على الوجه الذي من أجله جعلهما الله اثنين والمعنى فيهما واحد وقد اضطرب الناس في هذا فقال الضحاك بن مزاحم " الفقراء " هم من المهاجرين " والمساكين " من لم يهاجر وقال النخعي نحوه قال سفيان يعني لا يعطي فقراء الأعراب منها شيئا
قال القاضي أبو محمد والمسكين السائل يعطي في المدينة وغيرها وهذا القول هو حكاية الحال وقت نزول الآية وأما منذ زالت الهجرة فاستوى الناس وتعطى الزكاة لكل متصف بفقر وقال عكرمة " الفقراء " من

---

(١) نصرة الثائر على المثل السائر، ص/٥٦

المسلمين " والمساكين " من أهل الذمة ولا تقولوا لفقراء المسلمين مساكين وقال الشافعي في كتاب ابن المنذر الفقير من لا مال له ولا حرفة سائلا كان أو متعففا والمسكين الذي له حرفة أو مال ولكن لا يغنيه ذلك سائلا كان أو غير سائل وقال قتادة بن دعامة الفقير الزمن المحتاج والمسكين الصحيح المحتاج وقال ابن عباس والحسن ومجاهد والزهري وابن زيد وجابر بن زيد ومحمد بن مسلمة المساكين الذين يسعون ويسألون والفقراء هم الذين يتصاونون وهذا القول الأخير إذا لخص وحرر أحسن ما يقال في هذا وتحريره أن الفقير هو الذي لا مال له إلا أنه لم يذل ولا بذل وجهه وذلك إما لتعفف مفرط وإما لبلغة تكون له كالحلوبة وما أشبهها والمسكين هو الذي يقترن بفقره تذلل وخضوع وسؤال فهذه هي المسكنة فعلى هذا كل مسكين فقير وليس كل فقير مسكينا ويقوي هذا أن الله تعالى قد وصف بني إسرائيل بالمسكنة وقرنها بالذلة مع غناهم وإذا تأملت ما قلناه بأن أنهما صنفان موجودان في المسلمين ويقوي هذا قوله تعالى " للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف " **وقيل لأعرابي** أفقير أنت فقال إني والله مسكين

٤٩

(١) ".

"والأكثر في جمعه من النسب إخوة وإخاء

قال الشاعر

(وجدتم أخاكم دوننا إذ نسيتم

وأي بني الإخاء تنبو مناسبه) " الطويل "

وقد تتداخل هذه الجموع في كتاب الله فمنه " إنما المؤمنون إخوة " أو بيوت إخوانكم فهذا جاء على الأقل من الاستعمال

قوله عز وجل

سورة الحجرات ١١ - ١٢

هذه الآيات والتي بعدها نزلت في خلق أهل الجاهلية

وذلك لأنهم كانوا يجرون مع الشهوات نفوسهم لم يقومهم امر من الله ولا نهي

فكان الرجل يسطو ويهمز ويلمز وينبز بالألقاب ويظن الظنون

فيتكلم بها

ويغتاب ويفتخر بنسبه النغير ذلك من أخلاق النفوس الباطلة

فنزلت هذه الاية تأديبا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم

وذكر بعض الناس لهذه الآيات أسبابا

فمما قيل إن هذه الآية " لا يسخر قوم " نزلت بسبب عكرمة بن أبي جهل وذلك انه كان يمشي بالمدينة مسلما فقال له قوم هذا ابن فرعون هذه الأمة فعز ذلك عليه وشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) المحرر الوجيز ، ٥٣/٣

وقال القاضي أبو محمد والقوي عندي ان هذه الآية نزلت تقويما كسائر أمر الشرع ولو تتبعت الأسباب لكانت أكثر من ان تحصى

و " يسخر " معناه يستهزىء

والهزء إنما يترتب متى ضعف امرؤ إما لصغر وإما لعلة حادثة أو لرزية او لنقيصة يأتيها فنهي المؤمنون عن الاستهزاء في هذه الأمور وغيرها نهيا عاما فقد يكون ذلك المستهزأ به خيرا من الساخر والقوم في كلام العرب واقع على الذكران وهو من أسماء الجمع كالرهط والنفر وقول من قال إنه من القيام او جمع قائم ضعيف ومنه قول الشاعر وهو زهير

(وما ادري وسوف إخال أدري

أقوم آل حصن ام نساء) " الوافر "

وهذه الآية أيضا تقتضي اختصاص القوم بالذكران وقد يكون مع الذكران نساء فيقال لهم قوم على تغليب حال الذكور ثم نهى تعالى النساء عما نهى عنه الرجال من ذلك

١٥٠

وقرأ ابي بن كعب وابن مسعود (عسوا ان يكونوا) (وعسين أن يكن)

و " تلمزوا " معناه يطعن بعضكم على بعض بذكر النقائص ونحوه وقد يكون اللمز بالقول وبالإشارة ونحوه مما يفهمه آخر والهمز لا يكون الا باللسان وهو مشبه بالهمز بالعود ونحوه مما يقتضي المماسة قال الشاعر رؤبة

(ومن همزنا عزه تبركعا

(

وقيل لأعرابي أتهمز الفأرة فقال الهر يهمزها

وحكى الثعلبي ان اللمز ما كان في المشهد والهمز ما كان في المغيب

وحكى الزهراوي عن علي بن سليمان عكه من ذلك فقال الهمز ان يعيب حضرة واللمز في الغيبة

ومنه قوله تعالى " ويل لكل همزة لمزة " الهمزة ١ ومنه قوله تعالى " ومنهم من يلمزك في الصدقات " التوبة ٥٨

وقرأ الجمهور (تلمزوا) بكسر الميم

وقرأ الأعرج والحسن (تلمزوا) بضم الميم

قال أبو عمرو بن العلاء هي عربية قراءتنا بالضم وأحيانا بالكسر

". (١)

"قال القاضي أبو محمد ليس به لكنهما صفتان تتلازم قال الله تعالى " هماز مشاء بنميم " القلم ١١ وقال مجاهد (الهمزة) الذي يأكل لحوم الناس وقيل لأعرابي اتهمز إسرائيل فقال إني إذا لرجل سوء حسب انه يقال له اتقع في سبه و (اللمزة) قريب من المعنى في الهمزة قال الله تعالى " ولا تلمزوا انفسكم " الحجرات ١١ وقرا ابن مسعود والأعمش والحسن

---

(١) المحرر الوجيز. ، ١٣٢/٥

(ويل الهمزة اللمزة) وهذا البناء الذي هو فعلة يقتضي المبالغة في معناه قال أبو العالية والحسن الهمز بالحضور واللمز بالمغيب وقال مقاتل ضد هذا وقال مرة هما سواء وقال ابن أبي نجيح الهمز باليد والعين واللمز باللسان وقال تعالى " ومنهم من يلمزك في الصدقات " التوبة ٥٨ وقيل نزلت هذه الآية في الأخنس بن شريق وقيل في جميل بن عامر الجمحي ثم هي تتناول كل من اتصف بهذه الصفات وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي والحسن وأبو جعفر (جمع) بشدة الميم والباقون بالتخفيف وقوله " وعدده " معناه احصاه وحافظ على عدده وان لا ينتقص فمنعه من الخيرات ونفقة البر وقال مقاتل المعنى استعده وذخره وقرا الحسن (وعدده) بتخفيف الدالين فقيل المعنى جمع مالا وعدوا من عشرة وقيل أراد عددا مشددا فحل التضعيف وهذا قلق وقوله " أيحسب ان ماله اخلده " معناه يحسب ان ماله هو معنى حياته وقوامها وانه حفظه مدة عمره ويحفظه ثم رد على هذه الحسبة وأخبر إخبارا مؤكدا انه ينبذ " في الحطمة " أي التي

٥٢٢

تحطم ما فيها وتلتهبه وقرا (يحسب) بفتح السين الأعرج وأبو جعفر وشيبة وقرا ابن محيصن والحسن بخلاف عنه (لينبذان) بنون مكسورة مشددة قبلها ألف يعني هو ماله وروي عنه ضم الذال على نبذ جماعة هو ماله وعدده او يريد جماعة الهمزات ثم عظم شانها وأخبر انها " نار الله الموقدة " التي يبلغ إحراقها القلوب ولا يخمد والفؤاد القلب ويحتمل ان يكون المعنى انها لا يتجاوزها احد حتى تاخذه بواجب عقيدة قلبه ونيته فكأنها متطلعة على القلوب باطلاع الله تعالى اياها ثم أخبر بأنها عليهم موصدة ومعناه مطبقة او مغلقة قال علي بن أبي طالب أبواب النار بعضها فوق بعض وقوله تعالى " في عمد " هو جمع عمود كأديم وادم وهي عند سيبويه أسماء جمع لا جموع جارية على الفعل وقرا ابن مسعود (موصدة بعمد ممددة) وقال ابن زيد المعنى في عمد حديد مغلولين بها والكل من نار وقال ابو صالح هذه النار هي في قبورهم وقرا عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي (عمد) بضم العين والميم وقرا الباقون وحفص عن عاصم بفتحهما وقرا الجمهور (ممددة) بالخفض على نعت العمد وقرا عاصم (ممددة) بالرفع على اتباع " موصدة "

نجز تفسيرها بحمد الله." (١)

"المفردات في غريب القرآن ، ص : ٣٧٠

للحبّ المأكول رَيْحَانٌ في قوله : وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحانُ

[الرحمن / ١٢] ، وقيل لأعرابيّ : إلى أين؟ فقال : أطلب من رَيْحَانِ الله ، أي : من رزقه ، والأصل ما ذكرنا. وروي : «الولد من رَيْحَانِ الله» «١» وذلك كنحو ما قال الشاعر :

- ٢٠٣

يا حبّذا ريح الولد ريح الخزامى في البلد

«٢» أو لأنّ الولد من رزق الله تعالى. والرِّيحُ معروف ، وهي فيما قيل الهواء المتحرّك. وعامّة المواضع الّتي ذكر الله تعالى فيها إرسال الرّيح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب ، وكلّ موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرّحمة ، فمن الرِّيحِ : إِنَّا

---

(١) المحرر الوجيز ، ٥/٤٩٢

أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً

[القمر / ١٩] ، فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً [الأحزاب / ٩] ، مَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ

[آل عمران / ١١٧] ، اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ [إبراهيم / ١٨]. وقال في الجمع :

وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ

[الحجر / ٢٢] ، أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ

[الروم / ٤٦] ، يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً [الأعراف / ٥٧]. وأمّا قوله :

يرسل الرّيح فتثير سحابا «٣» فالأظهر فيه الرّحمة ، وقرئ بلفظ الجمع «٤» ، وهو أصحّ.

وقد يستعار الرّيح للغلبة في قوله : وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ [الأنفال / ٤٦] ، وقيل : أَرْوَحَ الماءُ : تغيّرت ريحه ، واختصّ ذلك بالنّتن. ورِيحَ الغديرُ يَرَاحُ : أصابته الرِّيحُ ، وأَرَاحُوا : دخلوا في الرَّوَاحِ ، ودهن مُرَوَّحٌ : مطيّب الرّيح. وروي :

«لم يَرَحْ رَائِحَةَ الجنّة» «٥» أي : لم يجد ريحها ، والمَرْوَحَةُ : مهبّ الرّيح ، والمِرْوَحَةُ : الآلة التي بها تستجلب الرّيح ، والرَّائِحَةُ : تَرَوُّحُ هواء.

ورَاحَ فلان إلى أهله إمّا أنه أتاهم في السّرعة كالرّيح ، أو أنّه استفاد برجوعه إليهم روحا من

---

(١) الحديث عن عائشة قالت : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : «الولد من ريحان الجنّة». أخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٤ / ١٤٦٧ ، وأخرجه الحكيم الترمذي من طريق آخر عن خولة بنت حكيم ، وانظر : الفتح الكبير ٣ / ٣٠٨.

(٢) البيت لأعرابية ترقّص ولدها ، وبعده :

أهكذا كلّ ولد أم لم تلد قبلي أحد

وهو في ربيع الأبرار ٣ / ٥٢١ ، وشرح نهج البلاغة ٣ / ٢٢.

(٣) سورة الروم : آية ٤٨ ، وهذه قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف.

(٤) وبها قرأ نافع وأبو جعفر المدنيان ، وأبو عمرو البصري وابن عامر الشامي وعاصم الكوفي ، ويعقوب البصري.

راجع : الإتحاف ٣٤٨.

(٥) الحديث عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلّى الله عليه وسلم قال : «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنّة ، وإنّ ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما».

أخرجه البخاري في كتاب الجزية ٦ / ٢٦٩ ، وأحمد في المسند ٥ / ٣٦ ، وأبو داود في الجهاد برقم (٢٧٦٠) ، وانظر : شرح السنة ١٠ / ١٥٢.." [1]

---

(١) مفردات القرآن . للراغب . نسخة محققة، ص/٣٧٠

"ج ٣ ، ص : ٩١٠

سورة الكوثر

مكية على الصحيح ، وآياتها ثلاث آيات. وفيها يذكر الله أنه أعطى نبيه الخير الكثير ثم يطالبه بالصلاة والصدقة شكرا له على ما أنعم.

[سورة الكوثر (١٠٨) : الآيات ١ الى ٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أعطيناك الكوثر (١) فصل لربك وانحر (٢) إن شانئك هو الأبتر (٣)

المفردات :

الكوثر : الشيء الكثير. **قيل لأعرابية** رجع ابنها من سفر : بم رجع ابنك ؟ فقالت : رجع بكوثر ، وقيل : هو نهر في الجنة. شانئك : مبغضك.

الأبتر : مقطوع الأثر والذكر.

المعنى :

كان المشركون حينما يرون النبي والمسلمين في قلة من العدد وقلة من المال يستخفون بهم ويهونون من شأنهم ظانين أن الحق والخير إنما يكون مع المال والغنى وكثرة العدد ، وإذا رأوا النبي وقد مات له ولد قالوا : قد بتر محمد ولم يبق له ذكر ، وكان المنافقون كذلك إذا رأوا ما عليه المسلمون من شدة وضيق ذات اليد انتظروا منهم السوء ومنوا أنفسهم بالغلبة عليهم ، وكان ضعاف المسلمين ربما وقع في نفوسهم شيء من خواطر السوء إذا وقعوا في ضيق أو شدة لهذا كله نزلت السورة تبين ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وما أعطى من الخير الكثير في الدنيا والآخرة ، وما سيؤول إليه حال حاسديه ومبغضيه ، ولعلنا نعتبر بذلك ونرضى!." (١)

"فلا تطع المكذبين﴾ أي إذا تبين عندك ما تقدم فدم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم فيما يدعونك إليه من الكف عنهم يكفو عنك وتصلب في ذلك أمره عليه السلام ، بلتشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فإن هذه السورة من أوائل ما نزل دلت الآية على أن الإطاعة للعاصي عصيان والافتداء بالطاغي طغيان ﴿لو تدهن﴾ لو للتمني والإدهان في الأصل مثل التدهين واشتقاقهما من الدهن لكن جعل عبارة عن الملاينة

١٠٩

وترك الجد قال في تاج المصادر الادهان مداهنت كردن.

والتركيب بدل على ليان وسهولة وقلة والمعنى أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الأمور وترك الدعوة ﴿فيدهنون﴾ أي فهم يداهنونك حينئذ بترك الطعن.

(كما قال الكاشفي) : فرمان مبر مشركان كه راكه ترا بدين آباء دعوت مى نمايند ودوست مى دارندكه تونرمى كنى با

---

(١) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع، ٣/٩١٠

يشان وسرزنشى نكنى برشرك تا يشان نير رب ونرمى كنند وبردين توطعنه نزنند.
جزء : ١٠ رقم الصفحة : ١٠٠
فالفاء للعطف على تدهن فيكون يدهنون داخلا في حيز لو ولذا لم ينصب يدهنون بسقوط النون جوابا للتمني والفعل للاستقبال أو الفاء للسببية فهو مسبب ن تدهن ويجوز أن يكون الفعل للحال على معنى ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا في إدهانك فالتسبب عن التمني وتقدير المبتدأ لأنه لولاه لكان الفعل منصوبا لاقتضاء التسب عما في حيز التمني ذلك قال بعضهم لا توافقهم في الظاهر كما لا توافقهمفي الباطن فإن موافقة الظاهر ر موافقة الباطن وكذا المخالفة وإلا كان نفاقا سريع الزوال ومصانعة وشيكة الانقصاء وإما هم فلانهماكهم في الرذائل وتعمقهم في التلون والاختلاف لتشعب أهوائهم وتفرق أمانيهم يصانعون ويضمون تلك الرذيلة إلى رذيلتهم طمعا في مداهنتك معهم ومصانعتك إياهم قال بعضهم المداهنة بيع الدين بالدنيا فهي من السيئات والمداراة بيع الدنيا بالدين فهي من الحسنات ويقال الإدهان الملاينة لمن لا ينبغي له ذلك وهو لا ينافي الأمر بالمداراة كما قال عليه السلام : "أمرت بمداراة الناس كما أمرت بالتبليغ" قال الإمام الغزالي رحمه الله : في إحياء الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الأغضاء فإن أغضيت للأمة دينك ولما ترى فيه من إصلاح أخيك بالإغضاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن قال أبو الدرداء رضي الله عنه اتالنبش في وجوه اقوام وإن قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف شره ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ كثير الحلف في الحق والباطل لجهله حرمة اليمين وعدم مبالاته من الحنث لسوء عقيدته وتقديم هذا الوصف عى سائر الأوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه أدخل في الزجر قال في الكشاف : وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى : [البقرة : ٩٠]﴿ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم﴾ .

.

انتهى.
ودخل فيه الحلف بغير الله تعالى فإنه من الكبائر واصل الحلف اليمين الذي يذ بعضهم من بعض بها الحلف أي العهد ثم عبر به عن كل يمين مهين﴾ حقير الرأي والتدبير لأنه لم يعرف عظمة الله ولذا أقدم على كثرته الحلف من الهانة وهي القلة والحقارة ويجوز أن يراد به الكذاب لأنه حقير عند الناس ﴿هماز﴾ عياب طعان يعني عيب كننده در عقب مردم ا طعنه زننده در روى با يشان.
جزء : ١٠ رقم الصفحة : ١٠٠
قال الحسن رحمه الله يلوى شدقيه في أقفية الناس وفيه إشارة إلى من يعيب ويطعن في أهل القح في رياضاتهم ومجاهداتهم انزوائهم وعزلتهم عن الناس وفي الحديث : "لا يكون المؤمن طعانا ولا لعانا".
وفي حديث آخر : "طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس" يعني من ينظر إلى عيب نفسه يكون ذلك مانعا له عن النظر إلى عيب يره وتعييبه به وذلك لا يقتضي أن لا ينهى العاصي عن معصيته اقتداء بأمر الله تعالى بالنهي عن المنكر لا إعجابا بنفسه وازدراء لقدر غيره عند الله فامانه العالم
١١٠

ببواطن الأمور والهماز مبالغة هامز والهمز الطعن والضرب والكسر والعيب ومنه المهمز والمهماز بكسر الميم حديدة تطعن با الدابة **قيل لأعرابي** أتهمز الفارة قال السنور يهمزها واستعير للمغتاب الذي يذكر الناس بالمكروه ويظهر عيوبهم ويكسر إعراضهم كأنه يضربهم بأذاه إياهم مضربه نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم فإن النميم والنميمة السعاية وإظهار الحديث بالوشاية وهو من الكبائر إما نقل الكلام بقصد النصيحة فواجب كما قال من قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليتقلوك فاخرج إني لك من الناصحين وفي التعريفات النمام هو الذي يتحث مع القوم فينم عليهم فيكثف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو الثالث وسواء كان الكثف بالعبارة أو بالإشارة أو بغيرهما وفي الحديث : "لا يدخل الجنة نمام" ، أي : ماش بالسعاية وهي بالفارسية غمز كردن.

". (١)

"تفسير سورة الكوثر

ثلاث آيات مكية أو مدنية

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٥٢٣

﴿إنآ﴾ إن جار مجرى القسم في تأكيد الجملة ﴿أعطيناك﴾ بصيغة الماضي مع أن العطايا الأخروية وأكثر ما يكون في الدنيا لم تحصل بعد تحقيقا لوقوعها ﴿الكوثر﴾ أي الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين فوعل من الكثرة كنوفل من النفل وجوهر من الجهر **قيل لأعرابية** آب ابنها من السفر تم آب ابنك قالت آب بكوثر أي بالعدد الكثير من الخير قال في "القاموس" الكوثر الكثير من كل شيء وفي المفردات وقد يقال للرجل السخي كوثر ويقال تكوثر الشيء كثر كثرة متناهية وروى عنه عليه السلام إنه قرأها فقال : أتدرون ما الكوثر إنه نهر في الجنة وعد فيه ربي فيه خير كثير أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء لا يظمأ من شرب منه أبداف أول وارديه فقراء المهاجرين لدنسوا الثياب الشعث الرؤوس الذين لا يزوحون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد ويموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو أقسم على الله لائبره وعن ابن عباس رضيالله عنهما إنه فسر الكوثر بالخير تتلجلج في صدره لو سم على الله لأثبره وعن ابن عباس رضي الله عنهما إنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن حبيران ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وعن عائشة رضي الله عنها ، من أراد أن يسمع خرير الكوثر فليدخل أصبعيه في أذنيه وقال عطاء هو حوضه لكثرة وارديه وفي الحديث حوضي ما بين صنعاء إلى أيلة على إحدى زواياه أبو بكر وعلى الثانية عمرو وعلى الثالثة عثمان وعلى الرابعة على فمن أبغض واحدا منهم لم يسقه الآخر فيكون الحوض في المحشر والأظهر إن جميع نعم الله داخلة في الكوثر ظاهرة أو باطنة فمن الاهرة خيرات الدنيا والآخرة ومن الباطنة العلوم اللدنية الحاصلة بالفيض الإلهي بغير اكتساب بواسطة القوى الظاهرة والباطنة.

صاحب تأويلات فرموده كه كوثر معرفت كثرتست بوحدت وشهود وحدت درعين كثرت واين نهريست دربستان معرفت هركه ازو سيراب شدا بد ازتشكى جهالت ايمن است وأين معنى خاصه حضرت رسالت عليه السلام وكمل أولياء أمت

---

(١) تفسير روح البيان ـ ، ١٠/٨٤

أو ﴿فصل لربك وانحر﴾ أي وانحر له فحذف اكتفاء بما قبله والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إعطاءه تعالى إياه عليه السلام ما ذكر من العطية التي لم يعطها ولن يعطها أحدا من العاين مستوجب للمأمور به أي استيجاب والنحر في للبة كالذبح في الحلق

٥٢٤

وامعنى فدم على الصلاة لربك الذي أفاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا تضاهيها نعمة خالصا لوجهه كما دل عليه اللام الاختصاصية خلافا للسهين عنها المرآئين فيها أداء لحقوق شكرها فإن الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر وهي ثلاثة لشكر بالقلب وهو أن يعلم أن تلك النعم منه لا من عيره والشكر باللسان وهو أن يمدح المنعم ويثنى عليه والشكر بالجوارح وهو أن يخدمه ويتواضع له والصلاة جامعة لهذه الأقسام وانحر البدن التي هي خيار أموال العرب باسمه تعالى يعني وشتر قربان كن براي وي.

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٥٢٤

وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيدو النحر بالتضحية وهذا يناسب كون السورة مدنية وعن عطية هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى مصطفى را لعيه السلام رسيدندكه اكر كسى درويش بود وطاقت قربان ندارد كونه كند تا ثواب قربان اورا حاصل شود كفت هار ركعت نمازكند درهر ركعتي يكابر الحمد خواند ويزاده بارانا أعطيناك الكوثر الله تعالى أورا ثواب شصت قربان در ديوان وى ثبت كند كما في "كشف الأسرار" وعن علي رضي الله عنه النحر ههنا وضع اليدين في الصلاة على النحر وعن سليمان التيمي أرفع يديك بالدعاء إلى نحرك.

وفي التأويلات النجمية : ونحر بدن أنانيتك وأنيتك بوضع يدك اليمنى الروحانية على يدك اليسرى الجسمانية على نحرك المشروح بسيف نص ألم نشرح لك صدرك ﴿إن شانئك﴾ يقال شنأه كمنعه وسمعه شنأ أبغضه أي مبغضك ﴿هو﴾ للفصل ﴿الابتر﴾ لبغضه لك لأن نسبة أمر إلى المشتق تفيد علية المأخذ والبغض ضد الحب والبتر يستعمل في قطع الذنب ثم أجرى قطع العقب مجراه فقيل فلان أبرت إذا لم يكن له عقب يخلفه والمعنى هو الذي لا عقب له حيث لا يبقى له نسل ولا حسن ذكر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيامة.

آثار اقتدار توتا حشر متصل

خصم سياه روى توبى حاصل وخجل." (١)

" اللازمة لها بيان لإحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان إحاطته بأعمالهم التي يظهرونها وجوز أن يراد بذات الصدور نفسها وحقيقتها على الإحاطة بما فيها تعلم بالأولى

آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه أي حعلكم سبحانه خلفاء عنه عز و جل في التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة عبر جل شأنه عما بأيديهم من الأموال بذلك تحقيقا للحق وترغيبا في الإنفاق فإن من علم أنها الله

---

(١) تفسير روح البيان ـ ، ١٠/٤٠٥

تعالى وإنما هو بمنزلة الوكيل يصرفها إلى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الأنفاق أو جعلكم خلفاء عمن كان قبلكم فيما كان بأيديهم فانتقل لكم وفيه أيضا ترغيب في الإنفاق وتسهيل له لأن من علم أنه لم يبق لمن قبله وانتقل إليه أنه لا يدوم لغيره فيسهل إخراجه ويرغب في كسب الأجر بإنفاقه ويكفيك قول الناس فيما ملكته لقد كان هذا مرة لفلان وفي الحديث يقول ابن آدم : ما لي ما لي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت والمعنى الأول هو المناسب لقوله تعالى : له ملك السماوات والأرض وعليه ما حكى أنه **قيل لأعرابي** : لمن هذه الإبل فقال : هي لله تعالى عندي ويميل إليه قول القائل : وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوما أن ترد الودائع والآية على ما روي عن الضحاك نزلت في تبوك فلا تغفل فالذين آمنوا منكم وأنفقوا حسبما أمروا به لهم بسبب ذلك أجر كبير

٧

– وعد فيه من المبالغات ما لا يخفى حيث جعل الجملة إسمية وكان الظاهر أن تكون فعلية في جواب الأمر بأن يقال مثلا آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا تعطوا أجرا كبيرا وأعيد ذكر الإيمان والأنفاق دون أن يقال فمن يفعل ذلك فله أجر كبير وعدل عن فللذين آمنوا منكم وأنفقوا أجر إلى ما في النظم الكريم وفخم الأجر بالتنكير ووصف بالكبير وقوله عز و جل : وما لكم لا تؤمنون بالله استئناف قيل : مسوق لتوبيخهم على ترك الإيمان حسبما أمروا به بإنكار أن يكون لهم في ذلك عذر ما في الجملة على أن لا تؤمنون حال من ضمير لكم والعامل ما فيه من معنى الأستقرار أي أي شيء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الإنكار والنفي إلى السبب فقط مع تحقق المسبب وهو مضمون الجملة الحالية أعني عدم الإيمان فأي لإنكار سبب الواقع ونفيه فقط ونظيره قوله تعالى : ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد يتوجه الإنكار والنفي مثل هذا التركيب لسبب الوقوع فيسريان إلى المسبب أيضا كما في قوله تعالى : وما لي لا أعبد الخ ولا يمكن إجراء ذلك هنا لتحقق عدم الإيمان وهذا المعنى مما لا غبار عليه وقوله تعالى : والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة على ما قيل : لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه ولام لتؤمنوا صلة يدعو وهو يتعدى بها وبإلى أي وأي عذر في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه وجوز أن تكون اللام تعليلية وقوله سبحانه : وقد أخذ ميثاقكم حال من فاعل يدعوكم أو من مفعوله أي وقد أخذ ميثاقكم بالإيمان من قبل كما يشعر به تخالف الفعلين مضارعا وماضيا وجوز كونه حالا معطوفة على الحال قبلها فالجملة حال بعد حال من ضمير تؤمنون والتخالف بالإسمية والفعلية يبعد ذلك في الجملة وأيا ما كان فأخذ الميثاق إشارة إلى ما كان منه تعالى من نصب الأدلة الآفاقية والأنفسية ." (١)

"﴿لا إلاه﴾ : جملة مستقلة لا موضع لها من الإعراب لقوله : ﴿له ملك السماوات والارض﴾ . لما أخبر بأنه له الملك ، أخبر عن ذاته بهذين الوصفين العظيمين اللذين بهما تمام التصرف في الملك ، وهو إيجاد ما شاء وإعدام ما شاء ، ولذلك أعقب بالقدرة التي بها الإحياء والإماتة. وجوز أن يكون خبر مبتدأ ، أي هو يحيي ويميت. وأن يكون حالا ، وذو الحال الضمير في له ، والعامل فيها العامل في الجار والمجرور. ﴿هو الاول﴾ : الذي ليس لوجوده بداية مفتتحة ، ﴿والاخر﴾

---

(١) روح المعاني، ١٦٩/٢٧

: أي الدائم الذي ليس له نهاية منقضية. وقيل : الأول الذي كان قبل كل شيء ، والآخر الذي يبقى بعد هلاك كل شيء. ﴿والظاهر﴾ بالأدلة ونظر العقول في صفته ، لكونه غير مدرك بالحواس. وقال أبو بكر الوراق : الأول بالأزلية ، والآخر بالأبدية. وقيل : العالي على كل شيء ، الغالب له من ظهر عليه إذا علاه وغلبه ؛ والظهر والبطن : الذي بطن كل شيء ، أي علم باطنه. وقال الزمخشري ؛ فإن قلت : فما معنى الواو ؟ قلت : الواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية ؛ والثانية على أنه الجامع بين الظهور والخفاء ؛ وأما الوسطى فعل أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الأخريين. فهو المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية ، وهو في جميعها ظاهر وباطن. جامع الظهور بالأدلة والخفاء ، فلا يدرك بالحواس ؛ وفي هذا حجة على من جوز إدراكه في الآخرة بالحاسة. انتهى ، وفيه دسيسة الاعتزال.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢١٦

﴿يعلم ما يلج فى الارض﴾ من المطر والأموات وغير ذلك ، ﴿وما يخرج منها﴾ من النبات والمعادن وغيرها ، ﴿وما ينزل من السمآء﴾ من الملائكة والرحمة والعذاب وغيره ، ﴿وما يعرج فيها ﴾ من الملائكة وصالح الأعمال وسيئها ، ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ : أي بالعلم والقدرة. قال الثوري : المعني علمه معكم ، وهذه آية أجمعت الأمة على هذا التأويل فيها ، وأنها لا تحمل على ظاهرها من المعية بالذات ، وهي حجة على من منع التأويل في غيرها مما يجري مجراها من استحالة الحمل على ظاهرها. وقال بعض العلماء : فيمن يمتنع من تأويل ما لا يمكن حمله على ظاهره ، وقد تأول هذه الآية ، وتأول الحجر الأسود يمين الله في الأرض ، لو اتسع عقله لتأول غير هذا مما هو في معناه. وقرأ الجمهور ؛ ﴿ترجع﴾ ، مبنيا للمفعول ؛ والحسن وابن أبي إسحاق والأعرج : مبنيا للفاعل ؛ والأمور عام في جميع الموجودات ، أعراضها وجواهرها. وتقدم شرح ما قبل هذا وما بعده ، فأغنى عن إعادته.

﴿ءامنوا بالله ورسولها وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيها فالذين ءامنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير * وما لكم لا تؤمنون باللها والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين * هو الذى ينزل على عبدها ءاياتا بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النورا وإن الله بكم لرءوف رحيم * وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السماوات والارضا لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتلا أوالئاك أعظم درجة من الذين أنفقوا منا بعد وقاتلوا ا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير﴾ .

لما ذكر تعالى تسبيح العالم له ، وما احتوى عليه من الملك ، والتصرف ، وما وصف به نفسه من الصفات العلا ، وختمها بالعالم بخفيات الصدور ، أمر تعالى عباده المؤمنين بالثبات على الإيمان وإدامته ، والنفقة في سبيل الله تعالى. قال الضحاك : نزلت في غزوة تبوك. ﴿مستخلفين فيه﴾ : أي ليست لكم بالحقيقة ، وإنما انتقلت إليكم من غيركم. وكما وصلت إليكم تتركونها لغيركم ، وفيه تزهيد فيما بيد الناس ، إذ مصيره إلى غيره ، وليس له منه إلا ما جاء في الحديث : "يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت". **وقيل لأعرابي** : لمن هذه الإبل ؟ فقال : هي لله تعالى عندي. أو يكون المعنى : إنه تعالى أنشأ هذه الأموال ، فمتعكم بها وجعلكم خلفاء في

التصرف فيها ، فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء ، فأنفقوا منها في حقوق الله تعالى.
جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢١٦
". (١)

"وقال ابن عباس : الكوثر : الخير الكثير. وقيل لابن جبير : إن ناسا يقولون : هو نهر في الجنة ، فقال : هو من الخير الكثير. وقال الحسن : الكوثر : القرآن. وقال أبو بكر بن عباس ويمان بن وثاب : كثرة الأصحاب والأتباع. وقال هلال بن يساف : هو التوحيد. وقال جعفر الصادق : نور قلبه دله على الله تعالى وقطعه عما سواه. وقال عكرمة : النبوة. وقال الحسن بن الفضل : تيسير القرآن وتخفيف الشرائع. وقال ابن كيسان : الإيثار. وينبغي حمل هذه الأقوال على التمثيل ، لا أن الكوثر منحصر في واحد منها. والكوثر فوعل من الكثرة ، وهو المفرط
٥١٩
الكثرة. **قيل لأعرابية** رجع ابنها من السفر : بم آب ابنك ؟ قالت : آب بكوثر. وقال الشاعر :
وأنت كثير يا ابن مروان طيبوكان أبوك ابن العقائل كوثرا
﴿فصل لربك وانحر﴾ : الظاهر أن فصل أمر بالصلاة يدخل فيها المكتوبات والنوافل. والنحر : نحر الهدى والنسك والضحايا ، قاله الجمهور ؛ ولم يكن في ذلك الوقت جهاد فأمر بهذين. قال أنس : كان ينحر يوم الأضحى قبل الصلاة ، فأمر أن يصلي وينحر ، وقاله قتادة. وقال ابن جبير : نزلت وقت صلح الحديبية. قيل له : صل وانحر الهدى ، فعلى هذا الآية من المدني. وفي قوله : ﴿لربك﴾ ، تنذير بالكفار حيث كانت صلاتهم مكاء وتصدية ، ونحرهم للأصنام. وعن علي ، رضي الله تعالىعنه : صل لربك وضع يمينك على شمالك عند نحرك في الصلاة. وقيل : ارفع يديك في استفتاح صلاتك عند نحرك. وعن عطية وعكرمة : هي صلاة الفجر بجمع ، والنحر بمنى. وقال الضحاك : استو بين السجدتين جالسا حتى يبد ونحرك. وقال أبو الأحوص : استقبل القبلة بنحرك.
﴿إن شانئك﴾ : أي مبغضك ، تقدم أنه العاصي بن وائل. وقيل : أبو جهل. وقال ابن عباس : لما مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج أبو جهل إلى أصحابه فقال : بتر محمد ، فأنزل الله تعالى : ﴿إن شانئك هو الابتر﴾ . وقال شمر بن عطية : هو عقبة بن أبي معيط. وقال قتادة : الأبتر هنا يراد به الحقير الذليل. وقرأ الجمهور : ﴿شانئك﴾ بالألف ؛ وابن عباس : شينك بغير ألف. فقيل : مقصور من شاني ، كما قالوا : برر وبر في بارر وبار. ويجوز أن يكون بناء على فعل ، وهو مضاف للمفعول إن كان بمعنى الحال أو الاستقبال ؛ وإن كان بمعنى الماضي فتكون إضافته لا من نصب على مذهب البصريين. وقد قالوا : حذر أمورا ومزقون عرضي ، فلا يستوحش من كونه مضافا للمفعول ، وهو مبتدأ ، والأحسن الأعرف في المعنى أن يكون فصلا ، أي هو المنفرد بالبتر المخصوص به ، لا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجميع المؤمنين أولاده ، وذكره مرفوع على المنائر والمنابر ، ومسرود على لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر. يبدأ بذكر الله تعالى ويثني بذكره صلى الله عليه وسلم ، وله في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف صلى الله عليه وسلم وعلى آله

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١٦٤/٨

وشرف وكرم.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٥١٨

سورة الكافرون

مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٥١٩

٥٢٠

﴿قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون مآ أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون مآ أعبد * لكم دينكم ولى دين﴾ .

هذه مكية في قول الجمهور. وروي عن قتادة أنها مدنية. وذكروا من أسباب نزولها أنهم قالوا له عليه الصلاة والسلام : دع ما أنت فيه ونحن نمولك ونزوجك من شئت من كرائمنا ، ونملكك علينا ؛ وإن لم تفعل هذا فلتعبد آلهتنا ونحن نعبد إلهك حتى نشترك ، فحيث كان الخير نلناه جميعا. ولما كان أكثر شانئه قريشا ، وطلبوا منه أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة ، أنزل الله تعالى هذه السورة تبريا منهم وإخبارا لا شك فيه أن ذلك لا يكون. وفي قوله : ﴿قل﴾ دليل على أنه مأمور بذلك من عند الله ، وخطابه لهم بيا أيها الكافرون في ناديهم ، ومكان بسطة أيديهم مع ما في الوصف من الأرذال بهم دليل على أنه محروس من عند الله تعالى لا يبالي بهم. والكافرون ناس مخصوصون ، وهم الذين قالوا له تلك المقالة : الوليد بن المغيرة ، والعاصي بن وائل ، والأسود بن المطلب ، وأمية وأبي ابنا خلف ، وأبو جهل ، وابنا الحجاج ونظراؤهم ممن لم يسلم ، ووافى على الكفر تصديقا للإخبار في قوله : ﴿ولا أنتم عابدون مآ أعبد﴾ . وللمفسرين في هذه الجمل أقوال : أحدها : أنها للتوكيد. فقوله : ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ توكيدا لقوله : ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ ، وقوله : ﴿ولا أنتم عابدون مآ أعبد﴾ ثانيا تأكيد لقوله : ﴿ولا أنتم عابدون مآ أعبد﴾ أولا. والتوكيد في لسان العرب كثير جدا ، وحكوا من ذلك نظما ونثرا ما لا يكاد يحصر. وفائدة هذا التوكيد قطع أطماع الكفار ، وتحقيق الأخبار بموافاتهم على الكفر ، وأنهم لا يسلمون أبدا.." (١)

"والملك سبب الاختصاص والدليل عليه أنه لما قال سليمان هب لى ملكا فقال هاذا عطاؤنا فامنن أو أمسك ولهذا السبب من حمل الكوثر على الحوض قال الأمة تكون أضيافا له أما الإيتاء فإنه لا يفيد الملك فلهذا قال في القرآن ءاتيناك فإنه لا يجوز للنبي أن يكتم شيئا منه الثاني أن الشركة في القرآن شركة في العلوم ولا عيب فيها أما الشركة في النهر فهي شركة في الأعيان وهي عيب الوجه الثاني في بيان أن الإعطاء أليق بهذا المقام من الإيتاء هو أن الإعطاء يستعمل في القليل والكثير قال الله تعالى وأعطى قليلا وأكدى أما الإيتا فلا يستعمل إلا في الشيء العظيم قال الله تعالى وآتاه الله الملك ولقد ءاتينا داوود منا فضلا والأتي السيل المنصب إذا ثبت هذا فقوله إنا أعطيناك الكوثر يفيد تعظيم حال محمد (صلى الله عليه وسلم

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣٩٠/٨

) من وجوه أحدها يعني هذا الحوض كالشيء القليل الحقير بالنسبة إلى ما هو مدخر لك من الدرجات العالية والمراتب الشريفة فهو يتضمن البشارة بأشياء هي أعظم من هذا المذكور وثانيها أن الكوثر إشارة إلى الماء كأنه تعالى يقول الماء في الدنيا دون الطعام فإذا كان نعيم الماء كوثرا فكيف سائر النعيم وثالثها أن نعيم الماء إعطاء ونعيم الجنة إيتاء ورابعها كأنه تعالى يقول هذا الذي أعطيتك وإن كان كوثرا لكنه في حقك إعطاء لا إيتاء لأنه دون حقك وفي العادة أن المهدي إذا كان عظيما فالهدية وإن كانت عظيمة إلا أنه يقال إنها حقيرة أي هي حقيرة بالنسبة إلى عظمة المهدي له فكذا ههنا وخامسها أن نقول إنما قال فيما أعطاه من الكوثر أعطيناك لأنه دنيا والقرآن إيتاء لأنه دين وسادسها كأنه يقول جميع ما نلت مني عطية وإن كانت كوثرا إلا أن الأعظم من ذلك الكوثر أن تبقى مظفرا وخصمك أبتر فإنا أعطيناك بالتقدمة هذا الكوثر أما الذكر الباقي والظفر على العدو فلا يحسن إعطاؤه إلا بعد التقدمة بطاعة تحصل منك فصل لربك وانحر أي فاعبد لي وسل الظفر بعد العبادة فإني أوجبت على كرمي أن بعد كل فريضة دعوة مستجابة كذا روى في الحديث المسند فحينئذ أستجيب فيصير خصمك أبتر وهو الإيتاء فهذا ما يخطر بالبال في تفسير قوله تعالى إنا أعطيناك أما الكوثر فهو في اللغة فوعل من الكثرة وهو المفرط في الكثرة **قيل لأعرابية** رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر أي بالعدد الكثير ويقال للرجل الكثير العطاء كوثر قال الكميت

وأنت كثير يا ابن مروان طيب

وكان أبوك ابن الفضائل كوثرا ويقال للغبار إذا سطع وكثر كوثر هذا معنى الكوثر في اللغة واختلف المفسرون فيه على وجوه الأول وهو المشهور والمستفيض عند السلف والخلف أنه نهر في الجنة روى أنس عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال (رأيت نهرا في الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فضربت بيدي إلى مجرى الماء فإذا أنا بمسك أذفر فقلت ما هذا قيل الكوثر الذي أعطاك الله) وفي رواية أنس (أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور خضر لها أعناق كأعناق البخت من أكل من ذلك الطير وشرب من ذلك الماء فاز بالرضوان) ولعله إنما سمي ذلك النهر كوثرا إما إنه أكثر أنهار الجنة ماء وخيرا أو لأنه انفجر منه أنهار الجنة كما روى أنه ما في الجنة بستان إلا وفيه من الكوثر نهر جار أو لكثر الذين يشربون منها أو لكثرة ما فيها من المنافع على ما قال عليه السلام (إنه نهر وعدنيه ربي فيه خير كثير) القول الثاني أنه حوض والأخبار فيه مشهورة ووجه التوفيق بين هذا القول والقول الأول أن يقال لعل النهر ينصب في الحوض أو لعل الأنهار إنما تسيل من ذلك." (١)

"" صفحة رقم ٨١١ "

وعن ابن مسعود : ما يتعاور في العادة من الفأس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها . وعن عائشة الماء والنار والملح ؛ وقد يكون منع هذه الأشياء محظورا في الشريعة إذا استعيرت عن اضطرار ، وقبيحا في المروءة في غير حال الضرورة .

عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

(١٣٤٨) (من قرأ سورة أرأيت غفر الله له إن كان للزكاة مؤديا) .

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ، ٣٢/١١٦

(سورة الكوثر)

مكية ، وآياتها ثلاث (نزلت بعد العاديات)

بسم الله الرحمن الرحيم

) إنآ أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الا بتر (

الكوثر : (١) إنا أعطيناك الكوثر

(١٣٤٩)في قراءة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إنا أنطيناك) بالنون . وفي حديثه (صلى الله عليه وسلم) : (١٣٥٠) (وانطوا الثبجة) والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة . **وقيل لأعرابية** رجع ابنها من السفر : بم آب ابنك ؟ قالت : آب بكوثر . وقال :

وأنت كثير يا ابن مروان طيب

وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

وقيل : (الكوثر) نهر في الجنة . وعن النبي (صلى الله عليه وسلم)." [١]

" ١٤٥ - إنك خير من تفاريق العصا

قالوا : هذا من قول غنية الأعرابية لابنها وكان عارما كثير التلفت إلى الناس مع ضعف أسر ودقة عظم فواثب يوما فتى فقطع الفتى أنفه فأخذت غنية دية أنفه فحسنت حالها بعد فقر مدقع ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذت ديتها فزادت حسن حال ثم واثب آخر فقطع شفته فأخذت الدية فلما رأت ما صار عندها من الإبل والغنم والمتاع وذلك من كسب جوارح ابنها حسن رأيها فيه وذكرته في أرجوزتها فقالت :

أحلف بالمروة حقا والصفا ... أنك خير من تفاريق العصا

قيل لأعرابي : ما تفاريق العصا ؟ قال : العصا تقطع ساجورا والسواجير تكون للكلاب وللأسرى من الناس ثم تقطع عصا الساجور فتصير أوتادا ويفرق الوتد فتصير كل قطعة شظاظا فإن جعل لرأس الشظاظ كالفلكة صار للبختي مهارا وهو العود الذي يدخل في أنف البختي وإذا فرق المهار جاءت منه تواد وهي الخشبة التي تشد على خلف الناقة إذا صرت هذا إذا كانت عصا فإذا كانت قناة فكل شق منها قوس بندق فإذا فرقت الشقة صارت سهاما فإن فرقت السهام صارت حظاء فإن فرقت الحظاء صارت مغازل فإن فرقت المغازل شعب به الشعاب أقداحه المصدوعة وقصاعه المشقوقة على أنه لا يجد لها أصلح منها وأليق بها

يضرب فيمن نفعه أعم من نفع غيره ." [٢]

" ٥٨٨ - أبرد من جربياء

---

(١) تفسير الكشاف. ، ٤/٨١١

(٢) مجمع الأمثال، ٣٧/١

الجربياء : اسم للشمال وقيل لأعرابي : ما أشد البرد ؟ فقال : ريح جربياء في ظل عماء غب سماء . قيل : فما أطيب المياه ؟ قال : نطفة زرقاء من سحابة غراء في صفاة زلاء . ويروى " بلاء " أي مستوية ملساء ." (١)

" ٢٠٩٧ – صدرك أوسع لسرك

يضرب في الحث على كتمان السر

يقال : من طلب لسره موضعا فقد أفشاه وقيل لأعرابي : كيف كتمانك للسر ؟ قال : أنا لحده ." (٢)

" ٣٦٠٧ – لا آتيك مادام السعدان مستلقيا

قيل لأعرابي كره البادية : هل لك في البادية ؟ قال : أما دام السعدان مستلقيا فلا قالوا : وكذا ينبت السعدان ."
(٣)

" ٤٠٦٨ – من يمدح العروس إلا أهلها ؟

يضرب في اعتقاد الأقارب بعضهم ببعض وعجبهم بأنفسهم

قيل لأعرابي : ما أكثر ما تمدح نفسك قال : فإلى من أكل مدحها ؟ وهل يمدح العروس إلا أهلها ؟ ." (٤)

"فتى كان عذب الروح لا من خصاصة ... ولكن كبراً أن يقال به كبر!

ونظر أفلاطون إلى رجل جاهل معجب بنفسه فقال: وددت أني مثلك في ظنك وأن أعدائي مثلك في الحقيقة. وقالت الحكماء: وقد يدوم الملك مع معظم النقائص، فرب فقير ساد قومه ورب أحمق ساد قبيلته. منهم الأقرع بن حابس الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: ذلك الأحمق المطاع وقالوا: لا يدوم الملك مع الكبر، وحسبك من رذيلة تسلب السيادة. وأعظم من ذلك أن الله تعالى حرم الجنة على المتكبرين، فقال سبحانه وتعالى: " تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً " ، فقرن الكبر بالفساد فمنعنا من دخول الجنة. وقال عز وجل: " سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق " .

وقال بعض الحكماء: ما رأيت متكبراً إلا تحول داؤه في عيني أني أتكبر عليه. واعلم أن الكبر يوجب المقت، ومن مقته رجاله لم يستقم حاله، ومن أبغضته بطانته كان كمن غص بالماء، ومن كرهته الحماة تطاولت إليه الأعداء. وأما الإعجاب فيحمله على الاستبداد بالرأي وترك مشاورات الرجال. ومن الصفات التي لا تقوم معها المملكة: الكذب والغدر والخبث والجور والسخف. وقال حكماء العرب والعجم: ست خصال لا تغتفر من السلطان: الكذب والخلف والحسد والجراءة والبخل والجبن، فإنه إذا كان كذاباً لم يوثق بوعده ولا بوعيده، فلم يرج خيره ولم يخف شره، ولا بهاء لسلطان لا يرهب. وقالت الحكماء: خراب البلاد وفساد العباد مقرونان بإبطال الوعد والوعيد من الملوك.

والكذب أسقط الأخلاق وأغلب شيء على صاحبه، وأحرى أن لا ينزع عنه لضراوته. وقيل لأعرابي: لم لا تكذب؟ قال:

---

(١) مجمع الأمثال، ١/١١٧

(٢) مجمع الأمثال، ١/٣٩٦

(٣) مجمع الأمثال، ٢/٢٣٣

(٤) مجمع الأمثال، ٢/٣١١

لو تعززت به ما تركته وهو نوع من الفحش وضرب من الدناءة، وأصله استعذاب المنا وهو أضغاث فكر الحمقى. ومن بليته أنه يحمل على صاحبه ذنب غيره، وإذا سمعت كذبة طائحة نسبت إليه. وقال الشاعر:

حسب الكذوب من المها ... نة بعض ما يحكى عليه

فإذا سمعت بكذبة ... من غيره نسبت إليه

وقال غيره:

لا يكذب المرء إلا من مهانته ... أو عادة السوء أو من قلة الأدب

لبعض جيفة كلب خير رائحة ... من كذبة المرء في جد وفي لعب

ولآخر:

لي حيلة فيمن ينم ... وليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقول ... فحيلتي فيه قليلة

ومما روي أن قيصر ملك الروم كتب إلى كسرى أنوشروان في آخر كتاب: أخبرني بم دام لك الملك؟ فأجابه: دام الملك بست خصال: ما هزلنا في أمر ولا نهي، وما كذبنا في وعد ولا وعيد، وما قابلنا إلا على قدر الذنب لا على قدر غضبنا، واستخدمنا ذوي العقول، وولينا ذوي الأصول، وفضلنا على الشباب الكهول. فلما قرأها قيصر قام وقعد ثلاث مرات وقال: يحق لمن كانت هذه سياسته أن تدوم له رياسته. وقال الله تعالى: " إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله " النحل: ١٠٥.

وأما الحسد فإنه إذا كان حسوداً لم يشرف أحداً، وإذا ضاعت الأشراف هلكت الأتباع ولا تصلح الناس إلا على أشرافهم. وقال الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

وأما البخل فإذا كان بخيلاً لم يناصحه أحد ولا تصلح الولاية إلا بالمناصحة، وليس للملك أن يبخل لأن بيوت الأموال في يديه. وأما الجبن فإنه إذا كان جباناً اجترأ عليه عدوه وضاعت ثغوره، وإذا كان جريئاً غضوباً والقدرة من ورائه هلكت الرعية. وليس للملك أن يغضب لأن القدرة من وراء حاجته. ولما دخل أسقف نجران على مصعب بن الزبير فكلمه بشيء أغضبه، ضرب وجهه بالقضيب فأدماه، فقال الأسقف: إن شاء الأمير أخبرته بما أنزل الله تعالى على عيسى عليه السلام فلا يغضب بعدها. قال: هات! قال: لا ينبغي للإمام أن يكون سفيهاً ومنه يلتمس الحلم، ولا جائراً ومنه يلتمس العدل. وقال الأوزاعي:." (١)

"وقال أبن الساعاتي:

حددت بجفنيها على رشف ريقها ... ومن شرب الصهباء يلزم بالحدِّ

وقال شرف الدين الحموي:

---

(١) سراج الملوك، ص/٤٥

ونحن معاشرٌ نأبى الدنيا ... ونلبس من صوان العرض بردا

نعانق من رماح الخط باناً ... وننشق من سيوف الهند وردا

وقال المتلمس:

إنَّ الهمان حمار الذل يألفه ... والحر ينكره والفيل والأسدُ

ولا يقيم بدار الذل يألفها ... إلاّ الأذلان: عير الحي والوتدُ

هذا على الخسف مربوطٌ برمته ... وذا يشج فلا يرثي له أحدُ

وقال أبن قلاقس:

إنَّ مقام المرء في بيته ... مثل مقام الميت في لحده

فواصل الرحلة نحو الغنى ... فالسيف لا يقطع في غمده

والنار لا يحرق مشبوبها ... إلاّ إذا ما طار عن زنده

غيره:

قد تعففت وارتضيت بترفيع ... زماني وقلت إني وحدي

لا لأني أنفت مع ذا من الكد ... ية أين الكرام حتى أكدي

وقال أبو دلف:

أطيب الطيبات قتل الأعادي ... واختيالي على متون الجيادِ

ورسولٌ يأتي بوعد حبيبٍ ... وحبيبٌ يأتي بلا ميعادِ

و سببه أنه قد قيل لأعرابي: ما أمتع لذات الدنيا؟ فقال: بيضاء رعبوبة بالشحم مكروبة بالمسك مشبوبة. وسئل الأعشى فقال: صهباء صافية يمزجها ساقية من صوب غادية. وسئل طرفة عن ذلك فقال: مركب وطي وثوبٌ بهي وطعامٌ شهي. قال بعضهم: فحدثت بذلك أبا دلف فقال: أطيب الطيبات . . البيتين وقال: وحدثت بذلك حميدا الطوسي فقال:

فلولا ثلاثٌ هن من عيشة الفتى ... وجدك لم أحفل متى قام عودي

فمنهن سبق العاذلات بشربة ... كميت متى ما تعل بالماء تزبد

وكري إذا نادى المضاف مجنباً ... كسيد الغضى نبهته المتوردِ

وتقصير يوم الدجن والدجن معجبٌ ... ببهكنةٍ تحت الطرف النعمدِ

قال: وحدثت بذلك الزبير بن عبد الله فقال: ما أدري ما أقول ولكني أقول:

فاقبل من الدهر ما أتاك به ... من قر عيناً بعيشه نفعه

قلت: والأبيات الأربعة التي أنشدها حميد ليست له وإنّما تمثل بها وهي لطرفة بن العبد من قصيدته الدالية المشهورة؛و كذا البيت الذي أنشده الزبير هو لشاعر قديم وسيأتي ذكره مع غيره في موضعه. وشيع طرفة في ذكر الثلاث جماعة من الفضلاء. فمن ذلك قول عز الدين بن هبة الله المعتزلي معارضا:

لولا ثلاث لم أخف صرعتي ... ليست كما قال فتى العبدِ

أن أنصر التوحيد والعدل في ... كل مكان باذلاً جهدي

وأن أناجي الله مستمتعاً ... بخلوة أحلى من الشهدِ

وإن أتيه الدهر كبراً على ... لئيم " بياض " الخدِّ

لذلك أهوى لا فتاة ولا ... خمراً ولا ذا ميعةٍ نهدِ

و قول الآخر:

لولا ثلاثٌ هن والله من ... أكبر آمالي في الدنيا

حجٌ لبيت الله أرجو به ... أن يقبل التوبة والسعيا

والعلم تحصيلا ونشراً لّما ... رويت أو سعت الورى ريا

وأهل ود أسأل الله أن ... يمتع بالبقيا إلى اللقيا

ما كنت أخشى الموت أني أتى ... بل لم أكن التذ بالمحيا

وقال اثير الدين:

أما إنه لولا ثلاث أحبها ... تمنيت أني لا أعد من الأحيا

فمنهن صوني النفس عن كل جاهل ... لئيم فلا أمشي إلى بابه مشيا

ومنها رجائي أن أفوز بتوبةٍ ... تكفر لي ذنباً وتنجح لي سعيا

أتترك نصاً للرسول وتقتدي ... بشخصٍ لقد بدلت بالرشد الغيا؟

و قول الصفدي:

لولا ثلاث هن أقصى المنى ... لم أهب الموت الذي يردي

تكميل ذاتي بالعلوم التي ... تنفعني أن صرت في لحدي

والعي في رد الحقوق التي ... أصاحبي نلت بها قصدي

وأن أرى الأعداء في صرعةٍ ... لقيتها في جمعهم وحدي

فبعدها اليوم الذي حم لي ... عندي استوى في القرب والبعدِ

و قولي أنا من هذا الباب:

لولا ثلاث فوائدٍ ترجى لّما ... أحببت تنفيس الحياة إلى مدا

قربٌ من المولى وعلم نافعٌ ... وأخٌ يؤازرني ويشفع لي غدا." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣٢٥ """""""

فنقضي هم النفس في غير رقبة . . . ويغرق من نخشى نميمته البحر

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/٢٦٣

وقيل : الأمل رفيق مؤنس ؛ إن لم يبلغك فقد ألهاك .

وقال مسلم بن الوليد : الطويل :

وأكثر أفعال الليالي إساءة . . . وأكثر ما تلقى الأماني كواذبا

وقال آخر : الطويل :

منى إن تكن حقا تكن أحسن المنى . . . وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا

أماني من ليلى حسان كأنما . . . سقتني بها ليلى على ظمإ بردا

وقال آخر : الطويل :

رفعت عن الدنيا المنى غير حبها . . . فلا أسأل الدنيا ولا أستزيدها

وقيل لأعرابي : ما أمتع لذات الدنيا ؟ فقال : ممازحة المحب ، ومحادثة الصديق ، وأماني تقطع بها أيامك ، وأنشد : مجزوء الخفيف :

علليني بموعد . . . وامطلي ما حييت به

ودعيني أفوز من . . . ك بنجوى تطلبه

فعسى يعثر الزما . . . ن بخطي فينتبه

كثير عزة

وكان كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الخزاعي – ويعرف بعزة ، على حدة خاطره ، وجودة شعره – أحمق الناس .

دخل عليه نفر من قريش وهو عليل يهزأون به ، قال بعضهم : فقلت له : كيف تجدك ؟ قال : بخير ، هل سمعتم الناس يقولون شيئا . فقلت : نعم ، سمعتهم يقولون : إنك الدجال . فقال : والله لئن قلت ذلك إني لأجد في عيني اليمنى ضعفا منذ أيام .

وكان رافضيا يدين بالرجعة ، ويقول بإمامة محمد بن الحنفية ، والروافض يزعمون أنه دخل في شعب باليمن في أربعين من أصحابه ، ولا بد من ظهوره ، وفي ذلك يقول : الوافر :

ألا إن الأئمة من قريش . . . ولاة الحق أربعة سواء

علي والثلاثة من بنيه . . . هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط إيمان وبر . . . وسبط غيبته كربلاء." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٩٦ """"""""

ووصف أعرابي امرأة يحبها فقال : هي زينة في الحضور ، وباب من أبواب السرور ، ولذكرها في المغيب ، والبعد من الرقيب ، أشهى إلينا من كل ولد ونسيب ، وبها عرفت فضل الحور العين ، واشتقت بها إليهن يوم الدين .

عود إلى كلام الأعراب

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ٣٢٥/١

وسئل أعرابي عن سفر أكدى فيه ، فقال : ما غنمنا إلا ما قصرنا من صلاتنا ، فأما ما أكلته منا الهواجر ، ولقيته منا الأباعر ، فأمر استخففناه ، لما أملناه .

وقال عبد قيس بن خفاف البرجمي لحاتم الطائي ، وقد وفد عليه في دماء حملها ، قام ببعضها وعجز عن بعض : إني حملت دماء عولت فيها على مالي وآمالي ، فأما مالي فقدمته ، وكنت أكبر آمالي ، فإن تحملها فكم من حق قضيت ، وهم كفيت ، وإن حال دون ذلك حائل لم أذمم يومك ، ولم آيس من غدك .

وقيل لأعرابي : لم لا تضرب في البلاد ؟ فقال : يمنعني من ذلك طفل بارك ، ولص سافك ، ثم إني لست مع ذلك واثقا بنجح طلبتي ، ولا معتقدا بقضاء حاجتي ، ولا راجيا عطف قرابتي ؛ لأني أقدم على قوم أطغاهم الشيطان ، واستمالهم السلطان ، وساعدهم الزمان ، وأسكرتهم حداثة الأسنان .

وخرج المهدي بعد هدأة من الليل يطوف بالبيت ، فسمع أعرابية من جانب المسجد تقول : قوم متظلمون ، نبت عنهم العيون ، وفدحتهم الديون ؛ وعضتهم السنون ، باد رجالهم ، وذهبت أموالهم ، وكثر عيالهم ، أبناء سبيل ، وأنضاء طريق ، وصية الله ، ووصية رسول الله ، فهل آمر بخير ، كلأه الله في سفره ، وخلفه في أهله . فأمر نصرا الخادم ، فدفع إليها خمسمائة درهم .

من إنشاء بديع الزمان

ومن إنشاء البديع في مقامات أبي الفتح الإسكندري : حدثني عيسى بن هشام قال : كنت ببغداد ، في وقت الأزاذ ؛ فخرجت إلى السوق أعتام من أنواعه ، لابتياعه ،." [1]

" ٪ (تذكرت بالريحان منك روائحا ٪ وبالراح طمعا من مقبلك العذب) ٪ | وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه : ٪ (تطيرت أيام اجتنابك أن ترى ٪ مكانك عيني لا خلا منك خاليا) ٪ ٪ (فأسكنته نورا كرياك طيبة ٪ يذكرني منك الذي لست ناسيا) ٪ | وقد أحسن وحسنه قليل . وقيل لأعرابي أية رائحة أطيب ؟ قال رائحة بدن تحبه أو ولد تربه فقال ابن الرومي ٪ (ريحه ريح طيب الأولاد ٪) ٪ وقلت : ٪ (يمر بي وفد الصبا ٪ والليل يقضي نحبه) ٪ ٪ (مر بروض زاهر ٪ در عليه عشبه) ٪ ٪ (فخلته من طيبه ٪ نشوة من أحبه) ٪ | ومن البليغ قول سحيم : ٪ (فما زال بردى طيبا من ثيابها ٪ إلى الحول حتى أنهج البرد باليا) ٥ | وأبلغ من ذلك وصفهم طيب المواضع التي وطنها الحبيب ، وأول من قال ذلك النميري : ٪ (تضوع مسكا بطن نعمان إذ مشت ٪ به زينب في نسوة خفرات) ٪ | ومن أحسنه وأرشقه قول جميل : ٪ (ألا أيها الربع الذي غير البلا ٪ عفا وخلا من بعد ما كان لا يخلو) ٪ ٪ (تداءب ريح المسك فيه وإنما ٪ به المسك إذ حرت به ذيلها جمل) ٪ | وقوله : ٪ (وأنت الذي حببت سعيا إلى بدا ٪ إلي وأوطاني بلاد سواهما) ٪ ٪ (حللت بهذي مرة ثم مرة ٪ بهذي فطاب الوادبان كلاهما) ٪

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ٢/٢٩٦

". (١)

" وإصابة التشبيهات فيها ، وقوله (غير ما راج) فإن الرواج لفظ عامي لا يستعمله الفصحاء . وقال ابن الرومي : ٪ (هام وأرغفة وضاء فخمة ٪ قد أخرجت من جاحم فوار) ٪ ٪ (كوجوه أهل الجنة ابتسمت لنا ٪ مقرونة بوجوه أهل النار) ٪ | وقال غيره في جوذابة : ٪ (وقادم من جاحم فوار ٪ مخلل الشقشق والأنوار) ٪ ٪ (ملبسا حلة جلنار ٪ يقشر جلدا منه كالنضار) ٪ ٪ (عن بدن أبيض كالخمار ٪) ٪ | ومن النادر البديع في هذا المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودي عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال كان عوانة يكثر أكل الرؤوس فقيل له إنها متخمة فقال إنها فاكهة اللحم . وأخبرنا عن محمد بن زكريا عن الأصمعي قال قيل لأعرابي كيف تأكل الرؤوس قال أفك لحييه وأبخص عينيه وأفعص أذنيه وا خديه وأرمي بالدماغ إلى من هو أحوج مني إليه فقيل له إنك لأحمق من ربع قال وما حمق ربع إنه ليجتنب العدوى ويتبع المرعى ويراوح بين الأطباء فما حمقه يا هؤلاء وقيل لأحدهم ما أحب الفاكهة إليك قال أما الرطب فاللحم وأما اليابس فالقديد . وقلت في صفة لحم : ٪ (تركت سمين اللحم يبيض بعضه ٪ ويحمر بعض خلطك الدر بالتبر) ٪ ٪ (وأعرضت عن حلواء شق فنونها ٪ فبيض إلى حمر وحمر إلى صفر) ٪ ٪ (إلى ندرة رقطاء قطع فوقها ٪ مقفعة خضراء في ورق خضر) ٪ | وحاجة الإنسان إلى الطعام إنما هي من أجل ما يأخذ الهواء من جسده فيحدث فيه خلل فإذا أكل اللحم فقد رم الجسد بما هو من جنسه فكأنه رقع الديباج بالديباج فإذا أكل غير اللحم فكأنه رقع الديباج بالكرياس ، وفي الحديث (من

". (٢)

" الإساءة ويغمض موضع التقصير فيه . وقد فسرت في كتاب صنعة الكلام مواضع الإشكال من هذه الفصول فتركت إعادتها ههنا فإذا أردتها فاطلبها في مظانها هناك تظفر ببغيتك منها إن شاء الله تعالى . وقد أحب قوم الإيجاز في بعض المواضع منهم جعفر بن يحي قال لكتابه : إن استطعتم أن يكون كلامكم مثل التوقيع فافعلوا . | وقال بعضهم في المذهب الأول إذا كان الإيجاز كافيا كان التطويل عيا وإذا كان التطويل واجبا كان التقصير عجزا . وقيل لأعرابي ما البلاغة ؟ فقال الإيجاز من غير عجز والأطناب من غير خطل . فانظر إلى كلام هذا الأعرابي فهو بليغ . (جمل من بلاغات العجم) | العجم والعرب في البلاغة سواء فمن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى ، وكان عبد الحميد الكاتب إستخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي ، ويدلك على هذا أيضا أن تراجم خطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها ، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنى وصنعة وربما كان اللفظ الفارسي في بعضها أفصح من اللفظ العربي ، من ذلك قول العرب (ولدك من دمي عقبيك) وقول الفرس (هرك نزاد نرود) واللفظ الفارسي في هذا أفصح من اللفظ العربي وأحسن ، وقولهم

(١) ديوان المعاني، ٢٦٠/١

(٢) ديوان المعاني، ٢٩٣/١

(كشند ميد) مثل قول العربي (من يسمع يخل) سواء في المعنى ، والفارسي أقل حروفا ، وقولهم (أصيد بركة خورده) وليس للعرب في معنى هذا المثل شئ ومعناه (المأمول

---

(١) ".

" ٪ (قد أشهد الليل بفتيان غرر ٪ على جياد كتماثيل الصور) ٪ ٪ (كأنما خيطوا عليها بالإبر ٪ أو سمر الفارس فيها فانسمر) ٪ | وبإسناد لنا أن محمد بن عبد الله بن طاهر أرق ذات ليلة فقال لكاتبه أنائم أنت ؟ قال لا وأيد الله الأمير ، قال ما أطيب الطعام ؟ قال طعام شهوة في أبان جوعة ، قال فما ألذ الشراب ؟ قال شربة ماء بارد تطفئ بها غليلك أو كأس تعاطي بها نديمك ، قال فما أشهى النساء ؟ قال التي تدخل إليها والها وتخرج عنها هاربا ، وقال فما أجود الخيل ؟ قال الأسوق الأعنق الذي إذا طلب لحق وإذا طلب سبق وإذا صهل أطربك وإذا بدا أعجبك . قال صدقت لله درك ، إعطه يا غلام ألف دينار ، قال أصلح الله الأمير وأين تقع مني ألفا دينار ؟ قال أو زدت نفسك ألفا قال أو ليس كذا ؟ قال لا ولكن حقق ظنه يا غلام . فأعطاه ألفي دينار . | **وقيل لأعرابي** أتعرف الجواد المبرز من الطيء المقرف قال نعم أما الجواد المبرز فهو الذي لهز لهز العير وأنف تأنيف السير إذا عدا إسلهب وإذا إنتصب اتلأب ، والبطئ المقرف هو المدلوك الحجبة القحم الأرنبة الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذي إذا قلت أمسكه قال أرسلني وإذا قلت أرسله قال أمسكني . | وقال المهدي لمطر بن دراج : أي الخيل أفضل ؟ قال الذي إذا إستقبلته قلت نافر وإذا إستدبرته قلت زاخر وإذا إستعرضته قلت زافر ، قال فأي البراذين خير ؟ قال ما طرفه أمامه وسوطه عنانه ، قال فأي البراذين شر ؟ قال الغليظ الرقبة الكثير الجلبة إذا أرسلته قال أمسكني وإذا أمسكته قال أرسلني . | ووصف رجل من العرب خيلا فقال : إنها لخليقة للجودة وآية ذلك إنها سامية العيون لاحقة البطون مصغية الآذان إفتاء الإسنان ضخام الركبات مشرفات الحجبات رحاب المناخر صلاب الحوافر وقعها تحليل ورفعها تعليل إن طلبت فاتت

---

(٢) ".

" أحمد بن إسحاق الموصلي فإنه قال : ٪ (أحب الأرض تسكنها سليمى ٪ وإن كانت بواديها الجدوب) ٪ ٪ (وما دهري بحب تراب أرض ٪ ولكن من يحل بها حبيب) ٪ | وقال ابن الرومي : ٪ (ولي وطن آليت أن لا أبيعه ٪ وألا أرى غيري له الدهر مالكا) ٪ ٪ (عهدت به شرخ الشباب ونعمة ٪ كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا) ٪ ٪ (فقد ألفته النفس حتى كأنه ٪ لها جسد لولاه غودرت هالكا) ٪ ٪ (وحبب أوطان الرجال إليهم ٪ مآرب قضاها الشباب هنالكا) ٪ ٪ (إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم ٪ عهود الصبا فيها فحنوا ذلكا) ٪ ٪ (وقد ضامني فيه اللئيم وغربي ٪ وها أنا منه معصم بحبالكا) ٪ ٪ (فإن أخطأتني من يمينك نعمة ٪ فلا تخطئنه نقمة من شمالكا) ٪ | وقلت في نحو من

---

(١) ديوان المعاني، ٨٩/٢

(٢) ديوان المعاني، ١١٧/٢

ذلك : ٪ (ثوى في حفرة العانات يمن ٪ تغلغل في المنازل والرباع) ٪ ٪ (وإن تهو البقاع فليس غروا ٪ هوى أهل البقاع هوى البقاع) ٪ | وقال ابن الرومي : ٪ (فإذا تصور في الضمير وجدته ٪ وعليه أفنان الشباب تميد) ٪ | وقيل لأعرابي كيف تصنع بالبادية إذا إشتد القيظ وإنتعل كل شئ ظله ؟ فقال وهل العيش إلا ذاك يمشي أحدنا ميلا ويرفض عرقا ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساءه ويجلس يكتال الريح فكأنه في إيوان كسرى . وذكر أعرابي بلده فقال رملة كنت جنين ركامها ورضيع غمامها . وقالت أعرابية : إذا كنت في غير أهلك فلا تنس نصيبك من الذل . وقال الشاعر في معناه ٪ (نصيبك من ذل إذا كنت خاليا ٪) ٪ وقلت : ٪ (حسبت الخير يكثر في التنائي ٪ فكان الخير أكثر في التداني) ٪

---

(١) ".

" ٪ (ولا تقل أمم شتى ولا فرق ٪ فالأرض من تربة والناس من رجل) ٪ | وقال بشار بن برد : ٪ (تخاف المنايا إذ ترحل صاحبي ٪ كأن المنايا في المقام يناسيه) ٪ | أخذه من قول الأعشى : ٪ (وكم من رد أهله لم يرم ٪) ٪ والأول أجود سبكا وأفصح لفظا . وأخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد قال قال أبو الحسن كان خالد بن عبد الله القسري يطعم الأعراب في حطمة أصابتهم في كل يوم يطعم ثلاثين ألف إنسان خبزا وسويقا وتمرا فقيل لأعرابي لو أتيت خالدا فإنه يطعم الأعراب فقال : ٪ (يقول ابن حجاج تجهز ولا تمت ٪ هزالا بحران تعاوي كلابها) ٪ ٪ (فقد خبر الركبان أن جديده ٪ تباح ورغفانا شباعا رغابها) ٪ ٪ (وماء فرات ما اشتهيت وقرية ٪ تدب دبيب النمل فيك شرابها) ٪ ٪ (فأقسم لا أبتاع رغفان خالد ٪ بأرواح نجد ما أقام ترابها) ٪ ٪ (إذا باحت بالعرمتين وصارة ٪ رياح الخزامي حين تندى رحابها) ٪ | وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا الفضل بن محمد العلاف قال لما قدم بغابتي نمير كنت كثيرا ما آتيهم فلا أعدم أن ألقي منهم الفصيح فجئت يوما إليهم في عقب مطر فإذا شاب جميل قد نهكه المرض فليس به حراك وإذا هو ينشد : ٪ (ألا ياسني برق على قلل الحمى ٪ ليهنك من برق على كريم) ٪ ٪ (لمعت إقتداء الطرف والقوم هجع ٪ فهيجت أسقاما وأنت سقيم) ٪ ٪ (فهل من معير طرف عين خلية ٪ فإنسان طرف العامري كليم) ٪ ٪ (رمى قلبه البرق اليماني رمية ٪ بذكر الحمى وهنا فبات يهيم) ٪ | قال فقلت إن فيما بك لشغلا عن الشعر قال صدقت ولكن البرق أنطقني .

---

(٢) ".

" ٪ (إن الليالي أسرعت في نفضي ٪ أخذن بعضي وتركن بعضي) ٪ ٪ (أقعدني من بعد طول نهضي ٪) ٪ | وقيل لأعرابي كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت والله كما قال الشاعر : ٪ (يا خير إني قد جعلت أشتم ٪ أرفع من ثوبي ما كنت أجر) ٪ | وحدثنا عنه عن الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن التيمي عن أبيه قال لقي بكر بن عبد الله المزني

---

(١) ديوان المعاني، ١٨٩/٢

(٢) ديوان المعاني، ١٩٢/٢

أبا تميمة الهجيمي فقال كيف أصبحت أبا تميمة ؟ فقال أصبحت بين ذنوب قد سترها الله على ما يقدر أحد أن يعيرني منها بذنب وبين محبة قد ألقاها الله في قلوب الناس لست لها بأهل وقد خفت أن أهلك بين هذين وأنا ضعيف الشكر . قال وقيل لقريبة الدبيرية كيف أصبحت ؟ فقالت : ٪ (بخير على أن النوى مطمئنة ٪ بليلى وإن العين يجري معينها) ٪ | وقيل لأعرابي كيف أصبحت ؟ قال بخير أحتسب على الله بالحسنة ولا أحتسب على نفسي بالسيئة . وقال رجل لأبي العيناء وقد كبر وضعف : كيف أصبحت ؟ فقال في الداء الذي يتمناه الناس لأعدائهم . | وحدثنا عنه عن الغلابي عن إبراهيم عن عمر عن أبي عبيدة قال قيل للنمر بن تولب كيف أصبحت يا أبا ربيعة ؟ فقال إرتحالا على البدية : ٪ (أصبحت لا يحمل بعضي بعضا ٪ أشكو العروق النابيات نبضا) ٪ ٪ (كما تشكي الأرجبي الغرضا ٪ كأنما كان شبابي قرضا) ٪ | وحدثنا عنه عن القاسم بن إسماعيل عن محمد بن سلام عن ابن داب قال قيل لمحارب بن دثار كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت كما قال الشاعر الأعشى : ٪ (أرقت وما هذا السهاد المؤرق ٪ وما بي من سقم وما بي عشق) ٪ ٪ (ولكن أراني ما أزال بحادث ٪ أغادي بما لم يمس عندي وأطرق) ٪ | وحدثنا عنه عن المقدمي عن أبي عمر بن خلاد قال قال الربيع الحاجب لأبي العتاهية كيف أصبحت فقال :

"(١) .

" ٪ (أصبحت والله في مضيق ٪ هل من دليل على الطريق) ٪ ٪ (أف لدنيا تلاعبت بي ٪ تلاعب الموج بالغريق) ٪ ٪ (أصبت فيها دريهمات ٪ فبغضتني إلى الصديق) ٪ | وحدثنا عنه عن علي بن الصباح عن بشر بن مسعود المازني قال كان لسفيان بن عيينة جار سيئ الحال فحسنت حاله فقال له سفيان كيف أصبحت وكيف حالك لقد سررت بما صرت إليه بعد غم بما كنت فيه فدعا الرجل له ومضى ، فقال له بعض جلسائه كيف تكلم هذا ؟ قال هو جار قال إنه قد صار صراطا لهؤلاء ، قال سفيان إن كان في الناس أحد طلب الدنيا من حيث يستحق فهذا . وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد المهلبي قال قدم أبو العتاهية البصرة إلى عيسى بن جعفر فأقام شهورا ثم أعتل فقال : ٪ (أصبحت بالبصرة ذاغربة ٪ أدفع من هم إلى كربه) ٪ ٪ (أطلب عتبى من حبيب نأى ٪ وليس لي عتبي ولا عتبة) ٪ | وحدثنا عنه عن المبرد قال قال الجماز لأبي العالية كيف أصبحت ؟ قال على غير ما يحب الله وغير ما أحب وغير ما يحب إبليس لأن الله تعالى يحب أن أطيعه ولاأعصيه ولست كذلك وإبليس يحب أن أعصي الله ولا أطيعه ولست كذلك وأنا أحب أن أكون على غاية الثروة والصحة ولست كذلك . | حدثنا عنه عن الحسن بن الحسين الأزرق عن العباس بن محمد عن عمرو بن الحارث عن محمد بن سلام قال قال أبو حراثة وهو من بني ربيعة بن حنظلة ليزيد بن المهلب : كيف أصبحت أصلح الله الأمير ؟ قال كما تحب يا أبا حراثة قال لو كنت كذا لكنت قائما مثلي وكنت أنا قاعدا في مقعدك وكان قميص ابني المرقوع على ابنك والتومتان اللتان في أذن ابنك على ابني . قال يزيد فالحمد لله الذي جعلك كذا وجعلني كذا ، فقال إلا أني في ضيق أنتظر سعة وأنت في سعة تنتظر ضيقا . وحدثنا عنه عن أبي العيناء عن العتبي قال قيل لأعرابي كيف

---

(١) ديوان المعاني، ٢/٢٢٦

"(١) .

"لا يملك الشدّة عزمي ولا ... يبطرني جاه ولا مال

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن حقاً على الله أن لا يرفع شيأً من هذه الدنيا إلا وضعه ولا يضع شيأً إلا رفعه كتب مفلس على خاتمه اصبر فالدهر دول راجز

وإنما الدنيا دولكراحل قيل نزلونازل قيل رحل

وقال علي رضي الله عنه ما قال الناس لشيء طوبى إلا وقد خبأ له الدهر يوم سوء وقال مطرف لا تنظروا إلى خفض عيش الملوك وطيبه ولكن انظروا إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وأنشدت لابن الأعرابي

ربّ قوم رتعوا في نعمة ... زمناً والعيش ريان غدق

سكت الدهر طويلاً عنهم ... ثم أبكاهم دماً حين نطق

ويقال لا يقوم عزاً لولاية بذل العزل ويقال العزل طلاق الرجال قال ابن المعتز

وذلّ العزل يضحك كل يوم ... وينقر في قفا الوالي المدلّ

وله

كم تائه بولاية ... وبعزله ركض البريد

سكراً لولاية طيب ... وخمارها صعب شديد

ابن زياد

لا تغبطنّ وزيراً للملوك وإن ... أحله الدهر منهم فوق رتبته

واعلم بأنّ له يوماً تمور به الأرض ... اطربا كما مارت لهيبته

هرون وهو أخو موسى وناصره ... لولا الوزارة ألم يأخذ بلحيته

ولآخر

تنح عن الوزارة لا تردها ... فكل الخير فيما لا تريد

ألست ترى وزيراً كل يوم ... يباع متاعه فيمن يزيد

ومن أعجب ما يحكى في تنقل الأحوال أن ثقل الفضل بن الربيع كان يحمل على ألف بعير ثم رؤى ثقله في زنبيل وفيه أدوية لعلته تنقل من مكان إلى مكان ورؤى ثقل الحسن بن سهل في زنبيل فيه نعلان وقميصان واصطرلاب ثم رؤى ثقله على ألف بعير قال بعضهم

هي المقادير تجري في أعنتها ... فاصبر فليس لها صبر على حال

يوماً تريش خسيس الحال ترفعه ... إلى السماك وطوراً تخفض العالي

---

(١) ديوان المعاني، ٢٢٧/٢

وتغير أبو جعفر المنصور على وزيره أبو أيوب المرزباني فقال

ألا ليتني لم ألق ما قد لقيته ... وكنت بأدنى عيشة الناس راضيا

رأيت علوّ المرء يدعو انحطاطه ... ويضحى وسيط الحال من كان ناجيا

ولهذا قيل الفقر مع الأمن خير من الغنى مع الخوف وقال بعضهم مسلياً عن العطلة

لعمرك ما طول التعطل ضائر ... ولا كل شغل فيه للمرء منفعه

إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى ... عليك سواء فاغتنم لذة الدعه

وإن ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى ... ألا ربّ ضيق في عواقبه سعه

آخر

كن بخمول النفوس قانع ... لا تطلب الذكر في المجامع

فلن يزال الفتى بخير ... ما لم تشر نحوه الأصابع

ابن مقلة يقول عندما نكب

زمان يمرّ وعيش يمر ... ودهر يكرّ بما لا يسر

وحال يذوب وهمّ ينوب ... ودنيا تناديك أن ليس حرّ

آخر

وأحسن ما استشعر المسلمو ... ن عند النوائب حلم وصبر

ولله في كلّ ما يأتني ... وأبلى به منه حمد وشكر

سمع أعرابي يقول هذا غنى لولا أنه فناء وعلا لولا أنه بلاء وبقاء لولا أنه شقاء وقيل لابن الجهم بعدما صودر ما تفكر في زوال نعمتك قال لا بد من الزوال فلان تزول وأبقى خير من أن أزول وتبقى **وقيل لأعرابي** صف لنا الدهر فقال الدهر سلوب لما وهب وهوب لما سلب كالصبي إذا لعب

الباب الثالث

في العقل

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول من هذا الباب

في مدح العقل وفضله

في مدح العقل وفضله ... وشرف مكتسبه ونبله." (١)

"ما يحكى أن أعرابياً قال عند ضجره في طلب الرزق والله لقد تقلبت بي الأسباب وقرعت جميع الأبواب واضطربت غاية الاضطراب وسافرت حتى بلغت منقطع التراب ورضيت من الغنيمة بالاياب فما رأيت الحرمان إلا فائضاً والنحج إلا

(١) غرر الخصائص الواضحة، ص/٤٢

غائضاً واعترضت أعرابية المنصور بطريق مكة بعد موت السفاح فقالت يا أمير المؤمنين قد أحسن الله إليك في الحالتين وأعظم عليك النعم في المنزلتين سلبك خليفة الله وافادك خلافة الله فاحتسب عند الله ما سلبك وأشكر له ما منحك ووقف أعرابي على قوم يسألهم فقال يا أرباب الوجوه الصباح والعقول الصحاح والصدور الفساح والنفوس السماح والألسن الفصاح والمكارم الرباح هل فيكم من يسمع كلامي فيعذرني من مقامي ووقف أعرابي بقوم فقال يا قوم أشكو إليكم زماناً كلح لي بوجهه وأناخ علي بكلكله بعد نعمة من البال وثروة من المال وغبطة من الحال اعتورتني جديداه بنبال مصائبه عن قسي نوائبه فما تركا لي ثاغية أجتدي ضرعها ولا راغية أرتجي نفعها فهل فيكم معين على صرفه أو معد على حيفه فردوا عليه ولم ينيلوه شيأً فولي عنهم وهو يقول

قد ضاع من يأمل من أمثالكم ... جوداً وليس الجود من أفعالكم

لا بارك الله لكم في مالكم ... ولا أزاح السوء عن عيالكم

فالموت خير من صلاح حالكم

ومن كلامهم في الأوصاف وصف أعرابي امرأة فقال هي السقم الذي لا برء منه والبرء الذي لا سقم معه أسهل من الماء وأبعد من السماء ووصف آخر امرأة فقال كاد الغزال يكونها لولا ما نقص منه وتم منها وقال آخر سبقنا الحي وفيهم أدوية السقام فقرأن بالحدق السلام وخرست الألسن عن الكلام وقال آخر خرجت حين انحدرت النجوم وسالت أرجلها فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر وأرسل أعرابي ولده في حاجة فرجع خائباً فسأل عن سبب خيبته فقال أتيت سوق الظما فبكت السماء وضحك البرق وقهقه الرعد فخفت الهاطلة فرجعت ووصف أعرابي مصيبة فقال إنها مصيبة تركت سود الرؤس بيضاً وبيض الوجوه سوداً وقيل لبعض الأعراب هل عندكم في البادية طبيب قال كلا إن حمر الوحش لا تحتاج إلى بيطار **وقيل لأعرابي** كيف حالك فقال أمزق ديني بالذنوب وأرقعه بالاستغفار **وقيل لأعرابي** مالك من فلان قال وجه صبيح وصدر فسيح وقلب نصيح ونسب صريح وخلق صحيح وسعي نجيح ووعد مريح

ملح من بدائع ألفاظ الكتاب الأفاضل ... الهادي حلال سحرها بحرام سحر بابل

ولنورد امام ذلك كلاماً في فضل الكتابة كافياً وللكتاب من أدواء الخمول شافياً قلت الكتاب ساسة الملك وعماده وأركان قراره وأطواده بأقلامهم تبسط الأرزاق وتقبض الآجال و بأحلامهم تصان المعاقل إذا عجز عن صونها الرجال وقالوا الكاتب مالك الملك يصرفه بقلم الانشاء حيث شاء وقالوا لو أن في الصناعات صناعة مربوبة لكانت الكتابة ربا لكل صناعة وقالوا الكتابة قطب الأدب وفلك الحكمة ولسان ناطق بالفضل وميزان يدل على رجاحة العقل وبالكتاب قامت السياسة والرياسة وإليهم ألقى تدبير الأعنة والأزمة وعليهم يعتمد في حصر الأموال وانتظام شتات الأحوال شاعر

قوم إذا أخذوا الأقلام عن غضب ... ثم استمدّوا بها ماء المنيات

نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا ... ما لا ينال بحدّ المشرفيات

آخر

قوم إذا خافوا عداوة إمرئ ... سفكوا الدما بأسنة الأقلام

ولضربة من كاتب ببنانه ... أمضى وأنفذ من رقيق حسام

قال ابن المقفع الملوك أحوج إلى الكتاب من الكتاب للملوك ومن فضل الكتابة إن صاحب السيف يزاحم صاحب القلم في قلمه ولا يزاحمه الكاتب في سيفه

فمن موجز بلاغتهم ... ومعجز صياغتهم." (١)

"قالوا توضع للمحسن إليك وإن كان عبداً حبشياً وانتصف ممن أساء إليك وإن كان حراً قرشياً وقال علي رضي الله عنه وكرم وجهه الخير بالخير والبادي أكرم والشر بالشر والبادي أظلم وقال الشعبي يعجبني الرجل إذا سيم هواناً دعته الأنفة إلى المكافأة وجزاء سيئة سيئة مثلها فبلغ كلامه الحجاج فقال لله دره أي رجل بين جنبيه وتمثل

ولا خير في عرض امرئ لا يصونه ... ولا خير في حلم امرئ ذل جانبه

وقالوا من ترك العقوبة أغرى بالذنب ولولا السيف كثر الحيف وقالوا من مال معك إلى الحيف فلا تبخلن عليه بالسيف وقالوا السفيه يخالف ولا يؤالف ويماري ولا يداري وقال أوس بن حسان

إذا المرء أولاك الهوان فأوله ... هواناً وإن كانت قريباً أواخره

فإن أنت لم تقدر على أن تهينه ... فدعه إلى اليوم الذي أنت قادره

وقارب إذا ما لم تكن لك حيلة ... وصمم إذا أيقنت إنك عاقره

وقيل لأعرابي أيسرك أن تدخل الجنة ولا تسئ إلى من أساء إليك قال لا بل يسرني إن أدرك الثار وأدخل مع فرعون النار

أبو عبادة البحتري

تذم الفتاة الرود شيمة بعلها ... إذا بات دون النار وهو ضجيعها

ويقال إنما هو مالك وسيفك فازرع بمالك من شكرك واحصد بسيفك من كفرك وقال الشاعر

قط العدى قط اليراعة وانتهز ... بظبا السيوف سوائم الأضغان

إنّ البيادق أن توسع خطها ... أخذت إليك مآخذ الفرزان

وقال المأمون الحلم يحسن بالملوك إلا في ثلاثة أشياء فادح في ملك ومتعرض بجرم ومذيع لسر وقال أعرابي لابن عباس أتخاف علي جناحاً إن ظلمني رجل فظلمته فقال له العفو أقرب للتقوى فقال ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل وقال الشاعر

إذا كان حلم المرء عون عدوّه ... عليه فإنّ الجهل أعفى وأروح

وفي الحلم صغر والعقوبة هيبة ... إذا كنت تخشى أيد من عنه تصفح

آخر

أرى اللين ضعفاً والتشجع هيبة ... ومن لا يهب يحمل على مركب وعر

وما كل حين ينفع الحلم أهله ... ولا كل حين يدفع الجهل بالصبر

---

(١) غرر الخصائص الواضحة، ص/٧٨

وقال الجاحظ من قابل الاساءة بالاحسان فقد خالف الله في تدبيره وظن أن رحمة الله دون رحمته فإنه تعالى يقول من يعمل سوأ يجز به وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره فجازي على الخير بالثواب والشر بالعقاب وقال أكثم بن صيفي من تعمد الذنب فلا ترحمه دون العقوبة فإن الأدب رفق والرفق يمن وقال أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي

من الحلم أن يستعمل الجهل دونه ... إذا اتسعت في الحلم طرق المظالم

آخر

من أكرم الناس أكرموه ... ووقروه وبجلوه

ومن يهنهم يهن عليهم ... في حر أميه يدخلوه

وقال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار كما أن من استرضى فلم يرض فإنما هو جبار وقال رجل لابن سيرين إني وقعت فيك فاجعلني في حل قال ما أحب أن أحل لك ما حرم الله عليك وقال علي كرم الله وجهه رد الحجر من حيث جاء فإن الشر لا يدفع إلا بالشر وقال الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

احتجاج من جازى السيئة بمثلها ... ممن ملك عقد الأمور وحلها

لما ولي طاهر بن عبد الله بن الحسين خراسان بعد موت أبيه استؤمر في رجلين أحدهما ضعيف والآخر عليل فوقع في أمرهما الضعيف يقوى والعليل يبرأ فإن يكونا ممن لا يؤمن شرهما فدعهما مكانهما فإن من أطلق مثلهما على الناس فهو شر منهما وشريكهما في أعمالهما واعتذر بعض بني أمية إلى السفاح فهم بالصفح عنهم فقال أبو مسلم إن الصفح مقرب إلى الله تعالى مبعد من النار إذا قصد طريقه وأصيب به أهله وأما هؤلاء الذين تضمنت قلوبهم غدراً وأورى زندهم شراً فلم تنفد ضغائنهم ولا نثيب بوائقهم فالقتل لهم أشفى والراحة منهم أولى فأمر بقتلهم فقتلوا ودخل إسمعيل الملقب بسديف على السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أدناه وأعطاه يده فقبلها فلما رأى سديف ذلك قام بين يدي السفاح وأنشده قصيدة يمدحه فيها ويحرضه على قتل من ظفر به من بني أمية جاء منها." [١]

"ومن ظرائف الهدايا التي هي من أحسن ما يسطر في الصحف ويذكر ما يروى أن يحيى بن خالد بن برمك عزم على ختان ولده فأهدى إليه وجوه الدولة كل منهم بحسب حاله وقدرته فصنع بعض المتجملين العاجزين خريطتين وملأ إحداهما ملحاً مطيباً وملا أخرى سعداً معطراً وكتب معهما رقعة فيها لو تمت الارادة لأسعفت العادة ولو ساعدت القدرة على بلوغ النعمة لتقدمت السابقين إلى خدمتك وأتعبت المجتهدين في كرامتك لكن قعدت بي القدرة عن مساواة أهل النعمة وقصرت بي الجدة عن مباهاة أهل المكنة وخشيت أن تطوى صحيفة البر وليس لي فيها ذكر فأنفذت المفتتح بيمنه وبركته وهو الملح والمختتم بطيبه ونظافته وهو السعد باسطاً يد المعذرة وصابراً على ألم التقصير متجرعاً غصص الاقتصار على اليسير والقائم بعذري في ذلك ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج والخادم

---

(١) غرر الخصائص الواضحة، ص/٢١٥

ضارع في الامتنان عليه بقبول خدمته ومعذرته والاحسان إليه بالاعراض عن جراءته والرأس اسمي ثم دخل دار يحيي ووضع الخريطتين والرقعة بين يديه فلما قرأ الرقعة أمر أن تفرغا وتملا احداهما دنانير والاخرى دراهم ومن الحكايات المستظرفة ما يحكى أن بعض القيان افتصدت فأهدى لها محبوها هدايا فكان من جملتهم من أهدى ثلاث سلال مخيطة ففتحت سلة منها فوجدتها مملوأة ماشاً وفيها رقعة مكتوب فيها ماش خير من لاش وفتحت الاخرى فإذا هي مملوأة عصافير فطاروا وفيها رقعة مكتوب فيها هذه أعتقتها لوجه الله تعالى شكراً له على سلامتك من فصدك وفتحت الاخرى فإذا هي فارغة لا شيء فيها إلا رقعة مكتوب فيها لو كان لهديناه فضحك من كان حاضراً ولم تدع القينة شيأً مما أهدى إليها إلا أعطته منه اعتذار من لم يهد شيأً

تأنق في الهدية كل قوم ... إليك غداة شربك للدواء

فلما أن هممت بها مدلاً ... لموضع حرمتي بك والاخاء

رأيت كثير ما أهدى قليلاً ... لديكم فاقتصرت على الدواء

آخر

إن أهد نفسي فهو مالكها ... ولها أصون كرائم الذحر

أو أهد مالاً فهو واهبه ... وأنا الحقيق عليه بالشكر

أو أهد شكراً فهو مرتهن ... بجميل فعلك آخر الدهر

آخر

وافق المهرجان حاشاك مني ... رفعة الحال وهي داء الكرام

فاقتصرنا على الدعاء وفيه ... عون صدق على قضاء الزمام

آخر

هديتي تقصر عن همتي ... وهمتي تفضل عن مالي

فخالص الودّ ومحض الولا ... أحق ما يهديه أمثالي

ومن واجبات شيم الأحرار ... حفظ ما أودعوه من الأسرار

وكان السر مما يجب على الاخوان أن يأخذوا أنفسهم ويروضوا به طباعهم لما فيه من الفضل وتمام الطبيعة والعقل يحكى أن رجلاً أراد صحبة انسان فسأل بعض أصدقائه عنه فأنشده

كريم يميت السرّ حتى كأنه ... إذا استنطقته عن حديثك جاهله

ويبدي لكم حباً شديداً وهيبة ... وللناس أشغال وحبك شاغله

فقال مثل هذا ينبغي أن يناط بمحبته القلوب ويطلع على خفايا السرائر والغيوب وهذان البيتان لكثير عزة من أبيات وأسر رجل إلى صديقه حديثاً فلما فرغ منه قال حفظته قال بل نسيته وقيل لعمرو بن ربيعة كيف كتمانك للسر فقال اجعله عوضاً من قلبي وشعبة من نفسي فيكون بخروجه خروجها **وقيل لأعرابي** ما بلغ من حفظك للسر قال أفرقه تحت شغاف

قلبي ثم لا أجمعه وأنساه كأنني لم أسمعه وقالوا قلوب العقلاء حصون الأسرار وقالوا صدور الأحرار قبور الأسرار شاعر

ولي سرائر في الضمير طويتها ... ينسى الضمير بانها في طيه

وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال أكتم المخبر وأحلف للمستخبر وما أحسن قول المرتضى وقد سأله الصابي كيف كتمانك للسر في محاورة جرت بينهما

لسرّ صديقي بين جنبيّ معقل ... مداه على المستبطنين طويل

إذا لحقت أذني به من لسانه ... فليس عليها للمخاض سبيل

وكتب إليه أيضاً

وللسرّ من بين جنبيّ ممكن ... خفيّ قصيّ عن مدارج أنفاسي

أضنّ به ضني بموضع حفظه ... فاحميه عن احساس غيري واحساسي." (١)

"أسرى لخالدة الخيالُ ولا أرى ... عيشاً ألذَّ من الخيال الطارق

إن البلية من تملُّ حديثه ... فانقع فؤادك من حديث الوامق

فقال: لمن هذا الشعر، فقيل: لجرير، ثم غناه:

إن الذين غدوا بلبّك غادروا ... وشلاً بعينك لا يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال: لمن هذا الشعر، فقيل لجرير، فقال الفرزدق، ما أحوجه مع عفافه إلى خشونة شعري وأحوجني مع فسوقي إلى رقة شعره.

وكان العماني الراجز مداحاً للملوك من بني أمية وبني العباس مشتهراً بالشراب وهو الذي يقول لجاريته:

قومي أنظري كيفف نبيذي يا مُلَحْ ... إن لم يكن جاد فبولي في القدح

وناولينيه وقولي قد صَلحْ

قال أبو محجن الثقفي: إذا متُّ فادفني إلى جنب كرمةٍ تروي عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفني في الفلاة فإنني ... أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

فأخذ أبو نواس هذا المعنى فقال:

خليليَّ إن متُّ لا تحفرا ... لي القبر إلاَّ بقُطْرُبّلِ

خلال المعاصرِ بين الكروم ... ولا تكثرا لي من الجندلِ

لعلي أسمع في حفرتي ... إذا عصرتْ موقع الأرجل

وأخذه بعد أبي نواس بكر بن خارجة فقال:

ادفنوني إن متُّ في أصلِ كرمٍ ... إن روحي تحيا بماءِ الكروم

---

(١) غرر الخصائص الواضحة، ص/٢٤٩

واحنطوني بتربتها ثم رشوا ... كفني من رحيقها المختوم

وادفنوني بحانةٍ عند دنٍّ ... بفِنا عسكرِ الدنان مقيم

وقال أبو الهندي:

إذا حانت وفاتي فادفنوني ... بكرم واجعلوا زقاً وسادي

وإبريقاً إلى جنبي، وطاساً ... تروي هامتي وتكون زادي

أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: مرَّ العجير السلولس بإخوانٍ له يشربون فعوه لمنادمتهم، فنزل عن ناقته وشرب، واحتاجوا إلى طعام على النبيذ فقال: هذه ناقتي فانحروها وكلوا لحمها، فنحروها وبقروا خاصرتها وأكلوا من كبدها وسنامها، وجعل العجير يتغنى:

عللاني إنما الدنيا عَلَل ... ودعاني من عتابٍ وعَذَلْ

إدرأا باللهو يوماً صالحاً ... واسقياني علَلاً بعد نَهَلْ

وانشلا ما اغبَّر من قِدرَيْكما ... واصبحاني، أبعد الله الجَمَلْ

وحكى الهيثم بن عدي قال: خرج عمارة بن الوليد، وكان أجمل فتيان قريش وأسمحهم، متنزهاً، فمرَّ بقوم يشربون فعرضوا عليه، فنزل عن ناقته فجعلوا يسقونه ولا يشربون، فقال لهم: لم لا تشربون؟ قالوا: نبيذنا قليل وقد أحببنا أن نؤثرك به، فقال لفتى منهم، يقال له غياث بن ديهب، اذهب بناقتي هذه فبِعها ولا تماكس، وابتع بثمنها شراباً، ففعل، وأنشأ عمارة يقول:

خليليَّ قد خف الشراب ولم أجد ... له سورةً في عظم رأسٍ ولا يد

خليليَّ هذي ناقتي فاشربا بها ... فلا خيرَ في الشرب القليل المصرد

ولا تبعثا إلا غياث بن ديهبِ ... إذا سيم عند البيع لم يتشددِ

وجاء الشراب فشربوا وانصرف إلى امرأته، فسألته عن ناقته فأخبرها الخبر فقالت: كلاّ ولكنهم أسكروك وخدعوك فقال:

أسَرَّك لما صُرِع القومُ نشوةً ... أن أخرج عنهم غانماً غير غارم

وحتى كأني لم أكن قبلُ فيهمُ ... وليس خداعٌ من فعال الأكارم

ولكننا شربٌ كرامٌ نديمنا ... بنا بَهِجٌ باللهو ليس بواجِمِ

وشرب مالك بن أسماء مع إخوانٍ له، ففني شرابهم ولم يحضره نقدٌ فأعطاهم مُطرفاً كان علي، فاشتروا بثمنه شراباً، فلما عاد إلى منزله لامته جاريته فقال:

يسُرُّك أن أكون، وذاك عيبٌ ... عليَّ، كمن ينال ولا يُنيلُ

ويغرم من ينادمه اغتناماً ... وذاك على أخي جودٍ ثقيلُ

أبت لي ذاك، مأثرةٌ نماها ... كريمٌ، فضلُ نائلِهِ جزيلُ

ودخل رجل على قومٍ يشربون وعندهم قينة تغنيهم فقيل له: أي صوت تشتهي أن تغني لك، وكان جائعاً فقال: لشيش

مقليٌّ.

وقيل لأعرابي: كم تشرب من النبيذ، فقال: على قدر النديم.." (١)

"ثم رجع إلى مكانه من الدهليز فبات به، فلما أصبح روحٌ خرج في الغلس للصلاة ومعه غلمانه فاختلط الفتى في جملتهم، فلما عاد روح وأسفر الصبح تأمل الكتاب وقرأه فراعه وأنكره، وقال: ما هذا، والله ما يدخل حجرتي إنسيٌّ سواي، ولاحظَّ لي بالمقام بالعراق، ثم نهض من ساعته فدخل على بشر فقال له: يا ابن أخي وصِّني بما أحببت من حجةٍ أو سببٍ عند أمير المؤمنين فقال: ولِمَ يا عم، هل سمعت شيئاً كرهته، أو رأيت أمراً أنكرته فلم يسعك المقام معه، فقال: لا والله بل جزاك الله عن نفسك وعن سلطانك خيراً، ولكن، أمرٌ حدثَ لا بدَّ من الشخوص له، فأقسم عليه أن يخبره، فقال: إن أمير المؤمنين قد مات، أو هو ميتٌ إلى أيام، فقال له بشر: ومن أين علمت ذلك؟ فأخبره بخبر الكتاب، وقال: ليس يدخل أحدٌ حجرتي غيري وغير جاريتي فلانة فمن كتب ذلك إلاَّ الجنّ أو الملائكة، فقال له بشر: أقم، فأرجو ألاَّ يكون لهذا حقيقة، فلم يثنه ذلك عن الخروج، فسار إلى الشام، وأقبل بشرٌ على الشراب واللهو والطرب، فلما وافى روحٌ عبد الملك أنكر أمره، قال: ما أقدمك، الحادثة حدثت على بشر، أم لأمر كرهته، فشكر حسن سيرته، ووصف سلامته في نفسه، وقال: بل جئتُ لأمرٍ لا يمكنني ذكره حتى تخلو، فقال عبد الملك لمن حضر: إذا شئتم، وخلا بروحٍ فأخبره بقصته، وأنشده الأبيات، فضحك عبد الملك حتى استغرب، وقال: ثقلت على بشرٍ وأصحابه حتى احتالوا لك ما رأيت فلا تُرع لذلك، ووفى بشر لنديمه بما وعده وأجزل جائزته.

وكان محمد بن يزيد المبرِّد يقول: لم أرَ في أهل زماننا من الرؤساء وأصحاب السلطان أشدَّ رغبةً في الأدب ولا في مواظبةٍ عليه ومحبة له من محمد بن عبد الله بن طاهر والفتح بن خاقان، فأما الفتح فبلغ من شهوته للأدب أنه كان يذهب من مجلس المتوكل إلى علماء المذهب فيغنم زمان تلك الخلوة اليسيرة فلا يقطع مسيره بادئاً ولا راجعاً إلا بالنظر في كتاب، فعلمت أنه لم يكن لينال تلك المنزلة في النِّدام إلا بهذه القريحة، وأما العبث والمزاح، فله من المنادم موقع لطيف وموضع خصيص إذا تبين النديم منه نشاطاً لذلك.

وقال قائل للمأمون: أيأذن أمير المؤمنين في المداعبة، فقال: وهل العيش إلا فيها.

واجتمع على مائدة أبو عيسى بن الرشيد وطاهر بن الحسين، فأخذ أبو عيسى ورقة من الهندباء فغمسها في الخل وضرب بها عين طاهر الصحيحة، فغضب طاهر وقال: يا أمير المؤمنين، إحدى عينيَّ ذاهبة والأخرى على يديْ عدل، ويُفعلُ في هذا بين يديك، فقال: يا أبا الطيب: إنه والله ليعبث معي أكثر من هذا العبث فاضحك له.

وروي عن إسحق الموصلي أنه قال: مكثت أيام الرشيد أغدو إلى هشام ووكيع فأسمع منهما وآتي إلى عاتكة بنت شهدة فتطارحني صوتين، ثم إلى زلزل فيلقي عليَّ من الضروب طريقين، ثم أوجّه إلى الأصمعي وأبي عبيدة فلا يزالان عندي إلى الظهر، ثم أروح إلى أمير المؤمنين.

وقال إبراهيم بن المدبر لمحمد بن يزيد المبرِّد: أُحبُّ أن تنظر لي جليساً يجتمع مع إيناسي ومنادمتي، فناديت ولدي فبعث

---

(١) قطب السرور في اوصاف الخمور، ص/٤٧

إليه علي بن سليمان النحوي، وكتب إليه معه هذا: أنفذت إليك أعزَّك الله فلاناً وجملة أمره كما قال الشاعر:

إذا زرتُ الملوكَ فإنَّ حسبي ... شفيعاً عندهم أن يخبروني

ومما يزيد النديم في المحل تقدماً، وعند نفسه تمكناً أن يكون عالماً.

وقيل لأعرابي: كم تشرب من النبيذ، قال: على قدر النديم، وقالوا: من شرط المنادمة قلة الخلاف، والمعاملة بالإنصاف، وترك الجواب، والمسامحة في الشراب، وإسقاط التحيَّات واجتناب اقتراح الأصوات وإدمان الرضى واطراح ما مضى وإحضار ما تيسر، وأكل ما حضر وستر العيب وحفظ الغيب. ومن صفات الندامى قول أبي عبد الرحمن العطوي:

اخطب لكاسِك ندماناً تسرُّ به ... أولا فنادم عليها حكمة الكتب

اخطبه حراً كريماً ذا محافظة ... يرى نِدامَكها من أقرب النسب

فإن لم يكن حلبَ الأيام أشطرَها ... وقومته وراضته يد الأدبِ

فقد ملأتَ به كفيك من رجل ... يرعى ذمامك رعيَ الواصل الحَدِب

وقال أيضاً: جَدِّدا مجلساً لعهد الشباب واسقياني على الهوى والتصابي

في كهولٍ إذا استدرت حمَّيا الكأس لم ينطقوا بغير الصواب." (١)

"وقال حاجب بن زُرارة لبنيه يوصيهم: إياكم والخمر فإنها مُفسدة العقول، ذهابةٌ بالطارف والتليد. وقال بعض الكُتُب، إن إبليس لقي يحيى بن زكريا عليه السلام فقال له: ألا أُعلمك أربع خصال تَتَّعِظُ بهنَّ؟ قال: بلى. قال: إياك والحسد فبه سخط الله عليَّ وأُخرجت من الملائكة، وإياك والطَّمع فبه سخط الله على أبيك آدم وأُخرج من الجنة، وإياك والنساء فإنهنَّ مصايدي، وما خلا رجل بإمرأة إلا كنت ثالثهما، وإياك والخمر فإنها حَبلي، ومن جعلت حبلي في عنقه قُدته حيث شئت.

وقيل لأعرابي: اشرب النبيذ، قال: لا أشرب ما يفني تالدي ويشغل عن معادي ويذهب عقلي ويكثر خبلي.

وقال مقيس بن صبابة حين حرَّمها في الجاهلية:

رأيت الخمر طيبةً وفيها ... خصالٌ كلها دنسٌ ذميم

فلا والله أشربها حياتي ... طوال الدهر ما طلع النجوم

وكان عبد الله بن جدعان قد سكر فجعل يساور القمر فلما أصبح وأُخبر بذلك حرمها وقال:

شربت الخمر حتى قال قومي ... ألست عن السفاه بمستفيقِ

وحتى ما أُوسدُ في منامٍ ... أنام به سوى الترب السحيق

وحتى أغلق الحانوت رهني ... وأنكرت العدوَّ من الصديق

وأنشد أبو بكر الأنباري:

تركت النبيذ لأهل النبيذ ... وأقبلت أشربُ ماءً نُقاخا

---

(١) قطب السرور في اوصاف الخمور، ص/٧٣

رأيت النبيذ يُذِلُّ العزيز ... ويكسو النقيَّ النقيَّ اتّساخا

فهبي عذرت الصبي جاهلاً ... فما العذر فيه إذا المرء شاخا

قال الهيثم بن عدي: كنا نقول بالكوفة: إنه من لم يَروِ هذه الأبيات فلا مروءة له، وهي لأيمن بن خُريم:

وحمراء جرجانيةٌ لم يطف بها ... حنيف ولم تنغر بها ساعة قِدرُ

أتاني بها يحي وقد نمت نومة ... وقد مالت الجوزاء أو جنح النسر

فقلت اغتبقها أو لغيري فاسقها ... فمالي بعد الشيب، ويبك والخمرُ

تعففت عنها في العصور التي خلت ... فكيف التصابي بعدما كلأ العمر

إذا المرءُ وفَّى الأربعين ولم يكن ... له دون ما يأتي حياءٌ ولا سترُ

فدعه ولا تنفس عليه الذي ارتأى ... وإن جرَّ أسباب الحياة له الدهرُ

؟؟؟ذكر ما جاء في الخُمار

رأيت أكثر الناس اختدعوا بالمثل الذي يضرب وهو: الخمر دواءقللخُمار، فأتبعوا السُّكر فعرضت لهم أمراض صعبة، فإن فعل ذلك قومٌ وسَلموا من الأمراض لِقوة أبدانهم وصحة أعصابهم، فإنَّ ذلك غير مخرجهم من الخطأ في فعلهم.

قال بعضهم:

داوِ الخمار بخمرة الكأس المشعشعة العُقارِ

لو خامرت عقل العُزير لزلَّ عن ظهر الحمارِ

وشرب رجلٌ عند خمَّارٍ نصراني أياماً فأصبح ميتاً فاجتمع عليه الناس وقالوا: قتلته، قال: لا والله، ما قتله إلا قوله: وداوِ بالخمر الخُمارا، واستعماله قول الشاعر:

وكأس شربت على لذةٍ ... وأُخرى تداويت منها بها

لكي يعلم الناس أني امرؤٌ ... أتيت الفتوَّة من بابها

وقال الفرس: بالخمر تُدفعُ الخمرُ، وشبَّهت المكثر منها بدود الخلِّ لا يحيا إلا فيه ولا ينتفع إلا به. قال أبو نواس:

اشرب الخمرَ العُقارا ... وانفِ بالخمر الخمارا

واسقنيها من سُلافٍ ... تدع الليل نهارا

قال الرازي: أعظم علاج الخمار النوم والحمّام، فمن أصابه عليه غثيان وتقلب، شرب اسكنجبين بالماء الفاتر، واستعمل القيء مراراً، فإن اصابه صُداع صبَّ على رأسه ماء ورد بكافور وشرب الجُلاَّب وأكل الرُّمان الحامض. ومن أصابه على الخمار بهتةٌ وبلادة استعمل التَّعب ثم دخل الحمام ليعرق، ومن أصابه طيشٌ وهذيان شرب شراباً كثير المزاج وغرَّق رأسه بدهن البنفسج وغَسَل أطرافه بالماء الفاتر وطلب النوم. ودواء الخمار العسِر البطيء الطويل شربُ اليسير من الشراب الكثير المزاج.

وبالجملة إن الشراب صرفاً في الشتاء أنفع من الممزوج، وكذلك الممزوج في الصيف أنفع من الصِّرف، غير أنه لا ينبغي أن

يتعرض له من به صُداع أو ضعفٌ في الدماغ والعصب والعين أو حدَّة في الكبد، ومن تسرع إليه الحميات؛ قال أبو نواس:." (١)

"ليس يلتامان فاختر خدمةً أو شرب راح

فرفع صاحب الخبر ذلك إلى محمد بن عبد الملك الزيات فضحك وقام من وقته إلى الواثق فعرَّفه وأنشده الأبيات فقدح ذلك في قلب الواثق فصرف إبراهيم بن رياح ونكبه وأخذ ماله وضياعه.

وقال النميري:

خلا بين ندمانيّ موضع مجلس ... ووقري بعد الشباب مشيب

ورُدَّت على الساقي تفيض وربَّما ... رددتُ إليه الكأس وهي سليبُ

وما اشتهر اللذاتِ والنشوة الفتى فكان له في المكرمات نصيبُ وعن عبد الله بن عمر، أنه قال: والذي نفسي بيده لقد أُنزل تحريم الخمر بالمدينة وما بها زبيبة واحدة.

عروة عن عائشة أنها كانت تقول: من تداوى بالخمر فلا شفاه الله. وقيل لعائشة: إن النساء يمتشطن بالخمر، فنهت عن ذلك وقالت: إنها رجس. وقال (ص): ثلاثة حرم الله عليهم الجنة؛ مدمن الخمر، وقاطع الرحم، والشيخ الزاني؛ وولى عمر (رض) النعمان بن نضلة العدوي بميسان فأراد رحيل امرأته معه، فكرهت، فلما وصل إلى ميسان أراد أن يُغيرها فترحل إليه فكتب إليها:

ألا هل أتى الحسناءَ أن حليلها ... بميسان يُسقى في زُجاج وحنتم

إذا شئتُ غنتني دهاقين قريةٍ ... وصناجة تجثو على كل مِيسمِ

فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني ... ولا تسقني بالأصغر المتثلمِ

لعل أمير المؤمنين يسوؤه ... منادمنا في الجوسقِ المتهدم

فبلغت عمر، فقال: أي وأبيك، إنه ليسوؤني، يا غلام، اكتب بعزله، فلما قدم على عمر بكتَهُ بها، فقال: يا أمير المؤمنين، ما شربتها قط، ولا قلت الأبيات إلا لسبب كذا، فقال عمر: أظنُّ ذاك، ولكن لا تعمل لي أبداً.

وقال أبو نواس:

أيها الرائحان باللوم لوما ... لا أذوق المدام إلا شميما

نالني بالملام فيه إمامٌ ... لا أرى لي خلافه مستقيما

فاصرفاها إلى سواي فإني ... لست إلا على الحديث نديما

كبر حظِّي منها إذا هي دارت ... أن أراها وأن أشم النسيما

فكأني وما أزيِّنُ منها ... قَعَديٌّ يزيّن التحكيما

كلَّ عن حمله السلاح إلى الحرب فأوصى المطيق ألا يقيما

---

(١) قطب السرور في اوصاف الخمور، ص/٩٩

وما سبقه أحد إلى هذا المعنى وزعم بعض بني نوبخت أن آخر ما سمع من أبي نواس قوله:

شعر ميت أتاك من لفظ حيٍّ ... صار بين الحياة والموت وقفاً

قد برت جسمه الحوادث حتى ... كاد عن أعين الحوادث يخفى

لو تأملتني لتثبت وجهي ... لم تَبِن من كتاب وجهي حرفا

ولكرَّرت طرف عينك في جسمٍ برته الهموم حتى تعفى

ثم التفت إلى من حوله وقال: لا تشربوا الخمر صرفاً فإنها أحرقت كبدي ومات.

وسأل رجل شريكاً عن النبيذ فقال: حلال، قال: قليله خير أم كثيره؟ قال: قليله، قال الرجل: ما رأيت خيراً إلا وكثيره خير من قليله إلا هذا.

وقيل لابن شبرمة: لِم تركت النبيذ؟ فقال: إن كان حلالاً فحظي تركت، وإن كان حراماً فبالحزم أخذتُ.

وقيل لأعرابي: ما لك لا تشرب النبيذ؟ قال: لثلاث خصال فيه: مَتلفة للمال مَذهبة للعقل مسفهة للحلم.

قال عبد الله بن إبراهيم: لو كان العقل يُشترى ما كان عِلقٌ أنفس منه، والعجبُ العجبُ لمن يشتري ذهابه بماله فيدخله رأسه فيقيء في جيبه، ويسلح في ذيله ويمسي عديماً ويصبح فضيحة.

وقال عيسى بن مريم (ع): الهوى رأس كل خطيئة، والنساء حِبالة الشيطان والخمر داعية كل سوء.

ويروى عن أُم سَلَمة أنها قالت: اشتكت ابنة لي فنبذت لها في كوز فدخل عليَّ النبيُّ (ص) وهو يغلي فقال: ما هذا؟ فقلت: ابنة لي اشتكت فنبذت لها هذا النبيذ فقال: إن الله تبارك وتعالى لم يجعل شفاءَكم حراماً.

وقال بعض العلماء: رخَّص الله للمضطر في الميتة والدم ولحم الخنزير ويم يرخِّص في الخمر لمضطر ولا غيره، وقال رجل من قريش:

ومن تقرع الكأسُ اللئيمة سِنهُ ... فلا بد يوماً أن يسيء ويجهلا

ولم أرَ مشروباً أشد سفاهةً ... وأوضع للأشراف منها وأخملا." [١]

" (أذن الشتاء بلهوه المستقبل ... فدنت أوائله بغيث مسبل)

(متكاثف الأنواء منغدق الحيا ... هطل الندى هزج الرعود بجلجل)

(جاءت بعزل الجذب فيه فبشرت ... بالخصب أنواء السماك الأعزل)

وقد ولع الناس بذكر الاعتداد لها قديما وحديثا

قيل لأعرابي ما أعددت للبرد فقال طول الرعدة وتقرفص القعدة وذوب المعدة أخذه ابن سكرة فقال

(قيل ما أعددت للبرد ... وقد جاء بشده)

(قلت دراعة عري ... تحتها جبة رعده)

واعلم أن ما تقدم من أزمان الفصول الأربعة هو المصطلح المعروف والطريق المشهور

---

(١) قطب السرور في اوصاف الخمور، ص/١١٦

وقد ذكر الآبي في كتاب الدر أن العرب قسمت السنة أربعة أجزاء فجعلوا الجزء الأول الصفرية وسموا مطره الوسمي وأوله عندهم سقوط عرقوة الدلو السفلى وآخره سقوط الهقعة وجعلوا الجزء الثاني الشتاء وأوله سقوط الهنعة وآخره سقوط الصرفة

وجعلوا الجزء الثالث الصيف وأوله سقوط العواء وآخره سقوط الشولة وجعلوا الجزء الرابع القيظ

وسموا مطره الخريف وأوله سقوط النعائم وآخره عرقوة الدلو العليا

وذكر ابن قتيبة في أدب الكاتب طريقا آخر فقال

الربيع يذهب الناس إلى أنه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه الورد والكمأة والنور ولا يعرفون الربيع غيره

والعرب تختلف في ذلك فمنهم من ." (١)

" (إذا ملأ القرطاس سود سطوره ... فتلك أسود تتقى وأساود)

(وتلك جنان تجتنى ثمراتها ... ويلقاك من أنفاسهن بوارد)

(وهن برود مالهن مناسج ... وهن عقود مالهن معاقد)

(وهن حياة للولي رضية ... وهن حتوف للعدو رواصد)

الجملة الثانية في اشتقاقه

وقد اختلف في ذلك فقيل سمي قلما لاستقامته كما سميت القداح أقلاما في قوله تعالى (إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم) قال بعض المفسرين تشاحوا في كفالتها فضربوا عليها بالقداح والقداح مما يضرب بها المثل في الاستقامة وقيل هو مأخوذ من القلام وهو شجر رخو فلما ضارعه القلم في الضعف سمي قلما وقيل سمي قلما لقلم رأسه فقد قيل إنه لا يسمى قلما حتى يبرى أما قبل ذلك فهو قصبة

كما لا يسمى الرمح رمحا إلا إذا كان عليه سنان وإلا فهو قناة ومنه قلامة الظفر وإلى ذلك يشير أبو الطيب الأزدي بقوله

(قلم قلم أظفار العدا ... وهو كالأصبع مقصوص الظفر)

(أشبه الحية حتى إنه ... كلما عمر في الأيدي قصر)

وقيل لأعرابي ما القلم ففكر ساعة وقلب يده ثم قال لا أدري فقيل له توهمه قال هو عودقلم من جوانبه كتقليم الظفر فسمي قلما

الجملة الثالثة في صفته

قال إبراهيم بن العباس لغلام بين يديه يعلمه الخط ليكن قلمك صلبا بين ." (٢)

(١) صبح الأعشى، ٤٤٢/٢

(٢) صبح الأعشى، ٤٧٩/٢

"وإنك إن أعطيت بطنك سؤله ... وفرجك نالا منتهى الذمّ أجمعا

وقال آخر:

جار الجنيد عليّ محتكماً ... جهلا ولست بموضع الظلم

أكل الهوى حججي وربّ هوى ... مما سيأكل حجّة الخصم

؟لأعرابي في الهوى قال أعرابي: " الهوى هوان، ولكن غلظ باسمه " .

؟للزبير بن عبد المطلب وللبريق الهذلي

وقال الزبير بن عبد المطّلب:

وأجتنب المقاذع حيث كانت ... وأترك ما هويت لما خشيت

وقال البريق الهذلي:

ابن لي ما ترى والمرء تأبى ... عزيمته ويغلبه هواه

فيعمى ما يرى فيه عليه ... ويحسب ما يراه لا يراه

؟قول في الأخوة

وكان يقال: " أخوك من صدقك وأتاك من جهة عقلك لا من جهة هواك؟

؟السر وكتمانه وإعلانه

للرسول صلى الله عليه وسلم في الكتمان

حدّثني أحمد بن الخليل قال: حدّثنا محمد بن الحصيب قال: حدّثني أوس بن عبد الله بن بريدة عن أخيه سهل عن بريدة قال: قال رسول الله: " استعينوا على الحرائج بالكتمان فإنّ كلّ ذي نعمة محسود " ..

للحكماء والعرب في السرّ وكانت الحكماء تقول: " سرّك من دمك والعرب تقول: " من ارتاد لسره موضعاً فقد أذاعه " .

بين ابن أبي محجن ومعاوية

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب عن عمه الأصمعيّ قال: أخبرني بعض أصحابنا قال: دخل ابن أبي محجن الثقفي على معاوية، فقال له معاوية: أبوك الذي يقول:

إذا متّ فادفنّي إلى أصل كرمة ... تروّي عظامي بعد موتي عروقهم

ولا تدفننّي في الفلاة فإنّني ... أخاف وراء الموت أن لاأذوقهم

فقال ابن أبي محجن: لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره. فقال معاوية: وما ذاك؟ قال قوله:

لا تسألي القوم ما مالي وما حسبي ... وسائلي القوم ما حزمي وما خلقي

القوم أعلم أني من سراتهم ... إذا تطيش يد الرّعديدة الفرق

أعطي السّنان غداة الرّوع حصّته ... وعامل الرّمح أرويه من العلق

قد أركب الهول مسدولاً عساكره ... وأكتم السر فيه ضربة العنق

؟؟شعر للصّلتان العبدي

وأنشدني للصّلتان العبدي:

وسرّك ما كان عند امرىء ... وسرّ الثلاثة غير الخفي ؟

الإمام عليّ رضي الله عنه وافشاء السر

وكان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يتمثّل بهذين البيتين:

ولا تفش سرّك إلّا إليك ... فإن لكلّ نصيح نصيحا

فإني رأيت غواة الرجا ... ل لا يتركون أديما صحيحا

شعر في كتمان الهوى

وقال الشاعر:

ومراقبين تكاتما بهواهما ... جعلا القلوب لما تجنّ قبورا

يتلاحظان تلاحظا فكأنّما ... يتناسخان من الجفون سطورا

وقال مسكين الدّارمي:

أواخي رجلا لست أطلع بعضهم ... على سر بعض غير أني جماعهم

يظلّون شتّى في البلاد وسرّهم ... إلى صخرة أعيا الرّجال انصداعهم

مما قيل في كتمان السر

وقال:

ولو قدرت على نسيان ما اشتملت ... مني الضّلوع من الأسرار والخبر

لكنت أوّل من ينسى سرائره ... إذ كنت من نشرهم يوماً على خطر

أسرّ رجلٌ إلى صديق له حديثاً فلما استقصاه قال له: أفهمت؟ قال: لا، بل نسيت.

قيل لأعرابي: كيف كتمانك للسر؟ قال: " ما قلبي له إلا قبر " .

وقيل لمزبد: أيّ شيء تحت حضنك؟ فقال: يا أحمق لم خبّأته. وقال الشاعر:

إذا ما ضاق صدرك عن حديث ... فأفشته الرجال فمن تلوم

إذا عاتبت من أفشى حديثي ... وسرّي عنده فأنا الظّلوم

وإني حين أسأم حمل سرّي ... وقد ضمّنته صدري سؤوم

قيل لرجل: كيف كتمانك للسر؟ قال: " أجحد المخبر وأحلف للمستخبر " .

وكان يقال: " من وهي الأمر إعلانه قبل إحكامهوقال الشاعر:

إذا أنت حمّلت الخؤون أمانة ... فإنك قد أسندتها شرّ مسند

لعمرو بن العاص

وقال عمرو بن العاص: " ما استودعت رجلاً سرّاً فأفشاه فلمته، لأني كنت أضيق صدراً حين أستودعته وقال:." [١]

"ما كان ينفعني مقال نسائهم ... وقتلت دون رجالهم: لاتبعد

وقال آخر:

أضحت تشجعني هند وقد علمت ... أن الشجاعة مقرون بهم العطب

لا والذي حجت الأنصار كعبته ... ما يشتهي الموت عندي من له أرب

للحرب قوم أضل الله سعيهم ... إذا دعتهم إلى حوبائهم وثبوا

ولست منهم ولا أبغي فعالهم ... لا القتل يعجبني منهم ولا السّلب

وقال أيمن بن خريم:

إن للفتنة ميطا بينا ... فرويد الميط منهم يعتدل

فإذا كان عطاء فأتهم ... وإذا كان قتال فاعتزل

إنما يسعرهم جهم لهم ... حطب النار فدعهم تشتعل

وقال آخر:

كملقي الأعنة من كفّه ... وقاد الجياد بأذنابهم

لجران العود في الدهش

وقال جران العود في الدهش:

يوم ارتحلت برحلي قبل تودعتي ... والقلب مستوهلٌ بالبين مشغول

ثم اعتضضت على نضوي لأدفعه ... إثر الحمول الغوادى وهو معقول

مثله لخالد بن عبد الله

كان خالد بن عبد الله من الجبناء خرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيريّة " من الرافضة " وهو من بجيلة فقال من الدهش: أطعموني ماء. فذكّره بعضهم فقال:

عاد الظلوم ظليما حين جدّ به ... واستطعم الماء لما جدّ في الهرب

لعبيد الله بن زياد في الدهش

وقال عبيد الله بن زياد إما للكنة فيه أو لجبن أو دهشة: افتحوا سيوفكم.

شعر لابن مفرّغ الحميري

وقال ابن مفرّغ الحميري:

ويوم فتحت سيفك من بعيد ... أضعت وكلّ أمرك للضياع

---

(١) عيون الأخبار، ص/١٦

شعر كان يتمثل به معاوية

وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين كثيراً:

أكان الجبان يرى أنه ... سيقتل قبل انقضاء الأجل

فقد تدرك الحادثات الجبان ... ويسلم منهم الشجاع البطل

لخالد بن الوليد في ذم الجبن

وقال خالد بن الوليد: لقد لقيت كذا وكذا زحفاً وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية ثم هم أنا أموت على فراشي حتف أنفي، فلا نامت أعين الجبناء.

لأعرابي في كراهية الغزو

" **قيل لأعرابي**: ألا تغزو فإن الله قد أنذرك. قال: والله إني لأبغض الموت على فراشي فكيف أمضي إليه ركضاً " وقال قرواش بن حوط وذكر رجلين:

ضبعا مجاهرة وليثاً هدنة ... وثعيلبا خمر إذا ما أظلما

شعر لعبد الملك بن مروان في جبن عبد الله بن خالد

وقال عبد الملك بن مروان في أمية بن عبد الله بن خالد:

إذا صوّت العصفور طار فؤاده ... وليثٌ حديد الناب عند الثرائد

ونحوه قول الآخر:

ولو أنهم عصفورة لحسبتهم ... مسوّمة تدعو عبيد اً وأزنما

لبعض الشطار في الجبان

وقال الله عز وجل " يحسبون كلّ صيحةٍ عليهم " .

ومن أشعار الشّطّار في الجبان:

رأى في النوم إنسانا ... فوارى نفسه أشهر

لابن المقفع في الجبن

قال ابن المقفع: الجبن مقتلة والحرص محرمة فانظر " فيما رأيت وسمعت " : من قتل في الحرب مقبلاً أكثر أم من قتل مدبراً؟ وانظر من يطلب إليك بالإجمال والتكرم أحقّ أن تسخو نفسك له بالعطية أم من يطلب إليك بالشره والحرص؟

شعر لحنش بن عمرو

وقال حنش بن عمرو:

وأنتم سماء يعجب الناس رزّهم ... لهم زجلٌ باق شديدٌ وئيدهم

تقطّع أطناب البيوت بحاصبٍ ... وأكذب شيء برقهم ورعودهم

فويلمّهم خيلاً تهم وى شرارهم ... إذا لاقت الأعداء لولا صدودهم

للفرزدق أو البعيث في هجاء سليط

وقال الفرزدق أو البعيث:

سائل سليطاً إذا ما الحرب أفزعهم ... ما بال خيلكم قعساً هواديهم

لا يرفعون إلى داعٍ أعنّتهم ... وفي جواشنهم داء يجافيهم

قصة أبو الأغرّ النهشلي مع الكلب." (١)

"للمسيح عليه السلام في المال

وروي عن المسيح أنه قال: في المال ثلاث خصال، قالوا. وما هي يا روح الله؟ قال: لا يكسبه من حلّه. قالوا: فإن فعل؟ قال: يمنعه من حقّه. قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: يشغله إصلاحه عن عبادة ربه.

ولابن عمر

قيل لابن عمر: توفّي زيد بن حارثة وترك مائة ألف درهم ، قال: لكنهم لاتتركه.

شعر للمعلوط في أن السؤدد للكريم

وقال المعلوط:

ولا سود المال الدّنيّ ولا دنا ... لذاك ولكنّ الكريم يسود

متى ما ير الناس الغنيّ وجاره ... فقيراً يقولوا عاجزٌ وجليد

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ... ولكن أحاظٍ قسّمت وجدود

فكم قد رأينا من غنيّ مذمّمٍ ... وصعلوك قومٍ مات وهوحميد

إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً ... فمطلبها كهلاً عليه شديد

وقال آخر:

ولا تهين الفقيرعلّك أن ... تركع يوماً والدهر قد رفعه

الأخفش قال: قال المبرّد: أريد النون الخفيفة في ولا تهين فاسقط التنوين لسكونه وسكون اللام.

وقال آخر:

ولست بنظّارٍ إلى جانب الغنى ... إذاكانت العلياء في جانب الفقر

وإني لصبّارٌعلى ما ينوبني ... لأنيّ رأيت الله أثنى على الصبر

لأعرابي يمدح قوماً

وقال أعرابي يمدح قوماً:

إذا افتقروا عضّوا على الصبر حسبةً ... وإن أيسروا عادوا سراعاً إلى الفقر

يقول: يعطون ما عندهم حتى يفتقروا.

---

(١) عيون الأخبار، ص/٧٠

للحسن عن اليهود وتعييرهم عيسى عليه السلام بالفقر

قال الحسن: عيّرت اليهود عيسى بن مريم بالفقر فقال: من الغنى أتيتم.

وللحسن أيضأ في شرف الفقر

وقال: حسبك من شرف الفقر أنك لا ترى أحدا يعصي ليفتقر.

شعر لابن الأعرابي في ذم المال

أنشد ابن الأّعرابي:

المال يغشى رجالأ لا طباخ بهم ... كالسّيل يغشى أصول الدّندن البالي

وقال الطائي:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالي

لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فيمن دخل على الأغنياء

قال عمر بن الخطاب: من دخل على الأغنياء خرج وهو ساخط على الله.

لأعرابي في الغنيّ والفقير وقال أعرابيّ: الغنيّ من كثرت حسناته، والفقير من قلّ نصيبه منها .

شعر لذي الأصبع

وقال ذو الأصبع:

لي ابن عمّ على ماكان من خلقٍ ... مخالفٌ لي أقليه ويقليني

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا ... فخالني دونه بل خلته دوني

وقال آخر:

إنّ الحرم غزيرةٌ حلباته ... ووجدت حالبة الحلال مصورا

قيل لأعرابي: إن فلاناً أفاد مالاً عظيماً. قال: فهل أفاد معه أياماً ينفقه فيها؟

من كتاب الهند في صاحب المروءة

وفي كتاب للهند: ذو المروءة يكرم معدماً كالأسد يهاب وإن كان رابضاً، ومن لا مروءة له يهان وإن كان موسراً كالكلب وإن طوّق وحلّي.

شعر لخداش بن زهير

وقال خداش بن زهير:

أعاذل إن المال أعلم أنّه ... وجامعه للغائلات الغوائل

متى تجعليني فوق نعشك تعلمي ... أيغني مكاني أبكري وأفائلي

وقال آخر:

إذا المرء أثرى ثمّ قال لقومه ... أنا السيّد المقضي إليه المعظّم

ولم يعطهم خيراً أبوا أن يسودهم ... وهان عليهم رغمه وهوأظلم

لزبان بن سيّار

وقال زبان بن سيّار:

ولسنا كقوم محدثين سيادةً ... يرى مالهم ولا يحسّ فعالها

مساعيهم مقصورةٌ في بيوتهم ... ومسعاتنا ذبيان طرًّا عيالها

لأبي عبيد الله الكاتب في ذلة الفقر وعز الغنى

وقال أبو عبيد الله الكاتب: الصبر على حقوق المرؤة أشدّ من الصبر على ألم الحاجة، وذلّة الفقر مانعةٌ من عزّ الصبر كما أن عزّ الغنى مانع من كرم الإنصاف.." (١)

"حدّثت عن شيبان بن فروخ عن أبي الأشهب عن الحسن قال: كان رجل يتّجر في البحر ويحمل الخمر يأتي بهم قوماً، فعمد إليهم فمزجها نصفين وأتاهم بهم فباعهم بحساب الصّرف واشترى قرداً فحمله معه في السفينة، فلما لجّج في البحر لم يشعر إلا وقد أخذ القرد الكيس وعلاعلى الصّاري وجعل يلقي ديناراً في البحر وديناراً في السفينة حتى قسمه قسمين.

قال رجلٌ من الحاجّ: أتانا رجل من الأعراب بالرمل في طريق مكّة بغرارة فيهم كمأة، فقلنا له: بكم الغرارة؟ فقال: بدرهمين. فقلنا: لك ذلك. فاخذناها ودفعنا إليه الثمن، فلما نهض قال له رجل منا: في است المغبون عود. فقال: بل عودان، وضرب الأرض برجله فإذا نحن على الكمأة قيامٌ.

قيل لأعرابيّ: ألا تشتري لابنك بطّيخةً. فقال: لا، أو يبلغ من كساده أن يكون إذا تناول من بين يدي البقال وأخذه وعدا رماه بأخرى ولم يعد خلفه.

لأعرابيّ وقد اشترى غلام ما بعيب فيه

اشترى أعرابيّ غلاماً فقال للبائع: هل فيه من عيب؟ فقال: لا، غير أنه يبول في الفراش.

فقال: ليس هذا بعيب، إن وجد فراشا فليبل فيه.

الدّين

لثابت بن عقلة في الدّين

قال ثابت قطنة: الدّين عقلة الشريف.

شعر دليم

وقال دليم:

الله لقّى من عرابة ببيعةً ... على حين كاد النّقد يعسرعاجله

ولوّى بنان الكف يسب ربحه ... ولم يحسب المطل الذي أنا ماطله

---

(١) عيون الأخبار، ص/١٠٥

سيرضى من الرّبح الذي كان يرتجي ... برأس الذي أعطى وهل هو قابله

بين عمر وابن جريج وقد تقنّع تستراً من دائنيه

عبد الرزاق عن ابن جريج قال: رآني عمر وأنا متقنّع، فقال: يا أبا خالد، إن لقمان كان يقول: القناع بالليل ريبة وبالنهار مذلّة. فقلت. إن لقمان لم يكن عليه دينٌ.

محمد بن النضر الحارثي لبعض العباد

كتب يعقوب بن داود إلى بعض العباد يسأله القدوم عليه، فأتى محمد بن النضر الحارثي فاستشاره وقال: لعل الله يقضي ديني. فقال محمد بن النضر: لأن تلقى الله وعليك دين ولك دين خير من أن تلقاه وقد قضيت دينك وذهب دينك.

لعياض بن عبد الله في مضار الذين

قال عياض بن عبد الله: الذين راية الله في أرضه فإذا أراد أن يذل عبداً جعلها طوقاً في عنقه.

خالد القسري يعرّض بعتبة بن عمرو ورد عتبة عليه

دخل عتبة بن عمرو على خالد القسري. فقال خالد يعرض به: إنّ ههنا رجالاً يدّانون في أموالهم فإذا فنيت ادّانوا في أعراضهم. فقال عتبة: إن رجالاً تكون مروءاتهم أكثر من أموالهم فيدانون على سعة ما عند الله. فخجل خالد وقال: إنّك منهم ما علمت.

شعر لأعرابيّ يذكر غرماء له

وقال أعرابيّ يذكر غرماء لها:

جاءوا إليّ غضاباً يلغطون معا ... يشفي أذاتهم أن غاب أنصاري

لما أبوا جهرةً إلا ملازمتي ... أجمعت مكرم بهم في غير إنكار

وقلت إني سيأتيني غداً جلبي ... وإنّ موعدكم دار ابن هبّار

وما أواعدهم إلا لأربثهم ... عني فيحرجني نقضي وإمراري

وماجلبت اليهم غير راحلةٍ ... تخدي برحلي وسيفٍ جفنه عاري

إن القضاء سيأتي دونه زمنٌ ... فاطو الصحيفة واحفظها من الفار

مثله لآخر

وقال آخر لغرمائه:

ولو علّقتموني كلّ يوم ... برجلي أو يدي في المنجنيق

لما أعطيتكم إلا ترابا ... يطيّر في الخياشم والحلوق

وقال آخر:

إذا جئت الأمير فقل سلامٌ ... عليك وركة الله الرحيم

وأما بعد ذلك فلي عريمٌ ... من الأعراب قبّح من غريم

له ألفٌ عليّ ونصف ألفٍ ... ونصف النصف في صكٍ قديم

دراهم ما انتفعت بها ولكن ... وصلت بها شيوخ بني تميم

بين الحارث بن عبد الله ورجل من بني مخزوم

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ، قال: جاء رجل من بني مخزوم إلى الحارث بن عبد الله ابن نوفل وهو يقضي عن أخيه دينا فقال: إن لي على أخيك حقاً. قال: ثبّت حقّك تعطه. قال: أفمن ملاءة أخيك ووفائه ندّعي عليه ما ليس لنا؟ فقال: أمن صدقك وبرّك نقبل قولك بغير بينةٍ؟." (١)

"المدائني قال: قال ابن شبرمة القاضي لابنه: يا بني لا تمكن الناس من نفسك، فإن أجرأ الناس على السباع أكثرهم لهم معاينةً.

لأعرابي .قيل لأعرابي: كيف تقول: استخذأت أو استخذيت؟ قال: لا أقوله. قيل: ولم؟ قال: لأن العرب لا تستخذي . وكان يقال: اصفح أو اذبح.

باب المروءة

للنبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المرفوع: قام رجل من مجاشع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ألست أفضل قومي؟ فقال: " إن كان لك عقل فلك فضل، وإن كان لك خلق فلك مروءة، وإن كان لك مال فلك حسب، وإن كان لك تقًى فلك دين " .

وفيه أيضاً: " إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها لعبد الملك بن عمير في المروءة روى كثير بن هشام عن الحكم بن هشام الثقفي قال: سمعت عبد الملك بن عمير يقول: إن من مروءة الرجل جلوسه ببابه.

للحسن قال الحسن. لا دين إلا بمروءة .

لابن هبيرة وغيره في المروءة قيل لابن هبيرة: ما المروءة؟ قال: إصلاح المال، والرزانة في المجلس، والغداء والعشاء بالفناء.

قال إبراهيم: ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق ولا سرعة المشي. ويقال: سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن.

قال معاوية: المروءة ترك اللذة.

بين معاوية وعمرو بن العاص للنبي وقال لعمرو: ما ألذ الأشياء؟ فقال عمرو: مر أحداث قريش أن يقوموا. فلما قاموا قال: إسقاط المروءة.

للنبي صلى الله عليه وسلم قال جعفر بن محمد عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وروا لذوي المروءات عن عثراتهم، فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر وإن يده لفي يد الله " لعروة بن الزبير، وللأحنف كان عروة بن الزبير يقول لولده. يا بني العبوا، فإن المروءة لا لكون إلا بعد اللعب.

قيل للأحنف: ما المروءة؟ فقال: العفة والحرفة لمحمد بن عمران التيمي قال محمد بن عمران التيمي. ما شيءٌ أشد حملا عليّ من المروءة قيل: وأي شيءٍ المرؤة؟ قال: لا تعمل شيئاً في السر تستحي منه في العلانية.

شعر لزهير وقال زهير في نحو هذا:

---

(١) عيون الأخبار، ص/١٠٨

الستر دون الفاحشات، ولا ... يلقاك دون الخير من ستر

وقال آخر:

فسري كإعلاني، وتلك خليقتي ... وظلمة ليلي مثل ضوء نهاريا

لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال عمر بن الخطاب: تعلمو العربية فإنها تزيد في المروءة، وتعلموا النسب فرب رحمٍ مجهولة قد وصلت بنسبها .

للأصمعي، ولابن ميمون قال الأصمعي: ثلاثة تحكم لهم بالمروءة حتى يعرفوا: رجل رأيته راكباً، أو سمعته يعرب، أو شممت منه رائحةً طيبة. وثلاثة تحكم عليهم بالدناءة حتى يعرفوا: رجل شممت منه رائحة نبيذ في محفل، أو سمعته يتكلم في مصرٍ عربي بالفارسية، أو رأيته على ظهر الطريق ينازع في القدر.

قال ميمون ابن ميمون: أول المروءة طلاقة الوجه، والثاني التودد، والثالث قضاء الحوائج. وقال: من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه.

لمسلمة بن عبد الملك، ولعمر بن الخطاب قال مسلمة بن عبد الملك: مروءتان ظاهرتان: الرياسة والفصاحة.

وقال عمر بن الخطاب: المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة. قالوا: كان الرجل إذا أراد يشين جاره طلب الحاجة إلى غيره.

لبعض الشعراء وقال بعض الشعراء:

نوم الغداة وشرٌ العشيات ... موكلان بتهديم المروءات

باب اللباس لابن عباس حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس، قال: كل ما شئت والبس ما شئت إذا ما أخطأك شيئان: سرفٌ أو مخيلةٌ.

قال: حدّثني يزيد بن عمرو قال: حدّثنا المنهال بن حماد عن خارجة بن مصعب عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه، قل: كانت ملحفة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي يلبس في أهله مورسة حتى إنها لتردع على جلده.

لعليّ ولابن عباس في لباس عمر بن الخطاب حدّثني أبو الخطاب، قال: حدّثنا أبو عتاب قال: حدّثنا المختار بن نافعٍ عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن عليّ، قال: رأيت لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما إزاراً فيه إحدى وعشرون رقعة من أدم ورقعةٌ من ثيابنا. حدّثنا الزيادي قال: حدّثنا عبد الوارث بن سعيد عن الجريري عن ابن عباس، قال: رأيت عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وإزاره مرقوع بأدمٍ.

بين معاوية والنخار العذري." (١)

"كتاب رجل سعي به إلى عاملٍ كتب بعض إخواننا من الكتاب إلى عاملٍ وكان سعي به إليه: لست أنفك فيما بيني وبينك من إحدى أربع: إما كنت محسناً وإنك لكذلك فاربب، أو مسيئاً ولست به فأبق، أو أكون ذا ذنبٍ ولم أتعمد فتغمد، أو مقروفاً وقد تلحق به حيل الأشرار فتثبت " ولا تطع كل حلافٍ مهينٍ همازٍ مشاء بنميم " .

؟باب الكذب والقحة

---

(١) عيون الأخبار، ص/١٢٥

للنبي صلى الله عليه وسلم في المواضع التي يصلح فيها الكذب حدّثني أحمد بن الخليل قال: حدّثنا سليمان بن داود عن مسلمة بن علقمة عن داود بن أبي هندٍ عن شهر بن حوشب عن الزبرقان عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يصلح الكذب إلا في ثلاثة مواضع الحرب فإنها خدعةٌ، والرجل يصلح بين اثنين، والرجل يرضي امرأته " .

حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا بربر بن هارون قال: أخبرنا سفيان بن حسين عن الزهري عن حميد لن عبد الرحمن عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لم يكذب من قال خيراً وأصلح بين اثنين " .

لأبي الأسود الدؤلي قال: حدّثني عبدة بن عبد الله قال: حدّثنا أبو داود عن عمران عن قتادة قال: قال أبو الأسود الدؤلي: إذا سرك أن تكذب صاحبك فلقنه.

للنبي صلى الله عليه وسلم في أن المؤمن لا يكون كذاباً حدّثني محمد بن داود عن سويد بن سعيد عن مالك عن صفوان بن سليم قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: أيكون المؤمن جباناً؟ قال: " نعم " . قال: أفيكون بخيلاً؟ قال: " نعم " . قال: أفيكون كذاباً؟ قال: " لا " .

بين رجل عاتب رجلا على الكذب قال: حدّثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال: عاتب إنسا نٌ كذاباً علبر الكذب؛ فقال: يا بن أخي لو تغرغرت به ما صبرت عنه. قال: وقيل لكذوب: أصدقت قط؟ قال: أكره أن أقول لا فأصدق.

لابن عباس وقال ابن عباس: الحدّث حدّثان: حدّثٌ من فيك وحدّ ثٌ من فرجك.

لمديني وقال مديني: من ثقل على صديقه خف على عدوه، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون.

لبعض الشعراء ومثله قول الشاعر:

ومن دعا الناس إلى ذمه ... ذموه بالحق وبالباطل

مقالة السوء إلى أهلها ... أسرع من منحدر سائل

لمجاهد بلغني عن وكيع عن أبيه عن منصور قال: قال مجاهد: كل ما أصاب الصائم شوًى ما خلا الغيبة والكذب.

وقال سليمان بن سعد: لو صحبني رجل فقال: اشترط خصلةً واحدة لا يزيد عليها، لقلت لا تكذبني.

لابن عباس في الكذب والنميمة كان ابن عباس يقول: الكذب فجور، والنميمة سحرٌ، فمن كذب فقد فجر، ومن نم فقد سحر.

وكان يقال: أسرع الاستماع وأبطئ التحقيق.

قال الأحنف: ما خان شريفٌ ولا كذب عاقلٌ ولا اغتاب مؤمنٌ. وكانوا يحلفون فيحنثون ويقولون فلا يكذبون.

لرجل يذم آخر ذم رجل رجلاً فقال: اجتمع فيه ثلاثة: طبيعة العقعق، يعني السرق، وروغان الثعلب، يعني الخب، ولمعان البرق، يعني الكذب.

أصناف الأذلاء ويقال: الأذلاء أربعة: النمام والكذاب والمدين والفقير.

قال ابن المقفع: لا تهاونن بإرسال الكذبة في الهزل فإنها تسرع في إبطال الحق.

للأحنف في أن الكذب والمروءة لا يجتمعان وقال الأحنف: اثنان لا يجتمعان أبداً: الكذب والمروءة.

وقالوا: من شرف الصدق أن صاحبه يصدق على عدوه.

للأحنف يوصي ابنه وقال: الأحنف لابنه: يا بني اتخذ الكذب كنزاً؛ أي لا تخرجه.

وقيل لأعرابي كان يسهب في حديثه: أما لحديثك هذا آخرٌ؟ فقال: إذا انقطع وصلته.

لابن عمر وقال ابن عمر: زعموا زاملة الكذب.

كان يقال: علة الكذوب أقبح علة، وزلة المتوقي أشد زلة.

اشتهار المهلب بالكذب كان المهلب كذاباً وكان يقال له: راح يكذب. وفيه يقول الشاعر:

تبدلت المنابر من قريش ... مزونيًا بفقحته الصليب

فأصبح قافلاً كرمٌ وجودٌ ... وأصبح قادماً كذبٌ وحوب

بين أبي حنيفة ورجل قال رجل لأبي حنيفة: ما كذبت كذبةً قط؛ قال: أما هذه فواحدةٌ يشهد بها عليك.

لميمون بن ميمون وقال ميمون بن ميمون: من عرف بالصدق جاز كذبه، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه.

لأبي حية النميري وكان كذاباً قال أبو حية النميري – وكان كذاباً – : عن لي ظبيٌ فرميته فراغ عن سهمي فعارضه والله السهم، فراغ فراوغه السهم حتى صرعه ببعض الخبارات.." (١)

"قال أبو كعب القاص في قصصه: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: في كبد حمزة ما قد علمتم، فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزة.

وكان يقول في قصصه: ليس في خيرٌ ولا فيكم، فتبلغوا بي حتى تجدوا خيراً مني.

وقال هو أو غيره في قصصه: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا؛ قالوا: فإن يوسف لم يأكله الذئب؛ قال: فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف.

لقاص يضرب مثلاً في الكافر والمؤمن.

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه قال: كان قاصٌ يقص في المسجد فيقول: مثل الكافر مثل قصر الإسكاف خارجه حسن وداخله مخرأةٌ، ومثل المؤمن مثل قصر زربي جداره كالحٌ وداخله زهرةٌ.

ويقول: وما الدنيا! أخزى الله الدنيا! إنما مثلها مثل أير حمارٍ، بينا هو قد أنعظ إذ طفيء.

وقال: المؤمن غذاؤه فلقةٌ وسمكته شلقةٌ ودواؤه علقةٌ ومرقته سلقةٌ.

بين داود المصاب وصاحب له أصابت داود المصاب مصيبةٌ فاغتم؛ فقال له صاحبٌ له: لا تتهم الله في قضائه. فقال داود: أقول لك شيئاً وتكتمه؟ قال: نعم. قال: والله ما صاحبي غيره.

وبينه وبين رجل استشاره في حمل أمه إلى البصرة واستشاره رجل في حمل أمه إلى البصرة، وقال: إن حملتها في البر خفت عليها اللصوص، وإن حملتها في الماء خفت عليها الغرق؛ فقال: خذ بهم سفتجةً.

بين بعض السلاطين ومجنونين دعا بعض السلاطين مجنونين ليضحك منهما، فأسمعاه فغضب فدعا بالسيف؛ فقال أحدهما

---

(١) عيون الأخبار، ص/١٥١

للآخر: كنا اثنين وقد صرنا ثلاثةً.

بين ابن سيابة ورجل اتهمه بعدم معرفة الله قال رجل لابن سيابة مولى بني أسد: ما أراك تعرف الله. قال: أتراني لا أعرف من أجاعني وأعراني وأخزاني.

لأعرابي وسئل عن بره بأمه **قيل لأعرابي**: كيف برك بأمك؟ قال: ما قرعتها سوطاً قط.

أيضاً لأعرابي ضرب أمه وقيل لآخر وهو يضرب أمه: ويحك؛ تضرب أمك! فقال: أحب أن تنشأ على أدبي.

لبعض الشعراء وقال بعض الشعراء:

جنونك مجنون ولست بواجدٍ ... طبيباً يداوي من جنون جنون

وقال آخر:

وكيف يفيق الدهر كعب بن ناشبٍ ... وشيطانه بين الأهلة يصرع

شعر لأعرابي وذكر الله عز وجل وقال أعرابي وذكر الله عز وجل:

خلق السماء وأهلها في جمعةٍ ... وأبوك يمدر حوضه في عام

بين أبو العاج وصاحب شرطته كان أبو العاج والي واسط، وأتاه صاحب شرطته بقوادةٍ فقال: أصلح الله الأمير، هذه قوادةٌ. قال: وأي شيء تصنع؟ قال: تجمع بين الرجال والنساء. قال: لماذا؟ قال: للزنا؛ قال: وإنما أتيتني بها لتعرفها منزلي! خل عنهم لعنك الله.

وأتاه يوماً بمخنثٍ، فقال له: ما هذا؟ قال: مخنثٌ؛ قال: وما يصنع؟ قال: ينكح كما تنكح المرأة؛ قال: يبذل هذا آسته وأحظر أنا عليه! اذهب يابن أخي فارتد لها.

لوكيع بن أبي أسود خطب وكيع بن أبي أسودٍ بخراسان فقال: إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهرٍ؛ فقيل له: إنها ستة أيام ؛ فقال: والله لقد قلتها وأنا أستقلها.

بين سليمان بن عبد الملك ورجل تغدى رجلٌ عند سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ ولي عهدٍ وقدامه جدي، فقال له سليمان: كل من كليته فإنها تزيد في الدماغ؛ فقال: لو كان هذا هكذا كان رأس الأمير مثل رأس البغل.

صاحب اللجام أبو عبيد ة: أجريت الخيل فطلع منهم فرسٌ سابقٌ فجعل رجل من النظارة يكبر ويثب من الفرح؛ فقال له رجل إلى جانبه: يا فتى، هذا الفرس فرسك؟ قال: لا ولكن اللجمام لي.

بين أبو عتاب وعمرو بن هداب دخل أبو عتاب على عمرو بن هداب وقد كف بصره والناس يعزونه، فقال: يا أبا زيدٍ، لا يسوءنك ذهابهما، فإنك لو رأيت ثوابهما في ميزانك تمنيت أن الله قطع يديك ورجليك ودق ظهرك.

بين أعمى وقائده كان رجل يقود أعمى بكراءٍ، فكان الأعمى ربما عثر فيقول: اللهم أبدلني به قائداً خيراً منه. ويقول القائد: اللهم أبدلني أعمى خيراً منه.

لأبي بكر الشيباني ادعى أبو بكر الشيباني إلى العرب ذات ليلة فأصبح من الغد على الشمس فقعد فيها فثارت به مرةٌ، فجعل يحك جسده بأظفاره خمشاً ويقول: إنما نحن إبل؛ فقال له قائل: والله إنك تشبه العرب، فغضب وقال: أيقال لي

هذا! أنا والله حرباء تنضبةٍ، يشهد لي سواد لوني وغؤور عيني وحبي للشمس.
أبو السفاح يوصي عند موته." (١)
"وفي الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال للحواريين: كونوا حلماء كالحيات وبلهاً كالحمام. و " أعق من ضب " ، لأنه يأكل ولده من الجوع و " أبر من هرة " وهي تأكل ولدها من شدة محبته. و " أروغ من ثعلب " ، و " أموق من رخمة " و " أزهى من ذباب " لأنه يقع على أنف الملك وتاجه. و " أصنع من الذبر " ، وهي النحل. و " أسمح من لافظة " ، ويقال: هي العنز تسمح بالحلب، ويقال: الرحا، لأنهم تلفظ ما تطحنه لا تحبس منه شيئاً. و " أصرد من عين حرباء " و " ألح من الخنفساء و " أخيل من مذالة " ، وهي الأمة تهان وهي تتبختر. و " أحلم من فرخ الطائر و " أكيس من قشة " ، وهي القردة. و " أجبن من صافر " ، وهو ما صفر من الطير، ويقال هو: الصافر بالمرأة للريبة. و " أنم من صبح و " أبعد من بيض الأنوق " ، والأنوق: الرخمة تبيض، في أعالي الجبال والشواهق حيث لا يبلغه سبع ولا طائر. و " أشجع من ليث عفرين " ، قال بعضهم: هو الأسد، كأنه قال: أشجع من ليث ليوث تعفر من نازعهم وتصره، وقال الأصمعيّ. هو دابة مثل الخرباء يتحدى الراكب ويضربه بذنبه. و " أحن من شارف " ، وهي الناقة المسنة. و " أسرع من عدوى الثؤباء و " أروى من النقاقة " ، وهي الضفادع. و " أزنى من قرد " ، ويقول بعضهم: إنه رجل من هذيل كان كثير الزنا. و " أخدع من ضب و " أشأم من الزرقاء " وهي ناقة
الأنعام
للنبي صلى الله عليه وسلم حدّثني يزيد بن عمرو عن عبد العزيز الباهلي عن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما خلق الله دابة أكرم عليه من النعجة " وذلك أنه ستر عورتهم ولم يستر عورة غيرهم .
لإهاب بن عمير وقال. حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن إهاب بن عمير قال. كان لنا جمل يعرف كشح الحامل من غير أن يشمها.
لابنة الخس قيل لابنة الخس: ما تقولين في مائة من المعز؟ قالت: قنى؛ قيل: فمائة من الضأن؟ قالت: غنى؛ قيل: فمائة من الإبل؟ قالت: منى. والعرب تضرب المثل في الصرد بالمعزى فتقول: " أصرد من عنز جرباء " وسأل دغغل عن بني مخزوم، فقال: معزى مطيرة، عليها قشعريرة، إلا بني المغيرة؛ فإن فيهم تشادق الكلام، ومصاهرة الكرام.
للعرب فيما تقول على ألسنة البهائم وقالت العرب فيما تقول على ألسنة البهائم: قالت المعزى: الاست جهوى، والذنب ألوى؛ والجلد رقاق، والشعر دقاق. قالوا: والضأن تضع مرة في السنة وتفرد ولا تلتئم، والماعز قد تلد مرتين في السنة، تضع الثلاثة وأكثر وأقل، والنماء والبركة والعدد في الضأن، وكذلك الخنازير تضع الأنثى منهم عشرين خنوصاً ولا نماء فيهم. ويقال: الجواميس ضأن البقر، والبخت ضأن الإبل، والبراذين ضأن الخيل، والجرذان ضأن الفأر، والدلدل ضأن القنافذ، والنمل ضأن الذر. يقول الأطباء في لحم الماعز: إنه يورث الهم ويحرك السوداء ويورث النسيان ويخبل الأولاد ويفسد الدم،

(١) عيون الأخبار، ص/١٥٩

ولحم الضأن يضر بمن يصرع من المرة إضراراً شديدا حتى يصرعهم في غير أوان الصرع. وأوان الصرع الأهلة وأنصاف الشهور؛ وهذان الوقتان هما وقت معد البحر وزيادة الماء والدم. ولزيادة القمر إلى أن يصير بدراً أثر في زيادة الدم والدماغ وجميع الرطوبات قال الشاعر:

كأن القوم عشوا لحم ضأن ... فهم نعجون قد مالت طلاهم

وفي الماعزة: إنهم ترتضع من لخفها، وهي محفلة حتى تأتي على كل ما فيه؛ قال ابن أحمر:

إني وجدت بني أعيا وجاملهم ... كالعنز تعطف روقيها فترتضع

وإذا رعت الضائنة والماعزة في قصير نبت لم ينبت ما تأكله الماعزة لأن الضائنة تقرضه بأسنانهم والماعزة تقتلعه وتجذبه فتنثره من أصله. وإذا حمل على الماعزة فحملت أنزلت التبن في أول الحمل إلى الضرع، والضائنة لا تنزل اللبن إلا عند الولاد، ولذلك تقول العرب " رمدت المعزى فرنق رنق " و " رمدت الضأن فربق ربق " وذكور كل شيء أحسن من إناثه إلا التيوس فإنهم أقبح من الصفايا. وأصوات الذكور من كل شيء أجهر وأغلظ إلا إناث البقر فإنهم أجهر أصواتاً من ذكورهم.

لأعرابي في صفة الشاة الحامل **قيل لأعرابي**: بأي شيء تعرف حمل شاتك؟ قال: إذا ورم حياؤها ورجت شعرتها واستفاضت خاصرتها.

قال الأصمعيّ: لبني عقيل ماعزة لا ترد، تجتزئ بالرطب.

معرفة لون جنين النعجة في كتب الروم وقرأت في كتاب من كتب الروم: إن أردت أن تعرف ما لون جنين النعجة فانظر إلى لسانها فإن الجنين يكون على لونه.." (١)

"أو ما إن رأيتُ لها مَوْضِعا ... فاعرِفَ ما قيل إلا بِظَنّ

فقد خِفْتُ يا بَكْرُ مِن طُول ما ... أفَكر في أمْرٍ أنْ أن أجَنْ

لابن سيرين قال ابن سِيرينٍ: ما رأيتُ على رجل أحْسن من فَصَاحة، ولا على امرأة أحسن من شَحْم.

لابن شبرمة في فضل تعلُّم العربية وقال ابن شُبْرُمة: إذا سَرك أن تَعْظُم في عَيْن مَن كنتَ في عينه صغيراً، ويَصْغُرَ في عينكَ من كان في عينك عظيماً فتعلم العربيةَ، فإنها تُجْريك على المَنْطِق وتُدْنيك من السّلطان. ويقال: النحو في العِلْم بمنزلة المِلْح في القِدْر والرامِكِ في الطيب. ويقال: الإعرابُ حِلْيةُ الكلام ووَشْيُهُ.

لبعض الشعراء في النحو وقال بعضُ الشعراء:

النحوُ يَبْسُطُ من لسانِ الألْكَنِ ... والمرءُ تُكْرِمُه إذا لم يَلْحَنِ

وإذا طلبتَ من العلوم ... فأجَلها منها مُقِيمُ الألْسُن

بين أعرابي ورجل لحن في سؤاله قال رجل لأعرابي: كيف أهلِك، بكسر اللام. - يُريد كيفَ أهلُك - فقال الأعرابي: صَلْباً، ظن أنه سأله عن هَلَكَته كيف تكون.

وقيل لأعرابي: أتَهْمِز إسراييلَ؟ قال: إني إذاً لرجلُ سُوءٍ؛ قيل له: أتَجُرُّ فِلَسْطِين؟ قال: إني إذاً لَقَوِي.

---

(١) عيون الأخبار، ص/١٦٩

وقيل لآخر: أتَهْمِز الفارةَ؟ فقال ة الهِرةُ تَهْمِزُها.

وقيل: كان بِشرٌ المَريسِي يقول لأصحابه: قضى الله لكم الحوائجَ على أحسِن الوجوه وأهنؤُها؛ فقال قاسم التّمار: هذا كما قال الشاعر:

إنَ سُلَيْمَيِ والله يَكْلَؤُها ... ضَنتْ بشيءٍ ما كان يَرْزَؤُها

سمِعَ أعرابي مُؤَذناً يقول: أشهَدُ أنّ محمداً رسولَ الله، بنصب رسول؛ فقال: وَيْحَك يفعل ماذا؟ لمسلمة بن عبد الملك في اللحن، ومثله لآخرين قال مَسْلَمَةُ بن عبدِ الملك: اللحنُ في الكلام أقبحُ من الجُدَري في الوجه.

وقال عبدُ الملك: اللحن في الكلام أقبحُ من التفتيق في الثوب النفيس.

قال أبو الأسْوَد: إني لأجِدُ غَمْزاً كغَمز اللحم.

بين الخليل بن أحمد وأعرابي قال الخليل بن أحمد: أنْشدَني أعرابي:

وإن كِلاباً هنه عَشْرُ أبطُن ... وأنتَ بريءٌ من قبائلها العَشْر

فجعلتُ أعجَبُ من قوله: عَشْر ابطُنٍ حين أنثَ لأنه عَنَى القَبِيلة، فلما رأى عجَبَي ذلك، قال: أليس هكذا قول الآخر:

فكان مِجَنَي عون من كنتُ أتَقي ... ثلاث شُخُوص كاعِبانِ ومُعْصِرُ

لرجل من الصالحين قال رجل من الصالحين: لئِنْ أعرَبْنا في كلامنا حتّى ما نَلْحَن لقد لحَنا في أعمالنا حتى ما نعرِب .

لأعرابي سمع قوماً يلحنون دخلِ أعرابي السوقَ فسمِعهم يَلْحَنُون، فقال: سبحانَ اللهِ! يَلْحَنُون ويَرْبَحُون ونحن لا نلحَن ولا نربَح! بين رجل وزياد دخل رجل على زِيادٍ فقال له: إنّ أبينَا هَلَك، وإن أخِينا غَصَبنا على ميراثنا من أبانا. فقال زياد: ما ضيعتَ من نفسك أكثرُ مما ضاع من مالك.

بين بلال وشبيب بن شيبة قال الرياشي عن محمد بن سلام عن يُونُسَ قال: قال بلالُ لشَبِيب بن شَيْبَةَ وهو يَسْتَعْدِي على عَبْدِ الأعلى بن عبد الله بنِ عامرٍ قال: أحْضِرْنيه. قال: قد دعوتُه لكُل ذلك يأبى؛ قال بلال: فالذنبً لكلّ.

لبعض الشعراء قال بعض الشعراء:

إما تَرَيْني وأثوابي مُقَارِبة ... ليستْ بخَزٍ ولا من نَسْجِ كَتَّان

فإن في المَجْدِ هِمَاتِي وفي لُغَتي ... عُلْوِيَّةً ولسَاني غير لحَّانِ

بين زياد ومولى له وقال فِيلٌ مَوْلَى زيادٍ لزيادٍ: أهْمَوا لنا هِمَار وَهْشٍ. فقال: ما تقول. وَيْلَك! فقال: أهْدَوْا لنا أيراً؛ فقال زياد: الأوّلُ خَير.

سَمِع أعرابي والياً يَخْطُب فَلَحن مرّةً أو اثنتين، فقال: أشْهَدُ أنك مَلَكتَ بقَدَر.

وسَمِع أعرابي إماماً يقرأ: " وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَى يُؤْمِنُوا " بفتح تاء تنكحوا، فقال سبحانَ الله! هذا قبلَ الإسلام قبيح فكيف بَعْدَه! فقيل له: إنه لحنَ، والقراءةُ " وَلَا تُنْكِحُوا فقال: قبحه الله، لا تجعلوه بعدها إماماً فإنه يُحِلُّ ما حَرَّمَ الله. قال الشاعر في جارية له:." (١)

(١) عيون الأخبار، ص/١٩٧

"يبكي الغريبُ عليه ليس يعرفه ... وذو قرابته في الحيّ مسرور

قال: وإلى جانبي رجلٌ يسمع ما أقول، فقال لي: يا عبدَ الله، هل لك علم بقائل الأبيات. قلتُ: لا والله؛ إلا أني أرويها منذُ زمانٍ . فقال: والذي تحلِفُ به إن قائلَها لصاحبنا الذي دفنَّاه آنفاً، وهذا الذي ترى ذو قرابته أسر الناس بموته، وإنك لغريب وتبكي عليه وصفتَ. فعجبتُ لما ذكره في شعره وما صار إليه من أمره وقوله، كأنه ينظر إلى مكاني جنازته، فقلت: " إنَّ البلاء موكُل بالقول " فذهبتْ مثلاً.

لأعرابي فيما هو خير من الحياة وشر من الموت قال أعرابي: خيرٌ من الحياة ما إذا فقدتَه أبغضتَ لفقده الحياةَ، وشر من الموت ما إذا نزل بك أحببت لنزوله الموت.

شعر لأبي زبيد ولأبي العتاهية وقال أبو زُبَيد:

يملِكُ المرءُ بالرجاءِ وُيضحي ... غَرَضا للمنون نَصْبَ العودِ

كلّ يومٍ ترميه منها برَشْقٍ ... فمصيبٌ أو صاف غير بعيد

وقال أبو العتاهية:

وَعَظَتْك أحداث صُمُتْ ... وَنَعَتْك أزمنة خُفُتْ

وتكلَّمتْ عن أوجهٍ ... تَبلى وعن صور شُتُتْ

وأرتك قبرَكَ في القبو ... رِ وأنت حي لم تمُتْ

لأعرابي وقال أعرابي: أبْعدَ سفر أولُ مَنْقَلةٍ منه الموتُ.

وقيل لأعرابيّ: مات فلانٌ أصح ما كان. فقال: أوَ صحيحٌ مَن الموتُ في عُنقِه! وقال بعض المحدَثين:

اسمعْ فقد أسمعك الصوتُ ... إن لم تبادر فهو الفوت

بل كُلْ إذا شئت وعِشْ ناعما ... آخرُ هذا كلَه الموتُ

ما كان يقوله صالح المرّي في قصصه وكان صالح المرّي يقول في قَصَصه:

مؤمِّل دنيا لتبقَى له ... فماتَ المؤمَلُ قبل الأمَلْ

وباتَ يُروِّي أصولَ الفَسيل ... فعاش الفسيلُ ومات الرجُلْ

لمسلم بن الوليد وقال مسلم بن الوليد:

كم رأينا من أناس هلكوا ... وبكَى أحبَابهُم ثم بُكُوا

تركوا الدنيا لمن بعدهُمُ ... ودُهُم لو قدموا ما تركوا

كم رأينا من ملوكٍ سوقةً ... ورأينا سُوقةً قد مَلَكوا

قَلَب الدهرُ عليهم وَرِكا ... فاستداروا حيث دار الفلَكُ

بيتان كانا على جدار من جُدر القسطنطينية حدثني أبي عن أبي العتاهية أنه قرئ له بيتان على جدارٍ من جُحُر كنيسة القسطنطينية ما اختلف الليلُ والنهار ولا دارتْ نجومُ السماء في الفلَكِ إلا بنقل السلطانَ عن مَلكٍ كان يحدث الدنيا إلى

مَلِكِ وقال آخر:

ما أنزل الموتَ حق منزِلِهِ ... من عَدَّ يوماً لم يأتِ من أجَلِهْ

والصدق والصّبْرُ يبلُغان بمن ... كانا قرينيْه منتهَى أملِهْ

عليك صدق اللسان مجتهدا ... فإنّ جُل الهلاك في زللِهْ

للطرماح وقال الطِّرماح:

فيا ربّ لا تجعلْ وفاتي إن أتت ... على شَرجَع يُعْلَى بدُكنِ المطارف

ولكن أجِزْ يومي شهيداً وعُصْبَةً ... يصابون في فجٍّ من الأرض خائف

عصائبُ من شتَّى يؤلفُ بينهم ... هُدى الله نزّالون عند المواقف

إذا فارقوا دنياهُم فارقوا الأذى ... هُدى الله نزّالون عند المواقف

فأقتل قَعْصاً ثم يُرمَى بأعظمي ... كضِغْثِ الخَلاَ بين الرياح العواصِف

ويصبِح لحمي بطنَ طير مقيلة ... دُوينَ السماء في نسورٍ عوائِف

لنوح عليه السلام وقد بنى بيتاً من خص وُهَيب بن الوَرْد قال: اتّخذ نوح بيتاً من خُصٍّ، فقيل له لو بنيت بيتاً. فقال: هذا لمن يموت كثيرٌ.

لأبي الدرداء إذا رأى جنازة، وشعر للبيد بلغني عن إسماعيل بن عَيّاش عن شُرَحبيْل بن مسلم أن أبا الدَرداء كان إذا رأى جنازةً قال: إغْدِي فإنّا رائحون، أو قال: روحي فإنا غادون. وهذا مثل قول لبيد:

وإنا وإخواناً لنا قد تتابعوا ... لكالمغتدي والرائح المتهجرِ

لهلال بن إساف بلغني عن وَكِيع عن شَريك عن منصور عن هلال بن إساف قال: ما من مولود يولد إلا وفي سرّته من تربة الأرض التي يموت فيها.." (١)

"لبعض العباد في علامة التوبة سمعتُ بعضَ العباد يقول: علامةُ التَوبة الخروجُ من الجهل، والندَمُ على الذنب، والتَجافي عن الشهوة، واعتقادُ مَقْتِ نفسك المسؤَلة، وإخراجُ المَظلمة، وإصلاحُ الكَسْرة، وتركُ الكذب وقطعُ الغِيبة، والانتهاءُ عن خِدْن السوْء.

بين زاهدين لَقِي زاهد زاهداً فقال له: يا أخي، إني لأحبّك في الله؛ قال الآخر: لو علمتَ مني ما أعلم من نفسي لأبغضتَني في الله. قال له الأول: لو علمتُ منك ما تعلم من نفسك، لكان لي فيما أعلم من نفسي شُغْل عن بُغْضك.

للثوري كان الثَّوريّ مستخفيّاً بالبَصْرة، فورد عليه كتاب من أهله، وفيه: " قد بَلَغ بنا الجَهْد إلى أن نأخُذَ النَّوَى فنرُضَّه ثم نخلِطَه مع التبن فنأكلَه!. فحرّك ذلك من قلبه، ورَمَى بالكتاب إلى أخ له؛ فقرأه فدمَعتْ عينُه، ثم قال: يا أبا عبد الله.، لو أنك حدّثتَ الناس اتسَعت واتسع هؤلاء؛ فأطرق مَلياً ثم رفع رأسَه وقال: اسمعْ حديثاً أحدثكَ به ثم لا أكلَمك بعده سنة: رُئيَ نُورٌ في الجنة تَجدد فقيل: ما هذا النور. فقيل: حَوْراءُ ضَحِكتْ في وجه زوجها فبعدَتْ ثناياها، فَتَرى لي أن أغرر بتلك

---

(١) عيون الأخبار، ص/٢٥٠

وأصيرَ إلى ما تقول.

بين قوم مسافرين وراهب أراد قوم سفراً فحادوا عن الطريق وانتَهْوا إلى راهبٍ منفردٍ في ناحية، فنادوْه فأشرف عليهم، فقالوا: إنا قد ضَلَلْنا فكيف الطريقُ؟ قال لهم: هاهنا. وأومأ إلى السماء، فعلِموا الذي أراد، قالوا: إنا سائلوك، أفتُجِيبنا أنت. قال: سَلوا ولا تُكثروا، فإنّ النهار لن يرجِع والعمرَ لن يعود والطالبَ حثيثٌ في طلبه ذو اجتهاد؛ قالوا: ما الخلقُ عليه غداً عند مليكهم. فقال: على نيّاتهم. فقالوا: فإلامَ الموئلُ؟ قال: إلى المُقَدَم، قالوا: أوصِنا. قال: تَزَودوا على قدر سفركم، فإنّ خيرَ الزاد ما بَلَّغَ المَحل. ثم أرشدهم إلى المَحَجّة وانقمع.

بين راهب ورجل طلب منه أن يعظه وقال آخر: قلت لراهب: عِظْني عِظَةً نافعة؛ فقال: جميعُ المواعظ منتظمةٌ في حرف واحدة قلت: ما هو. قال: تُجمِعُ على طاعته، فإذا أنت قد حَويتَ المواعظ والأذكار.

لأعرابي معه ماضية الأصمعيّ: قيل لأعرابيّ معه ماشية: لمن هذه الماشية؟ قال: لله عندي.

لابن السماك كان ابن السماك يقول في كلامه: لقد أمهلكم حتى كأنه أهملكم، أمّا تستحيُون من الله من طوال ما لا تستحيُون! لبكر بن عبد الله قال بكر بن عبد الله: اجتهدوا في العَمَل، فإنْ قَصَر بكم ضعفٌ فكُفُوا عن المعاصي.

لمالك بن دينار كان مالك بن دينار يقول في قَصَصه: ما أشَدَّ فِطَام الكبير وُينشد:

وتَرُوضُ عِرْسَك بعد ما هَرِمَتْ ... ومن العَناءِ رياضةُ الهَرَمِ

شعر لأعرابي تاب عن سرقة الإبل كان أعرابي يسرِق الإبلَ يُسَمَى يزيدَ، ثم تاب وقال:

ألَا قُلْ لرُعْيان المَخَائِضِ أهملُوا ... فقد تاب مما تعلمون يزيد

وإنّ امرأً ينجو من النار بعد ما ... تَزَود من أعمالها لسعيدُ

شعر لنصيح الأسدي وقال نصيح الأسديّ:

كفى نَطَفاً بالمرء يا أم صالح ... ركوبُ المعاصي عامداً واحتقارها

ولخالد بن معدان كان خالد بن معدان يقول:

إذا أنتَ لم تزرَعْ وأبصرتَ حاصداً ... ندمتَ على التفريطِ في زمن

لمنصور بن عمار قال منصور بن عَمّار: ما أرى إساءةً تبهرُ عن عفو الله فلا تأيَس، وربما أخذ الله على الصغير فلا تأمن. للنبي صلى الله عليه وسلم وروى وَكيع عن إبراهيم بن إسماعيل عن عُتَيبة بن سِمْعان عن مُسَيْكَة عن عائشة رضي الله عنها أنها أتتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بصَحْفة فيها خبزُ شعيرٍ وقطعةٌ من الكَرِش، فقالت: يا رسول الله، ذَبَحنا اليوم شاةً فما أمسكنا منها إلا هذا؛ قال: " بل كلها أمسكتم إلا هذا " . استقبل عامرَ بن عبد قيس رجل في يوم حَلْبة، فقال: من سَبَق يا شيخ. فقال: المقربون.

وأتي به عثمان وأقعِد في دهليزه، فلما خرج رأى شيخاً يطا في عباءة، فأنكر مكانه، فقال أعرابي: أين ربُّك؟ قال: بالمِرْصاد. بين سليمان بن عبد الملك وأبي حازم." (١)

---

(١) عيون الأخبار، ص/٢٧٧

"وقرأت في كتاب تعزية: لو كانت النوائب مدفوعة عن أحدٍ بكثرة من يقيه ذلك من إخوانه ويفديه منه بالأخص من أعزّته والأنفس من ماله، سلمت من ملمّها، وكان سبقي إلى ذلك أبرز سبق، وحظّي بالتقدّم فيه أوفر حظّ.

وقرأت في كتاب: مصيبتك لي مصيبةٌ، وما نالك من ألمها لي موجع. ولو كان في الوسع أن أعلم كنه ما خامر قلبك من ألمها حملت مثله إلى نفسي، فإني أحبّ أن أكون أسوتك في كل سارّ وغامٍّ، وألاّ أتمتّع بأيام غمومك، ولا أقصّر فيها عن مقدار حالك.

وقرأت في كتاب: نسأل الله حسن الاستعداد لما نتوكّفه ونتوقّع حلوله، وألاّ يشغلنا بما يقلّ الانتفاع به وتعظم التّبعة فيه عمّا نحتاج إليه يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خيرٍ محضراً، وما عملت من سوءٍ تودّ لو أنّ بينها أمداً بعيداً، وأن يجعل ما وهب لنا من الصبر والعزاء إيماناً وإيقاناً، ولا يجعله ذهولاً ونسياناً.

لأسماء بن خارجة قال أسماء بن خارجة: إذا قدمت المصيبة تركت التعزية، وإذا قدم الإخاء قبح الثناء.

لأعرابية مات ابنها **قيل لأعرابية** مات ابنها: ما أحسن عزاءك! فقالت: أن فقدي إياه أمّنني من المصيبة بعده. ونحوه قول الشاعر:

وكنت عليه أحذر الموت وحده ... فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

ومثله:

وقد كنت أستعفي الإله إذا اشتكى ... من الأجر لي فيه وإن سرّني الأجر

شعرلابن العتاهية وقال أبو العتاهية:

وكما تبلى وجوهٌ في الثّرى ... فكذا يبلى عليهن الحزن

في الأثر وفي الحديث: " من يرد الله به خيراً يصب منه " .

ويقال: المصيبة الموجعة تدرّ ذكر الله في قلب المؤمن.

بين الأصمعي وأعرابية مات ابنها قال الأصمعي: مررت بأعرابيّة وبين يديها فتىً في السّياق، ثم رجعت ورأيت في يدها قدح سويق تشربه، فقلت لها: ما فعل الشابّ؟ فقلت: وارايناه؛ فقلت: فما هذا السّويق؟ فقلت:

على كلّ حالٍ يأكل القوم زادهم ... على البؤس والبلوى وفي الحدثان

لأعرابي **قيل لأعرابيّ**: كيف حزنك اليوم على ولدك؟ فقال: ماترك حبّ الغداء والعشاء لي حزناً.

لعمر بن عبد العزيز وقال عمر بن عبد العزيز: إنما الجزع قبل المصيبة، فإذا وقعت فاله عمّا أصابك.

لمحمد بن علي بن الحسين في موت بعض أهله اشتكى بعض أهل محمد بن عليّ الحسين فجزع عليه، ثم أخبر بموته فسرّي عنه؛ فقيل له في ذلك، فقال: ندعوا الله فيما نحبّ، فإذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما أحبّ.

لعبد الله في موت عتبة بن مسعود لما مات عتبة بن مسعود قال عبد الله: إذا ما قضى الله فيه ما قضى فما أحبّ أنّي دعوته فأجابني.

شعر لرجل من طيّيء قال رجل من طيّي:

فلولا الأسى ما عشت في الناس ساعة ... ولكن إذا ما شئت أسعدني مثلي

وقال آخر:

إذا أنت لم تسا اصطباراً وحسبةً ... سلوت على الأيام مثل البهائم

بين محمد بن الوليد بن عتبة والوليد بن عبد الملك عزّي محمد بن الوليد بن عتبة الوليد بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، ليشغلك ما أقبل من الموت إليك، عمن هو في شغل مما دخل عليه، وأعدد لنزوله عدّة تكون لك حجاباً من الجزع وستراً من النار.

فقال يا محمد، أرجو ألا تكون رأيت غفلة تنبّه عليها ولا جزعاً يستتر منه، وما توفيقي إلا بالله.

فقال محمد: يا أمير المؤمنين، إنه لو استغنى أحدٌ عن موعظةٍ بفضلٍ لكنته، ولكنّ الله يقول: " وذكّر فإنّ الذّكرى تنفع المؤمنين " .

شعر للطائي وقال الطائيّ:

ويفرح بالشيء المعار بقاؤه ... ويحزن لّما صار وهو له ذخرٌ

عليك بثوب الصبر إذ فيه ملبسٌ ... فإنّ ابنك المحمود بعد ابنك الصّبر

وقال أيضاً:

أمالك إنّ الحزن أحلام نائم ... ومهما يدم فالوجد ليس بدائم

تأمّل رويداً هل تعدّنّ سالماً ... إلى آدم أم هل تعدّ ابن سالم

وقال آخر:

اصبر لكلّ مصيبةٍ وتجلّد ... واعلم بأن الدهر غير مخلّد

أو ما ترى أنّ الحوادث جمّةٌ ... وترى المنية للعباد بمرصد

وإذا أتتك مصيبةٌ تشجي بها ... فاذكر مصابك بالنبيّ محمد

لرجل يعزّي الرشيد." (١)

"تخيّرته وازددته ليزيدني ... وما بعض ما يزداد غير عرام

شعر يحيى بن سعيد لابنه وقال يحيى بن سعيد مولى تيم كوفيّ لابنه:

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً ... تعلّ بما أجني عليك وتنهل

إذا ليلةٌ نالتك بالشكو لم أبت ... لشكواك ألاّ ساهراً أتململ

كأنّي أنا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني وعيني تهمل

فلمّا بلغت الوقت في العدّة التي ... إليها جرى ما أبتغته وآمل

جعلت جزائي منك جبهاً وغلظةً ... كأنك أنت المنعم المتفضّل

---

(١) عيون الأخبار، ص/٢٩٩

فليتك إذ لم ترع حقّ أبوّتي ... كما يفعل الجار المجاور تفعل

للقاسم بن محمد قال القاسم بن محمد: قد جعل الله في الصديق البارّ عوضاً من الرّحم المدبرة.

لعمر بن الخطاب إلى أبي موسى: مر ذوي القرابات أنّ يتزاوروا ولا يتجاوروا.

مثله لأكثم بن صيفي وقال أكثم بن صيفيّ: تباعدوا في الدّيار تقاربوا في المودّة.

لأعرابي في ابن عمه **قيل لأعرابيّ**: ما تقول في ابن عمك؟ قال: عدوّك وعدوّ عدوّك.

شعر لقيس بن زهير وقال قيس بن زهير:

شفيت النفس من حمل بن بدرٍ ... وسيفي من حذيفة قد شفاني

قتلت بإخوتي سادات قومي ... وقد كانوا لنا حلي الزمان

فإن أك قد بردت بهم غليلي ... فلم أقطع بهم إلاّ بناني

لعلي بن أبي طالب عند قتلى معركة الجمل قال عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، حين تصفّح القتلى يوم الجمل: شفيت نفسي وجدعت أنفي. وفي مثل قول القائل:

قومي هم قتلوا أميم أخي ... فإذا رميت يصيبني سهمي

ولئن عفوت لأعفون جللاً ... ولئن قرعت لأوهنن عظمي

بين رجل من العرب قتل ابن أخيه، ووالد القتيل قتل رجلٌ من العرب ابن أخيه فدفع إلى أخيه ليقيده، فلمّا أهوى بالسيف أرعدت يداه فألقى السيف من يده وعفا عنه وقال:

أقول للنفس تأساءً وتعزيةً ... إحدى يديّ أصابتني ولم ترد

كلاهما خلفٌ من فقد صاحبه ... هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

لبعض الشعراء وقال بعضهم:

بكره سراتنا يا آل عمرو ... نفاديكم بمرهفة النّصال

فنبكي حين نذكركم عليكم ... ونقتلكم كأنّا لا نبالي

وقال عديّ بن زيد:

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً ... على المرء من وقع الحسام المهنّد

وقال غيره:

سآخذ منكم آل حزنٍ لحوشبٍ ... وإن كان مولاي وكنتم بني أبي

إذا كنت لا أرمي وترمي عشيرتي ... تصب جائحات النّبل كشحي ومنكبي

للنبي صلى الله عليه وسلم قال: حدّثنا أبو الخطاب قال: حدّثنا الوليد بن سلم عن محمد بن السائب البكريّ عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حقُّ كبير الإخوة على صغيرهم كحقّ الوالد على ولده " .

للعرب في العطف مع القرابة والعرب تقول في العطف على القرابة وإن لم يكن وادّاً: " أنفك منك وإن ذنّ " . ومثله: " عيصك منك وإن كان أشباً " .

شعر للنمر بن تولب وقال النّمر بن تولب:

إذا كنت من سعدٍ وأمّك فيهم ... غريباً فلا يغررك خالك من سعد

فإن ابن أخت القوم مصغىً إناؤه ... إذا لم يزاحم خاله بأبٍ جلد

شعر أمية بن أبي عائذ لإياس بن سهم وقال أميّة بن أبي عائذ لإياس بن سهم:

أبلغ إياساً أنّ عرض ابن أختكم ... رداؤك فاصطن حسنه أو تبذّل

فإن تك ذا طولٍ فإنّي ابن أختكم ... وكلّ ابن أخت من مدى الخال معتلي

فكن أسداً أو ثعلباً أو شبيهه ... فمهما تكن أنسب إليك وأشكل

وما ثعلبٌ إلا ابن أخت ثعالبٍ ... وإن ابن أخت اللّيث رئبال أشبل

شعر بشر بن المغيرة بن أبي صفرة إلى عمله وكتب بشر بن المغيرة بن أبي صفرة إلى عمّه بهذه الأبيات:

جفاني الأمير والمغيرة قد جفا ... وأمسى يزيد لي قد ازورّ جانبه

وكلّهم قد نال شبعاً لبطنه ... وشبع الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبه." (١)

"فيا عمّ مهلاً واتّخذني لنوبةٍ ... تنوب، فإن الدّهر جمّ عجائبه

أنا السيف إلا أن للسيف نبوةً ... ومثلي لا تنبو عليك مضاربه

لرجل من الأشراف يعيب أخاه عند بعض الملوك دخل رجل من أشراف العرب على بعض الملوك، فسأله عن أخيه، فأوقع به يعيبه ويشتمه، وفي المجلس رجل يشنؤه فشرع معه في القول؛ فقال له: مهلاً! إنّي لآكل لحمي ولا أدعه لآكل.

ويقال: القرابة محتاجة إلى المودّة، والمودّة أقرب الأنساب. والبيت المشهور في هذا:

فإذا القرابة لا تقرّب قاطعاً ... وإذا المودّة أقرب الأنساب

لبزر جمهر في الأخ الصديق وقيل لبزر جمهر: أخك أحبّ إليك أم صديقك؟ فقال: إنما أحبّ أخي إذا كان صديقاً.

شعر لخداش بن زهير، ولآخرين وقال خداش بن زهير:

رأيت ابن عمي بادياً لي ضغنه ... وواغره في الصدر ليس بذاهب

وأنشدنا الرّياشي:

حياة أبي السّيار خيرٌ لقومه ... لمن كان قد ساس الأمور وجرّبا

ونعتب أحياناً عليه ولو مضى ... لكنا على الباقي من الناس أعتبا

وقال الشاعر:

ولم أر عزّاً لامرىءٍ كعشيره ... ولم أر ذلاً مثل نأي عن الأهل

---

(١) عيون الأخبار، ص/٣١٠

ولم أر مثل لفقر أوضع للفتى ... ولم أر مثل المال أرفع للرّذل

ولم أر من عدمٍ أضرّ على الفتى ... إذا عاش وسط الناس من عدم العقل

للمهلهل وقد زوّج ابنته في اليمن كان مهلهلٌ صار إلى القبيلة من اليمن يقال لهم جنبٌ، فخطبوا إليه فزوّجهم وهو كارهٌ لاغترابه عن قومه، ومهروا ابنته أدماً؛ فقال:

أنكحها فقدها الأراقم في ... جنبٍ وكان الحباء من أدم

لو بأبانين جاء يخطبها ... رمّل ما أنف خاطبٍ بدم

شعر للأعشى وقال الأعشى:

ومن يغترب عن قومه لا يزال يرى ... مصارع مظلومٍ مجرّاً ومسحبا

وتدفن منه الصالحات وإن يسيء ... يكن ما أساء النار في رأس كبكبا

وربّ بقيع لو هتفت بجوّه ... أتاني كريمٌ ينغض الرأس مغضبا

لرجل من غطفان وقال رجل من غطفان:

إذا أنت لم تستبق ودّ صحابةٍ ... على دخنٍ أكثرت بثّ المعاتب

وإنّي لأستبقي أمرأ السّوء عدّةً ... لعدوة عرّيضٍ من الناس عائب

أخاف كلاب الأبعدين ونبحها ... إذا لم تجاوبها كلاب الأقارب

بين عبيد الله بن أبي بكرة ورجل قال رجل لعبيد الله بن أبي بكرة: ما تقول في موت الوالد؟ قال: ملك حادث. قال: فموت زوج؟ قال: عرس جديد. قال: فموت الأخ؟ قال: قصّ الجناح. قال: فموت الولد؟ قال: صدعٌ في الفؤاد لا يجبر.

وكان يقال: العقوق ثكل من لم يثكل.

لعثمان يشكو علياً إلى العباس رضي الله عنهم شكا عثمان عليّاً إلى العباس رضي الله عنهم؛ فقال: أنا منه كأبي العاقّ، إن عاش عقّه وإن مات فجعه.

بين رجل وأبيه وقال رجل لأبيه: يا أبت، إن عظيم حقّك عليّ لا يذهب صغير حقّي عليك، والذي تمتّ به إليّ أمتّ بمثله إليك، ولست أزعم أنّا على سواء.

بين زيد علي بن لحسين وابنه يحيي وقال زيد بن علي بن الحسين لابنه يحيي: إن الله لم يضرك لي فأوصاك بي، ورضيني لك فلم يوصني بك.

بين لأحنف ومعاوية لما غضب على ابنه يزيد غضب معاوية على يزيد ابنه فهجره؛ فقال له الأحنف: يا أمير المؤمنين، أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا، ونحن لهم سماء ظليلة، وأرض ذليلة، فإن غضبوا فأرضهم، وإن سألوا فأعطهم، ولا تكن عليهم قفلاً فيملّوا حياتك ويتمنّوا موتك.

لأعرابي عقّه ابنه قيل لأعرابيّ: كيف ابنك؟ - وكان عاقّاً - فقال: عذابٌ رعف به الدهر، فليتني قد أودعته القبر، فإنه بلاء لا يقاومه الصبر، وفائدةٌ لا يجب فيها الشكر.

لبعضهم في أحب أولاده إليه قيل لبعضهم: أيّ ولدك أحبّ إليك؟ قال: صغيرهم حتى يكبر، ومريضهم حتى يبرأ، وغائبهم حتى يقدم.

بين عمر بن الخطاب ورجل ناول عمر بن الخطاب رجلاً شيئاً؛ فقال له: خدمك بنوك. فقال عمر: بل أغنانا الله عنهم. للحسن وقد ولد له غلام." (١)

"ويقول: الرأس سيدّ البدن وفيه الدّماغ وهو معدن العقل ومنه يتفرّق العصب الذي فيه الحسّ، وبه قوام البدن، وإنما القلب باب العقل؛ كما أنّ النفس هي المدركة والعين هي باب الألوان، والنفس هي السامعة الذائقة وإنما الأنف والأذن بابان ولولا أنّ العقل في الرأس لما ذهب العقل من الضربة تصيبه؛ وفي الرأس الحواسّ الخمس.

وكان ينشد:

همو ضربوا رأسي وفي الرأس أكثري ... وغودر عند الملتقى ثمّ سائري

وكان لا يشتري الرأس إلا في زيادة الشهر لمكان زيادة الدماغ ولا يشتريه إلايوم السبت لأن الرؤوس يوم السبت أكسد للفضلات التي تبقى في منازل التّجار عن يوم الجمعة وكان إذا فرغ من غدائه يوم الرأس، عمد إلى القحف وإلى اللّحيين فوضعه قرب بيوت النمل والذّر فإذا اجتمعن عليه أخذه ونفضه في طستٍ فيه ماء ولا يزال يعيد ذلك على تلك المواضع حتى يقلع النمل والذّر من داره، فإذا فرغ من ذلك ألقاه مع الحطب فاستوقده في التّنور.

في الأرز الأبيض بالسمن الأصمعيّ قال: قال أبو صوّارة أو ابن دقّة: الأرز الأبيض بالسّمن المسّلي بالسكر الطّبرزذ، ليس من طعام أهل الدنيا.

أطول الليالي قال:وقال أبو صوّارة أو ابن دقّة: أطول الليالي ثلاث: ليلة العقرب، وليلة الهريسة، وليلة جدّة إلى مكة.

لأبي كامل بن الزبد الأصمعيّ عن جعفر بن سليمان قال: قال أبو كامل مولى عليّ رضي الله عنه: أطعموني حفنة زبدٍ ثم اختموا سراويلي ثلاثاً.

بين الثوري ورجل وقال رجل للثّوريّ: في حديث: " إن الله يبغض البيت اللّحم " فقال: ليس هو الذي يؤكل فيه اللحم، وإنما هو الذي يؤكل فيه لحوم الناس.

للنبي صلى الله عليه وسلم في التمر عن أبي الصّدّيق الناجي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " خير تمراتكم البرني يذهب بالداء ولا داء فيه " لعمر في العصيدة وعن ابن عمر عن عمر أنه قال: يا غلام أنضج العصيدة تذهب حرارة الزيت.

للنبي صلى الله عليه وسلم في التمر أيضاً وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بيتٌ ليس فيه تمر جياعٌ أهله " أيضاً في التمر شيخٌ من أهل البادية قال: أضافنا فلان فأتانا بحنطة كأنها مناقير الغربان، وتمرٍ كأنه أعناق الوزّ يوحل فيه الضّرس.

الأصمعيّ قال: قال أعرابيّ: تمرنا جرد فطسٌ يغيب فيه الضّرس، كأن نواه ألسن الطير،تضع التمرة في فيك فتجد حلاوتها

---

(١) عيون الأخبار، ص/٣١١

في كعبيك.

الأصمعيّ عن أبيه قال: أسر رجلٌ رجلين في الجاهلية فخيّرها بم يعشّيهما، فاختار أحدهما اللحم واختار الآخر التمر، فعشيّا وألقيا في الفناء وذلك في شتاءٍ شديدٍ، فأصبح صاحب اللحم خامداً، وأصبح صاحب التمر تزرّ عيناه.

وقال غير الأصمعيّ: قيل لأعرابيّ: ما رأيك في أكل الجريّ قال: تمرة نرسيانةٌ غرّاء الطّرف صفراء السائر عليها مثلها زبداً أحبّ إليّ منها. ثم أدركه الورع فقال: وما أحرّمهما.

وقال بعض الأعراب:

ألا ليت لي خبزاً تسربل رائباً ... وخيلاً من البرنيّ فرسانها الزّبد

قال: ورأى أعرابيٌّ دقيقاً وتمراً فاشترى التمر؛ قيل له: كيف وسعر الدقيق والتمر واحد! قال: إنّ في التمر أدمه وزيادة حلاوةٍ.

عن زياد النّميريّ قال: قالت عائشة: من أكل التمر وتراً لم يضرّه.

الأصمعيّ قال: حدّثني شيخٌ عالمٌ قال: أطيب التمر صيحانيّة مصلّبة.

الأصمعيّ قال: حدّثني رجلٌ من آل حزمٍ قال: كان يقال: من خلا على التمر فالعجوة، ومن أكله على ثقلٍ فالصّيحانيّ.

لأعرابي في تفضيل الرطب على العسل الأصمعيّ قال: قال أعرابيّ يفضّل الرّطب على العسل: أتجعل عسلةً في أخثاء البقر كعسلةٍ في جوّ السماء لها محارس من جريدٍ وذوائب من زمردٍ! في أطيب انواع التمر وقال الأصمعيّ: قيل لابن القدّاح: أيّ التمر أطيب؟ فدعا بأنواع التمر، فلمّا أكلوا قال: انظروا أيّ النوى أكثر؟ قالوا: نوى الصيحانيّ. قال: هو أطيب.

للعرب في البخيل الأكول وقال الأصمعيّ: العرب تقول للبخيل الأكول: " أبرماً قروناً " أي لا يخرج مع أصحابه شيئاً ويأكل تمرتين تمرتين.

شعر للنابغة يصف تمراً وقال النابغة يصف تمراً:

صغار النوى مكنوزةٌ ليس قشرها ... إذا طار قشر التمر عنها بطائر

الحسن والفالوذج." (١)

"واعلم أنّ الشّبع داعية البشم، وأن البشم داعية السّقم، وأنّ السقم داعية الموت، فمن مات بهذه الميتة فقد مات ميتةً لئيمةً، وهو مع هذا قاتل نفسه، وقاتل نفسه ألأم من قاتل غيره.

يا بنيّ، والله ما أدّى حقّ الركوع والسجود ذو كظمة، ولا خشع لله ذو بطنة، والصوم مصحّة، والوجبات عيش الصالحين.

أي بنيّ، لأمرٍ مّا طالت أعمار الهند، وصحّت أبدان الأعراب. فللّه در الحارث بن كلدة حيث يزعم أنّ الدواء هو الأزم، وأنّ الداء إدخال الطعام إثر الطعام.

أي بنيّ، لم صفت أذهان الأعراب، وصحّت أبدان الرّهبان، مع طول الإقامة في الصوامع حتى لم تعرف النقّرس ولا وجع المفاصل ولا الأورام، إلا لقلّة الرّزء وخفّة الزاد. وكيف لا ترغب في تدبيرٍ يجمع لك صحّة البدن، وذكاء الذهن، وصلاح المعي، وكثرة المال، والقرب من عيش الملائكة؟! أي بنيّ، لم صار الضبّ أطول شيء ذماءً إلا أنه يتبلّغ بالنسيم؛ ولم قال

---

(١) عيون الأخبار، ص/٣٤٧

الرسول صلى الله عليه وسلم إنّ الصوم وجاء إلاّ ليجعله حجازاً دون الشهوات. إفهم تأديب الله، فإنه لم يقصد به إلاّ إلى مثلك.

أي بنيّ، قد بلغت تسعين عاماً ما نغص لي سنّ، ولا انتشر لي عصبٌ، ولا عرفت ذنين أنف، ولا سيلان عين، ولا سلس بول؛ ما لذلك علّةٌ إلاّ التخفيف من الزاد. فإن كنت تحبّ الحياة فهذه سبيل الحياة، وإن كنت تريد الموت فلا يبعد الله إلاّ من ظلم نفسه.

أبو نهشل وابنته، ثم ابنه وقال أبو نهشل: كانت لي ابنة تجلس معي على المائدة فتبرز كفّاً كأنها طلعة، في ذراع كأنه جمّارة، فلا تقع عينها على أكلة نفسية إلا خصّتني بها، فزوّجتها وصرت أجلس معي على المائدة ابناً لي فيبرز كفّاً كأنه كرنافة في ذراع كأنه كربة، فوالله ما تسبق عيني إلى لقمة طيّبة إلاّ سبقت يده إليها.

وقال بعضهم: غلبت بطنتي فطنتي.سس عمرو بن العاص لمعاوية يوم التحكيم قال عمرو بن العاص لمعاوية يوم تحكّم الحكمان: أكثروا الطعام، فوالله ما بطن قومٌ قطّ إلا فقدوا بعض عقولهم، وما مضت عزمة رجل بات بطيناً.

وكان يقال: أقلل طعاماً تحمد مناماً.

الأصمعيّ قال: كان يقال: ليس لشعبة خير من جوعة تحفزها.

بين عبد الملك ورجل دعا عبد الملك بن مروان إلى الغداء رجلاً فقال: ما فيّ فضل. فقال عبد الملك: ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يبقى فيه فضل! فقال: يا أمير المؤمنين، عندي مستزاد، ولكن أكره أن أصير إلى الحال التي استقبحها أمير المؤمنين.

وقال لشيخ: ما أحسن أكلك؟ قال: عملي منذ ستين سنة.

للحسن وقال الحسن: إنّ ابن آدم أسير الجوع، صريع الشبع.

عبد الملك وأبا الزعيرة وسأل عبد الملك أبا الزعيرة فقال: هل اتّخمت قطّ؟ قال لا؛ قال: وكيف ذاك؟ قال: لأنا إذا طبخنا أنضجنا، وإذا مضغنا دقّقنا، ولا نكظّ المعدة ولا نخليها.

للأحنف وقال الأحنف: جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام، فإني أبغض الرجل أن يكون وصّافاً لبطنه وفرجه، وإنّ من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه.

للأصمعي الأصمعيّ قال: بلغني أنّ أقواماً لبسوا المطارف العتاق، والعمائم الرّقاق؛ وأوسعوا دورهم،وضيّقوا قبورهم؛ وأسمنوا دوابّهم، وهزّلوا دينهم؛ طعام أحدهما غصب، وخادمه سخرة، يتّكيء على شماله، ويأكل من غير ماله؛ حتى إذا أدركته الكظّة قال: يا جارية هاتي حاطوماً؛ ويلك! وهل تحطم إلا دينك! أين مساكينك! أين يتاماك! أين ما أمرك الله به! أين أين!.

لبعض الحكماء في صلاح الأمور قال بعض الحكماء: مدار صلاح الأمور في أربع: الطعام لا يؤكل ألاّ على شهوة، والمرأة لا تنظر إلا إلى زوجها، والملك لا يصلحه إلا الطاعة، والرعيّة لا يصلحها إلا العدل.

من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من أكل من سقط المائدة عاش في سعةٍ وعوفي في ولده وولد ولده من لحمق " .

وقيل لأعرابي: أتحسن أن تأكل الرأس؟ قال نعم، أبخص عينيه، وأسحى، خدّيه، وأفكّ لحييه،، وأرمي بالدماغ إلى من هو أحوج منّي إليه. وكانوا يكرهون أكل الدماغ؛ ولذلك يقول قائلهم: أنّا من قبيلة تبقي المخّ في الجماجم.

دعبل لابنه دعبل قال: يا بنيّ لا تأكل ألية الشاة لأنها طبق الاست وقبريبٌ من الجواعر.

لبعض الشعراء قال بعض الشعراء:." (١)

"إذا لم أرى إلاّ لآكل أكلةً ... فلا رفعت يمنى يديّ طعامي

فما أكلةٌ إن نلتها بغنيمةٍ ... ولا جوعةٌ إن جعتها بغرام

للأصمعي عبد الملك بن عمير عن عمه عن الأصمعيّ قال: لا تخرج يا بنيّ من منزلك حتى تأخذ حلمك. يعني حتى تتغذىّ.

وقال هلال بن جشم:

وإنّ قراب البطن يكفيك ملؤه ... ويكفيك سوءآت الأمور اجتنابها

وصية رجل لولده وقرأت في الآيين: أن رجلاً من خدم دار المملكة أوصى ابنه فقال: إذا أكلت فضمّ شفتيك، ولا تتلفّتنّ يميناً وشمالاً. ولا تّتخذنّ خلالك قصبا. ولا تلقمنّ بسكّين أبداً، وإذا كان في يدك سكّين وأوردت التقاماً فضعها على مائدتك ثم التقم. ولا تجلس فوق من هو أسنّ منك وأرفع منزلة. ولا تتخلّل بعود آس. ولا تسمح بثياب بدنك. ولا ترق ماء وأنت قائم ولا تحفر أرضاً بأظفارك. ولا تجلس على حائط أو باب أو تكتب عليهما فتلعن، ولا تسترح على أسكفّة فتجهّل، ولا تستنج بمدر فيورثك البواسير، ولا تمتخط حيث يسمع امتخاطك، ولا تبصق في الأماكن المنظّفة.

بين معاوية ورجل يؤاكله وأجلس معاوية على مائدته رجلاً يؤاكله، فأبصر في لقمته شعرة، فقال: خذ الشعرة من لقمتك. فقال له الرجل: وإنك لتراعيني مراعاة من يبصر الشعرة في لقمتي! والله لا أكلت معك أبداً! ثم خرج الاعرابيّ وهو يقول:

وللموت خيرٌ من زيارة باخلٍ ... يلاحظ أطراف الأكيل على عمد

دعاء لسعيد بن جبير وكان سعيد بن جبير إذا فرغ من طعامه قالك اللهمّ أشبعت وأوريت فهنّئنا، وأكثرت وأطبن فزدنا.

الجوع والصوم

قيل لبعض الحكماء: أيّ الطعام أطيب؟ قال: الجوع أعلم.

وكان يقال: نعم الإدام الجوع، ما ألقيت إليه قبله.

نصيحة لقمان لابنه قال لقمان لابنه يا بنيّ، كل أطيب الطعام، ونم على أوطأ الفراش. يقول: أكثر الصيام، وأطل بالليل القيام.

شعر لأعرابي إشتاق أعرابيّ بالبصرة إلى البادية فقال:

أقول بالمصر لّما ساءني شبعي ... ألا سبيل إلى أرضٍ بها جوع

ألا سبيل إلى أرضٍ بها عرسٌ ... جوعٌ يصدّع منه الرأس يرقوع

---

(١) عيون الأخبار، ص/٣٥٢

وقال آخر:

وعادة الجوع فاعلم عصمةٌ وغنىً ... وقد يزيدك جوعاً عادة الشّبع

بين العتبي وبدوي العتبيّ قال: قلت لرجلٍ من أهل البادية: يا أخي، إني لأعجب من " أن " فقهاءكم أظرف من فقهائنا، وعوامّكم أظرف من عوامّنا، ومجانينكم أظرف من مجانينا، قال: وما تدري لم ذاك؟ قلت لا قال: " من " الجوع؛ ألا ترى أن العود إنما صفا صوته لخلوّ جوفه!.

لبعض حكماء الروم وقيل لبعض حكماء الرّوم: أيّ وقت الطعام فيه أطيب وأفضل؟ قال: أمّا لمن قدر فإذا جاع، وأمّا لمن لم يقدر فإذا وجد.

لأعرابي في هلال شهر رمضان ونظر أعرابيّ إلى قومٍ يلتمسون هلال شهر رمضان، فقال: أما الله لئن أثرتموه لتمسكنّ منه بذنابي عيشٍ أغبر.

وقيل لآخر: ألا تصوم البيض من شعبان! فقال: بين يديها ثلاثون كأنها القباطيّ.

لمدنيّ في السحور وقيل لمدنيّ: بم تتسحّر الليلة؟ فقال: باليأس من فطور القابلة.

الرّياشيّ قال: **قيل لأعرابيّ**: إشرب. فقال: إني لا أشرب على ثميلة. وقال:

إذا لم يكن قبل النبيذ ثريدة ... مبقّلةٌ صفراء شحمٌ جميعها

فإنّ النبيذ الصّرف إن كان وحده ... على غير شيءٍ أوجع الكبد جوعها

لأعرابي في شهر رمضان قدم أعرابيّ على ابن عمٍّ له بالحضر، فأدركه شهر رمضان؛ فقيل له: أبا عمرٍ ولقد أتاك شهر رمضان. قال: وما شهر رمضان؟ قالوا: الإمساك عن الطعام. قال: أبا لليل أم النهار؟ قالوا: لا بل بالنهار. قال: أفيرضون بدلاً من الشهر؟ قالوا لا قال: فإن لم أصم فعلوا ماذا؟ قالوا: تضرب وتحبس. فصام أياماً فلم يصبر، فارتحل عنهم وجعل يقول:

يقول بنو عمّي وقد زرت مصرهم ... تهّيأ أبا عمرٍ ولشهر صيام

فقلت لهم هاتوا جرابي ومزودي ... سلامٌ عليكم فاذهبوا بسلام

فبادرت أرضاً ليس فيها مسيطرٌ ... عليّ ولا منّاع أكل طعام

وأدرك أعرابيّاً شهر رمضان فلم يصم؛ فعذلته امرأته في الصوم، فزجرها وأنشأ يقول:

أتأمرني بالصّوم لا درّ درّها ... وفي القبر صومٌ يا أميم طويل." (١)

"عبد الله بن الزبير والصيام دعا عبد الله بن الزبير الحسين فحضر وأصحابه، فأكلوا ولم يأكل؛ فقيل له: ألا تأكل! فقال: إنّي صائمٌ، ولكن تحفة الصائم قيل: وما هي؟ قال: الدّهن والمجمر.

أخبار من أخبار الأكلة

الأصمعيّ قال: قال رجلٌ: أحبّ أن أرزق ضرساً طحوناً، ومعدةً هضوماً، وسرماً نثوراً.

---

(١) عيون الأخبار، ص/٣٥٣

لأنس بن مالك عن إسحاق بن عبد الّه قال: سمعت أنس بن مالك يقول: رأيت عمر يلقي إليه لصلع من التمر فيأكله حتى حشفه.

لبعض الشعراء وقال بعض الشعراء:

همّ الكريم كريم الفعل يفعله ... وهمّ سعدٍ بما يلقي إلى المعدة

لرجل سمين وقيل لرجل رئي سميناً: ما أسمنك؟ قال: أكلي الحارّ، وشربي القارّ، واتكائي على شمالي، وأكلي من غير مالي.

وقيل لآخر: ما أسمنك؟ قال: قلّة الفكرة، وطول الدّعة، والنّوم على الكظّة.

الحجاج والغضبان بن القبعثري قال الحجّاج للغضبان بن القبعثري في حبسه ما أسمنك؟ قال: القيد والدّعة، ومن كان في ضيافة الأمير فقد سمن.

وقال آخر لرجل رآه سميناً: أرى عليك قطيفةً من نسج أضراسك.

وقيل لآخر: إنك لحسن الشّحمة ليّن البشرة. فقال: آكل لباب البرّ بصغار المعز، وأدّهن بدهن البنفسج، وألبس الكتّان.

طعام ميسرة الأكول قيل لميسرة الأكول وأنا أسمع: كم تأكل في كل يوم؟ قال: من مالي أو من مال غيري؟ قالوا: من مالك قال: دونان. قالوا: فمن مال غيرك؟ قال: اخبز واطرح.

والعرب تقول: " العاشية تهيج الآبية " . يريدون أنّ الذي لا يشتهي أن يأكل إذا نظر إلى من يأكل هاجه ذلك على الأكل.

جرير يهجو بني الهجيم قال جرير:

وبنو الهجيم سخيفةٌ أحلامهم ... ثطّ اللّحى متشابهو الألوان

لا يسمعون بأكلةٍ أو شربةٍ ... بعمان أصبح جمعهم بعمان

متأبطين بنيهم وبناتهم ... صعر الأنوف لريح كلّ دخان

بين المغيرة ورجل يؤاكله قعد رجلٌ على مائدة المغيرة وكان منهوماً وجعل ينهش ويتعرّق، فقال المغيرة: ناولوه سكّيناً. فقال الرجل: كلّ امرىءٍ سكّينه في رأسه.

لأعرابي في اللحم وقيل لأعرابيّ: ما لكم تأكلون اللحم وتدعون الثريد؟ فقال: لأن اللحم ظاغن والثريد باقٍ.

وقيل لآخر: ما تسمعون المرق؟ قال: السّخين. قال: فإذ برد؟ قال: لا ندعه يبرد نهم هلال بن أسعر وزوجته قال أبو اليقظان: كان هلال بن أسعر التّميميّ، من بني دارم بن مازن شديداً أكولاً؛ يزعمون أنه أكل جملاً إلا ما حمل على ظهره منه، وأكل مرةً فصيلاً، وأكلت امرأته فصيلاً، فلما ضاجعها لم يصل إليها؛ فقال: كيف تصل إليّ وبيننا بعيران! أيضاً في نهم هلال بن أسعر الأصمعيّ قال: دعا عبّاد بن أخضر هلال بن أسعر إلى وليمةٍ، فأكل مع الناس حتى فرغوا ثم أكل ثلاث جفانٍ تصنع كلّ جفنةٍ لعشرة أنفسٍ؛ فقال له: شبعت؟ قال: لا؛ فأتوه بكل خبزٍ في البيت فلم يشبع، فبعثوا إلى الجيران؛ فلّما اختلفت ألوان الخبز علم أنه قد أضرّ بهم فأمسك؛ فقالوا: هل لك في تمر شهريزٍ ولبنٍ؟ فأتوه به فأكل منه قواصر؛ فقالوا له: أشبعت؟ قال: لا؛ قالوا: فهل لك في السّويق؟ قال: نعم؛ فأتوه بجرابٍ ضخم مملوء؛ فقال: هل عندكم نبيذٌ؟

قالوا: نعم؛ قال: أعندكم تورٌ تغتسلون فيه من الجنابة؟ فأتي به فغسله وصبّ السّويق فيه وصبّ عليه النبيذ، فما زال يفعل ذلك حتى فني.

نهم سليمان بن عبد الملك." (١)

"فمن أجلها أستوعب الزاد كلّه ... ومن أجلها أهوي يدي فأدارك

وقال آخر:

عريض البطان جديد الخوان ... قريب المراث من المرتع

فنصف النهار لكرياسه ... ونصفٌ لمأكله أجمع

لأعربي في عسل قصب السكر الأصمعيّ قال: قيل لأعرابيّ: ما يعجبك من هذا القند؟ قال: يعجبني خضده وبرده قال الأصمعيّ: الخضد: المضغ والأكل الشديد خالد بن صفوان وجاريته قال خالد بن صفوان يوماً لجريته: يا جارية، أطعمينا جبنً، فإنه يشهيّ الطعام ويهيج المعدة، وهو يعدّ من حمض العرب، قالت: ما عندنا منه شيء. قال: لأعلمك إنه والله ما علمت ليقدح في الأسنن ويستولي على البطن وأنه من طعام أهل الذمّة.

كان يقل: إذا كثرت المقدرة، ذهبت الشهوة.

شعر لبعض الظرفاء وقال بعض الظرفاء:

زرعنا فلما سلّم الله زرعنا ... وأوفى عليه منجلٌ بحصاد

بلينا بكوفيّ حليف مجاعةٍ ... أضرّ علينا من دبي وجراد

من حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن نافع عن ابن عمر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " من دخل على غير دعوة دخل سارقاً وخرج مغيراً ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله " عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا دعي أحدكم فجاء مع الرسول فإنّ ذلك له إذنٌ " ابن عمر وعن مجاهد: أن ابن عمر كان إذا دعي إلى طعام وهو صائم يجيب، وكان يهيء اللقمة بيده ثم يقول: كلوا باسم الله فإني صائم للنبي صلى الله عليه وسلم وعن أسماء بنت رفيد قالت: دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم، فأتي بطعام فعرض علينا فقلنا: لا نشتهيه. فقال: " لا تجمعنّ كذباً وجوعاً " لعلي بن أبي طلب رضي الله عنه دعا رجل عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى طعام، فقال: نأتيك على ألاّ تتكلّف ما ليس عندك، ولا تدّخر عن ما عندك.

وكان يقول: شرّ الإخوان من تكلّف له.

من آداب الدعوة دعا رجل رجلاً إلى الغداء ثم قال له: هذه بكر زيارة ولم نستعدد، فلعل تقصيراً فيم أحبّ بلوغه. فقال الآخر: حرصك على كرامتي يكفيك مؤونة التكلّف.

بين إسحاق لموصلي والزبير بن دحمان قال إسحاق بن إبراهيم الموصليّ: أتني الزبير بن دحمان يوماً فسألته أن يقيم عندي، فقال: قد أرسل إليّ الفضل بن الربيع وليس يمكنني التخلّف عنه. فقلت له:

---

(١) عيون الأخبار، ص/٣٥٤

أقم يا أبا العوّام ويحك نشرب ... ونله مع اللاّهين يوماً ونطرب

إذا ما رأيت اليوم قد خيره ... فخذه بشكر واترك الفضل يغضب

وقال بعض المحدثين:

نحن قوم متى دعينا أجبنا ... ومتى نلس يدعنا التطفيل

ونقل علّنا دعينا فغبنا ... وأتانا فلم يجدنا الرسول

نصيحة طفيل العرائس لأصحابه كان طفيل العرائس الذي ينسب إليه الطّفيليونّ يوصي أصحابه فيقول لأحدهم: إذا دخلت عرساً فلا تتلّفت تلّفت المريب، وتخّير المجالس، وأجد ثيابك، واعمل على أنها العقدة التي تشغل. وإن "كان " العرس كثير الزحام فمر وأنه ولا تنظر في عيون أهل المرأة ولا عيون أهل الرجل، فيظن هؤلاء أنك من هؤلاء. وإن كان البوّاب غليظاً وقاحاً فأبدأ به ومره وانهه من غير أن تعنّف عليه، وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال.

عرض رجل على رقبة الغداء؛ فقال: إن أقسمت عليّ وإلا فدعني.

شعر لطفيلي ومن أشعار الطّفيلين:

دعوت نفسي حين لم تدعني ... فالحمد لي لا لك في الدعوة

وقلت ذا أحسن من موعدٍ ... إخلافه يدعو إلى جفوه

وقال آخر:

إذا جاء ضيفّ جاء للضيف ضيفن ... فأودي بما تقرى الضيوف الضّيافن

شعر لإسحاق الموصلي وقال إسحاق بن إبراهيم الموصليّ:

نعم الصديق صديقٌ لا يكلّفني ... ذبح الدّجاج ولا شيءّ الفراريج

يرضي بلونين من كشك ومن عدس ... وإن تشهّى فزيتون بطسّوج

لسعيد بن أسعد الأنصاري كان سعيد بن أسعد الأنصاري إمام الجامع بالبصرة طفيليّاً؛ فإذا كانت وليمةٌ سبق الناس إليها، فربما بسط معهم البسط وخدم. فقيل له في ذلك فقال: إني أبادر برد الماء، وصفو لقدور، ونشاط الخباز، وخلاء المكان، وغفلة الذّبّان، وجفاف المنديل.

لطفيلي." (١)

"وقيل لبعض الطفيليّين: كم اثنان في اثنين قال: أربعة أرغفةٍ.

باب الضيافة وأخبار البخلاء على الطعام

من حديث النبي صلى الله عليه وسلم في حق الضيف عن المقدام أبي كريمة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلميقول: " أيّما مسلم ضافه قومٌ فأصبح الضيف محروماً كان له على كلّ مسلم نصره حتى يأخذ بقربى ليلته من زرعه وماله " .

لأبي هريرة روى ابن العجلان عن أبيه قال: قال أبو هريرة: إذا نزلت برجل ولم يقرك فقاتله.

---

(١) عيون الأخبار، ص/٣٥٦

للنبي صلى الله عليه وسلم عن أنس قال: قال رسول الّه صلى الله عليه وسلم: " الخير أسرع إلى مطعم الطّعام من الشّفرة في سنام البعير " .

الحسن وداود داود قال: قلت للحسنك إنك تنفق من هذه الأطعمة وتكثر. قال: ليس في الطعام سرفٌ.

للثوري وقال الثوريّ: ليس في الطعام ولا في النساء سرفٌ.

من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ثم لابن عباس عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنّ من السّنّة أن يمشي الرجل مع ضيفه إلى باب الدار " .

عن عبد الرحمن بن عباس قال: رأيت ابن عباس في وليمة فأكل وألقى للخبّاز درهماً.

في قرى الضيف الأصمعيّ قال: سئل أقرى أهل اليمامة للضيف: كيف ضبطتم القرى؟ قال: بأنا لا نتكلّف ما ليس عندنا.

عن بعض النّساك قال: قد أعياني أن أنزل على رجل يعلم أني لست آكل من رزقه شيئاً.عن عون بن عبد الله قال: ضلّ رجلٌ صائمٌ في عام سنةٍ، فابتلي برجل عند فطره وقد أتي بقرصين فألقى إليه أحدهما، ثم قال: ما هذا بمشبعه ولا بمشبعي، ولأن يشبع واحد خير من أن يجوع اثنان؛ وألقى إليه الآخر. فلما أوى إلى فراشه آتاه آت فقال: سل. فقال: أسأل المغفرة. قال: قد فعل ذلك بك. قال: فإني أسأل أن يغاث الناس.

عن الحسن: أنّ رجلاً جهده الجوع، ففطن له رجلٌ من الأعيان، فلمّا أمسى أتى به رحله، فقال لامرأته: هل لك أن نطوي ليلتنا هذه لضيفنا؟ قالت: نعم. قال: فإذا قدّمت الطعام فادني إلى السراج كأنك تصلحيه فأطفئيه. ففعلت وجاءت بثريدة كأنها قطاة فوضعتها بين أيديهما، ثم دنت إلى السراج كأنّها تصلحه فأطفأته، فجعل الأنصاريّ يضع يده في القصعة ثم يرفعها خالية؛ فأطلع على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما أصبح الأنصاريّ صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، فلما سلّم أقبل على الأنصاريّ وقال: " أنت صاحب الكلام الليلة؟ " ؛ ففزع الأنصاريّ وقال: أيّ كلامٍ يا رسول الله؟ قال: كذا وكذا – قوله لامرأته – قال: كن ذاك يا رسول الله. قال: " فوالله لقد عجب الله من صنعكما الليلة " .

لعمر بن عبد العزيز الأصمعيّ قال: كان عمر بن عبد العزيز إذا قدم عليه بريدٌ قال: هل رأيت في الناس العرسات؟ يعني الخصب للمسلمين.

وقيل لأعرابيّ كان في مجلس: فيم كنتم؟ قال: كنا في قدر تفور، وكأس تدور، وغناء يصور، وحديث لا يخور.

عذري يحدّث بما رأى في حضر المسلمين." (١)

"قلت: فإنّي أسأل الله ألاّ يعذّب هذا الوجه بالنار.

شعر لأعرابي، ولآخرين قال أعرابيّ:

يا زين من ولدت حوّاء من ولدٍ ... لولاك لم تحسن الدنيا ولم تطب

أنت التي من أراه الله صورتها ... نال الخلود فلم يهرم ولم يشب

---

(١) عيون الأخبار، ص/٣٥٧

وقال أعرابيّ:

إذا هنّ أبدين الخدود وحسّرت ... ثغورٌ عن الأفواه كي تتبسّما

أجاد القضاة العادلون قضاءهم ... لهنّ بلا وهمٍ وإن كنّ أظلما

" وقال عروة بن أذينة " :

إنّ التي زعمت فؤادك ملّها ... خلقت هواك كما خلقت هوىً لها

فإذا وجدت لها وساوس سلوةٍ ... شفع الفؤاد إلى الضمير فسلّها

بيضاء باكرها النعيم فصاغها ... بلباقةٍ فأدقّها وأجلّها

وقال أعرابيّ يرقص ابناً له:

يا ربّ ربّ مالكٍ بارك فيه ... بارك لمن يحبّه ويدينه

ذكرني لّما نظرت في فيه ... أجزع نورٍ غربت أواخيه

والوجه لما أشرقت نواحيه ... دينار عينٍ بيدٍ تبريه

لابن شبرمة وقال ابن شبرمة: ما رأيت لباساً على رجل أزين من فصاحةٍ، ولا رأيت لباساً على امرأةٍ أزين من شحمٍ.

لأعرابي حسن الكدنة قيل لأعرابيّ: إنك لحسن الكدنة فقال: ذلك عنوان نعمة الله عندي.

للحجاج قال الحجّاج: لا يحسن نحر المرأة حتى يعظم ثدياها.

شعر للمرار العدوي وقال المرّار العدويّ:

صلته الخدذ طويلٌ جيدها ... ضخمة الثّدي ولّما ينكسر

لعلي بن أبي طالب وقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: لا تحسن المرأة حتى تروي الرضيع، وتدفىء الضّجيع.

بين أسدي وامرأة عن رجل من بني أسدٍ قال: أضللت إبلاً لي، فخرجت في طلبهنّ، فهبطت وادياً وإذا أنا بفتاةٍ أعشى نور وجهها نور بصري؛ فقالت لي: يا فتى، ما لي أراك مدلّها؟ فقلت: أضللت إبلاً لي فأنا في طلبها. قالت: أفأدلّك على من هي عنده وإن شاء أعطاكها؟ قلت: نعم ولك أفضلهنّ. قالت: الذي أعطاكهنّ أخذهنّ وإن شاء ردهنّ، فسله من طريق اليقين لا من طريق الإختبار. فأعجبني ما رأيت من جمالها وحسن كلامها، فقلت: ألك بعلٌ؟ قالت: قد كان، ودعي فأجاب فأعيد إلى ما خلق منه. قلت: فما قولك في بعل تؤمن بوائقه، ولا تذمّ خلائقه؟ فرفعت رأسها وتنفّست وقالت:

كنّا كغصنين في أصلٍ غذاؤهما ... ماء الجداول في روضات جنّات

فاجتثّ خيرهما من جنب صاحبه ... دهرٌ يكرّ بترحاتٍ وفرحات

وكان عاهدني إن خانني زمنٌ ... ألاّ يضاجع أنثى بعد مثواتي

وكنت عاهدته إن خانه زمنٌ ... ألاّ أبوء ببعل طول محياتي

فلم نزل هكذا والوصل شيمتنا ... حتى توفّي قريباً مذ سنيّات

فاقبض عنانك عمّن ليس يردعه ... عن الوفاء خلافٌ بالتحيّات

بين متمّم بن نويرة وعمر بن الخطاب قال أبو اليقظان: دخل متمّم بن نويرة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر: ما أرى في أصحابك مثلك! قال: يا أمير المؤمنين، أما والله إنّي مع ذلك لأركب الجمل الثّفال، وأعتقل الرّمحِ الشّطون، وألبس الشّملة الفلوت. ولقد أسرني بنو تغلب في حديث، فأطلقوني له بغير فداءٍ.

كان يقال: المنظر محتاجٌ إلى القبول، والحسب محتاجٌ إلى الأدب، والسّرور محتاجٌ إلى الأمن، والقرابة محتاجة إلى المودّة، والمعرفة محتاجة إلى التّجارب، والشرف محتاج إلى التّواضع، والنجدة محتاجةٌ إلى الجدّ.

قال الحسن بن وهب:

ما لمن تمّت محاسنه ... أن يعادي طرف من نظرا

لك أن تبدي لنا حسناً ... ولنا أن نعمل البصرا

باب القبح والدّمامة

لأمير من أمراء العراق في امرأة قبيحة أخبرنا بعض أشياخ البصرة أنّ رجلاً وامرأته اختصما إلى أمير من أمراء العراق، وكانت المرأة حسنة المنتقب قبيحة المسفر، وكان لها لسانٌ، فكأن العامل مال معها، فقال: يعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوّجها ثم يسيء إليها. فأهوى الزوج فألقى النّقاب عن وجهها، فقال العامل: عليك اللعنة، كلام مظلوم ووجه ظالم.

لرجل من البصرة تزوج ومنع من الخروج." (١)

"ثم مضت معي ومع القوم تولول حتى انتهينا إليه، فغسّلناه وكفّنّاه وصلّينا عليه، فأكبّت على قبره؛ وخرجت لطيّتي حتى أتيت يزيد بن عبد الملك، وأوصلت إليه الكتاب؛ فسألني عن أمورالناس، قال: هل رأيت في طريقك شيئاً؟ قلت:نعم، رأيت والله عجباً.وحدّثته الحديث؛ فاستوى جالساً، ثم قال: لله أنت يا محمد بن قيس! امض الساعة قبل أن تعرف جواب ما قدمت له، حتى تمرّ بأهل الفتى وبني عمّه، وتمرّ بهم إلى عامل المدينة، وتأمره أن يثبتهم في شرف العطاء، وإن كان أصابها ما أصابه، فافعل ببني عمّها ما فعلت ببني عمه ثم ارجع إليّ حتى تخبرني بالخبر، وتأخذ جواب ما قدمت له. فمررت بموضع القبر، فرأيت إلى جانبه قبراً آخر، فسألت عنه فقيل: قبر المرأة، أكبّت على قبره، ولم تذق طعاماً ولا شراباً، ولم ترفع عنه إلى ثلاثة أيام " إلا " ميتةً. فجمعت بني عمّها وبني عمّه، وأثبتّهم في شرف العطاء جميعاً.

لرجل من بني تميم في عاشقين ماتا عشقاً عن هشام بن حسّان عن رجل من بني تميم قال: خرجت في طلب ناقةٍ لي، حتى وردت على ماءٍ من مياه طيءٍ، فإذا أنا بعسكرين بينهما دعوة فإذا أنا بفتى شابٍ وجاريةٍ في العسكر، وإذا هو قد سمع نبرةً من كلامها وهو مريض، فرفع عقيرته وقال:

ألا ما للمليحة لا تعود ... أبخلٌ بالمليحة أم صدود

فلو كنت المريضة كنت أسعى ... إليك ولم ينهنهني الوعيد

فسمعتصوته فخرجت تعدو، فأمسكها النساء، وأبصرها فأقبل ينشد، فأمسكه الرجال فأفلت وأفلتت، فاعتنقا وخرّا ميتين؛ فخرج شيخ من تلك الأخبية حتى وقف عليهما، فاسترجع لهما، ثم قال: أما والله لئن كنتما لم تجتمعا حيّين لأجمعنّ بينكما

---

(١) عيون الأخبار، ص/٣٨٣

ميّتين. قال: فقلت: من هذا؟ قال: هذا ابن أخي، وهذه ابنتي. فدفنهما في قبر وحد.

عبد الله بن عجلان عن ابن سيرين قال: قال عبد الله بن عجلان صاحب هند التي عشقها وكانت تحبّه فطلّقها:

ألا إنّ هنداً أصبحت لك محرماً ... وأصبحت من أدنى حموتّها حما

وأصبحت كالمقمور جفن سلاحه ... يقلّب بالكفّين قوساً وأسهما

ومدّ بها صوته ثم مات. قال الأصمعيّ: فيه قال الشاعر:

إن متّ من الحبّ ... فقد مات ابن عجلان

لأعرابي من العذريين **قيل لأعرابيّ** من العذريينّ: ما بال قلوبكم كأنها قلوب طيرٍ تنماث كما ينماث الملح في الماء! أما تجلدونّ؟ فقال: إننا ننظر إلى محاجر أعينٍ لا تنظرون إليها.

وقيل لأعرابيّ: ممنّ أنت؟ فقال: من قوم إذا أحبواّ ماتوا. فقالت جارية سمعته: عذّريّ وربّ الكعبة!.

لعبد الملك بن عمير في أخوين من بني كنّة عن عبد الملك بن عمير قال: كان أخوان من بني كنّة من ثقيف، أحدهما ذو أهل، والآخر عزبٌ، وكان ذو الأهل إذا غاب خلفه العزب في أهله؛ فغاب غيبةً له؛ فجاء العزب يوماً فطلعت عليه امرأة الأخ، وهي لا تعلم بمكانه، وعليها درع يشفّ، فسترت وجهها بذراعيها، فوقعت في قلبه، وجعل يذوب حتى صار كأنه خيطٌ، فقدم أخوه فقال: يا أخي، ما لك؟ قال: لا أدري. واستحيا أن يذكر ما به؛ فانطلق أخوه إلى الحارث بن كلدة طبيب العرب، فوصفه له؛ فقال: احمله إليّ. فلما نظر إليه قال: أمّا العينان فصحيحتان وأما الجسم فذائب ولا أظن أخاك إلا عاشقاً قال: ترى أخي بالموت وتزعم أنه عاشق! قال: هو ما أقول لك فاسقه الشراب فسقاه الخمر، فقال الشعر ولم يكن الشعر من شأنه فقال:

ألّما بي إلى الأبيا ... ت بالخيف أزر هنّه

غزال ما رأيت اليو ... م في دور بني كنّه

غزال أكحل العين ... وفي منطقه غنّه

فقال أخوه: والله ما أراه إلا كما قال ولكن لا أدري من عني فسقاه شربةً أخرى فقال:

أيها الحيّ اسلموا ... اسلموا ثمت اسلموا

لا تولوا وتعرضوا ... واربعوا كي تكلموا

خرجت مزنة من ال ... بحر ريا تحجم

هي ما كنّتي وتز ... عم أني لها حم

قال: يا أخي هي طالقٌ ثلاثاً، فإن شئت فتزوجها. قال: وهي طالقٌ إن تزوجتها. قال غيره. فلما أفاق ذهب على وجهه حياءً ولم يرجع، فهو فقيد ثقيف.

خبر عباس والجارية التي هويها." (١)

---

(١) عيون الأخبار، ص/٤١٠

"قفا ودّعا نجداً ومن حلّ بالحمى ... و قلّ لنجد عندنا أن يودّعا

و منه:

بكت عيني اليمنى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معاً

و ساق الشارح في ذكر أبيات من القصيدة و نظائر فأوردها و شرح ما يحتاج إليه في المقام ثم قال و أنشد أبو علي، و لم يثبت البيت هنا،إلى أن نقل شعرا:

يقول لي دار الأحبّة قد دنت ... و أنت كئيب إنّ ذا لعجيب

فقلت وما تغنى ديار تقاربت ... إذا لم يكن بين القلوب قريب

قال أبو عليّ " ١ – ١٩٥،١٩٢ " ومن كلام العرب " الحسن أحمر " أي من أراد الحسن صبر على أشياء يكرهها.

ع فمعنى أحمر على هذا التأويل شديد و قد تقدم القول في ذلك " ٥٧ " و ذكرنا حديث عليّ: كنّا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن أحد أقرب إلى العدوّ منه. وقال الأشتر يوم صفّين: من أراد الموت الأحمر فليتّبعني. و في المثل الذي ذكره تأويل آخر وهو أنّ المراد به اللون، والعرب تسمّى المرأة الحسناء حمراء. قال جرير وسئل عن الأخطل فقال: هو أوصفنا للخمر والحمر: يعني حسان النساء. وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمّى عائشة: الحميراء. قال الأصمعي وغيره: الحمراء: المرأة الجميلة الحسناء. وقال سيبويه وهذه الصفة لّما كثر استعمالهم لها لزمت فصارت كالاسم كالأدهم والأجدل. وقيل لأعرابي تمنّه! فقال: حمراء مكسال، من بنات الأقيال. وكذلك تقول العرب أيضاً للرجل البارع الحسن: أحمر وقّاد. ومنه حديث مسمع بن يزيد قال: مررت بالمدينة زمن عثمان ومعي نوف الغفاري، وكان أعلم الناس بالحدثان، فمرّ بنا مروان بن الحكم فقال لي: يا مسمع أترى هذا؟ قلت: نعم. قال: هو صاحب الأمر إذا مرج أمر الناس. قال مسمع: فتأمّلته فإذا هو أحمر وقّاد. وأصل هذه الصفة الغالبة من اللون وظهور الدم في الوجه لاشكّ فيه، ألا تراهم يشبّهون المرأة الحسناء بالنار. قالت الأعرابية وقد سئلت عن بنتها: والله لهي أحسن من النار الموقدة في الليلة القرّة. وقال الشاعر وهو من أبيات المعاني في النار:

وحمراء غبراء الفروع منيفة ... بها توصف الحسناء أو هي أجمل

وقال أبو نواس:

وذات خدّ مورّد ... قوهيّة المتجرّد

تأمّل العين منها ... محاسناً ليس تنفد

وبيّن بشار بن برد أن المراد بالمثل ما ذكرناه بقوله:

وإذا خرجت تقنّعي ... بالحمر إنّ الحسن أحمر

ولذلك كانت العرب تلبس العروس الثياب الحمر، قال الأسديّ:

ألبست أثواب العروس سراتهم ... من بعد ما لبسوا ثياب الآئب

يعني قتلاهم المضرّجين بالدماء فكأنهم قد لبسوا ثياب العروس المعروفة بالحمرة من بعد أن كان لبسهم الدروع، وهي ثياب

الذي آب من الخطئة إلى التوبة وأناب، يعني داود عليه السلام.

وذكر أبو عليّ " ١ - ١٩٥،١٩٢ " قولهم: من حقّنا أو رقّنا فليترّك وخبر المثل.

ع ونقص مما أورده أنّ المرأة لما غطّت رأس النعامة بثوبها ثم انصرفت إلى الحيّ لتأخذ شفرة فقالت لهم هذه المقالة وأتت موضع النعامة وجدتها قد أساغت الصعرور وذهبت بثوبها. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: " فلان يحقّنا ويرقّنا " أي يعطينا ويميرنا، وقد تقدم القول في هذا عند إنشاد أبي علي قول الحسين بن مطير يمنيننا حتى ترفّ قلوبنا ص " ١٠١ " .

وأنشد أبو عليّ " ١ - ١٩٥،١٩٢ " للنابغة:

وكيف تصادق من أصبحت ... خلالته كأبي مرحب

ع هو النابغة الجعديّ. وقبله:

وبعض الأخلاّء عند البلا ... ء والرزء " أروغ من ثعلب "

وكيف تواصل من أصبحت ... خلالته كأبي مرحب

رآك ببتّ فلم يلتفت ... إليك وقال كذاك أدأب

أراد كخلالة أبي مرحب فحذف كما قال النابغة الذبيانيّ:

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي ... على وعل في ذي المطارة عاقل

يريد مخافة وعل. وقال ابن الأعرابي: يقال للرجل الحسن الوجه لا باطن له أبو مرحب.

وقال محمد بن يزيد: أبو مرحب وأبو جعدة: الذئب.

وأنشد أبو علي " ١ - ١٩٥،١٩٢ " لأوفى بن مطر:

ألا أبلغا خلّتي جابراً ... بأنّ خليلك لم يقتل

ع وبعده:." (١)

"وقالت امرأة العجاج:

والله لا تخدعني بضم ... ولا بتقبيل ولا بشم

إلا بهزهاز يسلي همى ... يسقط منه فتخي في كمي

وقالت أخرى:

لا يقنع الجارية اللعاب ... ولا الوشاحان ولا الجلباب

من دون أن تصطفق الأركاب ... وتلتقي الأسباب والأسباب

ويخرج الزب له لعاب

وأكثر الناس يرى أن الظفر بالمعشوقة يسقط شطر عشقيهما، وأن النكاح يسقط الحب، قيل لأعرابي وقد طال عشقه لجارية: ما كنت صانعا لو ظفرت بها ولا يراكما غير الله، قال: إذن والله لا أجعله أهون الناظرين، لكني أفعل بها ما أفعله

---

(١) سمط اللآلي، ص/١٣٣

بحضرة أهلها، شكوى! وحديث عذب، وإعراض عما يسخط الرب، ويقطع الحب. وقال ابن الدمينة:

أحبك يا سلمى على غير ريبة ... وما خير حب لا تعف سرائره

وماذا الذي يشفى من الحب بعدما ... تشربه بطن الفؤاد وظاهره

وقال عمر ابن أبي ربيعة:

بعثت وليدتي سحراً ... وقلت لها خذي حذرك

وقولي في ملاطفة ... لزينب نولى عمرك

فهزت رأسها عجبا ... وقالت من بذا أمرك؟

أهذا سحرك! النسوا ... ن قد خبرنني خبرك

وقلن إذا قضى وطرا ... وأدرك حاجة هجرك

وأنشد أبو علي للشماخ:

وتشكو بعين ما أكل ركابها

ع وقبلهما:

وكادت غداة البين ينطق طرفها ... بما تحت مكنون من الصدر مشرج

وتشكو بعين ما أكل ركابها

هكذا رواه أبو علي بفتح الباء. قال: ويروى ما أكلت ركابها بالفتح أيضا، ورواه أبو حاتم عن الأصمعي وأبي عمرو الشيباني ما أكل ركابها، وما أكلت ركابها بالضم فيهما أي إكلال ركابها، يقال: أكلت الناقة: إذا دخلت في الكلال، وكلت: ضعفت، ولم يعد على ما شيء كما لم يعد في قولك: سرني ما فعلت. ومن روى ما أكلت ركابها: بالنصب فإنه أنث على معنى الرحلة. ومثل قوله: بحاجتها - وهو يريد بحاجتي إليها - قول لبيد: فاقطع لبانة من تعرض وصله. معناه أقطع لبانتك عنده وحاجتك إليه.

وأنشد أبو علي للضحاك: يقول مجنون بسمراء مولع ع هذا الشعر قد تقدم إنشاده، وذكرنا أنه لحكيم بن معية التميمي. وأن أحمد بن يحيى نسبه إلى قيس بن ذريح، ونسبه أبو على هنا للضحاك بن عمارة بن مالك العدواني، وهو شاعر إسلامي فارس. والصحيح ما قدمناه.

وأنشد أبو علي للراعي:

وعلى الشمائل أن يهاج بناجربان كل مهند عضب

ع وقبله:

ومعاشر ودوا لو أن دمي ... يسقونه من غير ما سغب

ألزقت صحبي من هواك بهم ... وقلوبنا تنزو من الرهب

متلثمين على معارفنا ... نثنى لهن حواشي العصب

وعلى البيت. السغب والسغب: الجوع. يقول ألزقت أصحابي بهؤلاء المعاشر حتى نبلغك على خوف منهم. قال الأصمعي:

والكلام الرهب: فأسكن ضرورة، قال أبو حاتم: هما لغتان قد قرىء بهما القرآن. والمعارف: الوجوه. يقول تلثمنا لكي لا نعرف. يقول نثني لوجوهنا حواشي العصب وسيوفنا على عواتقنا ومناطها الشمائل خوفاً أن يثاورونا قد هيأناها لهم.

وأنشد أبو علي لبشار:

كأن فؤاده كرة تنزى ... حذار البين لو نفع الحذار

ع قال أبو حاتم لا تقول العرب نزيت الكرة، إنما كلامها كروت بها، قال وهذا شعر مولد. قال ابن الأنباري: لم يصنع أبو حاتم شيئاً، والعرب تقول نزيت الكرة، قال ابن لجإ:

حتى ترى الشنة في أصوائها ... ككرة اللاعب في أنزالها

وتمام الشعر:

يروعه السرار إذا رآه ... مخافة أن يكون به السرار

أخذ معنى هذا البيت أبو نواس فقال:

تركتني الوشاة نصب المشيرين وأحدوثة بكل مكان

ما أرى خاليين للسر إلا ... قلت ما يخلوان إلا لشاني

وأنشد أبو علي لعدي:

ألا من لقلب؟ لا يزال كأنه ... يدا لامع، أو طائر يتصرف

ع هذا البيت لجران العود لا لعدي، وبعده:

فلما علانا الليل أقبلت خفية ... لموعدها أعلو الإكام وأظلف

فنازعننا لذاً رخيما كأنه ... مواقع من قطر حواهن صيف

حديثاً لو أن النعل يولى بمثله ... نمى النعل وأخضر العضاة المصيف." (١)

"فارتث كلماهم عشية هزمهم ... حي بمنعرج المسيل مقيم

قال: جعله منعرجاً لأنه لا يصيبه السيل. وقال: أكلتهم الضباع.

أخبرنا محمد قال وثنا أبو العباس قال أبو عبد الله: الأكار في كلام الأنصار: الخبير. وأنشد:

نجذ رقاب الأوس من كل جانب ... كجذ عقاقيل الكروم خبيرها

العقاقيل: ما عقل وعرش. وقال: الخبرة: النصيب. وقال ابن الأعرابي: إنما سميت خيبر من ذا، يعني الأكار.

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى في قوله عز وجل: " لقد تاب الله على النبي " . قال: غفر له ما تقدم من الجاهلية قبل أن يوحى إليه بأربعين سنة، إنما كانت مخايل ثم أوحى إليه. وأنشد:

وما كنت أخشى الدهر أحلاس مسلم ... من الناس ذنباً جاءه وهو مسلما

قال: إحلاس: إلزام. يقول: ما كنت أخشى إلزام مسلم مسلماً ذنباً جاءه هو وهو. معناه ما كنت أظن أن إنساناً ركب

---

(١) سمط اللآلي، ص/٢٠١

ذنباً هو وآخر ثم نسبه إليه دونه.

وقال أبو العباس في قوله عز وجل: " سامراً تهجرون " . قال: وحد سامراً لأنه يقال: قوم سامر ورجل سامر، مثل قوم زور ورجل زور. وقال: تهجرون: تهذون؛ وتهجرون: تقولون القبيح.

وأنشد:

أنجب أيام والداه به ... إذا نجلاه فنعم ما نجلا

أراد أن يكرر اليوم. معناه أنجب والداه به أيام إذ نجلاه. قال: وجعل به مرافعاً للوالدين. وإذا وأيام من صلة أنجب.

ويقال أزهد الرجل، أي قل ماله، وأوتح وأشقن وأوعر أيضاً. وقال: الزعيم، والصبير، والحميل، والأذين، والكفيل. والأميل: الذي لا يثبت في سرجه. والزعيم: الرئيس. و: الزعامة للغلام : الرياسة. وقال: الميثخة: الدرة.

قال: مررت بالذي أخيك يجعل الذي مثل الرجل. وأنشد:

هابوا لقومهم السلام كأنهم ... لما تفانوا أهل دين محتر

دين محتر: مستأصل، أي قليل.

ويقال ذنابة الوادي، وذنب الدابة، وذنابي الطائر. والذنوب: الدلو الملأى ماء، ويقال الدلو العظيمة. قال علقمة:

وفي كل حي قد خبطت بنعمة ... فحق لشأس من نداك ذنوب

ومنه: " وإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم " .

وقال أبو العباس: وقال المفضل: العرب تقول للغلام إذا بلغ عشر سنين: رمى، أي قويت يده؛ فإذا بلغ عشرين قالوا: لوى، أي لوى يد غيره؛ فإذا بلغ ثلاثين قالوا: عوى – قال: وعوى أشد من لوى قليلاً. فإذا بلغ الأربعين قالوا: استوى؛ فإذا بلغ الخمسين قالوا: حرى أن ينال الخير كله.

قال أبو العباس: وقال لنا يعقوب: بيوت العرب ستة. قبة من أديم ومظلة من شعر، وخباء من صوف، وبجاد من وبر، وخيمة من شجر، وأقنة من حجر.

وقال: قال أبو العميثل: **قيل لأعرابي**: أي الخيل أجود؟ قال: المقبلات كالقنا، المعرضات كالدبا، المترصات كالنوى، المدبرات كالقرى. قال: هو من القرى، وهو الطريق في الماء.

قال: وقال ابن الأعرابي: أنشدونا: ليس ذنابي الطير كالقوادم ومثله: ليس ذرا الجمال كالمناسم ويقال لليلة ثلاثين الليلاء، وهو قولهم ليلة ليلاء. ويوم أيوم. واليوم الأيوم: آخر يوم في الشهر.

وأنشد:

تدراكه في منصل الأل بعدها ... مضى غير دأداء وقد كاد يعطب

وقولهم: منصل الأل، فإنهم كانوا ينزعون أسنتهم في رجب؛ إعظاماً له، لا يتغاورون فيه.

والغفر: النكس. قال: ويقال نكس مثقلة. ويقال انتكس فلان من وجعه ثم غفر. قال الشاعر:

خليلي إن الدار غفر لذي الهوى ... كما يغفر المحموم أو صاحب الكلم

والغفر: شعر يكون في العنق وفي الحيين والقفا. وأنشد:

دعت نسوة شم العرانين كالدمى ... أوانس لاشعثاً ولا غفرات

وتقول العرب: هو منك أدنى ذي ظلم، وأدنى ظلم، وأدنى واضح، أي وضح لك. ويقال الظلم: الشبح. ويقول بعض العرب إذا لقى بعضاً فتهدد: اليوم ظلم، أي أتى حقاً.

وتقول: ما هو إلا على خلق واحد من شب إلى دب، ومن شب إلى دب. يعني مذ كان شاباً إلى أن دب على العصا.

وتقول العرب: ذهب بين الصحوة وبين السكرة، أي بين أن يعقل وبين ألا يعقل. وأنشد:

قالت لها أخت لها نصحت ... ردى فؤاد الهائم الصب

قالت ولم، قالت لذاك وقد ... علقتكم شبا إلى دب." (١)

"قال: والنهاة: الخرزة، وجمعها النها. والنهية والنهى: العقل.

قال أبو العباس: وزعم عثمان بن حفص الثقفي أن خلفا الأحمر أخبره أن هذا الشعر لابن الذئبة الثقفي، عن مروان بن أبي حفصة:

ما بال من أسعى لأجبر عظمه ... حفاظاً وينوى من سفاهته كسرى

أعود على ذي الذنب والجهل منهم ... بحلمى ولو عاقبت غرقهم بحرى

أناة وحلماً وانتظاراً بهم غداً ... فما أنا بالفاني ولا الضرع الغمر

أظن صروف الدهر والجهل منهم ... ستحملهم مني على مركب وعر

ألم تعلموا أني تخاف عرامتي ... وان قناتي لا تلين على القسر

وإني وإياهم كمن نبه القطا ... ولو لم تنبه باتت الطير لا تسرى

وقال أبو العباس: التمزيق غناء السفلة، هو الممرق.

يقال البوارى والبارى والبورى. وأنشد للشماخ: على الماء بارى العراق المضفرا ويقال مهاة ومهى، لماء الفحل في رحم الناقة، وحكاة وحكى: دابة مثل العظاية، وطلاة وطلى: الأعناق: وأنشد:

نكحتها من بنات الأوس مجزئة ... للعوسج اللدن في أبياتها زجل

قال: تزوجتها على أن تقوم لي بهذا. قال: والعوسج والقتاد والشوك وأشباهه تعلف به الإبل وغيرها يطرحون فيه النار حتى يذهب شوكه وهدابه ثم يلقونه للإبل حتى تأكله. فقال: مجزئة تفعل هذا الفعال.

وقال الأصمعي: قيل لأعرابي: ما أرسح نساءكم؟ قال: نار الزحفتين. قال: هو من هنا، أن تشعل النار فتلتهب فتزحف عنها راجعة، وتخمد فتزحف إليها مقبلة. قال: يقول نكحتها مخافة أن تلد البنات فولدت بنات كثيرة ملأت منهن بيته. والعوسج اللدن، كانت العرب يعملون منه المغازل يغزل النساء بها فيكون لمغازلهن زجل. والزجل: الصوت.

في الخبر: اقرءوا القرآن ولا توسدوه، أي اعملوا به ولا تناموا عليه.

---

(١) مجالس ثعلب، ص/٢٠

" إلا إبليس كان من الجن " قال: الجن صنف من الملائكة، وكل ما استتر يسمى جنا.
قال أبو العباس: الليل من عشاء الآخرة إلى الفجر. وقد قال قوم: هو من غروب الشمس إلى طلوعها.
وقال أبو العباس في قوله عز وجل: " وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين " قال: الفتنة: الاختبار.
وأنشد:
يقودون بي أن أعمرتني منية ... وينهون عني كل أهوج شاغب
يقول: أطالت عمري المنية، أي تأخرت عني.
أومن ينشأ في الحلية قال: الجواري.
عبد الله حدثني وعمرو قال: يكون نسقاً على ما في حدثني، ولا يكون على الأول. وقال: إذا وقع النسق والقطع والحال والاستثناء بين الفعل وصلته كان صواباً، وإذا وقع بين الاسم وصلته كان محالا.
" ويوم القيامة يكفرون بشرككم " قال: تكفر الآلهة ما أشركوهم به في الدنيا.
وقال أبو العباس: بعث بهذه الأبيات إلى المازني وقال: وأنشدني الأصمعي:
وقائلة مت بال دوسر بعدنا ... صحا قلبه عن آل ليلى وعن هند
فإن تك أثوابي تمزقن للبلى ... فإني كنصل السيف في خلق الغمد
وإن يك شيب قد علاني فربما ... أراني في ريع الشباب مع المرد
طويل يد السربال أغيد للصبا ... أكف على ذفراى ذا خصل جعد
وحنت قلوصى من عدان إلى نجد ... ولم ينسها أوطانها قدم العهد
إذا شئت لاقيت القلاص ولا أرى ... لقومي أشباهاً فيألفهم ودي
وأمى الذي يرمون عن قوس بغضة ... وليس على مولاي حدى ولا عمدي
إذا ما امرؤ ولي علي بوده ... وأدبر لم يصدر بإدباره ودي
ولم أتعذر من خلال تسوءه ... كما كان يأتى مثلهن على عمد
وذي نخوات طامح الرأس قاربت ... حبالي فأرخى من علابيه شدى
وأنشدنا عن الفراء:
ذراني من نجد فإن سنينه ... لعبن بنا شيباً وشيبننا مردا
قال: هذا فيمن يجعل السنين اسماً واحداً.
سقى الله نجداً كيف يترك ذا الغنى ... فقيراً وجلد القوم تحسبه عبدا
يريد أن عيشه عيش شديد، لابد أن يقوم بالمال فيه وإلا ضاع.
وأنشد عن ابن الأعرابي:
وحادر قال لي قولا قنعت به ... لو كنت أعلم أني يطلع القمر

يقول: إن الصبي إذا رأى القمر يهش له.

وأنشد:." (١)

"قال أبو العباس: وسأل سليمان بن عبد الملك أعرابياً عن المطر، فقال: أصابنا مطر انعقد منه الثرى، واستؤصل منه العرق، ولم نر وادياً دارئاً.

وكان أعرابي ضرير تقوده ابنته وترعى غنيمات لها، فرأت سحابة فقال: يا أبة، جاءتك السماء. فقال: كيف ترينها؟ فقال: كأنها فرس دهماء تجر جلالها. قال: ارعى غنيماتك. فرعت ملياً ثم قالت: يا أبه، جاءتك السماء. قال: كيف ترينها؟ قالت: كأنها عين جمل طريف. قال: ارعى غنيماتك. فرعت ملياً ثم قالت: يا ابه، جاءتك السماء. فقال: كيف ترينها؟ قالت: سطحت وابيضت. قال: أدخلي غنيماتك. فجاءت السماء بشئ شطأ له الزرع أينع، وخضر ونضر.

وقال أعرابي من طيئ: بعث قوم رائداً فقالوا: ما وراءك؟ فقال: عشب وتعاشيب، وكمأة متفرقة شيب، تقلعها بأخفافها النيب.

حدثنا أبو العباس قال: قال أبو الحسن المدائني: بعث يزيد بن المهلب، سريعاً مولى عمرو بن حريث، إلى سليمان بن عبد الملك، فقال سريع: فعلمت أنه سيسألني عن المطر، ولم أكن أرتق بين كلمتين، فدعوت أعرابياً فأعطيته درهماً، وقلت له: كيف تقول إذا سئلت عن المطر؟ فكتبت ما قال، ثم جعلته بيني وبين القربوس حتى حفظته، فلما قدمت قرأ كتابي ثم قال: كيف المطر؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، عقد الثرى، واستأصل العرق، ولم أر وادياً دائا. فقال سليمان هذا كلام لست بأبي عذره. فقلت: بلى فقال: اصدقني. فصدقته فضحك حتى فحص برجليه، ثم قال: لقيته الله ابن بجدتها، أي عالماً بها.

قال: وقيل لرجل: كيف كلأ أرضك؟ قال: أصابتنا ديمة بعد ديمة، على عهاد غير قديمة؛ فالناب تشبع قبل الفطيمة.

وقال أبو العباس: قال ابن الأعرابي: أحسن ما تكون المرأة غب نفاسها، وغب بنائها، وغب السماء، وغب النوم. واحسن ما تكون الفرس غب نتاجها.

وقيل لابنة الخس: ما أحسن شئ؟ قالت: غادية في إثر سارية، في نبخاء قاوية. وقد قالوا: نفخاء رابية قالوا: ليس بها رمل ولا حجارة، الجمع نفاخي. ونبت الرابية أحسن من نبت الأودية؛ لأن السيل يصرع الشجر فيقذفه في الأودية ويلقى عليه الدمن. وقال: النبات في موضع مشرف أحسن.

وقالت أيضاً: أحسن شئ سارية في إثر غادية، في روضة أنف قد أكل منها وترك. كذا كان عندها أحسن.

وقيل لأعرابي: أي مطر أصابك؟ قال: أصابنا مطير كسيل شعاب السخبر فروى التلعة المحلة. شعاب السخبر: عرضها ضيق وطولها قدر رمية بحجر. والتلعة المحلة: التي تحل بيتاً أو بيتين.

ويقال: قد حنأت الأرض تحنأ، وهي حانئة: اخضرت والتف نبتها. فإذا أدبر المطر تغير نبتها وقيل: اصحامت فهي مصحامة.

وقال أبو داود العرابي: تركنا بني فلان في ضغيغة من الضغائغ وهي العشب والكلأ الكثير – وتركناهم في خافية من الكلأ

---

(١) مجالس ثعلب، ص/٣٣

- في أرض خافية منكرة لا يتوارى ثراها، تقيء الماء قيئا.

ويقال بقل رابج: ممتلئ ندى وماء. وقال:

رعت من الصمان بقلاً آرجا ... وصلياناً ونصياً رابجا

ويقال: رعينا رقة الطريفة، وهي الصليان والنصى. والرقة: أول خروج نباتها رطبا.

وقالت الينمة: أنا الينمة، أغبق الصبي قبل العتمة، وأكب الثمال فوق الأكمة. الثمال: كهيئة زبد الغنم.

وقال أبو العباس: **قيل لأعرابي**: هل لك في البادية؟ قال: أما ما دام السعدان مستلقياً فلا. وهو أبداً مستلق. كره البادية.

حدثنا أبو العباس قال: قال العتبي: حدثني أبي قال: خرج الحجاج إلى ظهرنا هذا، فلقى أعراباً قد انحدروا للميرة، فقال: كيف تركتم السماء وراءكم؟ فقال متكلمهم: أصابتنا سماء بالمثل، مثل القوائم، حيث انقطع الرمث، بضرب فيه تفتير، وهو على ذلك يعضد ويرسغ ثم أصابتنا سماء أميثل منها، نسيل الدمات والتلعة الزهيدة. فلما كنا حذاء الحفر أصابنا ضرس جود ملأ الإخاذ فأقبل الحجاج على زياد بن عمرو العتكي فقال: ما يقول هذا الأعرابي؟ قال: ما أنا وما يقول، إنما أنا صاحب رمح وسيف. قال: بل أنت صاحب مجداف وقلس، اسبح. فجعل يفحص الثرى ويقول: لقد رأيتني وإن المصعب ليعطيني مائة ألف، وها أنا ذا أسبح بين يدي الحجاج.

قال: **قيل لأعرابي**: ما اشد البرد؟ قال: إذا كانت السماء نقية، والأرض ندية، والريح شامية.

وقيل لآخر: ما اشد البرد؟ قال: إذا صفت الخضراء، ونديت الدقعاء، وهبت الجربياء.

وقيل لآخر: ما أشد البرد؟ قال: إذا دمعت العينان، وقطر المنخران، ولجلج اللسان.." (١)

"ومهد فاتبع كل لفظة لفظة تناسبها ولو قلب بعض الألفاظ إلى بعض لكان كلاما مستويا ولكن أين سماء من أرض وقيل لبعض البلغاء ما البلاغة فقال سد الكلام معانيه وإن قصر وحسن التأليف وإن طال وقال معاوية لعمرو بن العاص من أبلغ الناس قال من اقتصر على الإيجاز وتنكب الفضول قال فمن أصبر الناس قال أردهم لجهله بحلمه **وقيل لأعرابي** من أبلغ الناس قال أحسنهم لفظا وأمثلهم بديهة يعني أحسنهم انتزاعاً للمثل على البديهة وقعد أعرابي إلى ربيعة الرأي فأكثر ربيعة ثم قال يا أعرابي ما البلاغة فقال الإقلال في الإيجاز قال فما العي قال ما كنت فيه منذ اليوم وقيل للمفضل ما الإيجاز فقال تقليل الكثير وتقصير الطويل. والتحضيض مصدر قولك حضضته على الشيء إذا حرضته عليه وحثثته والحض الحث على الخير. والحمالة تحمل الدية عن القوم ويقال أيضا حمال بلا هاء قال الأعشى:

فرع نبع يهتز في غصن المج د عظيم الندى كثير الحمال

والحمالة بكسر الحاء علاقة السيف والجمع الحمائل وكذلك المحمل بكسر الميم والجمع الحامل. والعشائر جمع عشيرة وهي القبيلة ومن دونها ومن أقرب إلى الرجل من أهل بيته والمعشر والنفر والرهط هؤلاء معناها الجمع وهي للرجال دون النساء لا واحد لشيء منها من لفظة وقيل المعشر كل جماعة أمرهم واحد مثل معشر المسلمين ومعشر المشركين. والتلكؤ الاعتلال والامتناع يقال تلكأت تلكؤاً إذا اعتللت وامتنعت. ويحذر يخوف والتحذير التخويف والحذار المحاذرة والحذر والحذر التحرز

---

(١) مجالس ثعلب، ص/٦٠

حذرت أحذر حذراً ورجل حذر وحذر أي متيقظ. والإنذار الإعلام مع التحذير يقال أنذرته أنذره إنذار إذا أعلمته وحذرته ولا يكون المعلم منذراً حتى يحذر بإعلامه فكل منذر معلم وليس كل معلم منذراً.

وقوله " هذا منتهى القول فيما نختاره للكاتب فمن تكاملت له هذه الأدوات وأمده الله بآداب النفس من العفاف والحلم والصبر وسكون الطائر وخفض الجناح فذلك المتناهي في الفضل العالي في ذرى المجد الحاوي قصب السبق الفائز بخير الدارين إن شاء الله " الإمداد أن يرسل الرجل لرجل بمدد يقال أمددنا فلانا بجيش ومال وغير ذلك قال الله تعالى " يمددكم ربكم بخمسة آلاف " وقال في المال " أيحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين " وقال " وأمددناكم بأموال وبنين " ومد النهر وحكى قوم أمد ومده نهر آخر إذا زاد في مائة قال:

سيل أتيٌّ مده أتيّ." (١)

"واسقِ العدوّ بكأسه واعلم له ... بالغيب أن قد كان قبلُ سقاكها

واجز الكرامةَ من ترى أن لولَهُ ... يوماً بذلت كرامةً لجزاكَها

ومعنى هذا الكلام محصور تحت ثلاث كلمات: أجز كلاّ بفعله. وكان السكوتُ لعروة خيراً منه.

ومن الكلام الفاضل لفظه عن معناه قول أبي العيال الهذلي:

ذكرت أخي فعاودني ... صداع الرأسِ والوصبُ

فذكر الرأس مع الصداع فضلٌ.

وقول أوس بن حجر:

وهمْ لمقلّ المالِ أولادُ علّةٍ ... وإن كانَ محضاً في العمومة مخولا

فقوله: المال مع المقل فضلة.

والمقصّر من الكلام: مالا ينبيك بمعناه عند سماعك إيّاه ويحوجك إلى شرح، كبيت الحارث بن حلّزة:

والعيش خيرٌ في ظلا ... لِ النُّوك ممَّنْ رامَ كدَّا

وسنذكر وجه العيب فيه بعد هذا.

وقوله: ولا مضمّنا: التضمين أن يكون الفصل الأوّل مفتقراً إلى الفصل الثاني، والبيتُ الأول محتاجاً إلى الأخير كقول الشاعر:

كأنَّ القلب ليلة قيل يغدى ... بليلى العامريّة أو يراحُ

قطاةٌ غرّها شركٌ فباتتْ ... تجاذبهُ وقد علقَ الجناحُ

فلم يتمّ المعنى في البيت الأول حتى أتمّه في البيت الثاني، وهو قبيح.

ومثاله من نثر الكتاب قول بعضهم: وجعل سيدنا آخذاً من كل ما دعى ويدعى به في الأعياد، بأجزل الأقسام وأوفر الأعداد.

---

(١) شرح أدب الكاتب، ص/٤٦

وقد تسمى استعارتك الأنصاف والأبيات من شعر غيرك، وإدخالك إياه ي أثناء أبيات قصيدتك تضميناً، وهذا حسنٌ وهو كقول الشاعر:

إذا دلّه عزمٌ على الحزمِ لم يقلْ ... غداً غدها إن لمْ تعقْها العوائقُ

ولكنَّه ماضٍ على عزم يومِه ... فيفعل ما يرضاهُ خلقٌ وخالقُ

فقوله: غداً غدها إن لم تعقها العوائق من شعر غيره وهو هاهنا مضمن.

وكقول الآخر:

عوَّذَ لمَّا بتُّ ضيفاً له ... أقراصهُ بخلاً بياسين

فبتُّ والأرضُ فراشي وقد ... غنّت قفانبك مصاريني

وقول الآخر:

ولقد سما للخرَّميّ ولمْ يقلْ ... بعد الوغا لكن تضايقَ مقدَمي

وقول ابن الرّومي في مغنّ:

مجلسِه مأتم اللذاذة وال ... قصفِ وعرس الهموم والسقمِ

ينشِدُها اللّهوَ عندَ طلعتِه ... منْ أوحشتْهُ الديارُ لم يقمِ

وكقول جحظة:

أصبحتُ بين معاشرٍ هجروا الندى ... وتقبّلُوا الأخلاقَ عن أسلافِهمْ

قومٌ أحاولُ نيلهُم فكأنَّما ... حاولتُ نتفَ الشَّعر من آنافهم

هاتٍ اسقينها بالكبير وغنِّني ... ذهبَ الذينَ يعاشُ في أكنافِهِم

وباقي كلامه يتضمّن صفة المتكلم لا صفة الكلام. إلا قوله: ويكون تصفّحه لموارده بقدر تصفّحه لمصادره. وسنأتي على الكلام في هذا ونستقصيه في فصل المقاطع والمبادئ.

وقال بعض الحكماء: البلاغة قولٌ يسير، يشتمل على معنى خطير. وهذا مثل قول الآخر: البلاغة حكمة تحت قول وجيز. وقول الآخر: البلاغة علمٌ كثير في قول يسير.

ومثاله قول الأعرابي، وقد سئل عن مال يسوقه، لمن هو؟ فقال: الله في يدي. فأيّ شيء لم يدخل تحت هذا الكلام القليل من الفوائد الخطيرة، والحكم البارعة الجسيمة.

وقال الله عز وجل اسمه: " ومن يتوكّل على الله فهو حسبه " . قد دخل تحت قوله: فهو حسبه من المعاني ما يطول شرحه من إيتاء ما يرجى، وكفاية ما يخشى.

وهذا مثل قوله عز وجل: " وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين " .

وسئل بعض الأوائل: ما كان سبب موت أخيك؟ قال: كونه. فأحسن ما شاء.

وقد تنازع الناس في هذا المعنى. أخبرنا أبو أحمد قال: أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياضي، قال: **قيل لأعرابي**: كيف

حالك؟ فقال: ما حال من يفنى ببقائه، ويسقم بسلامته، ويؤتى من مأمنه.

وأخبرنا أبو أحمد قال: حدثنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا الغلابي، قال حدثنا ابن عائشة، قال: قلت لأبي: حدّثني حماد بن سلمة، عن حميد بن ثابت، عن أنس والحسن، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كفى بالسّلامة داء. قال: يا بني، ولا أراه إلا مسنداً، فقد قال حميد بن ثور:

أرى بصرِي قد رابنِي بعدَ صحَّةٍ ... وحسبكَ داءً أن تصحَّ وتسلمَا

وقال آخر:

كانتْ قناتي لا تلينُ لغامزٍ ... فألانَهَا الإصباحُ والإمساءُ

ودعوتُ ربّي بالسلامة جاهداً ... ليصحنى فإذا السلامةُ داءُ." (١)

"قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا أعطاك الله خيراً فليبين عليك، وابدأ بمن تعول وارتضح من الفضل، ولا تلم على الكفاف، ولا تعجز عن نفسك " .

وقوله صلى الله عليه وسلم: فليبن عليك أي فليظهر أثره عليك بالصدقة والمعروف، ودلّ على ذلك بقوله: " وابدأ بمن تعول، وارتضخ من الفضل " ، أي اكسر من مالك وأعط، واسم الشيء الرضيخة. " ولا تعجز عن نفسك " أي لا تجمع لغيرك وتبخل عن نفسك، فلا تقدّم خيراً.

وقول أعرابي: اللهم هب لي حقك، وأرض عن خلقك.

وقال آخر: أولئك قومٌ جعلوا أموالهم مناديل لأعراضهم، فالخيرُ بهم زائد، والمعروف لهم شاهد، أي يقون أعراضهم بأموالهم.

وقيل لأعرابي يسوق مالاً كثيراً: لمن هذا المال؟ فقال: لله في يدي.

وقال أعرابي لرجل يمدحه: إنه ليعطي عطاء من يعلم أنّ الله مادته.

وقول آخر: أما بعد فعظ الناس بفعلك، ولا تعظهم بقولك، واستحى من الله بقدر قربه منك، وخفه بقدر قدرته عليك.

وقال آخر: إن شككت فاسأل قلبك عن قلبي.

ومما يدخل في هذا الباب المساواة، وهو أن تكون المعاني بقدر الألفاظ والألفاظ بقدر المعاني لا يزيد بعضها على بعض، وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب، وإليه أشار القائل بقوله: كأنّ ألفاظه قوالب لمعانيه، أي لا يزيد بعضها على بعض.

فما في القرآن من ذلك قوله عزّ وجل: " حورٌ مقصوراتٌ في الخيام " . وقوله تعالى: " ودّوا لو تدهن فيدهنون " ومثله كثير.

ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنما والزكاة مغرما " . وقوله صلى الله عليه وسلم: " إياك والمشارّة فإنها تميت الغرّة وتحي العرّة " .

ومن ألفاظ هذه الفصول ما كانت معانيه أكثر من ألفاظه، وإنما يكره تمييزها كراهة الإطالة.

---

(١) كتاب الصناعتين، ص/١٣

ومن نثر الكتّاب قول بعضهم: سألت عن خبري وأنا في عافية لا عيب فيها إلا فقدك، ونعمة لا مزيد فيها إلا بك.

وقوله: علمتني نبوتك سلوتك، وأسلمني بأسى منك إلى الصّبر عنك. وقوله: فحفظ الله النعمة عليك وفيك، وتولّى إصلاحك والإصلاح لك، وأجزل من الخير حظّك والحظّ منك، ومنّ عليك وعلينا بك.

وقال آخر: يئست من صلاحك بي، وأخاف فسادي بك، وقد أطنب في ذم الحمار من شبّهك به.

ومن المنظوم قول طرفة:

ستبدى لك الأيامُ ما كنت جاهلاً ... ويأتيك بالأخبار من لم تزوّدِ

وقول الآخر:

تهدى الأمورُ بأهلِ الرّأي ما صلحتْ ... فإن تأبّت فبالأشرار تنقادُ

وقول الآخر:

فأمّا الّذي يحصيهم فمكثّر ... وأمّا الذي يطريهم فمقلّلُ

وقول الآخر:

أهابُكِ إجلالاً وما بكِ قدرةٌ ... عليَّ ولكن ملءُ عينٍ حبيبُها

وما هجرتْكِ النّفسُ أنكِ عندها ... قليلٌ، ولكن قلَّ منكِ نصيبها

وقول الآخر:

أصدّ بأيدي العيس عن قصد أهلِهَا ... وقلبِي إليها بالمودّة قاصدُ

وقول الآخر:

يقولُ أناسٌ لا يضيركَ فقدُها ... بلى كل ما شفّ النفوس يضيرها

وقال الآخر:

يطولُ اليومُ لا ألقاكَ فيه ... وحولٌ نلتَقِي فيه قصير

وقالوا: لا يضيرُكَ نأيُ شهرٍ ... فقلتُ لصاحبيّ: فمن يضير

قوله: لصاحبي يكاد يكون فضلاً.

وأما الحذف فعلى وجوه، مها أن تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه وتجعل الفعل له، كقوله الله تعالى: " واسأل القرية " ، أي أهلها.

وقوله تعالى: " وأشربوا في قلبوهم العجل " ، أي حبّه وقوله عز وجل: " الحجُّ أشهرٌ معلومات " ، أي وقت الحج وقوله تعالى: " بل مكرُ الليلِ والنهار " ، أي مكركم فيهما.

وقال المتنخل الهذلي:

يمشّي بيننا حانوتُ خمرٍ ... من الخرس والصّراصرة القطاطِ

يعنى صاحب حانوت فأقام الحانوت مقامه.

وقال الشاعر:

لهمْ مجلسٌ صهبُ السّبال أذلَّةٌ ... سواسيةٌ أحرارُها وعبيدُها

يعنى أهل المجلس.

ومنها أن يوقع الفعل على شيئين وهو لأحدهما ويضمر للآخر فعله، وهو قوله تعالى: " فأجمعوا أمركم وشركاءكم " معناه: وادعوا شركاءكم، وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود.

وقال الشاعر:

تراه كأنَّ اللهَ يجدعُ أنفَه ... وعينيه إنْ مولاهُ ثابَ له وفرُ

أي ويفقأ عينيه.

وقول الآخر:

إذا ما الغانياتُ برزنَ يوماً ... وزجّجنَ الحواجبَ والعيونَا." (١)

"والسجع على وجوه: فمنها أن يكون الجزآن متوازنين متعادلين، لا يزيد أحدهما على الآخر، مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه. وهو كقول الأعرابي: سنة جردت، وحال جهدت، وأيد جمدت، فرحم الله من رحم، فأقرض من لا يظلم. فهذه الأجزاء متساوية لا زيادة فيها ولا نقصان، والفواصل على حرف واحد. ومثله قول آخر من الأعراب، وقد قيل له: من بقى من إخوانك؟ فقال: كلب نابح، وحمار رامح، وأخ فاضح. وقال أعرابي لرجل سأل لئيماً: نزلت بواد غير ممطور، وفناء غير معمور، ورجل غير مسرور، فأقم بندم، أو ارتحل بعدم. ودعا أعرابي، فقال: اللهم هب لي حقّك، وأرض عني خلقك. وقال آخر: شهادات الأحوال، أعدل من شهادات الرجال. ودعا أعرابي، فقال: أعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الذّل إلى لك. وقال أعرابي ذهب بابنه السيل: اللهم إن كنت قد أبليت، فإنك طالما عافيت. **وقيل لأعرابي**: ما خير العنب؟ قال: ما أخضرّ عوده، وطال عموده، وعظم عنقوده. وقال أعرابي: باكرنا وسميّ، ثم خلفه وليّ فالأرض كأنها وشى منشور، عليه لؤلؤ منثور، ثم أتتنا غيوم جراد، بمناجل حصاد، فاحترثت البلاد، وأهلكت العباد، فسبحان من يهلك القويّ الأكول، بالضعيف المأكول.

فهذه الفصول متوازية لا زيادة في بعض أجزائها على بعض، بل في القليل منها، وقليل ذلك مغتفر لا يعتدّ به. فمن ذلك قوله: " فسبحان من يهلك القويّ الأكول " فيه زيادة على ما بعده وهو حسن.

ومنها أن يكون ألفاظ الجزأين المزدوجين مسجوعة، فيكون الكلام سجعاً في سجع، وهو مثل قول البصير: حتى عاد تعريضك تصريحا، وتمريضك تصحيحا. فالتعريض والتمريض سجع، والتصريح والتصحيح سجع آخر، فهو سجع في سجع، وهذا الجنس إذا سلم من الاستكراه فهو أحسن وجوه السجع. ومثل قول الصاحب: لكنه عمد للشوق فأجرى جياده عرّاً وقرحا، وأورى زناده قدحا فقدحا. وقوله: هل من حق الفضل تهضمه شغفا ببلدتك، وتظلمه كلفا بأهل جلدتك. وقوله: وقد كتبت إلى فلان ما يوجز الطريق إلى تخلية نفسه، وينجز وعد الثقة في فك حبسه، فهذان الوجهان من أعلى مراتب الازدواج والسجع.

---

(١) كتاب الصناعتين، ص/٥٦

والذي هو دونهما: أن تكون الأجزاء متعادلة، وتكون الفواصل على أحرف متقاربة المخارج إذا لم تكون من جنس واحد، كقول بعض الكتّاب: إذا كنت لا تؤتى من نقص كرم، وكنت لا أوتى من ضعف سبب، فكيف أخاف منك خيبة أمل، أو عدول عن اغتفار زلل، أو فتوراً عن لمّ شعث، أو قصوراً عن إصلاح خلل. فهذا الكلام جيّد التوازن ولو كان بدل ضعف سبب كلمة آخرها ميم ليكون مضاهياً لقوله: " نقص كرم لكان أجود، وكذلك القول فيما بعده.

والذي ينبغي أن يستعمل في هذا الباب ولا بدّ منه هو الازدواج، فإن أمكن أن يكون كل فاصلتين على حرف واحد، أو ثلاث، أو أربع لا يتجاوز ذلك كان أحسن، فإن جاوز ذلك نسب إلى التكلف. وإن أمكن أيضاً أن تكون الأجزاء متوازنة كان أجمل، وإن لم يكن ذلك فينبغي أن يكون الجزء الأخير أطول، على أنه قد جاء في كثير من ازدواج الفصحاء ما كان الجزء الأخير منه أقصر، حتى جاء في كلام النبي صلى الله عليه وسلم منه شيء كثير. كقوله للأنصار يفضّلهم على من سواهم: " إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلّون عند الطّمع " . وقوله صلى الله عليه وسلم: " رحم الله من قال خيراً فغنم، أو سكت فسلم " . وكقول أعرابي: فلان صحيح النسب، مستحكم السبب، من أي أقطاره أتيته أتى إليك بحسن مقال، وكرم فعال. وقال آخر من الأعراب: اللهم اجعل خير عملي ما ولى أجلي.

وينبغي أيضاً أن تكون الفواصل على زنة واحدة، وإن لم يمكن أن تكون على حرف واحد، فيقع التعادل والتوازن، كقول بعضهم: اصبر على حرّ اللقاء، ومضض النزال، وشدة المصاع، ومداومة المراس. فلو قال: على حرّ الحرب، ومضض المنازلة، لبطل رونق التوازن، وذهب حسن التعادل.

ومن عيوب الازدواج التجميعي، وهو أن تكون فاصلة الجزء الأول بعيدة المشاكلة لفاصلة الجزء الثاني، مثل ما ذكر قدامة: أن كاتباً كتب: وصل كتابك فوصل به ما يستعبد الحرّ، وإن كان قديم العبودية، ويستغرق الشكر، وإن كان سالف ودك لم يبق منه شيئاً، فالعبودية بعيدة عن مشاكلة منه.." (١)

"وكتب خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى مرازبة فارس: الحمد لله الذي فضّ خدمتكم وفرّق كلمتكم.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة. وقال الحجاج: دلوني على رجل سمين الأمانة، أعجف الخيانة. وقال عبد الله بن وهب الراسبي لصحابه: لا خير في الرأي الفطير، والكلام العضيب، فلما بايعوه، قال: دعوا الرأي يغبُّ فإن غبوبه يكشف لكم عن محضه. **وقيل لأعرابي**: إنك لحسن الكدنة، قال: ذاك عنوان نعمة الله عندي. وقال أكثم بن صيفي: الحلم دعامة العقل. وسئل عن البلاغة فقال: دنوّ المأخذ، وقرع الحجة، وقليل من كثير. وقال خالد بن صفوان لرجل: رحم الله أباك، فإنه كان يقرى العين جمالا، والأذن بيانا. **وقيل لأعرابية**: أين بلغت قدرك، قالت: حين قام خطيبها. **وقيل لأعرابية**: كم أهلك؟ قالت: أب وأم وثلاثة أولاد، أنا سبيل عيشهم. وقيل لرؤبة: كيف تركت ما وراءك؟ قال: التراب يابس، والمال عابس. وقال المنصور لبعضهم: بلغني أنك بخيل، فقال: ما أجمد في حق، ولا أذوب في باطل. وقال إبراهيم الموصلي: قلت للعباس بن الحسن: إني لأحبك قال: رائد ذاك عندي. وقال بعضهم: الاستطالة لسان الجهالة. وقال يحيى بن خالد: الشكر كفء النعمة. وقال أعرابي: خرجت ي ليلة حندس، ألقت على الأرض أكارعها، فمحت

(١) كتاب الصناعتين، ص/٨٠

صورة الأبدان، فما كنا نتعارف إلا بالآذان. وقال أعرابي لآخر: يسار النفس خير من يسار المال، ورب شبعان من النّعم، غرثان من الكرم. وغزت نميراً حنيفة فاتبعتهم نمير، فأتوا عليهم، فقيل لرجل: كيف كان القوم؟ فقال: أتبعوهم والله رفدا حقبوا كل جماليّة خيفائة، فما زالوا يحصفون آثار المطي بحوافر الخيل، فلما لقوهم جعلوا المرّان أرشية الموت، فاستقوا بها أرواحهم. وقال آخر: فلان أملس، ليس فيه مستقر لخير، ولا لشر. وقال أحمد بن يوسف وقد شتمه رجل بين يدي المأمون: رأيته يستملي ما يلقاني به من عينيك. **وقيل لأعرابي**: أي الطعام أطيب؟ قال: الجوع أبصر. ومدح أعرابي رجلاً فقال: كان يفتح من الرأي أبوابا منسدة، ويغسل من العار وجوها مسودّة. ومدح أعرابي رجلاً فقال: كان والله إذا عرضت له زينة الدنيا هجّنتها زينة الحمد عنده، وإن للصنائع لغارة على أمواله كغارة سيوفه على أعدائه. ومدح أعرابي قوماً فقال: أولئك غرر تضئ من ظلم الأمور المشكلة، قد صغت آذان المجد إليهم. وقال أعرابي يمدح رجلاً: إنه ليعطى عطاء من يعلم أن الله مادته. ومدح أعرابي رجلاً، فقال: لسانه أحلى من الشهد، وقلبه سجن للحقد. ومدح أعرابي رجلاً فقال: إن أسأت إليه أحسن، وكأنه المسيء، إن أجرمت إليه غفر، وكأنه المجرم، اشترى بالمعروف عرضه من الأذى، فهو وإن كانت له الدنيا بأسرها فوهبها، رأى بعد ذلك عليه حقوقاً، لا يستعذب الخنا، ولا يستحسن غير الوفا.

وذم أعرابي رجلاً فقال: يقطع نهاره بالمنى، ويتوسد ذراع الهمّ إذا أمسى. وذم أعرابي رجلاً فقال: إن فلاناً ليقدم على الذنوب إقدام رجل قدم فيها نذراً، أو يرى أنّ في إتيانها عذرا. وقال أعرابي لرجل: لا تدنس شعرك بعرض فلان، فإنه سمين المال، مهزول المعروف، قصير عمر المنى، طويل حيات الفقر. وسأل أعرابي فقيل له: عليك بالصيارف، فقال: هناك قرارة اللؤم. وذكر أعرابي قوماً فقال: أولئك قوم قد سلخت أقفاؤهم بالهجاء، ودبغت جلودهم باللؤم، فلباسهم في الدنيا الملامة، وزادهم في الآخرة الندامة. وذمّ أعرابي قوما فقال: هم أقل دنواً إلى أعدائهم، وأكثر تجرّما على أصدقائهم، يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء. وذمّ أعرابي رجلاً فقال: ذاك رجل تعدو إليه مواكب الضلالة، ويرجع من عنده ببدر الآثام، معدم مما يحب، مثر مما يكره.." (١)

"وقال أعرابي: ما أشدّ جولة الهوى وفطام النفس عن الصّبا، ولقد تصدعت نفسي للعاشقين، لوم العاذلين قرطة في آذانهم، ولو عات الحب نيران في أبدانهم. وقال أعرابي: ما رأيت دمعة ترقرق في عين، وتجري على خد، أحسن من عبرة أمطرتها عينها، فأعشب لها قلبي. وقال أعرابي وذكر قوماً زهاداً فاز قومٌ أدّبتهم الحكمة، وأحكمتهم التجارب، ولم تغررهم السّلامة المنطوية على الهلكة، ورحل عنهم التسويف الذي قطع به الناسُ مسافة آجالهم، فأحسنوا المقال، وشفعوه بالفعال، تركوا النعيم ليتنعموا، لهم عبرات متدافعة، لا تراهم إلا في وجه عند الله وجيها. ووصف أعرابي والياً فقال: كان إذا ولّى طابق من جفونه، وأرسل العيون على عيونه، فهو شاهد معهم، غائب عنهم، فالمحسن آمن، والمسيء خالف. ووصف أعرابي داراً فقال: هي والله معتصرة الدموع، جرّت بها الرياح أذيالها، وحلّت بها السحاب أثقالها. وذكر أعرابي رجلاً فقال: كان الفهم منه ذا أذنين، والجواب منه ذا لسانين، لم أر أحداً كان أرتق لخلل الرأي منه، كان والله بعيد مسافة الرأي، يرمى بطرفه حيث أشار الكرم، يتحسّى مرارة الإخوان، ويسيغهم العذب. ووصف أعرابي قومه فقال: كانوا والله إذا اصطفوا تحت القتام سفرت

---

(١) كتاب الصناعتين، ص/٨٦

بينهم السهام، بوقوف الحمام، وإذا تصافحوا بالسيوف فغرت المنايا أفواهها، فكم من يوم عارم قد أحسنوا أدبه، وحرب عبوس قد ضاحكتها أسنتهم، وخطب شين، قد ذللوا مناكبه، إنما كانوا كالبحر الذي لا ينكش غماره، ولا ينهنه تيّاره.

وقيل لأعرابي: يزعم فلان أنه كساك ثوبا، فقال: إن المعروف إذا أمرَّ كدّر، وإذا محض امرّ، ومن ضاق قلبه اتسع لسانه.

وذكر أعرابي رجلاً فقال: كلامه منقوض آثار القطا، وهو من ذا رثّ عقال المودة، مسودّ وجه الصداقة، ولئن كان لبنى الآدميين سباخ إنه لمن سباخ بني آدم.

وقيل لأعرابي: لم لا تشرب النبيذ؟ فقال: لا أشرب ما يشرب عقلي.

وقال معاوية: العيال أرضة المال. وقال خالد بن صفوان: إياكم ومجانيق الضعفاء. وقال: لا تضع معروفك عند فاجر، ولا أحمق، ولا لئيم، فإن الفاجر يرى ذلك ضعفاً، والأحمق لا يعرف ما أوتى إليه فيشكره على مقدار عقله، واللئيم سبخة لا ينبت شيئاً ولا يثمر، ولكن إذا رأيت الثرى فازرع المعروف تحصد الشكر، وأنا الضامن.

وأهدت امرأة من العجم إلى هوىً لها في يوم نوروز ورداً وكتبت إليه: هذا اليوم أحدُ فتيان الدهر وشاب أقسامه، والقصف فيه عروس، والورد في البرد كالدر في النّحر، وقد بعثت إليك منه مهراً ليومك، فزوّج السرور من النفس، والطرب من القلب، ولا تستقل براً، فإنا لا نستكثر على قبوله شكراً.

وقال آخر في رجل: ماذا تثير الخبرة من دفائن كرمه. وقال أعرابي لخصمه: أما والله لئن هملجت إلى الباطل، إنك عن الحق لقطوف، ولئن أبطأت عنه لتسرعن إليه، فالعلم أنه إن لم يعد لك الحق عد لك الباطل، والآخرة من ورائك. وقال آخر: الخط مركب البيان. وقال آخر: القلم لسان اليد. وسمعت بعض الأطباء يقول: الماء مطية الطعام.

وقال الحسن بن وهب لكاتبه: لا ترق ماء معروفي بالمن، فإن اعتدادك بالعرف يعقل لسان الشكر.

وأمثال هذا كثير في منثور الكلام وفيما أوردته كفاية إن شاء الله.

فأما الاستعارة من أشعار المتقدمين فمثل قول امرئ القيس:

وليلٍ كموج البحر مرخٍ سدولَه ... عليّ بأنواع الهموم ليبتلِي

فقلت له لما تمطّى بصلبِه ... وأردف أعجازاً وناءَ بكلكلِ

وقال زهير:

صحا القلبُ عن ليلى وأقصر باطله ... وعرِّى أفراسُ الصِّبا ورواحُلهْ

وقول امرئ القيس:

فبات عليه سرجُه ولجامه ... وباتَ بعيني قائما غير مرسلِ

أي كن أراه وأحفظه، وعلى هذا مجاز قوله عز وجل: " تجري بأعيننَا " . وقال زهير:

إذا سدَّتْ به لهواتُ ثغرٍ ... يشار إليه جانبُه سقيمُ

وقال النابغة:

وصدرٍ أراحَ الليلُ عازبَ همهِ ... تضاعفَ فيه الحزنُ من كلِّ جانبِ

وفي هذا البيت ماء وطلاوة ليس مثله في بيت زهير. وقال عنترة:

جادتْ عليه كلُّ بكرٍ حرَّةٍ ... فتركنَ كلَّ قرارةٍ كالدّرهمِ

وقال مهلهل:

تلقى فوارسَ تغلبَ ابنةِ وائلٍ ... يستطعمونَ الموت كل همَام

وقال زهير:." (١)

"وكتب أحمد بن يوسف إلى عبد الله بن طاهر عن المأمون بعزله عن ديار مصر، وتسليم العمل إلى إسحاق بن إبراهيم: أما بعد فإن أمير المؤمنين قد رأى تولية إسحاق بن إبراهيم ما تتولاه من أعمال المعاون بديار مصر، وإنما هو عملك نقل منك إليك. فسلمه من يدك إلى يدك والسلام. واغتاب رجل رجلاً عند سلم بن قتيبة، فقال له سلم: اسكت، فوالله لقد تلمّظت مضغة طالما لفظها الكرام.

ومن المنظوم قول طرفة:

أبينى، أفي يمني يديكِ جعلتِني ... فأفرحَ أم صيّرتني في شمالك

أي أبيني منزلتي عندك أوضيعة هي أم رفيعة، فذكر اليمين وجعلها بدلا من الرفعة، والشمال وجعلها عوضاً من الضّعة.

وأخذه الرّماح بن ميّادة، فقال:

ألم تكُ في يمنى يديك جعلتني ... فلا تجعلنّ بعدها في شمالكا

ولو أنّني أذنبتُ ما كنتُ هالكاً ... على خصلةٍ من صالحات خصالكا

وقال آخر:

تركتُ الرّكابَ لأربابِها ... وأكرهتُ نفسي على ابن الصّعقْ

جعلت يدي وشاحاً له ... وبعض الفوارس لا تعتنق

فقوله: جعلت يدي وشاحاً تمثيل. وقول زهير:

ومن يعصِ أطرافَ الزجاجِ فإنه ... يطيع العوالي ركبتْ كل لهذمِ

أراد أن يقول: من أبي الصلح رضى بالحرب، فعدل عن لفظه، وأتى بالتمثيل، فجعل الزّج للصلح، لأنه مستقبل في الصلح، والسنان للحرب لأن الحرب به يكون، وهذا مثل قولهم: من عصى الصوت أطاع السيف، ومنه قول امرئ القيس:

وما ذرفتْ عيناك إلاَّ لتضربي ... بسهميكِ في أعشارِ قلبٍ مقتلِ

فقال: بسهميك، وأراد العينين. وقال العباس بن مرداس:

كانوا أمامَ المؤمنين دريّةً ... والشمس يومئذٍ عليهم أشمسُ

أراد تلألؤ البيض في الشمس، فكأن على كل رأس شمساً، وقال قدامة: من أمثلة هذا الباب قول الشاعر:

أوردتَهُمْ وصدورُ العيس مسنفةٌ ... والصّبح بالكوكب الدُّريّ منحور

---

(١) كتاب الصناعتين، ص/٨٧

وقال: قد أشار إلى الفجر إشارة إلى طريقه بغير لفظه. وليس في هذا البيت إشارة إلى الفجر، بل قد صرّح بذكر الصبح، وقال: هو منحور بالكوكب، أي صار في نحره، ووضعُ هذا البيت في باب الاستعارة أولى منه في باب المماثلة.

ومما عيب من هذا الباب قول أبي تمام:

أنتَ دلوٌ وذو السَّماح أبو ... موسى قليبٌ وأنت دلوُ القليبِ

أيها الدّلو لا عدمُتك دلواً ... من جياد الدِّلاءِ صلب الصّلِيبِ

الفصل العاشر

في الغلو

الغلو تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها، كقول الله تعالى: " وبلغت القلوب الحناجرَ " . وقال تأبط شرا:

ويومٍ كيومِ العيكتينِ وعطفةٍ ... عطفت وقد مسّ القلوبَ الحناجر

وقال الله تعالى: " وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال " ، بمعنى لتكاد تزول منه. ويقال إنها في مصحف ابن مسعود مثبتة، وقد جاءت في القرآن مثبتة وغير مثبتة. قال الله تعالى: " وإن يكادُ الَّذينَ كفروا ليزلقونكَ بأبصارِهم " .

وقال الشاعر:

يتقارضونَ إذا التقوا في موطنٍ ... نظراً يزيلُ مواطئ الأقدامِ

وكاد إنما هي للمقاربة، وهي أيضاً مع إثباتها توسع، لأن القلوب لا تقارب البلوغ إلى الحناجر وأصحابها أحياء.

وقوله تعالى: " ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجملُ في سمّ الخياط " ، وهذا إنما هو على البعيد، ومعناه لا يدخل الجمل في سمّ الخياط ولا يدخل هؤلاء الجنة.

ومثله قول الشاعر:

إذا زال عنكم أسودُ العينِ كنتمُ ... كراماً وأنتم ما أقام ألائمُ

وقول الآخر:

فرجِّي الخير وانتظرِي إيابي ... إذا ما القارظُ العنزيُّ آبا

وقال النابغة:

فإنك سوف تحلم أو تناهى ... إذا ما شبتَ أو شابَ الغرابَ

ومثال الغلو من النثر قول امرأة من العجم كانت لا تظهر إذا طلعت الشمس فقيل لها في ذلك، فقالت: أخاف أن تكسفني. وقال أعرابي: لنا تمرة فطساء جرداء، تضع التمرة في فيك، فتجد حلاوتها في كعبك. **وقيل لأعرابيّ**: ما حضر فرسك؟ قال يحضر ما وجد أرضا. ووصف أعرابي فرسه، فقال: إن الوابل ليصيب عجزه، فلا يبلغ إلى معرفته حتى أبلغ حاجتي. وذمّ أعرابي رجلاً، فقال: يكاد يعدى لؤمُه من تسمّى باسمه.." (١)

---

(١) كتاب الصناعتين، ص/١٠٨

"وكتب بعضهم يصف رجلاً، فقال: أما بعد، فإنك قد كتبت تسأل عن فلان، كأنك قد هممت بالقدوم عليه، أو حدَّثت نفسك بالوفود إليه، فلا تفعل، فإنّ حسن الظن به لا يقع إلا بخذلان الله تعالى، وإنّ الطمع فيما عنده لا يخطر على القلب إلا بسوء التوكل على الله تعالى، والرجاء لما في يديه لا ينبغي إلا بعد اليأس من رحمة الله تعالى، لا يرى إلا أن الإقتار الذي نهى الله عنه هو التبذير الذي يعاقب عليه، والاقتصاد الذي أمر به هو الإسراف الذي يغضب منه، وأن الصنيعة مرفوعة، والصلة موضوعة، والهمة مكروهة، والثقة منسوخة، والتوسع ضلالة، والجود فسوق، والسخاء من همزات الشياطين، وأن مواساة الرجل أخاه من الذنوب على نفسه، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن آثر على نفسه فقد ضل ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً مبينا، كأنه لم يسمع بالمعروف إلا في الجاهلية الذين قطع الله دابرهم، ومحا معالمهم، ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم وحظر عليهم أن يختاروا مثل اختيارهم، يظنُّ أن الرّجفة لم تأخذ أهل مدين إلا لسخاء كان فيهم، ولم تهلك عاداً بالريح العقيم إلا لتوسّع كان فيهم، فهو يخشى العقاب على الإنفاق، ويرجو الثواب على الإمساك، ويعذر نفسه في العقوق، ويلوى ما له عن الحقوق، خيفة أن ينزل به قوارع العالمين. ويأمرها بالبخل خشية أن يصيبه ما أصلب القرون الأولين، فأقم رحمك الله على مكانك، واصطبر على عسرتك، عسى الله أن يبدّلنا وإياك خيراً منه زكاةً وأقرب رحما.

وقال سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما وقد أثقلت ابنتها بالدر: ما ألبستُها إياه إلا تلفضحه، ونحوه قول الشاعر:

جارية أطيبُ من طيبها ... والطيّب فيه المسك والعنبر

ووجهها أحسن من حليها ... والحلي فيه الدرُّ والجوهر

وقال ابن مطير:

مخصَّرةُ الأوساطِ زانتْ عقودَها ... بأحسنَ مما زينتْها عقودُها

وقيل لأعرابي: فلان يدّعي الفضل على فلان، فقال: والله لئن كان أطول من مسيره ما بلغ فضله، ولو وقع في ضحضاح معروفه غرق. وقال أعرابي: الناس يأكلون أماناتهم لقما، وفلان يحسوها حسواً، ولو نازعت فيه الخنازير لقضى به لها لقرب شبهه منها، وما ميراثه عن آدم إلا أنه سمى آدميا. وذكر أعرابي رجلا، فقال: كيف يدرك بثاره وفي صدره حشو مرفقة من البلغم، وهو المرء لو دقّ بوجهه الحجارة لرضّها، ولو خلا بالكعبة لسرقها.

وأخبرنا أبو أحمد، قال: أخبرنا الصولي، قال: حدثنا الحسن بن الحسين الأزدي قال: حدثنا ابن أبي السرى، عن رزين العروضي، قال: لقيت أبا الحرث جميزاً ومعه غلام لمحمد بن يحيى البرمكي متعلق به، فقلت له: ما لهذا متعلق بك؟ فقال: لأني دخلت أمس على مولاه وبين يديه خوان من نصف خشخاشة، فتنفست فطار الخوان في أنفي فهذا يستعدى عليّ، فقلت له: أما تستحي مما تقول؟ فقال: الطلاق له لازم لو أن عصفوراً نقر حبّة من طعام بيدره ما رضى حتى يؤتى بالعصفور مشوياً بين رغيفين، والرغيفان من عند العصفور قلت: قبحك الله ما أعظم تعدّيك فقال: عليّ المشيُ إلى بيت الله الحرام إن لم يكن صعود السماء على سلم من زبد حتى يأخذ بنات نعش أيسر عليه من أن يطعمك رغيفاً في اليوم.

ومن المنظوم قول امرئ القيس:

من القاصرات الطرف لو دبّ محولٌ ... من الذّرِ فوق الإتب منها لأثَّرا

وقول الأعشى:

فتىً لو ينادي الشمس ألقت قناعها ... أو القمرَ الساري لألقي المقالِدا

ينادي: أي يجالس، وقول أبي الطمحان:

أضاءتْ لهم أحسابهم ووجوههمْ ... دجَى الليل حتى نظَّم الجزعَ ثاقبه

ومثله:

وجوهٌ لو أن المدلجينَ اعتشوا بها ... صدعنَ الدجى حتى ترى الليلَ ينجلِي

وقول الآخر:

من البيض الوجوه بني سنان ... لو أنك تستضيء بهم أضاءوا

وقول النابغة الجعدي:

بلغنا السماءَ مجدُنا وسناؤنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وقول النّمري

تظلّ تحفرُ عنه إن ضربتَ به ... بعد الذراعين والساقين والهادي

وقول الطّرماح:

تميمٌ بطرق اللؤم أهدى من القطَا ... ولو سلكت سبلَ المكارم ضلت

ولو أنّ برغوثاً على ظهرِ قملةٍ ... يكرُّ على صفّي تميم لولّتِ

ولو أنّ أم العنكبوتِ بنتْ لها ... مظلّتها يوم الندى لاستظلتِ." (١)

"وقيل لأعرابي: أي شيء أمتع؟ قال: ممازحة محب، ومحادثة صديق.

وقال بعض الأدباء: أفضل الذخائر: أخ وفي.

وروي عن محمد بن واسع أنه قيل له: أي العمل في الدنيا أفضل؟ قال: صحبة الأصحاب ومحادثة الإخوان إذا اصطحبوا على البر والتقوى.

وقال بعض البلغاء: صديق مساعد: عضد وساعد.

وقيل: الصديق إنسان هو أنت، إلا أنه غيرك.

وقيل ــ أيضًا ــ: رب صديق أود من شقيق.

وقيل لمعاوية: أيما أحب إليك؟ قال: صديق يحببني إلى الناس.

وقيل لأعرابي: أبالصديق أنت آنس أم بالعشيق؟ فقال: يا هذا! الصديق لكل شيء؛ للجد والهزل، وللقليل والكثير، وهو روضة العقل وغدير الروح، أما العشيق؛ فإنما هو للعين، وفي الولوع به إفراط مزجور عنه، فأين هذا من ذاك؟!." (٢)

---

(١) كتاب الصناعتين، ص/١٠٩

(٢) غاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة، حازم خنفر ص/٢٩

"ولا ولده ولا زوجته، فدع الطمع في الصفاء، وخذ عن الكل جانبًا، وعاملهم معاملة الغرباء، وإياك أن تخدع بمن يظهر لك الود؛ فإنه مع الزمان يبين لك الخلل فيما أظهره، وقد قال الفضيل: (إذا أردت أن تصادق صديقًا فأغضبه، فإن رأيته كما ينبغي فصادقه)، وهذا ـ اليوم ـ مخاطرة؛ لأنك إذا أغضبت أحدًا صار عدوا في الحال، والسبب في نسخ حكم الصفاء: أن السلف كانت همتهم الآخرة وحدها، فصفت نياتهم في الأخوة والمخالطة، فكانت دينًا لا دنيا، والآن فقد استولى حب الدنيا على القلوب».

وقيل لرويم بن أحمد: ما الذي أقعدك عن طلب الصديق؟ قال: يأسي من وجدانه.

وقيل لأعرابي: ألك صديق؟ قال: أما صديق فلا، ولكن نصف صديق، قيل: كيف انتفاعك به؟ قال: انتفاع العريان بالثوب البالي.

وقيل لبعضهم: ما الصديق؟ قال: اسم وضع على غير مسمى، وحيوان غير موجود.

وقيل لبعضهم: ما معنى الصديق؟ قال: لفظ بلا معنًى.." (١)

"لا يلتمس خالص مودتي إلا بموافقة شهوتي، وممن ساعدني على سرور ساعتي ولا يفكر في حوادث غدي.

وقال بعض البلغاء: ما ودك من أهمل ودك، ولا أحبك من أبغض حبك.

وقال بعض الأدباء: لا تصحب من الناس إلا من يكتم ويستر عيبك، ويكون معك في النوائب، ويؤثرك في الرغائب، وينشر حسنتك، ويطوي سيئتك، فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك.

وقيل لأعرابي: من أكرم الناس عشرةً؟ قال: من إن قرب منح، وإن بعد مدح، وإن ظلم صفح، وإن ضويق سمح، فمن ظفر به فقد أفلح وأنجح.

وقال موسى بن جعفر: اتق العدو، وكن من الصديق على حذر؛ فإن القلوب إنما سميت قلوبًا لتقلبها.

وقيل لابن السماك ـ محمد بن صبيح ـ: أي الإخوان أحق بإبقاء المودة؟ قال: الوافر دينه، الوافي عقله، الذي لا يملك على القرب، ولا ينساك على البعد، إن دنوت منه داناك، وإن بعدت عنه راعاك، وإن استعنت به عضدك، وإن احتجت إليه رفدك، وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله.." (٢)

"بالأموال الكثيرة ثم تسوغه [١] الثمن من ذلك فيحبو [٢] ويمنح [٣] ويعطي ويقسم، فأقبل يوما **فقيل لأعرابي** قريب عهد بعلة قد أضربه الدهر: ألا تتعرض [٤] لهذا القرشي فانه قد يصنع الخير، قال: فتعرض له في كسي له أحمر، فلما أقبل عليه قال له: أعني على الدهر، قال: نعم، ثم أقبل على وكيله فقال: كم معك؟ قال [٥] : فضلة من المال قال: صبها في كسائه، فصبها فأثقلته حتى أقعدته، قال: فتأمله طويلا، ثم بكى فقال له: ما يبكيك؟

أاستقللت ما أعطيتك؟ قال: لا ولكني فكرت فيما تأكل الأرض من كرمك فبكيت. وذكر مصعب بن عبد الله أن امرأة طلحة هذا [٦] قالت لطلحة:

---

(١) غاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة، حازم خنفر ص/٥٨

(٢) غاية المنوة في آداب الصحبة وحقوق الأخوة، حازم خنفر ص/٧٧

ما رأيت كأصدقائك ما كنت موسرا فهم في منزلك وبفناءك [٧] فإذا التوى عليك الزمان اجتنبوك، فقال: ما زدت إلا أن امتدحتهم إذا كنت لهم محتملا آنسوا [٨] وجملوا [٩] وإذا عجزت عنهم خففوا وعذروا.
وطلحة بن عبد الله [١٠] بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم وهو طلحة الدراهم وكان معطاء وله يقول/ الحزين الكناني [١١] : (المتقارب)

---

[١] في الأصل: يسوغه.

[٢] في الأصل: فيحيء.

[٣] في الأصل: فيمنح.

[٤] في الأصل: تعرض.

[٥] في الأصل: فقال.

[٦] في الأصل: هذا طلحة.

[٧] في الأصل: بفنأنك.

[٨] في الأصل: أآنسوا: آنسوا: ألفوا.

[٩] في الأصل: جملوا- بتضعيف الميم، وجملوا من باب كرم بمعنى حسن خلقهم.

[١٠] في نسب قريش ص ٢٧٨: عبيد الله، وهو خطأ.

[١١] في نسب قريش ص ٢٧٨: الديلي والديل بطن من كنانة. الحزين كسميع لقب واسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك ويكني أبا الشعثاء في قول الواقدي، وقال عمر بن شبة: إن الحزين مولى ابن سليمان ويكني سليمان أبا الشعثاء ويكنى الحزين أبا الحكم وهو من شعراء الدولة الأموية حجازي مطبوع وكان هجاء خبيث اللسان ساقطا يرضيه اليسير- الأغاني ١٤/ ٧٦.." (١)

"قال: والأقط [١] للمعز. وقرونها هي المنتفع بها.

قال: والجدي أطيب من الحمل وأكرم. وربما قدموا على المائدة الحمل مقطوع الألية من أصل الذنب؛ ليوهموا أنه جدي.
وقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه- وعقول الخلفاء فوق عقول الرعية، وهم أبصر بالعيش، استعملوا ذلك أو تركوه- فقال [٢] : أترون أني لا أعرف الطيبات؟

لباب البر بصغار المعزى! وملوكنا يحمل معهم في أسفارهم البعيدة الصفايا الحوامل، المعروفات أزمان الحمل والوضع، ليكون لهم في كل منزل جداء معدة. وهم يقدرون على الحملان السمان بلا مؤونة.

والعناق الحمراء والجداء، هي المثل في المعز والطيب. ويقولون: جداء البصرة، وجداء كسكر.

وسلخ الماعز على القصاب أهون. والنجار يذكر في خصال الساج [٣] سلسه [٤] تحت القدوم والمثقب والميشار.

---

(١) المنمق في أخبار قريش محمد بن حبيب البغدادي ص/٣٨٢

١٥٨١-[أمارات حمل الشاة]

وقيل لأعرابي [٥] : بأي شيء تعرف حمل شاتك؟ قال: إذا تورم حياها ودجت [٦] شعرتها واستفاضت خاصرتها.

وللداجي يقال: قد كان ذلك وقد دجا ثوب الإسلام [٧] ، وكان ذلك وثوب الإسلام داج.

---

[١] الأقط: شيء يتخذ من اللبن المخيض.

[٢] الخبر في البيان ١٨/١.

[٣] الساج: شجر يعظم جدا، ويذهب طولا وعرضا، وله ورق أمثال التراس الديلمية، يتغطى الرجل بورقة منه، فتكنه «أي تستره» من المطر، وله رائحة طيبة تشبه رائحة ورق الجوز «اللسان:

سوج» .

[٤] السلس: اللين والسهولة.

[٥] ورد قول الأعرابي في عيون الأخبار ٧٥/٢، وتقدم في، ١٢٢/٣، الفقرة (٧١٢) .

[٦] دجت شعرتها: طالت.

[٧] دجا الإسلام: شاع وكثر، وانظر النهاية ١٠٢/٢- ١٠٣، وما تقدم في ١٢٢/٣، الفقرة (٧١٢) .." (١)

"أسرع في نقض امرئ تمامه

وقال عبد هند: [١] [من الطويل]

فإن السنان يركب المرء حده ... من العار أو يعدو على الأسد الورد

وإن الذي ينهاكم عن طلابها ... يناغي نساء الحي في طرة البرد

يعلل والأيام تنقص عمره ... كما تنقص النيران من طرف الزند

وفي أمثال العرب [٢] : «كل ما أقام شخص، وكل ما ازداد نقص؛ ولو كان يميت الناس الداء، لأعاشهم الدواء» .

وقال حميد بن ثور [٣] : [من الطويل]

أرى بصري قد رابني بعد صحة ... وحسبك داء أن تصح وتسلما

وقال النمر بن تولب [٤] : [من الطويل]

يحب الفتى طول السلامة والبقا ... فكيف ترى طول السلامة يفعل

١٩٨٧-[أخبار في المرض والموت]

وقيل للموبذ: متى أبنك يعني أبنك قال: يوم ولد.

وقال الشاعر: [من الطويل]

تصرفت أطوارا أرى كل عبرة ... وكان الصبا مني جديدا فأخلقا

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٥٦/٥

وما زاد شيء قط إلا لنقصه ... وما اجتمع الإلفان إلا تفرقا

وقيل لأعرابي في مرضه الذي مات فيه: أي شيء تشتكي؟ قال: تمام العدة وانقضاء المدة [٥] !.

---

[١] الأبيات لعمرو بن عبد هند في البيان ٣٤/٣، ولعبد هند بن زيد التغلبي في الوحشيات ١٩، وتقدم الثاني والثالث في ٢٣٠/٣ -٢٣١.

[٢] البيان ١٥٤/١.

[٣] ديوان حميد بن ثور ٧، والبيان ١٥٤/١، وعيون الأخبار ١٤٤/٤، والوحشيات ٢٨٨، والسمط ٥٣٢.

[٤] ديوان النمر بن تولب ٣٦٩، والبيان ١٥٤/١، والرسالة الموضحة ١١٠، والوحشيات ٢٨٨، وديوان المعاني ١٨٣/٢.

[٥] الخبر في عيون الأخبار ٤٩/٣.." (١)

"**وقيل لأعرابي**، في شكاته التي مات فيها: كيف تجدك؟ قال: أجدني أجد ما لا أشتهي، وأشتهي ما لا أجد [١] !.

وقيل لعمرو بن العاص في مرضته التي مات فيها: كيف تجدك؟ قال: أجدني أذوب ولا أثوب [٢] .

وقال معمر: قلت لرجل كان معي في الحبس، وكان مات بالبطن: كيف تجدك؟ قال: أجد روحي قد خرجت من نصفي الأسفل، وأجد السماء، مطبقة علي، ولو شئت أن ألمسها بيدي لفعلت، ومهما شككت فيه فلا أشك أن الموت برد ويبس، وأن الحياة حرارة ورطوبة.

١٩٨٨-[شعر في الرثاء]

وقال يعقوب بن الربيع في مرثية جارية كانت له [٣] : [من الكامل]

حتى إذا فتر اللسان وأصبحت ... للموت قد ذبلت ذبول النرجس

رجع اليقين مطامعي يأسا كما ... رجع اليقين مطامع المتلمس

وقال يعقوب بن الربيع [٤] : [من المتقارب]

لئن كان قربك لي نافعا ... لبعدك قد كان لي أنفعا

لأني أمنت رزايا الدهور ... وإن جل خطب فلن أجزعا

وقال أبو العتاهية [٥] : [من الوافر]

وكانت في حياتك لي عظات ... فأنت اليوم أوعظ منك حيا

وقال التيمي: [من الوافر]

لقد عزى ربيعة أن يوما ... عليها مثل يومك لا يعود

ومن عجب قصدن له المنايا ... على عمد وهن له جنود

---

(١) الحيوان الجاحظ ٥٨٨/٦

وقال صالح بن عبد القدوس [٦] : [من الخفيف]

---

[١] الخبر في البيان ١/٢١٠، وعيون الأخبار ٣/٤٩، وتقدم في ٣/٦٨، الفقرة (٦٢١) .

[٢] الخبر في عيون الأخبار ٣/٤٩، وتتمة الخبر: «وأجد نجوي أكثر من رزئي، فما بقاء الشيخ على هذا» .

[٣] البيتان من قصيدة في الكامل ٢/٣٧٠ (المعارف) .

[٤] البيتان في تاريخ بغداد ١٤/٢٦٨.

[٥] ديوان أبي العتاهية ٦٧٩، وتقدم البيت في ٣/٤٤، الفقرة (٥٩٣) .

[٦] البيت في البخلاء ١٨٩، ونهاية الأرب ٣/٨٣.." (١)

"إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم ... عصائب طير تهتدي بعصائب

جوانح قد أيقن أن قبيله ... إذا ما التقى الجمعان أول غالب

تراهن خلف القوم خزرا عيونها ... جلوس شيوخ في مسوك الأرانب

فأخذ هذا المعنى حميد بن ثور الهلالي فقال «١» : [من الطويل]

إذا ما غزا يوما رأيت عصابة ... من الطير ينظرن الذي هو صانع

وقال آخر «٢» : [من البسيط]

يكسو السيوف نفوس الناكثين به ... ويجعل الروس تيجان القنا الذبل

قد عود الطير عادات وثقن بها ... فهن يتبعنه في كل مرتحل

فقال الكميت كما ترى «٣» : [من الوافر]

تحمق وهي كيسة الحويل

فزعم أن الناس يحمقونها وهي كيسة.

١٩٩٩-[قول بعض الأعراب في أكل الرأس]

وقال بعض أصحابنا «٤» : **قيل لأعرابي**: أتحسن أن تأكل الرأس؟ قال: نعم.

قيل: وكيف تصنع به؟ قال: «أبخص «٥» عينيه، وأسحى «٦» خديه، وأعفص «٧» أذنيه، وأفك لحييه، وأرمي بالمخ إلى من هو أحوج مني إليه» . قيل له: إنك لأحمق من ربع. قال: «وما حمق الربع؟! والله إنه ليجتنب العداوء «٨» ويتبع أمه في المرعى، ويراوح بين الأطباء، ويعلم أن حنينها رغاء، فأين حمقه» .

٢٠٠٠-[قتل المكاء للثعبان]

وحدث ابن الأعرابي عن هشام بن سالم، وكان هشام من رهط ذي الرمة،." (٢)

---

(١) الحيوان الجاحظ ٦/٥٨٩

(٢) الحيوان الجاحظ ٧/١٢

"سخر الغواني أن رأين مويهنا ... كالنو أكلف شاحبا منهوك [١]

ورأى البيوت فجاء يأمل خيرها ... بيدي جري فغلبه وسلوك [٢]

والركبتان مفارق رأساهما ... والظهر أحدب والمعاش ركيك

سئم الحياة ولاح في أعطافه ... قشف الفقير وذلة المملوك

مثل البلية برحت بحياته ... جوف البطون قليلة التبريك [٣]

يقول: أنا راعي ضأن والضأن آكل شيء وأدومه رغبة وأكلا، وهي لا تبرك كبروك الإبل فيستريح الراعي. ولغلظ مؤونتها على الراعي قالوا:

«أحمق من راعي ضأن ثمانين [٤] » . لأنه يتعايا بها وتغلبه، فيعجز عنها.

والنعجة موصوفة بشدة الأكل ودوامه، وهي آكل من الكبش. والرمكة آكل من البرذون [٥] .

وقيل لأعرابي: أي الدواب آكل؟ قال: برذونة رغوث [٦] .

فإذا كانت البرذونة آكل الدواب فعلى حساب ذلك يزيد أكلها إذا أرضعت.

---

[١] كذا ورد هذا العجز، وسيأتي في الورقة ص ٤٠٥ «كالذئب أطلس شاحب منهوك» .

[٢] الكلمتان الأوليان من العجز مهملتا النقط، ولعل وجههما ما أثبت. والجرى: الخادم. ولم تتضح قراءة الكلمة الثالثة.

[٣] الجوف: جمع أجوف وجوفاء، وهو الواسع الجوف. ومنه قول حسان:

حار بن كعب ألا أحلام تزجركم ... عنا وأنتم من الجوف الجماخير

[٤] الحيوان ٥: ٤٨٨، والبيان ١: ٢٤٨. وانظر ما فيهما من الحواشي.

[٥] الرمكة: الأنثى من البراذين. والبرذون من الخيل: ما كان من غير نتاج العراب.

[٦] الرغوث: المرضعة. والخبر في الحيوان ١: ١١٤، والبيان ٣: ٢١٢ والبغال (رسائل الجاحظ ٢: ٣٤٠) .." (١)

"ولما هجا أبا موسى رجل من العرب فقال له: أنت بالبقر أبصر منك بالخيل! فقال أبو موسى: لئن قلت ذلك إني لعالم بها؛ إذا أردتها غزيرة فعليك بها ضخمة الجوف، صغيرة الرأس، دقيقة القرن.

قال الكميت بن معروف:

إنا إذا اجتمع النفير لمجمع ... ينفي الأقل به العزيز الأكثر [١]

يحمي حقيقتنا ويدرك حقنا ... رأس إذا اجتمع الجماجم مجهر [٢]

وإذا عزت القبيلة وقهرت القبائل فهي رأس، كذلك تسمى، ولذلك قال عمرو بن كلثوم:

برأس من بني جشم بن بكر ... ندق به السهولة والحزونا [٣]

---

(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان الجاحظ ص/٣٢٥

قال: وقيل لأعرابي: إنك لتكثر لبس العمامة! قال: إن شيئا فيه السمع والبصر لجديد بأن يوقى الحر والقر! وقال نصيب أبو الحجناء [٤] :

الحمد لله، أما بعد يا عمر ... فقد أتتك بنا الحاجات والقدر [٥]

وأنت رأس قريش وابن سيدها ... والرأس فيه يكون السمع والبصر

---

[١] النفير: القوم ينفرون معك لقتال، والجماعة من الناس، كالنفر.

[٢] الجماجم: رؤساء القوم وساداتهم. والمجهر، كمنبر: الشديد الصوت. وفي حديث عمر أنه كان مجهرا. ويقال أجهر فهو مجهر، إذا عرف بشدة الصوت.

[٣] في الأصل: «يدق» ، صوابه من المعلقات.

[٤] سبقت ترجمته في ص ١٦٧.

[٥] يعني عمر بن عبد العزيز.." (١)

"قال: وحدثني محمد بن يسير الشاعر قال: قيل لأعرابي: ما الجمال؟

قال: طول القامة وضخم الهامة، ورحب الشدق، وبعد الصوت.

وسأل جعفر بن سليمان أبا المخش عن ابنه المخش، وكان جزع عليه جزعا شديدا، فقال: صف لي المخش. فقال: كان أشدق خرطمانيا «١» ، سائلا لعابه، كأنما ينظر من قلتين «٢» ، وكأن ترقوته بوان أو خالفة «٣» ، وكأن منكبه كركرة جمل ثفال «٤» . فقأ الله عيني إن كنت رأيت قبله أو بعده مثله.

قال: وقلت لأعرابي: ما الجمال؟ قال: «غؤور العينين، واشراف الحاجبين، ورحب الشدقين» .

وقال دغفل بن حنظلة النسابة، والخطيب العلامة، حين سأله معاوية عن قبائل قريش، فلما انتهى إلى بني مخزوم قال: «معزى مطيرة، علتها قشعريره، إلا بني المغيرة، فإن فيهم تشادق الكلام، ومصاهرة الكرام» .

وقال الشاعر في عمرو بن سعيد الأشدق:

تشادق حتى مال بالقول شدقه ... وكل خطيب لا أبا لك أشدق

وأنشد أبو عبيدة:

وصلع الرؤوس عظام البطون ... رحاب الشداق غلاظ القصر «٥»

قال: وتكلم يوما عند معاوية الخطباء فأحسنوا، فقال: والله لأرمينهم بالخطيب الأشدق! قم يا يزيد فتكلم.." (٢)

"وقال العجاج: لقد قلت أرجوزتي التي أولها:

بكيت والمحتزن البكي ... وإنما يأتي الصبا الصبي

---

(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان الجاحظ ص/٤٩٦

(٢) البيان والتبيين الجاحظ ١١٨/١

أطربا وأنت قنسري «١» ... والدهر بالإنسان دواري

وأنا بالرمل، في ليلة واحدة، فانثالت علي قوافيها انثيالا، وإني لأريد اليوم دونها في الأيام الكثيرة فما أقدر عليه.

وقال لي أبو يعقوب الخريمي: خرجت من منزلي أريد الشماسية، فابتدأت القول في مرثية لأبي التختاخ، فرجعت والله وما أمكنني بيت واحد.

وقال الشاعر:

وقد يقرض الشعر البكي لسانه ... وتعيي القوافي المرء وهو خطيب

[أقوال بليغة]

من القول في المعاني الظاهرة باللفظ الموجز من ملتقطات كلام الناس.

قال بعض الناس: «من التوقي ترك الإفراط في التوقي» .

وقال بعضهم: «إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون» .

وقال الشاعر:

قدر الله وارد ... حين يقضى وروده

فأرد ما يكون إن ... لم يكن ما تريده

وقيل لأعرابي في شكاته: كيف تجدك؟ قال: «أجدني أجد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجد، وأنا في زمان من جاد لم يجد، ومن وجد لم يجد» .." (١)

"وقال أبو الدرداء: من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها، ولا ينال ما عنده إلا بتركها.

قال شريح «١» : «الحدة كناية عن الجهل» .

وقال أبو عبيدة: «العارضة «٢» كناية عن البذاء» .

قال: وإذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل، وإذا قالوا للعامل مستقص فتلك كناية عن الجور.

وقال الشاعر، أبو تمام الطائي:

كذبتم ليس يزهى من له حسب ... ومن له نسب عمن له أدب

إني لذو عجب منكم أردده ... فيكم، وفي عجبي من زهوكم عجب

لجاجة لي فيكم ليس يشبهها ... إلا لجاجتكم في أنكم عرب

وقيل لأعرابية مات ابنها: ما أحسن عزاءك عن ابنك؟ قالت: إن مصيبته أمنتني من المصائب بعده.

قال: وقال سعيد بن عثمان بن عفان رحمه الله لطويس المغني: أينا أسن أنا أم أنت يا طويس؟ فقال: «بأبي أنت وأمي، لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب» . فانظر إلى حذقه وإلى معرفته بمخارج الكلام، كيف لم يقل: زفاف

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ١٨٢/١

أمك الطيبة إلى أبيك المبارك. وهكذا كان وجه الكلام فقلب المعنى.

قال: وقال رجل من أهل الشام: كنت في حلقة أبي مسهر «٣» ، في." (١)

"ولما مات عبد الملك بن مروان صعد الوليد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «لم أر مثلها مصيبة، ولم أر مثلها ثوابا: موت أمير المؤمنين، والخلافة بعده. إنا لله وإنا إليه راجعون. والحمد لله رب العالمين على النعمة. انهضوا فبايعوا على بركة الله» . فقام إليه عبد الله بن همام فقال:

الله أعطاك التي لا فوقها ... وقد أراد الملحدون عوقها

عنك ويأبى الله إلا سوقها ... إليك حتى قلدوك طوقها

فبايع الناس.

وقيل لعمرو بن العاص، في مرضه الذي مات فيه: كيف تجدك؟

قال: «أجدني أذوب ولا أثوب، وأجد نجوي أكثر من رزئي، فما بقاء الشيخ على ذلك» .

وقيل لأعرابي كانت به أمراض عدة، كيف تجدك؟ قال: «أما الذي يعمدني فحصر وأسر» «١» .

وعن مقاتل قال: سمعت يزيد بن المهلب، يخطب بواسط، فقال: «يا أهل العراق، يا أهل السبق والسباق، ومكارم الأخلاق، إن أهل الشام في أفواههم لقمة دسمة، زببت لها الأشداق «٢» ، وقاموا لها على ساق، وهم غير تاركيها لكم بالمراء والجدال، فالبسوا لهم جلود النمور» «٣» .." (٢)

"وقال أبو الأسود: إذا أردت أن تعظم فمت، وإذا أردت أن تفحم عالما فاحضره جاهلا.

وقال: وقيل لأعرابي: ما يدعوك إلى نومة الضحى؟ فقال: مبردة في الصيف، مسخنة في الشتاء.

وقال أعرابي: نومة الضحى مجعرة مجفرة «١» مبخرة.

وجاء في الحديث: «الولد مبخلة مجبنة» .

قال: ونظر أعرابي إلى قوم يلتمسون هلال رمضان، فقال أما والله لئن أثرتموه لتمسكن منه بذنابي عيس أغبر.

وقال أسماء بن خارجة: إذا قدمت المصيبة تركت التعزية.

وقال: إذا قدم الأخاء سمج الثناء.

وقال إسحاق بن حسان: لا تشمت الأمراء ولا الأصحاب القدماء.

وسئل أعرابي عن راع له فقال: هو السارح الآخر، والرائح الباكر، والحالب العاصر: والحاذف «٢» الكاسر.

قال: وقال عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده:

ليكن أول ما تبدأ به من إصلاحك بني إصلاحك نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، علمهم كتاب الله، ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روهم من الشعر

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ٢٢٠/١

(٢) البيان والتبيين الجاحظ ٣٢١/١

أعفه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم، وعلمهم سير الحكماء وأخلاق الأدباء، وجنبهم محادثة النساء، وتهددهم بي وأدبهم دوني." (١)

"لأخبرته أن دافة دفت «١» ، ونازلة نزلت، ونائبة نابت «٢» ، ونابتة نبتت «٣» ، كلهم به حاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبره.

قال: حسبك يا أبا بحر، قد كفيت الشاهد والغائب.

وقال غيلان بن خرشة للأحنف: ما بقاء ما فيه العرب؟ قال: إذا تقلدوا السيوف، وشدوا العمائم، وركبوا الخيل، ولم تأخذهم حمية الأوغاد. قال غيلان: وما حمية الأوغاد؟ قال: أن يعدوا التواهب فيما بينهم ضيما.

وقال عمر: العمائم تيجان العرب.

وقال: وقيل لأعرابي: ما لك لا تضع العمامة على رأسك؟ قال: إن شيئا فيه السمع والبصر لحقيق بالصون.

وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: جمال الرجل في عمته، وجمال المرأة في حقها.

وقال الأحنف: استجيدوا النعال فإنها خلاخيل الرجال.

قال: وقد جرى ذكر رجل عند الأحنف فاغتابوه فقال: ما لكم وما له؟

يأكل رزقه، ويكفي قرنه، وتحمل الأرض ثقله.

مسلمة بن محارب قال: قال زياد لحرقة بنت النعمان: ما كانت لذة أبيك؟ قالت: أدمان الشراب، ومحادثة الرجال.

قال: وقال سليمان بن عبد الملك: قد ركبنا الفاره، وتبطنا الحسناء، ولبسنا اللين حتى استخشناه، وأكلنا الطيب حتى أجمناه «٤» . فما اليوم إلى شيء أحوج مني إلى جليس يضع عني مؤونة التحفظ.." (٢)

"إلى سعيد بن المسيب- فجلست إليه لا أظن أن عالما غيره، ثم تحولت إلى عروة، ففتقت به ثبج بحر «١» .

قال: وقلت لعثمان البري: دلني على باب الفقه. قال: اسمع الاختلاف.

وقيل لأعرابي عند من تحب أن يكون طعامك؟ قال: عند أم صبي راضع، أو ابن سبيل شاسع، أو كبير جائع، أو ذي رحم قاطع.

وقال بعضهم: إذا اتسعت المقدرة نقصت الشهوة. قال: قلت له: فمن أسوأ الناس حالا؟ قال: من اتسعت معرفته، وبعدت همته، وقويت شهوته، وضاقت مقدرته.

وذكر عند عائشة رحمها الله فقالت: كل شرف دونه لؤم فاللؤم أولى به، وكل لؤم دونه شرف فالشرف أولى به.

ودخل رجل على أبي جعفر، فقال له: اتق الله. فأنكر وجهه. فقال: يا أمير المؤمنين، عليكم نزلت، ولكم قيلت، وإليكم ردت.

وقال رجل عند مسلمة: ما استرحنا من حائك كندة حتى جاءنا هذا المزوني! فقال له مسلمة: أتقول هذا لرجل سار إليه

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ٤٨/٢

(٢) البيان والتبيين الجاحظ ٥٩/٢

قريعا قريش؟ يعني نفسه والعباس بن الوليد. إن يزيد بن المهلب حاول عظيما، ومات كريما.

عبد الله بن الحسن قال: قال علي بن ابي طالب رحمه الله: خصصنا بخمس: فصاحة، وصباحة، وسماحة، ونجدة، وحظوة- يعني عند النساء.

علي بن مجاهد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت:

جبلت القلوب قلوب الناس على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها.." (١)

"**وقيل لأعرابي**: ما وراءك؟ قال: «خلفت أرضا تظالم معزاها» . يقول:

سمنت وأشرت فتظالمت.

وتقول العرب: «ليس أظلم من حية» وتقول: «هو أظلم من ورل» و «أظلم من ذئب» ، كما تقول: «اغدر من ذئب» ، وكما يقولون: «أكسب من ذئب» . قال الأسدي:

لعمرك لو أني أخاصم حية ... إلى فقعس ما أنصفتني فقعس

إذا قلت مات الداء بيني وبينهم ... أتى حاطب منهم لآخر يقبس

فما لكم طلسا إلي كأنكم ... ذئاب الغضى والذئب بالليل أطلس

وقال الفزاري:

ولو أخاصم أفعى نابها لثق ... أو الأساود من صم الأهاضيب

أو لو أخاصم ذئبا في أكيلته «١» لجاءني جمعهم يسعى مع الديب يقول: بلغ من ظلم قومنا لنا، أنا لو خاصمنا الذئاب والحيات، وهما يضربون المثل في الظلم، لقضوا لهما علينا.

وقالت العرب: «إذا شبعت الدقيقة لحست الجليلة» هذا في قلة العشب، إنما تلحسه الناقة لقلته وقصره.

وحدثنا أبو زياد الكلابي قال: بعث قوم رائدا لهم بعد سنين تتابعت عليهم، فلما رجع إليهم قالوا له: ما وراءك؟ قال: «رأيت بقلا يشبع منه الجمل البروك، وتشكت منه النساء، وهم الرجل بأخيه» .

أما قوله: «الجمل البروك» فيقول: لو قام قائما لم يتمكن منه لقصره. وأما قوله «وتشكت منه النساء» فإنه مأخوذ من الشكوة، وجمع الشكوة شكاء.

والشكوة: مسك السخلة ما دامت ترضع. والشكاء أصغر من الوطاب. يقول:

لم يكثر اللبن بعد فيمخض في الوطاب. وقوله: «وهم الرجل بأخيه» أي هم." (٢)

"وكان مهدي بن هليل يقول: حدثنا هشام، مجزومة، ثم يقول ابن ويجزمه، ثم يقول حسان ويجزمه، لأنه حين لم يكن نحويا رأى السلامة في الوقف.

وأما خالد بن الحارث، وبشر بن المفضل الفقيهان، فإنهما كانا لا يلحنان.

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ٢/٦٧

(٢) البيان والتبيين الجاحظ ٢/١٠٩

وممن كان لا يلحن البتة حتى كأن لسانه لسان أعرابي فصيح: أبو زيد النحوي، وابو سعيد المعلم.

وقال خلف: قلت لأعرابي: ألقي عليك بيتا؟ قال: على نفسك فألقه! وقال ابو الفضل العنبري لعلي بن بشير إني التقطت كتابا من الطريق فأنبئت إن فيه شعرا أفتريده حتى آتيك به؟ قال: نعم، إن كان مقيدا. قال:

والله ما أدري أمقيد هو أم مغلول.

الأصمعي قال: قيل لأعرابي: أتهمز الرمح؟ قال: نعم. قيل له: فقلها مهموزة. فقالها مهموزة. قيل له: أتهمز الترس؟ قال: نعم. فلم يدع سيفا ولا ترسا إلا همزه. فقال له أخوه وهو يهزأ به: دعوا أخي فإنه يهمز السلاح أجمع.

وقال بعضهم: ارتفع إلى زياد رجل وأخوه في ميراث، فقال: إن أبونا مات، وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله. فأما زياد فقال: الذي أضعت من لسانك أضر عليك مما أضعت من مالك. وأما القاضي فقال: فلا رحم الله أباك، ولا نيح عظم أخيك! قم في لعنة الله! وقال ابو شيبة قاضي واسط: أتيتمونا بعد إن أردنا أن نقم.

قد ذكرنا- أكرمك الله- في صدر هذا الكتاب من الجزء الأول وفي بعض الجزء الثاني، كلاما من كلام العقلاء البلغاء، ومذاهب من مذاهب الحكماء والعلماء، وقد روينا نوادر من كلام الصبيان والمحرمين «١» من الأعراب." (١)

"وقال الأصمعي: قال رجل لأبي عمرو بن العلاء: أكرمك الله! قال:

محدثة. قال: وكان ابن عون يقول: كيف أنت أصلحك الله.

وكان الأصمعي يقول: قولهم جعلت فداك، وجعلني الله فداك، محدث وقد روى علماء البصريين أن الحسن لما سمع صراخا في جنازة أم عبد الأعلى ابن عبد الله بن عامر فالتفت، قال له عبد الأعلى: جعلت فداك، لا والله ما أمرت، ولا شعرت.

وقال الأصمعي: صلى أعرابي فأطال الصلاة، وإلى جانبه ناس، فقالوا:

ما أحسن صلاته! فقال: وأنا مع هذا صائم.

قال الشاعر:

صلى فأعجبني وصام فرابني ... عد القلوص عن المصلي الصائم

وقال طاهر بن الحسين لأبي عبد الله المروزي: منذ كم صرت إلى العراق يا أبا عبد الله؟ قال: دخلت العراق منذ عشرين سنة وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة. قال: يا أبا عبد الله، سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين.

قال عوانة: قال زياد بن أبيه: من سعادة الرجل أن يطول عمره، ويرى في عدوه ما يسره.

وقال الباهلي: قيل لأعرابي: ما بال المراثي أجود أشعاركم؟ قال: لأنا نقول وأكبادنا تحترق.

قال أبو الحسن: كانت بنو أمية لا تقبل الراوية إلا أن يكون راوية للمراثي. قيل: ولم ذاك؟ قيل: لأنها تدل على مكارم الأخلاق.

(١) البيان والتبيين الجاحظ ١٥٢/٢

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله: من خير صناعات العرب الأبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته، يستنزل بها الكريم، ويستعطف بها اللئيم.." (١)

"قال: وقيل لأعرابي: إنك لتكثر لبس العمامة؟ قال: إن شيئا فيه السمع والبصر لجدير أن يوقي من الحر والقر.

وذكروا العمامة عند أبي الأسود الدؤلي فقال: «جنة في الحرب، ومكنة من الحر، ومدفأة من القر، ووقار في الندي، وواقية من الأحداث، وزيادة في القامة، وهي بعد عادة من عادات العرب» .

وقال عمرو بن امرىء القيس:

يا مال والسيد المعمم قد ... يبطره بعد رأيه السرف

نحن بما عندنا وأنت بما عن ... دك راض والرأي مختلف

[القناع]

وكان من عادة فرسان العرب في المواسم والجموع، وفي أسواق العرب، كأيام عكاظ وذي المجاز وما أشبه ذلك، التقنع، إلا ما كان من أتى سليط طريف بن تميم، أحد بني عمرو بن جندب، فإنه كان لا يتقنع ولا يبالي أن تثبت عينه جميع فرسان العرب، وكانوا يكرهون أن يعرفوا فلا يكون لفرسان عدوهم هم غيرهم.

ولما أقبل حمصيصة الشيباني يتأمل طريفا قال طريف:

أو كلما وردت عكاظ قبيلة ... بعثوا إلي عريفهم يتوسم

فتوسموني أنني أنا ذاكم ... شاك سلاحي في الحوادث معلم

تحتي الأغر وفوق جلدي نثرة ... زغف ترد السيف وهو مثلم

ولكل بكري إلي عداوة ... وأبو ربيعة شانىء ومحلم

فكان هذا من شأنهم. وربما مع ذلك أعلم نفسه الفارس منهم بسيما.

كان حمزة يوم بدر معلما بريشة نعامة حمراء. وكان الزبير معلما بعمامة صفراء. ولذلك قال درهم بن زيد:." (٢)

"محاق، وإن جدينا الذي كان يطالعنا وجدناه مرثوما «١» . فاسترجع منه الشاة والسمن.

قال علي بن سليمان لرؤبة: ما بقي من باهك يا أبا الجحاف: قال:

يمتد ولا يشتد، واستعين بيدي ثم لا أورد، وأطيل الظمء ثم أقصر. قال:

ذاك الكبر. قال: لا، ولكنه طول الرغاث.

وقيل لأعرابي: أي الدواب آكل؟ قال: يرذونة رغوث «٢» .

وقيل لغيره: لم صارت اللبؤة انزق، وعلى اللحم أحرص؟ قال: هي الرغوث.

قال: وقال عبيد الله بن عمر: اتقوا من تبغضه قلوبكم.

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ٢١٨/٢

(٢) البيان والتبيين الجاحظ ٦٩/٣

وقال اسماعيل بن غزوان: لا تنفق درهما حتى تراه، ولا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه، فالصابر هو الذي يشكر، والجازع هو الذي يكفر.

عامر بن يحيى بن أبي كثير قال: لا تشهد لمن لا تعرف، ولا تشهد على من لا تعرف، ولا تشهد بما لا تعرف.

أبو عبد الرحمن الضرير، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس» .

وقالت عائشة: لا سمر إلا لثلاثة: مسافر، ومصل وعروس.

قال: وقال معاوية يوما: من أنصح الناس؟ فقال قائل: قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات، وتيامنوا عن عنعنة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر «٣» ، ليست." (١)

"وقال آخر:

وتعجبنا الرؤيا فجل حديثنا ... إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا

فإن حسنت لم تأت عجلى وأبطأت ... وإن قبحت لم تحتبس وأتت عجلى

وقال آخر:

وإذا نهضت فما النهوض بدائم ... وإذا نكبت توالت النكبات

قال: قيل لأعرابي: ما أعددت للشتاء؟ قال: جلة ربوضا، وصيصية «١» سلوكا، وشملة مكودا، وقرموصا دفيئا «٢» ، وناقة مجالحة «٣» .

وقيل لآخر: ما أعددت للشتاء؟ قال: شدة الرعدة.

وقيل لآخر: كيف ليلكم؟ قال: سحر كله.

وقيل لآخر: كيف البرد عندكم؟ قال: ذاك إلى الريح.

وقال معن بن أوس:

فلا وأبي حبيب ما نفاه ... من أرض بني ربيعة من هوان

وكان هو الغني إلى غناه ... وكان من العشيرة في مكان

تكنفه الوشاة فأزعجوه ... ودس من فضالة غير وان

فلولا أن أم أبيه أمي ... وإن من قد هجاه فقد هجاني

وأن أبي أبوه لذاق مني ... مرارة مبردي ولكان شاني

إذا لأصابه مني هجاء ... يمر به الروي على لساني

اعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني." (٢)

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ١٤٥/٣

(٢) البيان والتبيين الجاحظ ١٥٧/٣

"يوسع له، فجلس المهلب ناحية ثم أقبل عليه فقال له: ما فعل ابن عمك فلان؟ قال: حاضر. فقال: ارسل إليه. ففعل، فلما نظر إليه غير مرفوع المجلس قال: يا ابن اللخناء، المهلب جالس ناحية وأنت جالس في صدر المجلس؟ وواثبه. فتركه المهلب وانصرف، فقالت له خيرة: أمررت بأهلي؟

قال: نعم، وتركت أخاك الأحمق يضرب! قال: وكتب الحجاج إلى الحكم بن أيوب: «أخطب على عبد الملك ابن الحجاج امرأة جميلة من بعيد، مليحة من قريب، شريفة في قومها، ذليلة في نفسها، أمة لبعلها» . فكتب إليه: «قد أصبتها لولا عظم ثدييها!» فكتب إليه الحجاج: لا يحسن نحر المرأة حتى يعظم ثدياها.

قال المرار بن منقذ العدوي:

صلتة الخد طويل جيدها ... ضخمة الثدي ولما ينكسر

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «لا، حتى تدفيء الضجيع وتروي الرضيع» .

وقال ابن صديقة لرجل رأى معه خفا: ما هذه القلنسوة؟ فاحتكموا إلى عرباض، فقال عرباض: هي قلنسوة الرجلين! قال أبو اسحاق: قلت لخنجير كوز: وعدتك أن تجيئني إرتفاع النهار فجئتني صلاة العصر! قال: جئتك إرتفاع العشي! قال: **قيل لأعرابي**: ما اسم المرق عندكم؟ قال: السخين. قال: فإذا برد؟ قال: لا ندعه حتى يبرد.

با ع نخاس من أعرابي غلاما فأراد أن يتبرأ من عيبه، قال: أعلم أنه يبول في الفراش. قال: إن وجد فراشا فليبل فيه!." (١)

"إذا كنت في قوم عدى لست منهم ... فكل ما علفت من خبيث وطيب

وفي المثل: " أوضح من مرآة الغريبة ". وذلك أن المرأة إذا كانت هديا في غير أهلها، تتفقد من وجهها وهيئتها ما لا تتفقده وهي في قومها وأقاربها، فتكون مرآتها مجلوة تتعهد بها أمر نفسها. وقال ذو الرمة:

لها أذن حشر وذفرى أسيلة ... وخد كمرآة الغريبة أسجح

وكانت العرب إذا غزت وسافرت حملت معها من تربة بلدها رملا وعفرا تستنشقه عند نزلة أو زكام أو صداع. وأنشد لبعض بني ضبة:

نسير على علم بكنه مسيرنا ... وعدة زاد في بقايا المزاود

ونحمل في الأسفار ماء قبيصة ... من المنشأ النائي لحب المراود

وقال آخر: أرض الرجل أوضح نسبه، وأهله أحضر نشبه.

وقيل لأعرابي: كيف تصنع في البادية إذا اشتد القيظ وانتعل كل شيء ظله؟ قال: وهل العيش إلا ذاك، يمشي أحدنا ميلا فيرفض." (٢)

"عرقا، ثم ينصب عصاه ويلقى عليها كساءه، ويجلس في فيئه يكتال الريح، فكأنه في إيوان كسرى!.

وقيل لأعرابي: ما أصبركم على البدو؟ قال: كيف لا يصبر من وطاؤه الأرض، وغطاؤه السماء، وطعامه الشمس، وشرابه

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ٢٤٩/٣

(٢) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٣٩٢/٢

الريح! والله لقد خرجنا في إثر قوم قد تقدمونا بمراحل ونحن حفاة، والشمس في قلة السماء، حيث انتعل كل شيء ظله، وأنهم لأسوأ حالا منا، إن مهادهم للعفر، وإن وسادهم للحجر، وإن شعارهم للهواء، وإن دثارهم للخواء.

وحدثني التوزي عن رجل من عرينة قال حدثني رجل من بني هاشم قال: قلت لأعرابي من بني أسد: من أين أقبلت؟ قال: من هذه البادية. قلت: وأين تسكن منها؟ قال: مساقط الحمى حمى ضرية، بها لعمر الله ما نريد بدلا، ولا نبغي عنها حولا، أما الفلوات،." [1]

"إلا الأكرة، فلا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم، فلما رآني سكن إلي، وسمعته يقول: لعن الله أرضا ليس بها عرب، قاتل الله الشاعر حيث يقول: " حر الثرى مستعرب التراب ".

أبا عثمان، إن هذه العريب في جميع الناس كمقدار القرحة في جلد الفرس، فلولا أن الله رق عليهم فجعلهم في حشاة لطمست هذه العجم آثارهم. أترى الأعيار إذا رأت العتاق لا ترى لها فضلا! والله ما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقتلهم، إذ لا يدينون بدين، إلا لضنه بهم، ولا ترك قبول الجزية منهم إلا تنزيها لهم.

وقيل لأعرابي: ما السرور؟ فقال: أوبة بغير خيبة، وألفة بعد غيبة.

وقيل لآخر: ما السرور؟ قال: غيبة تفيد غنى، وأوبة تعقب منى. وأنشأ يقول:

وكنت فيهم كممطور ببلدته ... يسر أن جمع الأوطان والمطرا

وأحسن ما سمعنا في حب الوطن وفرحة الأوبة قوله:." [2]

"صفة النساء الحسان

قيل: «أحسن النساء الرقيقة البشرة، النقية اللون، يضرب لونها بالغداة إلى الحمرة، وبالعشي إلى الصفرة» . وقالت العرب: «المرأة الحسناء أرق ما تكون محاسن، صبيحة عرسها، وأيام نفاسها، وفي البطن الثاني من حملها» . **وقيل لأعرابي**: «أتحسن صفة النساء» ؟ قال: «نعم، إذا عذب ثناياها وسهل خداها، ونهد ثدياها، ونعم ساعداها، والتف فخذاها، وعرض وركاها، وجدل ساقاها، فتلك هم النفس ومناها» .

ووصف أعرابي امرأة فقال: «كان وجهها السقم لمن رآها، والبرء لمن ناجاها» . وذكر أعرابي امرأة فقال: «أرسل الحسن إلى خديها صفائح نور، ورشق السحر عن لحظها بأسهم حداد، ولقد تأملت فوجدت للبدر نورا من بعض نورها» . وذكر أعرابي امرأة قال: «هي شمس تباهي بها شمس سمائها، وليس لي شفيع إليها غيرها في اقتضائها، ولكني كتوم لفيض النفس عند امتلائها» . وذكر أعرابي امرأة فقال: «ما أحسن من حبها نعاسا، ولا أنظر إليها إلا اختلاسا، وكل امريء منها يرى ما أحب» . وذكر أعرابي امرأة فقال: «لها جلد من لؤلؤ رطب مع رائحة المسك الأذفر، في كل عضو منها شمس طالعة» .

ومما جاء في الحسن من الشعر: قال عبد الله بن المعتز: أنشدني أبو سهل إسماعيل بن علي، لأبي الصواعق:

---

(١) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٢/٣٩٣

(٢) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٢/٤٠٦

ومريض طرف ليس يصرف طرفه ... نحو المدى إلا رماه بحتفه

ظبي له نظر ضعيف كلما ... قصد القوي أتى عليه بضعفه." (١)

"عن أبيها أو عمها، أنه أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم انطلق، فأتاه بعد سنة وقد تغيرت حاله وهيئته، فقال: يا رسول الله، أما تعرفني؟ قال: "ومن أنت؟ " قال: أنا الباهلي الذي جئتك عام الأول قال: "فما غيرك، وقد كنت حسن الهيئة؟ " قال: ما أكلت طعاما منذ فارقتك إلا بليل، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لم عذبت نفسك؟ " ثم قال: "صم شهر الصبر، ويوما من كل شهر" قال: زدني فإن بي قوة، قال: "صم يومين" قال: زدني، قال: "صم ثلاثة أيام" قال: زدني، قال: "صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك" وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها (١).

---

(١) إسناده ضعيف لجهالة مجيبة الباهلية، وذكر بعضهم أن مجيبة رجل، وقيل فيه: أبو مجيبة. حماد: هو ابن سلمة، سعيد الجريري: هو ابن إياس، وأبو السليل: هو ضريب بن نقير.

وأخرجه ابن ماجه (١٧٤١)، والنسائي في "الكبرى" (٢٧٥٦) من طريق سفيان الثوري، عن سعيد الجريري، بهذا الإسناد.

وقال ابن ماجه فيه: عن أبي مجيبة الباهلي عن أبيه أو عن عمه.

وهو في "مسند أحمد" (٢٠٣٢٣).

وقوله: "صم ثلاثة أيام" له شاهد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند أحمد في "مسنده" (٦٤٧٧) وإسناده صحيح.

وآخر من حديث أبي هريرة عند النسائي في "الكبرى" (٢٧٢٩). وإسناده صحيح أيضا. وهو في "المسند" (٧٥٧٧).

ولصوم شهر المحرم شاهد صحيح سيأتي بعده.

وقوله: "صم من الحرم". قال الخطابي: فإن الحرم أربعة أشهر، وهي التي ذكرها الله في كتابه فقال: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم﴾ [التوبة: ٣٦] وهي شهر رجب وذي القعدة وذي الحجة والمحرم، **وقيل لأعرابي** يتفقه: كم الاشهر الحرم؟ قال: أربعة: ثلاث سرد وواحد فرد.." (٢)

"الكثيب من الرمل لأنه انصب في مكان فاجتمع فيه. وقال دغفل بن حنظلة في بني مخزوم: معزى مطيرة، عليها قشعريرة، إلا بني المغيرة، فإن فيهم تشادق الكلام، ومصاهرة الكرام. والعرب تقول: أصرد من عنز جرباء. وقيل لابنة الخس: ما تقولين في مائة من المعزى؟ فقالت: فناء، قيل: فمائة من الضأن؟ قالت: غني، قيل: فمائة من الإبل؟ قالت: منى. وقالوا: العنوق بعد النوق، والعنوق جمع عناق، يراد الصغير بعد الكبير. **وقيل لأعرابي** بأي شيء تعرف حمل شاتك، قال: إذا ورم حياؤها ودجت شعرتها واستفاضت خاصرتاها وكثفت، يقال كان ذاك وقد دجا ثوب الإسلام. وقال آخر:

---

(١) المحاسن والأضداد الجاحظ ص/١٩٣

(٢) سنن أبي داود ت الأرنؤوط السجستاني، أبو داود ٤/٩٥

إني إذا شاركني في جسمي ... من ينتفي مخي ويبري عظمي

لم أطلب الدنيا بثأر البهم

يقال أراد الحمى، ويقال أراد الكبر. وقال حميد بن ثور وذكر بعيرا:

محلي بأطواق عتاق يبينها ... على الضر راعي الضأن لا يتقوف." [1]

"يقال أن العلندي جبل لم ير إلا وعليه كالدخان، ويقال العلندي شجر له دخان كثير إذا أوقد به وهذا من قولك:

لأثيرن عليكم شرا يبلغ دخانه السماء - أي يأتيكم من هجائي شيء له دخان كدخان العلندي، مذود يذود عنه ويدافع.

قصائذ من قيل امرىء يحتديكم ... وأنتم بجسمى فارتدوا وتقلدوا

بين ذلك الدخان فقال قصائد، يحتديكم يتعمدكم بها، فارتدوا هذا الهجاء وتقلدوا، كما قال الآخر أبو ذؤيب:

لخبرت أنا نحتدي الحمد إنما ... تكلفه من النفوس خيارها

ومثل قول الأول:

سأكسوكما يا ابن يزيد بن جعشم ... رداءين من قار ومن قطران

اذا لبسا زادا على اللبس جدة ... ولم يبل وشى منهما لأوان

وقال أوس:

وما أنا إلا مستعد كما ترى ... أخو شركي الورد غير معتم

شركي الورد سريع يقال لطمه لطما شركيا أي متتابعا، يريد أنه ورد في إثر ورد ومعنى الورد أنه أغشاهم ما يكرهون، يقال لا يزال فلان يتوردنا بالشر، معتم محتبس، **قيل لأعرابي**: ما قمر أربع؟ فقال عتمة ربع، أي قدر ما يحتبس في عشائه، وقوله:." [2]

"ذا لبسا زادا على اللبس جدة ... ولم يبل وشى منهما لأوان

وقال عنترة:

سيأتيكما عني وإن كنت نائيا ... دخان العلندي دون بيتي مذود

يقال إن العلندي جبل لم ير قط إلا وعليه كالدخان، وقيل العلندي شجر إذا أوقد كان له دخان كثير، وهذا من قولك:

لأثيرن لك شرا يبلغ دخانه السماء، أي يأتيكم من هجائي شيء له دخان كدخان العلندي، مذود يذود عنه ويدفع.

قصائد من قول امرئ يحتديكم ... وأنتم بحسمي فارتدوا وتقلدوا

بين ذلك الدخان فقال: قصائد، يحتديكم يتعمدكم بها فارتدوا هذا الهجاء وتقلدوه.

وقال أوس:

وما أنا إلا مستعد كما ترى ... أخو شركي الورد غير معتم

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢/٦٩٣

(٢) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢/٧٩٩

شركي سريع، يقال لطمه لطما شركيا أي متتابعا، يريد أنه ورد في إثر ورد، ومعنى الورد أنه أغشاهم ما يكرهون، يقال لا يزال فلان يتورد الشر، معتم محتبس، **وقيل لأعرابي**: ما قمر أربع؟ فقال: عتمة ربع، أي قدر ما يحتبس في عشائه وقال:." (١)

"لكنت أول من ينسى سرائره ... إذ كنت من نشرها يوما على خطر

أسر رجل إلى صديق له حديثا فلما استقصاه قال له: أفهمت؟ قال:

لا، بل نسيت.

قيل لأعرابي: كيف كتمانك للسر؟ قال: «ما قلبي له إلا قبر» . وقيل لمزيد: أي شيء تحت حضنك؟ فقال: يا أحمق، لم خبأته. وقال الشاعر:

[وافر]

إذا ما ضاق صدرك عن حديث ... فأفشته الرجال فمن تلوم؟

إذا عاتبت من أفشى حديثي ... وسري عنده فأنا الظلوم

وإني حين أسأم حمل سري ... وقد ضمنته صدري، سؤوم

قيل لرجل: كيف كتمانك للسر؟ قال: «أجحد المخبر وأحلف للمستخبر» . وكان يقال: «من وهي الأمر إعلانه قبل إحكامه» . وقال الشاعر: [طويل]

إذا أنت حملت الخؤون أمانة ... فإنك قد أسندتها شر مسند

وقال عمرو بن العاص: «ما استودعت رجلا سرا فأفشاه فلمته، لأني كنت أضيق صدرا حين استودعته» . وقال: [طويل]

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها ... فسرك عند الناس أفشى وأضيع

وكان يقال: «من ضاق قلبه اتسع لسانه» .

وقال الوليد بن عتبة لأبيه: إن أمير المؤمنين أسر إلي حديثا ولا أراه يطوى عنك ما يبسطه لغيرك، أفلا أحدثك به؟ قال: لا يا بني «إنه من كتم سره كان الخيار له، ومن أفشاه كان الخيار عليه، فلا تكونن مملوكا بعد أن كنت مالكا» قال: قبلت: وإن هذا ليجري بين الرجل وأبيه؟ قال: لا، ولكني." (٢)

"[وافر]

ويوم فتحت سيفك من بعيد ... أضعت وكل أمرك للضياع «١»

وكان معاوية يتمثل بهذين البيتين كثيرا: [متقارب]

أكان الجبان يرى أنه ... سيقتل قبل انقضاء الأجل

فقد تدرك الحادثات الجبان ... ويسلم منها الشجاع البطل

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ١١٧٦/٣

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٩٨/١

وقال خالد بن الوليد: لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية ثم ها أنا أموت على فراشي حتف أنفي «٢» ، فلا نامت أعين الجبناء.

قيل لأعرابي: ألا تغزو فإن الله قد أنذرك. قال: والله إني لأبغض الموت على فراشي فكيف أمضي إليه ركضا؟ وقال قرواش «٣» بن حوط وذكر رجلين: [كامل]

ضبعا مجاهرة وليثا هدنة ... وثعيلبا خمر «٤» إذا ما أظلما

وقال عبد الملك بن مروان في أمية بن عبد الله «٥» بن خالد:." (١)

"كتاب السؤدد

مخايل السؤدد وأسبابه ومخايل السوء

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب عن عمه الأصمعي قال: أخبرنا جميع بن أبي غاضرة وكان شيخا مسنا من أهل البادية وكان من ولد الزبرقان بن بدر من قبل النساء، قال:

كان الزبرقان يقول: أبغض صبياننا إلي الأقيعس الذكر الذي كأنما يطلع في حجره، وإن سأله القوم أين أبوك، هر في وجوههم وقال: ما تريدون من أبي.

وأحب صبياننا إلي الطويل الغرلة «١» ، السبط الغرة، العريض الورك، الأبله العقول الذي يطيع عمع ويعصى أمه، وإن سأله القوم أين أبوك، قال: معكم.

قال: وقال الأصمعي: قال معاوية: ثلاث من السؤدد: الصلع، واندحاق البطن، وترك الإفراط في الغيرة.

قال **وقيل لأعرابي**: بم تعرفون سؤدد الغلام فيكم؟ فقال: إذا كان سائل الغرة طويل الغرلة ملتاث الإزرة وكانت فيه لوثة فلسنا نشك في سؤدده. وقيل لآخر: أي الغلمان أسود؟ قال: إذا رأيته أعنق أشدق أحمق فأقرب به من السؤدد. وكان يقال: إذا رأيت الغلام غائر العينين ضيق الجبهة حديد الأرنبة كأنما جبينه صلاية «٢» فلا ترجه، إلا أن يريد الله أمرا فيبلغه.." (٢)

"وقال آخر: [كامل]

إن الحرام غزيرة حلباته ... ووجدت حالبة الحلال مصورا «١»

وقيل لأعرابي: إن فلانا أفاد مالا عظيما قال: فهل أفاد معه أياما ينفقه فيها؟. وفي كتاب للهند: ذو المروءة يكرم معدما كالأسد يهاب وإن كان رابضا، ومن لا مروءة له يهان وإن كان موسرا كالكلب وإن طوق وحلى. وقال خداش «٢» بن زهير: [طويل]

أعاذل، إن المال أعلم أنه ... وجامعه للغائلات الغوائل

متى تجعليني فوق نعشك تعلمي ... أيغني مكاني أبكري وأفائلي؟

---

(١) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ١/ ٢٥٧

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ١/ ٣٢٥

وقال آخر: [طويل]

إذا المرء أثرى ثم قال لقومه ... أنا السيد المقضي إليه المعظم

ولم يعطهم خيرا أبوا أن يسودهم ... وهان عليهم رغمه وهو أظلم

وقال زبان «٣» بن سيار: [طويل]

ولسنا كقوم محدثين سيادة ... يرى مالها ولا يحس فعالها

مساعيهمو مقصورة في بيوتهم ... ومسعاتنا ذبيان طرا عيالها

وقال أبو عبيد الله الكاتب: الصبر على حقوق المروءة أشد من الصبر على ألم الحاجة، وذلة الفقر مانعة من عز الصبر كما أن عز الغنى مانع من كرم الإنصاف. وقال بعض المتكلمين في ذم الغنى: ألم تر ذا الغنى ما أدوم نصبه، وأقل راحته، وأخس من ماله حظه، وأشد من الأيام حذره، وأغرى." (١)

"حدثت عن شيبان بن فروخ عن أبي الأشهب عن الحسن قال: كان رجل يتجر في البحر ويحمل الخمر يأتي بها قوما، فعمد إليها فمزجها نصفين وأتاهم بها فباعها بحساب الصرف واشترى قردا فحمله معه في السفينة، فلما لجج في البحر لم يشعر إلا وقد أخذ القرد الكيس وعلا على الصاري وجعل يلقي دينارا في البحر ودينارا في السفينة حتى قسمه قسمين. قال رجل من الحاج: أتانا رجل من الأعراب بالرمل في طريق مكة بغرارة «١» فيها كمأة، فقلنا له: بكم الغرارة؟ فقال: بدرهمين، فقلنا: لك ذلك، فأخذناها ودفعنا إليه الثمن، فلما نهض قال له رجل منا: في است المغبون عود، فقال: بل عودان وضرب الأرض برجله فإذا نحن على الكمأة قيام. **قيل لأعرابي**: ألا تشتري لابنك بطيخة. فقال: لا، أو يبلغ من كساده أن يكون إذا تناول من بين يدي البقال وأخذه وعدا رماه بأخرى ولم يعد خلفه. اشترى أعرابي غلاما فقال للبائع: هل فيه من عيب، فقال: لا، غير أنه يبول في الفراش. فقال: ليس هذا بعيب، إن وجد فراشا فليبل فيه.

الدين

قال ثابت قطنة: الدين عقلة الشريف. وقال دليم «٢» : [طويل]

الله لقى من عرابة بيعة ... على حين كاد النقد يعسر عاجله «٣»

ولوى بنان الكف يحسب ربحه ... ولم يحسب المطل الذي أنا ماطله

سيرضى من الربح الذي كان يرتجي ... برأس الذي أعطى وهل هو قابله؟ «٤»." (٢)

"قال: حدثنا الرياشي عن الأصمعي عن حماد بن سلمة قال: أثنى رجل على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في وجهه، وكان تهمة، فقال علي: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك.

قيل لأعرابي: ما أحسن الثناء عليك! فقال: بلاء الله عندي أحسن من وصف المادحين وإن أحسنوا، وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الذامين وإن أكثروا، فيا أسفا على ما فرطت ويا سوءتا مما قدمت. كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لا يقبل

---

(١) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٣٥٦/١

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٣٦٢/١

الثناء إلا من مكافئ. ومن أحسن ما قيل في مدح الرجل نفسه قول أعشى «١» بني ربيعة: [طويل]

ما أنا في أهلي ولا في عشيرتي ... بمهتضم حقي ولا قارع سني

ولا مسلم مولاي عند جناية ... ولا خائف مولاي من سوء ما أجني

وإن فؤادا بين جنبي عالم ... بما أبصرت عيني وما سمعت أذني

وفضلني في الشعر واللب أنني ... أقول على علم وأعلم ما أعني

فأصبحت إن فضلت مروان وابنه ... على الناس قد فضلت خير أب وابن «٢»

وقال آخر: [طويل]

إذا المرء لم يمدحه حسن فعاله ... فمادحه يهذي وإن كان مفصحا

وقال آخر: [طويل]

لعمر أبيك الخير إني لخادم ... لصحبي وإني إن ركبت لفارس." (١)

"وقال آخر «١» في مالك بن أنس: [كامل]

يأبى الجواب فما يراجع هيبة ... والسائلون نواكس الأذقان

هدي التقي وعز سلطان التقى ... فهو المطاع وليس ذا سلطان

وقال آخر «٢» : [كامل]

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم ... خضع الرقاب نواكس «٣» الأبصار

وقال أبو نواس: [سريع]

أضمر في القلب عتابا له ... فإن بدا أنسيت من هيبته

المدائني قال: قال ابن شبرمة القاضي لابنه: يا بني، لا تمكن الناس من نفسك، فإن أجرأ الناس على السباع أكثرهم لها معاينة. **قيل لأعرابي**:

كيف تقول: استخذأت أو استخذيت؟ قال: لا أقوله، قيل: ولم؟ قال: لأن العرب لا تستخذي. وكان يقال: إصفح أو اذبح.

باب المروءة

في الحديث المرفوع: قام رجل من مجاشع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ألست أفضل قومي؟ فقال: «إن كان لك عقل فلك فضل، وإن كان لك خلق فلك مروءة، وإن كان لك مال فلك حسب، وإن كان لك تقى فلك." (٢)

---

(١) عيون الأخبار الدِّينوري، ابن قتيبة ١/ ٣٩٠

(٢) عيون الأخبار الدِّينوري، ابن قتيبة ١/ ٤١١

"مشحم النعل درن الجورب «١» مغضن الخف دقيق الخزامة. أنشد ابن الأعرابي «٢» : [طويل]

فإن كنت قد أعطيت خزا تجره ... تبدلته من فروة وإهاب

فلا تأيسن أن تملك الناس إنني ... أرى أمة قد أدبرت لذهاب

قال أيوب: يقول الثوب: أطوني أجملك. هشام بن عروة عن أبيه قال:

يقول المال: أربي صاحبي أعمر، ويقول الثوب: أكرمني داخلا أكرمك خارجا. ويقال: لكل شيء راحة، فراحة البيت كنسه، وراحة الثوب طيه. **قيل لأعرابي**: إنك تكثر لبس العمامة، فقال: إن عظما فيه السمع والبصر لجدير أن يكن من الحر والقر. ويقال: حبى العرب حيطانها، وعمائمها تيجانها.

وذكروا العمامة عند أبي الأسود الدؤلي فقال: جنة في الحرب، ومكنة في الحر والقر، وزيادة في القامة، وهي بعد عادة من عادات العرب. وقال طلحة ابن عبيد الله: الدهن يذهب البؤس، والكسوة تظهر الغنى، والإحسان إلى الخادم مما يكبت الله به العدو.

أبو حاتم قال: حدثنا العتبي قال: سمعت أعرابيا يقول: لقد رأيت بالبصرة برودا كأنما نصحت «٣» بأنوار الربيع وهي تروع، واللابسوها أروع. قال يحي بن خالد للعتابي في لباسه- وكان لا يبالي ما لبس-: يا أبا علي، أخزى الله امرأ رضي أن يرفعه هيئتاه من جماله وماله، فإنما ذلك حظ الأدنياء من الرجال والنساء، لا والله حتى يرفعه أكبراه: همته ونفسه، وأصغراه: قلبه." (١)

"خان شريف ولا كذب عاقل ولا اغتاب مؤمن. وكانوا يحلفون فيحنثون «١» ويقولون فلا يكذبون. ذم رجل رجلا فقال: اجتمع فيه ثلاثة: طبيعة العقعق «٢» يعني السرق، وروغان الثعلب يعني الخب، ولمعان البرق يعني الكذب.

ويقال الأذلاء أربعة: النمام والكذاب والمدين والفقير. قال ابن المقفع: لا تهاونن بإرسال الكذبة في الهزل فإنها تسرع في إبطال الحق. وقال الأحنف:

اثنان لا يجتمعان أبدا: الكذب والمروءة. وقالوا: من شرف الصدق أن صاحبه يصدق على عدوه. وقال الأحنف لابنه: يا بني، اتخذ الكذب كنزا؛ أي لا تخرجه. **وقيل لأعرابي** كان يسهب في حديثه: أما لحديثك هذا آخر؟

فقال: إذا انقطع وصلته. وقال ابن عمر: زعموا زاملة «٣» الكذب. كان يقال:

علة الكذوب أقبح علة، وزلة المتوقي أشد زلة. كان المهلب كذابا وكان يقال له: راح يكذب. وفيه يقول الشاعر «٤» [وافر]

تبدلت المنابر من قريش ... مزونيا بفقحته «٥» الصليب

فأصبح قافلا كرم وجود «٦» ... وأصبح قادما كذب وحوب

قال رجل لأبي حنيفة: ما كذبت كذبة قط؛ قال: أما هذه فواحدة يشهد." (٢)

---

(١) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٤١٧/١

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٣٢/٢

"في قضائه؛ فقال داود: أقول لك شيئا وتكتمه؟ قال: نعم: قال: والله ما صاحبي غيره. واستشاره رجل في حمل أمه إلى البصرة، وقال: إن حملتها في البر خفت عليها اللصوص، وإن حملتها في الماء خفت عليها الغرق؛ فقال: خذ بها سفتجة «١» .

دعا بعض السلاطين مجنونين ليضحك منهما، فأسمعاه فغضب فدعا بالسيف؛ فقال أحدهما للآخر: كنا اثنين وقد صرنا ثلاثة. قال رجل لابن سيابة مولى بني أسد: ما أراك تعرف الله؛ قال: أتراني لا أعرف من أجاعني وأعراني وأخزاني.

قيل لأعرابي: كيف برك بأمك؟ قال: ما قرعتها سوطا قط. وقيل لآخر وهو يضرب أمه: ويحك! تضرب أمك! فقال: أحب أن تنشأ على أدبي. وقال بعض الشعراء: [طويل]

جنونك مجنون ولست بواجد ... طبيبا يداوي من جنون جنون

وقال آخر: [طويل]

وكيف يفيق الدهر كعب بن ناشب ... وشيطانه بين الأهلة يصرع

وقال أعرابي وذكر الله عز وجل: [كامل]

خلق السماء وأهلها في جمعة ... وأبوك يمدر حوضه «٢» في عام

كان أبو العاج والي واسط، وأتاه صاحب شرطته بقوادة فقال: أصلح الله الأمير، هذه قوادة؛ قال: وأي شيء تصنع؟ قال: تجمع بين الرجال." (١)

"وأصوات الذكور من كل شيء أجهر وأغلظ إلا إناث البقر فإنها أجهر أصواتا من ذكورها.

قيل لأعرابي: بأي شيء تعرف حمل شاتك؟ قال: إذا ورم حياؤها ورجت شعرتها واستفاضت خاصرتها.

قال الأصمعي: لبني عقيل ماعزة لا ترد، تجترىء بالرطب. وقرأت في كتاب من كتب الروم: إن أردت أن تعرف ما لون جنين النعجة فانظر إلى لسانها فإن الجنين يكون على لونه. وقرأت فيه أن الإبل تتحامى أمهاتها وأخواتها فلا تسفدها.

قالوا: وكل ثور أفطس «١» ، وكل بعير أعلم «٢» ، وكل ذباب أقرح «٣» .

وقالوا: البعير إذا صعب وخافه الناس استعانوا عليه حتى يبرك ويعقل ثم يركبه فحل آخر فيذل. والعرب تعرف البعير المغد «٤» بسقوط الذباب عليه.

ويقولون: بعير مذبوب إذا عرض له داء يدعو الذباب إلى السقوط عليه. وقال بعض القصاص: مما فضل الله به الكبش أن جعله مستور العورة من قبل ومن دبر، ومما أهان به التيس أن جعله مهتوك الستر مكشوف القبل والدبر.

حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أمية عن وهب بن منبه أنه قال:

كان في مناجاة عزير: اللهم إنك اخترت من الأنعام الضائنة، ومن الطير الحمامة، ومن النبات الحبلة «٥» ، ومن البيوت بكة «٦» وإيلياء، ومن إيلياء بيت." (٢)

---

(١) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢/٥٦

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢/٨٩

"وإذا طلبت من العلوم أجلها ... فأجلها «١» منها مقيم الألسن

قال رجل لأعرابي: كيف أهلك بكسر اللام؟ – يريد كيف أهلك– فقال الأعرابي: صلبا «٢» ؛ ظن أنه سأله عن هلكته كيف تكون.

وقيل لأعرابي: أتهمز إسراييل؟ قال: إني إذا لرجل سوء؛ قيل له: أتجر فلسطين؟ قال: إني إذا لقوي. وقيل لآخر: أتهمز الفارة؟ فقال: الهرة تهمزها.

وقيل: كان بشر المريسي يقول لأصحابه: قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهنؤها «٣» فقال قاسم التمار «٤» : هذا كما قال الشاعر: [منسرح]

إن سليمى والله يكلؤها ... ضنت بشيء ما كان يرزؤها «٥»

سمع أعرابي مؤذنا يقول: أشهد أن محمدا رسول الله بنصب رسول، فقال: ويحك! يفعل ماذا؟.

قال مسلمة بن عبد الملك: اللحن في الكلام أقبح من الجدري في الوجه. وقال عبد الملك: اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب النفيس. قال أبو الأسود: إني لأجد للحن غمزا كغمز اللحم.

قال الخليل بن أحمد «٦» : أنشدني أعرابي: [طويل]." (١)

"وقال أبو زبيد «١» : [خفيف]

يملك المرء بالرجاء ويضحي ... غرضا للمنون نصب العود

كل يوم ترميه منها برشق ... فمصيب أوصاف غير بعيد «٢»

وقال أبو العتاهية: [مجزوء الكامل]

وعظتك إجداث صمت ... ونعتك أزمنة خفت

وتكلمت عن أوجه ... تبلى وعن صور شتت

وأرتك قبرك في القبو ... ر وأنت حي لم تمت

وقال أعرابي: أبعد سفر أول منقلة «٣» منه الموت. **وقيل لأعرابي**: مات فلان أصح ما كان؛ فقال: أو صحيح من الموت في عنقه؟ وقال بعض المحدثين: [سريع]

اسمع فقد أسمعك الصوت ... إن لم تبادر فهو الفوت

بل كل إذا شئت وعش ناعما ... آخر هذا كله الموت

وكان صالح المري يقول في قصصه: [متقارب]

مؤمل دنيا لتبقى له ... فمات المؤمل قبل الأمل

---

(١) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ١٧٣/٢

وبات يروي أصول الفسيل «٤» ... فعاش الفسيل ومات الرجل

وقال مسلم بن الوليد: [رمل]." (١)

"فنادوه فأشرف عليهم، فقالوا: إنا قد ضللنا فكيف الطريق؟ قال لهم: ها هنا، وأومأ إلى السماء، فعلموا الذي أراد، فقالوا: إنا سائلوك، أفتجيبنا أنت؟ قال:

سلوا ولا تكثروا، فإن النهار لن يرجع والعمر لن يعود والطالب حثيث في طلبه ذو اجتهاد؛ قالوا: ما الخلق عليه غدا عند مليكهم؟ فقال: على نياتهم؛ فقالوا: فإلام الموئل؟ قال: إلى المقدم؛ قالوا: أوصنا؛ قال: تزودوا على قدر سفركم، فإن خير الزاد ما بلغ المحل؛ ثم أرشدهم إلى المحجة وانقمع «١» .

وقال آخر: قلت لراهب: عظني عظة نافعة؛ فقال: جميع المواعظ منتظمة في حرف واحد؛ قلت: ما هو؟ قال: تجمع على طاعته، فإذا أنت قد حويت المواعظ والأذكار.

الأصمعي: قيل لأعرابي معه ماشية: لمن هذه الماشية؟ قال: لله عندي.

كان ابن السماك يقول في كلامه: لقد أمهلكم حتى كأنه أهملكم، أما تستحيون من الله من طول ما لا تستحيون؟.

قال بكر بن عبد الله: اجتهدوا في العمل، فإن قصر بكم ضعف فكفوا عن المعاصي.

كان مالك بن دينار يقول في قصصه: ما أشد فطام الكبير «٢» ! وينشد: [كامل]

وتروض عرسك بعد ما هرمت ... ومن العناء رياضة الهرم «٣»." (٢)

"من ملمها، وكان سبقي إلى ذلك أبرز سبق، وحظي بالتقدم فيه أوفر حظ.

وقرأت في كتاب: مصيبتك لي مصيبة، وما نالك من ألمها لي موجع.

ولو كان في الوسع أن أعلم كنه ما خامر قلبك من ألمها لحملت مثله على نفسي، فإني أحب أن أكون أسوتك في كل سار وغام، وألا أتمتع بأيام غمومك، ولا أقصر فيها عن مقدار حالك.

وقرأت في كتاب: نسأل الله حسن الاستعداد لما نتوكفه «١» ونتوقع حلوله، وألا يشغلنا بما يقل الانتفاع به وتعظم التبعة فيه عما نحتاج إليه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا، وأن يجعل ما وهب لنا من الصبر والعزاء إيمانا وإيقانا، ولا يجعله ذهولا ونسيانا.

قال أسماء بن خارجة إذا قدمت المصيبة تركت التعزية، وإذا قدم الإخاء قبح الثناء.

قيل لأعرابية مات ابنها: ما أحسن عزاءك! فقالت: إن فقدي إياه أمنني من المصيبة بعده. ونحوه قول الشاعر «٢» : [طويل]

وكنت عليه أحذر الموت وحده ... فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

ومثله: [طويل]

---

(١) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٣٢٩/٢

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٣٩٧/٢

وقد كنت أستعفي الإله إذا اشتكى ... من الأجر لي فيه وإن سرني الأجر

وقال أبو العتاهية: [كامل]." (١)

"وكما تبلى وجوه في الثرى ... فكذا يبلى عليهن الحزن

وفي الحديث: «من يرد الله به خيرا «١» يصب منه» .

ويقال: المصيبة الموجعة تدر «٢» ذكر الله في قلب المؤمن.

قال الأصمعي: مررت بأعرابية وبين يديها فتى في السياق «٣» ، ثم رجعت ورأيت في يدها قدح سويق «٤» تشربه، فقلت لها: ما فعل الشاب؟ فقالت:

واريناه؛ فقلت: فما هذا السويق؟ فقالت: [طويل]

على كل حال يأكل القوم زادهم ... على البؤس والبلوى وفي الحدثان

قيل لأعرابي: كيف حزنك اليوم على ولدك؟ فقال: ما ترك حب الغداء والعشاء لي حزنا.

وقال عمر بن عبد العزيز: إنما الجزع قبل المصيبة، فإذا وقعت فاله عما أصابك.

اشتكى بعض أهل محمد بن علي بن الحسين فجزع عليه، ثم أخبر بموته فسري «٥» عنه؛ فقيل له في ذلك، فقال: ندعو الله فيما نحب، فإذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما أحب.

لما مات عتبة بن مسعود قال عبد الله: إذا ما قضى الله فيه ما قضى فما أحب أني دعوته فأجابني.

قال رجل من طيء: [طويل]." (٢)

"كتب عمر إلى أبي موسى: مر ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا.

وقال أكثم بن ضيفي: تباعدوا في الديار تقاربوا في المودة.

قيل لأعرابي: ما تقول في ابن عمك؟ قال: عدوك وعدو عدوك.

وقال قيس بن زهير: [وافر]

شفيت النفس من حمل بن بدر ... وسيفي من حذيفة قد شفاني

قتلت بإخوتي سادات قومي ... وقد كانوا لنا حلي الزمان «١»

فإن أك قد بردت بهم غليلي ... فلم أقطع بهم إلا بناني

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، حين تصفح القتلى يوم الجمل: شفيت نفسي وجدعت أنفي. وفي مثل ذلك قول القائل «٢» : [كامل]

قومي هم قتلوا أميم أخي ... فإذا رميت يصيبني سهمي

ولئن عفوت لأعفون جللا ... ولئن قرعت لأوهنن عظمي «٣»

---

(١) عيون الأخبار الدِّينوري، ابن قتيبة ٦٥/٣

(٢) عيون الأخبار الدِّينوري، ابن قتيبة ٦٦/٣

قتل رجل من العرب ابن أخيه فدفع إليه ليقيده «٤» ، فلما أهوى بالسيف أرعدت يداه، فألقي السيف من يده وعفا عنه وقال: [بسيط]

أقول للنفس تأساء وتعزية ... إحدى يدي أصابتني ولم ترد

كلاهما خلف من فقد صاحبه ... هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

وقال بعضهم: [وافر]

بكره سراتنا يا آل عمرو ... نفاديكم بمرهفة النصال

فنبكي حين نذكركم عليكم ... ونقتلكم كأنا لا نبالي." (١)

"شكا عثمان عليا إلى العباس رضي الله عنهم؛ فقال: أنا منه كأبي العاق، إن عاش عقه وإن مات فجعه.

وقال رجل لأبيه: يا أبت، إن عظيم حقك علي لا يذهب صغير حقي عليك، والذي تمت به إلي أمت بمثله إليك، ولست أزعم أنا على سواء.

وقال زيد بن علي بن الحسن لابنه يحيى: إن الله لم يرضك لي فأوصاك بي، ورضيني لك فلم يوصني بك.

غضب معاوية على يزيد ابنه فهجره؛ فقال له الأحنف: يا أمير المؤمنين، أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا، ونحن لهم سماء ظليلة، وأرض ذليلة، فإن غضبوا فأرضهم، وإن سألوا فأعطهم، ولا تكن عليهم قفلا «١» فيملوا حيتك ويتمنوا موتك.

قيل لأعرابي: كيف ابنك؟ - وكان عاقا- فقال: عذاب رعف «٢» به الدهر، فليتني قد أودعته القبر، فإنه بلاء لا يقاومه الصبر، وفائدة لا يجب فيها الشكر.

قيل لبعضهم: أي ولدك أحب إليك؟ قال: صغيرهم حتى يكبر، ومريضهم حتى يبرأ، وغائبهم حتى يقدم.

ناول عمر بن الخطاب رجلا شيئا؛ فقال له: خدمك بنوك؛ فقال عمر:

بل أغنانا الله عنهم.

وولد للحسن غلام، فقال له بعض جلسائه: بارك الله لك في هبته، وزادك من أحسن نعمته؛ فقال الحسن: الحمد لله على كل حسنة، ونسأل الله." (٢)

"الأصمعي قال: قال أعرابي: تمرنا جرد «١» فطس «٢» يغيب فيه الضرس، كأن نواه ألسن الطير، تضع التمرة في فيك فتجد حلاوتها في كعبيك.

الأصمعي عن أبيه قال: أسر رجل رجلين في الجاهلية فخيرهما بم بعشيهما، فاختار أحدهما اللحم واختار الآخر التمر، فعشيا وألقيا في الفناء وذلك في شتاء شديد، فأصبح صاحب اللحم خامدا وأصبح صاحب التمر تزر «٣» عيناه.

وقال غير الأصمعي: **قيل لأعرابي**: ما رأيك في أكل الجري «٤» ؟ قال:

تمرة نرسيانة «٥» غراء الطرف صفراء السائر عليها مثلها زبدا أحب إلي منها، ثم أدركه الورع فقال: وما أحرمهما.

---

(١) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٣/١٠٠

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٣/١٠٥

وقال بعض الأعراب: [طويل]

ألا ليت لي خبزا تسربل رائبا ... وخيلا من البرني فرسانها الزبد «٦»

قال: ورأى أعرابي دقيقا وتمرا فاشترى التمر؛ قيل له: كيف وسعر الدقيق والتمر واحد! قال: إن في التمر أدمه «٧» وزيادة حلاوة.

عن زياد النميري قال: قالت عائشة: من أكل التمر وترا «٨» لم يضره.." (١)

"الأصمعي قال: بلغني أن أقواما لبسوا المطارف «١» العتاق، والعمائم الرقاق؛ وأوسعوا دورهم، وضيقوا قبورهم؛ وأسمنوا دوابهم، وهزلوا دينهم؛ طعام أحدهم غصب، وخادمه سخرة، يتكىء على شماله، ويأكل من غير ماله؛ حتى إذا أدركته الكظة قال: يا جارية هاتي حاطوما «٢» ؛ ويلك! وهل تحطم إلا دينك! أين مساكينك! أين يتاماك! أين ما أمرك الله به! أين أين!.

قال بعض الحكماء: مدار صلاح الأمور في أربع: الطعام لا يؤكل إلا على شهوة، والمرأة لا تنظر إلا إلى زوجها، والملك لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: «من أكل من سقط المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده وولد ولده من الحمق» .

وقيل لأعرابي: أتحسن أن تأكل الرأى؟ قال: نعم، أبخص عينيه «٣» ، وأسحي «٤» ، خديه، وأفك لحييه، وأرمي بالدماغ إلى من هو أحوج مني إليه.

وكانوا يكرهون أكل الدماغ؛ ولذلك يقول قائلهم: أنا من قبيلة تبقى المخ في الجماجم.

دعبل قال: يا بني، لا تأكل ألية الشاة لأنها طبق الاست وقريب من الجواعر «٥» .

قال بعض الشعراء: [طويل]

إذا لم أرى إلا لآكل أكلة ... فلا رفعت يمنى يدي طعامي

فما أكلة إن نلتها بغنيمة ... ولا جوعة إن جعتها بغرام «٦»." (٢)

"وقيل لبعض حكماء الروم: أي وقت الطعام فيه أطيب وأفضل؟ قال:

أما لمن قدر فإذا جاع، وأما لمن لم يقدر فإذا وجد.

ونظر أعرابي إلى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان، فقال: أما والله لئن أثرتموه لتمسكن منه بذنابي عيش أغبر «١» .

وقيل لآخر: ألا تصوم البيض من شعبان! فقال: بين يديها ثلاثون كأنها القباطي» .

وقيل لمدني: بم تتسحر الليلة؟ فقال: باليأس من فطور القابلة.

الرياشي قال: قيل لأعرابي: اشرب، فقال: إني لا أشرب على ثميلة «٣» . وقال: [طويل]

---

(١) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٣/٢٢٤

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٣/٢٤٣

إذا لم يكن قبل النبيذ ثريدة ... مبقلة صفراء شحم جميعها «٤»

فإن نبيذ الصرف إن كان وحده ... على غير شيء أوجع الكبد جوعها «٥»

قدم أعرابي على ابن عم له بالحضر، فأدركه شهر رمضان؛ فقيل له:

أبا عمرو لقد أتاك شهر رمضان؛ قال: وما شهر رمضان؟ قالوا: الإمساك عن الطعام؛ قال: أبالليل أم بالنهار؟ قالوا: لا، بل بالنهار؛ قال: أفيرضون بدلا من الشهر؟ قالوا: لا؛ قال: فإن لم أصم فعلوا ماذا؟ قالوا: تضرب وتحبس؛ فصام أياما فلم يصبر، فارتحل عنهم وجعل يقول: [طويل]

يقول بنو عمي وقد زرت مصرهم ... تهيأ أبا عمرو لشهر صيام

فقلت لهم هاتوا جرابي ومزودي ... سلام عليكم فاذهبوا بسلام «٦»." (١)

"متأبطين بنيهم وبناتهم ... صعر الأنوف لريح كل دخان «١»

قعد رجل على مائدة المغيرة، وكان منهوما، وجعل ينهش ويتعرق؛ فقال المغيرة: ناولوه سكينا؛ فقال الرجل: كل امرىء سكينه في رأسه **وقيل لأعرابي**: ما لكم تأكلون اللحم وتدعون الثريد؟ فقال: لأن اللحم ظاعن «٢» والثريد باق.

وقيل لآخر: ما تسمون المرق؟ قال: السخين؛ قال: فإذا برد؟ قال: لا ندعه يبرد.

قال أبو اليقظان «٣» : كان هلال بن أسعر التميمي، من بني دارم بن مازن، شديدا أكولا؛ يزعمون أنه أكل جملا إلا ما حمل على ظهره منه. وأكل مرة فصيلا «٤» ، وأكلت امرأته فصيلا، فلما ضاجعها لم يصل إليها؛ فقالت:

كيف تصل إلي وبيننا بعيران!.

الأصمعي قال: دعا عباد بن أخضر هلال بن أسعر إلى وليمة، فأكل مع الناس حتى فرغوا، ثم أكل ثلاث جفان تصنع كل جفنة لعشرة أنفس؛ فقال له: شبعت؟ قال لا؛ فأتوه بكل خبز في البيت فلم يشبع، فبعثوا إلى الجيران؛ فلما اختلفت ألوان الخبز علم أنه قد أضر بهم فأمسك؛ فقالوا: هل لك في تمر شهريز «٥» بلبن؟ فأتوه به فأكل منه قواصر «٦» ؛ فقالوا له: أشبعت؟ قال: لا؛." (٢)

"فمن أجلها أستوعب الزاد كله ... ومن أجلها أهوي يدي فأدارك

وقال آخر: [متقارب]

عريض البطان جديد الخوان ... قريب المراث من المرتع «١»

فنصف النهار لكرياسه ... ونصف لمأكله أجمع «٢»

الأصمعي قال: **قيل لأعرابي**: ما يعجبك من هذا القند «٣» ؟ قال: يعجبني خضده وبرده. قال الأصمعي: الخضد: المضغ والأكل الشديد.

قال خالد بن صفوان يوما لجاريته: يا جارية، أطعمينا جبنا، فإنه يشهي الطعام ويهيج المعدة، وهو يعد من حمض العرب.

---

(١) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢٤٦/٣

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢٤٩/٣

قالت: ما عندنا منه شيء. قال: لأعلمك إنه والله، ما علمت، ليقدح في الأسنان ويستولي على البطن، وأنه من طعام أهل الذمة.

كان يقال: إذا كثرت المقدرة، ذهبت الشهوة.

وقال بعض الظرفاء: [طويل]

زرعنا فلما سلم الله زرعنا ... وأوفى عليه منجل بحصاد

بلينا بكوفي حليف مجاعة ... أضر علينا من دبى وجراد «٤»

عن نافع عن ابن عمر قال: «قال النبي صلى الله عليه وسلم: من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله» .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دعي أحدكم فجاء مع." (١)

"وقيل لأعرابي كان في مجلس: فيم كنتم؟ قال: كنا في قدر تفور، وكأس تدور، وغناء يصور «١» ، وحديث لا يخور «٢» .

بلغني أن محمد بن خالد بن يزيد بن معاوية كان نازلا بحلب على الهيثم بن يزيد التنوخي، فبعث إلى ضيف له من عذرة فقال: حدث أبا عبد الله ما رأيت في حاضرة المسلمين من أعاجيب الأعراس؛ قال: نعم، رأيت أمورا معجبة: منها أني رأيت قرية عاصم بن بكر الهلالي، فإذا أنا بدور متباينة، وإذا أخصاص «٣» منظم بعضها إلى بعض، وإذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون وعليهم ثياب حكوا بها ألوان الزهر، فقلت لنفسي: هذا أحد العيدين الأضحى أو الفطر؛ ثم رجع إلي ما عزب «٤» عني من عقلي، فقلت: خرجت من أهلي في عقب صفر وقد مضى العيدان قبل ذلك؛ فبينما أنا واقف ومتعجب أتاني رجل فأخذ بيدي فأدخلني دارا قوراء «٥» وأدخلني بيتا قد نجد «٦» في وجهه فرش قد مهدت وعليها شاب ينال فروع شعره كتفيه، والناس حوله سماطان «٧» ؛ فقلت في نفسي: هذا الأمير الذي يحكى لنا جلوسه وجلوس الناس حوله، فقلت وأنا ماثل بين يديه: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته؛ فجذب رجل بيدي وقال: اجلس فإن هذا ليس بالأمير؛ فقلت: ومن هو؟ قال: عروس؛ قلت؛ واثكل أماه! رب عروس رأيت بالبادية أهون على أصحابه من هن أمه؛ فلم ألبث إذ دخلت الرجال عليها هنات «٨» مدورات من." (٢)

"الأصمعي: قيل لأعرابي: لم تبغض الرمان؟ قال: لأنه مبخرة مجفرة مجعرة «١» .

قال: وقال يحيى بن خالد: شيئان يورثان القمل: التين اليابس إذا أكل، وبخار اللبان «٢» إذا تبخر به.

وقالت الأطباء: ورق الخوخ وأقماعه إن دق وعصر وشرب أسهل حب القرع والديدان والحيات المتولدة في البطن، وإن صب ماء ورقه في الأذن أمات الديدان فيها، وإن تدلك بورقه بعد النورة «٣» قطع ريحها.

وحماض الأترج «٤» إن لطخ به الكلف والقوب «٥» أذهبه. وحب الأترج نافع من السموم.

---

(١) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢٥٤/٣

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٢٥٩/٣

وورق التفاح الغض إن دق بالرفق أياما خمسة أو ستة ثم ضمد به الوشم «٦» قلعه من غير أن يقرح موضعه.

عن الزهري قال: حدثني رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من بات وفي بطنه جزرة أو جزرتان أو ثلاث أمن القولنج والدبيلة «٧» » .

والفستق: إن دق وشرب بالمطبوخ الشديد نفع من لسع الهوام.." (١)

"**قيل لأعرابي**: فلان يخطب فلانة، قال: أموسر من عقل ودين؟ قالوا: نعم، قال: فزوجوه.

عن عيسى بن عمر قال: قال رجل لأعرابي: أمنكحي أنت؟ قال: لا، قال: ولم؟ لأنك أصبح اللحية «١» .

وكان عقيل بن علفة غيورا، فخطب إليه عبد الملك بن مروان ابنته على أحد بنيه «٢» ، وكانت لعقيل إليه حوائج، فقال له: إن كنت لا بد فاعلا فجنبني هجناءك «٣» .

وخطب إليه إبراهيم بن هشام بن إسماعيل- وكان إبراهيم بن هشام والي المدينة وخال هشام بن عبد الملك- فرده لأنه كان أبيض شديد البياض، فقال: [وافر]

رددت صحيفة القرشي لما ... أبت أعراقه إلا احمرارا

وقال رجل من الأعراب: [طويل]

يسموننا الأعراب والعرب اسمنا ... واسماؤهم فينا رقاب المزاود «٤»

يعني العجم يسمون الحمراء.

ابن الأعرابي قال: قال عبد الملك بن مروان لامرأة من قريش تزوجت." (٢)

"قال أعرابي: [بسيط]

يا زين من ولدت حواء من ولد ... لولاك لم تحسن الدنيا ولم تطب

أنت التي من أراه الله صورتها ... نال الخلود فلم يهرم ولم يشب

وقال أعرابي: [طويل]

إذا هن أبدين الخدود وحسرت ... ثغور عن الأفواه كي تتبسما «١»

أجاد القضاة العادلون قضاءهم ... لهن بلا وهم وإن كن أظلما

وقال عروة بن أذينة (٢) : [كامل]

إن التي زعمت فؤادك ملها ... خلقت هواك كما خلقت هوى لها

فإذا وجدت لها وساوس سلوة ... شفع الفؤاد إلى الضمير فسلها «٢»

بيضاء باكرها النعيم فصاغها ... بلباقة فأدقها وأجلها «٣»

---

(١) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٣١٦/٣

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ١٣/٤

وقال أعرابي يرقص ابنا له: [سريع]

يا رب رب مالك بارك فيه ... بارك لمن يحبه ويدنيه

ذكرني لما نظرت في فيه ... أجزع نور غربت أواخيه «٤»

والوجه لما أشرقت نواحيه ... دينار عين بيد تبريه

وقال ابن شبرمة: ما رأيت لباسا على رجل أزين من فصاحة، ولا رأيت لباسا على امرأة أزين من شحم.

قيل لأعرابي: إنك لحسن الكدنة «٥» فقال: ذلك عنوان نعمة الله عندي.." [(١)]

"عن ابن سيرين قال: قال عبد الله بن عجلان «١» صاحب هند «٢» التي عشقها وكانت تحبه فطلقها: [طويل]

ألا إن هندا أصبحت لك محرما ... وأصبحت من أدنى حموتها حما

وأصبحت كالمقمور جفن سلاحه ... يقلب بالكفين قوسا وأسهما «٣»

ومد بها صوته ثم مات. قال الأصمعي: فيه قال الشاعر: [هزج]

إن مت من الحب ... فقد مات ابن عجلان

قيل لأعرابي من العذريين: ما بال قلوبكم كأنها قلوب طير تنماث «٤» كما ينماث الملح في الماء! أما تجلدون؟ «٥» فقال: إننا ننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون إليها.

وقيل لأعرابي: ممن أنت؟ فقال: من قوم إذا أحبوا ماتوا. فقالت جارية سمعته: عذري ورب الكعبة!.

عن عبد الملك بن عمير قال: كان أخوان من بني كنة «٦» من ثقيف، أحدهما ذو أهل، والآخر عزب، وكان ذو الأهل إذا غاب خلفه العزب في أهله؛ فغاب غيبة له، فجاء العزب يوما فطلعت عليه امرأة الأخ، وهي لا تعلم." [(٢)]

"حديث: "ألا أخبركم بأحبكم إلي ... "

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقا، الموطأون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، ألا أخبركم بأبغضكم إلي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة؟ الثرثارون المتفيهقون".

قوله صلى الله عليه وسلم: "الموطأون أكنافا" مثل، وحقيقته أن التوطئة هي التذليل والتمهيد، يقال: دابة وطيء، يا فتى، وهو الذي لا يحرك راكبه في مسيره، وفراش وطيء إذا كان وثيرا لا يؤذي جنب النائم عليه، فأراد القائل بقوله: " موطأ" الأكناف" أن ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذى، ولا ناب به موضعه.

قال أبو العباس: حدثني العباس بن الفرج الرياشي قال: حدثني الأصمعي قال: **قيل لأعرابي** وهو المنتجع بن نبهان١ ما السميدع؟ فقال: السيد الموطأ الأكناف.

وتأويل الأكناف الجوانب، يقال: في المثل: فلان في كنف فلان، كما فلان في ظل فلان، وفي ذرى فلان، وفي ناحية فلان٢، وفي حيز فلان.

---

(١) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٤/ ٣٠

(٢) عيون الأخبار الدِّينَوري، ابن قتيبة ٤/ ١٢٨

وقوله صلى الله عليه وسلم: "الثرثارون" يعني الذين يكثرون الكلام تكلفا وتجاوزا، وخروجا عن الحق. وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء، يقال: عين ثرثارة. وكان يقال لنهر بعينه: الثرثار٣، وإنما سمي به لكثرة مائه، قال الأخطل: ٤

لعمري لقد لاقت سليم وعامر ... على جانب الثرثار راغية البكر

قوله: " راغية البكر" أراد أن بكر ثمود رغا فيهم فأهلكوا، فضربته العرب مثلا، وأكثرت فيه، قال علقمة بن عبدة الفحل:

رغا فوقهم سقب السماء فداحض ... بشكته لم يستلب وسليب٥

---

١ من طيء؛ ذكره الزبيدي في الطبقة الأولى من اللغويين البصريين ص ١٧٥.

٢ تكملة من ر.

٣ الثرثار: موضع عند تكريت.

٤ زيادات ر: "واسمه غياث بن غوث، يكنى أبا مالك، ويلقب بدوبل، والدوبل: الخنزير"، وكذلك في س.

٥ زيادات ر: "السقب: ولد الناقة، والشكة: مايلبس من السلاح، والسليب: من سلب سلاحه".." (١)

"لبعض المحدثين في الخضاب

وقال بعض المحدثين: ذكرناه بقول أبي الأسود:

قد كنت أرتاع للبيضاء في حلك ... فصرت أرتاع للسوداء في يقق١

من لم يشب ليس مملاقا حليلته ... وصاحب الشيب للنسوان ذو ملق

قد كن يفرقن منه في شبيبته ... فصار يفرق ممن كان ذا فرق

إن الخضاب لتدليس يغش به ... كالثوب في السوق مطويا على حرق

ويروى: "يطوى لتدليس على حرق".

وشبيه بهذا المعنى قول أبي تمام:

طال إنكاري البياض وإن عمر ... ت شيئا انكرت لون السواد

وحدثني الزيادي قال: قيل لأعرابي: ألا تخضب بالوسمة، فقال: لم ذاك؟ فقال: لتصبو ليك النساء، فقال: أما نساؤنا فما يردن بنا بديلا، وأما غيرهن فما نلتمس صبوتهن.

---

١ اليقق: البياض.." (٢)

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١/٨

(٢) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٢/١٢٧

"ليزيد بن المهلبي

وقال آخر – وهو أبو خالد يزيد بن محمد المهلبي:

صبغت الرأس ختلا للغواني ... كما غطى على الريب المريب

أعلل مرة وأساء أخرى ... ولا تحصى من الكبر العيوب

أسوف توبتي خمسين عاما ... وظني أن مثلي لا يتوب

يقولم بالثقاف العود لدنا ... ولا يتقوم العود الصليب١

وقال مالك بن دينار: جاهدوا أهواءكم، كما تجاهدون أعداءكم. وكان يقول: ما أشد فطام الكبير.

وقال آخر:

دعي لومي ومعتبتي أماما ... فني لم أعود أن ألاما

وكيف ملامتي إذ شاب رأسي ... على خلق نشأت به غلاما

وقيل لأعرابي: ألا تغير شيبك بالخضاب؟ فقال: بلى، ففعل ذاك مرة، ثم لم يعاود، فقيل له: لم لا تعاود الخضاب؟ فقال: يا هناه، لقد شد لحياي فجلت أخالني ميتا.

---

١ الثقاف: آلة لتقويم الرماح.." (١)

"قال أبو الحسن عن عامر بن الأسود قال: قيل لأبي السفاح بكير بن معدان أوص، قال: إنا الكرام يوم طخفة. قالوا: إنك في الموت فقل خيرا وتشهد. قال: غلامي إذا مات فهو حر.

قال أبو الحسن: قال دحيم وهو بالموت: الرجز

قد وردت نفسي وما كادت ترد ... قد كنت ذا أزر شديد المعتمد

وكنت ذا شغب على الخصم الألد ... قد جاء قرن ليس بالقرن يرد

ثم هلك.

قال أبو الحسن: قيل لرجل وهو مريض: قل لا إله إلا الله. ب: فقال: لم يأن لذلك بعد.

وقيل لهرم بن حيان: أوص. فقال: صدقتني في الحياة نفسي، ما لي مال أوصيكم به، ولكني أوصيكم بخواتيم سورة البقرة.

وأخبر أبو الحسن عن شعبة بن عبد الله الأنصاري قال: عزى إياس بن معاوية رجلا عن ابنه فقال: لا ينقص الله عددك، ولا يزل نعمة عنك، وعجل الله لك من الخلف خيرا مما رزئت به وعزى آخر رجلا فقال: إن فيما عوضك الله من الأجر خيرا مما فجعك به من الرزية.

وقيل لأعرابية: ما أحسن عزاءك عن ابنك! فقالت: إن فقدانيه أمنني من المصائب بعده.

وقال: أخبرني سعيد عن رجل منهم قال: خرجت إلى اليمن فنزلت على امرأة منهم، فرأيت مالا كبيرا ورقيقا وولدا وحالا

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١٢٨/٢

حسنة، فأقمت حتى قضيت حاجتي. فأردت الرحيل فقلت لها: ألك حاجة؟ قالت: نعم، كلما نزلت هذه البلاد فانزل علي، فغبرت أعواما، ثم أتيت اليمن، فأتيت منزل المرأة فإذا حالتها قد تغيرت، وذهب رقيقها، ومات ولدها، وباعت منزلها، وإذا هي مسرورة بحالها، ضاحكة. فقلت: أتضحكين مع ما قد نزل بك؟ قالت: يا عبد الله، كنت في حال النعمة ولي أحزان كثيرة، فعلمت أن ذلك من قلة الشكر، فأنا اليوم في هذه الحال أضحك شكرا لله على ما أعطاني من الصبر. فقلت لعبد الله بن عمر: ما رأيت منها؟ فقال: ما كان صبر أيوب النبي عليه السلام إلى هذه بشيء.

وقال سفيان: شكا الربيع بن أبي راشد إلى محارب بن دثار إبطاء خبر أخيه جامع. فقال له محارب: إن لم تكن وطنت نفسك على فراق جامع فأنت عاجز.

وقال: محمد بن أبي محمد: بلغني أن الإسكندر مر بمدينة قد ملكها أملاك سبعة، وبادوا. فقال: هل بقي من نسل الأملاك الذين ملكوا هذه المدينة أحد؟ قالوا: رجل يكون في المقابر. فدعا به فقال: ما دعاك إلى لزوم المقابر؟ قال: أردت أن أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم، فوجدت ذلك سواء. قال: فهل لك أن تتبعني فأحيي بك شرف آبائك إن كانت لك همة؟ قال: إن همتي لعظيمة إن كانت بغيتي عندك. قال: وما بغيتك؟ قال: حياة لا موت فيها، وشباب لا هرم معه، وغنى لا يتبعه فقر، وسرور لا يغيره مكروه. قال: ما أقدر على هذا. قال: فامض لشأنك، وخلني أطلب بغيتي ممن هي عنده. فقال الاسكندر: هذا أحكم من رأيت.

وقال عبد الله بن عباس: ما قيل لقوم قط طوبى لهم إلا خبأ لهم الدهر يوم شر، فالصبر خير مغبة.

وتحدث أبو الحسن المدائني قال: قال بعثر بن لقيط بن خالد بن نضلة الفقعسي وهلك ابنه طعمة، فورثه بردين فلبسهما وأنشأ يقول: الطويل

كساني ثوبي طعمة الموت إنما الت ... راث وإن عز الحبيب الغنائم

إذا نفحت رياهما الريح نفحة ... أبيت كأني غضة الطرف رائم

يقول: أبيت أحن كالناقة الرائم حنينا إلى ابني. والرائم: الناقة يفارقها ولدها فيحشى جلد فصيل تبنا أو غير ذلك، ويلطخ بشيء من سلاها، وتحشى غمامة في أنفها، وتجعل درجة في حيائها، فتفتح عينها، وذلك الجلد محشو كأنه خرج منها، ورائحة السلا فيه، وتنزع الغمامة من أنفها فتجد لذلك رائحة، فكأنها قد ولدت، فإذا تشممت ذلك الولد فقد رأمته، فينزل اللبن، فكأنهم خدعوها عن لبنها.

وقال شعيب بن صفوان: كان لحضرمي بن عامر الأسدي إخوة فهلكوا، فورث أموالهم، فراح ذات يوم في بردين له، فنظر إليه رجل من قومه يقال له جزء بن فاتك، فقال له: لقد أمسيت يا حضرمي جذلان، فأنشأ يقول وجزع: المنسرح

يقول جزء ولم يقل جللا ... إني تروحت ناعما جذلا

إن كنت أزننتني بها كذبا ... جزء فلاقيت مثلها عجلا

أفرح أن أرزأ الكرام وأن ... أورث ذودا شصائصا نبلا؟

الذوذ: القليل من الإبل. يقال: إن الذود الذوذ إلى الذود إبل والشصائص: المهازيل العجاف. والنبل: يقول أصحاب الغريب إنها الحقيرة، وإنها من الأضداد.

كم كان في إخوتي إذا اشتمل الأب ... طال تحت العجاجة الأسلا
من فارس ماجد أخي ثقة ... يعطي جزيلا ويقتل البطلا
وقال حرب وذكر المعمرين: عاش دويد النهدي أربع مائة سنة، فقال لولده وأهله حين نزل به الموت: أوصيكم بالناس شرا، طعنا لزا، وضربا أزا، اقصروا الأعنة، وأطيلوا الأسنة، وارعوا الكلأ، ثم قال: مشطور الرجز
اليوم يبنى لدويد بيته ... يا رب نهب حسن حويته
ومعصم ذي برة لويته ... لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرني واحدا كفيته." (١)
"فارتث كلماهم عشية هزمهم ... حي بمنعرج المسيل مقيم
قال: جعله منعرجا لأنه لا يصيبه السيل. وقال: أكلتهم الضباع.
أخبرنا محمد قال وثنا أبو العباس قال أبو عبد الله: الأكار في كلام الأنصار: الخبير. وأنشد:
نجذ رقاب الأوس من كل جانب ... كجذ عقاقيل الكروم خبيرها
العقاقيل: ما عقل وعرش. وقال: الخبرة: النصيب. وقال ابن الأعرابي: إنما سميت خيبر من ذا، يعني الأكار.
وقال أبو العباس أحمد بن يحيى في قوله عز وجل: " لقد تاب الله على النبي ". قال: غفر له ما تقدم من الجاهلية قبل أن يوحى إليه بأربعين سنة، إنما كانت مخايل ثم أوحى إليه. وأنشد:
وما كنت أخشى الدهر أحلاس مسلم ... من الناس ذنبا جاءه وهو مسلما
قال: إحلاس: إلزام. يقول: ما كنت أخشى إلزام مسلم مسلما ذنبا جاءه هو وهو. معناه ما كنت أظن أن إنسانا ركب ذنبا هو وآخر ثم نسبه إليه دونه.
وقال أبو العباس في قوله عز وجل: " سامرا تهجرون ". قال: وحد سامرا لأنه يقال: قوم سامر ورجل سامر، مثل قوم زور ورجل زور. وقال: تهجرون: تهذون؛ وتهجرون: تقولون القبيح.
وأنشد:
أنجب أيام والداه به ... إذا نجلاه فنعم ما نجلا
أراد أن يكرر اليوم. معناه أنجب والداه به أيام إذ نجلاه. قال: وجعل به مرافعا للوالدين. وإذا وأيام من صلة أنجب.
ويقال أزهد الرجل، أي قل ماله، وأوتح وأشقن وأوعر أيضا. وقال: الزعيم، والصبير، والحميل، والأذين، والكفيل. والأميل: الذي لا يثبت في سرجه. والزعيم: الرئيس. و: الزعامة للغلام: الرياسة. وقال: الميثخة: الدرة.
قال: مررت بالذي أخيك يجعل الذي مثل الرجل. وأنشد:
هابوا لقومهم السلام كأنهم ... لما تفانوا أهل دين محتر
دين محتر: مستأصل، أي قليل.

---

(١) التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا] محمد بن يزيد المبرد ص/٢٥٩

ويقال ذنابة الوادي، وذنب الدابة، وذنابي الطائر. والذنوب: الدلو الملأى ماء، ويقال الدلو العظيمة. قال علقمة:

وفي كل حي قد خبطت بنعمة ... فحق لشأس من نداك ذنوب

ومنه: " وإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم ".

وقال أبو العباس: وقال المفضل: العرب تقول للغلام إذا بلغ عشر سنين: رمى، أي قويت يده؛ فإذا بلغ عشرين قالوا: لوى، أي لوى يد غيره؛ فإذا بلغ ثلاثين قالوا: عوى – قال: وعوى أشد من لوى قليلا. فإذا بلغ الأربعين قالوا: استوى؛ فإذا بلغ الخمسين قالوا: حرى أن ينال الخير كله.

قال أبو العباس: وقال لنا يعقوب: بيوت العرب ستة. قبة من أديم ومظلة من شعر، وخباء من صوف، وبجاد من وبر، وخيمة من شجر، وأقنة من حجر.

وقال: قال أبو العميثل: قيل لأعرابي: أي الخيل أجود؟ قال: المقبلات كالقنا، المعرضات كالدبا، المترصات كالنوى، المدبرات كالقرى. قال: هو من القرى، وهو الطريق في الماء.

قال: وقال ابن الأعرابي: أنشدونا: ليس ذنابي الطير كالقوادم ومثله: ليس ذرا الجمال كالمناسم ويقال لليلة ثلاثين الليلاء، وهو قولهم ليلة ليلاء. ويوم أيوم. واليوم الأيوم: آخر يوم في الشهر.

وأنشد:

تداركه في منصل الأل بعدها ... مضى غير دأداء وقد كاد يعطب

وقولهم: منصل الأل، فإنهم كانوا ينزعون أسنتهم في رجب؛ إعظاما له، لا يتغاورون فيه.

والغفر: النكس. قال: ويقال نكس مثقلة. ويقال انتكس فلان من وجعه ثم غفر. قال الشاعر:

خليلي إن الدار غفر لذي الهوى ... كما يغفر المحموم أو صاحب الكلم

والغفر: شعر يكون في العنق وفي الجبين والقفا. وأنشد:

دعت نسوة شم العرانين كالدمى ... أوانس لاشعثا ولا غفرات

وتقول العرب: هو منك أدنى ذي ظلم، وأدنى ظلم، وأدنى ظلم، وأدنى واضح، أي وضح لك. ويقال الظلم: الشبح. ويقول بعض العرب إذا لقي بعضا فتهدد: اليوم ظلم، أي أتى حقا.

وتقول: ما هو إلا على خلق واحد من شب إلى دب، ومن شب إلى دب. يعني مذ كان شابا إلى أن دب على العصا.

وتقول العرب: ذهب بين الصحوة وبين السكرة، أي بين أن يعقل وبين ألا يعقل. وأنشد:

قالت لها أخت لها نصحت ... ردى فؤاد الهائم الصب

قالت ولم، قالت لذاك وقد ... علقتكم شبا إلى دب." (١)

"قال: والنهاة: الخرزة، وجمعها النها. والنهية والنهى: العقل.

قال أبو العباس: وزعم عثمان بن حفص الثقفي أن خلفا الأحمر أخبره أن هذا الشعر لابن الذئبة الثقفي، عن مروان بن

---

(١) مجالس ثعلب ثعلب ص/٢٠

أبي حفصة:

ما بال من أسعى لأجبر عظمه ... حفاظا وينوى من سفاهته كسرى

أعود على ذي الذنب والجهل منهم ... بحلمى ولو عاقبت غرقهم بحرى

أناة وحلما وانتظارا بهم غدا ... فما أنا بالفاني ولا الضرع الغمر

أظن صروف الدهر والجهل منهم ... ستحملهم مني على مركب وعر

ألم تعلموا أني تخاف عرامتي ... وان قناتي لا تلين على القسر

وإني وإياهم كمن نبه القطا ... ولو لم تنبه باتت الطير لا تسرى

وقال أبو العباس: التمزيق غناء السفلة، هو الممرق.

يقال البوارى والبارى والبورى. وأنشد للشماخ: على الماء بارى العراق المضفرا ويقال مهاة ومهى، لماء الفحل في رحم الناقة، وحكاة وحكى: دابة مثل العظاية، وطلاة وطلى: الأعناق: وأنشد:

نكحتها من بنات الأوس مجزئة ... للعوسج اللدن في أبياتها زجل

قال: تزوجتها على أن تقوم لي بهذا. قال: والعوسج والقتاد والشوك وأشباهه تعلف به الإبل وغيرها يطرحون فيه النار حتى يذهب شوكه وهدابه ثم يلقونه للإبل حتى تأكله. فقال: مجزئة تفعل هذا الفعال.

وقال الأصمعي: **قيل لأعرابي**: ما أرسح نساءكم؟ قال: نار الزحفتين. قال: هو من هنا، أن تشعل النار فتلتهب فتزحف عنها راجعة، وتخمد فتزحف إليها مقبلة. قال: يقول نكحتها مخافة أن تلد البنات فولدت بنات كثيرة ملأت منهن بيته. والعوسج اللدن، كانت العرب يعملون منه المغازل يغزل النساء بها فيكون لمغازلهن زجل. والزجل: الصوت.

في الخبر: اقرءوا القرآن ولا توسدوه، أي اعملوا به ولا تناموا عليه.

" إلا إبليس كان من الجن " قال: الجن صنف من الملائكة، وكل ما استتر يسمى جنا.

قال أبو العباس: الليل من عشاء الآخرة إلى الفجر. وقد قال قوم: هو من غروب الشمس إلى طلوعها.

وقال أبو العباس في قوله عز وجل: " وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين " قال: الفتنة: الاختبار.

وأنشد:

يقودون بي أن أعمرتني منية ... وينهون عني كل أهوج شاغب

يقول: أطالت عمري المنية، أي تأخرت عني.

أومن ينشأ في الحلية قال: الجواري.

عبد الله حدثني وعمرو قال: يكون نسقا على ما في حدثني، ولا يكون على الأول. وقال: إذا وقع النسق والقطع والحال والاستثناء بين الفعل وصلته كان صوابا، وإذا وقع بين الاسم وصلته كان محالا.

" ويوم القيامة يكفرون بشرككم " قال: تكفر الآلهة ما أشركوهم به في الدنيا.

وقال أبو العباس: بعث بهذه الأبيات إلى المازني وقال: وأنشدني الأصمعي:

وقائلة مت بال دوسر بعدنا ... صحا قلبه عن آل ليلى وعن هند

فإن تك أثوابي تمزقن للبلى ... فإني كنصل السيف في خلق الغمد

وإن يك شيب قد علاني فربما ... أراني في ريع الشباب مع المرد

طويل يد السربال أغيد للصبا ... أكف على ذفراى ذا خصل جعد

وحنت قلوصى من عدان إلى نجد ... ولم ينسها أوطانها قدم العهد

إذا شئت لاقيت القلاص ولا أرى ... لقومي أشباها فيألفهم ودي

وأمى الذي يرمون عن قوس بغضة ... وليس على مولاي حدى ولا عمدي

إذا ما امرؤ ولي علي بوده ... وأدبر لم يصدر بإدباره ودي

ولم أتعذر من خلال تسوءه ... كما كان يأتى مثلهن على عمد

وذي نخوات طامح الرأس قاربت ... حبالي فأرخى من علابيه شدى

وأنشدنا عن الفراء:

ذراني من نجد فإن سنينه ... لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

قال: هذا فيمن يجعل السنين اسما واحدا.

سقى الله نجدا كيف يترك ذا الغنى ... فقيرا وجلد القوم تحسبه عبدا

يريد أن عيشه عيش شديد، لابد أن يقوم بالمال فيه وإلا ضاع.

وأنشد عن ابن الأعرابي:

وحادر قال لي قولا قنعت به ... لو كنت أعلم أني يطلع القمر

يقول: إن الصبي إذا رأى القمر يهش له.

وأنشد:." (١)

"قال أبو العباس: وسأل سليمان بن عبد الملك أعرابيا عن المطر، فقال: أصابنا مطر انعقد منه الثرى، واستؤصل منه العرق، ولم نر واديا دارئا.

وكان أعرابي ضرير تقوده ابنته وترعى غنيمات لها، فرأت سحابة فقال: يا أبة، جاءتك السماء. فقال: كيف ترينها؟ فقال: كأنها فرس دهماء تجر جلالها. قال: ارعى غنيماتك. فرعت مليا ثم قالت: يا أبه، جاءتك السماء. قال: كيف ترينها؟ قالت: كأنها عين جمل طريف. قال: ارعى غنيماتك. فرعت مليا ثم قالت: يا ابه، جاءتك السماء. فقال: كيف ترينها؟ قالت: سطحت وابيضت. قال: أدخلي غنيماتك. فجاءت السماء بشئ شطأ له الزرع أينع، وخضر ونضر.

وقال أعرابي من طيئ: بعث قوم رائدا فقالوا: ما وراءك؟ فقال: عشب وتعاشيب، وكمأة متفرقة شيب، تقلعها بأخفافها النيب.

---

(١) مجالس ثعلب ثعلب ص/٣٣

حدثنا أبو العباس قال: قال أبو الحسن المدائني: بعث يزيد بن المهلب، سريعا مولى عمرو بن حريث، إلى سليمان بن عبد الملك، فقال سريع: فعلمت أنه سيسألني عن المطر، ولم أكن أرتق بين كلمتين، فدعوت أعرابيا فأعطيته درهما، وقلت له: كيف تقول إذا سئلت عن المطر؟ فكتبت ما قال، ثم جعلته بيني وبين القربوس حتى حفظته، فلما قدمت قرأ كتابي ثم قال: كيف المطر؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، عقد الثرى، واستأصل العرق، ولم أر واديا دائا. فقال سليمان هذا كلام لست بأبي عذره. فقلت: بلى فقال: اصدقني. فصدقته فضحك حتى فحص برجليه، ثم قال: لقيته الله ابن بجدتها، أي عالما بها.

قال: وقيل لرجل: كيف كلأ أرضك؟ قال: أصابتنا ديمة بعد ديمة، على عهاد غير قديمة؛ فالناب تشبع قبل الفطيمة.

وقال أبو العباس: قال ابن الأعرابي: أحسن ما تكون المرأة غب نفاسها، وغب بنائها، وغب السماء، وغب النوم. واحسن ما تكون الفرس غب نتاجها.

وقيل لابنة الخس: ما أحسن شيء؟ قالت: غادية في إثر سارية، في نبخاء قاوية. وقد قالوا: نفخاء رابية قالوا: ليس بها رمل ولا حجارة، الجمع نفاخي. ونبت الرابية أحسن من نبت الأودية؛ لأن السيل يصرع الشجر فيقذفه في الأودية ويلقى عليه الدمن. وقال: النبات في موضع مشرف أحسن.

وقالت أيضا: أحسن شيء سارية في إثر غادية، في روضة أنف قد أكل منها وترك. كذا كان عندها أحسن.

وقيل لأعرابي: أي مطر أصابك؟ قال: أصابنا مطير كسيل شعاب السخبر فروى التلعة المحلة. شعاب السخبر: عرضها ضيق وطولها قدر رمية بحجر. والتلعة المحلة: التي تحل بيتا أو بيتين.

ويقال: قد حنأت الأرض تحنأ، وهي حانئة: اخضرت والتف نبتها. فإذا أدبر المطر تغير نبتها وقيل: اصحامت فهي مصحامة.

وقال أبو داود العرابي: تركنا بني فلان في ضغيغة من الضغائغ وهي العشب والكلأ الكثير – وتركناهم في خافية من الكلأ – في أرض خافية منكرة لا يتوارى ثراها، تقئ الماء قيئا.

ويقال بقل رابج: ممتلئ ندى وماء. وقال:

رعت من الصمان بقلا آرجا ... وصليانا ونصيا رابجا

ويقال: رعينا رقة الطريفة، وهي الصليان والنصى. والرقة: أول خروج نباتها رطبا.

وقالت الينمة: أنا الينمة، أغبق الصبى قبل العتمة، وأكب الثمال فوق الأكمة. الثمال: كهيئة زبد الغنم.

وقال أبو العباس: **قيل لأعرابي**: هل لك في البادية؟ قال: أما ما دام السعدان مستلقيا فلا. وهو أبدا مستلق. كره البادية.

حدثنا أبو العباس قال: قال العتبي: حدثني أبي قال: خرج الحجاج إلى ظهرنا هذا، فلقى أعرابا قد انحدروا للميرة، فقال: كيف تركتم السماء وراءكم؟ فقال متكلمهم: أصابتنا سماء بالمثل، مثل القوائم، حيث انقطع الرمث، بضرب فيه تفتير، وهو على ذلك يعضد ويرسغ ثم أصابتنا سماء أميثل منها، نسيل الدماث والتلعة الزهيدة. فلما كنا حذاء الحفر أصابنا ضرس جود ملأ الإخاذ فأقبل الحجاج على زياد بن عمرو العتكي فقال: ما يقول هذا الأعرابي؟ قال: ما أنا وما يقول، إنما أنا صاحب رمح وسيف. قال: بل أنت صاحب مجداف وقلس، اسبح. فجعل يفحص الثرى ويقول: لقد رأيتني وإن المصعب

ليعطيني مائة ألف، وها أنا ذا أسبح بين يدي الحجاج.

قال: **قيل لأعرابي**: ما اشد البرد؟ قال: إذا كانت السماء نقية، والأرض ندية، والريح شامية.

وقيل لآخر: ما اشد البرد؟ قال: إذا صفت الخضراء، ونديت الدقعاء، وهبت الجربياء.

وقيل لآخر: ما أشد البرد؟ قال: إذا دمعت العينان، وقطر المنخران، ولجلج اللسان.." [(١)]

"وعوقب بها الإنسان. وكان يقال: رأس المآثم الكذب، وعمود الكذب البهتان. وقال ابراهيم النخعي١: الفكر مخ العمل. **وقيل لأعرابي**: إنك لحسن الكدنة٢، قال: ذلك عنوان نعمة الله عندي. ووصف أعرابي قوما فقال: كانوا إذا اصطفوا سفرت بينهم السهام، وإذا تصافحوا بالسيوف قعد الحمام٣.

وقال أكثم٤: الحلم دعامة٥ العقل. وسئل آخر عن البلاغة فقال: دنو المآخذ، ونزع٦ الحجة، وقليل من كثير.

وقال خالد بن صفوان٧ لرجل: رحم الله أباك؛ فإنه كان يقرى العين جمالا والأذن بيانا٨. وسئل أعرابي عن صديق له فقال: صفرت عياب٩ الود بيني وبينه بعد امتلائها، واكفهرت وجوه كانت بمائها. وذكر أعرابي رجلا فقال: إن الناس يأكلون أماناتهم لقما وفلان يحسوها حسوا١٠. **وقيل لأعرابية**: أين بلغت قدرك؟ فقالت: حين قام خطيبها١١. وقال بعضهم: من ركب ظهر الباطل نزل دار الندامة. وقيل

---

١ من أكابر التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث، وكان فقيه العراق وإماما مجتهدا صاحب مذهب، وهو من أهل الكوفة، مات عام ٩٦هـ، وقد سبق ذكر له في الشرح.

٢ الكدنة: السنام والشحم والمراد الهيئة.

٣ راجع الرواية في الصناعتين ص٢٧٤. ويروى: فغر فمه: فتحه. وقعد أصوب.

٤ أكثم بن صيفي حكيم العرب في الجاهلية وأحد المعمرين، أدرك الإسلام وقصد المدينة عام ٩هـ مع جماعة من قومه ليسلموا فمات في الطريق "الأغاني ٧٠/ ١٥".

٥ دعامة كل شيء: عماده.

٦ في رواية: وقرع، كما في البيان والصناعتين.

٧ خطيب بليغ ومتكلم فصيح عاصر الدولة الأموية وجالس السفاح، وتوفي في أول عهده عام ١٣٣هـ، وكان بخيلا مطلاقا، وقال فيه الجاحظ: هو من الخطباء المشهورين في العوام المقدمين في الخواص وكان يقارض شبيب بن شبيب ... إلخ "البيان ٢١٩، ٢٢٠/ ١، ٢٢٨/ ٢".

٨ رواية الجاحظ: يملأ العين جمالا "٢٦٤/ ٣ البيان".

٩ صفرت: خلت. عياب: جمع عيبة وهي الحقيقة.

---

(١) مجالس ثعلب ثعلب ص/٦٠

١٠ اللقم: الابتلاع. وحسا المرق من باب عدا: شربه شيئا بعد شيء.

١١ تريد صوت مائها وهو يغلي.." (١)

"ورأى أعرابي رجلا ظلوما يدعو فقال: يا هذا إنما يستجاب لمظلوم أو مؤمن ولست أحدا منهما، أراك تخف عليك الذنوب وتحسن عندك مقابح العيوب.

وذم أعرابي رجلا فقال: فلان لا يستحيي من الشر ولا يحب أنه أحب الخبر، ولا يكون في موضع إلا حرمت فيه الصلاة، ولو قذف لؤمه على الليل طمس نجومه، ولو أفلتت كلمة سوء لم تصر إلا إليه.

وسأل أعرابي رجلا فقال: لقد نزلت بواد غير ممطور وبرجل بك غير مسرور، فارتحل بندم أو أقم بعدم.

وذم آخر رجلا فقال: ما كان عنده فائدة ولا عائدة ولا رأي جميل ولا إكرام الدخيل.

وقيل لأعرابي: ما بلغ من سوء خلقك؟ قال: تبدو لي الحاجة إلى الجار أو الصاحب في بعض الليل فأصبح غضبان عليه أقول كيف لم يعلمها؟ وذكر أنه تنافر رجلان من بني أسد إلى هرم بن سنان المري في الشر وعنده الحطيئة فقال أحدهما: إني بقيت زمانا وأنا أرى أني شر الناس وألأمهم حتى أتاني هذا فزعم أنه شر مني، فقال هرم: أخبراني عنكما. فقال أحدهما: لم يمر بي أحد قط إلا اغتبته ولا ائتمنني إلا خنته ولا سألني إلا منعته.

وقال الآخر: أما أنا فأبطر الناس في الرخاء وأجبنهم في اللقاء وأقلهم حياء وأمنعهم خباء. فقال هرم: وأبيكما لقد ترددتما في الشر ولكن أخبركما بمن هو شر منكما! قالا: ما ولدت ذاك النساء! قال: بلى، هذا الحطيئة هجا أباه وأمه ونفسه ومن أعطاه ومن أحسن إليه، فقال لأبيه:

لحاك الله ثم لحاك حقا ... أبا ولحاك من عم وخال

فبئس الشيخ أنت على النوادي ... وبئس الشيخ أنت لدى المعالي

جمعت اللؤم لا حياك ربي ... وأبواب المخازي والضلال

وقال لأمه:

تنحي فاقعدي مني بعيدا ... أراح الله منك العالمينا

أغربالا إذا استودعت سرا ... وكانونا على المتحدثينا

ألم أوضح لك البغضاء مني ... ولكن لا إخالك تعلمينا

وقال لنفسه:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلما ... بشر فما أدري لمن أنا قائله

أرى لي وجها شوه الله خلقه ... فقبح من وجه وقبح حامله

وقال لمن أعطاه:

سألت فلم تبخل ولم تعط نائلا ... فسيان لا ذم عليك ولا حمد

---

(١) البديع في البديع لابن المعتز ابن المعتز ص/٨٠

قيل: ولما حضرت الحطيئة الوفاة قيل له: أوص. فقال:

الشعر صعب وطويل سلمه ... إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه ... والشعر لا يسطيعه من يظلمه

يريد أن يعربه فيعجمه

فقيل له: أوص للمساكين بشيء. فقال: أوصيهم بالمسألة ما عاشوا فإنها تجارة لن تبور. قيل: أوص فقد حضرك أمرك. فقال: مالي للذكور من ولدي دون الإناث. قيل له: إن الله عز وجل لم يأمر بهذا! قال: لكني آمر به. فقيل له: اعتق غلامك يسارا الأسود. قال: هو مملوك ما دام على ظهر الأرض عبسي. قيل له: من أشعر الناس؟ فقال: هذا المحجن ما أطمع في خير، وأومأ إلى لسانه ثم جعل يبكي. فقيل له: ما يبكيك، أجزعا من الموت يا أبا مليكة؟ قال: لا ولكن ويل للشعر من رواية السوء! ثم قال: أبلغوا الشماخ أنه أشعر غطفان على وجه الأرض، وإن مت فاحملوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم قط. وفي غير هذه الرواية أنه قال: احملوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم قط لعلي أن أنجو، ثم أنشأ يقول:

لكل جديد لذة غير أنني ... رأيت جديد الموت غير لذيذ

له نكهة ليست بطعم سفرجل ... ولا طعم تفاح ولا بنبيذ

ثم خرجت روحه، فلما مات قال فيه الشاعر:

لا شاعر ألأم من حطيه ... هجا بنيه وهجا المريه

من لؤمه مات على فريه." (١)

"قال وقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: لقد رأيتني في الجاهلية وأخية لي وإنا لنرعى ناضحا لأبوينا قد زودتنا أمنا يمنتيها من الهبيد فإذا أسخنت علينا الشمس ألقيت الشملة على أختي وخرجت عريانا أسعى فنظل نرعى ذلك الناضح فنرجع إلى أمنا من الليل وقد صنعت لنا لفيتة من ذلك الهبيد فنتعشى فواخصباه! قال بعض جلسائه: فوالله لقد حسدته على ذلك.

قال: وسئل عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عن جهد البلاء فقال: قلة المال وكثرة العيال.

وكان الفضيل يقول: المال يسود غير السيد ويقوي غير الأيد.

وفي كتاب كليلة ودمنة: الرجل إذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا وأساء به الظن من كان يظن به حسنا، وإن أذنب غيره ظنوه به، وإن كان لسوء الظن والتهمة موضعا حملوا على ذلك الذي يفعله غيره، وأنشد في ذلك:

إذا قل مال المرء قل صديقه ... وأومت إليه بالعيوب الأصابع

ولآخر:

إذا قل مال المرء قل حياؤه ... وضاقت عليه أرضه وسماؤه

وحار ولا يدري وإن كان حازما ... أقدامه خير له أم وراؤه

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/١٢٦

إذا قل مال المرء قل حياؤه ... ولا خير في وجه يقل حياؤه

وقيل لأعرابي: ما أشد الأشياء؟ قال: كبد جائعة تؤدي إلى أمعاء ضيقة.

وقيل لأعرابي: لم يقول أهل الحضر باعك الله في الأعراب؟ قال: لأنا والله نعري جلده ونجيع كبده ونطيل كده.

ومما قيل فيه من الشعر:

أعظم من فاقة وجوع ... مقام حر على خضوع

فلا ترده ولا ترد ما ... أنيل بالذل والخشوع

واطلب معاشا بقدر قوت ... وأنت في منزل رفيع

لعل دهرا غدا بنحس ... يعود بالسعد في الرجوع

ولآخر:

الموت خير للفتى ... من أن يعيش بغير مال

والموت خير للكري ... م من الضراعة للرجال

ولآخر:

بخلت وليس البخل مني سجية ... ولكن رأيت الفقر شر سبيل

لموت الفتى خير من البخل للفتى ... وللبخل خير للفتى من سؤال بخيل

لعمرك ما شيء لوجهك قيمة ... فلا تلق مخلوقا بوجه ذليل

ولا تسألن من كان يسأل مرة ... فللموت خير من سؤال سؤول

ولآخر:

لاتحسبن الموت موت البلى ... فإنما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا ... أشد من هذا لذل السؤال

ولآخر في معناه:

من كان في الدنيا أخا ثروة ... فنحن من نظارة الدنيا

نرمقها من كثب هكذا ... كأننا لفظ بلا معنى

ولآخر:

قد أراح الله من غ ... م شديد وعذاب

واسترحنا من عيال ... وعبيد ودواب

وضياع ونخيل ... وحصاد وكراب

واسترحنا من وقوف ... لبني الدنيا بباب

وقنعنا وأقمنا ... وحططنا عن ركاب

حبذا الوحدة إن كا ... ن بصيرا بالحساب

ولآخر:

الحمد لله ليس لي مال ... ولاالخلق علي إفضال

الخان بيتي ومشجبي بدني ... وخادمي والوكيل بقال

ولآخر:

بقيت ومركبتي البرذون حتى ... أخف الكيس إغلاء الشعير

وصرت إلى البغال فأعجزتني ... وصرت من البغال إلى الحمير

فعزتني الحمير فصرت أمشي ... أزجي الرجل تزجية الكسير

ولآخر:

أتراني أرى من الدهر يوما ... لي يوما مطية غير رجلي

وإذا كنت في جميع فقالوا ... قربوا للرحيل قربت نعلي

حيثما كنت لا أخلف رحلا ... من رآني فقد رآني ورحلي

أبو هفان:

يا مولج الليل في النهار ... صبرا على الذل والصغار

كم من حمار له حمار ... ومن جواد بلا حمار

الحمدوني:

تسامى الرجال على خيلهم ... ورجلي من بينهم حافيه

فإن كنت حاملنا ربنا ... وإلا فأرجل بني الزانية." (١)

"أبعد خمس قد حفظت عدها ... أحمل قوسي وأريد ردها

أخزى الله لينها وشدها ... والله لا تسلم عندي بعدها

ولا أرجي ما حييت رفدها

ثم عمد إلى القوس فضرب بها حجرا فكسرها ثم بات، فلما أصبح إذا الحمر مطرحة حوله واسهمه مضرجة بالدم، فندم على كسر قوسه وشد على إبهامه فقطعها، وأنشأ يقول:

ندمت ندامة لو أن نفسي ... تطاوعني إذا لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الرأي مني ... لعمر أبيك حين كسرت قوسي

وقال الفرزدق:

ندمت ندامة الكسعي لما ... غدت مني مطلقة نوار

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/١٣٠

وكانت جنتي فخرجت منها ... كآدم حين لج به الضرار

ومنه ما قيل في خفي حنين وكان حنين إسكافا من الحيرة فساومه أعرابي بخفيه واختلفا في ذلك حتى أغضبه فأراد أن يغيظ الأعرابي، فلما ارتحل أخذ حنين الخفين فألقى أحدهما على الطريق وألقى الآخر في موضع آخر من طريقه، فلما مر الأعرابي رأى أحدهما فقال: ما أشبه هذا بخف حنين ولو كان معه أخوه نزلت فأخذته، ومضى، فلما انتهى إلى الآخر ندم على ترك الأول وأناخ راحلته فأخذه ورجع إلى الأول. وقد كمن له حنين فعمد إلى راحلته فذهب بها وما عليها، وأقبل الأعرابي وليس معه إلا الخفان، فقال له قومه: ما الذي أتيت به؟ قال: أتيت بخفي حنين، فضربته العرب مثلا. وقال الشاعر في مثله:

لتقرعن علي السن من ندم ... إذا تذكرت يوما بعض أخلاقي

محاسن الحنين إلى الوطن

قال الله تبارك وتعالى: " ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم "، فقرن جل ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل، وقال جل وتعالى: " وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا "، فجعل القتال ثأرا للجلاء. وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: الخروج عن الوطن عقوبة.

وقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: لولا حب الوطن لخرب بلد السوء.

وكان يقال: بحب الأوطان عمرت البلدان.

وقال جالينوس: يتروح العليل بنسيم أرضه كما تتروح الأرض الجدبة ببلل المطر.

وقال بقراط: يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فإن الطبيعة تنزع إلى غذائها.

ومما يؤكد ذلك قول أعرابي وقد مرض بالحضرة فقال له قائل: ما تشتهي؟ قال: محضا رويا وضبا مشويا.

وحدث عن بعض بني هاشم قال: قلت لأعرابي: من أين أقبلت؟ قال: من هذه البادية! قلت: وأين تسكن منها؟ فقال: مساقط الحمى حمى ضرية لعمر الله ما نريد بها بدلا ولا نبغي عنها حولا نفحتها العذاوات وحفتها الفلوات فلا يعلولج ترابها ولا يتمعر جنابها ولا يملولح ماؤها، ليس بها أذى ولا قذى ولا موم، فنحن فيها بأرفه عيش وأنعم معيشة وأرغد نعمة. قلت: فما طعامكم؟ قال: بخ بخ عيشنا عيش تعلل جاذبه وطعامنا أطيب طعام وأهنأه وأمرأه الفث والهبيد والصليب والعنكث والعلهز والذآنين والينمة والعراجين والحسلة والضباب واليرابيع والقنافذ والحيات وربتما والله أكلنا القد واشتوينا الجلد فما نعلم أحدا أخصب منا عيشا ولا أرخى بالا ولا أعمر حالا، أوما سمعت قول شاعر وكان والله بصيرا برقيق العيش ولذيذه؟ قلت: وما قال؟ قال قوله:

إذا ما أصبنا كل يوم مذيقة ... وخمس تميرات صغار كوانز

فنحن ملوك الناس خصبا ونعمة ... ونحن أسود الناس عند الهزاهز

وكم متمن عيشنا لا يناله ... ولو ناله أضحى به حق فائز

فالحمد لله على ما بسط من حسن الدعه ورزق من السعة وإياه نسأل تمام النعمة.

وقيل لأعرابي: كيف تصنع بالبادية إذا انتصف النهار وانتعل كل شيء ظله؟ فقال: وهل العيش إلا ذاك؟ يمشي أحدنا ميلا فيرفض عرقا كأنه الجمان، ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساءه وتقبل عليه الرياح من كل جانب فكأنه في إيوان كسرى.

ذكر من اختار الوطن على الثروة – قال بعض الأدباء: عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك.

وقيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية ولزوم الأوطان والجلوس مع الإخوان. قيل: فما الذلة؟ قال: التنقل في البلدان والتنحي عن الأوطان.

وقال بعض الأدباء: الغربة ذلة فإن ردفتها علة وإن أعقبتها قلة فتلك نفس مضمحلة.

وقالت العرب: الغربة ذلة والذلة قلة.." (١)

"**وقيل لأعرابي** وقد تزوج بعدما كبر وأسن: لم تأخرت عن التزوج؟ قال: أبادر ابني باليتم قبل أن يسبقني بالعقوق.

قال: وقال رجل لأبيه: يا أبتا إن عظيم حقك لا يبطل صغير حقي، ولا أقول إني وإياك بالسواء، ولكن الله جل وعز لا يحب الاعتداء.

محاسن بر الأبناء بالآباء والأمهات

عن طاؤوس عن أبيه قال: كان رجل له أربعة بنين فمرض فقال أحدهم: إما أن تمرضوه وليس لكم من ميراثه شيء وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء. قالوا: بل تمرضه وليس لك من ميراثه شيء. فمرضه حتى مات ولم يأخذ من ميراثه شيئا. قال: فأتي في النوم فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار. فقال: أفيها بركة؟ قالوا: لا. فلما أصبح ذكر لك لامرأته فقالت: خذها فإن من بركتها أن نكتسي منها ونعيش بها. فلما أمسى أتي في النوم فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير. فقال: أفيها بركة؟ قالوا: لا. فلما أصبح ذكر لك لامرأته فقالت له مثل ذلك، فأبى أن يأخذها. فأتي في الليلة الثالثة فقيل له: ائت مكان كذا وكذا وخذ منه دينارا. فقال: أفيه بركة؟ قالوا: نعم. قال: فذهب فأخذ الدينار ثم خرج به إلى السوق فإذا هو برجل يحمل حوتين. فقال: بكم هما؟ قال: بدينار. فأخذهما منه وانطلق بهما إلى بيته، فلما شقهما وجد في بطن كل واحد منهما درة لم ير الناس مثلها، فبعث الملك يطلب درة يشتريها فلم توجد إلا عنده فباعها بثلاثين وقرا ذهبا. فلما رآها الملك قال: ما تصلح هذه إلا بأخت فاطلبوا أختها ولو أضعفتم الثمن. فجاؤوه وقالوا: أعندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك؟ قال: نعم. فأعطاهم الثانية بضعف ما با ع به الأولى.

قال: وذكر المأمون بر الأبناء بالآباء فقال: لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى، فإنه بلغ من بره بأبيه أنهما حيث حبسا كان الفضل يسخن ليحيى الماء لوضوئه لأنه كان يتوضأ بالماء السخن، فمنعهم السجان ذات ليلة من إدخال الحطب والليل بارد فقام الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قمقم كان يسخن فيه الماء فملأه من الجب ثم جاء به إلى القنديل فأدناه منه فلم يزل قائما والقمقم في يده حتى أصبح وقد سخن الماء، فأدناه من أبيه.

قال: ولما وجه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، الجيش إلى اليرموك قام إليه أمية بن الأسكر الكناني فقال: يا أمير المؤمنين

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/١٣٨

هذا اليوم من أيامي لولا كبر سني. فقام إليه ابنه كلاب، وكان عابدا زاهدا، فقال: لكني يا أمير المؤمنين أبيع الله نفسي وأبيع دنياي بآخرتي. فتعلق به أبوه وكان في ظل نخل له وقال: لا تدع أباك وأمك شيخين ضعيفين ربياك صغيرا حتى إذا احتاجا إليك تركتهما! فقال: نعم أتركهما لما هو خير لي. فخرج غازيا بعد أن أرضى أباه، فأبطأ وكان أبوه في ظل نخل له، وإذا حمامة تدعو فرخها، فرآها الشيخ فبكى، فرأته العجوز فبكت، وأنشأ يقول:

لمن شيخان قد نشدا كلابا ... كتاب الله إن ذكر الكتابا

أناديه ويعرض لي حنين ... فلا وأبي كلاب ما أصابا

تركت أباك مرعشة يداه ... وأمك ما تسيغ لها شرابا

فإن أباك حين تركت شيخ ... يطارد أينقا شزبا جذابا

إذا رتعن إرقالا سراعا ... أثرن بكل رابية ترابا

طويلا شوقه يبكيك فردا ... على حزن ولا يرجو الإيابا

إذا غنت حمامة بطن وج ... على بيضاتها ذكرا كلابا

فبلغت هذه الأبيات عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فأرسل إلى كلاب فوافاه فقال: إنه بلغني أن أباك وجد لفراقك وجدا شديدا فبماذا كنت تبره؟ قال: كنت أبره بكل شيء حتى أني كنت أحلب له ناقة فإذا حلبتها عرف حلبي. فأرسل عمر، رحمه الله، إلى الناقة فجيء بها من حيث لا يعلم الشيخ فقال له: احلبها. فقام إليها وغسل ضرعها ثم حلبها في إناء. فأرسل عمر، رحمه الله، بالإناء إلى أبيه فلما أتي به بكى ثم قال: إني أجد في هذا اللبن ريح كلاب. فقال له نسوة كن عنده: قد كبرت وخرفت وذهب عقلك، كلاب بظهر الكوفة وأنت تزعم أنك تجد ريحه! فأنشأ يقول:

أعاذل قد عذلت بغير علم ... وهل تدري العواذل ما ألاقي

سأستعدي على الفاروق ربا ... له حج الحجيج على اتساق." (١)

"أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: سأل أعرابي رجلين من الأعراب: أين مطرتما؟ قالا: مطرنا بمكان كذا وكذا، قال: فما أصابكما من المطر؟ قالا: حاجتنا، قال: فماذا سيل عليكما؟ قالا: ملنا لوادي كذا وكذا فوجدناه مكسرا سالت معنانه، وملنا لوادي كذا وكذا فوجدناه مشطئا، قال: فماذا وجدتما أرض بني فلان؟ قالا: وجدناها ممطورة قد ألس غميرها، وأخوص شجرها، وأدلس نصيها، وألث سخبرها، وأخلس حليها، ونببت عجلتها.

قال أبو بكر: قوله وجدناه مكسرا: يقول قد سالت جرفته ومعنانه: جوانبه؛ ومشطئ: قد سال شطآنه، وهو جمع شاطئ، ولم يسل بأجمعه، وقوله: ألس: أي أمكن أن تلسه الماشية أي ترعاه؛ وأخوص الشجر: قال أبو بكر: أحمد ما يكون المطر إذا كان الخوص وافرا، والنصي ضرب من النبت، وهو يبيس الحلي؛ أدلس: أورق واسود، وألث سخبرها اللثا صمغ أي صار فيه الصمغ، والسخبر شجر؛ أخلس حليها، الحلي نبت؛ أخلس: أي صار لونين، وكل ذي لونين خليس من شدة خضرة الورق؛ والعجلة: بقلة مستطيلة مع الأرض؛ وقوله: إذا نببت: أي صار لها أنابيب.

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/٢٣٤

حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال: قال أبو المجيب، وكان أعرابيا من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم: لقد رأيتنا في أرض عجفاء وزمان أعجف، وشجر أعشم في وقد قدمنا ذكره غليظ، وجادة مدرعة غبراء فبينا نحن كذلك إذ أنشأ الله من السماء غيثا مستكفا نشؤه، مسبلة عزاليه، ضخاما قطره جودا صوبه زاكيا أنزله الله رزقا لنا، فنعش به أموالنا، ووصل به طرقا، فأصابنا، وإنا لبنوطة بعيدة بين الأرجاء فاهرمع مطرها، حتى رأيتنا، وما نرى غير السماء والماء وصهوات الطلح، فضرب السيل النجاف، وملأ الأودية فرحبها، فما لبثنا إلا عشرا حتى رأيتها روضة تندى.

أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: قال أعرابي: ليس الحيا بالسحيبة تتبع أذناب أعاصير الريح؛ ولكن كل ليلة مسبل رواقها، منقطع نطاقها تبيت آذان ضأنها تنطف حتى الصباح.

أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: **قيل لأعرابي**: كيف كان كلأ أرضك؟ فقال: أصابتنا ديمة بعد ديمة، على عهاد غير قديمة، فالناب تشبع قبل الفطيمة.

أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال شام أعرابي برقا فقال لابنته: أنظري أين ترينه؟ فقالت:

أناخ بذي بقر بركه ... كأن على عضديه كتافا

ثم قال لها بعد قليل: عودي فشيمي، فقالت:

نحته الصبا ومرته الجنو ... ب وانتجفته الشمال انتجافا

أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: خرج صالح بن عبد الرحمن يسير بين الحيرة والكوفة فإذا هو براكب فقال: ممن أنت؟ فقال: من بني سعد فمن أنت؟ فإني أرى بزة ظاهرة وجلدة حسنة. فقال بعض أصحاب صالح: أتقول هذا للأمير؟ فقال صالح: دعوه فلم يقل إلا خيرا، ثم استخبره عن المطر فقال: أقبلت حتى إذا كنت بين هذا الحزن والسهل، وفي كفة النخل رأيت خريجا من السحاب منكفت الأعالي، لاحق التوالي، فهو غاد عليك أو سار، يسيل السلان ويروى الغدران.

أخبرنا أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال: أخبرت عن عبد الملك بن عمير قال: كنت عند الحجاج بن يوسف فقال لرجل من الشام: هل أصابك مطر؟ فقال: نعم أصابنا مطر أسال الإكام، وأدحض التلاع، وخرق الرجع، فجئتك في مثل مجر الضبع؛ ثم سأل رجلا من أهل الحجاز: هل أصابك مطر؟ قال: نعم، سقتني الأسمية فغيبت الشفار، وأطفئت النار، وتشكت النساء، وتظالمت المعزى، فاحتلبت الدرة بالجرة؛ ثم سأل رجلا من أهل فارس فقال: نعم، ولا أحسن كما قال هؤلاء! إلا أني لم أزل في ماء وطين حتى وصلت إليك.

قوله غيبت الشفار يريد أخصب الناس فلم يذبحوا الغنم والإبل، وأطفئت النار كذلك أيضا وتشكت النساء وتظالمت المعزى في المرعى: في الكلأ.

أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: سأل سليمان بن عبد الملك أعرابيا عن المطر فقال: أصابنا مطر انعقد منه الثرى واستأصل منه العرق ولم تر واديا دارئا.." (١)

---

(١) المطر والسحاب ابن دريد ص/٩

"ومن الخزرج: بنو الغضب بن جشم. والغضب: الأحمر الغليظ والغضبة: الصخرة الخشنة، والغضاب: ما تكسر حول العين من الجلد. والغضب معروف من الإنسان.

ومنهم: بنو زريق، بطن كان منهم أبو جبيلة الملك الغساني، الذي جاء به مالك بن العجلان فقتل اليهود بالمدينة.

ومنهم: سلمة بن صخر، أحد البكائين.

ومنهم: فروة بن عمرو بن وذفة، شهد بدرا والعقبة. والوذفة زعموا: الروضة. ويقال: استوذقت الإناء، إذا استقطرت ما فيه.

ومنهم: زيد بن الدثنة، قتلته قريش مع خبيب بن عدي. والدثنة من قولهم: دثن الطائر، إذا طاف حول وكره ولم يسقط عليه.

ومنهم: أبو عياش بن معاوية بن صامت، فارس جلوى، وهي فرسه.

ومنهم: عائذ بن ماعص، شهد بدرا.

ومنهم: رافع بن مالك بن العجلان، وهو أول من أسلم من الأنصار.

والنعمان بن العجلان، ولاه علي رحمه الله على البحرين.

ومنهم: ساردة، بطن. وساردة مأخوذ من السرد. والسرد. والسرد: ضمك الشيء، بعضه إلى بعض، نحو النظم وما أشبهه. ومنه قولهم: سرد الدرع، أي ضم حديد بعضها إلى بعض. وفي التنزيل: " وقدر في السرد " والمسد: المنظم من خرز أو غيره. **وقيل لأعرابي** أتعرف الأشهر الحرم؟ فقال: إني لأعرفها: ثلاثة سرد وواحد فرد.." (١)

"بكروا وأسروا في متون صوافن ... قيدت لهم من مربط النجار

لا يبرحون ومن رآهم خالهم ... أبدا على سفر من الأسفار

ومما يتبع هذا في الاستعارة قول مسلم

ورأس مهران قد ركبت قلته ... لدنا كفاه مكان الليت والجيد

ما زال يعنف بالنعمى ويغمطها ... حتى استقل به عود على عود

وضعته حيث ترتاب الريح به ... وتحسد الطير فيه أضبع البيد

تغدو السباع فترميه بأعينها ... تستنشق الجو أنفاسا بتصعيد

وقال الخزيمي

وعصبة أصبحوا ركبا على خشب ... منصوبة قد رسا في الأرض راسيها

مجردين سوى ما كان من أزر ... ما يرتجى خلف يوما لمبليها

وقال الآخر في

قائم قاعد بفيه شريط ... كالح الوجه ظاهر الأضراس

باسط باعه بغير عناق ... مائل رأسه بغير نعاس

---

(١) الاشتقاق ابن دريد ص/٤٦١

وقال ابن الرومي

كم بأرض الشآم غادرت منهم ... غابرا موفيا على أرض نجد

يلعب الدستبند فردا وإن كا ... ن به شاغل عن الدستبند

وأنشد المبرد له

قام ولما يستعن بساقه ... آلف مثواه على فراقه

كأنه في الشبح من وثاقه ... رأى حبيبا هم باعتناقه

كأنه يضحك من أشداقه

وقال ابن المعتز

أرانيك الإله قرين جذع ... يضمك غير ضم الالتزام

كلوطي له أير طويل ... يفخذ للمؤاجر من قيام

وقال إبراهيم بن المهدي

كأنه شلو كبش والهواء له ... تنور شاوية والجذع سفود

وقال دعبل

لم ترعيني مثل صف الزط ... خمسين منهم صلبوا في خط

كأنما غمستهم في نفط

وأفرد واحدا فقال:

... ... كأنه في جذعه المشتط

أخو نعاس جد في التمطي ... قد خامر النوم ولم يغط

وأحسن ما قيل في ذلك قول بعض الأعراب

وكأنه رأس برأس تنوفة ... ناطت عصاه يداه بالأكتاف

باب) ٦ (في

الفرس

ومن التشبيهات الجياد في صفة الفرس قول امرئ القيس

وقد أعتدي والطير في وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

فوصفه بالسرعة في العدو والظفر عند الطلب وقال عبد الله بن المعتز في سرعة الفرس

أسرع من ماء إلى تصويب ... ومن رجوع لحظة المريب

وقال آخر وهو علي بن الجهم

فوق طرف كالطرف في سرعة الطر ... ف وكالقلب قلبه في الذكاء

لا تراه العيون إلا خيالا ... وهو مثل الخيال في الانطواء

ووصف ابن القرية فرسا أهداه الحجاج إلى عبد الملك فقال قد وجهت بفرس حسن القد أسيل الخد يسبق الطرف ويستغرق الوصف **وقيل لأعرابي** كيف عدو فرسك قال يعدو ما وجد أرضا وللشعراء في وصف الفرس أشعار كثيرة منهم أبو دؤاد الإيادي والنابغة والجعدي والأسعر الجعفي ومزرد وسلامة بن جندل وطفيل الغنوي وغيرهم من القدماء والمحدثين ولمن بينهم، ولكن الشرط في ما بينته في هذا الكتاب اختيار نوادر التشبيهات دون الأوصاف والاستعارات وما جاء في ذكر هذا الباب كثير ولو قصدنا تبويب الأبواب لبطل الشرط في التشبيه وزال حسن الاختيار واختلط الغث بالسمين والبارد بالحار وبالله نثق ونستعين قوله: قيد الأوابد هيكل: فالأوابد كل ما تأبد أي توحش من بقر الوحش والظباء وغيرهما واحدتها آبدة ومنه قولهم: لقد جئت بآبدة من الكلام أي بوحشيته، فأخبر أنه أدركها فصار كالقيد لها وفي الظفر بالصيد يقول في قصيدة أخرى

إذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا ... تعالوا إلى أن يأتنا الصيد نحطب

وقال عمارة بن عقيل يذكر فرسا

وأرى الوحش في يمنيي إذا ما ... كان يوما عنانه في شمالي

وقال أبو نواس في مثل هذا من الثقة

قد أغتدي والطير في مثواتها ... بأكلب تمرح في قداتها

تعد عين الوحش من أقواتها

وقال الشماخ

قليل التلاد غير قوس وأسهم ... كأن الذي يرمى من الوحش تارز." (١)

"وما شنتا خرقاء واهيتا الكلى ... سقى فيهما ساق ولما تبللا

بأضيع من عينيك للماء كلما ... توسمت برقا أو توهمت منزلا

وقال امرؤ القيس

عيناك دمعهما سجال ... كأن شأنيهما أوشال

أو جدول في ظلال نخل ... للماء من تحته مجال

وقال جران العود

أمست كأن العين أفنان سدرة ... عليها سقيط من ندى الليل ينطف

وقال آخر

عشي وداع قبحت من عشية ... ولكنها لا قبحت من مودع

كأن انحدار الدمع منها تعده ... لنا ذات عد قليل عدي وأسرعي

---

(١) التشبيهات لابن أبي عون ابن أبي عون ص/٦

وقال ذو الرمة

قف العيس في أطلال مية واسل ... رسوما كأخلاق الرداء المسلسل

أظن الذي يجدي عليك سؤالها ... دموعا كتبذير الجمان المفصل

ومثل هذا التشبيه كثير مخلق والشرط في الاختيار أملك وقال الطائي

نثرت فريد مدامع لم تنظم ... والدمع يحمل بعض ثقل المغرم

وصلت نجيا بالدموع فخدها ... في مثل حاشية الرداء المعلم

ومثله قول الآخر

فواه من الأحزان إن أسفر الضحى ... وفي كبدي من حرهن حريق

مزجنا دما بالدمع حتى كأنما ... يذاب بعيني لؤلؤ وعقيق

وقال الطائي

سرت تستجير الدمع خوف نوى غد ... وعاد قتادا عندها كل مرقد

فأذرى لها الإشفاق دمعا موردا ... من الجفن يجري فوق خد مورد

وأحسن ابن يوسف في قوله

عذب الفراق لنا قبيل وداعنا ... ثم اجترعناه كسم ناقع

وكأنما أثر الدموع بخدها ... طل سقيط فوق ورد يانع

وقال آخر في مثله

كأن سقوط الدمع في حر وجهها ... سقوط الندى أوفى على ورق الورد

وزاد ابن الرومي في هذا فقال المنسرح

ما يوم بين الحبيب بالبعد ... ولا فؤادي عليه بالجلد

لو كنت يوم الوداع شاهدنا ... وهن يطفئن غلة الوجد

لم تر إلا دموع باكية ... تسفح من مقلة على خد

كأن تلك الدموع قطر ندى ... يقطر من نرجس على ورد

وقال الناشي المتقارب

بكت للفراق وقد راعني ... بكاء الحبيب لبعد الديار

كأن الدموع على خدها ... بقية طل على جلنار

وقال البحتري في مقلوب ذلك

شقائق يحملن الندى فكأنه ... دموع التصابي في خدود الخرائد

وقال أبو نواس مما يدخل في هذا الباب وإن لم يكن في تشبيه

تقول غداة البين إحدى نسائهم ... لي الكبد الحرى فسر ولك الصبر

وقد غلبتها عبرة فدموعها ... على خدها حمر وفي نحرها صفر

يقول لون خدها أحمر فتشكلت الدمعة به لما وقعت عليه فصارت حمراء ولون نحرها أصفر عاجي فصار لون ما وصل إليه من الدمع أصفر وقيل للعباس بن محمد ما لون الماء؟ قال لون إنائه والعرب تنعت اللون الدري مثل قول ذي الرمة

كحلاء في برج صفراء في نعج ... كأنها فضة قد مسها ذهب

البرج سعة العين والنعج شدة البياض وقال المرقش

النشر مسك والوجوه دنا ... نير وأطراف الأكف عنم

وقيل لأعرابية كيف لون ابنتك فقالت أحسن من النار الموقدة وقال بشار

وتخال ما جمعت عليه ثيابها ذهبا وتبرا

وقال أبو نواس

ظبي كأن الله أل ... بسه قشور الدر جلد

وترى على وجناته ... في أي حين شئت وردا

وهذا كثير جدا، ومن حسن الاستعارة في الدمع قول الطائي

مطر من العبرات أرض خده ... حتى الصباح ومقلتاه سماؤه

أحبابه فعلوا بمهجة قلبه ... ما ليس يفعله به أعداؤه

ونحوه قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

ولما رأيت البين قد جد جده ... وقد حان من نيل الفراق ركود

قعدنا فأمطرنا دموعا سماؤها ... جفون عيون والبقاع خدود

والرواة تستحسن قول ابن الأحنف المتقارب

بكت غير آنسة بالبكاء ... ترى الدمع في مقلتيها غريبا

وقال بشار ما زال غلام بني حنيفة يعني عباس بن الأحنف يدخل نفسه فينا ونخرجه حتى قال

نزف البكاء دموع عينك فاستعر ... عينا لغيرك دمعها مدرار." (١)

"إذ أنت لم تحفظ لنفسك سرها، ... فسرك عند الناس أفشى وأضيع

وقال آخر:

أمت السر بكتمان، ولا ... يبدون منك إذا استودعت سر

فإذا ضقت به ذرعا فلا ... تجعلن سرك إلا عند حر

وقيل لأعرابي استودع سرا فكتمه: أفهمت؟ قال: لا، بل نسيت. وأخبرني أحمد بن عبيد قال: أخبرني ابن الأعرابي قال: **قيل لأعرابي**: كيف كتمانك السر؟ فقال: أجحد المخبر، وأحلف للمستخبر.

---

(١) التشبيهات لابن أبي عون ابن أبي عون ص/١٨

وقيل لأعرابي: كيف حفظك للسر؟ فقال: أنا لحده.

ومما استحسنته في كتمان السر قول كثير:

أتى دون ما تخشون من بث سركم ... أخو ثقة، سهل الخلائق، أروع

ضنين ببذل السر، سمح بغيره، ... أخو ثقة، عف الوصال، سميدع

أبى أن يبث، الدهر، ما عاش، سركم ... سليما، وما دامت له الشمس تطلع

وله أيضا:

كريم يميت السر، حتى كأنه، ... إذا استنطقوه عن حديثك، جاهله

رعى سركم في مضمر القلب والحشا، ... شفيق عليكم، لا تخاف غوائله

وأكتم نفسي بعض سري تكرما، ... إذا ما أضاع السر في الناس حامله

وقول صاحبه أيضا:

لعمري ما استودعت سري وسرها ... سوانا، حذارا أن تشيع السرائر

ولا خاطبتها مقلتاي بنظرة، ... فتعلم نجوانا العيون النواظر." (١)

"**وقيل لأعرابي**: هل زنيت قط؟ قال: معاذ الله إنما هما اثنتان إما حرة آنف لها من فسادها، وإما أمة آنف لنفسي من فسادي إياها.

جميل في يومه الأخير

وروى عن ابن سهل بن سعد الساعدي قال: دخلت على جميل بن معمر العذري، وهو عليل، وإني لأرى آثار الموت على وجهه، فقال: يا ابن سهل! أتقول إن رجلا يلقى الله لم يسفك دما حراما، ولم يشرب خمرا، ولم يأت بفاحشة، أترجو له الجنة؟ قلت: إي والله، فمن هو؟ قال: إني لأرجو أن أكون أنا ذلك الرجل. قلت: بعد زيارتك بثينة وما تحدث به عنكما؟ فقال: والله إني لفي يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، ولا أنالتني شفاعة محمد، صلى الله عليه وسلم، إن كنت حدثت نفسي فيها بريبة قط. قال: فما انقضى يومه حتى مات.

عمر بن أبي ربيع وامرأة من ربيعة

وقال الأصمعي: كان عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق جالسين بفناء الكعبة، فمرت بهما امرأة من ربيعة، وقيل من آل أبي سفيان، فدعا عمر بكتف، فكتب فيها:

ألما بذات الخال، فاستطلعا لنا ... على العهد باق ودها أم تصرما

وقولا لها: إن النوى أجنبية ... بنا وبكم، قد خفت أن تتيمما

---

(١) الموشى = الظرف والظرفاء الوشاء ص/٤٨

فقال له ابن أبي عتيق: ما تريد إلى امرأة مسلمة محرمة تكتب إليها بمثل هذا؟ فقال: أترى ما سيرت في الناس من الشعر، ورب هذه البنية ما قبل منها وما دبر، ما قولت امرأة قط ما لم تقله، ولا طالعت فرج حرام قط.

وقيل لكثير عزة: هل نلت من عزة شيئا طول مدتك؟ فقال: لا والله." (١)

"١٣٠ – حدثنا إسماعيل بن أحمد بن معاوية، عن أبيه، عن الأصمعي قال: " قيل لأعرابي: ما كنت صانعا لو ظفرت بمن تهوى؟ قال: كنت أمتع عيني من وجهها، وقلبي من حديثها، وأستر منها ما لا يحبه الله ولا يرضى كشفه إلا عند حله، قيل: فإن خفت ألا تجتمعا بعد ذلك؟ قال: أحل قلبي إلى حبها، ولا أصبر بقبيح ذلك الفعل إلى نقض عهدها. قال: وقيل لآخر وقد زوجت عشيقته من ابن عم لها، وأهلها على إهدائها إليه: أيسرك أن تظفر بها الليلة؟ قال: نعم، والذي أمتعني بحبها وأشقاني بطلبها، قيل: فما كنت صانعا بها؟ قال: كنت أطيع الحب في لثامها، وأعصي الشيطان في إثمها، ولا أفسد عشق سنين بما يبقى ذميما عاره، وينشر قبيح أخباره في ساعة تنفد لذتها، وتبقى تبعتها، إني إذا لئيم لم يغذني أصل كريم "." (٢)

"٧٧٠ – حدثنا سعيد بن أصبع الشعيري قال: حدثنا أحمد بن معاوية بن بكر الباهلي قال: قيل لأعرابي: ما أبقى منك الهوى؟ قال: عينا تجري يبعثها على الحزن قلب يخفق ، تخفقه أحشاء تتوقد ، يوقدها هجر من حبيب ظالم لا يخاف عقوبة مظلوم ولا يواري ، ثائر إن أجاز على قتيله لم يعد وإن جووكم وأفلح ، سيفه الهجر ، ونيله اللحظ ، فكم من دم كريم قد طل بين سيفه وأسهمه." (٣)

"٧٩٦ – حدثنا إسماعيل بن أحمد بن بكر الباهلي ، عن أبيه قال: قيل لأعرابية: صفي لي الحب ، فانتحبت مليا ثم قالت: يالقلب وثبته ، وبالفؤاد وجبته ، وبالأحشاء ناره ، وسائر الأعضاء خدامه ، فالعقل من العاشق ذاهل ، والدموع هوامل ، والجسم ناحل ، مرور الليالي المخلقات تجده ، والإساءة من المعشوق لا تفسده. ثم أومأت بيدها إلى قلبها وأنشأت تقول:

[البحر الطويل]

ألا تتخلص إنما أنت سامت ... لما لم يكن يا قلب ينفعك الزجر

كأن دموعي غصن طرفاء حركت ... أعاليه ريح ثم أهطله قطر." (٤)

"شعر للمؤلف

: ومن قولنا في هذا المعنى:

فلئن سمعت نصيحتي وعصيتها ... ما كنت أول ناصح معصي

---

(١) الموشى = الظرف والظرفاء الوشاء ص/٥٧

(٢) اعتلال القلوب للخرائطي الخرائطي ٧١/١

(٣) اعتلال القلوب للخرائطي الخرائطي ٣٧٥/٢

(٤) اعتلال القلوب للخرائطي الخرائطي ٣٨٣/٢

وقال حبيب في بني تغلب عند إيقاع مالك بن طوق بهم:

لم يألكم مالك صفحا ومغفرة ... لو كان ينفخ قين الحي في فحم «١»

حفظ الأسرار

قالت الحكماء: صدرك أوسع لسرك من صدر غيرك.

وقالوا: سرك من دمك. يعنون أنه ربما كان في إفشائه سفك دمك.

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف:

ولا تفش سرك إلا إليك ... فإن لكل نصيح نصيحا

وإني رأيت غواة الرجا ... ل لا يتركون أديما صحيحا «٢»

وقالت الحكماء: ما كنت كاتمه من عدوك فلا تطلع عليه صديقك.

وقال عمرو بن العاص: ما استودعت رجلا سرا فأفشاه فلمته؛ لأني كنت أضيق صدرا منه حين استودعته إياه حين أفشاه.

وقال الشاعر:

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السر أضيق

لبعض الأعراب

: **قيل لأعرابي**: كيف كتمانك للسر؟ قال: أجحد المخبر وأحلف للمستخبر.." [١]

"إذا صوت العصفور طار فؤاده ... وليث حديد الناب عند الثرائد «١»

الحجاج وخيل لأمية

: أتى الحجاج بدواب من دواب أمية قد وسم على أفخاذها: «عدة» فأمر الحجاج أن يكتب تحت ذلك: «للفرار» .

وقال أبو دلامة: كنت مع مروان»

أيام الضحاك الحروري، فخرج فارس منهم فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فقتله، ثم ثان، ثم ثالث. فانقبض الناس عنه، وجعل يدنو ويهدر كالفحل المغتلم «٣» ، فقال مروان: من يخرج إليه وله عشرة آلاف؟

قال: فلما سمعت عشرة آلاف هانت علي الدنيا وسخوت بنفسي في سبيل عشرة آلاف وبرزت إليه. فإذا عليه فرو قد بله المطر فارمعل «٤» ، ثم أصابته الشمس فاقفعل «٥» ، وله عينان تتقدان كأنهما جمرتان؛ فلما رآني فهم الذي أخرجني، فأقبل نحوي وهو يرتجز ويقول:

وخارج أخرجه حب الطمع ... فر من الموت وفي الموت وقع

من كان ينوي أهله فلا رجع

فلما رأيته قنعت رأسي ووليت هاربا ومروان يقول: من هذا الفاضح؟ لا يفوتكم! فدخلت في غمار الناس.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٦٢/١

لأعرابي في الغزو

: **وقيل لأعرابي**: ألا تغزو العدو؟ قال: وكيف يكونون لي عدوا وما أعرفهم ولا يعرفونني؟." [1]

"وقولهم: قرطس «١» فلان فأصاب الثغرة، وأصاب عين القرطاس. كل هذا مثل للمصيب في كلامه الموجز في لفظه.

قيل للعتابي: ما البلاغة؟ قال: إظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل في صورة الحق.

وقيل لأعرابي: من أبلغ الناس؟ قال: أسهلهم لفظا وأحسنهم بديهة.

وقيل لآخر: ما البلاغة؟ قال: نشر الكلام بمعانيه إذا قصر، وحسن التأليف له إذا طال.

وقيل لآخر ما البلاغة؟ فقال: قرع الحجة ودنو الحاجة.

وقيل لآخر ما البلاغة؟ قال: الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل «٢» .

قيل لغيره: ما البلاغة؟ قال: إقلال في إيجاز، وصواب مع سرعة جواب.

قيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام.

وقيل لبعضهم: من أبلغ الناس؟ قال: من ترك الفضول واقتصر على الإيجاز.

وكان يقال: رسول الرجل مكان رأيه، وكتابه مكان عقله.

وقال جعفر بن محمد عليه السلام: سمي البليغ بليغا لأنه يبلغ حاجته بأهون سعيه.

وسئل بعض الحكماء عن البلاغة فقال: من أخذ معاني كثيرة فأداها بألفاظ قليلة، وأخذ معاني قليلة فولد منها لفظا كثيرا، فهو بليغ.

وقالوا: البلاغة ما حسن من الشعر المنظوم نثره، ومن الكلام المنثور نظمه.

وقالوا: البلاغة ما كان من الكلام حسنا عند استماعه، موجزا عند بديهته.

وقيل: البلاغة لمحة دالة على ما في الضمير.

وقال بعضهم: إذا كفاك الايجاز فالإكثار عي، وإنما يحسن الإيجاز إذا كان هو البيان.

ولبعضهم:." [2]

"وقال حسان بن ثابت في عبد الله بن عباس:

إذا قال لم يترك مقالا لقائل ... بملتقطات لا ترى بينها فصلا

كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع ... لذي إربة في القول جذا ولا هزلا

ولقي الحسين بن علي رضوان الله عليهما الفرزدق في مسيره إلى العراق؛ فسأله عن الناس؛ فقال: القلوب معك، والسيوف عليك، والنصر في السماء.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٢٨/١

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٢٣/٢

وقال مجاشع النهشلي: الحق ثقيل؛ فمن بلغه اكتفى، ومن جاوزه اعتدى.

وقيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: كم بين المشرق والمغرب؟

فقال مسيرة يوم الشمس: قيل له: فكم بين السماء والأرض؟ قال: مسيرة ساعة لدعوة مستجابة.

وقيل لأعرابي: كم بين موضع كذا إلى موضع كذا؟ قال: بياض يوم وسواد ليلة.

وشكا قوم إلى المسيح عليه السلام ذنوبهم، فقال: اتركوها تغفر لكم.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قيمة كل إنسان ما يحسن.

وقيل لخالد بن يزيد بن معاوية: ما أقرب شيء؟ قال: الأجل. قيل له: فما أبعد شيء؟ قال: الأمل. قيل له: فما أوحش شيء؟ قال: الميت. قيل له: فما أنس شيء؟

قال: الصاحب المواتي.

مر عمرو بن عبيد بسارق يقطع، فقال: سارق السريرة «١» قطع سارق العلانية.

وقيل للخليل بن أحمد: مالك تروي الشعر ولا تقوله؟ قال: لأني كالمسن: أشحذ ولا أقطع.

وقيل لعقيل بن علفة: مالك لا تطيل الهجاء؟ قال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق.

ومر خالد بن صفوان برجل صلبه الخليفة، فقال: أنبتته الطاعة وحصدته المعصية.." (١)

"وقال ابن الكلبي: قال لي خالد العنبري: ما تعدون السودد؟ قلت: أما في الجاهلية فالرياسة، وأما في الإسلام فالولاية، وخير من ذا وذلك التقوى. قال: صدقت. كان أبي يقول: لم يدرك الأول الشرف إلا بالعقل، ولم يدرك الآخر إلا بما أدرك به الأول. قلت له: صدق أبوك، وإنما ساد الأحنف ابن قيس بحلمه، ومالك بن مسمع بحب العشيرة له، وقتيبة بن مسلم بدهائه؛ وساد المهلب بهذه الخلال كلها.

الأصمعي قال: **قيل لأعرابي** يقال له منتجع بن نبهان: ما السميدع؟ قال: السيد الموطأ الأكناف.

وكان عمر بن الخطاب يفرش له فراش في بيته في وقت خلافته، فلا يجلس عليه أحد إلا العباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن حرب.

قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان: كل الصيد في جوف الفرا؛ والفرا: الحمار الوحشي، وهو مهموز، وجمعه فراء. ومعناه أنه في الناس مثل الحمار الوحشي في الوحش.

رأي عمرو بن العاص في أخيه هشام:

ودخل عمرو بن العاص مكة، فرأى قوما من قريش قد تحلقوا حلقة، فلما رأوه رموا بأبصارهم إليه، فعدل إليهم فقال: أحسبكم كنتم في شيء من ذكري. قالوا:

أجل، كنا نماثل بينك وبين أخيك هشام. أيكما أفضل. فقال عمرو. إن لهشام علي أربعة: أمه ابنة هشام بن المغيرة، وأمي من قد عرفتم. وكان أحب الناس إلى أبيه مني، وقد عرفتم معرفة الوالد بالولد. وأسلم قبلي. واستشهد وبقيت.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٢٨/٢

قال قيس بن عاصم لبنيه لما حضرته الوفاة: احفظوا عني، فلا أحد أنصح لكم مني؛ إذا أنا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيحقر الناس كباركم.

وقال الأحنف بن قيس: السودد مع السواد.

وهذا المعنى يحتمل وجهين من التفسير: أحدهما أن يكون أراد بالسواد سواد." (١)

"فذلك دأب الناس ما كان ذا غنى ... فإن زال عنه المال يوما تفرقوا

وأنشد:

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها ... فحيثما انقلبت يوما به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا فإن وثبت ... يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

صنوف المال

قال معاوية لصعصعة بن صوحان: إنما أنت هاتف بلسانك، لا تنظر في أود «١» الكلام ولا في استقامته: فإن كنت تنظر في ذلك فأخبرني عن أفضل المال.

فقال: والله يا أمير المؤمنين، إني لأدع الكلام حتى يختمر في صدري، فما أرهف «٢» به ولا أتلهق «٣» فيه حتى أقيم أوده، وأحرر متنه، وإن أفضل المال لبرة سمراء في تربة غبراء؛ أو نعجة صفراء في روضة خضراء؛ أو عين خرارة في أرض خوارة. قال معاوية: لله أنت، فأين الذهب والفضة. قال: حجران يصطكان، إن أقبلت عليهما نفدا، وإن تركتهما لم يزيدا.

وقيل لأعرابية: ما تقولين في مائة من المعز؟ قالت: قنى. قيل لها: فمائة من الضأن؟ قالت غنى. قيل لها: فمائة من الإبل؟ قالت: منى.

وقال عبد الله بن الحسن: غلة الدور مسألة، وغلة النخل كفاف، وغلة الحب ملك.

للنبي صلى الله عليه وسلم:

وفي الحديث: «أفضل أموالكم: فرس في بطنها فرس يتبعها فرس، وعين ساهرة لعين نائمة» .." (٢)

"فغمز المأمون الجارية، فقالت له: شبت أبا دلف، إنا لله وإنا إليه راجعون لا عليك! فسكت أبو دلف، فقال له المأمون: أجبها أبا دلف. فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه.

فقال:

تهزأت أن رأت شيبي فقلت لها ... لا تهزئي من يطل عمر به يشب

شيب الرجال لهم زين ومكرمة ... وشيبكن لكن الويل فاكتئبي

فينا لكن وإن شيب بدا أرب ... وليس فيكن بعد الشيب من أرب

وقال محمود الوراق:

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٤٧/٢

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣٤٨/٢

وعائب عابني بشيب ... لم يعد لما ألم وقته «١»

فقلت للعائبي بشيبي ... يا عائب الشيب لا بلغته

أنشدني أبو عبد الله الإسكندراني، معلم الإخوة:

ومما زاد في طول اكتئابي ... طلائع شيبتين ألمتا بي

فأما شيبة ففزعت منها ... إلى المقراض من حب التصابي

وأما شيبة فعفوت عنها ... لتشهد بالبراء من الخضاب!

وقال محمود بن مناذر:

لا سلام على الشباب ولا حي ... االإله الشباب من معهود

قد لبست الجديد من كل شيء ... فوجدت الشباب شر جديد

صاحب ما يزال يدعو إلى العي ... ب وما من دعا له برشيد

ولنعم المنيب والوازع الشي ... ب ونعم المفاد للمستفيد «٢»

كبرة السن

قيل لأعرابي قد أخذته كبرة السن: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت تقيدني." (١)

"كتمان السر

قالوا: صدرك أوسع لسرك.

وقالوا: لا تفش سرك إلى أمة، ولا تبل على أكمة. يقول لا نفش سرك إلى امرأة فتبديه، ولا تبل على مكان مرتفع فتبدو عورتك.

ويقولون إذا أسروا إلى الرجل: اجعل هذا في وعاء غير سرب «١» .

وقولهم سرك من دمك.

وقيل لأعرابي: كيف كتمانك السر؟ فقال: ما صدري إلا قبر.

انكشاف الأمر بعد اكتتامه

قولهم: حصحص «٢» الحق.

وقولهم: أبدى الصريح عن الرغوة. وفي الرغوة ثلاث لغات: فتح الراء، وضمها، وكسرها.

وقولهم: صرح «٣» المحض «٤» عن الزبد.

وقالوا: أفرخ القوم بيضتهم. أي أخرجوا فرختها، يريدون أظهروا سرهم.

وقولهم: برح «٥» الخفاء وكشف الغطاء.

إبداء السر

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢/٣٦٧

قالوا: أفضيت إليك بشقوري. أي أخبرتك بأمري، وأطلعتك على سري.

وقولهم: أخبرتك بعجري وبجري. أي أطلعتك على معايبي، والعجر: العروق المتعقدة، وأما البجر فهي في البطن خاصة.

وتقول العامة: لو كان في جسدي برص ما كتمته.." (١)

"وقيل لأعرابي خاصم امرأته إلى السلطان: كبها الله لوجهها. فقال: ولو أمر بي إلى السجن.

الاستغناء بالحاضر عن الغائب

قولهم: إن ذهب عير «١» فعير في الرباط «٢» .

ومنه:

إذا غاب منها كوكب لاح كوكب

وقولهم: رأس برأس وزيادة خمسمائة، قالها الفرزدق في رجل كان في جيش، فقال: من جاء برأس فله خمسمائة درهم: فبرز رجل وقتل رجلا من العدو، فأعطاه خمسمائة درهم؛ ثم برز ثانية، فقتل، فبكى عليه أهله، فقال لهم الفرزدق: أما ترضون رأسا برأس وزيادة خمسمائة؟

المقادير

منه قولهم: المقادير تريك ما لا يخطر ببالك.

وقولهم: إذا نزل القدر غشى البصر. وإذا نزل الحين غطى العين. ولا يغني حذر من قدر. من مأمنه يؤتى الحذر.

وقولهم: وكيف توقى ظهر ما أنت راكبه.

الرجل يأتي إلى حتفه

منه قولهم: أتتك بحائن رجلاه. لا تكن كالباحث عن المدية.

وقولهم: حتفها تحمل ضأن بأظلافها.." (٢)

"وهي لا تسلم ولا ترد ولا تطيق الكلام؛ من غزرة الدمعة، وغمرة العبرة، تختنق بعبرتها، وتتعثر في أثوابها، والناس من خلفها، حتى أتت إلى الحجرة، فأخذت بعضادتي «١» الباب، ثم قالت: السلام عليك يا نبي الهدى، السلام عليك يا أبا القاسم، السلام عليك يا رسول الله وعلى صاحبيك، يا رسول الله؛ أنا ناعية إليك أحظى أحبابك، وذاكرة لك أكرم أودائك «٢» عليك، قتل والله حبيبك المجتبى، وصفيك المرتضى، قتل والله من زوجته خير النساء، قتل والله من آمن ووفى، وإني لنادبة ثكلى، وعليه باكية حرى، فلو كشف عنك الثرى لقلت إنه قتل أكرمهم عليك، وأحظاهم لديك؛ ولو أمرت أن يجيب النداء لك مني ما تعرضت له منذ اليوم، والله يجري الأمور على السداد.

قال المبرد: عزى أحمد بن يوسف الكاتب ولد الربيع، فقال: عظم أجركم، ورحم الله فقيدكم؛ وجعل لكم من وراء مصيبتكم حالا يجمع شملكم، ويلم شعثكم، ولا يفرق ملأكم.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣/ ٢٠

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣/ ٥٨

وقيل لأعرابية مات لها بنون عدة: ما فعل بنوك؟ قالت: أكلهم دهر لا يشبع.

وعزى رجل الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين، كان لك الأجر لا بك، وكان العزاء لك لا عنك.

لابن عباس:

ومما روي أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نعي إليه ابنه وهو في السفر، فاسترجع ثم قال: عورة سترها الله، ومؤنة كفاها الله، وأجر ساقه الله.

للنبي صلى الله عليه وسلم في ابنته:

وقال أسامة بن زيد رضي الله عنهما لما عزي رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنته رقية. قال:." (١)

"أسكان بطن الأرض لو يقبل الفدا ... فدينا وأعطينا بكم ساكني الظهر «١»

فياليت من فيها عليها وليت من ... عليها ثوى فيها مقيما إلى الحشر

وقاسمني دهري بني بشطره ... فلما تقضى شطره مال في شطري

فصاروا ديونا للمنايا ولم يكن ... عليهم لها دين قضوه على عسر

كأنهم لم يعرف الموت غيرهم ... فثكل على ثكل وقبر إلى قبر

وقد كنت حي الخوف قبل وفاتهم ... فلما توفوا مات خوفي من الدهر

فلله ما أعطى ولله ما حوى ... وليس لأيام الرزية كالصبر

وقيل لأعرابية مات ابنها. ما أحسن عزاءك؟ قالت: إن فقدى إياه آمنني كل فقد سواه، وإن مصيبتي به هونت علي المصائب بعده! ثم أنشأت تقول:

من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أحاذر

كنت السواد لناظري ... فعمي عليك الناظر

ليت المنازل والديا ... رحفائر ومقابر

إني وغيري لا محا ... لة حيث صرت لصائر

أخذ الحسن بن هانيء معنى هذا البيت الأول، فقال في الأمين:

طوى الموت ما بيني وبين محمد ... وليس لما تطوي المنية ناشر

وكنت عليه أحذر الموت وحده ... فلم يبق لي شي عليه أحاذر

لئن عمرت دور بمن لا أحبه ... لقد عمرت ممن أحب المقابر

وقال عبد الله بن الأهتم يرثي ابنا له:

دعوتك يا بني فلم تجبني ... فردت دعوتي يأسا عليا

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٤٥/٣

بموتك ماتت اللذات مني ... وكانت حية ما دمت حيا

فيا أسفا عليك وطول شوقي ... إليك لو ان ذلك رد شيا." (١)

"قولهم في الرقائق

العتبي قال: ذكر أعرابي مصيبة فقال: والله تركت سود الرءوس بيضا، وبيض الوجوه سودا، وهونت المصائب بعدها.

أخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال يرثي آل أبي سفيان:

رمى الحدثان نسوة آل حرب ... بمقدار سمدن له سمودا «١»

فرد شعورهن السود بيضا ... ورد وجوههن البيض سودا

فإنك إذ سمعت بكاء هند ... ورملة إذ يلطمن الخدودا

بكيت بكاء موجعة بحزن ... أصاب الدهر واحدها الفريدا

قال: قيل لأعرابية أصيبت بابنها: ما أحسن عزاءك قالت: إن فقدي إياه أمنني كل فقد سواه، وإن مصيبتي به هونت علي المصائب بعده؛ ثم أنشأت تقول:

من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أحاذر

كنت السواد لمقلتي ... فعليك يبكي الناظر

ليت المنازل والديا ... ر حفائر ومقابر

وقيل لأعرابي: كيف حزنك على ولدك؟ قال: ما ترك هم الغداء والعشاء لي حزنا! وقيل لأعرابي: ما أذهب شبابك؟ قال: من طال أمده، وكثر ولده، وذهب جلده: ذهب شبابه.

وقيل لأعرابي: ما أنحل جسمك؟ قال: سوء الغذاء، وجدوبة المرعى، واختلاج الهموم في صدري. ثم أنشأ يقول:

الهم مالم تمضه لسبيله ... داء تضمنه الضلوع عظيم

ولربما استيأست ثم أقول لا ... إن الذي ضمن النجاح كريم." (٢)

"وقيل لأعرابي قد أخذته السن: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت تقيدني الشعرة، وأعثر في البعرة «١» ؛ قد أقام الدهر صعري بعد أن أقمت صعره.

وقال أعرابي: لقد كنت أنكر البيضاء فصرت أنكر السوداء، فيا خير مبدول ويا شر بدل! وقال أعرابي:

إذا الرجال ولدت أولادها ... وجعلت أسقامها تعتادها

واضطربت من كبر أعضادها ... فهي زروع قد دنا حصادها

وذكر أعرابي قطيعة بعض إخوانه، فقال: صفرت «٢» عياب الود بعد امتلائها واكفهرت وجوه كانت بمائها؛ فأدبر ما كان مقبلا، وأقبل ما كان مدبرا.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣/٢١١

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤/١٠

وذكر أعرابي منزلا باد أهله، فقال: منزل والله رحلت عنه ربات الخدور وأقامت فيه أثافي «٣» القدور، وقد اكتسى بالنبات كأنما ألبس الحلل؛ وكان أهله يعفون فيه آثار الرياح، وأصبحت الريح تعفي آثارهم فالعهد قريب والملتقى بعيد.

ذكر أعرابي قوما تغيرت أحوالهم، فقال: أعين والله كحلت بالعبرة بعد الحبرة «٤» ، وأ نفس لبست الحزن بعد السرور.

وذكر أعرابي قوما تغيرت حالهم، فقال: كانوا والله في عيش رقيق الحواشي فطواه الدهر بعد سعة، حتى يبست أبدانهم من القر، ولم أر صاحبا أغر من الدنيا، ولا ظالما أغشم من الموت؛ ومن عصف به الليل والنهار أردياه، ومن وكل به الموت أفناه.

وقف أعرابي على دار قد باد أهلها، فقال: دار والله معتصرة للدموع، حطت بها." (١)

"السحاب أثقالها، وجرت بها الرياح أذيالها.

وذكر أعرابي رجلا تغيرت حاله، فقال: طويت صحيفته وذهب رزقه، فالبلاء مسرع إليه، والعيش عنه قابض كفيه.

وذكر أعرابي رجلا ضاق عيشه بعد سعة، فقال: كان والله في ظل عيش ممدود، فقدحت عليه من الدهر زند عين كابية الزند.

الأصمعي قال: أنشدني العقيل لأعرابية ترثي ابنها:

ختلته المنون بعد اختيال ... بين صفين من قنا ونصال

في رداء من الصفيح صقيل ... وقميص من الحديد مذال «١»

كنت أخباك لاعتداء يد الدهر ولم تخطر المنون ببالي وقال أعرابي يرثي ابنه:

دفنت بكفي بعض نفسي فأصبحت ... وللنفس منها دافن ودفين

وقال أعرابي: إن الدنيا تنطق بغير لسان فتخبر عما يكون بما قد كان.

خرج أعرابي: هاربا من الطاعون؛ فبينا هو سائر إذ لدغته أفعى فمات، فقال فيه أبوه:

طاف يبغي نجوة ... من هلاك فهلك

ليت شعري ضلة ... أي شيء قتلك

والمنايا رصد ... للفتى حيث سلك

كل شيء قاتل ... حين تلقى أجلك

وذكر أعرابي بلدا فقال: بلد كالترس «٢» ، ما تمشي فيه الرياح إلا عابرات سبيل، ولا يمر فيها السفر إلا بأدل دليل.." (٢)

"الناس لرب العالمين

«١» ثم قال: يا أمير المؤمنين، هذا جزاء من يطفف في الكيل والميزان، فما ظنك بمن أخذه كله؟!

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١١/٤

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٢/٤

لأعرابي يعظ أخاه:

وقال أعرابي لأخيه: يا أخي، أنت طالب ومطلوب، يطلبك مالا تفوته، وتطلب ما قد كفيته، فكأن ما غاب عنك قد كشف لك، وما أنت فيه قد نقلت عنه، فامهد لنفسك، وأعد لغدك، وخذ في جهازك.

ووعظ أعرابي أخا له أفسد ماله في الشراب، فقال: لا الدهر يعظك، ولا الأيام تنذرك، ولا الشيب يزجرك، والساعات تحصى عليك، والأنفاس تعد منك، والمنايا تقاد إليك؛ أحب الأمور إليك أعودها بالمضرة عليك.

لبعض الأعراب:

وقيل لأعرابي: مالك لا تشرب النبيذ؟ قال: لثلاث خلال فيه: لأنه متلف للمال، مذهب للعقل، مسقط للمروءة.

وقال أعرابي لرجل: أي أخي، إن يسار النفس أفضل من يسار المال، فإن لم ترزق غنى» فلا تحرم تقوى، فرب شبعان من النعم، غرثان «٢» من الكرم؛ واعلم أن المؤمن على خير، ترحب به الأرض، وتستبشر به السماء؛ ولن يساء إليه في بطنها، وقد أحسن على ظهرها.

وقال أعرابي: الدراهم مياسم «٣» تسم حمدا وذما؛ فمن حبسها كان لها، ومن أنفقها كانت له؛ وما كل من أعطي مالا أعطي حمدا ولا كل عديم ذميم.

أخذ هذا المعنى الشاعر فقال:

أنت للمال إذا أمسكته ... فإذا أنفقته فالمال لك." (١)

"وقال أعرابي لصاحب له: اصحب من يتناسى معروفه عندك، ويتذكر حقوقك عليه.

وقال أعرابي: لا تسأل عمن يفر من أن تسأله، ولكن سل من أمرك أن تسأله، وهو الله تعالى.

وقيل لأعرابي في مرضه: ما تشتكي؟ قال: تمام العدة، وانقضاء المدة.

ونظر أعرابي إلى رجل يشكو ما هو فيه من الضيق والضر، فقال: يا هذا، أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك.

وقالت أعرابية لابنها: يا بني، إن سؤالك الناس ما في أيديهم أشد من الافتقار إليهم، ومن افتقرت إليه هنت عليه، ولا تزال تحفظ وتكرم حتى تسأل وترغب فإذا ألحت عليك الحاجة ولزمك سوء الحال، فاجعل سؤالك إلى من إليه حاجة السائل والمسئول، فإنه يعطي السائل.

وقالت أعرابية توصي ابنا لها أراد سفرا: يا بني، عليك بتقوى الله فإنه أجدى عليك من كثير غيرك؛ وإياك والنمائم، فإنها تورث الضغائن وتفرق بين المحبين، ومثل لنفسك مثالا تستحسنه من غيرك فاحذر عليه واتخذه إماما، واعلم أنه من جمع بين السخاء والحياء، فقد أجاد الحلة إزارها ورداءها.

قال الأصمعي: لا تكون الحلة إلا ثوبين: ازارا ورداء.

أنشد الحسن لأعرابي كان يطوف بأمه على عانقه حول الكعبة:

إن تركبي على قذالي «١» فاركبي ... فطالما حملتني وسرت بي

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤/٢٤

في بطنك المطهر المطيب ... كم بين هذاك وهذا المركب

وأنشد لآخر كان يطوف بأمه:

ما حج عبد حجة بأمه ... فكان فيها منفقا من كده." (١)

"لا استتم الأجر عند ربه

قال وسمعت أعرابيا يقول: ما بقاء عمر تقطعه الساعات، وسلامة بدن معرض للآفات! ولقد عجبت من المؤمن كيف يكره الموت وهو ينقله إلى الثواب الذي أحيا له ليله وأظمأ له نهاره.

وذكر أهل السلطان عند أعرابي فقال: أما والله لئن عزوا في الدنيا بالجور لقد ذلوا في الآخرة بالعدل، ولقد رضوا بقليل فان عوضا عن كثير باق، وإنما تزل القدم حيث لا ينفع الندم.

ووصف أعرابي الدنيا فقال: هي رنقة «١» المشارب، جمة المصائب لا تمتعك الدهر بصاحب.

وقال أعرابي: من كان مطيته الليل والنهار سارا به وإن لم يسر، وبلغا به وإن لم يبلغ.

قال: وسمعت أعرابيا يقول: الزهادة في الدنيا مفتاح الرغبة في الآخرة والزهادة في الآخرة مفتاح الرغبة في الدنيا.

وقيل لأعرابي وقد مرض: إنك تموت! قال: وإذا مت فإلى أين يذهب بي؟

قالوا: إلى الله! قال: فما كراهتي أن يذهب بي إلى من لم أر الخير إلا منه؟

وقال أعرابي: من خاف الموت بادره الموت، ومن لم ينح النفس عن الشهوات أسرعت به إلى الهلكات، والجنة والنار أمامك.

وقال أعرابي لصاحب له: والله لئن هملجت «٢» إلى الباطل إنك لعطوف عن الحق، وإن أبطأت ليسرعن إليك، وقد خسر أقوام وهم يظنون أنهم رابحون؛ فلا تعرنك الدنيا، فإن الآخرة من ورائك.

وقال أعرابي: خير لك من الحياة ما إذا فقدته أبغضت له الحياة، وشر من الموت." (٢)

"ما إذا نزل بك أحببت له الموت.

وقال أعرابي: حسبك من فساد الدنيا أنك ترى أسنمة توضع؛ وأخفافا ترفع.

والخير يطلب عند غير أهله، والفقير قد حل غير محله.

وقدم أعرابي إلى السلطان فقال له: قل الحق وإلا أوجعتك ضربا! قال له: وأنت فاعمل به، فو الله ما أوعدك الله على تركه أعظم مما توعدني به.

وقيل لأعرابي: من أحق الناس بالرحمة؟ قال الكريم يسلط عليه اللئيم، والعاقل يسلط عليه الجاهل.

وقيل له: أي الداعين أحق بالإجابة؟ قال المظلوم.

وقيل له: فأي الناس أغنى عن الناس؟ قال: من أفرد الله بحاجته.

ونظر عثمان إلى أعرابي في شملة غائر العينين مشرف الحاجبين ناتيء الجبهة، فقال له: يا أعرابي، أين ربك؟ قال: بالمرصاد.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤/٢٦

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤/٢٧

الأصمعي قال: سمعت أعرابيا يقول: إذا أشكل عليك أمران فانظر أيهما أقرب من هواك فخالفه، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى.

قال: وسمعت أعرابيا يقول: من نتج الخير أنتج له فراخا تطير بأجنحة السرور؛ ومن غرس الشر أنبت له نباتا مرا مذاقه، وقضبانه الغيظ، وثمرته الندم.

وقال أعرابي: الهوى عاجله لذيذ، وآجله وخيم.

وقيل لأعرابي: إنك لحسن الشارة. قال: ذلك عنوان نعمة الله عندي.

قال الأصمعي: ورأيت أعرابيا أمامه شاء فقلت له: لمن هذه الشاء؟ قال: هي لله عندي.

وقيل لأعرابي: كيف أنت في دينك؟ قال: أخرقه بالمعاصي وأرقعه بالاستغفار.

وقال أعرابي: من كساه الحياء ثوبه خفي على الناس عيبه.

وقال: بئس الزاد التعدي على العباد.

وقال: التلطف بالحيلة أنفع من الوسيلة.

وقال: من ثقل على صديقه خف على عدوه، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون.." (١)

"واجعل الدنيا كيوم ... صمته عن شهواتك

واجعل الفطر إذا ما ... نلته يوم مماتك

واطلب الفوز بعيش الز ... هد من طول حياتك

ثم أطرق حينا ورفع رأسه وهو يقول:

قائد الغفلة الأمل ... والهوى قائد الزلل

قتل الجهل أهله ... ونجا كل من عقل

فاغتنم دولة السلا ... مة واستأنف العمل

أيها المبتني القصو ... ر وقد شاب واكتهل

أخبر الشيب عنك أنك في آخر الأجل

فعلام الوقوف في ... عرصة العجو والكسل

أنت في منزل إذا ... حله نازل رحل

منزل لم يزل يضيق وينبو بمن نزل

فتأهب لرحلة ... ليس يسعى بها جمل

رحلة لم تزل على الدهر ... مكروهة القفل

وقيل لأعرابي: كيف كتمانك للسر؟ قال: ما جوفي له إلا قبر.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٨/٤

لآخر في الوفاء:

وقال أعرابي: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل. ودوام عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه.

لآخر فيما يضيع الأمور:

وقال أعرابي: إذا كان الرأي عند من لا يقبل منه، والسلاح عند من لا يستعمله، والمال عند من لا ينفقه- ضاعت الأمور.." (١)

"ومدح أعرابي رجلا فقال: كان والله للإخاء وصولا، وللمال بذولا، وكان الوفاء بهما عليه كفيلا، فمن فاضله كان مفضولا.

وقيل لأعرابي: ما البلاغة؟ قال: التباعد من حشو الكلام، والدلالة بالقليل على الكثير.

ومدح أعرابي: رجلا فقال: كان والله من شجر لا يخلف ثمره، ومن بحر لا يخاف كدره.

وذكر أعرابي رجلا فقال: ذاك والله فتى زانه الله بالخير ناشئا، فأحسن لبسه، وزين به نفسه.

ومدح أعرابي رجلا فقال: يصم أذنيه عن استماع الخنا «١» ، ويخرس لسانه عن التكلم به؛ فهو الماء الشريب «٢» ، والمصقع الخطيب.

وذكر أعرابي رجلا فقال: ذاك رجل سبق إلي معروفه قبل طلبي إليه، فالعرض وافر، والوجه بمائه، وما أستقل بنعمة إلا أثقلني بأخرى.

وذكر أعرابي رجلا فقال: ذاك رضيع الجود والمفطوم به، عي عن الفحشاء، معتصم بالتقوى؛ إذا خرست الألسن عن الرأي حذف «٣» بالصواب كما يحذف الأرنب، فإن طالت الغاية ولم يكن من دونها نهاية تمهل أمام القوم سابقا.

وذكر أعرابي رجلا فقال: إن جليسه لطيب عشرته أطرب من الإبل على الحداء، والثمل على الغناء.

وذكر أعرابي رجلا فقال: كان له علم لا يخالطه جهل، وصدق لا يشوبه كذب، كأنه الوبل عند المحل.

وذكر أعرابي رجلا فقال: ما رأيت أعشق للمعروف منه، وما رأيت المنكر أبغض لأحد منه.." (٢)

"أبت الروادف والثدي لقمصها ... مس البطون وأن تمس ظهورا

وإذا الرياح مع العشي تناوحت ... نبهن حاسدة وهجن غيورا

وقال أعرابي: ليت فلانة حظي من أملي، ولرب يوم سرته إليها حتى قبض الليل بصري دونها؛ وإن من كلام النساء فقال: تلك شمس باهت الأرض شمس سمائها، وليس لي شفيع في اقتضائها، وإن نفسي لكتوم لدائها، ولكنها تفيض عند امتلائها.

أخذ هذا المعنى حبيب فقال:

ويا شمس أرضيها التي تم نورها ... فباهت بها الأرضون شمس سمائها

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣١/٤

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣٧/٤

شكوت وما الشكوى لمثلي عادة ... ولكن تفيض النفس عند امتلائها.

وقيل لأعرابي: ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم؟ قال: نعم، كان الحب في القلب فانتقل إلى المعدة؛ إن أطعمته شيئا أحبها، وإلا فلا: كان الرجل يحب المرأة، يطيف بدارها حولا، ويفرح إن رأى من رآها، وإن ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار؛ وإنه اليوم يشير إليها وتشير إليه، ويعدها وتعده فإذا اجتمعا لم يشكوا حبا، ولم ينشدا شعرا، ولكن يرفع رجليها ويطلب الولد.

وقال أعرابي:

شكوت! فقالت: كل هذا تبرما ... بحبي! أراح الله قلبك من حبي

فلما كتمت الحب قالت: لشد ما ... صبرت! وما هذا بفعل شجي القلب!

وأدنو فتقصيني، فأبعد طالبا ... رضاها، فتعتد التباعد من ذنبي

فشكواي تؤذيها، وصبري يسوءها ... وتجزع من بعدي، وتنفر من قربي

فيا قوم هل من حيلة تعلمونها ... أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربي." (١)

"**قيل لأعرابي**: أي الألوان أحسن؟ قال: قصور بيض في حدائق خضر.

وقيل لآخر: أي الألوان أحسن؟ قال: بيضة «١» في روضة غب سارية والشمس مكبدة «٢» .

وقال أعرابي: لقد رأيت بالبصرة برودا كأنها صبغت بأنوار الربيع، فهي تروع واللابس لها أروع.

العتبي قال: سمعت أعرابيا يقول: مررت ببلد ألقى بها الصيف «٣» بعاعه، فأظهر غديرا يقصر الطرف عن أرجائه، وقد نفت الريح القذى عن مائه؛ فكأنه سلاسل درع ذات فضول.

وأنشد أبو عثمان الجاحظ لأعرابي:

أين إخواننا على السراء ... أين أهل القباب والدهناء «٤»

جاورنا والأرض ملبسة نو ... ر إقاح يجاد بالأنواء

كل يوم بأقحوان جديد ... تضحك الأرض من بكاء السماء

لابن مطير:

ابن عمران المخزومي قال: أتيت مع أبي واليا على المدينة من قريش، وعنده أعرابي يقال له ابن مطير، وإذا مطر جود؛ فقال له الوالي: صفه؛ فقال: دعني أشرف وأنظر. فأشرف ونظر، ثم قال:

كثرت لكثرة ودقه أطباؤه ... فإذا تحلب فاضت الأطباء «٥»

وله رباب هيدب لرقيقه ... قبل التبعق ديمة وطفاء «٦»

وكأن بارقه حريق تلتقي ... ريح عليه وعرفج وألاء «٧»." (٢)

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٥١/٤

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٥٤/٤

"وكأن ريقه ولما يحتفل ... ودق السماء عجاجة طخياء «١»

مستضحك بلوامع مستعبر ... بمدامع لم تمرها الأقذاء

فله بلا حزن ولا بمسرة ... ضحك يؤلف بينه وبكاء

حيران متبع صباه تقوده ... وجنوبه كف له ورهاء «٢»

ثقلت كلاه فبهرت أصلابه ... وتبعجت عن مائه الأحشاء «٣»

غدق تبعج بالأباطح مزقت ... تلك السيول وما لها أشلاء

غر محجلة دوالج ضمنت ... حمل اللقاح وكلها عذراء «٤»

سحم فهن إذا عبسن فواحم ... سود، وهن إذا ضحكن وضاء

لو كان من لجج السواحل ماؤه ... لم يبق في لجج السواحل ماء

هشام وأعرابي يصف له السحاب:

قال هشام بن عبد الملك لأعرابي: اخرج فانظر كيف ترى السحاب. فخرج فنظر، ثم انصرف فقال: سفائن، وإن اجتمعت فعين.

قولهم في البلاغة والإيجاز

قيل لأعرابي: من أبلغ الناس؟ قال: أحسنهم لفظا وأسرعهم بديهة.

الأصمعي قال: خطب رجل في نكاح فأكثر وطول، فقيل: من يجيبه؟ قال أعرابي: أنا. قيل له: أنت وذاك؟ فالتفت إلى الخاطب فقال: إني والله ما أنا من تخطيطك وتمطيطك «٥» في شيء، قد متت بحرمة، وذكرت حقا، وعظمت مرجوا، فحبلك موصول، وفرضك مقبول، وأنت لها كفء كريم، وقد أنكحناك وسلمنا.." (١)

"ربيعة الرأي وأعرابي:

وتكلم ربيعة الرأي يوما فأكثر، فكأن العجب داخله، وأعرابي إلى جنبه، فأقبل على الأعرابي فقال: ما تعدون البلاغة يا أعرابي؟ قال: قلة الكلام وإيجاز الصواب.

قال: فما تعدون العي؟ قال: ما كنت فيه منذ اليوم! فكأنما ألقمه حجرا.

شبيب وأعرابي:

شبيب بن شيبة قال: لقيت أعرابيا في طريق مكة، فقال لي: تكتب؟ قلت: نعم.

قال: ومعك دواة؟ قلت: نعم. فأخرج قطعة جراب من كمه، ثم قال: اكتب ولا تزد حرفا ولا تنقص: هذا كتاب كتبه عبد الله بن عقيل الطائي لأمته لؤلؤة: إني أعتقتك لوجه الله واقتحام العقبة، فلا سبيل لي ولا لأحد عليك إلا سبيل الولاء، والمنة علي وعليك من الله وحده، ونحن في الحق سواء ثم قال: اكتب شهادتك.

روي أن أعرابيا حضر مجلس ابن عباس، فسمع عنده قارئا يقرأ: وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤/٥٥

«١» ؛ فقال الأعرابي: والله ما أنقذكم منها وهو يرجعكم إليها. فقال ابن عباس: خذوها من غير فقيه.

قولهم في حسن التوقيع وحسن التشبيه

قيل لأعرابي: ما لك لا تطيل الهجاء؟ قال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق.

وقيل لأعرابي: كم بين كذا وبلد كذا؟ قال: عمر ليلة وأديم يوم.

وقال آخر: سواد ليلة وبياض يوم.

وقيل لأعرابي: كيف كتمانك للسر؟ قال: ما صدري له إلا قبر.

معاوية وأعرابية:

قال معاوية لأعرابية: هل من قرى؟ قالت: نعم. قال: وما هو؟ قالت: خبز خمير، ولبن فطير، وماء نمير.." (١)

"وقيل لأعرابي: فيم كنتم؟ قال: كنا بين قدر تفور، وكأس تدور، وحديث لا يحور «١» .

وقيل لأعرابي: ما أعددت للبرد؟ قال: شدة الرعدة، وقرفصاء القعدة، وذرب المعدة «٢» .

وقيل لأعرابي: ما لك من الولد؟ قال: قليل خبيث. قيل له: ما معناه؟ قال: إنه لا أقل من واحد، ولا أخبث من أنثى!

وقال: أضل أعرابي الطريق ليلا، فلما طلع القمر اهتدى؛ فرفع رأسه إليه متشكرا فقال: ما أدري ما أقول لك وما أقول فيك؛ أأقول رفعك الله! فقد رفعك:

أم أقول: نورك الله! فقد نورك! أم أقول: حسنك الله! فقد حسنك؛ أم أقول:

عمرك الله! فقد عمرك؛ ولكني أقول: جعلني الله فداك! وقيل لأعرابي: ما تقول في ابن العم؟ قال: عدوك وعدو عدوك.

وقيل لأعرابي وقد أدخل ناقته في السوق ليبيعها: صف لنا ناقتك. قال: ما طلبت عليها قط إلا أدركت، وما طلبت إلا فت. قيل له: فلم تبيعها؟ قال: لقول الشاعر:

وقد تخرج الحاجات يا أم عامر ... كرائم من رب بهن ضنين

وقيل لأعرابي: كيف ابنك؟ وكان به عاقا؛ قال: عذاب لا يقاومه الصبر، وفائدة لا يجب فيها الشكر، فليتني قد استودعته القبر.

قيل لشريح القاضي: هل كلمك أحد قط فلم تطق له جوابا؟ قال ما أعلمه إلا أن يكون أعرابيا خاصم عندي ويشير بيديه، فقلت له: أمسك، فإن لسانك أطول من يدك! قال:

أسامري أنت لا تمس." (٢)

"وقيل لأعرابي: ما عندكم في البادية طبيب؟ قال: حمر الوحش لا تحتاج إلى بيطار.

وقال أعرابي يصف خاتما- فقال: سيف «١» تدوير حلقته، ودور كرسي قضته «٢» ، وأحكم تركيبه، وأتقن تدبيره، فبه يتم الملك، وينفذ الأمر، ويكرم الكتاب ويشرف المكتوب إليه.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤/٥٦

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤/٥٧

وقال آخر يصف خاتما:

وأبيض أما جسمه فمنور ... نقي وأما رأسه فمعار

ولم يكتسب إلا لتسكن وسطه ... بزيعة رأس ما عليه خمار «٣»

لها أخوات أربع هن مثلها ... ولكنها الصغرى وهن كبار «٤»

قولهم في المناكح

بين جاريتين:

يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن الحكم عن الشافعي قال: تزوج رجل من الأعراب امرأة جديدة على امرأة قديمة، وكانت جارية الجديدة تمر على باب القديمة فتقول:

وما يستوي الرجلان رجل صحيحة ... ورجل رمى فيها الزمان فشلت

ثم مرت بعد أيام فقالت:

.. وما يستوي الثوبان ثوب به البلى ... وثوب بأيدي البائعين جديد

فخرجت إليها جارية القديمة فقالت:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما القلب إلا للحبيب الأول." (١)

"كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبدا لأول منزل

أعرابي وولي امرأة:

الأصمعي قال: أخبرني أعرابي قال: خطب منا رجل مغموز امرأة مغموزة «١» فزوجوه؛ فقال رجل لولي المرأة: تعمم لكم فلان فزوجتموه! فقالوا: ما تعمم لنا حتى تبرقعنا له.

لأعرابية تنصح بنات عمها:

أبو حاتم عن الأصمعي قال: قالت أعرابية لبنات عم لها: السعيدة منكم من يتزوجها ابن عمها، فيمهرها بتيسين وكلبين وعيرين ورحيين، فينب «٢» التيسان، وينهق العيران، وينبح الكلبان، وتدور الرحيان، فيعج الوادي؛ والشقية منكن من يتزوجها الحضري، فيكسوها الحرير، ويطعمها الخمير، ويحملها ليلة الزفاف على عود- تعني: سرجا.

الأصمعي قال: سمعت أعرابيا يشار امرأته، فقالت لها أخته. أما والله أيام شرخه «٣» إذ كان ينكتك كما ينكت العظم عن مخه، لقد كنت له تبوعا، ومنه سموعا؛ فلما لان منه ما كان شديدا، وأخلق منه ما كان جديدا، تغيرت له! وايم الله لئن كان تغير منه البعض لقد تغير منك الكل.

لأعرابي في زوجته:

وقيل لأعرابي: كيف حبك لزوجتك؟ قال: ربما كنت معها على الفراش فمدت يدها إلى صدري، فوددت والله أن آجرة

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٥٨/٤

خرت من السقف فقدت يدها وضلعين من أضلاع صدري! ثم أنشأ يقول:

لقد كنت محتاجا إلى موت زوجتي ... ولكن قرين السوء باق معمر." (١)

"باعد ثواب الشاكرين مني

أعرابي ينشد غلاما:

مر أعرابي بقوم وهو ينشد ابنا له، فقالوا له: صفه. قال: كأنه دنينير! قالوا: لم نره. ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابي وعلى عنقه جعل، فقالوا: هذا الذي قلت فيه كأنه دنينير؟ فقال: القرنبي في عين أمها حسناء.

والقرنبى: دويبة من خشاش الأرض إذا مسها أحد تقبضت فصارت مثل الكرة.

لبعض الأعراب في الغزو:

قيل لأعرابي: ما يمنعك أن تغزو؟ قال: والله إني لأبغض الموت على فراشي، فكيف أن أمضي إليه ركضا.

وغزا أعرابي مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل له: ما رأيت مع رسول الله في غزاتك هذه؟

قال: وضع عنا نصف الصلاة، وأرجو في الغزاة الأخرى أن يضع النصف الباقي!

السختياني وبعض الأعراب:

جلس أعرابي إلى مجلس أيوب السختياني، فقيل له: يا أعرابي، لعلك قدري؟

قال: وما القدري؟ فذكر له محاسن قولهم؛ قال: أنا ذاك. ثم ذكر له ما يعيب الناس من قولهم؛ فقال: لست بذاك. قال: فلعلك مثبت؟ قال: وما المثبت؟ فذكر محاسنهم؛ فقال: أنا ذاك. ثم ذكر له ما يعيب الناس منهم؛ فقال: لست بذاك. قال أيوب: هكذا يفعل العاقل؛ يأخذ من كل شيء أحسنه.

جرير وأعرابي:

الأصمعي قال: سمع أعرابي جريرا ينشد:

كاد الهوى يوم سلمانين يقتلني ... وكاد يقتلني يوما بنعمان «١»." (٢)

"الأماكن المتباينة، والبلدان المتفرقة، وتدرس في كل عصر وزمان، وبكل لسان؛ واللسان وإن كان ذلقا فصيحا لا يعدو سامعه ولا يجاوزه إلى غيره.

البلاغة

قال سهل بن هارون: سياسة البلاغة أشد من البلاغة.

وقيل لجعفر بن يحيى بن خالد: ما البلاغة؟ قال: التقرب من المعنى البعيد، والدلالة بالقليل على الكثير.

وقيل لابن المقفع: ما البلاغة؟ قال: قلة الحصر، والجراءة على البشر. قيل له: فما العي؟ قال: الإطراق من غير فكرة، والتنحنح من غير علة.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٥٩/٤

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٧٠/٤

وقيل لآخر: ما البلاغة؟ قال: تطويل القصير، وتقصير الطويل.

وقيل لأعرابي: ما البلاغة؟ فقال: حذف الفضول، وتقريب البعيد.

وقيل لأرسطاطاليس: ما البلاغة؟ فقال: حسن الاستعارة.

وقيل لجالينوس: ما البلاغة؟ فقال: إيضاح المعضل، وفك المشكل.

وقيل للخليل بن أحمد: ما البلاغة؟ فقال: ما قرب طرفاه، وبعد منتهاه.

وقيل لخالد بن صفوان: ما البلاغة؟ قال: إصابة المعنى، والقصد للحجة.

وقيل لآخر: ما البلاغة؟ قال: تصوير الحق في صورة الباطل، وتصوير الباطل في صورة الحق.

وقيل لإبراهيم الإمام: ما البلاغة؟ فقال: الجزالة والإصابة.

تضمين الأسرار في الكتب

وأما تضمين الأسرار في الكتب حتى لا يقرؤها غير المكتوب إليه، ففيه أدب يجب معرفته، وقد تعلقت العامة بكتاب القمي والأصبهاني.

الأصبهاني: وكان أبو حاتم سهل بن محمد قد وصف لي منه أشياء جليلة من تبديل." (١)

"الحسن وعائشة بنت طلحة

: وقال الحسن بن علي بن حسين لامرأته عائشة بنت طلحة: أمرك بيدك! فقالت:

قد كان عشرين سنة بيدك فأحسنت حفظه، فلم أضيعه إذ صار بيد ساعة واحدة؛ وقد صرفته إليك! فأعجبه ذلك منها وأمسكها.

لرجل في طلاق امرأته

: وقال أبو عبيدة: طلق رجل امرأته وقال:

لقد طلقت أخت بني غلاب ... طلاقا ما أظن له ارتدادا

ولم أك كالمعدل أو أويس ... إذا ما طلقا ندما فعادا

قال أبو عبيدة: وطلاق المعدل وأويس يضرب به المثل.

لآخر في مثله

: ونكح رجل امرأة من عدي، فلما اهتداها رأت ربع داره أحسن ربع، وشمل عياله أجمع شمل؛ فقالت: أما والله لئن بقيت لهم لأشتتن أمرهم! وقالت في ذلك:

أرى نارا سأجعلها إرينا ... وأترك أهلها شتى عزينا

فلما انتهى ذلك إلى زوجها طلقها، وقال في ذلك:

ألا قالت هدي بني عدي ... أرى نارا سأجعلها إرينا «١»

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٤/٢٧٢

فبيني قبل أن تلحي عصانا ... ويصبح أهلنا شتى عزينا

وقيل لابن عباس: ما تقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء؟ فقال: يكفيه من ذلك عدد كواكب الجوزاء! وقيل لأعرابي: هل لك في النكاح؟ قال: لو قدرت أن أطلق نفسي لطلقتها.." (١)

"النفس الملكية

قيل لضرار بن عمرو: ما السرور؟ قال: إقامة الحجة وإدحاض الشبهة.

وقيل لآخر: ما السرور؟ قال: إحياء السنة وإماتة البدعة.

وقيل لآخر: ما السرور؟ قال: إدراك الحقيقة، واستنباط الدقيقة.

وقال الحجاج بن يوسف لخريم الناعم: ما النعمة؟ قال: الأمن، فإني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش. قال له زدني. قال: فالصحة فأني رأيت المريض لا ينتفع بعيش. قال له: زدني. قال له: الغنى، فإني رأيت الفقير لا ينتفع [بعيش] . قال له: زدني. قال:

فالشباب، فإني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش. قال له: زدني، قال: ما أجد مزيدا.

وقيل لأعرابي: ما السرور؟ قال: الأمن والعافية.

النفس الغضبية

قيل لحضين بن المنذر: ما السرور؟ قال لواء منشور، والجلوس على السرير، والسلام عليك أيها الأمير.

وقيل للحسن بن سهل: ما السرور؟ قال: توقيع جائز، وأمر نافذ.

وقيل لعبد الله بن الأهتم: ما السرور؟ قال: رفع الأولياء، ووضع الأعداء، وطول البقاء، مع الصحة والنماء.

وقيل لزياد: ما السرور؟ قال: من طال عمره، ورأى في عدوه ما يسره.

وقيل لأبي مسلم صاحب الدعوة: ما السرور؟ قال: ركوب الهمالجة «١» ، وقتل الجبابرة. وقيل له: ما اللذة؟ قال إقبال الزمان، وعز السلطان.." (٢)

"ومنهن تجريد الكواعب كالدمى ... إذا ابتز عن أكفالهن الملابس

وقيل ليزيد بن مزيد: ما السرور؟ قال: قبلة على غفلة. وكان صاحب وصائف.

وقيل لحرقة بنت النعمان: ما كانت لذة أبيك؟ قالت: شرب الجريال «١» ، ومحادثة الرجال.

وقيل لحضين بن المنذر: ما السرور؟ قال: دار قوراء «٢» ، وجارية حوراء، وفرس مرتبط بالفناء.

وقيل للحسن بن هانيء: ما السرور؟ قال: مجالسة الفتيان، في بيوت القيان، ومنادمة الإخوان، على قضب الريحان، وأنشأ يقول:

قلت بالعين لموسى ... وندامای نیام

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٣٠/٧

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٤٤/٧

يا رضيعي ثدي أم ... ليس لي عنه فطام

إنما العيش سماع ... ومدام وندام

فإذا فاتك هذا ... فعلى الدنيا السلام

معاوية وابن جعفر

: وقال معاوية لعبد الله بن جعفر: ما أطيب العيش؟ قال: ليس هذا من مسائلك يا أمير المؤمنين! قال: عزمت عليك لتقولن. قال: هتك الحيا، واتباع الهوى.

معاوية وابن العاص

: وقال معاوية لعمرو بن العاص: ما العيش؟ قال ليخرج من هنا من الأحداث! فخرجوا، فقال: العيش كله في إسقاط المروءة! وقال هشام بن عبد الملك: ألذ الأشياء كلها جليس مساعد يسقط عني مئونة التحفظ.

قيل لأعرابي: ما السرور؟ قال لبس البالي في الصيف، والجديد في الشتاء.." (١)

"محمد بن الحجاج البزاز– وكان راوية بشار– قال: قال بشار ذات يوم، وهو يعبث، وكان مات له حمار قبل ذلك، قال: رأيت حماري البارحة في النوم، فقلت له: ويلك! مالك مت؟ قال: إنك ركبتني يوم كذا وكذا، فمررنا على باب الأصبهاني، فرأيت أتانا «١» عند بابه، فعشقتها فمت! وأنشد:

سيدي خذ لي أمانا ... من أتان الأصبهاني

إن بالباب أتانا ... فضلت كل أتان

تيمتني يوم رحنا ... بثناياها الحسان

وبغنج ودلال ... سل جسمي وبراني

ولها خد أسيل ... مثل خد الشيقران

فبها مت ولو عش ... ت إذا طال هواني!

فقال له رجل من القوم: يا أبا معاذ، ما الشيقران؟ قال: هو شيء يتحدث به الحمير. فإذا لقيت حمارا فاسأله.

وقيل لأعرابي وهو واقف على ركية «٢» مالحة: كيف هذا الماء؟ قال: يخطيء القلب، ويصيب الاست.

وأخذ رجل شرب، فأتى به الوالي فقال: استنكهوه. فقالوا: إن نكهته لا تبين عنه. قال: فقيئوه. فقال الشارب: فإن لم أقيء شرابا فمن يضمن لي عشائي؟

رافق أعرابي أعرابيا في سفر فقال: أنا والله أشتهي كشكية «٣» . ومد بها صوته فضرط، فقال له صاحبه: ما نفختك يا بن عم! أبو الخطاب قال: كان عندنا رجل أحدب فسقط في بئر فذهبت حدبته وصار آدر، فدخلوا ليهنئوه، فقال: الذي

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢٤٦/٧

جاء شر من الذي ذهب.

أبو حاتم قال: رمي رجل أعور بنشابة، فأصابت عينه الصحيحة، فقال: أمسينا وأمسى الملك لله.." [1]

"القبر وإلى جانبه رجل مليح، فضحك، فقال له الناسك: ما أعددت لهذه الحفرة يا فلان؟ قال: قذفك فيها الساعة.

ودخل أعرابي الحمام فضرط، فقال نبطي كان في الحمام: صبحان الله. فقال له الأعرابي: يا بن اللخناء، ضرطتي أفصح من تسبيحك.

وقيل لأعرابي: مالك لا تجاهد؟ قال: والله إني أبغض الموت على فراشي، فكيف أسعى إليه ركضا.

شهادة أعرابي:

واستشهد أعرابي على رجل وامرأة زنيا، فقيل له، أرأيته داخلا وخارجا كالمرود في المكحلة؟ فقال: والله لو كنت جلدة استها ما رأيت هذا.

وجد منبوذ بضفة العراق وعند رأسه مائة دينار، ورقعة مكتوب فيها: أنا ابن الشقي وابن الشقية، وابن القدح والرطلية، وابن البغي والبغية، من كفلني فله هذه المية.

السندي بن شاهك والحجام:

السندي بن شاهك قال: بعث إلي المأمون بريدا وأنا بخراسان، فطويت المراحل حتى أتيت باب أمير المؤمنين وقد هاج بي الدم، فوجدته نائما، فأعلمت الحاجب بقصتي وقدمت إليه عذري وما هاج بي من الدم، وانصرفت إلى منزلي فقلت:

أحضروا إلي الحجام. قالوا: هو محموم. قلت: فهاتوا حجاما غيره ولا يكون فضوليا. فأتوني به، فما هو إلا أن دارت يده على وجهي حتى قال: جعلت فداك! هذا وجه لا أعرفه، فمن أنت؟ قلت: السندي بن شاهك. قال: ومن أين قدمت، فإني أرى أثر السفر عليك؟ قلت: من خراسان. قال: وأي شيء أقدمك؟ قلت:

وجه إلي أمير المؤمنين بريدا ... ولكن إذا فرغت فسأخبرك بالقصة على وجهها.

قال: وتعرفني بالمنازل والسكك التي جئت عليها؟ قلت: نعم.." [2]

"أعلم الناس بالنساء لعبدة بن الطيب قال أبو عمرو بن العلاء اعلم الناس بالنساء عبدة بن الطبيب حيث يقول فإن تسألوني بالنساء فإنني عليم بأدواء النساء طبيب إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودهن نصيب يردن ثراء المرء حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب وهذه الأبيات لعلقمة بن عبدة المعروف بالفحل وأول القصيدة طحا بك قلب فى الحسان طروب شر النساء **وقيل لأعرابي** عالم بالنساء صف لنا شر النساء قال." [3]

"الجارية على قبر أبيها سمع الحسن من جارية واقفة على قبر أبيها وهى تقول يا أبت مثل يومك لم أره قال الذي والله لم يرمثل يومه أبوك أبيات قيل إنها لأبى نواس وجد على قبر جارية إلى قبر أبى نواس ثلاثة أبيات فقيل إنها من قول أبى نواس

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٤٤/٨

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٤٦/٨

(٣) طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار ابن عبد ربه الأندلسي ص/١٦٠

وهى أقول لقبر زرته متلثما سقى الله برد العفو صاحبة القبر لقد غيبوا تحت الثرى قمر الدجى وشمس الضحى بين الصفائح والعفر عجبت لعين بعدها ملت البكا وقلب عليها يرتجى راحة الصبر أعرابية مات ابنها **قيل لأعرابية** مات ابنها ما أحسن عزاءك قالت إن فقدى إياه آمنني كل فقد سواه وإن مصيبتى به هونت على المصائب بعده ثم أنشأت تقول من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر كنت السواد لناظرى فعمى عليك الناظر ليت المنازل الديا ر حفائر ومقابر إنى وغيرى لا محالة حيث صرت لصائر." (١)

"مستعرزة: منقبضة شديدة، يقال: رأيت فلانا اعترز مني أي انقبض.

واستعرزت الجلدة في النار إذا تقبضت، قال الشماخ:

وكل خليل غير هاضم نفسه ... لوصل خليل صارم أو معارز

يقول: كل من لم يظلم نفسه لأخيه ويحمل عليها فإنه قاطع أو منقبض.

وحدثنا أبو بكر، قال: أخبرنا أبو حاتم، عن العتبي، قال: قال رجل لعبد الملك بن مروان، رحمه الله، تعالى: يا أمير المؤمنين، هززت ذوائب الرحال إليك فلم أجد معولا إلا عليك، أمتطي الليل بعد النهار، وأقطع المجاهل بالآثار، يقودني نحوك رجاء، وتسوقني إليك بلوى، والنفس راغبة، والاجتهاد عاذر، وإذا بلغتك فقدني، قال: احطط عن راحتك فقد بلغت

وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا الرياشي، عن العتبي، قال: سئل أعرابي، عن امرأة، فقال: هي أرق من الهواء، وأطيب من الماء، وأحسن من النعماء، وأبعد من السماء

وحدثنا قال: حدثنا الرياشي، عن الأصمعي، قال: العرب تقول: لا ثناء مع الكبر، ولا صديق لذي الحسد، ولا شرف لسيء الأدب.

قال: وكان يقال: شر خصال الملوك الجبن عن الأعداء، والقسوة على الضعفاء، والبخل عند الإعطاء

وحدثني أبو يعقوب وراق أبي بكر بن دريد، قال: حدثنا أحمد بن عبيد الجوهري، قال: سمعت أحمد بن عبد العزيز، يقول: سمعت أبي، يقول: قام رجل إلى معاوية، فقال له: سألتك بالرحم التي بيني وبينك، فقال: أمن قريش أنت؟ قال: لا، أفمن سائر العرب؟ قال: لا، قال: فأية رحم بيني وبينك؟ قال: رحم آدم، قال: رحم مجفوة، والله لأكونن أول من وصلها، ثم قضى حاجته

وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا الرياشي، عن الأصمعي، قال: **قيل لأعرابي** قدم الحضرة: ما أقدمك؟ فقال: الحين الذي يغطي العين

وحدثنا أبو عبد الله نفطويه، قال: حدثنا محمد بن موسى السامي، قال: حدثنا الأصمعي، قال: مات ولد لرجل من الأعراب فصلى عليه فقال: اللهم إن كنت تعلم أنه كريم الجدين، سهل الخدين، فاغفر له، وإلا فلا." (٢)

---

(١) طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار ابن عبد ربه الأندلسي ص/٢٠٣

(٢) أمالي القالي أبو علي القالي ١٩٨/١

"وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: سمعت عمى، يقول: سمعت أعرابية تقول لرجل: رماك الله بليلة لا أخت لها، أي لا تعيش بعدها

وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا عبد الرحمن، عن عمه، قال: قال أكثم بن صيفي: سوء حمل الفاقة يحرض الحسب، ويقوي الضرورة، ويذئر أهل الشماتة.

يذئر: يحرش، يقال: أذأرته بأخيه إذا حرشته عليه وأولعته به، وقد ذئر هو ذأرا حين أذأرته، قال الشاعر:

ولقد أتاني عن تميم أنهم ... ذئروا لقتلي عامر وتغضبوا

وحدثنا أبو بكر، قال: أخبرنا عبد الرحمن، عن عمه، قال: قال بعض العرب: أولى الناس بالفضل أعودهم بفضله، وأعون الأشياء على تذكية العقل التعلم، وأدل الأشياء على عقل العاقل حسن التدبير

وحدثنا أبو بكر، قال: أخبرنا عبد الرحمن، عن عمه، قال: قال رجل من العرب: ما رأيت كفلان، إن طلب حاجة غضب قبل أن يرد عنها، وإن سئل حاجة رد صاحبها قبل أن يفهمها

وحدثنا أبو بكر، قال: أخبرنا عبد الرحمن، عن عمه، قال: قال بعض الأعراب: لا أعرف ضرا أوصل إلى نياط القلب من الحاجة إلى من لم تثق بإسعافه ولا تأمن رده، وأكلم المصائب فقد خليل لا عوض منه

وحدثنا أبو بكر، قال: أخبرنا أبو حاتم، عن الأصمعي، قال: ذكر رجل حاتما الطائي فقال: كان إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سئل وهب، وإذا أسر أطلق

وحدثنا قال: أخبرنا عبد الرحمن، عن عمه، قال: قيل لأعرابي: أي شيء أمتع؟ فقال: ممازحة المحب، ومحادثة الصديق، وأماني تقطع بها أيامك

وحدثنا قال: حدثنا عبد الرحمن، عن عمه، قال: سمعت أعرابيا، يقول: من لم يرض عن صديقه إلا بإيثاره على نفسه دام سخطه، ومن عاتب على كل ذنب كثر عدوه، ومن لم يواخ من الإخوان إلا من لا عيب فيه قل صديقه

وأنشدنا أبو عبد الله:

لا أملأ كفي به ... واللبد لا أتبع تزواله." (١)

"أي ذو كثرة من المال.

وقال ابن الأعرابي: يقال: انفجر الجرح وانثجر.

وطلف على الثمانين وطلث: اذا زاد عليها.

وقرأت على أبي بكر بن دريد، رحمه الله، لطفيل:

كأن على أعطافه ثوب مائح ... وإن يلق كلب بين لحييه يذهب

أعطافه: جوانبه وإنما له عطفان.

والمائح: الذي ينزل في البئر فيملأ الدلو فكلما جذبت دلو انصب عليه من مائها فابتل: فشبه الفرس وقد ابتل من العرق

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ٢١٤/١

بثوب المائح، ومثله: أبيت كأني كل آخر ليلة من الرحضاء آخر الليل مائح وقوله: وإن يلق كلب بين لحييه أراد أنه واسع الشدقين، ثم قال:

كأنه على أعرافه ولجامه ... سنا ضرم من عرفج متلهب

السنا: الضوء، فيقول: كأن على أعرافه ولجامه ضوء ضرم، واذا كان له ضوء كان له حفيف، فيقول: يحف من شدة العدو، حتى كأن عرفجا يتضرم على أعرافه وعنانه، ومثله قول العجاج:

كأنما يستضرمان العرفجا

يستضرمان: يوقدان، يعني حمارين كأنما حفيفهما حفيف العرفج.

وكان ابن الأعرابي يقول: سألت غنيا كلها أو سمعت غنيا تقول: إنما وصفه بالشقرة، شبه شقرته على عنانه في حر الشمس بتوقد النار في يبيس العرفج،.

وكان عمارة بن عقيل يقول أيضا: وصفه بالشقرة.

وبيت طفيل هذا أحد الأبيات التي غلب فيها أبو نصر على ابن الأعرابي، وذلك أن أبا نصر ذهب فيه إلى قول الأصمعي، وهو التفسير الأول، ومثله في الحفيف:

جموحا مروحا واحضارها ... كمعمعة السعف المحرق

حديث رجل من الأعراب تزوج اثنين وقد قيل له من لم يتزوج اثنتين لم يذق حلاوة العيش

حدثنا أبو بكر، فقال: أخبرنا عبد الرحمن، عن عمه، قال: **قيل لأعرابي**: من لم يتزوج امرأتين لم يذق حلاوة العيش، فتزوج امرأتين ثم ندم فأنشأ يقول:

تزوجت اثنتين لفرط جهلي ... بما يشقى به زوج اثنتين

فقلت أصير بينهما خروفا ... أنعم بين أكرم نعجتين." (١)

"قال: وقرأت على أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، عن أبيه، قال: **قيل لأعرابي**: كيف كتمانك للسر؟ قال: أجحد المخبر، وأحلف للمستخبر

قال: وقرأت على أبي بكر في شعر قيس بن الخطيم.

أجود بمضنون التلاد وإنني ... بسرك عمن سالني لضنين

إذا جاوز الإثنين سر فإنه ... بنث وتكثير الحديث قمين

وإن ضيع الإخوان سرا فإنني ... كتوم لأسرار العشير أمين

يكون له عندي إذا ما ضمنته ... مكان بسوداء الفؤاد كنين

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ٣٥/٢

ويروى:

. . . . إذا ما ائتمنته ... مقر بسوداء الفؤاد كنين

سلي من جليسي في الندى وما لقي ... ومن هو لي عند الصفاء خدين

وأي أخى حرب إذا هي شمرت ... ومدره خصم يا نوار أكوان

ويروى: عند ذاك أكون.

وهل يحذر الجار الغريب فجيعتي ... وخوني وبعض المقرفين خئون

وما لمعت عيني لغرة جارة ... ولا ودعت بالذم حين تبين

أبى الذم آباء نمتنى جدودهم ... وفعلي بفعل الصالحين معين

فهذا كما قد تعلمين وإنني ... لجلد على ريب الخطوب متين

وإني لأعتام الرجال بخلتي ... أولى الرأي في الأحداث حين تحين

فأبري بهم صدري وأصفي مودتي ... وسرك عندي بعد ذاك مصون

أمر على الباغي ويغلظ جانبي ... وذو الود أحلولي له وألين

فصل في ألفاظ معناها واحد وبعض حروفها مختلفة

قال الأصمعي، يقال: طاروا عباديد وأباديد أي متفرقين، ويقال: هاث فيه وعاث إذا أفسد وأخذ الشيء بغير رفق، ويقال: بط فلان جرحه وبجه، وأنشد:." (١)

"وبينما المرء في الأحياء مغتبطا ... إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير

يبكي الغريب عليه ليس يعرفه ... وذو قرابته في الحي مسرور

حتى كأن لم يكن إلا تذكره ... والدهر أيتما حل دهارير

الأعاصير جمع إعصار، والإعصار: الريح تثير الغبرة.

قال: وقرأت على أبي عمر، قال: أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى، عن ابن الأعرابي، لرافع بن هريم اليربوعي:

وصاحب السوء كالداء الغميض إذا ... يرفض في الجوف يجري هاهنا وهنا

يبدي ويظهر عن عورات صاحبه ... وما رأى من فعال صالح دفنا

كمهر سوء إذا سكنت سيرته ... رام الجماح وإن رفعته سكتا

إن عاش ذاك فأبعد عنك منزله ... أو مات ذاك فلا تقرب له جننا

يقال: غمض وغمض، فمن قال: غمض، قال في الفاعل: غميض، ومن قال: غمض، قال في الفاعل: غامض، والجنن، والريم، والرمس، والجدث، والجدف: القبر.

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ١٧٧/٢

قال وقرأت عليه، قال: أنشدنا أبو العباس، عن ابن الأعرابي:

وإذا صاحبت فاصحب ماجدا ... ذا عفاف وحياء وكرم

قوله للشيء لا إن قلت لا ... وإذا قلت نعم قال نعم.

قال وقرأت عليه، قال: حدثنا أبو العباس، عن ابن الأعرابي، قال **قيل لأعرابي**: أيما أحب إليك الخبز أو التمر؟ فقال: التمر حلو، وما عن الخبز مصبر، قال: ومضى هذا الأعرابي الذي قال: التمر حلو ثم عاد، فقيل له: مالك عدت؟ فقال: إن الذئب لا يدع غيطا شبع فيه

قال وحدثنا أبو بكر بن دريد، قال: أخبرنا عبد الرحمن، عن عمه، قال: نزل رجل من العرب في قوم عدى فأساءوا عشرته، فقيل له: كيف وجدت جيرتك؟ فقال: يغتابنا أقصاهم، ويكذب علينا أدناهم، ويكثرون لدينا نجواهم، ويكشفون علينا خصاهم." (١)

"وكنت كليلة الشيباء همت ... بمنع الشكر أتأمها القبيل

وفي ذكر الشمس قول الراجز من بديع الشعر:

وقد تعاللت ذميل العنس ... بالسوط في ديمومة كالترس

إذ عرج الليل بروج الشمس

وقال الآخر:

إن سر ... عدد ملمسا ... لو بطحوا الشمس لكانت أشمسا

أو حبسوها احتبست عن المسا

والشمس شيء من حلي العرب. قال ابن ميادة:

وجيد حلي الشذر منهن شامس

وقال ابن مناذر:

جاءت ترفل في ثيا ... ب اسكندرانية حسان

شمس على وجهها شموس ... تزفها أشمس ثمان

وليس على قول الصنوبري مزيد على حسنه وإحسانه:

ويوم يكلله بالشموس ... صفاء الهوى في صفاء الهواء

بشمس الجنان وشمس الدنان ... وشمس القيان وشمس السماء

الفيهج: قال: الفيهج اسم موضوع غير مشتق، ومثاله حرف واحد يشبهه وهو سيهج للريح الشديدة، وهما حرفان، واختلف أولهما؛ بالعكس منهما في اختلاف آخره تنوم وتنور، وليس لهما ثالث.

قال:

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ١٨٢/٢

ألا سقياني فيهجا جدرية ... بماء سحاب يسبق الحق باطلي

الفيهج الياء والهاء من حروف الزوائد، فإن جعلت الهاء أولى بالزيادة فهو من أفاج الرجل إفاجة إذا أسرع، ومنه الفيج كأنها سميت بذلك لإسراعها في عقول الشاربين.

قال الشاعر:

الفيج علقمة الكبري خبرنا ... أن الربيع أبا مروان قد حضرا

فقلت للنفس هاتا منية قدرت ... وقد توافق بعض المنية القدرا

وتفاجت الناقة إذا فجحت رجليها لتبول. **وقيل لأعرابي**: تعرف لقاح الناقة؟ قال: أرى العين هاجا، والسنام راجا، وأراها تفاج كأنها تبول.

الغرب

قال: الغرب اشتقاقها من شيئين، من الغرب وهو الحد، يقال سيف دقيق الغرب أي الحد، والغراب أيضا، وفي وصف بعضهم هو أحد غربا، وأغرب سكبا، كأنها لحدتها وسورتها سميت بذلك. والثاني سميت غربا لغربتها وغروبها في الخوابي. وأكثر ما تضع العرب الغين والراء والباء على تواري الشيء وغيبته وبعده واستخفائه، ومنه غربت الشمس أي غابت، الغراب لغربته عن الناس والعمران، وهم يسمون الذئب والغراب أصرمين لانصرامهما عن الناس، والغرب الفضة لغيبتها في المعدن. وعلى هذا يكون اسم الخمر فعلا بمعنى مفعول أي مغربة في الأوعية والخوابي، كالطرح بمعنى المطروح، والقبض للمال المقبوض، والنفض للورق المنفوض، كما أن المفعول يقع بمعنى فعل كقولهم ماله مجلود أي جلد.

قال جرير:

.... بلغ العزاء وأدرك المجلودا

ومما يقوي هذا الاشتقاق أن الطاء واللام والعين ضده، تصفه العرب بالظهور والبروز وخروج الشيء من حجابه. تقول طلعت الشمس خرجت من حجابها، والطلع طلع النخل لظهوره، ورجل طلعة قبعة، ومنه طليعة الجيش أول ما يظهر، وطلعة الإنسان. وطويلع اسم ماء لطلوعه وظهوره قليلا قليلا. قال لبيد:

............كما ... دعدع ساقي الأعاجم الغربا

وقال الأعشى:

إذا انكب أزهر بين السقاة ... تراموا به غربا أو نضارا

وتقول العرب هل من مغربة خبر؟ أي خبر جاء من مكان بعيد.

الحميا

قال هم تارة يجعلون الحميا الخمر كما قال الهجيمي:

ألا رب ندمان كرام تركتهم ... بكأس الحميا بعد إغرابهم عنا

وتارة يجعلونها سورة الخمر، فيقولون سارت فيهم حميا الكأس، وسميت بذلك لمنعها جانبها وشدتها. وأصل الكلمة حمي ثم

بنوها مصغرة بناء حبيلى حميا فأدغموا إحدى الياءين في الأخرى فصارت حميا على وزن ثريا، وتكبيرها ثروى وهي المرأة الكثيرة الولد. وسمي الرجل ثروان، والمال الثري: الكثير، والثريان المطر وندى الأرض. وقال جرير:." (١)

"٣٦٣ – أبو بكر عبد الله بن محمد بن النعمان بن عبد السلام

توفي سنة إحدى وثمانين يوم الأحد.

يروي عن أبي نعيم، وعمرو بن طلحة العباد، وأبي ربيعة، والناس، كثير الحديث، ثقة، مأمون، كان يمتنع من الحديث، رأى دويا فحدث، قال أبو عمرو بن عقبة: سمعت علي بن مثوبة، يقول: ما أحد وقع عليه الولاية إلا عبد الله بن محمد بن النعمان، يعني أنه من أولياء الله، وحكى أن أباه، قال يوما وهو يشتكي عينه: لا يأكل العنب، فقال له مالك: لا تأكله! ، فقال: ما أكلته مذ قلت لي لا تأكله.

وحدثنا أبو علي بن إبراهيم، قال: ثنا أبو بكر بن النعمان، قال: ثنا محمد بن حاتم، قال: ثنا الحسن بن يحيى، قال: قيل لأعرابي ما البلاغة؟ قال «أن تجيب فلا تبطئ، وأن تصيب فلا تخطئ»." (٢)

"الإسلام، ما رأيت أحدا رد كفئا إلا نزلت به بلية ظاهرة، أو خزي يسوؤه.

قال: وأخبرني الرياشي عن الأصمعي قال: لم تنصل لحيتي حتى بلغت ستين سنة، ولم تنصل لحية ابن الزبير حتى بلغ ستين سنة.

قال: وسمعته يقول: رب رجل قد أدخله الله جنات النعيم، لا يدري من هذا شيئا.

قال: وقال أبو حاتم: قال الأصمعي: حدثنا كردين –واسمه مسمع– قال: قيل لأعرابي: كيف وضوؤك؟ قال: أتوضأ وأسبغ، ولا تقطر على الأرض قطرة.

قال: وقال أبو حاتم: حدثني الأصمعي قال: قال رجل لابنه: يا بني، لا تشتر دابة؛ فإنك تنام وهي تعمل فيما يسوؤك، ولكن اشتر أرضا؛ فإنك تنام وهي تعمل فيما يسرك.

قال: وقال أبو حاتم: قال الأصمعي: أنا لم أر أحدا بعد أبي عمرو أعلم مني.

قال أبو حاتم: قال الأصمعي: وكان كثيرا ما يقول لي: يا بني، إن طفئت شمعة عيني –وربما قال: شحمة عين عمك– لم تر مثلي. وربما قال: لم تر أحدا يشفيك من هذا الحرف أو من هذا البيت.

قال: وسمعت عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي يقول: سمعت عمي يقول: أحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة. وسمعت عمي يقول: أرسل إلي هارون –يعني الخليفة– فدخلت عليه، فإذا هو على كرسي جالس والفضل بن الربيع على كرسي، وإذا بنطع مبسوط عليه رجل مقتول، قال: فجلست. قال: فقال لي الفضل بن الربيع: يا عبد الملك، هذا جعفر قد أخزاه الله. قال: فسكت. قال:." (٣)

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب السري الرفاء ص/١١٢

(٢) طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها أبو الشيخ الأصبهاني ٢٨٩/٣

(٣) طبقات النحويين واللغويين الزبيدي، أبو بكر ص/١٦٨

"فقال هارون: قم. فقمت.

وسمعت عمي يقول: سمعت هارون يقول: ما رأيت أوفى من الأصمعي بعد، ما ذكرت جعفرا لأحد إلا دعا عليه أو شتمه، إلا الأصمعي.

قال أبو عبد الملك: قال العباس بن الفرج: سمعت عمرو بن مرزوق قال: رأيت سيبويه والأصمعي يتناظران، قال: يقول يونس: الحق مع سيبويه، وقد غلب ذا -يعني الأصمعي- بلسانه.

قال: وقال أبو حاتم: حدثنا الأصمعي قال: بلغني عن أعرابي قال: الصمت صيانة للسان وستر للعي.

قال: وقال أبو حاتم: أخبرنا الأصمعي قال: قيل لأعرابي: ألا أقل من الرجاء؟ قال: بلى، اليأس المريح أقل منه.

قال: وقال أبو حاتم: حدثنا الأصمعي قال: قال رجل لابنه: إن الغالب بالشر لمغلوب.

قال: وقيل لأعرابي: ما العيش؟ قال: الأمن والصحة، فإن كان مع ذلك سداد من عيش فذلك.

وكان الأصمعي من أروى الناس للرجز، فزعموا أنه حفظ أربعة عشر ألف أرجوزة، فقيل له: أفيها شيء هو بيت أو بيتان؟ فقال: فيها المئة والمئتان.

وكان من أوثق الناس في اللغة، وأسرع الناس جوابا، وأحضر الناس ذهنا.

وزعموا أن الرشيد في بعض أسفاره رأى نارا بالليل من بعيد، فقال للأصمعي والكسائي واليزيدي: أنشدوني في هذه النار. فأنشد الأصمعي عدة أبيات، ولم يذكر اليزيدي والكسائي في الوقت شيئا، فلما فرغ الأصمعي من إنشاده قالا للرشيد: والله يا أمير المؤمنين ما أنشدك شيئا إلا وقد عرفناه، ولكنه أحضر ذهنا منا.

حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا محمد بن." (١)

"قيل لأعرابي: كيف حالك؟ فقال: ما حال من يفنى ببقائه، ويسقم بسلامته، ويؤتى من مأمنه.

أخذه الناجم فقال:

هل موئل من شهاب الدهر ينجينا ... أي وما نتقيه كامن فينا

إن الغذاء الذي نحيا به زمنا ... يعود آونة داء فيفنينا

وأخذه أيضا ابن الرومي فقال:

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة ... إذا زال عن عين البصير غطاؤها

وكيف بقاء النفس فيها وإنما ... ينال بأسباب الفناء بقاؤها

ونقله إلى موضع آخر فقال:

فإن الداء أكثر ما تراه ... يكون من الطعام أو الشراب." (٢)

---

(١) طبقات النحويين واللغويين الزبيدي، أبو بكر ص/١٦٩

(٢) المصون في الأدب العسكري، أبو أحمد ص/١٥١

"[٣٧٢]- قد صار من سقط الجند.

[٣٧٣]- باعه الله في الأعراب حتى يعلم أيضا أن الميت يضرط.

[٣٧٤]- فلان يقيس الملائكة بالحدادين.

٣٧٥- يا من رأى أرضا تعيب سماء.

[٣٧٦]- آكل من صوفي.

[٣٧٢]- في ثمار القلوب: ٦٨٠ «سقط الجند: هم الذين أسقطت أرزاقهم فلا أذل منهم، ولا أضيع، ويضرب بهم المثل في السقوط والذل» . والمثل في المجمع ٢: ١٣٠.

[٣٧٣]- في الإمتاع والمؤانسة ٣: ٤٥ «وقيل لأعرابي: لم قالت الحاضرة للعبد: باعك الله في الأعراب؟ قال: لأنا نعري جلده، ونطيل كده، ونجيع كبده» وينظر التمثيل:

٣٢٣، والمجمع ٢: ٤١٠، وروايته: «هذا حتى تعلم ... » .

[٣٧٤]- في الفاخر: ١١٢ «تقيس ... إلى ... » وكذلك روايته في جمهرة الأمثال ١: ٢١٧، والتمثيل: ٣٢٤، وروايته «لا يقاس الملائكة ... » ، والمجمع ١: ١٣٦ وروايته: «تقيس ... إلى ... » . وروى له قصة. والحدادون: السجانون، وكل مانع حداد.

[٣٧٦]- في ثمار القلوب: ١٧٤ « ... يضرب المثل بأكل الصوفية، يقال: آكل من الصوفية، وآكل من الصوفي، لأنهم يدينون بكثرة الأكل ... » وفي الإمتاع ٣: ٢٤ «قيل لصوفي: ما حد الشبع؟ قال: لا حد له، ولو أراد الله أن يؤكل بحد لبين كما بين جميع الحدود» .." (١)

"الرقيق ولا يأكل النقي ولا يتخذ بوابا ولما قدم أبو هريرة رضي الله عنه من البحرين، قال عمر رضي الله عنه يا عدو الله وعدو كتابه أسرقت مال الله تعالى، قال لست بعدو الله ولا عدو كتابه ولكن عدو من عاداهما لم أسرق من مال الله تعالى، قال فمن أين جمعت لك عشرة آلاف، قال خيلي تناسلت وسهامي تتابعت فقبضها منه. وقال أبو هريرة فلما صليت الصبح استغفرت لأمير المؤمنين ثم قال لي ألا تعمل؟

قلت لا، قال قد عمل من هو خير منك يوسف، فقلت نبي ابن نبي، قلت أخشى خمسا: أن أقول بغير علم وأحكم بغير حق وأن يضرب ظهري ويشتم عرضي وينزع مالي، فقال كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة. وقال معاوية لعامل كل قليلا تعمل طويلا والزم العفاف يلزمك العمل وإياك والرشا يشتد ظهرك عند الخصام، وقيل لأعرابي أكلت مال الله عز وجل، قال فمال من آكل، ولما قدم معاذ من اليمن، قال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه ارفع حسابك، فقال حسابان حساب من الله تبارك وتعالى وحساب منكم والله لا وليت لكم عملا أبدا والله أعلم بالصواب.

(١) الأمثال المولدة الخُوَارِزْمي، أبو بكر ص/١٤٠

(كتاب في التواريخ)

وفيه ثلاثة عشر بابا أصولا ويشتمل على اثنين وعشرين." (١)

"الليل للأحلام وقيل النساء بنات الصدور ما يضمر الإنسان من خير وشر لصاحب زوج بنات صدرك إلى بني علمي ما كلمته ببنت شفة اي بكلمة بنات الفلا للإبل بنات دجلة للمسك بنات القفر للوحش بنات الخدور للعذارى ويقال بنات الحجال بنات التنانير للرغفان قيل لأعرابي تمن طعاما، قال أطعموني بنات التنانير وأمهات الأبازير وحلو الطناجير ثم اسقوني رعاف القوارير من يدي شادن غرير، بنات اللهو للأوتار (فصل) في الأذواء؛ ذو المنار ضرب المنار على طرفه ليستهدي ذو مرحب لأنه أول من رحب به ذو بدن مالك ذو العصائب من ملوك الحبشة ذو كلاع موضعان ذو الأوتاد فرعون ذو القرنين اسكندر دخل الظلمات من ناحية القسطنطينية وقطب الشمال في أربعمائة رجل وسار فيها ثمانية عشر يوما وخرج على طريق خراسان كان أشقر أبرص قصيرا أحنف هلك ببابل، ذو الأعواد محاشى بن معاوية ذو الأكتاف سابور ملك الفرس ذو الرياستين أمية بن جشم بن قيس ذو العينين قتادة بن النعمان ذو اليدين نفيل بن حبيب ذو القلبين حميد بن معمر لدهائه وعقله ذو اللسانين مرار بن كنيف ذو الفرحتين سعد بن عاجز ذو النورين، عثمان بن عفان رضي الله عنه لأن النبي صلى الله عليه وسلم زوجه رقية وأم كلثوم، ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت، ذو النقاب لعلي بن الحسين." (٢)

"٩٥٣ وقال عبد الله بن مسعود "إن الرجل ليظلمني فارحمه" فنظم محمود هذا فقال [كامل] :

إني شكرت لظالمي ظلمي ... وغفرت له ذاك على علم

ما زال يظلمني وأرحمه ... حتى رثيت له من الظلم

٩٥٤ وقال نادب الأسكندر عن وفاته –وقد بكى من كان بحضرته– "حركنا بسكونه فنظم هذا، أبو العتاهية فقال [خفيف] :

قد لعمري حكيت لي غصص المو ... ت وحركتني لها وسكنتا

٩٥٥ ويقال إنه لما مات الإسكندر ندبه أرسطاطاليس فقال: "قال ما كان هذا الشخص واعظا بليغا، وما وعظ بكلامه موعظة قط أبلغ من موعظته بسكوته "فنظم هذا المعنى صالح بن عبد القدوس وبسط لفظه"، فقال وأحسن [خفيف] :

وينادونه وقد صم عنهم ... ثم قالوا: وللنساء نحيب

ما الذي عاق أن ترد جوابا ... أيها المقول الألد اللبيب

إن تكن لا تطيق رجع جواب ... فيها قد نرى وأنت مطيب

---

(١) مفيد العلوم ومبيد الهموم الخُوَارِزْمي، أبو بكر ص/٤٦٦

(٢) مفيد العلوم ومبيد الهموم الخُوَارِزْمي، أبو بكر ص/٤٩٣

ذو عظات وما وعظت بشيء ... مثل وعظ السكوت إذ لا تجيب
وأحسبه نظر في قوله "إن تكون لا تطيق رجع جواب" إلى مخاطبه المؤيد لقباذ بعد موته: "كان الملك أمس أنطق منه اليوم، وهذا اليوم أوعظ منه أمس".

٩٥٦ وفي خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعظ الناس بها حين ضربه ابن ملجم لعنه الله: "وليعظكم هدوئي، وخفوت أطرافي، فإنه أوعظ لكم من النطق البليغ" فنظم أبو العتاهية لفظ المؤيد فقال وعضد المعنى بما يهيج اللوعة، ويقدح زناد الكآبة والوجد [وافر] :

طوتك خطوب دهرك بعد نشر ... كذاك خطوبه نشرا وطيا

فلو نشرت قواك لي المنايا ... شكوت إليك ما صنعت إليا

كفى حزنا بدفنك ثم إني ... نفضت تراب قبرك عن يديا

وكانت في حياتك لي عظات ... فأنت اليوم أوعظ منك حيا

٩٥٧ فاحتذى هذا المعنى ابن طباطبا العلوي فقال [كامل] :

وعظ الورى بسكونه فأتاهم ... ببيان قس حين قال له اخطب

٩٥٨ وخرج عمر بن عبد العزيز مع جماعة من أهله، فمر بمقبرة فقال "قفوا حتى آتي الأحبة فأسألهم وأسلم عليهم" فلما تسوطها وقف، فسلم، ثم قال لأصحابه لما عاد إليهم: ألا تسألون ماذا قلت؟ وماذا قيل لي؟ وقالوا يعرفنا أمير المؤمنين! قال: "لما وقفت وسلمت فلم يردوا، ودعوت فلم يجيبو، نوديت: يا عمر! أما تعرفني؟ أنا الذي غيرت محاسن وجوههم، ومزقت الأكفان عن جلودهم، وفرقت المفاصل والأقدام، ومنعتهم عن الأنفاس والكلام" ثم لم يزل يبكي حتى سقط مغشيا، فنظر إلى هذا المعنى أبو العتاهية فقال [كامل] :

إني سألت الترب ما فعلت ... بعدي وجوه فيك منعفره

فأجابني: صيرت ريحهم ... تؤذيك بعد روائح عطره

وأكلت أجسادا منعمة ... كان النعيم يصونها نضره

لم يبق غير جماجم بليت ... بيض تلوح، وأعظم نخره

٩٥٩ وقيل لأعرابي، وقد خلا بمن أحب، ما رأيت؟ فقال: "ما زال القمر يرينها، فلما غاب أرتنيه" فنظم هذا الحسن بن سهل فقال [وافر] :

أراني البدر سنتها عشاء ... فلم أزمع البدر الأفولا

أرتنيه، بسنتها فكانت ... من البدر المنور لي بديلا

فنظر إلى هذا البحتري، فقال ولم يستوفه [طويل] :

أضرت بضوء البدر، والبدر طالع ... وقامت مقام البدر لما تغيبا

٩٦٠ ويروى أن أرسطاطاليس قال "قد تكلمت بكلام لو مدحت به الدهر ما جارت علي صروفه" فنظم هذا المعنى أبو عثمان الناجم، وأحسن فقال [وافر] :

ولي في حامد أمل قديم ... ومدح قد مدحت به طريف

مديح لو مدحت به الليالي ... لما جارت علي لها صروف

هذا باب

في اتساع المعنى والشركة مما يشبه المأخوذ وليس بمأخوذ

٩٦١ فمن ذلك قول امرئ القيس [متقارب] :

إنا وإياهم وما بيننا ... كموضع الرود من الكاهل

٩٦٢ وللحارث بن حلزة [متقارب] :

وبيت شراحيل في وائل ... مكان الثريا من الأنجم

٩٦٣ ولسحيم بن وثيل [وافر] .

ألم تر أنني من حميري ... مكان الليث من وسط العرين

٩٦٤ ولمعقل بن مجمح الأسدي [وافر] :

ولو أني أشاء لكنت منهم ... مكان الفرقدين من النجوم

٩٦٥ وقال أبو الكنود الخزاعي وهو جاهلي [وافر] :." [(١)]

"فقال ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم﴾ [التوبة: ٣٦] وهي شهر رجب وذي القعدة وذي الحجة والمحرم، **وقيل لأعرابي** يتفقه كم الأشهر الحرم قال أربعة ثلاثة سرد وواحد فرد.

ومن باب صوم يوم عرفة

قال أبو داود: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حوشب بن عقيل عن مهدي الهجري حدثنا عكرمة قال كنا عند أبي هريرة

(١) حلية المحاضرة ابن المظفر الحاتمي ص/١٠٨

في بيته فحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صوم يوم عرفة.

قلت هذا نهي استحباب لا نهي إيجاب، وإنما نهى المحرم عن ذلك خوفا عليه أن يضعف عن الدعاء والابتهال في ذلك المقام، فأما من وجد قوة ولا يخاف معها ضعفا فصوم ذلك اليوم أفضل له إن شاء الله، وقد قال صلى الله عليه وسلم صيام يوم عرفة يكفر سنتين سنة قبلها وسنة بعدها.

وقد اختلف الناس في صيام الحاج يوم عرفة فروي عن عثمان بن أبي العاص وابن الزبير أنهما كانا يصومانه وقال أحمد بن حنبل إن قدر على أن يصوم صام وإن أفطر فذلك يوم يحتاج فيه إلى قوة. وكان إسحاق يستحب صومه للحاج وكان عطاء يقول أصوم في الشتاء ولا أصوم في الصيف، وكان مالك وسفيان يختاران الإفطار للحاج، وكذلك الشافعي وروي عن ابن عمر أنه قال لم يصمه النبي صلى الله عليه وسلم ولا أبوبكر ولا عمر ولا عثمان ولا أصومه أنا.

ومن باب صوم عاشوراء ومن قال هو اليوم التاسع

قال أبو داود: حدثنا سليمان بن داود المهري أخبرنا ابن وهب أخبرني يحي بن أيوب أن إسماعيل بن أمية حدثه أنه سمع أبا غطفان يقول سمعت عبد الله." (١)

"من الآفاق، قال له: اعفني من أربع، وقل بعدها ما شئت ألا تكذبني فإن الكذوب لا رأي له، ولا تجبني فيما لا أسألك عنه، فإن في الذي أسألك عنه شغلا عما سواه، ولا تحملني على الرعية، فإنهم إلى معدلتي ورأفتي أحوج.

الزرع والجراد

حدثنا الحسين بن علي بن المرزبان النحوي، قال: حدثني أبو الحسن الأسدي أحمد بن عبد الله بن صالح بن شيخ بن عميرة، حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه الأصمعي، قال: **قيل لأعرابي**: أكان لك زرع؟ قال: نعم، ولكن أتانا رجل من جراد، تنبل مناجل الحصاد، فسبحان مهلك القوي الأكول، بالضعيف المأكول.

المتفضل جاوز حد المنصف

حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن خلف السكري، حدثنا أبو يعلى زكريا بن يحي بن خلاد المنقري البصري الصيرفي، ثنا الأصمعي، عمن أخبره:

أن أبا جعفر المنصور حين عفا عن أهل الشام، قال له رجل، يا أمير المؤمنين! الانتقام عدل والتجاوز فضل، والمتفضل قد جاوز حد المنصف، فنحن نعيذ أمير المؤمنين بالله عز وجل من أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين، وألا يرتفع إلى أعلى الدرجتين.

المجلس التاسع والعشرون

---

(١) معالم السنن الخطابي ١٣١/٢

الناس سواء كأسنان المشط

حدثنا إبراهيم بن المفضل بن حيان الحلواني، حدثنا أبو حمزة إدريس بن يونس الفراء، حدثنا علي بن عثمان بن عمر بن ساج، حدثنا سليمان بن عبد الله، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الناس سواء كأسنان المشط، وإنما يتفاضلون بالعافية، والمرء كثير بأخيه، ولا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له ".

قال القاضي: وقد تضمن هذا الخبر بألفاظه اللطيفة الجامعة، ومعانية الشريفة النافعة، حكما متقبلة في العقل، ثابتة في الفضل، راجحة في ميزان العدل.

وقوله عليه السلام: " الناس سواء كأسنان المشط " من أبين الكلام النبيه، وأحسن التمثيل والتشبيه، وقد قال الشاعر:

سواسية كأسنان الحمار

فنحا هذا النحو في العبارة من التساوي والتشاكل، والاشتباه والتماثل.

فأما قول هذا الشاعر: سواسية.. فإن بعض علماء أهل اللغة ذكر أن السواسية هم المتساوون في الشبه، وأن هذا القول إنما يستعمل في الذم، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: " الناس سواء كأسنان المشط، وإنما يتفاضلون بالعافية "، تأديب لهم وحض لهم على تفكرهم في أنفسهم، وأنهم يتساوون في الأصل، ويتفقون في الخلق والجبل، ويتفاوتون في منازل." [(١)]

"الحديث فقل: حدثني بهذا الحديث سفيان بن سعيد الثوري، ثم خل بيني وبين ربي يا شعيب (١) .

٣٠٣٧- (٣٨) حدثنا عبيدالله بن عبدالرحمن السكري قال: حدثنا أبويعلى زكريا بن يحيى بن خلاد المنقري قال: حدثنا الأصمعي قال: قيل لأعرابي: يا أعرابي، أعطى الخليفة فلانا مئة ألف، قال: بل أعطاه إياها الذي لو شاء لأعطاه مكانها عقلا.

٣٠٣٨- (٣٩) أخبرنا عبيدالله قال: حدثنا زكريا قال: حدثنا المرجى (٢) بن المؤمل قال: حدثني أبي قال: قيل للأحنف: ما المروءة؟ قال: أن لا تعمل في السر شيئا تستحي منه في العلانية (٣) .

٣٠٣٩- (٤٠) حدثنا أبوطاهر محمد بن عبدالرحمن بن العباس المخلص من كتابه قال: حدثنا أبوأحمد / عبدالواحد بن المهتدي قال: حدثني أبوالعباس أحمد بن بكر قال: حدثني هشام بن عمار الدمشقي قال: حدثنا إبراهيم بن موسى المكي – وكان ثقة – عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال:

وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس ثمانية عشر كلمة حكم كلها، قال:

---

(١) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣١٤) عن المخلص به.

وقال الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٠٧) : هذا ثابت عن سفيان، وشيخ المخلص ثقة.

وأخرجه ابن الطيوري في «الطيوريات» (٤٦٣) عن شعيب بن حرب بسياق آخر.

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٢١٨

(٢) عند ابن عساكر: الرجاء. ولم أهتد إليه على الاحتمالين.

(٣) أخرجه ابن عساكر (٢٤/ ٣٣٧) من طريق المخلص به.." [١]

"قلت يا رسول الله استغفر لي ... عبد الله بن سرجس ... ٢٢٥٩

قلد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه ثم بعث بها ... عائشة ... ٤٣٠

قليله وكثيره حرام ... عائشة ... ١٠١٣

قم فاركع ... جابر بن عبد الله ... ٢٢٦٧

قمت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة عن شماله ... ابن عباس ... ١١٥١

* القناعة ... محمد بن كعب ... ٨٩٤، ٣١٥٦

قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا بعد الركوع ... أنس ... ٢٦١٠

قول سبحان الله والحمد لله ... ابن عباس ... ٣١٥٣

قولوا التحيات لله والصلوات والطيبات ... ابن مسعود ... ٢٧٠١

قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ... أبو هريرة وأبوسعيد ... ٢٣

قولوا في كل جلسة التحيات لله ... ابن مسعود ... ٢٧٠٠

قولوا لهم كما يقولون لكم ... عمار ... ٣١٦١

قوما ما هم بأنبياء ولا شهداء ويغبطهم الأنبياء ... بعض الصحابة ... ٧٦٥

قوي معان ... أبوهريرة ... ٢١٨٨

* القلادة والقرط والحجال ... ابن مسعود ... ١٧٣٤

قيدوا العلم بالكتاب ... أنس ... ٥٥٦، ١٥٦٧

قيل لأبي أسيد الفزاري: من أين تعيش؟ ... سعيد بن عبد العزيز ... ٨٩٢

قيل لأعرابي: يا أعرابي أعطى الخليفة ... الأصمعي ... ٣٠٣٧

قيل لأيوب: يا أيوب لا تعجبن بصبرك ... ليث بن أبي سليم ... ١٦١٧

*كافر وفتح الكاف (من قال القرآن مخلوق) ... أحمد بن حنبل ... ١١١٤

كان ابن سيرين يأكل الثوم نيا ... منصور بن زاذان ... ٢٢٤٧

كان ابن عباس يقرؤها: فجعلنا المضغة عظاما ... عكرمة ... ٢٨٧٧

كان ابن عمر إذا أراد أن يأكل أو ينام وهو جنب ... نافع ... ١٧١٤." [٢]

---

(١) المخلصيات المخلص ٤/٨٣

(٢) المخلصيات المخلص ٤/٢٦٩

"وكذلك "الحلة" لا تكون إلا ثوبين: إزار ورداء من جنس واحد فإن اختلفا لم تدع حلة.

ومن ذلك "الظعينة" لا تكون ظعينة حتى تكون امرأة في هودج١ على راحلة.

ومن ذلك "السجل" لا يكون سجلا إلا أن يكون دلوا فيه ماء، و"اللحية" لا تكون إلا شعرا على ذقن ولحيين٢.

ومن ذلك "الأريكة" وهي الحجلة٣ على السرير لا تكون كذا. فسمعت علي بن إبراهيم يقول سمعت ثعلبا يقول: الأريكة لا تكون إلا سريرا متخذا في قبة عليه شواره ونجده٤.

وكذلك "الذنوب" لا تكون ذنوبا إلا وهي ملأى، ولا تسمى خالية ذنوبا.

ومن ذلك "القلم" لا يكون قلما إلا وقد بري وأصلح، وإلا فهو أنبوبة.

وسمعت أبي يقول: قيل لأعرابي "ما القلم؟" فقال: "لا أدري" فقيل له "توهمه" فقال: "هو عود قلم من جانبيه كتقليم الأظفور٥ فسمي قلما".

ومن ذلك "الكوب" لا يكون إلا بلا عروة، و"الكوز" لا يكون إلا بعروة.

---

١ الهودج: مركب النساء يوضع على راحلة.

٢ اللحيان: عظما الحنكين.

٣ الحجلة: كالقبة، وموضع يزين بالثياب والستور للعروس.

٤ الشوار: الهيئة واللباس والزينة. النجد: جمع النجد وهو ما ينجد به البيت من بسط وفرش ووسائد.

٥ الأظفور: لغة في الظفر.." (١)

"٣٢٧ - أبرد من غب المطر

٣٢٨ - وأبرد من جربياء

وهي الشمال

وقيل لأعرابي ما أشد البرد قال ريح جربياء في ظل عماء في غب سماء

وغب كل شيء عاقبته

والسماء المطر وقيل ما أطيب المياه قال نطفة زرقاء من سحابة غراء في صفاة زلقاء يعني الملساء

قيل فما أحسن المناظر قال ما يجري إلى عمارة

قيل فما أطيب الروائح قال بدن تحبه وولد تربه

٣٢٩ - أبخل من مادر

سيجيء حديثه في الباب السادس عشر

٣٣٠ - أبخل من أبي حباحب ومن حباحب

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ابن فارس ص/٦١

قالوا هو رجل من العرب كان لبخله يوقد نارا ضعيفة فإذا أبصرها مستضيء أطفأها

وقيل يعني بها النار التي تنقدح من سنابك الخيل وهي نار اليراعة وهي طائر مثل الذباب إذا طار بالليل حسبته شرارة." (١)

"فى يدى غيره، وأشرب قلبه الإشفاق فهو يحسد على القليل، ويسخط الكثير، جذل الظاهر، حزين الباطن. فإذا وجبت نفسه، ونضب عمره، وضحا ظله، حاسبه الله عز وجل فأشد حسابه، وأقل عفوه.

وكتب خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى مرازبة فارس: الحمد لله الذى فض خدمتكم «١» ، وفرق كلمتكم.

وقالت عائشة رضى الله عنها: كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة «٢» .

وقال الحجاج: دلونى على رجل سمين الأمانة، أعجف الخيانة. وقال عبد الله بن وهب الراسبى لأصحابه: لا خير فى الرأى الفطير، والكلام العضيب «٣» ؛ فلما بايعوه، قال: دعوا الرأى يغب فإن غبوبه يكشف لكم عن محضه. وقيل لأعرابى: إنك لحسن الكدنة؛ «٤» قال: ذاك عنوان نعمة الله عندى. وقال أكثم بن صيفى: الحلم دعامة العقل. وسئل عن البلاغة فقال: دنو المأخذ، وقرع الحجة، وقليل من كثير. وقال خالد بن صفوان لرجل: رحم الله أباك، فإنه كان يقرى العين جمالا، والأذن بيانا. وقيل لأعرابية: أين بلغت قدرك، قالت: حين قام خطيبها. وقيل لأعرابية: كم أهلك؟ قالت: أب وأم وثلاثة أولاد، أنا سبيل عيشهم. وقيل لرؤبة: كيف تركت ما وراك؟ قال: التراب يابس، والمال عابس. وقال المنصور لبعضهم: بلغنى أنك بخيل، فقال: ما أجمد فى حق، ولا أذوب فى باطل. وقال إبراهيم الموصلى: قلت للعباس بن الحسن: إنى لأحبك قال: رائد ذاك عندى. وقال بعضهم: الاستطالة لسان الجهالة. وقال يحيى بن خالد: الشكر كفء النعمة. وقال أعرابى: خرجت فى ليلة حندس، ألقت على الأرض أكارعها، فمحت صورة الأبدان؛ فما كنا نتعارف." (٢)

"(تذكرت بالريحان منك روائحا ... وبالراح طعما من مقبلك العذب)

وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه:

(تطيرت أيام اجتنابك أن ترى ... مكانك عيني لا خلا منك خاليا)

(فأسكنته نورا كرياك طيبه ... يذكرني منك الذي لست ناسيا)

وقد أحسن وحسنه قليل. وقيل لأعرابي أية رائحة أطيب؟ قال رائحة بدن تحبه إو ولد تربه فقال ابن الرومي

(ريحه ريح طيب الأولاد ...)

وقلت:

(يمر بي وفد الصبا ... والليل يقضي نحبه)

(مر بروض زاهر ... در عليه عشبه)

(فخلته من طيبه ... نشوة من أحبه)

---

(١) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ٢٤٦/١

(٢) الصناعتين: الكتابة والشعر العسكري، أبو هلال ص/٢٧٨

ومن البليغ قول سحيم:

(فما زال بردي طيبا من ثيابها ... إلى الحول حتى أنهج البرد باليا) ٥ وأبلغ من ذلك وصفهم طيب المواضع التي وطنها الحبيب، وأول من قال ذلك النميري:

(تضوع مسكا بطن نعمان إذ مشت ... به زينب في نسوة خفرات)

ومن أحسنه وأرشقه قول جميل:

(ألا أيها الربع الذي غير البلا ... عفا وخلا من بعد ما كان لا يخلو)

(تداءب ريح المسك فيه وإنما ... به المسك إذ حرت به ذيلها جمل)

وقوله:

(وأنت الذي حببت سعيا إلى بدا ... إلي وأوطاني بلاد سواهما)

(حللت بهذي مرة ثم مرة ... بهذي فطاب الوادبان كلاهما)." (١)

"وإصابة التشبيهات فيها، وقوله (غير ما راج) فإن الرواج لفظ عامي لا يستعمله الفصحاء. وقال ابن الرومي:

(هام وأرغفة وضاء فخمة ... قد أخرجت من جاحم فوار)

(كوجوه أهل الجنة ابتسمت لنا ... مقرونة بوجوه أهل النار)

وقال غيره في جوذابة:

(وقادم من جاحم فوار ... مخلل الشقشق والأنوار)

(ملبسا حلة جلنار ... يقشر جلدا منه كالنضار)

(عن بدن أبيض كالخمار ...)

ومن النادر البديع في هذا المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودي عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال كان عوانة يكثر أكل الرؤوس فقيل له إنها متخمة فقال إنها فاكهة اللحم. وأخبرنا عن محمد بن زكريا عن الأصمعي قال قيل لأعرابي كيف تأكل الرؤوس قال أفك لحييه وأبخص عينيه وأفعص أذنيه وا خديه وأرمي بالدماغ إلى من هو أحوج مني إليه فقيل له إنك لأحمق من ربع قال وما حمق ربع إنه ليجتنب العدوى ويتبع المرعى ويراوح بين الأطباء فما حمقه يا هؤلاء وقيل لأحدهم ما أحب الفاكهة إليك قال أما الرطب فاللحم وأما اليابس فالقديد. وقلت في صفة لحم:

(تركت سمين اللحم يبيض بعضه ... ويحمر بعض خلطك الدر بالتبر)

(وأعرضت عن حلواء شق فنونها ... فبيض إلى حمر وحمر إلى صفر)

(إلى ندرة رقطاء قطع فوقها ... مقفعة خضراء في ورق خضر)

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ١/٢٦٠

وحاجة الإنسان إلى الطعام إنما هي من أجل ما يأخذ الهواء من جسده فيحدث فيه خلل فإذا اكل اللحم فقد رم الجسد بما هو من جنسه فكأنه رقع الديباج بالديباج فإذا أكل غير اللحم فكأنه رقع الديباج بالكرياس، وفي الحديث (من." [1]

"الإساءة ويغمض موضع التقصير فيه. وقد فسرت في كتاب صنعة الكلام مواضع الأشكال من هذه الفصول فتركت إعادتها ههنا فإذا أردتها فاطلبها في مظانها هناك تطفر ببغيتك منها إن شاء الله تعالى. وقد أحب قوم الإيجاز في بعض المواضع منهم جعفر بن يحيى قال لكتابه: إن استطعتم أن يكون كلامكم مثل التوقيع فافعلوا. وقال بعضهم في المذهب الأول إذا كان الإيجاز كافيا كان التطويل عيا وإذا كان التطويل واجبا كان التقصير عجزا. **وقيل لأعرابي** ما البلاغة؟ فقال الإيجاز من غير عجز والاطناب من غير خطل. فانظر إلى كلام هذا الأعرابي فهو بليغ. (

جمل من بلاغات العجم)

العجم والعرب في البلاغة سواء فمن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى، وكان عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي، ويدلك على هذا أيضا أن تراجم خطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنى وصنعة وربما كان اللفظ الفارسي في بعضها أفصح من اللفظ العربي، من ذلك قول العرب (ولدك من دمى عقبيك) وقول الفرس (هرك نزاد نرود) واللفظ الفارسي في هذا أفصح من اللفظ العربي وأحسن، وقولهم (كشند ميد) مثل قول العربي (من يسمع يخل) سواء في المعنى، والفارسي أقل حروفا، وقولهم (أصيد بركة خورده) وليس للعرب في معنى هذا المثل شئ ومعناه (المأمول." [2]

"(قد أشهد الليل بفتيان غرر ... على جياد كتماثيل الصور)

(كأنما خيطوا عليها بالإبر ... أو سمر الفارس فيها فانسمر)

وبإسناد لنا أن محمد بن عبد الله بن طاهر أرق ذات ليلة فقال لكاتبه أنائم أنت؟ قال لا وأيد الله الأمير، قال ما أطيب الطعام؟ قال طعام شهوة في إبان جوعة، قال فما ألذ الشراب؟ قال شربة ماء بارد تطفئ بها غليلك أو كأس تعاطي بها نديمك، قال فما أشهى النساء؟ قال التي تدخل إليها والها وتخرج عنها هاربا، وقال فما أجود الخيل؟ قال الأسوق الأعنق الذي إذا طلب لحق وإذا طلب سبق وإذا صهل أطربك وإذا بدا أعجبك. قال صدقت لله درك، اعطه يا غلام ألف دينار، قال أصلح الله الأمير وأين تقع مني ألفا دينار؟ قال أو زدت نفسك ألفا قال أو ليس كذا؟ قال لا ولكن حقق ظنه يا غلام. فأعطاه ألفي دينار. **وقيل لأعرابي** أتعرف الجواد المبرز من الطيء المقرف قال نعم أما الجواد المبرز فهو الذي لهز لهز العير وأنف تأنيف السير إذا عدا إسلهب وإذا إنتصب اتلأب، والبطئ المقرف هو المدلوك الحجبة القحم الأرنبة الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذي إذا قلت أمسكه قال أرسلني وإذا قلت أرسله قال أمسكني. وقال المهدي لمطر بن دراج: أي الخيل أفضل؟ قال الذي إذا استقبلته قلت نافر وإذا إستدبرته قلت زاخر وإذا استعرضته قلت زافر، قال فأي البراذين خير؟ قال

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ١/٢٩٣

(٢) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ٢/٨٩

ما طرفه أمامه وسوطه عنانه، قال فأي البراذين شر؟ قال الغليظ الرقبة الكثير الجلبة إذا أرسلته قال أمسكني وإذا أمسكته قال أرسلني. ووصف رجل من العرب خيلا فقال: إنها لخليقة للجودة وآية ذلك إنها سامية العيون لاحقة البطون مصغية الآذان افتاء الأسنان ضخام الركبات مشرفات الحجبات رحاب المناخر صلاب الحوافر وقعها تحليل ورفعها تعليل إن طلبت فاتت." (١)

"أحمد بن إسحاق الموصلي فإنه قال:

(أحب الأرض تسكنها سليمى ... وإن كانت بواديها الجدوب)

(وما دهري بحب تراب أرض ... ولكن من يحل بها حبيب)

وقال ابن الرومي:

(ولي وطن آليت أن لا أبيعه ... وألا أرى غيري له الدهر مالكا)

(عهدت به شرخ الشباب ونعمة ... كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا)

(فقد ألفته النفس حتى كأنه ... لها جسد لولاه غودرت هالكا)

(وحبب أوطان الرجال إليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا)

(إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم ... عهود الصبا فيها فحنوا ذلكا)

(وقد ضامني فيه اللئيم وغرني ... وها أنا منه معصم بحبالكا)

(فإن أخطأتني من يمينك نعمة ... فلا تخطئنه نقمة من شمالكا)

وقلت في نحو من ذلك:

(ثوى في حفرة العانات يمن ... تغلغل في المنازل والربا ع)

(وإن تهو البقاع فليس غروا ... هوى أهل البقاع هوى البقاع)

وقال ابن الرومي:

(فإذا تصور في الضمير وجدته ... وعليه أفنان الشباب تميد)

وقيل لأعرابي كيف تصنع بالبادية إذا اشتد القيظ وانتعل كل شئ ظله؟ فقال وهل العيش إلا ذاك يمشي أحدنا ميلا ويرفض عرقا ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساءه ويجلس يكتال الريح فكأنه في إيوان كسرى. وذكر أعرابي بلده فقال رملة كنت جنين ركامها ورضيع غمامها. وقالت أعرابية: إذا كنت في غير أهلك فلا تنس نصيبك من الذل. وقال الشاعر في معناه

(نصيبك من ذل إذا كنت خاليا ...)

وقلت:

(حسبت الخير يكثر في التنائي ... فكان الخير أكثر في التداني)." (٢)

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ٢/١١٧

(٢) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ٢/١٨٩

"(ولا تقل أمم شتى ولا فرق ... فالأرض من تربة والناس من رجل)

وقال بشار بن برد:

(تخاف المنايا إذ ترحل صاحبي ... كأن المنايا في المقام يناسيه)

أخذه من قول الأعشى:

(وكم من رد أهله لم يرم ...)

والأول أجود سبكا وأفصح لفظا. وأخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد قال قال أبو الحسن كان خالد بن عبد الله القسري يطعم الأعراب في حطمه أصابتهم في كل يوم يطعم ثلاثين ألف انسان خبزا وسويقا وتمرا **فقيل لأعرابي** لو أتيت خالدا فإنه يطعم الأعراب فقال:

(يقول ابن حجاج تجهز ولا تمت ... هزالا بحران تعاوى كلابها)

(فقد خبر الركبان أن جديده ... تباح ورغفانا شباعا رغابها)

(وماء فرات ما اشتهيت وقرية ... تدب دبيب النمل فيك شرابها)

(فأقسم لا أبتاع رغفان خالد ... بأرواح نجد ما أقام ترابها)

(إذا باحت بالعرمتين وصارة ... رياح الخزامى حين تندى رحابها)

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا الفضل بن محمد العلاف قال لما قدم بغابيتي نمير كنت كثيرا ما آتيهم فلا أعدم أن ألقى منهم الفصيح فجئت يوما إليهم في عقب مطر فإذا شاب جميل قد نهكه المرض فليس به حراك وإذا هو ينشد:

(ألا ياسني برق على قلل الحمى ... ليهنك من برق علي كريم)

(لمعت اقتداء الطرف والقوم هجع ... فهيجت أسقاما وأنت سقيم)

(فهل من معير طرف عين خلية ... فإنسان طرف العامري كليم)

(رمى قلبه البرق اليماني رمية ... بذكر الحمى وهنا فبات يهيم)

قال فقلت إن فيما بك لشغلا عن الشعر قال صدقت ولكن البرق أنطقني.." (١)

"(إن الليالي أسرعت في نفضي ... أخذن بعضي وتركن بعضي)

(أقعدني من بعد طول نهضي ...)

وقيل لأعرابي كيف أصبحت؟ فقال أصبحت والله كما قال الشاعر:

(يا خير إني قد جعلت أشتمر ... أرفع من ثوبي ما كنت أجر)

وحدثنا عنه عن الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن التيمي عن أبيه قال لقي بكر بن عبد الله المزني أبا تميمة الهجيمي فقال كيف أصبحت أبا تميمة؟ فقال أصبحت بين ذنوب قد سترها الله علي ما يقدر أحد أن يعيرني منها بذنب وبين محبة قد

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ١٩٢/٢

ألقاها الله في قلوب الناس لست لها بأهل وقد خفت أن أهلك بين هذين وأنا ضعيف الشكر. قال وقيل لقريبة الدبيرية كيف أصبحت؟ فقالت:

(بخير على أن النوى مطمئنة ... بليلى وإن العين يجري معينها)

وقيل لأعرابي كيف أصبحت؟ قال بخير أحتسب على الله بالحسنة ولا أحتسب على نفسي بالسيئة. وقال رجل لأبي العيناء وقد كبر وضعف: كيف أصبحت؟ فقال في الداء الذي يتمناه الناس لأعدائهم. وحدثنا عنه عن الغلابي عن إبراهيم عن عمر عن أبي عبيدة قال قيل للنمر بن تولب كيف أصبحت يا أبا ربيعة؟ فقال ارتجالا على البديه:

(أصبحت لا يحمل بعضي بعضا ... أشكو العروق النابيات نبضا)

(كما تشكي الأرجبي الغرضا ... كأنما كان شبابي قرضا)

وحدثنا عنه عن القاسم بن إسماعيل عن محمد بن سلام عن ابن داب قال قيل لمحارب بن دثار كيف أصبحت؟ فقال أصبحت كما قال الشاعر الأعشى:

(أرقت وما هذا السهاد المؤرق ... وما بي من سقم وما بي عشق)

(ولكن أراني ما أزال بحادث ... أغادي بما لم يمس عندي وأطرق)

وحدثنا عنه عن المقدمي عن أبي عمر بن خلاد قال قال الربيع الحاجب لأبي العتاهية كيف أصبحت فقال:." [١]

"(أصبحت والله في مضيق ... هل من دليل على الطريق)

(أف لدنيا تلاعبت بي ... تلاعب الموج بالغريق)

(أصبت فيها دريهمات ... فبغضتني إلى الصديق)

وحدثنا عنه عن علي بن الصباح عن بشر بن مسعود المازني قال كان لسفيان بن عيينة جار سئ الحال فحسنت حاله فقال له سفيان كيف أصبحت وكيف حالك لقد سررت بما صرت إليه بعد غم بما كنت فيه فدعا الرجل له ومضى، فقال له بعض جلسائه كيف تكلم هذا؟ قال هو جار قال إنه قد صار صراطا لهؤلاء، قال سفيان إن كان في الناس أحد طلب الدنيا من حيث يستحق فهذا. وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد المهلبي قال قدم أبو العتاهية البصرة إلى عيسى بن جعفر فأقام شهورا ثم أعتل فقال:

(أصبحت بالبصرة ذاغربة ... أدفع من هم إلى كربه)

(أطلب عتبي من حبيب نأى ... وليس لي عتبي ولا عتبه)

وحدثنا عنه عن المبرد قال قال الجماز لأبي العالية كيف أصبحت؟ قال على غير ما يحب الله وغير ما أحب وغير ما يحب إبليس لأن الله تعالى يحب أن أطيعه ولاأعصيه ولست كذلك وإبليس يحب أن أعصي الله ولا أطيعه ولست كذلك وأنا أحب أن أكون على غاية الثروة والصحة ولست كذلك. حدثنا عنه عن الحسن بن الحسين الأزرق عن العباس بن محمد عن عمرو بن الحارث عن محمد بن سلام قال قال أبو حراثة وهو من بني ربيعة بن حنظلة ليزيد بن المهلب: كيف أصبحت

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ٢/٢٢٦

أصلح الله الأمير؟ قال كما تحب يا أبا حراثة قال لو كنت كذا لكنت قائما مثلي وكنت أنا قاعدا في مقعدك وكان قميص ابني المرقوع على ابنك والتومتان اللتان في أذن ابنك على ابني. قال يزيد فالحمد لله الذي جعلك كذا وجعلني كذا، فقال إلا أني في ضيق أنتظر سعة وأنت في سعة تنتظر ضيقا. وحدثنا عنه عن أبي العيناء عن العتبي قال **قيل لأعرابي** كيف." [(١)]

"الفرس الوديق فيها، وتبعها الفرس، وتنادى الفريقان: إن فرس حوشب وقع في حفيرة عكرمة فما أخرجوه إلا بالعمد. قال: فغلبه عكرمة.

قال الشاعر:

لا أشتم الضيف إلا أن أقول له: ... أباتك الله في أبيات عمار

أباتك الله في أبيات معتنز ... عن المكارم لا عف ولا قاري

جلد الندى زاهد في كل مكرمة ... كأنما ضيفه في ملة النار

وقال آخر:

وهو إذا قيل له: ويها كل ... فإنه مواشك مستعجل

وهو إذا قيل له: ويها فل ... فإنه أحج به أن ينكل

قيل لصوفي: ما حد الشبع؟ قال: لا حد له، ولو أراد الله أن يؤكل بحد لبين كما بين جميع الحدود. وكيف يكون للأكل حد، والأكلة مختلفوا الطباع والمزاج والعارض والعادة، وحكمة الله ظاهرة في إخفاء حد الشبع حتى يأكل من شاء على ما شاء كما شاء.

وقيل لصوفي: ما حد الشبع؟ فقال: ما نشط على أداء الفرائض، وثبط عن إقامة النوافل.

وقيل لمتكلم: ما حد الشبع؟ فقال: حده أن يجلب النوم، ويضجر القوم، ويبعث على اللوم.

وقيل لطفيلي: ما حد الشبع؟ قال: أن يؤكل على أنه آخر الزاد، ويؤتى على الجل والدق.

وقيل لأعرابي: ما حد الشبع؟ قال: أما عندكم يا حاضرة فلا أدري، وأما عندنا في البادية فما وجدت العين، وامتدت إليه اليد، ودار عليه الضرس وأساغه الحلق، وانتفخ به البطن، واستدارت عليه الحوايا، واستغاثت منه المعدة، وتقوست منه الأضلاع، والتوت عليه المصارين، وخيف منه الموت.

وقيل لطبيب: ما حد الشبع؟ قال: ما عدل الطبيعة، وحفظ المزاج وأبقى شهوة لما بعد.

وقيل لقصار: ما حد الشبع؟ قال: أن تثب إلى الجفنة كأنك سرحان وتأكل وأنت غضبان، وتمضغ كأنك شيطان، وتبلع كأنك هيمان، وتدع وأنت سكران، وتستلقي كأنك أوان.

وقيل لحمال: ما حد الشبع؟ قال: أن تأكل ما رأيت بعشر يديك غير عائف ولا متقزز، ولا كاره ولا متعزز.." [(٢)]

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ٢/٢٢٧

(٢) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/٣٠١

"وقال آخر:

وما جيرة إلا كليب بن وائل ... ليالي تحمي عزة منبت البقل

وقال مسعر بن مكدم لرقبة بن مصقلة: أراك طفيليا. قال: يا أبا محمد، كل من ترى طفيلي إلا أنهم يتكاتمون.

وقال شاعر:

قوم إذا آنسوا ضيفا فلم يجدوا ... إلا دم الرأس صبوه على الباب

قال المفجع: الرأس الرئيس.

اشتد بأبي فرعون الشاشي الحال فكتب إلى بعض القضاة بالبصرة:

يا قاضي البصرة ذا الوجه الأغر ... إليك أشكو ما مضى وما غبر

عفا زمان وشتاء قد حضر ... إن أبا عمرة «١» في بيتي انحجر

يضرب بالدف وإن شاء زمر ... فاطرده عني بدقيق ينتظر

فأجابه إلى ما سأل.

ويقال: وقف أعرابي على حلقة الحسن البصري رحمة الله عليه فقال: رحم الله من أعطى من سعة، وواسى من كفاف، وآثر من قلة. فقال الحسن: ما أبقى أحدا إلا سأله.

وقال ابن حبيب: يقال أحمق من الضبع، وذلك أنها وجدت تودية في غدير، فجعلت تشرب الماء وتقول: «يا حبذا طعم اللبن» حتى انشق بطنها فماتت.

والتودية: العود يشد على رأس الخلف «٢» لئلا يرضع الفصيل أمه.

دعا رجل آخر فقال له: هذه تكسب الزيارة وإن لم تسعد، ولعل تقصيرا أنفع فيما أحب بلوغه من برك. فقال صاحبه: حرصك على كرامتي يكفيك مؤونة التكلف لي.

قيل لأعرابي: لو كنت خليفة كيف كنت تصنع؟ قال: كنت أستكفي شريف كل قوم ناحيته، ثم أخلوا بالمطبخ فآمر الطهاة فيعظمون الثريدة ويكثرون العراق «٣» ، فأبدأ فآكل لقما، ثم آذن للناس، فأي ضياع يكون بعد هذا؟! وقال أعرابي لابن عم له: والله ما جفانكم بعظام، ولا أجسامكم بوسام، ولا بدت لكم نار، ولا طولبتم بثار.." (١)

"**وقيل لأعرابي**: لم قالت الحاضرة للعبد: باعك الله في الأعراب؟ قال: لأنا نعري جلده، ونطيل كده، ونجيع كبده.

وقال طفيلي: إذا حدثت على المائدة فلا تزد في الجواب على نعم، فإنك تكون بها مؤانسا لصاحبك، ومسيغا للقمتك، ومقبلا على شأنك.

وقيل لأعرابي: أي شيء أحد؟ قال: كبد جائعة، تلقي إلى أمعاء ضالعة «١» .

وقيل لآخر: أي شيء أحد؟ قال ضرس جائع، يلقي إلى معى ضالع وقال آخر:

أحب أن أصطاد ضبا سحبلا ... وورلا يرتاد رملا أرملا

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/٣٠٩

قالت سليمى لا أحب الجوزلا ... ولا أحب السمكات مأكلا

الجوزل: فرخ الحمام. والورل: دابة. أرمل: صفة للورل. وإذا كان كذلك كان أسمن له، وهو يسفد فيهزل.

ويقال: أقبح هزيلين: المرأة والفرس، وأطيب غث أكل غث الإبل، وأطيب الإبل لحما ما أكل السعدان «٢» ، وأطيب الغنم لبنا ما أكل الحربث.

ويقال: أهون مظلوم سقاء مروب، وهو الذي يسقى منه قبل أن يمخض وتخرج زبدته.

ويقال: سقانا ظليمة وطبه، وقد ظلمت أوطب القوم.

وقال الشاعر:

وصاحب صدق لم تنلني شكاته ... ظلمت وفي ظلمي له عامدا أجر

يعني وطب لبن.

وكان الحسن البصري إذا طبخ اللحم قال: هلموا إلى طعام الأحرار.

قال سفيان الثوري: إني لألقى الرجل فيقول لي مرحبا فيلين له قلبي، فكيف بمن أطأ بساطه، وآكل ثريده، وأزدرد عصيده؟

حكى أبو زيد: قد هجأ غرثي «٣» : إذا ذهب، وقد أهجأ طعامكم غرثي: إذا قطعه. قال الشاعر:

فأخزاهم ربي ودل عليهم ... وأطعمهم من مطعم غير مهجئ

قال: ويقال: بأرت بؤرة فأنا أبأرها، إذا حفرت حفيرة يطبخ فيها وهي الإرة.

ويقال: أرت إرة فأنا أثرها وأرا.." (١)

"بعد ذلك على الانتصاف وأخذ الثأر، وتذم السفه وقمع العدو! وهكذا شأنها في جميع الأخلاق، أعني أنها ربما حضت على القناعة والصبر والرضا بالميسور، وربما خالفت هذا، فأخذت تذكر أن ذلك فسألة ونقصان همة ولين عريكة ومهانة نفس، وكذلك أيضا تحث على البسالة والإقدام والانتصار والحمية والجسارة، وربما عدلت إلى أضداد هذه الأخلاق والسجايا والضرائب والأحوال، في أوقات يحسن فيها بعضها، ويقبح بعضها، ويعذر صاحبها في بعضها، ويلام في بعضها، وذلك لأن الطبائع مختلفة، والغرائز متعادية، فهذا يمدح البخل في عرض الحزم، وهذا يحمد الاقتصاد في جملة الاحتياط، وهذا يذم الشجاعة في عرض طلب السلامة، وليس في جميع الأخلاق شيء يحسن في كل زمان وفي كل مكان، ومع كل إنسان، بل لكل ذلك وقت وحين وأوان.

قال: ولعمري إن القيام بحقائق هذه الأشياء وحدودها صعب، لأنها لا توجد إلا متلابسة ومتداخلة، وتخليص كل واحد منها بحده وحقيقته ووزنه مما يفوت ذرع الإنسان الضعيف المنة، المنتثر الطينة.

قال: ومنه أن الحكيم قال للإسكندر: «أيها الملك أرد حياتك لرجالك، ولا ترد رجالك لحياتك» ، ولو قلب عليه قالب فقال: لا: «ولكن أرد رجالك لحياتك، ولا ترد حياتك لرجالك» ، لكان الفضل واقعا، والدعوى قائمة.

وكان يحكى عن أعرابي حديث مضحك: **قيل لأعرابي**: أتريد أن تصلب في مصلحة الأمة؟ فقال: لا، ولكني أحب أن

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/٣١٠

تصلب الأمة في مصلحتي.

قال: وليس يجوز أن يكون الناس مختلفين في ظاهرهم بالصور والحلى حتى يعرف بها زيد من عمرو، وبكر من خالد، ولا يختلفون في باطنهم حتى يكون هذا مطبوعا على الشح وإن مدح الجود، وهذا مجبولا على الجبن، وإن تشيع للشجاعة، وليس يجوز في الحكمة أن يكثروا ولا يختلفوا، وليس يجوز أيضا أن يضم الجنس والنوع ولا يأتلفوا، وكل ما أساغته الحكمة أبرزته القدرة، وكل ما جادت به القدرة شهدت له الحكمة، فسبحان من له هذا التدبير اللطيف، وهذا العز الغالب، وهذا السر الخافي، وهذه العلانية البادية، وهذا الفعل المحكم، وهذا النعت المستعظم.

وحكيت أيضا في شيء جرى، قال حكماء فارس: قد جربنا الملوك، فإذا ملكنا السمح الجواد جادت علينا السماء والأرض، وإذا ملكنا البخيل بخلت علينا السماء والأرض.

قال أبو سليمان: هذا إذا صح فهو شاهد الفيض الإلهي المتصل بالملك السمح، ونضوبه عن الملك البخيل لأن الملك إله بشري.

وقال مرة: ما التمني؟ – وقد كان جرى ما اقتضى السؤال عنه–.." (١)

"وأختم قولي هذا بما قال بعض السلف لأصحابه، قال: أحذركم الدنيا وأخوفكم يوم التناد، يوم لا يعرف لخير أمد، ولا ينقطع لشر أمد، ولا يعتصم من الله أحد.

وأرجو أن تسمع ما صدقت القول فيه بانتصاح، وتعرف ما تؤتيه بارتياح، والسلام.

قال: ويقول أيضا: قال أبو العيناء لحجاج الكاتب: ابنك في أي شيء هو من النحو؟ قال: هو في باب الفاعل والمفعول. قال: هو إذن في باب والديه.

ويقول: قيل لأعرابي: اشترى الأمير سراويل من فنك. قال: التقى الثوبان.

وينشد:

شيخ لنا يعرف بالخلدي ... يريده في غلظ المردي." (٢)

"المدفوع: لتجدني ذا منكب مزحم، وركن مدغم، ورأس مصدم، ولسان مرجم، ووطء ميثم، أي مكسر.

١٦٨ – قال ابن الأعرابي، قيل لأعرابي: ما أشد البرد؟ قال: إذا كانت السماء نقية، والأرض ندية، والريح شآمية. توق تشديد ياء ندية وشآمية؛ ألا ترى أنك تقول: هذا تراب ند، وروض ند، ورجل شآم، وامرآة شآمية؟ ١٦٩ – وقال ابن الأعرابي، قال آخر: إذا صفت الخضراء، ونديت الدقعاء، وهبت الجربياء، يعني في شدة البرد؛ الخضراء: السماء، والدقعاء: الأرض، والجربياء: الشمال؛ هكذا حفظته.

---

(١) الإمتاع والمؤانسة أبو حيّان التوحيدي ص/٣٤٤

(٢) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين أبو حيّان التوحيدي ص/١٥٩

١٧٠ – مدح أعرابي نفسه فقيل له: أتمدح نفسك؟ فقال: أفاكلها إلى عدو يشتمني ويذمني؟ ١٧١ – وأنشد ابن الأعرابي لشاعر: الطويل." (١)

"ومن نوادر كلام الأعراب **قيل لأعرابي**: أتأكل الضب؟ قال: وما ظلمني أن آكله؟ أي ما منعني؛ قال أبو عثمان سعيد بن هارون: ومنه قول الله عز وجل " ولم تظلم منه شيئا " الكهف: ٣٣، أي لم تمنع.

قال التوزي: دابة مهزول ثم منق إذا سمن قليلا، ثم شنون، ثم سمين، ثم ساح، ثم مترطم الذي قد انتهى سمنا.

قال الأشنانداني: كل نار يشتوى عليها فالمشتوى حنيذ.

يقال شارب وشاربون وشرب، مثل: صاحب وصحب، وشربة، مثل: كاتب وكتبة وحاسب وحسبة، وشرباء، مثل: عالم وعلماء، ويكون شرباء جمع شريب، مثل: نديم وندماء؛ ورجل شريب وشراب وشروب بمعنى واحد؛ الشاربة: الذين يردون الماء فيشربون.

هكذا حفظت عن أئمة هذا اللسان، وما لي منه إلا حظ الرواية، إن وقعت موقعها منك، وحلت محلها عندك، وإن تكن الأخرى فما أقدرك على رد." (٢)

"أعرابي ذكر الريح فقال: أصبحت الشمال تتنفس الصعداء.

قيل لأم البنين: ما أحسن شيء رأيته؟ قالت: نعم الله مقبلة.

قال أعرابي لرجل: لا جعلك الله آخرا يتكل على أوله.

قيل لأعرابية: ما خبر قدرك؟ قالت: حليمة مغتاظة، أي هي ساكنة الغلي لم تبرد.

وكتب علي بن هشام إلى الموصلي: ما أدري كيف أصنع، أغيب فأشتاق، وألتقي فلا أشتفي، ثم يحدث لي اللقاء نوعا من الحرقة للوعة الفرقة.

وكتب آخر: من العجب إذكار معني، وحث متيقظ، وأستبطاء ذاكر، إلا أن ذا الحاجة لا يدع أن يقول في حاجته، حل بذلك منها أو عقل، وكتابي تذكرة والسلام.." (٣)

"السكري عن الزيادي عن الأصمعي، **قيل لأعرابي**: إنك لكذوب خوار، فقال: والله لأنا أصدق من قطاة، وأصلب من صفاة.

قال الأصمعي: سئل عبيد الله بن عتبة عن الفصاحة فقال: دنو المأخذ، وقرع الحجة، وقدح المراد، وقليل من كثير.

قال السكري: حدثني صديق لي قال: اشتريت جارية فلما خلوت بها فترت، فجعلت تعضني وتعبث بي، فلما رأته لا يتحرك قالت: يا مولاي ليس هذا من عملي، هذا من عمل المسيح عليه السلام.

المبرد عن التوزي عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: قال أكثم بن صيفي لبعض ولده: يا بني، الغنى أنفع، والسلطان

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٦٣/١

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٤١/١

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢٢٠/١

أرفع، والعدو أمنع، والعافية أوسع.

وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا من الأنصار إلى بعض ملوك العجم يدعوه إلى الإسلام، فقدم عليه في وقت ثمار بلاده، فجعل يدور به." (١)

"نظر أعرابي إلى رجل جيد الكدنة فقال له: يا هذا إني لأرى عليك قطيفة من نسج أضراسك محكمة.

يقال: حصب في الأرض إذا ذهب.

العرب تقول: شر النساء الحميراء المحياض، والسويداء الممراض.

يقال: ليس على مختف قطع، أي ليس على النباش قطع، يقال خفاه واختفاه إذا أظهره، فكأنه يظهر الكفن، كذا قيل.

السمهري: الرمح الشديد، يقال اسمهر الأمر إذا اشتد، وكذلك ازمهر، ويقال ازمهر الحر أيضا. المذلق: المحدد، وفلان ذليق اللسان وذلق كما قالوا: رهيف اللسان، ويشار بذلاقة اللسان إلى استمرار اللفظ، ويشار بها أيضا إلى شدة الجواب وإصابته.

والربل: نبت، ويقال ربل القوم إذا كثر مالهم وهي الربالة. إناء روي: إذا كان يروي من يشربه، وماء روي ورواء إذا كان لا ينزح؛ جفالة الضائنة: صوفها، وجفالة الناقة: وبرها.

قيل لأعرابي: أي الناس أشد؟ قال: الأعجف الضخم،." (٢)

"وقال جالينوس: من أصابه قولنج فليأت كلبا نائما، وليثره عن موضعه وليبل فيه.

قال جعفر بن محمد: من أنصف من نفسه، رضي به حكما لغيره.

العرب تقول: شر الجيران من عينه تراك، وقلبه يرعاك، إن رأى حسنة سترها، وإن سمع سيئة نشرها.

لأعرابية في زوجها: المتقارب

يحب النكاح أبو مسهر ... وليس يطاوعه أيره

وقد أمسك البخل من كفه ... فأصبح لا يرتجى خيره

فيا ليت ما بحري في آسته ... ويملكني رجل غيره

قيل لأعرابية: ما للبرق البعيد أشوق من القريب؟ قالت: لأن القريب أرجى، والبعيد أيأس.

قال ابن الكلبي: الأقوال والأقيال من العرب: الملوك، والقمامسة: الأشراف، الواحد قمس، والبطارقة من الروم، الواحد بطريق، والمرازبة من الفرس، والطراخنة من الترك، والتكاكرة من السند والهند، الواحد تكرك، والأقاصرة - كذا قال، والسماع القياصرة - ملوك الروم،." (٣)

"والأكاسرة مملوك الفرس، والتبايعة ملوك اليمن.

قال الحارث بن كلدة: إذا أردت أن تحبل منك المرأة فمشها في عرصة الدار عشرة أشواط، فإن رحمها ينزل ولا تكاد تخلف.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٣٥/٢

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٩٢/٢

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٩٥/٢

سمعت أشياخا يقولون: من أمثال الفرس: ما دخل مع اللبن لا يخرج إلا مع الروح، والعرب تقول: آطبع الطين ما دام رطبا، واغرس العود ما كان لدنا **قيل لأعرابي**: ما اللذة؟ قال: قبلة على غفلة.

قيل لملك: فيم لذتك؟ قال: في ظفر، بعد دور، وليالي سمر.

وقيل لطفيلي: فيم لذتك؟ قال: في مائدة منصوبة، ونفقة غير محسوبة، عند رجل لا يضيق صدره من البلع، ولا تجيش نفسه من الجرع.

وقيل لتاجر: فيم لذتك؟ قال: في ربح على السوم، ونقد في اليوم.

وقيل لعالم: فيم لذتك؟ قال: في حجة تتبختر اتضاحا، وشبهة تتضاءل افتضاحا.." (١)

"وأول من عمل السويق ذو القرنين، وأول من خبز له الرقاق نمرود بن كنعان، وأول من لبس الخفاف الساذجة والكتان زياد.

قال أبو عبيدة: قال لي أبو مهدية: أتشرب هذا النبيذ؟ قلت: لا، قال: ولم؟ قلت: إنه يذهب بعقلي، قال: ويحك! إن ذهب اليوم عاد غدا.

قيل لأعرابي: ألا تمزجها؟ قال: حسبها ما شربت في كرمها.

كتب طاهر إلى أبيه رقعة يستزيده فيها ويلومه في تقديم أخيه عليه – وكان أسن منه – فوقع أبوه في ظهر رقعته: أكلت خراك بعود أراك، ليت أباك أشبه أخاك.

لمنصور التميمي الفقيه: الخفيف المجزوء

ربما نال وادع ... حظوة الطالب الملظ

وله أيضا: البسيط

لا والذي جعل الدنيا مغيرة ... الشر مجتنبا والخير متبعا

ما ساءني هجر من لم يرع سالفة ... ولم أكن بدنوي منه منتفعا." (٢)

"ويروى للقدسي الكوفي يمدح الكتاب: الكامل

إن كنت تقصدني بظلمك عامدا فحرمت نفع صداقة الكتاب

السائقين إلى الصديق ثرى الغنى ... والناعشين لعثرة الأصحاب

والناهضين بكل عبء مثقل ... والناطقين بفصل كل خطاب

والعاطفين على الصديق بفضلهم ... والطيبين روائح الأثواب

ولئن جحدتهم الثناء فطالما ... جحد العبيد تفضل الأرباب

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: القناعة سيف لا ينبو، والصبر مطية لا تكبو، وأفضل عدة صبر على شدة.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٩٦/٢

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٣٧/٢

أهدى أبو موسى الأشعري لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ألوانا من الخبيص، فقال له: ما هذا؟ قال: الخير عندنا كثير والمؤونة عندنا تخف. قال: هل أطرفت أحدا م أهل المدينة بشيء من هذا؟ قالك لا، قال: إياك أن يراه أغيلمة قريش فيضيقوا عليكم بلادا كثيرة.

قيل لأعرابي أسرع في مسيرة: كيف كان مسيرك؟ قال: كنت." (١)

"وفي كتب الهند: لا ظفر مع بغي، ولا صحة مع نهم، ولا ثناء مع كبر، ولا صداقة مع غضب، ولا شرف مع سوء أدب، ولا برمع شح، ولا اجتناب محرم مع غرض، ولا محبة مع هزؤ، ولا عذر مع إصرار، ولا راحة مع حسد، ولا سؤدد مع انتقام، ولا رئاسة مع غيرة وعجب، ولا صواب مع ترك المشاورة، ولا ثبات ملك مع تهاون وجهالة.

سئل ملك: أي مكايد الحروب أعظم؟ قال: إذكاء العيون، واستطلاع الأخبار، وإظهار الغلبة، وإفشاء السرور، وإماتة الفرق، والاحتراس من البطانة من غير استقصاء لمن يستنصح، ولا استنصاح لمن يستغش، ولا تحويل شيء عن شيء.

قيل لأعرابية: كيف حزنك على ولدك؟ قال: ما ترك لنا حب الغداء والعشاء حزنا.

شاعرك: الطويل

لعمرك ما النائي البعيد بنازح ... إذا قربت ألطاقه ونوافله

ولكنهما النائي البعيد محجب ... قريب ولا تهدى إلينا رسائله

وما ضرنا أن السماك محلق ... بعيد إذا جادت علينا هواطله." (٢)

"**قيل لأعرابي**: كيف ترى الدنيا؟ قال: وهل فرغني شغلي بها أن أراها؟ قال محمد بن إبراهيم كاتب سيما الدمشقي: سألني علي بن الهيثم حاجة ثم تواني عنها، فقلت له: أنمت عن حاجتك؟ فقال: ما ناء عن حاجته من أسهرك لها، ولا عدل بها عن محجة النجح من قصدك بها.

قال الأصمعي: الشرائع جمع شريعة، وهي حيث يشرع في الماء، وكأن الشريعة في الدين من هذا لن صاحبها يشرب منها فيروى، ويكرع فيها فيسلى، ويغسل نفسه بها فيطهر. ويسقى منها بالبادية سفره فيقطع، فكأنه كمن قدم من الشريعة طاعة الله عز وجل بما تضمنه من الأمر والنهى، والتحليل والتحريم، والحظر والإباحة، والرغبة والرهبة، والخوف والرجاء، والسلامة واليقين.

والحميل: الكفيل، والحمولة - بالفتح - البعران، - والضم - الأحمال. وبار المتاع: كسد - بفتح السين -، والحمالة - بالكسر - علاقة السيف، والحمالة - بالفتح - الغرم والدية. وأبشمني الطعام فبشمت؛ ويقال: كسدت يا فلان علي بيعي وأكسدت.." (٣)

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٤٩/٢

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٥١/٢

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢١٩/٢

"نرجو، وعذابك نخاف، ووصالك نبغي، وهجرك نعاف، وإلى رضاك نميل، ومن سخطك نهرب، وإياك نطلب، وفيك نتهالك، فأجعل جزعنا من أحكامك صبرا، واقلب معارضتنا لك تسليما، وانتصر لفاقتنا إليك بغنانا على يديك، حتى لا يرد علينا من قضائك إلا ما يقرن بالرضى، ولا يصعد إليك من شكرنا إلا ما يمتري المزيد، ولا يهجس في نفوسنا مما فيه هلاكنا إلا محقته من قدرتك بما يكون فيه ملاذنا، إنك أهل لما لاق بإلهيتك، وحكى آثار تفضلك. إلهي لو ظهر سرك كظهور قدرتك، لباد خلقك، ولو خفيت نعمتك كخفاء سرك لجهل حقك، لا إله إلا أنت حقا، ولا زال خلقك لك خلقا.

بعث الحجاج أدهم بن محرز الباهلي إلى أهل سجستان وكتب إليهم: أما بعد، فإني قد بعثت إليكم أدهم بن محرز، ومو ما علمته طويل الجلوس، دائم العبوس، سمين الأمانة، أعجف الخيانة، فاسمعوا له وأطيعوا.

قيل لأعرابي مات أخوه: صف لنا أخاك، فقال: كان شديد العقدة، لين العطفة، يرضيه أقل مما يسخطه.." (١)

"وقال معاوية على المنبر: يا أهل الشام، إنكم والله ما أنتم بخير من أهل العراق، ثم تداركها فقال: إلا أنكم أعطيتم بالطاعة، وحرموا بالمعصية.

لله أبوه من منذر ثم مبشر في ضروب الخير والشر.

دخل نساء من أهل الكوفة إلى سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام يعزينها في زوجها مصعب، فقالت: لا جزاكم الله خيرا يا أهل الكوفة: أيتمتموني صغيرة وأرملتموني كبيرة.

أتي محرق غسان بنسوة من تميم، فأراد قتلهن لنذر، فطلبن إليه العفو فأبى، فقالت له امرأة منهن: ما لك أطال الله سهادك، وأطفأ رمادك، والله إن تقتل إلا نساء أعلاهن ثدي، وأسفلهن دمي، والله ما أدركت ثارا، ولا محوت عارا. فأمر بتخلية النساء غيرها وقال: ما أقتلك إلا مخافة أن تلدي مثلك.

وقيل لأعرابي: كيف ترى شيخوختك من شبابك؟ قال: كما ترى عمارتك من خرابك.." (٢)

"ليشتد منهم، والغيظ يكبر عليهم، وإن كانوا نالوا الآخرة مع ما نالوا من الدنيا، إن القوم لصفوة الله وأبرار عباده: نسأل الله أن يجعل حظنا من الآخرة فوق حظنا من الدنيا، فالخاسر من أراد حرث العاجلة دون حرث الآجلة.

قيل لأعرابي: صف لنا أفضل الخيل فقال: المقبلات كالقنا، المعرضات كالدبا، المترصات كالنوى، المدبرات كالفرا.

شاعر: الطويل

وما هي إلا ليلة بعد ليلة ... وحول إلى حول وشهر إلى شهر

مطايا يقربن البعيد من الردى ... ويذهبن أشلاء الأنام إلى القبر

ويتركن أزواج الغيور لغيره ... ويقسمن ما يحوي الشحيح من الوافر

قال المدائني: قدم أعرابي من بني هلال يكنى أبا الرغيف من أخوال عبد الله بن عباس البصرة، وعبد الله بها وال، فكان

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢/٢٢٥

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢/٢٢٦

يكرمه ويدنيه فقال له يوما: هل تتخمون في بلادكم؟ قال: وما التخم أصلح الله الأمير؟ قال: الطسأ، قال: لاها الله إذن ما نطسأ، قال عبد الله: مم ذاك؟ قال: من أنا لا نخلي المعدة فترق، ولا نكظها فتحق، وأنا نأدم الأكل بشيء من الذوب ولا نستكمل التكاة. قال: فهل تلوون؟ قال: وما اللوي؟ قال: المدخر قال: لا، قال: ولم ذاك؟ قال: لأنا إذا طبخنا اللحم هرتناه، وإذا شويناه أنضجناه، وإذا مضغناه فتتناه، قال: هذا إذن من هذا. قال: فهل تتعرون؟." (١)

"فتضاحك ثم قال: وأنى لنا بالتعري أصلح الله الأمير، في أجسادنا ربل.

قال ثعلب، **قيل لأعرابي**: ما تطعم الخرء؟ قال: أذقته؟! كتب بشار بن برد المرعث يعزي أخا له: أما بعد، فإن أحق ما اغتنمنا حلوه، وصبرنا على مره، واستدمنا مكروهه، ونافسنا فيه أهله، وأحق ما أغلقنا أبوابه، وصرمنا أسبابه، وزهدنا في وده، ومللنا فجائعه، الدنيا التي لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها. وقد خبر الله تعالى عنها وكفى به خبيرا فقال " إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح " الكهف: ٤٦ فكتاب الله موعظتنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أسوتنا، فأي موعظة بعد كتاب الله، وأي أسوة بعد رسول الله، وقد قال الله تعالى " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة " الأحزاب: ٢١ ثم دعا للميت بالثواب والمغفرة، وللمعزى بإلهام الصبر، وتعويض الأجر.

هذا آخر الثاني، والثالث على أثره إن صرفت عني عتبك في جميع ما غرض من النفس، ودل على العجز، وأغلق باب العذر، والله أسأل معونة تكفي مؤونة، وهداية تنفي ضلالة، وإزاحة تكسب راحة، وحالا تحمد عاقبة، إنه ولي الخير، ومالك الأمر، لا إله إلا هو سبحانه عما يصفه الظالمون.." (٢)

"قال الزياتون: من مناقب الزيت أنه يعصر أول عصرة فيكون منه زيت للأكل، ثم يعصر ثانية فيكون منه زيت السراج، ثم يعصر ثالثة فتطيب به زقاق الزيت، ثم يباع ثجيره فيجفف وتسجر به النار فتكون ناره أحر نار، ثم يعزل رماد ذلك الوقود فيباع لأصحاب الصابون فيدخلونه في عمله فيجود، فلا يسقط منه شيء.

وصف بعض العلماء الذهب فقال: هو أبقى الجواهر على الدفن، وأصبرها على الماء، وأقلها نقصانا على النار، وهو أوزن من كل ذي وزن إذا كان في مقدار شخصه، وجميع جواهر الأرض إذا وضع على ظهر الزئبق في إنائه طفا، ولو كان وزنا عظيما، وحجما ثقيلا، وإن وضع قيراط من ذهب رسب حتى يبلغ قعر الإناء، وميله أجود الأميال، والهند تمره في العين بغير كحل، ولا يسود لصلاح طبعه وموافقة جوهره لجوهر الناظر، ومنه الزرياب والصفائح التي تتخذ لسقوف الخلفاء والملوك، وعليه مدار تبايع الخلق، وهو ثمن لكل شيء، والأرض التي تنبته تحيل الفضة إلى جوهرها في السنين الكثيرة، وتقلب الحديد إلى طبعها في الأيام اليسيرة، والطبيخ الذي يكون في قدوره أغذى وأمرأ وأصح في الجوف.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢/٢٤١

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢/٢٤٢

قيل لأعرابي: كيف أنت مع صديقك؟ قال: نتعايش بالنفاق، ونتجاوز بهجر وفراق.

قال خالد الكاتب في أبي المثنى الطفيلي: السريع." [1]

"مع عيسى، فأبى فقال: أتأنف ويحك أن تكون معه؟ قال: يا أمير المؤمنين، إني حلفت يمينا لا أكون على أمير المؤمنين في جد ولا هزل.

قيل لأعرابي: كيف ترى الدهر؟ قال: خدوعا خلوبا، وثوبا غلوبا.

قال رجل لمتكلم: ما الدليل على صانع العالم؟ قال: شعرة أمك، فإنها تحلقها فتنبت وتعلم أن لها منبتا، فقال الرجل: إن كان هذا دليلا على إثبات الصانع فإن بظر أمك يدل على نفي الصانع، لأنها إذا قطعته لم ينبت؛ فانقطع المتكلم.

والسفه في المتكلمين فاش، وسوء الأدب عندهم من أجود سلاح، والمكابرة من أكبر عدة، ولهذا يجتمعون فلا ينفع الله باجتماعهم وبتعاطيهم وبأهوائهم. وما زال هذا الدين بهي المنظر مهيب المخبر، عذب المورد محمود المصدر، حتى تكلم هؤلاء القوم فأثاروا الشبه، وأقاموا الحجج، وطرحوا في القلوب العار، وحملوا الألسنة على الإنكار؛ كفى الله المسلمين شرهم، إنه نعم الكافي والمعين.

قال أبو عبيدة: السحاب فحل الأرض.

قال المدائني: كان فروخ العلج موسرا، فزوج إلى بعض أشراف." [2]

"قيل لأعرابي: ما أطيب الروائح؟ قال: بدن تحبه، وولد تربه.

أبو العمثيل: الطويل

وبيضاء مكسال لعوب خريدة ... لذيذ لدى ليل التمام شمامها

كأن وميض البرق بيني وبينها ... إذ حان من بعض البيوت أبتسامها

قال مروان بن أبي حفصة لبشار: أنت باز والشعراء غرانيق.

قال ابن سلام: ذكر عند الأحنف الحضين بن المنذر بن الحارث فقالوا: ساد وهو حدث لم تتصل لحيته، فقال الأحنف: السؤدد مع السواد.

قال المبرد: كان سلم بن نوفل الدئلي سيد بني كنانة، فوثب رجل من أهله على ابنه فجرحه، فجيء به فقال له: ما أمنك مني وجرأك علي، أما خشيت عقابي؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: لأنا سودناك لتكظم الغيظ." [3]

"اللهم أهلك أبا حسان الدقاق فإنه تربص بالمسلمين وفعل السوءى بهم، ومنزله أول باب في الدرب على يسارك.

قال الهيثم بن عدي: كان يقال: لا يوجد العجول محمودا، ولا الغضوب مسرورا، ولا الكريم حسودا ولا الشره غنيا، ولا الملول ذا إخوان.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٣/٣٨

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٣/٤٦

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٣/٥١

أنشد لعمران بن حطان: الكامل

حتى متى تسقى النفوس بكأسها ... ريب المنون وأنت لاه ترتع

أفقد رضيت بأن تعلل بالمنى ... وإلى المنية كل يوم تدفع

أحلام نوم أو كظل زائل ... إن اللبيب بمثله لا يخدع

قيل لأعرابي: أين الجد من الأدب؟ قال: هذا مشرق وهذا مغرب.

قال عبد الله بن قيس في بني عمارة بن عقبة بن أبي معيط، وكانوا أكرموه: الكامل المجزوء

ما إن رأيت بني أب ... في الناس مثل بني عماره." (١)

"قال الأصمعي: سمعت جعفر بن سليمان يسأل أعرابيا: ما بال الأرنب أحب إلى الصقر من الحبارى؟ قال: لأن الحبارى تكلح في وجهه، وتسلح على سبلته.

قيل لأعرابي: فلان يعيبك، قال: ذاك المائل عن المجد رجلا، المطلي باللؤم وجها، ولكن قد ينبح القمر الكلب.

قال أعرابي وذكر شبابه قيل له: ثم مه، قال: ثم مللت راحة الصبا، وسقيت سلوة عن الهوى، وأعلم أن أغنى الناس من كثرت حسناته، وأفقرهم من قل نصيبه منها.

شاعر: الكامل

هذا الربيع كأنما أغصانه ... أبناء فارس في بنات الروم

بسط البسيطة سندسا وتبرقعت ... قلل المياه بلؤلؤ منظوم

والورد يحكي في ذرى أغصانه ... قضب الزبرجد نظمت بنجوم

في الأمثال: أنا الغريق فما خوفي من البلل ومنها: إن الدلاء ملاكها الوذم." (٢)

"كان العباس يقول: الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس، ومن الذنب للمصر، ومن الحكم للمقر، وهو عندهم أرفع من السماء، وأعذب من الماء، وأحلى من الشهد، وأذكى من الورد، خطأه صواب، وسيئته حسنة، وقوله مقبول، يغشى مجلسه، ولا يمل حديثه؛ والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب، ومن رؤيا الكظة، ومن مرآة اللقوة، ومن سحاب تموز، لا يسأل عنه إن غاب، ولا يسلم عليه إن قدم، إن غاب شتموه، وإن حضر حقروه، وإن غضب صفعوه، مصافحته تنقض الوضوء، وقرانه يقطع الصلاة، أثقل من الأمانة، وأبغض من الملحف الملزم.

قال أعرابي: أجمعوا الدراهم فإنها تلبس اليلمق، وتطعم الجردق.

قيل لأعرابي: ما السرور؟ قال: كثرة المال، وقلة العيال.

قيل لفيلسوف: فيم السرور؟ قال: في إيضاح حق قد ألتبس بباطل، وإزالة باطل قد جار على الحق.

قيل لصوفي: فيم السرور؟ قال في توحيد يقام شاهده، ومقام يصدق وارده.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٦٣/٣

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٨١/٣

أنشد ابن الأعرابي: الكامل

إني لألبسكم على علاتكم ... لبس الشفيق على العتيق المخلق

ولقد أرى ما لو أشاء عتبته ... فأصد عنه ببقيتي وترفقي

ليرى العدو قناتنا لم تنصدع ... ويكون ذاك كأنه لم يخلق." (١)

"لا تقل بشرى ولكن بشريان ... غرة الداعي ويوم المهرجان

فكره الحسن ابتداءه ب لا تقل بشرى فقال: لو قلت:

غرة الداعي ويوم المهرجان ... لا تقل بشرى ولكن بشريان

لكان أحسن، لأن الأبتداء ب لا قبيح، فقال له أبو مقاتل: لا كلمة أشرف من التوحيد، وابتداؤه ب لا.

قيل لسقراط: متى أثرت فيك الحكمة؟ قال: مذ بدأت أحقر نفسي.

قال أبو بكر الدلال: رئي غزوان الضرير في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: الخفيف المجزوء

حاسبونا فدققوا ... ثم منوا فأعتقوا

قيل لزيد بن علي: يا ابن رسول الله، أما ترى فقيرا يستغني، وغنيا يفتقر، وشيخا يبقى، وطفلا يخترم، وأحوالا هذه سبيلها خارجة عن العادة، فكيف ذلك؟ قال: نؤخذ في كل حال حتى لا نأمن في حال.

سمعت علي بن الحسين العلوي يقول: الموت طريق تستوي فيه الأقدام، ويسلكه المقصر والمقدام.

قيل لأعرابي: ما يغنيك؟ قال: السلامة في الدنيا، والكرامة في الآخرة.." (٢)

"على نهر ابن عمر بالبصرة على النيل، فاراد منه أن يصف بناءه فقال: أعز الله الأمير، بنيت أحسن بناء، بأوسع فضاء، وأخصب فناء، على أصفى ماء، وأغذى هواء، وبين صراري ورعاء، وحيتان وظباء؛ فقال: والله لكلامك أحسن من بنائي، ووصله وخلع عليه.

قال رجل لأعرابي بحضرة قوم يتخاصمون: أما ترى أجيج اليوم؟ قال: إن ضجيج القوم أشد من أجيج اليوم.

قيل لأعرابي: ما أعددت لحالي فقرك والغنى؟ قال: الذي أعددته لحفظ الغنى هو الذي أعددته لصرف الفقر.

كتب عبد الله بن عباس إلى عبد الملك بن مروان لما خرج محمد ابن الحنفية إلى الشام: إنه خرج إليك رجل منا، لا يبدأك بالشر ولا يمالئ على الظلم، يتحرى الحق ولا ينوي الباطل، فاحفظنا فيه. فأجابه عبد الملك: ما أسرني لصلة رحمك وحفظ توصيك، وكل ما سألت مفعول، وكل ما هويت متبع.

معنى قوله: يتحرى الشيء أي يطلب حراه أي مكانه وفناءه، يقال: نزلت بحراه وذراه وكنفه وعقوته؛ وأما ما مالأت فلانا فإن السيرافي سأل أهل." (٣)

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٨٦/٣

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٩٢/٣

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٢١/٣

"ضاحكا، حتى ألحق بالله عز وجل.

قال مغيرة: كنت كثير الضحك فلم يقطعه عني إلا قتل زيد بن علي.

لما احتضر معاذ قال: قد كنت أخشاك وأنا اليوم أرجوك.

قال عبد الله بن أبي الهذيل: إن كان أحدهما ليبول فيتسمح بالتراب مخافة أن تقوم الساعة.

قيل لأعرابي: ما أضنك بالخمر؟ قال: سبحان الله، كيف لا أضن بها وهي تسرج في عيني نورها، وفي سرورها.

قال العتبي: كان معاوية يقوم لرجل من أهل الشام، وكان شيخا مسنا قد بلغ التسعين، فقيل له: أتقوم لهذا؟ فقال: إن فيه شبها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا أقوم للنبي صلى الله عليه وسلم.

ذكر أعرابي شيبه فقالك كنت أنكر البيضاء فصرت أنكر السوداء.." (١)

"والندمان واحد فإذا رضيته فلا تفارقه ما لم يفارقك الرضا به، والغناء صوت واحد فإذا استطبته فاستزده حتى تقضي وطرك منه.

قال أعرابي: اللهم إنا نبات نعمتك فلا تجعلنا حصاد نقمتك.

كان ابن يسار يقول: اللههم يسر لنا ما نخاف عسره، وسهل لنا ما نخاف حزونته، ونفس عنا ما نخاف غمه، واكشف عنا ما نخاف كربه.

اختصم اثنان من الشطار إلى قاض لهم، يقول كل واحد: أنا أفتى منك، فقال القاضي لأحدهما: الخبيص أحب إليك أم الفلوذج؟ فقال: الخبيص، فقال الآخر: الفالوذج، فحكم للذي فضل الفالوذج، فسئل عن الحجة فقال: لأن الخبيص يعمل من السكر، والسكر من القند، والقند من القصب، والقصب يمصه الصبيان في الكتاتيب، وليس فيهم فتوة؛ والفالوذج من العسل، والعسل من الشهد، والشهد من النحل، والنحل أيوي الجبل، والجبل يكون فيه الصعاليك، والصعاليك فتيان.

قيل لأعرابي: لم لا تشرب؟ فقال: والله ما أرضى عقلي مجمعا فكيف أفرقه؟!." (٢)

"**وقيل لأعرابي**: أما تشرب؟ فقالك لا أشرب ما يشرب عقلي.

خرج سكران من داره فاستقبله الطائف فقال: أنت سكران، قال: لا، قال: أتقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: فاقرأ آية فيها أربع صادات، فقال السكران: وما قص صالح صاحب المصلى، فضحك الطائف، وإنما أراد " فاقصص القصص " الأعراف: ١٧٦.

قال حماد: قلت لمغن: غن، قال: هذا أمر، قلت: فأحب أن تفعل، قال: هذا حاجة، قلت: فلا تفعل، قال: هذا عربدة.

قال أحمد بن أبي العلاء: قلت لمغن في مجلس: غن لي صوت كذا، وبعده كذا، وبعده كذا، قال: يا ابن الزانية، ولا تقترح صوتا إلا بولي عهد؟؟! خرج سكران من موضع ليلا فتلقاه الطائف، فلف السكران رأسه ووجهه برداء كان معه، فقال الطائف: وما هذا؟ قال: هذا شيء مغطى وقد نادى الأمير ألا يكشف مغطى، فمن خالف الأمير جلده، قال الطائف:

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٣/١٤٧

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٤/١١٤

فاكشف لي عن رأسك لي عليك بأس، قال: ليس لي رأس، ومن أين لك أني برأس؟ قال الطائف: ويلك فمن أين تكلمني؟ قال: ليس هذا." (١)

"رأوا أبا نواس بقطربل وفي يده شراب وعن يمينه عنقود وعن يساره زبيب، فقيل له: ما هذا؟ قال: ابن وأب وروح القدس.

قال أبو العيناء: تذاكرنا النبيذ فقال الجماز: نبيذ الزبيب ممكسود الخمر.

قال بعض الأدباء: إنما اشتق لها من الروح – يعني الراح – هذا الاسم لأنها تزيد في الحياة؛ وقال أيضا: دما لأنها تزيد في الدم؛ وقال صريع الغواني: الطويل

خلطنا دما من كومة بدمائنا ... فأظهر في الألوان منا الدم الدم

قيل لأعرابي: كم تشرب من النبيذ؟ قال: على قدر النبيذ.

قال فيلسوف: بنيت الدنيا على أربعة أركان تستصلح بأمور أربعة: بنيت على الرغبة والشهوة والعداء ومنع البيضة؛ فتستصلح الرغبة بالقصد، والشهوة بالعفة، والعداء بالمسالمة، ومنع البيضة بالنجدة.." (٢)

"مروءة قد وجب عليه الحد، فقال لخصمائه: ألكم شهود؟ قالوا نعم، قال: فأتوني بهم إذا أمسيتم ولا تأتوني بهم إلا معتمين، فلما أمسوا اجتمعوا فأتوه، فقال لهم علي رضي الله عنه: نشدت الله تعالى رجلا لله تعالى عنده مثل هذا الحد إلا انصرف، فما بقي أحد، فدرأ الحد.

قيل لأعرابي: ما الذي يعجبك من الدنيا؟ قال: سيف كبرق ثاقب، ولسان كمخراق لاعب.

قال الزهري: سمعت رجلا يقول لهشام بن عبد الملك: لا تعدن يا أمير المؤمنين عدة لا تثق من نفسك بإنجازها، ولا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعرا، وأعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب، وأن للأمور تعاقبا فكن على حذر.

قال ابن دأب: فحدثت بهذا الحديث الهادي وفي يده لقمة قد رفعها إلى فيه، فأمسك يده ولم يولجها فاه حتى سمع الحديث مرات.

قال سلام بن أبي مطيع: اللهم ارزقني رزقا لا أشخص له، وإن حضرته لم أتعب فيه، وإن أتاني عن غير مسألة لم أرغب عنه؛ اللهم إن كنت بلغت أحدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية.." (٣)

"من يرد عليه، فمن مستقص محتج ومن مسامح موسع، يكون هذا المحتمل لصاحبه العذر والمحتج له من حيث لا يحتج لنفسه.

قال الشاعر: الطويل

إذا ما أتت من صاحب لك زلة ... فكن أنت محتالا لزلته عذرا

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١١٥/٤

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٤١/٤

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٤٥/٤

قال أعرابي: اللهم لك الحمد على طول النية، وحسن النظرة.

وقال: الحمد لله الذي أباتنا نائمين وأنبهنا سالمين.

وقال آخر: الحمد لله فالق الإصباح، وباعث الأرواح.

قال هداف التميمي: الحمد لله على نوم الليل وهدوء العروق وسكون الجوارح وكف الأذى والغنى عن الناس.

قيل لأعرابي: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحتسب على الله الحسنة، ولا أحتسب على نفسي السيئة.

قيل لأبي مسمع الوتري: أخبرنا عن قولهم: عطشان نطشان وجائع نائع، قال: كلمة يشد بها الرجل كلامه.

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغارفة، أي جز الشعر؛ يقال منه: غرف شعره.." [1]

"قال أحمد بن يزيد حدثني أب عن عمه حبيب بن المهلب قال: ما رأيت رجلا قط مستلئما في حرب إلا كان عندي رجلين، وما رأيت رجلين حاسرين في حرب قط إلا كانا عندي بمنزلة رجل واحد.

قال علي عليه السلام: الحرص مقدمة الكون.

قيل لصوفي: لم لا تعمل عملا؟ قال: إذا كان مستعملي قد أراحني فما وجه فضولي وتكلفي؟ شاعر: الطويل

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه ... شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا

وصار على الأدنين كلا وأوشكت ... صلات ذوي القربى له أن تنكرا

فسر في بلاد الله وألتمس الغنى ... تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

قيل لأعرابي: أيسرك أن تكون أحمق وأن لك مائة ألف درهم؟ قال: لا، قيل: ولم؟ قال: لأن حمقة واحدة تأتي على مائة ألف درهم وأبقى بعدها أحمق.

قيل لصوفي: على من تعول في معاشك؟ قال: على لطف من." [2]

"أن القصار لا يقصر أبدا.

قيل لأعرابي: أتحب الريف؟ قال: لا، قيل: ولم؟ قال: الريف مبطنة.

أنشد ثعلب في المجالسات لخارجة: البسيط

ما تدلك الشمس إلا حذو منكبه ... في حومة حولها الهامات تبتدر

آل الزبير بحور سيب أنملهم ... إذا دجا الليل في ظلمائه زهروا

قال ثعلب: العرب تسمي السل داء إلياس، وهو إلياس بن مضر، كان أصابه السل.

وقال ثعلب: الخزرج ريح الجنوب.

وأنشد: البسيط

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٦٨/٤

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٧٥/٤

تأتي أمور فلا تدري أعاجلها ... خير لنفسك أم ما فيه تأخير

فاستقدر الله خيرا وأرضين به ... فبينما العسر إذ دارت مياسير." (١)

"في أحد، قال: وأعسر من ذلك أن تجتمع بلاغة القلم وبلاغة الشعر.

قال حذيفة بن اليمان: الحسد أهلك الجسد.

قال بشر بن المعتمر: إذا كان العقل تسعة أجزاء احتاج إلى جزء من الجهل ليقدم على الأمور، فإن العاقل أبدا متوان متوقف، مترقب متخوف.

قيل لأعرابية في البادية: من أين معاشكم؟ فقالت: لو لم نعش إلا من حيث يعلم لم نعش.

قال بعض الشجعان لرفيق له، وقد أقبل العدو: أشدد قلبك، قال: أنا أشده وهو يسترخي.

قال أعرابي: الصبر قطب الأمر الذي عليه تدور الأمور، وليس علم من أعلام الفضل إلا والصبر سببه ومسببه.

سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لمسافر: وجهك الله في الخير، وزودك التقى، وجعلك مباركا أينما كنت.

شاعر: المتقارب." (٢)

"قال الأصمعي، **قيل لأعرابي**: إنك تموت، قال: فإلى أين يذهب بي؟ قالوا: إلى الله تعالى، قال: فما أكره أن أذهب إلى من لم أر الخير قط إلا منه.

قال الأصمعي: سمعت أعرابيا وهو متعلق بأستار الكعبة يقول: إلهي، من أولى بالزلل والتقصير مني، وقد خلقتني ضعيفا؛ إلهي، من أولى بالعفو منك، وقضاؤك علي نافذ، وعلمك بي محيط؛ أطعتك بإذنك والمنة لك علي، وعصيتك بعلمك، فالحجة لك علي، فبثبات حجتك وانقطاع حجتي، وبفقري إليك وغناك عني، إلا غفرت لي ذنوبي.

قال منذر الثوري: مررت بعلي بن الحسين رضي الله عنه فرأيته في حائط له يتفكر فقلت: ما وقوفك ها هنا؟ قال: وقفت أفكر، فهتف بي هاتف فقال: يا ابن الحسين! ما هذا الفكر، أفي الدنيا والرزق حاضر للبر والفاجر؟ أم في الآخرة والوعد صادق من ملك قادر؟ قلت: لا في هذا ولا في هذا، قال: ففيم؟ قلت: فيما يخوفنا الناس من فتنة ابن الزبير؛ قال: فأعاد الصوت فقال له: أرأيت رجلا خاف الله فلم يكفه؟ أو توكل عليه فوكله إلى غيره؟ قال: ثم قال: أنا الخضر يا ابن الحسين.

قيل لأعرابي: ما أشد البرد؟ قال: إذا دمعت العينان، وقطر المنخران، ولجلج اللسان.." (٣)

"**قيل لأعرابي**: ما تصنع بالبادية إذا اشتد القيظ وحمي ومتع الحر؟ قال: يمشي أحدنا ميلا حتى يرفض عرقا ثم ينصب عصاه، ويلقي عليها كساءه ويجلس في قبة يكتال الريح، فكأنه في إيوان كسرى.

قال عتبة بن أبي سفيان لابن عباس: ما منع علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - أن يبعثك مكان أبي موسى؟ فقال عبد الله: منعه من ذلك حاجز القدر، وقصر المدة، ومحنة الابتلاء، أما والله لو بعثني مكانه لاعترضت في مدارج نفس

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢٠٩/٤

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢٣٧/٤

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢٤٢/٤

عمرو، ناقضا لما أبرم، ومبرما لما نقض، أسف إذا طار، وأطير إذا أسف، ولكن مضى قدر وبقي أسف، ومع يومنا غد، وللآخرة خير لأميرالمؤمنين رضي الله عنه.

أنشد: المتقارب

أبى الناس أن يدعوا موسرا ... سليم الأديم سليم النشب

فقد خيروك فإن لم تطب ... بعرضك نفسا فطب بالذهب

ويقال: من تمنى طول العمر فليوطن نفسه على المصائب.." (١)

"**قيل لأعرابي**: إنكم لتكثرون الرحل والتحول وتهجرون الأوطان، فقال: إن الوطن ليس بأب والد ولا أم مرضع، فأي بلد طاب فيه عيشك، وحسنت فيه حالك، وكثر فيه دينارك ودرهمك، فاحطط به رحلك، فهو وطنك وأبوك وأمك ورحلك.

قال الأحنف: ما عرضت الإنصاف على أحد فقبله إلا هبته، ولا أباه إلا طمعت فيه.

قال ابن المقفع: العقول رسل الله تعالى إلى أهلها، والألسنة ترجمانها، والأقلام بردها.

هذا تمام الجزء الرابع، والخامس يقفوه على أثره، على المذهب المألوف في تحبير الكلام على فنونه، ورواية ما متح السماع به، وذكر ما تمت الشهادة عليه، فقدم مراقبة ربك على جميع أربك، وأعلم أنك بمرأى منه ومسمع، يعلم خائنة طرفك، وخافية صدرك، ولاحظ نعمة التي قد أكتنفتك، من شباب وجدة، وكفاية وراحة، وأرتبطها بالشكر، وأستدمها بالمواساة، وودعها بالحمد، وشرف نفسك بالعلم، وزينها بالحلم، تنل خير الدارين، وشرف المنزلتين.." (٢)

"ابن عاصم المنقري، فلما دخل عليها قالت: الوافر

للبس عباءة وتقر عيني ... أحب إلي من لبس الشفوف

وبيت تخفق الأرواح فيه ... أحب إلي من قصر منيف

وخرق من بني عمي نحيف ... أحب إلي من علج عنيف

٥١ - قال محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة: هذه الملح تعجب عقلاء الرجال.

٥٢ - قال المبرد: الوجذ: جمعه وجاذ، وهي النقرة التي يستنقع فيها الماء، كالوهد والوهاد؛ قال أبو عمر الجرمي: الوجذ: كل مستنقع ماء.

٥٣ - **قيل لأعرابي**: ما أحسن الثناء عليك؟ قال: بلاء الله عندي أحسن من وصف المادحين وإن أحسنوا، وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الذامين وإن أكثروا، فواحسرتي على ما فرطت، وواسوأتي مما قدمت، بلى، ثلجت." (٣)

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢٤٣/٤

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢٤٦/٤

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢٦/٥

"٥٩ – **قيل لأعرابي**: كيف فلان؟ قال: يقطع نهاره بالمنى، ويتوسد ذراع الهم إذا أمسى.

٦٠ – وقال أعرابي: أما فلان فلسانه أحلى من الشهد، وصدره سجن الحقد.

٦١ – وقال آخر في وصف آخر: إذا نزلت به النوائب قام إليها، ثم قام بها ولم تقعد به علات الأنفس.

٦٢ – وقال أعرابي في وصف قوم: والله ما نالوا بأطراف أناملهم شيئا إلا قد وطئنا بأقدامنا، وإن أقصى مداهم لأدنى فعالنا.

٦٣ – ذم أعرابي آخر فقال: لا يخشى عاجل عار، ولا آجل نار، كالبهيمة تأكل ما وجدت، وتنكح ما لحقت.

٦٤ – قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ليس خياركم من ترك الآخرة للدنيا، ولا من ترك الدنيا للآخرة، ولكن من أخذ من هذه لهذه.

٦٥ – وقال أعرابي: خطب رجل منا مغمور امرأة مغمورة، فقيل لولي المرأة: تعمم لكم فزوجتموه، فقال: إنا تبرقعنا له قبل أن يتعمم لنا.

٦٦ – وقال غيره: لئن هملجت في الباطل إنك عن الحق لقطوف، ولئن أبطأت عن الحق ليسر عن إليك.." (١)

"٩٣ – وقال في كليلة ودمنة: صحبة الأخيار تورث الخير، وصحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إذا مرت على النتن حملت نتنا، وإذا مرت على الطيب حملت طيبا.

٩٤ – **قيل لأعرابي**: صف الزلزلة، فقال: كأنها فرس انتفض ثم راجع.

٩٥ – قيل لرجل: صف لنا وليمة فلان، قال: كأنها زمن البرامكة في حسنها.

٩٦ – قال صاحب كليلة: من نصح لمن لا يشكر له كان كمن ينثر بذره في السباخ، أو كمن أشار على معجب، أو كمن سار الأصم.

٩٧ – وقال أيضا: لا يخفى فضل ذي فضل وإن أخفاه بجهده، كالمسك الذي يخبأ ويستر ثم لا يمنع ذلك ريحه من التذكي.

٩٨ – وذكر الجماز رجلا فقال: كأن قيامه من عندنا سقوط جمرة من الشتاء.." (٢)

"١٢٥ – ذكر أبو العيناء ولد موسى بن عيسى فقال: كأن أنوفهم قبور نصبت على غير القبلة.

١٢٦ – قال رجل لابن الزيات: إني أتوسل إليك بالجواز وأسألك العطف، فقال: أما الجواز فنسب بين الحيطان، وأما العطف والرقة فهما للنساء والصبيان.

١٢٧ – قيل لراهب: إن فلانا رجع عن القراءة، فقال: دعوه فإنه لا يرجع إلى شيء أحلى من عبادة الله عز وجل.

١٢٨ – وقيل لراهب: أين الطريق؟ يسألونه الهداية، فأشار إلى السماء وقال: ها هنا.

١٢٩ – وقدم بعض الصوفية إلى المحراب ليصلي بالناس، فوقف ثم التفت يمينا وشمالا وقال: استووا رحمكم الله، ثم خرج، فقيل له: ما هذا؟ فقال: إني استحييت من ربي أن آمركم بالاستواء، وأكون مقيما على عوج.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢٨/٥

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٣٤/٥

١٣٠ – وقيل لأعرابية معها شاة تبيعها: بكم تبيعين هذه الشاة؟ قالت: بكذا، قيل لها: أحسني، فتركت الشاة؟ وانصرفت، فقيل لها: ما هذا؟ فقالت: لم تقولوا أنقصي وإنما قلتم أحسني، فالإحسان ترك الكل.." (١)

"٢٤٧ – قال الأصمعي، قيل لأعرابي من بني كلاب: كيف تأكل الرأس؟ قال: أفك لحييه، وألخص عينيه – هذا قوله باللام وقال غيره بالباء، وله وجه – وأعرك أذنيه، وأسحي خديه، وأرمي بالدماغ إلى من هو أحوج مني إليه؛ فقيل له: إنك لأحمق من ربع، قال: وما حمق الربع؟ فوالله إنه ليجتنب العدوى، ويتبع المرعى، ويراوح بين الأطباء، فما حمق ربع يا هؤلاء؟ ٢٤٧ب – وقد رأيت ابن هلال الخوزي يقرأ: ويرواج بين الأطباء، يريد جمع طبيب، فضحك به، وكان ضحكة، يقال: هو ضحكة إذا ضحك به، وضحكة إذا كان كثير الضحك، وبابه مطرد في نظائره.

٢٤٧ج – وهذا الخوزي يدعي كل شيء وهو لا يقوم بشيء؛ وكان ابن هلال الخوزي وفد على قابوس صاحب جرجان، فقال في كلام دار بينهما: فهزم أعداء الله، وكسر، فزوى قابوس وجهه، وكان أمر له بأربعة آلاف درهم ولآخر بألفي درهم، فقال لحاجبه: اجعل ما لهذا لصاحب الألفين واجعل الألفين لهذا، ووالله ما يستحق هذا المقدار أيضا، وأظن أن موفده أراد أمرا.." (٢)

"وقال أيضا: ما آثر الدنيا على الآخرة حكيم قط، ولا عصى الله كريم.

قال الأصمعي، قيل لأعرابية: ما أحسن عزاءك عن ابنك؟ فقالت: إن فقدي ابني أمنني من المصائب بعده.

قال ابن السماك يوما: إن الله تعالى ملأ الدنيا لذات، وحشاها بالآفات، ومزج حلالها بالمؤونات، وحرامها بالتبعات.

قال ابن عائشة: قيل لبعض السلف: ما الكرم؟ قال: التأني للمعروف، قيل له: فما اللؤم؟ قال: التقصي على الملهوف.

قال الأصمعي، قال أعرابي: إن الآمال قطعت أعناق الرجال، كالسراب غر من رآه، وأخلف من رجاه، ومن كان الليل والنهار مطيتيه أسرعا به، ثم أنشد: البسيط

المرء يفرح بالأيام يقطعها ... وكل يوم مضى نقص من الأجل

قال الأصمعي، قال أعرابي: إن أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم.

وقال الأصمعي: سمعت أعرابيا يقول: إذا نبتت الأصول في القلوب، نطقت الألسن بالفروع، والله يعلم أن قلبي لك شاكر، ولساني ذاكر، هيهات لن يظهر الود المستقيم إلا من القلب السليم.." (٣)

"واحد منهما المطرف، فدعا إياس بمشط وماء فبل رأس كل واحد منهما وسرح شعره، فخرج المشط وعليه غفر المطرف، فدفع المطرف إلى صاحبه.

كان عمر بن هبيرة أميا لا يقرأ ولا يكتب، وكان إذا أتاه كتاب فتحه ونظر فيه كأنه يقرأه، فإذا نهض من مجلسه حملت الكتب معه، فيدعو جارية كاتبة ويدفع إليها الكتب فتقرأها عليه، فيأمرها فتوقع بما يريد ويخرج الكتاب، فاستراب به بعض

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٣٩/٥

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٧٠/٥

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٠٢/٥

أصحابه، فكتب كتابا على لسان بعض العمال وطواه منكسا. فلما أخذه قرأه ولم ينكر تنكيسه، فعلم أنه أمي.

قال صالح المري: التهنئة على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة.

قال الأصمعي: سألت امرأة من الأعراب عن حال لحقتهم فقالت: سنة جردت، ونار خمدت، وحال جهدت، فهل فاعل للخير، أو دال عليه، أو لا، فمن يجير، رحم الله من رحم، وأقرض من لا يظلم.

قال الأصمعي، **قيل لأعرابي**: صلب الخليفة زنديقا فقال: من طلق الدنيا فالآخرة صاحبته، ومن فارق الحق فالجذع راحلته.

قال الأصمعي، **قيل لأعرابي**: أتؤمن بالموت؟ قال: إي." (١)

"لعمرك ما الدنيا بدار لأهلها ... ولو عقلوا كانوا جميعا على رحل

فما تبحث الساعات إلا عن البلى ... ولا تنطوي الأيام إلا على ثكل

دعا أعرابي فقال: اللهم ذلل صعوبة هذا الأمر، وسهل لي حزونته، وارزقني من الخير أكثر مما أرجو، واصرف عني من الشر أكثر مما أخاف.

كاتب: ومن حدود فضائل الرؤساء مقابلة سوء من أساء بالإحسان، ولا نعمة أجزل من الظفر بالمجرم، ولا عقوبة لمجرم أبلغ من الندم، وقد ظفرت وندمت، والسلام.

قيل لعلي بن الحسين رضي الله عنهما: أنت أبر الناس ولا نراك تواكل أمك، قال: أخاف أن أمد يدي إلى ما سبقت عينها إليه فأكون قد عققتها.

قيل لأعرابي: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وأرى غروب الشمس وطلوعها يأخذان مني كل يوم جزءا، وكم عسى أن يدوم عدد ليس له مدد حتى يبيد وينفد.

قال يحيى بن معاذ الرازي: أشهد أن السماوات آيات بينات، وشواهد قائمات، كل يؤدي عنك بالحجة، ويقر لك بالربوبية، وهي موسومة بآثار قدرتك، ومعالم تدبيرك التي تجليت بها لخلقك، وأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر، ورجم الظنون، فهي على اعترافها." (٢)

"قيل لعلي رضي الله عنه: كم بين السماء والأرض؟ قال: دعوة مستجابة، قيل: فكم بين المشرق والمغرب؟ قال: مسيرة يوم للشمس، قيل: فكيف يحاسب الله يوم القيامة الخلق على كثرة عددهم؟ قال: كما يرزقهم في الدنيا على كثرة عددهم.

قيل لأفلاطون: أي الأمور أعجب؟ قال: أن يكون العمل على خلاف العلم.

قيل لأعرابي: أما تتأذى برائحة الودك؟ قال: فقدي له أشد أذى.

قيل لفيلسوف: لم لا يشتد فرحك بأخيك في حياته كشدة حزنك عليه بعد وفاته؟ قال: لأني كنت أعلم في حياته أنه يموت، والآن أعلم بعد وفاته أنه لا يعيش.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١١٣/٥

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢٠٤/٥

قال أعرابي: أتيت فلانا قبل أن ينطق الديك فخرس عن جوابي، ورجعت إلى أهلي خفيف الظهر وافر العرض.

قال ابن السماك في دعائه: اللهم أصلحني قبل الموت، وارحمني عند الموت، واغفر لي بعد الموت.

قيل لمحمد بن واسع: كسف أصبحت؟ قال: أصبحت والله طويلا أملي، قصيرا أجلي، سيئا عملي.." (١)

"سئل أعرابي عن ابن أخيه فقال: سكير لا يفيق، يتهم الصديق ويعصي الشفيق.

قيل لأعرابي: في خلافة من ولدت؟ قال: في خلافة يوسف بن عمر، أو كسرى بن هرمز، وأعوذ بالله أن أقول على الله إلا حقا.

قال أعرابي: الدراهم مواسم، تسم جميلا أو دميما، فمن حبسها كان لها، ومن أنفقها كانت له.

وصف أعرابي مملوكا له فقال: الرجز

يزعزع الدلو ... وما يزعزعه

يكفيه من جم ... ع البنان إصبعه

تكاد آذان ... الدلاء تتبعه

كاتب: كرم الوزير ورغبته في المعروف يطلقان الألسن بالمسألة، ويقربان الطالب من البغية، وعوائد إحسانه وترادف امتنانه يضمنان النجح ويؤكدان الثقة.

كان الشعبي يجلس إلى خياط، فقال له يوما: إذا حدثت فلا." (٢)

"ورثوا المكارم كابرا عن كابر ... وإليهم بالصالحات يشار

قوم بهم منع الإله حماءه ... وبهم على الملك الغشوم يجار

هذه أبيات قرئت على السيرافي وأنا أسمع، من كتاب الشدة، ومد الحمى، وهو عند أصحابنا مقصور، والشعر عربي عليه فجاجة المحرمين وسيما العنجهيين، ولا يطرد على مثله اعتراض، بل الواجب أن يقتدي به ويرجع إليه؛ وفي الأبيات كلمات غريبة تقتضي التفسير، ولكن أكره التثقيل والتطويل، فإن الكتاب قد أسأم القارئ وأمل الناظر وخيب الطالب ومنع جانبه المستنسخ، والرأي فيما هذا حاله التخفيف والاسترسال، والأخذ بما أمكن في الحال، وعلى ذلك قد جرينا، وإليه انتهينا، والله المعين.

قال أبو العيناء في رجلين فسد ما بينهما: تنازعا ثوب العقوق حتى صدعاه صدع الزجاجة ما لها من جابر.

قال: **وقيل لأعرابي** وهو على ركية ماء ملح: كيف هذا الماء؟ فقال: يخطئ الفؤاد ويصيب الأست.

قيل لأعرابي: ما تقول في الجري؟ قال: تمرة وسنانة غراء الطرف، صفراء السائر، عليها مثلها من الزبد أحب إلي منه، وما أحرمه.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢٢٥/٥

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٦/٦

قال أعرابي: بأبي وأمي رسول رب العالمين، ختمت به الدنيا وفتحت الآخرة.

قال يوسف بن أسباط لعلي النسائي: يا أبا الحسن، أتدري لم." (١)

"اتخذ الله إبراهيم خليلا؟ قال: لا، قال: قال الله تعالى: يا إبراهيم تدري لم اتخذتك خليلا قال: لا، قال: لأنك تأخذ وتعطي.

قيل لأعرابي: لا أقل من الرجاء، قال: بلى والله، اليأس الصريح.

قال بعض أهل اللغة: المنسر: ما بين الأربعين إلى السبعين، والرعلة: ما بين السبعين إلى المائة، والمقنب: من المائة إلى المائتين، والخميس: الخمسمائة، والفيلق: الألف، والجحفل: أربعة آلاف.

شاعر: الهزج

إذا ما كنت ذا مال ... ولم تبن به مجدا

ولم تحي به ذكرا ... ولم تور به زندا

ولم تحرز به أجرا ... ولم تكسب به حمدا

فإن شئت فكن كلبا ... وإن شئت فكن قردا

وإن شئت فخنزيرا ... ترى أسنانه دردا

وإن شئت فكن هزلا ... وإن شئت فكن جدا

وإن شئت فكن سلحا ... إلى مخرأة يهدي

قال ابن عمار: تذاكرنا ضيق المنازل، فقال الجماز: كنا على نبيذ لنا، فكان أحدنا إذا دخل الكنيف وجاءه القدح مد يده إلى الساقي فناوله إياه.." (٢)

"وأم الحجاج قوما فقرأ: " والعاديات ضبحا " العاديات: ١، فقال في آخرها " أن ربهم " - بالنصب - ثم تنبه على اللام في لخبير، وأن إن قبلها لا تكون إلا مكسورة فحذف اللام فقال: خبير، فكان نقص الكلام أسهل عليه من اللحن.

قال رجل لأعرابي: كيف أهلك؟ فقال الأعرابي: صلبا، ظن أنه سأل عن هلكته كيف تكون، وإنما سأله عن أهله.

قال: وهذا وأشباهه يدلك على معرفة العرب بالمعاني التي اختلف لها الإعراب، وتلك المعاني هي العلل.

وقالت بنت لأبي الأسود لأبيها: ما أطيب الرطب؟ فقال: جنس كذا، أرادت التعجب وذهب هو إلى الاستفهام.

فأما الرفع والنصب والخفض والهمز والإدغام والإمالة وأشباه ذلك فألقاب وضعها النحويون للمتعلمين من العجم والمنطيقيين ليقربوا بها عليهم البعيد ويجمعوا الشتيت، فإذا قال المعلم للمتعلم: حركة كذا رفع، وكل فاعل رفع، وحركة كذا نصب، وكل مفعول به نصب، وحركة كذا جر، وكل مضاف مجرور، وكذا ظرف، والظرف منصوب، وكذا حال، والحال منصوب، كفاه

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٥٥/٦

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٥٦/٦

بهذه الجمل على كثرته واعتبار بعضه ببعض؛ وأما العرب فإنها لا تعرف مواضع هذه الألقاب: قيل لأعرابي: أتهمز إسرائيل؟ قال: إني إذن لرجل سوء.." (١)

"دخل أبو حفص الكرماني على المأمون فقال: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في المداعبة؟ فقال: وهل العيش إلا فيها، قال: يا أمير المؤمنين، ظلمتني وظلمت غسان بن عباد، قال: ويلك، وكيف ذلك؟ قال: رفعت غسان فوق قدره، ووضعتني دون قدري، إلا أنك لغسان أشد ظلما، قال: وكيف؟ قال: لأنك أقمته مقام هزؤ وأقمتني مقام رحمة، فقال المأمون: قاتلك الله ما أهجاك.

قيل لأعرابي: ما وقفك ها هنا؟ قال: وقفت مع أخ لي يقول بلا علم، ويأخذ بلا شكر، ويرد حشمة.

قال الأصمعي: وصف رجل طعاما علمه، فقال له أعرابي: هل دعوت عليه أحدا من جيرانك؟ قال: لا، قال: فهل أطعمت يتيما؟ قال: لا، قال: فجعله الله في بطنك حشا وقذاذا.

قال عدي بن حاتم لابن أقيصر: كيف ترى فرسي هذا؟ قال: ما أرى به بأسا إلا انه يعثر، قال: وما يدريك؟ قال: شعرته ميتة لم ينضجها الرحم، فكان كما قال.

قال أبو حاتم: قيل لميمون بن مهران: إن رقية امرأة هشام ماتت فأعتقت كل مملوك لها، قال ميمون: يعصون الله مرتين، يتجملون به." (٢)

"قيل لأعرابي: هل استمريت ما أكلت البارحة؟ فقال: لو تغذى أحدنا بالدنيا وما فيها لأحب أن يتعشى بالآخرة.

وقال بعضهم: المائدة بلا بقل كالشيخ بلا عقل.

وكتب عبد الملك إلى الحجاج كتابا فيه: ولا تولين الأحكام بين الناس جاهلا بالأحكام، ولا حديدا طائشا عند الخصام، ولا طعما هلعا يقرب أهل الغنى، ويبش بأهل السعة، يكسر بذلك أفئدة ذوي الحاجة، ويقطع ألسنتهم عن الإفلاج بالحجة والإبلاغ في الصفة، واعلم أن الجاهل لا يعلم، والحديد لا يفهم، والطائش القلق لا يعقل، والطمع الشره لا تنفع عنده الحجة ولا تغني فيه البينة، والسلام.

قد وليناك كذا لما بلوناه من جميل أثرك، ورضيناه على الامتحان من مختبرك.

وفصل آخر في حديث القضاء من إنشاء بعض البلغاء: يعتمد على الحق وبيناته، ويتجنب الزيغ وشبهاته، ولا يقطع ضعيفا عن حجته، ولا يطمع خصما في منزلته، وينعم النظر في مشكلات الأحكام، آخذا بالاحتياط، معتقدا للإقسام، مجتهدا في الفصل بين الخصوم، والأخذ من الظالم للمظلوم، ويستبطن أهل الحجى، ويستظهر بذوي النهى.

فصل آخر في هذا المعنى: هذا ما عهد عبد الله الإمام أمير المؤمنين إلى فلان حين رداه رداء الشرف، وبوأه المتبوأ العالي المنيف،." (٣)

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٦٧/٦

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٦٩/٦

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢١٩/٦

"كما يقل غناء المكثر البخيل.

قيل لأعرابي: مذ هنت دقت محاسنك؛ قال: أي والله، ومساوئي.

قال فيلسوف: العقل صنفان: أحدهما مطبوع والآخر مسموع؛ فالمطبوع منهما كالأرض، والمسموع كالبذر والماء، فلا يخلص للعقل المطبوع عمل ولا يكون له غناء دون أن يرد عليه العقل المسموع فينبهه من نومه، ويطلقه من عقاله، ويستخرجه من مكامنه، كما يستخرج البذر والماء ما في قعر الأرض.

قال أعرابي: يكتفي اللبيب بوحي الحديث، وينبو البيان عن قلب الجاهل؛ إذا دخلت الموعظة أذن الجاهل مرقت من الأخرى.

قال أعرابي: سيرة الصالح زينة لعقبه، وحياة الفاجر فضيحة الدهر.

قال بعض الفرس: كما أن من السحاب ما ينقشع عن غير مطر، فكذلك وعد الكذوب من غير وفاء؛ وكما أن الإكثار نم الأكل غير رفق من." (١)

"قال عمر بن الخطاب: يحتاج الوالي إلى أن يستعمل مع رعيته في عدله عليها الإحسان إليها، فلو علم الله تعالى أن العدل يسع الناس لما قرن الإحسان به فقال " إن الله يأمر بالعدل والإحسان ".

قيل لأعرابي: أتحسن أن تدعو ربك؟ قال: نعم، قيل: فادع، فقال: اللهم إنك أعطيتنا الإسلام من غير أن نسألك، فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك.

كتب علي بن عبيدة إلى صديق له: كان خوفي من أن لا ألقاك متمكنا، ورجائي خاطرا، فإذا تمكن الخوف ظننت، وإذا خطر الرجاء خفت.

قال الجاحظ: رأيت أربعة أشياء عجيبة: رأيت رجلا يسأل الناس ويستقري بيوت الحمام بيتا بيتا، يأخذ مواعيدهم إلى أن يخرجوا؛ ورأيت معلما يعلم الصبيان القرآن والصبايا الغناء؛ ورأيت حجاما رافضيا يحجم إلى الرجعة نسيئة من فرط إيمانه؛ ورأيت أربعة حمالين يحملون جنازة كلما أعيوا وضعوها عن رؤوسهم وجلسوا يتحدثون حتى بلغوا شفير القبر.

قيل لأبي سعيد وهو مهموم: ما هذا الذي أثر فيك؟ قال: دنيا لا تؤاتي، وآخرة لا يعمل لها، وأجل ينقضي، وذنوب لا تحصى.." (٢)

"ترى عبد الله بن الربيع ما أحسنه؟ قال: أنا أحسن منه، قال عبد الله: أما ترى هذا الشيخ يا أمير المؤمنين ما أكذبه؟ فقال ابن عياش: يا أمير المؤمنين، احلق لحيته وأقمه إلى جانبي ثم انظر أينا أحسن، فضحك المنصور حتى استلقى.

قال رجل لأبي حازم: إن الشيطان قد أولع بي يوسوس لي أني قد طلقت امرأتي؛ فقال له: أنا أحدثك أنك قد طلقتها؛ قال: سبحان الله يا أبا حازم، قال: فتكذبني وتصدق الشيطان؟! قال: فانتبه الرجل وذهبت وسوسته.

قيل لأعرابي: من أجدر الناس بالصنيعة؟ قال: من إذا أعطي شكر، وإذا حرم صبر، وإذا قدم العهد ذكر.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢٠/٧

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٣٢/٧

قيل لأعرابي: من أكرم الناس غرة؟ قال: من إذا قرب منح، وإذا بعد مدح، وإذا ظلم صفح، وإذا ضويق سمح.

قيل لأعرابي: من ألأم الناس؟ قال: من إذا سأل خضع، وإذا سئل منع، وإذا ملك خنع، ظاهره جشع وباطنه طبع.." (١)

"صادقا فليس ينبغي أن أغضب، وإن كان كاذبا فبالحري أن لا أغضب.

تقدم إلى الشعبي رجلان فقال أحدهما: إني اشتريت من هذا غلاما صبيحا فصيحا صحيحا، فقال: هذه صفة محمد بن عمير سيد بني تميم.

كان على سيف بعض الشراة مكتوبا: ثأر الله من الظالمين.

شاعر: الطويل

حسام غداة الروع ماض كأنه ... من الله في قبض النفوس رسول

قال رجل لآخر: أتدري لم غلا السعر ببغداد؟ قال: لا، قال: لأن كل بلد خبزه أكثر من أهله وبغداد أهله أكثرن خبزه.

قيل لأعرابي: أتحن إلى الحاضرة؟ فقال: البادية أفسح، والجسم فيها أصح.

كاتب: لي حرمة سالفة، وفيك أمل قديم، وهما يقتضيانك حقا لا تدفعه، ويطالبانك بذمام لا تنكره.." (٢)

"مقلب للسانه بالملق، يتأبس بالتخلق وجه الخلق، موجود عند النعمة، مفقود عند الشدة، قد أنس بالمسألة، وضري بالرد، فلا تعق عقلك باختياره، ولاتوحش النعمة بإذلالها به، والسلام.

قيل لمجنون كان بالبصرة: عد لنا مجانين البصرة، قال: كلفتموني شططا، أنا على عد عقلائهم أقدر.

قيل لأعرابي: لم يقال أباعك الله في الأعراب؟ قال: لأنا نجيع كبده، ونعري جلده، ونطيل كده.

وصف أعرابي رجلا فقال: كان إذا تكلم أفاد، وإذا سئل جاد، وإذا ابتدأ أعاد.

شاعر: الرجز

يا إبلي روحي إلى الأضياف ... إن لم يكن فيك صبوح كاف

فأبشري بالقدر والأثافي ... وغارف ومغرف غراف." (٣)

"عن مقلتيك رأينا الحسن مبتسما ... دهرا كما ابتسم المرجان من فيك

يا بهجة الشمس ردي غير صاغرة ... علي قلبا ثوى رهنا بحبيك

ما استحسنت مقلتي شيئا فأعجبها ... إلا رأيت الذي استحسنته فيك

إذ منك يتسم الإقبال عن غصن ... لدن ويضحك عن دعص توليك

وقال: بيوت العرب ستة: قبة من أدم، ومظلة من شعر، وخباء من صوف، وبجاد من وبر، وخيمة من شجر، وأقنة من حجر.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٥٤/٧

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٧٧/٧

(٣) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢٠٢/٧

قيل لأعرابي: أي شيء ألذ في العين؟ قال: نظرة على خطرة، قيل: فأي شيء أحلى في القلب؟ قال: كسر الجفون، ومراسلة العيون.

قال سفيان بن عيينة: أكبر الكبائر الشرك بالله تعالى، والقنوط من رحمة الله عز وجل، واليأس ن روح الله عز ذكره، والأمان من مكر الله جل ثناؤه، ثم قرأ: " فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون " " ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة " " ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون " " ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ".

وقال: ثنتان منجيتان، وثنتان مهلكتان؛ فالمنجيتان النهي والنية، قال: والنية أن تنوي أن تطيع الله فيما تستقبل، والنهي أن تنهى نفسك عما حرم الله عليك؛ والمهلكتان: العجب والقنوط.." (١)

"شاعر: الكامل المجزوء

لما رأيت الدهر يفني الن ... اس من جيل فجيل

وعلمت أني هالك ... وسبيل من ولى سبيلي

أوطأت نفسي عشوة ... وعزفت عن قال وقيل

وشربتها مشمولة ... نشأت على الدهر الطويل

رقت فليس تحس كال ... شيء الخفي المستحيل

من كف ظبي فاتر ال ... ألحاظ كالرشأ الكحيل

قال أعرابي: الفقير من الأهل مصروم، والغني في الغربة موصول.

قال أعرابي: أوحش قومك ما كان في إيحاشهم أنسك، واهجر أوطانك ما نبت عنها نفسك.

قيل لأعرابي: أتشتاق إلى وطنك؟ قال: كيف لا أشتاق إلى رملة كنت جنين ركامها، ورضيع غمامها.

قال أعرابي: الاغتراب يرد الجدة، ويكسب الجدة.

شاعر: الرمل المجزوء

إن يكن مات صغيرا ... فالأسى غير صغير

كان ريحاني فصار ال ... يوم ريحان القبور." (٢)

"ما كان أحوج أبا سليمان أن يوضح علة هذا فإنه شنيع، وقد رأيت من أبناء التصوف من هجر العبادة بمثل هذا القول، وإذا أفردنا الكلام في فنونهم أتينا على شبههم بظنونهم إن شاء الله.

قال فيلسوف: اعتقد لولدك كتب آداب تنعم أرواحهم، لا عقد مال تنعم أشياحهم.

قيل لأعرابي: هل تحدث نفسك بدخول الجنة؟ قال: والله ما شككت قط أني سوف أخطو في رياضها، وأشرب من حياضها، وأستظل بأشجارها، وآكل من ثمارها، وأتفيأ بظلالها، وأترشف من قلالها، وأستمتع بحورها في غرفها وقصورها،

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٧٦/٨

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١١٧/٨

قيل له: أفبحسنة قدمتها أم بصالحة أسلفتها؟ قال: وأي حسنة أعلى شرفا، وأعظم خطرا من إيماني بالله تعالى، وجحودي لكل معبود سوى الله تبارك وتعالى، قيل له: أفلا تخشى الذنوب؟ قال: خلق الله المغفرة للذنوب، والرحمة للخطأ، والعفو للجرم، وهو أكرم من أن يعذب محبيه في نار جهنم، فكان الناس في مسجد البصرة يقولون: لقد حسن ظن الأعرابي بربه، وكانوا لا يذكرون حديثه إلا انجلت غمامة اليأس عنهم، وغلب سلطان الرجاء عليهم.

يقال: ما المعذول، وما المعدول، والمعلول، والمعبول، والمعتول، والمعزول، والمفضول، والمقلول، والمسلول، والمشلول، والمطلول، والمهبول، والمهطول، والمعقول، والمألول، والمقذول، والمفلول، والمغلول، والمكبول، والمضلول، والمغمول، والمعسول، والمغسول، والمفسول، والمقصول، والمسمول، والمنصول، والمغزول، والمتلول، والمبلول، والمثلول، والمجلول، والمحلول، والمخلول، والمدلول،." (١)

"أقدها أضناك أم دلها ... أم وجهها المشرق أم نحرها

أم طرفها الفاتر أم ظرفها ... أم ريقها البارد أم ثغرها

أم حسن تفاح بدا مونقا ... مدورا أنبته صدرها

قلت له أعشق ذا كله ... ونصف حران وثلثي رها

مر شبيب بن يزيد الخارجي على غلام قد استنقع في الفرات فقال: يا غلام، اخرج أسائلك، فقال: إني أخاف، قال: ومن أي شيء تخاف؟ قال فأنا في أمن حتى أخرج؟ قال: نعم، قال: فوالله لا أخرج اليوم، فقال شبيب: أوه، خدعني الغلام، وأمر رجلا يحفظه لئلا يصيبه أحد بمكروه، ومضى وخرج الغلام.

مر سليمان بن عبد الملك بميل في بعض أسفاره فقال: من هاهنا يخبرنا على كم هذا الميل من البريد؟ فلم يجد أحدا، فقال أعرابي يعدو بين يديه: أنا أخبرك، قال: وكيف وأنت لا تقرأ، فعدا ثم عاد فقال: ما رأيت؟ قال: رأيت محجنا، وحلقة وثلاثة كأطباء الكلبة ومثل رأس القطاة بمنقارها، فقال: قد أخبرت وأبلغت، هو خمسة من البريد.

قيل لأعرابي: أي الزاد أحب إليك؟ قال: الغريض النضيج.

قيل لأعرابي: ما بال مراثيكم أجود، قال: لأنا نقولها وأكبادنا تحترق.

شاعر: مخلع البسيط." (٢)

"لعمارة بن عقيل: الوافر

وما ينفك من سعد إلينا ... قطوع الرحم فارية الأديم

ونغفرها كأن لم يفعلوها ... وبعض العفو أذرب للظلوم

ورميك من رماك أخف ثقلا ... عليك غدا وأمنع للحريم

قيل لأعرابي: كيف ابنك؟ قال: عذاب رعف به الدهر، فليتني قد أودعته القبر، فإنه بقاء لا يقاومه الصبر، وفائدة لا يجب

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٤٦/٨

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٦٩/٨

فيها الشكر.

رقص أعرابي ابنه فقال: الرجز

أحبه حب الشحيح ماله ... قد ذاق طعم الفقر ثم ناله

إذا أراد بذله بدا له

آخر: البسيط

إذا رأيت ازورارا من أخي ثقة ... ضاقت علي برحب الأرض أوطاني

فإن صددت بوجهي كي أكافئه ... فالعين غضبى وقلبي غير غضبان

يقال: سلقى بناءه يسلقيه أي جعله مستلقيا ولم يجعله شكا، والشك: المستقيم.." (١)

"أحناهن على والد، وأرعاهن على زوج في ذات يد.

مات أعرابي عن أعرابية يقال لها طيبة، وخلف عليها بنيا، وتزوجت المرأة سرا والغلام لا يعلم، وكانت تختضب وتكتحل ويرى الغلام ما لا يعجبه، وكان الرجل يأتيها ليلا وينصرف مع الصبح، فقال الغلام:

ياطيب ما هذا بفعل حانيه

أكل يوم حلة مدانية

وكحل عينين وكف قانيه

إما على بعل وإما زانيه

والله ما أرضى بهذا ثانيه

الحانية: المتعطفة، والمصدر الحنو، فأما قولهم: حنت النعجة فيريدون اشتهت الذكر.

قال أعرابي: في وصف الجارية يقال: ناصعة اللون، جيدة الشطب، نقية الثغر، حسنة العين والأنف، ظريفة اللسان، واردة الشعر، يقال في اللغة: التليعة: الطويلة العنق، ويقال: فيها تلع.

قيل لأعرابي: أتحسن وصف النساء؟ فقال: إذا عذب طرفاها، وسهل خداها، ونهد ثدياها، ولطف كفاها، وبض ساعداها، وعرض وراكها، والتف فخذاها، واخدلج ساقاها، فهي هم النفس ومناها.." (٢)

"علينا ساعة من أعمارنا إلا ونحن نؤثر الدنيا على ما سواها، ثم ما نزداد لها إلا تحليا، ولا تزداد عنا إلا توليا.

قيل لأعرابي: ما خلفت لأهلك؟ قال: الحافظين، قيل: وما هما؟ قال: أعريهن فلا يبرحن، وأجيعهن فلا يمرحن.

وقال كعب بن جعيل:

مدحت قريشا واصطفيت ابن خالد ... وللخير آيات بها يتوسم

وكنت كمرتاد بمنقاره الثرى ... وصادف عين الماء إذا يترسم

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٧٣/٨

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٢٢/٩

غياث الجياع والمراضيع إ ن ... بمكة يوم ذو أهابي أيتم

فإن يسأل الله الشهور شهادة ... ينبأ جمادى عنكم والمحرم

بأنكم من خير من وطئ بالحصى ... إذا طفق المعطي يضن ويسأم

قال ابن أبي بردة: غزا قوم الديلم فأسروا، وأسر الديلم شديد، قال: فاشتكى ابن ملك الديلم فقالت أمه: اذهبوا به إلى العرب لعل عندهم دواء، فجاءت به امرأة فقال لها رجل: هاتيه، فقال له رفيقه: أنشدك الله لا تعرضنا للهلكة، قال: هاتيه، فجعل يعوذه ويقول:." [1]

"ابن زيادة وعلى غطريف بن أحمد – وعد قوما من العسكر – إنما يحتسبون علينا لأنا فقراء.

دخل رجل على محمد بن سليمان فقال له محمد: أين كنت فإني لم أرك منذ أيام، فأراد أن يقول التواني فقال: التهاون، فقال محمد: أنت علينا أهون.

قيل لأعرابي: صف نفسك، قال: إن كان أكل فقرب، وإن كان نبيذ فجرب، وإن كان قتال فغرب.

قال المبرد: كنت أغشى مجلس جعفر بن القاسم، وكان يتقلد إمارة البصرة للواثق، وأنا حدث السن، ليس في المجلس أصغر مني سنا، وكان يخلطني بحداثتي ويخاطبني، ثم تأخرت عنه لأسباب، فلما عدت قال لي: ما أخرك عنا؟ قلت: عله مرة وغيبة مرة، قال: وتوان مرة وتقصير مرة، فقلت: والله ما أغيب عن الأمير إلا بود حاضر، ولا أعصيه إلا بنية طائع فضحك ثم أنشد بيتين لإبراهيم بن المهدي، أحدهما:

ما إن عصيتك والغواة تمدني ... أسبابها إلا بنية طائع

فقلت: أعز الله الأمير، إذا كان سارق لفظ لا يفوتك فكيف يفوتك سارق مال؟ فضحك وقال أنا احب حضورك.." [2]

"يقال: النضنضة بطرف اللسان والشفتين، والمضمضة بالفم كله، والنضح كالرش، والنضخ كالتبليل، والقضم بالأسنان، والخضم بالفم كله.

قيل لأعرابي: لم تسمى الغراب غرابا؟ قال: لأنه نأى واغترب.

قال الأصمعي، قلت لأبي عمرو: الذفرى من الذفر؟ قال: نعم، والمعزي من المعز؛ والذفر: الرائحة الطيبة، فأما الذفر – بتسكين الفاء – فإنه النتن خاصة.

سأل المنصورعمرو بن عبيد عن قوله عليه السلام فيمن اقتنى كلبا لغير زرع ولا حراسة أنه ينقص كل يوم من أجره قيراط؛ قال: كذا جاء، ولا أدري لم قال ذلك.

قال النبي صلى الله عليه وعلى آله: لا زمام ولا خزام ولا رهبانية ولاتبتل ولا سياحة في الإسلام، وهو معنى قوله عز وجل ما جعل عليكم في الدين من حرج.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٩/٢٤

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٩/١٢٠

قال عبد الله بن عمر: دخل يحيى بن زكريا بيت المقدس وهو ابن ثماني حجج فنظر إلى عبادها وقد لبسوا مدراع الشعر وبرانس الصوف، وقد." (١)

"وعصبة لما توسطتهم ... ضاقت علي الأرض كالخاتم

كأنهم من بعد أفهامهم ... لم يخرجوا بعد إلى العالم

يضحك إبليس سرورا بهم ... لأنهم عار على آدم

قيل لأعرابي: أتعرف ربك؟ قال: إن عرفناه أبلانا، وإن أنكرناه أصلانا.

قال مسلم: مازلت أستجفي عائشة في قولها: بمن الله لا بمنك، حتى سألت أبا زرعة الرازي فقال: ولت الحمد أهله.

حمل إلى حماد القرشي دنانير فردها فقال له أصحابه، وكانوا أضيافه على كسر قد بدع بها كبة غزل: ما وجب أن ترد، فقال: إني لم أختر الفقر للغنى، إنما اخترت الفقر للفقر.

كان العتابي واقفا بباب المأمون، فوافى يحيى بن أكثم، فقال له العتابي: إن رأيت أن تعلم أمير المؤمنين مكاني فافعل، فقال: لست بحاجب، فقال: قد علمت، ولكنك ذو فضل، وذو الفضل معوان، قال: سلكت بي غير طريقي، قال: إن الله أتحفك منه بجاه ونعمة، وهو مقبل عليك بالزيادة." (٢)

"أخ لمته أو لامني ثم نرعوي ... إلى ثائب من حلمنا غير مخدج

أهون إذا عز الجليل وربما ... أزمت برأس الحية المتمعج

أخبرنا أبو سعيد السيرافي، قال: أخبرنا ابن دريد قال: قال أبو حاتم السجستاني: إذا مات لي صديق سقط مني عضوا.

كتب علي بن عبيدة الريحاني البصري إلى صديق له: كان خوفي من أن لا ألقاك متمكنا، ورجائي خاطرا، فإذا تمكن الخوف طفيت، وإذا خطر الرجاء حييت.

وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما: صحبة عشرين يوما قرابة.

وقال رجل لضيغم العابد: أشتهي أن أشتري دارا في جوارك حتى ألقاك كل وقت، قال ضيغم: المودة التي يفسدها تراخي اللقاء مدخولة.

وكتب آخر إلى صديق له: مثلي هفا، ومثلك عفا، فأجابه: مثلك اعتذر، ومثلي اغتفر.

وقال أعرابي: الغريب، من لم يكن له حبيب.

وقيل لأعرابي: من أكرم الناس عشرة؟ قال: من إن قرب منح، وإن بعد مدح، وإن ظلم صفح، وإن ضويق فسح، فمن ظفر به فقد أفلح ونجح.." (٣)

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٥٤/٩

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٦٧/٩

(٣) الصداقة والصديق أبو حيّان التوحيدي ص/٣٩

"ولما احتاج زياد إلى الحقنة وصفت له فتفحشها فقيل له: إنما يتولاها الطبيب، قال: إن كان لابد منها فالصديق.

قيل للجنيد: ابن عطاء يدعي صداقتك فهل هو كما يقول؟ قال: هو فوق ما يقول، وأجد ذلك له من قلبي بشواهد لا تكذبني عنه، ولا تكذبه عني.

قيل لأبي علي النصير: لم لا تتخذ الأصدقاء؟ قال: حتى أفرغ من الأعداء، فو الله لقد شغلوني بأنفسهم عن كل صديق يعينني عليهم، وإحالة العدو عن العداوة أولى من استدعاء الصداقة من الصديق.

قيل لرويم: ما الذي أقعدك عن طلب الصديق؟ قال: يأسي من وجدانه.

قيل لأعرابي: ألك صديق؟ قال: أما صديق فلا، ولكن نصف صديق، قيل: فكيف انتفاعك به؟ قال: انتفاع العريان بالثوب البالي.

قيل لصوفي: صف لنا الصديق؟ قال: هو الذي إذا عرض لك." (١)

"ومنهم من هو كالدواء يحتاج إليه في الحين بعد الحين على مقدار محدود، ومنهم من هو كالسهم الذي لا ينبغي أن تقربه فإنه سبب هلكتك.

قيل لأعرابي: كيف أنسك بالصديق؟ قال: وأين الصديق، بل أين الشبيه به، بل أين الشبيه بالشبيه به؟ والله ما يوقد نار الضغائن والذحول في الحي إلا الذين يدعون الصداقة، وينتحلون النصيحة، وهم أعداء في مسوك الأصدقاء وما أحسن ما قال حضريكم:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

وقال آخر:

إذا نوبة نابت صديقك فاغتنم ... مرمتها فالدهر بالناس قلب

وبادر بمعروف إذا كنت قادرا ... وحاذر زوالا من غنى عنك يعقب

فأحسن ثوبيك الذي هو لابس ... وأفره مهريك الذي هو يركب." (٢)

"كتب أبو بكر لرجل كتابا في شيء جعله قطيعة له فحمله الرجل إلى عمر بن الخطاب ليمضيه: فلما نظر عمر فيه بزق عليه ومحاه، فعاد الرجل مستعرا إلى أبي بكر فقال: فعل عمر كذا وكذا، والله ما أدري أأنت الخليفة أو عمر، فقال أبو بكر: هو، إلا أنه أنا! وكان الزهري يرويه: إلا أنه أبلى، وعلى الوجهين المراد صحيح، والمرمى عال، والغاية بعيدة.

قيل لأعرابي: أبا لصديق أنت آنس أم بالعشيق؟ فقال: يا هذا الصديق لكل شيء، للجد والهزل، وللقليل والكثير، ولا عاذل عليه، ولا قادح فيه، وهو روضة العقل، وغدير الروح.

فأما العشيق فإنما هو للعين، وبعض الريبة، والعذل إليه من أجله سريع، وفي الولوع به إفراط مزجور عنه، وحد موقوف دونه، فأين هذا من ذاك؟ نهار بن توسعة:

---

(١) الصداقة والصديق أبو حيّان التوحيدي ص/٨٧

(٢) الصداقة والصديق أبو حيّان التوحيدي ص/٩٣

عتبت على سلم فلما فقدته ... وجربت أقواما بكيت على سلم

آخر:

ونعتب أحيانا عليه ولو مضى ... لكنا على الباقي من الناس أعتبا

قال أعرابي: تصف عقلك مع أخيك فالقه واستشره.

شاعر:

واحفظ صديق أبيك حين وجدته ... واحب الكرامة من بدا فحباكها." (١)

"يطعني إذا جعت، ويكسوني إذا عرين، ويحملني إذا كللت، ويغفر لي إذا زللت، فقال له علي بن الحسين العلوي: أنت إنما تريد إنسانا يكفيك مؤونتك، ويكفلك في حالك، كأنما تمنيت وكيلا فسميته صديقا، فما أحار جوابا.

وقلت للبنوي ولقيته بالدسكرة سنة خمس وستين: من تحب أن يكون صديقك؟ قال: يقيلني إذا عثرت، ويقومني إذا ازوررت ويهديني إذا ضللت، ويصبر علي إذا مللت، ويكفيني ما لا أعلم وما علمت.

وسمعت أبا عامر النجدي يقول: الصديق من صدقك عن نفسه لتكون على نور من أمرك، ويصدقك أيضا عنك لتكون على مثله، لأنكما تقتسمان أحوالكما بالأخذ والعطاء، في السراء والضراء، والشدة والرخاء، فليس لكما فرحة، ولا ترحة، إلا وأنتما تحتاجان فيهما إلى الصدق والانكماش، والمساعدة على اجتلاب الحظ في طلب المعاش.

وقال أيضا: **قيل لأعرابي**: ألك صديق؟ قال: لا ولكن أليف.

شاعر:

ويلقونني بالبشر ما دمت فيهم ... فإن غبت عنهم قطعوا الجلد بالسب

وأغضي على أشياء منك تريبني ... ولولا اصطباري فاض عن عظمها قلبي." (٢)

"وقال الحسن: كان أحدهم يشق إزاره اثنين، ولا يستأثر دون أخيه بورق ولا عين.

وقال الحسن: لأن اقضي لأخ من إخواني حاجة أحب إلي من أن أصلي ألف ركعة.

وقال الحسن: ما تحاب اثنان ففرق بينهما إلا ذنب يحدثه أحدهما.

وقال الحسن: لا تشتر مودة ألف بعداوة واحد.

وقال الشاعر:

إذا ما امرؤ ولى علي بوده ... وأدبر لم يهدر بإدباره ودي

قيل لأعرابي: كيف ينبغي أ، يكون الصديق؟ قال: مثل الروح لصاحبه، يحييه بالتنفس، ويمتعه بالحياة ويريه من الدنيا

---

(١) الصداقة والصديق أبو حيّان التوحيدي ص/١١٩

(٢) الصداقة والصديق أبو حيّان التوحيدي ص/١٣٦

نضارتها، ويوصل إليه نعيمها ولذتها.

وأخبرنا ابن مقسم العطار النحوي قال: أنشدنا ثعلب لأعرابي:." [1]

"بني أمية إني ناصح لكم ... فلا يبتن فيكم آمنا زفر

واتخذوه عدوا إن ظاهره ... وما يغيب من أخلاقه دعر

مسكين الدارمي:

إذا ما خليلي خانني وائتمنته ... فذاك وداعيه وذاك وداعها

رددت عليه وده وتركته ... مطلقة لا يستطاع رجاعها

وإني امرؤ مني الحياء الذي ترى ... أعيش بأخلاق قليل خداعها

قيس بن الخطيم:

إذا ضيع الإخوان سرا فإنني كتوم لأسرار العشير أمين

يكون له عندي إذا ما ائتمنته ... مكان بسوداء الفؤاد مكين

شاعر:

ارى قوما وجوههم حسان ... إذا كانت حوائجهم إلينا

فإن كانت حوائجنا إليهم ... تغير حسن أوجههم علينا

ومنهم من سمنع ما لديه ... ويغضب حين نمنع ما لدينا

فإن يك فعلهم سمجا وفعلي ... قبيحا مثله فقد استوينا

قيل لأعرابي: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت بين حاذف وقاذف، وبين ستوق وزائف.." [2]

"وقيل: ذي الأوتاد هي أوتاد نصبها للعذاب يشد إليها ثم يعذبهم عليها

وقيل: كان فرعون إذا غضب على الرجل مده بين أربعة أوتاد حتى يموت

قرأ حمزة ﴿الوتر﴾ بكسر الواو، وقرأ الباقون ﴿الوتر﴾ بالفتح.

وقرأ ﴿يسري﴾ بياء في الوصل وبغير ياء في الوقف نافع وأبو عمرو بخلاف عنه، وقرأ ابن كثير بياء في الوصل والوقف وكذلك ﴿بالوادي﴾

وقرأ الباقون بغير ياء في وصل ولا وقف.

معنى سوط عذاب أي: قسط عذاب كالعذاب بالسوط الذي يعرف إلا أنه أعظم، ويجوز قسط عذاب يخالط اللحوم والدماء كما يخالط بالسوط من قولهم: ساطه يسوطه سوطا.

معنى ﴿لبالمرصاد﴾

---

(١) الصداقة والصديق أبو حيّان التوحيدي ص/٢٤٤

(٢) الصداقة والصديق أبو حيّان التوحيدي ص/٣٥٤

إنه لا يفوته شيء من أعمال العباد كما لا يفوت من بالمرصاد.

والمرصاد مفعال من رصده يرصده رصدا فهو راصد إذا راعى ما يكون منه

ليقابله بما يقتضيه، **وقيل لأعرابي** أين ربك يا أعرابي؟ فقال: بالمرصاد.." (١)

"١٨٥٣ - أخبرنا محمد بن عبد الرحمن، أنا عبيد الله بن عبد الرحمن السكري، قال: نا زكريا بن يحيى، قال: نا الأصمعي، وسليمان بن حرب، قال: سمعنا حماد بن زيد، قال: " **قيل لأعرابي**: أمؤمن أنت؟ قال: فجعل يقول: أزكي نفسي، قال سليمان: كان حماد يعجبه قوله "." (٢)

"الباب السابع والثلاثون في ذكر الرواد وحكاياتهم

وهو فصلان

فصل [في بيان معنى قوله ماء مدرع وغيرها]

قال ابن الأعرابي: يقال: ماء مدرع: إذا أكل ما حوله من الكلأ وماء قاصر: إذا كان المال حوله يرعى.

وحكى الأصمعي في صفة رائد: هو شديد الناظر سديد الخابر، ينظر بملء عينه لنفسه وغيره. قال: وزعم أبو صالح التميمي أن رجلا من العرب سأل أعرابيين، فقال: أين مطرتما؟ قالا: مطرنا بمكان كذا وكذا. قال فماذا أصابكما من المطر؟ قالا: حاجتنا. قال:

فما سيل عليكما؟ قالا: ملنا الوادي كذا وكذا فوجدناه مكسرا، وملنا الوادي كذا فوجدناه مشطيا. قال: فما وجدتما أرض بني فلان؟ قالا: وجدناها ممطورة- قد ألس غميرها- وأخوص شجرها- وأخلس نصيصها، وأليث سخيرها- وأحلس حليها- ونبيت عجلتها.

قوله: مكسرا يعني سالت جرفته وشعابه ومعنانه أي جوانبه، ومعنان لا واحد لها من لفظها ومعنى مشطيا سال شاطياه، ومعنى نبيت صارت لها أنابيب. وأحلس حليها أي قد خرج فيه خضرة والخضرة الطرية. ويقال: قد أخلس وأليث سخيرها يعني اشتعل ورقا.

قال: وقيل لآخر: كيف كلأ أرضك؟ قال: أصابتنا ديمة بعد ديمة على عهاد غير قديمة. فالتاب يشبع قبل العظيمة. وقيل لابنة الحسن: ما أحسن شيء؟ قالت: غادية في اثر سارية في تنجاء قاوية. التنجاء: أرض مرتفعة لأن النبت في أرض مشرف أحسن. وقد قالوا: نفخاء رابية. قال: ليس فيها رمل ولا حجارة. والجميع نفاخى ونبت الرابية أحسن من نبت الأودية. لأن السيل يصرع الشجر فيقذفه بالأودية فيلقي عليها الدمن.

وقالت أيضا: أحسن شيء سارية في إثر غادية، في روضة أنف، أكل منها وترك.

---

(١) تفسير ابن فورك ابن فُورَك ٣/٢١٤

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي ٥/١٠٧٨

وقيل لأعرابي: أي مطر أصابك؟ قال: مطيرة يسيل شعاب السخبر. وتروي التلعة المحلة شعاب السخبر. عرضها ضيق وطولها قدر رمية الحجر. والتلعة المحلة التي تحل." (١)

"بيتا. وقد حنأت الأرض تحنأ وهي حانية أي اخضرت والتف نبتها وإذا أدبر وتغير نبتها قيل: اصحامت فهي مصحامة.

وقال أبو داود الأعرابي: تركنا بني فلان في ضفيغة من الضفائغ وهي الكلأ والعشب الكثير.

ويقال: وعبنا رقة الطريقة وهي الصليان والنصى. والرقة أول خروج نبتها رطبا.

وحكوا عن الينمة أنا الينمة أغبق الصبي قبل العتمة وأكب الثمال فوق الأكمة، كهيئة زيد الغنم يقال: ثمال لبنها كثير، وكلما كثرت رغوة اللبن كان أطيب له، يعني دري بعجل للصبي لأن الصبي لأبصر والمراغي أطيب لبنا من المصاريح. والينمة بقلة يشبه الباذروج.

وقيل لأعرابي: هل لك في البدو؟ فقال: أما ما دام السعدان مستلقيا فلا قال، وهو أبدا مستلق كره البادية.

وعن غير ابن الأعرابي قال: خرج الحجاج إلى ظهرنا هذا فلقي أعرابا وقد انحدروا في طلب الميرة، فقال: كيف تركتم السماء وراءكم؟ فقال: متكلمهم: أصابتنا السماء هي بالمثل، مثل القوائم حيث انقطع الرمث يضرب فيه تفتير وهو على ذلك يعضد ويرسغ ثم أصابتنا سماء أمثل مهنا يسيل الدماث- والتلعة- الزهيدة- القليلة الأخذ فلما كنا حذاء الجفر أصابنا ضرس جود ملأ الآخاذ. واحدها أخذ وهي المصانع. فأقبل الحجاج على زياد بن عمرو العتكي، فقال: ما يقول هذا الأعرابي؟ قال: وما أنا وما يقول إنما أنا صاحب سيف ورمح. قال: بل أنت صاحب مجذاف وقلس أسج، فجعل يفحص الثرى ويقول: لقد رأيتني وإن المصعب يعطيني مائة ألف، فها أنا أسبح بين يدي الحجاج.

قال: وسئل أعرابي عن المطر فقال: أصابتنا السماء بدث، وهو المطر القليل لا يرضي الحاضر ويؤذي المسافر- ثم ركت- ثم رسغت- ثم أخذنا جار الضبع فالأرض اليوم لو يقذف بها بضعة لم تقض بترب، أي لم يقع إلا على عشب قضت وأقضت إذا أصابها القضض أي كثر المطر، حتى لم يوجد القضض ورسغت، أي كثر المطر حتى يغيب الرسغ، والرك أكثر من الدث.

وقيل لأعرابي: ما أشد البرد؟ قال: إذا كانت السماء نقية- والأرض ندية- والريح شآمية. وقيل لآخر: ما أشد البرد؟ فقال: إذا صفت الخضراء، وندبت الدقعاء، وهبت الجربياء. وقيل لآخر: ما أشد البرد؟ قال: إذا دمعت العينان وقطر المنخران، ولجلج اللسان.

وقال أعرابي: ليس الحياء بالسجية يتبع أذناب أعاصير الريح، ولكن كل ليلة مسبل رواقها، منقطع نطاقها، نبيث أذان ضأنها تنطف إلى الصباح.." (٢)

(١) الأزمنة والأمكنة المرزوقي ص/٣٦٠

(٢) الأزمنة والأمكنة المرزوقي ص/٣٦١

"فصل في ذكر مواقعهم ومسارحهم

قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصيل الخزاعي حين قدم عليه المدينة: «كيف تركت مكة يا أصيل؟» قال: تركتها وقد أحجن ثمامها، وأغدق أذخرها، وأمشر سلمها، فقال: «يا أصيل دع القلوب تقر» . وروي أنه لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب القوم وعك فدخل عليه السلام على أبي بكر (رضي الله عنه) فقال: كيف تجدك فقال شعرا:

كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

ثم دخل على عامر بن فهيرة فقال: كيف تجدك فقال شعرا:

وجدت طعم الموت قبل ذوقه ... إن الجبان حتفه من فوقه

والثور يحمي أنفه بروقه ثم دخل على بلال (رضي الله عنه) فقال: كيف تجدك فقال شعرا:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بفج وحولي أذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

فقال صلى الله عليه وسلم: «طرب القوم إلى بلادهم: اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة» وقال الراجز: جاء بنو عمك رواد الأنق. وقال رؤبة من طول بعد الربيع في الأنق. وقال بعض الرواد وسئل عما وراءه فقال: هلم أظعنكم إلى محل تطفأ فيه النيران، يعني لا يوجد عود يابس يوقد عليه. **وقيل لأعرابي**: كيف كان المطر عندكم؟ فقال: مطرنا بعراقي الدلو وهمي ملي.

وقال أبو زياد: بعث شيخ أبنين له يرتادان، فانصرف إليه أحدهما فقال الشيخ: خل على ما وجدت، فقال: ثاد ماد، مولى عهد، يشبع منه الناب، وهي تعدو أقفر، يعني مكاكية فلبث ولم يظعن، حتى أتاه الآخر فقال: كيف وجدت الحياء؟ قال حياء ماذا؟ قال:

العام وعام مقبل؟ فقال له الشيخ: خل على ما وجدت. قال؛ وجدت بقلا وبقيلا وسبلا وسبيلا، خوصه مثل الليل، قد دب ما تحث هناكم السيل قال: هل به أحد؟ قال: نعم به بنو الرجل لا يوجد أثرهم.

قال أبو زيد: بقلا أي وسميا كان مطره قبل الشتاء. وبقيلا كان مطره بعد ذلك.

وسبلا كان من الوسمي. وسبيلا كان بعد ذلك وهو الذي نبت منه البقيل، قال: وعنى بالخوصة العرفج والثمام والسبط وما كان في أصل، قال: فلم يشك بنوه أن الشيخ ظاعن." (١)

"وهذا رأسي – فكشفت عن عناقيد كالحمم – وما رأيت في رأسي بياضا قط، ولكن أحببت أن تعلم أنا نكره مثل ما يكره منا. وأنشدت: أرى شيب الرجال من الغواني ... بموضع شيبهن من الرجال قال: فرجعت خجلا كاسف البال. وصفت امرأة نساء فقالت: كن صدوعا في صفا ليس لعاجز فيهن حظ.

من أقوال ابنة الخس

قيل لابنة الخس: من تريدين أن تتزوجي؟ فقالت: لا أريده أخا فلان ولا ابن عم فلان، ولا الظريف، ولا المتظرف، ولا

---

(١) الأزمنة والأمكنة المرزوقي ص/٣٦٤

السمين الألحم ولكني أريده كسوبا إذا غدا، ضحوكا إذا أتى، أخال ولا تيمنه وقيل لها: من أعظم الناس في عينيك؟ قالت: من ٣٦٦ كانت لي إليه حاجة. قيل لأعرابية قد حملت شاة تبيعها: بكم؟ قالت: بكذا. قيل لها: أحسني. فتركت الشاة ومرت لتنصرف. فقيل لها: ما هذا؟ قالت: لم تقولوا أنقصي، وإنما قلتم: أحسني. والإحسان ترك الكل. قالت قريبة الأعرابية: إذا كنت في غير قومك فلا تنس نصيبك من الذل قيل لأعرابية: ما أطيب الروائح؟ قالت: بدن تحبه، وولد تربه. سأل رجل الخيزران حاجة، وأهدى إليها هدية فردتها وكتبت إليه: إن كان الذي وجهته ثمنا لرأي فيك فقد بخستني في القيمة، وإن كان استزادة فقد استغششتني في النصيحة. قتل قتيبة أبا امرأة وأخاها وزوجها ثم قال لها: أتعرفين أعدى لك مني؟ قالت: نعم: نفس طالبتني بالغداء بعد من قتلت لي. تقدمت امرأة إلى قاض فقال لها القاضي: جامعك شهودك كلهم؟ فسكتت فقال كاتبه: إن القاضي يقول: جاء شهودك معك؟ قالت: نعم. ثم قالت للقاضي:." (١)

"ألا قلت كما قال كاتبك. كبر سنك، وذهب عقلك. وعظمت لحيتك فغطت على عقلك؛ وما رأيت ميتا يحكم بين الأحياء غيرك. قالت أعرابية لزوجها، ورأته مهموما: إن كان همك بالدنيا فقد فرغ الله منها، وإن كان للآخرة فزادك الله هما بها. قال الأصمعي: سمعت أعرابية تقول: إلهي؛ ما أضيق على من لم تكن دليله، وأوحشه على من لم تكن أنيسه! وافتخرت جاريتان من العرب بقوسي أبويهما. فقالت إحداهما: قوس أبي طروح مروح، تعجل الظبي أن يروح. وقالت الأخرى: قوس أبي كرة، تعجل الظبي النفرة. قال عتبة بن ربيعة لابنته هند: قد خطبك إلي رجلان؛ خطبك السم ناقعا، وخطبك الأسد عاديا. فأيهما أحب إليك أن أزوجك؟ قالت: الذي يأكل أحب إلي من الذي يؤكل. فزوجها أبا سفيان، وهو الأسد العادي وكان الآخر سهيل بن عمرو. سمعت امرأة بدوية وهي ترقص ابنا لها وتقول: رزقك الله جدا يخدمك عليه ذوو العقول، ولا رزقك عقلا تخدم به ذوي الجدود.

حديث أختين

قال ابن أبي طاهر: حدثني علي بن عبيدة قال: تزاورت أختان من أهل القصر، فأرهقتهما الصلاة، فبادرت إحداهما فصلت صلاة خفيفة، فقال لها بعض النساء: كنت حرية أن تطولي الصلاة في هذا اليوم شكرا لله حين التقينا. قالت: لا، ولكن أخفف صلاتي اليوم وأتمتع بالنظر إليها، وأشكر الله في صلاتي غدا. قالت الخنساء: النساء يحببن من الرجال المنظراني الغليظ. القصرة، العظيم الكمرة، الذي إذا طعن حفر، وإذا أخطأ قشر، وإذا أخرج عقر. قيل لأعرابية في البادية: من أين معاشكم؟ فقالت: لو لم نعش إلا من حيث نعلم لم نعش.." (٢)

"قيل لأعرابي: أتشرب قدحا من لبن حازر ولا تتنحنح؟ قال: نعم فأخذه في حلقه مثل الزجاج فقال: كبش أملح. فقيل له: إنك تنحنحت فقال: من تنحنح فلا أفلح. ومد صوته فقضى وطره. قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان: إياكم والطمع فإنه يردي. والله لقد هممت أن أفتك بالحجاج، فإني لواقف على بابه بدير الجماجم، إذا بالحجاج قد خرج على دابة، ليس معه غير غلام، فأجمعت على قتله فكأنه عرف ما في نفسي قال: فقال: ألقيت ابن أبي مسلم؟ قلت: لا. قال:

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٤/٤٠

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٤/٤١

فالقه فإن عهدك معه على الري. قال: فطمعت وكففت فأتيت يزيد بن أبي مسلم فسألته فقال: ما أمرني بشيء. وقال عمرو بن يزيد الأسيدي: خفنا أيام الحجاج، وجعلنا نودع متاعنا، وعلم جار لنا، فخشيت أن يظهر أمرنا، فعمدت إلى سفط فجعلت فيه لبنا ودفعته إليه، فمكث عنده حتى أمنا. فطلبت منه، فقال لي: أما وجدت أحدا تودعه لبنا غيري. لقي الحجاج أعرابيا خاليا بفلاة فسأله عن نفسه فأخبره بكل ما يكره وهو لا يعرفه. فقال: إن لم أقتلك فقتلني الله. قال الأعرابي: فأين حق الاسترسال؟ فقال الحجاج: أولى. وأعرض عنه.

حيلة عمرو بن العاص

توجه عمرو بن العاص حيث فتح قيسارية إلى مصر وبعث إلى علجها فأرسل إليه: أن أرسل إلي رجلا من أصحابك ٣٩٣ أكلمه. فنظروا فقال عمرو: ما أرى لهذا أحدا غيري. فخرج ودخل على العلج، فكلمه فسمع كلاما لم يسمع مثله قط، فقال: حدثني. هل في أصحابك مثلك؟ قال: لا تسل عن هواني عليهم؛ إلا أنهم بعثوني إليك وعرضوني لا يدرون ما تصنع بي. فأمر له بجائزة وكسوة وبعث إلى البواب: إذا مر بك فاضرب عنقه، وخذ ما معه.." (١)

"**قيل لأعرابي**: هذا قصر. بما ارتفع. فقال: بالجص والأجر. مدح شاعر طلحة صاحب البريد بأصبهان، فلم يثبه. فقال: لو كنت من مدحي بلا صفد لاكتلت من طلحة كرين من خير. فقال له طلحة: لحنت، لأنك صرفت طلحة، وطلحة لا ينصرف. فقال له: الذي لا ينصرف طلحة الطلحات فأما أنت فتبلغ الصين بنفخة. **قيل لأعرابي**: كيف تقول: ضرب عبد الله زيد؟ فقال: كما قلت. قيل: لم؟ قال: لشر أحسبه وقع بينهما. قدم رجل على بعض الولاة، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من أرض الله. قال: وأين تريد؟ قال: بيت الله. قال: وممن أنت لا أم لك؟ قال: من تيم الله. فأمر بوجيء عنقه. فقال: بسم الله. فقال: اتركوا ابن الخبيثة. فلو ترك الرفع وقتا تركه الساعة. قال أبو العيناء: دخل رجل إلى عليل: فقال له: لا إله إلا الله، وإن شئت لا إله إلا الله، والأولى أحب إلى سيبيويه فقال أبو العليل: حرمني الله أجره إن لم يكن مشهدك له أشد علي من مؤته. قال رجل لآخر: تأمر بشيئا؟ قال: بتقوى الله، وإسقاط الألف. قال خلف قلت لأعرابي: ألقي عليك بيتا؟ قال: على نفسك فألقه. قال رجل من البلديين لأعرابي - وأراد مسألته عن أهله - كيف أهلك؟ قال - بكسر اللام. فقال الأعرابي: صلبا. لأنه أجابه على فهمه، ولم يعلم أنه أراد المسألة عن أهله. قال الجاحظ: قال بشر المريسي لجلسائه: قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه، وأهنؤها. فقال له قاسم التمار: هذا على قوله: إن سليمي والله يكلؤها ... ضنت بشيء ما كان يرزؤها." (٢)

"فصار احتجاج قاسم أطيب من لحن بشر. وقال: قدم رجل من النحويين رجلا إلى السلطان في دين له عليه، فقال: أصلح الله الأمير، لي عليه درهمان. فقال خصمه له: والله - أصلحك الله ثلاثة دراهم ولكنه لظهور الإعراب ترك من حقه درهما. وكان سابق الأعمى يقرأ: " الخالق البارئ المصور " فكان ابن جابان إذا لقيه قال: يا فاسق ما فعل الحرف الذي تشرك بالله فيه؟ قال: وقرأ مرة: " ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا " بفتح تاء تنكحوا، فقال ابن جابان: وإن آمنوا

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٨٦/٤

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١٨٠/٥

لم ننكحهم. سمع أعرابي رجلا يقول: أشهد أن محمدا رسول الله بالفتح، فقال: يفعل ماذا؟ **قيل لأعرابي**: كيف تقول استخذيت أو استخزيت؟ فقال: لا أقولهما. قيل: ولم؟ قال: العرب لا تستخذي. سكر هارون بن محمد بن عبد الملك ليلة بين يدي الموفق، فقام لينصرف، فغلبه السكر، فقام في المضرب. فلما انصرف الناس جاء راشد الحاجب، فأنبهه وقال: يا هارون انصرف. فقال بسكره: هارون لا ينصرف. فسمع الموفق فقال: هارون لا ينصرف فتركه راشد فلما أصبح الموفق وقف على أن هارون بات في مضربه. فقال: يا راشد أيبيت في مضربي رجل لا أعلم به؟ فقال: أنت أمرتني بهذا، قلت: هارون لا ينصرف. فقال: إنا لله – وضحك – أردت الإعراب وظننت أنت غيره. يقال: إن يزيد بن المهلب كان فصيحا لم يؤخذ عليه زلة في لفظ إلا واحدة، إنه قال على المنبر – وذكر عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب فقال –: وهذه الضبعة العرجاء. فاعتدت عليه لحنا، لأن الأنثى إنما يقال لها الضبع، ويقال للذكر الضبعان. قيل: كان خالد بن صفوان يدخل على بلال بن أبي بردة يحدثه، فيلحن. فلما كثر ذلك على بلا قال له: أتحدثني أحاديث الخلفاء، وتلحن لحن الستات.." (١)

"**قيل لأعرابي**: ما وراءك؟ قال: خلفت أرضا تتظالم معزاها يقول: سمنت، وأشرت فتظالمت. قال سعيد بن سلم: كنت واليا بأرمينيه فغبر أبو دهمان الغلابي على بابي أياما فلما وصل مثل بين يدي قائما بين السماطين فقال: إني والله لأعرف أقواما لو علموا أن سف التراب يقيم من إصلاح أولادهم لجعلوه مسكة لأرماقهم إيثارا للتنزه عن عيش رقيق الحواشي، أما والله إني لبعيد الوثبة، بطيء العطفة، إنه والله ما يثنيني عليك إلا مثل ما يصرفك عني، ولأن أكون مقلا مقربا، أحب إلي من أن أكون مكثرا مبعدا والله ما نسأل عملا لا نضبطه ولا مالا إلا ونحن أكثر منه، إن هذا الأمر الذي صار في يدك قد كان في يد غيرك، فأمسوا والله حديثا، إن خيرا فخيرا، وإن شرا فشرا فتحبب إلى عباد الله. بحسن البشر ولين الجانب، فإن حب عباد الله موصول بحب الله، وبغضهم موصول ببغض الله وهم شهداء الله على خلقه، ورقباء على من اعوج عن سبيله. دخل على المهدي وفود خراسان فقام رجل منهم فقال: أطال الله بقاء أمير المؤمنين، إنا قوم نأينا عن العرب، وشغلتنا الحروب عن الخطب، وأمير المؤمنين يعرف طاعتنا، وما فيه مصلحتنا، فيكتفي منا باليسير دون الكثير ويقتصر منا على ما في الضمير دون التفسير فقال أنت خطيب القوم. قال أبو عمرو بن العلاء، رأيت أعرابيا بمكة فاستفصحته فقلت ممن الرجل؟ قال، أسدي يريد أزدي قلت، أين بلدك؟ قال، عمان قلت: صف لي بلدك. فقال: بلد صلدح، وكثيب أصبح، وفضاء صحصح قلت: ما مالك؟ قال: النخل قلت: أين أنت من الإبل؟ قال: إن النخل ثمرها غذاء، وسعفها ضياء وكربها صلاء وليفها رشاء، وجذعها بناء، وقروها إناء قلت أنى لك هذه." (٢)

"الفصاحة؟ قال: إنا ننزل حجرة لا نسمع فيها ناجخة التيار. وخطب بعض الأعراب فقال: إن الدنيا دار بلاغ، والآخرة دار قرار، أيها الناس خذوا من ممركم لمقركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم، واخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ففيها حييتم ولغيرها خلقتم، اليوم عمل بلا حساب وغدا حساب بلا عمل، إن الرجل

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١٨١/٥

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٨/٦

إذا هلك قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما قدم؟ فلله آباؤكم قدموا بعضا يكن لكم قرضا، ولا تخلفوا كلا فيكون عليكم. قيل لبني عبس: كيف كنتم تصنعون؟ قالوا: كنا لا نبدأ أبدا بظلم، ولم نكن بالكثير فنتوكل، ولا بالقليل فنتخاذل، وكنا نصبر بعد جزع الناس ساعة. وسئل دغفل عن المماليك فقال: عز مستفاد، وغيظ في الأكباد كالأوتاد. قال أبو بكر لسعيد، أخبرني عن نفسك في جاهليتك وإسلامك فقال: أما جاهليتي فوالله ما خمت عن بهمة، ولا هممت بأمة ولا نادمت غير كريم، ولا رئيت إلا في خيل مغيرة أو في حمل جريرة أو في نادي عشيرة، وأما مذ خطمني الإسلام فلن أذكي لك نفسي. قال رجل لغلامه: إنك ما علمت لضعيف قليل الغناء. قال: وكيف أكون ضعيفا قليل الغناء، وكيف كفيتك ثمانين بعيرا نزوعا وفرسا جرورا ورمحا خطيا وامرأة فاركا. **قيل لأعرابي**: صف لنا خلوتك مع عشيقتك قال: خلوت بها والقمر يرينيها، فلما غاب القمر أرتنيه، قيل فما أكثر ما جرى بينكما؟ قال: أقرب ما أحل الله مما حرم، الإشارة بغير بأس، والتعرض لغير مساس، ولئن كانت الأيام طالت بعدها، لقد كانت قصيرة معها. وذكر بعضهم مسجد الكوفة فقال: شاهدنا في هذ المسجد قوما كانوا إذا خلعوا الحذاء، عقدوا الحبا، وقاسوا أطراف الأحاديث، حيروا السامع وأخرسوا الناطق.." (١)

"لأعدتها جدعة قال عمر: لهذا العقل تحاكمت إليك العرب. قال عامر بن الظرب: الرأي نائم، والهوى يقظان فمن هناك يغلب الهوى الداني. قال أعرابي لهشام بن عبد الملك بن مروان: أتت علينا أعوام ثلاث، فعام أكل الشحم، وعام أكل اللحم، وعام أنتقي العظم، وعندكم فضول أموال، فإن كانت لله فأقسموها بين عباد الله، ولو كانت لكم فتصدقوا، إن الله يجزي المتصدقين. قال: هل من حاجة غير ذلك؟ قال: ما ضربت إليك أكباد الإبل، ادرع الهجير، وأخوض الدجى لخاص دون عام. **قيل لأعرابي**: مالك لا تضع العمامة عن رأسك؟ قال: إن شيئا فيه السمع والبصر لحقيق بالصون. كان هشام يسير ومعه أعرابي إذا انتهى إلى ميل عليه كتاب، فقال للأعرابي أنظر أي ميل هذا؟ فنظر ثم رجع. فقال: عليه محجن، وحلقة، وثلاثة كأطباء الكلبة ورأس كأنه منقار قطاة فعرفه هشام بصورة الهجاء ولم يعرفه الأعرابي، وكان عليه خمسة. قال الهيثم بن عدي: يمين لا يحلف بها الأعرابي أبدا أن يقول له: لا أورد الله لك صادرا، ولا أصدر لك واردا، ولا حططت رحلك، ولا خلعت نعلك. خرج عثمان من داره فرأى أعرابيا في شمله. فقال: يا أعرابي أين ربك؟ قال: بالمرصاد. وكان الأعرابي عامر بن عبد قيس وكان ابن عامر سيره إليه. سأل الحجاج أعرابيا عن أخيه محمد بن يوسف فقال: كيف تركته؟ قال: عظيما سمينا قال ليس عن هذا أسألك قال تركته ظلوماغشوما قال: أما علمت أنه أخي؟ قال: أتراه بك أعز مني بالله. قيل لشيخ من الأعراب: قمت مقاما ما خفنا عليك منه؟ قال: الموت أخاذ." (٢)

"**قيل لأعرابي**: أعطى الخليفة فلانا مائة ألف. قال: بل أعطاه إياه الذي لو شاء لأعطاه مكانه عقلا. **قيل لأعرابي** له أمة يقال لها زهرة: أيسرك أنك الخليفة وأن زهرة ماتت؟ قال: لا والله! قيل: ولم؟ قال: تذهب الأمة، وتضيع الأمة. أتى الحجاج بأعرابي في أمر احتاج إلى مسألته عنه، فقال له الحجاج: قل الحق وإلا قتلتك. فقال له: اعمل أنت به فإن الذي أمر بذلك أقدر عليك منك علي. فقال الحجاج: صدق، فخلوه. مدح أعرابي قوما فقال: يقتحمون الحرب حتى كأنما

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٩

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٢٧

يلقونها بنفوس أعدائهم. قال أعرابي في حكم جليس الملوك: أن يكون حافظا للسمر، صابرا على السهر. وقال بعضهم: قلت لأعرابي: كيف رأيت الدهر؟ فقال: وهوبا لما سلب، سلوبا لما وهب، كالصبي إذا لعب. وقال أعرابي: لا يقوم عن الغضب بذل الاعتذار. ووصف آخر رجلا فقال: ذاك ممن ينفع سلمه، ويتواصف حلمه، ولا يستمرا ظلمه. وقال آخر: فلان حتف الأقران غداة النزال، وربيع الضيفان عشية النزول. وقال آخر: لكل كاس حاس، ولكل عار كاس. وقال آخر: لا أمس ليومه، ولا قديم لقومه. وقال آخر: فلان أفصح خلق الله كلاما، إذا حدث، وأحسنهم استماعا إذا حدث، وأمسكهم عن الملاحاة إذا خولف، يعطي صديقه النافلة ولا يسأله الفريضة، له نفس عن العوراء محصورة وعلى المعالي مقصورة، كالذهب." (١)

"الإبريز الذي يعز في كل أوان والشمس المنيرة التي لا تخفى بكل مكان، هو النجم المضيء للجيران، والبارد العذب للعطشان. وقال آخر: فلان ليث إذا عدا، وغيث إذا غدا، وبدر إذا بدا، ونجم إذا هدى، وسم إذا أردى. وقال آخر: الفقير في الأهل مصروم، والغني في الغربة موصول. وقال آخر: الاغتراب يرد الجدة ويكسب الجدة. وقال آخر: أعظم لخطرك، الآ ترى عدوك أنه لك عدو. **قيل لأعرابي**: كيف أبنك؟ فقال: عذاب رعف به الدهر، فليتني قد أودعته القبر، فلأنه بلاء لا يقاومه الصبر، وفائدة لا يجب فيها الشكر. قال أعرابي: لا تضع سرك عند من لا سر له عندك. وقال آخر: من سعى رعى، ومن لزم المنام رأى الأحلام. قال أعرابي لرجل: ويحك! إن فلانا وإن ضحك إليك فإن قلبه يضحك منك، ولئن أظهر الشفقة عليك، فإن عقاربه لتسري إليك فإن لم تتخذه عدوا في علانيتك، فلا تجعله صديقا في سريرتك. وحذر آخر رجلا فقال: احذر فلانا فإنه كثير المسألة حسن البحث، لطيف الاستدراج، يحفظ أول كلامك على آخره ويعتبر ما أخرت بما قدمت فباثه مباثة الأرض، وتحفظ منه تحفظ الخائف واعلم أن من يقظة المرء إظهار الغفلة مع الحذر. قال أعرابي: حاجيتك: ما ذو ثلاث آذان تسبق الخيل بالرديان؟ يعني: سهما. ومدح أعرابي نفسه فقيل له: أتمدح نفسك؟ قال: أفأكلها إلى غيري.." (٢)

"وقال آخر: مجالسة الأحمق خطر، والقيام عنه ظفر. قال الأصمعي: جلس إلى أعرابي تقتحمه العين يحمي دربه. والله ما ظننته يجمع بين كلمتين فاستنطقته، فإذا نار تأجج فقلت: أتحسن شيئا من الحكمة تفيد منه؟ قال: نعم، الرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام، والعطية بعد المنع، أجمل من المنع بعد العطية، والإقدام على العمل بعد التأني فيه، أحسن من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه. قال فعظم في عيني حتى ملأ عيني وقلبي هيبة. قال أعرابي: العذر الجميل أحسن من المطل الطويل، فإذا أردت الإنعام فانجح، فإن تعذرت الحاجة فأفصح. **قيل لأعرابي**: ما وقوفك ها هنا؟ فقال: وقفت مع أخ لي يقول بلا علم، ويأخذ بلا شكر، ويرد بلا حشمة. قال أعرابي لآخر: لا كل لسانك عن البيان، ولا أسكتك الزجر والهوان. وقال آخر لرجل: حاجتي إليك حاجة الضال إلى المرشد، والمضل إلى المنشد. وقال آخر: بالفحول تدرك الذحول. وقال آخر: أنا أستنجدك إذا كنت مضافا، وأسترفدك إذا كنت مضيفا. **قيل لأعرابي**: كيف أصبحت؟

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٣٢

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٣٣

قال: أصبحت أحتسب على الله الحسنة، ولا أحتسب على نفسي السيئة. وقال آخر وقد قيل له: أيسرك أنك أحمق وأن لك مائة ألف درهم؟ قال: لا. قيل: ولم؟ قال: لأن حمقة واحدة تأتي على مائة ألف، وألفي بعدها أحمق. قال آخر: من جاد بماله فقد جاد بنفسه، إلا يكن جاد بها فقد جاد بقوامها. وقال آخر: من هذل جواده في الرخاء، قام به في الشدة.." (١)

"ذكر رجل عند أعرابي بشدة العبادة فقال: هذا والله رجل سوء يظن أن الله لا يرحمه حتى يعذب هذا التعذيب. قال رجل لشيخ بدوي: تمرنا أجود من تمركم. فقال: تمرنا جرد فطس، عراض كأنها ألسن الطير، تمضغ التمرة في شدقك فتجد حلاوتها في عقبك. قال أعرابي: سألت فلانا حاجة أقل من قيمته، فردني ردا أقبح من خلقته. وقال: مواقعة الرجل أهله من غير عبث من الجفاء. **قيل لأعرابي**: ما تصنع بالبادية إذا اشتد القيظ وحمي الوطيس. فقال: يمشي أحدنا ميلا، حتى يرفض عرقا ثم ينصب عصاه، ويلقي عليها كساه، فكأنه في إيوان كسرى. قال بعضهم: رأيت أعرابيا يصلي ويسيء الصلاة فقال له رجل: يا أعرابي، أحسن صلاتك. فقال: إن المطالب بها كريم. عاب أعرابي قوما فقال: هم أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم، وأكثرهم تجرما على أصدقائهم، يصومون عن المعروف، ويفطرون على الفحشاء. وصف بعض الأعراب النساء فقال: عليك منهن بالجاليات العيون، الآخذات بالقلوب، بارع الجمال، وعظم الأكفال، وسعة الصدور ولين البشرة ورقة الأنامل وسبوطة القصب، وجزالة الأسوق، وجثولة الفروع، ونجالة العيون، وسهولة الخدود، وامتداد القوام، ورخامة المنطق، وحسن الثغور، وصغر الأفواه وصفاء الألوان. وصف أعرابي امرأة: هي خالية إلا من ألا وليت. **قيل لأعرابي**: كيف كتمانك للسر؟ فقال: أجحد المخبر، وأحلف للمستخبر.." (٢)

"قيل لآخر: بماذا تغلب الناس؟ قال: أبهت بالكذب، وأستشهد بالموتى. قال الأصمعي: سألت أعرابيا عن الدنيا فقال: إن الآمال قطعت أعناق الرجال، كالسراب، غر من رآه، وأخلف من رجاه، ومن كان الليل والنهار مطيته، أسرعا السير به والبلوغ. ثم أنشد يقول: المرء يدفع بالأيام يدفعها ... وكل يوم مضى يدني من الأجل ذكر أعرابي رجلا بقلة الحياء فقال: لو دقت بوجهه الحجارة لرضها ولو خلا بالكعبة لسرقها. **قيل لأعرابي**: بم سدت قومك؟ قال: بحسب لا يطعن عليه، ورأي لا يستغنى عنه. قيل لآخر: بم تعرفون السؤدد في الغلام؟ قال: إذا كان سابل الغرة، طويل الغرلة، ملتاث الأزرة، وكانت فيه لوثة، فلسنا نشك في السؤدد. وقال آخر لسنان بن سلمة الهذلي: ما أنت بأرسخ فتكون فارسا، ولا بعظيم الرأس فتكون سيدا. وقال بعضهم: نحن لا نسود إلا من موطننا رحله، ولفرسنا عرضه ويملكنا ماله. سأل أعرابي عن رجل فقال: أحمق مرزوق. فقال: والله ذاك الرجل الكامل. قال الأصمعي: سمعت أعرابيا يقول: تمرنا جرد فطس، يغيب فيها الضرس عراض كأنها ألسن الطير تضع التمرة في فيك فتجد حلاوتها في كعبك. قال أعرابي لأخيه: إن لم يكن مالك لك، كنت أنت له، فإن لم تفنه، أفناك، فكله قبل أن يأكلك.." (٣)

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣٥/٦

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣٦/٦

(٣) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣٧/٦

"وحلف آخر فقال: لا والذي شقهن خمسا من واحد، وأشار إلى كفه، شق الرجال للخيل، والجبال للسيل. وقال آخر في رجل: صغره في عيني، كبر الدنيا في عينه. **قيل لأعرابي**: كيف حزنك على ولدك؟ قال: ما ترك لنا حب الغداء والعشاء حزنا. قيل لرجل منهم كان يجمع بين ضرائر: كيف تقدر على جمعهن قال: كان لنا شباب يظأرهن علينا، ومال يصيرهن لنا، ثم قد بقي لنا خلق حسن، فنحن نتعايش به. قال أعرابي: ما تم عقل أحد، إلا قل كلامه. وقال أعرابي: إن فلانا ليكنس على أعراض النيل من غيظه. وقال آخر: مع الشعاب التحاب، والافراط في الزيارة ممل، والتفريط فيها مخل. قدم أعرابي على السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته، فجعل يقول: هاؤم اقرءوا كتابيه. فقيل له: هذا يقال يوم القيامة. قال: هذا والله شر من يوم القيامة، إنه يؤتى يوم القيامة بحسناتي وسيئاتي، وأنتم جئتم بسيئاتي، وتركتم حسناتي. قال أبو العيناء: قلت لأعرابي: إن الله محاسبك فقال: سررتني فإن الكريم إذا حاسب تفضل. وقال معاوية لأعرابي: ما العيش؟ قال: ركوب الهوى وترك الحيا. **قيل لأعرابي** وقد عمر مائة وعشرين سنة: ما أطول عمرك؟ قال: تركت الحسد فبقيت.." (١)

"حلف أعرابي بالمشي إلى بيت الله ألا يكلم ابنه فحضرته الوفاة فقيل له: كلمه قبل أن تفارق الدنيا. قال: والله ما كنت قط أعجز عن المشي إلى بيت الله منى الساعة. قال عبد الملك لأعرابي: تمن. قال: العافية. قال: ثم ماذا؟ قال: رزق في دعة. قال: ثم ماذا؟ قال الخمول، فإني رأيت الشر إلى ذوي النباهة أسرع. **قيل لأعرابي** من بني يربوع: مالكم على مثال واحد؟ قال: لأنا من بني فحل واحد. ذم أعرابي رجلا فقال: عليه كل يوم قسامة من فعله تشهد عليه بفسقه وشهادات الأفعال، أعدل من شهادات الرجال. وذكر آخر رجلا بالعي فقال: رأيت عورات الناس بين أرجلهم وعورة فلان بين فكيه. وقال آخر لرجل دفعه: لتجدني ذا منكب مزحم، وركن مدعم، ورأس مصدم، ولسان مرجم ووطء ميثم. قال الأصمعي: نظر أعرابي إلى الهلال فقال: لا مرحبا بك عقفان يحل الدين، ويقرب الآجال. **قيل لأعرابي**: ما تلبس؟ فقال: الليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس. سئل أعرابي عن ألوان الثياب فقال: الصفرة أشكل والحمرة أجمل والخضرة أنبل والسواد أهول والبياض أفضل. وصف أعرابي الكتاب، وقد دخل الديوان فرآهم فقال: أخلاق حلوة وشمائل معشوقة ووقار أهل العلم وظرف أهل الفهم فإن سبكتهم وجدتهم كالزبد يذهب جفاء. وذم أعرابي رجلا فقال: عبد البدن، خز الثياب، عظيم الرواق، صغير الأخلاق، الدهر يرفعه وهمته تضعه.." (٢)

"**قيل لأعرابي** ينسج: ألا تستحي أن تكون نساجا؟ فقال: إنما أستحي أن أكون أخرق لا أنفع أهلي. مد المأمون يده إلى الأعرابي ليقبلها فتناولها بكمه فقال: أتتقزز منها؟ قال: لا بل أتقزز لها. وصف أعرابي قوما فقال: هم كلاب وفلان من بينهم سلوقي. سئل رجل عن نسبه فقال: أنا ابن أخت فلان. فقال أعرابي: الناس ينتسبون طولا وأنت تنتسب عرضا. رأى أعرابي عودا فلما عاد إلبالبادية وصفه لأصحابه فقال: رأيت خشبا محدودب الظهر، أرسح البطن، أكلف الجلد، أجوف أغضف، جبينه في استه، وعيناه في صدره، وأمعاءه خارج بطنه، بها يتكلم، وعينه تترجم، معروك الأذن، مخنوق الحلق. سئل آخر عن امرأته فقال: أفنان أثلة، وجنى نخلة، ومس رملة وكأني قادم في كل ساعة من غيبة. اجتمع إعرابي مع

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٣٨

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٣٩

صاحبة له فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ذكر معاده فاستعصم وقال: إن من باع جنة عرضها السموات والأرض بمقدار فتر بين رجليك، لقليل البصر بالمساحة. اشتكى أعرابي بالحضر فقيل: ما تشتهي؟ قال: حشك فلاة، وحسي قلاة. قال أعرابي لرجل: اكتب لابني تعويذا. فقال: ما اسمه؟ قال: فلان قال: فما اسم أمه؟ قال: ولم عدلت عن اسم أبيه؟ قال: لأن الأم لا يشك فيها. قال: فاكتب: فإن كان ابني فعافاه الله، وإن لم يكن ابني فلا شفاه الله. **قيل لأعرابي**: ما تقول في إبن العم؟ قال: عدوك وعدو عدوك. ووعظ آخر ابنا له أفسد ماله في الشراب فقال: لا الدهر يعظك ولا الأيام تنذرك، ولا الشيب يزجرك، والساعات تعد عليك، والأنفاس تعد منك والمنايا تقاد إليك، أحب الأمرين إليك، أردهما بالمضرة عليك.." (١)

"**قيل لأعرابي**: ما تقول في الجري. قال: تمرة نرسيانة غراء الطرف، صفراء السائر، عليها مثلها من الزبد، أحب إلي منها ولا أحرمه. وقال آخر: كن حلو الصبر عند مر النازلة. ومر أعرابي في أطمار رثة برجل فقال الرجل: والله ما يسرني أني كنت ضيفك في ليلتي هذه. فقال له الأعرابي: أما والله لو كنت ضيفي، لغدوت من عندي أبطن من أمك قبل أن تضعك بساعة، أما الله إنا وجدناك آكلكم للمأدوم، وأعطاكم للمحروم. قال أعرابي: رب موثق مؤبق. قيل لآخر: أتشرب النبيذ؟ فقال: والله ما أرضى عقلي مجتمعا فكيف أفرقه؟ . وقيل لآخر: أما تشرب؟ قال: أنا لا أشرب ما يشرب عقلي. قال بعضهم: رأيت أعرابيا والإبل قد ملأت الوادي فقلت: لمن هذه؟ فقال: لله في يدي. قال أبو العيناء: أضفت أعرابيا قدم من المدينة، فلما قعدنا نأكل، جعلت أذكر غلاء السعر في تلك السنة، فرفع الأعرابي يده عن الطعام، وقال: ليس من المروءة ذكر غلاء الأسعار للضيف. فقام، فاجتهدت به أن يأكل شيئا فأبى، وانصرف. حكى عن حصين بن أبي الحر قال: وفدت إلى معاوية فطلبت عامر بن عبد قيس فقال لا تريه بالنهار فأتيته عند المغرب وهو يتعشى، فسلمت عليه فرد السلام، ولم يدعني إلى عشائه ولم يسألني عن أهله، فقلت: العجب منك لم تدعني إلى عشائك ولم تسألني عن أحد من أهلك، فقال: أما عشائي فخشن، وأنت قد تعودت النعمة، فكرهت أن أحملك من تجشمه على ما يشق عليك. وأما أهلي، فأنا أعرف أخبارهم، الماضي فلا يرجع إليهم، وأما الباقي فلا حق بمن مضى منهم.." (٢)

"قال الأصمعي: سمعت أعرابيا يقول: المعتذر من غير ذنب يوجب الذنب على نفسه. قال: وقلت لغلام عذري: ما بال العشق يقتلكم؟ قال: لأن فينا جمالا وعفة. قال أعرابي: بلوت فلانا فلم يزدني اختباره إلا اختيارا له. وقال آخر: هلاك الوالي في صاحب، يحسن القول، ولا يحسن العمل. تكلم أعرابي فقال: لا تنكحن واحدة فتحيض، إذا حاضت، وتمرض إذا مرضت، ولا تنكحن اثنتين، فتكون بين شرتين، ولا تنكحن ثلاثا، فيفلسنك ويهزمنك، وينحلنك ويحظرنك. فقيل له: حرمت ما أحل الله. وأثنى أعرابي على رجل فقال: إن خيرك لصريح، وإن منعك لمريح وإن رفدك لربيح. **قيل لأعرابي**: ما أعددت للشتاء؟ فقال: جلة لبوضا وصيصية سلوكا، وشملة مكورة قويمصا دفيا وناقة مجالحة. وقيل لآخر: ما أعددت للشتاء؟ فقال: شدة الرعدة وقرفصاء القعدة، وذرب المعدة. وقيل لآخر: كيف البرد عندكم؟ قال: ذاك إلى الريح.

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٤٠/٦

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٤١/٦

سمع عمر أعرابيا يقول: اللهم اغفر لأم أوفى. فقال: ومن أم أوفى؟ قال: امرأتي وأنها لحمقاء مرغامة، أكول قامه، لاتبقى لها حامة، غير أنها حسناء فلا تفرك، وأم غلمان فلا تترك. قال أبو مهدى: تحرشت بشجاع فخرج يطردني كأنه سهم رابح، ثم استكف كأنه كفة في ميتة، فانتظمت ثلاثة إثنان أحدهن رأسه. قال الأصمعي: كانت العرب تستعيذ من خمشة الأسد، ونفثة الأفعى وضبطة الفالج.." (١)

"قدم وفد طيء على معاوية فقال: من سيدكم اليوم؟ قالوا: خزيم بن أوس بن حارثة بن لام، من احتمل شتمنا، وأعطى سائلنا وحلم عن جاهلنا، وأغتفر ضربنا إياه بعصينا. حلف أعرابي على شيء فقيل له: قل إن شاء الله، فخضع نفسه حتى لصق بالأرض ثم قال: إن شاء الله تذهب بالحنث، وترضى الرب، وترغم الشيطان، وتنجح الحاجة. قال أعرابي لابن عم له: مالك أسرع إلى ما أكره من الماء إلى قرارة ولولا ضني بإخائك، لما أسرعت إلى عتابك، فقال الآخر: والله ما أعرف تقصيرا فأقلع، ولا ذنبا فأعتب، ولست أقول لك كذبت، ولا أقر إني أذنبت. وقال أعرابي: ما زال يعطيني حتى حسبته يردعني، وما ضاع مال أودع حمدا. وقال أعرابي: شر المال، مالا أنفق منه، وشر الأخوان الخاذل في الشدائد وشر السلطان من أخاف البرى، وشر البلاد ما ليس فيه خصب وأمن. وقال: سمعت آخر يقول لابنه: صحبة بليد نشأ مع الحكماء، خير من صحبة لبيب نشأ مع الجهال. قال أعرابي لابنه: إياك يا بني وسؤال البلغاء في الرد. **قيل لإعرابي**: كيف كتمانك السر؟ قال: ما جوفي له إلا قبر. وأسر رجل إلى بعضهم، ثم قال له: أفهمت؟ قال: بل جهلت قال: أحفظت؟ قال: بل نسيت. قال أعرابي من غطفان: لقد أحببت امرأة من بني ذهل بن شيبان، فكنت أنام وقلبي طائر، وأهب ودمعي قاطر. **قيل لأعرابي**: علي من البرد أشد؟ قال: علي خلق في خلق. قيل لطائي مرة: إن امرأتك تبغضك. فقال: ما أبالي إذا نلت منها ذو أحب، أن تنال مني ذو تكره. وذو في لغة طيء: الذي.." (٢)

"الصحاري كتب إليهم أبو الهيذام: يا أهل مزة، ليمسينني الماء أو لتصبحنكم الخيل؟ قال: فوافاهم الماء قبل أن يعتموا فقال أبو الهيذام: الصدق يني عنك لا الوعيد. **قيل لأعرابي** من طيئ: أبا مرأتك حبل؟ فقال: لا، وذو بينة في السماء، ما أدري، ما لها ذنب تشتال به، ولا آتيها إلا وهي ضبعة. وقف أعرابي فسأل قوما، فقالوا: عليك بالصيارفة فقال: هناك والله قرارة اللؤم. خطب عتاب بن ورقاء فحث على الجهاد وقال: هذا كما قال الله عز وجل. كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جر الذيول وخطب والي اليمامة فيقال: إن الله لا يأخذ عباده على المعاصي، وقد أهلك أمة عظيمة في ناقة ما كانت تساوي مائتي درهم. خطب عدي بن وتاد الإيادي فقال: أقول لكم كما قال العبد الصالح " ما أريكم إلا ما رأى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد " قالوا ليس هذا قول العبد الصالح، إنما هو من قول فرعون، فقال: ومن قاله، فقد أحسن. سمع أعرابي سورة براءة فقال: ينبغي أن يكون هذا آخر القرآن، قيل له: ولم؟ قال: رأيت عهودا تنبذ. وقال

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٤٢/٦

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٤٥/٦

الأصمعي: صلى أعرابي فأطال الصلاة، وإلى جانبه ناس فقالوا: ما أحسن صلاته! فقطع صلاته وقال: وأنا مع هذا صائم. استشهدوا أعرابيا على رجل وامرأة، فقال: رأيته قد تقمصها، يحفزها بمؤخره، ويجذبها بمقدمه، وخفي علي المسلك.." (١)

"جلس أعرابي وأعرابية، طائي وطائية، فأكلا من التمر، وشربا من اللبن فقال الرجل: أنحن أشبع يا أم فلان أم معاوية؟ فقالت: نحن أشبع، وهم أكسى؟ ؟ ؟ ؟ ﴿ركب شيخ من بني تميم سفينة ومعه ابن له، وفي السفينة جماعة نسبهم الشيخ فإذا كلهم من الأزد، فأخذ الشيخ حديدة، وجعل ينقر بها السفينة فقال له ابنه: يابه ما تصنع؟ قال: أخرقها، قال: إذا تغرق﴾ قال: يا بني: ألا ترضى أن أغرق أنا وأنت وثمانية عشر رجلا من الأزد؟ ﴿. كان أعرابي إذا توضأ، غسل وجهه قبل استه، فقيل له في ذلك، فقال: لا أبدأ بالخبيثة قبل الطيبة. قال بعضهم: أتيت لخما وجذاما، فكانوا يقدمون العروس، فصلى بهم سبعة أيام، فقلت لهم: ما هذه السنة؟ قالوا: أما سمعت الله يقول في كتابه: كاد العروس أن يكون ملكا. قال الأصمعي: عذلت أعرابيا في الكذب، فقال: والله إني لأسمعه من غيري، فيدار بي من شهوته. كان بعض الأعراب يأكل ومعه بنوه، فجعلوا يأخذون اللحم من بين يديه فقال: يا بني إن الله تعالى يقول: " فلا تقل لهما إف ولا تنهرهما "، ولأن تقولوا لي أف ألف مرة، إذ في كل مرة سبعون انتهارا، أهون علي مما تفعلون. قال بعضهم: سمعت أعرابيا يقول في صلاته: أغفر لي ولمحمد فقط، وأسألك تعجيل حسابي قبل أن يهلك الخلق. **قيل لأعرابي**: ما طعم اللبن؟ قال: طعم الخير. قال أعرابي: خطب منا رجل مغموز امرأة مغموزة فقيل لولي المرأة: نعم لكم فزوجتموه، فقال: إنا تبرقعنا له، قبل أن يتعمم لنا. قدم بعضهم الصلاة على امرأة كانت فاسدة فقال في الدعاء: اللهم﴾ إنها كانت تسيء خلقها، وتعصي بعلها، وتبذل فرجها، وتخزن جارها، فحاسبها حسابا أدق من شعر استها! .." (٢)

"ولي أعرابي البحرين فجمع اليهود فقال لهم: ما تقولون في عيسى؟ قالوا: قتلناه وصلبناه؛ فقال: لا تخرجوا من السجن حتى تؤدوا ديته. **قيل لأعرابي**: أتعرف أبا عمرو؟ قال: وكيف لا أعرفه؟ وهو متربع في كبدي، يعني الجوع. خرج المهدي يتصيد فغار به فرسه حتى دفع إلى خباء أعرابي فقال: يا أعرابي: هل من قرى؟ قال: نعم، وأخرج له فضلة من ملة فأكلها، وفضلة من لبن في كرش فسقاه، ثم أتاه نبيذ في زكرة، فسقاه قعبا، فلما شرب المهدي قال: أدري من أنا؟ قال: لا والله، قال: أنا من خدم الخاصة، قال: بارك الله لك في موضعك، ثم سقاه آخر، فلما شربه قال: يا أعرابي أدري من أنا؟ قال: نعم زعمت أنك من خدم الخاصة، قال: لا بل أنا من قواد أمير المؤمنين، فقال: رحبت بلادك، وطال مزارك، ثم سقاه قدحا آخر ثالثا، فلما فرغ منه قال: يا أعرابي أتدري من أنا؟ قال: زعمت أخيرا أنك من قواد أمير المؤمنين، قال: لا ولكني أمير المؤمنين، فأخذ الأعرابي الزكرة فأوكاها وقال: والله لئن شربت الرابع لتقولن: إنك لرسول الله، فضحك المهدي وأحاطت بهم الخيل ونزل أبناء الملوك والأشراف، فطار قلب الأعرابي فقال له: لا بأس عليك، وأمر له بصلة فقال: أشهد أنك صادق ولو ادعيت الرابعة لخرجت منها. رأوا أعرابيا يبول في المسجد، فصاحوا إليه فقال: أنا والله أفقه منكم، إنه مسجد باهلة. وقيل لآخر: لم لا تشتري البطيخ؟ قال: لا والله لا أشتري حتى يبلغ من رخصه أن يكون من تناول من بائعه بطيخة، وعدا،

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٢٩٤

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٢٩٦

رماه بأخرى. لزم أعرابي سفيان بن عيينة حتى سمع منه ثلاثة آلاف حديث، ثم جاء يودعه فقال له سفيان: يا أعرابي! ما أعجبك من حديثنا؟ قال: ثلاثة أحاديث: حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب الحلواء ويحب العسل، وحديث عليه." (١)

"السلام إذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فأبدأوا بالعشاء، وحديث عائشة عنه صلى الله عليه وسلم: ليس من البر الصوم في السفر. دخل أعرابي على يزيد بن المهلب، وهو في فراشه والناس سماطان فقال: كيف أصبح الأمير؟ قال يزيد: كما تحب. فقال: لو كنت كما أحب، كنت أنت مكاني، وأنا مكانك. فضحك. **وقيل لأعرابي**: لم يقال للعبد: باعك الله في الأعراب؟ قال: لأنا نجيع كبده، ونعري جلده، ونطيل كده. توفي ابن لأعرابي، فعزاه بعض إخوانه فقال لانتهم الله في قضائه فقال: والله لا أتهم غيره، ولا ذهب بابني سواه. **قيل لأعرابي**: في خلافة من ولدت؟ قال: في خلافة يوسف بن عمر أو كسرى بن هرمز وأعوذ بالله أن أقول على الله إلا حقا! قال الأصمعي: رأيت أعرابيا يرفع على وال ضربه فقال: والله إنه ليقبل الرشوة، ويقضي بالعشوة، ويطيل النشوة، ولقد بنى جماما زندقة وكفرا. قدم إلى أعرابي كامخ فقال: مم يعمل هذا؟ قالوا: من اللبن والحنطة، قال: أصلان كريمان، لكنهما ما أنجبا. قال ابن قريعة: سمع أعرابي قارئا يقرأ القرآن " الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم "، وقوله عز وجل: " تخشع قلوبهم لذكر الله " فقال الأعرابي: اللهم لا تجعلني منهم، فقيل له: ويحك لم قلت هذا؟ قال: لولا أنهم قوم سوء، لم توجل قلوبهم. قال الأصمعي: أصابتنا السماء بالبدو فنزلنا بعض أخبية بني نعيم، وفيهم عروس فلما حضرت الصلاة قدموه فصلى بهم، وكان ذلك سنتهم أن يقدموا." (٢)

"العروس سبعة أيام، فقلت لهم: ما هذه السنة؟ قالوا: أوما سمعت الله يقول: كاد العروس أن يكون ملكا. مر أعرابي بقوم من اليهود فقال: ويلكم ألا تسلمون، ألا تأنفون مما أنزل الله فيكم وعيركم به؟ قالوا: يا أعرابي، وما الذي أنزله فينا؟ قال قوله: ألا لعنة الله على اليهود، إن اليهود إخوة القرود، قالوا: فإن الذي أنزل فيكم أعظم من هذا، قال: وما هو؟ قالوا قوله: " الأعراب أشد كفرا ونفاقا " فقال: يا أخوتاه، مكذوب علينا وعليكم. وأخذ رجل ينكح شاة، فرفع إلى الوالي وكان أعرابيا، فقال الرجل: يا قوم أوليس الله يقول: " أو ما ملكت أيمانكم " والله ما ملكت يميني غيرها، فخلى عنه وحد الشاة، وقال: الحدود لا تعطل، فقال إنها بهيمة، فقال: لو وجب حكم على بهيمة وكانت أمي وأختي لحددتهما. قال بعضهم: وليت مخلافا من مخاليف اليمن فأتيت بشيخ كبير فقلت: أمسلم أنت؟ قال: بلى، قلت: أتعرف النبي؟ قال: بلغني أنه كان رجلا صالحا، قلت: فابن من كان؟ قال: لا والله ما أدري، إلا أني أظنه رهط معن بن زائدة. أصاب أعرابي سروالا وهو لا يدري ما هو، فأخذه فأدخل يده في رجل السروال وبقي رأسه داخلا، وجعل يقلب وليس يدري كيف يلبسه، فلما أعياه، رمى به وقال: ما أظن هذا إلا من قمص الشيطان. **وقيل لأعرابي**: إقرأ: لم يكن فقال: ما وددت أن أحس ما كان فكيف ما لم يكن؟ قال الأصمعي: نزلنا على المياه، فإذا أعرابية نائمة، فأنبهناها للصلاة، فأتت الماء فوجدته باردا فتركته، وتوجهت إلى القبلة وهي قاعدة، فكبرت ثم قالت: اللهم إني قمت إليك وأنا عجلى، وصليت وأنا كسلى، فاغفر لي ما ترى، عدد

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٢٩٧

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٢٩٨

الثرى، قبل غيري وما جرى، قال: فعجبنا، فقلت: يا هذه، ليست هذه بصلاة، قالت: يا عم، إنها والله صلاتي منذ أربعين سنة.." (١)

"تجاثينا لركبنا قبلا، فأكبها الله لوجهها، ولو أمر بي إلى السجن. قال: سمعت أعرابيا يدعو مادا يده عند الكعبة وهو يقول: اللهم إن كنت ترى يدا أكرم منها، فاقطعها. صعد بعضهم المنبر في عمله يخطب فقال: والله لئن أكرمتموني أكرمتكم، وإن أهنتموني لتكونن أهون علي من ضرطتي هذه، وضرط. **قيل لأعرابي**: أتعرف الأنبياء؟ قال: أي والله، إني بهم لعالم، قالوا: فسمهم، قال: لا تمسكوا محمدا صلى الله عليه، وعيسى، وموسى، وأمسكوا فرعون، والله ما الثناء عليه بحسن، ولوطا والله أهل البادية يكرهون فعله، ولكن أهل العراق لا يرون به بأسا. وقال: رأيت أعرابيا من طيئ، وهو يتوضأ للصلاة ولا يحسن، فقلت: يا أعرابي ما هذا الوضوء؟ قال: يا جاهل! أما سمعت الله يقول في محكم كتابه: من شدد على عبادي شددت عليه. **وقيل لأعرابي**: كيف أصبحت؟ قال: بخير. فقال له آخر: كيف أصبحت؟ قال: كما أخبرت هذا. وشهد أعرابي عند عامل على رجل، فقال المشهود عليه: لا تقبل شهادته فإنه لا يقرأ من كتاب الله شيئا قال: بلى، قال: فاقرأ، فقال: بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد فقال القاضي: إنها لمحكمة، قال المشهود عليه: تعلمها والله البارحة. قال رأيت أعرابيا يتيمم فقال: والله إني لأكره عادة السوء. قال: بلغني أن أعرابيين كانا يطوفان بالبيت، فكان أحدهما يقول: اللهم." (٢)

"فالأمير إذا مجنون! . قال النضر بن شميل: ما شيت أبا جابر الأعرابي فرأى بقعة شمس فرمى بنفسه فيها فقلت: مالك؟ قال: الشمس، قلت: أوتعجبك؟ قال: هي أدفأ ثيابي. قال: وسمعته يقول: اللهم اسقنا شمسا. قيل له: إنما يقال هذا في الغيث، قال: أنا إلى الشمس أعطش. **قيل لأعرابي**: ألا تغزو؟ فإن الله قد أنذرك فقال: والله إني لأبغض الموت على فراشي في عافية، فكيف أن أمضي إليه ركضا. حكى أنه أولم رجل وليمة، فحضرها أعرابي، وجعل يأكل ولا يرفع رأسه، حتى حضره الفالوذج فرفع رأسه فنظر إلى شيخ معتزل عن القوم فقال: ما بال شيخنا لا يأكل؟ قيل إنه صائم، فقال: وما أحوجه إلى الصوم؟ قال: طلب المغفرة والفوز بالجنة، فقال الأعرابي: فإذا نال الجنة أفتراه يطعم فيها أطيب من الفالوذج. ركب أعرابي بحيرة، فقيل له: إنها حرام لا يحل ركوبها، قال: يركب الحرام من لا حلال له. قدم أعرابي إلى والي، ليشهد على رجل بالزنا، فقال له الوالي: بم تشهد؟ قال: رأيت هذا دائم الأفكل كأنما هو عسالة عسل تلسب خصييه والمرأة سطيحة تحته، وهي تغط غطيط البكر، ولعابها يهمع، والله أعلم بما وراء ذلك. وسئل أبو المغوار، وقد تقدم ليشهد مثل ذلك فقال: رأيت امرأة صرعى، ورجل يقوي فوه على فيها، ومسربته على مسربتها، والقنب غائب واليافعان يضربان بين المسفعة وهو يردي باسته والله أعلم بما وراء ذلك. دخل أعرابي سوق النخاسين يشتري جارية فلما اشتراها وأراد الانصراف، قال النخاس: فيها ثلاث خصال، فإن رضيت وإلا فدعها، قال: قل: قال: إنها." (٣)

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٢٩٩

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٣٠١

(٣) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٦/٣٠٤

"ربما غابت أياما ثم تعود إذا طلبت، قال: كأنك تعني أنها تأبق قال: نعم، قال: لا عليك أنا والله أعلم الناس بأثر الذر على الصفا، فلتأخذ أي طريق شاءت فإنا نردها، ثم ماذا؟ قال: إنها ربما نامت فقطرت منها القطرة بعد القطرة، قال: كأنك تعني أنها تبول بالفراش؟ قال: نعم، قال: لا عليك فإنها لا تتوسد عندنا إلا التراب، فلتبل كيف شاءت، ثم ماذا؟ قال: أنها ربما عبثت بالشيء تجده عندنا، قال: كأنك تعني أنها تسرق ما تجد.؟ قال: نعم قال: لا عليك فإنها والله ما تجد ما يقوتها، فكيف ما تسرقه، وأخذ بيدها وانطلق بها. **قيل لأعرابي**: أيسرك أنك نبي؟ قال: لا. قيل: ولم.؟ قال: يطول سفري، وأهجر دار قومي، وأنذر بالعذاب عشيرتي، قيل له: فيسرك أنك خليفة؟ قال: لا، قيل: ولم؟ قال: ينقص عمري ويكثر تعبي، ولا تكبروني، أمشي وحدي، قيل: أيسرك أن تدخل الجنة وأنت باهلي؟ قال: على أن لا يعرف فيها نسبي. سمع أعرابي قوما يقولون: إذا كان للإنسان على شحمة أذنه شعر كان دليلا على طول عمره، فضرب يده على شحمة أذنه فوجد عليها شعرا فقال: أنا بالله وبك. **قيل لأعرابي** ما ترى يصنع الخليفة في مثل هذا اليوم الشديد البرد. قال: تجده قد أخذ لحم جزور بيده اليمنى، وقدرة تمر بيده اليسرى، وبين يديه قصعة لبن، وقد استقبل الشمس بوجهه، واحتبى بكسائه فيكدم هذا مرة وهذه مرة ويتحسى من اللبن مرة. وقفت أعرابية على قوم يصلون جماعة فلما سجدوا صاحت وقالت: صعق الناس ورب الكعبة. **قيل لأعرابي**: أتعرف إبليس؟ قال: أما الثناء عليه فسيء، والله أعلم بسريرته. ودخل آخر مسجدا والإمام يقرأ: " حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير " فقال الأعرابي: والكامخ فلا تنسه أصلحك الله. وسمع آخر رجلا يقرأ: " وفي السماء رزقكم وما توعدون " فقال: يا بن عم، إنه لبعيد سحيق.." (١)

"قيل لآخر: هل في بيتك دقيق؟ فقال: لا. والله، ولا جليل. **قيل لأعرابية**: ما صفة الأير عندكم؟ فقالت: عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا يرد أمرها. وشربت أعرابية نبيذا، فسكرت، وقالت: لبعض الحاضرين: أيشرب هذا نساؤكم.؟ قال: نعم، قالت: لئن صدقت، ما يدري أحدكم من أبوه. قال بعضهم: سألت أعرابيا عن شهر رمضان، كيف صاموه. فقال: تجرد منا ثلاثون رجلا، وأنذرناه في يوم واحد. مات لأعرابي ابن صغير فقيل: هذا شفيعك يوم القيامة فقال: هلكنا والله، هو أضعفنا حجة، وأقطعنا لسانا، وليته يقوم بأمر نفسه. شرب أعرابي لبنا، وابنه على يساره ورجل آخر عن يمينه، فسقى ابنه قبل الرجل، فقيل له: السنة أن تسقي من عن يمينك فقال: قد علمت أنه أحب إلي من السنة. **قيل لأعرابي** أتخاف أحدا قال: نعم، الذئب في البادية، والشرطي في الحضرة. صلى أعرابي خلف إمام قرأ: " قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي " فقال: أهلكك الله وحدك ما ترد إلا من معك. قيل لآخر: مالك لا تغزو الروم؟ قال: أخشى أن أقتل ولا يطلب بثأري. سقط أعرابي عن بعيره فانكسر بعض أضلاعه، فأتى الجابر يستوضفه فقال: خذ تمر شهرين فانزع أقماعه ونواه واعجنه بسمن، واضمد عليه، فقال الأعرابي: تمن؟ قال: خباء خلق في أرض قفر وجله، في أسفلها تمر، وكلب إذا أمطرت السماء يزاحمني في البيت. **قيل لأعرابي**: كيف أكلك؟ قال: كما لا يحب البخيل. سأل رجل من بني تميم عن رجل فقيل له: دعاه ربه، فأجاب، فقال: ولم أجاب؟ لا أجاب، أما علم أن الموت إحدى المهالك؟ .." (٢)

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣٠٥/٦

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣٠٧/٦

"جاء أعرابي الحضر وكان يوم جمعة، فرأى الناس في الجامع، فقال لبعضهم: ما هذا؟ وكان المسئول ماجنا، قال: هذا يدعو إلى طعام، قال: فما يقول صاحب المنبر؟ قال: يقول ما يرضى الأعراب أن يأكلوا، حتى يحملوا معهم، فتخطى الأعرابي رقاب الناس، حتى دنا من الإمام فقال: يا هذا إنما يفعل ما تقول سفهاؤنا. جاء آخر إلى صيرفي بدرهم، فقال الصيرفي: هذا الستوق، قال: وما الستوق؟ قال: داخله نحاس، وخارجه فضة، فكسره فلما رأى النحاس قال: بأبي أنت، أشهد أنك تعلم الغيب. وجاء آخر إلى السوق بدرهم يشتري به تمرا، فقيل له مثل ذلك، فقال: أعطوني بالفضة تمرا، وبالنحاس زيتا. نزل عطار يهودي بعض أحياء العرب ومات، فأتوا شيخا لهم لم يكن يقطع في الحي أمر دونه فأعلموه خبر اليهودي، فجاء فغسله وكفنه، وتقدم وأقام الناس معه، وقال: اللهم إن هذا اليهودي جاء وله ذمام، فأمهلنا نقضي ذمامه، فإذا صار في لحده فشأنك والعجل. مر أعرابي وفي يده رغيف، بغلام معه سيف، فقال له: يا غلام، بعني هذا السيف بهذا الرغيف قال: ويلك أمجنون أنت؟ قال الأعرابي: لعن الله شرهما في البطن. **قيل لأعرابي**: هل تعرف من النجوم شيئا؟ قال: ما أعرف منها إلا بنات نعش، ولو تفرقن ما عرفتهن. عض ثعلب أعرابيا، فأتى راقيا، فقال له الراقي: ما عضك؟ قال: كلب؛ واستحى أن يقول ثعلب، فلما ابتدأ يرقيه، قال: اخلط به شيئا من رقية الثعلب. سئل آخر عن حاله مع عشيقته فقال: ما نلت منها محرما، غير أنني إذا هي بالت بلت حيث تبول.." (١)

"وقرأ آخر: فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فقيل له: غيرت فقال: خذا صدر هرشي أو قفاها فإنه ... كلا جانبي هرشي لهن طريق صلى آخر بقوم وجعل يردد: " أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي ". فقال أعرابي من خلفه: أهلكك الله وحدك، ما تريد إلا من معك. **قيل لأعرابي**: أيهما أحب إليك: أن تلقى الله ظالما أو مظلوما؟ فقال: بل ظالما قيل. ولم؟ قال: وما عذري إذا قال لي: خلقتك قويا، ثم جئت تستعدي. ﴿سأل أعرابي عبد الملك فقال: سل الله فقال: قد سألته فأحالني عليك، فضحك وأعطاه. سمع أعرابي يقول: أترى هذه الأعاجم تنكح نساءنا في الجنة؟ فقال له آخر: ذلك بأعمالهم الصالحة، فقال: توطأ إذا رقابنا والله قبل ذلك. وكان آخر يدعو فيقول: اللهم اغفر للعرب خاصة، وللموالي عامة، فأما العجم فهم عبيدك والأمر إليك. أكل أعرابي قرشيا فقيل له: ما تأكل.؟ فقال: فالوذج، إلا إنكم قد حمصتموه بعدي. امتنع أعرابي من غسل اليد بعد الأكل، وقال: فقد ريحه كفقده.﴾ قيل لآخر: هل تعرف التخمة.؟ فقال: ما هو؟ قال أن يمتلئ الإنسان من الطعام حتى يؤذيه ولا يشتهيه، قال: وهل يكون إلا في الجنة؟ ! قيل لآخر اشتد به الوجع: لو تبت؟ فقال: لست ممن يعطي على الضيم، إن عوفيت تبت.." (٢)

"له الرجل: لم تفعل ذلك؟ قال: لأني أثق بأن الله عز وجل لم ينلك بهذا في الدنيا، إلا وأنت من أهل الجنة. وروى أبو هريرة قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني جائع فأطعمني، فقدم له لقمة من سلت وقال له سم وكل، يا أعرابي، فأكل حتى شبع، وبقيت منها بقية، فقال الأعرابي للنبي عليه السلام: إنك لرجل صالح. **قيل لأعرابي**: ما اسم المرق عندكم؟ قال: السخين. قيل: فإذا برد؟ قال: لا ندعه حتى يبرد. قال بعضهم: أبقيت جارية للحي فقيل لنا: إنها

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣٠٨/٦

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣١٠/٦

عند بني أبي الحلاج، فأتيته وقلت له: إن جارية من الحي أبقت، وبلغنا أنها عند بنيك، فقال: حتى أنظر، فدخل ثم خرج فقال: هي عندهم، فأوردوا قليلا لمخجونها بخجات ثم ندفعها إليكم. ذكر أعرابي امرأة وزوجها بالحدة فقال: هي قداحة وزوجها حراق. قيل لأعرابي: أتعرفون التخمة عندكم؟ قال: نعم، هي كثيرة عندنا، قيل: وما هي، قال: يصبح الإنسان وكأن بنات البقر تلحس فؤاده، يعني الجوع. قيل لأعرابي من بني تميم: أيهما أحب إليك أن تلقى الله ظالما أو مظلوما، قال: لا بل ظالما والله، قالوا: سبحان الله أتحب الظلم، قال فما عذري إن أتيته مظلوما. يقول: خلقتك مثل البعير الصحيح ثم تأتيني تعصر عينك وتشتكي.؟ ؟ ؟." (١)

"الباب الثامن عشر نوادر لأصحاب الخطب والأذان والصلاة

جاز شيخ بباب مسجد، والمؤذن يقيم الصلاة، فدخل يستغنم الجماعة، فلما نظر المؤذن إلى شيهته ووقاره سأله أن يتقدم ويصلي بهم، فامتنع، وتقدم المؤذن فصلى بهم، فلما فرغ أقبل على الشيخ وقال: ما منعك أن تصلي بنا وتكتسب أجرا مع محلك من السن؟ فقال: أنا - وحقك - إذا كنت على غير طهر لا أؤم بالناس. قيل لأعرابي: ما قرأ إمامكم البارحة؟ فقال: أوقع بين موسى وهارون شرا وشمرا. قرأ إمام في صلاته " ومن يكن الشيطان له قرينا فساء. . " وركع. وقرأ آخر: " قل إن كان للرحمن ولد فأنا ... " وركع. كان بعض المغفلين يؤذن في مسجد، فكان إذا فرغ من أذانه يقول: لا إله إلا الله، سبحانك، هذا بهتان عظيم. استأجر أهل ضيعة مؤذنا بعشرة دراهم كل شهر، فاستزادهم فقالوا: لا نزيدك، ولكن نسامحك حي على الفلاح. كان ابن مكرم يسجد سجدتي السهو قبل الصلاة، فقيل له في ذلك، فقال: إذا لم أشك في أني أسهو فلم لا أقدم سجدتي السهو؟ رأى أبو حنيفة رجلا يصلي ولا يركع، فقال: يا هذا، لا صلاة لك بغير ركوع. فقال: إني رجل عظيم البطن، فإذا ركعت ضرطت، فأيما خير: صلاة بلا ركوع، أو ركوع بضراط.." (٢)

"أسرى لخالدة الخيال ولا أرى ... عيشا ألذ من الخيال الطارق

إن البلية من تمل حديثه ... فانقع فؤادك من حديث الوامق

فقال: لمن هذا الشعر، فقيل: لجرير، ثم غناه:

إن الذين غدوا بلبك غادروا ... وشلا بعينك لا يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقال: لمن هذا الشعر، فقيل لجرير، فقال الفرزدق، ما أحوجه مع عفافه إلى خشونة شعري وأحوجني مع فسوقي إلى رقة شعره.

وكان العماني الراجز مداحا للملوك من بني أمية وبني العباس مشتهرا بالشراب وهو الذي يقول لجاريته:

قومي أنظري كيفف نبيذي يا ملح ... إن لم يكن جاد فبولي في القدح

وناولينيه وقولي قد صلح

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣١٢/٦

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١٦٢/٧

قال أبو محجن الثقفي: إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفني في الفلاة فإنني ... أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

فأخذ أبو نواس هذا المعنى فقال:

خليلي إن مت لا تحفرا ... لي القبر إلا بقطربل

خلال المعاصر بين الكروم ... ولا تكثرا لي من الجندل

لعلي أسمع في حفرتي ... إذا عصرت موقع الأرجل

وأخذه بعد أبي نواس بكر بن خارجة فقال:

ادفنوني إن مت في أصل كرم ... إن روحي تحيا بماء الكروم

واحنطوني بتربتها ثم رشوا ... كفني من رحيقها المختوم

وادفنوني بحانة عند دن ... بفنا عسكر الدنان مقيم

وقال أبو الهندي:

إذا حانت وفاتي فادفنوني ... بكرم واجعلوا زقا وسادي

وإبريقا إلى جنبي، وطاسا ... تروي هامتي وتكون زادي

أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: مر العجير السلولس بإخوان له يشربون فعوه لمنادمتهم، فنزل عن ناقته وشرب، واحتاجوا إلى طعام على النبيذ فقال: هذه ناقتي فانحروها وكلوا لحمها، فنحروها وبقروا خاصرتها وأكلوا من كبدها وسنامها، وجعل العجير يتغنى:

عللاني إنما الدنيا علل ... ودعاني من عتاب وعذل

إدرأا باللهو يوما صالحا ... واسقياني عللا بعد نهل

وانشلا ما اغبر من قدريكما ... واصبحاني، أبعد الله الجمل

وحكى الهيثم بن عدي قال: خرج عمارة بن الوليد، وكان أجمل فتيان قريش وأسمحهم، متنزها، فمر بقوم يشربون فعرضوا عليه، فنزل عن ناقته فجعلوا يسقونه ولا يشربون، فقال لهم: لم لا تشربون؟ قالوا: نبيذنا قليل وقد أحببنا أن نؤثرك به، فقال لفتى منهم، يقال له غياث بن ديهب، اذهب بناقتي هذه فبعها ولا تماكس، وابتع بثمنها شرابا، ففعل، وأنشأ عمارة يقول:

خليلي قد خف الشراب ولم أجد ... له سورة في عظم رأس ولا يد

خليلي هذي ناقتي فاشربا بها ... فلا خير في الشرب القليل المصرد

ولا تبعثا إلا غياث بن ديهب ... إذا سيم عند البيع لم يتشدد

وجاء الشراب فشربوا وانصرف إلى امرأته، فسألته عن ناقته فأخبرها الخبر فقالت: كلا ولكنهم أسكروك وخدعوك فقال:

أسرك لما صرع القوم نشوة ... أن أخرج عنهم غانما غير غارم

وحتى كأني لم أكن قبل فيهم ... وليس خداع من فعال الأكارم

ولكننا شرب كرام نديمنا ... بنا بهج باللهو ليس بواجم

وشرب مالك بن أسماء مع إخوان له، ففني شرابهم ولم يحضره نقد فأعطاهم مطرفا كان علي، فاشتروا بثمنه شرابا، فلما عاد إلى منزله لامته جاريته فقال:

يسرك أن أكون، وذاك عيب ... علي، كمن ينال ولا ينيل

ويغرم من ينادمه اغتناما ... وذاك على أخي جود ثقيل

أبت لي ذاك، مأثرة نماها ... كريم، فضل نائله جزيل

ودخل رجل على قوم يشربون وعندهم قينة تغنيهم فقيل له: أي صوت تشتهي أن تغني لك، وكان جائعا فقال: لشيش مقلي.

وقيل لأعرابي: كم تشرب من النبيذ، فقال: على قدر النديم.." (١)

"ثم رجع إلى مكانه من الدهليز فبات به، فلما أصبح روح خرج في الغلس للصلاة ومعه غلمانه فاختلط الفتى في جملتهم، فلما عاد روح وأسفر الصبح تأمل الكتاب وقرأه فراعه وأنكره، وقال: ما هذا، والله ما يدخل حجرتي إنسي سواي، ولاحظ لي بالمقام بالعراق، ثم نهض من ساعته فدخل على بشر فقال له: يا ابن أخي وصني بما أحببت من حجة أو سبب عند أمير المؤمنين فقال: ولم يا عم، هل سمعت شيئا كرهته، أو رأيت أمرا أنكرته فلم يسعك المقام معه، فقال: لا والله بل جزاك الله عن نفسك وعن سلطانك خيرا، ولكن، أمر حدث لا بد من الشخوص له، فأقسم عليه أن يخبره، فقال: إن أمير المؤمنين قد مات، أو هو ميت إلى أيام، فقال له بشر: ومن أين علمت ذلك؟ فأخبره بخبر الكتاب، وقال: ليس يدخل أحد حجرتي غيري وغير جاريتي فلانة فمن كتب ذلك إلا الجن أو الملائكة، فقال له بشر: أقم، فأرجو ألا يكون لهذا حقيقة، فلم يثنه ذلك عن الخروج، فسار إلى الشام، وأقبل بشر على الشراب واللهو والطرب، فلما وافى روح عبد الملك أنكر أمره، قال: ما أقدمك، الحادثة حدثت على بشر، أم لأمر كرهته، فشكر حسن سيرته، ووصف سلامته في نفسه، وقال: بل جئت لأمر لا يمكنني ذكره حتى تخلو، فقال عبد الملك لمن حضر: إذا شئتم، وخلا بروح فأخبره بقصته، وأنشده الأبيتات، فضحك عبد الملك حتى استغرب، وقال: ثقلت على بشر وأصحابه حتى احتالوا لك ما رأيت فلا ترع لذلك، ووفى بشر لنديمه بما وعده وأجزل جائزته.

وكان محمد بن يزيد المبرد يقول: لم أر في أهل زماننا من الرؤساء وأصحاب السلطان أشد رغبة في الأدب ولا في مواظبة عليه ومحبة له من محمد بن عبد الله بن طاهر والفتح بن خاقان، فأما الفتح فبلغ من شهوته للأدب أنه كان يذهب من مجلس المتوكل إلى علماء المذهب فيغنم زمان تلك الخلوة اليسيرة فلا يقطع مسيره بادئا ولا راجعا إلا بالنظر في كتاب، فعلمت أنه لم يكن لينال تلك المنزلة في الندام إلا بهذه القريحة، وأما العبث والمزاح، فله من المنادم موقع لطيف وموضع خصيص إذا تبين النديم منه نشاطا لذلك.

وقال قائل للمأمون: أيأذن أمير المؤمنين في المداعبة، فقال: وهل العيش إلا فيها.

واجتمع على مائدة أبو عيسى بن الرشيد وطاهر بن الحسين، فأخذ أبو عيسى ورقة من الهندباء فغمسها في الخل وضرب

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/٤٧

بها عين طاهر الصحيحة، فغضب طاهر وقال: يا أمير المؤمنين، إحدى عيني ذاهبة والأخرى على يدي عدل، ويفعل في هذا بين يديك، فقال: يا أبا الطيب: إنه والله ليعبث معي أكثر من هذا العبث فاضحك له.

وروي عن إسحق الموصلي أنه قال: مكثت أيام الرشيد أغدو إلى هشام ووكيع فأسمع منهما وآتي إلى عاتكة بنت شهدة فتطارحني صوتين، ثم إلى زلزل فيلقي علي من الضروب طريقين، ثم أوجه إلى الأصمعي وأبي عبيدة فلا يزالان عندي إلى الظهر، ثم أروح إلى أمير المؤمنين.

وقال إبراهيم بن المدبر لمحمد بن يزيد المبرد: أحب أن تنظر لي جليسا يجتمع مع إيناسي ومنادمتي، فناديت ولدي فبعث إليه علي بن سليمان النحوي، وكتب إليه معه هذا: أنفذت إليك أعزك الله فلانا وجملة أمره كما قال الشاعر:

إذا زرت الملوك فإن حسبي ... شفيعا عندهم أن يخبروني

ومما يزيد النديم في المحل تقدما، وعند نفسه تمكنا أن يكون عالما.

وقيل لأعرابي: كم تشرب من النبيذ، قال: على قدر النديم، وقالوا: من شرط المنادمة قلة الخلاف، والمعاملة بالإنصاف، وترك الجواب، والمسامحة في الشراب، وإسقاط التحيات واجتناب اقتراح الأصوات وإدمان الرضى واطراح ما مضى وإحضار ما تيسر، وأكل ما حضر وستر العيب وحفظ الغيب. ومن صفات الندامى قول أبي عبد الرحمن العطوي:

اخطب لكاسك ندمانا تسر به ... أولا فنادم عليها حكمة الكتب

اخطبه حرا كريما ذا محافظة ... يرى ندامكها من أقرب النسب

فإن لم يكن حلب الأيام أشطرها ... وقومته وراضته يد الأدب

فقد ملأت به كفيك من رجل ... يرعى ذمامك رعي الواصل الحدب

وقال أيضا: جددا مجلسا لعهد الشباب واسقياني على الهوى والتصابي

في كهول إذا استدرت حميا الكأس لم ينطقوا بغير الصواب." (١)

"وقال حاجب بن زرارة لبنيه يوصيهم: إياكم والخمر فإنها مفسدة العقول، ذهابة بالطارف والتليد. وقال بعض الكتب، إن إبليس لقي يحيى بن زكريا عليه السلام فقال له: ألا أعلمك أربع خصال تتعظ بهن؟ قال: بلى. قال: إياك والحسد فبه سخط الله علي وأخرجت من الملائكة، وإياك والطمع فبه سخط الله على أبيك آدم وأخرج من الجنة، وإياك والنساء فإنهت مصايدي، وما خلا رجل بإمرأة إلا كنت ثالثهما، وإياك والخمر فإنها حبلي، ومن جعلت حبلي في عنقه قدته حيث شئت.

وقيل لأعرابي: اشرب النبيذ، قال: لا أشرب ما يفني تالدي ويشغل عن معادي ويذهب عقلي ويكثر خبلي.

وقال مقيس بن صبابة حين حرمها في الجاهلية:

رأيت الخمر طيبة وفيها ... خصال كلها دنس ذميم

فلا والله أشربها حياتي ... طوال الدهر ما طلع النجوم

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/٧٣

وكان عبد الله بن جدعان قد سكر فجعل يساور القمر فلما أصبح وأخبر بذلك حرمها وقال:

شربت الخمر حتى قال قومي ... ألست عن السفاه بمستفيق

وحتى ما أوسد في منام ... أنام به سوى الترب السحيق

وحتى أغلق الحانوت رهني ... وأنكرت العدو من الصديق

وأنشد أبو بكر الأنباري:

تركت النبيذ لأهل النبيذ ... وأقبلت أشرب ماء نقاخا

رأيت النبيذ يذل العزيز ... ويكسو النقي النقي اتساخا

فهبي عذرت الصبي جاهلا ... فما العذر فيه إذا المرء شاخا

قال الهيثم بن عدي: كنا نقول بالكوفة: إنه من لم يرو هذه الأبيات فلا مروءة له، وهي لأيمن بن خريم:

وحمراء جرجانية لم يطف بها ... حنيف ولم تنغر بها ساعة قدر

أتاني بها يحيى وقد نمت نومة ... وقد مالت الجوزاء أو جنح النسر

فقلت اغتبقها أو لغيري فاسقها ... فمالي بعد الشيب، ويبك والخمر

تعففت عنها في العصور التي خلت ... فكيف التصابي بعدما كلأ العمر

إذا المرء وفى الأربعين ولم يكن ... له دون ما يأتي حياء ولا ستر

فدعه ولا تنفس عليه الذي ارتأى ... وإن جر أسباب الحياة له الدهر

؟؟؟ ذكر ما جاء في الخمار

رأيت أكثر الناس اختدعوا بالمثل الذي يضرب وهو: الخمر دواءقللخمار، فأتبعوا السكر فعرضت لهم أمراض صعبة، فإن فعل ذلك قوم وسلموا من الأمراض لقوة أبدانهم وصحة أعصابهم، فإن ذلك غير مخرجهم من الخطأ في فعلهم.

قال بعضهم:

داو الخمار بخمرة الكأس المشعشعة العقار

لو خامرت عقل العزيز لزل عن ظهر الحمار

وشرب رجل عند خمار نصراني أياما فأصبح ميتا فاجتمع عليه الناس وقالوا: قتلته، قال: لا والله، ما قتله إلا قوله: وداو بالخمر الخمارا، واستعماله قول الشاعر:

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

لكي يعلم الناس أني امرؤ ... أتيت الفتوة من بابها

وقال الفرس: بالخمر تدفع الخمر، وشبهت المكثر منها بدود الخل لا يحيا إلا فيه ولا ينتفع إلا به. قال أبو نواس:

اشرب الخمر العقارا ... وانف بالخمر الخمارا

واسقنيها من سلاف ... تدع الليل نهارا

قال الرازي: أعظم علاج الخمار النوم والحمام، فمن أصابه عليه غثيان وتقلب، شرب اسكنجبين بالماء الفاتر، واستعمل

القيء مرارا، فإن اصابه صداع صب على رأسه ماء ورد بكافور وشرب الجلاب وأكل الرمان الحامض. ومن أصابه على الخمار بهتة وبلادة استعمل التعب ثم دخل الخمام ليعرق، ومن أصابه طيش وهذيان شرب شرابا كثير المزاج وغرق رأسه بدهن البنفسج وغسل أطرافه بالماء الفاتر وطلب النوم. ودواء الخمار العسر البطيء الطويل شرب اليسير من الشراب الكثير المزاج.

وبالجملة إن الشراب صرفا في الشتاء أنفع من الممزوج، وكذلك الممزوج في الصيف أنفع من الصرف، غير أنه لا ينبغي أن يتعرض له من به صداع أو ضعف في الدماغ والعصب والعين أو حدة في الكبد، ومن تسرع إليه الحميات؛ قال أبو نواس:." (١)

"ليس يلتامان فاختر خدمة أو شرب راح

فرفع صاحب الخبر ذلك إلى محمد بن عبد الملك الزيات فضحك وقام من وقته إلى الواثق فعرفه وأنشده الأبيات فقدح ذلك في قلب الواثق فصرف إبراهيم بن رياح ونكبه وأخذ ماله وضياعه.

وقال النميري:

خلا بين ندماني موضع مجلس ... ووقرني بعد الشباب مشيب

وردت على الساقي تفيض وربما ... رددت إليه الكأس وهي سليب

وما اشتهر اللذات والنشوة الفتى فكان له في المكرمات نصيب وعن عبد الله بن عمر، أنه قال: والذي نفسي بيده لقد أنزل تحريم الخمر بالمدينة وما بها زبيبة واحدة.

عروة عن عائشة أنها كانت تقول: من تداوى بالخمر فلا شفاه الله. وقيل لعائشة: إن النساء يمتشطن بالخمر، فنهت عن ذلك وقالت: إنها رجس. وقال (ص) : ثلاثة حرم الله عليهم الجنة؛ مدمن الخمر، وقاطع الرحم، والشيخ الزاني؛ وولى عمر (رض) النعمان بن نضلة العدوي بميسان فأراد رحيل امرأته معه، فكرهت، فلما وصل إلى ميسان أراد أن يغيرها فترحل إليه فكتب إليها:

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها ... بميسان يسقى في زجاج وحنتم

إذا شئت غنتني دهاقين قرية ... وصناجة تجثو على كل ميسم

فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني ... ولا تسقني بالأصغر المتثلم

لعل أمير المؤمنين يسوؤه ... منادمنا في الجوسق المتهدم

فبلغت عمر، فقال: أي وأبيك، إنه ليسوؤني، يا غلام، اكتب بعزله، فلما قدم على عمر بكته بها، فقال: يا أمير المؤمنين، ما شربتها قط، ولا قلت الأبيات إلا لسبب كذا، فقال عمر: أظن ذاك، ولكن لا تعمل لي أبدا.

وقال أبو نواس:

أيها الرائحان باللوم لوما ... لا أذوق المدام إلا شميما

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/٩٩

نالني بالملام فيه إمام ... لا أرى لي خلافه مستقيما

فاصرفاها إلى سواي فإني ... لست إلا على الحديث نديما

كبر حظي منها إذا هي دارت ... أن أراها وأن أشم النسيما

فكأني وما أزين منها ... قعدي يزين التحكيما

كل عن حمله السلاح إلى الحرب فأوصى المطيق ألا يقيما

وما سبقه أحد إلى هذا المعنى وزعم بعض بني نوبخت أن آخر ما سمع من أبي نواس قوله:

شعر ميت أتاك من لفظ حي ... صار بين الحياة والموت وقفا

قد برت جسمه الحوادث حتى ... كاد عن أعين الحوادث يخفى

لو تأملتني لتثبت وجهي ... لم تبن من كتاب وجهي حرفا

ولكررت طرف عينك في جسم برته الهموم حتى تعفى

ثم التفت إلى من حوله وقال: لا تشربوا الخمر صرفا فإنها أحرقت كبدي ومات.

وسأل رجل شريكا عن النبيذ فقال: حلال، قال: قليله خير أم كثيره؟ قال: قليله، قال الرجل: ما رأيت خيرا إلا وكثيره خير من قليله إلا هذا.

وقيل لابن شبرمة: لم تركت النبيذ؟ فقال: إن كان حلالا فحظي تركت، وإن كان حراما فبالحزم أخذت.

وقيل لأعرابي: ما لك لا تشرب النبيذ؟ قال: لثلاث خصال فيه: متلفة للمال مذهبة للعقل مسفهة للحلم.

قال عبد الله بن إبراهيم: لو كان العقل يشترى ما كان علق أنفس منه، والعجب العجب لمن يشتري ذهابه بماله فيدخله رأسه فيقيء في جيبه، ويسلح في ذيله ويمسي عديما ويصبح فضيحة.

وقال عيسى بن مريم (ع) : الهوى رأس كل خطيئة، والنساء حبالة الشيطان والخمر داعية كل سوء.

ويروى عن أم سلمة أنها قالت: اشتكت ابنة لي فنبذت لها في كوز فدخل علي النبي (ص) وهو يغلي فقال: ما هذا؟ فقلت: ابنة لي اشتكت فنبذت لها هذا النبيذ فقال: إن الله تبارك وتعالى لم يجعل شفاءكم حراما.

وقال بعض العلماء: رخص الله للمضطر في الميتة والدم ولحم الخنزير ويم يرخص في الخمر لمضطر ولا غيره، وقال رجل من قريش:

ومن تقرع الكأس اللئيمة سنه ... فلا بد يوما أن يسيء ويجهلا

ولم أر مشروبا أشد سفاهة ... وأوضع للأشراف منها وأخملا." (١)

"ذلك لموته فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموها هكذا فافزعوا إلى الدعاء". (١)

[قال] أبو فراس الحمداني:

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/١١٦

لابد من فقد ومن فاقد هيهات ما في الناس من خالد

كن المعزى لا المعزي به إذا كان لابد من الواحد

قيل لأعرابي وجد البرد: إنما تجد هذا البرد لكون الشمس في العقرب، فقال: لعن الله العقرب، فإنها مؤذية في الأرض كانت أم في السماء!

روى ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "عرامة الصبي في صغره زياده في عقله". (١)

قيل إبليس – لعنه الله: ثلاث من كن فيه أدركت منه جاجتي: من استكثر علمه، ونسي جرمه، وأعجب برأيه.

قيل للإسكندر: إنك تعظم مؤدبك أكثر من تعظيمك لأبيك، فقال: إن أبي سبب حياتي الفانية، ومؤدبي يبب حياتي الباقية.

سأل الرشيد جلساءه: من أكرم الناس خدما؟ فقالوا: أمير المؤمنين، فقال: لا، بل الكسائي! فقد رأيته يخدمه "الأمين" و"المأمون" وليا عهد الخلافة.

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ثلاثة لا ينجو منهن أحد: الظن، والحسد، والطيرة، فإن ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا تطيرت

---

(١) حديث صحيح. أخرجه البخاري (٢، ٤٤، ٤٦، ٤٩) ، مسلم (٩٠٧) ، (٩١١) ، ومالك (١٨٦) ، (١٨٧) في الموطأ، وأحمد (٣/٣١٨) ، و (٤/١٢٢) ، وأبو داود (١١٧٧) ، والنسائي (٣/١٢٦، ١٣٠، ١٤١) ، وابن ماجه (١٢٦١) وغيرهم [الدار] ،

(٢) حديث ضعيف. أخرجه الحكيم في نوادر الأصول (ص/٢٣٨) ، وأبو مسى المديني في أماليه كما في الكنز (٣٠٧٤٧) ، والديلمى كما في الفيض (٤/٣١٠) . وأنظر: ضعيف الجامع (٣٦٩٩) [الدار] .." [(١)]

"الحسن: ما على رجل مثل هذه في زاوية بيته ما أقبل عليه من اتلدنيا وما أدبر.

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "شوهاء ولود، خير من حسناء عقيم". (١)

قيل لأعرابي: أي النساء أكرم؟ قال: التي في بطنها غلام، وفي حجرها غلام، ولها مع الغلمان غلام.

قال عبد الملك: من أراد النجابة فبنات فارس، ومن أراد الباءة فبنات بربر، ومن أراد الخدمة فبنات الروم.

[قال] "أبو سعيد الرستمى":

فدت غازلات الشعر أبكار فارس وإن وكلت بي هجرها وبعادها

إذا نصت السمان فوق رؤسها وأرسلن من تلك القرون جعادها

من اللائى لم تزجر مبيدا وهجمة ولم تتلفح بالعشى بجادها

---

(١) درر الحكم لأبي منصور الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/٤٣

ولم اتبع العراب وأدمها ولم أتشوف جملها وسعادها

غوانى فياف لا أريد وصالها ووحش قفار لا أريد اصطيادها

قال خالد بن صفوان: " إنما الدنيا متاع، وأفضل متاعهل زوجة صالحة".

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "طلب العلم فريضة على كل مسلم". (٢)

---

(١) حديث ضعيف. أخرجه الطبراني (٤١٦/١٩) في الكبير برقم (١٠٠٤) وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٨/٤) : فيه علي بن الربيع، وهو ضعيف، وقال العراقي في المغنى (٢٧/٢) : لايصح. [الدار] .

(٢) صح مرفوعا. أخرجه مسلم (١٤٦٧) ، وغيره [الدار] .

(٣) حديث ضعيف. أخرجه ابن ماجه (٢٢٤) ، والطبراني (٢٤٠/١٠) في الكبير، و (١٦/١) في الصغير، وابو نعيم في الحلية (٣٢٣/٨) . [الدار]." [١]

"٤٧٢–سئل أفلاطون عن العشق فقال: "داء لا يعرض إلا للفراغ".

٤٧٣–"العشق جهل عارض صادف قلب فارغ".

٤٧٤–قيل لأعرابي: "ما بلغ من حبك لفلانة؟ قال: إني لأذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها رائحة المسك".

٤٧٥–[سأل] الرشيد رجلا: ما أشد ما يكون من العشق؟ قال: أن يكون ريح البصل منه أحب إليك من رائحة المسك من غيره.

٤٧٦–[عن] عمر بن [أبي] ربيعة المخزومي أن "نعما" التي فيها يقول: [طويل] "أمن آل نعم أنت غاد فمبكر" اغتسلت من غدير [فأقام] يشرب منه حتى جف.

٤٧٧–[رأى] شبيب أخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه وآذاه، ثم أتى مكة وفيها." [٢]

"وقيل لفيلسوف يعق والديه: لم تعق والديك؟! فقال: لأنهما أخرجاني إلى عالم الكون والفساد. **وقيل لأعرابي**: لم أخرت التزوج إلى الكبر؟! قال: لأبادر ولدي باليتم قبل أن يسبقني بالعقوق.

وحدثني أبو نصر سهل بن المهدي قال: كان رجل من المياسير بالبصرة يتمنى أن يرزق ابنا وينذر عليه النذور حتى ولد له، فسر به غاية السرور وأحسن تربيته حتى ارتفع عن مبلغ الأطفال إلى حد الرجال.

ولم يهمه شيء من أمر الدنيا سواه، ولم يؤخر ممكنا من الإحسان عنه، فلم يشعر الأب ذات يوم إلا بخنجر خالط جوفه من وراء ظهره، فاستغاث بابنه فلم يجبه، ثم استغاث به ثانية والتفت فإذا هو صاحب الضربة، فقال الشيخ: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أستغفر الله، صدق الله؛ أراد بالتهليل أن يلقى الله بالإيمان، وبالاستغفار إن الله تعالى حذره فلم يحذر،

---

(١) درر الحكم لأبي منصور الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/٥٣

(٢) الشكوى والعتاب الثعالبي، أبو منصور ص/١٧٣

وبقوله: صدق الله عز وجل، قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم «١» . فجمع بهذه الكلمات كل ما يحتاج إليه في تلك الحال.." (١)

"أوتيت وأوزعك الله شكر ما أعطيت.

ونسخت رقعة لأبي الفرج الببغاء: اتصل بي خبر المولودة المسعودة، كرم الله عرقها وأنبتها نباتا حسنا، وما كان من تغيرك عند اتصال الخبر، وإنكارك ما اختاره الله لك في سابق القدر، وقد علمت أنهن أقرب من القلوب وأن الله بدأ بهن في الترتيب فقال عز من قائل: يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور «١» وما سماه الله تعالى هبة، فهو بالشكر أولى وبحسن التقبل أحرى. فهناك الله بورود الكريمة عليك، وثمرتها اعداد النسل الطيب لديك، والله أعلم.

باب ذم البنات

قيل لأعرابي: ما ولدك؟ قال: قليل خبيث. قيل: وكيف ذلك؟! قال: لا عدد أقل من الواحد ولا أخبث من بنت. وكان يقال: دفن البنت من المكرمات. ويقال: تقديم الحرم من النعم.

وفي الحديث المرفوع: نعم الختن القبر. ويروى لعبد الله بن طاهر:

لكل أبي بنت إذا ما ترعرعت ... ثلاثة أصهار إذا كرم الصهر

فزوج يراعيها وبيت يكنها ... وقبر يواريها، وخيرهم القبر." (٢)

"وانهزم رجل، فدخل على أميره فشتمه وقال: أعطيت بيدك وهربت، ولم توغل ولا صبرت! فقال: لئن تشتمني أصلحك الله وأنا حي خير من أن تترحم علي وأنا ميت.

وقيل لأعرابي: اخرج إلى الغزو! فقال: أنا والله أكره الموت على فراشي، فكيف أمشي إليه ركضا؟!.

أخذ هذا المعنى أحمد بن أبي فنن فقال مستطردا يمدح أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي والاستطراد أن يريك الفارس أنه ولى، وإنما ولى لتتبعه فيكر عليك كذلك الشاعر يريك أنه يصف شيئا، ثم يعن له معنى فيأتي به، وكأنه ليس من قصده ولم يقصد غيره:

ما لي وما لك قد كلفتني شططا ... حمل السلاح وقول الدارعين قف

أمن رجال المنايا خلتني رجلا ... أمسي وأصبح مشتاقا إلى التلف

أرى المنايا على غيري فأكرهها ... فكيف أمشي إليها بارز الكتف؟

أخلت أن سواد الليل غيرني ... أو أن قلبي في جنبي أبي دلف؟

لأنه كان شديد السواد.

ولما دخل على المعتز قال: هذا الشاعر الأسود؟ قال: لا يضره سواده، أعزكم الله تعالى؛ فإن بيض أياديكم عنده.

---

(١) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/١٧٨

(٢) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/١٨١

وقال المنصور لبعض الخوارج وقد أتي به أسيرا: أخبرني أي أصحابي كان أشد إقداما في مبارزتكم؟ فقال: ما أعرف وجوههم مقبلين، وإنما أعرف أقفاءهم؛ فمرهم أن يدبروا لأعرفك أشدهم إدبارا.

أخذه ابن الرومي فقال في سليمان بن عبد الله بن طاهر وكان قد خرج في بعض الوجوه فهزم:

قرن سليمان قد أضر به ... شوق إلى وجهه سيدنفه

أعرض عن قرنه وفر فما ... أصبح شيء عليه يعطفه

كم يعد القرن باللقاء وكم ... يكذب في وعده ويخلفه

لا يعرف القرن وجهه ويرى ... قفاه من فرسخ فيعرفه

وله في هذا المعنى أهاج كثيرة فمن ظريفها:

سليمان ميمون النقيبة حازم ... ولكنه حتم عليه الهزائم

ألا عوذوه من توالي فتوحه ... عسى أن ترد العين عنه التمائم

وقال:

جاء سليمان بني طاهر ... فاجتاح معتز بني المعتصم

كأن بغداد لدن أبصرت ... طلعته نائحة تلتدم

مستقبل منه ومستدبر ... وجه بخيل وقفا منهزم

من ملح أبي دلامة

وقال روح بن حاتم لأبي دلامة: اخرج معي وهذه عشرة آلاف درهم. فقال:

إني أعوذ بروح أن يقربني ... إلى الحمام فتشقى بي بنو أسد

إن المهلب حب الموت أورثكم ... وما ورثت اختيار الموت من أحد

وكان أبو دلامة شاعرا فصيحا، وماجنا مليحا، واسمه زند بن الجون الأزدي.

ودخل على أبي جعفر المنصور فأنشده وذكر زوجته:

فاخرنطمت ثم قالت وهي مغضبة ... أأنت تتلو كتاب الله يالكع؟!

قم كي تبيع لنا نخلا ومزدرعا ... كما لجارتنا نخل ومزدرع

خادع خليفتنا عنها بمسألة ... إن الخليفة للسؤال ينخدع

قال: قد أمرنا لك بمائة جريب عامر، ومائة جريب غامر. فقال: وما الغامر يا أمير المؤمنين؟ قال: الذي لا ينبت، قال: فإني أقطعك عشرة آلاف جريب من فيافي بني أسد. فضحك وأمر له بالجميع عامرا، فقال: إئذن لي في تقبيل يدك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أما هذه فدعها، فقال: ما منعت عيالي شيئا أسهل عليهم من هذه.

ودخل أبو دلامة يوما على أبي جعفر المنصور فأنشده:

إني رأيتك في المنا ... م وأنت تعطيني خياره

مملوءة بدراهم ... وعليك تأويل العباره

فقال له المنصور: امض فأتني بخيارة أملؤها لك دراهم. فمضى فأتى بأعظم دباءة توجد. ما هذا؟ قال: يلزمني الطلاق إن كنت رأيت إلا دباءة، ولكني نسيت، فلما رأيت الدباءة في السوق ذكرتها.

وهذا إنما أخذه من ابن عبدل الأسدي، وقد دخل على بعض بني مروان، فقال: تأذن لي أصلحك الله أن أقص عليك رؤيا رأيتها؟ فقال: هات؛ فأنشد:

أغفيت قبل الصبح نوم مسهد ... في ليلة ما كنت قبل أنامها

فرأيت أنك رعتني بوليدة ... فتذانة حسن علي قيامها." (١)

"ولبس مزيد جبة فقيل له: أتتمنى أن تكون لك؟ قال: نعم! وأضرب عشرين سوطا. قيل: ولم؟ ويحك؟ قال: لا يكون شيء إلا بشيء.

قال الأصمعي: طلب الحجاج رجلا فهرب منه، فمر بساباط فيه كلب نائم في ظله. فقال: يا ليتني مثل هذا الكلب، فما أتت ساعة حتى مر به الكلب وفي عنقه حبل، فسأل عنه فقالوا: جاء كتاب الحجاج وبه يأمر بقتل الكلاب.

وفي كتاب للهند أن ناسكا كان له سمن وعسل في جرة؛ ففكر يوما فقال: أبيع هذه الجرة بعشرة دراهم فأشتري خمس أعنز، فأولدهن في كل سنة مرتين، فيبلغ النتاج في سنتين مائتين، وأبتاع بكل أربع بقرة، وأزرع وينمى المال في يدي، فأتخذ المساكن والعبيد، ويولد لي ولد، فأسميه كذا وآخذه بالأدب، فإن هو عصاني ضربت بعصاي رأسه، وكانت في يده عصا فرفعها كالضارب، فأصابت الجرة، فانكسرت وتبدد السمن والعسل.

قال يزيد بن معاوية: ثلاث يخلقن العقل، وفيهن دليل على الضعف: سرعة الجواب، وطول التمني، والاستغراب في الضحك.

وكان يقال: التمني والحلم أخوان. وقالوا في نقيض ذلك: الأمل رفيق مؤنس، إن لم يبلغك فقد ألهاك. وأنشدوا:

أتاني من ليلى جواب كأنما ... سقتني به ليلى على ظمأ بردا

منى إن تكن حقا تكن أحسن المنى ... وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وقال أعرابي:

رفعت عن الدنيا المنى غير حبها ... فما أسأل الدنيا ولا أستزيدها

وتحت مجاري الصدر منا مودة ... تطلع سرا لا ينادى وليدها

وقيل لأعرابي: ما أمتع لذات الدنيا؟ فقال: ممازحة الحبيب، ومغالطة الرقيب، وأمان تقطع بها أيامك، وأنشد:

علليني بموعد ... وامطلي ما حييت به

ودعيني أفوز من ... ك بنجوى تطلبه

فعسى يعثر الزما ... ن بحظي فينتبه

عزة توازن بين شعر الأحوص وكثير

ودخل كثير بن عبد الرحمن على عزة؛ فقالت: ما ينبغي أن نأذن لك في الجلوس. قال ولم ذلك؟ قالت: لأني رأيت الأحوص

---

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر الحُصري القيرواني ص/٣٨

ألين جانبا عند القوافي منك في شعره، وأضرع خدا للنساء وأنه الذي يقول:

يأيها اللائمي فيها لأصرمها ... أكثرت لو كان يغني عنك إكثار

أقصر فلست مطاعا إذ وشيت بها ... لا القلب سال ولا في حبها عار

ويعجبني قوله:

أدور ولولا أن أرى أم جعفر ... بأبياتكم ما درت حيث أدور

وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى ... إذا لم يزر لا بد أن سيزور

لقد منعت معروفا أم جعفر ... وإني إلى معروفها لفقير

ويعجبني قوله:

كم من دني لها قد صرت أتبعه ... ولو صحا القلب عنها كان لي تبعا

لا أستطيع نزوعا عن محبتها ... أويصنع الحب بي فوق الذي صنعا

أدعو إلى هجرها قلبي فيتبعني ... حتى إذا قلت هذا صادق نزعا

وزادني رغبة في الحب أن منعت ... أشهى إلى المرء من دنياه ما منعا

وقوله:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

وما العيش إلا ما تلذ وتشتهي ... وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

وإني لأهواها وأهوى لقاءها ... كما يشتهي الصادي الشراب المبردا

علاقة حب لج في سنن الصبا ... فأبلى وما يزداد إلا تجددا

هذان البيتان ألحقهما الضبي وغيره بهذا الموضع من شعر الأحوص، وأنشدهما أبو بكر بن دريد لأعرابي.

فقال لها كثير: والله لقد أجاد فما استجفيت من قولي؟ قالت: فذلك قولك:

وكنت إذا ما جئت أجللن مجلسي ... وأظهرن مني هيبة لا تجهما

يحاذرن مني غيرة قد عرفنها ... قديما فما يضحكن إلا تبسما

تراهن إلا أن يؤدين نظرة ... بمؤخر عين أو يقلبن معصما

كواظم ما ينطقن إلا محورة ... رجيعة قول بعد أن تتفهما

وكن إذا ما قلن شيئا يسره ... أسر الرضا في نفسه وتجرما

وقولك:

وددت وبيت الله أنك بكرة ... هجان وأني مصعب ثم نهرب." (١)

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر الحُصري القيرواني ص/٦٩

"ترى الناس أفواجا إلى ضوء ناره ... فمنهم قيام حولها وقعود

فقال الطائف: قد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: تجاوزوا عن ذوي الهيئات؛ خلوا سبيله. فلما أصبح سأل عنه فإذا هو ابن باقلاني. فقال: إن لم يترك لنسبه فقد ترك لأدبه.

ومثله من المعاريض قول ابن شبرمة؛ وقد سئل عن رجل، فقال: إن له شرفا وقدما وبيتا، فنظر فإذا هو ساقط. فقيل له في ذلك. فقال: ما كذبت: شرفه: أذناه وقدمه التي يمشي عليها، ولا بد أن يكون له بيت يأوي إليه.

وسئل آخر عن رجل؛ فقال: رزين المجلس، نافذ الطعنة؛ فحسبوه سيدا، فإذا هو خياط طويل الجلوس نافذ الإبرة.

من طرف النوادر

طلب العتبي بعد ثمانين سنة أن يتزوج، فقيل له في ذلك. فقال: أولاد الزمان فسدوا فأردت أن أذلهم باليتم، قبل أن يذلوني بالعقوق.

بعث بعض ولد عيسى بن جعفر إلى جماعة من المخنثين فأتوه، فجعلوا يلعبون ويرقصون وبقي مخنث منهم لا يتحرك. فقال: ما لك؟ قال: لا أحسن شيئا. قال: فلم دخلت يابن الفاعلة؟ يا غلام ائتني بسكرجة مملوءة روثا وأخرى مملوءة جمرا، فأتاه بهما. فقال: والله لتأكلن من أحدهما أو لأضربنك حتى تموت. قال: يا مولاي؛ دعني أصلي ركعتين. قال: قم فصل؛ فقام يصلي فأطال. فقال له: يابن الفاعلة، إلى كم تصلي؟ قد صليت أكثر من عشرين ركعة! فقال: يا سيدي؛ أنا دائب أدعو الله أن يمسخني نعامة فأقوى على أكل الجمر، أو خنزيرا فأقوى على أكل الخرا، فلم يستجب لي بعد؛ فدعني أصلي وأدعو، فلعله يستجاب لي؛ فضحك منه ووصله.

هبت ريح شديدة، فقال الناس: قامت القيامة. فقال ربدة المخنث: يا حمقاء؛ القيامة هكذا على البارد بلا دابة ولا دجال ولا دخان ولا يأجوج ولا مأجوج.

ورأى مخنث شيخا هرما، فقال: عدمته، كأنه قصر ابن هبيرة ذهب رسمه وبقي اسمه.

من نوادر الأعراب

قدم قوم لأعرابي قريسا فأمعن في أكله. فقيل له: يا أعرابي؟ ما هذا؟ قال: فالوذج؛ إلا أنكم أحمضتموه.

وابتاع أعرابي غلاما؛ فقالوا له: إنا نبرأ إليك من عيب فيه. قال: ما هو؟ قالوا: يبول في الفراش: قال: إن وجد فراشا فليفعل.

وقيل لأعرابي: لم إذا غضبنا على غلام لنا قلنا له: أباعك الله في الأعراب قال: لأنا نطيل كده، ونعري جلده، ونجيع كبده.

وقال أبو تمام لرجل سرق شعره:

إنما الضيغم الهصور أبو الأش ... بال رئبال كل خيس وغاب

من عدت خيله على سرح شعري ... وهو للحين راتع في كتابي

غارة أسخنت عيون القوافي ... فاستحلت محارم الآداب

يا عذارى الكلام صرتن من بع ... دي سبايا تبعن في الأعراب

ورأى أعرابي سراويل في فلاة، فأخذه يظنه قميصا لم يعرف كيف يلبسه!! فمر يعدو ورماه؛ فلقيه رجل فقال: ما لك يا

أعرابي؟ قال: أصبت قميصا للشيطان، وأخاف أن يلحقني فيقول: لم أخذت قميصي؟

أعرابي في عرس." (١)

"وقام أعرابي وقد حضرت الصلاة فقال: حي على العمل الصالح، قد قامت بالفلاح. ثم تقدم فكبر. وقال: اللهم احفظ لي حسبي ونسبي، واردد علي ضالتي، واحفظ هملي، والسلام عليكم.

وصلت أعرابية في شهر رمضان فقرأ الإمام السجدة فسجد وسجدت الناس؛ فخرجت تحضر وتنادي، صعق الناس ورب الكعبة، وقامت القيامة! وقام أعرابي يصلي وحلفه قوم جلوس، فقال: الله أكبر! أفلح من هب إلى صلاته، وأخرج الواجب من زكاته، وأطعم المسكين من نخلاته، وحافظ على بعيره وشاته؛ فضحك القوم. فقال: أمن هينمتي ضحكتم؟ أشهد عند الله على عمتي أنها سمعت ذلك من في مسيلمة.

وقف أعرابي يسأل فقال له رجل: يا أعرابي؛ هل لك في خير مما تطلب؟ قال: ما هو؟ قال: أعلمك سورة من القرآن. فقال: لا والله؛ إني لأحسن ما إن عملت به لكفاني!؟ أحسن منه خمس سور، فاستقرأته فقرأ: الحمد، والنصر، والكوثر وسكت. فقلت: هذه ثلاث، فأين الاثنتان؟ قال: إني وهبتهما لابن عمي وعلمته إياهما، ولا والله لا أرجع في شيء أبدا.

دخل أعرابي الحمام فلما أحس بوهجه أنشأ يقول:

أدخلت في بيت لهم مهندس ... قد ضربوه بالرخام الأملس

فسك سمعي واستطار نفسي ... وقلت في نفسي بالتوسوس

أدخلت في النار ولما أرمس

لأعرابي في الطلاء بالنورة

وقال أعرابي في الطلاء بالنورة:

أناس عليهم كسوة لا تجنهم ... سرابيل خضر ليس فيها بنائق

يبيعهموها تاجر لا يقيلهم ... ببيعهم تلك السرابيل حاذق

ولكشاجم في ذلك

وقال أبو الفتح كشاجم:

ومجرد كالسيف أسلم نفسه ... بمجرد يكسوه ما لا ينسج

ثوبا تمزقه الأنامل رقة ... ويذوب من نظر العيون وينهج

فكأنه لما استقل بجسمه ... نصفان ذا عاج وذا فيروزج

ومن نوادر الأعراب

وهب سليمان بن أبي جعفر لأعرابي كساء شامية؛ فلما أتى أهله وأبصره صبيانه تطايروا فزعا من بين يديه، وقالوا: لقد أصابت أبانا داهية، فأنشد:

---

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر الحُصري القيرواني ص/٩١

طرحت عمامتي ولبست تاجا ... على عنقي له ذنب طويل

تصايح صبيتي لما رأوه ... وقالوا جاء سعلاة وغول

قيل لأعرابي: أتعرف أبا عمرة يريد الجوع؟ قال: وكيف لا أعرفه وهو متربع على كبدي؟ وقيل لآخر: أتتخمون؟ قال: وما التخمة؟ إن كانت التي يدور منها الرأس فما تفارقنا يريد الجوع.

ومر أعرابي بمرآة ملقاة في مزبلة، فنظر وجهه فيها، فإذا هو سمج بغيض، فرمى بها وقال: ما طرحك أهلك من خير.

ونظر مزيد وجهه في المرآة فرآه قبيحا. فقال: الحمد لله الذي لم يحمد على المكروه سواه.

والشيء يذكر بما قاربه.

من هجاء الحطيئة

رأى الحطيئة وجهه في بئر فقال:

أرى لي وجها قبح الله خلقه ... فقبح من وجه وقبح حامله

ولهذا خبر؛ ذكرت الرواة: أن الزبرقان بن بدر استعدى على الحطيئة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: هجاني بقوله:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر: ما أرى هذا هجاء؛ وكان أعلم بذلك من كل أحد، ولكنه أراد درء الحدود بالشبهات. فقال الزبرقان: هذا حسان بن ثابت. فقال: علي بحسان، فأنشده الشعر. فقال: ما هجاه يا أمير المؤمنين ولكن سلح عليه! فأحضر الحطيئة، وقال: هات الشفرة أقطع لسانه؟ فاستشفع فيه فحبسه، فكتب إليه من الحبس:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ ... زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

غادرت كاسبهم في قعر مظلمة ... فاغفر هداك مليك الناس يا عمر

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ... ألقت إليك مقاليد النهى البشر

لم يؤثروك بها إذ قدموك لها ... لكن لأنفسهم كانت لها الأثر

فبكى عمر وأحضره. فقال: قد والله يا أمير المؤمنين هجوت أبي وامرأتي وأمي. قال: وكيف ذلك؟ قال قلت لأبي:

ولقد رأيتك في المنام فسؤتني ... وأبا بنيك فساءني في المجلس

وقلت لأمي:

تنحي فاجلسي مني بعيدا ... أراح الله منك العالمينا

أغربالا إذا استودعت سرا ... وكانونا على المتحدثينا." (١)

"٥٤ - نظر معاوية إلى ابن عباس فأتبعه ببصره ثم قال متمثلا بقول الشاعر

إذا قال لميترك مقالا لقائل ... مصيب يثن اللسان على هجر

---

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر الحُصري القيرواني ص/١٠٥

يصرف بالقول اللسان إذا انتحى ... وينظر في أعطافه نظر الصقر ٥٥ كان يقال

الجمال في اللسان ٥٦ قيل لأعرابي ما الجمال." [١]

"باب اختلافهم في البلاغة قال المفضل

قيل لأعرابي ما البلاغة قال إيجاز من غير عجز وإطناب في غير خطل ١١١ وقيل ل الأحنف ما البلاغة قال في استحكام الحج والوقف عندما يكتفى به ١١٢ قال خالد بن صفوان لرجل كثر كلامه إن البلاغة ليست بكثرة الكلام ولا بخفة اللسان ولا بكثرة الهذيان ولكنها إصابة المعنى والقصد إلى الحجة." [٢]

"١١٣ - وقيل لأعرابي ما البلاغة فقال لمحة دالة على ما في الضمير ١١٤ وقيل ل بشر بن مالك ما البلاغة فقال التقريب من البغية والتباعد من حشو الكلام ودلالة بالقليل على الكثير ١١٥ سئل عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ما البلاغة فقال القصد إلى عين الحجة بقليل اللفظ ١١٦ وقال غيره

البلاغة معرفة الفصل من الوصل وفرق بين المطلق والمقيد وما يحتمل التأويل ويستغني عن الدليل." [٣]

"٢١٩ - قال تميم بن نصر بن سيار لأعرابي هل أصابتك تخمة قط قال أما من طعامك فلا ٢٢٠ قال عبد الملك بن مروان ل بثينه

ما رجا منك جميل

قالت ما رجت منك الأمة حين ملكتك أمرها ٢٢١ قيل لبعضهم صحبت الأمير فلانا إلى اليمن فما ولاك قال قفاه ٢٢٢ قيل لأعرابي صف لنا النخلة قال سريعة العلوق واسعة العروق." [٤]

"وقال ابن، قتيبة: [والسرد: سجع المدرع] (١). (ومنه قيل، لصانع الدروع: سراد وزراد، تبدل من السين زايا) (٢).

وقال المبرد: السرد نقب المسامير، يقال: درع مسرودة (٣) إذا أحكمت مساميرها (٤). قال الأعشى:

ومن نسج داود [مصردة] (٥) مسرودة ... تساق مع الحي عيرا فعيرا (٦)

قال الزجاج: (السرد في اللغة: مقدمة شيء إلى شيء حتى ينسق أثره في أثر بعض سابغا، يقال: سرد فلان الحديث سردا (٧) إذا تابعه، وسرد فلان الصوم إذا والاه، والمتتابع (٨) يسمى سردا. وقيل لأعرابي: ما أشهر الحرم؟ فقال: ثلاثة سرد وواحد فرد. ويسمى الحرز سردا؛ لأنه متتابعة من المحرز (٩)، والمحرز يقال له: السراد والمسرد، فجاء من هذا أن اعمل

---

(١) ما بين المعقوين ليس في "غريب القرآن" لابن قتيبة، ويظهر أنه زيادة من النساخ؛ إذ لا معنى له والله أعلم.

(٢) "تفسير غريب القرآن" ص ٣٥٤.

---

(١) أدب المجالسة وحمد اللسان ابن عبد البر ص/٤٨

(٢) أدب المجالسة وحمد اللسان ابن عبد البر ص/٦٧

(٣) أدب المجالسة وحمد اللسان ابن عبد البر ص/٦٨

(٤) أدب المجالسة وحمد اللسان ابن عبد البر ص/١٠١

(٣) في (ب): (مسرود).

(٤) لم أقف عليه

(٥) ما بين المعقوفين زيادة في (ب)، وهو خطأ.

(٦) البيت من المتقارب، هو للأعشى في: "ديوانه" ص ١٤٩، "مجاز القرآن" ٢/ ٢٤٨، "اللسان" ١٣/ ٤٥٠ (وضن)، فقد جاءت الرواية في اللسان: موضونة بدل مسرودة، والموضونة: هي المنسوجة.

(٧) انظر: "معاني القرآن وإعرابه" ٤/ ٢٤٤

(٨) في (ب): (التابع)

(٩) في (ب): (الحروف)، وهو خطأ.." [1]

" ٨١ - ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون:﴾ إنما يلامون على ما علموا أنما حل بأولئك الماضين، ولا قدوة في الشعر.

٨٤ - ﴿قل لمن الأرض ومن فيها:﴾ الاضطرار بالإقرار لعامة الكفار لإجماعهم أن العالم (٢٣٢ و) مستند إلى صانع (١) ما.

٩٤ - ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين:﴾ الاستعاذة من حيث ما أوهم (٢) قوله:

﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ [الأنفال:٢٥].

٩٧ - ﴿همزات:﴾ غمزات، وفي الحديث: «أما الهمزة فالموتة». (٣) **قيل لأعرابي**: من يهمز الفأرة؟ قال: السنور يهمزها. (٤)

٩٨ - ﴿أن يحضرون:﴾ أن يتدنوا مني.

٩٩ - ﴿حتى:﴾ غاية لقولهم (٥): ﴿وإنهم لكاذبون﴾ [المؤمنون:٩٠].

١٠٠ - ﴿برزخ:﴾ حاجز لطيف بين الشيئين المجتمعين المتضايقين.

١٠١ - ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ:﴾ لأن ليوم القيامة أحوالا مختلفة، وأهوالا مؤتلفة، فإذا كانت النفخة الأولى لم يبق أحد إلا هلك (٦) ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ ولانقطاع الأنساب وجوه: أحدها: قوله: ﴿يوم يفر المرء من أخيه﴾ [عبس:٣٤] إلى قوله:

﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ [عبس:٣٧]. والثاني: قوله: ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا﴾ [البقرة:١٦٦]،

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٢٧/١٨

والثالث: انتقال التعريف يومئذ إلى الأعمال والملك.

والرابع: كون كل واحد مبعوثا من التراب مثل آدم عليه السلام غير متولد من أحد، وقد قال عليه السلام: «كل سبب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي». (٧)

١٠٤ - ﴿تلفح:﴾ تصيب أشد من النفخ.

---

(١) ساقطة من أ.

(٢) ك: فأوهم.

(٣) جزء من حديث عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٨٠، وأبو داود في السنن (٧٦٥)، والطبراني في الكبير (١٥٦٩) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان ١/ ٢١٠.

(٤) ينظر: الصحاح ٣/ ٩٠٣، ولسان العرب ٥/ ٤٢٦، وتفسير غريب القرآن للطريحي ٢٩٦.

(٥) ع وأ: لفوجهم.

(٦) (فلا أنساب بينهم. . . أحد إلا هلك) ساقطة من ع.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٠٣٥٤)، والطبراني في الأوسط (٥٦٠٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٤، والمقدسي في الأحاديث المختارة ١/ ١٩٧ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.." [١]

"معنى قوله: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل﴾ [الأحقاف: ٩]، وقيل في معنى قوله: ﴿من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى﴾ [الأنعام: ٩١].

﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ بالأبوة والأمانة والمروءة والصيانة ومجانبة الكتابة والكهانة.

﴿ولو اتبع الحق﴾ عن الدين، وقيل: عن الديان.

﴿لناكبون﴾ لمائلون ومنحرفون (١)، ومنه: تنكب فلان عن الطريق، ومنه النكباء والمنكب.

﴿ولو رحمناهم﴾ أراد الرحمة الظاهرة وما بعدها بيان لها، لتمادوا.

﴿بالعذاب﴾ با لجوع والخوف ﴿فما استكانوا﴾ تضرعوا وتذللوا.

﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾ إنما يلامون على ما عملوا، إنما حل بأولئك الماضين ولا قدوة في السفر.

﴿قل لمن الأرض ومن فيها﴾ الاضطرار بالإقرار لعامة الكفار لإجماعهم أن العالم مستند إلى صانع ما.

﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين (٩٤)﴾ الاستعاذة من حيث مأواهم قوله: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ [الأنفال: ٢٥].

﴿همزات﴾ غمزات، وفي الحديث: "أما الهمزة فالموتة" (٢) **قيل لأعرابي**: من يهمز الفأرة؟ قال: السنور يهمزها ﴿أن

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢/٣٥١

يحضرون﴾ بمعنى (٣) يتدانوا مني ﴿حتى﴾ غاية لعوجهم وأنهم لكاذبون.

---

(١) وهو في معنى قول ابن عباس - رضي الله عنهما - حيث قال: "ناكبون" عادلون. والعدول عن الصراط هو الميل والإنحراف عنه.

[الطبري (١٧/ ٩١)].

(٢) هو من قول عمر بن الخطاب. انظر: كتاب أبي داود وسنن ابن ماجه، وقال ابن ماجه: الموتة: يعني الجنون، وذكره القرطبي في تفسيره (١٢/ ١٤٨).

(٣) في "ي" "ب": (أن) بدل (بمعنى)، وفي "أ": (أي).." [١]

"باب كميش وخميس وباب كنات وكبات وباب كنيف وكثيف وكثيف:

باب كميش وخميس:

أما كميش بالكاف المفتوحة والشين المعجمة فهو رجاء بن الأشيم بن كميش الحميري يكنى أبا الأشيم أمه حمضة بنت عبد الله بن خيوان بن الحارث بن مالك بن حمير سأل سالم بن عبد الله بن عمر وكان شريفا بمصر في أيامه وله ولايات قتله حوثرة بن سهيل الباهلي بمصر في المحرم سنة ثمان وعشرين ومائة قال ذلك أجمع ابن يونس في غير نسخة ولست أدري كيف نسب أمه إلا أن يكون مالك بن حمير رجلا متأخرا.

وأما خميس بخاء معجمة وسين مهملة فهو خميس بن الأشهب، روى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا، روى عنه إسماعيل بن عياش قاله ابن أبي حاتم.

باب كنات وكبات:

أما كنات قبل الألف نون مشددة وبعد الألف تاء معجمة باثنتين من فوقها فهو عثمان بن أبي الكنات، حدث عن عبد الله ابن أبي مليكة، روى عنه إبراهيم بن أبي الوزير البصري ويسرة بن صفوان.

وأما كبات بباء مخففة معجمة بواحدة وآخره ثاء معجمة بثلاث فهو أبو عمر كبات بن مصعب قال **قيل لأعرابي**، حدث عنه عباس بن عبد الله الترقفي.

باب كنيف وكثيف وكثيف:

أما كنيف بضم الكاف وبالنون فهو في قول عمر رضي الله عنه وقد ذكر عنده ابن مسعود كنيف ملىء علما.

وأما كثيف بفتح الكاف وبعدها ثاء معجمة بثلاث فهو كثيف السلمي أن عبد الرحمن بن عوف متع بجارية قاله أبو صالح عن الماجشون عن سعد بن إبراهيم.

وأما كثيف بضم الكاف فهو مولة بن كثيف بن حمل بن خالد الكلابي أن الضحاك بن سفيان الكلابي كان سياف رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عنه ابنه عبد العزيز بن مولة.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ١٢٧٠/٣

وأبو عبد الله أحمد بن يحيى بن الوزير بن سليمان بن المهاجر مولى آل الادرد بن رفاعة بن كثيف التجيبي من بني سوم ابن عدي بن تجيب.." (١)

"في المقام ثم قال وأنشد أبو علي، ولم يثبت البيت هنا، إلى أن نقل شعرا:

يقول لي دار الأحبة قد دنت ... وأنت كئيب إن ذا لعجيب

فقلت وما تغني ديار تقاربت ... إذا لم يكن بين القلوب قريب

قال أبو علي " ١ - ١٩٥، ١٩٢ " ومن كلام العرب " الحسن أحمر " أي من أراد الحسن صبر على أشياء يكرهها.

ع فمعنى أحمر على هذا التأويل شديد وقد تقدم القول في ذلك " ٥٧ " وذكرنا حديث علي: كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن أحد أقرب إلى العدو منه. وقال الأشتر يوم صفين: من أراد الموت الأحمر فليتبعني. وفي المثل الذي ذكره تأويل آخر وهو أن المراد به اللون، والعرب تسمى المرأة الحسناء حمراء. قال جرير وسئل عن الأخطل فقال: هو أوصفنا للخمر والحمر: يعني حسان النساء. وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمى عائشة: الحميراء. قال الأصمعي وغيره: الحمراء: المرأة الجميلة الحسناء. وقال سيبويه وهذه الصفة لما كثر استعمالهم لها لزمت فصارت كالاسم كالأدهم والأجدل. وقيل لأعرابي تمنه! فقال: حمراء مكسال، من بنات الأقيال. وكذلك تقول العرب أيضا." (٢)

"إلا بهزهاز يسلي همى ... يسقط منه فتخي في كمي

وقالت أخرى:

لا يقنع الجارية اللعاب ... ولا الوشاحان ولا الجلباب

من دون أن تصطفق الأركاب ... وتلتقي الأسباب والأسباب

ويخرج الزب له لعاب

وأكثر الناس يرى أن الظفر بالمعشوقة يسقط شطر عشقيهما، وأن النكاح يسقط الحب، قيل لأعرابي وقد طال عشقه لجارية: ما كنت صانعا لو ظفرت بها ولا يراكما غير الله، قال: إذن والله لا أجعله أهون الناظرين، لكني أفعل بها ما أفعله بحضرة أهلها، شكوى! وحديث عذب، وإعراض عما يسخط الرب، ويقطع الحب. وقال ابن الدمينة:

أحبك يا سلمى على غير ريبة ... وما خير حب لا تعف سرائره

وماذا الذي يشفى من الحب بعدما ... تشربه بطن الفؤاد وظاهره

وقال عمر ابن أبي ربيعة:

بعثت وليدتي سحرا ... وقلت لها خذي حذرك

وقولي في ملاطفة ... لزينب نولى عمرك

فهزت رأسها عجبا ... وقالت من بذا أمرك؟

---

(١) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ابن ماكولا ١٣٨/٧

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٤٦٣/١

أهذا سحرك! النسوا ... ن قد خبرنني خبرك

وقلن إذا قضى وطرا ... وأدرك حاجة هجرك." (١)

"وقال آخر:

فإن يك حائلا لوني فإني ... لعقل غير ذي سقط وعاء «١»

موصوف بالحماقة والجهل

سئل أعرابي عن رجل، فقال: لو كان في بني إسرائيل ووقعت قصة البقرة ما ذبحوا غيره.

وقيل: فلان ليس له من عقله فاه ولا من نفسه واعظ. وقيل: أحمق من دغة ومن رخمة «٢» وفي الرخمة: إنك من طير الله فانطقي، يقال ذلك كناية عن الحمق خامري أم عامر.

وقيل: ليس مع فلان من العقل إلا ما يوجب حجة الله عليه إذا أمر به إلى النار.

وقيل: فلان مخدوع من عقله فلا تستعن به:

ليس يدري من الجهالة ماذا ... دور البعر في بطون الجمال

وقال آخر:

رب ما أبين التباين فيه ... منزل عامر وعقل خراب

وإذا قيل: فلان سليم الصدر، أو جامح في المسجد أو هو من أهل الجنة، فهو كناية عن الحمق.

تفضيل الجد «٣» على العقل

قيل: استأذن العقل على الجد، فلم يأذن له، وقال: أنك تحتاج إلي وأنا لا أحتاج إليك. وافتخر العقل، فقال له الجد: أمسك فما لك نفاذ «٤» ما لم أصحبك. **وقيل لأعرابي**: فلان أحمق مرزوق، فقال هذا هو الرجل الكامل. قال:

وهيهات الحظوظ من العقول

قال آخر:

وما لب اللبيب بغير حظ ... بأغنى في المعيشة من فتيل «٥»." (٢)

"أمارة نجابة «١» الصبيان

قيل لأعرابي: ما أمارة النجابة في صبيانكم؟ قال: إذا كان أعنق «٢» أشدق أحمق.

فأقرب به من السودد «٣» .

وقال الزبرقان: أكيس صبياننا العريض الورك السبط «٤» الغرة، الطويل الغرلة «٥» ، الأبله العقول.

وقال بزرجمهر لكسرى، وعنده أولاده: أي أولادك أحب إليك؟ قال أرغبهم في الأدب، وأجزعهم من العار وأنظرهم إلى الطبقة التي فوقه.

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٦٩٣/١

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢٩/١

وروى ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: عرامة الصبي في صغره زيادة في عقله إذا كبر.
وقال معاوية: طيروا الدم في وجوه الصبيان، فإن بدا في وجوههم الحياء وإلا فلا تطمعوا فيهم.
صبي استدل بعقله على كبر همته
قيل: أول ما عرف من سودد خالد القسري أنه مر في بعض طرق دمشق راكبا، وله عشر سنين فوطىء فرسه صبيا فوقف عليه فرآه لا يتحرك فانتهى إلى أول مجلس مر به، فقال: إن حدث بهذا الغلام حدث فأنا صاحب الجناية ولم أعلم.
ومر عمر رضي الله عنه بصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، فعدا الصبيان ووقف عبد الله فقال له عمر: ما لك لا تذهب مع الصبيان؟ فقال: يا أمير المؤمنين لم أجن إليك فأخافك، ولم يكن في الطريق ضيق فأوسعه لك. فقال عمر: أي شيطان يكون هذا؟
وكان عبد الملك صغيرا فأربى عليه صبي فضربه، فقيل له: لو شكوته إلى عمك لانتقم منه. فقال: أنا لا أعد انتقام غيري انتقاما. وقال السري الرفاء يصف غلاما بعلو الهمة:
لا تعجبن من علو همته ... وسنه في أوان منشاها
إن النجوم التي تضيء لنا ... أصغرها في العيون أعلاها
من تكلم عند الخلفاء وهو صغير فارتفع بذلك شأنه
أوفد أبو موسى الأشعري زيادا على عمر رضي الله عنه، وكان يكتب له، وهو حين." (١)
"وصار أبو علقمة إلى كواز فقال: أعندك جرة لا فقداء ولا دناء ولا مغربلة الجوانب، خضرة نضرة قد مسها النار، إن نقرت عليها طنت، وإن أصابتها ريح غنت، ولكن بدرهم.
فقال الكواز: دعني من شتمك يا ماص بظر أمه.
الأحوال الدالة على العي
من العي البهرة، وفتل الأصابع، ومس اللحية، ولذلك قال:
مليء ببهر والتفات وسعلة ... ومسحة عثنون وفتل الأصابع
وقال ابن المقفع: من علامة العي النكث في الأرض، والإطراق من غير فكرة.
المحتبس في كلامه
قال الشاعر:
كأن في فيه لقمة عقلت ... لسانه فالتوى على حنق
محرك رأسه توهمه ... قد قام من عطسة على شرق
وقال آخر:
كأن فيه لففا إذا نطق ... من طول تحبيس وهم وأرق

---
(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٩/١

وقال آخر:

ديافيه قلف كأن خطيبهم ... سراة الضحى في سلحه يتمطق

ويقال: هو عياياء طباقاء.

اعتذار محتبس في كلامه

قال بعضهم: نحن حي فعال ولسنا بحي مقال. ونحن بأدنى مقالنا عند أحسن فعالهم.

وقال بعض وفد خراسان: إنا ببلاد نأت عن العرب، شغلتنا الحرب عن الخطب.

واعتذر رجل لحبسة فقال: يعزب البيان ويعتقم الصواب وإنما اللسان مضغة من الإنسان يفتر بفتوره إذا نكل، ويثوب بانبساطه إذا ارتجل.

وقيل لأعرابي: أين فصاحتك؟ فقال: لحقت بمواطنها بنجد.

وقال شاعر:

ارفق بعبدك إن فيه بلادة ... جبلية ولك العراق وماؤه

المقام الذي لا يستنكف فيه من العي والحصر

سئل ابن داود: متى يكون البليغ عييا؟ فقال: إذا سأل عما يتمناه وشكا حبه إلى من يهواه، ثم أنشد:

بليغ إذا يشكو إلى غيره الهوى ... وإن هو لاقاه فغير بليغ." (١)

"شركتنا في هوازها وشركتنا في مدانيها وكما يجيء يكون.

قال الجاحظ: طلبت بعض أصدقائي في داره فلم أجده فقلت لجاريته: إذا حضر صاحبك فقولي له: إن الجاحظ كان بالباب. قالت: نعم الجاحد «١» بالباب، قلت: قولي الحدقي «٢» قالت: نعم الحلقي، فقلت: عليك بالأول.

المتكلم بكلام غير متسق

دق رجلان على باب نحوي فقيل: من؟ فقال أحدهما: أنا الذي اشترى عبد الله كلم الآجر. وقال الآخر: أنا الذي أبو يعقوب الجصاص عقد طاق باب هذه الدار. فقال صاحب الدار: انصرفا فما أرى لكلاميكما صلة.

وقال رقبة بن مصقلة: ما أعجزني شيء كما أعجزني رجل قام إلي يوما وقد دخلت المسجد، فقال: إني رأيتك فشبهتك بي فأعجبني ذلك لك وأنا فيه متفكر بعد ولا أدري ما معنى كلامه.

من جارى غيره فلحن فأجابه بمقتضى كلامه

قال رجل لأعرابي: كيف أهلك؟ قال صلبا، أراد كيف أهلك؟

وقال الوليد لرجل: من ختنك؟ قال: الحجام. فضحك القوم وخجل الوليد، وإنما أراد أن يقول من ختنك؟

ومر رجل بدار ميت فقال من المتوفي؟ فقال له رجل: الله فقال له: يا كافر الله يموت؟ فقال: لعلك تريد المتوفى.

من سئل عن نحو فأجاب بمقتضى اللغة

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٨٨

قيل لرجل: هل ينصرف إسماعيل؟ قال: نعم إذا صلى العشاء فما قعوده؟ وتعرض بعضهم للطائي حين أنشد:

وهن عوادي يوسف وصواحبه

فقال: إن يوسف لا ينصرف فقال: اصفعه حتى ينصرف. وقال نحوي لأعرابي قال أعجبني القصر، بم يرفع القصر؟ فقال: بالآجر والجص، **وقيل لأعرابي** أتجر فلسطين فقال إني إذا لقوي فقيل أتهمز إسرائيل؟ فقال إني إذا رجل سوء. وقيل: أتهمز الفأرة؟

فقال الهرة تهمزها.

وحكي أن جماعة عند محمد بن بحر اختلفوا في بناء سراويل، فدخل البرقي فقال فيم كنتم؟ فقالوا: في بناء سراويل فما عندك فيه؟ قال مثل ذراع البكر أو أشد.

وحكي أن أبا سعيد السيرافي سأل أبا الحسن الموسوي وهو صغير: إذا قلت رأيت عمرا فما علامة النصب فيه؟ فقال بغضه لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه.." (١)

"وقيل: استمع، فسوء الإستماع نفاق. وقيل للسائل: على السامع ثلاث أمور: جمع البال، وحسن الإستماع، والكتمان لما يقتضي الكتمان.

وقيل: أساء سمعا فأساء إجابة.

وقال فيلسوف لتلميذ له: أفهمت؟ قال: نعم. قال: كذبت لأن دليل الفهم السرور ولم أرك سررت.

وقيل: نشاط القائل على قدر فهم السامع.

وقيل: من سعادة القائل أن يكون المستمع إليه فهيما.

وقيل فلان في الاستماع ذو أذنين «١» وفي الجواب ذو لسانين «٢» .

قال الشاعر:

إذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم ... وإن حدثوا قالوا بحسن بيان

وقال رجل: أذني قمع لمن يحدثني.

النهي عن محادثة من ساء استماعه

قيل: من لم ينشط لاستماع حديثك ما رفع عنه مؤنة الإستماع. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: حدث الناس ما حدجوك بأسماعهم، ولحظوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم إعراضا فأمسك.

وقيل: لا تطعم طعامك من لا يشتهيه. وقيل حدث حديثين امرأة فإن لم تسمع فأربع، أي كف.

الحث على إزدياد السماع على المقال

سمع بقراط «٣» رجلا يكثر من الكلام، فقال له: إن الله تعالى جعل للإنسان لسانا واحدا وأذنين، ليسمع ضعف ما يقول.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/ ٩٠

تفضيل السماع على المقال

كان أعرابي يجالس الشعبي «٤» فأطال الصمت، فسأله عن ذلك، فقال: أسمع فأعلم، واسكت فأسلم.

وقيل لأعرابي: لم لا تتكلم؟ فقال: حظ لسان الرجل لغيره وحظ سمعه له. وقال محمد بن المنكدر: لأن أسمع أحب إلي من أن أنطق، لأن المستمع يتقي ويتوقى.." (١)

"نوادر العرب فيما سمعوه من القرآن

قيل لأعرابي اقرأ: يا أيها الكافرون

«١» ، فقال: أدخلت يدك في الجراب فأخرجت شيئا فيه صعود وهبوط هات غيرها. وقيل لآخر: ما تقرأ في صلاتك؟ قال أم القرآن ونسبة الرب وهجاء أبي لهب.

وقيل لآخر: ما قرأ إمامكم البارحة في صلاته؟ فقال: أوقع بين موسى وهارون شراشر «٢» .

وسمع آخر رجلا يقرأ: الأعراب أشد كفرا ونفاقا فقال: لقد هجانا. ثم سمعه يقرأ بعده ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، فقال: لا بأس هجاء ومدح هذا كما قال الشاعر:

هجوت زهيرا ثم إني مدحته ... وما زالت الأشراف تهجى وتمدح

وسمع آخر قوله تعالى: وفي السماء رزقكم وما توعدون

«٣» فقال: وأين السلم إليه؟

وسرق أعرابي غاشية سرج، فدخل مسجدا فقرأ الإمام: هل أتاك حديث الغاشية

«٤» ، فقال: أسكت قد أخذت في الفضول، فقرأ الإمام: وجوه يومئذ خاشعة

«٥» فقال ها هي غاشيتكم، فلا تخشعوا وجهي.

من غير حرفا من القرآن فأتى بنادرة لما روجع

قال الحجاج لامرأة من الخوارج اقرئي شيئا من القرآن فقرأت: إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا

«٦» فقال: ويحك يدخلون، قالت: قد دخلوا وأنت تخرجهم.

وقرأ أعرابي: إنا بعثنا نوحا إلى قومه. فقيل: إنما هو أرسلنا، فقال ما بينهما إلا لجاجك. وقرأ آخر: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

«٧» فقالوا له: قد غيرت فقال:

خذوا أنف هرشى أو قفاها فإنه ... كلا جانبي هرشى لهن طريق

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٩٦/١

بعض ما جعلته العرب قرآنا

قرأ أعرابي في صلاته: الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب طويل ومشفروئيل «٨» وإنه من خلق ربنا لقليل، الله أكبر.." (١)

"فيما في يده ورغبه فيما في يد غيره، وانتقصه شطر أجله وأشرب قلبه الإشفاق. فهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير. فهو كالدرهم والسراب الخادع، جذل الظاهر حزين الباطن. فإذا وجبت نفسه ونضب عمره حاسبه الله فاشد حسابه وأقل عفوه.

وقال مطرف: لا تنظروا إلى خفض عيش السلطان ولين لباسه ولكن انظروا إلى سرعة ظعنه «١» وسوء منقلبه «٢» .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما ملك أحد قط إلا شوطر عقله وضوعف بلاؤه وحزنه. ولما ولي محارب القضاء قيل للحكم بن عتيبة: ألا تأتيه؟ قال: ما أصابته عند نفسه مصيبة فأعزيه ولا نالته نعمة فأهنئه وما كنت زوارا له من قبل فآتيه.

وقال بعض الولاة لبهلول: كيف تجدك؟ قال: بخير ما لم أتول شيئا من أمور المسلمين. قال: أتحب أن تكون صحيحا؟ قال: لو كنت صحيحا لنزعت نفسي إلى طلب الدنيا، فهذا أصلح لي. أرجو أن أكسب الأجر وأن يحط الله عني الوزر «٣» .

وقيل لأعرابي أيسرك أن تكون خليفة وتموت أمتك؟ قال: لا، لأنها تذهب الأمة وتضيع الأمة.

النهي عن طلب الرئاسة

قال رجل لبشر الحافي: أوصني. قال: الزم بيتك، فترك طلب الرئاسة رئاسة. وقال ابن مسهر: ما بينك وبين أن تكون من الهالكين إلا أن تكون من المعروفين. وكان سفيان يتمثل بقول الشاعر:

حب الرئاسة داء لا دواء له ... وقل ما تجد الراضين بالقسم

وقال آخر:

وأكثر هالك في الناس تلقى ... فرأس هلاكه طلب الرئاسة

وقال آخر:

بلاء الناس مذكانوا ... إلى أن تنهض الساعه «٤»

طلاب الأمر والنهي ... وحب السمع والطاعه

قساوة قلب من تولى رئاسة

كان عبد الملك بن مروان يسمى حمامة المسجد، للزومه المسجد الحرام. فلما أتاه الخبر بخلافته، كان المصحف في حجره «٥» ، فوضعه وقال: هذا فرق بيني وبينك. وقال:." (٢)

"المتفادي من أن يظلم أو يظلم

كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج من بيته: بسم الله وبالله أني أعوذ بك من أن أزل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي، وقال بعضهم: لنا عز يمنع من أن نظلم وحلم يمنع من أن نظلم.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/١٧٧

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٢١٩

الموصوف بالظلم

قيل: فلان أظلم من حية لأنها لا تحفر الجحر بل تسلب غيرها جحره فتدخله.

ويقال أظلم من ذئب، قال:

وأنت كذئب السوء إذ قال مرة ... لعمروسه والذئب غرثان خاتل «١»

أأنت الذي من غير شيء سببتني ... فقال متى ذا؟ قال ذا عام أول

فقال ولدت العام بل رمت غدرة ... فدونك كلني ما هنا لك مأكل

وقيل: أعدى من الدهر ومن التمساح ومن الجلندي وهو فيما قيل اسم الملك الذي قال الله تعالى فيه: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا

«٢» .

وقال: أعرابي لئن هملجت إلى الباطل أنك عن الحق لقطوف. وقيل: الفتنة عرس الظالم.

المتبجح بالظلم

قيل لأعرابي: أيما أحب إليك أن تلقى الله ظالما أو مظلوما؟ فقال: ظالما قيل:

ويحك ولمه؟ قال: ما عذري إذا قال لي: خلقتك قويا ثم جئت تستعدى، **وقيل لأعرابي**:

ولد له ابن جعله الله برا تقيا فقال بل جعله جبارا عصيا يخافه أعداؤه ويؤمله أولياؤه.

الممدوح بكونه مظلوما لمن هو دونه

وقع الرشيد في قصة رجل: الشريف من يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فانظر أي الرجلين أنت. قال محمود الوراق:

ما زال يظلمني وأرحمه ... حتى رثيت له من الظلم «٣»

وقال ابن الزهير: تحمل بعض الظلم أبقى للأهل والمال. قال الشاعر:." (١)

"وقال المتنبي:

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني ... ولا أعاتبه صفحا وإهوانا

وقيل لأعرابي: كيف فلان فيكم؟ فقال: إذا حضر هبناه وإن غاب اغتبناه «١» . قال:

ذاك هو السيد فيكم.

من نظره ينبيء عن عداوته

وقال زهير:

الود لا يخفى وإن أخفيته ... والبغض تبديه لك العينان «٢»

وقال آخر:

ستور الضمائر مهتوكة ... إذا ما تلاحظت الأعين «٣»

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢٧٢/١

وذكر أعرابي قوما فقال: ما زالت عيون العداوة تتجهم فتمجها أفواههم وأسباب المودة تخلق من قلوبهم فتخرس عنها ألسنتهم حتى ما لعداوتهم مزيد.

العداوة المستورة والتحذير منها

قال الشاعر:

وفينا وإن قيل اصطلحنا تضاغن ... كماطر أوبار الجراب على النشر «٤»

وقال آخر:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقال أبو نواس:

كمن الشنآن فيه لنا ... ككمون النار في حجره

وقال المتنبي:

وإن الجرح ينفر بعد حين ... إذا كان البناء على فساد

وقيل هدنة على دخل وجماعة على أقذاء. قال شاعر:

ومستخبر عنا يريد لنا الردى ... ومستخبرات والعيون سواجم «٥»." (١)

"أمت بمثله إليك ولست أزعم أنهما سواء، ولكن لا يحل الاعتداء.

حق الوالدين على الولد والحث على مراعاته

قال الله تعالى: ووصينا الإنسان بوالديه حسنا

«١» وقال تعالى: فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة

«٢» ولو علم الله أدنى من أف لنهى عنه.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الوالد باب من أبواب الجنة فاحفظ ذلك الباب.

وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم إني أريد الغزو فقال عليه الصلاة والسلام: أحي أبواك قال نعم قال ففيهما فجاهد وقال عليه الصلاة والسلام: لآخر: هل لك من أم. قال نعم قال الزمها وإن مفتاح الجنة تحت رجليها. وقال الحسن حق الوالد أعظم وبر الوالدة ألزم.

حقيقة برهما

سئل الحسن رضي الله عنه عن بر الوالدين فقال: أن تبذل لهما ما ملكت وتطيعهما في ما أمراك ما لم يكن معصية، والدلالة على ذلك قوله تعالى: وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا «٣» .

وصف برة

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣٠٨/١

قيل لعلي بن الحسين رضي الله عنهما: إنك من أبر الناس بوالدتك ولسنا نراك تأكل معها قال إني أخاف أن أسبقها إلى شيء سبقت عينها إليه فأعقها بذلك، وقيل لعمرو بن ذر لما مات ابنه: كيف بره بك قال ما ماشيته قط بالنهار إلا مشى خلفي ولا بالليل إلا مشى أمامي ولا رقي سطحا أنا تحته. وقيل كان أعرابي يحمل أمه على ظهره ويطوف بها وينشد:

أحمل أمي وهي الحماله ... ترضعني الدرة والعلاله

ولا يجازي أحد فعاله

وقيل: في المثل أبر من الهرة.

وصف عققة

قيل الولد: العاق إن مات نغصك وإن عاش نقصك. وقال بعضهم لابن له عاق أنت كالإصبع الزائدة إن تركت شانت وإن قطعت آذت، وقيل: أعظم الأسف سوء الخلف العقوق ثكل من لا يثكل.

قيل لأعرابي كيف ابنك؟ قال هو عذاب رعف به الدهر وبلاء لا يقاومه الصبر وفائدة لا يجب بها الشكر.." (١)

"ويروى عداوة ذي القربى.

قال الهيثم النخعي:

بني عمنا إن العداوة شرها ... ضغائن تبقى في نفوس الأقارب

وقال ببغاء:

للظلم بين الأقربين مضاضة ... والدل ما بين الأباعد أروح «١»

فإذا أتتك من الرجال قوارض ... فسهام ذي القربى القريبة أجرح

من يتحامل على ذويه إذا رآهم في محنة

قال عامر بن لقيط:

لعمرك إني لو أخاصم حية ... إلى قعفس ما أنصفتني قعفس

فما لهم طلسا إلي كأنهم ... ذئاب الفضا والذئب بالليل أطلس «٢»

وقال عدي النبهاني:

أعان على الدهر إذ حل بركه ... كفى الدهر لو وكلته بي كافيا «٣»

وقال آخر:

وكنت كذئب السوء لما رأى دما ... يصاحبه يوما أحال على الدم

الحمية للأقارب وإن كانوا أعداء

في المثل: آكل لحمي ولا أدعه لآكل. وقيل: الحفائظ تذهب الأحقاد لا يعدم الجوار من أمه حية.

قال شاعر:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣٩٩/١

لكل امرىء حالان بؤس ونعمة ... وأعطفهم في النائبات أقاربه

وقال حريث بن جابر:

إذا ظلم المولى فزعت لظلمه ... فحرك أحشائي وهرت كلابيا «٤»

وقيل لأعرابي: ما تقول في ابن العم، فقال: عدوك وعدو عدوك. ولما مات عبادة بن الصامت، رضي الله عنه بكى عليه أخوه أوس بن الصامت فقيل له: أتبكي عليه وقد كان يريد قتلك فقال حركني للبكاء عليه ارتكاضنا في بطن وارتضاعنا من ثدي.." (١)

"وصف أخوين وضيع ورفيع

قال الأصمعي: لم يقل أحد في تفضيل أخ على أخ وهما لأب وأم مثل قول ابن المعتز لأخيه صخر:

أبوك أبي وأنت أخي ولكن ... تفاضلت المناكب والرؤوس «١»

وقال ابن أبي عيينة:

داود محمود وأنت مذمم ... عجبا لذاك وأنتما من عود

فلرب عود قد يشق لمسجد ... نصف وسائره لحش يهود «٢»

وقال الموسوي:

تفرد بالعلياء عن أهل بيته ... وكل يهديه إلى المجد والد

وتختلف الأثمار في شجراتها ... إذا شرقت بالماء والماء واحد

وقال السيد الحميري:

فإن قلتم أبونا عبد شمس ... فإن الزنج من أولاد نوح

هما عرقان من أصل جميعا ... ولكن ليس نبع مثل شيح «٣»

وقال أبو العواذل:

علي وعبد الله ينميهما أب ... وشتان ما بين الطبائع والفعل

ألم تر عبد الله يلحى على الندى ... عليا ويلحاه علي على البخل «٤»

وقال رجل لأخيه لأهجونك، فقال: كيف تهجوني وأنا أخوك لأبيك وأمك. فقال:

غلام أتاه اللؤم من شطر نفسه ... ولم يأته من شطر أم ولا أب

عذر من صارم أخاه وباعده وجفاه

كتب الفضل بن سهل إلى المأمون أما بعد فإن المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة فقد فرق كتاب الله بينهما، فيما اقتص علينا من نبأ نوح، قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح. فلا صلة لأحد في معصية

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٤٣٧

الله ولا قطيعة ما كانت القطيعة في ذات الله والسلام **وقيل لأعرابي** لم تقطع أخاك شقيقك، فقال: أنا أقطع الفاسد من جسدي الذي هو أقرب إلي منه فكيف لا أقطعه إذا فسد.." (١)

"التحذير ممن يمدحك في وجهك تصنعا

قيل: أعوذ بالله من صديق يطري وجليس يغري. وكان رجل يكثر الثناء على أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه، وعلم من قلبه خلاف قوله، فقال له: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك. قال الجاحظ: شر الشكر ثناء المواجه لك المسرف في مدحك وخيره ثناء الغائب عنك المقتصد في وصفك.

وصف العتابي رجلا بالمداهنة، فقال: ذلك إن وجد مادحا مدح وإن وجد قادحا قدح وإن استودع سرا افتضح.

قال أبو فراس:

ولا تقبلن القول من كل قائل ... سأرضيك مرأى لست أرضيك مسمعا

التحذير ممن يتجاوز الحد في مدحك

قيل: كن ممن أفرط في تزكيتك أحذر ممن أفرط في الزراية بك. وقيل: من مدح الرجل بما ليس فيه فقد بالغ في ذمه. وفي المثل: من حفنا أو رفنا فليقتصد. وقيل: من أحب أن يمدح بما ليس فيه استهدف للسخرية.

من وضع نفسه وكره الثناء

لما ولي أبو بكر رضي الله عنه خطب فقال: إني وليتكم ولست بخيركم فلما بلغ الحسن قوله قال: بلى ولكن المؤمن يهضم نفسه. وقال الفضيل: لو شممتم رائحة الذنوب مني ما قربتموني، وأثنى على زاهد فقال: لو عرفت مني ما عرفت من نفسي لأبغضتني.

قال المتنبي:

يحدث عن فضله مكرها ... كأن له منه قلبا حسودا «١»

ما يقول الفاضل عند مدح الناس له

كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يقول إذا مدح: اللهم أنت أعلم مني بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون. **وقيل لأعرابي**: ما أحسن الثناء عليك، فقال: بلاء الله عندي أحسن من وصف المادحين وإن أحسنوا وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الذامين وإن أكثروا.

النهي عن المدح قبل الاختبار

قيل: لا تهرف قبل أن تعرف. وقيل: لا تحمدن أمة عام شرائها ولا حرة قبل بنائها.

وقال رجل لعمر رضي الله عنه: إن فلانا رجل صدق فقال: هل سافرت معه أو ائتمنته، قال." (٢)

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٤٤١

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٤٥٣

"عليك. وقيل للحسن: إن الحجاج كان يذكرك بسوء، قال: علم ما في نفسي له فنطق وعلمت ما في نفسي له فسكت، وكل امرىء بما كسب رهين.

من سمحت نفسه بأن يجعل في حل

كان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا خرج يقول: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك. وقال كثير:

هنيئا مريئا غير داء مخامر ... لعزة من أعراضنا ما استحلت «١»

وقيل لرجل: فلان شتمك واغتابك، فقال: هو في حل. فقيل: اتحل من يغتابك وبه يقل ميزانك، فقال: لا أحب أن أثقل ميزاني بأوزار إخواني.

من قلت مبالاته بمن اغتابه

قيل لفيلسوف: فلان يشتمك بالغيب، فقال: لو ضربني بالسياط في الغيب لم أبال به، قال:

وإن الذي يؤذيك منه استماعه ... وإن الذي قالوا وراءك لم يقل

قال المتوكل لأبي العيناء: ما بقي أحد إلا اغتابك، فقال:

إذا رضيت عني كرام عشيرتي ... فلا زال غضبانا علي لئامها

وقيل للأحنف: فلان اغتابك، فقال:

رب من يعيبه امرؤ ... وهو لم يخطر ببالي

قلبه ملآن من غيظي ... وقلبي منه خال

وقيل لأعرابية: فلانة تقع فيك، فقالت: دعوها فشكاتها وسكاتها عندي سواء. وقيل لرجل: فلان يغتابك، فقال دعني يرفضني الله بذلك، فمن أكثرت فيه الوقيعة رفعه الله فإن بني أمية لعنوا عليا على المنابر فما زاده الله إلا رفعة.

وحكي عن ببغا الشاعر البغدادي أنه قيل له: إن فلانا يغتابك، فقال: لا ضير أنه أراد أن يمتحن ودي. وقيل: لآخر ذلك، فقال:

ولم يمح من نور النبي أبو جهل

ذم ناقص يغتاب فاضلا

قيل: كفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا، وهو يقع في الصحالين.

قال شاعر:

عثيثة تقرض جلدا أملسا." (١)

"لقد أمسى صلاح أبي علي ... لأهل الأرض كلهم صلاحا «١»

قيل لأعرابي برأ من علته: الحمد لله الذي سلمك، فقال: أو يسلم من الموت في عقبه. كتب عبد الله بن المعتز: أذن الله

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٤٧١/١

بشفائك وتلقى داءك بدوائك ومسحك بيد العافية ووجه إليك وافد السلامة وجعل علتك ماحية لذنوبك مضاعفة لثوابك.

وقال ابن المعتز:

يا رب أمسك رمق الدنيا به ... واغسله بالصحة من أوصابه «٢»

وقال أبو تمام:

سقم أتيح له برء فزعزعه ... والرمح ينآد طورا ثم يعتدل «٣»

قد حال لون فرد الله نضرته ... والنجم يخمد حينا ثم يشتعل

وقال المتنبي:

صحت بصحتك الغارات وابتهجت ... بها المكارم وأنهلت بها الديم «٤»

وراجع الشمس نور كان فارقها ... كأنما فقده في جسمها سقم «٥»

تفدية المريض

قال شاعر:

فديناك لو نعطى المنى فيك والهوى ... لكان بنا الشكوى وكان لك الأجر

وقال البحتري:

بأنفسنا لا بالطوارف والتلد ... نقيك الذي تخفى من السقم أو تبدي «٦»

بنا معشر العافين ما بك من أذى ... فإن أشفقوا مما أقول فبي وحدي «٧»

وقال آخر:

يا ليت علته بي غير أن له ... أجر العليل وإني غير مأجور

وقال ديك الجن:

يا ليت حماه بي كانت مضاعفة ... يوما بشهر وأن الله عافاه

فيصبح السقم منقولا إلى جسدي ... ويجعل الله منه البرء عقباه." (١)

"الأعداء وطول البقاء مع القدرة والنماء. وقيل ذلك للفضل بن سهل، فقال: توقيع نافذ وأمر جائز. وقيل لحكيم: تمن، فقال: محادثة الأخوان وكفافا من عيش والانتقال من ظل إلى ظل. وقيل ذلك لمطرف فقال: مركب وطي ومطعم شهي وملبس دفي. وقيل لآخر، فقال: شواء مستنشل وغناء مسترسل ونكاح مستعجل.

وقال بعضهم: العيش كله في صحة البدن وكثرة المال وخمول الذكر. وقيل لحكيم، قال: هوى وافق حقا. وقيل لرجل، فقال: أن تعطي جوارحك لذاتها. **وقيل لأعرابي**، فقال: خباء في أرض خلاء وكلب إذا أصابه المطر زاحمني فيه. وقيل لابن سنان فقال: ليل طويل الطرفين أقرن بينهما بذكر الله تعالى. وقيل لمأبون: فقال: لذة الأبنة وحك الجرب فمن حرمهما فقد حرم لذات الدنيا. نعوذ بالله من بعض الأماني.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٥١٨/١

أماني البله

قال شاعر:

إذا تمنى مائق أمنية ... تحسبها كائنة مقضية

قال الأصمعي: قال شيخ من بني العجيف إني تمنيت أن أبني دارا فمكثت أربعة أشهر للدرجة أين أضعها. ومر الحجاج ليلة بدكان لبان وعنده بستوقة فيها لبن. وهو يتمنى ويقول: أنا أبيع هذا اللبن بكذا درهما وأشتري به كذا، ثم أبيعه ثم يكثر مالي ويحسن حالي، وأخطب إلى الحجاج ابنته فأتزوج بها فتلد لي إبنا فأدخل عليها يوما فتخاصمني، فأضربها برجلي هكذا، ومد رجله فكسر البستوقة، فقرع الحجاج بابه واستفتحه فضربه خمسين، وقال: أليس لو ضربت بنتي بوكزة هكذا لفجعتني بها.

نوع من الأماني

قال الوليد بن عبد الملك لبديح المغني: خذ بنا في الأماني فلأغلبنك، فقال: والله لا تغلبني فيها أبدا إني أتمنى كفلين من العذاب وإن يلعنني الله لعنا يشن علي من خلفي ومن قدامي أتتمنى مثله؟ فقال: غلبتني لعنك الله. وقيل لرجل: أيسرك أن يكون لك ألف درهم؟ فقال: نعم وأضرب مائة، فقال: وضرب المائة لمه، فقال: لأنه لا يكون شيء إلا بشيء.

وقيل: كان رجل يطلبه الحجاج فمر بساباط فيه كلب، فقال: ليتني كنت هذا الكلب فأستريح من الغم والخوف، فما لبث أن جيء بذلك الكلب وفي عنقه حبل، وقيل: ورد كتاب الحجاج يأمر فيه بقتل الكلاب. وقعد ابن أبي عتيق فقال: ليت لنا لحما فنطبخ سكباجا «١» فما لبث أن جاء جار له بصحفة، فقال أعطونا قليل مرق، فقال إن جيراننا يشمون رائحة الأماني.." (١)

"الحد الثامن في الصناعات والمكاسب والتقلب والغنى والفقر

(١) فمما جاء في الحرفة

مدح الحرفة وفضلها

قال النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس: ما المروءة فيكم؟ قالوا: العفة والحرفة. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: خير الكسب كسب اليد لمن نصح. وكان عمر رضي الله عنه إذا نظر إلى رجل سأله أله حرفة فإذا قال: لا، سقط من عينه.

ونظر عمر رضي الله عنه إلى أبي رافع وهو يقرأ ويصوغ، فقال: يا أبا رافع أنت خير من تؤدي حق الله تعالى وحق مواليك.

وقيل لأعرابي ينسج: ألا تستحي أن تكون نساجا، قال: إنما أستحي أن أكون أخرق لا أنفع أهلي، وحرفة يقال فيها خير من مسألة الناس.

وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله يحب التاجر الصدوق والصانع الناصح لأنه حكيم.

وقال أبو العتاهية:

ولا تدع مكسبا حلالا ... تكون منه على بيان

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٥٣٦/١

ذم السرقة

قيل: لا ترج الخير ممن يكون رزقه من ألسنة الموازين ورؤوس المكاييل يؤتى يوم القيامة بسوقي فيوزن عمله فتميل به الميزان، فيقول حولوا إلى الكفة الأخرى ففي الميزان عيب.

أصناف الصناع وتفضيل بعضها على بعض

قيل: الناس أربعة: ذو صناعة وزراعة وتجارة وإمارة، وما سوى ذلك فإنهم يغلون الأسعار ويكدرون المياه. وقال المأمون: السوقيون سفل والصناع أنذال والتجار بخلاء والكتاب ملوك على الناس.

كتب الوليد إلى صاحب الساحل: اجعل الحائك والإسكاف في مرتبة والحجام والبيطار في مرتبة، والبزاز والصيرفي في مرتبة، والمعلم والخصي في مرتبة والنخاس والشيطان في مرتبة.." (١)

"فقال: هذه نسبتنا، فقلت:

جليل فضل كريم ... من أهل بيت كرام

فقال أحسنت، فقلت: أتسمع بيتا أم تنجز الوعد؟ فقال: غدا، فقلت: فاسمع.

لكنه مستهام بأخذ أير الغلام

فقال: آه آه ويلك يا غلام أعطه وأرحنا منه. قال بعضهم:

العبد لا يطلب العلاء ولا ... يعطيك شيئا إلا إذا رهبا

مثل الحمار الموقع الظهر لا ... يحسن مشيا إلا إذا ضربا

وقال آخر:

رأيتك مثل الجوز يمنع خيره ... صحيحا ويعطي نفعه حين يكسر

وقال شاعر:

صاحب لي ليس فيه ... خصلة أشكرها له

سمجا شخصا ومخبو ... را وتفصيلا وجمله

ومريدا من جفاه ... ومهينا من أدله

فهو كالدينا ... ر لا يكرم إلا من أذله

بخيل أعطى عطية لطمع

قيل لأعرابي: أعطاك فلان، فقال: نعم أعطاني طلب الثواب وصانع المعروف لعاجل الجزاء، كملقي الحب للطير ليصيده به لا لينفعه. ومن هنا أخذ المتنبي تعريضا بكافور.

ومن قد ظن نثر الحب جودا ... وينصب تحت ما نثر الشباكا

المصطنع إلى الأراذل دون الأفاضل

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٥٣٩/١

قال ابن الرومي:

تنبه للأنذال يرفع أمرهم ... وأصبح عن أهل المروءة ساهيا

وقال آخر:

صنائعه لدى الأنذا ... ل تنبي أنه سفله

وقال آخر:

وابن اللئيمة للئام وهوب

بخيل متشبه بالأسخياء

كان لبعض الموسرين أخ لا يواسيه، فقيل له: لو واسيت أخاك كان أشبه بك من هذا البخل الذي استشعرته، فقال: والله ما أنا ببخيل. لو ملكت ألف ألف لوهبت له الساعة خمسمائة درهم، ثم التفت إلى القوم، فقال: يا قوم رجل يهب لأخيه في مجلس واحد." (١)

"المحسن للبخل المحتج له

قيل لخالد بن صفوان: مالك لا تنفق ومالك عريض؟ قال: الدهر أعرض منه. قيل له: كأنك تؤمل أن تعيش أبدا؟ قال: لا، ولا أخاف أن أموت في أوله.

قال الجاحظ: قلت لبعض الأغنياء البخلاء أرضيت أن يقال لك إنك بخيل؟ قال: لا أعدمني الله هذا الاسم، لأنه لا يقال بخيل إلا لذي مال، أعطني المال وادعني بما شئت من الأسماء.

من وهب ماله في عمله فهو أحمق ومن وهبه في عزله فهو مجنون. وقيل لأبي الأسود: أنت ظرف علم ووعاء حلم غير أنك بخيل، فقال: وما خير ظرف لا يمسك ما فيه. وقيل: من لم يمنع لم يكن له ما يعطي. قال: وللبخل خير من سؤال بخيل.

وقيل: الشحيح أعذر من الظالم. وقال المنصور: الناس يزعمون أني بخيل وما أنا ببخيل، ولكني رأيت الناس عبيد المال فحظرت ذلك عليهم ليكونوا عبيدي.

وعمل سهل بن هارون كتابا في مدح البخل وأهداه إلى الحسن بن سهل، وطلب منه ثوابا، فوقع على ظهره: قد جعلنا ثوابك ما حسنته وأمرت به.

قال الموسوي في عذر فاضل بخيل:

لا غرو إن كنت حرا لا تفيض ندى ... فالبحر غمر ولكن ليس بالجاري

ذم ممتن بالإعطاء

قيل: المنة تهدم الصنيعة. **وقيل لأعرابي**: فلان يزعم أنه كساك، فقال: المعروف إذا من به كدر، ومن ضاق قلبه اتسع لسانه.

وقيل لآخر في المعروف إذا أحصى، قال:

إن الذين يسوغ في أعناقهم ... طعم يمن عليهم للئام

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٦٩٣

وقال آخر:

أفسدت بالمن ما قدمت من حسن ... ليس الجواد إذا أسدى بمنان

وقيل لرجل: هل لك في ندى فلان؟ فقال: لا خير في ثمرة مقترنة بزنبور.

ومن ذا الذي يلتذ شهدا بعلقم ... أبت لهواتي ذاك والشفتان «١»

وقيل: شوى أخوك حتى إذا أنضج رمد، وقول الله تعالى: ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله

«٢» ، قال فتقديره يقولون إنما نطعمكم، قال مجاهد لم يكن ذلك منهم مقالا وإنما أخبر عما كان لهم اعتقادا.." (١)

"الحد العاشر في الأطعمة

(١) فمما جاء في أوصاف الأطعمة

الخبز

قيل: الخبز يسمى جابرا وعاصم بن حبة، كما قيل: التمر بنت نخيلة. وقال أعرابي عير بعمل تعاطاه.

فلا تلوماني ولوما جابرا ... فجابر كلفني الهواجر «١»

وقيل لأعرابي: الخبز أحب إليك أم التمر؟ فقال: التمر طيب، وما عن الخبز صبر.

وقيل لبعضهم: ما طعم الخبز؟ قال: طعم أدامه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أكرموا الخبز، فإن الله تعالى سخر له ما في السموات والأرض.

السويق

عاب عائب السويق عند الطفاوية، وكانت امرأة أدركت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: لا تفعل فإن السويق طعام المسافر والعجلان والحزين والسمنة والنفساء والمريض. وقيل: هو يرفو الضعيف ويشد فؤاد السقيم وفقاره ويجلو البلغم ومسمونه يصفي الدم، إن شئت كان ثريدا وإن شئت كان خبيصا.

حمد اللحم وذمه

قيل: أطيب اللحم عوده أي ما عاد منه بالعظم، وقيل: اللحم أقل الطعام نجوا «٢» .

وقيل: من لم يأكل اللحم أربعين يوما نقص عقله. وقيل: من تركه أربعين يوما ساء خلقه.

وقال بعض الأطباء: عجبا لمن أكله الخبز واللحم وشربه ماء الكرم «٣» ، ثم اقتصد في تناولها كيف يموت. واستقبل عمر رجلا ثلاثة أيام على الولاء وقد اشترى لحما فعلاه بالدرة، وقال: إن الله تعالى يبغض قوما لحميين، عاقب بين اللحم وغيره.

وقيل: إياكم." (٢)

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٠١/١

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٠٤/١

"وهذه المجازر فإن لها ضراوة كضراوة الخمر. وقال المسيح: ألحم «١» تأكل لحما، أف لهذا عملا.

وسئل بعض الرهبان عن تركه أكل اللحم، فقال: إنا رأينا الغوائل تتولد من أكل اللحم، ألا ترى أن أكلة اللحم من السباع هي أشد ضررا من أكلة الحشيش.

السكباج والزيرباج

يقال للسكباج: الخلية والمخللة والشمقمقة والصفصاف لغة ثقيف، وسموه أم القرى. ولم يكن يطلق السكباج «٢» أن يطبخ في أيام الفرس إلا بخاتم من الملك وسئل بعضهم عنه، فقال: إنه يشفي العرم ويفتق الشهوة ويقدم في الثرائد وتزين به الموائد، تجيدها الخاصة ولا تغلط فيها العامة.

قال الحجاج لطباخه: اتخذ لنا صفصفاة «٣» وأكثر فيجنها «٤» ، فلم يدر الطباخ ما عناه، فسأل ابن القرية، فقال: اتخذ سكباجة وأكثر سدابها.

وقال المنصور يوما لحظية له: إلى كم نأكل السكباج، يعرض بها، فقالت: يا أمير المؤمنين هو مخ الأطعمة لا يمل حارها ولا يكره باردها، فاستحيا منها.

قال عبد الملك بن محمد بن إسماعيل:

وسكباجة تشفي السقام بطيبها ... على أنها جاءت بلون سقيم

إذا زارها أيدي الرجال تزاحمت ... كأيدي نساء في ظلال نعيم

وقال بعضهم:

فتنتنا بريحها السكباجة ... فتركنا من أجلها ألف حاجة

وأكل أعرابي القريش، فقيل له: ما أكلت قال: الفالوذج «٥» إلا أنكم هضمتموه بعد.

وقال بعضهم:

قدم طاهيك زير باجه ... وهي على الدهر خير باجه

صبيغة الزعفران تحوي ... أطايب الفرخ والدجاجه

وقدم إلى طفيلي سكباجة بلا زعفران، فقال: ما لها خرجت متفضلة بلا لباس.

الثريد

قيل لأعرابي: أي الطعام أطيب؟ فقال: ثريدة دكناء من الفلفل رقطاء من الحمص." (١)

"فأوحى الله تعالى إليه أن أطبخ اللحم بالبر وكل، فإني قد جعلت القوة فيهما قال ابن الرومي:

هلم إلى من عذبت طول ليلها ... بأضيق حبس في تنور تعذب

وقال آخر:

وقد ضربت حدين وهي بريئة ... فقوموا إلى دفن الشهيدة تؤجروا

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٠٥/١

وقيل: الهريسة أوطأ فراش هيء لنبيذ. وللخوارزمي:

هل تنشطون لتنورية خنقت ... من أول الليل حتى قلبها يجف

كأنها وهي فوق الجام قد غرقت ... في دفنها، قمر بالشمس ملتحف

أو درهم فوقه الدينار منطبق ... أو لوح عاج على الزرياب مكتنف «١»

وقال أبو طاهر المأموني:

در نثير أسلاكه قطع ... في ماء ورد وصندل نقعا «٢»

الرؤوس

كان الثوري يعجب بالرؤوس ويسميها مرة عرسا لما تجمع من الألوان المختلفة الطيبة، ومرة الجامع، ومرة الكامل ويقول: هو شيء واحد ذو ألوان عجيبة وأطعمة مختلفة. **وقيل لأعرابي**: تحسن أكل الرؤوس؟ فقال: نعم، أبخص عينيه وأقلع أذنيه وأفك لحييه وأشج شدقيه وأرمي بالعظم إلى من هو أحوج إليه مني.

ودعا بعضهم آخر إلى دعوته، وقال: عندي رغف خوارة ورؤوس فوارة. ودعي رجل إلى أكل الرؤوس، فلما قام قال: أطعمكم الله من رؤوس أهل الجنة. وقال ابن الرومي:

هام وأرغفة وضاء ضخمة ... قد أخرجا من فاحم فوار

كوجوه أهل الجنة ابتسمت لنا ... مقرونة بوجوه أهل النار

الدماغ والمخ

قيل: أضر الأطعمة للبدن الدماغ، فإنه يعلق بالمعدة ويتغرى ما بين غضونها، فلا يدخلها غداء ولا دواء إلا زلق عنها. والعرب تكره أكل المخ وتتعير به، وذلك قول الشاعر:

ولا ننتقي المخ الذي في الجماجم

قال الأصمعي: كان أعرابي في يده عظم وعنده ثلاثة بنين، فقال للأكبر: إن أعطيتك هذا العظم ما تصنع به؟ قال: أتعرقه حتى لا أدع لذر فيه مقيلا، قال الأوسط: أتعرقه حتى لا يدري أهو لعامنا أم لعام أول، فقال الأصغر: أتعرقه ثم أتمششه ثم أدقه فأستفه، فقال:." (١)

"غاب فبالثاني.

وكتب كسرى إلى واليه: ابعث إلي بشر إنسان على شر دابة مع شر طعام، فبعث إليه بخوزي على خنزير معه جبن. قال شاعر:

إنما الجبن آفة الجسم سقما ... وعلى القلب كربة الأوهام «١»

بدلوها بلقمتي سكباج ... أو شواء مفصل من عظام

السمك

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٠٩/١

قال أعرابي: كل من السمك القذال ودع منه المبال وقال آخر: كل ما تفلس ودع ما تملس، وقدم إلى جعفر بن يحيي سمك، فقال: هذا إن لم يكفن بخبيص ويقبر بنبيذ فالحذر منه. وقال طبيب الهند: اجتنبوا ما يخرج من الضرع والبحر. قال أبو طالب المأموني:

ماوية فضية لحمها ... ألذ ما يأكله الآكل

يضمها من جلدها جوشن ... مدبل فهو لها شامل «٢»

تعيشها اللجة ما خيمت ... بها كما يتلفها الساحل

لو نلت من فضتها عسجدا ... بقليها ما ضافني نازل «٣»

الباذنجان

في الخبر: كلوا القرع واجتنبوا الباذنجان. قيل لأعرابي: ما تقول في الباذنجان، قال: لونه لون بطون العقارب وأذنابه كأذناب المحاجم وطعمه طعم الزقوم، فقيل: إنه يحشى باللحم ويقلى بالزيت فيكون طيبا، فقال: لو حشي بالتقوى وقلي بالمغفرة وطبخته الحور العين وحملته الملائكة ما كان إلا بغيضي.

وقيل لآخر: ما تقول في باذنجان عملته بوران، فقال إن شققته مريم وطبخته سارة وقدمته فاطمة لا رغبة لي فيه. وحكي أن الشبلي رئي يوما على الجسر، وكان يوما مطيرا، فقيل له: إلى أين؟ فقال: بلغني أن فلانا يعيب الباذنجان فأريد أن أمر عليه فأخاصمه. وقال الوأواء الدمشقي:

أتانا بمقلي بورانه ... وشيرازه من لبان الغنم «٤»

وقد شنج القلي منه الجلود ... كتشنيج أوجه سود الخدم

وقال آخر:

كرة من المسك الذكي تضمنت ... من تحت مسك لؤلؤا مقشورا." (١)

"يحكي وديكة تبر بل لهيب لظى ... شبت ضحى وشعاع الشمس منتشر «١»

وقال ابن طباطبا:

سفر جلة حذفوا راءها ... تجم الفؤاد لقول النبي

وقد ذكر ما يضارع ذلك مع ذكر الأشجار والنبات في حده.

جهل العرب بطيبات الأطعمة

كانت العرب لا تعرف طيبات الأطعمة، إنما كان طعامهم اللحم يطبخ بماء وملح، حتى أدرك معاوية رضي الله عنه الإمارة، فاتخذ ألوان الأطعمة. قال أبو بردة: كانوا يقولون من أكل الخبز الحواري سمن، فلما فتحنا خيبر أجهضناهم عن خبزهم فقعدت عليه آكل وأنظر في أعطافي هل سمنت.

وقال خالد بن عمير العطوي: شهدت فتح الأيلة فوجدنا سفينة مملوءة جوز، فقال رجل: ما هذه الحجارة؟ ثم كسروا

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧١٢/١

واحدة، فقالوا: طعام طيب.

وقال بعضهم: أصابوا أجربة من الكافور فقالوا هاء الملح فذاقوه، وقالوا: لا ملوحة لهذا الملح، ففطن ناس من أهل الخبرة فجعلوا يعطونهم جرابا من الملح ويأخذون جرابا من الكافور.

وقدم إلى أعرابي خبز عليه لحم فأكل اللحم وترك الخبز، وقال: خذوا الطبق. وقدم فالوذج إلى أعرابي فقيل له ما هذا؟ قال: الرمان المعلق.

قاذورات أطعمة العرب

كانت بنو أسد يأكلون الكلاب، ولذلك قال الفرزدق:

إذا أسدي جاع يوما ببلدة ... وكان سمينا كلبه فهو آكله

ويأكلون الهبيد، وهو الحنظل المالح، وقال بعضهم: نزلت برجل فأضافني فأتى بحية فشواها فأطعمنيها، ثم أتى بماء منتن فسقانيه، فلما أردت الإرتحال قال: ألا أقمت، طعام طيب وماء نمير.

وكانوا يأكلون في الجدب العلهز وهو الحلم الكبار يدق مع الوبر.

وكان أحدهم يتناول الشعر المحلوق فيجعله في حفنة من الدقيق ثم يأكله مع ما فيه من القمل. ولذلك قال شاعرهم:

بني أسد جاءت بكم قملية ... بها باطن من داء سوء وظاهر

ومن طعامهم الفظ وهو ماء الكرش. **وقيل لأعرابي** ما تأكلون؟ فقال: نأكل ما دب ودرج إلا أم حبين، فقال: لتهن أم حبين العافية.." (١)

"وقال تعالى: والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم

«١» .

وقال صلى الله عليه وسلم: ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان ولا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس.

وفي كتاب كليلة ودمنة: ليعد من البهائم من همته بطنه وفرجه. وكانت العرب تسمي الشبع أبا الكفر. وقيل: إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة. البطنة تذهب الفطنة.

قيل: لا تسكن الحكمة بطنا مليء طعاما. من الكرم تنزيه القرم. وقيل: الشبع داعية البشم والبشم داعية السقم والسقم داعية الموت، ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة.

قال الحسن: مسكين ابن آدم صريع الشبع أسير الجوع.

قال شاعر:

وإن امتلاء البطن في جسد الفتى ... قليل غناء، وهو في الجسم صالح

وقال طرفة في عمرو بن هند:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٢٢/١

ويشرب حتى يغمر المحض قلبه ... وإن أعطه أترك لقلبي مجثما «٢»

وباع مالك بن دينار جارية فزارته يوما، فقال: كيف ترين مواليك؟ فقالت: ما أكثر خير بيوتهم، فقال: أخبرتني عن عمران حشوشهم.

وقال يحيى بن معاذ: من أكل حتى شبع عوقب بثلاث، يلقي الغطاء على قلبه والنعاس على عينيه والكسل على جسمه.

وقال بشر الحافي:- من ضبط بطنه فقد ضبط الأعمال الصالحة كلها. وقال بشر بن الحارث: لا تعود نفسك الشبع من الحلال فتدعوك إلى الحرام. وسأله رجل عن غسل الجمعة، فقال: أغسل بطنك يكفيك عن غسل بدنك.

واشتهى أبو مسلم الهريسة، فقال لطباخه: اشتهيت هريسة فاتخذها أجود ما يكون، فلما قدمت إليه أمر بأن ترفع ولم يأكل، ثم قال له من بعد اتخذ هريسة فاتخذها وقدمها إليه فلم يأكل، وتقدم إليه ثالثا فعملها وقدمها فلم يأكل، فقال الطباخ: أيها الأمير لقد أجدت حتى لا غاية، فما الذي يحجزك عنها؟ قال: رأيت نفسي قد شرهت إلى تناولها فكرهت أن تغلبني شهوتي. وقيل: لا تجعلوا بطونكم خزائن الشيطان يضع فيها ما أحب.

حد الشبع

قيل لأعرابي سأل ما حد الشبع، هو الامتلاء من الطعام حتى لا تشتهيه، فقال: وهل يكون ذلك إلا في الجنة. وقال أعرابي: اللهم إني أسألك ميتة كميتة عرفجة، فقيل كيف مات؟

قال: أكل بزخا وشرب مشعلا والتف في كسائه ومات فلقي الله شبعان ريان دفآن.." (١)

"عصيدة. والعرب تسمي الجوع أبا عمرة. قيل لأعرابي: أتعرف أبا عمرة؟ قال: كيف لا أعرفه وكبدي مخيمة على أمعائه والصفر. وقيل: هو حية في البطن تعض إذا جاعت صاحبها. قال أعرابي: مالي عهد بعضاض ولا مضاغ ولا لماج ولا شماج منذ زمان.

وقيل: نزل به أبو عمرة وهو كناية عن الجوع، وقال:

حل أبو عمرة وسط حجرتي

استطابة الجائع الطعام

قيل لأبي العملس: أي الطعام أطيب؟ فقال: طعام لقي الجوع بطعم وافق الشهوة.

قيل: فما ألذ الأشربة؟ قال: شربة ماء تضيع بها غلتك.

وقال محمد بن جعفر: العين طليعة المعدة. وكان مكتوبا على مائدة أنوشروان: ما طعمته وأنت تشتهيه فقد أكلته، وما طعمته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك. وقيل: أحد شيء ضرس جائعة.

من جسمه ينبيء عن جودة أكله

في المثل: أفواهه هجاسة. قيل: يريك البشر ما أجاد مشفر. وقيل لرجل: ما أسمنك؟ فقال: أكلي الحار وشربي القار والإتكاء على الشمال. وقيل لآخر، فقال: قلة الفكرة وطول الدعة والنوم على الكظة.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٢٨/١

وصف الأكلة

من الأكلة سعد القراقر، الذي قيل فيه: أجوع من كلب حومل. ودرواس الذي يقول: الغداء غذاء والغبوق دواء والقليل حمض والجاشرية خفض. وزهمان الذي قيل فيه في بطن زهمان زاده.

أكل سليمان بن عبد الملك أربعين دجاجة وثمانين كلية بشحومها وثمانين جردقة «١» ، وأحضر الإجاص فأحصى له ثمانمائة نواة. وكان هلال بن مشعر التيمي أكل فصيلا وأكلت امرأته فصيلا، فلما تضاجعا لم يصل إليها، فقالت: تصل إلي وبيننا جملان. وقال سالم بن قتيبة: عددت للحجاج أربعا وثمانين لقمة في كل لقمة رغيف فيه ملء كف من سمك طري. وكان معاوية يأكل حتى يتربع، ثم يقول: إرفع ما شبعت حتى مللت.

قال ابن أبي الأسود:

كأنما في فيه أحجار الرحا ... وكأنما في جوفه تنور." (١)

"ودخل الشعبي على أبي عمرو فتطاولا، ثم قال الشعبي: أعندك تحفة؟ فقال: نعم، أي التحفتين أحب إليك، أتحفة إبراهيم أم تحفة مريم. فقال: تحفة إبراهيم عهدي بها الساعة يعني اللحم. ولكن ائتني بتحفة مريم فأتاه بالرطب. **وقيل لأعرابي**: ما تشتهي؟

فقال: حرف جردق وعرق مرق.

وقال بعض أهل الكوفة: دخل علي جعيفران، فقال له: هل من طعام؟ فقلت: سلق بخردل، فقال: فاشتر بطيخا، فقلت للجارية: قدمي الطعام واذهبي فاشتري بطيخا، فقدمت الطعام وذهبت وتباطأت، فقال جعيفران:

سلقتنا وخردلت ... ثم ولت وهرولت

وأراها بواحد ... وافر الأير قد خلت

فخرجت في طلبها، فإذا بالسائس قد خلا بها في الدهليز كما وصف.

الاحتجاج للتطفل والتبجح به

عوتب طفيلي، فقال: كلكم طفيليون لكنكم تجهلون أنكم تؤدون الأعمال من غير أن تدعوا إليها، وسواء تطفل على طعام أو على تمنية.

وقال طفيلي، وقد عوتب: قد تطفل بنو إسرائيل على الله فقالوا ربنا أنزل علينا مائدة من السماء، وقيل لطفيلي: لا يحل لك أن تأكل من طعام لم تدع إليه، فقال: هذا خلاف قول الله تعالى، حيث قال: ليس على الأعمى حرج

«١» إلى قوله: ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم

«٢» إلى قوله: أو بيوت إخوانكم

«٣» وقد قال الله عز وجل: إنما المؤمنون إخوة

«٤» .

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٣١/١

وقال طفيلي: إن لم أدع ولم أجيء وقعت وحشة، ثم أنشد:

نزوركم لانكفائكم بجفوتكم ... إن المحب إذا لم يستزر زارا

وقال آخر:

لا أرى التطفيل إلا ... في فتى حر كريم

وقال علي البصري:

أحسن الإخوان إن خفت ... من الإخوان جفوه

طرحك الحشمة عنهم ... وتجي من غير دعوه

وقال آخر:

قد أتيناك زائرين خفافا ... وعلمنا بأن عندك فضله." (١)

"أتناول طعامك حتى أرد ما علي، قال: فقلت في ذلك:

أرى الدعوات قد صارت فروضا ... ولا أدعو فيلقاني بغيضا

وقال آخر:

إذا كنت تدعوني لأدعوك مثله ... ففعلك منحول إلى فعل تاجر «١»

الحث على تجديد الإرسال إلى من دعوته والتعريض

إذا ما كان بينك في عشي ... وبين أخ من الإخوان وعد

فجدد بالغداة له رسولا ... فإن حوادث الأيام تغدو «٢»

ومثله:

إذا صاحب لك واعدته ... ليوم اجتماع من الجمعة

فقو عزيمته في الوفا ... بتذكرة لك في رقعة

واجتمع قوم في دار ليلة فأرادوا الصبوح، فقال المغني: دعوا صاحب الدار لي فإني أحمله على أن يحتبسكم، فغنى:

ومعرس طلب الصبوح وإنني ... لفتى يوافقني الصباح وحسنه «٣»

فقال الرجل لجاريته: القوم أرادوا الاصطباح فما الحيلة؟ فقالت الجارية: دعهم لي وأخذت العود، وغنت:

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا ... بها أثر منهم جديد ودارس «٤»

فانصرف القوم.

(٤) ومما جاء في الأجواد بالقرى

قيل لأعرابي: ما القرى؟ فقال: نار يعلو شرفها وخيمة يوطأ كنفها. وقال آخر: نلقى النزيل بالوجه الجميل. وقيل: بذل القرى فوق بذل الندى.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٣٥/١

الحث على الإضافة

قال الله تعالى في مدح قوم: ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا

«٥» وقال." (١)

"الموقد ناره للأضياف

قيل لأعرابي: ممن أنت؟ قال: ممن لا يزجر وفودهم ولا يسر وقودهم. وقيل لآخر مثله، فقال: ممن يهتدي برأيه الصحب ويستدل بناره الركب. وقال آخر: لهم نار وارية الزناد «١» قديمة الولاد تضيء لها البلاد ويحيى بها العباد.

وقال مضرس:

وإني لأدعو الضيف بالضر بعد ما ... كسا الأرض نضاح الجليد وجامده «٢»

وقال آخر:

له نار تشب بكل قاع ... إذا النيران ألبست القناعا

وقال ابن مطرود:

أوقد النار بالفضا حين لم ير ... ض نباح الكلاب للأضياف

وقال كعب الأشعري:

رفعوا الوقود على الجبال ترفعا ... أن يستدل عليهم بنباح

وقال ابن ميادة:

وناراه نار يجذب الضيف ضوؤها ... وأخرى يصيب المجرمين سعيرها

وأما قول الآخر:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ... تجد حطبا جزلا ونارا تأججا «٣»

فلم يتبجح إلا بوجود الحطب والنار في اللفظ، وقد أحسن القائل:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره ... تجد خير نار عندها خير موقد

المتبجح بأن كلابه تسر بمجيء الضيف

قال جرير:

حبيب إلى كلب الكريم مناخه ... يفيض إلى الكوماء والكلب أبصر «٤»

وقال آخر:

وكلبك أبصر المعتفين ... من الأم بابنتها الزاهدة

وقال عبد الأعلى العبدي:

فللكلب لما أن هداه إلى القرى ... نصيب وللنور الدليل نصيب

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٤٤/١

وقال ابن هرمة:

ويدل ضيفي في الظلام على القرى ... إشراف ناري أو نباح كلابي." (١)

"بها يكشتش، أي قتله قوله في هذا البيت.

وكان المتنبي ينادم أبا الفوارس بن فهد فانصرف من عنده ليلة، وقد أثخن سكرا، فلما أصبح أتاه الرسول يدعوه، فقال:

وقد مت أمس بها موتة ... ولا يشتهي الموت من ذاقه

وقال آخر:

كصريع الخمر داوى ما به ... من خمار بعقار فانتشى

من ذمها بأنها ت زيل العقل

حضر نصيب عند عبد الملك بن مروان فدعاه إلى الشراب، فقال: إني لم أصل إليك بنفسي ولا بحسن صورتي، وإنما قربت منك بعقلي، فإن رأى الأمير أن لا يحول بيني وبينه فعل. **وقيل لأعرابي**: لم لا تشرب؟ فقال: لا أشرب من يشرب عقلي.

وروي أن ابن أبي شيبة مر بغلام يلعب بالتراب، فقال: لا تفعل يا أحمق، فقال الغلام: الأحمق من يشتري الحمق بماله فيدخله رأسه ويقيء في جيبه ويسلح في ذيله، ويصبح محمرا ويمسي مصفرا.

وقيل للعباس بن مرداس: لو شربت النبيذ لازددت جراءة، فقال: ما كنت لأصبح سيد قومي وأمسى سفيههم، وأدخل جوفي ما يحول بيني وبين عقلي. **وقيل لأعرابي** لم لا تشرب؟ فقال: لأنه يفني مالي ويغير عقلي.

وعلى هذا الحديث وإن لم يكن من صريح المعنى، قال بشر المريسي: دخلت على بعض أصدقائي، فقلت: مر جاريتك تسقني نبيذا، فقال: أخاف أن تأثر، ثم قال: إسقيه، فلما شربت، قال: تفكرت في أمرك فرأيت النبيذ يزيل العقل ولم أجد لك عقلا أخاف أن يزيله، قال شاعر:

سآلة للفتى ما ليس في يده ... ذهابة بعقول القوم والمال

وقال المحكم بن هشام لابنه، وكان مولعا بالشراب: يا بني، دع الشراب فإنما هو قيء في شدقك وسلح على عقبك أو حد في ظهرك.

من تركها تفاديا من ذم الناس

قال بعضهم: تركت كثيره لله تعالى إجلالا وقليله للناس جمالا. وعوتب بعضهم على تركه، فقال: لو علمت أن الماء ينقص من مروءتي ما ذقته. قال الوليد للحجاج: هل لك في الشراب؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين وليس بحرام ما أحللته، ولكني أمنع أهل عملي منه وأخاف أن أخالف قول العبد الصالح، وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه، فأعفاه.

وسأل المنصور أبا بكر الهذلي عن النبيذ، فقال: تمادت فيه السفهاء حتى كرهته العلماء.." (٢)

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٧٥٤

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٧٧٧

"فنبيل المنظر سخيف المخبر، وأما الخمر فمزاج الروح وصفية النفس.

وقيل لآخر: ما تقول في الماء؟ فقال: هو الحياة ويشركني فيه الحمار، فقيل فاللبن؟

قال: ما رأيته إلا ذكرت أمي واستحييت، قيل فالخمر؟ قال: تلك السارة البارة شراب أهل الجنة.

ودعا الوليد بن يزيد شراعة من الكوفة وهو من فتيانها، فلما قدم عليها، قال: إني والله لم أدعك لأسألك عن قرآن ولا أستفتيك في سنة، فقال: لو سألتني عنهما لأصبتني فيهما ثورا، فلم دعوتني؟ قال: لأسألك عن الفتوة، فقال: أنا دهقانها الخبير وعالمها الطبيب فسل، فقال: ما تقول في نبيذ التمر قال: أشربه حتى تحر. قال فنبيذ الدن. قال: أشربه حتى تجن، قال فالدادي، قال: أحلى من الماذي، قال فنبيذ الزبيب، فستر وجهه وقال: العظمة لله، قال فالخمر، قال: لا أرى شربها، قال ولم، قال: لأني لا أؤدي شكرها.

قال أبو العيناء: النبيذ «١» - الخمر.

قال أبو نواس:

ولا تأخذ عن الإخوان لهوا ... ولا عيشا فعيشهم جديب

دع الألبان يشربها رجال ... رقيق العيش بينهم غريب

بأرض نبتها عشب وطلح ... وأكثر صيدها ضبع وذيب

إذا راب الحليب فبل عليه ... ولا تحرج فما في ذاك حوب «٢»

فأطيب منه صافية شمول ... يطوف بكاسها ساق أديب

يمد لك القنان إذا حساها ... ويفسخ عقد تكته الدبيب «٣»

فذاك العيش لا خيم البوادي ... وذاك العيش لا اللبن الحليب

وقال آخر:

الأشربات سوى ما كان من عنب ... داء وأي لبيب يشرب الداء

وصف الشراب بإزالة الغم

قيل لأعرابي أتحب الخمر؟ فقال: أي والله، فإنها تسرح في بدني بنورها وفي قلبي بسرورها. وقيل: لذة الدنيا في الغناء والطلاء والنساء والبناء، وجماع ذلك العافية والشباب والبقاء، ونحوه لأبي نواس:

إنما العيش سماع ... ومدام وغلام." (١)

"(٢) ومما جاء في الندام والندماء والسقاة

وجوب حق المنادمة وذكر من عظم نديمه

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير مادا رجليه بين يدي جليس له قط، ولا أخذ بيد أحد فانتزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لجليسي علي ثلاث، أرميه بنظري إذا أقبل وأوسع له إذا

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٧٨٤

جلس وأصغي إليه إذا حدث. قال شاعر:

أرى للكاس حقا لا أراه ... لغير الكاس إلا للنديم «١»

وقال الجاحظ رويت هذا البيت دهرا لا أعرف له ثانيا، فسمعت يوما حماميا يوقد أتونه وينشد معه:

هو القطب الذي دارت عليه ... رحى اللذات في الزمن القديم

وقال سعيد بن حميد:

الكاس حرمتها أولى من النسب «٢»

وقال حصابة: إن المنادمة الرضاع الثاني. وكان القعقاع إذا جالسه جليس فعرفه بالقصد إليه، جعل له نصيبا من ماله وأعانه على عدوه وشفع له في حاجته وغدا إليه بعد المجالسة شاكرا له، وفيه يقول:

وكنت جليس قعقاع بن شور ... ولا يشقى بقعقاع جليس

قال يحيى بن أكثم: ما رأيت أكرم من المأمون بت عنده ليلة فعطش فكره أن يصيح بالغلمان، وكنت منتهبا فرأيته قد قام فمشى قليلا إلى البرادة حتى شرب ورجع. ورأيته ليلة وأنا عنده وحدي وقد أخذه سعال يسد فاه بكمه كيلا انتبه.

الإنخراط في سلك الشرب والصحب

جلس المتوكل مع جماعة، وفيهم يحيى بن أكثم، فلما شرب الناس ثلاثة أرطال، أمر يحيى بالإنصراف، فقال له: ولم يا أمير المؤمنين؟ فقال لأنا قد خلطنا، فقال: أحوج ما يكون إلى قاض إذا خلطتم، فاستظرفه المتوكل وأمر أن تغلف لحيته بالغالية، ففعل، فقال: ضاعت الغالية وكان هذا يكفيني دهرا، فأمر بزورق من الغالية ودرج بخور، فجعلا في كمه.

طيب المدام بطيب الندام

قيل لأعرابي كم تشرب من النبيذ؟ فقال: مقدار النديم." (١)

"تسلى بأخرى غيرها فإذا التي ... تسلى بها تغري بليلي ولا تسلي

قال البحتري:

وقالوا تجنبها تفسق فاجتنبتها ... زمانا فما أسلى فؤادي التجنب

وقالوا تقرب يخلق الحب أو تجد ... علالة قلب فاختلاني التقرب

من بغى له بعد ما تسلى علالة من الهوى

قال معاوية:

صرمت سفاهتي وأرحت حلمي ... وفي علمي تحملي اعتراض «١»

على أني أجيب إذا دعتني ... إلى حاجاتها الحدق المراض

قال البحتري:

إني إذا جانبت بعض بطالتي ... وتوهم الواشون أني مقصر

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧٩٣/١

ليشوقني سحر العيون المجتلى ... ويروقني ورد الخدود الأحمر

من قرب سلوه من عشقه

قال محمد بن بشير:

سريع العلوق إذا ما هوى ... سريع النزوع إذا ما علق

فبينا يرى عاشقا إذ سلا ... وبينا يرى قاليا إذ عشق «٢»

رأيت الوصال وهجرانه ... يكونان منه معا في نسق

وقيل لأعرابية كم تعشقين؟ فقالت:

ثلاثين ألفا كل يوم أحبهم ... وما في فؤادي واحد منهم يبقى

امتناع النفس من الرجوع إلى من أبغضته

قال العباس:

رد الجبال الرواسي عن أماكنها ... أخف من رد نفس حين تنصرف

وقال:

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد ... إليه بوجه آخر الدهر تقبل

وقال آخر:

إن قلبي أعز من أن تراه ... في محل الهوى لقلبك عبدا." (١)

"ومن فتاك «١» الجاهلية: الحارث بن ظالم والبراض بن قيس وتأبط شرا وحنظلة بن فاتك الأسدي.

ومن رجالاتهم أوفى بن مطر المازني وسليك بن السلكة والمنتشر بن وهب الباهلي.

وكل واحد منهم كان أشد عدوا من الظبي وربما جاع أحدهم فيعدو إلى الظبي فيأخذ بقرنه ولا يحملون زادا. وكان أحدهم يأخذ بيض النعام في الربيع فيجعل فيه ماء ويدفنه في الفلاة حيث يغزو، حتى يكون له في الصيف إذا سلك ذلك الطريق.

ومنهم الشنفرى.

المتفادى من التعرض له

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: فلان مضغني فلما ضرسته لفظني

طوال قنى تطاعنها قصار ... وقطرك في وغى وندى بحار

وقال:

إن الرماح وإن طالت ذوائبها ... من العدى تتواصى عنه بالقصر «٢»

من لا يخضع في شدة

قيل لأعرابي اشتد به المرض: لو ثبت. قال: لست أعطي على الذل إن عافاني الله تبت، وإلا أموت هكذا:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١٤٠/٢

لا يخرج القسر مني غير معصية ... ولا ألين لمن لا يبتغي ليني «٣»

وقال شداخ:

أبينا فلا نعطي مليكا ظلامة ... ولا سوقة إلا الوشيج المقوما «٤»

وسأل عمر بن عبد العزيز ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير فقال: ما رأيت نفسا أثبت من نفسه، مر حجر من المنجنبق وهو قائم يصلي بين جنبه وصدره فما خشع له بصره ولا قطع قراءته ولا ركع دون الركوع. وعن أمه أنها دخلت عليه في بيته وهو قائم يصلي فسقطت حية فتطوقت بابنه هاشم فتصايح أهل البيت بها حتى قتلوها وعبد الله قائم يصلي فما التفت ولا عجل. فلما فرغ قال: ما بالكم؟

المتأني

قال خارجة:

قوم إذا شومسوا لج الشماس بهم ... ذات العناد وإن ياسرتهم يسروا «٥»." (١)

"فعيرني هذا بشيئين بأخذ الدية وبأن ديتهم التمر وكانت دية العربي المعم المخول من التمر مائة وسق ومن الإبل مائة بعير ودية الهجين على النصف ودية المولى على الربع.

والملك ومن هو من بيته ألف وسق. والإسلام سوى بين الكل لقول النبي صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم.

التعيير بترك الثأر والحث على أخذه

قيل لأعرابي: أيسرك أنك من أهل الجنة وأنك لا تدرك ثارا قط؟ قال: بل يسرني إن أدرك الثار وأنفى العار وأدخل مع فرعون النار.

قدم هدبة بن الخشرم العذري ليقتاد بابن عمه فأخذ ابن المثؤر به السيف فضو عفت له الدية حتى بلغت مائة ألف، فأبت أم الغلام أن يقبل الدية وقالت: أعطى الله عهدا لئن لم تقتله لأتزوجنه فيكون قد قتل أباك وناك أمك. قال عبد الرحمن بن شافع:

فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فكونوا نساء للخلوق وللكحل «١»

وبيبعوا الردينيات بالحلى واقعدوا ... على الذل وابتاعوا المغازل بالنبل

ونحوه، قول عمرة بنت وقدان:

فإن أنتم لم تطلبوا بأخيكم ... فذروا السلاح ووحشوا بالأبرق «٢»

وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا ... نقب النساء فبئس رهط المرهق

التعيير يأخذ الدية وعدمه

قال شاعر:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١٥٥/٢

وإن الذي أصبحتم تحلبونه ... دم غير أن اللون ليس بأحمرا

إذا سكبوا في القعب من ذي أنائهم ... رأوا لونه في القعب وردا وأشقرا

قال آخر وكان أخذ من ابن عمه دية أبيه:

إذا صب ما في القعب فاعلم بأنه ... دم الشيخ فأشرب من دم الشيخ أو دعا «٣»

قال آخر:

خذوا العقل إن أعطاكم العقل قومكم ... وكونوا كمن سيم الهوان فلم ينل

كان لعتبة الأعرابية غلام شديد العرامة «٤» ، كثير التلفت إلى البأس فواثب فتى من الإعراب فقطع الفتى أنفه فأخذت أمه ديته فحسن حالها ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذت ديتها ثم آخر فقطع شفته فأخذت ديته فلما رأت ما صار إليها من قبل ابنها أنشدت:

أقسم بالمروة حقا والصفا ... أنك خير من تفاريق العصا." (١)

"المتبجح بالتصعلك والمتشوق إليه

قال عروة بن الورد:

أقيموا بني لبنى صدور مطيكم ... فإن منايا القوم شر من الهزل

لعل انطلاقي في البلاد وبغيتي ... وشدي حيازيم المطية بالرحل «١»

سيدفعني يوما إلى رب هجمة ... يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

وقال آخر:

وإني لأستحي من الله أن أرى ... أطوف بحبل ليس فيه بعير

واسأل ذياك البخيل بعيره ... وبعران ربي في البلاد كثير

وقال بعض اللصوص:

وكم بيت دخلت بغير إذن ... وكم مال أكلت بغير حل

وقال آخر:

وعيابة للجود لم تدر أنني ... بإنهاب مال الباخلين موكل

غدوت على ما احتازه فحويته ... وغادرته ذا حيرة يتململ

وقيل لأعرابي أتسرق بالنهار فقال:

معاذ الله من سرق بليل ... ولكني أجاهر بالنهار

وقال بعض الخراب، والخارب سارق الإبل خاصة:

أيذهب بارح الجوزاء عني ... ولم أذعر هوامل بالستار

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١٩١/٢

وإنما قال ذلك لأن البارح يعفي الأثر فيأمن أن يقتص أثره فيؤخذ، ولبعض لصوص التمر:

ألا يا جارنا باباض إنا ... وجدنا الريح خيرا منك جارا

يخبرنا إذا هبت علينا ... وتملأ وجه ناظركم غبارا

تحسين التلصص والتبجح به

قال عثمان الخياط: لم تزل الأمم يسبي بعضهم بعضا ويسمون ذلك غزوا وما يأخذونه غنيمة وذلك من أطيب الكسب وأنتم في أخذ مال الغدر والفجرة أغدر فسموا أنفسكم غزاة كما سمى الخوارج أنفسهم سراة وأنشد:

سأبغي الفتى إما جليس خليفة ... يقوم سواء أو مخيف سبيل." (١)

"وقال الصابي في المطهر لما قيد وحبس:

لساني في نشر المدائح مطلق ... وساقي في قبر المحابس موثق

وحلمك يأبى الجمع ما بين ذا وذا ... فحتى متى بين الفريقين أفرق

وأتى المنصور برجل جان فأمر بقتله فقال: إن الله أعظم سلطانا منك وعاقب بالخلود لا بالفناء، فأمر بحبسه.

كتب أبو ثوابة إلى قوقارة يقول: ما رأيك أبقاك الله في المصير إلى الحبس موفق إن شاء الله فكتب قوقارة تحته لا رأي لي في ذلك.

تهنئة مطلق من الحبس

قال البحتري:

وما هذه الأيام إلا مراحل ... فمن منزل رحب إلى منزل ضنك

وقد هذبتك النائبات وإنما ... صفا الذهب الأبريز قبلك بالسبك

أما لك في الصديق يوسف إسوة ... لمثلك محبوس على الظلم والإفك

أقام جميل الصبر في السجن برهة ... فآل به الصبر الجميل إلى الملك

المصلوب

مرت امرأة بجعفر بن يحي وقد صلب. فقالت: لئن صرت اليوم راية لقد كنت بالأمس غاية. **وقيل لأعرابي** إن الخليفة صلب فلانا فقال: من طلق الدنيا فالآخرة صاحبته ومن فارق الخز فالجذع راحلته. قال أبو تمام:

بكروا وأسروا في متون ضوامر ... قيدت لهم من مربط النجار

سود الثياب كأنما نسجت لهم ... أيدي السموم مدارعا من قار «١»

لا يبرحون ومن رآهم خالهم ... أبدا على سفر من الأسفار

وقال ابن سلكة:

كأنه شلو شاة والهواء له ... تنور شاوية والجذع سفود

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٢٠٩

وقال آخر:

يظل في منزل أناف به ... مستضحكا لا يطيق ضم فمه

تنتابه الطير والنسور وما ... يبخل عنها بلحمه ودمه

عوفي من ضمة الضريح ومن ... ثقل الثرى والثواء في رحمه." (١)

"الحسين أمه سلافة الكابلية مولى له ليحيى سنة في الإسلام. وممن زوج أمه عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد.

المستنكف من تزويج أمه

تزوج مروان أم خالد بن يزيد فلاحاه يوما، فقال له: يا ابن الرطبة. فقال: مخبر.

مختبر ثم دخل على أمه فقال: أنت جلبت علي هذا، وأنشدها هجاء فيه:

أما رأيت خالدا يهمه ... إن سلب الملك ونيكت أمه

فقالت: دعه لي. فلما علمت أن مروان قد امتلأ نوما عمدت إلى مخدة فوضعتها على أنفه فمات.

وكان رجل قاعد على باب داره وعنده صديق له ورجل يدخل الدار ويخرج فقال له:

من هذا؟ فقال: زوج أخت خالتي:

المعيب بتزويج أمه

قيل لأعرابي: إن فلانا زوج أمه وأخذ مهرها فأيسر به. فقال: أعوذ بالله من بعض الرزق وقال الجاحظ معنى قول القائل يا ماص بظر أمه يعني يا آكلا مهر أمه من غير أبيه قال شاعر:

رب حلال أكله ... أقبح من نجس الدبر

من ظن مهر أمه ... جبرا له فلا جبر

وعاتب الصاحب رجلا قد زوج أمه فقال له: ما في الحلال بأس، فقال: كذا أحب أن تكون لغة كل من أحب أن تناك أمه، ثم قال فيه:

زوجت أمك يا أخي ... إلى الرجال على طبق

وقال:

عذلت بتزويجه أمه ... فقال فعلت حلالا يجوز

فقلت حلالا كما قد زعمت ... ولكن سمحت بصدع العجوز

قال ابن طباطبا:

قل للمزوج أمه ... يا أكبر الناس همه

أجل مجد تحامي ... عليه تسكين علمه

كفيت أمك أمرا ... من الأمور المهمه

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٢١٨

عير عبد الله بن الزبير عبد الله بن عباس بتحليله المتعة فقال له: سل أمك كيف سطعت المجامر بينها وبين أبيك. فسألها فقالت: ما ولدتك إلا في المتعة. وسئل عن المتعة فقال:." (١)

"أحبك فحكت الجارية لأمير المؤمنين فقال لها: قولي له وأنا أحبك، فماذا؟ فقالت له، فقال: نصبر إلى يوم يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب. فأخبرت أمير المؤمنين بذلك فدعاه وقال: خذ هذه الجارية فهي لك.

صعوبة الأمر على من اجتمع فيه العفة والغزل

نظر محمد بن عبد الله بن الحسين إلى امرأة جميلة فأعجبته، فقال:

أهوى هوى الدين واللذات تعجبني ... فكيف لي بهوى اللذات والدين

فقالت يا هذا دع أحدهما تنل الآخر. قال المتنبي:

إذا كنت تخشى العار في كل خلوة ... فلم تتصباك الحسان الخرائد «١»

متى يشتفي من لاعج الشوق في الحشى ... محب له في قربه متباعد

المتعفف عن الجارة

مر سفيان بن عيينة بدار فسمع قينة تغني:

ما ضر قوما كنت جارهم ... أن لا يكون لبيتهم ستر

ناري ونار الجار واحدة ... وإليه قبلي ينزل القدر

فدق الباب وقال مثل هذا علموا فتيتكم.

قال حاتم الطائي:

وما تشتكيني جارتي غير أنني ... إذا غاب عنها زوجها لا أزورها

سيبلغها خيري فيرجع بعلها ... إليها، ولم ترسل عليها ستورها

وقال:

رب بيضاء فرعها يتثنى ... قد دعتني لوصلها فأبيت «٢»

لم يكن بي تحرج غير أني ... كنت خدنا لزوجها فاستحيت «٣»

قال أبو تمام:

بيضاء كان لها من غيرها حرم ... ولم يكن يستحل الصيد في الحرم

التغازل بالنظر والقول دون الفعل

قيل لأعرابي: ما الزنا عندكم؟ فقال: الشمة والضمة والقبلة. فقيل: لكن أهل القرى يعدون ذلك المباضعة فقال: ليس ذلك

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٢٣٤

زنا إنما هو طلب ولد. وقالت جارية لرجل:

إن كانت الغلمة هاجت بكم ... فعالج الغلمة بالصوم." [1]

"الحد السابع عشر في خلق الإنسان

(١) الخلقة المستحسنة عند العرب

قيل لأعرابي: ما الجمال؟ قال: ضخم الهامة وطول القامة ورحب الشدق وبعد الصوت. ومما دل على حمد عظم الرأس ما قال جالينوس: إن الصغير الرأس لا عقل له.

وسئل آخر فقال: غور العينين وإشراق الحاجبين ورحب الشدقين.

وقال:

وصلع الرؤوس عظام البطون ... رحاب الشداق طوال القصر «١»

وقالت امرأة خالد: له إنك لجميل. فقال: كيف تقولين ذلك وما في عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه. إن عموده الطول ورداؤه البياض وبرنسه سواد الشعر وأنا قصير أسود أشمط، ولكن قولي إنك مليح.

الخلقة الدالة على النجابة أو غيرها

دخل أعرابي على محمد بن سليمان فقال: أكان لك ولد؟ قال: نعم المخش قال: وما المخش؟ قال: خرطمانيا أشدق إذا تكلم سال لعابه، ينظر بمثل فلسين كأن صدره كركرة «٢» بعير وكأن ترقوته خالفة، فقأ الله عيني إن رأيت قبله أو بعده مثله وقال رجل لسنان بن سلمة: ما أنت بأرسخ» فتكون فارسا، ولا بعظيم الرأس فتكون سيدا.

قال شاعر:

تقلب رأسا لم يكن رأس سيد ... وكفا ككف الضب أو هي أحقر

وقال الزبرقان: أبغض صبياننا الأقيعس «٤» الذكر الذي كأنما يطلع في حجر، وإذا." [2]

"قال آخر:

لا تجزعن من الهزال فطالما ... ذبح السمين وعوفي المهزول

وقيل لأعرابي: ما أنحفك؟ فقال سوء الغذاء وجدب المرعى وتناجي الهموم في صدري.

ذم السمن

قيل السمنة عقلة. ونظر عمر رضي الله عنه إلى رجل بادن «١» فقال: ما هذا؟ قال بركة الله فقال: بل شخطه ثم قال إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة ونتن في الممات. ورأى حكيم رجلا سمينا فقال ما أكثر عنايتك برفع سور جسمك وقال الشافعي ما رأيت سمينا ذكيا إلا محمد بن الحسن قال ابن الرومي:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٢٥٠

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٣٠٥

ليس بالراجح م ... ن رجحانه لحم وشحم

من رأيتم بعد طالو ... ت له جسم وعلم

وقال:

أمير كله شحم ولحم ... وليس وراءه علم وفهم

وقال بعضهم محال أن يكون روح خفيف في جسم كثيف.

قال كشاجم:

كأنما قدامه بطنه ... رواية قد نقصت دلوا «٢»

السبب المسمن

قيل لسمين: أي شيء سمنك؟ فقال أكلى الحار وشربي القار واتكائي على اليسار، وأكلي من مال كل ذي يسار. ولآخر لا تكائي على شمالي والأكل من غير مالي. وسئل آخر فقال: قلة الفكرة وطول الدعة والنوم على الكظة «٣» وقيل لمحبوس فقال القيد والرتعة، ومن يكن جار الأمير يسمن.

أعسر أيسر

حضر أبو العيناء علوية المغني وكان يضرب بالعسر فقال: أسأل الله الذي جعل السرور بيسارك أن يعطيك كتابك بيمينك.

ذم القلح

«٤» قال صلى الله عليه وسلم ما لكم تدخلون علي قلحا استاكوا «٥» وقال نظفوا أفواهكم فإنها ممر القرآن.." [1]

"وقال:

هي الدر منظوما إذا ما تكلمت ... وكالدر مجموعا إذا لم تكلم

وقال:

إن طال لم يملل وإن هي أوجزت ... ود المحدث أنها لم توجز

وقال:

كأنما عسل رجعان منطقها ... إن كان رجع كلام يشبه العسلا «١»

الفرع الوارد والكثيف

قيل لأعرابي: أي النساء أحسن؟ فقال الغراء الفرعاء أي الحسنة المفترة عن الثغر الوافرة الشعر، فمها بارد وشعرها وارد.

قال بعضهم في وصف ما حلقه عمر رضي الله تعالى عنه- من الشعر- وقيل هو أحسن ما قيل في الشعر:

لقد حلقوا منها غدافا كأنها ... عناقيد كرم أينعت فأسكرت «٢»

وقال:

عناقيد غربيب تدلين عن كرم «٣»

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٣١٢

وقال المخبل السعدي:

وتضل مدراها المواشط في ... جعد أغم كأنه كرم «٤»

قال ابن المعتز:

دعت خلاخيلها ذوائبها ... فجئن من رأسها إلى قدم «٥»

وصف الشعر والوجه معا

قال بكر بن النطاح:

بيضاء تسحب من قيام فرعها ... وتغيب فيه وهو ليل أسحم «٦»

وكأنها فيه نهار ساطع ... وكأنه ليل عليها مظلم." (١)

"وفي الربيبة النعمة

قال عمر بن أبي ربيعة:

وأعجبها من عيشها ظل غرفة ... وملتف ريان الحدائق الخصر

ووال كفاها كل شيء يهمها ... فليس لشيء آخر الليل تسهر

وقال نصيب:

قليلة لحم الناظرين يزينها ... شباب ومخفوض من العيش بارد

وقال المرقش:

نواعم لا يرين لبؤس عيش ... أوانس لا تراع ولا تذاد «١»

تفضيل السوداء

قال العباس:

إن سعدى والله يكلأ سعدى ... ملكت بالسواد رق سوادي

أشبهت مقلتي وحبة قلبي ... وبها فهي ناظري وفؤادي «٢»

قال ابن الرومي في سوداء:

كأنها والمزاح يضحكها ... ليل تعرى دجاه عن فلق «٣»

وذكرت قصيدة ابن الرومي في وصف السوداء وأبو الحسن الموسوي حاضر فأسرف بعضهم في مدحها فقال أبو الحسن بديها:

أحبك يا لون السواد لأنني ... رأيتكما في العين والقلب توأما

سكنت سواد العين إذ كنت شبهه ... فلم أدر من عز من القلب منكما

(٣) أوصاف مجموعة من الجمال

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣٢٧/٢

قيل لأعرابي: أي امرأة أحسن؟ فقال: التي لطفت كفاها، وخذلت ساقاها، والتفت فخذاها، وعرضت وركاها، ونهد ثدياها، وعظمت إليتاها، وسال خداها. ويقال: كان وجهه البدر ليلة سعده وتمامه، قد ركب في غصن بان وقضيب ريحان أهيف القد، أدعج العين مقرون الحاجبين، أسيل الخدين مسبل الذراعين، أرق من الهواء والماء وأحسن من." [١]

"قال البحتري:

تعيب الغانيات علي شيبي ... ومن لي أن أمتع بالمعيب

وأنشد ابن دريد في وصفه:

ولي صاحب ما كنت أهوى لقاءه ... فلما التقينا كان أكرم صاحب

عزيز علينا أن يفارق بعدما ... تمنيت دهرا أن يكون مجانبي

الشيب داء متمنى

قيل لأبي العيناء: كيف أنت؟ قال في الداء الذي يتمناه الناس يعني الهرم. **وقيل لأعرابي** وقد ضعف من الكبر لقد أذنب إليك الدهر، فقال: كثر الله من ذنوبه عندي.

طول العمر يفضي إلى الهرم والمصائب

قيل: من أخطأ سهم المنية قيده الهرم. ومن وطن نفسه على طول العمر فليوطنها على كثرة المصائب. وقال ابن الحارث في وصيته لبنيه: من متع بكبر بلي بعبر، ومن تأخر يوما مله قومه.

وقال زهير:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب ... تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

وقيل: كفى بالسلامة داء، وقال:

فكيف ترى طول السلامة يفعل

من أضعفه كبره وهرمه

سأل الحجاج شيخا فقال: كيف طعمك؟ قال: إذا أكلت ثقلت، وإذا تركت ضعفت. قال: كيف نكاحك؟ قال: إذا بذل لي عجزت، وإذا منعت شرهت. قال: كيف نومك؟ قال: أنام في المجمع وأسهر في المضجع. قال: فكيف قيامك وقعودك؟ قال: إذا قعدت تباعدت عني الأرض، وإذا قمت لزمتني. قال: كيف مشيك؟ قال: تعقلني الشعرة وتعثرني البعرة.

وقيل لشيخ ما صنع بك الدهر؟ قال: فقدت المطعم وكان المنعم، وأجمت النساء وكن الشفاء. فنومي سنات، وسمعي خفات، وعقلي تارات.

وقيل لآخر: فقال: أدرج من العشاش، وأخرأ في الفراش، وأنبو عن القماش، وأنفر من لاش.

وقيل لآخر: فقال: ضعضع قناتي، وأوهى شواتي، وجر أعلى عداتي. وسئل ابن الفرية عن وصف الكبر فقال: إقبال البخر

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٣٣٦

وإدبار الزفر، وانقباض الذكر. وقيل: الشيخوخة غمامة تمرض الأمراض.

قال أبو الطمحان:." (١)

"إن النصول إذا بدا ... فكأنه شيب جديد «١»

فقال:

وقالوا النصول مشيب جديد ... فقلت الخضاب شباب جديد

إساءة هذا بإحسان ذا ... فإن عاد هذا فهذا يعود

الإعتذار لذلك

قال علي بن عيسى لإبراهيم بن إسماعيل يوما: الخضاب باطنه داء وظاهره غرور.

ثم لقيه وقد اختضب، فقال: أين كلامك؟ قال فكرت فإذا أمور الدنيا كلها مرمة وهذا من مرمتها. قال ابن الرومي:

فإن تسأليني ما الخضاب فإنني ... لبست على فقد الشباب حدادي

من اختضب لمجيء الشيب في غير وقته

قال محمود الوراق:

إذا ما الشيب جار على الشباب ... فعالجه وغالط في الحساب

فقل لأمر لا مرحبا من نزيل ... وعذبه بأنواع العذاب

بنتف أو بقص كل يوم ... وأحيانا بمكروه الخضاب

وإن هو لم يجر وأتى لوقت ... فقل في رحب دار واقتراب

الترغيب عن الخضاب والرغبة فيه

قيل لأفلاطون: لم اختضب فلان؟ فقال: كره أن يؤخذ بحنكة المشايخ.

قال ابن الرومي:

يا أيها الرجل المسود وجهه ... كيما يعد به من الشبان

أقصر فلو سودت كل حمامة ... بيضاء ما عدت من الغربان

وقيل لأعرابي: لم لا تختضب لتصبوا إليك النساء؟ فقال أما نساؤنا فما يردن بنا بدلا، وأما غيرهن فلا نريد صبوتهن «٢»

.

قال كشاجم:

يا خاضب الشيب والأيام تظهره ... هذا شباب لعمر الله مصبوغ

وقيل لأعرابية: فلان يختضب. فقالت: لا ينال الشباب بالخضاب كما لا ينال الغنى بالمنى ولما وفد عبد المطلب على سيف

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣٥٨/٢

بن ذي يزن ورأى لحيته بيضاء بعث إليه بجارية ومعها خطر ليخضب لحيته فأنشأ عبد المطلب:

وقائلة تخضب فالغواني ... نوافر عن مصادقة القتير." (١)

"لسمى نفسه عمرا ... وسمي الكلب وثابا

وقال رجل لآخر: ما اسمك؟ قال: وردان قال وفرسك، فقال: عمران. وذهب رجل إلى باب، فقيل عبد من الأرض جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه، فقال: إن نصف المصحف بالباب وسئل رجل عن كنيته، فقال: أبو الحسن وأبو الغمر. فقيل: ألم تكف واحدة؟ فقال: لا إن ضاعت واحدة بقيت الأخرى.

المتأول قبيح اسمه على تأويل حسن

كان بنو أنف الناقة يستنكفون من هذا الاسم حتى قال فيهم الشاعر:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ... ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا

فصاروا يتبجحون به.

واستقبح قوم اسم العجلان فقال بعضهم: وما سمي العجلان إلا لقوله:

خذ الوطب واحلب أيها العبد واعجل «١»

المعتذر لشناعة اسمه أو كنيته

قيل لأعرابي اسمه نعامة: أي شيء هذا الاسم؟ قال: الاسم علامة ولو كان كرامة لتشارك الناس كلهم في اسم واحد. وقال برصوما لأبيه: ألم تجد اسما أحسن من هذا؟

فقال: لو علمت أنك تجالس الخلفاء باسمك لسميتك يزيد بن مزيد.

وطلب الحسن بن سهل مؤدبا لولده فأتى بمعاوية بن القاسم وكان ضئيلا فقال: ما اسمك قال: كنيتي أبو القاسم ولضرورة تكنيت فاستظرفه.

وقيل لحرم المخنث لم تسميت بذلك؟ فقال: حتى أندب فيقال واحرماه. وأتى ضرار المتكلم بمجوسي ليكلمه فقال: أبو من أنت؟ فقال: نحن أجل من أنت ننسب إلى أبنائنا إنما ننسب إلى آبائنا. فورد على ضرار ما لم يكن في حسابه فأطرق ساعة ثم قال: أبناؤنا أفعالنا وآباؤنا أفعال غيرنا. وسئل بعض الأعراب لم سمعوا أبناءهم بالأسماء القبيحة وعبيدهم بالحسنة فقال: لأن أبناءهم لأعدائهم وعبيدهم لأنفسهم.

مدح الكنية واللقب وذمهما

قيل: الكنية للإبانة واللقب للتبجيل فلا يكون لله تعالى كنية لأنه بان بصفاته. واللقب على أوجه: لقب على سبيل الهزؤ، وذلك منهى عنه وربما يخص الرجل على التعيين، وربما يعم الجنس كقولهم للأحدب: أبو الغصن، وللقصير أبو الرماح والثاني

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣٦٤/٢

على سبيل التخفيف يستغنى به عن الاسم والنسب وهو كثير كأبي فلان والثالث للتعظيم كلقب الخلفاء والأمراء، والرابع لفعل يختص به كهاشم لهشمه الثريد، وعدوان لعدوه على أخيه وقتله إياه، ودارم لدرمانه تحت المال.." (١)

"ما هذه الثياب الرثة؟ فقال: أكره أن أقول الزهد فأطرى نفسي أو الفقر فأشكو ربي.

وقال الإسكندر لرجل رث تكلم بفصاحة: ليكن حسن ثيابك كحسن كلامك، فقال:

أما الكلام فأنا قادر عليه وأما الثياب فأنت تقدر عليها. فخلع عليه.

العريان

قيل: فلان أعرى من المغزل، وقيل لأعرابي: ما تلبس؟ قال: الليل إذا عسعس «١» والصبح إذا تنفس. قال أبو هفان:

عريان أعرى من فصوص النرد ... كالسيف ماض ماله من غمد

وأنشد رجل يحيى بن خالد:

إني امرؤ في أعالي بيت مكرمة ... إذا تمزق ثوبي أرتدي حسبي

فقال يحيى: ما أقل غناء هذا الرداء في الكانونين. وقال الأصمعي: قلت لأعرابي في يوم بارد ألا تصلي، فقال: البرد شديد ومالي كسوة، وأنشد:

فإن يكسني ربي قميصا وجبة ... أصل واعبده إلى آخر الدهر

وإن لا يكن إلا بقايا عباءة ... مخرقة مالي على البرد من صبر

من يصون ثوبه ويهين نفسه

قال ابن أبي الصمت:

أرى حلالا تصان على رجال ... وأعراضا تزال ولا تصان

وقال:

فترى خسيس القوم يترك عرضه ... دنسا ويمسح نعله وشراكها

عذر من يتشوه لبسه

كان ابن أبي داود، مضطرب الطيلسان لا يحسن لبسه، فقال له أبو العلاء المعري:

لئن كنت لا تحسن أن تلبس الطيلسان إنك لتحسن أن تلبس نعمك جماعة الإخوان. وقال آخر وقيل له لا تحسن أن تلبس الثياب، فقال: لكني أحسن أن ألبسها.

وعوتب آخر فقال: من عظمت مؤنته في نفسه قل تفقده لأمر غيره، وقيل: من كان شغله بنفسه فقد مكر به. وقيل ما استوت عمامة على رأس كريم قط.

إعطاء الخلع

قيل: من راح منك في الثياب تغدو منه في الثناء.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٣٦٩

قال البحتري:

وراح في ثنائي ... ورحت في ثيابه." (١)

"قال حكيم: من كان الليل والنهار مطيته سارا به وإن لم يسر.

وقيل:

رأيت أخا الدنيا وإن كان خافضا ... أخا سفر يسعى به وهو لا يدري «١»

وقيل: أنفاس المرء خطاه إلى أجله، وأمله خادعه عن عمله. لكل زمن فوت وفي كل طرفة موت. وقال:

ما ارتد طرف امرئ بلحظته ... إلا وشيء يموت من جسده

وقال أعرابي: كيف تفرح بعمر تقطعه بالساعات معرضا للآفات. قال أبو العتاهية:

تظل تفرح بالأيام تقطعها ... وكل يوم مضى يدني من الأجل

وقيل لأعرابي: أنظر إلى الهلال، فقال: ما أصنع به محل دين ومقرب حين. قال عبدة:

إذا ما سلخت الشهر أهللت مثله ... كفى قاتلا سلخي الشهور وإهلالي «٢»

وقال:

إلا أن الفتى رهن ... بذي لونين خذاع «٣»

ومنه قول ابن قميئة:

رمتني صروف الدهر من حيث لا ترى ... فكيف بمن يرمي وليس برام

فلو أنني لما رمتني رميتها ... ولكنها ترمي بغير سهام

وقال:

فوق الدهر إلينا نبله ... عللا يقصدنا بعد نهل «٤»

فهو رامينا ولا نبصره ... مثل رام رام صيدا فختل «٥»

البقاء في الدنيا سبب الفناء

قال بعضهم: انصرفت من مجلس حماد الراوية فقال أبي ما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لو لم يكسب ابن آدم إلا الصحة والسلامة لكفى بهما داء. فقال أبي: قاتل الله حميدا حيث قال:

أرى بصري قد رابني بعد صحة ... وحسبك داء أن تصح وتسلما «٦»

وقال:." (٢)

"الرخصة في الإفطار عن التطوع

روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين سلمان وأبي الدرداء. فرأى سلمان امرأة أبي الدرداء صيدلة، فقال لها: ما

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣٧٨/٢

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٣٩٦/٢

شأنك؟ فقالت: إن أخاك أبا الدرداء يقوم بالليل ويصوم بالنهار وليس له في شيء من الدنيا حاجة، فجاء أبا الدرداء فرحب به وقرب إليه طعاما فقال له سلمان:

أطعمه قال: إني صائم قال: أقسمت عليك لتفطرن، فقال ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل معه.

ثم بات عنده فلما كان من الليل أراد أبو الدرداء أن يقوم فسمعه سلمان فقال إن لجسدك عليك حقا، ولربك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، صم وافطر وصل وأت أهلك، وأعط كل ذي حق حقه. فلما كان وجه الصبح قال له: قم الآن إن شئت فقام وتوضأ ثم ركعا وخرجا إلى الصلاة، فدنا أبو الدرداء ليخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي أمره سلمان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا الدرداء إن لجسدك عليك حقا على ما قال سلمان.

المسرة بإتيان الصوم

قال شاعر:

جاء الصيام فجاء الخير أجمعه ... ترتيل ذكر وتحميد وتسبيح

فالنفس تدأب في قول وفي عمل ... صوم النهار وبالليل التراويح

أدعية الصوم

كان صلى الله عليه وسلم يقول في شهر رمضان. اللهم سلمه لنا وتسلمه منا. وكان الربيع بن خيثم يقول: الحمد لله الذي أعانني فصمت ورزقني فأفطرت. وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت.

التبرم بالصوم في غير رمضان

. **قيل لأعرابي**: ألا تصوم البيض؟ قال: دعني منها فبين يديها ثلاثون كأنها القباطي.

وقيل لزيد: صوم يوم عرفة يعدل صوم سنة فصام إلى الظهر وقال يكفيني ستة أشهر فيها رمضان.

التبرم بشهر رمضان

أسلم مجوسي فأطل عليه شهر رمضان فعجز عن الصوم. فقيل له: كيف ترى الإسلام فقال:

وجدنا دينكم سهلا علينا ... شرائعه سوى شهر الصيام

وقال ابن الرومي:

شهر الصيام وإن عظمت حرمته ... شهر ثقيل بطيء السير والحركة." (١)

"الموت لا يدفع بالأسلحة

قال علقمة:

بل كل قوم وإن عزوا وإن كثروا ... عريقهم بأثافي الشر مرجوم «١»

وقال المتنبي:

نعد المشرفية والعوالي ... وتقتلنا المنون بلا قتال «٢»

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٤٧٥

ونرتبط السوابق مقربات ... وما ينجين من خبب الليالي «٣»

ومن لم يعشق الدنيا قديما ... ولكن لا سبيل إلى الوصال

وقال الموسوي:

تفوز بنا المنون وتستبد ... ويأخذنا الزمان فلا يرد

رويدك بالفرار من المنايا ... فليس يفوتها الساري المجد «٤»

وكل فتى يحف بجانبيه ... خواطر بالقنا قنب وجرد «٥»

فما دفع المنايا عنه وفر ... ولا هزم النوائب عنه جند

الحياة معرضة لسهام المنايا

قال أبو العتاهية:

إن للموت لسهما قاصدا ... ليس يفدي أحدا منه أحدا

وقال الرفاء:

نحن أغراض خطوب إن رمت ... حيرت في دقة الرمي ثعل «٦»

وإذا ما اختلفت أسهمها ... فأصابت بطل القرم بطل «٧»

صحيح مات

قيل لحكيم: مات فلان أصح ما كان، فقال: أو صحيح من الموت في عنقه. وقيل للحسن: مات فلان فجأة، فقال: لم يمت فجأة لمرض فجأة، ثم قال: اللهم أجرني من أن أكون مختلسا. **وقيل لأعرابي**: كيف مات أبوك؟ قال: مات سرا يعني فجأة. وقال شاعر:

وربما غوفص ذو غرة ... أصح ما كان ولم يسلم «٨»." (١)

"وقيل: الأحزان تسقم القلوب كما أن الأمراض تسقم الأبدان. وقيل: الغم يشيب القلب والهرم يشيب الرأس.

النهي عن الإفراط في البكاء وإظهار الجزع على الأموات

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الميت ليعذب ببكاء أهله.

وأنكرت عائشة ذلك وقرأت: (ألا تزر وزرة وزر أخرى) «١» . وقيل: معناه يعذب بأفعاله التي يندب بها من غاراته وقتاله.

ودخلت أعرابية الحضر فسمعت بكاء من دار فقالت: ما هذا؟ أراهم من ربهم يستغيثون ومن استرجاعه يتضجرون ومن جزيل ثوابه يتبرمون. وقال أبو سعيد البلخي: من أصابته مصيبة فأكثر الغم جعل الله عقوبته غما مثله. قال الله تعالى:

فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا

«٢» الآية. وقال صلى الله عليه وسلم: النائحة إذا لم تنب قبل أن تموت أقيمت يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من كبريت.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٥٠٩/٢

الرخصة في البكاء وإظهار الجزع ما لم يكن إفراطا

دخل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم يوم موت إبنه إبراهيم، فوجد عينيه تذرفان، فقال: يا رسول الله ألست تنهانا عنه؟ قال: أنا ذو رحمة ولا يرحم من لا يرحم. وإنما نهى عن النياحة، وأن يندب المرء بما ليس فيه.

وسمع عمر رضي الله عنه باكية في جنازة فزجرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعها فإن العهد قريب والنفس مصابة. وقام الحسن البصري على قبر أخيه فبكى شديدا فقيل له في ذلك فقال: ما رأيت الله عاتب يعقوب على طول بكائه على يوسف عليهما السلام.

بل قال: وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم

«٣» . **وقيل لأعرابي**: أصبر فالصبر أجر، فقال: أعلى الله أتجلد؟ والله للجزع أحب إلي، لأن الجزع استكانة والصبر قساوة. وقيل لفيلسوف: أخرج الحزن من قلبك فقال: لم يدخله بإذني فأخرجه بإذني. وأفرطت امرأة في الجزع على إبنها فعوتبت في ذلك فقالت: إذا وقع حكم الضروريات لم يقع عليها حكم المكتسبات، فأما جزعى فليس في الطاعة صرفه ولا في القدرة منعه ولي عذر للضرورة، فإن الله تعالى يقول: فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه

«٤» وقال خالد بن صفوان: صبرك في مصيبتك أحمد من جزعك، وجزعك في مصيبة أخيك أحمد من صبرك.." (١)

"وقال الموسوي:

فتسل عن سيف طبعت غراره ... وأعرت صفحته سنا ومضاء «١»

فالابن للأب إن تعرض حادث ... أولى الأنام بأن يكون فداء

من تسلى عنه أو سلي بأنه فتنة وبلاء

كتب رجل إلى آخر: أما بعد، فإن الولد ما عاش حزن لوالده وفتنة. وإذا قدمه فهو صلاة ورحمة. فلا تجزعن فيما أزال الله عنك من حزن ومن فتنة، ولا تزهد فيما أولاك من صلاة ورحمة. وعزى رجل عبيد الله بن سليمان، فقال: لئن حرم الأجر ببرك لقد كفى الإثم بعقوقك، ولئن فجعت بفقده لقد أمنت الفتنة به.

من تسلى بماله من الثواب

دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك وكان قد أصابه الطاعون. فقال: دعني أمس قرحتك. وكان يقال: إذا كان لينا يرجى وإذا كان خشنا لا يرجى، فامتنع عبد الملك من أن يمسها فعلم عمر لم منعه، فقال: دعني أمسها فو الله لأن أقدمك فتكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك، فقال: والله لأن يكون ما تريد أحب إلي من أن يكون ما أريد فلمسها، فقال: يا عبد الملك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين، فقال:

ستجدني إن شاء الله من الصابرين.

وقال صلى الله عليه وسلم: من مات له ولد فصبر أو لم يصبر جزع أو لم يجزع احتسب أو لم يحتسب لم يكن له ثواب إلا

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٥٢٦

الجنة. ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه على قبره فقال:

يا ذر شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك، فليت شعري ما الذي قلت وما الذي قيل لك اللهم إنك قد ألزمته طاعتك وطاعتي فإني قد وهبت له ما قصر فيه من حقي، فهب لي ما قصر فيه من طاعتك، اللهم ما وعدتني من الأجر على مصيبتي به فقد وهبته له، فهب لي من فضلك. ثم قال عند انصرافه: ما علينا بعدك من غضاضة، وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة، وقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك.

من رأى المفقود من ولده له دون الباقي

قال زياد لرجل: أين منزلك قال: وسط البلد، قال كم لك من ولد؟ قال: تسعة.

فقال بعض من حضر: أيها الأمير إنه يسكن المقابر وله ابن واحد، فقال: أجل، داري بين أهل الدنيا والآخرة ومات لي تسعة فهم لي وبقي واحد لا أدري أهو لي أم أنا له.

وقيل لأعرابي: كم لك من الولد؟ قال: لي عند الله خمسة وعندي ثلاثة. وقال رجل للرشيد: بارك الله لك في الماضين وآجرك في الباقين فقال له: أعكس تصب، قال: لا لأن." (١)

"وقال آخر:

والشمس كالمرآة في كف الأشل «١»

وقال ابن الرومي:

كأن حنو الشمس ثم غروبها ... وقد جعلت في مجنح الليل تمرض

تخاوص عين ملء أجفانها الكرى ... يرنق فيها النوم ثم تغمض «٢»

وقال حميد:

والشمس قد نفضت ورسا على الأفق «٣»

وقال آخر:

وودعت الدنيا لتقضي نحبها

الهلال لأول الشهر

قال ابن المعتز في وصفه:

أنظر إليه كزورق من فضة ... قد أثقلته حمولة من عنبر

وقال الناجم:

البدر قد قابلنا طالعا ... كأنه حزة بطيخ

وقال كشاجم فيه:

كشعيرة من فضة ... قد ركبت في خنجر

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٥٢٨/٢

وقال الرفاء:

ولاح لنا الهلال كشطر طوق ... على لبات زرقاء اللباس «٤»

وقال آخر:

سنان لواه الطعن في رأس عامل

وقال ابن طباطبا

كالنون إذا خطت بماء الذهب

البدر وقت طلوعه

قيل لأعرابي: الشمس أحسن أم القمر؟ فقال: القمر أحسن والشمس أجهر. قيل:

وكيف صار القمر أحسن؟ قال: لأن العيون عليه أجسر. وقال بعضهم: سافروا في هذه الليالي فإن أنس القمر يذهب وحشة السفر. وقال أعرابي: ما فقدت القمر إلا فقدت أخا أنيسا. وقال الموسوي:

يا من بغرته الهلال أما ترى ... بدر الهلا وقد بدا في المشرق." (١)

"النجوم

قال الله تعالى: وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر

«١» وقال تعالى: الشمس والقمر بحسبان

«٢» وقال تعالى: لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون

وقال تعالى: فلا أقسم بمواقع النجوم

«٣» وقال تعالى: تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا

«٤» وقال تعالى: هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب

«٥» .

معرفة النجوم

قيل لأعرابي: أتعرف النجوم؟ قال: وهل يجهل أحد سقف بيته. وقيل لآخر فقال:

لا أعرف إلا بنات نعش ولو تفرقن. وقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه: كفى بالمرء جهلا إن ركبا وقوفا على رأسه كل ليلة لا يسميهم، يعني النجوم.

المجرة

قال شاعر:

كخط لجين في الزبرجد ممتد

وقال آخر:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٥٦١

غصن بأحداق النجوم وربق

وقال التنوخي:

وكأنما شرك المجرة بينها ... ماء تسرى في نبات أخضر

وقال ابن طباطبا:

كأن التي حول المجرة أوردت ... لتكرع في ماء هناك صبيب

خرافات للعرب في النجوم

قالت العرب: إن الدبران «٦» خطب الثريا وأراد القمر أن يزوجه فأبت عليه وولت عنه، وقالت للقمر: ما أصنع بهذا السبروت «٧» الذي لا مال له فجمع الدبران قلاصه «٨» يتمول بها، فهو يتبعها حيث توجهت يسوق قلاصه لصداقها.." (١)

"وقال آخر:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد ... فقد زادني مسراك وجدا على وجد

وقالت أم المثلم:

أتينا بريح المسك خالط عنبرا ... وريح الخزامى باكرتها جنوبها

وقال الموسوي:

وهبت لأصحابي شمال لطيفة ... قريبة عهد بالحبيب بليل

ترانا إذا أنفاسنا مزجت به ... نرنح في أكوارنا ونميل

كيفية البرد الشديد

قيل لأعرابي: ما أشد البرد؟ قال: إذا أصبحت الأرض ندية والسماء نقية والريح شآمية. وقيل لآخر. فقال: إذا دمعت العينان وقطر المنخران ولجلج اللسان. وقيل لآخر فقال: إذا نديت الدقعاء «١» وصفت الخضراء وهبت الجربياء. وقيل لآخر: أي اليوم أبرد؟

فقال: الأحص الورد والأزب الهلوف. فالأحص الورد يوم تصفو شماله ويحمر أنفه، والأزب الهلوف يوم تهب فيه نكباء فتسوق الجهام «٢» . وسأل الرشيد بعض أصحابه عن شدة البرد فقال: ريح جربياء «٣» في ظل عماء في غب سماء.

وصف البرد

كان أعرابي يرتعد في يوم شات. فقيل له: تحول إلى الشمس. فقال: الشمس تحتاج اليوم إلى قطيفة. وقيل لرجل: ما أثقل جبتك. فقال: البرد أثقل منها.

قال وهب الهمداني:

يوم من الزمهرير مقرور ... عليه ثوب الصبا مزرور

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٥٦٤

كأنما حشو جواه آبن ... وأرضنا فرشها قوارير «٤»

وشمسه حرة مخدرة ... ليس لها من ضيائها نور

قال الشمسياطي في وصف شتاء:

ألقى كلاكله ببرد قارض ... حتى غدا من في جهنم يحسد

أخذه من أعرابي، قال:

فإن كنت ربي مدخلي في جهنم ... ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم." (١)

"وجد أعرابي البرد فقيل له: هذا لكون الشمس في العقرب، فقال: لعن الله العقرب فإنها مؤذية في الأرض كانت أم في السماء.

قال شاعر:

قد منع الماء من المس ... وأمكن الجو من الحس

وقال أبو محمد المطراني:

وشتاء يخنق الكلب فلا يعلو هريره ... كلما رام هريرا زم فاه زمهريره «١»

هو من قول الراعي:

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة ... حتى يلف على خرطومه الذنبا

قال الرشيد: ما أبلغ بيت في شدة البرد فأنشد هذا البيت بعضهم، فقال أبلغ منه:

وليلة قر يصطلي القوس ربها ... وأسهمه اللاتي بها يتنبل

فقال: حسبك ما بعد هذا شيء، وقال ابن سمعون: البرد بالري رافضي، يقول بالرجعة، أي متى ذهب رجع. **وقيل لأعرابي**: أما تجد البرد؟ قال: لا لأن العري اتصل على بدني فاعتاده كاعتياد وجوهكم. وقيل لآخر: ما أصبرك على البرد. قال: كيف لا يصبر عليه من طعامه الريح وسراجه الشمس وسقفه السماء.

حمد البرد في الشتاء

قال عروة بن الزبير: خير شتائكم ما اشتد برده، وخير صيفكم ما اشتد حره. وكانوا يستعيذون من الشتاء البارد.

وقال الأصمعي: ما وقع طاعون قط في بلد إلا في شتاء سخن أو تعقبه مضرة البرد.

وقال سعيد بن عبد العزيز: البرد عدو للدين. وفي الخبر أن الملائكة لتفرح بذهاب الشتاء لما يدخل في فقراء أمتي. وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من كلب الشتاء.

من شكا الفقر والقر

صودف أعرابي يتكفف ويقول:

جاء الشتاء ومسنا قر ... وأصابنا في عيشنا ضر

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٥٧٥

ضر وفقر نحن بينهما ... هذا لعمر أبيكم الشر

وقيل لشيخ: كيف أنت؟ قال: خلق في خلق.." (١)

"قال أبو الحسن الطوسي:

هجم البدر والشتاء فما أم ... لك إلا رواية العربية

ويقل الغناء عني فنون ال ... علم إن عصفت شمال عرية

وقيل لأعرابي: ما أعددت للبرد؟ قال: شدة الرعدة وتقرفص القعدة وذرب المعدة.

وقيل: رماه الله بالحرة تحت القرة، أي العطش مع البرد.

جملة من أوصاف السحاب من نشئه وقطاره

قال ملحد الجرمي:

أرقت وطال الليل للبارق الرمض ... حثيث سرى مجتاب أرض إلى أرض «١»

نساري من الإدلاج كدري مزنه ... نقضي بجذب الأرض ما لم نكن نقضي

تحن بأغوار الفلاة قطاره ... كما حن نيب بعضهن إلى بعض «٢»

كأن شماريخ العلى من صبيره ... شماريخ من لبنان بالطول والعرض «٣»

يباري الرياح الحضرميات مزنه ... بمنهمر الأوداق ذي قزع رفض «٤»

يغادر محض الماء وهو محضه ... على إثره إن كان للماء من محض

يروي العروق الهامدات من البلا ... من العرفج النجدي ذو باد والحمض

وبات الحي الجون ينقض بالحيا ... كنهض المداني قيد بالموعث النقض «٥»

وقال الحسين بن دعبل:

أما ترى الغيث قد سالت مدامعه ... كأنه عاشق يسطو به الذكر

جاءت موقرة الأطراف خاشعة ... تكاد تؤخذ بالأيدي فتقتصر

راحت رياح الصبا ينظمن عارضها ... حتى إذا نظمنه ظل ينتثر

أضحت له الأرض سكرى والثرى طرب ... والأفق مبتسم والجدب مستتر

السحاب المتدلية

قال عبيد الأبرص:

دان مسف فويق الأرض هيدبه ... يكاد يدفعه من قام بالراح «٦»." (٢)

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٥٧٦

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٥٧٧

"البرد

قال الأخطل:

نثرت على الحصباء كالحصباء ... بل ألقت على الرضاض كالرضاض «١»

وقال علي بن جبلة:

كأن قوالبه بالعرا ... ء تلقى على الجلمد الجلمدا

وقال آخر:

جاءت تهادى في برود من حبر ... تنثر دارا كان لو ذاب مطر

تطير في الجو كنوار الزهر ... أو شرر لو كان للماء شرر

الصقيع

قال الفرزدق:

وأصبح مبيض الصقيع كأنه ... على سروات النبت قطن مندف «٢»

وجاء بصراد كأن صقيعه ... خلال البيوت في المنازل كرسف «٣»

اللثق

«٤» قال شاعر:

لقد صار وجه الأرض كلاء مزلة ... تمايل صاحبها تمايل شارب

وقال الصاحب: وقد ركب في وحل عظيم فترشش باللثق ثوبه:

لقد ركبت وكف الأرض كاتبة ... على ثيابي سطورا ليس تنكتم

فالأرض محبرة والزاج من لثق ... والطرس ثوبي ونهى الأشهب القلم

إنقطاع المطر

قيل لأعرابي: كيف خلفت ما وراءك؟ فقال: التراب يابس والأرض عابس.

وقال شاعر:

إن وجه البقاع ينتظر القط ... ر انتظار المحب رجع الرسول

وقال العباس بن المأمون:

متى تريك رياض الأرض أوجهها ... إن لم يكن لك لا طل ولا مطر

ماهية الماء ووصفه

قال الحجاج لغلامه: ائتني بأعز مفقود وأذل موجود. فلم يفهم ما عناه، فقال له ابن." [١]

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٥٨٥

"وقال تأبط شرا:

يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدي ... بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك

وقال آخر:

ترى الليل كورا والمجرة مقودا

وقال المتنبي:

وإني لنجم يهتدي صحبتي به ... إذا حال من دون النجوم سحاب

وقيل: فلان أدل من دعميص «١» الرمل لأنه بلغ آخر رمال بني سعد، ولم يبلغه غيره وعبد الله بن أريقط وهو الذي دل النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة وفلان أهدى من القطا ومن اليد إلى الفم.

القادر على المشي

قال أعشى باهلة:

لا يغمز الساق من أين ولا وصب ... ولا يعض على شرسوفه الصقر «٢»

وقال:

تحسبني محجلا سبط السا ... قين أبكي أن يظلع الجمل «٣»

المسرة بالعود من السفر سالما

قال ابن عيينة:

إذا نحن عدنا آيبين بأنفس ... كرام رجت أمرا فخاب رجاؤها

فأنفسنا خير الغنيمة إنها ... تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها

وقال:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر «٤»

وقال آخر:

رضيت من الغنيمة بالإياب

مسرة الراجع بقضاء الحاجة

قيل لأعرابي: ما السرور؟ قال: أوبة بغير خيبة. وقال آخر: غيبة تفيد غنى وأوبة تعقب منى وقال أبو تمام:

ما آب من آب لم يظفر بحاجته ... ولم يغب طالب للنجح لم يخب." (١)

"وسأل الحجاج أصحابه: أي شيء أذهب للتعب؟ فقيل: التمريخ»

وقيل الحمام وقيل النوم وكان فيهم فيروز فقال ما شيء أذهب للتعب من قضاء الحاجة قال المؤلف وهذا من قول القطامي:

وقد يهون على المستنجح العمل

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٦٥١

الدعاء للمسافر

كما يقال للمسافر استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل:

اللهم أطو له البعيد وهون عليه السير وقال: نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، ومن الحور بعد الكور. اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والوطن.

(٧) ومما جاء في الحنين إلى الأوطان

رضي الناس بمسقط رأسهم

قال النبي صلى الله عليه وسلم: لولا حب الوطن لخربت بلاد السوء. وقيل: بحب الأوطان عمارة البلدان.

وقال ابن عباس: لو قنع الناس بأرزاقهم قنوعهم بأوطانهم لما شكا عبد رزقه. **وقيل لأعرابي**: كيف تصبرون؟ على جفاء البادية وضيق العيش؟ فقال: لولا أن الله تعالى أقنع بعض العباد بشر البلاد ما وسع خير البلاد جميع العباد، وقال بعض الفلاسفة فطرة الرجل معجونة بحب الوطن.

فضل محبة الوطن

روي في الخبر: حب الوطن من طيب المولد. وقال أبو عمرو بن العلاء مما يدل على كرم الرجل وطيب غريزته حنينه إلى أوطانه وحبه متقدمي إخوانه وبكاؤه على ما مضى من زمانه.

وقالت العجم: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة وإلى مسقط رأسها تواقة. وسمع أبو دلف رجلا ينشد:

ألقى بكل بلاد إن حللت بها ... ناسا بناس وإخوانا بإخوان

فقال: هذا الأم بيت قالته العرب، لقلة حنينه إلى ألافه.

الحث على صيانة مسقط الرأس

قيل: لا تجف بلدا فيه قوابلك، وأرضا تبنكها «٢» قبائلك. وقيل: إحفظ بلدا." (١)

"وكتب قيصر إلى الرشيد على سبيل المعاياة: إبعث إلي بشر الطعام على شر الدواب مع شر الناس فبعث إليه جبنا على حمار مع خوزي.

وقيل: اصبر على الذل من الحمار. ويضرب المثل به في الصوت، قال الله تعالى:

إن أنكر الأصوات لصوت الحمير

«١» **وقيل لأعرابي**: ألا تركب الحمار؟ فقال: إنه عثرة منخرة، تبوع للحجرة. وقيل: الحمار مطية الدجال قال شاعر:

إن الحمار مع الحمار مطية ... فإذا خلوت به فبئس الصاحب

وقيل لبعضهم: أي مركوب كلما كان أكبر كان أذل لصاحبه؟ فقال: الحمار. وقيل:

لا تركب الحمار فإنه إذا كان سلسا أتعب يديك، وإن كان بليدا أتعب رجليك.

ولقي جحظة بعض أصحابه على حمار فقال: مالك اقتصرت على ركوب حمار، لا يساوي ثمن قضيمه؟ فأنشأ يقول:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٦٥٢

لا تنكرني على حمار ... يضيع في مثله الشعير

وكيف لا يمتطي حمارا ... من جل إخوانه حمير

وقال:

ولا عن رضا كان الحمار مطيتي ... ولكن من يمشي سيرضى بما ركب

(٢) فضل الفرس

قال الله تعالى في الامتنان به: ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم

«٢» ومن فضيلته أن النبي صلى الله عليه وسلم أسهم له سهمين، ولم يجعل لراكبه المسلم إلا سهما. وقال صلى الله عليه وسلم: الخيل معقود في نواصيها الخير.

وقال رجل من الأنصار وقد روي لامرئ القيس:

الخير ما طلعت شمس وما غربت ... معلق بنواصي الخيل معصوب

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرغ فرسا له، ثم جعل يمسحه بردائه، فقيل له في ذلك فقال:

بت البارحة وجبريل يعاتبني في سياسة الخيل.

وكانت العرب لا تهنأ إلا بثلاث إذا ولد للرجل ذكر قيل له ليهنك الفارس، وإذا نبغ في الحي شاعر قيل لوالده ليهنك من يذب «٣» عن عرضك، وإذا نتج مهرا قيل له: ليهنك ما تطلب عليه الثأر.." (١)

"وقال علقمة يصف ناقة:

تلاحظ السوط شزرا وهي ضامرة

وقال الكميت:

إذا اعصوصبت في أنيق فكأنما ... بزجرة أخرى من سواهن تضرب

الجيد العدو

قيل لأعرابي: كيف عدو فرسك؟ قال: يعدو ما وجد أرضا. وقيل لآخر، فقال: همه أمامه وسوطه عنانه، وما ضربه أحد إلا ظلما.

وقال أعرابي في صفة فرس وهو رخو العنان، كأن له في كل قائمة جناحا. وذكر رجل فرسا فقال: كأنه شيطان، في أشطان إذا أرسل لمع لمع سحاب، أقرب الأشياء إليه الذي تقع عينه عليه.

ووصف ابن القرية فرسا بعثه الحجاج إلى عبد الملك: بعثت بفرس حسن القد أسيل الخد، يسبق الطرف ويستغرق الوصف.

وكتب عمرو بن مسعدة: يمر بالشباب مع قواه ويسير بالشيخ تحت هوان.

لاحق غير ملحوق

عرض أعرابي فرسا للبيع، فقيل له: كيف هو؟ فقال: ما طلبت عليه إلا لحقت ولا طلبت إلا فت. فقيل له: ولم تبيعه؟

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٦٦٩/٢

فأنشأ يقول:

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... كرائم من رب لهن ضنين

وقال المرقش:

ويسبق مطرودا ويلحق طاردا ... ويخرج من غم المضيق ويخرج

قال الناشيء:

لم يعتصم ذو مهرب بفراقه ... يوما ولاذ ومطلب بلحاقه

وقال المتنبي:

أدركته بجواد ظهره حرم

المدرك ما طلب

قال امرؤ القيس، وهو أول من ابتدعه:

بمنجرد قيد الأوابد هيكل «١»

وقال الأسود:

قيد الأوابد والرهان جواد." (١)

"وقال لبيد:

كأخنس ناشط جادت عليه ... ببرقة واجف إحدى الليالي

وكل ذلك يدخل في صفة الوحشيات.

المشبه بالسفينة

قال المثقب:

كأن الكور والأنساع منها ... على قرواء ماهرة دقين

يشق الماء جؤجؤها وتعلو ... غوارب كل ذي حدب مصين «١»

وقال أبو النجم:

كأنه إذ خط في الزمام ... قرقور ساج مرسل الخطام

فهو يشق الماء بانتحام

وقال النابغة:

يستن في ثني الجديل وينتحي ... فعل الخلية في الخليج الجاري

القليل المبالاة ببعد المفاوز

وقال الحطيئة:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٦٧٣/٢

إذا نظرت يوما بمؤخر عينها ... فإلى علم بالغور قالت له أبعد

المتقدم على ما يسايره من المطايا

قيل لأعرابي كيف بعيرك؟ قال: يتدرع المطايا إذا ما شته بغباره ويخدن إذا برك في آثاره، لا يبرك خفيا يتقدمه فهو كما قال:

موكلة بالأقدمين فكلما ... رأت رفقة فالأولون لها تصبو

وقال أبو نواس:

تذر المطي أمامها فكأنها ... صف تقدمهن وهي إمام «٢»

أخذه ابن المعتز وأبدع فقال:

وهي إمام الركب في ذهابها ... كسطر بسم الله في كتابها

وقال المتنبي:

يمشي إذا عدت المطي وراءها ... ويزيد وقت جمامها وكلاله «٣»." (١)

"تيسه ويهجو ابن عمه. وقيل: فلان أعلم من تيس بني حمان زعموا أنه نفظ سبعين عنزا بعد أن فريت أوداجه وحكى أن ثورا وثب على نقرة بعد أن خصي فأحبلها.

حمل الشاة ولادتها

قال الأصمعي: الوقت الجيد في حمل الشاة أن تخلى سبعة أشهر بعد ولادتها ويكون حملها خمسة أشهر فتلد في السنة مرة فإن حمل عليها في السنة مرتين فذلك الأمغال يقال أمغل.

وقيل لأعرابي بأي شيء تعرف حمل شاتك فقال: إذا ترزم حياؤها وزجت شعرتها، واستفاضت خاصرتها.

ذم العير

إشترى رجل من طيء عنزا بثمانية دراهم من ابن عم له يقال له حميد فلم يحمدها فقال:

لقد لقيت من حميد داهيه ... من أعور العين مشوم الناصيه «١»

قد باعني الغول بأرض خاليه ... أعجبني ضرع لها كالداليه

فقلت ما هذا بجد غاليه ... ليت السباع لقيتها عاديه

أسأل رب الناس منها العافيه

(٤) ومما جاء في الوحشيات

البقر

تسمى مولعة لتولع جسدها، ومذرعة لكون طرفها أسود وسائرها أبيض وتوصف بأنها مخدمة الشرى وخنساء لخنس أنفها وذيالا لطول ذنبها قال الجعدي:

ووجها كبرقوع القناة ملمعا ... وروقين لما يعد وإن تقشرا

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٦٩٤/٢

وقال لبيد في وصف بقرة وحش أكل وحيش ولدها:

أفتلك أم وحشية مسبوعة ... خذلت وهادية الصوار قوامها

لمعفر فهد تنازع شلوه ... غبش كواسب ما يمن طعامها

الثور

يوصف باللهق لبياضه وبالزهرة ولذلك قال:

ولاح أزهر مشهور بنقبته ... كأنه حين يعلو عاقر لهب." (١)

"وتزعم المجوس أن أهرمن «١» لما قسم الشرور والسموم كان أخذ من الجرذ شرا فحضر وقد قسم الشر فتداخلها الحسرة فتراها متى اشتدت تتذكر ما فاتها لتباطئها فتقوم وتتحسر.

الخنفساء

موصوفة بالصبر. وربما غرز على ظهرها شوكة فتجول كأنها عقرت. وربما تكون في العلف فيأكلها البعير فمتى وصلت إلى جوفه حية قتلته. وهي موصوفة باللجاج، قال:

أشد لجاجا من الخنفساء

أم حبين

دويبة أصغر من الحرباء كدرة المسراة، بيضاء البطن. **وقيل لأعرابي** ما تأكلون؟ قال:

ما دب ودرج إلا أم حبين، فقال: لتهن أم حبين العافية.

الظربان

على خلقة الكلب الصيني أخبث دابة مساءة لا يقوم لفسوها شيء. وتأتي جحر الضب فتفسو فيه وتضيق عليه حتى تدار به فيأخذه ويأكله ويسمى مفرق النعم لأنها إذا فست فيها ابدت تأذيا بفسوها وقيل: فسا بينهم الظربان إذا تفرقوا.

الوجرة

دويبة كالغطاءة حمراء تلزق بالأرض وقيل وجر صدره إذا التزق بالعداوة التزاق تلك بالأرض، وهذا كما يقال للحقود ضب.

العضرفوط

دويبة لا خير فيها تذكر العرب أنها لا تبول ألا تشعر بذنبها تلقاء القبلة والحيات تأكله.

الجعل

يموت من ريح الورد ويعيش بالروث.

قال المتنبي:

كما تضر رياح الورد بالجعل

وتحرس القوم. فكلما قام قائم منهم لحاجته تبعه وهو يدحرج الجعر.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٧٠٠

قال يهجو:

حتى إذا أضحى تدري فاكتحل ... بجارتيه ثم ولى فنبل

رزق الأنوقين قرينا والجعل." (١)

"ليس في كلام العرب مثل كنهبل [١] إلا قرنفلا وحدنبلا، وهي لعبة الصبيان.

قال: وأنشدنا ابن الأعرابي: [الرجز]

حدنبلى حدنبلى يا صبيان قد ... طرقت ناقتكم بانسان

[١٨٥ ظ] فذاكرت أبا سعيد السكرى بذك فقال: هذا غلط، أخبرني محمد بن حبيب، وأبو الحسن الطوسي، عن ابن الأعرابي، أنشد لسالم بن دارة في بني فزارة: [الرجز]

حدبدبى بدبدبى يا صبيان ... حدبدبى بدبدبى من الآن [١]

حدبدبى بدبدبى حدنبان ... إن بني فزارة بن ذبيان

قد طرقت ناقتهم بانسان ... مشياء سبحان خلق الرحمن

[قالت العرب]

قال أبو الحسن: العرب تقول: أخذ فلان في كل فن وعن وسن.

فالفن [٢] الناحية، والعن [٣] : ما عرض له، والسن [٤] : القصد.

ويقال: رجل مفتن، أي يأخذ في كل ناحية وطريق من العلم، وهو مدح، فاذا ذموه قالوا: فلان متفنن، أي مختلف الأمر، مأخوذ من الفنن، وهو الغصن، وذلك أن الغصنة تذهب مذاهب مختلفة على غير استقامة.

[في الخضاب]

قال: **وقيل لأعرابي**: ألا تخضب؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: لأن

---

[١] حدبدبى: لعبة للنبيط. (القاموس المحيط: حدب)

[٢] الفن: الحال، والضرب من الشيء، وافتن أخذ في فنون من القول. (القاموس المحيط: فنن)

[٣] العن: عن الشيء يعن، إذا ظهر أمامك واعترض، كاعتن، والاسم: العنن (القاموس: عنن)

[٤] االسن: سنن الطريق، نهجه وطريقته، وجاءت الريح سناسن، على طريقة واحدة، والسنن: الإبل تستن في عدوها. (القاموس: سنن)." (٢)

"١٤٥- إنك خير من تفاريق العصا

قالوا: هذا من قول غنية الأعرابية لابنها وكان عارما كثير التلفت إلى الناس مع ضعف أسر ودقة عظم، فواثب يوما فتى

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٧٢٤

(٢) المجموع اللفيف ابن هبة الله ص/٤٩٠

فقطع الفتى أنفه، فأخذت غنية دية أنفه، فحسنت حالها بعد فقر مدقع، ثم واثب آخر فقطع أذنه، فأخذت ديتها، فزادت حسن حال، ثم واثب آخر فقطع شفته، فأخذت الدية، فلما رأت ما صار عندها من الإبل والغنم والمتاع، وذلك من كسب جوارح ابنها حسن رأيها فيه وذكرته في أرجوزتها فقالت:

أحلف بالمروة حقا والصفا ... أنك خير من تفاريق العصا

قيل لأعرابي: ما تفاريق العصا؟ قال: العصا تقطع ساجورا، والسواجير تكون للكلاب وللأسرى من الناس، ثم تقطع عصا الساجور فتصير أوتادا، ويفرق الوتد، فتصير كل قطعة شظاظا، فإن جعل لرأس الشظاظ كالفلكة صار للبختي مهارا، وهو العود الذي يدخل في أنف البختي، وإذا فرق المهار جاءت منه تواد، وهي الخشبة التي تشد على خلف الناقة إذا صرت، هذا إذا كانت عصا، فإذا كانت قناة فكل شق منها قوس بندق، فإذا فرقت الشقة صارت سهاما، فإن فرقت السهام صارت حظاء، فإن فرقت الحظاء صارت مغازل، فإن فرقت المغازل شعب به الشعاب أقداحه المصدوعة وقصاعه المشقوقة على أنه لا يجد لها أصلح منها وأليق بها.

يضرب فيمن نفعه أعم من نفع غيره.." (١)

"٥٨٨- أبرد من جربياء.

الجربياء: اسم للشمال، **وقيل لأعرابي**: ما أشد البرد؟ فقال: ريح جربياء، في ظل عماء، غب سماء. قيل: فما أطيب المياه؟ قال: نطفة زرقاء، من سحابة غراء، في صفاة زلاء. ويروى "بلاء" أي مستوية ملساء.." (٢)

"٢٠٩٧- صدرك أوسع لسرك.

يضرب في الحث على كتمان السر.

يقال: من طلب لسره موضعا فقد أفشاه، **وقيل لأعرابي**: كيف كتمانك للسر؟ قال: أنا لحده.." (٣)

"٣٦٠٧- لا آتيك مادام السعدان مستلقيا

قيل لأعرابي كره البادية: هل لك في البادية؟ قال: أما دام السعدان مستلقيا فلا، قالوا: وكذا ينبت السعدان.." (٤)

"٤٠٦٨- من يمدح العروس إلا أهلها؟

يضرب في اعتقاد الأقارب بعضهم ببعض وعجبهم بأنفسهم

قيل لأعرابي: ما أكثر ما تمدح نفسك! قال: فإلى من أكل مدحها؟ وهل يمدح العروس إلا أهلها؟." (٥)

"وعن ابن مسعود: ما يتعاون في العادة من الفأس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها. وعن عائشة الماء والنار والملح، وقد يكون منع هذه الأشياء محظورا في الشريعة إذا استعيرت عن اضطرار، وقبيحا في المروءة في غير حال الضرورة.

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٣٧/١

(٢) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ١١٧/١

(٣) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٣٩٦/١

(٤) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٢٣٣/٢

(٥) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٣١١/٢

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة أرأيت غفر الله له إن كان للزكاة مؤديا «١» »

سورة الكوثر

مكية، وآياتها ٣ «نزلت بعد العاديات» بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة الكوثر (١٠٨) : الآيات ١ الى ٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أعطيناك الكوثر (١) فصل لربك وانحر (٢) إن شانئك هو الأبتر (٣)

في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا أعطيناك، بالنون «٢» . وفي حديثه صلى الله عليه وسلم «٣» : «وأنطوا الثبجة» «٤» والكوثر: فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة. قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر: بم آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر. وقال:

وأنت كثير يا ابن مروان طيب ... وكان أبوك ابن العقائل كوثرا «٥»

---

(١) . أخرجه ابن مردويه والثعلبي والواحدي باسنادهم إلى أبي بن كعب. [.....]

(٢) . أخرجه الطبراني والدارقطني في المؤتلف والحاكم وابن مردويه والثعلبي من رواية عمرو بن عبيد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة وعمرو بن عبيد واهي الحديث.

(٣) . هو في الحديث المتقدم في سورة يونس.

(٤) . قوله «وأنطوا الثبجة» في القاموس «الشبجة» محركة: المتوسطة بين الخيار والرذال اه. (ع)

(٥) . للكميت. وأنت كثير: أى كثير الخير والبر. ويروى بدله: كوثر. وفي الهداء تنويه باسمه وتعظيم لقدره. واستعار الطيب لحسن السيرة. ويجوز أنه ضد الخبيث. والعقائل: خيار النساء، والمراد جنسهن أو ما يشمل الجدات. والكوثر: بليغ النهاية في الخير.." (١)

"هل في الدار جارية تسمى فضة؟ قالوا: نعم، فقال: فضة أخذت الفضة، فكان كما قال.

٢٠- صلب منجم، فقيل: هل رأيت هذا في نجمك؟ فقال:

رأيت رفعة ولكن لم أعلم أنها فوق خشبة.

٢١- قال أبو حنيفة الدينوري «١» في كتاب الأنواء: المنكر هو نسبة الأمر إلى الكواكب وأنها هي المؤثرة، فأما من نسب الأثر إلى خالق الكواكب، وزعم أنه ضربها أمارة «٢» ، ونصبها أعلاما على ما يحدثه ويجدده في كل أوان بمشيئته الربانية فلا جناح «٣» عليه.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٨٠٦

٢٢- المأمون: علمان نظرت فيهما وأنعمت فلم أرهما يصحان، النجوم والسحر.

وللمأمون:

والله ما تختلف النجوم ... وتضرب الشمس فلا تقوم

وقمر في فلك يعوم ... إلا لأمر شأنه عظيم

تقصر دون علمه العلوم

٢٣- في ديوان المنظوم:

وأطلب من الله السعادة في الذي ... ترجو وخل الكوكب المسعودا

إن الكواكب فوق عجزك عجزها ... من أين تمنح غيرهن جدودا

٢٤- **قيل لأعرابي**: ما أعلمك بالنجوم! قال: ومن الذي لا يعلم أجذاع بيته.

٢٥- **وقيل لأعرابية**: أتعرفين النجوم؟ فقالت: سبحان الله، أما." (١)

"كبير مؤونة، قيل: كيف؟ قال: دام بي العري فاعتاد بدني ما تعتاده وجوهكم.

١٧- **قيل لأعرابي**: ما أشد البرد، فقال: إذا صفت الخضراء «١» ، ونديت الغبراء «٢» ، وهبت الجربياء «٣» .

١٨- دخل أبو العيناء «٤» على ابن عبد الرحمن بن خاقان «٥» في يوم شات، فقال: كيف تجد هذا اليوم؟ فقال: تأبى نعماؤك أن أجده.

١٩- أعرابي: أصبحت الشمال تتنفس الصعداء.

٢٠- هبت ريح شديدة فقيل: قامت القيامة. فقال زبدة المخنث:

هذه قيامة على الريق بلا خروج الدجال ولا دابة الأرض ولا طلوع المهدي «٦» نسأل الله بركة قدومه.." (٢)

"٢١- أبو الحسن الطوسي «١» صاحب الأصمعي:

هجم الشتاء ولا أم ... لك إلا رواية العربية

وقميصا لو هبت الريح لم تب ... ق على عاتقي منه بقية

٢٢- كان للمتوكل بيت مال يسميه بيت مال الشمال كلما هبت الريح شمالا تصدق بألف درهم.

٢٣- القاضي التنوخي:

وليلة ترك البرد البلاد بها ... كالقلب أشعر يأسا فهو مثلوج

فأن بسطت يدا لم تنبسط خصرا ... وأن تقل فيقول فيه تثبيج «٢»

فنحن فيها ولم نخرس ذوو خرس ... ونحن فيها ولم نفلج مفاليج

٢٤- **قيل لأعرابي**: ما أعددت للبرد؟ قال: طول الرعدة» .

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٨٧/١

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١٣٥/١

فنظمه ابن سكرة الهاشمي «٤» :

قيل ما أعددت للبر ... د فقد جاء بشدة

قلت دراعة عري ... تحتها جبة رعدة

٢٥- آخر:

إني لأرجو أن تموت الريح ... فاقعد اليوم واستريح

هو قول ذراء ود أن تهدأ الريح فيهدأ من الذراية «٥» .." (١)

"٣٨- ويقولون: إذا أمسى النجم قم راس، فليله فتى وفاس.

يعنون أن الفتى يحتطب فيها بالفأس، لأنه لا بد له من الصلاء «١» .

٣٩- الأصمي: رأيت أعرابيا قد حفر قرموصا «٢» وقعد فيه في أول الشتاء، فقلت: ما صيرك إلى هذا؟ قال: شدة البرد، وأنشأ يقول:

أيا رب هذا البرد أصبح كالحا ... وأنت بصير عالم لا تعلم

لئن كنت يوما ما جهنم مدخلي ... ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

٤٠- قيل لأعرابي في الشتاء: أما تصلي: قال: البرد شديد، وما علي كسوة أصلي فيها، وقال:

إن يكسني ربي قميصا وريطة ... أصل وأعبده إلى آخر الدهر «٣»

وإن لا يكن إلا بقايا عباءة ... مخرقة مالي على البرد من صبر

٤١- كلما كان الساتر أشد اكتنازا، كان الظل أشد سوادا. وليس يكون ظل أبرد ولا أشد سوادا من ظل جبل.

٤٢- في ديوان المنظوم:

شتاء تقلص الأشداق منه ... وبرد يجعل الولدان شيبا

وأرض تزلق الأقدام فيها ... فما تمشي بها إلا دبيبا «٤»

وفيه:

أقبلت يا برد بوجه أجرد ... يفعل بالأوجه فعل المبرد

أظل في البيت كمثل المقعد ... منقبضا تحت الكساء الأسود." (٢)

"قالوا: أحسن منه قول الحطيئة «١» :

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره ... تجد خير نار عندها خير موقد

ثم قال: ما كان ينبغي أن يمدح بهذا البيت إلا خير أهل الأرض، وعلى أني أعجب بمعناه أكثر من عجبي بلفظه وطبعه ونحته وسبكه. يعني أنه مطبوع غير مصنوع متعمل، منحوت من الأبن «٢» والزوائد الفاضلة، مسبوك كما تسبك الفضة

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١٣٦/١

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١٤١/١

في جودة بيانه ونظمه، حيث جود في تعشو وإيقاعه حالا، وقوله خير نار وما فيه من التجريد، ولم يقل تجدها خير نار، وجمع بين الخيرين.

[وكانوا] يوقدون النار يهولون بها على الأسد، فإذا عاينها حدق إليها واستهالها فتشغله عن السابلة «٣» . ومر ناس بوادي السباع «٤» فعرض لهم سبع، فأوقدوا نارا، وضربوا على الطاس الذي معهم فأحجم عنهم.

٥٠- يقال لنار العرفج «٥» نار الزحفتين، لأن صاحبها لا يزال يزحف إليها وعنها لسرعة «اتقادها وانطفائها.

٥١- **وقيل لأعرابي**: ما بال نسائكم رسحا «٦» ؟ فقال أرسحهن عرفج النار.." (١)

"بئسا قرينا يفن هالك ... أم عبيد وأبو مالك «١»

كنية المفازة والجوع.

٣٥- **قيل لأعرابي**: كيف تصنعون بالبادية إذا اشتد القيظ وانتعل كل شيء ظله؟ قال: وهل العيش إلا ذاك، يمشي أحدنا ميلا ليرفض عرقا، ثم ينصب عصاه، ويلقي عليها كساه، ويجلس في قبة يكتال الريح، فكأنه في إيوان كسرى.

٣٦- **قيل لأعرابي**: ما أصبركم على البدو! قال: كيف لا يصبر من طعامه الشمس، وشرابه الريح؛ لقد خرجنا في إثر قوم قد تقدمونا بمراحل، ونحن حفاة، والشمس في قلة «٢» السماء، حيث انتعل كل شيء ظله، وما زادنا إلا التوكل، وما مطايانا إلا الأرجل حتى لحقنا بهم.

٣٧- عبيد «٣» :

لعمرك إني والظليم بقفرة ... لمشتبها الأهواء مختلفا النجر «٤»

خليلا صفاء بعد طول عداوة ... ألا يا لتقليب القلوب وللدهر

٣٨- اجتمع السرو «٥» ، والنوك «٦» ، الخصب، والوباء، والمال، والسلطان، والصحة والفاقة «٧» بالبادية؛ فقالوا: إن البادية لا تسعنا، فقالوا نتفرق في الآفاق؛ فقال السرو: أنا منطلق إلى اليمن، فقال النوك: وأنا معك وقال الخصب: أنا إلى الشام، فقال الوباء: أنا معك؛ وقال المال: أنا." (٢)

"- الملح الكشي «١» من خصائص سعد «٢» سمرقند، يكون أحمر، فإذا دق كان أشد بياضا من غيره.

٤١- افتتح هشام بن عمرو «٣» القندهار «٤» فوجد سارية من حديد طولها مائة ذراع، ثلاثون منها في الأرض: فسأل عنها، فقيل: قدم تبع «٥» بلادنا ومعه أبناء فارس فافتتحوها، وقالوا لا نجاوز هذه البلاد أبدا، وعمدوا إلى سيوفهم فضربوها حديدة واحدة فهي هذه.

٤٢- **قيل لأعرابي**: صف الزلزلة، فقال: كأنها فرس انتفض ثم راجع.

٤٣- عمر «٦» : عنه عليه الصلاة والسلام: إذا جار الحاكم قل المطر، وإذا غدر بالذمة ظفر العدو، وإذا ظهرت الفاحشة

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١٥٨/١

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١٧٦/١

كانت الرجفة.

٤٤- أبو هريرة: عنه عليه الصلاة والسلام: لتقمص «٧» بكم قماص البكر «٨» ، يعني الأرض ورجفتها.." [١]

"القمان، وللريحان: أبو النضر، وللنرجس: أبو العيناء، وللجوز: أبو القعقاع.

١٢٧- يقال: أعظم بركة من نخلة مريم، وكانت العجوة «١» . قال صاحب المسالك «٢» : هي ببيت المقدس، غرست منذ أكثر من ألفي سنة، وهي منحنية.

تفاحة شامية ... من كف ظبي غزل

ما خلقت إذ خلقت ... إلا لأجل القبل

كأنما حمرتها ... حمرة خد خجل

١٢٨- قيل لأعرابي ألف الحضر وخصبه: أما تخرج إلى البادية؟

فقال: أما ما استلقى السعدان «٣» فلا. يريد أبدا، لأن السعدان لا ينبت إلا مستلقيا.

١٢٩- محمد بن عبد الله بن طاهر «٤» في الورد:

كأنهن يواقيت يطيف بها ... زبرجد وسطه شذر من الذهب «٥»." [٢]

"١٣٠- دار أصلها في التخوم، وفرعها في النجوم.

١٣١- قيل لأعرابية: أين منزلك؟ قالت: أغيب في الليل إذا عسعس «١» ، وأنقلب في النهار إذا تنفس، ثم اتخذت منزلا فسئلت عنه، فقالت:

فأما على كسلان وان فساعة ... وأما على ذي حاجة فقريب

١٣٢- محمد بن واسع: قدمت مكة فسمعت سالم بن عبد الله بن عمر «٢» عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من دخل السوق فقال لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة. فقدمت خراسان فقلت لقتيبة بن مسلم: جئتك بهدية، فحدثته بالحديث، فكان يركب في موكبه حتى يأتي السوق، فيقولها ثم ينصرف.

١٣٣- النبي صلى الله عليه وسلم: إياكم والأسواق، فإن الشيطان قد باض بها وفرخ.

١٣٤- وقيل للشعبي «٣» : أين فرخ إبليس؟ قال: في الأسواق، قيل: وكيف؟ قال: لأن في الأسواق ما يسره من البخس، والتطفيف، والغش، والخيانة، والمدح، والذم بغير حق، وخلف الوعد، ومطل «٤» الحقوق، والتعاون على الأباطيل.

١٣٥- سوق العروس ببغداد مجمع الطرائف، ولذلك نسبت إلى." [٣]

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١٧٨/١

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢٣٢/١

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢٨٠/١

"٦- علي رضي الله عنه: ليس من أحد إلا وفيه حمقة «١» فيها يعيش.

٧- الأحنف: إني لأجالس الأحمق ساعة فأتبين ذلك في عقلي.

٨- المبرد «٢» : دخلت دير هزقل «٣» فرأيت مجنونا مربوطا، فدلعت لساني في وجهه، فنظر إلى السماء وقال: لك الحمد والشكر، من حلوا ومن ربطوا؟ ودير هزقل موضع للمجانين يربطون فيه ويعالجون، يقال للذي تجنن «٤» كأنه من دير هزقل.

٩- قيل لمجنون: عد لنا مجانين البصرة، قال: كلفتموني شططا، أنا على عد عقلائها أقدر «٥» .

١٠- قيل لأعرابي: أيسرك أنك أحمق وأن لك مائة ألف درهم؟

قال لا، قيل ولم؟ قال: لأن حمقة واحدة تأتي عليها، أبقى أحمق.

١١-[شاعر] :

عذلوني على الحماقة جهلا ... وهي من عقلهم ألذ وأحلى

حمقي قائم بقوت عيالي ... ويموتون إن تعاقلت هزلا

١٢- اصطحب أحمقان في طريق، فقال أحدهما: تعال نتمن فإن الطريق يقطع بالحديث، فقال أحدهما: أنا أتمنى قطائع غنم أنتفع." (١)

"أبوك أب سوء وخالك مثله ... ولست بخير من أبيك وخالكا

يصيب وما يدري ويخطىء ومادرى ... وكيف يكون النوك إلا كذلكا «١»

١٦- جابر بن عبد الله: كان رجل متعبد في صومعة، فمطرت السماء وأعشبت الأرض، فرأى حماره يرعى في ذلك العشب، فقال: يا رب لو كان لك حمار لرعيته مع حماري، فبلغ ذلك بعض الأنبياء، فهم أن يدعو عليه، فأوحي إليه: ان لا تدع عليه، فإني أجازي العباد على قدر عقولهم.

١٧- وهب بن منبه: خلق ابن آدم أحمق، ولولا حمقه ما هنأه عيش.

قيل لأعرابي: يا مصاب، قال: أنت أصوب مني، أي أجن. وفي عقله صابة «٢» .

١٨- يقال: هو سليم الصدر، معدود في أهل الجنة، هو ذو حمق وافر وعقل نافر. ليس معه من العقل إلا ما يوجب حجة الله عليه. لو كان في بني إسرائيل فامروا بذبح بقرة ما ذبح غيره. عقله منه على سفر.

١٩-[شاعر] :

يظن بأن الحمل في القطف ثابت ... وأن الذي في داخل التين خردل

٢٠- هو ذو بصيرة بلهاء عند تشابه النوائب، وتجربة عمياء عند تأمل العواقب.

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢/ ٤٠

٢١- يقال للأبله السليم القلب: هو من بقر الجنة، لا ينطح ولا يرمح «٣» ، وللأحمق المؤذي: من بقر سقر «٤» .." (١)

"الثلج والخلاف «١» ، فقال له: اخلع قميصك، فجعل يعالج زره فأبطأ، فطأطأ رأسه يريد أن يتعاطاه بيده، ثم قال: يا أبا سعيد ما لي أراك منهوك الجسم، لعل ذلك من سوء ولاية، وقلة نفقة، ألا نأمر لك بخادم لطيف، ونفقة توسع بها على نفسك! قال: إني من الله في سعة، وإني منه لفي عافية، ولكن الكبر والحر، فقال: لا والله، ولكن العلم بالله، والزهد فيما نحن فيه.

٧٦- **قيل لأعرابي**: أتعرف الجمال؟ قال: أي لعمري، قالوا: وما هو؟ قال: عظم الأنف، وسعة الشدق، وضخم القدمين والكفين.

٧٧- خطب رجل عظيم الأنف امرأة، فقال لها: قد علمت شرفي، وأنا كريم المعاشرة محتمل للمكاره، فقالت: ما أشك في احتمالك المكروه، مع حملك هذا الأنف منذ أربعين سنة.

٧٨- ابن الرقيات «٢» :

زعم ابن قيس وهو غير مكذب ... أن القباح بقوتهن عوال

إن القباح على الرجال رزية ... لا تنكحن قبيحة بقبال «٣»

٧٩- سأل ابن قريعة القاضي «٤» رجل عن حد القفا، يريد تخجيله، فقال: ما اشتمل عليه جربانك «٥» ، ومازحك فيه إخوانك، وأدبك عليه سلطانك، وباسطك فيه غلمانك، هذه حدود أربعة.

٨٠- كان واصل بن عطاء طويل العنق، فنظر إليه رجل يوما فقال:." (٢)

"وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.

٥٣- ورد على المنصور كتاب من مولى له بالبصرة أن سلما «١» ضربه بالسياط، فاستشاط وقال: أعلي يجترىء سلم؟ والله لأجعلنه نكالا «٢» .

فأطرق جلساؤه، ثم هدأ غضبه وجعل يقرأ كتبا بين يديه، فقال ابن عياش «٣» ، وكان أجرأهم عليه،: يا أمير المؤمنين قد رأينا من غضبك على سلم ما شغل قلوبنا، وإن سلما لم يضرب مولاك بقوته ولا قوة أبيه، ولكنك قلدته سيفك، وأصعدته منبرك، فأراد مولاك أن يطأطىء منه ما رفعت، ويفسد ما صنعت فلم يحتمل ذلك، وروي لنا عن جدك.

٥٤- عبد الله بن عباس رضي الله عنه: غضب العربي في رأسه، فإذا غضب لم يهدأ حتى يخرجه بلسان أو يد، وغضب النبطي «٤» في إسته «٥» ، فإذا خرى ذهب غضبه. فضحك المنصور وكف عن ذكر سلم.

٥٥- **قيل لأعرابي**: كيف وجدت فلانا؟ [قال] : بخير، زين الحلم، واسع العلم، إن فاخرته لم يكذب، وإن مازحته لم

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢/٤٢

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢/١٩٦

يغضب.

٥٦-[راجز] :." (١)

"١٨- **قيل لأعرابي**: فلان يعيبك. فقال: ذاك المائل عن المجد رجلا، الملطي باللؤم وجها، قد ينبح الكلب القمر.

١٩- شتم رجل حكيما فقيل له هلا غضبت فقال: كفاه خسة أن يشتم ولا يشتم.

٢٠- الحكم بن قنبر «١» :

ومن دعا الناس إلى ذمه ... ذموه بالحق وبالباطل

مقالة السوء إلى أهلها ... أسرع من منحدر سائل «٢»

٢١- تساب بدويان، فقال أحدهما لصاحبه: أراك والله تعطس عن أنف طالما جدع على الهوان. فقال صاحبه: والله لئن لم تكف عني شر لسانك، ولم تستر دوني عورة نسبك لأصدعن صفاتك بمعول لا ينبو «٣» عن مضربه، ولأحصدن رأسك بمنجل لا ينثني عن مأخذه. فقال الأول: لا تسعر «٤» نارنا، ولا تطلب عوارنا «٥» ، فإن سفه الجاهل بلسانه وسفه اللبيبة في يده، وكأني بك وقد وعيت مني كلاما يمنعك الشراب البارد، ويشمت بك الصادر والوارد، وقل من تمرد على العافية إلا تمرد عليه البلاء. فانقلب عنه مغيظا يهمهم.

٢٢- حكيم: أبصر الناس بعوار الناس المعور» .

٢٣- بعض السلف: عجبا لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح؟

عجبا لمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب؟.." (٢)

"في صدوره وقال: أوه لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة! إنكم كنتم أذل الناس، وأحقر الناس، وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام. فمتى ما تطلبوا العز بغيره يذلكم.

٤- منصور الفقيه «١» :

يا من له من تميم ... عم نبيل وخال

إن لم يكن لك تقوى ... ولم يكن لك مال

فأجلس فأنت ذليل ... بحيث تلقى النعال

٥- تميم الداري «٢» : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين، بعز عزيز يعز به الله الإسلام، وذل ذليل يذل الله به الكفر.

٦- **قيل لأعرابي**: كيف تقول استخذأت أو استخذيت؟ قال: لا أقوله، قيل، ولم؟ قال: لأن العرب لا تستخذي.

٧- أوس بن حارثة الطائي: من قل ذل، ومن أبر فل «٣» .

٨- يقال: ما هو إلا جمل السقاية وحمار الحوائج، للممتهن.

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢/٢١٨

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢/٣١٥

٩- يقال: فلان يمزجر الكلب، إذا كان بعيدا من مجلس الناس لمهانته.

١٠- وعن بعض السلف: قف لي فوت الرقيب «٤» من الأيسار «٥» ،." (١)

"١٨- سمعت بدوية تقول في دعائها: يا صباح يا مناح، يا مطعم الواسع يا عريض الجفنة، يا أبا المكارم. فزجرها رجل، فقالت: دعني أصف ربي، وأمجد إلهي بما يستحقه من العرب.

وسمعت أنا منهم من يدعو عند الركن: يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه وهذا ونحوه مما يدعون به على عادة الجفاء والعنجهية والجهل بالتوقيف «١» . ولكنهم ينحون نحو غرض صحيح من ثنائهم على الله عز وجل بالكرم والنزاهة عن القبيح على طريق الاستعارة، لأنه لا فصل عندهم بين الكريم وأبي المكارم، ولا بين الجواد والعريض الجفنة، ولا بين المنزه والأبيض الوجه.

١٩- قيل لأعرابي: أتحسن أن تدعو؟ قال: نعم، اللهم إنك أعطيتنا الإسلام من غير أن نسألك، فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك.

٢٠- سمع موسى بن جعفر «٢» يقول في سجوده آخر الليل: يا رب عظم الذنب من عبدك. فليحسن العفو من عندك.

٢١- ذكر عند سلام بن أبي مطيع «٣» : الرجل تصيبه البلوى فيدعو، فتبطيء عنه الإجابة، فقال: بلغني أن الله تعالى يقول: كيف أرحمه من شيء به أرحمه.

٢٢- يحيى بن معاذ: اللهم إني جعلت الاعتراف بالذنب وسيلة إليك واستطلت بتوكلي عليك، فإن غفرت فمن أولى بذلك، وإن عاقبت فمن أعدل في الحكم منك، اللهم إن نظرت إلى عيون سخطك فلم تغفل عن استنقاذي منها عيون كرمك.." (٢)

"٢١- قيل لصوفي: كيف أصبحت؟ قال: أسفا على أمسي، كارها ليومي مهتما لغدي.

٢٢- وقيل لأعرابي فقال: كما يسوؤك طن كنت صديقا ويسرك إن كنت عدوا.

٢٣- وقيل لقراد «١» فقال: كيف يصبح من يرجو خير هذا، وأشار إلى قرده.

٢٤- كان معاوية يقوم لشيخ من أهل الشام قد بلغ التسعين، فقيل له، فقال إن فيه لشبها من رسول الله، وإنما أقوم لرسول الله.

٢٥- المودة شجرة الزيارة ثمرتها.

٢٦- نهض هشام «٢» عن مجلسه، فسقط رداؤه عن منكبه، فتناوله بعض جلسائه ليرده، فجذبه هشام من يده وقال: مهلا! إنا لا نتخذ جلساءنا خولا «٣» .

٢٧- ابن عباس: لجليسي علي ثلاث أن أرميه بطرفي إذا أقبل، وأوسع له إذا جلس وأصغي إليه إذا حدث.

٢٨- كان عمر بن عبد العزيز إذا دخل عليه سالم مولى بني مخزوم «٤» يتنحى له عن الصدر، وكان يسميه أخي في الله،

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣٤٠/٢

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣٥٤/٢

فيقال له في ذلك، فيقول: إذا دخل عليك من لا ترى لنفسك عليه فضلا فلا تأخذ عليه أشرف المجلس.

٢٩- قبل الأصمعي يد الرشيد بعقب كلام قرظه «٥» به فقال: والله يا." [١]

"١٧- يقال: فلان ركوب للأهوال «١» ، وفلان ألوف للظلال «٢» .

١٨- الغريب النائي عن أهله كالثور الناد «٣» عن اصطبله فهو لكل سبع فريسة، ولكل رام فريضة «٤» .

١٩- تميم الداري «٥» : لم تبق أرض لم يطأها، ولا واد لم يسلكه، حتى رأى الردم «٦» ووصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبلغ بلاد الظلمة وقطع وبار «٧» .

٢٠- حكيم: لا توحشنك الغربة إذا أنستك الكفاية مع لزوم الأوطان.

٢١- محمد بن عبد العزيز بن سهل «٨» من أمراء الجبل: قيل لأعرابي:

ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان.

٢٢-[شاعر] :

كأن لم تكن سعدى بأعناء غيقة ... ولم تر من معدى بهن منازل «٩»." [٢]

"ولم تتربع بالسرير ولم تكن ... لها الصيف خيمات العذيب الظلائل «١»

٣٢- قيل لبعد الواحد بن زيد «٢» من أصحاب الحسن: كيف كنت في سفرك؟ فقال: أبلاني الله في سفري هذا من حسن البلاء كأني لم أعصه قط.

٢٤- خرج أيوب السختياني «٣» في سفر فشيعه الناس، فقال: لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي أني لهذا كاره لخشيت المقت من الله.

٢٥- قيل لأعرابي: متى الرحيل؟ قال: تلغموا بيوم السبت. من قولهم فلان يتلغم بذكرك، أي يذكرك دائما، من اللغام.

٢٦- لا داء أدوى من الهجر إلا البين فإنه قاصمة الظهر.

٢٧- إن اعانتك الغربة على الزمن فلا تطع النزاع إلى الوطن.

٢٨- النجح مقيم في كنف الدؤوب.

٢٩- مر إياس بن معاوية بماء فقال: أسمع صوت كلب غريب.

فقيل له: بم عرفته؟ قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره.

٣٠- يقال للرجل المسفار «٤» خليفة الخضر «٥» ، قال أبو تمام.

خليفة الخضر، من يربع على وطن ... في بلدة، فظهور العيس أوطاني." [٣]

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢/٤١٧

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣/٨

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣/٩

"٣٤- دعبل «١» :

ويك إن القعود يلعب بالقعدد لعب الرياح بالبوغاء «٢» كذب الزاعمون أن دوا الهمو*- م قرب الخريدة الحسناء «٣»

ما دواء الهموم إلا المهاري ... تعتلي في التنوفة الملساء «٤»

فمتى أوثر النساء على العي ... س فأصبحت دامي الأنساء «٥»

إنتحت الحشا لهما دخيلا ... ترك القلب ناسيا للنساء

٣٥- **قيل لأعرابي**: إنك تبعد السفر! قال: رأيت ما في أيدي الناس أبعد مما في السفر.

٣٦- قيل لابن الأعرابي «٦» : لم سمي السفر سفرا؟ قال: لأنه يسفر عن أخلاق القوم، أي يكشف.

٣٧- شبهت الحكماء الغريب باليتيم ثكل أبويه، فلا أم ترأم «٧» له ولا أب يحدب عليه.

٣٨- الغريب كالغرس الذي زايل تربته فهو ذاو لا يثمر وذايل لا ينضر.

٣٩-[شاعر] :." (١)

"وتركت الثمام وقد خاص «١» ، فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- بلال «٢» رضي الله عنه:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة ... ويبدو لعيني شامة وطفيل «٣»

٤- **قيل لأعرابي**: أتشتاق إلى وطنك؟ فقال: كيف لا اشتاق إلى رملة كنت جنين ركامها، ورضيع غمامها.

٥- آخر: يحن الكريم إلى جنابه كما يحن الأسد إلى غابه.

٦- من علامة الرشدة أن تكون النفس إلى بلدها تواقة، وإلى مسقط رأسها مشتاقة.

٧- فلان برقت له بارقة من أرضه فضاق صدرا، ولم يعط صبرا، فحن حنين الإبل، وغمره حب الوطن، فكاد يسير على غوارب السحاب، ويطير بخوافي «٤» العقاب.

٨- شوق خشن الجوانب، وعر المناكب، مرير الحبل، ثقيل الظل.

٩- كاتب: لي إليك شوق لو أعرتني لسانك لشرحته، ولو منحتني بنانك لوصفته.

١٠- أنشد الجاحظ:

ألا يا سيالات الأخايل بالحمى ... عليكن من بين السيال سلام «٥»." (٢)

"حمزة بن عبد الله بن الزبير «١» فقال الأحوص «٢» :

وليس لسعد النار من تذكرونه ... ولكن سعد النار سعد بن مصعب

ألم تر أن القوم ليلة جمعهم ... بغوه فألفوه لدى شر مركب

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣/١١

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣/٦٤

وما يبتغي بالشر لا در دره ... وفي بيته مثل الغزال المربب «٣»

سعد النار شاطر كان بالمدينة، نسب إلى النار لارتكابه الموجبات.

فدعا سعد بالأحوص ليعزره فقال: دعني فلا والله لا أهجو زبيريا أبدا، فخلاه، ثم قال: ما أنكرت إلا قولك: وفي بيته مثل الغزال المربب.

٢٢- قال الجاحظ: قيل لرجل يتعشق قينة «٤» : لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها! فقال: من لي إذ ذاك بلذة الخلسة، ولقاء المسارقة، وانتظار الموعد على الرقبة، وإيقاع الكشح على مولاها؟.

٢٣- قيل لأعرابي: أزنيت قط؟ قال: معاذ الله إنما هما اثنتان: إما حرة آنف لها من فسادها، وإما أمة آنف لنفسي من الفساد بها.

٢٤- الحسن: إن في معاوية لثلاث مهلكات موبقات: غصب هذه الأمة أمرها، وفيهم بقايا من أصحاب رسول الله، وولى ابنه «٥» سكيرا." (١)

"ألم ترها لا أبعد الله دارها ... إذا رجعت في صوتها كيف تصنع

تمد نظام القول ثم ترده ... إلى صلصل في صوتها يترجع

وله:

إذا ما عج مزهرها إليها ... وعجت نحوه أذن كرام

وأصغوا نحوها الآذان حتى ... كأنهم وما ناموا نيام

٨٧- يعلى بن عقيل العنزي «١» في إسحاق الموصلي، وقيل هي للأصمعي:

أأن تغنيت للشرب الكرام ألا ... حيث الخليط جمال الحي فانطلقوا «٢»

وقيل أنت حسان الناس كلهم ... وابن الحسان فقد قالوا وقد صدقوا

فما بهذا تقوم النادبات ولا ... تبكي البواكي إذا ما ضمك الخرق «٣»

٨٨- قيل لأعرابي في يوم حار بحضرة قوم يتصايحون في الخيام:

أما ترى أجيج اليوم؟ فقال: إن ضجيج القوم أشد من أجيج اليوم.

٨٩- قدم عمر بن أبي ربيعة الكوفة فنزل على عبد الله بن هلال «٤» الملقب بصاحب إبليس، وكانت له قينتان «٥» ، فقال فيهما:

يا أهل بابل ما نفست عليكم ... من عيشكم إلا ثلاث خلال «٦»." (٢)

"٢٣- قيل للمقفع والد عبد الله «١» : هلا تحركت لتذكر كما ذكر ابنك؟ فقال: إني لما رأيت معالي الأمور مشفوعة بالمتالف اقتصرت على الخمول ضنا مني بالعافية. فاستحسنت الحكماء ذلك وقالوا: أنت في فعلك أحسن من

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٧٣/٣

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١٤٠/٣

عبد الله في قوله.

٢٤- بلاش بن فيروز «٢» : الأمن يجمع الأماني كلها. وكان يقول صحة الجسم أوفر القسم.

٢٥- بزرجمهر: إن كان شيء فوق الحياة فالصحة، وإن كان شيء مثل الحياة فالغنى، وإن كان شيء فوق الموت فالمرض. وإن كان شيء مثل الموت فالفقر.

٢٦- دعا الحجاج إلى طعامه في طريق الحج بدويا فقال أنا صائم.

قال: أفطر وتصوم غدا، قال: إن ضمنت لي البقاء إلى غد، قال: إنه طعام طيب، قال: إنك لم تطيبه ولا الخباز ولكن طيبته العافية.

٢٧- **قيل لأعرابي**: من أنعم الناس عيشا؟ قال: أنا، قيل: فما بال الخليفة؟ فخفس «٣» بأنفه وقال:

وما العيش إلا في الخمول مع الغنى ... وعافية تغدو بها وتروح

٢٨- علي رضي الله عنه: العجب لغفلة الحساد عن سلامة الأحساد. وعنه صحة الجسد من قلة الحسد.

- وعنه: ما المبتلي الذي قد اشتد به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء.." (١)

"١٠٦- آخر:

وأبثثته حالي وأنكبت معرضا ... ليفعل صوب المزن ما هو فاعله «١»

١٠٧- من كنت بحره لم يخثر الدر إلا ثمينا، وكان له الإقبال بما شاء ضمينا.

١٠٨- **قيل لأعرابي**: ما السقم الذي لا يبرأ، والجرح الذي لا يندمل؟ قال: حاجة الكريم إلى اللئيم.

١٠٩- أعرابي: تكون له الحاجة فيغضب قبل أن يطلبها، وتطلب إليه فيغضب قبل أن يفهمها.

١١٠- سأل أعرابي في جامع البصرة فقال: رحم الله من تصدق من فضل، أو آسى من كفاف، أو آثر من قوت. فقال يونس النحوي «٢» : ما ترك منكم أحدا إلا سأله.

١١١- أبو محلم السعدي «٣» :

إذا ما نبا دهر بمالك فانتجع ... قديم الغنى في الناس إنك حامده

ولا تطلبن الخير ممن أفاده ... حديثا ومن لم يورث المجد والده

١١٢- علي رضي الله عنه: استغن عمن شئت فأنت نظيره، واحتج إلى من شئت فأنت أسيره، وامنن على من شئت فأنت أميره.." (٢)

"حدثت عن جدك ابن عباس في قوله تعالى: ولقد كرمنا بني آدم

«١» ، قال: جعلنا لهم أيديا يأكلون بها. فكسر الملعقة.

٢١- أكل عذري «٢» مع معاوية فرأى ثريدة كثيرة السمن فجدها بين يديه، فقال معاوية: أخرقتها لتغرق أهلها

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١٦٣/٣

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١٨٦/٣

«٣» ، فقال: فسقناه إلى بلد ميت

«٤» .

٢٢- **قيل لأعرابية**: ما خبر قدرك؟ قالت حليمة مغتاظة. أي هي ساكنة الغلي ولما تبرد.

٢٣- رأى محمق زنجيا يأكل خبزا حوارى فقال: يا قوم انظروا إلى الليل كيف يأكل النهار.

٢٤- قال عبد الملك يوما لجلسائه، وكان يجتنب غير الأدباء: أي المناديل أفضل؟ فقال بعضهم: مناديل مصر كأنها غرقىء القيض «٥» ، وقال آخر: مناديل اليمن كأنها أنوار الربيع. فقال: ما صنعتما شيئا. أفضل المناديل ما ذكره أخو بني تميم يعني يعني عبدة بن الطبيب «٦» :

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية ... وفار للقوم باللحم المراجيل

ورد وأشقر ما يؤتيه طابخه ... ما غير الغلي منه فهو مأكول." (١)

"٥٠- دعا المهدي بميسرة التراس «١» فألقى إليه رغيفا وإلى الفيل رغيفا، فأكل مائة رغيف وكف الفيل عند التاسع والتسعين.

٥١- كان سعيد بن المحسن من أدم الناس وآكلهم، فقال له زياد «٢» : مالك من الولد؟ قال: تسع بنات، قال أين هن منك؟ قال:

هن آكل مني وأنا أجمل منهن. فألحق خمسا منهن في العطاء.

٥٢-[شاعر] :

يلقم لقما ويندى زاده ... يرمي بأمثال القطا فؤاده

٥٣- قيل لحكيم: أي الطعام أطيب؟ قال: الجوع أعلم.

٥٤- وكان يقال: نعم الأدام الجوع.

٥٥- قيل لمدني: بم تتسحر الليلة؟ قال: باليأس من فطور القابلة.

٥٦- عرض الشراب على أعرابي فقال: أنا لا أشرب إلا على ثميلة «٣» .

٥٧- الأصمعي: مررت بأعرابية وبين يديها فتى في السياق «٤» ، ثم رجعت فرأيت بيدها قدح سويق تشربه، فقلت لها: ما فعل الشاب؟

قالت: واريناه فقلت: ما هذا السويق؟ فقالت:

على كل حال يأكل المرء زاده ... على البؤس والضراء والحدثان «٥»

٥٨- **قيل لأعرابي**: كيف حزنك على ولدك؟ قال: ما ترك حب الغداء والعشاء لي حزنا.

٥٩- قال الحسن بن سهل «٦» يوما على مائدة المأمون: الأرز يزيد في." (٢)

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢٠٩/٣

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢١٣/٣

"فما أكلة إن نلتها بغنيمة ... ولا جوعة إن جعتها بغرام

٨٤- يقال: فلان مغل الإصبع، من أغل إذا خان، وهو الذي يخد «١» بإصبعه حتى يستسيل الودك «٢» إليه. وهو عيب عند العرب.

٨٥- قعد صبي مع قوم على طعام فأخذ يبكي. قالوا: ما يبكيك؟

قال: هو حار، قالوا: فاصبر حتى يبرد، قال أنتم لا تصبرون.

٨٦- **قيل لأعرابي**: كيف تأكل الرأس؟ قال: أفك لحييه «٣» ، وأبخص عينيه، واعفص «٤» أذنيه وأسحى «٥» خديه، وأرمي بالدماغ إلى من هو أحوج مني إليه.

٨٧- كشاجم «٦» في الرقاق والرؤوس:

قد ركين الخوان أرؤس خر ... فان وأنزلن عنه ببعض نعام

تلك كالماء ذي الحباب وها ... تيك عليها كطير ماء نيام «٧»

٨٨- قيل لطفيلي: لم أنت حائل اللون؟ قال: للفترة بين القصعتين مخافة أن يكون قد فني الطعام.

٨٩- قيل لأبي الحارث جمين «٨» : ما تقول في الفالوذجة؟ قال:." (١)

"يديه طبق من خوص، عليه قرص أو قرصان من شعير وإن أسطار النخالة لتبين في الخبز، وهو يكسره على ركبته ويأكله بملح جريش، فقلنا لجارية سوداء إسمها فضة: ألا نخلت هذا الدقيق لأمير المؤمنين! فقالت:- أيأكل من المهنا ويكون الوزر في عنقي؟ فتبسم وقال: أنا أمرتها أن لا تنخله.

قلنا: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال:- ذلك أجدر أن يذل النفس، ويقتدي بي المؤمن، وألحق بأصحابي.

١١٢- كان يقال لإبراهيم عليه السلام «١» أبو الضيفان لأنه أول من قرى الضيف، وسن لأبنائه العرب القرى، وكان إذا أراد الأكل بعث أصحابه ميلا في ميل يطلبون ضيفا يؤاكله.

١١٣- أنشد أبو عمرو «٢» :-

إن أبا عمرة شر جار ... يجرني في ظلم الصحاري

جر الذباب جيفة الحمار

هو الجوع:

١١٤- **قيل لأعرابي:-** أتعرف أبا عمرة؟ قال:- كيف لا أعرفه وهو متربع في كبدي؟.

١١٥- اتخذ بنو حنفية «٣» إلها من حيس «٤» فعبدوه سنين، ثم أصابتهم مجاعة فأكلوه.

١١٦- حميد بن ثور «٥» في البدويات:-." (٢)

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢١٨/٣

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢٢٢/٣

"اللحم، لها جناحان من العراق.

١٨١- قيل: وكيف أكلك لها؟ قال: أصدع بهاتين. يعني السبابة والوسطى، وأسند بهذه، يعني الإبهام، وأجمع ما شذ منها بهاتين، يعني البنصر والخنصر، وأضرب فيها ضرب ولي السوء في مال اليتم.

١٨٢- قيل لطفيلي: ما معنى قوله تعالى: وسئل القرية

«١» ؟.

قال: أراد أهل القرية. كما تقول أكلنا سفرة فلان تريد ما في السفرة.

١٨٣- قيل لأعرابي: صف نفسك. قال: خذ على بركة الله، إن كان أكل فقرب، وإن كان نبيذ فجرب، وإن كان قتال فغرب.

١٨٤- أعرابي:

ألا ليت لي خبزا تسربل رابيا ... وخيلا من البرني فرسانها الزبد

١٨٥- عمرو بن الأهتم:

فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا ... فهذا مبيت صالح وصديق

١٨٦- ابن الحجاج «٢» :

مالي وللحم إن شهوته ... قد تركتني لحما على وضم «٣»

١٨٧- قيل لأعرابي: ما تسمون المرق؟ قال: السخين. قيل: فإذا برد. قال: ما ندعه يبرد.." (١)

"١٨٨- أتى طفيلي باب قوم فحجبوه، فاحتال حتى دخل وهو يقول:

نزوركم لا نؤاخذكم بجفوتكم ... إن المحب إذا ما لم يزر زارا

١٨٩- ولد لابن أبي ليلى «١» غلام فأطعم جيرانه الفالوذج والخبيص وترك المساور «٢» إجلالا له فقال:

من لم يدسم بالخبيص سبالنا ... عند الولاد فلا هناه الفارس «٣»

إن الخبيص له لذاذة مطعم ... يا حبذا هو رطبه واليابس

١٩٠- قال أبو بكر الخوارزمي «٤» : لم أسمع في وصف الطفيلي أبلغ من قول الحمدوني «٥» :

أراك الدهر تطرق كل دار ... كأمر الله يحدث كل ليلة

١٩١- قيل لأعرابي: ما أسمنك؟ قال: أكلي الحار، وشربي القار، واتكائي على شمالي، وأكلي من غير مالي، والثريد بعد الكظة.

١٩٢- مات لأعرابي أخ فقيل له: ألا تحضر جنازته؟ فقال: لا،." (٢)

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣/٢٣٥

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣/٢٣٦

"قيل: لم؟ قال: إنه كان والله قطاعا زقاقا جردبيلا. أي غامسا اللقمة المعضوضة في الأدام، شاربا على المائدة وفي فيه الطعام، آكلا بيمينه وقد أمسك المأكول بيساره لئلا يتناول، وهو الجردبان «١» .

١٩٣- سأل حماد الرواية «٢» رقبة بن مصقلة «٣» عما أكل عند بلال بن أبي بردة «٤» .

فقال: الأبيض المنضود، والماضي المردود، والذليل الرعديد، والملوز العقود. أي الرقال الألوان المختلفة والفالوذج والبفريج «٥» .

١٩٤- كان عمارة بن حمزة يقول «٦» : يخبز في بيتي كل يوم ألف رغيف، وكل أهلي يأكلون حلالا غيري. وكان يقول: رب الدار كلب الدار.

١٩٥- قيل لأعرابي على مائدة بعض الملوك وهو يأكل الفالوذ: لم يشبع منه أحد إلا مات. فأمسك وفكر ثم ضرب بالخمس وقال: استوصوا بعيالي خيرا، فو الله إني لأشبع منه حتى أموت.

١٩٦- قيل لأعرابي: أين تحب أن يكون طعامك؟ قال في بطن أم." (١)

"١١- قيل لأعرابي: ما بلغ حبك لفلانة؟ قال: إني لأذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها رائحة المسك.

١٢- سأل الرشيد رجلا فقال: ما أشد ما يكون من العشق؟ قال:

أن تكون ريح البصل منه أحب إليك من ريح المسك من غيره.

١٣- عن عمر بن أبي ربيعة المخزومي: أن نعم التي يقول فيها:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر

اغتسلت عند غدير فأقام يشرب منه حتى جف.

١٤- رأى شبيب أخو بثينة جميلا عندها، فوثب عليه وآذاه، ثم أتى مكة وفيها جميل، فقيل له: دونك شبيبا فاثأر منه، فقال:

وقالوا يا جميل أتى أخوها ... فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

١٥- كتبت كتبت للمتوكل على جبينها: هذا ما عمل في طراز الله، فتنة لعباد الله.

١٦- أنشد الأخفش لحداد بسر من رأى:

مطارق الشوق منها في الحشا أثر ... يطرقن سندان قلب حشوه الفكر

ونار كور الهوى في الجسم موقدة ... ومبرد الحزن لا يبقي ولا يذر

١٧- عبد الله بن عجلان النهدي «١» أحد العشاق المذكورين، تزوجت عشيقته فرأى أثر كفها على ثوب زوجها، فمات

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣/٢٣٧

كمدا.

١٨- أهدى أبو العتاهية للمهدي برنية «٢» فيها ثوب مطيب، قد كتب في حواشيه:." [١]

"٢٤٣- أوصى عبد الملك بن مروان بثلث ماله لأهل الأدب وقال:

هذه صناعة مجفو أهلها.

٢٤٤- قيل لسقراط: ما الفرق بين من له أدب ومن لا أدب له؟

قال: كالفرق بين الحيوان الناطق وبين الحيوان الذي ليس بناطق.

٢٤٥- قيل لأعرابي: أين الجد من الأدب؟ قال: هذا مشرق وهذا مغرب.

٢٤٦- وقع نحوي في كثيف، فجاءوا إليه بكناسين، فقال: اطلبا لي حبلا دقيقا، وشداني شدا وثيقا، واجذباني جذبا رفيقا.

فقالا: والله لا نخرجه، هو في السلح إلى الحلق، وليس يدع الفضول.

٢٤٧- أبو حيان «١» : إن الأدب أنس إن شئت أنسا، وكنز إن طلبت كنزا، وجمال إن أحببت جمالا، ومثوبة إن قصدت ثوابا.

٢٤٨- حكيم: من زاد أدبه على عقله كان كالراعي الضعيف مع غنم كثير.

٢٤٩- البرقعي «٢» :

قالوا أديب بلا جد فقلت لهم ... قوس بلا وتر سهم بلا فوق «٣»

٢٥٠-كان الإمام عبد القاهر «٤» ينشد:." [٢]

"فقال: إنما قلت أمير المؤمنين بالنصب «١» ، فخلاه.

٢٧٧- سمع أعرابي مؤذنا يقول: أشهد أن محمدا رسول الله، بالنصب، فقال: ويحك يفعل ماذا «٢» ؟.

٢٧٨- قيل لأعرابي: اتهتمز إسرائيل؟ قال إني إذن رجل سوء.

وقيل لآخر: أتهمز الفارة؟ قال: السنور يهمزها. وقيل الآخر أتجر فلسطين؟ قال: أني إذن لقوي «٣» .

٢٧٩- أنشد الأصمعي «٤» بيتا من الشعر فاختلس الأعراب، وقال:

إن العرب تجتاز بالأعراب اجتيازا.

٢٨٠- وقال ابن أبي إسحاق «٥» : العرب ترقرق على الأعراب ولا تتفيهق فيه «٦» .." [٣]

"٢٨١- وقال يونس «١» : العرب تشم الأعراب ولا تحققه «٢» .

٢٨٢- وقال الحسحاس بن جاب «٣» : العرب تقع بالأعراب وكأنها لم ترده.

٢٨٣- قال ابن كيسان «٤» : قلت للمبرد «٥» : ثعلب «٦» أعلم أهل زمانه، فقال:

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٤٣٠/٣

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٥٩/٤

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٦٥/٤

أقسم بالمبتسم العذب ... ومشتكى الصب إلى الصب

لو أخذ النحو عن الرب ... ما زاده إلا عمى قلب

٢٨٤- **قيل لأعرابي**: ما معنى قولهم شيطان ليطان «٧» ، وجائع نائع؟

فقال: شيء نتد به كلامنا.." (١)

"أتاك على قنوط منك غوث ... يمن به اللطيف المستجيب «١»

وكل الحادثات إذا تناهت ... فموصول بها الفرج القريب

١٩-[آخر] :

لهم فضل والقضاء غالب ... وكائن ما خط في اللوح «٢»

فانتظر الروح وأسبابه ... آيس ما كنت من الروح

٢٠- ابن المعتز: من كان عاقلا لم يسر إلا غافلا.

٢١- **قيل لأعرابي**: ما السرور؟ فقال: أوبة «٣» بغير خيبة، وألفة بغير غيبة، وقال آخر: غيبة تفيد غنى، وأوبة تعقب منى. وقال آخر:

كفاية ووطن، وسلامة وسكن، فيه أمن لا يذعر سوامه «٤» ، وخير لا ينحسر غمامه.

٢٢- شاعر:

فلا تجزعي إن أظلم الدهر مرة ... فإن اعتكار الليل يؤذن بالفجر «٥»

٢٣- حنيف بن عمير اليشكري «٦» مخضرم:." (٢)

"١٩- سأل خالد بن عبد الله القسري واصل بن عطاء عن نسبه فقال:

نسبي الإسلام الذي من ضيعه فقد ضيع نسبه، ومن حفظه فقد حفظ نسبه. فقال: خالد: وجه عبد، وكلام حر.

٢٠- قال رجل لابنه وهو يختلف «١» إلى المكتب: في أي سورة أنت؟ قال: في لا أقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد، فقال: لعمري من كنت ولده فهو بلا ولد.

٢١- **قيل لأعرابي**: ما ولدك؟ قال: قليل خبيث، قيل: كيف، قال: لا أقل من واحد، ولا أخبث من أنثى.

٢٢- وجه رجل ابنه ليشتري له رشاء «٢» للبئر طوله عشرون ذراعا، فانصرف من بعض الطريق وقال: يا أبي، في عرض كم؟ فقال: في عرض مصيبتي فيك.

٢٣- كان لمحمد بن بشير الشاعر «٣» ابن جسيم، بعثه في حاجة فأبطأ، ثم عاد ولم يقضها، فنظر إليه ثم قال:

عقله عقل طائر ... وهو في خلقة الجمل «٤»

فأجابه:

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٤/٦٦

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٤/٢٤٥

شبه منك نالني ... ليس لي عنه منتقل

٢٤- عاتب أعرابي ابنه وذكره حقه، فقال: يا أبة إن عظيم حقك علي لا يبطل صغير حقي عليك.

٢٥- رب بعيد لا يفقد بره، وقريب لا يؤمن شره.." (١)

"٣٦- عير شريف النسب سقراط بسقوط نسبه، فقال: نسبي عار علي، وأنت عار على نسبك.

٣٧- **قيل لأعرابي**: كيف ابنك؟ قال: عذاب رعف به على الدهر، وبلاء لا يقوم معه الصبر.

٣٨- قال عبد الملك لروح بن زنباع: أي رجل أنت لولا إنك من أنت منه! قال: يا أمير المؤمنين، ما يسرني أني ممن أنت منه، قال: كيف؟

قال: لأني لو كنت ممن أنت منه لغمرتني «١» أنت ونظراؤك، وأنا اليوم قد سدت قومي كلهم غير مدافع. فأعجب بقوله.

٣٩- نظر أعرابي إلى ابن له قبيح فقال: يا بني إنك لست من زينة الحياة الدنيا «٢» .

٤٠- عزيت هند بنت عتبة «٣» عن يزيد بن أبي سفيان «٤» ، وقيل: إنا لنرجو أن يكون في معاوية خلف منه، فقالت: أو مثل معاوية يكون خلفا من أحد؟ والله لو جمعت العرب من أقطارها ثم رمي به فيها لخرج من أي أعراضها شاء.

٤١- الوليد بن يزيد بن عبد الملك:." (٢)

"قد كنت أرجو أن تكوني ذكرا ... فشقك الخالق شقا منكرا

٤٧- قال محمد بن المنكدر: بنت أغمز رجل أمي «١» ، وبات أخي يصلي، ولا تسرني ليلته بليلتي «٢» .

٤٨- لم يكن محمد بن سيرين يكلم أمه بلسانه، كان يكلمها كما يكلم الأمير الذي لا ينتصف منه.

٤٩- فضيل: ريح الولد من الجنة.

٥٠- يوسف بن أسباط: إذا أراد الله بعبد شرا سلط عليه أنيابا تنهشه يعني العيال.

٥١- **قيل لأعرابي**: ما تقول في ابن عمك؟ قال: عدوك، وعدو عدوك.

٥٢- قالت ماوية امرأة لؤي بن غالب «٣» : أي بنيك أحب إليك؟

قال: الذي لا يرد بسط يده قبض، ولا يلوي لسانه عجر «٤» ، ولا يلوي طبيعته سفه، وهو أحد ولدك، بارك الله لي ولك فيه. يعني كعب بن لؤي.

٥٣- علي بن موسى الرضا «٥» : قال لأخيه زيد بن موسى «٦» : يا زيد، سوءة بك! ما أنت قائل لرسول الله؟ سفكت الدماء، وأخفت." (٣)

"١٠٦- **قيل لأعرابي**: ما تقول في ابنك، وكان عاقا، فقال: بلاء لا يقاومه الصبر، وفائدة لا يجب عليها الشكر.

١٠٧-[شاعر] :

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٤/٢٥٧

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٤/٢٦٠

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٤/٢٦٢

براك الله حين براك بحرا ... وفجر منك أنهارا عزارا

بنوك السابقون إلى المعالي ... إذا ما أعظم الناس الخطار

١٠٨- ويروى أن عبد الملك بن مروان قال للشعراء: ألا قلتم كما قال كعب «١» في المهلب وولده، وأنشدهم هذين البيتين.

١٠٩- وعن ابن هرمة «٢» أنه قال للمنصور قد مدحتك مدحة لم يمدح أحد بمثلها، فقال المنصور: وما عسى أن تقول في بعد قول كعب في المهلب؟ وأنشدهما.

١١٠- مالك بن أحمد بن سوار الطائي «٣» :

وإني لأخشى أن أموت وأحمد ... صغير فيجفى أحمد ويضيع

وإني لأرجو جعفرا إن جعفرا ... لصالح أخلاق الرجال تبوع «٤»." (١)

"١٣٢- **قيل لأعرابي**: هل تحب الولد؟ قال: لا، إذا عاش كدني، وإذا مات هدني.

١٣٣- ابن عنقاء الفراري «١» :

فأما تريني واحدا باد أهله ... وكل فريق لا أبا لك بائد «٢»

فان تميما قبل أن يلد الحصى ... أقام زمانا وهو في الناس واحد

١٣٤- من جفا أهل رحمه أجف مغارس نعمة «٣» .

١٣٥- حق على الأقارب إعظام الأصغر للأكبر، وحنو الأكبر على الأصغر.

١٣٦- هو شعبة ذلك العود، وفلقة ذلك الجلمود «٤» .

١٣٧- يقال: فلان علوي، من المنكب الألين، أي حسني. ومن المنكب الأخشن، أي حسيني، ومنه قول ابن هرمة «٥» .

وأنت من هاشم إن هاشم نسبت ... في المنكب اللين لا في المنكب الخشن

١٣٨- النبي صلى الله عليه وسلم: ملعون ملعون من انتمى إلى غير أبيه، أو ادعى غير مواله.." (٢)

"فأنا أحق بهذا منك. قال: قد أمكنك فافعل.

وروي أنه قال: أن ألقى كريما قادرا بعقب إحسان كان مني إليه.

١٥- وقال سليمان لابنه: قد أكلنا الطيب، ولبسنا اللين، وركبنا الفاره «١» ، الكثبان العفر «٢» .

١٦- وقيل لعبد الملك، فقال: محادثة الأخوان في الليالي القمر على.... وامتطينا العذراء، فلم يبق من لذتي إلا صديق أطرح بيني وبينه مؤونة التحفظ.

١٧- **وقيل لأعرابي**: فيم اللذة؟ قال: في قبلة على غفلة.

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٤/٢٧٩

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٤/٢٨٦

١٨- وقال آخر سيف كبرق ثاقب، ولسان كمخراق لاعب «٣» .

١٩- وقال الطفيلي: في مائدة منصوبة، ونفقة غير محسوبة، عند رجل لا يضيق صدره من البلع، ولا تجيش نفسه من الجرع.

٢٠- وقال آخر: في ندامى تغلق دورهم وتغلي قدورهم.

٢١- وقال العالم: في حجة تتبختر اتضاحا، وشبهة تتضاءل افتضاحا.

٢٢- وقال الراعي: في واد عشيب، ولبن حليب.

٢٣- وقال العابد: في عمل يخلص، ورياء ينقص، وقلب عن الدنيا يسلو، وهمة إلى الله تعلو.

٢٤- وقال أعرابي: اشتهي محضا رويا، وضبا شويا.." (١)

"منتهون

«١» ، فقال عمر: انتهينا.

٣٣- قال عبد الملك بن مروان لنصيب «٢» : هل لك فيما يتنادم عليه؟

فقال: يا أمير المؤمنين تأملني، فإن جلدي أسود، وخلقي مشوه، ولست في منصب، وإنما بلغ بي مجالستك عقلي، فأنا أكره أن أدخل عليه ما ينقصه، فأعجبه كلامه وأعفاه.

٣٤- استوصف رجل ابن ماسويه «٣» دواء الباه «٤» ، فقال: عليك بالكباب والشراب، وشعر أبي الخطاب. هو عمر بن أبي ربيعة.

٣٥- أتى عبد الملك يعود: فقال للوليد بن مسعدة الفزاري «٥» : ما هذا؟ قال: عود يشقق، ثم يرقق، ثم يلصق، ثم تمد عليه أوتار، وتضرب به القيان فيطرب له الفتيان، وتضرب رؤوسها بالحيطان. وامرأتي طالق إن كان أحد في المجلس الا وهو يعلم منه مثل ما أعلم، أولهم أنت يا أمير المؤمنين. فضحك وقال: مهلا يا وليد.

٣٦- قيل لأعرابي: أما تشرب النبيذ؟ قال: لا أشرب ما يشرب عقلي.

٣٧- علي بن أبي كثير «٦» مولى بني أسد:." (٢)

"٤٦- الشعبي «١» : عيادة النوكى «٢» أشد على المريض من وجعه.

٤٧- عاد أعرابي أعرابيا فقال: بأبي أنت! بلغني أنك مريض، فضاق علي والله الفضاء العريض، وأردت إتيانك فلم يكن بي نهوض، فلما حملتني رجلاي، ولساء ما يحملان، أتيتك بجزرة شيح»

ما مسها عرنين، فاشممها واذكر نجدا، فهو الشفاء بإذن الله.

٤٨- شاعر:

بي السوء والمكروه لا بك كلما ... أراداك كانا بي وكان لك الأجر

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٥/٧

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٥/١١

٤٩- اعتل المسور «٤» فجاء ابن عباس فقضى النهار يعوده، فقال المسور: هلا ساعة غير هذه! قال: إن أحب الساعات إلي أن أؤدي فيها الحق إليك أشقها علي.

٥٠- المؤمل بن أميل:

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم ... وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

٥١- قال عبد الله بن مصعب:

مالي مرضت فلم يعدني عائد ... منكم ويمرض كلبكم فأعود

فسمي عائد الكلب، وبنوه بنو عائد الكلب.

٥٢- قيل لأعرابي: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قيل: فما تشتهي؟

قال: الجنة، قيل: أفلا ندعو لك طبيبا؟ قال: هو الذي أمرضني.." (١)

"٦٠- وقع الطاعون بالكوفة، فخرج فيمن خرج صديق لشريح «١» ، فكتب إليه: أما بعد، فإنك والمكان الذي أنت به بعين من لا يعجزه هرب، ولا يفوته طلب. وإن المكان الذي خلفته لا يعجل أحدا إلى حمامه، ولا يظلمه شيء من أيامه، وأنا وإياكم لعلى بساط واحد، وإن النجف من ذي قدرة لقريب.

٦١- دعي ابن المقفع إلى الغداء، فقال: لست اليوم أكيلا للكرام، لأني مزكوم، والزكمة قبيحة الجوار، مانعة من عشرة الأحرار.

٦٢- في الحديث: قال الشيطان: ما حسدت ابن آدم إلا على شيئين الطسأة والحقوة. والطسأة «٢» الزكام، والحقوة «٣» الهيضة «٤» .

٦٣- قيل لأعرابي: ما بال الآباط أنتن موضع في الجسد؟ فقال:

كانت فقاحا فغورن.

٦٤- عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن بن عائشة: لي إبطان ترميان جليسي بشبيه السلاح أو بسلاح «٥» .

٦٥- عبد الله بن مالك الخزاعي:

ظلت علي الأرض مظلمة ... إذ قيل عبد الله قد وعكا

يا ليت ما بك بي وإن تلفت ... نفسي وقل ذاك لكا

٦٦- قيل لفيلسوف: لم صار الأحدب أخبث الناس؟ قال: لأنه قرب فؤاده من دماغه، وكبده من فؤاده.

٦٧- قالوا: من قدم أرضا فأخذه من ترابها، فجعله في مائها، ثم." (٢)

"عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين لو أن امرأ تركت تعزيته لعلمه وتيقظه لكنته، ولكن الله قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين.

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٤١/٥

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٤٣/٥

٢٦- وبئت «١» خيبر فخرج إليها أعرابي بعياله وقال:

قلت لحمى خيبر استعدي ... هاك عيالي فاجهدي وجدي

وباكري بصالب وورد ... أعانك الله على ذا الجند

فحم ومات، وبقي عياله.

٢٧- عزى رجل الرشيد، فقال: آجرك الله على الباقي، ومتعك بالفاني. فقال: ويحك ما تقول؟ وظن أنه غلط، فتلا: ما عندكم ينفد وما عند الله باق

«٢» .

٢٨- أبو ذؤيب:

يقولون لي لو كان بالرمل لم يمت ... نبيشة والطراق يكذب قيلها

ولو أن استودعته الشمس لا رتقت ... إليه المنايا عينها أو دليلها

٢٩- **قيل لأعرابي**: إنك تموت، قال: وإلى أين يذهب بي؟

قالوا: إلى الله، قال ما أكره أن يذهب بي إلى من لم أر الخير إلا منه.

٣٠- قيل للكميت: لم لم ترث أخاك؟ فقال: إن مرثيته لا ترد مرزيته.

٣١- كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمرو بن عبيد يعزيه عن أبيه: أما بعد فإنا أناس من أهل الآخرة أسكنا في الدنيا، أموات آباء أموات أبناء أموات فالعجب لميت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت.

٣٢- صالح المري: التهنئة بآجل الثواب أولى من التعزية بعاجل المصاب.." (١)

"٦٦- عزى رجل سليمان بن عبد الملك فقال: إن رأيت أن تعجل ما أخرته العجزة فتريح نفسك وترضى ربك فافعل.

٦٧- **قيل لأعرابي**: ما سبب موت أبيك؟ قال: كونه.

٦٨- دخل على المأمون في مرض موته، فإذا هو قد فرش له جل «١» الدابة، وبسط عليه الرماد، وهو يتمرغ عليه ويقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه.

٦٩- قال عمرو بن العاص عند احتضاره لابنه: من يأخذ هذا المال بما فيه؟ قال: من جدع الله أنفه، فقال: احملوه إلى بيت مال المسلمين. ثم دعا بالغل والقيد، فلبسهما ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن التوبة مبسوطة ما لم يغرغر ابن آدم بنفسه، ثم استقبل القبلة فقال: اللهم إنك أمرتنا فعصينا، ونهيتنا فارتكبنا، هذا مقام العائذ بك فأهل العفو أنت، وإن تعاقب فبما قدمت يداي، سبحانك لا إله إلا أنت إني كنت من الظالمين. فمات وهو مغلول مقيد. فبلغ الحسن بن علي فقال: استسلم الشيخ حين أيقن بالموت، ولعلها تنفعه.

٧٠- وقال المنصور حين احتضر: يا ربيع بعنا الآخرة بنومة.

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٥/١٢٩

وقال المعتصم، وجعلوا يهونون عليه: هان على النظارة ما يمر بظهر المجلود.

٧١- عائشة رضي الله عنها: لا أغبط بهون الموت أحدا بعد الذي رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٧٢- مطرف «٢» : إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فالتمسوا نعيما لا موت فيه.." (١)

"٣٣- قال عبد الملك لرجل: حدثني، قال: يا أمير المؤمنين افتتح، فإن الحديث يفتح بعضه بعضا.

٣٤- خالد بن صفوان: لا تكن بليغا حتى تكلم أمتك السوداء، في الليلة الظلماء، في الحاجة المهمة، بما تتكلم به في نادي قومك. وإنما اللسان عضو إذا مرنته مرن وإذا أهملته حار.

٣٥- حكيم: إن اللسان إذا كثرت حركته رقت عذبته.

٣٦- دعبل:

يسل من فكيه كالحسام ... صفيحة تلعب بالكلام

٣٧- قيل لسهل بن هارون: ما البلاغة؟ فقال: الكلام المنحدر على الغريزة على رسل «١» تحدر الدر من عقد أسلمته كف جارية إلى حجرها، لا يحمل فيه اللسان على غير مذهب السجية فيظهر فيه فج التكلف.

٣٨- أعرابي: أخذ بزمام الكلام فقاده أسهل مقاد، وساقه أحسن مساق، حتى استرجع به القلوب النافرة، واستصرف به الأبصار الطامحة.

٣٩- وقع جعفر البرمكي على ظهر رقعة قصيرة: إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيرا، وإذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عيا.

٤٠- أعرابي: كان والله مطلول المحادثة، ينبذ إليك الكلام على أدراجه، كأن في كل ركن من أركانه قلبا يعقل.

٤١- قيل لأعرابي: ما بال مراثيكم أجود؟ فقال: لأنا نقولها وأكبادنا تحترق.

٤٢- سئل بعض العلماء عن بلاغة الأمين فقال: والله لقد أتته الخلافة يوم الجمعة، فما كان إلا ساعة حتى نودي الصلاة قائمة، فخرج." (٢)

"هذا، إن أجبناك لم نبلغ السماء، وإن رددناك لم نبلغ الماء، وقد رددناك.

١٢- أعرابي: هو أملح من المداري «١» في شعور العذارى.

١٣- شاور رجل آخر في تزويج امرأة، فقال: إن كنت تريدها خالصة لك من دون المؤمنين فلا تطمع.

١٤- العرب: شر النساء الحميراء المحياض، والسويداء الممراض.

١٥- عوتب الكسائي «٢» في ترك التزوج فقال: مكابدة العفة عنهن أيسر من الاحتيال لمصلحتهن.

١٦- قيل لأعرابي يجمع بين ضرائر: كيف تقدر عليهن؟ قال: كان لنا شباب يظأرهن علينا، ومال يصورهن إلينا، ثم قد بقي لنا خلق حسن فنحن نتعايش.

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١٣٥/٥

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢٠٦/٥

١٧- عمر رضي الله عنه: البكر كالبرة تطحنها وتعجبها وتخبزها، والثيب «٣» عجالة الراكب تمر وأقط «٤» .

١٨- قيل لجارية: أبكر أنت؟ قالت: قد كنت فعافى الله.

١٩- جاء سلمان رضي الله عنه يخطب قرشية ومعه أبو الدرداء، فدخل." (١)

"أيا عجبا للخود يجري وشاحها ... تزف إلى شيخ من القوم تنبال

دعاني إليه أنه ذو قرابة ... فويل الغواني من بني العم والخال

٣٢- **قيل لأعرابي**: ما خلفت لأهلك؟ قال: الحافظين، قيل: وما هما؟ قال: أعريهن فلا يبرحن، وأجيعهن فلا يمرحن.

٣٣- قيل لرجل: مات عدوك، فقال: وددت أنكم قلتم تزوج.

٣٤- قيل لمالك بن دينار: لو تزوجت. قال: لو استطعت لطلقت نفسي.

٣٥- قال طاووس لإبراهيم بن ميسرة: لتنكحن أو لأقولن لك ما قال عمر بن الخطاب لأبي الزوائد: ما يمنك من التزوج إلا عجز أو فجور.

٣٦- دخل ابن أبي علقمة على بلال بن أبي بردة وحمزة بن بيض «١» ينشد:

ومن لا يرد مدحي فإن مدائحي ... توافق عند الأكرمين تؤامي

نوافق عند المشتري الحمد بالندى ... نفاق بنات الحارث بن هشام

فقال: يا ابن أخي: وما بلغ من نفاق بنات الحارث؟ فقال: كان يزوجهن ويسوقهن ومهورهن إلى بعولتهن. فقال: والله لو فعل هذا إبليس ببناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون.

٣٧- تزوج أعرابي فقيل له: كيف وجدتها؟ فقال: رصوفا رشوفا." (٢)

"الحسد، قال: فمن يشتريه؟ قال العلماء. قال: فما الرابع؟ قال:

الخيانة، قال: فمن يشتريها؟ قال: التجار. قال: فما الخامس، قال:

الكيد، قال: فمن يشتريه؟ قال: النساء.

٨٦- قيل للإسكندر: لو استكثرت من النساء ليكثر ولدك، ويدوم بهم ذكرك. فقال دوام الذكر بتحسين السيرة والسنن، ولا يحسن بمن غلب الرجال أن تغلبه النساء.

٨٧- علي بن أبي طالب عليه السلام: النساء شر كلهن، وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن.

٨٨- يحيى بن أكثم: نعم لهو المرأة الغزل.

٨٩- **قيل لأعرابي**: إن فلانا يخطب فلانة، قال: أموسر من عقل ودين؟ قالوا: نعم، قال: فزوجوه.

٩٠- قال عبد الملك لابن الرقاع: كيف علمك بالنساء؟ قال: أنا والله أعلم الناس بهن، وأنشأ يقول:

قضاعية العينين كندية الحشا ... خزاعية الأطراف طائية الفم

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٥/٢٣٥

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٥/٢٣٨

لها حكم لقمان وصورة يوسف ... ومنطق داود وعفة مريم

٩١- عمر بن أبي ربيعة، وكان المنصور كثيرا ما ينشده:

إنها بين عامر بن لؤي ... حين تعزى وبين عبد مناف

ولها في المطيبين حدود ... ثم نالت ذوائب الأحلاف

بنت عم النبي أكرم من يم ... شي بنعل على التراب وحافي

لا تراها على التبذل والزي ... نة إلا كدرة الأصداف

٩٢- سئل المغيرة بن شعبة عن النساء فقال: بنات العم أحسن مؤاساة والغرائب أنجب، وما ضرب رؤوس الأقران مثل ابن السوداء.

٩٣- قال الحجاج لابن القرية: أي النساء أحب إليك؟ قال: الودود." (١)

"الخوارج، فقال: فعل كذا وصنع كذا رحمه الله. فقال المنصور: قم عليك لعنة الله. تطأ بساطي وتترحم على عدوي! فقام الرجل وهو يقول:

والله إن نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها إلا غاسلي. فقال المنصور:

ارجع يا شيخ، فإني أشهد أنك جهيض حرة، وغراس شريف. ودعا له بمال، فأخذه وقال: لولا جلالة أمير المؤمنين وامتطاء طاعته ما لبست لأحد بعده نعمة. فقال له المنصور: مت إذا شئت، لله أنت! فلو لم يكن في قومك غيرك لكنت قد أبقيت لهم مجدا مخلدا.

٣٢- قال عمرو بن العاص: إذا أفشيت سري إلى صديقي فأذاعه فهو في حل. فقيل له: كيف؟ قال أنا كنت أحق بصيانته.

٣٣- المهلب: أدنى أخلاق الشريف كتمان السر، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر إليه.

٣٤- فيلسوف: القلوب أوعية السرائر، والشفاه أقفالها، والألسنة مفاتيحها، فليحفظ كل منكم مفتاح وعاء سره.

٣٥- حكيم: ضع سرك عند من لا سر له عندك.

٣٦- لا يصلح للسر إلا لسانان وأربع آذان.

٣٧- رجل من بني سعد:

إذا ما ضاق صدرك عن حديث ... فأفشته الرجال فمن تلوم

إذا عاتبت من أفشى حديثا ... وسري عنده فأنا الظلوم

٣٨- أوس بن حجر:

ليس الحديث بنهبي بينهن ولا ... سر يحدثنه في الحي منشور

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢٤٧/٥

٣٩- **قيل لأعرابي**: ما بلغ من حفظك للسر؟ قال: أفرقه تحت شغاف «١» قلبي ثم لا أجمعه، وأنساه كأني لم أسمعه.." (١)

"من أن يكون لنذل ... علي فضل ومنه

٩٢- طلبت الرزق في مظانه «١» فأعياني رزقي إلا يوما بيوم.

٩٣- عمر بن عبد العزيز في خطبته: أيها الناس، إنه من يقدر له رزق برأس جبل أو بخضيض أرض يأته، فاجملوا في الطلب.

٩٤- وقع ذو الرياستين «٢» : أجمل في الطلب تكفك المقادير، ما هو كائن لك أتاك على ضعفك وما هو عليك لم تدفعه بقوتك.

٩٥- أنشد ابن الأعرابي:

أبا مالك لا تسأل الناس والتمس ... بكفيك رزق الله فالله أوسع

فلو تسأل الناس التراب لأوشكوا ... إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

٩٦- أعرابي:

أتيأس أن يقارنك النجاح ... فأين الله والقدر المتاح

٩٧- قال رجل لرسول الله صلوات الله عليه وسلامه: أوصني، فقال: عليك باليأس مما في أيدي الناس، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر.

٩٨- إذا وجدت الشيء في السوق فلا تطلبه من صديق.

٩٩- عبد الأعلى القاص: المؤمن ثوبه علقة، ومرقته سلقة، وسمكته شلقة، وخبزته فلقة.

١٠٠- **قيل لأعرابية**: من أين معاشكم؟ فقالت: لو لم نعش إلا من حيث نعلم لم نعش.

١٠١- أعرابي: أحسن الأحوال حال يغبطك بها من دونك، ولا يحقرك بها من فوقك.." (٢)

"٤- ما خلق الله خيرا من الإبل، إن حملت أثقلت، وإن سارت أبعدت، وإن حلبت أروت، وإن نحرت أشبعت.

٥- **قيل لأعرابي**: ما الناقة القرداح؟ قال: التي كأنها تمشي على أرماح. يريد طول القوائم.

٦- أهدى الرعيل بن الكلب ناقة لهشام بن عبد الملك فلم يقبلها.

فقال: يا أمير المؤمنين، أرددت ناقتي وهي هلواع، مرياع، مرباع، مقراع، مسياع، ميساع، حلبانة ركبانة. فضحك وقبلها وأمر له بألف درهم.

٧- المرياع: التي تقدم الإبل ثم تعود. والمرباع التي تعجل اللقاح، والمقراع: التي تلقح أول ما يقرعها الفحل. والمسياع: السمينة من السياع، قال القطامي:

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣٠٥/٥

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣٤٤/٥

فلما أن جرى سمن عليها ... كما بطنت بالفدن السباعا

والهلواع: الخفيفة. والمسياع: الواسعة الخطو.

٨- دجاجة بن ذروة الضبي جاهلي:

إبلي بحمد الله ضامنة القرى ... إذا طرقتها بالعشي الطوارق «١»

محبسة لابن السبيل تنوبها ... حقوق وتبريها السنون العوارق

٩- الجمل يجب في المجهدة سنامة، والكبش تقطع إليته، وهما يصبران.

١٠- الغنوي: إذا تصوب المرزم «٢» أرسلت الفحول في النعم، فضربت في خيار الإبل ومتعطراتها، وهي التي تتحسن للفحل بنقيها وحسن حالها.." (١)

"٣٩ - أبدى الصريح عن الرغوة هذا من مقلوب الكلام وأصله أبدت الرغوة عن الصريح كقوله

(الوافر)

(وتحت الرغوة اللبن الصريح ...)

قاله عبيد الله بن زياد لهانىء بن عروة حين سأله عن مسلم بن عقيل بن أبي طالب وكان متواريا عنه فجحده ثم أقر يضرب في ظهور كامن الأمر

٤٠ - ابذأ من مطلقة أي أفحش لأن المرأة إذا طلقت حملها الغيظ على ما قدرت عليه من القذع والبذاء قال

(الكامل)

(كفا مطلقة تفت اليرمعا ...)

٤١ - ابرد من الثلج

٤٢ - . . من جربياء هي الشمال وقيل لأعرابي ما أشد البرد فقال ريح جربياء في ظل عماء غب سماء." (٢)

"يحي يقول البلاغة تناسب المعاني وعذوبة الألفاظ وأن يكون للكلام حد يحجزه عن الخروج إلى غيره وعن دخول غيره عليه كقول علي رضي الله عنه أين من سعى واجتهد وأعد واحتشدو جمع وعدد وبنى وشيد وفرش ومهد فاتبع كل لفظة لفظة تناسبها ولو قلب بعض الألفاظ إلى بعض لكان كلاما مستويا ولكن أين سماء من أرض وقيل لبعض البلغاء ما البلاغة فقال سد الكلام معانيه وإن قصر وحسن التأليف وإن طال وقال معاوية لعمرو بن العاص من أبلغ الناس قال من اقتصر على الإيجاز وتنكب الفضول قال فمن أصبر الناس قال أردهم لجهله بحلمه وقيل لأعرابي من أبلغ الناس قال أحسنهم لفظا وأمثلهم بديهة يعني أحسنهم انتزاعا للمثل على البديهة وقعد أعرابي إلى ربيعة الرأي فأكثر ربيعة ثم قال يا أعرابي ما البلاغة فقال الإقلال في الإيجاز قال فما العي قال ما كنت فيه منذ اليوم وقيل للمفضل ما الإيجاز فقال تقليل الكثير وتقصير الطويل. والتحضيض مصدر قولك حضضته على الشيء إذا حرضته عليه وحثثته والحض الحث

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣٦٨/٥

(٢) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ١٥/١

على الخير. والحمالة تحمل الدية عن القوم ويقال أيضا حمال بلا هاء قال الأعشى:

فرع نبع يهتز في غصن المج د عظيم الندى كثير الحمال

والحمالة بكسر الحاء علاقة السيف والجمع الحمائل وكذلك المحمل بكسر الميم والجمع الحامل. والعشائر جمع عشيرة وهي القبيلة ومن دونها ومن أقرب إلى الرجل من أهل بيته والمعشر والنفر والرهط هؤلاء معناها الجمع وهي للرجال دون النساء لا واحد لشيء منها من لفظة وقيل المعشر كل جماعة أمرهم واحد مثل معشر المسلمين ومعشر المشركين. والتلكؤ الاعتلال والامتناع يقال تلكأت تلكؤا إذا اعتللت وامتنعت. ويحذر يخوف والنحذير التخويف والحذار المحاذرة والحذر والحذر التحرز حذرت أحذر حذرا ورجل حذر وحذر أي متيقظ. والإنذار الإعلام مع التحذير يقال أنذرته أنذره إنذار إذا أعلمته وحذرته ولا يكون المعلم منذرا حتى يحذر بإعلامه فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا.

وقوله " هذا منتهى القول فيما نختاره للكاتب فمن تكاملت له هذه الأدوات." (١)

"قال القاضي أبو محمد: ولا طريق إلى هذا الاختلاف ولا إلى الترجيح إلا النظر في شواهد القرآن والنظر في كلام العرب وأشعارها، فمن حجة الأولين قول الله عز وجل أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر [الكهف: ٧٩] واعترض هذا الشاهد بوجوه منها، أن يكون سماهم «مساكين» بالإضافة إلى الغاصب وإن كانوا أغنياء على جهة الشفقة كما تقول في جماعة تظلم مساكين لا حيلة لهم وربما كانوا مياسير ومنها: أنه قرىء «لمساكين» بشد السين بمعنى: دباغين يعملون المسوك قاله النقاش وغيره ومنها:

أن تكون إضافتها إليهم ليست بإضافة ملك بل كانوا عاملين بها فهي كما تقول: سرج الفرس، ومن حجة الآخرين قول الراعي: [البسيط]

أما الفقير الذي كانت حلوبته ... وفق العيال فلم يترك له سبد

وقد اعترض هذا الشاهد بأنه إنما سماه فقيرا بعد أن صار لا حلوبة له، وإنما ذكر الحلوبة بأنها كانت، وهذا اعتراض يرده معنى القصيدة ومقصد الشاعر بأنه إنما يصف سعاية أتت على مال الحي بأجمعه، فقال: أما الفقير فاستؤصل ماله فكيف بالغني مع هذه الحال، وذهب من يقول إن المسكين أبلغ فاقة إلى أنه مشتق من السكون، وأن الفقير مشتق من فقار الظهر كأنه أصيب فقارة فيه لا محالة حركة، وذهب من يقول إن الفقير أبلغ فاقة: إلى أنه مشتق من فقرت البئر إذا نزعت جميع ما فيها، وأن المسكين من السكن.

قال القاضي أبو محمد: ومع هذا الاختلاف فإنهما صنفان يعمهما الإقلال والفاقة، فينبغي أن يبحث على الوجه الذي من أجله جعلهما الله اثنين، والمعنى فيهما واحد، وقد اضطرب الناس في هذا، فقال الضحاك بن مزاحم: «الفقراء» هم من المهاجرين والمساكين من لم يهاجر، وقال النخعي نحوه، قال سفيان: يعني لا يعطى فقراء الأعراب منها شيئا.

قال القاضي أبو محمد: «والمسكين السائل» يعطى في المدينة وغيرها، وهذا القول هو حكاية الحال وقت نزول الآية، وأما منذ زالت الهجرة فاستوى الناس، وتعطى الزكاة لكل متصف بفقر، وقال عكرمة:

---

(١) شرح أدب الكاتب ابن الجواليقي ص/٨٧

«الفقراء» من المسلمين، والمساكين من أهل الذمة، ولا تقولوا لفقراء المسلمين مساكين، وقال الشافعي في كتاب ابن المنذر: «الفقير» من لا مال له ولا حرفة سائلا كان أو متعففا، «والمسكين» الذي له حرفة أو مال ولكن لا يغنيه ذلك سائلا كان أو غير سائل، وقال قتادة بن دعامة: الفقير الزمن المحتاج، والمسكين الصحيح المحتاج، وقال ابن عباس والحسن ومجاهد والزهري وابن زيد وجابر بن زيد ومحمد بن مسلمة:

«المساكين» الذين يسعون ويسألون، و «الفقراء» هم الذين يتصاونون، وهذا القول الأخير إذا لخص وحرر أحسن ما يقال في هذا، وتحريره: أن الفقير هو الذي لا مال له إلا أنه لم يذل ولا بذل وجهه، وذلك إما لتعفف مفرط وإما لبلغة تكون له كالحلوبة وما أشبهها، والمسكين هو الذي يقترن بفقره تذلل وخضوع وسؤال، فهذه هي المسكنة، فعلى هذا كل مسكين فقير وليس كل فقير مسكينا، ويقوي هذا أن الله تعالى قد وصف بني إسرائيل بالمسكنة وقرنها بالذلة مع غناهم، وإذا تأملت ما قلناه بان أنهما صنفان موجودان في المسلمين، ويقوي هذا قوله تعالى: للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف [البقرة: ٢٧٣] وقيل لأعرابي: أفقير أنت؟ فقال: إني والله مسكين،." (١)

"وقرأ أبي بن كعب وابن مسعود: «عسوا أن يكونوا» ، «وعسين أن يكن» .

و: تلمزوا، معناه: يطعن بعضكم على بعض بذكر النقائص ونحوه، وقد يكون اللمز بالقول وبالإشارة ونحوه مما يفهمه آخر، والهمز لا يكون إلا باللسان، وهو مشبه بالهمز بالعود ونحوه مما يقتضي المماسة، قال الشاعر [رؤبة] :

ومن همزنا عزه تبركعا وقيل لأعرابي: أتهمز الفأرة؟ فقال الهر يهمزها. وحكى الثعلبي أن اللمز ما كان في المشهد والهمز ما كان في المغيب. وحكى الزهراوي عن علي بن سليمان عكه من ذلك فقال: الهمز أن يعيب حضرة واللمز في الغيبة. ومنه قوله تعالى: ويل لكل همزة لمزة [الهمزة: ١] ومنه قوله تعالى: ومنهم من يلمزك في الصدقات [التوبة: ٥٨] .

وقرأ الجمهور: «تلمزوا» بكسر الميم. وقرأ الأعرج والحسن: «تلمزوا» بضم الميم. قال أبو عمرو بن العلاء: هي عربية. قراءتنا بالضم وأحيانا بالكسر.

وقوله تعالى: أنفسكم معناه: بعضكم بعضا كما قال: ولا تقتلوا أنفسكم [النساء: ٢٩] كأن المؤمنين كنفس واحدة إذ هم إخوة. فهم كما قال صلى الله عليه وسلم: «كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائره بالسهر والحمى» وهم كما قال أيضا: «كالبنيان يشد بعضه بعضا» . والتنابز: التلقب والنبز واللقب واحد. أو اللقب: هو ما يعرف به الإنسان من الأسماء التي يكره سماعها. وروي أن بني سلمة كانوا قد كثرت فيهم الألقاب، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم فقال له: يا فلان، فقيل له:

إنه يغضب من هذا الاسم، ثم دعا آخر كذلك. فنزلت الآية في هذا. وليس من هذا قول المحدثين سليمان الأعمش. وواصل الأحدب. ونحوه مما تدعو الضرورة إليه وليس فيه قصد استخفاف وأذى. وقد قال عبد الله بن مسعود لعلقمة: وتقول أنت ذلك يا أعور. وأسند النقاش إلى عطاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كنوا أولادكم؟ قال عطاء: مخافة الألقاب. وقال

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٨/٣

ابن زيد. معنى: ولا تنابزوا بالألقاب أي لا يقول أحد لأحد: يا يهودي بعد إسلامه. ولا يا فاسق بعد توبته. ونحو هذا. وحكى النقاش أن كعب بن مالك وابن أبي حدرد تلاحيا، فقال له كعب: يا أعرابي. يريد أن يبعده من الهجرة. فقال له الآخر: يا يهودي. يريد لمخالطة الأنصار اليهود في يثرب. فنزلت الآية.

وقوله تعالى: بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان يحتمل معنيين: أحدهما: بئس اسم تكتسبونه بعصيانكم ونبزكم بالألقاب فتكونون فساقا بالمعصية بعد إيمانكم. والثاني: بئس ما يقول الرجل لأخيه: يا فاسق بعد إيمانه. وقال الرماني: هذه الآية تدل على أنه لا يجتمع الفسق والإيمان.

قال القاضي أبو محمد: وهذه نزعة اعتزالية ثم شدد تعالى عليهم النهي. بأن حكم بظلم من لم يتب ويقلع عن هذه الأشياء التي نهى عنها. ثم أمر تعالى المؤمنين باجتناب كثير من الظن. وأن لا يعملوا ولا يتكلموا بحسبه، لما في ذلك وفي التجسس." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الهمزة

وهي مكية بلا خلاف.

قوله عز وجل:

[سورة الهمزة (١٠٤) : الآيات ١ الى ٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة (١) الذي جمع مالا وعدده (٢) يحسب أن ماله أخلده (٣) كلا لينبذن في الحطمة (٤)

وما أدراك ما الحطمة (٥) نار الله الموقدة (٦) التي تطلع على الأفئدة (٧) إنها عليهم مؤصدة (٨) في عمد ممددة (٩)

ويل لفظ يجمع الشر والحزن، وقيل ويل: واد في جهنم، و «الهمزة» الذي يهمز الناس بلسانه أي يعيبهم، ويغتابهم، وقال ابن عباس: هو المشاء بالنميم.

قال القاضي أبو محمد: ليس به لكنهما صفتان تتلازم، قال الله تعالى: هماز مشاء بنميم [القلم: ١١] ، وقال مجاهد: «الهمزة» الذي يأكل لحوم الناس، وقيل لأعرابي: أتهمز إسرائيل فقال: إني إذا لرجل سوء، حسب أنه يقال له أتقع في سبه، و «اللمزة» قريب من المعنى في الهمزة، قال الله تعالى:

ولا تلمزوا أنفسكم [الحجرات: ١١] ، وقرأ ابن مسعود والأعمش والحسن: «ويل الهمزة اللمزة» ، وهذا البناء الذي هو فعلة يقتضي المبالغة في معناه، قال أبو العالية والحسن: الهمز بالحضور واللمز بالمغيب، وقال مقاتل ضد هذا، وقال مرة: هما سواء، وقال ابن أبي نجيح: الهمز باليد والعين، واللمز باللسان، وقال تعالى: ومنهم من يلمزك في الصدقات [التوبة: ٥٨] وقيل نزلت هذه الآية في الأخنس بن شريق وقيل في جميل بن عامر الجمحي ثم هي تتناول كل من اتصف بهذه

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥/١٥٠

الصفات، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي والحسن وأبو جعفر: «جمع» بشدة الميم، والباقون بالتخفيف، وقوله وعدده معناه: أحصاه وحافظ على عدده وأن لا ينتقص، فمنعه من الخيرات ونفقة البر، وقال مقاتل: المعنى استعده وذخره وقرأ الحسن: «وعدده» بتخفيف الدالين، فقيل المعنى جمع مالا وعددا من عشرة، وقيل أراد عددا مشددا فحل التضعيف، وهذا قلق، وقوله: يحسب أن ماله أخلده معناه: يحسب أن ماله هو معنى حياته وقوامها، وأنه حفظه مدة عمره ويحفظه، ثم رد على هذه الحسبة وأخبر إخبارا مؤكدا أنه ينبذ في الحطمة أي التي." [1]

"سيماهم في وجوههم من أثر السجود

(الفتح: ٢٩) هو الخشوع.

[٥٨٥]- قالت أعرابية في الموقف: سبحانك ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله، وأوحشه على من لم تكن أنيسه.

[٥٨٦]- **قيل لأعرابي**: كيف أصبحت؟ قال: كيف يصبح من يفنى ببقائه؟! [٥٨٧]- سمع يحيى بن خالد نوح بن قدامة العدوي «١» ينشد في صفة الدنيا: [من البسيط] .

حتوفها رصد وشربها رنق ... وعيشها نكد وملكها دول

فقال: لقد انتظم هذا الشعر صفة هذه الغرارة.

---

[٥٨٥] البصائر ١: ١٥ ونثر الدر ٤: ١٥ وربيع الأبرار: ١٥٦/أ (٢: ٢٤٧) .

[٥٨٦] نسب لعلي في نهج البلاغة: ٤٨٩ (رقم: ١١٥) وأمالي الطوسي ٢: ٢٥٤.

[٥٨٧] المحاسن والأضداد: ١١٨ والبيت في ديوان المعاني ٢: ١٨١.." [2]

"الصمحمح ثم أتيتني تعصر عينيك وتشتكي؟! «٣٤٩» - **قيل لأعرابي** اشتد به الوجع: لو تبت؟ فقال: لست ممن يعطي على الضيم، إن عوفيت تبت.

«٣٥٠» - قال أعرابي لرفيقه: أترى هذه الأعاجم تنكح نساءنا في الجنة؟ قال له: نعم أرى ذلك بأعمالهم الصالحة، فقال: توطأ إذن والله رقابنا قبل ذلك.

«٣٥١» - نزل عطار يهودي بعض أحياء العرب ومات، فأتوا شيخا لهم لم يكن يقطع في الحي أمر دونه، فأعلموه خبر اليهودي، فجاء فغسله وكفنه وتقدم وأقام الناس خلفه وقال: اللهم إن هذا اليهودي جار وله ذمام، فأمهلنا حتى نقضي ذمامه، فإذا صار في لحده فشأنك والعلج.

«٣٥٢» - كان خالد بن صفوان أحد من إذا عرض له القول قال، فيقال إن سليمان بن علي سأله عن ابنيه جعفر ومحمد، فقال له: كيف إحمادك جوارهما يا أبا صفوان؟ فقال: [من الطويل]

أبو مالك جار لها وابن برثن ... فيا لك جاري ذلة وصغار

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥٢١/٥

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٣٣/١

والشعر ليزيد بن مفرغ الحميري، فأعرض عنه سليمان، وكان سليمان من أجمل الناس وأكرمهم، وهو في الوقت الذي أعرض فيه عنه والي البصرة وعم الخليفة المنصور.." (١)

"إذ عربد عليه فشق قباء ديباج عليه فقام وقال: [من الطويل]

لعمرك ما الديباج خرقت وحده ... ولكنما خرقت جلد المهلب

فبعث المهلب إلى حبيب فأحضره وقال: صدق زياد ما خرقت إلا جلدي، تبعث علي هذا [١] يهجوني؟! ثم أحضره وتسلل سخيمته وأمر له بمال وصرفه.

«٣٥٤» - قيل لأعرابي ما يمنعك أن تمنع جارتك فإنه يتحدث إليها فتيان الحي، قال: وهي طائعة أو كارهة؟ قالوا: طائعة، قال: إنما أمنع جاري مما يكره.

«٣٥٥» - قدم الحكم بن عبدل الأسدي على ابن هبيرة واسطا، فأقبل حتى وقف بين يديه ثم قال: [من الطويل]

اتيتك في أمر من آمر عشيرتي ... وأعيا الأمور المفظعات جسيمها

فإن قلت لي في حاجة أنا فاعل ... فقد ثلجت نفسي وولت همومها

فقال ابن هبيرة: أنا فاعل إن اقتصدت، فما حاجتك؟ قال: غرم لزمنا في حمالة، قال: وكم هي؟ قال: أربعة آلاف، قال: نحن مناصفكوها، قال: أصلح الله الأمير، أتخاف علي التخمة إن أتممتها؟ قال: أكره أن أعود الناس هذه العادة، قال: فأعطني جميعها سرا وامنعني جميعها ظاهرا حتى تعود الناس المنع، وإلا فالضرر عليك واقع إن عودتهم نصف ما يطلبون، فضحك ابن هبيرة وقال: ما عندنا غير ما بذلنا لك، فجثا بين يديه وقال:

---

[١] م: هذا علي.." (٢)

"«٧٤١» - وقال حاتم: [من الطويل]

لا تسأليني واسألي أي فارس ... إذا الخيل جالت في قنا فتكسرا

ولا تسأليني واسألي أي ياسر ... إذا بادر القوم الكنيف المسترا

واني لوهاب لقطعي ونمرقي [١] ... إذا ما صحوت [٢] والكميت المصدرا

وإني لتغشى أبعد الحي جفنتي ... إذا ورق الطلح الطوال تحسرا

«٧٤٢» - نزل رجل بامرأة من العرب فقال لها: هل من لبن أو طعام يباع، فقالت: إنك للئيم أو حديث عهد باللئام، فاستحسن ذلك منها وخطبها فتزوجها.

«٧٤٣» - قيل لأعرابية وقد حملت شاة تبيعها: بكم هذه؟ قالت:

بكذا، قيل لها: أحسني، فتركت الشاة ومرت لتنصرف، فقيل لها: ما هذا؟ فقالت: لم تقولوا أنقصي، وإنما قلتم أحسني،

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٥٩/٢

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٦١/٢

والإحسان ترك الكل.

«٧٤٤» - قال أبو الحسين محمد بن عمر بن بكير: كان أبي بين يدي

---

[١] الديوان: قطوعي وناقتي.

[٢] الديوان: إذا ما انتشيت.." (١)

"قال: قبلي ما [١] أحسنه أبوك وبعد ما اتعظت بمصرع كمصرع جدك وخالك وأخيك، قال: إنك لغليظ الكلام، قال: إنني ممن تعرف، قال: إنكم لتبغضون قريشا، قال: أما من كان أهله منهم فنبغضه، قال: ومن الذين هم اهله [٢] ؟ قال: من قطع القرابة واستأثر بالفيء وطلب الحق فلما أعطيه منعه، قال: ما فيك خير من أن نسكت عنك، قال: ذاك إليك، قال:

قد فعلت، قال: فقد [٣] سكت.

«١٠٨٨» - قال الحارث بن خالد المخزومي، وقد فر عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد من الخوارج فرارا قبيحا، على كثرة عدده [٤] وقلتهم: [من الخفيف]

فر عبد العزيز حين رأى الأب ... طال بالسفح نازلوا قطريا

عاهد الله إن نجا ملمنايا ... ليعودن بعدها حرميا [٥]

حيث لا يشهد القتال ولا يس ... مع يوما لكر خيل دويا

«١٠٨٩» - قيل لأعرابي: ألا تغزو فإن الله قد أمرك به، فقال: والله إني لأبغض الموت على فراشي في عافية فكيف أمضي إليه ركضا، ومثله قول الشاعر: [من البسيط]

---

[١] م: لقد.

[٢] ح: من أهله.

[٣] ح م: قد.

[٤] م: عددهم.

[٥] ح: احدميا (دون اعجام) .." (٢)

"نوادر من هذا الباب

«٢٩١» - مر رجل بجمين [١] فسلم عليه، فلم يرد عليه، فقيل له في ذلك فقال: سلم علي بالإيماء فرددت عليه بالضمير.

«٢٩

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢/٢٨٢

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢/٤٢٦

- مر أبو دهمان، وهو أمير نيسابور، على رجل جالس، ومع أبي دهمان صديق له يسايره، فقام الناس إليه ودعوا له إلا ذلك الرجل، فقال أبو دهمان لصديقه الذي يسايره: أما ترى ذلك الرجل في النظارة [٢] وتيهه علي؟ فقال له: وكيف يتيه عليك وأنت الأمير؟ قال: لأنه قد ناكني وأنا غلام.

٢٩٣- قيل لأعرابي كيف تقول: استخذأت أو استخذيت؟ قال: لا أقوله، قيل: ولم؟ قال: لأن العرب لا تستخذي.

«٢٩٤» - الهنادي: [من الكامل]

يا قبلة ذهبت ضياعا في يد ... ضرب الإله بنانها بالنقرس

يتلوه: باب القناعة والحرص إن شاء الله تعالى.

---

[١] ع: بجميز. ح: بحمير.

[٢] ع: في انتظاره.." (١)

"أقوى؟ قال العدل.

«٥٩٨» - قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات: جلس أبي يوما للمظالم، فلما انقضى المجلس رأى رجلا جالسا فقال له: ألك حاجة؟ قال:

نعم، تدنيني إليك فإنني مظلوم، فأدناه فقال: إني مظلوم وقد أعوزني الإنصاف، قال ومن ظلمك؟ قال: أنت، ولست أصل إليك فأذكر حاجتي.

قال: ومن يحجبك وقد ترى مجلسي مبذولا؟ قال: يحجبني عنك هيبتك، وطول لسانك، وفصاحتك واطراد حجتك. قال: ففيم ظلمتك؟ قال: ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غصبا بغير ثمن، وإذا وجب عليها خراج أديته باسمي لئلا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي، فوكيلك يأخذ غلتها وأنا أؤدي خراجها، وهذا ما لم يسمع في الظلم بمثله. فقال له محمد: هذا قول يحتاج إلى بينة وشهود وأشياء، فقال له الرجل: أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أجيب؟

قال: قد أمنتك. قال: البينة هم الشهود، وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شيء، فما معنى قولك: فيه شهود وأشياء؟ ما هذه الأشياء إلا العي والحصر والتغطرس؟ فضحك وقال: صدقت، والبلاء موكل بالمنطق، وإني لأرى فيك مصطنعا. ثم وقع له برد ضيعته وبأن يطلق له كر حنطة وكر شعير ومائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته، وصيره من أصحابه واصطنعه.

«٥٩٩» - قيل لأعرابي من بني أسد: كيف تركت الناس قال: بشر، من مظلوم لا ينتصر، وظالم لا يقلع.

٦٠٠- قال عبد الملك بن مروان: كنت أجالس بريرة قبل أن ألي هذا الأمر، فقالت لي: يا عبد الملك إنك لخليق أن تلي هذا الأمر، فإن وليته فاحذر." (٢)

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣/١١١

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣/١٩٤

"نوادر في الشكر

٢٩١- سأل أبو العيناء رجلا ممن كان يصحب الحسن بن مخلد عن حاله فأقبل يشكره، فقال له أبو العيناء: لسان حالك يكذب لسان شكرك.

«٢٩٢» - قدم أبو نخيلة على أبان بن الوليد فامتدحه فكساه ووهب له جارية جميلة، فخرج يوما من عنده فلقيه رجل من قومه فقال له: كيف وجدت أبان ابن الوليد؟ فقال: [من الرجز]

أكثر والله أبان ميري ... ومن أبان الخير كل الخير

ثوب لجلدي وحر لأيري

٢٩٣- تكلم رجل عند عبد الله بن العباس فأكثر الخطأ، فدعا بغلام له فأعتقه، فقال له الرجل: ما سبب هذا الشكر؟ فقال: إذ لم يجعلني مثلك.

«٢٩٤» - **قيل لأعرابي** في الشتاء: أما تصلي؟ قال: البرد شديد وما علي كسوة أصلي فيها، وقال: [من الطويل]

إن يكسني ربي قميصا وريطة ... أصل وأعبده إلى آخر الدهر

وإن لم يكن إلا بقايا عباءة ... مخرقة ما لي على البرد من صبر." (١)

"اترك مكاشفة الصديق إذا ... غطى على هفواته ستر

واعلم بأنك لست عاطفه ... باللوم حين يفوته العذر

«٩٩٢» - **قيل لأعرابي**: لم تقطع أخاك وهو شقيقك وابن أمك أبيك؟

فقال: والله إني لأقطع العضو النفيس من جسدي إذا فسد، وهو أقرب إلي من أخي.

«٩٩٣» - وقال عبيد الله بن عبد الله [بن طاهر] في مثل ذلك: [من الطويل]

ألم تر أن المرء تدوى يمينه ... فيقطعها عمدا ليسلم سائره

فكيف به من بعد يمناه صانعا ... بمن ليس منه حين تبدو سرائره

«٩٩٤» - قيل: الإخوان كالنار قليلها مشاع وكثيرها بوار.

«٩٩٥» - وقال عمرو بن العاص: إذا كثر الإخاء كثر الغرماء. أراد بالغرماء الحقوق.

٩٩٦- وقيل: لا أنس لمن لا إخوان له، ولا ذكر لمن لا ولد له، ولا شيء لمن لا عقل له، ولا مكرمة لمن لا مال له.

٩٩٧- كتب رجل إلى أخ له: أما بعد فإن كان إخوان الثقة كثيرا فأنت أولهم، وإن كانوا قليلا فأنت أوثقهم، وإن كانوا واحدا فأنت هو.

«٩٩٨» - مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن شمس: [من الطويل]

أخوك الذي إن تجن يوما عظيمة ... بيت ساهرا والمستذيقون رقد." (٢)

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٠٢/٤

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٧٦/٤

"مني، ولا أدعى إلى السلامة من هجائي نفسي، فقلت: [من الوافر]

ألا أبلغ لديك أبا دلامه ... فلست من الكرام ولا كرامه

جمعت دمامة وجمعت لؤما ... كذاك اللؤم تتبعه الدمامه

فإن تك قد أصبت نعيم دنيا ... فلا تفرح فقد دنت القيامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه.

٥٠٨- رؤي أعرابي يبول في المسجد فصاحوا عليه فقال: أنا والله أفقه منكم، إنه مسجد باهلة.

«٥٠٩» - **وقيل لأعرابي**: أيسرك أن تدخل الجنة وأنت باهلي؟ قال: على أن لا يعرف فيها نسبي.

«٥١٠» - وقال أحمد بن سعيد الباهلي لأبي العيناء: إني أصبت لباهلة فضيلة لا توجد في سائر العرب، قال: وما هي؟ قال: لا يصاب فيهم دعي، قال: لأنه ليس فوقهم من يقبلهم، ولا دونهم أحد فينزلون إليه.

«٥١١» - وقيل له: ما تقول في محمد بن مكرم والعباس بن رستم؟ قال: هما الخمر والميسر وإثمهما أكبر من نفعهما.

«٥١٢» - وسقط نجاح بن سلمة عن دابته، فوثب إليه إبراهيم بن عتاب فأخذه من الأرض، فقال أبو العيناء: يا أبا الفضل لميتة مجهزة أصلح من عافية على يد ابن عتاب.

«٥١٣» - واعترضه يوما أحمد بن سعيد فسلم عليه، فقال أبو العيناء: من." (١)

"نهد المراكل مدمج أرساغه ... عبل المعاقم لا يبالي ما أتى

إني وجدت الخيل عزا ظاهرا ... تنجي من الغمى ويكشفن الدجى

ويبتن بالثغر المخوف طليعة ... ويبتن للصعلوك جمة ذي الغنى

يخرجن من خلل الغبار عوابسا ... كأصابع المقرور أقعى فاصطلى

«٦٤٢» - وقال مزرد بن ضرار أخو الشماخ: [من الطويل]

وعندي إذا الحرب العوان تلقحت ... وأبدت هواديها الخطوب الزلازل

أجش صريحي كأن صهيله ... مزامير شرب جاوبتها جلاجل [١]

متى ير مركوبا تقل باز قانص ... وفي مشيه عند القياد تساتل [٢]

تقول إذا أبصرته وهو صائم ... خباء على نشز أو السيد ماثل

خروج أضاميم وأحصن معقل ... إذا لم يكن إلا الجياد معاقل [٣]

يرى طامح العينين يرنو كأنه ... مؤانس ذعر فهو بالأنس خاتل

وصم الحوامي ما يبالي إذا عدا ... أوعث نقا عنت له أم جنادل [٤]

«٦٤٣» - وقال جرير يصف حالا منها: [من الكامل]

وطوى الطراد مع القياد بطونها ... طي التجار بحضرموت برودا

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٥/١٧٣

«٦٤٤» – وقيل لأعرابي: كيف عدو فرسك؟ فقال: يعدو ما وجد أرضا.

---

[١] صريحي: منسوب إلى فحل اسمه صريح.

[٢] تساتل: تتابع.

[٣] الأضاميم: جماعات الخيل؛ المعقل: موطن الاحتراز؛ أي هو نسيج وحده بين سائر الخيل.

[٤] أي حوافره صم الحوامي، والحوامي: جوانب الحوافر.." (١)

"قال: إنه يدخل الروازن، ويمنع من الدبيب، ويدل على اللصوص، ويسخن الماء، ويحرق الكتان، ويورث الزكام، ويحل الدين، ويزهم اللحم.

١٤١٢– قيل لأعرابي: ما صفة الأير عندكم؟ قال: عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا ترد.

١٤١٣– سئل رقبة بن مصقلة عن مأدبة حضرها فقال: أتينا بخوان كأنه جوبة من الأرض، ورقاق كآذان الفيلة، وجرجير كآذان المعزى، ثم أتينا بساكنة ماء كأن ظهرها طائر قرطاسي، وبفالوذج رعديد كأن الزنبق والجاذي ينبعان منه ترى النقش من تحته.

«١٤١٤» – أتى رجل مكفوف نخاسا فقال: الطلب لي حمارا ليس بالصغير المحتقر، ولا الكبير المشتهر، إن خلا الطريق تدفق، وإن كثر الزحام ترفق، لا يصادم السواري، ولا يدخلني تحت البواري، إن أقللت علفه صبر، وإن أكثرت شكر، وإن ركبته هام، وإن ركبه غيري نام. فقال له النخاس: اصبر فإن مسخ الله القاضي حمارا قضيت حاجتك.

«١٤١٥» – وقالت أم الورد بنت أوس العجلانية: [من الرجز]

هن لعمارة جهم منظره ... يروق عيني كل خرق يبصره

ظلت به لاهية تزعفره ... مثل السنام طار عنه وبره

كأن حجاما شديدا أبهره ... يمص ماء ظهره ويحدره

كأن رمانا يفت أحمره ... بعثره في جوفه مبعثره

تم له منظره ومخبره." (٢)

"الفصل الخامس نوادر هذا الباب

[١٢٠]– قال سهل بن غالب الخزرجي في معاذ بن مسلم جد يحيى بن معاذ: [من المنسرح]

إن معاذ بن مسلم رجل ... ليس لميقات عمره أمد

قد شاب رأس الزمان واكتهل الد ... دهر وأثواب عمره جدد

قل لمعاذ إذا مررت به ... قد ضج من طول عمرك الأبد

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٤٣/٥

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٤٤٥/٥

يا بكر حواء كم تعيش وكم ... تسحب ذيل الحياة يا لبد

قد أصبحت دار آدم خربت ... وأنت فيها كأنك الوتد

تسأل غربانها إذا نعبت ... كيف يكون الصداع والرمد

فاشخص ودعنا فإن غايتك ال ... موت وإن شد ركنك الجلد

١٢١- **قيل لأعرابي**: ألا تغير مشيبك بالخضاب؟ قال: ألا بلى! ففعل ذلك مرة ثم لم يعاوده، فقيل له: لم لم تعاود الخضاب؟ فقال: يا هناه لقد تشد لحياي فجعلت إخالني ميتا.

[١٢٢]- نظر يزيد بن مزيد الشيباني إلى رجل ذي لحية عظيمة وقد تلففت على صدره وإذا هو خاضب، فقال له: إنك من لحيتك لفي مؤونة؟ قال: أجل! ولذلك أقول: [من الطويل]

---

[١٢٠] الحيوان للجاحظ ٣: ٤٢٣ وعيون الأخبار ٤: ٥٩ والعقد ٢: ٥٢ وثمار القلوب: ٣٧٧ وربيع الأبرار ٢: ٤٢٠ وابن خلكان ٥: ٢١٨- ٢١٩.

[١٢٢] ربيع الأبرار ١: ٨٤٨- ٨٤٩.." (١)

"تفر مع أصحابك؟ قال: لم يكن لي جرم فأفر منك، ولا كان الطريق ضيقا فأوسعه عليك.

٩٨٠- أتي الحجاج بأعرابي في أمر احتاج إلى مساءلته عنه، فقال الحجاج: قل الحق وإلا قتلتك، فقال له: اعمل به أنت، فإن الذي أمرك بذلك أقدر عليك منك علي، فقال الحجاج: صدق. فخلوه.

«٩٨١» - قدم أعرابي على سلطان ومعه قصة، فجعل يقول: هاؤم اقرأوا كتابيه، فقيل له: هذا يقال يوم القيامة، فقال: هذا شر من يوم القيامة، إنه يؤتى يوم القيامة بحسناتي وسيئاتي، وأنتم جئتم بسيئاتي وتركتم حسناتي.

«٩٨٢» - حلف أعرابي بالمشي إلى بيت الله الحرام لا يكلم ابنه، فحضرته الوفاة، فقيل له: كلمه قبل أن تفارق الدنيا، فقال: والله ما كنت قط أعجز عن المشي إلى بيت الله تعالى مني الساعة.

«٩٨٣» - **قيل لأعرابي** ينسج: ألا تستحي أن تكون نساجا فقال: إنما أستحي من أن أكون أخرق لا أنفع أهلي.

«٩٨٤» - مد المأمون يده إلى أعرابي ليقبلها، فتناولها بكمه، فقال: أتتقزز منها؟ قال: لا بل أتقزز لها.

«٩٨٥» - قال رجل: رأيت أعرابيا في إبل قد ملأت الوادي، فقلت: لمن هذه؟ قال: لله في يدي.

«٩٨٦» - سأل أعرابي فقيل له: بورك فيك، وتوالى عليه ذلك من غير." (٢)

"أحوج إليها لأنهم أهل عمد وطنب، وحل وترحال، فلهم في كل نوء حال يصرفون أمرهم عليها.

١٢٩٨- وقد **قيل لأعرابي**: ما أعلمك بالنجوم؟ قال: من الذي لا يعلم أجذاع بيته؟

١٢٩٩- **وقيل لأعرابية**: تعرفين النجوم؟ قالت: سبحان الله أما نعرف أشياخنا وقوفا علينا كل ليلة؟

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٤٥/٦

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢١٩/٧

«١٣٠٠» - ولهم فيها أسجاع محفوظة متداولة.

قالوا: إذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء.

إذا طلع الدبران توقدت الحزان، واستعرت الدبان، ويبست الغدران.

إذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء وأوفى على عوده الحرباء، وكنست الظباء، وعوق العلباء، وطاب الخباء.

إذا طلع الدراع حسرت الشمس القناع، وأشعلت في الأفق الشعاع، وترقرق السراب بكل قاع.

إذا طلعت الشعرى، نشفت الثرى، وأجن الصرى، وجعل صاحب النحل يرى.

إذا طلعت الجبهة، كانت الولهة، وتغارت السفهة.

إذا طلع سهيل، طاب الليل، وحدى النيل، وامتنع القيل، وللفصيل الويل، ورفع كيل، ووضع كيل.

إذا طلعت الصرفة، اختال كل ذي حرفة، وجفر كل ذي نطفة.

إذا طلعت العواء، ضرب الخباء، وطاب الهواء، وكره العراء، وسنن السقاء.

إذا طلعت السماك ذهبت العكاك، وقل على الماء اللكاك.." (١)

"لها زوجها: تبارك ربنا إنه ليأمرنا بمكارم الأخلاق.

١٣٦٥- **قيل لأعرابي**: ما أصبركم على البدو، قال: كيف لا يصبر من طعامه الشمس وشرابه الريح، ولقد خرجنا في إثر قوم تقدموا مراحل ونحن حفاة والشمس في قلة السماء حيث انتعل كل شيء ظلة، وما زادنا إلا التوكل وما مطايانا إلا الأرجل حتى لحقناهم.

١٣٦٦- عبيد: [من الطويل]

لعمرك إني والظليم بقفرة ... لمشتبها الأهواء مختلفا النجر

خليلا صفاء بعد طول عداوة ... ألا يا لتقليب القلوب وللدهر

١٣٦٧- قال: اجتمع السرور والنوك والخصب والوباء والمال والسلطان والصحة والفاقة بالبادية، فقالوا: إن البادية لا تسعنا فتعالوا نتفرق في الآفاق، فقال السرور: أنا منطلق إلى اليمن، قال النوك: أنا معك، قال الخصب: أنا إلى الشام، قال الوباء: أنا معك، قال المال: أنا إلى العراق، قال السلطان: أنا معك، قال الفاقة:

ما بي حراك، فقالت الصحة أنا معك، فبقيت الفاقة والصحة بالبادية.

١٣٦٨- الحرقوص دويبة أكبر من البرغوث وعضها أشد. تزعم العرب أنها مولعة بفروج النساء، ويقال لها: النهيك، وقيل هو البرغوث بعينه، قال أعرابي وقد عض بهن امرأته: [من الطويل]

وإني من الحرقوص إن عض عضة ... بما بين رجليها لجد غيور

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٥٨/٧

تطيب نفسي عندما يستفزني ... مقالتها إن النهيك صغير

ويتلوه الباب السادس والثلاثون والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد نبيه وآله وصحبه وسلم.." (١)

"نوادر من هذا الباب

٢٧٩- دخل اللصوص على رجل فقير ليس في بيته شيء، وجعلوا يطلبون ويفتشون، فانتبه الرجل فرآهم فقال: يا فتيان هذا الذي تطلبون بالليل قد طلبناه بالنهار فلم نجده.

٢٨٠- دخل لص دارا فلم يجد فيها شيئا إلا دواة، فكتب على الحائط:

عز علي فقركم وغناي.

٢٨١- احتاج مزبد أن يبيع جبة لسوء حاله فنادى المنادي عليها فلم تطلب بشيء، فقال مزبد: ما كنت أعلم أني كنت عريانا إلا الساعة.

٢٨٢- **قيل لأعرابي** فقير: ما تلبس؟ قال: الليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس.

٢٨٣- أتى أعرابي الحضر فجعل يؤجر بعيره ويحمل عليه، فقيل: قد أتعبت نفسك وكددت بعيرك، فقال: [من الرجز]

يشكو إلي جملي طول السرى ... يا جملي ليس إلي المشتكى

الدرهمان كلفاني ما ترى ... حمل الجواليق وجذبا بالعرى

صبرا قليلا فكلانا مبتلى

«٢٨٤» - كان أبو الشمقمق الشاعر أديبا ظريفا عاقلا محارفا صعلوكا متبرما قد لزم بيته في أطمار مسحوقة. وكان إذا استفتح أحد بابه خرج فنظر من فروج الباب، فإن أعجبه فتح له وإلا سكت عنه. فأقبل إليه بعض إخوانه، فلما رأى." (٢)

"تحسدني أن أصيب خيرا أو أستشهد فأستريح من الدنيا والطلب لها. فأعجبه قوله وجزالته فولاه، فأصاب في وجهه ذلك مالا كثيرا وانصرف إلى المدينة، فقال لزوجته: ألم أخبرك أنه سيغنيك سيري في البلاد ومطلبي؟ قالت: بلى والله! لقد أخبرتني وصدق خبرك.

٣٣٤- **قيل لأعرابي**: إنكم لتكثرون من التجول والرحيل وتهجرون الأوطان، قال: ليس الوطن بأب والد ولا بأم مرضع، فأي بلد طاب فيه عيشك، وحسنت فيه حالك، وكثر فيه درهمك ودينارك، فاحطط به رحلك، فهو وطنك وأبوك وأمك وأهلك.

[أقوال أبي محلم الشاعر]

«٣٣٥» - قال أبو محلم الشاعر: شخصت مع عبد الله بن طاهر إلى خراسان في الوقت الذي شخص، وكنت أعادله فأسايره، فلما صرنا إلى الري مررنا بها سحرا، فسمعنا أصوات الأطيار من القماري وغيرها، قال لي عبد الله: لله در أبي كبير

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٤٢٠/٧

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٠٩/٨

الهذلي حيث يقول: [من الطويل]

ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر ... وغصنك مياد ففيم تنوح

ثم قال: يا أبا محلم هل يحضرك في هذا شيء؟ فقلت: أصلح الله الأمير كبرت سني، وفسد ذهني، ولعل شيئا أن يحضرني، ثم حضر شيء فقلت: أصلح الله الأمير حضر شيء، تسمعه؟ فقال هاته، فقلت: [من الطويل]

أفي كل عام غربة ونزوح ... أما للنوى من ونية فيريح

لقد طلح البين المشت ركائبي ... فهل أرين البين وهو طليح

وذكرني بالري نوح حمامة ... فنحت وذو الشجو الحزين ينوح

على أنها ناحت ولم تذر دمعها ... ونحت وأسراب الدموع سفوح

وناحت وفرخاها بحيث تراهما ... ومن دون أفراخي مهامه فيح." (١)

"[أقوال للأعراب]

«٣٥٦» - قيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان.

٣٥٧- إن أعانتك الغربة على الزمن فلا تطع النزاع إلى الوطن.

«٣٥٨» - يقال للرجل المسفار: خليفة الخضر.

قال أبو تمام: [من البسيط]

خليفة الخضر من يربع على وطن ... في بلدة فظهور العيس أوطاني

بالشام قومي وبغداد الهوى وأنا ... بالرقمتين وبالفسطاط إخواني

«٣٥٩» - قيل لأعرابي: إنك لتبعد السفر، قال: رأيت ما في أيدي الناس أبعد مما في السفر.

«٣٦٠» - قيل لابن الأعرابي: لم سمي السفر سفرا؟ قال: لأنه يسفر عن أخلاق القوم، أي يكشف.

«٣٦١» - قال علي عليه السلام: ست من المروءة: ثلاث في الحضر وثلاث في السفر. فأما اللاتي في الحضر: فتلاوة كتاب الله، وعمارة مساجد الله، واتخاذ الإخوان في الله، وأما اللاتي في السفر: فبذل الزاد، وحسن الخلق، والمزاح في غير معاصي الله.

«٣٦٢» - أغار حذيفة بن بدر على هجائن المنذر، وسار في ليلة مسيرة ثمان، فضرب بمسيره المثل فقيل: سار فلان مسير حذيفة.

«٣٦٣» - قال قيس بن الخطيم: [من الوافر]." (٢)

"«٤٠٦» - قال ابن عباس رضي الله عنه: لو قنع الناس بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم لما اشتكى عبد الرزق.

٤٠٧- وقال عمر رضي الله عنه: عمر الله البلدان بحب الأوطان.

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٢٥/٨

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٣١/٨

«٤٠٨» – والعرب تقول: حماك أحمى لك، وأهلك أحفى بك.

٤٠٩– وقال ابن الزبير: ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم.

«٤١٠» – **قيل لأعرابي**: أتشتاق إلى وطنك؟ فقال: كيف لا أشتاق إلى رملة كنت جنين ركامها ورضيع غمامها.

٤١١– بعض العرب: [من الطويل]

ألا ليت شعري هل تخلف ناقتي ... بصحراء من نجران ذات ثرى جعد

وهل تنفضن الريح أفنان لمتي ... على لاحق الأطلين مضطمر ورد

وهل أردن الدهر حسي مزاحم ... وقد ضربته نفحة من صبا نجد

٤١٢– وقال صاحب الزنج في اليوم الذي قتل فيه، وكان هرب من داره:

[من الطويل]

عليك سلام الله يا خير منزل ... خرجنا وخلفناه غير ذميم

فإن تكن الأيام أحدثن فرقة ... فمن ذا الذي من ريبها بسليم

«٤١٣» – قال الجاحظ: رأيت المتفلسف من البرامكة إذا سافر أخذ معه تربة مولده في جراب يتداوى به.." [(١)]

"أكثروا لهم الطعام؛ فإنه والله ما بطن قوم إلا فقدوا بعض عقولهم، وما مضت عزمة رجل بات بطينا. فلما وجد معاوية ما قاله صحيحا، قال معاوية: إن البطنة تأفن الفطنة.

تأفن: أي تنقص، ومنه رجل مأفون وأفين: أي ناقص العقل.

١٨٣– قال الحسن: لقد صحبت أقواما ما كان يأكل أحدهم إلا في ناحية بطنه، ما شبع رجل منهم من طعام حتى فارق الدنيا: كان يأكل، فإذا قارب شبعه، أمسك [...] الفضل والله للمعاد.

«١٨

– **قيل لأعرابي**: ما طعامك؟ قال: الخل والزيت، فقيل له: أتصبر عليهما؟ قال: ليتهما يصبران علي.

«١٨٥» – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلوب تموت كالزرع إذا كثر عليه الماء» .

١٨٦– وقال عيسى عليه السلام: يا بني إسرائيل، لا تكثروا الأكل، فإن من أكثر الأكل أكثر النوم، ومن أكثر النوم أقل الصلاة، ومن أقل الصلاة كتب من الغافلين.

١٨٧– وقال الخليل: أثقل ساعاتي علي ساعة آكل فيها.

١٨٨– وقال الفضيل: أتخاف أن تجوع؟ لا تخف؛ أنت أهون على الله من ذاك، إنما كان يجوع محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

١٨٩– وعنه: خصلتان تقسيان القلب: كثرة الأكل، وكثرة الكلام.

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٤٢/٨

١٩٠- دخل سفيان بن عيينة على الرشيد وهو يأكل بملعقة، فقال: حدثت عن جدك ابن عباس في قوله تعالى: ولقد كرمنا بني آدم

(الاسراء: ٧٠) ، قال: جعلنا لهم أيديا يأكلون بها. فكسر الملعقة.." [١]

"النحل، فقال سليمان: إنه مع هذا يزيد في الدماغ؛ فقال كذبوك يا أمير المومنين، ولو صدقوك لأصبح رأسك مثل رأس البغل الأطحل.

٣٣٤- موسى الثقفي: [من الوافر]

فما شيء بأحسن من خوان ... أتاك يزفه خلق الثياب

وقد ناجاك سر الجوع حتى ... تعلق خمص بطنك بالحجاب

فتغمس خمس كفك في ثريد ... بلقم مثل منكمش الذهاب

كأن دويه في الحلق لما ... هوى، رعد يهمهم في سحاب

«٣٣٥» - قيل لأعرابي: ما اسم المرق عندكم؟ قال: السخين، قال: فإذا برد؟ قال: [لا] ندعه يبرد.

٣٣٦- قعد صبي مع قوم، فقدم شيء حار، فأخذ الصبي يبكي، قالوا:

ما يبكيك؟ قال: هو حار، قالوا: فاصبر حتى يبرد، قال: أنتم لا تصبرون.

٣٣٧- قال بعضهم: رأيت ثلاثة من الهراسين على بقعة واحدة، وهم يتكايدون في مدح هرايسهم. فأخرج أحدهم من هريسته قطعة على المغرفة وأسالها وهو يقول: إنزلي ولك الأمان، فقال الثاني: يا قوم، أدركوني، الحقوني،! أنا أجذبها وهي تجذبني، والغلبة لها، فقال الثالث: لا أدري ما تقول، من أكل من هريستي، أسرج ببوله شهرا.

«٣٣٨» - كان بعض الأكلة يباكر الأكل، فقيل له: اصبر حتى تطلع الشمس، فقال: أنا لا أنتظر بغدائي من يقدم من أقصى خراسان.

«٣٣٩» - قيل لبعضهم: التمر يسبح في البطن، قال: إذا كان التمر يسبح،." [٢]

"فاللوزينج يصلي في البطن تراويح.

«٣٤٠» - قال عثمان الدقيق الصوفي: رأيت أبا العباس بن مسروق، وهو أحد شيوخ الصوفية، في يوم مطير على الجسر مشدود الوسط، فقلت له: يا عم، إلى أين في هذا اليوم المطير؟ فقال: إليك عني، فقد بلغني أن بالمأمونية رجلا يقول: ليس الباذنجان طيبا؛ أريد أن أمضي إليه وأقول له: كذبت، وأرجع.

«٣٤١» - خرج طفيلي من منزل قوم مشجوجا، فقيل له: من شجك؟ قال: ضرسي.

«٣٤٢» - قيل لأعرابي: كيف حزنك على ولدك؟ قال: ما ترك لي حب الغداء حزنا على أحد.

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٩/٩٤

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٩/١٣٠

«٣٤٣» – سمع بنان رجلا يقول: يخرج الدجال في سنة قحط مجدبة، ومعه جرادق أصفهانية، وملح ذرآني، وأنجذاني [١] سرخسي، فقال: هذا– عافاك الله– رجل يستحق أن يسمع له ويطاع.

٣٤٤– قال أبو بكر بن عياش: كنا نسمي الأعمش سيد المحدثين، وكنا نجيئه آخر من يقصده، لأنا نطيل عنده، وكان لا يزال يطعمنا الشيء مما يحضره، ويسألنا فيقول: بمن مررتم اليوم، [...] ، وعمن أخذتم؟ فنسمي له الواحد، فيشير بيده، أي جيد، ونسمي آخر فيومىء بأصبعه، أي صالح، ونسمي آخر، فيقول: طير طيار، ونسمي آخر، فيقول: طبل مخرق. فقال

---

[١] ذرآني: شديد البياض. والأنجذان: نبات أسود وأبيض له قرون كقرون اللوبياء.." (١)

"«٦٠٦» – دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة، فقال: من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه تفاحة القلب، قال: انبذها عنك، فإنهن يلدن الاعداء، ويقربن البعداء، ويورثن الضغائن. قال: لا تقل يا عمرو، فو الله ما مرض المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الأحزان إلا هن، وإنك لواجد خالا قد نفعه بنو أخته. فقال عمرو: ما أراك يا أمير المؤمنين إلا وقد حببتهن إلي.

«٦٠٧» – قال عمرو بن العاص لمعاوية: ما بقي من لذتك؟ قال: عين خرارة في أرض حرارة، وعين ساهرة لعين نائمة.

وقال عمرو: أن أبيت معرسا بعقيلة من عقائل العرب.

وقال وردان: الإفضال على الإخوان.

«٦٠٨» – وقال عبد الملك: محادثة الإخوان في الليالي القمر على الكثبان العفر.

«٦٠٩» – وقال سليمان ابنه: صديق أطرح بيني وبينه مؤونة التحفظ.

٦١٠– وقيل لأعرابي: فيم اللذة؟ قال: في قبلة على غفلة.

٦١١– وقال آخر: سيف كبرق ثاقب، ولسان كمخراق لاعب.

٦١٢– وقال طفيلي: في مائدة منصوبة، ونفقة غير محسوبة، عند رجل لا يضيق صدره من البلع ولا يحبس نفسه من الجزع.

٦١٣– وقال آخر: في ندامى تغلق دورهم وتغلي قدورهم.

٦١٤– وقال عالم: في حجة تتبختر إيضاحا وحجة (شبهة) تتضاءل افتضاحا.

٦١٥– وقال الراعي: في واد عشيب ولبن حليب.." (٢)

"فقال له عمر: ما أراك تقرأ من كتاب الله شيئا، قال: بلى إني لأقرأ، قال: فاقرأ، فقرأ إذا زلزلت الأرض زلزالها (الزلزلة: ١) فلما بلغ آخرها قرأ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٣١/٩

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣١٥/٩

، فقال عمر: ألم أقل لك إنك لا تحسن تقرأ. قال: أولم أقرأ؟ قال: لأن الله عز وجل قدم الخير وأنت قدمت الشر، فقال عقيل: [من الطويل]

خذا بطن هرشى أو قفاها فإنه ... كلا جانبي هرشى لهن طريق

٧٨٦- وعقيل هذا من قوم فيهم جفاء وغلظ. مات رجل منهم فكفنه أخواه في عباءة له، وقال أحدهما للآخر: كيف تحمله؟ قال: كما تحمل القربة.

فعمد إلى حبل فشد طرفه في عنقه وطرفه في ركبته، وحمله على ظهره. فلما أراد دفنه حفر له حفرة وألقاه فيها، وهال عليه التراب حتى واراه. فلما انصرفا قال لأخيه: يا هناه! أنسيت الحبل في عنق أخي ورجليه، وسيبقى مكتوفا إلى يوم القيامة. فقال له: دعه يا هناه! قال: [إن] يرد الله به خيرا يحله.

٧٨٧- قيل لأعرابي وقد تزوج بعدما كبر: لم تأخرت عن التزويج؟

فقال: أبادر ابني باليتم قبل أن يسبقني بالعقوق.

«٧٨٨» - وقيل لأعرابي: ما تقرأ في صلاتك؟ قال: أم الكتاب ونسبة الرب وهجاء أبي لهب.

«٧٨٩» - وسمع آخر يقرأ: الأعراب أشد كفرا ونفاقا

(التوبة: ٩٧) فقال: لقد هجانا. ثم سمعه يقرأ بعده: ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر

(التوبة: ٩٩) فقال: لا بأس هجا ومدح، هذا كما قال شاعرنا:

[من الطويل]." [(١)]

"٨٧٠- أبو سهل البوشنجي: [من الكامل المجزوء]

شهر الصيام مبارك ... إن لم يكن في شهر آب

اليوم منه كأنه ... في طوله يوم الحساب

خفت العذاب فصمته ... فوقعت في عين العذاب

«٨٧١» - قال الفراء: أنشدني صبي من الأعراب أرجوزة فقلت: لمن هي؟

فقال: لي. فزبرته، فأدخل رأسه في فروته ثم قال: [من الرجز]

إني وإن كنت صغير السن ... وكان في العين نبو عني

فإن شيطاني أمير الجن ... يذهب بي في الشعر كل فن

«٨٧٢» - قيل: سمع أعرابي مؤذنا يقول: أشهد أن محمدا رسول الله بالنصب، فقال: ويحك! يفعل ماذا [١] .

«٨٧٣» - وقيل لأعرابي: أتهمز إسرائيل؟ قال: إني إذن لرجل سوء.

«٨٧٤» - وقيل لآخر: أتهمز الفارة؟ قال: السنور يهمزها.

«٨٧٥» - وقيل لآخر: أتجر فلسطين؟ قال: إني [إذن] لقوي.

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٨٠/٩

٨٧٦- أحمد بن أبي سلمة الكاتب: [من المتقارب]

حلفت بأنك من حمير ... وليس اليمين على المدعي

---

[١] في الأصل: لا تفعل ماذا، ولا معنى له في هذا السياق، والتصويب عن المصدرين.." (١)

"ما بالكم يا ظباء وجرة أم ... ما غالكم يا جآذر البقر

ماتوا فلم يدفنوا فيحتسبوا ... ففيهم عبرة لمعتبر

كأنهم بعد بهجة درست ... ركب عليهم عمائم السفر

«١٠٢٥» - وقال ابن بسام في مثله: [من البسيط]

يا من نعته إلى الإخوان لحيته ... أدبرت والناس إقبال وإدبار

حانت منيته واسود عارضه ... كما تسود بعد الميت الدار

١٠٢٦- وقال آخر: [من الوافر]

وعلق لو تنسك يوم حج ... لواحر بين زمزم والحطيم

ولو يوم المعاد رأى لواطا ... لنام على الصراط المستقيم

«١٠٢٧» - **قيل لأعرابي**: أغلمة الرجل أشد أم غلمة المرأة؟ فقال مرتجلا:

[من الطويل]

فو الله ما أدري وإني لخابر ... أألأير أدنى للفجور أم الحر

وقد جاء هذا مرخيا من عنانه ... وأقبل هذا فاتحا فاه يهدر

«١٠٢٨» - وقال أبو العيناء لرجل دخل من النصرانية في الإسلام: أتشرب الخمر؟ قال: بلى. قال: لقد أصبت عين الرأي إذ دخلت في عز هذه الدعوة وثبت على شرائط تلك النحلة.

«١٠٢٩» - قال ابن مكرم لأبي العيناء: أحسبك لا تصوم شهر رمضان،." (٢)

"**قيل لأعرابي**: فلانا خطب فلانة، أمن يسر من دين وعقل قالوا نعم، قال: فزوجوه.

أوصى الديان بن قطن الحارثي ابنته، فقال: يا بنية لا يعلون صوتك على صوت زوجك، ولا يكون أمرك على أمره، واعلمي أن كرام النساء المغلوبات لا الغالبات، فإن أعطاك يسيرا، فاستزيدي، ولا تحقري، وإن أكثر لك فاشكري، ولا تبطري، وإن ساءتك منه خليقة، فكوني به رقيقة، واعلمي أن جوادا معسرا خيرا من عشرة مياسر بخلاء.

كان عمر رضي الله عنه لا يجيز نكاحا عام سنة، يقول: لعل الضيقة تحملهم على أن ينكحوا غير الأكفاء.

خطب رجل، فلم يرضيه، وكان في عام جدب، فأنشأ يقول:

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٤٠١/٩

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٤٢٨/٩

قل للذين أتوا يبغون رخصتها ... ما أرخص الجوع عندي أم كلثوم

الموت خير لها من بعد منقصة ... سيقت إليه أبا ياجلة كوم

خطب خالد بن صفوان امرأة، فقال: أنا خالد بن صفوان، والحسب على ما قد علمت وكثرة المال على ما بلغت، وفي خصال سأبينها لك، فتقدمي علي أو دعي، قالت: وما هن؟ قال: إن المرأة إذا دنت مني أملتني، وإن تباعدت عني أعلتني، لا سبيل إلى درهمي وديناري، وثاقي على ساعة من المال، لو أن رأسي بيدي لنبذته، فقالت: قد فهمنا مقالتك، ووعينا ما ذكرت، وفيك الحمد لله خصال ما يرضى بها لبنات إبليس فانصرف، أصلحك الله وقال لبعض العرب يخاطب امرأته: [المتقارب]

فإما هلكت فلا تنكحي ... ظلوم العشرة حسادها

يرى مجده ثلب أعراضها ... لديه وينغص من سادها

قال رجل للحسن: إن لي بنية، وإنها تخطب، فمن أزوجها؟ قال: من يتق الله، فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

قال إبراهيم بن ميسرة قال لي طاووس لتنكحن، أو لأقولن لك ما قال عمر لأبي الزوايد ما يمنعك من النكاح إلا عجزا وفجورا. قالت عائشة رضي الله عنها: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة كلب، فبعثني أنظر إليها، فقال: كيف رأيت؟ قلت: ما رأيت طائلا، فقال: "لقد رأيت طائلا، ولقد رأيت خالا بخدها، حتى اقشعرت كل شعرة منك على حدة" فقلت: ما دونك ستر، ولا سر.

قال عون بن عبد الله: كان يقال من كان في صورة حسنة ومنصب لا يشينه، ووسع عليه في رزقه، وكان من خالصة الله تعالى ولبعضهم: [المتقارب]

تخبر من فيهم حسنة فتاة ... وحق له أن يتيها

رائي نفسه ورائي غيره ... فلم ير فيه لشيء شبيها

وفي معناه: ولما رآك العاذلون حجتهم، بوجهك، حتى كلهم لي عاذر.

قال الزبير بن بكار: قال جميل بن معمر: ما رأيت مصعبا يختال بالبلاط، إلا غرت على بثينة بالجناب وبينهما مسيرة ثلاث.

قال العتبي: حدثنا أبو الغصن الأعرابي قال: خرجت حاجا لبعض السنين، فلما مررت بقباء، تداعى أهله، وقالوا الصقيل، فنظرت فإذا جارية كأن وجهها سيف صقيل، فلما رميناها بالحدق، ألقت البرد على وجهها، فقلنا لها إنا سفر وقينا أجر فأمتعينا بوجهك فانصاعت، وأنا أغرق الضحك في وجهها وعينها، وهي تقول: [الطويل]

وكنت، متى أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذي لأكله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

ومر رجل فرأى فتاة من أحسن النساء، وأجملهن، فوقف ينظر إليها، فقال له عجوز من ناحية ما يقيمك على العراك النجدي، ولاحظ لك فيه، فقالت الجارية دعيه، يا أمتاه يكن لقول ذي الرمة: [الطويل]

وإن لم يكن إلا تعلل ساعة ... علي فإني نافع لي قليلها

قال جعفر بن محمد بن الجمال: مرحوم، قال: الأصمعي، خاصم رجل على امرأته إلى زياد فكأنه مال على الرجل، فقال له الرجل: أصلح الله الأمير، إن خير نصفي بني الرجال آخرهما يذهب حجله، ويثوب حلمه، ويجتمع رأيه، وإن شر نصفي بني الامرأة آخرهما يسوء خلقها، ويحد لسانها، ويعقم رحمها، فقال: اسفع بيدها.

وقد قال بعض الأعراب: [البسيط]

لا تنكحن عجوزا إن أتوك بها ... وإن حبوك على تزويجها الذهبا

فإن أتوك، وقالوا إنها نصف ... فإن أطيب نصفها الذي ذهبا

ذكر بعض الأعراب امرأة فقال: خلوت بها، والقمر يرنيها، فلما غاب أرتنيه.

طلق أبو الخندق زوجته، فقالت بعد صحبة خمسين سنة، فقال هذا ذنبك عندي لا غير.." (١)

"قال الرياشي البخل قبيح في كل أحد، وهو في ثلاثة: في الشجاع لا يجود بنفسه فكيف يبخل بماله، ومن الشاعر فإنه يذم البخل، ويعيش، ويكرم، ومن الملك فإنه لا يخاف الفقر.

سأل أبو عون الشاعر رجلا شيئا، فلم يعطه فألح عليه، فأعطاه، لما أخذ قال: اللهم السائل، والمسؤول نسألهم إلحافا، ويعطونا كرها، فلا يبارك لنا فيهن ولا يؤجرون عليه.

روي أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، تلوت عني الدنيا، وقلت ذات يدي، فال رسول الله: "فأين أنت عن صلاة الملائكة وتسبيح الخلق وبها يرزقون".

فقلت وماذا يا رسول الله؟ فقال: قل: "سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفره مائة مرة، ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الصبح، تأتيك الدنيا راغمة صاغرة، ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله إلى يوم القيامة لك ثوابه".

لمهيار: [الوافر]

أخو وجهين تخبره رقاحا ... وتبصر بظاهره حييبا

وهوبا سالبا وأخا عدوا ... بفطرته ومنقادا أبيا

فطنت لخلقه فزهدت فيه ... وبعض القوم يحسبني غبيا

وقد روينا في كتاب (حلية الأولياء) عن علي بن الحسين، قال: كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان، يتهدده ويتواعده،

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ابن الدجاجي ص/٥٧

ويحلف له ليحملن إليه مائة ألف من البر ومائة ألف من البحر أو يؤدي إليه الجزية، فسقط في درعه، فكتب إلى الحجاج أن اكتب إلى محمد بن الحنفية بكتاب شديد فتهدده وتواعده ثم أعلمني ما يرده عليك، فكتب الحجاج ذلك، وشدد فيه، وتواعده بالقتل فكتب إليه ابن الحنفية: إن لله عز وجل ثلاثمائة وستين لحظة إلى خلقه، وأنا أرجو أن ينظر الله عز وجل إلي نظرة واحدة، يمنعني بها منك، فبعث الحجاج بكتابه إلى عبد الملك بن مروان، فكتب عبد الملك إلى ملك الروم بنسخته، فقال ملك الروم ما هذا خرج منك ولا أنت كتبته، ما خرج إلا من بيت نبوة.

قال علي بن الحسين عليهما السلام لبنيه: جالسوا أهل الدين، والمعرفة، فإن لم تقدروا عليهم فالوحدة أنس، فإن أبيتم إلا مجالسة الناس، فجالسوا أهل المروءات فإنهم لا يرفثون في مجالسهم. قال الصولي عشق المأمون جارية لامرأته، أم عيسى بنت موسى الهادي، فبلغها ذلك فغضبت عليه، ثم أنهما التقيا على غير موعد ورضى، فقال المأمون: [الوافر]

زمان اللهو يقصر عن تجن ... وأعراض تجر إلى صدود

ذري عنك الذنوب إذا التقينا ... تعالي لا أعود، ولا تعودي

قال علي بن الجهم، سألني أمير المؤمنين المأمون حاجة، وأراد بذلك فرحي فسرت علي فوقع إلى: [السريع]

تعجيل جود المرء إكرامه ... ينشر عنه طيب الذكر

والحر لا يمطل معروفه ... ولا يلي المطل بالحر

قال محمد بن العباس الهاشمي: رأيت دعبل بن علي الشاعر وقفا عند خشبة بابك الخرمي على برذون أشهب، يتأمل الذي في اليوم الذي مات فيه المعتصم، وجلس الواثق، فقلت، له، ويحك، هذا موقف مثلك، امض إلى منزلك لا يصيبك هنه، فتأتي عليك، فقال: ويحك يا هاشمي، أرأيت أعجب مما نحن فيه، ثم أنشأ يقول: رافعا صوته: [البسيط]

خليفة مات لم يحزن له أحد ... وآخر قام لم يفرح به أحد

قد مر ذاك ومر الشؤم يتبعه ... وقام هذا فقام الشؤم والنكد

قيل لأعرابي أي الروائح أطيب؟ قال: بدن تحبه، وولد تربه.

أنشد المبرد لمحمد بن زياد الحارثي: [الطويل]

تخالهم صما عن الجهل، والخنا ... وخرسا عن الفحشاء عند التهاجر

ومرضى إذا لاقوا حيا وعفة ... وعند الحفاظ كالليوث الخوادر

لهم ذل إنصاف وأنس تواضع ... بهم ولهم ذلك رقاب المعاشر

كأن بهم وضما يخافون عار ... وما وصمهم إلا اتقاء المعاثر

قال العتبي يقال أن الرجل إذا مرض، ثم عوفي، ولم يحدث خيرا، ولم يكف عن شر. لقيت الملائكة بعضها بعضا، فقالوا:

فلان داويناه، فلم ينفعه الدواء.

قال: حكي أن أبا حنيفة قال لجعفر الصادق رضي الله عنه: لم حرم الله الخمر؟ قال: لأنه ما يشربها أحد قط إلا استشعر الظلم، قال: فلم حرم الله الزنا؟ قال: لأنه ما زنا أحد قط إلا سلب الحياء، قال: فلم حرم الله أكل الميتة؟ قال: لأن ما أكلها أحد قط إلا قسا قلبه، قال: فلم حرم الله الدم؟ قال: لأنه يورث الجذام.." (١)

"وظننت أني قد أسرفت على الرجل وهرت من لسانه فأقبل علي قال أعيذك بالله يا أبا عمر من هذا الكلام في دار الأمير وعلى مائدته فإن الأشراف لا يحتملون التعريض باللوم، وقد حض الدين التعريض وعزر عليه عمر بن الخطاب، ووليمة الأمير دعاة لأهل مصره، فإنه سليل أهل السقاية، والرفادة، والمطعمين، والأفضلين، الذين هشموا الثريد، وأبرزوا الجفان.

فمن غدا إليهم وراح، ثم لا يوزع، وأنت في بيت العلم، معروف بالحديث عن درست بن زياد، وهو ضعيف جدا عن أبان بن طارق، وهو متروك الحديث، بحكم يرفعه، إلى النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على خلاف لأن حكم السارق القطع، والمغير يرى على ما يراه الإمام وهذان حكمان لا ينفذان على داخل دار، في مجمع فيتناول لقما من فضل الله، الذي أنا أهلها، ثم لا يحدث حدثا، حتى يخرج عنها، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة".

حدثنا بذلك عاصم النبيل عن أبي جريج عن أبي هريرة عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ويعلم فأين أنت من هذا الحديث الصحيح الإسناد، والمتن.

قال نصر فأصابتني خجلة شديدة، فأمسكت، فلما رأى الرجل ما بي، أكل ونهض قبلي، فلما خرجت وجدته واقفا بالباب على دابته، فلما رآني تبعني، ولم يكلمني، ولا كلمته، إلا أني سمعته يتمثل: [المتقارب]

ومن ظن أن سيلاقي الحروب ... وأن لا يصاب فقد ظن عجزا

لبعضهم يهجو طفيليا: [الكامل]

كم لطمة في حر وجهك صلبة ... من كف بواب شديد ضابط

وكان ذاك، وكل ما لاقيته ... لما أكلت أصاب عرض الحائط

قال عبد الملك بن مروان لجلسائه يوما: أي المناديل أفضل؟ فقال بعضهم: اليمنية، التي كأنها نور الربيع، وقال بعضهم: المصرية، التي كأنها غرقىء البيض، فقال عبد الملك: ما صنعتم شيئا ولا قلتم شيئا، أفضلها مناديل عبدة بن الطبيب، حيث يقول: [البسيط]

ثم انثنينا إلى جرد مسومة ... أعرافهن لأيدينا مناديل

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ابن الدجاجي ص/٦٤

وكقول امرىء القيس: [الطويل]

تمش بأعراف الجياد أكفنا ... إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

المش: مسح اليد بما يقشر عنها الدسم، ويقال: المنديل مشوش.

قيل لأعرابي كان يحب امرأة، فزوجت بابن عم لها، وعزم أهلها أن يهدوها إلى بعلها، أيسرك أن يظفر الليلة بها؟ فقال نعم، والذي أمتعني بحبها، وأشقاني بطلبها، قيل: فما كنت صانعا؟ قال: كنت أطيع الحب في لثمها، وأعصي الشيطان في إثمها، ولا أفسد عشق سنين بما يبقى ذميما عاره، وينشر قبيحة أخباره في ساعة تنفد لذتها، وتبقى تبعتها إني إذا للئيم، ولم يغذني أصل كريم.

قال مالك بن دينار: بينما أنا أطوف بالبيت، وإذا بجارية متعبدة، متعلقة بأستار الكعبة، وهي تقول: يا رب كم شهوة ذهبت لذتها، وبقيت تبعتها، أيا رب ما كان لي أدب إلا بالنار، وهي تبكي، فما زال ذلك مقامها، حتى طلع الفجر، فلما رأيت ذلك، وضعت يدي على رأسي صارخا، وأقول ثكلت مالكا أمه، وعدمته جويرية، منذ الليلة، وقد بطلته، وأنشدني الحسين في معناه: [الطويل]

وطائفة بالليل، والليل مظلم ... تقول ومنها دمعها يسجم

أيا رب كم من شهوة قد رزيتها ... ولذة عيش حبلها منصرم

أم كان ربي للعباد عقوبة ... ولا أدب إلا الجحيم المضرم

فشبكت مني الكف أهتف صارخا ... على الرأس أبدي بعض ما كنت أكتم

وقلت لنفسي إذ تطاول ما بها ... وأعيا عليها وردها المتنعم

ألا ثكلتك اليوم أمك مالكا ... جويرية ألهاك عنها التكلم

فما زلت بطالاتها طول ليلة ... ينال بها حظا جسيم، وتنعم

يروى أنه تزوج رجل من همدان إلى ابنة عم له، فلم يلبث أن ضرب عليه البعث إلى آذربيجان، فأصاب بها خيرا واستفاد جارية حسناء وفرسا جوادا فسمى الجاريو حبابة، وسمى الفرس الورد، وأقام بالثغر، فقال له ابن عمه: ما يمنعك من القفول إلى منزلك؟ فقال: أخشى من ابنة عمي أن تحول بيني وبين الجارية، وقد هويتها، ثم أنشد يقول: [الطويل]

ألا لا أبالي اليوم ما صنعت هند ... إذا بقيت عندي حبابة والورد." (١)

"قال أبو نعيم: فكان في نفسي من هذا الحديث شيء، حتى حدثني حمزة بن حبيب الزيات، قال خرجت سنة من السنين أريد مكة، فلما صرت إلى بعض الطريق ضلت راحلتي، فخرجت أطلبها، فإذا أنا باثنين قد قبضا علي، أحس جسمهما، ولا أرى شخصهما، بل أسمع كلامهما فأخذاني إلى شيخ قاعد على تلة من الأرض، وهو حسن الشيبة،

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ابن الدجاجي ص/٧٤

فسلمت عليه فرد السلام، فأفرخ روعي، ثم قال لي: من أين أنت؟ وإلى أين؟ قلت: من الكوفة إلى مكة.

قال: ولم تخلفت عن أصحابك؟ قلت ضليت براحلتي، فجئت أطلبها، فرفع رأسه إلى قوم عنده وقال أنخ راحلته، فأنيخت بين يدي، ثم قال: أتقرأ القرآن قلت نعم. قال: فاقرأ: فقرأت حم الأحقاف، حتى انتهيت إلى (وإذ صرفنآ إليك نفرا من الجن) [الأحقاف: ٢٩] .

فقال مكانك، أتدري كم كانوا؟ قلت: لا، قال: كنا أربعة، وكنت أنا المخاطب عن النبي صلى الله عليه وسلم لهم، فقلت:"يا قومنا أجيبوا داعي الله، ثم قال: أتقول الشعر؟ قلت: لا، قال: فترويه، قلت: نعم، قال: هاته".

فأنشدته قصيدة زهير بن أبي سلمى: [الطويل]

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم ... بحومانة الدراج فالمتثلم

فقال لمن هذه؟ قلت: لزهير بن أبي سلمى، قال: لجني، قلت: بل لأنسي، ثم رفع رأسه إلى قوم عنده، فقال: ائتوني بزهير فأتي بشيخ كأنه قطعة لحم فألقي بين يديه، فقال له: يا زهير، قال: لبيك، أمن أم أوفى دمنة لم تكلم، لمن هي قال لي، قال حمزة الزيات يذكر أنه لزهير بن أبي سلمى، قال: صدق وصدقت، قال: وكيف هذا؟ قال هو العي من الإنس، وأنا تابعه من الجن أقول الشيء فألقيه إليه في فهم، ويقول الشيء فآخذه عنه، فأنا قائلها في الجن. وهو قائلها في الإنس، قال أبو نعيم فصدق عندي هذا الحديث، حديث إلى الجزاء أن وساوس الرجل تحدث وساوس، فمن ها هنا تفشوا الأسرار، فاستفرغ المتوكل ضحكا، وقال إلي إلي يا فتح قضت عليه خلعة، وحمله على فرس وأمر له بمال، وأمر لي بدون ما أمر له، فانصرفت إلى منزلي، وقد شاطرني الفتح ما أخذ فصار لي الأكثر، والأقل للفتح.

قال أبو عبيدة وقف حاجب بن زرارة على باب كسرى يستأذن عليه، فقال كسرى: قولوا له من أنت؟ قال: سيد العرب، فقال كسرى: أما زعمت أنك رجل منهم؟ فكيف تكون سيدهم؟ فقال: أيها الملك، وقفت ببابك، وأنا رجل غير متقدم عليهم، فلما وصلت إلى الملك سدتهم، فقال كسرى: أحسنت احشوا فاه درا.

قيل لأعرابي: ما السيد فيكم؟ قال: من أفشى سلامه، وملك كلامه، وبذل طعامه.

قالت الخنساء لعمر كان لله لديك نعم قد أنعم بها عليك وإحسان قد أحسن به إليك، ثم وصاك وعهد إليك أن تغيث الملهوف إذا وفد عليك، فإن كان قد انتزع منك تلك العطية، فقد أباحك ترك الوصية، وإن كانت نعمة لديك نامية فوصيته لك لازمة، وها أنا قائمة بين يديك، ورقيباك شاهدان عليك إن أحسنت إلي محسنا سخيا (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) [الحشر:٩] .

وإن رددتني كتبناك مسيئا بخيلا (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقرآء) [محمد: ٣٨] .

ثم ولت منصرفة فاستعادها وردها وقال لا والله ما أرتجع تلك العطية، ولا أباحني ترك الوصية، بل نعمة لدي نامية، ووصيته لي لازمة، فأعطاها ما أمكنه واعتذر.

قال أبو العباس: اختلف الناس في الجمائر الثلاثة ماهي، فقال قوم إن العرب كانت توقد النار في الشتاء للاصطلاء في كل يوم ثلاث مرات في حفر فالأولى وقت الغداة فيبقي جمرتها يصطلون بها إلى قريب الظهر، ثم تصير رمادا، فيعودون فيوقدونها

ثانيا في الحفرة من وقت الظهر فتبقى جمرته، يصطلون بها إلى وقت المغرب.
ثم تنطفيء وتصير رمادا، فيعودون، ويوقدون الثالثة من وقت المغرب، فيصطلون بها، حتى يناموا، فإذا كان اليوم السابع من شباط حميت الشمس، وانكسر البرد، فأسقطوا جمره، وهي، التي تكون وقت الظهر وسط النار، فلم يوقدوا، وإذا مضى منه أربعة عشر يوما نزلت الشمس الحوت واشتد حرها، أسقطوا الجمرة، التي تكون آخر النهار، فإذا جاء يوم الحادي والعشرين أسقطوا جمرة الغداة، ولم يوقدوا شيئا.." (١)

"يلقى السيوف بوجهه، وينحره ... ويقيم هامته مقام المغفر

ويقول للطرق اصطبر لشبا القنا ... فعفرت ركن المجد إن لم يعفر

وإذا تأمل شخص ضيف مقبل ... متسربلا بسربال محل أغبر

أومى إلى الكرماء هذا طارق ... نحرتني الأعداء إن لم ينحر

قال عطاء بن مسلم شهد رجل عند ابن ابي ليلى، وأنا عنده، فقال اكتبوا شهادته، ثم رفع رأسه فتأملته، فإذا جبينه مصففا على جبينه، قال: تصفف شعرك، ردوا شهادته، فقال: أصلحك الله، إن لي عذرا، قال: وما عذرك؟ قال بجبيني آثار، وأنا أواريها لقبح منظرها، فقال نعم، اكتبوا شهادته، ثم هم الرجل بالقيام فرأى في يده، وأظفاره آثار الحناء، فقال تخضب يدك بالحناء، ردوا شهادته، فقال إن لي عذرا، قال: وما عذرك؟ قال لي أب شيخ كبير فأنا أخضبه، قال نعم اكتبوا شهادته، ثم قام الرجل لنصرفي، فرآه يجر ثوبه، فقال تجر ثوبك، فقال لي عذر، قال: وما عذرك؟ إنا ثلاثة أخوة، وفي حالنا بعض الضعف، فقطعنا هذا القميص على قدر أوسطنا نتجمل به إذا خرجنا، وأنا أصغرهم، وأقصرهم، قال نعم اكتبوا شهادته.
قال الأصمعي: خرجت حاجا فحل محملي محمل أعرابي. فشتمته وضربته فاحتملني، فلما وصلت البيت، إذا به متعلقا باستار الكعبة يقول: إلهي إن كنت غفرت فاغفر لمن شتمني وضربني فقلت يا أعرابي، ضربناك وشتمناك، وتدعوا لنا، قال فنظر إلي نظرة، ثم أنشأ يقول: [السريع]

لا يغضب الحر على سفلة ... والحر لا يغضبه النذل

إذا لئيم سبني جهده ... أقول زدني فلي الفضل

قيل لأعرابي ممن أنت؟ فقال من قوم إن عشقوا ماتوا، قيل، ومما ذاك؟ قال في نسائنا صباحة، وفي رجالنا عفة.
قال بعض الحكماء: أول العشق النظر، وأول الحريق الشرر، قيل لأعرابي صف الناس، وأوجز، فقال: الناس رجلان بخيل يجد، ولا يجود، وجواد يزيد، ولا يجد. فنظم المعنى محمود الوراق: [المنسرح]

والناس اثنان في زمانك ذا ... لو تلتمس غير هذين رمتا لم تجد

هذا بخيل وعنده سعة ... وذا جواد بغير ذات يد

(١) سفط الملح وزوح الترح ابن الدجاجي ص/٧٦

قال حميد بن وهب، كانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المغيرة المخزومي، وكان من فتيان قريش، وكان له بيت للضيافة، تغشاه الناس بغير إذن، فخلا ذلك البيت يوما، فاضطجع فيه الفاكه وزوجته وقت القائلة.

ثم خرج الفاكه لبعض حاجته، فاقبل رجل تغشاه، فولج البيت، فلما رأى المرأة ولى هاربا، فأبصره الفاكه حين خرج، فأقبل الفاكه فضربها برجله، من الذي كان عندك؟ فقالت: ما رأيت أحدا، ولا انتبهت، حتى انبهتني، فقال الحقي بأهلك، وأبيك، وتكلم الناس فيها، فقال أبوها: يا بنية إن الناس قد أكثروا.

فيك القول، فأبيتي بناءك، فإن يك صادقا، عليك دسست عليه من يقتله، فتنقطع القالة عنك، وإن يك كاذبا حاكمته إلى بعض كهان اليمن، فحلفت له بما كانوا يحلفون به في الجاهلية، إنه لكاذب عليها، فقال عتبة للفاكه، إنك رميت ابنتي لأمر عظيم، فحاكمني إلى بعض كهان اليمن، فخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف، وخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم، وخرجت هند ونسوة معها، فلما شارفوا البلاد.

وقالوا غدا نرد على الكاهن، تنكرت هند، وتغير وجهها، فقال أبوها إني أرى ما بك من تغير الحال، وما ذاك إلا لمكروه عندك. فهلا كان ذلك قبل أن تشهد الناس مسيرنا، فقالت، والله يا أباه ما لهذا أثر ولكن أنتم تأتوا بشر الخطى، ويصيب، ولا آمنه أن يسمني ميسما يكون علي وعليكم مسبته بين العرب، قال إني اختبره قبل أن ينظر في أمرك، فصفر لفرسه، حتى أدلى، ثم أخذ حبة حنطة فأدخلها في احليل الفرس، وأوكأ عليها يسير، فلما أصبحوا ودخلوا علي فأكرمهم ونحر لهم.." (١)

"ثم مات فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) يا فارعة فإن مثل أخيك كمثل الذي أتاه الله آياته فانسلخ منها إلى آخر الآية (١) أخبرنا أبو عبد الله الفراوي أنا أبو الحسين الفارسي أنا أبو سليمان الخطابي قال في حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) إن فارعة بنت أبي الصلت الثقفي جاءته فسألها عن قصة أخيها أمية فقالت قدم أخي من سفر فأتاني فوثب على سريري فأقبل طائران فسقط أحدهما على صدره فشق ما بين صدره إلى ثيبته فأيقظته فقلت يا أخي هل تجد شيئا قال لا والله إلا توصيبا (٢) وذكرت القصة في موته حدثنيه بعض أصحابنا عن الحسين بن إسماعيل المحاملي حدثنا عبد الله بن شبيب حدثني إبراهيم بن يحيى بن هانئ حدثني أبي عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قولها وثب على سرير معناه اتكأ عليه ونام أو نحو ذلك وهي لغة حميرية يقال (٣) وثب الرجل إذا قعد واستقر على المكان والوثاب الفراش في لغتهم والثيبة العانة ويقال هي ما بين السرة والعانة والتوصيب كالتوصيم فتور وتكسر يجده الإنسان في نفسه قال لبيد * وإذا رمت رحيلا فارتحل * واعص ما تأمر توصيكم الكسل (٤) * وأخبرني أبو رجاء الغنوي أخبرني محمد بن يحيى المقرئ حدثنا سلمة عن الفراء قال قيل لأعرابي كيف تجدك فقال * صداع وتوصيم العظام وفترة * وغثي مع الإشراق في الجوف لابث * وقد تبدل الميم باء لقرب مخارجها كقولهم سمد وسبده وأمر لازم ولازب وقد روي في وفاته غير هذا أخبرنا أبو الحسن بن قبيس حدثنا وأبو منصور بن خيرون أنا أبو بكر

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ابن الدجاجي ص/٨٥

(١) سورة الأعراف الآية: ١٧٥ - ١٧٧

(٢) أي فتورا

(٣) بالأصل " فقال "

(٤) ديوانه ط بيروت ص ١٤١ واللسان " وصم "." [1]

"أخبرنا أبو بكر وجيه بن طاهر أنا أحمد بن الحسن بن محمد أنا الحسن بن أحمد بن محمد المخلدي أنا أبو العباس السراج نا العباس بن عبد الله الترقفي ح وأخبرنا أبو الفضيل محمد بن إسماعيل بن الفضيل وأبو الفتح عبد الرشيد بن أبي يعلى بن عبد الواحد المليحي قالا أنا أبو عمر عبد الواحد بن أحمد بن أبي القاسم المليحي الهروي الفقيه أنا أبو الحسين الخفاف نا أبو العباس السراج حدثني العباس بن عبد الله وقالا (١) صدوق ثقة نا حفص بن عمر نا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وددت أن " تبارك بيده الملك " (٢) في قلب كل مؤمن

[٥٥٦٧] أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد أنا أبو بكر الخطيب أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل البصري نا أبو بكر يزيد بن إسماعيل بن عمر الخلال نا العباس بن عبد الله الترقفي قال سمعت شيخا يكنى أبا عمرو يقال له كباث بن مصعب قال قيل لأعرابي لم لا تزوج قال إني وجدت مداراة العفة أيسر من الاحتيال لمصلحة النساء أخبرنا أبو الحسن بن قبيس وأبو منصور بن زريق قالا قال لنا أبو بكر الخطيب (٣) العباس بن عبد الله بن أبي عيسى أبو محمد الباكساني ويعرف بالترقفي سكن بغداد وحدث بها عن محمد بن يوسف الفريابي ورواد بن الجراح العسقلاني ومروان بن محمد الطاطري (٤) وزيد بن يحيى بن عبيد الدمشقي وحفص بن عمر العدني وأبي عبد الرحمن المقرئ وموسى بن مسعود النهدي وعبد الأعلى بن مسهر الغساني روى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا ويحيى بن صاعد وعلي بن محمد بن أحمد بن الجهم الكاتب وإسماعيل بن العباس الوراق والمحاملي وابن مخلد وإسماعيل بن محمد الصفار ومحمد بن أحمد الأثرم وغيرهم وكان ثقة دينا صالحا عابدا وقال ابن مخلد ما رأيته ضحك ولا تبسم

---

(١) " وقالا " سقطت من المطبوعة

(٢) سورة الملك الاية: ١

(٣) الخبر في تاريخ بغداد ١٢ / ١٤٣

(٤) تاريخ بغداد: الطاهري." [2]

"أنت الناس كلهم فلا طاقة لي بغضب جميع الخلق. فقال له: ما أحسن هذا! من أين أخذته!، فقال: من قول أبي نواس:

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٨٤/٩

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٧٠/٢٦

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

وقيل لأعرابي أبى تصوم في مكة: أما تخشى من الحر؟ فقال: الطل أريد.

وقيل لروح بن زنباع وهو قائم بباب المهلب: لم تقف في الشمس؟ فقال: الظل أريد.

عقده أبو تمام فقال:

أآلفة النحيب كم افتراق ... ألم فكان داعية اجتماع

ومنه قول المتنبي:

تذكرت ما بين العذيب وبارق ... مجر عوالينا ومجرى السوابق

وقال:

حتى أتى الدنيا ابن بجدتها ... فشكا إليه السهل والجبل

حله الصاحب بن عباد فقال: ولما أتاح الله للدنيا ابن بجدتها وأبا بانيها وأخا عذرتها جعل معقلهم نهزة الحوادث وفرصة البوائق، ومجر العوالي، ومجرى السوابق.." (١)

"وقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

ما هاج من منزل بذي العلم ... بين لوى المنجنون فالسلم

لم تبق منه الرياح معلمة ... إلا بقايا الثمام والحمم

وقفت بالدار ما أبينها ... إلا إدكارا، توهم الحلم

بادت وأقوت من الإنيس كما ... أقوت محاريب دارس الأمم

واستبدل الحي بعدها إضما ... هيهات غمر الفرات من إضم

قيل لأعرابية أصيبت بابنها: ما أحسن عزاءك! قالت: إن فقدي إياه أمنى كل فقد سواه، وإن مصيبته هونت على المصائب من بعده، ثم قالت:

من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أحاذر

كنت السواد لناظري ... فعليك يبكي الناظر

ليت المنازل والديار ... حضائر ومقابر

كان الرقاشي يجتمع إليه جماعة من أصحابه وإخوانه يتحدثون ويتذاكرون، فغاب في بعض أحواله، ثم رجع بعد مدة، فوجد بعضهم قد مات، وبعضهم قد غاب، فوقف على مجلسهم وبكى، وقال:

لولا التطير قلت غيركم ... ريب الزمان فخنتم عهدي

درست منازل كنت آلفها ... من بعدكم، وتغيرت بعدي

وقال أبو العلاء (أحمد بن عبد الله) بن سليما المعري:

---

(١) البديع في نقد الشعر أسامة بن منقذ ص/٢٦١

أعفى المنازل قبر يستراح به ... وأفضل اللبس فيما أعلم الكفن؟

إن الذين على وجه الثرى وطئوا ... يشابهون أناسا في الثرى دفنوا

وقال آخر:

دعني وتسكاب دمعي في منازلهم ... فللشؤون ولي من بعدهم شان

أحبابنا ما الديار اليوم بعدكم ... تلك الديار، ولا الأوطان أوطان

وقال آخر:

أبكى إلى الشوق أن كانت منازلكم ... بجانب الغرب خوف القيل والقال

أقول: بالخد خال حين أذكره ... خوف الرقيب، وما بالخد من خال

وقال مهيار:

يا منزلا لعبت به أيدي البلى ... لعب الشكوك، وقد بدا بتيقن

إما تناشدني العهود فإنها ... خيست فكانت بين ذخر المقتنى

نفض الصبي أوراقه، وأعادني=خوط اليراعة، كيف تغمز تنحني إني لأعلم قبل فضى ختمه=ما في كتاب بالمشيب معنون

وقال آخر:

أمزمعة للبيت ليلى ولم تمت ... كأنك عما قد أظلك غافل؟!

ستعمل إن شطت بهم غربة النوى ... وزالوا بليلي أن لبك زائل

وأنك مسلوب التصبر والأسى ... إذا بعدت ممن تحب المنازل

وقال آخر:

تطوى المنازل عن حبيبك دائبا ... وتظل تبكيه بدمع ساجم

ألا أقمت ولو على جمر الغضا ... قلبت، أوحد الحسام الصارم؟!

كذبتك نفسك لست من أهل الهوى=تشكو الفراق وأنت عين الظالم؟ قلت: لي على من تقدم ذكره من الشعراء فضل المزية؛ إذ كنت دونهم صاحب الرزية فكان شعري أولى أني قدم على أشعارهم، وإن قصرت بي البلاغة عن اقتفاء آثارهم، لكن للمتقدم السبق، وهو بالتقدمة أولى وأحق، وإن كنت وهم كما قال ذر لأبيه: يا أبه. مالك إذا تكلمت أبكيت الناس، وإذا تكلم غيرك لم يبكهم؟ قال: يا بني. ليست النائحة المستأجرة كالثكلى.

وأنا ذاكر شيئا من شعر أخي – رحمه الله – وشعري مما يدخل في هذا الفصل: قال أخي عز الدولة أبو الحسن علي بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ – رضي الله عنه –:

يا منزلا لعب البلى برسومه ... شعفا ببهجته فليس يريم

لا تبعدن وجاد ربعك وابل ... يروى ثراك أتيه ويسيم

فاسق الربوع من الدموع سجالها ... إن الرسوم لها عليك رسوم

وقال أيضا:

سل المنازل عمن كان يسكنها ... من الأحبة والإخوان ما صنعوا؟

تخبرك وعظا بلا لفظ فقد نظرت ... آمالهم والمنايا كيف تصطرع

وهكذا بعد نفخ الصور خاوية ... تضحى المنازل أعلاهن متضع

بنى أبي إن عدا دهر ففرقنا ... فهم نفسي بكم ما عشت مجتمع

نزحتم أدمعي حتى لقد محلت ... جفون عيني، ومات اليأس والطمع

وإن دهرا رمى عن جيده دررا ... أمثالكم لزمان عاطل ضرع

وقال أيضا:

يا منزلا أضحى كجسمي باليا ... حزن القلوب، وحسرة للناظر

لي كل يوم في ربوعك زفرة ... يرمى لظاها بالشرار الطائر

غربت شموسك والذين عهدتهم ... بك في ملمات الزمان الغابر

فعليهم مني سلام نشره ... متضوع كثنائهم في الحاضر." (١)

"فأخذوا في شرابهم، وما زالوا يتناشدون ويتنادمون ويتحدثون حتى كربت الشمس أن تغرب، فطلبوا خلوة ممن يغل عليهم في شرابهم، فإذا أعرابي كالنجم المنقض يهوي حتى جلس بينهم، فقال بعضهم لبعض: قد علمنا أن مثل هذا اليوم لا يتم لنا؛ ثم قال أحدهم:

(أيها الواغل الثقيل علينا ... حين طاب الحديث لي ولصحبي)

فقال الآخر:

(خف عنا فأنت أثقل والله ... علينا من فرسخي دير كعب)

فقال الثالث:

(فمن الناس من يخف ومنهم ... كرحى البزر ركبت فوق قلب)

فقال الأعرابي:

(لست بالنازح العشية والله ... لشج ولا لشدة ضرب)

(أو تروون بالكبار حشاشي ... وتعلون بعدهن بقعبي)

وطرح قعبا كان معلقا؛ فضحكوا من ظرفه، وحملوه معهم إلى البصرة، فلم يزل نديما لهم.

---

(١) المنازل والديار أسامة بن منقذ ص/٦

٢٢٨ – قال العتبي: اشتد الحر عندنا بالبصرة وركدت الريح، **فقيل لأعرابي**: كيف كان هواؤكم البارحة؟ قال: أمسك! كأنه يسمع.." (١)

"٢٣٤ – استأذن حاجب بن زرارة على كسرى، فقال له الحاجب: من أنت؟ فقال: رجل من العرب؛ فأذن له، فلما وقف بين يديه، قال: من أنت؟ قال: سيد العرب؛ قال: ألم تقل للحاجب أنا رجل منهم؟ قال: بلى ﴿ولكني وقفت بباب الملك وأنا رجل منهم، فلما وصلت إليه سدتهم؛ فقال كسرى: زه﴾ احشوا فاه درا.

٢٣٥ – نزل أعرابي في سفينة، فاحتاج إلى البراز، فصاح: الصلاة الصلاة؛ فقربوا إلى الشط، فخرج، فقضى حاجته، ثم رجع، فقال: ادفعوا، فعليكم بعد وقت.

٢٣٦ – قال مهدي بن سابق: أقبل أعرابي يريد رجلا، وبين يدي الرجل طبق فيه تين، فلما أبصر الأعرابي غطى التين بكساء كان عليه والأعرابي يلاحظه، فجلس بين يديه، فقال له الرجل: هل تحسن من القرآن شيئا؟ قال: نعم؛ قال: فأقرأ؛ فقرأ الأعرابي: ﴿والزيتون وطور سينين﴾ [٩٥ سورة التين / الآيتان: ١ و ٢] قال الرجل: فأين ﴿التين﴾ ؟ قال: تحت كسائك.

٢٣٧ – **قيل لأعرابي**: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وأرى كل شيء مني في إدبار، وإدباري في إقبال.

٢٣٨ – اشترى أعرابي غلاما، فقيل له: إنه يبول في الفراش؛ فقال: إن وجد فراشا فليبل فيه.." (٢)

"م

قيل لأعرابي: ما كنت تصنع لو ظفرت بمن تهوى؟ قال: كنت أمتع عيني في وجهها، وقلبي من حديثها، وأستر منها ما لا يحبه الله ولا يرضى بكشفه إلا عند حله. قيل: فإن خفت أن لا تجتمعا بعد ذلك؟ قال: أكل قلبي إلى حبها، ولا أصير بقبيح ذلك الفعل إلى نقض عهدها.

ويروى عن أبي هريرة، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه متعلق بالمسجد حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقه فلم تعلم شماله ما تسر يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ".

وعن عبد الملك بن قريب الأصمعي قال: بصرت الزباء بعمر بن أبي ربيعة، وهو يطوف بالبيت، فتنكرت له وفي كفها خلوق، فمسحته بثوبه، فقال:

---

(١) أخبار الظراف والمتماجنين ابن الجوزي ص/١١١

(٢) أخبار الظراف والمتماجنين ابن الجوزي ص/١١٤

أدخل الله رب موسى وعيسى ... جنة الخلد من ملاني خلوقا

مسحت كفها بجيب قميصي ... حين طفنا بالبيت مسحا رقيقا." (١)

"قلنا فإنا نرضى قال فأخذ رأس الدجاجة فقطعه ثم ناولنيه وقال الرأس للرئيس ثم قطع الجناحين قال والجناحان للابنين ثم قطع الساقين فقال والساقان للابنتين ثم قطع الزمكي وقال العجز للعجوز ثم قال الزور للزائر فأخذ الدجاجة بأسرها فلما كان من الغد قلت لامرأتي أشوي لنا خمس دجاجات فلما حضر الغداء قلنا اقسم بيننا قال أظنكم وجدتم من قسمتي أمس قلنا لا لم نجد فاقسم بيننا فقال شفعا أو وترا قلنا وترا قال نعم أنت وامرأتك ودجاجة ثلاثة ورمى بدجاجة ثم قال وابناك ودجاجة ثلاثة ورمى الثانية ثم قال وابنتاك ودجاجة ثلاثة ثم قال وأنا ودجاجتان ثلاثة فأخذ الدجاجتين فرآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه قال ما تنظرون لعلكم كرهتم قسمتي الوتر ما تجيء إلا هكذا قلنا فاقسمها شفعا قال فقبضهن إليه ثم قال أنت وابناك ودجاجة أربعة ورمى إليه بدجاجة والعجوز وابنتاها ودجاجة أربعة ورمى إليهن بدجاجة ثم قال وأنا وثلاث دجاجات أربعة وضم إليه ثلاث دجاجات ثم رفع رأسه إلى السماء وقال الحمد لله أنت فهمتها لي

قال قيل لأعرابي كيف أصبحت قال أصبحت وأرى كل شيء مني في إدبار وإدباري في إقبال

حدثني مهدي بن سابق قال اقبل أعرابي يريد رجلا وبين يدي الرجل طبق تين فلما أبصر الإعرابي غطى التين بكسائه والإعرابي يلاحظه فجلس بين يديه فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئا قال نعم فاقرأ فقرأ ﴿والزيتون وطور سينين﴾ قال الرجل فأين التين قال التين تحت كسائك

حدثنا عيسى بن عمر قال ولي إعرابي البحرين فجمع يهودها وقال ما تقولون في عيسى بن مريم قالوا نحن قتلناه وصلبناه قال." (٢)

"وذكر نقصان عقلهن ودينهن قد تقدم في مسند ابن عمر.

وأما امرأة ابن مسعود فاسمها زينب بنت أبي معاوية الثقفية. وقد دل حديثها على أن الصدقة على الأقارب أولى من الصدقة على الأجانب.

١٤٦٢ - / ١٧٧٠ - وفي الحديث الثامن والثلاثين: في ذكر أبي طالب: ((لعله تنفعه شفاعتي فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه)) .

قال ابن الأنباري: الضحضاح: القليل من العذاب، والعرب تسمى الماء القليل ضحضاحا. قيل لأعرابي: إن فلانا يدعي الفضل عليك، فقال: لو وقع في ضحضاح مني لغرق: أي في القليل من مياهي. وقال غيره: الضحضاح ما يبلغ الكعبين، وكل ما رق من الماء على وجه الأرض فهو ضحضاح.

١٤٦٣ - / ١٧٧١ - وفي الحديث التاسع والثلاثين: ((من صام يوما في سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا)) .

---

(١) أخبار النساء لابن الجوزي ابن الجوزي ص/٤٣

(٢) الأذكياء ابن الجوزي ص/٩٠

إذا أطلق ذكر سبيل الله كان المشار به إلى الجهاد.

والخريف زمان معلوم من السنة تخترف فيه الثمار. المراد به ها هنا السنة كلها، والمعنى: مسيرة سبعين سنة.

١٤٦٤ - / ١٧٧٢ - وفي الحديث الأربعين: الجواد المضمر. وقد." [1]

"يقول: جميع ما نلت مني عطية وإن كانت كوثرا إلا أن الأعظم من ذلك الكوثر أن تبقى مظفرا وخصمك أبتر، فإنا أعطيناك بالتقدمة هذا الكوثر، أما الذكر الباقي والظفر على العدو فلا يحسن إعطاؤه إلا بعد التقدمة بطاعة تحصل منك: فصل لربك وانحر أي فاعبد لي وسل الظفر بعد العبادة

فإني أوجبت على كرمي أن بعد كل فريضة دعوة مستجابة، كذا روي في الحديث المسند،

فحينئذ أستجيب فيصير/ خصمك أبتر وهو الإيتاء، فهذا ما يخطر بالبال في تفسير قوله تعالى: إنا أعطيناك أما الكوثر فهو في اللغة فوعل من الكثرة وهو المفرط في الكثرة، قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر، بم آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر، أي بالعدد الكثير، ويقال للرجل الكثير العطاء: كوثر، قال الكميت:

وأنت كثير يا ابن مروان طيب ... وكان أبوك ابن الفضائل كوثرا

ويقال للغبار إذا سطع وكثر كوثر هذا معنى الكوثر في اللغة، واختلف المفسرون فيه على وجوه الأول:

وهو المشهور والمستفيض عند السلف والخلف أنه نهر في الجنة،

روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رأيت نهرا في الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فضربت بيدي إلى مجرى الماء فإذا أنا بمسك أذفر، فقلت: ما هذا؟ قيل:

الكوثر الذي أعطاك الله»

وفي رواية أنس: «أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، فيه طيور خضر لها أعناق كأعناق البخت من أكل من ذلك الطير وشرب من ذلك الماء فاز بالرضوان»

ولعله إنما سمي ذلك النهر كوثرا إما لأنه أكثر أنهار الجنة ماء وخيرا أو لأنه انفجر منه أنهار الجنة، كما

روي أنه ما في الجنة بستان إلا وفيه من الكوثر نهر جار،

أو لكثرة الذين يشربون منها، أو لكثرة ما فيها من المنافع على ما

قال عليه السلام: «إنه نهر وعدنيه ربي فيه خير كثير»

القول الثاني: أنه حوض والأخبار فيه مشهورة ووجه التوفيق بين هذا القول، والقول الأول أن يقال: لعل النهر ينصب في الحوض أو لعل الأنهار إنما تسيل من ذلك الحوض فيكون ذلك الحوض كالمنبع والقول الثالث: الكوثر أولاده قالوا: لأن هذه السورة إنما نزلت ردا على من عابه عليه السلام بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت، ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم القول الرابع: الكوثر علماء أمته وهو لعمري

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين ابن الجوزي ١٥٣/٣

الخير الكثير لأنهم كأنبياء بني إسرائيل، وهم يحبون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشرون آثار دينه وأعلام شرعه، ووجه التشبيه أن الأنبياء كانوا متفقين على أصول معرفة الله مختلفين في الشريعة رحمة على الخلق ليصل كل أحد إلى ما هو صلاحه، كذا علماء أمته متفقون بأسرهم على أصول شرعه، لكنهم مختلفون في فروع الشريعة رحمة على الخلق، ثم الفضيلة من وجهين أحدهما: أنه

يروى أنه يجاء يوم القيامة بكل نبي ويتبعه أمته فربما يجيء الرسول ومعه الرجل والرجلان، ويجاء بكل عالم من علماء أمته ومعه الألوف الكثيرة فيجتمعون عند الرسول فربما يزيد عدد متبعي بعض العلماء على عدد متبعي ألف من الأنبياء

الوجه الثاني: أنهم كانوا مصيبين لاتباعهم النصوص المأخوذة من الوحي، وعلماء هذه الأمة يكونون مصيبين مع كد الاستنباط والاجتهاد، أو على قول البعض: إن كان بعضهم مخطئا لكن المخطئ يكون أيضا مأجورا القول الخامس: الكوثر هو النبوة، ولا شك أنها الخير الكثير لأنها المنزلة التي هي ثانية الربوبية/ ولهذا قال: من يطع الرسول فقد أطاع الله [النساء: ٨٠] وهو شطر الإيمان بل هي كالغصن في معرفة الله تعالى، لأن معرفة النبوة لا بد وأن يتقدمها معرفة ذات الله وعلمه." (١)

"فكأنها من عديد حشمه فإذا رمي عسكرا بخيله وطيره أهلكه وهو من قول النابغة

(إذا ما غزوا في الجيش حلق فوقهم ... عصائب طير تهتد بعصائب)

وقال ابن وكيع لا ادري كيف خص الجماجم بالبقاء دون سائر العظام ولا أعرف للخيل في هذا معنى بل للطير لأنها لا تأكل عظام الموتى وذلك أن الخيل إذا حملت من عليها أهلكوا من وقف والطير تاكلهم فلا تدع إلا العظام للوحش وخص الجماجم من بين العظام لأنها اكبر عظم في الإنسان ويجوز أن يكون المعنى إنهم كانوا يقتلون ويأسرون فكانوا يأخذون رؤوس القتلى يجعلونها في أعناق الأساري فلهذا لم تبق إلا الجماجم

٢٨ - الغريب الأجلة جمع جل والملاغم ما حول الفم الواحد ملغم وملغمت المرأة إذا تطييت حول الفم **وقيل لأعرابي** متى المسير فقال تلغموا بيوم السبت أي اذكروه يوم السبت يريد حركوا ملاغمكم بذكر السبت كما تقول تفوهوا المعنى يريد أن أجلة خيله ثياب من طغى عليه وخالفه وموطئها من كل من بغي عليه وجهه وهذا مبالغة ولا تتم هذه الصفة إلا بعد الإمعان في قتلهم وبلوغ الغاية من الظهور عليهم

٢٩ - الإعراب أراد تغير فيه فحذف الظرف وأوصل الفعل كقول الراجز

(قد صبحت بصبحها السلام ... بكبد يتبعها سنام)

(في ساعة يحبيها الطعام ...)

يريد يحب فيها وكقولهم أقمت ثلاثا ما أذوقهن طعاما أي أذواق فيهن والضمير في تزاحمه مفعول به وليست في معنى تزاحم فيه لأنه يتعدى بنفسه المعنى يريد أنه كان يغير عند الصبح وهو عادة العرب في غاراتها لليغفلوا القوم وكانوا يقولون عند

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣١٣/٣٢

الغارة واصباحاه فيقول قد مل الصبح وسئم وضجر مما تغير فيه وكذا الليل من مزاحمتك هو أنك تبلغ كل موضع يبلغه الليل وقال الواحدي تغير وتزاحمه يجوز أن يكون للخطاب ويجوز أن يكون للخيل وقيل في معنى البيت تغيره تحمله على الغيرة بما يزيد على بياضه بريق أسلحتك وتزاحم الليل فتذهب ظلمته بضوء أسلحتك وقال ابن الإفليلي تزاحم الليل بغبار خيلك فكأنه ليل آخر." (١)

"- المعنى يقول ما كان ولا يكون مثلك وهذا يدل على رقة دينه إلا أنه من شعر الصبا وقد رفع القلم عن الصبى حتى يبلغ والنائم حتى يستيقظ والمجنون حتى يفيق

١٩ - الإعراب قال أبو الفتح أراد زهيت فأبدل من الكسرة فتحة فانقلبت الياء ألفا ثم حذفت لالتقائها مع الياء الساكنة على لغة طيء كقولهم بنت على الكرم أي بنيت ولا يمكن أن يقال زهت لأنه لا يستعمل هذا إلا غير مسمى الفاعل كما قالوا في رضى رضى وفي هذي هذي وحكى قوم زها فقالوا زها يزهو فهو زاه وهو ضعيف أو قول مردود الغريب زها تكبر وافتخر وزها لغة غربية حكاها ابن دريد ومنه قولهم ما أزهاه وليس هذا من زهى لأن ما لم يسم فاعله لا يتعجب منه وأنشد لخلف الأحمر

(لنا صاحب مولع بالخلاف ... كثير الخطاء قليل الصواب)

(ألج لجاجا من الخنفساء ... وأزهى إذا ما مشى من غراب)

وقيل لأعرابي ما معنى زهى الرجل قال أعجب بنفسه المعنى يقول افتخرت بك الأيام على الأيام التي مضين ولم تكن فيهن

٢٠ - المعنى يقول لرجاحة حلمه على أحلام الناس كأنه أخذ أحلامهم إلى حلمه والأحلام العقول

٢١ - الغريب أصل الإبرام الفتل في الحبل والخيط والنقض ضده المعنى تكشفت عزماته عن رجل لا نظير له في عزماته إن أبرم أمرا أو نقضه

٢٢ - الغريب البنان الأصابع والنيل العطاء والذمام هنا الحق المعنى يقول إذا سألته عطاء لم يرض جميع الدنيا لو أعطاها قضاء حق لسائله

٢٣ - الإعراب أراد عمرو بن حابس مرخم في غير النداء قال أبو الفتح ونقله الواحدي لا يجوز الترخيم في غير النداء لأن الترخيم حذف يلحق أواخر الأسماء في النداء تخفيفا والكوفيون يجيزونه في غير النداء وأنشدوا." (٢)

"والأمانة تقول: يا رب، أكلت، والرحم تقول: يا رب، قطعت.

٩١ - وقال عمر بن عبد العزيز: تذاكر النعمة شكر.

٩٢ - وقال أبو حازم (١): إذا رأيت ربك يتابع نعمة عليك، وأنت تعصيه، فاحذره.

٩٣ - وقال الربيع بن خثيم (٢): نظرت ما خير لا شر فيه فما وجدته إلا أن يعافى رجل فيشكر.

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٣٣٧/٣

(٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١١/٤

٩٤ - وكان يقال: حسب من منعه عدم القدرة عن الجزاء أن يبسط خده للشكر والثناء.

٩٥ - **وقيل لأعرابي**: إنك لجيد الكدنة (٣). قال: ذلك عنوان نعم الله عندي.

٩٦ - وكان يقال: نعمة لا تشكر لسيئة.

٩٧ - وكان يقال: الشكر ثلاثة منازل منها: ضمير القلب، وثناء اللسان، والمكافآت بالعقل، والضمير مع خفائه أعظم ذلك وأجدر أن يكمل بنفسه، ولا يكمل غيره إلا به، وفي الثناء وفاء لا يطاق إلا باللسان، والمكافآت غاية الشكر.

---

٩٢ - الحلية ٣/ ٢٤٤، وشعب الإيمان ٤/ ١٢٨ (٤٥٣٨)، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٠١.

(١) في الأصل (ابن حازم)، وأبو حازم سلمة بن دينار، الإمام القدوة، شيخ المدينة النبوية الأعرج الأفزر (الأحدب) مات بعد سنة (١٣٣) هـ سير أعلام النبلاء ٦/ ٩٦.

(٢) الإمام القدوة العابد الكوفي، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم توفي سنة (٦٥) هـ سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥٨.

(٣) الكدنة: كثرة الشحم واللحم. اللسان (كدن).." [١]

"دفنته، وثكل تعجلته، وغيب وعدته، والله، إن لم أجزع من النقص لم أفرح بالمزيد.

٢٣١ - وقال العتبي (١) يذكر ولدا له مات:

أضحت بخدي للدموع رسوم ... أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم

والصبر يحمد في المصائب كلها ... إلا عليك فإنه مذموم

٢٣٢ - وأنشد سليمان بن عبد الملك (٢) عند وفاة بعض ولده:

إذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا ... أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر

فإن ينقطع منك الرجاء فإنه ... سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر (٣)

٢٣٣ - **وقيل لأعرابي** مات أخوه: ما سبب موته؟ قال: كونه.

٢٣٤ - وقيل لفيلسوف: من الذي لا عيب فيه؟ قال: الذي لا يموت.

٢٣٥ - إذا نحن زرنا قبره ودموعنا ... يكاثرها أفضاله وفضائله

لزمنا له حكم الوقار كأنما ... تلوح لنا تحت التراب شمائله

---

٢٣١ - الكامل ٢/ ٥٥٥، والتعازي والمراثي (١٦٥)، والعقد الفريد ٣/ ٣٦١، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٩٩، والمستطرف ٥٠٨.

(١) العتبي محمد بن عبيد الله بن عمرو بصري علامة راوية للأدب والشعر، تتابعت عليه مصائب بالذكور من ولده في الطاعون الكائن بالبصرة فمات منهم ستة. توفي سنة (٢٢٨). معجم الأدباء للمرزباني (٤٢٠)، تاريخ بغداد ٢/ ٣٢٤،

---

(١) أنس المسجون وراحة المحزون صفي الدين الحلبي ص/٤٧

وفيات الأعيان ٤/ ٣٩٨.

٢٣٢ - البيتان للعباس بن الأحنف ديوانه صفحة (١٣٧) والعقد الفريد ٣/ ٢٥٨ (قال أعرابي يرثي ابنه)، وشرح الحماسة للمرزوقي صفحة (٩٠٠)، والحماسة الشجرية ١/ ٣٤٤ من غير عزو، والمستطرف ٥٠٧ العباس بن الأحنف.

(٢) كذا في الأصل، ولعل في الاسم تحريفا، أو أن سليمان بن عبد الملك هذا غير الخليفة الأموي.

(٣) رواية البيت في الديوان: فإن تقطعي منك.

٢٣٣ - الأجوبة المسكتة ١٠١، الحكمة الخالدة ١٦٠.." [1]

"وما إن تزال الدار منهم قد اقفرت ... وقبر لميت بالفناء جديد (١)

هم جيرة الأحياء أما مزارهم ... فدان وأما الملتقى فبعيد

٢٤١ - ولو كان في الدنيا خلود لواحد ... لكان رسول الله فيها المخلدا

ومن ذا الذي يبقى من الدين سالما ... وسهم المنايا قد أصاب محمدا (٢)

٢٤٢ - وقيل لأعرابية مات ولدها: ما أحسن عزاءك! فقالت: إن فقدي إياه أمنني المصائب بعده، وفي ذلك يقول الشاعر (٣):

وكنت عليه أحذر الموت وحده ... فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

٢٤٣ - وقال آخر:

عش ما بدا لك أن تعيش فإنما ... طرف الحياة من الممات قريب

٢٤٤ - وقيل: دخلت الخنساء على عائشة وعليها صدار من شعر وقد وضعت خمارها، فقالت لها عائشة: ألم ينه النبي صلى الله عليه وسلم عن لبس الصدار ووضع

---

(١) في عيون الأخبار، والحماسة:

وما إن يزال رسم دار قد اخلقت ... وبيت لميت بالفناء جديد

وفي العقد: فما إن يزال دار حي قد أخربت.

٢٤١ - البيتان كتبا على الهامش بخط مغاير لخط الأصل. وقافيتاهما: المخلد ومحمد.

(٢) الدين: الموت. قاموس المحيط (دين).

٢٤٢ - عيون الأخبار ٣/ ٥٦، والخبر في العقد الفريد ٣/ ٢٥٤، والمنازل والديار صفحة (٤٨) دون الأبيات هذه، وإنما ذيلت بالأبيات التي مطلعها:

من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أحاذر

(٣) البيت لأبي نواس الديوان: ٥٨١ من قصيدة يرثي بها محمد الأمين مطلعها:

---

[1] أنس المسجون وراحة المحزون صفي الدين الحلبي ص/٩١

طوى الموت ما بيني وبين محمد ... وليس لما تطوي المنية ناشر

٢٤٤ - الكامل ٣/ ١٣٩٦، والتعازي والمراثي ٤٨، والتعازي ٢٩، والعقد الفريد ٣/ ٢٦٦.." [1]

"الفصل التاسع

في

ذم الدنيا والزهادة فيها

وتقلب أحوالها بأهاليها

وما

قيل من تنبيه ووعظ

٦١٧ - **قيل لأعرابي**: صف الدنيا. فقال: جمة المصائب، سريعة النوائب، كثيرة العجائب.

٦١٨ - وذكر المدائني قال: كتب مطرف إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: أما بعد، فإن الدنيا دار عقوبة، لها يجمع من لا عقل له، وبها يغتر من لا علم له، فكن فيها كالمداوي جرحه، واصبر على شدة [الدواء] (١)،

---

٦١٨ - مروج الذهب ٤/ ٢٠ (٢١٨١).

(١) ما بين حاصرتين من مروج الذهب.." [2]

"٢٢٣ - وقيل في تسميته بدرا قولان: أحدهما أنه اشتق له من كونه يبدر بطلوعه غيبوبة الشمس، وقيل سمي بدرا لكماله وتمامه، وذلك يكون في أربع عشرة ليلة من الشهر، كما قالوا بدرة إذا بلغ المال نهاية العدد من الفضة، وهي عشرة الآف ووزنها من الدنانير؛ وقيل في تسميته أيضا قمرا قولان: أحدهما أنه اشتق له ذلك من القمرة، وهو بياض تعلوه كدرة، وقيل لأنه يقمر النجوم ضياءها، لأنها لا ترى في ظهوره وانارته كما ترى في مغيبه ونقصانه، ومن ذلك أخذت العرب القمار لأن لاعبه يتغير فمرة له ومرة عليه.

٢٢٤ - والفخت: ضوء القمر أول ما يظهر وبه سميت الفاختة لشبه لونها بذلك.

٢٢٥ - والعرب تسمي الشمس والقمر القمرين، فيغلبون القمر - والشمس أفضل منه - لعلتين: احداهما التذكير والأخرى انهم أنسوا بالقمر لأنهم يجلسون فيه للسمر، ويهديهم السبل في سرى الليل في السفر، ويزيل عنهم وحشة الغاسق، وينم على المؤذي والطارق؛ وذلك كما قالوا في دولتي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فإنهم قالوا: دولتا العمرين فغلبوا اسم عمر رضي الله عنه، وإن كان أبو بكر رضي الله عنه أفضل، والسبب في ذلك طول مدة دولة عمر رضي الله عنه، وكثرة الفتوحات فيها وما تمهد فيها من قواعد الاسلام.

٢٢٦ - **وقيل لأعرابي** (١) الشمس أحسن أم القمر؟ فقال: القمر أحسن، والشمس أجهر، قيل: وكيف صار القمر

---

(١) أنس المسجون وراحة المحزون صفي الدين الحلبي ص/٩٣

(٢) أنس المسجون وراحة المحزون صفي الدين الحلبي ص/٢٣٦

أحسن، قال لأن العيون عليه أجسر.

٢٢٧ - وتقول العرب (٢) في ليالى القمر: سافروا في يمنة الليالي فإن انس القمر يذهب وحشة السفر.

٢٢٨ - ونام اعرابي (٣) عن جمله ففقده فلما طلع القمر وجده فرفع رأسه

---

(١) محاضرات الراغب: (٢: ٢٤١) .

(٢) محاضرات الراغب (٢: ٢٤١) .

(٣) انظر القصة في الغيث المسجم ٢: ١٥٦ وشبهها في محاضرات الراغب (٢: ٢٤١) ومن غاب عنه المطرب: ٥٩ وربيع الأبرار، الورقة: ١١/أ.." [١]

"يمدحون الشرب في كل فصل من الفصول ويتزاورون فيه ويستدعون فيه المعاقرة إلا فصل الصيف فإنهم يذمونه، قال أبو نواس:

ثلاثة أشهر فيها العذاب ... حزيران وتموز وآب وقال ابن المعتز (١) :

قد مضى آب صاغرا لعنة الل ... ه عليه ولعنة اللاعنينا

وأتانا أيلول وهو ينادى ... ألصبوح الصبوح يا غافلينا ٦٢٢ - يقال للشيء إذا ضربته الشمس ولم يستره عنها شيء؛ صهرته وصقرته وصخدته وصمحته، والوديقة شدة الحر، يقال: أودق الناس إذا اشتد عليهم الحر، وأصل الوديق والتودق الدنو والاقتراب، ومنه تودقت الأتان للعير إذا أمكنت نفسها من النزو.

قال ابن الرقاع:

تودقت شمسه حتى إذا حميت ... منها الجماجم كادت يومها تقف ٦٢٣ - قيل لأعرابي (٢) : كيف كان الهواء البارحة؟ قال: مات فلم يكن له نفس.

٦٢٤ - وقال آخر (٣) : سدت طرق الرياح، وانسدت بذلك طرق الأرواح.

٦٢٥ - شاعر (٤) :

ويوم كأن المصطلين بحره ... وإن لم يكن جمر قيام على الجمر ٦٢٦ - آخر (٥) :

ويوم من الشعرى يذوب لعابه ... أفاعيه في رمضائه تتململ

---

(١) ديوان ابن المعتز: ٢٥٣، ٣: ١١٩.

(٢) محاضرات الراغب (٢: ٢٤٤) .

(٣) محاضرات الراغب (٢: ٢٤٤) .

---

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/٧٢

(٤) هو نهشل بن حري كما في زهر الآداب: ١٠٨٨ وانظر مجموعة المعاني: ١٩٠.

(٥) محاضرات الراغب (٢: ٢٤٤) .." [1]

"٦٧٩ - يحيى بن صاعد (١) :

يشتهي الإنسان في الصيف الشتا ... فإذا جاء الشتا أنكره

فهو لا يرضى بحال أبدا ... قتل الإنسان ما أكفره ٦٨٠ - علي بن عبد الله الطوسي (٢) :

هجم البرد والشتاء وما أم ... لك إلا رواية العربيه

وقميصا لو هبت الريح لم يب ... ق على عاتقي منه بقيه ويقل الغناء عني فنون العلم إن أعصفت شمال عريه ... ٦٨١ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الشتاء ربيع المؤمن ".

٦٨٢ - وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " الشتاء غنيمة العابدين ".

٦٨٣ - وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " خير صيفكم أشده حرا، وخير شتائكم أشده بردا، وإن الملائكة لتشتكي الشتاء رحمة لبني آدم ". ٦٨٤ - وعن إسحاق الخطيب قال: " الرأي في الشتاء أجمع، والوعظ في القلوب أنجع ".

٦٨٥ - **قيل لأعرابي** (٣) وقد هجم القر: ما أعددت لهذا الفصل الضارب، بجرانه، الجاري إلى أوانه ملء عنانه؟ قال: " أعددت له عري المتنين، وحفاء القدمين، وقلقلة الفكين، ودمع العينين، وسيلان المنخرين، مع شدة الرعدة، وقرفصاء القعدة، وذرب المعدة، وكسوف البال، وفرط البلبال، وقلة المال، وكثرة العيال ".

٦٨٦ - وعن ابن عباس قال (٤) : " إن الملائكة لتفرح بذهاب الشتاء رحمة للمساكين ".

---

(١) يحيى بن صاعد: أرجح أنه أبو عمرو يحيى بن صاعد بن سيار الهروي أحد شعراء الدمية، وقد توفي ٥١٥هـ؟ (دمية القصر ٢: ١٨٩ تحقيق د. مكي سامي العاني) .

(٢) منها بيتان في محاضرات الراغب (٢: ٢٤٦) وربيع الأبرار، الورقة: ٢٠/أ.

(٣) ورد بعض هذا القول في محاضرات الراغب (٢: ٢٤٦) وانظر خبرا مشابها في ربيع الأبرار: ٢٠/ أ.

(٤) انظر قولا مشابها في محاضرات الراغب (٢: ٢٤٦) .." [2]

"الباب الثاني

في كلب البرد وشدته ودفع القر بالجمر، ودلائل الصحو، ومعرفة الشتاء الذي يطول، وهل يتقدم أو يتأخر، والمطر المتقدم والمتأخر.

٦٩٨ - **قيل لأعرابي** (١) : ما أشد البرد؟ قال: إذا أصبحت الأرض ندية، والسماء نقية، والريح شآمية.

---

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/٢٢٤

(٢) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/٢٣٩

٦٩٩ - ورئي أعرابي (٢) يرتعد يوم قر فقيل له: تحول إلى الشمس، فقال: الشمس اليوم تحتاج إلى قطيفة.

٧٠٠ - وهب الهمذاني (٣) :

يوم من الزمهرير مقرور ... عليه ثوب الضباب مزرور

كأنما حشو جوه إبر ... وأرضه فرشها قوارير

وشمسه حرة مخدرة ... (٤) ليس لها من ضيائها نور ٧٠١ - أعرابي قتله البرد:

إليك اعتذاري من صلاتي قاعدا ... على غير طهر موميا نحو قبلتي

فليس ببرد الماء عندي طاقة ... ولا قوة عندي على ثني ركبتي

ولكنني أحصيته رب جاهدا ... وأخرج مما فات في وجه صيفتي ٧٠٢ - سئلت أعرابية عن أصعب الشتاء في البادية فقالت: يوم الريح الباردة.

---

(١) محاضرات الراغب (٢: ٢٤٦) .

(٢) محاضرات الراغب (٢: ٢٤٦) .

(٣) هو وهب بن شاذان، انظر محاضرات الراغب (٢: ٢٤٦) ، وابن الفقيه: ٢٣٠ وياقوت (همذان) .

(٤) ابن الفقيه: تسلبت حين حم مقدور.." [١]

"٨٠٢ - والعرب تقول (١) : السحاب ما إذا ألفته الصبا، وألقحته الجنوب، ومرته الشمال، فالمطر سح طبق، ولهذا قال: الهذلي (٢) :

مرته الصبا وزهته الجنوب ... وانتجفته الشمال انتجافا قال: وهذا على طبع البقاع، فإن أبا كبير الهذلي جعل الشمال قاشعة السحاب، وجعلها النابغة مستدرة، وبه اقتدى البحتري في قوله (٣) :

قل للسحاب إذا حدتها الشمأل ... وسرى بليل ركبه المتحمل ٨٠٣ - قالوا: وأغزر السحاب ما نشأ يمين القبلة، وهي العين في قوله صلى الله عليه وسلم: إذا نشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة؛ وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى المطر قال: اللهم صيبا نافعا. وعن أنس قال (٤) : أصابنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطر، قال: فحسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: لأنه حديث عهد بربه.

٨٠٤ - قيل لأعرابي: هل كان من مطر؟ قال: نعم حتى عفى الأثر، وهصر الشجر، ودهده الحجر.

٨٠٥ - خرج رجل من هذيل يرعى غنما له وقد ضعف بصره، ومعه ابنة له، فقال لها:

إني لأجد ريح المطر، فانظري إلى السماء، قالت: أرى السحاب كأنها ظعن مقبلة، قال: ارعي واحذري، ثم قال: كيف ترينها، قالت: أراها قد انتصت كأنها بطن حمار أصحر، فقال: إلجئي إلى الجبل ولا ملجأ لك، فلم تبلغ الجبل حتى دهمهم

---

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/٢٤٣

المطر.

٨٠٦ – قال العسكري (٥) : من الوصف الجيد التام في تكاثف المطر قول

(١) انظر مجالس ثعلب: ٢٩٥ وفيه اختلاف في الرواية.

(٢) هو في محاضرات الراغب (٢: ٢٤٧) لأعرابية، وبيت الهذلي يرد بعده، وانظر مجالس ثعلب: ٢٨٩، ٢٩٠ والمخصص ٩: ١٠٣ واللسان (نجف) ووصف المطر: ٧٠.

(٣) ديوان البحتري: ١٥٩٩.

(٤) ورد الخبر في ربيع الأبرار ١: ١٤٧ (تحقيق د. سليم النعيمي) .

(٥) ديوان المعاني ٢: ٩ وانظر محاضرات الراغب (٢: ٢٤٨) .." [١]

"وولده، فإن لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يدي قرابته وجيرانه" قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: "يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق فيوردونه موارد الهلكة".

قيل لعيسى عليه السلام: هل لك في الولد؟ فقال: (ما حاجتي إلى من إن عاش كدني وإن مات هدني) .

وسئل فيلسوف: لم لا تطلب الولد؟ فقال: من محبتي للولد. وقيل لآخر: لو تزوجت فكان لك ولد تذكر به، فقال: والله ما رضيت الدنيا لنفسي فأرضاها لغيري. وقيل لبعض الأعراب: لم لا تتزوج؟ فقال: مكابدة العزوبية أصلح من الاحتيال لمصلحة العيال. **وقيل لأعرابي**: لم أخرت التزويج إلى الكبر؟ فقال: لأبادر ولدي باليتم قبل أن يسبقني بالعقوق.." [٢]

"الباب السادس في ذكر الحمقى منهم

قيل: إن الحمق يتولد غريزة ولا يتغير، وأما الرعونة فإنها تحدث من مخالطة النساء وتزول، وأنشد بعضهم:

وعلاج الأبدان أيسر خطبا ... حين تعتل من علاج العقول

قال رجل لابنه وهو يختلف إلى المكتب: في أي سورة أنت؟ قال: لا أقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد، فقال: لعمري من كنت أنت ولده فهو بلا ولد!

وجه رجل ابنه ليشتري له حبلا طوله عشرون ذراعا، فعاد من بعض الطريق وقال: يا أبي في عرض كم؟ فقال: في عرض مصيبتي بك.

قيل لأعرابي: كيف ابنك؟ قال: عذاب رعف به علي الدهر، وبلاء لا يقوم معه الصبر، ونظر أعرابي إلى ابن له قبيح فقال: يا بني إنك لست من زينة الحياة الدنيا، وقال أحمق لابنه وكان أحمق أيضا: أي يوم صلينا الجمعة في مسجد الرصافة؟ فقال: لقد أنسيت، ولكني أظنه يوم الثلاثاء قال: صدقت كذا كان. قال أبو زيد الحارثي." [٣]

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/٢٧١

(٢) تذكره الآباء وتسليه الأبناء = الدراري في ذكر الزراري ابن العديم ص/١٩

(٣) تذكره الآباء وتسليه الأبناء = الدراري في ذكر الزراري ابن العديم ص/٤٠

"كانا عينيه وكنت يديه فكان يقي بيديه عينيه.

قيل لأعرابي أي أولادك أحب إليك؟ فقال: صغيرهم حتى يكبر، ومريضهم حتى يصح، وغائبهم حتى يقدم.

كان الرشيد يؤثر المأمون على الأمين فعاتبته أم جعفر على ذلك فوجه إليهما خادمين حصيفين يقولان لكل واحد في الخلوة ما تفعل بي إذا استخلفت، فقال محمد أقطعك وأغنيك، ورمى المأمون الخادم بدواة وقال: يا ابن اللخناء أتسألني عما أفعل بك يوم يموت أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين؟ إني لأرجو أن نكون جميعا فداء له، فقال الرشيد: كيف ترين ما أقدم ابنك إلا متابعة لرأيك وتركا للحزم.

وكان الرشيد يقول للمأمون: يا عبد الله أحب المحاسن كلها لك حتى لو أمكنني أن أجعل وجه أبي عيسى لك لفعلت.." (١)

"داوود سليمان بن سلم البلخي قال: أخبرنا النضر بن شميل عن هشام بن حسان قال:

أحصوا ما قتل الحجاج صبرا فبلغ مائة ألف وعشرين ألفا.

أخبرنا أبو بكر عتيق بن أبي الفضل بن سلامة السلماني بدمشق- قراءة عليه وأنا اسمع- قال أخبرنا علي بن الحسن قال: أخبرنا أبو القاسم علي بن ابراهيم قال أخبرنا رشاء نظيف قال: أخبرنا الحسن بن اسماعيل قال: حدثنا أحمد بن مروان قال: حدثنا يوسف بن عبد الله قال حدثنا أبو زيد قال حدثنا حلبس قال: **قيل لأعرابي-** وأراد الحجاج قتله: إشهد على نفسك بالجنون، قال:

لا أكذب على ربي وقد ... عافاني وأقول قد أبلاني

قال: وحدثنا أحمد قال: حدثنا اسماعيل (٧- و) بن يونس قال: حدثنا الرياشي عن الأصمعي عن مبشر بن بشر أن رجلا هرب من الحجاج فمر بساباط فيه كلب بين حبين يقطر عليه ماؤهما فقال: يا ليتني كنت مثل هذا الكلب، فما لبث أن مر بالكلب في عنقه حبل، فسأل عنه، فقالوا: جاء كتاب الحجاج يأمر بقتل الكلاب.

أنبأنا عمر بن طبرزد قال: أخبرنا أبو قاسم بن السمرقندي- اجازه ان لم يكن سماعا- قال: أخبرنا عمر بن عبيد الله قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال:

أخبرنا عثمان بن أحمد قال: حدثنا حنبل بن اسحاق قال: حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان قال: كانوا يرمون بالمنجنيق من أبي قبيس «١» وهم يرتجزون ويقولون:

خطارة مثل الفنيق «٢» المزبد ... أرمي بها عراز «٣» هذا المسجد

قال: فجاءت صاعقة فأحرقتهم، فامتنع الناس من الرمي، فخطبهم الحجاج فقال ألم تعلموا أن بني اسرائيل كانوا اذا قربوا قربانا فجاءت نار فأكلتها، علموا." (٢)

---

(١) تذكره الآباء وتسليه الأبناء = الدراري في ذكر الزراري ابن العديم ص/٨٣

(٢) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٢٠٤٥/٥

"أحمد بن أبي الحواري في كتاب الزهد حدثنا سويد قال رأيت إبن أبي مرئد في السوق وفي يده عرق ورغيف وهو يأكل وكان طلب للقضاء ففعل ذلك حتى تخلص قلت العرق بفتح العين وإسكان الراء هو العظم عليه قليل لحم ومما يشبه هذا ما رواه الإمام البيهقي بإسناد عن الإمام الشافعي رحمه الله قال دخل سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه على أمير المؤمنين فجعل يتجانن عليهم ويمسح البساط ويقول ما أحسنه بكم أخذتم هذا قال البول البول حتى أخرج يعني حتى أخرج يريد أنه احتال ليتباعد عنهم. ويسم من أمرهم قال الشافعي رضي الله تعالى عنه مات ابن للحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما فلم ير عليه كآبة فعوتب في ذلك فقال أنا أهل بيت نسأل الله تعالى فيعطينا فإذا أراد ما نكره فيما يحب رضينا. وقال أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول ما نحب من نحب إلا بطاعتهم لمؤدبهم وأنت تعصيني قد أمرتك أن تفتح أصابعك. وفي الترمذي ضمها. وعن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه أنه نظر إلى ابنه فاقل إني لأعلم خلة فيك قال وما هي قال تموت فاحتسبه. وعن أبي الحسن المدائني قال قيل لأعرابية ما أحسن عزاك على ابنك فقالت أن فقد أبيه أنسى المصائب بعده. وقال موسى بن المهتدي." (١)

"لو رماه الله في سقر ... لاشتكت من ظلمه سقر وجقر: بفتح الجيم والقاف وبعدهما راء، وهو اسم أعجمي وأظنه كان مملوكا

١٤٢ - (١)

جميل بثينة

أبو عمر وجميل بن عبد الله بن معمر بن صباح - بضم الصاد المهملة - ابن ظبيان بن حن - بضم الحاء المهملة وتشديد النون - ابن ربيعة بن حرام بن صبة ابن عبد بن كثير بن عذرة بن سعد بن هديم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم ابن الحاف بن قضاعة الشاعر المشهور؛ صاحب بثينة أحد عشاق العرب، عشقها وعو غلام، لما كبر خطبها فرد عنها فقال الشعر فيها، وكان يأتيها سرا ومنزلهما وادي القرى، وديوان شعره مشهور فلا حاجة إلى ذكر شيء منه.

ذكره الحافظ ابن عساكر في " تاريخ دمشق " وقال: قيل له: لو قرأت القرآن كا أعود عليك من الشعر، فقال: هذا أنس بن مالك رضي الله عنه أخبرني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن من الشعر حكمة ".

وجميل وبثينة كلاهما من بني عذرة، وكانت بثينة تكنى أم عبد الملك، والجمال والعشق في بني عذرة كثير؛ قيل لأعرابي من العذريين: ما بال قلوبكم كأنها قلوب طير تنماث كما ينماث الملح في الماء أما تتجلدون فقال: إنا ننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون إليها، وقيل لآخر: ممن أنت فقال: أنا من قوم إذا أحبوا ماتوا، فقالت جارية سمعته: هذا عذري ورب الكعبة.

وذكر صاحب اغاني أن كثير عزة كان راوية جيمل، وجميل كان

---

(١) بستان العارفين للنووي النووي ص/٥٥

(١) لجميل ترجمة في الأغاني ٨: ٩٠ والخزانة ١: ١٩١ والسمط: ٢٩ والمؤتلف: ٧٢، ١٦٨ وتهذيب ابن عساكر ٣: ١٩٥ والموشح: ١٩٨.." [١]

"وقال آخر: فصح الألسنة برد السائل، جذم الأكف عن النائل.

وقال أعرابي لقومه وقد ضافوا بعض أصحاب السلطان: يا قوم، لا أغركم من نشاب معهم في جعاب كأنها نيوب الفيلة، وقسي كأنها الحواجب، ينزع أحدهم حتى يتفرق شعر إبطه، ثم يرسل نشابة كأنها رشاء منقطع؛ فما بين أحدكم وبين أن يصدع قلبه منزلة! قال: فطاروا رعبا قبل اللقاء.

وقف أعرابي على قبر عامر بن الطفيل، فقال: كان والله لا يضل حتى يضل النجم، ولا يعطش حتى يعطش البعير، ولا يهاب حتى يهاب السيل. وكان والله خير ما يكون حين لا تظن نفس بنفس شيئا.

وقيل لأعرابي قد أسن: ما فعل بك الدهر؟ فقال: ضعضع قناتي، وجرأ علي عداتي.." [٢]

"**وقيل لأعرابي** له أمة اسمها زهرة: أيسرك أنك الخليفة، وأن زهرة ماتت؟ قال: لا والله! قيل: ولم؟ قال: تذهب الأمة، وتضيع الأمة.

ومدح أعرابي قوما، فقال: يقتحمون الحرب كأنما يلقونها بنفوس أعدائهم.

وقال أعرابي: حكم جليس الملوك أن يكون حافظا للسر، صابرا على السهر.

وقال أعرابي: لا يقوم عن الغضب بذل الاعتذار.

ووصف أعرابي رجلا، فقال: ذا ممن ينفع سلمه، ويتواصف حلمه، ولا يستمرأ ظلمه.

وقال آخر: فلان حتف الأقران غداة النزال، وربيع الضيفان عشية النزول.

وقال أعرابي عن شخص: لا أمس ليومه، ولا قديم لقومه.." [٣]

"وقال آخر: فلان أفصح خلق الله كلاما إذا حدث، وأحسنهم استماعا إذا حدث، وأسكتهم عن الملاحاة إذا خولف؛ يعطي صديقه الناقلة، ولا يسأله الفريضة؛ له نفس عن العوراء محصورة، وعلى المعالي مقصورة، كالذهب الأبريز الذي يفيد كل أوان، والشمس المنيرة التي لا تخفى بكل مكان؛ وهو النجم المضيء للحيران، والبارد العذب للعطشان.

وقال أعرابي: فلان ليث إذا عدا، وغيث إذا غدا، وبدر إذا بدا، ونجم إذا هدى، وسهم إذا أردى.

وقال آخر: الاغتراب يرد الجدة ويكسب الجدة.

وقيل لأعرابي: كيف ابنك؟ فقال: عذاب رعف به الدهر، فليتني أودعته القبر؛ فإنه بلاء لا يقاومه الصبر، وفائدة لا يجب فيها الشكر.." [٤]

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٣٦٦/١

(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/٦٧٦

(٣) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/٦٨١

(٤) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/٦٨٢

"وقال آخر: الحسود لا يسود.

وقال أعرابي: العبوس بؤس، والبشر بشرى، والحاجة تفتق الحيلة، والحيلة تشحذ الطبيعة.

وقال أعرابي: مجالسة الأحمق خطر، والقيام عنه ظفر.

وقال آخر: العذر الجميل أحسن من المطال الطويل، فإن أردت الإنعام فأنجح، وإن تعذرت الحاجة فأفصح.

وقيل لأعرابي: ما وقوفك ها هنا؟ فقال: وقفت مع أخ لي يقول بلا علم، ويأخذ بلا شكل، ويرد بلا حشمة.

وقال آخر في دعاء: لا رد لسانك عن البيان، ولا أسكتك الزجر والهوان.

وقال أعرابي: حاجتي إليك حاجة الضال إلى المرشد، والمضل إلى المنشد.." (١)

"الأنامل، وسبوطة [القصب] وجزالة الأسوق، وجثولة الفروع، ونجالة العيون مع الحور، وسهولة الخدود، وامتداد القوام، ورخامة المنطق، وحسن الثغور، وصغر الأفواه، وصفاء الألوان.

ووصف أعرابي امرأة، فقال: هي خالية من ألا وليت.

وقيل لأعرابي: "كيف كتمانك للسر؟ قال: أجحد المخبر، وأحلف للمستخبر.

وقيل لأعرابي: كيف تغلب الناس؟ قال: أبهت بالكذب، واستشهد بالموتى.

وقال أعرابي لأخيه: إن لم يكن مالك لك كنت له، وإن لم تفنه أفناك، فكله قبل أن يأكلك.." (٢)

"وقال أعرابي في رجل: صغره في عيني كبر الدنيا في عينه.

وقيل لأعرابي: كيف تقدر على جمع الضرائر؟ فقال: كنا لنا شباب يظأرهن علينا، ومال يصيرهن لنا؛ ثم قد بقي لنا خلق حسن، فنحن نتعايش به.

وقال أعرابي: مع الشعاب التحاب، والإفراط في الزيارة ممل، والتفريط فيها مخل.

وقيل لأعرابي عمر مائة وعشرين سنة: ما أطول عمرك؟ قال: تركت الحسد فبقيت؟ وقال آخر في عيي: رأيت عورات الناس بين أرجلهم، وعورة هذا بين فكيه.

وقيل لأعرابي: ما تلبس؟ قال: الليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس.." (٣)

"وسئل أعرابي عن ألوان الثياب، فقال: الصفرة أشكل، والحمرة أجمل، والخضرة أنبل، والسواد أهول، والبياض أفضل.

وسئل رجل عن نسبه، فقال: أنا ابن أخت فلان، فقال أعرابي: الناس ينتسبون طولا، وأنت تنتسب عرضا.

وقيل لأعرابي: بم تعرفون السودد في الغلام؟ قال: إذا كان سابل الغرة، طويل الغرلة، ملتاث الأزرة، وكانت فيه لوثة فلسنا نشك في سودده.

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/٦٨٤

(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/٦٨٦

(٣) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/٦٨٧

قال أعرابي: اكتب لابني تعويذا، فقال: ما اسمه؟ قال: فلان، قال: فما اسم أمه؟ قال: ولم عدلت عن اسم أبيه؟ قال: لأن الأم لا يشك فيها؛ قال: اكتب: فإن كان ابني عافاه الله، وإن لم يكن فلا شفاه الله ولا عافاه!." (١)

"قيل لأعرابي: ما تقول في ابن العم؟ قال: عدوك، وعدو عدوك؟ وقيل لأعرابي: أتشرب النبيذ؟ فقال: أنا لا أشرب ما يشرب عقلي.

وقيل لآخر: والله ما أرضى عقلي مجتمعا، فكيف أفرقه؟ وقال بعضهم: رأيت أعرابيا في إبل قد ملأت الوادي، فقلت: لمن هذه؟ فقال: لله في يدي.

وأثنى أعرابي على رجل، فقال: إن خيرك لصريح. وإن منعك لمريح، وإن رفدك لربيح.

وقيل لأعرابي: ما أعددت للشتاء؟ فقال: شدة الرعدة.." (٢)

"وقال أعرابي: ما النار بأحرق للفتيلة من التعادي للقبيلة.

وقال آخر: مع القرابة والثروة يكون التناكر والتحاسد، ومع الغربة والخلة يكون التناصر والتحاشد.

وقال أعرابي لابن عم له: مالك أسرع إلى ما أكره من الماء إلى قرارة، ولولا ضني باجتنابك لما أسرعت إلى عتابك! فقال الآخر: والله ما أعرف تقصيرا فأقلع، ولا ذنبا فأعتب؛ ولست أقول لك كذبت، ولا أقر أني أذنبت.

وقال أعرابي: مازال يغطيني حتى حسبته يردعني، وما ضاع مال أودع حمدا.

وقيل لأعرابي: على من البرد أشد؟ قال: على خلق في خلق.." (٣)

"العباس بن عبد الله بن أحمد

ابن عصام ويقال: العباس بن أحمد بن عبد الله، أبو الفضل - ويقال: أبو القاسم المزني المري البغدادي الفقيه الشافعي رحال.

حدث عن القاسم بن جعفر العلوي بسنده عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا صليتم الصبح فافرغوا إلى الدعاء، وباكروا في طلب الحوائج، اللهم بارك لأمتي في بكورها "

العباس بن عبد الله

ابن أبي عيسى ازداذ بنداذ. أبو محمد الترقفي الباكسائي سمع بدمشق وغيرها.

حدث عن زيد بن يحي الدمشقي بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن، إذا شاء أن يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه " وحدث عن حفص بن عمر بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وددت أن " تبرك الذي بيده الملك " في قلب كل مؤمن " قال

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/٦٨٨

(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/٦٨٩

(٣) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/٦٩٠

العباس بن عبد الله الترقفي سمعت شيخا يكنى أبا عمرو يقال له كباث بن مصعب قال: **قيل لأعرابي**: لم لا تزوج؟ قال: إني وجدت مداراة العفة أيسر من الاحتيال لمصلحة النساء.

توفي الترقفي سنة سبع وخمسين. قالوا: وهذا القول خطأ، والصحيح أنه توفي سنة سبع وستين ومئتين، وقيل: سنة ثمان وستين.." (١)

"آخر

وأحسن ما استشعر المسلمو ... ن عند النوائب حلم وصبر

ولله في كل ما يأتني ... وأبلى به منه حمد وشكر

سمع أعرابي يقول هذا غنى لولا أنه فناء وعلا لولا أنه بلاء وبقاء لولا أنه شقاء وقيل لابن الجهم بعدما صودر ما تفكر في زوال نعمتك قال لا بد من الزوال فلان تزول وأبقى خير من أن أزول وتبقى **وقيل لأعرابي** صف لنا الدهر فقال الدهر سلوب لما وهب وهوب لما سلب كالصبي إذا لعب." (٢)

"ينيلوه شيأ فولى عنهم وهو يقول

قد ضاع من يأمل من أمثالكم ... جودا وليس الجود من أفعالكم

لا بارك الله لكم في مالكم ... ولا أزاح السوء عن عيالكم

فالموت خير من صلاح حالكم

ومن كلامهم في الأوصاف وصف أعرابي امرأة فقال هي السقم الذي لا برء منه والبرء الذي لا سقم معه أسهل من الماء وأبعد من السماء ووصف آخر امرأة فقال كاد الغزال يكونها لولا ما نقص منه وتم منها وقال آخر سبقنا الحي وفيهم أدوية السقام فقرأن بالحدق السلام وخرست الألسن عن الكلام وقال آخر خرجت حين انحدرت النجوم وسالت أرجلها فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر وأرسل أعرابي ولده في حاجة فرجع خائبا فسأل عن سبب خيبته فقال أتيت سوق الظما فبكت السماء وضحك البرق وقهقه الرعد فخفت الهاطلة فرجعت وصف أعرابي مصيبة فقال إنها مصيبة تركت سود الرؤس بيضا وبيض الوجوه سودا وقيل لبعض الأعراب هل عندكم في البادية طبيب قال كلا إن حمر الوحش لا تحتاج إلى بيطار **وقيل لأعرابي** كيف حالك فقال أمزق ديني بالذنوب وأرقعه بالاستغفار **وقيل لأعرابي** مالك من فلان قال وجه صبيح وصدر فسيح وقلب نصيح ونسب صريح وخلق صحيح وسعي نجيح ووعد مريح

ملح من بدائع ألفاظ الكتاب الأفاضل ... الهادي حلال سحرها بحرام سحر بابل

ولنورد امام ذلك كلاما في فضل الكتابة كافيا وللكتاب من أدواء الخمول شافيا قلت الكتاب ساسة الملك وعماده وأركان قراره وأطواده بأقلامهم تبسط الأرزاق وتقبض الآجال وبأحلامهم تصان المعاقل إذا عجز عن صونها الرجال وقالوا الكاتب

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٣٢٣/١١

(٢) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/١٠٧

مالك الملك يصرفه بقلم الانشاء حيث شاء وقالوا لو أن في الصناعات صناعة مربوبة لكانت الكتابة ربا لكل صناعة وقالوا الكتابة قطب الأدب وفلك الحكمة ولسان ناطق بالفضل وميزان يدل على رجاحة العقل وبالكتاب." (١)

"رسول الله تصدق بي على بناتي واعف عني عفا الله عنك قال نعم علي أن لا تعين علي بقول ولا فعل فعاهده على ذلك وخلى سبيله ثم إنه خرج مع أبي سفيان يحرض قريشا على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ يوم أحد فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ألم تعاهدني على أن لا تعين علي بقول ولا فعل فقال غلبت فتصدق بي على بناتي واعف عني عفا الله عنك فقال عليه الصلاة والسلام إن العفو لمكرمة ما مثلها مكرمة ولكن لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين ثم أمر بقتله فقتل

فمما للحكماء من تحريض الحر ... على مقابلة المسئ بالنكال المر

قالوا توضع للمحسن إليك وإن كان عبدا حبشيا وانتصف ممن أساء إليك وإن كان حرا قرشيا وقال علي رضي الله عنه وكرم وجهه الخير بالخير والبادي أكرم والشر بالشر والبادي أظلم وقال الشعبي يعجبني الرجل إذا سيم هوانا دعته الأنفة إلى المكافأة وجزاء سيئة سيئة مثلها فبلغ كلامه الحجاج فقال لله دره أي رجل بين جنبيه وتمثل

ولا خير في عرض امرئ لا يصونه ... ولا خير في حلم امرئ ذل جانبه

وقالوا من ترك العقوبة أغرى بالذنب ولولا السيف كثر الحيف وقالوا من مال معك إلى الحيف فلا تبخلن عليه بالسيف وقالوا السفيه يخالف ولا يؤالف ويماري ولا يداري وقال أوس بن حسان

إذا المرء أولاك الهوان فأوله ... هوانا وإن كانت قريبا أواخره

فإن أنت لم تقدر على أن تهينه ... فدعه إلى اليوم الذي أنت قادره

وقارب إذا ما لم تكن لك حيلة ... وصمم إذا أيقنت إنك عاقره

وقيل لأعرابي أيسرك أن تدخل الجنة ولا تسئ إلى من أساء إليك قال لا بل يسرني إن أدرك الثار وأدخل مع فرعون النار أبو عبادة." (٢)

"أو أهد مالا فهو واهبه ... وأنا الحقيق عليه بالشكر

أو أهد شكرا فهو مرتهن ... بجميل فعلك آخر الدهر

آخر

وافق المهرجان حاشاك مني ... رفعة الحال وهي داء الكرام

فاقتصرنا على الدعاء وفيه ... عون صدق على قضاء الزمام

آخر

هديتي تقصر عن همتي ... وهمتي تفضل عن مالي

(١) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/١٩٣

(٢) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/٤٩٣

فخالص الود ومحض الولا ... أحق ما يهديه أمثالي

ومن واجبات شيم الأحرار ... حفظ ما أودعوه من الأسرار

وكان السر مما يجب على الاخوان أن يأخذوا أنفسهم ويروضوا به طباعهم لما فيه من الفضل وتمام الطبيعة والعقل يحكى أن رجلا أراد صحبة انسان فسأل بعض أصدقائه عنه فأنشده

كريم يميت السر حتى كأنه ... إذا استنطقته عن حديثك جاهله

ويبدي لكم حبا شديدا وهيبة ... وللناس أشغال وحبك شاغله

فقال مثل هذا ينبغي أن يناط بمحبته القلوب ويطلع على خفايا السرائر والغيوب وهذان البيتان لكثير عزة من أبيات وأسر رجل إلى صديقه حديثا فلما فرغ منه قال حفظته قال بل نسيته وقيل لعمرو بن ربيعة كيف كتمانك للسر فقال اجعله عوضا من قلبي وشعبة من نفسي فيكون بخروجه خروجها **وقيل لأعرابي** ما بلغ من حفظك للسر قال أفرقه تحت شغاف قلبي ثم لا أجمعه وأنساه كأنني لم أسمعه وقالوا قلوب العقلاء حصون الأسرار وقالوا صدور." (١)

"الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون . وليتأس الفاقد برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد جعل الله فيه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وليقتد بأصحابه رضى الله عنهم ليفوز بثواب الصابر ويحوز أجر الشاكر.

وباب الرثاء فهو باب فسيح الرحاب والنوادى، فصيح اللسان فى إجابة المنادى ذى القلب الصادى؛ متباين الأسلوب، مختلف الأطراف متباعد الشعوب؛ منه ما يصمى القلوب بنباله، ومنه ما يسليها بلطيف مقاله؛ ومنه ما يبعثها على الأسف، ومنه ما يصرفها عن موارد التلف. وقد أكثر الشعراء القول فى هذا الباب، وارتقوا الذروة العلياء من هذه الهضاب؛ ووجدوا مكان القول ذا سعة فقالوا، وأصابهم هجير اللوعة فمالوا إلى ظله وقالوا. قال الأصمعى: قلت لأعرابى: ما بال المراثى أشرف أشعاركم؟ قال: لأنا نقولها وقلوبنا محترقة. وعلى الجملة فالموت هو المصيبة التى لا تدفع، والرزية التى لا ترد بكثرة الجموع ولا تمنع؛ والحادثة التى لا تنصرف بالفداء وإن جل مقداره، والنازلة التى لا تتأخر عن وقتها بالدعاء وإن عظمت فى غيرها آثاره؛ وهو أحد الأربعة التى فرغ منها، وصرفت وجوه المطامع عنها.

وقد قالت الحكماء: أعظم المصائب كلها انقطاع الرجاء. وقالوا: كل شىء يبدو صغيرا ثم يعظم إلا المصيبة فإنها تبدو عظيمة ثم تصغر. وقالوا: لا يكون البكاء إلا من فضل، فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء. قال شاعر:

فلئن بكيناه لحق لنا ... ولئن تركنا ذاك للصبر

فلمثله جرت العيون دما ... ولمثله جمدت فلم تجر

وقيل: مر الأحنف بامرأة تبكى ميتا ورجل ينهاها؛ فقال: دعها فإنها تندب عهدا وسفرا بعيدا. **قيل لأعرابية** مات ابنها: ما أحسن عزاءك؟ قالت:." (٢)

---

(١) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/٥٧٠

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٦٥/٥

"النبات والمعادن وغيرها، وما ينزل من السماء من الملائكة والرحمة والعذاب وغيره، وما يعرج فيها من الملائكة وصالح الأعمال وسيئها، وهو معكم أين ما كنتم: أي بالعلم والقدرة. قال الثوري: المعنى علمه معكم، وهذه آية أجمعت الأمة على هذا التأويل فيها، وأنها لا تحمل على ظاهرها من المعية بالذات، وهي حجة على من منع التأويل في غيرها مما يجرى مجراها من استحالة الحمل على ظاهرها. وقال بعض العلماء: فيمن يمتنع من تأويل ما لا يمكن حمله على ظاهره، وقد تأول هذه الآية، وتأول الحجر الأسود يمين الله في الأرض، لو اتسع عقله لتأول غير هذا مما هو في معناه. وقرأ الجمهور ترجع، مبنيا للمفعول والحسن وابن أبي إسحاق والأعرج: مبنيا للفاعل والأمور عام في جميع الموجودات، أعراضها وجواهرها. وتقدم شرح ما قبل هذا وما بعده، فأغنى عن إعادته.

آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير، وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين، هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرؤف رحيم، وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير، من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم.

لما ذكر تعالى تسبيح العالم له، وما احتوى عليه من الملك، والتصرف، وما وصف به نفسه من الصفات العلا، وختمها بالعالم بخفيات الصدور، أمر تعالى عباده المؤمنين بالثبات على الإيمان وإدامته، والنفقة في سبيل الله تعالى. قال الضحاك: نزلت في غزوة تبوك. مستخلفين فيه: أي ليست لكم بالحقيقة، وإنما انتقلت إليكم من غيركم. وكما وصلت إليكم تتركونها لغيركم، وفيه تزهيد فيما بيد الناس، إذ مصيره إلى غيره، وليس له منه إلا ما جاء

في الحديث: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت»

.

وقيل لأعرابي: لمن هذه الإبل؟ فقال: هي لله تعالى عندي. أو يكون المعنى: أنه تعالى أنشأ هذه الأموال، فمتعكم بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء، فأنفقوا منها في حقوق الله تعالى.

ثم ذكر تعالى ما للمؤمن المنفق من الأجر، ووصفه بالكرم ليصرعه في أنواع الثواب.." (١)

"أنطيناك بالنون، وهي قراءة مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال التبريزي: هي لغة للعرب العاربة من أولى قريش. ومن

كلامه صلى الله عليه وسلم: «اليد العلياء المنطية واليد السفلى المنطاة» .

ومن

كلامه أيضا، عليه الصلاة والسلام: «وأنطوا النبيحة» .

وقال الأعشى:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٠/١٠١

جيادك خير جياد الملوك ... تصان الجلال وتنطى السعيرا

قال أبو الفضل الرازي وأبو زكريا التبرزي: أبدل من العين نونا فإن عنيا النون في هذه اللغة مكان العين في غيرها فحسن، وإن عنيا البدل الصناعي فليس كذلك، بل كل واحد من اللغتين أصل بنفسها لوجود تمام التصرف من كل واحدة، فلا يقول الأصل العين، ثم أبدلت النون منها.

وذكر في التحرير: في الكوثر ستة وعشرين قولا، والصحيح هو ما فسره به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «هو نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، ترتبه أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج» .

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وفي صحيح مسلم، واقتطعنا منه، قال: «أتدرون ما الكوثر؟ قلنا:

الله ورسوله أعلم، قال: نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم» انتهى. قال ذلك عليه الصلاة والسلام عند ما نزلت هذه السورة وقرأها.

وقال ابن عباس: الكوثر: الخير الكثير. وقيل لابن جبير: إن ناسا يقولون: هو نهر في الجنة، فقال: هو من الخير الكثير.

وقال الحسن: الكوثر: القرآن. وقال أبو بكر بن عباس ويمان بن وثاب: كثرة الأصحاب والأتباع. وقال هلال بن يساف: هو التوحيد.

وقال جعفر الصادق: نور قلبه دله على الله تعالى وقطعه عما سواه.

وقال عكرمة: النبوة. وقال الحسن بن الفضل: تيسير القرآن وتخفيف الشرائع. وقال ابن كيسان: الإيثار. وينبغي حمل هذه الأقوال على التمثيل، لا أن الكوثر منحصر في واحد منها. والكوثر فوعل من الكثرة، وهو المفرط الكثرة. **قيل لأعرابية** رجع ابنها من السفر: بم آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر. وقال الشاعر:

وأنت كثير يا ابن مروان طيب ... وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

فصل لربك وانحر: الظاهر أن فصل أمر بالصلاة يدخل فيها المكتوبات والنوافل.

والنحر: نحر الهدي والنسك والضحايا، قاله الجمهور ولم يكن في ذلك الوقت جهاد فأمر." (١)

"وقال آخر:

وما ينفع الأصل من هاشم ... إذا كانت النفس من باهله (١)

قيل: إن قتيبة قال لهبيرة: أي رجل أنت لولا أن أخوالك من سلول، فلو بادلت بهم.

قال: أيها الأمير، بادل بهم من شئت، وجنبني باهلة (٢) .

وقيل لأعرابي: أيسرك أنك باهلي وتدخل الجنة؟

قال: إي والله، بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أني باهلي (٣) .

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥٥٦/١٠

ولقي أعرابي آخر، فقال: ممن أنت؟

قال: من باهلة.

فرثى له، فقال: أزيدك؟ إني لست من أنفسهم، بل من مواليهم.

فأخذ الأعرابي يقبل يديه، ويقول: ما ابتلاك الله بهذه الرزية إلا وأنت من أهل الجنة (٤) .

قلت: لم ينل قتيبة أعلى الرتب بالنسب، بل بكمال الحزم، والعزم، والإقدام، والسعد، وكثرة الفتوحات، ووفور الهيبة.

ومن أحفاده: الأمير سعيد بن مسلم بن قتيبة، الذي ولي أرمينية، والموصل، والسند، وسجستان، وكان فارسا جوادا، له أخبار ومناقب، مات زمن المأمون، سنة سبع عشرة ومائتين.

١٦١ - عبد الرحمن بن أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي * (ع)

ويقال: اسم أبيه: مسروح الثقفي، أبو بحر.

---

(١) أورده الثعالبي في " ثمار القلوب " ١١٩، و" التمثيل والمحاضرة " ٤٥٦، ولم يعزه لأحد، وقبله: فخرت فأصلك أصل شريف * ضربت به نفسك الخاملة

(٢) وفيات الأعيان ٤ / ٩٠.

(٣) انظر ثمار القلوب ١١٩، ووفيات الأعيان ٤ / ٩٠، ٩١.

(٤) انظر وفيات الأعيان ٤ / ٩٠.

(*) تقدمت ترجمته ومصادرها في ص ٣١٩.." (١)

"فسالة وفسولة فهو فسل من قوم فسلاء وأفسال وفسول، وفسالة الحديد سحالته، والفسيلة والفسيل الودي وهو صغار النخل، والجمع الفسلان، والفسكل بالكسر الذي يجيء في الحلبة آخر الخيل وهو السكيت والقاشور ومنه قيل رجل فسكل إذا كان رذلا، والعامة تقول فسكل بالضم وقال آخر:

وصاحب إذا صاحبت حرا فإنما ... يزين ويزري بالفتى قرناؤه

وقال المأمون الإخوان على ثلاث طبقات كالغذاء لا يستغنى عنهم أبدا وهم إخوان الصفاء، وإخوان كالدواء يحتاج إليهم في بعض الأوقات وهم الفقهاء وإخوان كالداء لا يحتاج إليهم أبدا وهم أهل الملق والنفاق لا خير فيهم قال الجوهري الملق الود واللطف الشديد، وأصله التبين وقد ملق بالكسر يملق ملقا ورجل ملق يعطي بلسانه ما ليس في قلبه، والملق أيضا ما استوى من الأرض: والملق ساكن مثل الملح السير الشديد والمليق السريع وانملق الشيء واملق بالإدغام أي صار أملس وقيل لأعرابي لم قطعت أخاك من أبيك؟ فقال إني لأقطع الفاسد من جسدي الذي هو أقرب لي من أبي وأمي أعز نقدا.

وقال أكثم بن صيفي أحق من شركك في النعم شركاؤك في المكاره. أخذه بعضهم فقال:

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٤١١/٤

وإن أولى البرايا أن تواسيه ... عند السرور لمن واساك في الحزن

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن

وقال المثقب العبدي:." (١)

"ومنها تشبيهه بالسيف، قال:

أنا إن نزعت عن الغواية والصبا ... فلطالما استهوتني الآثام

أصبو سيف للمشيب مجرد ... وقلت نور بدا على قضبه

ومنها تشبيهه بالزهر. قال الغزي:

تألق الشيب فاعتذرت له ... وقلت نور بدا على قضبه

كأن ثغر الحبيب ركب في ... مفارقي ما أضاء من شنبه

ومنها تشبيهه بالبوم والقطاة كقول الشافعي رضي الله عنه في أبياته التي منها:

أيا بومة قد عششت فوق هامتي ... على الرغم مني حين طار غرابها

وقال الغزي:

قطاة في الهداية كان شيبي ... وإن سمته نقبته غرابا

وشبهه السراج الوارق بالقرطم، وإنما حسن ذلك لأنه رحمه الله تعالى كان أشقر. فقال.

ذهب العصفر مني ... وبدا قرطم شيبي

والتي قد ملكت رق ... بي ردتني بعيبي

وقيل لأعرابي عن الشيب: ما هذا البياض الذي في رأسك؟ فقال زبدة مخضتها الأيام وفضة سبكتها التجارب.

وما أحسن قول القاضي الفاضل رحمه الله.

إليك بعد انقضاء اللهو واللعب ... عني فلم أر بي ما يقتضي أربي

والعمر كالكأس والأيام تمزجه ... والشيب فيه قذى في موضع الحبب

وشبه بأشياء مناسبة غير هذه، ولم أر لأحد تشبيهه بآلة الحرث، وأي مناسبة بين آلة الحرث والشيب وما وجه الشبه وليس هذا من باب تشبيه المحسوس بالمحسوس، ولا من باب المحسوس بالمعقول، وما أدري ما هو، وأما تشبيه الهرم بالحرث نفسه فجائز وأما قوله اعدام لا يسار، فمأخوذ من قول المتنبي:

وقد أراني الشباب الروح في بدني ... وقد أراني المشيب الروح في بدلي

وأما قوله ظلام لا أنوار، فمأخوذ من قول أبي تمام:

له منظر في العين أبيض ناصع ... ولكنه في القلب أسود أسفع

وقول أبي الطيب:

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ابن مفلح، شمس الدين ٣/٥٦٠

ابعدت بياضا لا بياض له ... لأنت أسود في عيني من الظلم

وما أحسن قول الغزي:

كيف لا ينفر الظباء من الشي ... ب ومن عادة الظباء النفور

أبيض مظلم وكل بياض ... في سوى العين والمفارق نور

وأما قوله: وهو الموت الأول.. السجعة، قال محمود الوراق: الشيب إحدى الميتتين.

وقال غيره: الشيب غمام قطر الغموم.

وأما قوله: ولئن قال قوم إنه جلالة.. السجعة، فذكرت به قول بعض المتأخرين:

وقالوا شباب المرء لهو وغرة ... ومن خلفه شيب الوقار ولا ريب

وأي وقار لامرىء عري الصبا ... وقدامه شيب ومن خلفه شيب

وأما قوله: وهو المملول الذي يشفق من بعده، فمأخوذ من قول مسلم ابن الوليد وقول مسلم في غاية الحسن:

الشيب كره وكره أن يفارقني ... اعجب بشيء على البغضاء مودود

يمضي الشباب فيأتي بعده بدل ... والشيب يذهب مفقودا بمفقود

قيل: إن المنذر بن أبي سبرة نظر إلى أبي الأسود الدؤلي وعليه قميص مرقوع فقال له: ما أصبرك على هذا القميص؟ فقال: رب مملول لا يستطاع فراقه. فبعث إليه تختا من ثياب.

ونظر سليمان بن وهب في المرآة فرأى الشيب فقال: عيب لا عدمناه وقد جاء في ترسل الفاضل ذكر الشيب فقال: فمن يطلع شرف السبعين يهبط إلى الحضيض، ومن يعمر العمر الطويل يقع في الطويل العريض وأيام المشيب كلها بيض، وما نحن ممن يصوم الأيام البيض.

وما ألطف قول ابن المعتز:

أيا نفس قد أثقلتني بذنوبي ... أيا نفس كفي عن هواك وتوبي

وكيف التصابي بعد أن ذهب الصبا ... وقد مل مقراضي عتاب مشيبي

وما أحلى قول:

ألا يا ساريا في بطن قفر ... ليقطع في الفلا وعرا وسهلا

قطعت نقا المشيب وبنت عنه ... وما بعد النقا إلا المصلى

ولبعض الشعراء:

ولما رأيت الشيب راء بعارضي ... تيقنت أن الوصل لي منك واصل

ربما يفهم من هذا البيت غير ما قصده الناظم، فيتوهم أنه يظن أن الشيب سبب لوصاله وهو على خلاف المعهود من كلام

الشعراء، فإنهم ما زالوا يقولون إن الشيب سبب نفار الغواني عن المحبين.

وما أحسن قول خالد الكاتب في هذا:." (١)

"طالما أيس من وعد المحبوب وتمسك من رؤية ساقه بمواعيد عرقوب كما قيل:

وما بلوغ الأماني في مواعدها ... إلا كأشعب يرجو وعد عرقوب

تنبيه قولهم في المثل مواعيد عرقوب يقال لمن وعد وعدا وأخلف وأصل المثل المذكور أن عرقوبا كان له أخ فسأله شيئا فقال له عرقوب إذا طلع نخلي فلما أطلع قال: إذا أبلح فلما أبلح قال إذا أزهى فلما أزهى قال إذا أرطب فلما أرطب قال إذا صار تمرا فلما صار تمرا أخذه من اليل ولم يعط أخاه شيئا فضرب به المثل في خلف الوعيد فقيل مواعيد عرقوب.

قال الشماخ:

وواعدتني ما لا أحاول نفعه ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

وقال ابن حجاج:

فديت من لقيني مثل ما ... لقيته والحق لا يصعب

فقلت يا عرقوب أطمعتني ... فقال لم نفسك يا أشعب

وقلت أنا من قصيدة حجازية:

يهددني بالهجر في كل ليلة ... أصدق فيها وصله وأكذب

ولما وردنا ماء مدين قال لي: وحق شعيب أنت في الحب أشعب والناس في الأماني على قولين: فمنمهم من يرى راحة قلبه وتنفيس كربه فيريح بها النفس ويتعلق من ضيائها بحبال الشمس.

ومنهم من يقول:

ليس الترجي مما ينجي ... فيرى الأماني من الخداع

والوقوع في النزاع ولكل من القولين حجة ومذهب مسلوك المحجة ومن أحسن ما سمعته في القول الأول قول بعض بني الحرث.

أماني من سعدى حسان كأنما ... سقتنا بها سعدى على ظمأ بردا

منى أن تسكن حقا تكن أحسن المنى ... وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وقول الآخر:

ولما حللنا منزلا طله الندى ... أنيقا وبستانا من النور حاليا

أجد لنا طيب المكان وحسنه ... منى فتمنينا فكنت الأمانيا

وقال أفلاطون الأماني حلم المستيقظ وسلوة المحزون.

وقال غيره: الأماني رفيق مؤنس إن لم ينفعك فقد ألهاك.

---

(١) نصرة الثائر على المثل السائر الصفدي ص/٥٦

وقيل لأعرابي: ما أمتع لذات الدنيا فقال: ممازحة الحبيب ومحادثة الصديق وأماني تقطع بها أيامك.

وقال القاضي الفاضل: وأحسن ما شاء وجدت ريح كتبه وروح قربه فرجعنا إلى العادة وعادت أيامنا وصرنا إلى الحسني ورق كلامنا وعاودتنا المنى وما كادت تحطر وإن حطرت فإنها كلا منا:

أتمنى تلك الليالي المنيرا ... ت وجهد المحب أن يتمنى

وقال يا قوت الرومي

لله أيام تقضت بكم ... ما كان أحلاها وأهناها

مرت فلم يبق لنا بعدها ... شيء سوى أن نتمناها

وقال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس:

أصبو إلى البان بانت عنه هاجرتي ... تعللا بليالي وصلها فيه

عصر مضى وجلابيب الصبا قشب ... لم يبق من طيبه إلا تمنيه

وقال العفيف: أيحق كاتب الإنشاء للناصر داود.

لولا مواعيد آمال أعيش بها ... لمت يا أهل هذا الحي من زمن

وإنما طرف آمالي به مرح ... يجري بوعد الأماني مطلق الرسن

وقال ابن خفاجة:

وليل إذا ما قلت قد بان وانقضى ... تكشف عن وعد من الظن كاذب

ولا أنسى إلا أن أضاحك ساعة ... ثغور الأماني في وجوه المطالب

حسبت الدياجي فيه سود ذوائب ... لها عنق الآمال بيض الترائب

وقال آخر:

في المني راحة وإن عللتنا ... من هواها ببعض ما لا يكون

وقلت أنا:

رقي لصب غدا مما يكايده ... من دمعه الصب يجري في مجاريه

لم يبق فيه سوى روح يرددها ... لولا المني مات يا أقصى أمانيه

وقلت أيضا:

يا طيب ريح سرى من نحوهم سحرا ... لولا تلافيه قلبي في الهوى تلفا

كم ذا أعلل قلبي بالنسيم وما ... أرى لداء غرامي في هواء شفا

وقال ابن زيدون:

لأسرحن نواظري ... في ذلك الروض النضير

ولآكلنك بالمني ... ولأشربنك بالضمير

وقال آخر:

علليني بموعد ... وامطلي ما حييت به

ودعيني أفوز منك ... بنجوى تطلبه

فعسى يعثر الزمان ... بحظي فينتبه

وقال آخر:." (١)

"وقد أحسن القاضي محيي الدين الشهرزوري «١» في وصف الجراد بذلك في قوله:

لها فخذا بكر وساقا نعامة ... وقادمتا نسر وجؤجؤ ضيغم «٢»

حبتها أفاعي الأرض بطنا وأنعمت ... عليها جياد الخيل بالرأس والفم

وما يستحسن ويستجاد من شعره قوله يصف نزول الثلج من الغيم:

ولما شاب رأس الدهر غيظا ... لما قاساه من فقد الكرام

أقام يميط عنه الشيب غيظا ... وينثر ما أماط على الأنام «٣»

توفي الشهرزوري في سنة ست وثمانين وخمسمائة وليس في الحيوان أكثر افسادا لما يقتاته الانسان من الجراد. قال الأصمعي: أتيت البادية، فإذا أعرابي زرع برا له، فلما قام على سوقه وجاد سنبله أتاه رجل جراد فجعل الرجل ينظر إليه ولا يدري كيف الحيلة فيه فأنشأ يقول:

مر الجراد على زرعي فقلت له ... لا تأكلن ولا تشغل بإفساد

فقام منهم خطيب فوق سنبلة ... أنا على سفر لا بد من زاد

وقيل لأعرابي: ألك زرع؟ فقال: نعم. ولكن أتانا رجل من جراد، بمثل مناجل الحصاد، فسبحان من يهلك القوي الأكول بالضعيف المأكول.

فائدة:

تكتب هذه الكلمات وتجعل في أنبوبة قصب وتدمن في الزرع أو في الكرم فإنه لا يؤذيه الجراد بإذن الله تعالى وهي بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صلي على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد وسلم، اللهم أهلك صغارهم، واقتل كبارهم، وأفسد بيضهم، وخذ بأفواههم عن معايشنا وأرزاقنا، إنك سميع الدعاء إني توكلت على الله ربي وربكم، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم. اللهم صلي على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد وسلم، واستجب منا يا أرحم الراحمين. وهو عجيب مجرب. ومما يفعل لطرد الجراد أيضا، وقد جرب وفعل، فصرفه الله به وأخبرني به الشيخ يحيى بن عبد الله القرشي، وأنه فعل ذلك غير مرة، فصرفه الله سبحانه وتعالى عن البلاد التي هو فيها، وكفاهم شره وأن بعض العلماء أفاده ذلك، وقد سماه لي وذهب عني اسمه الآن، انه إذا وقع الجراد بأرض وأردت أن الله سبحانه وتعالى يصرفه، فخذ منه أربع جرادات، واكتب على أجنحتها أربع آيات من كتاب الله تعالى، في جناح كل جرادة آية، ثم توجه بها إلى أي بلد

---

(١) ديوان الصبابة ابن أبي حجلة ص/٧٠

تسميها وتقول لهم: انصرفوا إليها. على الأولى:

فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم

«٤» وعلى الثانية وحيل بينهم وبين ما يشتهون

«٥» وعلى." (١)

"فما الفصاحة إلا ما تكرره ... منازل الدن من ترجيع فأفاء

فاعكف على جلس اللذات مغتنما ... فالدهر في حربه تلوين حرباء

قيل: أتى عبد الملك بن مروان فقال له ماذا شربت فقال:

معتقة كانت قريش تعافها ... فلما استحلوا قتل عثمان حلت

فقال مع من؟ فقال: سقوني مع الشعرى بكأس روية ... وأخرى من الجوزاء لما استقلت قال فما غنيت؟ فقال:

سقوني وقلوا لا تغن فلوا سقوا ... جبال حنين ما سقوني لغنت

فعفى عنه وأطلق سبيله.

ومن كلام الشيخ برهان الدين القيراطي: يوم أنيق وغيم دفيق، وروض إذا سلسل ماؤه المطلق تهلل وجهه الطليق، فإذا دعى الندامى فيه بالصبوح- جاءت قنية في يدها إبريق، وإذا انحرت السقاة فيه دماء الرقاق صارت أيامهم كلها أيام تشريق، وإذا خاط منم الشرب سرور وغار من أوجه المسك الفتيق.

قلت: قوله أيان التشريق مأخوذ من قول أبي الحسن الجزار يفتخر:

إني لمن معشر سفك الدما لهم دأب ... وسل عنهم إن رمت تصديق

تضيء بالدم إشراقا عراصهم ... فكل أيامهم أيام تشريق

وقال برهان الدين القيراطي أيضا:

زوج الماء براحك ... وأجلها بين ملاحك

اتعطل يوم لهو ... من صبوة في صباحك

وإذا خفت افتضاحا ... كل عيس في افتضاحك

أو ترى فيها جناحا ... قم ودعني من جناحك

وصل اليوم اغتباقا ... من كئوس باصطباحك

صاح هذا وقت راحى ... واقتراحي واقتراحك

فاطرح من لام جهلا ... في اطراحى والطرحك

وقل شهاب الدين أحمد لن أبي جحلة هذه الأبيات تحبب في الحبب وتقلب إكسير راحها لجين الزجاج إلى الذهب قد امتزجت بالقلوب امتزاج الماء بالراح ولم يفتح بمثلها على صاحب الفرح، كم رقصت على سماعها الأحبة ونقط الحبيب

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢٧١/١

دينارها من خده وشامته بدينار بقيراط وحبه.

وقال الشيخ بدر الدين البشتكي أبقاه الله تعالى: أقول كلما والله نظرت إلى هذه الأبيات، والكلمات الحجيلات، أكاد أسكر بلا راح، وأطير من الأدب بلا جناح.

هذه عبارة الشيخ بدر الدين ومن خطة نقلت.

قلت: ولو قال بدر الدين وأطير من الأدب وأطبر من الفرح لكان أحسن فتأمله.

وأنشد عن لفظة لنفسه سيدنا القاضي المفنن البارع صدر الدين على بن سيدنا ومولانا القاضي أمي الدين بن الآدمي سلمه الله تعالى وقلتها من خطه:

سبح القمرى في الدوح وغرد ... فحسبنا إن في الروضة معبد

والند فاض على زهر الربا ... فسرت بين الندامى نفحة الند

إنما الزهر ثغور فتحت ... باسمات بجميل المزن لما يتأود

من يدي ظبي عزيزي أهيف ... مخطف الخصر رقيق مايس القد

كامل الأوصاف لكن ثغره ... ولما ريقه حلو مبرد

جامع الحسن لوصل مانع ... طرفه الهندي قد بالغ في الحد

ضيق العين إذا ما سمته ... قبلة سل من اللحظ مهند

وحمى فاه بلحظ فاتر ... فهو تركي على الثغر مجرد

يا له من عجب في لحظه ... سكر العشاق منه وهو عربد

لينت أعطفه الخمرة لى ... فأعادت أسد الخلية أغيد

بنت كرم عشقوها زمنا ... طال حتى إنه لم يحص بالعد

تسلب العقل من الرأس كما ... سلبت قدم من الكرمة باليد

قل لساقينا إذا طاف بها ... سحرا بين الندامى يتردد

أترع الكأس وأسرع واغتنم ... جمع شمل واختش أن يتبدد

ما تر الأنجم كانت زمرا ... لم يدع ذا الصبح منها غير فرقد

فهي مثلى حين غابت سادتي ... عن عياني بعد جمع صرت مفرد

قلت: وإذ ذكرنا مدحها أيضا وأوسعنا المجال في ذلك فلا بأس بإيراد نبذة من ذمها في الحديث المرفوع جمع الشر كله في بيت وجعل متاحه الخمر، وفي كتاب المبهيج الخمر مصباح السرورو ولكنه مفتاح الشرور.

وقيل لبعضهم تركت النبيذ وهو رسول إلى القلب فقال نعم ولكنه بئس الرسول يبعث إلى القلب فيذهب إلى الرأس.

وكان العباس بن علي عم المنصور يأخذ الكأس بيده يقول لها: أما المال فتتلفين وأما المروءة فتخلفين وأما الدين فتفسدين

فيسكر ساعة ثم يقول أما النفس فتسخنين وأما القلب فتشجعين وأما الهم فتطردين أفناك متى تقتلين ويشربها.

قيل لأعرابي لم لا تشرب النبيذ قال لا أشرب عقلي.." [1]

"دخلت البادية فنزلت على بعض الأعراب فقلت أفدني فقال إذا شئت أن تعرف وفاء الرجل وحسن عهده وكرم أخلاقه وطهارة مولده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه وبكائه على ما مضى من زمانه ولما أشرف الإسكندر على الموت أوصى أن يحمل في تابوت ذهب إلى بلد الروم حبا في وطنه ولما أدركت يوسف عليه السلام الوفاة أوصى أن يحمل إلى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه فلما بعث الله موسى عليه السلام وأهلك فرعون حمله إلى مقابرهم فقبره عليه السلام بأرض المقدس وروي أن أبان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال له يا أبان كيف تركت مكة قال تركتهم وقد حيدوا وتركت الأذخر وقد أغدق وتركت الثمام وقد خاص فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقيل لأعرابي** أتشتاق إلى وطنك قال كيف لا أشتاق إلى رملة كنت جنين ركامها ورضيع غمامها:

وكنا ألفناه ولم تك مألفا ... وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن

كما تؤلف الأرض التي لم يطلب بها ... هواء ولا ماء ولكنها وطن

آخر:

طيب الهواء ببغداد يؤرقني ... شوقا إليها وإن عاقت مقادير

فكيف أصبر عنها اليوم إذ جمعت ... طيب الهواء بين ممدود ومقصور

ذكرت بهذين البيتين ما أنشدنيه من لفظه لنفسه الوزير العلامة فخر الدين بن مكانس وهو من مخترعاته:

إن الهوائين يا معشوق قد عبثا ... بالروح والجسم في سر وفي علن

فالروح تكفيك بالمدود قد تلفت ... والجسم حوشيت بالمقصور فيك فني

وقال الشيخ بدر الدين الدماميني:

أقول لمهجتي كم ذا ألاقي ... من البلوى بظبي فيك قاسي

أذكره بأشجاني فينسى ... فأفديه غزالا في كناس

أعرابي:

وتشكو إلى الدار فرقة أهلها ... وبي مثل ما بالدار من فرقة الأهل

سلميان المحاربي:

إذا لم تكن ليلى بنجد تغيرت ... بشاشة دنيا أهل نجد وطيبها

آخر:

فما أحسن الدنيا وفي الدار خالد ... وأقبحها لما تجهز غازيا

ذو الرمة:

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/٨١

وقفت على ربع لمية ناقتي ... فما زلت أبكي عنده وأخاطبه

وأسقيه حتى كاد مما أبثه ... تكلمني أحجاره وملاعبه

بشار:

وقفت بها صحبي تطلب عراصها ... بدمعي وأنفاسي براح وتمطر

آخر:

منازل لم تنظر بها العين نظرة ... فتقلع إلا عن دموعي سواكب

البحتري:

أرى بين ملتف الآراك منازلا ... موائل لو كانت مهاها موائلا

فكن مسعدا فيهن إن كنت عاذرا ... وسر مبعدا عنهن إن كنت عاذلا

الوائلي وهو أحسن ما قيل فيه:

سقيت ربوع الظاعنين فإنه ... غنى لك عن ما العيون الهواطل

ولمؤلفه:

وقفنا بربع الحب والحب راحل ... نحاول رجعاه لنا ونحاول

وألقت دموع العين فيه سائلا ... لها من عبارات الغرام دلائل

إذا نفحة الأحباب منها تقسمت ... تطيب بها أسحارنا والأصائل

تثير غرامي ساجعات غصونها ... فمنها على الحالين هاجت بلابل

مراتع إلا في مرابع لذاتي ... مطالع أقماري بها والمنازل

قال ابن حمديس الصقلي:

ذكرت صقلية والأسى ... يهيج للقلب تذكارها

فإن كنت أخرجت من الجنة ... فإني أحدث أخبارى

ولولا ملوحة ماء البكا ... حسبت دموعي أنهارها

الكفيك لما فارق بغداد:

لهفي على بغداد من بلدة ... كانت من الأسقام لي جنة

كأنني عند فراقي لها ... آدم لما فارق الجنة

القاضي عبد الوهاب المالكي:

سلام على بغداد مني تحية ... وحق لها من السلام المضاعف

لعمرك ما فارقتها قاليا لها ... وإني بشط جانبيها العارف

ولكنها ضاقت على برحبها ... ولم تكن الأقدار ممن يساعف

فكانت كخل كنت أهوى دنوه ... وتأتي به أخلاقه فيخالف

وللعلامة ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب عند فراقه الأندلس في واقعته المشهورة:

أموطني الذي أزعجت عنه ... ولم أرزي به مال ولا دم

لئن أزعجت عنك بغير قصد قصد ... فقبلي فارق الفردوس آدم

وقال ابن الرومي:

بلد صحبت بها الشبيبة والصبى ... ولبست ثوب العيش وهو جديد

فإذا تمثل في الضمير رأيته ... وعليه أغصان الشباب تميد." (١)

"أذن الشتاء بلهوه المستقبل ... فدنت أوائله بغيث مسبل

متكاثف الأنواء منغدق الحيا ... هطل الندى هزج الرعود بجلجل

جاءت بعزل الجدب فيه فبشرت ... بالخصب أنواء السماك الأعزل

وقد ولع الناس بذكر الاعتداد لها قديما وحديثا.

قيل لأعرابي: ما أعددت للبرد؟ فقال: طول الرعدة، وتقرفص القعدة، وذوب «١» المعدة، أخذه ابن سكرة «٢» ، فقال:

قيل ما أعددت للبر ... د وقد جاء بشده

قلت دراعة عري ... تحتها جبة رعده

واعلم أن ما تقدم من أزمان الفصول الأربعة هو المصطلح المعروف، والطريق المشهور. وقد ذكر الآبي في كتاب الدر «٣» : أن العرب قسمت السنة أربعة أجزاء فجعلوا الجزء الأول الصفرية وسموا مطره الوسمي، وأوله عندهم سقوط عرقوة الدلو السفلى، وآخره سقوط الهقعة، وجعلوا الجزء الثاني الشتاء، وأوله سقوط الهنعة، وآخره سقوط الصرفة. وجعلوا الجزء الثالث الصيف، وأوله سقوط العواء، وآخره سقوط الشولة، وجعلوا الجزء الرابع القيظ. وسموا مطره الخريف، وأوله سقوط النعائم، وآخره سقوط عرقوة الدلو العليا.

وذكر ابن قتيبة في «أدب الكاتب» طريقا آخر فقال:

الربيع يذهب الناس إلى أنه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه الورد والكمأة، والنور، ولا يعرفون الربيع غيره. والعرب تختلف في ذلك فمنهم من." (٢)

"إذا ملأ القرطاس سود سطوره ... فتلك أسود تتقى وأساود «١»

وتلك جنان تجتنى ثمراتها ... ويلقاك من أنفاسهن بوارد

وهن برود ما لهن مناسج ... وهن عقود ما لهن معاقد

وهن حياة للولي رضية ... وهن حتوف للعدو رواصد

الجملة الثانية في اشتقاقه

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/٣٠٢

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢/٤٤٢

وقد اختلف في ذلك؛ فقيل: سمي قلما لاستقامته كما سميت القداح أقلاما في قوله تعالى: إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم

«٢» قال بعض المفسرين تشاحوا في كفالتها فضربوا عليها بالقداح، والقداح مما يضرب بها المثل في الاستقامة؛ وقيل: هو مأخوذ من القلام وهو شجر رخو فلما ضارعه القلم في الضعف سمي قلما؛ وقيل: سمي قلما لقلم رأسه، فقد قيل إنه لا يسمى قلما حتى يبرى، أما قبل ذلك فهو قصبة. كما لا يسمى الرمح رمحا إلا إذا كان عليه سنان وإلا فهو قناة، ومنه قلامة الظفر؛ وإلى ذلك يشير أبو الطيب الأزدي بقوله:

قلم قلم أظفار العدا ... وهو كالإصبع مقصوص الظفر

أشبه الحية حتى إنه ... كلما عمر في الأيدي قصر

وقيل لأعرابي: ما القلم؟ ففكر ساعة وقلب يده، ثم قال: لا أدري، فقيل له: توهمه، قال: هو عود قلم من جوانبه كتقليم الظفر، فسمي قلما.

الجملة الثالثة في صفته

قال إبراهيم بن العباس لغلام بين يديه يعلمه الخط: ليكن قلمك صلبا بين." (١)

"وقال خالد بن الوليد لعبد المسيح بن عمرو الغساني وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة، من أين أفضي أمرك؟ قال: من صلب أبي، قال: من أين خرجت؟ قال: من بطن أمي، قال: فعلام أنت؟ قال: على الأرض، قال: ففيم أنت؟ قال: في ثيابي، قال: أتعقل؟ قال: إي والله وأقيد، قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد، قال: فما سنك؟ قال عظم، قال: ما تزيد في مسألتك إلا عناء، قال: ما أجبتك إلا عن مسألتك.

وقال الربيع بن عبد الرحمن: قلت لأعرابي: أتهمز إسرائيل؟ قال: إني إذن لرجل سوء، أراد قوله تعالى: (هماز مشاء بنميم) ، قلت: أتجر فلسطين؟ قال: إني إذن لقوي.

وقيل لأعرابي: أتهمز الفأرة؟ قال: الهر يهمزها.

ومما يستظرف في هذا الباب أن رجلا من محارب وفد على عبد الله بن زيد الهلالي عامل أرمينية، وقد بات على قرب من غدير فيه ضفادع، فقال عبد الله: ما تركتنا شيوخ محارب ننام لشدة أصواتها، فقال المحاربي: أصلح الله الأمير، إنها ضلت برقعا، فهن في طلبه، أراد الهلالي قول الأخطل:

تنق بلا شيء شيوخ محارب ... وما خلتها كانت تريش ولا تبري

ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت ... فدل عليها صوتها حية البحر

وأراد المحاربي قول الآخر:

لكل هلالي من اللؤم برقع ... ولابن هلال برقع وقميص

وأذن بشار لأصحابه في الدخول عليه، والطعام بين يديه، فلم يدعهم، ثم دعا بطست، وكشف عن سؤاله فبال، ثم حضر

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٢/٤٧٩

الظهر والعصر، فلم يصل، فقالوا له: أنت أستأذنا، وقد رأينا منك أشياء أنكرناها عليك، قال: وما هي؟ قالوا: دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا إليه، قال: إنما أذنت لكم بالدخول لتأكلوا، ولو لم أرد هذا لما أذنت لكم، ثم ماذا؟ قالوا: دعوت بالطست، ونحن حضور، فبلت، ونحن نراك فقال: أنا مكفوف وأنتم بصراء، وأنتم المأمورون بغض البصر دوني، ثم ماذا؟ قالوا: حضرت الصلاة ولم تصل قال: إن الذي يقبلها تفاريق يقبلها جملة. أحسن في الثنتين، ولم يحسن في الثالثة.

وترك رجل النبيذ، فقيل له: لم تركته، وهو رسول السرور إلى القلب؟ فقال: ولكنه بئس الرسول يبعث إلى الجوف فيذهب إلى الرأس.

وسمع رجل أبا العتاهية ينشد:

فانظر بطرفك حيث شئت، ... فلا ترى إلا بخيلا

فقال: لقد بخلت الناس كلهم، فقال: اكذبني أنت بواحد منهم سخي.

وقال المأمون لمحمد بن عباد: أنت متلاف، فقال: منع الجود سوء الظن بالمعبود، يقول الله تعالى: (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) .

وخوف بخيل سخيا الإملاق والفقر، فرد عليه السخي: (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) .

وقال الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرفت في بذل المال، فقال: بأبي أنتما وأمي، إن الله عودني أن يتفضل علي، وعودته أن أتفضل على عبيده، وأخاف أن أقطع العادة، فيقطع عني عادته.

ودخل رجل على الشعبي - وهو مع امرأته - فقال: أيكما الشعبي؟ فقال: هذه، فقال: ما تقول - أصلحك الله - في رجل شتمني في أول يوم من رمضان؟ هل يؤجر؟ فقال له الشعبي: إن كان قال لك: أحمق فأرجو له الأجر.

وسأله آخر، فقال له: ما تقول في رجل أدخل أصبعه في أنفه في الصلاة، فخرج عليه دم، أترى له أن يحتجم؟ فقال: الحمد لله الذي نقلنا من الفقه إلى الحجامة.

وسأله فقال: كيف كانت تسمى امرأة إبليس؟ فقال: ذلك نكاح ما شهدناه.

ودخل الشعبي الحمام فرأى داود الأزدي بلا مئزر فغمض عينيه، فقال له داود: متى عميت يا أبا عمرو؟ قال: مذ هتك الله سترك.

وقال الأصمعي: قلت لامرأة ظريفة: يا جارية، هل في يديك عمل؟ قلت: لا، ولكن في رجلي.

وقال معاوية لعمرو بن سعيد: إلى من أوصى بك أبوك؟ وكان صغيرا، قال: إن أبي أوصى إلي، ولم يوص بي.

وكان للفرزدق نديم يسمى زياد الأقطع، فأتى به يوما، فخرجت له بنية للفرزدق صغيرة، فقال: ابنة من أنت؟ قالت: ابنة الفرزدق، قال: فما بالك حبشية؟ قالت: فما بال يدك مقطوعة؟ قال: قطعت في حرب الحرورية، قالت: بل قطعت في اللصوصية. فقال: عليك وعلى أبيك لعنة الله، ثم أخبر الفرزدق، فقال: أشهد أنها ابنتي حقا.

وأنشد الفرزدق شعرا وهو صغير، بمحضر الحطيئة فقال: هذا والله الشعر يا غلام، هل أنجدت أمك؟ قال: لا بل أنجد أبي.." (١)

"وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز بعض ما يكره، فقال: لا عليك، إنما أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غدا، انصرف إن شئت.

وقيل لقيس بن عاصم: بم سودك قومك، قال: بكف الأذى عنهم، وبذل الندى، ونصر المولى.

ونظر رجل إلى معاوية بن أبي سفيان، وهو غلام صغير – فقال: إني أظن هذا الغلام يسود قومه، فسمعته أمه هند، فقالت: ثكلته إن لم يسد غير قومه.

ودخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر، وكان قبيح المنظر، فالتفت الناس إلى أصحابه، وقال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، فقال: أيها الملك؛ إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، إن قال قال ببيان، وإن صال صال بجنان، قال: صدقت، وبحق سودك قومك.

وقيل لعرابة الأوسي: بم سودك قومك؟ قال: بأربع خصال: أنخدع لهم في مالي، وأذل منهم في عرضي، ولا أحقر صغيرهم، ولا أحسد كبيرهم.

وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له: ما اسمك؟ قال: شهاب بن حرقة. قال: ممن؟ قال: من أهل حرة النار، قال: وأين مسكنك منها؟ قال: بذات لظى، قال: أدرك أهلك فقد احترقوا، فكان كما قال عمر رضي الله عنه.

وكان أشعب الطماع يختلف إلى قينة بالمدينة، فلما أراد الخروج سألها إن تعطيه خاتم ذهب في يدها ليذكرها به، فقالت له: إنه ذهبت وأخاف أن تذهب، ولكن خذ هذا العود، لعلك أن تعود، وناولته عودا من الأرض.

وقال رجل لخالد بن صفوان: إني أحبك، قال: وما يمنعك من ذلك؟ ولست بجار لك ولا أخ ولا ابن عم، يريد أن الحسد موكل بالأدنى فالأدنى.

ومر محمد بن سيرين بقوم، فقام إليه رجل منهم، فقال: أبا بكر، إنا قد نلنا منك فحللنا، فقال: إني لا أحل ما حرم الله.

وكان رقبة بن مصقلة جالسا مع أصحابه، فذكروا رجلا بشيء، فطلع ذلك الرجل، فقال له بعض أصحبه: ألا أخبره بما قلنا فيه لئلا يكون غيبة؟ قال: أخبره، حتى يكون غيمة.

وقيل لبعض الحكماء: فلان يعيبك، فقال: إنما يقرض الدرهم الوازن.

وصلى الأعمى في مسجد قوم فأطال بهم الإمام. فقال له الأعمش: يا هذا لا تطل صلاتنا، فإنه يكون ذو الحاجة والكبير والضعيف، قال الإمام: (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) قال الأعمش: أنا رسول رأس الخاشعين إليك، إنهم لا يحتاجون إلى هذا منك.

ولقي جهم رجلا من اليونانيين، فقال له: هل لك أن تكلمني وأكلمك فمن أسرته الحجة رجع إلى قول صاحبه، قال: نعم، قال اليوناني: أخبرني عن معبودك، أرأيته؟ قال: أسمعته؟ قال: لا قال: أفلمسته؟ قال: لا، قال: أفشممته؟ قال: لا، قال:

---

(١) حدائق الأزاهر ابن عاصم الغرناطي ص/٨

فمن أين عرفته وأنت لم تدركه بحاسة من حواسك الخمس؟ وإنما عقلك دائر عليها، فلا يدرك إلا ما أدت إليه من جميع المعلومات، فتلجلج جهم ساعة ثم استدرك فعكس عليه مسألته، فقال له: أتقر أن لك روحا؟ قال: نعم، قال: هل رأيت روحك أو سمعته أو لمسته أو شممته أو دنته؟ قال: لا، قال: وكيف علمت روحك؟ فأقر له اليوناني.

ورفع ساق إلى حاكم، فأمر بضربه، فقال: كم تضربني؟ فقال له: بالحضرة تكون، وعد لنفسك.

وقيل لأعرابي: ما لك من الولد؟ قال: قليل خبيث، يريد لا أقل من واحد، ولا أخبث من أنثى.

واشترى رجل غلاما، فقال له البائع: فيه عيب، قال: وما هو؟ قال: يبول في الفراش، قال: ليس هذا عندي عيبا، إن وجد فراشا، دعه يبول ويسلح.

وقال رجل لطفل: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد، قال: إنما سألتك عن عمرك، فقال: فقل كم عمرك؟ فقال له كذلك، قال: ثمانية أعوام، قال: أحية أمك؟ قال: ما هي بحية ولا عقرب، ولكنها امرأة، فقال: فكيف أقول؟ فقال له: قل: أفي الأحياء أمك؟ فقال له كذلك، فقال له: نعم.

ودخل رجل ببنت بكر، فوجدها مسنة، فعابها بكبر سنها، فقالت له: لا تلم إلا نفسك؛ إنك تركتني حتى كبر سني.

واشتكى طفل بآخر إلى مؤدب، فقال له: إنه يشتمني في قلبه، قال له المؤدب: حكه أنت تحتك.

ووقف رجل على طباخ، فأكل خبزه برائحة القدر، فدعاه إلى الحاكم وعرفه بفعله، فقال له الحاكم: اضرب بدرهم على رخامته، يأخذ طنينه ورد إليك درهمك.

وخطر حاكم بالليل، وهو يطوف بالمدينة على سارق ينقب دارا فقال له: ما هذا؟ قال: مات لنا ميت، وأنا أحفر له من أين يخرج، فقال له الحاكم: وأين أمارة الموت؟ البكاء والصراخ؟ قال: آخر الليل تسمع النياح.." (١)

"وأتي عبد الملك بن مروان بأسير، فدعا بالسيف والنطع، فوافق ذلك دخول صغار بني عبد الملك باكيا، قد ضربه المؤدب، فانزعج لذلك عبد الملك، وأرادوا تسكينه، فقال الأسير: دعوا الغلام ما أنت فيه عن هذا القول؟ قال: ما ينبغي أن يشغل المؤمن عن النصيحة شيء إلا أن يعوق عائق، قال: خلوا سبيله.

وجاز المنصور يوما، والفرج بن فضالة جالس على باب الذهب، فقام الناس جميعا، ولم يقم الفرج، فاستشاط المنصور غضبا، ودعا به، وقال: ما منعك من القيام؟ قال: خفت أن يسألني الله تعالى: لم فعلت؟ ويسألك: لم رضيت؟ وقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، فسكن غضبه، وقربه، وقضى حاجته.

وبلغ هشام بن عبد الملك عن رجل فيه شيء قبيح، فأحضره، فتكلم بحجته، فقال له هشام: وتتكلم أيضا؟ فقال يا أمير المؤمنين يقول الله عز وجل: (يوم تأتى كل نفس تجدل عن نفسها) ، فنجادل الله جدالا، ولا نتكلم إليك كلاما؟ فقال هشام: تكلم بما شئت.

وعربد غلام هاشمي، فشكوه إلى عمه، فأراد عمه أن يوقع به الحد، فقال: يا عم: إني أسأت، وليس معي عقلي، فلا تسيء إلي ومعك عقلك، فصفح عنه.

---

(١) حدائق الأزاهر ابن عاصم الغرناطي ص/١٦

وجلس موسى بن عبد الملك للمظالم، فدخل عليه أهل شهرين، وفيهم سهل بن عاصم، فتظلموا إليه من عاملهم، وسهل ساكت، فقال له موسى: إن قال سهل كما قلتم صرفته عنكم، ثم قال: ما تقول يا سهل؟ قال: أقول: أعزك الله، إنه لم يظلمنا، ولكن الله أمر فينا وفي أمثالنا بالعدل والإحسان، فعدل فينا، ولم يحسن، ولن تصلح أحوالنا إلا بالإحسان، فقال موسى: قد صرفته عنكم، ووليتك عليهم فاعدل وأحسن.

وأقبل بعض السلاطين، فقام إليه رجل، فقال له: لم قمت؟ فقال: لأقعد، فولاه عملا، واتخذه لنفسه.

وقيل لأعرابي: ما فعل بنوك؟ قال: أكلهم دهر لا يشبع، يعني ماتوا.

وقيل لأحد الزهاد: لم تحب الدراهم، وهي تدنيك من الدنيا؟ قال: هي وإن أدنتني من الدنيا، فقد صانتني عنها.

وكان في بني الجراح فتى خليع ماجن، فأراد العبث بأبي العيناء فنهاه نصاحه، فأبى، فقالوا له: شأنك به، فقال له: يا أبا العيناء، متى أسلمت؟ قال: حين كفر أهلوك، وأبوك الذين لم يؤدبوك، قال له الفتى: إذن علمت أنا ما أسلمت، فقال أبو العيناء: شهادتك لأهلك دعوى، وشهادتي عليهم بلوى، وستعلم أي السلاطين أقوى، وأي الشياطين أغوى، وسيعلم أهلك ما خبأ عليهم جهلك.

وأقبل رجل إلى الأعمش، فقال: يا أبا محمد، إني اكتريت حمارا بنصف درهم، وجئتك لتحدثني، قال: اكتره بالنصف الثاني، وارجع: فما أريد أن أحدثك.

وكان عقال بن سليمان يروي الحديث، فقال له بعض من حضر: إن رأيت أن ترفع صوتك؛ فإن بسمعي ثقلا، فقال له: الثقل في كل شيء منك، ليس في سمعك.

وقال رجل لابن عمران المختار بن عبيد الله يزعم أنه يوحى إليه قال: صدق، يقول الله عز وجل: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) .

وقال رجل ليونس بن حبيب: ما بالي إذا تذاكرتم الحديث نعست قال: لأنك حمار في مسلخ إنسان.

وكان للمغيرة بن عبد الله الثقفي، وهو والي الكوفة جدي كل يوم يوضع على مائدته، فحضر يوما أعرابي، فمد يده إلى الجدي، وأسرع فيه، فقال له المغيرة: إنك تأكله أكل حنق عليه كأن أباه نطحك، فقال له الأعرابي: وأنت تشفق عليه كأن أمه أرضعتك.

وقال معاوية لعبد الله بن عباس: لي عندك حاجة يا أمير المؤمنين أفتقضيها لي؟ فقال له: نعم، فقال له ابن عباس: سل حاجتك يا أمير المؤمنين، قال: أريد أن تهب لي دورك وضياعك التي بالطائف، قال: قد فعلت، فقال له معاوية: قد وصلت الرحم، فسل حاجتك، قال: حاجتي إليك أن تردها إلي، قال معاوية: قد فعلت.

وقال رجل لثمامة بن أشرس: لي إليك حاجة، قال: وأنا لي إليك حاجة أفتقضيها؟ قال: نعم، قال: فإن حاجتي إليك ألا تسألني حاجة.

وكان أشعب يختلف إلى قينة يعلمها، فطلبت منه درهما، فانقطع عنها، فعلمت له دواء، ولقيته به، فقال لها: ما هذا؟ فقالت له: دواء علمته لك تشربه لهذا الفزع الذي بك، قال: اشربيه أنت للطمع، فلو انقطع طمعك، لانقطع فزعي.

ورمى المتوكل عصفورا بالبندق، فلم يصبه، فقال ابن حمدون: أحسنت يا أمير المؤمنين، فقال المتوكل: أتهزأ بي؟ كيف أحسنت؟ قال: إلى العصفور الذي تركته.." (١)

"وكان الواثق شديد المحبة للباذنجان، وكان يعمل له كل يوم ألوان كثيرة، فيأكل منها كل يوم ثلاثمائة باذنجانة، فوجه إليه المعتصم يقول له: يا بني: هل أريت خليفة أعمة قط؟ قال للرسول: أبلغ أمير المؤمنين، إني قد تصدقت ببصري على الباذنجان.

وجاء بعض الثقلاء إلى بعض الظرفاء، فقال له: بلغنا عنك أن لك أربعة آلاف كلمة من الجواب المسكت، وأحب أن تعلمني بعضها، قال: سل عما بدا لك حتى أعلمك، قال: إن قال لك أحد: اسكت يا ثقيل. قال: قل له، صدقت، فخجل الرجل وانصرف.

وجلس ثقيل إلى جانب ظريف ثم قال: لعلك استثقلتني؟ قال: يعلم الله أني استثقلتك وأنت في بيتك، فكيف وأنت بجانبي؟

ورفع رجل إلى الفضل بن يحيى رقعة بيضاء، ليس فيها شيء، فقال له الفضل: يا هذا، ليس في رقعتك شيء مكتوب، فقال له: يا سيدي اكتب فيها أنت ما يليق بفضلك، فكتب فيها أن يعطى مالا جزيلا.

وسأل أبو العيناء أحمد بن صالح حاجة، فواعده بها، فلما طالبه بالاقتضاء، قال أحمد: ما ترى هذا الطين والمطر؟ قال أبو العيناء: فحاجتي إذن صيفية، فضحك، وقضى حاجته.

وعوتب بعضهم على ما يتعاطاه من الحمق، فقال: حمق يعولني خير من عقل أعقوله.

ونظر الحسن يوما إلى رجل عليه بردة حسنة، وحالة جميلة، فقال: من هذا؟ فقيل له: ضراط، فقال الحسن: ما طلب أحد الدنيا بما تستحق إلا هذا.

واشترى رجل ثلاثة أرطال لحما، وقال لامرأته: اطبخيه، وخرج إلى شغله، فطبخته المرأة، وأكلته، فلما جاء زوجها، قال: هات ما طبخت، فقالت له: أكله السنور، فأخذ الرجل السنور ووزنه، فإذا فيه ثلاثة أرطال. فقال لها: هذا وزن السنور، فأين اللحم؟ أو هذا وزن اللحم، فأين السنور؟ وكان السمك في زمن كسرى عزيزا، فجاء صياد بسمكة فيها ثمانية أرطال، فأمر له بأربعة آلاف درهم، فقالت له جارية: تعطي في ثمانية أرطال من سمك أربعة آلاف درهم؟ قال: فرديه، فأمرت برده ثم قالت له: سمكتك هذه ذكر هي أم أنثى؛ طمعا في أن يقول: ذكر فتقول: أنثى نريد، أو يقول: أنثى، فتقول: ذكرا نريد؛ ففطن الصياد، فقال لها: هي خنثى، لا ذكر ولا أنثى، فقال كسرى: زيدوه أربعة آلاف درهم أخرى، فقبض الصياد المال وانصرف، فسقط له درهم، فأكب عليه وأهذه، فقالت له الجارية: انظر خساسته وسوء أدبه، أعطيته ثمانية آلاف درهم، وآكب بحضرتك لأخذ درهم، فأمر كسرى برده، فقال: لم أسأت الأدب؟ قال: كان على الدرهم صورة الملك، فأجللته أن يقع على الأرض، فقال كسرى: أعطوه أربعة آلاف درهم، ثم قال: هذا ما يجري من النساء.

وكان رجل قاعدا في مجلس وليمة، فكل من دخل وسعوا له، فضاق الرجل، فقام يخرج، فقيل له: إلى أين؟ قال: أخرج وأدخل عساكم أن توسعوا لي.

(١) حدائق الأزاهر ابن عاصم الغرناطي ص/٢٠

وقيل لأعرابي: لمن هذه الإبل؟ قال: لله وهي في يدي.

وخاطب أعرابي عبد الله بن جعفر، فقال في مخاطبته: يا أبا الفضل، فقيل له: ليس هذا كنيته، فقال: إن لم تكن كنيته فهي صفته.

وقعد أبو الحارث إلى قينة بالمدينة صدر نهاره، فجعلت تحدثه ولا تذكر الطعام، فلما طال ذلك به، قال: ما لي لا أسمع للغداء ذكرا؟ قالت: سبحتن الله، ما تستحي، أما في وجهي ما يشغلك عن هذا؟ قال لها: جعلت فداك، لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان فيها لبصق كل واحد منهما في وجه صاحبه، ثم افترقا.

وحضر أبو نواس مجلسا فيه قيان، فقلن له: أبا نواس، ليتنا بناتك، قال: نعم، ونحن على دين المجوسية؛ وذلك لأن المجوس ينكحون بناتهم.

ونظر عمران بن حطان إلى امرأته، وكانت من أحسن النساء، وكان هو من أقبح الرجال، فقال: إني وإياك في الجنة إن شاء الله، قالت: وكيف ذلك؟ قال: لأنني أعطيت مثلك فشكرت، وابتليت بمثلي فصبرت.

وجاء أعرابي إلى ابن الزبير، فقال: أعطني وأقاتل عنك أهل الشام، قال: اذهب فقاتل، فإن أغنيت أعطيتك، قال: أراك جعلت روحي نقدا، ودراهمك نسيئة.

وقيل لأشعب: ما أحسن الفناء؟ قال: نشيش المقلاة، قيل: فما أطيب الزمان؟ قال: إذا كان عندك ما تنفق.

وكتب عامل عمان إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، إنا أتينا بساحرة، فألقيناها في الماء فطفت على الماء، فكتب له عمر: لسنا من الماء في شيء، إن قامت عليها بينة، وإلا خل عنها.." (١)

"وقال الأصمعي: سأل علي بن أبي طالب ابنه الحسين رضي الله عنهما: كم بين الإيمان واليقين؟ قال: أربع أصابع، قال: وكيف ذلك؟ قال: الإيمان كل ما سمعته أذناك، وصدقه قلبك، واليقين ما رأته عيناك فصدق به قلبك، وليس بين الأذن والعين إلا أربع أصابع.

وقال الحسن لفرقد السبخي: بلغني أنك لا تأكل الفالوذج، قال: يا أبا سعيد، أخاف ألا أؤدي شكره، قال: يا لكع، هل يؤدي شكر الماء البارد في الصيف والحار في الشتاء أحد؟ أما سمعت الله يقول: (كلوا من الطيبات) و (كلوا من طيبات ما رزقنكم) .

وسمع الحسن رجلا يعيب الفالوذج، فقال: لعاب النحل، بلباب البر، بخالص السمن، ما عاب هذا مسلم.

وقيل لبقراط: مالك تقل الأكل جدا؟ قال: إني إنما آكل لأحيا، وغيري يحيا ليأكل.

ودعا عبد الملك بن مروان رجلا إلى الغداء، فقال: ما بي فضل يا أمير المؤمنين، قال: لا خير في رجل يأكل حتى لا يكون فيه فضل.

وقيل للأحنف بن قيس: أي الشراب أطيب؟ قال: الخمر، قيل له: وكيف عرفت ذلك وأنت لم تشربها؟ قال: إني رأيت من حل له لا يتعداها ومن حرمت عليه إنما يدور حولها.

---

(١) حدائق الأزاهر ابن عاصم الغرناطي ص/٢٢

وقال قيصر لقس بن ساعدة: أي الأشربة أفضل عاقبة في البدن فقال: ما صفا في العين، واشتد على اللسان، وطابت رائحته في الأنف من شراب الكرم، قال: فما تقول في مطبوخه؟ قال: مرعي ولا كالسعدان، قال: فما تقول في نبيذ الزبيب؟ قال: ميت أحيي فيه بعض المتعة ولا يكاد يحيي من مات مرة.

وقيل لأعرابي: ما لك لا تشرب الخمر؟ قال: لا أشرب ما يشرب عقلي.

وقيل لعثمان بن عفان رضي الله عنه: ما منعك من شرب الخمر في الجاهلية ولا حرج عليك فيها؟ قال: إني رأيتها تذهب العقل جملة، وما رأيت شيئا يذهب جملة ولا يعود جملة.

ودخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم، وهم يشربون ويوقدون في الأخصاص، فقال: نهيتكم عن معاقرة الشراب، وعن الوقد في الأخصاص فأوقدتم، وهم بتأديبهم، فقالوا: مهلا يا أمير المؤمنين، نهاك الله عن التجسس فتجسست، ونهاك عن الدخول بغير إذن، فدخلت، فقال: هاتان بهاتين وانصرف، وهو يقول: كل الناس أفقه منك يا عمر.

وكان بالمدينة أعمى، فأتى يوما عينا يغتسل بها، فدخل بثيابه، فقيل له: بللت ثيابك، فقال: لأن نبتل علي خير من أن تجف على غيري.

وحكى الهيثم بن عدي قال: بينما أنا بكناسة الكوفة، إذا برجل مكفوف، قد وقف إلى نخاس الدواب، فقال له: يعني حمارا، ليس بالقصير، ولا بالكبير، إذا خلا الطريق تدفق، وإذا كثر الزحام ترفق، إن أقللت علفه صبر، وإن أكثرته شكر، إن ركبته هام، وإن ركبه غيري نام، فقال له النخاس: يا أبا عبد الله، اصبر، فإن مسخ الله القاضي حمارا، أصبت حاجتك إن شاء الله تعالى.

الباب الثالث

في أبيات شعر وقعت جوابا، واستعملت خطابا اجتمع ناس من الشعراء، وأتوا منزل عدي بن الرقاع، وصاحوا به. فخرجت بنت له صغيرة، فقالت: ما تريدون؟ قالوا: نريد أباك، نهجوه، ونفضحه، فقالت:

تجمعتم من كل أوب، ووجهة ... على واحد، لازلتم قرن واحد

فاستحيوا، وانصرفوا خجلين.

ولقي كثير الفرزدق، فقال له الفرزدق، يعرض له بسرقته للشعر: يا أبا ضمرة، أنت أنسب العرب حين تقول:

أريد لأنس ذكرها، فكأنما ... تمثل لي ليلى بكل سبيل

فقال له كثير يعرض بسرقته، وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول:

ترى الناس ما سرنا، يسيرون خلفنا ... وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وهذان البيتان لجميل، سرق الفرزدق واحدا، وكثير واحدا، فقال له الفرزدق: هل كانت أمك ترد البصرة؟ قال: لا، ولكن كان أبي كثيرا ما يردها، فعرض كل واحد منهما بصاحبه.

ومر الأقيشر الأسدي بقوم من بني عبس، فقال بعضهم: يا أقيشر، وكان يغضب إذا دعي بذلك، فنظر إليه وأنشأ يقول:

أتدعوني الأقيشر، ذلك أسمي ... وأدعوك ابن مطفئة السراج

تناجي خدعها بالليل سرا ... ورب العرش يعلم ما تناجي

فسمي الرجل ابن مطفئة السراج ونظر رجل إلى الحسن بن عبد الحميد يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان فقال: أمثلك يرضى بهذا؟ فقال:

أهين لهم نفسي؛ لاكرمها بهم ... ولا يكرم النفس الذي لا يهينها

وقال أبو مسهر: أتيت أبا جعفر محمد بن عبد الله بن عبدكان، فحجبني، فكتبت إليه:." (١)

"وكان لرجل قط، لا تزال شواربه تنقط دما، فسئل عن ذلك، فقال: إذا أكل الطعام، جاءت الفيران تشم ذلك وتلعقه فتدميه.

وجاء شيخ إلى قنديل يطفئه، فأخرج ريحا، فضحكت امرأته، فقال لها: أتضحكين والله لولا ما تقسم الريح، ما تكسر إلا القنديل.

وقيل لرجل: أين القبلة في دارك؟ فقال: والله ما اهتديت إليها؛ لأني إنما دخلتها منذ أربعة أشهر.

وقال مزبلح لآخر: في غرستكم هذا العام باكور، قال له: عين أعين في باكورة.

وكان فقيه في داره يسمع سائلا، يسأل ويقرع الباب، فقال له: يا هذا، النقر ثلاث: طاق، طرطاق، طرطلاق، فقال له السائل: فران أنت، ودعني بلا عشاء.

وأعطى ابن قزمان مؤدبه يطبخ له الخبز، وكان الطين: فوقع ووقع الخبز في الطين، فرجع إلى المؤدب، فقال له: يا سيدي، ما تقول في العثرات؟ قال: يا ولدي، إنها مكتوبة، فقال: يا سيدي، وصلتك في الطين مقلوبة.

وكان لرجل من أهل بلفيق بغل، فالتقى مع بغل آخر للقاضي، فضرب بغله بغل القاضي ركضة فكسره، فترك بغله لابنه، وذهب قبل أن يصل الخبر للقاضي، فدخل عليه فوجده مع جماعة من الناس، فقال له: يا سيدي، احكم على بغلك، كسر بغلي بركضة، فقال له القاضي: لا يحكم على بهيمة إذا فعلت شيئا، فقال للناس: اسمعوا ما يقول سيدي القاضي، قالوا: الحق ما يقول لله، قال: فإن بغلي هو الذي كسر بغله.

ومر رجل بأبي العيناء، فقال: من هذا؟ فقال: رجل من بني آدم، قال: مرحبا بك، والله ما ظننت هذا النسل إلا قد انقطع. وصل رجل، فلما سجد سمعه رجل يقول: اللهم اغفر لي ولوالدي ولأمي ولأختي، فقال له آخر: ولختنك، وهما في الصلاة، فقال له: قران أنت؟ وحمل رجل قدرا إلى فرن بحمامتين، فلما طبخت أكلهما الفران، وجعل عوضا من ذلك حمامتين حيتين، فلما جاء صاحبها ورفع الغطاء طارتا، ولم يجد في القدر شيئا، فقال: يا رب، أشهد أنك تحيي وتميت، ولكن المرق إش طرا فيه؟ وخرج جحا من الحمام، فضربته الريح، فقصرت بيضته، فرجع إلى الجمام، يفتش الناس، فقالوا: مالك؟ قال: سرقت بيضتي، ثم إنه تدفأ، وافتقدها، فقال: كل شيء لا تأخذه اليد يوجد.

وتبخر يوما، فاحترقت ثيابه، فغضب وحلف ألا يتبخر إلا عريان.

وكان يمشي حافيا، فإذا وصل إلى ساقية أو واد، لبس السباط، فقيل له في ذلك فقال: الطريق أرى ما فيه، وأتحفظ منه،

---

(١) حدائق الأزاهر ابن عاصم الغرناطي ص/٢٣

والوادي لا أدري ما فيه.

واختصم رجلان إلى بعض الولاة، فلم يحسن الحكم بينهما، فضربهما، وقال: الحمد لله؛ إنه لم يفتني الظالم منهما.

ومر جحا بصبيان يلعبون بباز ميت، فاشتراه منهم بدرهم، وحمله إلى أمه، فقالت له: ويحك، ما تصنع به وهو ميت؟ فقال لها: اسكتي، فوالله لو كان حيا ما بيع إلا بمائة درهم.

وقال هشام بن عبد الملك يوما لأصحابه: من يسبني ولا يفحش، أعطيه هذا الثوب، وكان فيهم أعرابي، فقال: ألقه يا أحول، فقال: خذ، قاتلك الله، وكان هشام أحول.

وضربت امرأة زوجها فقعد يبكي، قالت له: وتبكي؟ قال لها: إي والله على رغم أنفك.

وتشاتم رجلان، فقال أحدهما للآخر: حلق الله لحيتك بمكة إن شاء الله.

وسرق حمار أبي الجهم، فشكر الله تعالى، فقيل له: ما فائدة هذا ومولانا يقول: (لئن شكرتم لأزيدنكم) فقال: لكوني لم أكن عليه فأسرق معه.

وقيل لأعرابي: من أشر أنت أو أخوك؟ قال: إذ جاء رمضان استوينا.

وقال الأصمعي: رأيت أعرابيا يضرب أمه، فقلت له: أتضرب أمك؟ قال: إنها قليلة الأدب.

وكان لرجل ابن مزبلح، فجاءه يوما ضيف، فلما رآه الابن لم يسلم عليه، فقال له والده: سلم على عمك عنق السياط، فقام وسلم عليه وقال له: كيف حالك يا عمي عنق السياط، فخجل الرجل، وضحك والده.

وكان لرجل ابن يسرق كل يوم حاجة، ويبيعها بأبخس ثمن، وينفقه في الفساد، فعاتبه يوما وقال له: ليتك إذا سرقت الحاجة كنت تبيعها مني، فقال له: فاشتر مني إذن تلك المنارة؛ فإني إنما جئت لأسرقها، وأشار له إلى منارة أمامه.." (١)

"وصلى رجل فقال في سجوده: يا رب، عبدك العار بن العار، سجد لك، الأيمان تلزمني، ما يغفر لي غيرك.

وقيل للحسن بن هانئ: أي شيء تشتهي؟ قال: ما لا أجده في الدنيا ولا في الآخرة، قيل: وما هو؟ قال: ركوب الصبيان على الحلال.

وكان إمام يطول الصلاة على الناس بالقراءة، فقال له الجماعة: إما أن تقصر، وإما أن تترك الجامع، فصلى يوما، فلما قرأ: الحم لله، قال: ما تقولون في عبس، قال له الآخر: كيست من فيها.

وقيل لأعرابي يدعي حفظ القرآن: ما أول الدخان؟ قال: الحطب الأخضر.

وقيل لأعرابي: أتحفظ: (لم يكن) ؟ قال: أنا لا أحفظ ما كان، فكيف أحفظ ما لم يكن؟ وقرأ رجل بين يدي قوم: (قل هو الله أحد) فخجل ولم يستطع تمامها، فقال آخر؛ من أراد أن يحضر بقية السورة، فليأت غدا إن شاء الله.

وقيل لأبي النخاس، صاحب الأير الكبير، يدخل فيه سبع قولات مصريات: هل جامعت قط بكرا؟ قال: ما أحصيهن كثيرة، قيل: ويكف كن يأتينك؟ قال: (كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) .

وجعلت عصيدة بلا عسل بين يدي أعرابي. فقال: عملت هذه العصيدة من قبل أن يوحي ربك إلى النحل.

---

(١) حدائق الأزاهر ابن عاصم الغرناطي ص/٣٢

وقيل لأعرابي: في أي سورة هو:

الحمد لله لا شريك له ... من لم يقلها، فنفسه ظلما؟

ففكر ساعة وقال: في حم الدخان.

وقال أعرابي لآخر: أيهما أفضل عيسى بن مريم أو معاوية؟ فقال: ويلك، تشبه بني النصارى بكاتب الوحي؟ وقال الأصمعي: خرج على قوم في بادية ريح شديدة، فيئسوا من الحياة، ثم سلموا، فأعتق كل واحد منهم مملوكا أو مملوكة؛ شكرا لله على ذلك، وكان فيهم رجل من بني غفار، فقال: اللهم إنه لا مملوكة لي ولا مملوك، ولكن امرأته طالق ثلاثا لوجهك.

وكان رجل يقرأ، فقرأ سورة تبارك حتى وصل إلى قوله تعالى: (قل أرئيتم إن أهلكني الله ومن معي) فأرتج عليه، فجعل يكررها، فقال له أعرابي من خلفه: أهلكك الله وحدك، فما ذنب من معك؟ وحكى الأصمعي قال: قرأ رجل: (إنا أرسلنا نوحا) فأرتج عليه، فجعل يرددها، فقال له نبطي: إن لم يذهب نوح، فأرسل غيره.

وكان ببجاية قاض ماجن؛ فكلما أقبل إليه غلام يعجبه، أو يجلس في حلقته، يقوم على قدميه، ويقول: قولوا عند دعائي: آمين، اللهم ولنا أدبارهم، اللهم اكفلنا أكفالهم، اللهم كبهم على وجوههم، اللهم أعر عوراتهم، واللهم سلط رماحنا عليهم.

ومرض قاض، فدخل عليه أصحابه، فقالوا له: أبشر بالجنة، تقدم عليها، فتأكل من ثمرها، وتشرب من مائها، وتنكح من حورها، فقال بصوت ضعيف: ولكن عندكم أحب إلي.

وجاء رجل إلى قومه، فجعلوه إماما لصلاتهم، وكان أكثر ما يطعمونه خبزا وكامخا، فلما طال عليه ذلك، افتتح الصلاة ذات ليلة، بفاتحة الكتاب، ثم قرأ: يا أيها الذين آمنوا، اتقوا الله، ولا تطعموا إمامكم كامخا، بل لحما، فإن لم يكن لحما، فشحما، فإن لم تجدوا شحما فبيضا، ومن لم يفعل ذلك فقد خسر خسرانا مبينا، ثم قرأ في الركعة الثانية بعد فاتحة الكتاب: فإن لم تجدوا بيضا فسمكا، فإن لم يكن سمكا فلبنا، ومن لم يفعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا، فلما فرغ من الصلاة، قالوا له: في أي سورة هذا؟ قال لهم: في سورة المائدة.

ومات لامرأة ولد، فأعطت القارئ الذي يقرأ عليه أجرة لم ترضه، فقرأ (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) ، فقالت له: ما هذا الذي قرأت عليه؟ قال لها: قرأت عليه ما يناسب عطيتك، فزادته، فقرأ: (على سرر موضونة متكئين عليها متقبلين يطوف عليهم ولدن مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفكهة مما يتخيرون ولم طير مما يشتهون) .

وكان فقيه يشرب الخمر مع شخص من أبناء الدنيا، فقال له يوما: يا فقيه، ما يكون جوابك يوم الحشر، لله تعالى؟ قال: أقول: (بنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) .

وسمع ابن أبي مريم هارون الرشيد، يقرأ في صلاة الليل: (وما لي لا أعبد الذي فطرني) ويرددها، فقام من فراشه وقال: لا أدري، والله، فقطع هارون الصلاة، وضحك، وقال: لا تعد.

وسمع أبو العيناء مغنيا غير محسن، فقال: صدق الله: (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) .

وقال أبو نصر: نظرت إلى أبي نواس، وهو يصلي العصر، ثم رأيته بعد ذلك يصلي ركعتين، فقلت له: ما هذا؟ قال: اسكت، يصعد إلى السماء خبر طريف.." (١)

"**وقيل لأعرابي**: أتحسن القرآن؟ قال: نعم، قيل: فاقرأ شيئا، فقرأ: (تبت يدا أبي لهب وتب) فلما بلغ: (وامرأته حمالة الحطب) سكت، فقيل: لم تتم، قال: لا يليق بمثلي ذكر نساء الأشراف.

وقيل لأعرابي: أتحسن سورة القرآن؟ قال: والله لا أحسن قراءة بنته، فكيف أمه.

وقال الأصمعي: قلت لأعرابي: أتحفظ من القرآن شيئا؟ قال: نعم، خمس سور، قلت: اقرأها علي، فقرأ ثلاثا ثم سكت، فقلت: اقرأ السورتين الباقيتين، قال: إني علمتهما ابن عم لي، فوهبتهما له، والله، لا أعود فيما وهبت له.

وقال الأصمعي: صلى أعرابي بالبادية، فقرأ: "الحمد لله" بفصاحة وبيان، ثم قال:

ويوسف إذ أدلاه أولاد غيلة ... فأصبح في قعر الركية ثاويا

ثم ركع، فلما فرغ قلت: يا أعرابي، ليس هذا في القرآن، قال: بلى، والله، قد سمعت كلاما هذا معناه.

وصلى أعرابي خلف إمام صلاة الغداة، فقرأ في صلاته سورة البقرة، وكان الأعرابي مستعجلا، فلما فرغ حتى انقطع الأعرابي عن شغله، فلما كان في الغد، بكر الأعرابي ليصلي وينصرف في حاجته، فقرأ الإمام سورة الفيل، فقطع الأعرابي صلاته، وولى هاربا، وهو يقول: ما أنت إلا رسول إبليس، قرأت البقرة، فلم تفرغ منها إلى نصف النهار، وتريد أن تقرأ الفيل، فما أظن تفرغ منه إلا مع الليل.

وقيل لأعرابي: من أين معاشكم؟ قال: لو نعيش إلا مما نعلم، لم نعش.

وسأل رجل من بني تميم عن رجل، فقيل له: دعاه ربه فأجاب، قل: ولم أجاب: أو ما علم أن الموت أحد المهالك؟ ودخل أعرابي إلى الحاضرة يوم جمعة، فمر بالجامع والناس قعود، والإمام يخطب، فقال لبعضهم: ما يقول هذا؟ وكان المستول ماجنا، فقال: هو يدعو إلى الطعام، ويقول: ما يرضي الأعراب أن يأكلوا حتى يحملوا معهم، فتخطى الأعرابي رقاب الناس، حتى دنا من الإمام، فقال: يا هذا، إنما يفعل هذا سفهاؤنا.

وقيل لأعرابي: هل لك في النكاح يا أعرابي؟ قال: لو قدرت أن أطلق نفسي لطلقتها.

ونزل عطار يهودي ببعض أحياء العرب، فمات، فأتوا إلى شيخ لهم، لا يقطع أهل الحي في أمر دونه، فأعلموه خبر اليهودي، فجاءه وغسله وكفنه وتقدم وأقام الصلاة خلفه وقال: اللهم إن هذا اليهودي جار لنا، وله ذمام، فأمهلنا نقضي ذمامه في لحده، وشأنه لقه.

واشترى أعرابي غلاما، ثم قال للبائع: أفيه عيب؟ قال: لا، إلا أنه يبول في الفراش، قال: ما هذا عيب، إن وجد الفراش فليسلح.

وقدم أعرابي على آخر، فقدم إليه قرصا يابسا، وملحا جريشا، فأكله الضيف، فقال له: أشبعت؟ قال: لا، قال: لأنك لم تذكر اسم الله عليه، قال: وكيف أذكر اسم الله الطيب، على قرصك اليابس الخبيث؟ ومر أعرابي وبيده رغيف بغلام بيده

---

(١) حدائق الأزاهر ابن عاصم الغرناطي ص/٦٢

سيف، فقال له: يا غلام، بعني ذلك السيف بهذا الرغيف، قال: ويلك، مجنون أنت؟ كيف أبيعك سيفا برغيف؟ قال الأعرابي: لعن الله شرهما في البطن.

ولقي أعرابي أعرابيا، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من خلقي، قال: وأين تريد؟ قال: أمامي، قال: كيف العشب؟ قال: رطب ويابس، قال: كيف الماشية؟ قال: ضأن ومعز، وقال: ممن أنت؟ قال: من أم وأب.

وولي أعرابي موضعا، فلم يحدث في ذلك الموضع حادثة يرتفق بها، فلما طال عليه ذلك، جمع اليهود، وقال لهم: ما الذي فعلتم بالمسيح؟ قالوا: قتلناه وصلبناه، قال: والله، لا تبرحوا حتى تؤدوا ديته، فلما برحوا حتى أدوا ما طلب منهم.

وكان أعرابي واليا على اليمامة، فإذا اختصم إليه خصمان في شيء، يشكل الحكم فيه، يحبسهما حتى يصطلحا، ويقول جزاء ذي اللبس الحبس.

واستعمل أعرابي على بعض كور خراسان، فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر، وقال: الحمد لله، فارتج عليه، فقال: أيها الناس، إياكم والدنيا؛ فإنكم لن تجدوها إلا كما قال الله تعالى:

وما الدنيا بباقية لحي ... ولا حي على الدنيا بباقي

فقال له كاتبه: أصلح الله الأمير، هذا شعر، وليس من كلام الله، قال: فالدنيا باقية على أحد؟ قال: لا، قال: أفيبقى عليها أحد؟ قال: لا، قال: فيكفيك إذن.

وشهد أعرابي على رجل بشيء لم يره منه، فقال: ويحك، تشهد بشيء لم تره مني؟ قال: نعم، كما أشهد أنك ابن أبيك، ولم أر أباك حين عملك في أمك.." (١)

"وسئل أعرابي عن مسألة في الفرائض، ففكر ساعة، ثم قال: انظروا هل مات مع هذا الميت أحد من قرابته؟ فقالوا: ولم؟ فقال: لأن هذه الفريضة لا تصح إلا بموت آخر.

وقال أبو العيناء لأعرابي: إن الله محاسبك، فقال الأعرابي: سررتني؛ إن الكريم إذا حاسب تفضل.

وقال الأصمعي: حضر أعرابي عند الحجاج، فقدم إليه فالوذج، فلما أكل الأعرابي منه لقمة، قال الحجاج: من أكل هذا ضربت عنقه، فامتنع الناس، فجعل الأعرابي ينظر إلى الحجاج مرة وإلى الطعام مرة، ثم قال: أوصيك بالصبية خيرا، وأتى على الأكل، فضحك الحجاج حتى استلقى على ظهره، وأمر له بجائزة.

وقال الأصمعي: دخل علي أعرابي من فزارة بعد المغرب، وأنا أتعشى، فقلت: العشاء، قال: إني صائم، فقلت: قد دخل الليل، قال: قد علمت، ولكني وجدت صوم الليل أهون من صوم النهار، وهما جميعا واحد، ولن يكلف الله نفسا إلا وسعها.

وقال الأصمعي: سألت أعرابيا عن شهر رمضان، كيف صاموه؟ قال: تجرد منا ثلاثون رجلا، فصام كل واحد يومه.

وذكر قوم قيام الليل وما فيه من الأجر، وعندهم أعرابي، فقالوا له: يا أعرابي، أتقوم الليل؟ قال: إي والله، أقوم أبول وأرجع.

وشهد أعرابي عند معاوية، فقال له معاوية: كذبت، فقال الأعرابي: الكاذب، والله، المتزمل في ثيابك، فضحك معاوية،

---

(١) حدائق الأزاهر ابن عاصم الغرناطي ص/٦٤

وقال: هذا جزائي.

وقيل لأعرابي: أتقرأ شيئا من القرآن؟ قال: نعم، أم القرآن، ومدحة الرب، وهجاء أبي لهب.

وضل لأعرابي جمل، فجعل ينشده، ويقول: من وجده فهو له، فقيل له: لم تطلبه وقد وهبته لواجده؟ فقال: وأين لذة الوجدان؟ وضل لأعرابي جمل، فحلف بالله أنه إن وجده باعه بدرهم، فوجده، فلزمه بيعه، فشد في عنق الجمل سنورا، وقال: السنور بمائة درهم، والجمل بدرهم، ولا أبيعهما إلا معا.

وجمع أعرابي أولاده، وقال: يا بني، أوصيكم بالناس شرا، كلموهم شزرا، وأطعموهم نزرا، ولا تقبلوا لهم عذرا، ولا تقيلوا لهم عثرة، ولا ترحموا لهم عبرة، وقصروا الأعنة، واشحذوا الأسنة، وإياكم والوهن؛ فيطمع الناس فيكم.

وقرأ أعرابي في الصلاة: إنا بعثنا نوحا إلى قومه، فقال له رجل من خلفه: (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه) فقال: والله ما يفرق بينهما إلا جاهل.

وسقط أعرابي عن بعير، فانكسرت أضلاعه، فأتى المجبر، فقال له: خذ زبيبا، وانزع عجمه وأقماعه، ودقه واعجنه بعسل، وضمد به الموضع، فقال الأعرابي: من داخل أضمد، أو من خارج؟ قال: اجعله حيث تعلم أنه ينفعك.

وقيل لأعرابي، وقد رئي مغتما، ما شأنك؟ قال: سوء الحال، وكثرة العيال، قيل: لا تغتم؛ فإنهم عيال الله، قال: قد صدقتم، ولكن كنت أحب أن يكون الوكيل عليهم غيري.

وشوي لأبي جعفر الهاشمي دجاج، ففقد فخذا من دجاجة، فأمر، فنودي في داره: من هذا الذي تعاطي فعقر، والله، لا، أخبز في هذا التنور شهرا أو يرد، فقال ابنه الأكبر: (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) .

ورأى أعرابي رجلا سمينا، فقال له: إني أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك.

وحضر أعرابي على مائدة المغيرة، فجعل يأكل ويتعرق، فقال المغيرة: يا غلام، ناوله سكينا، فقال الأعرابي: كل امرئ سكينه في رأسه.

وغز أعرابي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له: ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوتك هذه؟ قال: حط عنا نصف الصلاة، وأرجو في غزوة أخرى أن يضع عنا النصف الآخر.

وقيل لأعرابي: ألا تغزو الأعداء؟ قال: كيف يكونون لي أعداء، وأنا لا أعرفهم ولا يعرفونني.

وقيل لآخر: ألا تجاهد في سبيل الله؟ فقال: والله، إني لأبغض الموت على فراش، فكيف آتيه ركضا؟

فصل في المتنبئين

قال أبو الطيب اليزيدي: أخذ رجل ادعى النبوة في أيام المهدي، فأدخل عليه، فقال له: أنت نبي؟ قال: نعم، قال: وإلى من بعثت؟ قال: أو تركتموني أذهب إلى أحد؟ ساعة بعثت ثقفتموني في السجن، فضحك المهدي وخلى سبيله.." [1]

"جارية الرشيد:

لقد ضاع شعري على بابكم ... كما ضاع در على خالصه

---

(١) حدائق الأزاهر ابن عاصم الغرناطي ص/٦٥

فلما بلغ الرشيد أنكر عليه وهدده فقال لم أقل إلا ضاء واستحسن مواربته وقال بعض من حضر هذا البيت قلعت عينه فأبصر.

حكي عن أبي العيناء أنه قال رأيت جارية مع النخاس وهي تحلف أن لا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت يا سيدي: أنه يواقعني من قيام ويصلي من قعود ويشتمني بأعراب ويلحن في القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان ويصلي الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله مثله في المسلمين.

وقيل زنى رجل بجارية فأحبلها فقيل له يا عدو الله هلا إذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغني أن العزل مكروه قالوا فما بلغك أن الزنا حرام.

وقيل لأعرابي كان يتعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها قال فمن لي إذ ذاك بلذة الخلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد.

وحكي أن علية بنت المهدي كانت تهوى غلاما خادما اسمه طل فحلف الرشيد أن لا تكلمه ولا تذكره في شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهي تقرأ سورة البقرة فإن لم يصبها وابل فالذي نهى عنه أمير المؤمنين.

قيل دخلت امرأة على هارون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك وفرحك بما آتاك وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت فقال لها من تكونين أيتها المرأة فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم فقال: أما الرجال فقد مضى فيهم." (١)

"وإن العسر يتبعه يسار ... وقول الله أصدق كل قيل

فلو أن العقول تسوق رزقا ... لكان المال عند ذوي العقول

وأوحى الله تعالى إلى يوسف عليه الصلاة والسلام:

أنظر إلى الأرض فنظر إليها، فانفجرت، فرأى دودة على صخرة، ومعها الطعام، فقال له: أتراني لم أغفل عنها، وأغفل عنك، وأنت نبي وابن نبي.

ودخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه المسجد وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد: أمسك علي بغلتي، فأخذ الرجل لجامها، ومضى وترك البغلة، فخرج علي وفي يده درهمان ليكافىء بها الرجل على إمساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لجام، فركبها ومضى، ودفع لغلامه درهمين يشتري بهما لجاما، فوجد الغلام اللجام في السوق قد باعه السارق بدرهمين فقال علي رضي الله عنه:

أن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قدر له.

وقيل لراهب: من أين تأكل؟ فأشار إلى فيه وقال: الذي خلق هذه الرحى يأتيها بالطحين.

وقال سليم بن المهاجر الجيلي:

كسوت جميل الصبر وجهي فصانه ... به الله عن غشيان كل بخيل

---

(١) ثمرات الأوراق في المحاضرات الحموي، ابن حجة ٢٢٦/٢

فما عشت لم آت البخيل ولم أقم ... على بابه يوما مقام ذليل

وإن قليلا يستر الوجه أن يرى ... إلى الناس مبذولا لغير قليل

وصلى معروف الكرخي خلف إمام، فلما فرغ من صلاته قال الإمام لمعروف: من أين تأكل؟ قال: أصبر حتى أعيد صلاتي التي صليتها خلفك. قال: ولم؟ قال:

لأن من شك في رزقه شك في خالقه.

وقال أبو حازم: ما لم يكتب لي لو ركبت الريح ما أدركته.

وقال عمر بن أبي عمر اليوناني:

غلا السعر في بغداد من بعد رخصة ... وإني في الحالين بالله واثق

فلست أخاف الضيق والله واسع ... غناه ولا الحرمان، والله رازق

وقال القهستاني:

غني بلا دنيا عن الخلق كلهم ... وأن الغنى الأعلى عن الشيء لا به

وقال منصور الفقيه:

الموت أسهل عندي ... بين القنا والأسنة

والخيل تجري سراعا ... مقطعات الأعنة

من أن يكون لنذل ... علي فضل ومنة

وأنشد أعرابي:

أيا مالك لا تسأل الناس والتمس ... بكفيك فضل الله فالله أوسع

ولو تسأل الناس التراب لأوشكوا ... إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال: عليك باليأس مما في أيدي الناس، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر.

وقيل: إذا وجدت الشيء في السوق، فلا تطلبه من صديقك.

وقيل لأعرابية: من أين معاشكم؟ قالت: لو لم نعش إلا من حيث نعلم لم نعش.

وقال أعرابي: أحسن الأحوال حال يغبطك بها من دونك ولا يحقرك معها من فوقك.

وقال المعري:

إذا كنت تبغي العيش فابغ توسطا ... فعند التناهي يقصر المتطاول

توقى البدور النقص وهي أهلة ... ويدركها النقصان وهي كوامل

وقال آخر:

اقنع بأيسر رزق أنت نائله ... واحذر ولا تتعرض للإرادات

فما صفا البحر إلا وهو منتقص ... ولا تعكر إلا في الزيادات

وقال أعرابي: استظهر على الدهر بخفة الظهر.

قال هشام بن إبراهيم البصري:

وكم ملك جانبته عن كراهة ... لإغلاق باب أو لتشديد حاجب." (١)

"وقيل لأعرابي كان يتعشق قينة: ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها، قال: فمن لي إذ ذاك بلذة الخلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد.

وقال أبو العيناء: رأيت جارية مع النخاس وهي تحلف أن لا ترجع لمولاها، فسألتها عن ذلك، فقالت: يا سيدي إنه يواقعني من قيام، ويصلي من قعود، ويشتمني بإعراب، ويلحن في القرآن، ويصوم الخميس والاثنين، ويفطر رمضان، ويصلي الضحى، ويترك الفرض. فقلت:

لا أكثر الله في المسلمين مثله.

وكانت ظلمة القوادة وهي صغيرة في المكتب تسرق دويات الصبيان وأقلامهم، فلما شبت زنت، فلما كبرت قادت. وقال صاحب المسالك والممالك إن عامة ملوك الهند يرون الزنا مباحا، خلا ملك قمار، قال الزمخشري رحمه الله: أقمت بقمار سنين، فلم أر ملكا أغير منه، وكان يعاقب على الزنا وشرب الخمر بالقتل. وقمار ينسب إليها العود القماري كما ينسب إلى مندل، قال مسكين الدارمي:

ولا ذنب للعود القماري إنه ... يحرق إن نمت عليه روائحه «١»

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: عهدت الناس وهواهم تبع لأديانهم، وإن الناس اليوم أديانهم تبع لأهوائهم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم» .

ما جاء في الوقاحة والسفاهة وذكر الغوغاء:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت» ، وفي ذلك قيل:

إذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا ... وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

وقال ابن سلام: العاقل شجاع القلب والأحمق شجاع الوجه. وذم رجل قوما، فقال: وجوههم وأيديهم حديد أي وقاح بخلاء. ووصف رجل وقحا فقال: لو دق الحجارة بوجهه لرضها ولو خلا بأستار الكعبة لسرقها.

قال الشاعر:

لو أن لي من جلد وجهك رقعة ... لجعلت منها حافرا للأشهب «٢»

وقال آخر:

إذا رزق الفتى وجها وقاحا ... تقلب في الأمور كما يشاء

وقال أنو شروان: أربعة قبائح وهي في أربعة أقبح، البخل في الملوك والكذب في القضاة، والحسد في العلماء، والوقاحة في

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٨١

النساء. ويقال من جسر أيسر ومن هاب خاب.

قال الشاعر:

لا تكونن في الأمور هيوبا ... فإلى هيبة يصير الهبوب

وقال علي رضي الله عنه: إذا هبت أمرا فقع فيه، فإن شر توقيه أعظم مما تخاف منه «٣» . وقال رضي الله عنه: الغوغاء إذا اجتمعوا ضروا، وإذا افترقوا نفعوا، فقيل: قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم؟ قال: يرجع أهل المهن إلى مهنهم، فينتفع الناس بهم كرجوع البناء إلى بنائه والنساج إلى منسجه، والخباز إلى مخبزه.

وقال بعض السلف: لا تسبوا الغوغاء، فإنهم يطفئون الحريق ويخرجون الغريق. وقال الأحنف: ما قل سفهاء قوم إلا ذلوا.

وقال حكيم: لا يخرجن أحد من بيته إلا وقد أخذ في حجره قيراطين من جهل، فإن الجاهل لا يدفعه إلا الجهل أراد السفه.

قال الشاعر:

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا «٤»

وقيل: الجاهل من لا جاهل له. أي: من لا سفيه له يدفع عنه. وقيل: بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس، إذ جاء أعرابي، فلطمه، فقام إليه واقد بن عمرو، فجلد به الأرض، فقال عمر: ليس بعزيز من ليس في قومه سفيه.

وقال الشاعر:

ولا يلبث الجهال أن يتهضموا ... أخا الحلم ما لم يستعن بجهول «٥»

وقال صالح بن جناح:." (١)

"بسره، فإذا حدث به أحدا قال: اكتمه علي.

قال الشاعر:

إذا المرء أفشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمق

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السر أضيق

وقال آخر:

إذا ما ضاق صدرك عن حديث ... وأفشته الرجال فمن تلوم

وإن عاتبت من أفشى حديثي ... وسري عنده فأنا الملوم

وقال صالح بن عبد القدوس: لا تودع سرك إلى طالبه، فالطالب للسر مذيع، ولا تودع مالك عند من يستدعيه، فالطالب للوديعة خائن. وقيل لأعرابي: ما بلغ من حفظك للسر؟ قال: أفرقه تحت شغاف قلبي ثم أجمعه وأنساه كأني لم أسمعه. وكان أحزم الناس من لا يفشي سره إلى صديقه مخافة أن يقع بينهما شر، فيفشيه عليه.

وقال حكيم: قلوب الأحرار قبور الأسرار، وقيل:

الطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار حمق.

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/١٦٦

وقال بعضهم:

إذا ما غفرت الذنب يوما لصاحب ... فلست معيدا ما حييت له ذكرا

ولست إذا ما صاحب خان عهده ... وعندي له سر مذيعا له سرا

وأين هذا من قول القائل:

ولا تودع الأسرار أذني فإنما ... تصبن ماء في إناء مثلم «١»

أو القائل:

ولا أكتم الأسرار لكن أذيعها ... ولا أدع الأسرار تعلو على قلبي

وإن قليل العقل من بات ليلة ... تقلبه الأسرار جنبا إلى جنب

وقال آخر:

وإنك كلما استودعت سرا ... أنم من النسيم على الرياض

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

أناس أمناهم فنموا حديثنا ... فلما كتمنا السر عنهم تقولوا «٢»

ولله در المتنبي حيث قال:

وللسر مني موضع لا يناله ... نديم ولا يفضي إليه شراب «٣»

وقد اقتصرنا من ذلك على هذا القدر اليسير، وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

الباب التاسع والثلاثون في الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد

وفيه فصول

الفصل الأول في الغدر والخيانة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعجل الأشياء عقوبة البغي» . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المكر والخديعة والخيانة في النار» . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ثلاث من كن فيه كن عليه. البغي والنكث والمكر.

قال الله تعالى: إنما بغيكم على أنفسكم

«٤» . وقال تعالى: فمن نكث فإنما ينكث على نفسه

«٥» وقال تعالى: ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

«٦» . وكم أوقع القدر في المهالك من غادر، وضاقت عليه من موارد الهلكات فسيحات المصادر، وطوقه غدره طوق خزي، فهو على فكه غير قادر، وأوقعه في خطة خسف وورطة." (١)

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٢١٦

"رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فبسطنا أيدينا وكنا حديثي عهد بالمبايعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام يا رسول الله نبايعك؟ قال: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وتقيموا الصلوات الخمس، وتطيعوا الله، وأسر كلمة خفية وهي: ولا تسألوا الناس شيئا، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحدا يناوله إياه، رواه مسلم.

وقال رجل لابنه: إياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه.

وكان لقمان يقول لولده: يا بني إياك والسؤال فإنه يذهب ماء الحياء من الوجه، وأعظم من هذا استخفاف الناس بك.

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: لأن تدخل يدك فم التنين إلى المرفق خير لك من أن تبسطها إلى غني قد نشأ في الفقر.

وقيل لأعرابي: ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل؟ قال: حاجة الكريم إلى اللئيم.

وقال أبو محلم السعدي:

إذا رماك الدهر في الضيق فانتجع ... قديم الغنى في الناس إنك حامده «١»

ولا تطلبن الخير ممن أفاده ... حديثا ومن لا يورث المجد والده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها» . وقال عليه الصلاة والسلام:

«لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه» .

قال الشاعر:

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... عوضا ولو نال الغنى بسؤال

وإذا السؤال مع النوال وزنته ... رجح السؤال وخف كل نوال

وقال أحمد الأنباري:

لموت الفتى خير من البخل للغنى ... وللبخل خير من سؤال بخيل

لعمرك ما شيء لوجهك قيمة ... فلا تلق إنسانا بوجه ذليل

وقال سلم الخاسر:

إذا أذن الله في حاجة ... أتاك النجاح على رسله

فلا تسأل الناس من فضلهم ... ولكن سل الله من فضله

ويقال: أحب الناس إلى الله من سأله وأبغض الناس إلى الناس من احتاج إليهم وسألهم، وفي هذا المعنى قيل:

لا تسألن من ابن آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب «٢»

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسأل يغضب

وقال محمود الوراق:

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا ... من كل طالب حاجة أو راغب

فارغب إلى ملك الملوك ولا تكن ... ياذا الضراعة طالبا من طالب

وقال ابن دقيق العيد:

وقائلة مات الكرام فمن لنا ... إذا عضنا الدهر الشديد بنابه

فقلت لها من كان غاية قصده ... سؤالا لمخلوق فليس بنابه

إذا مات من يرجى فمقصودنا الذي ... ترجينه باق فلوذي ببابه

وقال بعض أهل الفضل:

لما افتقرت لصحبي ما وجدتهمو ... لجأت لله لباني وأغناني

واها على بذل وجهي للورى سفها ... فلو بذلت إلى مولاي والاني

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال: سألت فلانا حاجة أقل من قيمته، فردني ردا أقبح من خلقته.

وسأل عروة مصعبا حاجة فلم يقضها فقال: علم الله تعالى أن لكل قوم شيخا يفزعون إليه وأنا أفزع منك «٣» .." (١)

"وقيل لأعرابي: ما بلغ من حبك لفلانة؟ قال: إني لأذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف، فأجد من ذكرها رائحة المسك.

وقيل: رأى شبيب أخو بثينة جميلا عندها، فوثب عليه وآذاه، ثم إن شبيبا أتى مكة وجميل فيها، فقيل لجميل دونك شبيبا، فخذ بثأرك منه فقال:

وقالوا يا جميل أتى أخوها ... فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

وأنشد الأخفش الحداد يقول:

مطارق الشوق منها في الحشى أثر ... يطرقن سندان قلب حشوه الفكر

ونار كور الهوى في الجسم موقدة ... ومبرد الحب لا يبقي ولا يذر «١»

وفي الجليس الأنيس لأبي العالية الشامي قال: سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ما هو؟

فقال: هو سوانح تسنح للمرء، فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه، وقال ثمامة: العشق جليس ممتع، وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة، وأحكامه جائرة، ملك الأبدان وأرواحها، والقلوب وخواطرها، والعيون ونواظرها، والعقول وآراءها، وأعطي عنان طاعتها وقوة تصريفها، توارى عن الأبصار مدخله، وخفي في القلوب مسلكه.

وكان شيخ بخراسان له أدب وحسن معرفة بالأمور قال لسليمان بن عمرو ومن معه: أنتم أدباء، وقد سمعتم الحكمة ولكم حداء ونغم، فهل فيكم عاشق؟ قال: لا.

قال: اعشقوا، فإن العشق يطلق اللسان، ويفتح جبلة البليد، والبخيل، ويبعث على التلطف وتحسين اللباس وتطييب المطعم، ويدعو إلى الحركة والذكاء، وتشريف الهمة.

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٣٠٣

وقال المجنون:

قالت جننت على ذكري فقلت لها ... الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه ... وإنما يصرع المجنون في الحين

قال ذو الرياستين: إن بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للأمر من بعده، فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروءة خامل النفس مسيء الأدب، فغمه ذلك، فوكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه وكان يسألهم عنه، فيحكون له ما يغمه من سوء فهمه وقلة أدبه إلى أن سأل بعض مؤدبيه يوما، فقال له المؤدب: قد كنا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ما صيرنا إلى الرجاء في فلاحه، قال: وما ذاك الذي حدث؟ قال: رأى ابنة فلان المرزبان، فعشقها، فغلبت عليه، فهو لا يهدأ إلا بها ولا يتشاغل إلا بها، فقال بهرام: الآن رجوت فلاحه، ثم دعا بأبي الجارية، فقال له: إني مسر إليك سرا، فلا يعدوك، فضمن له ستره، فأعلمه ان ابنه قد عشق ابنته، وانه يريد أن ينكحها أياه، وأمره أن يأمرها بإطماعه في نفسها ومراسلته من غير أن يراها، وتقع عينه عليها، فإذا استحكم طمعه فيها تجتنبه وتهجره، فإن استعلمها أعلمته أنها لا تصلح إلا لملك، ثم لتعلمني خبرها وخبره، ولا تطلعهما على ما أسره إليك، فقبل أبوها ذلك منه، ثم قال للمؤدب، والموكل بأدبه حضه وشجعه على مراسلة المرأة، ففعل ذلك، وفعلت المرأة كما أمرها أبوها فلما انتهت إلى التجني عليه، وعلم الفتى السبب الذي كرهته لأجله أخذ في الأدب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر في ذلك.

ثم رفع إلى أبيه أنه محتاج إلى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء، وما أشبه ذلك. فسر الملك بذلك، وأمر له بما طلب، ثم دعا مؤدبه، فقال له:

إن الموضع الذي وضع به ابني نفسه من خبر هذه المرأة لا يدري به، فتقدم إليه وأمره أن يرفع أمرها إلي ويسألني أن أزوجه إياها، ففعل المؤدب ذلك، فرفع الفتى ذلك لأبيه، فدعا بأبيها وزوجه إياها وأمر بتعجيلها إليه، وقال:

إذا اجتمعت أنت وهي فلا تحدث شيئا حتى أصير إليك، فلما اجتمعا صار إليه، فقال: يا بني لا يضعن قدرها عندك مراسلتها إياك، وليست في خبائك، فإني أمرتها بذلك وهي أعظم الناس منة عليك بما دعتك إليه من طلب الحكمة والتخلق بأخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذي تصلح معه للملك من بعدي فزدها من التشريف والإكرام بقدر ما تستحق منك، ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية، وعاش أبوه مسرورا به وأحسن ثواب أبيها، ورفع منزلته لصيانة سره، وأحسن جائزة المؤدب لامتثال ما أمر به.." (١)

"وكان هو من أقبح الناس وجها، فقال لها يوما: أنا وإياك في الجنة إن شاء الله تعالى، فقالت له: وكيف ذلك؟ فقال: لأني أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلي فصبرت، والصابر والشاكر في الجنة. وقال بعضهم: رأيت في طريق مكة أعرابية ما رأيت أحسن منها وجها، فقعدت أنظر إليها، وأتعجب من جمالها، فجاء شيخ قصير، فأخذ بردائها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى، فقلت لها: من هذا الشيخ؟ قالت: زوجي. قلت: كيف يرضى مثلك بمثله فأنشدت:

أيا عجبا للخود يجري وشاحها ... تزف إلى شيخ بأقبح تمثال

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٤٠٥

دعاني إليه أنه ذو قرابة ... يعز علينا من بني العم والخال

وسمع بعضهم قائلا يقول:

ومن لا يرد مدحي فإن مدائحي ... نوافق عند الأكرمين نوامي «١»

نوافق عند المشتري الحمد بالندى ... نفاق بنات الحارث بن هشام

فقال: يا ابن أخي ما بلغ من نفاق بنات الحارث بن هشام؟ قال: كن من أجمل الناس وجوها وكان أبوهن إذا زوجهن يسوقهن ومهورهن إلى بعولتهن. فقال: يا ابن أخي لو فعل هذا إبليس ببناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون.

وقال عبد الملك لابن أبي الرقاع كيف علمك بالنساء؟

قال: أنا والله أعلم الناس بهن، وجعل يقول:

قضاعية الكعبين كندية الحشا ... خزاعية الأطراف طائية الفم

لها حكم لقمان وصورة يوسف ... ومنطق داود وعفة مريم

وقالوا: الوجه الحسن أحمر، وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث في الكن والتضمخ بالطيب.

وقالوا: أن الوجه الرقيق البشرة الصافي الأديم إذا خجل يحمر وإذا فرق يصفر. ومنه قولهم: ديباج الوجه، يريدون تلونه من رقته، قال علي بن زيد في وصفه:

حمرة خلط صفرة في بياض ... مثل ما حاك حائك ديباجا «٢»

وقال علي بن عبد ربه:

بيضاء يحمر خداها إذا خجلت ... كما جرى ذهب في صفحتي ورق «٣»

وقالوا: إن الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشي صفراء فقال ذو الرمة:

بيضاء صفراء قد تنازعها ... لونان من فضة ومن ذهب

قالوا: ليس المرأة الجميلة التي تأخذ ببصرك جملة على بعد فإذا دنت منك لم تكن كذلك، بل الجميلة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا.

وقالوا: إن أردت أن ينجب ولدك فأغضبها ثم قع عليها قال الشاعر:

ممن حملن به وهن عواقد ... حبك النطاق فعاش غير مهبل

حملت به في ليلة مزؤودة ... كرها وعقد نطاقها لم يحلل

الفصل الثالث في صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها

في حكمة داود عليه السلام: «أن المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها إلا من رضي الله تعالى عنه» .

وقيل: المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى في عنق من يشاء من عباده.

وقيل لأعرابي كان ذا تجربة للنساء، صف لنا شر النساء فقال: شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم المحياض الممراض المصفرة الميشومة العسرة المبشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة، كأنها لسان حربة تضحك من غير عجب وتبكي من غير

سبب وتدعو على زوجها بالحرب، أنف في السماء وإست في الماء، عرقوبها حديد، منتفخة الوريد كلامها وعيد، وصوتها شديد، وتدفن الحسنات وتفشي السيئات، تعين الزمان على بعلها، ولا تعين بعلها على الزمان، ليس في قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة، إن دخل خرجت وإن خرج دخلت، وإن ضحك بكت، وإن بكى ضحكت، كثيرة الدعاء، قليلة الإرعاء تأكل لما وتوسع ذما، ضيقة الباع." (١)

"ووجهي قبيح، وتكفيني مجالستك ومؤاكلتك، ولم يوصلني إلى ذلك إلا عقلي وأنا أكره أن يدخل عليه ما ينقصه، فأعجبه كلامه ووصله.

وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج في وفدة وفدها عليه: هل لك في الشراب؟ فقال يا أمير المؤمنين: لا خلاف لما أمرت ولكن أنا أمنع أهل عملي منه وأكره أن أمنعهم عن شيء ولا أمتنع منه.

وقال الله تعالى: وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه

«١» . وقال تعالى: أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم

«٢» . وقيل لأعرابي: لم لا تشرب النبيذ؟ فقال:

لا أشرب ما يشرب عقلي.

وقال الضحاك بن مزاحم لرجل: ما تصنع بشرب النبيذ؟ قال: يهضم طعامي. قال: أما إنه يهضم من دينك وعقلك أكثر!

قال ابن أبي أوفى لقومه حين نهوا عن الخمر:

ألا يا لقومي ليس في الخمر رفعة ... فلا تقربوا منها فلست بفاعل

فإني رأيت الخمر شيئا ولم يزل ... أخو الخمر دخالا لشر المنازل

وقال الحسن: لو كان العقل يشترى لتغالي الناس في ثمنه، فالعجب ممن يشتري بماله ما يفسده، وقال عليه السلام: حب الدنيا رأس كل خطيئة، والنساء حبائل الشيطان، والخمر داعية إلى كل شر.

وقال بعضهم:

بلوت نبيذ الخمر في كل بلدة ... فليس لأخوان النبيذ حفاظ

إذا دارت الأرطال أرضوك بالمنى ... وإن فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال الحكيم: إياك وإخوان النبيذ فبينما أنت متوج عندهم مخدوم مكرم معظم إذ زلت بك القدم، فجروك على شوك السلم، فاحفظ قول القائل فيه:

وكل أناس يحفظون حريمهم ... وليس لأصحاب النبيذ حريم

فإن قلت هذا لم أقل عن جهالة ... ولكنني بالفاسقين عليم

وللأعرج الطائي:

تركت الشعر واستبدلت منه ... إذا داعي صلاة الصبح قاما

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٤٦٣

وقال الصفدي:

دع الخمر فالراحات في ترك راحها ... وفي كأسها للمرء كسوة عار

وكم ألبست نفس الفتى بعد نورها ... مدارع قار في مدار عقار

نكتة: اجتمع نصراني ومحدث في سفينة. فصب النصراني خمرا من زق كان معه في شربة وشرب، ثم صب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة، فقال النصراني: جعلت فداءك إنما هي خمر.

قال: من أين علمت أنها خمر؟ قال: اشتراها غلامي من يهودي وحلف أنها خمر، فشربها المحدث على عجل، وقال للنصراني: يا أحمق نحن أصحاب الحديث نضعف مثل سفيان بن عيينة، ويزيد بن هارون أفنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودي، والله ما شربتها إلا لضعف الإسناد.

ومن المجون في ذلك ما حكي أن سكرانا استلقى على طريق، فجاء كلب فلحس شفتيه، فقال: خدمك بنوك ولا عدموك، فبال على وجهه، فقال: وماء حارا أيضا بارك الله فيك، وقيل: حالة السكارى ثلاثة: قرد حرك رأسه فرقص، وكلب هارش فنبح، وحية زويت فنامت.

ومر عقال الناسك بمرداس بن خدام الأسدي، فاستسقاه لبنا، فصب له خمرا وعلاه بلبن فشربه، وسكر ولم يتحرك ثلاثة أيام فقال:

سقيت عقالا بالعشية شربة ... فمالت بعقل الكاهلي عقالي

قرعت بأم الخل حبة قلبه ... فلم ينتعش منها ثلاث ليالي

ويقال: الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور، اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين.." (١)

"من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية» . وقيل لفتح الموصلي: ادع الله لنا، فقال: اللهم هبنا عطاءك ولا تكشف عنا غطاءك. وكان من دعاء بعض السلف: اللهم لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي فإن لم تقبل تعبي ونصبي فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى الناس فنضيع. وقال الحسن:

من دخل المقابر، فقال: اللهم رب الأرواح الفانية والأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما مني، كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة حسنات.

وحكي عن معروف القاضي أن الحجيج كانوا يجتهدونه في الدعاء وفيهم رجل من التركمان ساكت لا يحسن أن يدعو، فخشع قلبه وبكى فقال بلغته: اللهم إنك تعلم أني لا أحسن شيئا من الدعاء، فاسألك ما يطلبون منك بما دعوا، فرأى بعض الصالحين في منامه أن الله قبل حج الناس بدعوة ذلك التركماني لما نظر إلى نفسه بالفقر والفاقة.

وقال الأصمعي: حسدت عبد الملك على كلمة تكلم بها عند الموت، وهي: اللهم إن ذنوبي وإن كثرت وجلت عن الصفة فإنها صغيرة في جنب عفوك فاعف عني.

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٤٦٨

وركب إبراهيم بن أدهم في سفينة، فهاجت الريح وبكى الناس وأيقنوا بالهلاك، وكان إبراهيم نائما في كساء، فاستوى جالسا وقال: أريتنا قدرتك فأرنا عفوك، فذهب الريح وسكن البحر.

وقال الثوري: كان من دعاء السلف، اللهم زهدنا في الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها. وكان بعض الأعراب إذا أوى إلى فراشه قال: اللهم إني أكفر بكل ما كفر به محمد وأؤمن بكل ما آمن به، ثم يضع رأسه.

وسمعت بدوية تقول في دعائها: يا صباح يا مناح يا مطعم يا عريض الجفنة يا أبا المكارم، فزجرها رجل، فقالت: دعني أصف ربي وأمجد إلهي بما تستحسنه العرب.

وقال الزمخشري في كتابه «ربيع الأبرار» : سمعت أنا من يدعو من العرب عند الركن اليماني: يا أبا المكارم يا أبيض الوجه، وهذا ونحوه منهم إنما يقصدون به الثناء على الله تعالى بالكرم والنزاهة عن القبيح على طريق الاستعارة، لأنه لا فرق عندهم بين الكريم وأبي المكارم ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه والأبيض الوجه.

وقيل لأعرابي: أتحسن أن تدعو ربك؟ قال: نعم.

قال: اللهم إنك أعطيتنا الإسلام من غير أن نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك.

وذكر لعبد السلام بن مطيع أن الرجل تصيبه البلوى، فيدعو فتبطىء عنه الإجابة، فقال: بلغني أن الله تعالى يقول: كيف أحرمه من شيء به أرحمه. وقال طاوس:

بينما أنا في الحجر ذات ليلة إذ دخل علي بن الحسين، فقلت: رجل صالح من أهل بيت الخير لأسمعن دعاءه، فسمعته يقول: عبدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك، فما دعوت بهما في كرب إلا فرج عني.

ودعا أعرابي فقال: اللهم إنا نبات نعمتك. وقال ابن المسيب: سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم إني أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا، فدعوت به، فما وجدت إلا خيرا. ودعت أعرابية بالموقف، فقالت:

أسألك سترك الذي لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح.

وقيل: اتقوا مجانيق الضعفاء أي دعواتهم، ودعا أعرابي فقال: اللهم أمح ما في قلبي من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وأمانة. وصلى رجل إلى جنب عبد الله بن المبارك وبادر القيام، فجذب ثوبه وقال: أما لك إلى ربك حاجة؟. وقال سفيان الثوري: سمعت أعرابيا يقول: اللهم إن كان رزقي في السماء، فأنزله، وإن كان في الأرض فأخرجه، وإن كان بعيدا فقربه، وإن كان قريبا فيسره، وإن كان قليلا فكثره، وإن كان كثيرا فبارك لي فيه.

وقال أبو نواس:

أحببت من شعر بشار وكلمته ... بيتا لهجت به من شعر بشار «١»

يا رحمة الله حلي في منازلنا ... وجاورينا فدتك النفس من جار

وكان بشار يعني بذلك جارية بصرية كان يحبها ويتغزل بها، ونعني بها هنا رحمة الله التي وسعت كل شيء.

وسمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجلا يقول وهو متعلق بأستار الكعبة: يا من لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه إلحاح الملحين، أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك، فقال علي: والذي." (١)

"أوحى الله إلى داود عليه الصلاة والسلام: يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم، لماتوا شوقا إلي وتقطعت أوصالهم من محبتي، يا داود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف إرادتي بالمقبلين علي.

ولقد أحسن من قال:

أسيء فيجزي بالإساءة إفضالا ... وأعصي فيوليني برا وإمهالا

فحتى متى أجفوه وهو يبرني ... وأبعد عنه وهو يبذل إيصالا

وكم مرة قد زغت عن نهج طاعة ... ولا حال عن ستر القبيح ولا زالا

وهذا آخر ما يسره الله تعالى في هذا البابا والله أعلم بالصواب.

الباب الثمانون فيما جاء في ذكر الأمراض والعلل والطب والدواء وما جاء في السنة من العبادة وما أشبه ذلك

وفيه فصول

الفصل الأول في الأمراض والعلل وما جاء في ذلك من الاجر والثواب

روي عن عبد الله بن أنيس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم؟

فقالوا: كلنا يا رسول الله، قال: أتحبون أن تكونوا كالحمير الصوالة، ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات والذي بعثني بالحق نبيا إن الرجل لتكونن له الدرجة في الجنة فلا يبلغها بشيء من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله، وقال صلى الله عليه وسلم:

ما من مسلم يمرض إلا حط الله من خطاياه كما تحط الشجرة ورقها، وكان يقول: لا تزال الأوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء والنقية المصفاة.

وقيل: إن الناس قد حموا في فتح خيبر، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس إن الحمى رائد الموت وسجن الله في الأرض وقطعة من النار، فإذا وجدتم ذلك فبردوا لها الماء في الشنان ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء، ففعلوا ذلك فزالت عنهم.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو في الموت فقال له: كيف تجدك؟ فقال: أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال عليه الصلاة والسلام: هما لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف.

وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى، انها سمعت رجلا يقول: ما أشد العمى على من كان بصيرا، فقالت له: يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا. والله لوددت أن الله وهب لي كنه معرفته ولم يبق

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٤٨٢

مني جارحة إلا أخذها.

وكتب مبارك لأخيه سفيان الثوري يشكو إليه ذهاب بصره، فكتب إليه: أما بعد ... فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك، فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام.

وقيل لعطاء في مرضه ما تشتهي؟ قال: ما ترك خوف جهنم في قلبي موضعا للشهوة. وأصاب ابن أدهم بطن فتوضأ في ليلة سبعين مرة. وقيل لأعرابي في مرضه ما تشتهي؟ قال: الجنة، فقيل: أفلا ندعوا لك طبيبا؟

قال: طبيبي هو الذي أمرضني.

الفصل الثاني من هذا الباب في ذكر العلل كالبخر «١» والعرج والعمى والصمم والرمد والفالج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية والمعافة في الدنيا والآخرة

قيل: تسارر أبخر «٢» وأصم، فقال له الأصم: قد فهمت ثم فارقه. فسأله رجل فقال: والله لا أدري غير أنه فسا في أذني.

وقيل: إن عبد الملك بن مروان كان أبخرا فعض يوما على تفاحة ورمى بها إلى زوجته، فدعت بسكين فقال:

ما تصنعين بها؟ قالت: أميط الأذى عنها. فشق عليه ذلك منها فطلقها.

وسارر أبو الأسود الدؤلي سليمان بن عبد الملك وكان." (١)

"السوء «١» ، قيل: يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة؟ قال: وهل ينفع في الدنيا؟ قالوا: نعم. قال: وكذلك في الآخرة.

ومن وصية علي رضي الله عنه لأبي ذر: زر القبور تذكر بها الآخرة، ولا تزرها بالليل واغسل الموتى يتحرك قلبك، وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فإن الحزين في ظل الله تعالى.

ويقال: جزعك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك، وصبرك في مصيبتك أحسن من جزعك.

ونظر فيلسوف إلى ميت يحمل إلى قبره فقال: حبيب تحمله أهله إلى حبس الأبد.

ودخل عمرو بن العاص رضي الله عنه على معاوية في مرضة مرضها، فقال له: أعائد أنت أم شامت؟ فقال له عمرو: ولم تقول هذا، والله ما كلفتني رهقا ولا أصدعتني زلقا ولا جرعتني علقا، فلم أستطل حياتك ولم استبطىء وفاتك. فأنشد معاوية يقول:

فهل من خالدين إذا هلكنا ... وهل في الموت بين الناس عار

ولما مرض معاوية رضي الله عنه مرضه الذي مات فيه، وفد إليه الناس يعودونه فقال لأهله: مهدوا لي فراشا وأسندوني وأوسعوا رأسي دهانا ثم اكحلوا عيني بالإثمد ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلموا علي قياما ولا تجلسوا عندي أحدا، ففعلوا ذلك، فلما خرجوا من عنده أنشد يقول:

وتجلدي للشامتين أريهم ... أني لريب الدهر لا أتضعضع «٢»

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع «٣»

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٤٩٤

وقيل لما دنا منه الموت تمثل بهذا البيت:

هو الموت لا منجى من الموت والذي ... نحاذر بعد الموت أدهى وأقطع

ثم قال: رفع يديه وقال: اللهم أقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق إلا بك، فإنك واسع المغفرة وليس لذي خطيئة منك مهرب. ومات رحمه الله تعالى.

وذكر أبو العباس الشيباني قال: وفد على أبو دلف عشرة من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في العلة التي مات فيها فأقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التي أصيب بها، ثم أفاق فقال لخادمه بشر: إن قلبي يحدثني أن بالباب قوما لهم إلينا حوائج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا، قال: فكان أول من دخل آل علي رضي الله عنه فسلموا عليه ثم ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال: أصلحك الله أنا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفينا من ولده وقد حطمتنا المصائب وأجحفت بنا النوائب، فإن رأيت أن تجبر كسيرا وتغني فقيرا لا يملك قطميرا فافعل. فقال لخادمه خذ بيدي وأجلسني، ثم أقبل معتذرا إليهم ودعا بدواة وقرطاس وقال: ليكتب كل منكم بيده أنه قبض مني ألف دينار، قالوا: فبقينا والله متحيرين فلما أن كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه قال لخادمه: علي بالمال. فوزن لكل واحد منا ألف دينار ثم قال لخادمه:

يا بشر إذا أنا مت فأدرج هذه الرقاع في كفني، فإذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم في القيامة كانت حجة لي أني قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال: يا غلام ادفع لكل واحد منهم ألف درهم ينفقها في طريقه حتى لا ينفق من الألف دينار شيئا حتى يصل إلى موضعه، قال: فأخذناها ودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله.

وقيل: لما دفن عمر بن عبد العزيز نزل عند دفنه مطر من السماء، فوجدوا بردة «٤» مكتوبا فيها بالنور (بسم الله الرحمن الرحيم أمان لعمر بن عبد العزيز من النار) .

وقيل لأعرابي: إنك تموت، قال: وإلى أين أذهب؟

قالوا: إلى الله تعالى، فقال: لا أكره أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه. وبكى الخولاني عند موته فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لطول السفر وقلة الزاد، وقد سلكت عقبة ولا أدري إلى أين أهبط وإلى أي مكان أسقط.

ودخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال له: من أنت؟ قال: أنا الذي لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا، فقال: إذا أنت ملك الموت، وإني لم أستعد بعد، فقال له: يا داود أين فلان جارك أي فلان قريبك؟ قال: ماتا، قال: أما كان لك في موت هؤلاء عبرة لتستعد بها، ثم قبضه عليه السلام.

وفي الخبر من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الملائكة تكتنف العبد وتحتبسه." (١)

"الملك إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يأيها الملأ أفتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون قالو ا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٥٠٠

أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلا مما تأكلون ثم يأتى من بعد ذالك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ثم يأتى من بعد ذالك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتونى به فلما جآءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة الاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم﴾

سيقت هذه الآيات كلها في رواية كريمة، وهي ثلاث عشرة آية، وفي رواية أبي ذر من قوله: ﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ ثم قال: إلى قوله: إرجع إلى ربك قوله: لقوله تعالى وفي بعض النسخ: وقوله تعالى، بدون لام التعليل، والأول أولى لأنه يحتج بقوله: ﴿ودخل معه﴾ إلى آخره على اعتبار الرؤيا الصالحة في حق أهل السجن والفساد والشرك وهو أيضا يوضح حكم الترجمة فإنه لم يتعرض فيها إلى بيان الحكم. قوله: ودخل معه أي: مع يوسف فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن ريان ملك مصر الأكبر. أحدهما: خبازه وصاحب طعامه واسمه مجلث. والآخر: ساقيه صاحب شرابه واسمه نبوء، غضب عليهما الملك فحبسهما وكان يوسف لما دخل السجن قال لأهله: إني أعبر الأحلام، فقال أحد الفتيين لصاحبه فلنجرب هذا العبد العبراني فتراءيا له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا فقال أحدهما: إني أراني أعصر خمرا أي: عنبا بلغة عمان. وقيل لأعرابي معه عنب ما معك؟ قال: خمر، وقرأ ابن مسعود: عصر عنبا، وقيل: إنما قال خمرا باعتبار ما يؤول إليه. قوله: ﴿نبئنا بتأويله﴾ أي: أخبرنا بتعبيره وما يؤول إليه أمر هذه الرؤيا. قوله: إنل نراك من المحسنين﴾ أي: من العالمين الذين أحسنوا العلم قاله الفراء، وقال ابن إسحاق: المحسنين إلينا إن قلت ذلك. قوله: ﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾ إنما قال ذلك لأنه كره أن يعبر لهما ما سألاه لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما فأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره، فقال لهما: لا يأتيكما طعام ترزقانه في نومكما إلا نبأتكما بتأويله أي: بتفسيره، وألوانه أي طعام أكلتم وكم أكلتم ومتى أكلتم من قبل أن يأتيكما، فقالا له. هذا من فعل العرافين والكهنة، فقال يوسف: ما أنا بكاهن وإنما ذلكما العلم ما علمني ربي، ثم أعلمهما أنه مؤمن، فقال: ﴿إني تركت ملة﴾ أي: دينهم وشريعتهم. قوله: ﴿واتبعت ملة آبائي إبراهيم﴾ هي الملة الحنيفية. قوله: ذلك أي: التوحيد والعلم من فضل الله فأراهما دينه وعلمه وفطنته ثم دعاهما إلى الإسلام فأقبل عليهما وعلى أهل السجن، وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله فقال إلزاما للحجة: ﴿يا صاحبي السجن﴾ جعلهما صاحبي السجن لكونهما فيه، فقال: ﴿أأرباب متفرقون﴾ يعني: شتى لا تضر ولا تنفع ﴿خير أم الله الواحد القهار﴾ قوله: وقال الفضيل إلى قوله: ﴿القهار﴾ وقع هنا عند كريمة ووقع عند أبي ذر بعد قوله: ﴿إرجع إلى ربك﴾ ووقع عند غيرهما بعد قوله الأعناب والدهن والذي عند كريمة هو أليق. قوله: ﴿ما تعبدون﴾ أي: من دون الله إلا أسماء يعني لا حقيقة لها قوله: ﴿من سلطان﴾ أي: حجة وبرهان. قوله: ﴿ذلك الدين﴾ أي: ذلك الذي دعوتكم إليه من التوحيد وترك الشرك هو ﴿الدين القيم﴾ أي: المستقيم ثم فسر رؤياهما بقوله: ﴿يا صاحبي السجن﴾ الخ. ولما سمعا قول يوسف قالا: ما رأينا شيئا كنا نلعب فقال يوسف: ﴿أي قضي الأمر﴾ أي: فرغ الأمر الذي سألتهما ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به، وقال يوسف عند ذلك للذي ظن أي علم أنه تاج وهو الساقي ﴿أذكرني عند ربك﴾ أي: سيدك قوله: ﴿فأنساه الشيطان﴾ أي: أنسى يوسف

الشيطان ذكر ربه حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بالمخلوق، فلذلك لبث في السجن بضع سنين. واختلف في معناه، فقال أبو عبيدة: هو ما بين الثلاثة إلى الخمسة، وقال مجاهد: ما بين ثلاث إلى سبع، وقال قتادة والأصمعي:." (١)

"قال: والطرمذة ليس من كلام أهل البادية والمطرمذ: والكذاب الذي له كلام وليس له فعل.

وقال الأطباء يسمون التغير الذي يحدث للعليل دفعة في الأمراض الحادة بحرانايقولون: هذا يوم بحران بالإضافة ويوم باحوري على غير قياسفكأنه منسوب إلى باحور وباحوراء وهو شدة الحر في تموزوجميع ذلك مولد.

وقال ابن دريد في الجمهرة: شنطف كلمة عامية ليست بعربية محضة.

قال: وخمنت الشيء: قلت فيه الحدس أحسبه مولداحكاه عنه في المحكم.

وفي كتاب المقصور والممدود للأندلسي: الكيمياء لفظة مولدة يراد بها الحذق.

وقال السخاوي في سفر السعادة: الرقيع من الرجال الواهن المغفل وهي كلمة مولدة كأنهم سموه بذلك لأن الذي يرقع من الثياب الواهي الخلق.

وفي القاموس: الكس للحر ليس من كلامهم إنما هو مولد.

وقال سلامة الأنباري في شرح المقامات: الكس والسرم لغتان مولدتان وليستا بعربيتين وإنما يقال فرج ودبر.

قلت: في لفظة الكس ثلاثة مذاهب لأهل العربية: أحدها هذا والثاني أنه عربي ورجحه أبو حيان في تذكرته ونقله عن الأسنوي في المهمات وكذا الصغاني في كتاب خلق الإنسان ونقله عنه الزركشي في مهمات المهمات والثالث أنه فارسي معرب وهو رأي الجمهور منهم المطرزي في شرح المقامات وقد نقلت كلامهم في الكتاب الذي ألفته في مراسم النكاح.

وفي القاموس: الفشار الذي تستعمله العامة بمعنى الهذيان ليس من كلام العرب.

وفي المقصور والممدود للقالي: قال الأصمعي: يقال صلاة الظهر ولم أسمع الصلاة الأولى وإنما هي مولدة قال: **وقيل لأعرابي** فصيح: الصلاة الأولى.

فقال: ليس عندنا إلا صلاة الهاجرة.

وفي الصحاح: كنه الشيء: نهايته ولا يشتق منه فعل وقولهم: لا يكتنهه الوصف بمعنى لا يبلغ كنهه كلام مولد.." (٢)

"ومن الجبن نسمة ومن الخل نقبة ومن البيض مذرة ومن الريحان خمرة ومن الفاكهة زلجة ومن الدهن سنخة ومن الدم عركة ومن ريح الجورب زفرة ومن الجلود دفرة ومن الرطب وثرة ومن رائحة هن المرأة بغمة.

قال الزجاجي وقال أبو إسحاق الأشعري قال الفراء: يده من السمك طمرة ومن الشهد نشرة.

النوع الثلاثون

معرفة المطلق والمقيد

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ١٣٨/٢٤

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي ٢٤٧/١

عقد له ابن فارس في فقه اللغة بابا فقال: باب الأسماء التي لا تكون إلا باجتماع صفات وأقلها ثنتان: من ذلك: المائدة لا يقال لها مائدة حتى يكون عليها طعاملأن المائدة من مادني يميدني إذا أعطاك وإلا فاسمها خوان والكأس لا تكون كأسا حتى يكون فيها شراب وإلا فهو قدح أو كوب.

والحلة: لا تكون إلا ثوبين إزار ورداء من جنس واحد فإن اختلفا لم تدع حلة.

والظعينة: لا تكون ظعينة حتى تكون امرأة في هودج على راحلة.

والسجل: لا يكون سجلا إلا أن يكون دلوا فيها ماء.

واللحية: لا تكون لحية إلا شعرا على ذقن ولحيين.

والأريكة: لا تكون إلا الحجلة على السرير.

وسمعت علي بن إبراهيم يقول: سمعت ثعلبا يقول: الأريكة لا تكون إلا سريرا متخذا في قبة عليه شواره ونجده.

والذنوب: لا يكون ذنوبا إلا وهي ملأى ولا تسمى خالية ذنوبا.

والقلم: لا يكون قلما إلا وقد بري وأصلح وإلا فهو أنبوبة.

وسمعت أبي يقول: قيل لأعرابي: ما القلمفقال: لا أدري.

فقيل له: توهمه.

فقال: هو عود قلم من جانبيه كتقليم الأظفور فسمي قلما.

والكوب: لا يكون إلا بلا عروة.

والكوز: لا يكون إلا بعروة.

وقال الثعالبي في فقه اللغة: باب الأشياء تختلف أسماؤها وأوصافها باختلاف." [١]

"للضب والحسل ولده وأبو الحصين: الثعلب وأبو جعدة وأبو جعادة: الذئب قال الشاعر: // من المتقارب //

(هي الخمر حقا وتكنى الطلا ... كما الذئب يكنى أبا جعده)

وأبو دراس اسم للفرج مأخوذ من الدرس وهو الحيض وأبو البيت: رب البيت وصاحبه وأبو مثواك: الذي تنزل عليه وأبو مالك: السغب وأبو مالك أيضا: الحرم وأبو براقش: طائر فيه ألوان يتلون ريشه في النهار عدة ألوان ويقال للرجل الكذاب: أبو بنات غير وهو الباطل والزور وأبو دخنة: طائر.

وأبو عمرة: الفقر وسوء الحال وأبو عمرة: الجوع وقيل لأعرابي: أتعرف أبا عمرة فقال: كيف لا أعرفه وهو متربع في كبدي وأبو مرحب: الظل وبيت أبي دثار: الكلة وأبو سلمان: ضرب من الجعلان.

وقال أبو عبيدة: العرب تكني الأبخر.

أبا الذباب وأبا المر قال: الغراب قال الشاعر: // من الكامل //

(إن الغراب وكان يمشي مشية ... فيما مضى من سالف الأحوال)

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي ٣٤٨/١

(حسد القطاة فرام مشيها ... فأصابه ضرب من العقال)

(فأضل مشيتها وأخطأ مشيه ... فلذاك كنوه أبا المرقال)

وقال ابن السكيت في المكني: أبو سعد: الهرم وأبو حباحب: ما خرج من الحجر من النار إذا قرعه حافر أو صكه حجر آخر وأبو عسلة وأبو مذقة: الذئب وأبو الحنبص: الثعلب ويقال للرجل إذا افتض المرأة هو أبو عذرها ويقال للرجل إذا استنبط الشيء: ما أنت بأبي عذره أي قد سبقت إليه ويقال." (١)

"تعاقب النون والراء

ليس في كلامهم نون بعدها راء بغير حاجز فأما نرجس فأعجمي معرب.

قاله في الجمهرة.

قال ابن خالويه: وكذلك نرم أي لين، ونرد، وثوب نرسي فأما نرسيانة فعربي، قد تكلموا به **قيل لأعرابي**: أتأكل السمك الجريث فقال: تمرة نرسيانة، غراء الطرف، صفراء السائر، عليها مثلها زبدا أحب إلي منها.

اجتماع ثلاث واوات

ليس في الكلام كلمة صدرت بثلاث واوات إلا أول.

قال في الجمهرة: هو فوعل ليس له فعل، والأصل وول، قلبت الواو الأولى همزة، وأدغمت إحدى الواوين في الأخرى فقالوا أول.

وقال ابن خالويه: الصواب أن أول أفعل، بدليل صحبة من إياه تقول: أول من كذا.

قال أبو عبيد في الغريب المصنف قال الأحمر: مششت الدابة (بإظهار التضعيف) ليس في الكلام غيره.

فعل يفعل المضاعف

وقال ابن دريد في الجمهرة: ليس في كلام العرب من فعل يفعل المضاعف ما يظهر إلا أربعة أحرف: مشش الفرس، وهو داء يصيب الخيل، وصمم الرجل، ولححت عينه [إذا التصقت] ويللت سنه، والليل تكسر الأسنان وذهابها، وزاد ابن السكيت وابن خالويه ضبب البلد: كثر ضبابه، وألل السقاء: إذا أنتن، وصكك الدابة إذا اصطكت ركبتاه، وقد قطط شعره.

وفي الصحاح أرض ضببة: كثيرة الضباب وهذا أحد ما جاء على أصله.." (٢)

"إذا طلع القلب «١» جاء الشتاء كالكلب، وصار أهل البوادي في الكرب. علي رضي الله عنه: يكره أن يسافر الرجل أو يتزوج في محاق الشهر «٢» وإذا كان القمر في العقرب. قيل لابن دكين «٣» : ما الدليل على أن المشتري سعد؟

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي ٣٩٦/١

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها السيوطي ٦٥/٢

قال: حسنه المنجمون. النظر إلى زحل يورث حزنا، كما أن النظر إلى المشتري يفيد سرورا. **وقيل لأعرابي**: ما أعلمك بالنجوم؟ قال: من ذا الذي لا يعلم أجذاع «٤» بيته. **وقيل لأعرابية**: أتعرفين النجوم؟ قالت: سبحان الله أما نعرف أشياخنا وقوفا علينا كل ليلة؟. قال معاوية لدغفل بن حنظلة «٥» العلامة حين ضم إليه ابنه يزيد: علمه العربية والأنساب والنجوم. فيلسوف: اضرع لمن فوقك في العلم ودونك في الجهل. أبو يوسف «٦» رحمه الله تعالى: تعلموا كل علم إلا ثلاثة: النجوم فإنه يكثر الشؤم، والكيمياء فإنه يورث الإفلاس، والجدال في الدين فإنه يورث الزندقة.

ثعلب: وددت أن الليل [يكون] نهارا حتى لا ينقطع عني أصحابي. قيل لابن شبرمة «٧» ، وكان كوفيا: أنتم أروى أهل الحديث أم أهل البصرة؟ فقال:

نحن أروى لأحاديث القضاء، وهم أروى لأحاديث البكاء. علي رضي الله عنه:

الحكمة ضالة المؤمن، فالتقفها ولو من أفواه المشركين. وعن النبي صلى الله عليه وسلم:." [1]

"السراويل على القدم، ولا جلست على براية القلم، فمن أين أصابني هذا الألم؟. يقال: لا تكتب بالقلم المعقود «١» ، ولا تمشط بالمشط المكسور، ولا تمش بين القبور. وقيل لرافضي: ما علامة النصب في عمرو؟ قال: بغض علي ابن أبي طالب. **وقيل لأعرابي**: أتهمز إسرائيل؟ قال: إني إذا رجل سوء.

وقيل لآخر: أتهمز الفأرة؟ قال السنور يهمزها.

ووقع نحوي في كنيف، فجاؤوه بكناسين، فقال: اطلبا لي حبلا رقيقا، وشداني شدا وثيقا، واجذباني جذبا رفيقا. فقالا: والله لا نخرجه، هو في السلح «٢» إلى الحلق ولا يدع الفضول. واستأذن رجل على سيبويه فقال سيبويه لغلامه: قل له انصرف، قال الرجل للغلام: أنا أحمد وأحمد لا ينصرف. قال سيبويه للغلام: قل له: أحمد إذا عرف فلا ينصرف، وأما إذا نكر فينصرف. قد جرى مثل ذلك بين عمر النسفي والزمخشري والقحفاري. قال:

أضمرت في القلب هوى شادن ... مشتغل بالنحو لا ينصف

وصفت ما أضمرت يوما له ... فقال لي المضمر لا يوصف

فقدت في دار بعض الرؤساء مشربة «٣» فضة، فوجه إلى ابن ماهان «٤» فقال:

المشربة سرقت نفسها. فضحك منه، فاغتاظ فقال: هل في الدار جارية تسمى فضة؟ فقالوا: نعم. فقال: الفضة أخذت الفضة. فكان كما قال.

وافتقدت امرأة بعض الكبار خاتما فوجهت إلى أبي معشر «٥» فقال: خاتم الله." [2]

"**قيل لأعرابي**: أيسرك أن تكون من أهل الجنة وأنك لا تدرك ثأرا؟ قال: بل يسرني أن أدرك الثأر وأنفي عني العار، وأدخل مع فرعون النار. يقال: الموت في طلب الثار خير من الممات في عار. قيل لسقراط: لم لم تذكر في شريعتك عقوبة من قتل أخاه؟ فقال: لا أعلم أن هذا شيء يكون.

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٣٤

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٥٠

استعرض الإسكندر جنده، فتقدم إليه رجل على فرس أعرج فأمر بإسقاطه، فضحك الرجل، فاستعظم ضحكه في ذلك المقام، فقال له: ما أضحك وقد أسقطتك؟ قال: التعجب منك. قال: كيف؟ قال: تحتك آلة الهرب وتحتي آلة الثبات ثم تسقطني؟ فأعجب بقوله وأثبته. قسم معن بن زائدة «١» سلاحا في جيشه، فدفع إلى رجل سيفا رديئا، فقال: أصلح الله الأمير أعطني غيره، قال: فخذه فإنه مأمور، قال: هو مما أمر أن لا يقطع أبدا. فضحك وأعطاه غيره. عرض عمرو بن ليث «٢» عسكره، فمر به رجل على فرس أعجف فقال:

لعن الله هؤلاء، يأخذون المال ويسمنون أكفال «٣» نسائهم. فقال: أيها الأمير لو نظرت إلى كفل امرأتي لرأيته أهزل من كفل دابتي. فضحك وأمر له بمال وقال:

خذه وسمن به كفل دابتك وامرأتك.

وقع في بعض العساكر هيج فوثب خراساني إلى دابته ليلجمها فصير اللجام في الذنب دهشا فقال: هب جبهتك عرضت، ناصيتك كيف طالت؟. نظر فيلسوف إلى رام سهامه تذهب يمينا وشمالا، فقعد في موضع الهدف وقال: لم أر موضعا أسلم من هذا. قال المنصور لبعض الخوارج بعد الأخذ: عرفني من أشد أصحابي إقداما؟ فقال: لا أعرفهم بوجوههم فإني لم أر إلا قفاهم. اجتاز." (١)

"فيثاغورس: الدنيا دول، مرة لك ومرة عليك.

ابن الرومي رحمة الله عليه:

لما تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وإلا فما يبكيه منها، وإنها ... لأوسع مما كان فيه وأرغد «١» ؟

عيسى عليه السلام: الدنيا قنطرة، فاعبروها ولا تعمروها. نوح عليه السلام: وجدت الدنيا كدار له «٢» بابان، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر. قيل:

دخلنا كارهين لها فلما ... ألفناها خرجنا مكرهينا

وما حب البلاد بنا ولكن ... أمر العيش فرقة من هوينا

قيل: لو رضي الناس بأرزاقهم رضاهم بأوطانهم، لما شكا أحد فقره. كتب داود الطائي إلى صديق له: اجعل الدنيا كيوم صمته عن شهوتك، واجعل فطرك الموت. بعض أهل الحقيقة: إن أردت السلامة سلم على الدنيا، وإن أردت الكرامة كبر على الآخرة. المنصور لما حضرته الوفاة: بعنا الآخرة بنومة.

أعرابي: كيف تفرح بعمر تقطعه الساعات، وسلامة بدن معرض للآفات؟ قيل:

تظل تفرح بالأيام تقطعها ... وكل يوم مضى يدني من الأجل

قيل لأعرابي: انظر إلى الهلال، فقال: ما أصنع به؟ محل دين، ومقرب حين. أنشد ابن الأعرابي:." (٢)

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٩٥

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/١٤٥

"الصبا موصوفة بالطيب والروح، لانخفاضها عن برد الشمال، وارتفاعها عن حر الجنوب. كان للمتوكل بيت يسميه بيت مال الشمال، فكلما هبت الريح شمالا تصدق بألف درهم. وكيع: لولا الريح والذباب لأنتنت الدنيا. أبو الفتح البستي:

سبحان من خص الفلز بعزة ... والناس مستغنون عن أجناسه

وأذل أنفاس الهواء، وكل ذي ... نفس فمفتقر إلى أنفاسه «١»

أبو بكر بن عياش: لا تخرج من السحاب قطرة حتى تعمل فيه الرياح الأربع:

فالصبا تهيجه، والجنوب تدره، والدبور تلقحه، والشمال تفرقه. عبد الله بن عمرو: أربع من الرياح رحمة: الناشرات والمبشرات واللواقح والذاريات، وأربع عذاب: الصرصر والعقيم في البر والعاصف والقاصف في البحر. وتقول العرب في أحاديثها: إن الجنوب قالت للشمال: إن لي عليك فضلا، أنا أسري وأنت لا تسرين. فقالت الشمال: الحرة لا تسري. هبت ريح شديدة فصاح الناس: القيامة القيامة. فقال مزبد: هذه قيامة على الريق بلا دابة ولا دجال.

علي رضي الله عنه: توقوا البرد في أوله وتلقوه في آخره، فإنه يفعل بالأبدان كفعله بالأشجار، أوله يحرق، وآخره يورق. يقال: الحر يؤذي الرجل والبرد يقتله. سئل رجل عريان عما يجد في يوم قر «٢» فقال: ما علي كثير مؤنة منه، قيل: كيف؟ فقال: دام بي العري فاعتاد بدني ما تعتاد وجوهكم. **قيل لأعرابي**: ما أعددت للبرد؟ قال: طول الرعدة. ويقال: إن برد الربيع مونق، وبرد الخريف موبق. أبو صفوان: وضوء المؤمن في الشتاء يعدل عبادة الرهبان." (١)

"وصوفها ويخصب معها رحلي، ويشبع بها أهلي. وقال الآخر: أنا أتمنى قطائع ذئاب أرسلها على غنمك حتى تأتي عليها. فقال: ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة؟ وتلاحما واشتدت الملحمة بينهما. فرضيا بأول من يطلع عليهما حكما، فطلع عليهما شيخ على حمار بين زقين من عسل، فحدثاه، فنزل عن الحمار وفتح الزقين حتى سال العسل في التراب، ثم قال: صب الله دمي مثل هذا العسل إن لم تكونا أحمقين. شرد لهبنقة بعير فقال: من جاء به فله بعيران، فقيل له: أتجعل في بعير بعيرين؟ فقال: إنكم لا تجدون حلاوة الوجدان، فنسب إلى الحمق وصار مثلا فيه. ولدت دغة فصاح الولد فقالت لامرأة: أيفتح الجعر فاه «١» ؟ فقالت المرأة: نعم ويسب أباه. فصارت مثلا في الحمق.

بكر بن معتمر: إذا كان العقل تسعة أجزاء احتاج إلى جزء من الحمق ليقدم في الأمور، فإن العاقل أبدا متوان متوقف متخوف. جابر بن عبد الله، يرفعه:

«كان رجل متعبد في صومعة فأمطرت السماء وأعشبت الأرض، ورأى حماره يرعى في ذلك العشب فقال: يا رب لو كان لك حمار لرعيته مع حماري. فبلغ ذلك بعض الأنبياء فهم أن يدعو عليه، فأوحى الله إليه أن لا تدع عليه فإني أجازي العباد على قدر عقولهم» . وهب بن منبه: خلق ابن آدم أحمق ولولا حمقه ما هنأه عيش. **قيل لأعرابي**: يا مصاب، فقال: بل أنت أصوب مني، أي أجن. يقال: عقله منه على سفر.

يظن بأن الخمل في القطف نابت ... وأن الذي في داخل التين خردل

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/١٥١

قيل: هو ذو بصيرة بلهاء عند تشابه النوائب، وتجربة عمياء عن تأمل العواقب. كان يقال: مجالسة الأحمق خطر، والقيام عنه ظفر. أهل بغداد:." [1]

"المؤمن ليذنب الذنب فيدخله الجنة. قالوا: يا نبي الله كيف يدخله الجنة؟ قال:

يكون نصب عينه تائبا مستغفرا حتى يدخل الجنة» .

علي رضي الله عنه: لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: محسن يزداد كل يوم إحسانا، ومسيء يتدارك بالتوبة. وعنه: ترك الخطيئة أهون من طلب التوبة. ابن المسيب، يرفعه: «المستغفر باللسان وهو مصر كالمستهزىء بربه» . بعض العلماء: العبد بين ذنب ونعمة، لا يصلحهما إلا الاستغفار.

السري السقطي: أنا أستغفر الله من قولي: «الحمد لله» منذ ثلاثين سنة.

فقيل: كيف؟ فقال: وقع حريق بالليل فخرجت أنظر دكاني فقيل: الحريق أبعد من دكانك، فقلت: الحمد لله. ثم قلت: هب أن دكانك تخلص أما تهتم للمسلمين؟. قال رجل لمزيد: أماتك الله. قال: آمين بعدك بألف سنة. قال عبادة لرجل: من أين أقبلت؟ قال: من لعنة الله. قال: رد الله غربتك. قيل:

الحمد لله الذي أخمد جمرته، وسلب إمرته، وأذل عترته، ولم يقله عثرته.

قيل لبعض المجان: كيف أنت في دينك؟ قال: أخرقه بالمعاصي وأرقعه بالاستغفار. قيل لأعرابي اشتد مرضه: لو تبت، فقال: لست ممن يعطي على الذل، فإن عافاني الله تبت وإلا مت هكذا.

أعوذ بالله من كل ما يؤدي إلى موارط نقمه، ويحجب عن موارد نعمه، آمين يا معين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.." [2]

"قالوا: من قدم أرضا فأخذ من ترابها فجعله في مائها ثم شربه عوفي من وبائها. في النوابغ: إذا كثر الطاغون أرسل الله عليهم الطاعون. وفيه: أمارة إدبار الإمارة، كثرة الوباء وقلة العمارة. كان أنوشروان يمسك عما تميل إليه شهوته من الطعام ويقول: تركنا ما نحبه لنستغني عن العلاج بما نكره. عبد الله ابن شبرمة «١» : عجبت ممن يحتمي عن الطعام مخافة الداء كيف لا يحتمي عن الذنوب مخافة النار.

النعمان بن بشير: إنما المؤمنون كرجل إذا اشتكى المؤمن اشتكى له المؤمنون. قيل لأعرابي: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قيل: فما تشتهي؟

قال: الجنة. قيل: أفلا ندعو طبيبا؟ قال: هو الذي أمرضني. أنس رضي الله عنه: «دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو في الموت فقال: كيف تجدك؟

قال: أرجو الله وأخاف ذنوبي. قال: هما لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف» . دخل ابن السماك على الرشيد في عقب مرض فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله ذكرك فاذكره، وأطلقك فاشكره. علي رضي

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/١٨٧

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٢٢١

الله عنه، يرفعه: «من أتى أخاه المسلم يعوده مشى في مخرفة «٢» الجنة حتى يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمة» . بعض الحكماء: إذا دخل العواد على الملك فحقهم أن لا يسلموا عليه فيحوجوه إلى الرد فإذا علموا أنه لاحظهم دعوا له دعاء يسيرا وخرجوا.

علي رضي الله عنه: ربما أخطأ البصير قصده، وأصاب الأعمى رشده.

استأذن الربيع بن خيثم على ابن مسعود فخرجت جارية حسناء فغمض عينيه." (١)

"وأنشد أبو عمرو:

إن أبا عمرة شر جار ... يجرني في ظلم الصحاري

جر الذئاب جيفة الحمار

وأبو عمرة هو الجوع. **قيل لأعرابي**: أتعرف أبا عمرة؟ فقال: كيف لا أعرفه؟ وهو متربع في كبدي. اتخذ بنو حنيفة إلها من حيس «١» فعبدوه سنين ثم أصابهم مجاعة فأكلوه. دعا يحيى بن أكثم عدوله فقدم إليهم مائدة صغيرة، فتضاموا عليها حتى كان أحدهم يتقدم فيأخذ اللقمة ثم يتأخر حتى يتقدم الآخر، فلما خرجوا قيل لهم: أين كنتم؟ قالوا: كنا في صلاة الخوف. سئل بعض الظرفاء عن دعوة حضرها فقال: كان كل شيء باردا إلا الماء. بنى بدوي على أهله ولم يولم، فاجتمع فتيان الحي يطوفون بخبائه وهم يقولون: أولم ولو بيربوع، أو بقراد مجدوع، قتلتنا من الجوع. سأل رجل يزيد بن هارون عن أكل المدر قال: حرام، قال الله تعالى: كلوا مما في الأرض

«٢» ولم يقل: كلوا الأرض. قيل لشيخ: ما أحسن أكلك؟ قال: عملي منذ ستين سنة. رأى المغيرة على مائدته رجلا ينهش اللحم ويتعرق فقال: يا غلام ناوله سكينا.

فقال: سكين كل امرىء في رأسه. قيل لسعد القرقرة وهو مضحك النعمان بن المنذر: ما رأيتك إلا وكنت تزيد شحما وتقطر دما. فقال: لأني آخذ ولا أعطي ولا ألام متى أخطىء فأنا الدهر ضاحك مسرور. (القرقرة: القهقهة) ، وهو معدود في الأكلة. قالوا: كل طعام أعيد عليه التسخين فهو فاسد، وكل غناء خرج من تحت السبال «٣» فبارد. شرب أعرابي نبيذا عند الموصلي فقال:." (٢)

"خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

قالت امرأة لبنتها: كوني لزوجك أمة يكن لك عبدا، واحفظي عني عشر خصال: الأولى حسن المصاحبة ففيها راحة القلب، الثانية جمال المعاشرة بالسمع والطاعة ففيها رضا الرب، الثالثة التفقد لموضع عينه فلا تقع عينه على قبيح منك، الرابعة التعاهد لموضع أنفه فلا يجد منك خبيث رائحة، الخامسة الحفظ لماله بحسن التدبير، السادسة رعاية حشمه مع التدبير، السابعة التعاهد لوقت طعامه فحرارة الجوع ملهبة، الثامنة السكوت عند منامه فتغيص النوم مغضبة، التاسعة عدم إفشاء سره، العاشرة عدم عصيانه في أمره. فإن أفشيت سره لم تأمني مكره وغدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٢٣٠

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٢٨٥

الحسين بن علي رضي الله عنهما: إذا خلوتم بالنساء فداعبوهن ولا تكونوا كالفحل الذي يعلو بغتة. قاضي خان: لا بأس للرجل أن يمس فرج زوجته لكي تتحرك. أبو يوسف: سألت أبا حنيفة عن مس الرجل فرج زوجته، فقال: لا بأس به وأرجو أن يعظم أجره. قال رجل لامرأته: ما خلق أحب إلي منك، فقالت: وما خلق أبغض إلي منك، فقال: الحمد لله الذي أولاني ما أحببت وابتلاك بما كرهت.

قيل: لا تسمعوهن الغناء، فإنه داعية للزنى. عمر رضي الله عنه: جنبوهن الكتابة ولا تسكنوهن الغرف. **قيل لأعرابي**: ما خلفت لأهلك؟ قال:

الحافظين. قيل: وما هما؟ قال: أعريهن «١» فلا يبرحن وأجيعهن فلا يمرحن.

بعض السلف تزوج امرأة فاجرة، ثم قال لها: الثياب على مرادي والخروج." (١)

"**قيل لأعرابي**: أما تشرب النبيذ؟ فقال: لا أشرب ما يشرب عقلي. عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من بات سكران بات للشيطان عروسا» . عيسى عليه السلام: حب الدنيا رأس كل خطيئة، والنساء حبائل الشيطان، والخمر داعية إلى كل شر. قيل لعباس بن المرداس «١» لم تركت العقار «٢» وهو يزيد في جلادتك وسماحتك؟

فقال: أكره أن أصبح سيد القوم وأمسي سفيههم. المأمون: رأى على وجه بعض أبنائه خدشة، فقال: ما أصابك؟ قال: ركبت البارحة فرسا أشقر فصرعني، فقال: لو ركبت الأشهب لما صرعك، فالابن كنى عن الصهباء والأب عن الماء. كان في يد النظام قدح وهو على غرفة فأنشأ يقول:

اشرب على طرب وقل لمهددي ... هون عليك يكون ما هو كائن

فلما تكلم بهذا سقط من الغرفة، وكان آخر كلامه وما ختم به عمره، فمات بإذن الله. الأمين: اشرب الكاس، وشم الآس، من غير نعاس، وذلك أحب إلي من مداراة الناس.

سكر النعمان بن المنذر ليلة فدفن نديميه الأسديين، فلما أصبح علم وجعل لنفسه يوم بؤس ويوم نعيم، وفي يوم البؤس يقتل من لقيه، وفي يوم النعيم يغنيه. خرق قميصه ملك حال السكر وهو في كمال الحسن، وقال شاعره ونديمه:

بسيه حال كردى يبرهن ... در بزم منحوران

كشودى روزن فردوس ... بري كنهكان «٣»." (٢)

"بروق «١» من الغالية ودرج «٢» بخور محفلا في كمه. الحكيم: الصاحي بين السكارى كالحي بين الموتى يأكل من بقولهم، ويضحك على عقولهم. يقال:

طيب المدام بطيب الندام.

قيل لأعرابي: كم تشرب النبيذ؟ فقال: على مقدار النديم. وقيل:

إنما يستعذب الرا ... ح بأخلاق النديم

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٢٨٩

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٣١٠

قيل لبعضهم: ما العيش؟ فقال: طرح الحشمة وترك الطب. أبو إسحاق الموصلي: كانت خلفاء بني أمية لا يظهرون للندماء والمغنين، وكان بينهم وبين ندمائهم ستارة، وبنو العباس في الأول ظهروا ثم احتجبوا، ولم ير أبو جعفر قط يشرب الماء، والمهدي في أول أمره احتجب ثم ظهر. وقال: اللذة في مشاهدة السرور والدنو من الأحباب. المأمون: النبيذ بساط إذا رفع لم ينشر.." (١)

"الدهر سلك حوادث وخطوب

أبو العتاهية:

تأتي المكاره حين تأتي جملة ... وترى السرور يجيء في الفلتات

الشافعي رحمه الله:

محن الزمان كثيرة لا تنقضي ... وسروره يأتيك كالأعياد

كان لسفيان جار مخنث فمرض فعاده سفيان مع أصحابه فقال: كيف تجدك؟

فقال: إن العلل والآفات تجيء باقات والعافية تجيء طاقات، فقال سفيان: ما خرجنا إلا بفائدة. قيل: الدنيا حسودة لا تأتي بشيء إلا غيرته. قيل للحسن:

كيف أصبحت؟ فقال: كيف يصبح من هو غرض لثلاثة أسهم: سهم رزية وسهم بلية وسهم منية. وقيل لآخر هذا، فقال: أصبحت غرض الرزايا والبلايا والمنايا. وقيل: الليل والنهار غرسان يثمران للبرية صنوف البلية. **قيل لأعرابي**: كيف أصبحت؟ قال: لا كما يرضى الله تعالى ولا كما يرضى الشيطان ولا كما أرضى أنا، فإن الله يرضى أن أكون مؤمنا عابدا، والشيطان يرضى أن أكون كافرا، وأنا أرضى أن أكون مرزوقا، ولست كذلك. قيل للشبلي: في الدنيا أشغال وفي الآخرة أهوال، فمتى النجاة؟ فقال: دع أشغالها تأمن أهوالها. علي رضي الله عنه: زوايا الدنيا مشحونة بالرزايا.

قيل: البرايا أهداف البلايا. الصاحب: الإنسان بين أنياب الدهر ونوائبه تحطمه بصريفها وتعتوره بصروفها. فرقد السنجي: قرأت في التوراة التي لم تتبدل: من ملك استأثر، ومن لم يستشر ندم، والحاجة الموت الأكبر، والهم نصف الهرم. قيل: الهم يشيب القلب ويعقم العقل فلا يتولد معه رأي ولا." (٢)

"فجاء بنفسه ومعه ثلاثمائة دينار فقال: هذه الصلة وأنا العائد. عمر رضي الله عنه: الغني من يفرح بالسؤال كما يفرح الآخذ بالعطاء. عبد الله بن عمر: الغني من لم يميز بين أن يأكل عنده عدو أو صديق. قيل لحكيم: من أحب الناس إليك؟ قال: من أحسن إلي. فقيل: ثم من؟ قال: من أحسنت إليه. ابن سينا:

يا غافلا عن حركات الفلك ... نبهك الله فما أغفلك

مالك للغير إذا صنته ... وكل ما أنفقت منه فلك

بعض الملوك: أنا لا أرضى أن يكون جهل لا يسعه علمي، ولا ذنب لا يسعه عفوي، ولا حاجة لا يسعها جودي. قيل

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٣١٤

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٣٣٥

للإسكندر: ما يسرك؟ فقال: مكافأة من أحسن إلي، والعفو عمن أساء إلي.

قال رجل لابنه: إياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه.

قيل لأعرابي: ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل؟ فقال:

حاجة الكريم إلى اللئيم. اسقلتينوس: فوت الحاجة خير من طلبها من غير أهلها. قال رجل لبنيه: يا بني تعلموا الرد فإنه أسد «١» من الإعطاء. قيل:

يلومونني بالبخل جهلا وضلة ... وللبخل خير من سؤال بخيل

بعض الأكابر لابنه: يا بني اعلم أن لفظ (لا) يدفع البلا، ولفظ (نعم) يزيل النعم.

أنس، رفعه: «من قضى لأخيه المسلم حاجة كان كمن خدم الله عمره» .

ابن السكيت: كتب رجل إلى صديقه: قد عرضت لي قبلك «٢» حاجة، فإن." (١)

"الله أحب من حسن خلقه. **قيل لأعرابي**: أتعرف الجمال؟ قال: إي لعمري، فقالوا: وما هو؟ فقال: عظم الأنف وسعة الشدق وضخامة القدمين والكعبين.

الأصمعي: رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح، فقلت:

يا هذه أترضين أن تكوني تحت هذا؟ فقالت: يا هذا لعله أحسن فيما بينه وبين الله تعالى فجعلني ثوابه، وأسأت فيما بيني وبين ربي فجعله عقوبتي، أفلا أرضى بما رضي الله تعالى. ذهب جماعة من المتمولين إلى الأعمش وهو قائم في بابه، فلما رآهم مقبلين عليه دخل إلى بيته وخرج مسرعا في تلك الساعة، فسئل عن سبب ذلك فقال: رأيتكم قبحاء المنظر ثقلاء الصحبة فدخلت إلى امرأتي فلما رأيتها رضيت بكم، فإن فوق المحنة محنة.

قال حكيم لشاب قبيح الوجه حسن الأدب: قد أخفت محاسن أدبك قبائح وجهك. قال رجل لمنصور بن الحلاج «١» : إن كنت صادقا فيما تدعيه فامسخني قردا، فقال: لو هممت لذلك لكان نصف العمل مفروغا منه. قيل: أقبح من القبيحة في عين ضرتها، كما يقال في الحسن: أحسن من الحسناء في عين أمها. قيل: أقبح من زوال النعمى وفوت المنى وطلعة الردى. قيل: أسمج من واو عمرو. قيل للحظوة: إلى أين تذهبين؟ فقالت: أقارن القباح. الجاحظ:

ما أخجلني إلا امرأة حملتني إلى صائغ وقالت له: مثل هذا. فبقيت مبهوتا فسألت الصائغ عن سببه فقال: هي امرأة استعملتني في صورة شيطان فقلت: لا أدري كيف أصوره، فأتت بك وقالت: مثل هذا. وقرع عليه قوم الباب، فخرج غلامه فسألوه: ما يصنع؟ فقال: هو ذا يكذب على الله. فقيل: كيف؟

قال: نظر في المرآة فقال: الحمد لله الذي خلقني فأحسن صورتي. وقيل فيه:

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ... ما كان إلا دون قبح الجاحظ." (٢)

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٣٥٨

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأَماسي ص/٣٦٩

"الباخرزي:

تملكني واختار صدري مسكنا ... ومن عادة الملاك أن يسكنوا الصدرا

وله:

أطلعت يا قمري على بصري ... وجها شغلت بحسنه نظري

ونزلت في قلبي فلا عجب ... فالقلب بعض منازل القمر

الجاحظ: العشق اسم لما فضل عن المحبة كما أن السرف اسم لما جاوز الجود، والبخل اسم لما جاوز حد الاقتصاد. قيل: أشقى الأشقياء وزراء الأحداث من الملوك وعشاق الفتيان من الشيوخ. وقيل: من جرى مع هواه طلقا «١» جعل للعذل «٢» فيه طرقا. وقيل: ليس الأسير من أوثقه عداه، وإنما الأسير من أوبقه «٣» هواه. وقيل: أول الهوى هون وآخره هون. وقيل: الهوى كالنار إذا أحكم إيقادها عسر إخمادها، وكالسيول إذا اتصل مدها تعذر صدها.

الأصمعي: سألت من عذري «٤» : ما لكم إذا عشقتم تموتون؟ قال: في رجالنا خفة وفي نسائنا عفة. قيل لبني عذرة: ما بال قلوبكم كأنها قلوب الطير؟

تنماس «٥» كما ينماس الملح في الماء! فقالوا: إنا ننظر من محاجر العين وأنتم لا تنظرون إليها. **وقيل لأعرابي** منهم: ممن أنت؟ قال: من قوم إذا أحبوا ماتوا.

فقالت جارية: هذا عذري ورب الكعبة. البستي:." (١)

"المجنون:

تعلقت ليلى وهي بكر صغيرة ... ولم يبد للأتراب من ثديها حجم «١»

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا ... إلى الآن لم نكبر ولم يكبر البهم

قيل لأعرابي: ما بلغ بك حبك لفلانة؟ فقال: إني لأذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فأجد من ذلك رائحة المسك. ابن مرخية: سألت سعيد بن المسيب وكان مفتي المدينة: هل في حب دهماء وزر؟ فقال: إنما تلام على ما تستطيع من الأمر.

قيل:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ... كم زاد باللوم للمشتاق أهواء

قيل: النهي عن الشيء داع إلى تعاطيه، واستدل على ذلك بفعل آدم وحواء نهيا عن الشجرة. عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لو نهي الناس عن فت البعر فتوه وقالوا: ما نهينا عنه إلا وفيه شيء» . قيل: من عذل عاشقا زمر في است ميت ليطرب.

بعضهم: عذلك لا ينفع وكلامك لا يسمع.

قيل: المرأة تكتم الحب أربعين سنة ولا تكتم البغض يوما واحدا. قيل:

لا شيء أصيد لامرأة ولا أذهب لعفتها من أن يحيط علمها بأن رجلا أحبها. ابن داود: من كثرت لحظاته، دامت حسراته.

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٣٧٤

أبو حاتم:

أبرزوا وجهه الجم ... يل ولاموا من افتتن

لو أرادوا عفافنا ... ستروا وجهه الحسن." (١)

"كل العذاب قطعة من السفر ... يا رب فارددني إلى روح الحضر

قيل لابن الأعرابي: لم سمي السفر سفرا؟ فقال: لأنه يسفر عن أخلاق القوم، أي يكشف.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة. وقيل:

الواحد شيطان والاثنان شيطانان، والثلاثة ركب. سافر أعرابي خليع فرجع خائبا فقال: ما ربحنا من سفرنا إلا ما قصرنا من صلاتنا. بعض العرب: الغبطة الكفاية مع لزوم الأوطان، والجلوس مع الإخوان، والذلة التنقل في البلدان.

والتنحي عن الأوطان. قيل لأعرابي: ما السرور؟ قال: أوبة بغير خيبة، وألفة بغير غيبة. قيل: الغريب كالفرس الذي زايل أرضه «١» وفقد شربه، وهو ذاو «٢» لا يسمن. عسرك في بلدك أعز من يسرك في غربتك. أعرابي: أردت السفر فقلت: إن سافرت في صفر أخاف أن تصفر يدي «٣» وإن سافرت في محرم أخشى أن أحرم، فأخرته إلى ربيع، وسافرت فمرضت، وكان ظني أنه من ربيع الرياض، فصح أنه من ربيع الأمراض. قيل:

لقرب الدار في الإقتار خير ... من العيش الموسع في اغتراب

يقال: من سعادة جدك وقوفك عند حدك. عمر رضي الله عنه: لولا حب الوطن لخرب بلد السوء، فبحب الأوطان عمرت البلدان. قيل:

لا ينسين كريم أرض منشئه ... وليس عندي من ينسى بإنسان." (٢)

"في المهد ينطق عن سعادة جده ... أثر النجابة ساطع البرهان

قالوا: صاحب العيال أعظم أجرا. الأوزاعي: الفار من عياله كالآبق «١» لا يقبل منه صوم ولا صلاة حتى يرجع إليهم.

قيل: العداوة في الأقارب كالسم في العقارب. قيل لبعض حكماء العرب:

ما تقول في ابن العم؟ قال: عدوك وابن عدوك. يقال: من سرته بنوه ساءته نفسه. بعض السلف: الأقارب عقارب أمسهم بك رحما أشدهم لك ضررا.

العلامة:

أقارب كالعقارب في أذاها ... فلا تولع بعم أو بخال

فكم عم يجيء الغم منه ... وكم خال عن الخيرات خال

عاتب أعرابي ابنه وذكر حقه فقال: يا أبت إن عظيم حقك علي لا يبطل صغير حقي عليك. قال رجل لعمر رضي الله

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٣٧٧

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٤٠٣

عنه: خدمك بنوك؟ فقال: بل أغناني الله عنهم. **قيل لأعرابي**: ما تقول في ابنك؟ - وكان عاقا- فقال: بلاء لا يقاومه الصبر، وفائدة لا يجب عليها الشكر. قيل لعيسى عليه السلام: لم تكره الولد؟ فقال: إن عاش كدني وإن مات هدني. يقال: قلة المال وكثرة العيال نعوذ بالله من ذلك الحال. محمد فورك: شغل العيال نتيجة متابعة الشهوة بالحلال، فما ظنك بقصة شهوة الحرام؟. قيل: إن مثل الرجل بأهله وعياله مثل الدخنة «٢» الطيبة تحترق ويلذ بطيب رائحتها آخرون.

بعض الأكابر: الولد السوء يشين السلف ويهدم الشرف والجار السوء يفشي." (١)

"قال علي رضي الله عنه حين طاف بين الصفين «١» بقميص رقيق، فقال ابنه الحسن: ما هذا بزي المحاربين يا بني أبوك لا يبالي على الموت سقط أم عليه سقط الموت. قال عمار بصفين «٢» : الآن ألاقي الأحبة محمدا وحزبه. قال حذيفة حين احتضر: جاء حبيب على فاقة، لا أفلح من ندم على الموت، وكل من العشرة كان يحب الموت. سر بشر بن منصور حين احتضره الموت فسئل عنه فقال: سبحان الله أخرج من بين الظالمين والحاسدين والباغين والمغتابين وأقدم على أرحم الراحمين. لما توجه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري إلى سمرقند بلغه أنه وقع بينهم بسببه فتنة، فقال: اللهم ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك. فمات في ذلك الشهر.

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم: ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فأنتم كارهون الانتقال من العمران إلى الخراب.

بكى الخولاني عند موته فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لطول السفر وقلة الزاد، وقد سلكت عقبة لا أدري إلى أين تهبط بي وإلى أي المكانين أسقط.

إبراهيم النخعي: لما احتضر جزع جزعا شديدا فسئل عن السبب فقال: أنا أتوقع رسولا من ربي إما إلى الجنة وإما إلى النار، والله لوددت أن تتلملم روحي في حلقي إلى يوم القيامة. ابن المعتز: الموت باب الآخرة. عائشة رضي الله عنها: «لما مات عثمان بن مظعون كشف النبي صلى الله عليه وسلم الثوب عن وجهه فقبل بين عينيه وبكى طويلا، فلما رفع السرير قال: طوبى لك يا عثمان لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها، ولما دفن قال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم السلف هو لنا» . **وقيل لأعرابي**: ما." (٢)

"صدقا الغرام فلم يمل طرف إلى ... فحش ولا كف لحل ازار

فتلاقيا وتفرقا وكلاهما ... لم يخش مطعن عائب أوزاري

ومنه ما حكى عن بعضهم قال حكت لي امرأة عن شخص هويها وهويته أنه قال لها يوما ها لك أن نحقق ما قيل فينا فقالت معاذ الله أن أفعل ذلك وأنا أقرأ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين **وقيل لأعرابي** ليلة تزويج محبوبته أيسرك أن تظفر بها قال نعم قيل فما كنت تصنع بها قال أطيع الحب في لثمها وأعصي الشيطان في اثمها.

وعن الأصمعي **قيل لأعرابي** ما تصنع إن ظفرت بمحبوبتك قال امتع عيني من وجهها وسمعي من حديثها واستر منها ما

---

(١) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٤٣٢

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٤٣٦

يحرم كشفه إلا عند حله وأنشد ابن القاسم في المعنى وإن كان فيه بعد لأنك تعتبر الحياء من الايمان اللازم للعفة وخوف الله تعالى

كم قد خلوت بمن أهوى فيمنعني ... منه الحياء وقد أودى بمعقولي

يأبى الحياء وشيبي أن ألم به ... وخشية اللوم من قال ومن قيل

وأصرح منه في المقصود ما أنشده إبراهيم بن عرفة

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني ... منه الحياء وخوف الله والحذر

وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني ... منه الفكاهة والتحديث والنظر

أهوى الحسان وأهوى أن أجالسهم ... وليس لي في حرام منهم وطر

كذلك الحب لا اتيان معصية ... لا خير في لذة من بعدها سقر

وأخرج صاحب الأصل عن سعيد بن عقبة الهمذاني قال لأعرابي حضر مجلسه ممن الرجل قال من قوم إذا عشقوا ماتوا فقال عذري ورب الكعبة ثم سأله علة ذلك فقال لأن في نسائنا صباحة وفي فتياتنا عفة وأخرجه في الخليفيات أيضا وفي معناه أنشد حرب

ما أن دعاني الهوى لفاحشة ... ألا عصاني الحياء والكرم

فلا إلى محرم مددت يدي ... ولا مشت بي لزلة قدم

هذا ما جاء في الآثار من العشق مع العفة وأما ما يدل على كثرة وقوعه واختصاص قوم بمزيد منه فكثير. فمن ذلك ما أخرجه التنوخي عن عروة بن الزبير قال قلت لعذري أنكم أرق الناس قلوبا يريد أصباهم إلى الحب فقال نعم لقد تركت ثلاثين شابا خامرهم السل ما بهم داء إلا الحب وقيل لشخص منهم مثله فقال كقوله وزاد لكن غلبتنا بنو عامر بمجونها وفي منازل الأحباب للشهاب محمود ليس حي أصدق في الحب من بني عذرة ولا نضرب الأمثال فيه إلا بهم وقال قلت يوما أتعدون موتكم في الحب مزية وهو من ضعف البنية وهن العقدة وضيق الرئة فقال أما والله لو رأيتم المحاجر البلج ترشق بالعيون الدعج من تحت الحواجب الزج والشفاه السمر تبسم عن الثنايا الغر كأنها شذر الدر لجعلتموها اللات والعزى وتركتم الإسلام وراء ظهوركم وعن أبي عمرو بن العلاء قال استنطقت إعرابيا عند الكعبة واستنسبته لماذا هو فصيح عذري فسألته هل علقه الحب فأنبأ عن شدة ولوع فسألته ما قال في ذلك فأنشد

تتبعن مرمى الوحش حتى رميتنا ... من النبل لا بالطائشات المخاطف

ضعائف يقتلن الرجال بلا دم ... فيا عجبا للقاتلات الضعائف

وللعين ملهى في البلاد ولم يقد ... هوى النفس شيء كاقتياد الظرائف

وقال بعض حكماء الهند ما علق العشق بأحد عندنا إلا وعزينا أهله فيه. وحكى الحافظ مغلطاي أن العشق يختلف باختلاف أصحابه قال الغرام أشد ما يكون مع الفراغ وتكرار التردد إلى المعشوق والعجز عن الوصول إليه فعلى هذا يكون أخف الناس عشقا الملوك ثم من دونهم لاشتغالهم بتدبير الملك وقدرتهم على مرادهم ولكن قد يتذللون للمحبوب لما في ذلك من مزيد اللذة كقول الحكم بن هشام

ظل من فرط حبه مملوكا ... ولقد كان قبل ذاك مليكا

تركته جآذر القصر صبا ... مستهاما على الصعيد تريكا

يجعل الخد واضعا تحت ترب ... للذي يجعل الحرير أريكا

هكذا يحسن التذلل بالحر ... إذا كان في الهوى مملوكا

وقول الرشيد أيضا

ملك الثلاث الآنسات عناني ... وحللن من قلبي بكل مكان

ما لي تطاوعني البرية كلها ... وأطيعهن وهن في عصياني

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى ... وبه قوين أعز من سلطاني." (١)

"وأعلم أن وصلك لا يرجى ... ولكن لا أقل من التمني

وقال آخر

وما بلوغ الأماني في مواعدها ... إلا كاشعب يرجو وعد عرقوب

ومن كلام أفلاطون الأماني حلم المستيقظ وسلوة المحروم وقال غيره التمني مؤنس إن لم ينفعك فقد ألهاك. **قيل لأعرابي** ما أمتع لذات الدنيا قال ممازحه الحبيب ومحادثة الصديق وأماني تقطع بها أيامك.

ياقوت الرومي

لله أيام تقضت بكم ... ما كان أحلاها وأهناها

مرت فلم يبقى لنا بعدها ... شيء سوى أن نتمناها

ابن الوردي

وشادن قلت له ... هل لك في المنادمه

فقال كم من عاشق ... سفكت في المني دمه

الحسين بن الضحاك

وصف البدر حسن وجهك حتى ... خلت أني وما أراك أراك

وإذا ما تنفس النرجس الغض ... توهمته نسيم شذاك

خدعات المني تعللني فيك ... باشراق ذوا بهجة ذاك

ابن أبي حجلة

رقي لصب غدا مما يكابده ... من دمعه الصب يجري في مجاريه

لم يبق فيه سوى روح يرددها ... لولا المني مات يا أقصى أمانيه

وقلت

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/٧

عدى فتى شفت الأسقام مهجته ... بزورة منك يا أقصي تمنيه

فالهجر منك لكاس الموت بسلمه ... والوعد منك ولو بالزور يحييه

وقد ذم قوم الرضا بالوعد والأماني وعدوا ذلك جنونا ومشى على ذلك جمع كثير.

الخالدي

ولا تكن عبد المني فالمني ... رؤوس أموال المفاليس

ابن المعتز

لا تأسف من الدنيا على أمل ... فليس باقيه إلا مثل ماضيه

قال علي كرم الله وجهه اجتنبوا المنى فإنها تذهب ما خولتم وتصغر المواهب التي رزقتم وقال رجل لابن سيرين أني رأيت كأني أسبح في غير ماء وأطير بغير جناح فقال أنت رجل تكثر الأماني وسمع الحجاج ليلة لبانا يقول أبيع اللبن بكذا وأشتري بضاعة فأكسب فيها كذا فيكثر مالي فأتزوج ابنة الحجاج وتلد لي ولدا وآمرها يوما بشيء فلم تطع فارفسها هكذا ورفع رجله فكب اللبن فدخل الحجاج فضربه خمسين سوطا وقال ألست تفجعني في ابنتي لو فعلت بها هذا.

وقال آخر

لما بدا العارض في خده ... بشرت قلبي بالنعيم المقيم

وقلت هذا عارض ممطر ... فجاءني فيه العذاب الأليم

وأما الرضا بالدون من المحبوب والقناعة باليسير من المطلوب وإن طال الوعد وكثر الخضوع وامتد البعد وانسكبت الدموع فصفة العاشق القانع الملقى عن نفسه المطامع المنزه محبوبه عن التكليف. المشفق عليه من نحو التعنيف وقد اتصف به جم غزير عدوا فيه أقل القليل أكثر الكثير وليس في هذا النمط ألطف من جميل في قوله وإني لأرضى من بثينة الأبيات السابقة في قصته.

وقوله

ألست أرى النجم الذي هو طالع ... عليها فهذا للمحبين نافع

عسى يلتقي في الأفق طرفي وطرفها ... فيجمعنا إذ ليس في الأرض جامع

وقال بعض الأعراب

أليس الليل يجمع أم عمرو ... واباناا فذاك لنا تدانى

نعم وأرى الهلال كما تراه ... ويعلوها النهار كما علاني

وقال بعضهم

إلى الطائر النسر انظري كل ليلة ... فإني إليه بالعشية ناظر

عسى يلتقي طرفي وطرفك عنده ... فنشكو إليه ما تكن الضمائر

وقال بعض الأعراب

وما نلت منها وصلها غير أنني ... إذا هي بالت بلت حيث تبول

وقال بعضهم

وكن قنوعا فقد جرى مثل ... إن فاتك اللحم فاشرب المرقه

هذه إشارة إلى مثل يضرب للقناعة باليسير وأصله أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام أنت في ضيافتي بجميع عسكرك في جزيرة كذا فلما حضروا أخذ جراده ورمى بها في البحر وقال يا نبي الله من فاته اللحم فليشرب المرق فكان سليمان عليه السلام يضحك من ذلك إذا ذكره وعكس هؤلاء من مد إلى المحبوب باعه وأوسع آماله وأطماعه فلم يرض إلا بامتزاج الأشباح فضلا عن الأرواح والتأليف الذي لا يمكن تمييزه كالماء والراح حتى يراهما واحدا في العين الأحوال الذي يرى الشيء اثنين.

قال بعضهم

وكدت وهو ضجيعي أن أقول له ... من شدة الحب قد أبعدت فاقترب." (١)

"**وقيل لأعرابي**: من أبلغ الناس: قال: أقلهم لفظا، وأحسنهم بديهة.

قال الإمام فخر الدين الرازي في حد البلاغة: إنها بلوغ الرجل بعبارته. كنه ما يقول في قلبه، مع الاحتراز عن الإيجاز المخل والتطويل الممل.

قال فيلسوف: كما أن الآنية تمتحن بأطنانها فيعرف صحيحها ومكسورها فكذلك الإنسان يعرف حاله بمنطقه.

مر رجل على أبي بكر ومعه ثوب فقال له أبو بكر: أتبيعه؟ فقال: لا يرحمك الله، فقال أبو بكر: لو تستقيمون لقومت ألسنتكم، هلا قلت لا ويرحمك الله؟ ! .

قال كاتب الأحرف: إعتراض أبي بكر غير وارد على ذلك الرجل لاحتمال أن يكون قصده من قوله: لا يرحمك الله معنى غير محتاج إلى الواو فتأمل.

وحكي أن المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شيء. فقال: لا وأيد الله أيد الأمير فقال المأمون: ما أظرف هذا الواو وما أحسنها في موضعها.

وكان الصاحب يقول هذا الواو أحسن من واوات الأصداغ. قالت الأشاعرة: شكر المنعم ليس بواجب أصلا، ومثلوها بتمثيل، فقالوا: وما مثله إلا كمثل الفقير حضر مائدة ملك عظيم يملك البلاد شرقا وغربا يعم البلاد وهبا ونهبا فتصدق عليه بقلمة خبز، فطفق يذكره في المجامع، ويشكره عليها بتحريك أنملته دائما لأجله، فإنه يعد استهزاء بالملك، فكذا هنا، بل اللقمة بالنسبة إلى الملك وما يملكه أكثر مما أنعم الله به على العبد بالنسبة إلى الله وشكر العبد في قلتها أقل قدرا في جنب الله من شكر الفقير بتحريك أصبعه. وأتت المعتزلة بتمثيل آخر أحسن منه، فقالوا التمثيل المناسب للحال أن يقال: إذا كان في زاوية الخمول وهاوية الذهول رجل أخرس اللسان، مشلول اليدين والرجلين، فاقد السمع والبصر، بل لجميع الحواس الظاهرة والمشاعر الباطنة، فأخرجه الملك من تلك الهاوية، وتلطف عليه بإطلاق لسانه وإزالة شلل أعضائه، ووهب له الحواس لجلب المنافع ودفع المضار ورفع رتبته وكرمه على كثير من أتباعه وخدمه، ثم إن ذلك الرجل بعد وصول تلك النعم

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/١٧٢

الجليلة إليه، وفيضان تلك التكريمات عليه، طوى عن شكر ذلك الملك كشحا وضرب عنه صفحا ولم يظهر منه ما ينبيء عن الإشعار بشيء من تلك النعم أصلا، بل كان حاله قبلها كحاله بعدها من غير فرق بين وجودها وعدمها فلا ريب أنه مذموم بكل لسان ومستحق للإهانة والخذلان.

وحكي أن بعضهم دخل على عدوه من النصارى فقال له: أطال الله بقائك، وأقر عينك، وجعل يومي قبل يومك، والله إنه يسرني ما يسرك، فأحسن إليه وأجازه على دعائه وأمر له بصلة ولم يعرف لحن كلامه، فإنه كان دعا عليه؛ لأن معنى أطال الله بقائك لوقوع المنفعة للمسلمين به لأداء الجزية، وأقر عينك: معناه سكن الله حركتها فإذا سكنت،." (١)

"من كتاب عدة الداعي ونجاح الساعي قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه للمفضل بن صالح: يا مفضل إن لله عبادا عاملوه بخالص من سره فعاملهم بخالص من بره، فهم الذين تمر صحفهم يوم القيامة فرغا فإذا وقفوا بين يديه ملأها من سر ما أسروا إليه، قال: فقلت: مولاي ولم ذلك؟ قال: أجلهم أن تطلع الحفظة على ما بينه وبينهم.

قيل: قريبا من هذا المضمون، وأظنه بابا فغاني.

قيل لأعرابي: إن الله محاسبك غدا، فقال: سررتني يا هذا إذن إن الكريم إذا حاسب تفضل.

حكي أنه حاك بعض العارفين ثوبا وتأنق في صنعته فلما باعه رد عليه بعيوب فيه فبكى فقال المشتري: يا هذا لا تبك فقد رضيت به، فقال: ما بكائي لذلك بل لأني بالغت في صنعته وتأنقت فيه جهدي فرد علي بعيوب كانت خفية عني فأخاف أن يرد علي عملي الذي أنا أعمله هذا أربعين سنة.

قيل لبعض العارفين: كيف أصبحت؟ قال: أسفا على أمسي، كارها ليومي مهنا، لغدي.

صواب الرأي بالدول، ويذهب بذهابها.

شعر

أرى ناسا بأدنى الدين قد قنعوا ... ولا أراهم رضوا بالعيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك ... كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

إذا املقتم فتاجروا الله بالصدقة. من ظن بك خيرا فصدق ظنه. كفى بالأجل حارسا.

شتان بين عملين عمل تذهب لذته، وتبقى تبعته، وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره.

برهان على إبطال الجزء مما سنح بخاطر كاتب الأحرف نفرض دائرة مركبة من الأجزاء، ونخرج فيها خطين مارين بالمركز من طرفها جزء واحد من محيط الدائرة فهما متقاطعان على المركز، فالإنفراج الذي بينهما قبل التقاطع، إما أن يكون بقدر الجزء أو أكثر أو أقل، والكل باطل، لاستلزام الأول كون المتقاطعين متوازنين، والثاني كون المتقاربين في جهة المتباعدين فيها، والثالث الإنقسام.

من النهج والذي وسع سمعه الأصوات: ما من أحد أودع قلبا سرورا إلا وخلق الله." (٢)

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٢٨٣/١

(٢) الكشكول البهاء العاملي ٤٤/٢

"قال بعضهم: إن الأمل رفيق مؤنس، إن لم يبلغك فقد ألهاك.

مجنون ليلى:

(أماني من ليلى حسان كأنما ... سقتني بها ليلى على ظلما بردا)

(منى إن تكن حقا غاية المنى ... وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا)

لبعضهم:

(أعلل بالمنى قلبي لأني ... أذود الهم بالتعليل عني)

(وأعلم أن وصلك لا يرجى ... ولكن لا أقل من التمني)

قيل لأعرابي: ما لذة الدنيا؟ فقال في ثلاث: ممازحة الحبيب، ومحادثة الصديق، وأماني تقطع بها أيامك:

ابن أبي حازم:

(طب عن الأمة نفسا ... وارض بالوحدة أنسا)

(ما عليها أحد يسوى ... على الخبرة فلسا)

محمود الوراق:

(أظهروا للناس دينا ... وعلى المنقوش داروا)

(وله صلوا وصاموا ... وله حجوا وزاروا)

(لو علا فوق الثريا ... ولهم ريش لطاروا)

تركان: اسم امرأة فصيحة، جيدة الشعر، فمن شعرها إلى رجل خاشنها في كتابه كتبها إليها:

(قد راينا تنكرا ... وسمعنا تنقصا)

(وأتانا كتابكم ... أمس في كفه عصا)

(وتخرصتم الذنوب ... علينا تخرصا)

(فعلمنا بأنكم ... تشتهون التخلصا)

أمر بعض الخلفاء لبعض الفقهاء بكيس فيه دراهم، فقال: يا أمير المؤمنين آخذ الخيط؟ فقال له الخليفة: ضع الكيس.." (١)

"قال بوزرجمهر: من لم يكن له أخ يرجع إليه في أموره، ويبذل نفسه وما له في شدته فلا يعدن نفسه من الأحياء.

وقال بعض الحكماء: لا تساغ مرارة الحياة، إلا بحلاوة الإخوان الثقات. وقال بعضهم: من لقي الصديق الذي يفضي إليه بسره، فقد لقي السرور بأسره وخرج من عقال لهم بعمره.

وقيل: لقاء الخليل يفرج الكروب، وفراقه يقرح القلوب.

من كتاب أدب الكاتب يذهب الناس إلى أن الظل والفيء واحد، وليس كذلك: لأن الظل يكون من أول النهار إلى آخره

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٢/١٥٩

ومعنى الظل الستر، والفيء لا يكون إلا بعد الزوال ولا يقال لما كان قبل الزوال فيء، وإنما سمي فيئا: لأن الظل فاء من جانب إلى جانب: أي رجع من جانب المغرب إلى جانب المشرق، والفيء الرجوع قال الله تعالى: " حتى تفيء إلى أمر الله " أي ترجع.

قيل لأعرابي: كيف حالك؟ فقال: بخير أمزق ديني بالذنوب وأرقعه بالإستغفار وإليه ينظر قول الشاعر:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

لبعضهم

ولما توافينا بمنعرج اللوى بكيت إلى أن كدت بالدمع أشرق

فقالت أتبكي؟ ﴿والتواصل بيننا فقلت ألسنا بعده نتفرق؟﴾

قال بعضهم: عشيرتك من أحسن عشرتك، وعمك من عمك خيره، وقريبك من قرب منك نفعه.

قال ابن السكين: الشرف والمجد يكونان بالآباء، يقال رجل شريف ماجد أي له آباء متقدمون في النبالة والشأن، وأما الحسب والكرم فيكونان في الرجل وإن لم يكن له آباء ذو نبل وشرف.

لبعض الأعراب:

تسبق أموالنا مؤملنا ... لا يعترينا مطل ولا بخل

تسمح قبل السؤال أنفسنا ... بخلا على ماء وجه من يسل." (١)

"(فلما استهانوا بتوبيخنا ... فزعنا إلى الله حتى كفى)

(فماتوا على دين رسطاطليس ... ومتنا على ملة المصطفى)

قيل لأعرابي على مائدة بعض الخلفاء - وقد حضر فالوذج وهو يأكل منه - يا هذا، إنه لم يشبع منه أحد إلا مات، فأمسك يده ساعة، ثم ضرب بالخمس وقال: استوصوا بعيالي خيرا.

حكى الأصمعي قال: نزلت في بعض الأحياء، فنظرت إلى قطع من القديد منظومة في خيط، فأخذت في أكلها، فلما استوفيتها أقبلت المرأة صاحبة الخباء وقالت: أين ما كان في الخيط؟ فقلت: أكلته، فقال: ليس هذا مما يؤكل، إنني امرأة أخفض الجواري، وكلما خفضت جارية علقت خفضتها في هذا الخيط.

كان الجاحظ قبيح الصورة جدا، حتى قال الشاعر فيه:

(لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ... ما كان إلا دون قبح الجاحظ)

قال يوما لتلامذته: ما أخجلني إلا امرأة أتت بي إلى صائغ، فقالت: مثل هذا، فبقيت حائرا في كلامها، فلما ذهبت سألت الصائغ، فقال: استعملتني أن أصنع لها صورة جني فقلت: لا أدري كيف صورته، فأتت بك. .

جلس كسرى يوما للمظالم، فتقدم إليه رجل قصير وجعل يقول: أن مظلوم وهو لا يلتفت إليه، فقال الوزير: أنصف الرجل،

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ١٧٥/٢

فقال: إن القصير لا يظلمه أحد. فقال: أصلح الله الملك، إن الذي ظلمني أقصر مني.

قال حائك للأعمش: ما تقول في الصلاة خلف الحائك؟ قال: لا بأس بها على غير وضوء. قال: فما تقول في شهادته؟ قال: تقبل مع عدلين يشهدان معه.

لبعضهم:

(والله والله وحق الهوى ... وعيشنا الماضي وودي القديم)

(ما خطر السلوان في خاطري ... أعوذ بالله السميع العليم)

ولي أعرابي اليمن، فجمع اليهود فقال: ما تقولون في عيسى؟ قالوا: قتلناه وصلبناه، فقال: لا تخرجوا من السجن حتى تؤدوا ديته.

عزم الحجاج على قتل رجل فهرب واستخفى منه، ثم جاء إليه بعد أيام وقال: أيها." (١)

"(كن مثل ماش فوق أرض ... الشوك تحذر ما ترى)

(لا تحقرن صغيرة ... إن الجبال من الحصا)

قال رجل لبعض الظرفاء: ابتلاك الله بحب فلانة، وكانت قبيحة الشكل، فقال: يا أحمق، لو ابتليت بحبها لكانت أحسن في عيني من الحور العين.

قال مالك بن دينار لراهب: عظني، فقال إن قدرت أن تجعل بينك وبين الناس سورا فافعل.

كان بعضهم يقول: اللهم احفظني من صديقي، فقيل له: في ذلك، فقال: لأني أتحرز من العدو، ولا أقدر أن أتحرز من الصديق.

قال في الكشاف: قيل لإبراهيم بن أدهم: مالنا ندعو ولا نجاب؟ فقال لأنه دعاكم فلم تجيبوه، ثم قرأ: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ . ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ .

سئل سقراط: ما سبب فرط نشاطك وقلة حزنك؟ فقال: لأني لا أقتني ما إذا فقدته حزنت عليه.

لبعضهم:

(كم تدعي بطريق القوم معرفة ... وأنت منقطع والقوم قد وصلوا)

(فانهض إلى ذروة العلياء مبتدرا ... عزما لترقى مكانا دونه زحل)

(فإن ظفرت به قد حزت مكرمة ... بقاؤها ببقاء الله متصل)

(وإن قضيت بهم وجدا فأحسن ما ... يقال عنك قضى من وجده الرجل)

من وصية للنبي [- صلى الله عليه وسلم -] : إن النور إذا وقع في القلب انشرح وانفسخ، قيل يا رسول الله فهل لذلك علامة؟ فقال: نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله.

ابن مسعود: من اشتاق إلى الجنة نازع في الخيرات، ومن خاف النار ترك الشهوات. ومن ترقب الموت زهد في الدنيا وهانت

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٢/٢٥٦

عليه المصيبات.

قال بعض العارفين: من استثقل سماع الحق كان للعمل به أشد استثقالا.

قيل لأعرابي: ما تقرأ في صلاتك؟ قال: هجو أبي لهب ونسبة الرب، أي سورة الإخلاص.." [1]

"١٢٠٦ – (أغبط) لفظ رواية الترمذي إن أغبط (الناس) اسم تفضيل مبني للمفعول من غبط أي أحقهم (عندي) بأن يغبط أي يتمنى مثل حاله ونص على العندية تأكيدا لاستحسان ذلك وجزما بأغبطية من هذا حاله (مؤمن) لفظ رواية الترمذي لمؤمن بزيادة اللام أي موصوف بأنه (خفيف الحاذ) بحاء مهملة وذال معجمة مخففة أي خفيف الظهر من العيال والمال بأن يكون قليلهما والغبطة تمني أن يكون لك مثل ماله ويدوم عليه ما هو فيه. قال الزركشي في اللآلىء: وأصل الحاذ طريقة المتن وهو ما يقع عليه اللبد من متن الفرس ضرب به المصطفى صلى الله عليه وسلم المثل لقلة ماله وعياله انتهى (ذو حظ من صلاة) أي ذو نصيب وافر منها من مزيد النوافل والتجهد (وكان رزقه كفافا) أي كافا عن الحاجة يعني بقدر حاجته لا ينقص ولا يزيد بل يكفيه على وجه التقنع والتقشف لا التبسط والتوسع كما يفيده قوله (فصبر عليه) أي حبس نفسه على القناعة به غير ناظر إلى توسع أبناء الدنيا في المطاعم والملابس ونحوها (حتى يلقى الله) أي إلى أن يموت فيلقاه (وأحسن عبادة ربه) بأن أتى بها بكمال الواجبات والمندوبات ونص على الصلاة مع دخولها فيها اهتماما بها لكونها أفضلها وخص الرب إشارة إلى أنه إذا أحسنها أحسن إليه بالقبول والتربية. ألا ترى إلى قوله في الحديث الآتي إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه ويربيها كما يربي أحدكم مهره حتى أن اللقمة لتصير مثل أحدا (وكان غامضا) بغين وضاد معجمتين أي خاملا لا يعرفه كل أحد وروي بصاد مهملة وهو فاعل بمعنى مفعول أي محتقرا (في أعين الناس عجلت منيته) أي كان قبض روحه سهلا لأن من كثر ماله وعياله شق عليه الموت لالتفاته إلى ما خلف وطموحه إلى طيب العيش ولذة الدنيا والمنية الموت وسمي منية لأنه مقدر بوقت مخصوص (وقل ترابه) بمثناة فوقية مضمومة مبدلة من أو ثم مثلثة أي ميراثه (وقلت) وفي رواية فقلت (بواكيه) لقلة عياله وهوانه عليهم وهو جمع باكية ومنه حديث " اللهم غبطا لا هبطا " أي أسألك منزلة أغبط عليها لا ما يهبطني فمن قلت بواكيه وشكرت مساعيه وأنطق الله الألسنة بالثناء فيه فخليق بأن يغبط وإنما كان قليل العيال والمال أغبط من غيره لأن الأولاد من أعدى أعداء الإنسان وكثرة المال تحمله على الطغيان فإن فرض عدمه فذلك ضار له بطول وقوفه للحساب عليه حتى يسبقه الفقير إلى الجنة بخمس مئة عام وإن فرض وجود عيال تحمل الرجل على فعل ممنوع شرعا وقد كفاه غيره مؤنتهم لكن ما يعرض من حادث سرور أو شرور يشغله الالتفات له عن التفرغ لعبادة ربه وفيه حث على الخفاء وعدم الشهرة قال في الحكم ادفن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه وقيل لأعرابي من أنعم الناس عيشا قال أنا؟ قيل فما بال الخليفة فقال:

وما العيش إلا في الخمول مع الغنى. . . وعافية تغدو بها وتروح

والخمول واجب في ابتداء السلوك عند الصوفية محبوب في غيره وتختلف باختلاف المقامات فخمول المريد عزلته عن الناس وخروجه عن أوصافه النفسانية بحيث لم يبق له ملكا ولا سلكا ولا علما ولا عملا ولا جاها ولا وجهة ولا قولا ولا فعلا

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٢/٢٧١

وعلى أساس هذا الخمول تبنى قلعة التحصن من جند عدو النفس الشيطانية وخمول السالك إخفاء أفعاله الحسنة المتقرب بها إلى الحق فإظهار ما يناقضها حرصا على الرقي والخلاص إلى مقام الصدق بالإخلاص وهذا التستر محمود عند ذوي الحقيقة معظم بين أهل الطريقة حتى قالوا الخمول نعمة وكل الناس تأباه والظهور نقمة وكل الناس -[١٥]- تتمناه والظهور يقطع الظهور وفيه حجة لمن فضل الفقير على الغني

(حم ت) في الزهد (ك هب) وكذا أبو نعيم (عن أبي أمامة) قال الزركشي في اللآلىء بعد عزوه للترمذي: إسناده ضعيف وقال الصدر المناوي فيه علي بن زيد وهو ضعيف." (١)

"بمعنى فتل وطوي وإدراج بكسر الهمزة مصدر تشبيهي أي كإدراج الطلق والطلق بفتحتين قيد من جلود وصف هذا الحمار بالضمر واكتناز الخلق وذلك أشد لعدوه

(لوح منه بعد بدن وسنق)

يقال لاحه السفر ولوحه غيره وأضمره وضمير منه لجادر الليتين وفاعل لوح قود ثمان في البيت الثالث بعد هذا ومن للتبعيض وبدن بضم فسكون وبضمتين السمن والاكتناز تقول منه بدن الرجل بالفتح يبدن بدنا بالضم فيهما إذا ضخم وكذلك بدن بدانة فهو بادن وامرأة بادن أيضا في الصحاح والسنق بفتحتين البشم يقال شرب الفصيل حتى سنق بالكسر يسنق بالفتح وهو كالتخمة قال الأصمعي والسنق كراهة الطعام من كثرته على الإنسان حتى لا يشتهيه قيل لأعرابية أترين أحدا لا يشتهي الخبيص قالت ومن لا يشتهيه إلا من سنق منه

(من طول تعداء الربيع في الأنق)

هذا علة للسنق والأنق بفتحتين الإعجاب بالشيء تقول أنقت به من باب فرح فأنا به أنق أي معجب وقال الأصمعي الأنق المنظر المعجب ومنه أنيق يعني أنه سنق من طول ما عدا في الربيع في مكان أنيق

(تلويحك الضامر يطوى للسبق)

تلويحك مصدر تشبيهي منصوب بلوح المذكور قبل وهو مضاف إلى الفاعل والضامر مفعول به يقول كما تلوح أنت الفرس الضامر تريد أن تسابق عليه ويطوى يجوع ويضمر بالبناء للمفعول والسبق بفتحتين والسبقة بالضم مثله الخطر والرهن الذي يوضع بين أهل السباق والجمع أسباق ...." (٢)

"يتمكن فيها صاحبها غير مؤذى ولا ناب به موضعه. والتوطئة التذليل والتمهيد يقال دابة وطئ يا فتى وهو الذي لا يحرك راكبه في مسيره وفراش وطئ إذا كان وثيرا لا يؤذي جنب النائم عليه.

قال أبو العباس: حدثني العباس بن الفرج الرياشي قال: حدثني الأصمعي قال: قيل لأعرابي وهو المنتجع بن نبهان: ما السميدع فقال: السيد الموطأ الأكناف. وتأويل الأكناف: الجوانب يقال في المثل: فلان في كنف فلان كما يقال فلان في ظل فلان وفي ذرا فلان وفي ناحية فلان وفي والثقة: مصدر وثقت به أثق بكسرهما: إذا ائتمنته. والأخ يستعمل بمعنى الملازم

---

(١) فيض القدير المناوي ٢/١٤

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١/٨٧

والمداوم.

والحقيقة: ما يحق على الرجل أن يحميه. والباسل: الشجيع الشديد الذي يمتنع أن يأخذه أحد في الحرب والمصدر البسالة وفعله بسل بالضم. وأراد بصاحب هذه الصفات الفاضلة محمدا صلى الله عليه وسلم .

(وما ترك قوم لا أبا لك سيدا ... يحوط الذمار غير ذرب مواكل)

ما: استفهامية تعجبية مبتدأ عند سيبويه وترك: خبر المبتدأ وعند الأخفش بالعكس. وقوله: لا أبا لك يستعمل كناية عن المدح والذم ووجه الأول: أن يراد نفي نظير الممدوح بنفي أبيه ووجه الثاني: أن يراد أنه مجهول النسب والمعنيان محتملان هنا. والسيد من السيادة وهو المجد والشرف. وحاطه يحوطه حوطا. رعاه وفي الصحاح: وقولهم فلان حامي الذمار أي إذا ذمر وغضب حمي وفلان أمنع ذمارا من فلان. ويقال الذمار: ما وراء الرجل مما يحق عليه أن)

يحميه لأنهم قالوا: حلمي الذمار كما قالوا حامي الحقيقة.." (١)

"وأنشد بعده

٣ - (الشاهد التاسع والثلاثون بعد الخمسمائة)

وهو من شواهد س: الرجز بنات ألبي على أنه إذا سمي ب ألبب يبقى الفك ولا يدغم وهو بفتح الهمزة وسكون اللام وضم الموحدة الأولى.

وهذا قطعة من بيت وهو: الرجز قال صاحب الصحاح: وبنات ألبب: عروق في القلب تكون فيها الرقة. وقيل لأعرابية تعاتب ابنا لها: ما لك لا تدعين عليه قالت: تأبى له ذاك بنات ألببي والذي أورده سيبويه: الرجز قد علمت ذاك بنات ألببه قال: وإذا سميت رجلا بألبب من قولك: قد علمت ذاك بنات ألببه

تركته على حاله لأن هذا اسم جاء على الأصل كما قالوا: رجاء بن حيوة وكما قالوا: ضيون. فجاؤوا به على الأصل. وربما جاءت العرب." (٢)

"وقال المتلمس:

إن الهمان حمار الذل يألفه ... والحر ينكره والفيل والأسد

ولا يقيم بدار الذل يألفها ... إلا الأذلان: عير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يرثي له أحد

وقال أبن قلاقس:

إن مقام المرء في بيته ... مثل مقام الميت في لحده

فواصل الرحلة نحو الغنى ... فالسيف لا يقطع في غمده

والنار لا يحرق مشبوبها ... إلا إذا ما طار عن زنده

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٦٦/٢

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٤٥/٧

غيره:

قد تعففت وارتضيت بترفيع ... زماني وقلت إني وحدي

لا لأني أنفت مع ذا من الكد ... ية أين الكرام حتى أكدي

وقال أبو دلف:

أطيب الطيبات قتل الأعادي ... واختيالي على متون الجياد

ورسول يأتي بوعد حبيب ... وحبيب يأتي بلا ميعادي

وسببه أنه قد قيل لأعرابي: ما أمتع لذات الدنيا؟ فقال: بيضاء رعبوبة بالشحم مكروبة بالمسك مشبوبة. وسئل الأعشى فقال: صهباء صافية يمزجها ساقية من صوب غادية. وسئل طرفة عن ذلك فقال: مركب وطي وثوب بهي وطعام شهي. قال بعضهم: فحدثت بذلك أبا دلف فقال: أطيب الطيبات. . البيتين وقال: وحدثت بذلك حميدا الطوسي فقال:

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى ... وجدك لم أحفل متى قام عودي

فمنهن سبق العاذلات بشربة ... كميت متى ما تعل بالماء تزبد

وكري إذا نادى المضاف مجنبا ... كسيد الغضى نبهته المتورد

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ... ببهكنة تحت الطرف النعمد." (١)

"الجيم مع الميم

٣٥٨٣ - " جمال الرجل فصاحة لسانه". القضاعي عن جابر.

(جمال الرجل) الجمال له تفاسير أحسنها أنه يناسب الشكل واللون مع السلامة من العيوب وأخبر - صلى الله عليه وسلم - أن جمال الرجل: (فصاحة لسانه) فإنها الذي يعلوا به قدره ويشيع به ذكره ولذا قيل: الرجل بأصغريه قلبه ولسانه وقال بعضهم: ما رأيت على امرأة لباسا أحسن من شحم ولا على رجل أحسن من فصاحة وقيل: يقال: مرؤتان ظاهرتان الرياسة والفصاحة ومن كلام الوصي (١) كرم الله وجهه: المرء مخبوء تحت لسانه، وقال يحيى بن خالد: ما رأيت رجلا إلا أهبته حتى يتكلم فإن كان فصيحا عظم في عيني وصدري وإن قصر سقط من عيني والفصاحة لها حدود فعند أهل البيان أنها في المتكلم ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح، وقيل لأعرابي: من أبلغ الناس؟ قال: أحسنهم لفظا وأسرعهم بديهة، ووقف أعرابي على ربيعة الرأي وقد تكلم فأكثر فظن أن وقوفه لإعجابه بكلامه فقال: يا أعرابي ما البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز في الصواب قال: فما العي؟ قال: ما أنت فيه مذ اليوم، وقال القبعثري وقد سئل عن أوجز الكلام فقال: أن لا يخطئ ولا يبطئ، وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: بصحيح الأقسام واجتياز الكلام، وقيل: لآخر من أبلغ الناس؟ قال من ترك الفضول واقتصر على الإيجاز، وقال جعفر بن يحيى: إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيرا وإذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عيا، يريد أن لكل مقام مقالا بالأولى

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٢/٣٠١

(١) قد تكلمت على إطلاق الوصي على علي بن أبي طالب رضي الله عنه حسب مفهومهم واعتقادهم في المقدمة وأنه لا يجوز إطلاقه عليه على ضوء معتقدهم.." (١)

"ولسان في القضايا ذرب ... ينطق الفصل إذا الفصل تردد

وبيان لو يجاري سحره ... سحر هاروت وماروت لبلد

عقد الألباب تنحل به ... وبه ينتظم الأمر فيعقد

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الجمال في اللسان.

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: من طال لسانه وحسن بيانه فليترك التحدث بغرائب ما سمع، فإن الحسد لحسن ما يظهر منه يحمل أكثر الناس على تكذيبه.

وقال: المرء مخبو تحت لسانه.

وقال بعضهم:

كفى بالمرء عيبا أن تراه ... له وجه وليس له لسان

وقالت الحكماء: الصورة الحسنة بلا منطق حسن كالبيت الحسن ليس به ساكن.

وقيل: المرء بأصغريه قلبه ولسانه.

وقيل: المرء مخبو تحت طي لسانه لا طيلسانه.

وقال خالد بن صفوان: ما الإنسان لولا اللسان إلا ضالة مهملة أو بهيمة مرسلة.

وقيل: دخل بعض الفصحاء على بعض الامراء فازدراه لدمامته وقال: لإن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، فقال: مهلا أيها الأمير، فإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، إن تكلم تكلم بلسان وإن قاتل قاتل بجنان، ثم أنشأ يقول:

وما المرء إلا الأصغران لسانه ... ومعقوله والجسم خلق مصور

فإن غرة راقتك منه فربما ... أمر مذاق العود والعود أخضر

وأنشد أيضا:

وكائن ترى من صامت لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وحسبك شاهدا في هذا المقام بالحكاية التي تقدمت في نقل ما جرى بين شريك بن الأعور ومعاوية بن أبي سفيان، وقوله في آخر كلامه:

أيشتمني معاوية بن حرب ... وسيفي صارم ومعي لساني

فقوله: وسيفي صارم ومعي لساني يشبه الكلام الذي مر في قولهم: إن تكلم تكلم بلسان وإن قاتل قاتل بجنان، ويشبهه قول مهيار:

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٥/٢٧٤

مالي أذل وسيف نصري في فمي ... والمجد يحفظ سارحي وغريبي

وقول الآخر وهو من شعراء اليتيمة:

وإذا السيوف قطعن كل ضريبة ... قطع السيوف القاطعات لساني

وقول السيد الرضي:

ومقولي كالسيف يحتمى به ... أشوس إباء على المقاول

وقوله أيضا:

ما مقامي على الهوان وعندي ... مقول صارم وأنف حمي

وإباء محلق بي عن الضيم ... كما راغ طائر وحشي

وقوله أيضا:

إن لم تكن في الجمع أمضى طعنة ... فلأنت أنفذ خطبة في المجمع

بنوافذ للقول يبلغ وقعها ... ماليس يبلغ بالرماح الشرع

وقوله في رثاء الحسين بن الحجاج:

وما كنت أحسب أن المنون ... تفل مضارب ذاك اللسان

لسان هو الأرزق القعضبي ... تمضمض في ريقة الأفعوان

وقول مهيار:

من طاعني ثغر الخطوب ... بكل سكيت مفوه

أمراء معركة الخطابة ... فاتحو الشبهات عنوه

في كل جلسة كاتب ... منهم إلى الأعداء غزوه

والشعر في هذا الباب كثير جدا، وأقول: إنما يشبه اللسان بالسيف تاره وبالسنان أخرى لأن بعض الكلام الذي هو أثر اللسان وصفته له تأثير في النفوس كتأثير الجرح الحاصل من السنان والسيف، قال الشاعر:

جرحات السنان لها التئام ... ولا يلتام ما جرح اللسان

وفي بعض النسخ "الكلام" بدل اللسان وهو أولى إن كان البيت استهلالا من حيث يكون مصراعا.

ولا بأس بإيراد شيء مما ورد من الكلام المنثور في البلاغة والكلام البليغ والمتكلم البليغ: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: البلاغة النصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، ومن النصر بالحجة أن يدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإيضاح أوعر طريقه، وكانت الكناية أبلغ في الدرك وأحق بالظفر.

وقيل لأعرابي: ما البلاغة؟ قال: الإيجاز من غير عجز، والإطناب من غير خطل.

وقيل لابن المقفع: ما البلاغة؟ قال: هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها.

وقال معاوية للضحاك العبدي: ما البلاغة؟ قال: أن تجيب فلا تخطي، وتقول فلا تبطي. فقال: أكذلك أنت؟ قال: أقلني

يا أميرالمؤمنين، البلاغة أن لا تخطي ولا تبطي.

وقال عبد الحميد الكاتب: البلاغة ما فهمته العامة ورضيته الخاصة.

وقيل لكلثوم بن عمرو الغساني: ما البلاغة؟ فقال: ما أفهمك لفظه من غير إعادة ولا حبسه.." (١)

"وقيل لأعرابي: ما البلاغة؟ قال: السلاطة والجزالة.

وقال آخر: البلاغة التقرب من البعيد والتباعد من الكلفة، والدلالة من القليل على الكثير.

ومن مختار قول الثعالبي في هذا الباب: أبلغ الكلام ما حسن إيجازه وقل مجازه وكثر إعجازه وتناسبت صدوره وإعجازه.

وقال: رب كلام له حسن الوجوه الصباح، وسحر الحدق الملاح.

وقال في صفة البليغ: البليغ من يبلغ الأغراض البعيدة بالألفاظ القريبة.

وقيل: البليغ من إذا نطق طبق المفصل، وإذا كتب نسق الدر المفصل.

نبذة فيما ورد لبعضهم من الكلام البليغ قيل لأعرابي: إنك لكذوب خوار، فقال: والله إني لأصدق من قطاة، وأصلب من صفاة.

وقال آخر: يكتفي اللبيب بوحي الحديث، وينبو البيان عن قلب الجاهل.

وذكر أعرابي محلة قوم فقال: ارتحلت عنها ربات الخدور، وأقامت بها رواحل القدور، ولقد كانوا يعفون آثار الرياح، فعفت آثارهم فذهبت بأبدانهم وبقت ديارهم، فالعهد قريب واللقاء بعيد.

ودعى آخر على رجل فقال: اللهم اجعل معيشته السؤال، ومنيته الهزال، ولبوسه العار، ومصيره إلى النار، وأقلل عدده، وأفني مدده.

ودعت أعرابية على زوجها فقالت: ضربك الله بداء لا يكون له دواء إلا أبوال القطا.

وسئل أعرابي عن بلدين كم بينهما؟ قال: أديم يوم وعمر ليله.

ودخل خالد بن صفوان على أبي العباس السفاح وعنده أخواله من بني الحرث ابن كعب، فقال: ما تقول يا خالد في أخوالي؟ فقال: هم هامة الشرف، وعرنين الكرم، إن فيهم خصالا ما اجتمعت في غيرهم من قومهم، إنهم لأطولهم أمما، وأضربهم قمما، وأكرمهم شيما، وأطيبهم طعما، وأوفاهم ذمما، وأبعدهم هما، هم الجمرة في الحرب، والرفد في الجدب، والرأس في كل خطب، وغيرهم بمنزلة العجب. فقال السفاح: لقد وصفت يابن صفوان فأحسنت، فزاد أخواله في الإفتخار، فغضب أبوالعباس لأعمامه فقال: أفخر يا خالد، قال: أو على أخوال أميرالمؤمنين؟ قال: وأنت من أعمامه، فقال: كيف أفاخر قوما هم بين ناسج برد وسائس قرد ودابغ جلد، دل عليهم هدهد وأغرقهم جرد وملكتهم أم ولد، فتهلل وجه أبي العباس. قال الجاحظ وقد ذكر كلام خالد هذا: والله لو فكر في جميع معائبهم واحتضار اللفظ في مثالهم بعد ذلك المدح المهذب حولا كاملا لكان قليلا، فكيف وهو على بديهته لم يرض فكرا ولم يجهد خاطرا.

ومثله ما روي أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم التميميان، فقال له

---

(١) العقد المفصل حيدر الحلي ص/١٦

الزبرقان: يا رسول الله أنا سيد تميم المطاع فيهم والمجاب منهم، آخذ لهم الحق وأمنعهم من الظلم، وهذا يعلم ذلك مني؛ يعني عمروا، فقال: أجل يا رسول الله، إنه لمانع لحوزته، مطاع في عشيرته. فقال الزبرقان: لقد علم أكثر مما قال، ولكنه حسدني شرفي، فقال عمرو: أما لئن قال ذلك ما علمته إلا ضيق العطن، زمر المروة، أحمق الأب، لئيم الخال، حديث الغنى. فتبين الكراهة في وجه رسول الله لاختلاف قوله، فقال: يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت، وعضبت فقلت أقبح ما علمت، ولقد صدقت في الاولى وما كذبت في الاخرى. فقال النبي عند ذلك: إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحمة.

وتظلم رجل إلى المأمون من عامل له، فقال: يا أميرالمؤمنين ما ترك لنا ذهبا إلا ذهب به، ولا فضة إلا فضها، ولا غلة إلا غلها، ولا ضيعة إلا أضاعها، ولا علقا إلا علقه، ولا عرضا إلا عرض له، ولا ماشية إلا أمتشها، ولا جليلا إلا أجلاه، ولا دقيقا إلا دقه، فعجب المأمون من فصاحته وكشف ظلامته.

وقال المنصور لمعن بن زائدة الشيباني: كبرت يا معن؟ قال: في طاعتك يا أميرالمؤمنين. قال: وإن فيك لبقية، قال: هي لك يا أميرالمؤمنين. قال: وإنك لجلد، قال: على أعدائك يا أميرالمؤمنين. قال: أي الدولتين أحب إليك: دولتنا أم دولة بني أمية؟ قال: ذلك إليك؛ إن زاد إحسانك على إحسانهم فدولتك أحب إلي وإن نقص عنه فدولتهم أخف علي.

وقال المنصور لإسحاق بن مسلم: أفرطت في وفائك لبني أمية؟! فقال: يا أميرالمؤمنين من وفى لمن لا يرجى كان لمن يرجى أوفى، قال: صدقت.." (١)

"وقال الأصمعي: تزوجت أعرابية غلاما من الحي، فقال لها: يا واسعة، يعيرها بذلك، فقالت بديهة:

إني تنقيت من بعد الخليل فتى ... مرزءا ماله عقل ولا باه

ما غرني فيه إلا حسن نقبته ... ومنطق لنساء الحي تياه

فقال لما خلا بي أنت واسعة ... وذاك من خجل مني تغشاه

فقلت لما أعاد القول ثانية ... أنت الفداء لمن قد كان يملاه

وتزوج بعضهم امرأة، فسئل عنها بعد أيام، فقال: فيها خصلتان من خصال البرد والسعة.

وقيل: إن رجلا كان يدل بعضم الأير، فقال يوما لامرأة واقعها وأعجبه ما معها: هل خرج من خلفك؟ فقالت له: وهل دخل الآن.

وحكي ما هذا مضمونه أن رجلا أراد شراء جارية فسألها: كم دفعوا فيك؟ فقالت: وما يعلم ...

ودخلت جارية على راشد في رسالة من مولاتها إليه، فرأت حمارا قد أدلى، فبهتت وقالت: تقول لكم مولاتي كيف أير حماركم؟ فقال راشد: قائم ...

وقيل: تزوج رجل صغير الأير امرأة، فلما واقعها اعتذر إليها، قال: إن كان أيري صغيرا فهو ذكي، فقالت: ليته كان كبيرا أبله.

وقال بعضهم:

---

(١) العقد المفصل حيدر الحلي ص/١٧

وفيشة ليست كهذي الفيش ... قد ملئت من خرق وطيش

إذا بدت قلت أمير الجيش ... من ذاقها يعرف طعم العيش

ويقال: دب رجل على امرأة، فانتبهت مذعورة، فقال لها: ما تأمرين، أخرجه؟ قالت: لا دعه يذهب ويجيء حتى أفكر.

أقول: وميل النساء وشغفهن بذلك معروف، ولهن في الإشتياق إلى الرجال من النثر والنظم ما لا يحصى.

قيل لأعرابية: أي الأيور أحب إليك؟ قالت: الشديد أسره، العظيم نشره، البطي فتره، الكثير غزره، الذي إن أصاب حفر، وإن أخطأ عقر.

ولبعض نساء العرب من رائق النظم قولها:

أيا أخوي اللائمي على الهوى ... أعيذكما بالله من مثل مابيا

سألتكما بالله إلا جعلتما ... مكان الأذى واللوم أن تاوياليا

ويا أمتا حب الهلالي قاتلي ... سطون النوى لا زال عني نائيا

أشم كغصن البان جعد مرجل ... شغفت به لو كان شيئا مدانيا

فإن لم أوسد ساعدي بعد هجعة ... غلاما هلاليا فشلت بنانيا

ثكلت أبي إن كنت ذقت كريقه ... سلافا ولا ماء الغمامة صافيا

ونظير قولها: أشم كغصن البان الخ ما قالته بعض بنات العرب فيما حكي أنه كان لذي الإصبع بنات أربع، فعرض عليهن أن يزوجهن، فأبين وقلت: خدمتك وقربك أحب إلينا، ثم تشرف عليهن حيث لا يرينه، فقلن: لتقل كل واحدة ما في نفسها، قالت الكبرى:

ألا هل أراها ليلة وضجيعها ... أشم كنصل السيف غير مهند

عليم بأدواء النساء واصله ... إذا ما انتمى من سر أهلي ومحتدي

فقلن لها: أنت تريدين ذا قرابة قد عرفته، ثم قالت الثانية:

ألا ليت زوجي من أناس ذوي عدا ... حديث الشباب طيب الثوب والعطر

لصوق بأكباد النساء كأنه ... خليفة جلن لا ينام على وتر

فقلن لها: أنت تريدين فتى غنيا ليس من أهلك، ثم قالت الثالثة:

ألا ليته يكسي الجمال نديه ... له جفنة تشقى بها المعز والجزر

له حكمات الدهر من غير كبرة ... تشين فلا فان ولا ضرع غمر." (١)

"والمماطر الممطر ثوب صوف يتوقى به من المطر كالممطر.

والأزفان الزفن ظلة يتخذونها فوق سطوحهم تقيهم من حر البحر ونداه.

والسرادقات السرادق الذي يمد فوق صحن البيت والبيت من الكرسف ولابد كذلك من اتخاذ النسيفة للحمام وهي حجارة

---

(١) العقد المفصل حيدر الحلي ص/١٦٥

سود ذات نخاريب يحك بها الرجل.

ثم تزين تلك الدار السعيدة بالفسيفساء والسرنج. الفسيفساء ألوان من الخرز تركب في حيطان البيوت من داخل والسرنج شيء من الصنعة كالفسيفساء وبسرر مرملة أي مزينة بالجواهر ونحوها وبحجلات ومنصات وبأرائك وعروش وكراسي وطوارق من العاج "عظم الفيل".

والساج شجر.

والشيزي خشب أسود للقصاع أو هو الآبنوس أو الساسم أو خشب الجوز والسمر شجر معروف.

والنضار خشب للأواني.

والعيزار شجر.

والضبار شجر البلوط.

والساسم شجر اسود أو الأبنوس.

والثوع شجر جيلي يسمو.

والشوحط شجر تتخذ منه القسي أو ضرب من النبع.

والضبر شجر جوز البر.

والصومر شجر الباذورج.

والصنار الدلب.

والسلام شجر. قيل لأعرابي السلام عليك قال الجثجات عليك قيل ما هذا جواب قال هما شجران مران وأنت جعلت علي واحدا فجعلت عليك الآخر.

والكنهبل شجر عظام.

والبقس شجر كالاس ورقا وحبا أو هو الشمشاذ.

والنشم شجر للقسي.

والضال السدر البري وشجر آخر.

والبقش شجر يقال له بالفارسية خوش ساي.

والنبش شجر كالصنوبر ارزن من الآبنوس.

والشحس شجر صلب.

والميس شجر عظام.

والوعس شجر يعمل منه البرابط والأعواد.

والقطف شجر جبلي خشبه متين.

ثم تزين بقوارير من البلور.

والقطر ضرب من النحاس.
والقلز النحاس الذي لا يعمل في الحديد.
والفلز نحاس ابيض تجعل منه القدور المفرغة أو والبلنط كجعفر شيء كالرخام إلا أنه دونه في اللين.
والبلق حجارة باليمن تضيء ما وراءها كالزجاج.
والحكك حجر أبيض كالرخام.
والنهاء حجر أبيض أرخى من الرخام.
والمهل اسم يجمع معدنيات الجواهر كالفضة والحديد ونحوهما.
والهيصم ضرب من الحجارة أملس.
ثم تمام زينة هذا المكان الشريف وثاب محشو بالعشر والحريملة. الوثاب السرير والفراش. والعشر شجر يحشى في المخاد ويخرج من زهره وشعبه سكر. والحريملة شجرة تنشق جراوها عن ألين قطن ويحشى به مخاد الملوك غير أني ارتكبت هنا غلطا فاحشا في تأخيري في ذكر الفراش وهو أول ما يخطر ببال المرأة عند دخولها بلدا وهنا تم أثاث الدار. وفكرك لم يزل مشغولا بالحمار.

القسم الخامس في عمل الثياب
الثرقبية وهي ثياب بيض من كتان مصر.
والجلباب القميص وثوب واسع للمرأة.
والسكب ضرب من الثياب.
والسلاب الثياب السود.
والقصب ثياب ناعمة من كتان.
واللبيبة ثوب كالبقيرة.
والنقبة ثوب كالإزار.
والبظماج ما كان أحد طرفيه مخملا أو وسطة مخمل وطرفاه منيران.
والمعرجة المخططة في التواء.
والموثوجة ثياب رخوة الغزل والنسيج.
والهبرج الموشى من الثياب.
والمترحة المترح من الثياب ما صبغ صبغا مشبعا.
والوجيح الصفيق من الثياب.
والخوخة ضرب من الثياب اخضر.
والوليخ ثوب من كتان.
والثفافيد ضرب من الثياب.

والجماد ضرب من الثياب.

والمعضدة المعضد ثوب له علم في موضع العضد.

والفرند ثوب م.

والمقرمدة ثوب مقرمد مطلي بشبه الزعفران.

والمجسدة المصبوغة بالزعفران.

والمقدية ثياب م.

والهردية المصبوغة بعروق الهرد.

واللاذة ثوب حرير صيني.

والبقطرية الثياب البيض الواسعة.

والحصير ثوب مزخرف موسى إذا نشر أخذت القلوب مآخذه لحسنه.

والخسروانية نوع من الثياب.

والدثار ما فوق الشعار من الثياب.

والسابرية الثياب الرقيقة الجيدة.

والمسيرة المسير ثوب فيه خيوط.

والصدرة ثوب م.

والصدار ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشي الصدر.

والعبقرية عبقر بلدة ثيابها في غاية الحسن.

والمعجز ثوب تعتجر به المرأة وثوب يماني.

والعشارية ثوب عشاري طوله عشرة أذرع.

والعقار ضرب من الثياب احمر.

والقبطرية ثياب كتان بيض.

والمرمر ضرب من تقطيع ثياب النساء.

والمنيرة المنسوجة على نيرين.

والباغزية ثياب من الخز أو كالحرير.

والتوزية منسوبة.." (١)

"لا تعلق للعشاق بهما على ما اخترناه، وبعضهم يرى أن الثلاثة الأول من متعلقات العشق، ويجمع بين الكلامين بتفاوت المراتب. وهذا القسم لا علاج له أصلا إلا بالإرادة الإلهية. ثم هجر المحب الصادق، قد يؤول الأمر فيه بالعاشق

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/١٢٣

إلى أن يخرج كلامه مخرج الدعاء عليه، ويكون في الحقيقة ثناء لديه، وقد يستخير عند تمادي الجر وحكم الغرام حلول رمسه، فيجعل ذلك الدعاء على نفسه، ثم يتمادى الهجر ولا يسمع الدعاء، ويعز الوصل ويصعب الرضاء، فيأخذ العاشق في سح الدموع، والانحطاط من أوج الارتفاع إلى حضيض الخضوع، وأما نفي كدر الهم والصدود، باستجلاب الأماني والوعود، والتعلل بالأماني، والطمع في التهاني، فهو أصل انقسمت فيه العشاق إلى قسمين: قسم وفى له محبوبه، وحصل له بعد الوعد مطلوبه، وهو العزيز النادر، وغير الوافي الوافر، وقسم مات بغصته، وحالت المنية بينه وبين أمنيته، وانتهاز فرصته، وأعجب ما فيه أن الراضين به مع العلم بزوره أكثر العشاق، وأغلب من نودي عليه في هذه الأسواق، والمترسمة أكثروا في هذا الباب الأقوال، واختلفوا باختلاف الأحوال. ومن كلام أفلاطون: الأماني حلم المستيقظ، وسلوة المحروم. وقال غيره: التمني مؤنس، إن لم ينفعك فقد أنهاك. **قيل لأعرابي**: ما أمتع لذات الدنيا؟ قال: ممازحة الحبيب، ومحادثة الصديق، وأماني تقطع بها أيامك. وأما الرضا بالدون من المحبوب، والقناعة باليسر من المطلوب، وإن طال الوعد." (١)

"٥٤ - (باب في صوم أشهر الحرم)

(ثم قال صم شهر الصبر) قال الخطابي شهر الصبر هو شهر رمضان وأصل الصبر الحبس فسمي الصيام صبرا لما فيه من حبس النفس عن الطعام ومنعها عن وطء النساء وغشيانهن في نهار (صم من الحرم) بضمتين أي الأشهر الحرم وهي أربعة أشهر التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه فقال إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم وهي شهر رجب وذي القعدة وذي الحجة والمحرم

وقيل لأعرابي كم الأشهر الحرم فقال أربعة ثلاثة سرد وواحد فرد انتهى (وقال بأصابعه الثلاثة) أي صم منها ما شئت وأشار بالأصابع الثلاثة إلى أنه لا يزيد على الثلاث المتواليات وبعد الثلاث يترك يوما أو يومين والأقرب أن الإشارة لإفادة أنه يصوم ثلاثا ويترك ثلاثا والله أعلم

قاله السندي

قال المنذري وأخرجه النسائي وبن ماجه إلا أن النسائي قال فيه عن مجيبة الباهلي عن عمه وقال بن ماجه عن أبي مجيبة الباهلي عن أبيه أو عمه وذكره أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة وقال فيه عن مجيبة يعني الباهلية قالت حدثني أبي أو عمي وسمى أباها عبد الله بن الحارث فقال سكن البصرة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا وقال في موضع آخر أبو مجيئة الباهلية أو عمها سكن البصرة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا ولم يسمه وذكر هذا الحديث وذكره بن قانع في معجم الصحابة وقال فيه عن مجيبة عن أبيها أو عمها وسماه أيضا." (٢)

"وعن عبادة بن الصامت قال: "عرضت على معاوية خيل فقال لرجل من الأنصار: يا ابن الحنظلية! ماذا سمعت رسول الله في الخيل؟ قال: سمعته صلى الله عليه وسلم يقول: الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وصاحبها يعان عليها، والمنفق عليها، كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها، وأبوالها وأرواثها عند الله يوم القيامة كذكي المسك". وفي رواية:

---

(١) نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان صديق حسن خان ص/١٠٦

(٢) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ٥٨/٧

"كف من مسك الجنة". وفي أخرى: "فامسحوا بنواصيها وادعوا الله لها بالبركة، وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار"، لأن العرب كانت تقلد الخيل أوتار القسي لئلا تصيبها العين، فنهاهم عن ذلك، وأعلمهم أن الأوتار لا ترد شيئا من قضاء الله تعالى. ورخص بتقليدها الخرز لأجل الزينة. **قيل لأعرابي** ما تقول في نساء بني فلان؟ قال: هن قلائد الخيل، أي كرام لأنه لا يقلد من الخيل إلا الكريم السابق.

وعن سواد بن الربيع الجرمي قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر لي بذود وقال لي: عليك بالخيل فإن في نواصيها الخير إلى يوم القيامة" وفي رواية: "والأجر والمغنم".

وعن سواد أيضا قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اربطوا الخيل فإن الخيل في نواصيها الخير" وفي رواية "الغنم بركة الإبل عز لأهلها والخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة. وعبدك أخوك فأحسن إليه، وإن وجدته مغلوبا فأعنه". وقال صلى الله عليه وسلم: "الفخر في أهل الخيل، والجفاء في أهل الإبل، والسكينة في أهل الغنم".

وعن سلمان الفارسي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من رجل مسلم إلا حق عليه أن يربط فرسا إذا أطاق ذلك" وفي الخبر "العز في نواصي الخيل والذل في أذناب البقر" وقال صلى الله عليه وسلم – لما رأى السكة ببعض دور الأنصار –: "ما دخلت هذه دار قوم إلا دخله الذل" وذلك لما يتبعها من المغرم المفضي إلى التحكم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "لما استقرت أمور الحجاج الثقفي خرجنا حتى قدمنا بلدة واسط وذكر اجتماعه بالحجاج وعرض خيله عليه، فقال أنس: الخيل ثلاثة أفراس: فرس يتخذه صاحبه يريد أن يجاهد عليه، ففي قيامه عليه وعلفه وأدبه إياه – أحسبه قال –: وكسح مذوده، أي كنسه أجر في ميزانه يوم القيامة. وفرس يصيب أهلها من نسلها يريدون بذلك وجه الله فقيامهم وأدبهم إياها وعلفهم إياها وكسح روثها أجر في ميزانهم يوم القيامة، وأهلها معانون عليها. وفرس للشيطان فقيام أهله عليه وعلفهم إياه وغير ذلك وزر في ميزانهم يوم القيامة".

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "الخيل ثلاثة: فرس للرحمن، وفرس للإنسان، وفرس للشيطان، فأما فرس الرحمن فالذي يرتبط في سبيل الله، وأما فرس الإنسان فالتي يرتبطها الإنسان يلتمس بطنها فهي ستر من فقر، وأما فرس الشيطان فالذي يقام ليراهن عليه". وعنه صلى الله عليه وسلم: "المنفق على الخيل كالمستكفي بالصدقة"، أي: الباسط يده ليعطيها، وفي رواية: "لم ينس حق الله في رقابها وظهورها"؛ أي: الإحسان إليها ومنع ظهورها من الحمل عليها.

وعن علي بن حوشب سمعت مكحولا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكرموا الخيل وجللوها" وعن الوضين بن عطاء عنه صلى الله عليه وسلم: "لا تقودوا الخيل بنواصيها فتذلوها". وقال الجعفي:

الخير ما طلعت شمس وما غربت ... معلق بنواصي الخيل معقود

وقال كعب بن مالك الأنصاري:

ونعد للأعداء كل مقلص ... ورد ومحجول القوائم أبلق

أمر الإله بربطها لعدوه ... في الخوف إن الله خير موفق

فتكون غيظا للعدو وحافظا ... للدار إذ دلفت خيول المرق

وقال علقمة بن عامر المازني:

ما كنت أجعل مالي فرغ شانئة ... في رأس جذع يصيب الماء في الطين

الخيل من عدتي أوصى الإله بها ... ولم يوص بغرس في البساتين

الفصل الثاني في تكريم العرب لها وحبهم إياها وما ورد عنهم في ذلك

اعلم أن العرب تحب الخيل، وتبالغ في إكرامها، وترى أن العز والزينة بها، وقهر الأعداء على ظهورها، والغناء على بطونها، قال الشاعر:

قلائد نحن افتديناهن ... نعم الحصون والعداد هن." (١)

"فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فكتب إليه: بلغني ما قلت لأميرك، وبلغني أن لك سيفا تسميه الصمصامة، وعندي سيف اسمه مصمصم، وايم الله لئن وضعته على هامتك لا أقلعه حتى أبلغ رهايتك فإن سرك أن تعلم ما أقول فأعد (الرهاية: عظم في الصدر بشرف على البطن) . وحكى أبو عمرو بن العلاء قال: كان لرجل من مقاول حمير ولدان عمرو وربيعة، وقد برعا في العلم والأدب، فلما بلغ أبوهما أقصى عمره، وأشفى على الفنا، دعاهما ليبلو عقلهما ويعرف مبلغ علمهما، فلما حضرا لديه، سألهما عن أشياء، من جملتها عن الخيل قال: فأخبرني يا عمرو أي الخيل أحب إليك عند الشدائد إذا التقى الأقران للتجالد؟ قال: الجواد الأنيق، الحصان العتيق، الكفيت العريق، الشديد الوثيق، الذي يفوت إذا هرب ويلحق إذا طلب قال والله نعم الفرس نعت، فما تقول يا ربيعة؟ قال: غيره أحب إلي منه. قال: فما هو؟ قال: الحصان الجواد الثبت القياد الشهم الفؤاد، الصبور إذا سرى، السابق إذا جرى، قال: فأي الخيل أبغض إليك يا عمرو؟ قال: الجموح الطموح النكول الأنوح الصردل الضعيف، الملول العنيف الذي إذا جاريته سبقته. قال ما تقول يا ربيعة؟ قال: غيره أبغض إلي منه. قال وماهو؟ قال البطيء الثقيل، الذي إذا ضربته قمص، وإن دنوت منه شمص، يدركه الطالب، ويفوته الهارب، ويقطع بالصاحب، وغيره أبغض إلي منه قال: فما هو؟ قال الجموح الخبوط، الركوض الشموص الضروط، القطوف في الصعود والهبوط، الذي لا يسلم الصاحب ولا ينجو من الطالب.

وقيل لأعرابي صف لنا الجواد من الخيل فقال: إذا اشتد نفسه ورحل متنفسه، وطال عنقه واشتد حقوه، وأبهر شدقه، وعظمت فصوصه، وصلبت حوافره فهو من الجياد. وسئل غيره عنه فقال: إذا عدا اسعلب وإذا قيض اجلعب وإذا انتصب اتلأب أي إذا ركض كان كالسابح (وقوله اجلعب أي مضى وجد في سيره وقوله اتلأب أي استقام) قال أبي بن سلمى الضبي:

وخيل تلافيت ريعانها ... بعجلزة جمزى المدخر

جموم الجراء إذا عوقبت ... وإن نوزقت برزت بالحضر

سبوح إذا اعترضت في العنان ... مروح ململمة بالحجر

دفعن على نعم بالعرا ... ق من حيث أفضى به ذو شمر

---

(١) نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد محمد بن عبد القادر الجزائري ص/٣

فلو طار ذو حافر قبلها ... لطارت ولكنه لم يطر

وعرضت على ابن قيصر من بني أسد بن خزيمة خيل فأومأ إلى بعضها وقال تجيء هذه سابقة. فسئل ما الذي رأيت فيها؟ فقال: رأيتها مشت فكتفت، وخبت فرجفت، وعدت فنسفت، فجاءت كما قال سابقة. وسئلت ابنة الخس: أي الخيل أحب إليك؟ فقالت: ذو المائعة الصنيع، السليط التليع، الأيد الضليع، الملهب السريع، فقيل لها: أي الغيوث أحب إليك؟ قالت ذو الهيدب المنبعق، الأضخم المؤتلق، الصخب المنبثق. (قولها: المائعة: ناصية الفرس إذا طالت وسالت، والصنيع السمين والسليط الشديد، والتليع الرافع رأسه والأيد القوي والصليع شديد الأضلاع، والملهب مثير الغبار في عدوه، والسريع ما يكون في أوائل الخيل، والهيدب السحاب المتدلي، والمنبعق المنبعج بالمطر، والأضخم الثقيل، والمؤتلق البرق اللامع، والصخب شدة الصوت، والمنبثق المنفجر.

وقيل لها: ما مئة من المعز؟ قالت: مويل يشف الفقر من ورائه، مال الضعيف وحرفة العاجز، قيل لها فما مئة من الضأن؟ قالت: قرية لا حمى لها، قيل لها فما مئة من الإبل؟ قالت: بخ جمال ومال ومنى الرجال، قيل لها: فما مئة من الخيل؟ قالت طغى من كانت له ولا توجد، قيل لها فما مئة من الحمر؟ قالت: عارية الليل وخزي المجلس، لا لبن لها فيحلب، ولا صوف فيجز، إن ربط عيرها أدلى، وإن ترك ولى. واجتمع خمس جوار من العرب وقلن: هلمن ننعت خيل آبائنا، فقالت الأولى: فرس أبي وردة، وما وردة؟ ذات كفل مزحلق، ومتن أخلق، وجوف أخرق، ونفس مروح، وعين طروح، ورجل ضروح، ويد سبوح، بداهتها إهداب، وعقبها غلاب.

وقالت الثانية: فرس أبي اللعاب، وما اللعاب، غيبة سحاب، واضطرام غاب، مرقص الأوصال، أشم القذال، ملاحك المحال، فارسه مجيد، وصيده عتيد، إن أقبل فظبي معاج، وإن أدبر فظليم هداج، وإن أحضر فعلج هراج.

وقالت الثالثة: فرس أبي خدمة، وما خدمة؟ إن أقبلت فقناة مقومة، وإن أدبرت فأثفية ململمة، وإن أعرضت فذيبة معجرمة، أرساغها مترقصة، وفصوصها ممحصة، جريها انشرار، وتقريبها انكدار.." (١)

"ومما أورده الأصبهاني عن أبي محمد التيمي قوله:

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فإن ذاك مضر منك بالدين

وارغب إلى الله مما في خزائنه ... فإنما هو بين الكاف والنون

أما ترى كل من ترجو وتأمله ... من الخلائق مسكين ابن مسكين

(الأغاني)

الرجاء بالله والتوكل عليه

٩ لما حضر بشر بن المنصور الموت فرح فقيل له: أتفرح بالموت فقال: أتجعلون قدومي على خالق أرجوه كمقامي مع مخلوق أخافه قال الشيخ شهاب:

---

(١) نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد محمد بن عبد القادر الجزائري ص/٣١

توكل على الرحمان في الأمر كله ... فما خاب حقا من عليه توكلا

وكن واثقا بالله واصبر لحكمه ... تفز بالذي ترجوه منه تفضلا

ولله الشافعي حيث يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

قيل لأعرابي وقد مرض: إنك تموت. قال: وإذا مت فإلى أين يذهب بي. قالوا: إلى الله. قال: فما كراهتي أن يذهب بي إلى من لم أر الخير إلا منه.

الدعاء إلى الله

١٠ قال الأصمعي: سمعت أعرابيا وهو يقول في دعائه: اللهم إني." (١)

"الكاتب: محمد رشيد رضا

تقريظ المطبوعات الجديدة

(نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان)

أهدانا المعلم عبد الحميد الفراهي (من العلماء في الهند) بضع رسائل في

تفسير سور متفرقة من القرآن العزيز، سماها بما ذكر في العنوان ، وهي: سورة

التحريم والقيامة والشمس والعصر والكافرون والمسد أو (تبت) ، وقد ألقينا على

بعض هذه الرسائل لمحة من النظر، فإذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير

يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية إلهية، دون

المباحث الفنية العربية. ولكنه لا يفسر كل آيات السورة وكلماتها، ولا يتكلم على

ما يفسره بالترتيب، وإنما يتكلم عن المسائل الكلية والمقاصد التي تهدي إليها الآيات

كلاما عاما مبسوطا مفصلا معدودا بالأرقام. فمن فصول تفسير سورة التحريم:

(١) نظام السورة وموقع آياتها (٢) سنة الله في الاحتساب (٣) عمود السورة

هو الاحتساب والتشمير له (٤) دين الفطرة هو الاعتدال بين الفسق والرهبانية

(٥) تفرق الفسق والرهبانية (٦) نزول القرآن حسب أحسن المواقع (٧) شأن

نزول هذه السورة حسب الكليات (٨) شأن نزول آيتين ١ -٢ حسب جزئيات

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٩/٢

الواقعة والفوائد الكلية منها وهي ست ... إلخ. وإن للمؤلف لفهما ثاقبا في القرآن، وإن له فيه مذاهب في البيان وطرائق في الاستطراد، منها القريب والبعيد، وإنه لكثير الرجوع باللغة إلى مواردها والصدور عنها ريان من شواهدها، فقد كتب في تفسير كلمة (صغت) من قوله تعالى: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ (التحريم: ٤) أكثر من صفحة، على أنه قد صنف كتابا في مفردات القرآن كما
فعل الراغب الأصفهاني ٠ وإن أدري أفسر القرآن كله على هذا النمط إذ هو يشتغل بذلك الآن، ويريد طبع تفسير كل سورة عند إتمامها. وقد رأيت فيما قرأت ذكر كتب أخرى له في القرآن والدين: كالمفردات وتاريخ القرآن والأمثال الإلهية وأصول الشرائع، فعسى أن يتفضل بإخبارنا عنها، أهي تامة أم لا؟ أطبع منها شيء أم لا؟ .

هذا، وقد أرسل إلينا عدة نسخ من تفسير بعض السور؛ لأجل بيعها عندنا، وهي مطبوعة طبعا حجريا عن خط فارسي حسن، فمن أحب أن يطلع عليها فليطلبها من إدارة المنار، وثمن تفسير سورة التحريم قرشان، وما عداه فثمنه قرش أو قرش ونصف.

***

(رحلة الحبشة)

هذه الرحلة من أحسن الرحلات أسلوبا وفائدة وفكاهة، ألفها بالتركية صادق باشا المؤيد العظم الفريق الأول بالجيش العثماني للسلطان عبد الحميد بأمره، وهو الذي أرسله إلى نجاشي الحبش بكتاب منه، فكتب ما رآه وشاهده في طريقه وفي البلاد والمواقع التي نزل بها لا سيما الصومال، وما ارتآه واستنبطه من المسائل العسكرية والاجتماعية وما علمه من التقليد والعادات، مع شيء من كل فن، وذكر في آخرها الوقائع الحربية بين إيطاليا والحبشة مفصلة، وختمها بذكر من نال شرف صحبة النبي صلى الله عليه وسلم من الحبش رجالا ونساء وقد ترجمها بالعربية رفيق بك العظم وحقي بك العظم ، وطبعتها شركة طبع الكتب العربية على النسق الذي طبعت به في التركية، مزينة بالصور والرسوم ومنها صورة النجاشي بلباسه الرسمي، ومتصلا بها خريطتان: إحداهما رسم فيها الطريق الذي مر به، والثانية رسمت فيها بلاد الحبش ، وقد زادت صفحات هذه الرحلة على ٣٢٠، وثمنها اثنى عشر قرشا صحيحا.

وإننا ننقل شيئا من كلامه عن مسلمي الصومال وتعلقهم بالدولة العلية. قال

في سياق كلامه عن جيبوتي حاضرة مستعمرة الصومال الفرنسية ما نصه:
(ومنذ خرجنا إلى البر، أخذ الأهالي وكلهم من المسلمين، يفدون علينا أفواجا مرحبين بنا بعبارات الاحترام والتعظيم، ولم يكتفوا بذلك، بل انتظرونا بينما كنا عند الوالي (آتو يوسف) خارج المحل، وعندما خرجنا رافقونا مهللين مكبرين، واستمروا كذلك كلما نخرج يرافقوننا من محل إلى آخر، وينتهزون كل فرصة لإظهار سرورهم العظيم من ورودنا لثغرهم، فإذا طلبنا مركبة يجري العشرات منهم لإحضارها، واذا سألناهم الطريق يقدم مئات أنفسهم للقيام بخدمتنا، وما كنا نحتاج لهم؛ لأن الوالي كان عقب وصولنا عين سكرتيره ليكون (مهما ندارا) لنا مدة إقامتنا في جيبوتي. ولكن اعتذرت عن ذلك شاكرا إنسانيته، واكتفيت بجنود الشرطة الذين خصصهم لخدمتنا.
وبعد قليل من وصولنا الفندق، تكأكأ المسلمون بعضهم على بعض في الردحة الكائنة أمام الفندق، وأخذ يزداد عددهم كثيرا، فكانوا لا يقتنعون برؤية الوفد المرسل من قبل خليفة الإسلام مرة واحدة، بل كانوا يريدون أن يروه كثيرا على قدر استطاعتهم، واستمر الزحام على هذا المنوال أمام المنزل إلى ما بعد العشاء) .
ثم ذكر أنه قبل السفر من جيبوتي، آذنه خادم الفندق بقدوم رؤساء بعض القبائل لزيارة الوفد السلطاني، قال:
هذا، وقد غاب الخادم قليلا ثم جاء ومعه الزائرون، وكان عددهم ثمانية، وهم رؤساء قبيلتي عبسا ودانجالي، وهم سمر الوجوه، لون البعض منهم يميل للجوزي، وكلهم طوال القامة متناسبو الأعضاء، تجللهم سمات الوقار والمهابة، ويلبس البعض قميصا طويلا، وعلى رأسه طاقية، والبعض ليس عليه سوى (فوطة) وهو مكشوف الرأس. وشعرهم الكث فوق رؤوسهم يشبه العمامة المدورة الكبيرة، يضعون في خلاله سهما طويلا مصنوعا من أغصان الأشجار مثل: (الدبوس) الذي يربط به السيدات الغربيات قبعاتهن على شعورهن. ويستعملون هذا السهم لحك جلد رؤوسهم عند اللزوم؛ لأنه لا يمكن وصول أصابعهم لجلد رؤوسهم بسبب كثافة الشعر. وكان بعضهم وهم الذين كانوا يترددون على الحجاز يتكلم اللغة العربية جيدا، والباقون لا يعرفون منها إلا قليلا.
وبعد المصافحة والسلام، أخذوا يدعون وهم وقوف على الأقدام للحضرة العلية السلطانية، وأبلغني أنه سيصل مساء وفود من طرف القبائل القريبة من

جيبوتي؛ للتسليم على الوفد السلطاني، ثم جلسوا فصاروا يسألون عن أحوال الآستانة؛ مستفسرين عن عدد سكانها، وعن مساجدها الجامعة، والمحلات المباركة فيها، وعن الوجهة التي أقصدها وسبب سفري إليها.

(وكسوة هؤلاء الرؤساء بسيطة جدا، والبعض منهم حافي القدمين، والبعض يلبس في رجله نعلا مثل النعال الحجازية. ومع كل ذلك ترى الإنسان يشعر بهيبتهم ووقارهم حال رؤيته لهم. وسمات الشجاعة والبسالة الظاهرة على وجوههم تجعل كلا منهم شبه تمثال للحرب والكفاح صنع من (البرونز) .

بينما كنا نتجاذب أطراف الحديث، إذا جاء الموسيو بونهور والي الصومال الفرنسية؛ لرد الزيارة ومعه حاشية، والكل مرتدون أرديتهم الرسمية، وكان يمشي أمام مركبة الوالي فارسان من جنود الشرطة فلما رأى الوالي المومأ إليه رؤساء القبائل الصومالية، هش في وجوههم وصافحهم جميعا يدا بيد، وسأل عن أحوالهم وصحتهم، ولم يمض قليل من وصول الوالي، حتى جاء أيضا (آتو يوسف) قنصل الحبشة في جيبوتي، وبعد أن مكث الوالي برهة استأذن بالذهاب مذكرا إياي بالاجتماع عنده في دار الحكومة مساء؛ لحضور المأدبة التي أعدها كراما للوفد السلطاني، وقد كان الوالي دعاني ومن كان معي لهذه المأدبة يوم وصولنا إلى جيبوتي) .

ثم قال بعد كلام في حال البلد وشؤونها:

(في الساعة العاشرة على الحساب الشرقي، سمعت أنغاما وأصواتا آتية من بعيد، وبينما أنا أتفكر في ما عسى أن يكون ذلك، إذ أخبرت بورود وفد قبائل عبسا، فخرجت إلى شرفة الفندق، فرأيت جمهورا من الناس نحوا من خمسمائة ذوي ألوان نحاسية، كبيري الأجسام، متناسبي الأعضاء، مسلحين بالحراب والهراوات، ويكبرون مرة، وينشدون الأناشيد الحربية مرة أخرى، وجماهير الناس تمشي معهم محتاطين بهم للتفرج عليهم، وبعد أن وصلوا أمام الفندق، أخذوا يسلمون علينا بلسانهم، ولما انتهوا من السلام تحلقوا، وصاروا يغنون ويرقصون، والبعض منهم كانوا يتبارزون داخل تلك الحلقة، ويمثلون حروبهم بأصوات خشنة مدهشة بأوضاع خفيفة وسرعة عجيبة، مما يدل على أنهم أقوام حربيون أولو بأس شديد وميل للحرب والطعان، وبعد ذهاب هذا الوفد أتى وفد الدانغاليين، وبعدهم وصلت وفود العرب الوطنيين بطبولهم وزمورهم، ثم انصرف الجميع شاكرين لما لقوه منا من الإكرام، وكانت قد دنت الساعة الثامنة على الحساب الإفرنجي،

فارتديت الكسوة الرسمية البيضاء، وذهبت أنا ورفيقي؛ لحضور المأدبة التي دعينا إليها) اهـ المراد.

وفيه من العبرة أن للدولة العلية وسلطانها نفوذا معنويا في نفوس جميع المسلمين، لم تحسن الانتفاع منه ولا النفع به في الماضي، فعسى أن تنتفع به في هذا العهد الجديد الذي دخلنا فيه، وهو آخر الرجاء في حياة هذه الدولة، فعسى أن لا يقطعه أصحاب النفوذ بالمنازعات الجنسية والأهواء الشخصية. وفيه أيضا أن الوالي الفرنسي يعامل أولئك الناس الذين يعدهم متوحشين بالاحترام؛ ليؤنسهم بحكمه، ويأمن جانبهم، ويكسب مودتهم، ودولتنا تحتقر أمثالهم في اليمن والحجاز والعراق، فيتبدل حبهم لها بغضا، وميلهم إليها نفورا وإعراضا، فعسى أن لا تعود إلى ذلك في هذا الزمان.

وقد انتقدنا على الرحلة ذكر الشهر الذي سافر فيه المؤلف (وهو نيسان) دون ذكر السنة في أولها، وجريانه على ذلك في أثنائها، حتى انتهت في ١٢ تموز (يوليو) ، ولكن يعرف القارئ أن الرحلة كانت سنة ١٨٩٦ م من ترجمة براءة الوسام الذي أهداه النجاشي إلى صادق باشا، وترجمة المكتوبات التي أرسلها إليه نظار النجاشي وآل بيته.

***

(عقود الجوهر في تراجم من لهم ٥٠ تصنيفا فمائة فأكثر)

نشرنا في آخر الجزء الماضي إعلانا لجميل بك العظم محاسب المعارف ببيروت عنوانه (ذيل لكشف الظنون) علم منه أنه يعني منذ ١٦ سنة بجمع ما فات صاحب كشف الظنون من أسماء الكتب، وما حدث بعده منها. وقد استحسن في أثناء بحثه أن يضع كتابا في تراجم المكثرين من التصنيف الذين لهم خمسون مصنفا فمائة فأكثر، وقد أتم الجزء الأول من هذا الكتاب وسماه (عقود الجوهر) وطبعه، وهو يذكر للعالم ترجمة مختصرة ثم يذكر مصنفاته مرتبة على حروف، فجزاه الله خيرا ، وقد اقترحت عليه في بيروت أن يجعل الذيل رأسا، فيؤلف كتابا مستقلا في أسماء الكتب والفنون، فعسى أن يلقى من المساعدة ما يرجح ذلك عنده.

***

(الاشتقاق والتعريب)

قد علم قراء المنار في العام الماضي، ما كان من أعضاء نادي دار العلوم من المناظرات في مسألة التعريب ، وقد عنى الشيخ عبد القادر أفندي المغربي أحد

محرري جريدة المؤيد في أثناء ذلك، بوضع كتاب مستقل في المسألة، وطبعه في
هذا العام، فبلغ زهاء ١٥٠ صفحة بقطع كتاب الإسلام والنصرانية. وقد ترجم
المؤلف كتابه بقوله فيه: يبحث في ما يعرض للغة العربية من تكاثر كلماتها
بواسطتي الاشتقاق والتعريب، وأن هذا الأخير طبيعي في لغتنا وفي غيرها من
اللغات، وأن استعمال المعرب لا يحط من قدر فصاحة الكلام والاستشهاد على ذلك،
فهو إذا مؤيد الرأي القائلين بجواز التعريب والتصرف في اللغة بحسب الحاجة،
بل توسع في ذلك بما لا يوافقونه كلهم عليه فيما يظن، ودعم كلامه بضروب من
الأمثلة والشواهد والدلائل، لم يسبقه إليها الباحثون، وقال في أواخر الكتاب ما
نصه:

نتائج وملاحظات

قد تحصل معنا أن الكلمات التي تستعمل اليوم في اللغة، وينطق بها
المتكلمون بتلك اللغة – قسمان: قسم عربي محض، وقسم دخيل ، والدخيل أنواع
منه ما أدخل أهل اللغة أنفسهم إلى لغتهم قبل الإسلام؛ كسندس إبريق. ويسمى في
الاصطلاح معربا ، ومنه ما أدخله المولدون في صدر الإسلام ويسمى مولدا ، ومنه
ما أدخله المحدثون بعد هذين الدورين ويسمي محدثا أو عاميا ، والطريقة في إحداث
النوعين الآخرين المولد والعامي – قد تكون الاشتقاق: كالعربية والبارود والفسقية
قد تكون التعريب: كالبوس والبازهر والماهية، وقد تكون التصرف في الاستعمال
بأن نستعمل الكلمة على خلاف المعنى المستعملة فيه عند العرب: كالقطر
والقطائف.

والدخيل بأنواعه الثلاثة لا يحط من قدر الكلام العربي إذا وقع فيه، وإن كان
في أصله غير عربي؛ لما قدمناه من الأدلة على ذلك عند الكلام على التعريب،
والأدلة المذكورة تصلح أن تكون مقدمات منطقية نتيجتها (أن الكلمات العربية
المعربة عربية أو بقوة العربية) ، حتى لا تكون ثم فرق في صحة الاستعمال بينها
وبين تلك التي تكون عربية الأصل: بحيث يصح لك أن تستعمل كلمة (رصاص)
الأعجمية المعربة في كل موضع تستعمل فيه كلمة (صرفان) العربية. وما يدرينا
أن صرفان وأمثالها من الألفاظ القديمة التي نحسبها عربية والتي لا رائحة للاشتقاق
من مادة عربية غير عربية في أصلها، وإنما هي دخيلة.

وقد ذكرنا في جملة تلك الأدلة دليلا لا نزاع في صدق دلالته: وهو أن علماء
البادية أنفسهم، حصروا شروط فصاحة المفرد في ثلاثة أمور: خلوصه من تنافر

الحروف، ومن الغرابة، ومن مخالفة القياس، ولم يشترطوا في فصاحته قط أن يكون عربيا قحا، لا شائبة فيه للعجمية.

إذا راعيت في الكلمة الدخيلة التي تودعها كلامك خلوصها مما ذكره علماء البلاغة، كان كلامك فصيح المفردات ، وعليك بعد ذلك أن تراعي سائر ما اشترطه أولئك العلماء في فصاحة الكلام وبلاغته. حتى إذا فعلت كان كلامك فصيحا بليغا.

لا يكون كلامك فصيحا: إذا أودعته من الكلمات العربية ما كان غريبا عن أفهام المخاطبين، أو ما تنبو عنه أذواقهم وتتجافى طباعهم، مثل أن تقول: (وكان الطهاة يغرفون ألوان الطعام بالفشليل، والفشليل كلمة معربة عن قفليز الأعجمية ، ومعناها المعرفة كما لا يكون فصيحا إذا أودعته من الكلمات العربية المحضة ما كان من بابه تلك الكلمات: كأن تقول: (أتانا مختالا في مشيته. منفشلا للحيته) تعني: منفشا لها. أو تقول: (لحاه الله من رجل عفنجش) أي فظ جافي الطباع.

من هذا القبيل الكلمات الإنكليزية أو الألمانية مثلا التي تكون مخارج حروفها صعبة متنافرة، يتعذر أو يتعسر علينا النطق بها. ولم نعهد مثلها في مخارج لغتنا.

حتى إذا اضطررنا إلى إدخال كلمة من هذا الصنف في لغتنا، كان علينا حينئذ أن نشذبها ونهذبها، ونوفق بينها وبين أوزان لغتنا ما استطعنا إلى ذلك سبيلا؛ كي تواتينا ويسهل علينا النطق بها. وإلا كان علينا أن نهجرها، ونعد الكلام الذي يتضمنها غير فصيح. كما إذا تضمن كلمة متنافرة مثلها من الكلمات العربية الأصل كالهعخع وهو اسم نبات. **قيل لأعرابي**: أين تركت ناقتك؟ قال: تركتها ترعى الهعخع. وكأن تقول لآخر: إياك أن تتزوج الهمقعة بضم الهاء وتشديد الميم المفتوحة. تعني الحمقاء الورهاء [١] .

واعلم أن الكلمات الدخيلة في لغتنا مهما كان أصلها، ترجع إلى قسمين: قسم مدلوله الجوهر والأعيان مثل نرجس ولجام. وقسم مدلوله المعاني والأحداث مثل البوس، فكلمات القسم الأول إذا شاعت بيننا وحلت في أسماعنا وتداولتها الخاصة كما تداولتها العامة، وتنزهت عن أن تكون من (ألفاظ السفلة) كما سيجيء في قول ابن المقفع – ينبغي أن يجوز لنا استعمالها وإدماجها في كلامنا؛ لأن الكلمة التي من هذا القبيل إما أن لا يكون لها مرادف في لغتنا أو لها مرادف مهجور، وحينئذ يكون الوجه في استعمالها ظاهرا. وعذرنا فيه مقبولا ٠ وإما أن يكون لتلك الكلمة مرادف معروف ومشهور، فيكون لنا الحق في أن نستعملها أيضا؛ اقتداء

بأهل اللغة أنفسهم الذين كانوا يتركون كلماتهم العربية إلى مرادفاتها من الكلمات المعربة الدخيلة، مثال ذلك كلمة (كوسج) الأعجمية، فإنهم لا يكادون يطلقون على الكوسج سواها. وقلما تراهم يستعملون كلمة الأثط العربية بل إذا وردت هذه في كلامهم فسروها بالكوسج؛ لكونها أشهر منها وأعلق بأذهان الناس، كما يفسر شراح الحديث كلمتي (الدجر) و (اللياء) العربيتين بكلمة اللوبياء الأعجمية المعربة.

وقد كثر استعمال الدخيل والإعراض عن الأصيل في كلامهم، كثرة تشعر بأن هذا الصنيع طبيعي في اللغة وضرورة لا يمكن دفعها. بل يشبه أن يكون قياسيا لأهل اللغة من ورائه غاية محمودة: هي توسيع نطاق لغتهم وتسهيل أمرها على ممارسها.

هذا في كلمات القسم الأول الذي مدلوله الجواهر والأعيان. أما القسم الثاني الذي تدل كلماته على المعاني والأحداث كالبوس، فهذا ربما ضر الاستكثار منه فيما أظن إذ يكون مدرجة لضياع اللغة ومسخها وتحويلها عن أصلها. وقلما نجد العرب نقلوا إلى لغتهم فعلا أو مصدرا أو أسلوبا خاصا من أساليب كلام الأعاجم. وشاهد ذلك معاجم اللغة ودواوين آدابها، وإن كان شيء من ذلك فهو قليل جدا ككلمتي (الهرج ، والنفاق) الحبشيتين [٢] .

وأكثر ما كان حدوث هذا النوع من الكلمات في زمن ترجمة الاصطلاحات العلمية في العصر العباسي. أما في زمن الجاهلية فلعله لم يتخط القبائل التي عاشت مع الأعاجم وكثر امتزاجها بهم: كغسان ولخم وجذام. ومثل هذا لا يصلح حجة للقياس والجواز العام نعم، إن اللغة بمجموعها جواهر وأحداثا محولة عن لغة أعجمية كما أثبتناه في صدر هذا الكتاب. ولكن هذا في تحول اللغة وتولدها المتوغل في القدم. لا في التحول التدريجي الذي يفهم من إطلاق كلمة التعريب. والذي كان يحصل على ألسنة العرب بعد أن قامت لغتهم بنفسها واستقلت بأصولها وقواعدها، فإنهم إذا ذاك ما كانوا يرجعون في وضع كلمات الأحداث والمعاني إلى الاستعانة بلغات غيرهم. وإنما يرجعون إلى فضل ذكائهم وذلاقة لسانهم. وحسن طريقة الاشتقاق في لغتهم. فهم يضعون أو يشتقون للمعاني التي تجول في نفوسهم من الكلمات ما يغنيهم عن التطفل في ذلك على سواهم. أما الجواهر والأعيان فقد يتعذر أو يتعسر عليهم أن يضعوا لها كلمات. بعد أن ضرب المستبضعون والتجار في طول جزيرتهم وعرضها. وهم ينادون باسم الخيار واللوبيا والباذنجان،

والكوب والإبريق، والمسك والبنفسج والسندس والإستبرق، والفيروز والبلور
والجام والدانق، والدرهم والدينار والعربون، الي غير ذلك من أسماء الأدوات
والفرش والماعون. وقد ضاق ذرع العرب بهذه الأسماء وأعجزتهم كثرتها،
فاضطروا إلى أن يرحبوا بها، ويلقون حبلها على غاربها. اهـ المراد منه.
وثمن الكتاب خمسة قروش، وهو يباع في المكاتب المشهورة.

---

(١) المنار: إن بعض ما مثل به من الغريب، ليس مما يثقل على اللسان كمنفشل ولكنه غير مألوف لعدم صقله بالاستعمال فهو لا ينافي الفصاحة وما كان ثقيلا كالهعخع الذي يذكرونه في كتب البلاغة، إنما ينافي مثله الفصاحة ويكره استعماله إذا كان له مرادف يقوم مقامه، والأحسن استعماله عند الحاجة إليه، ورأيت أكثر أدباء عصرنا غافلين عن هذا وذاك.

(٢) المنار: الكلمتان عربيتان: ومعنى الأولى الفتنة التي يحدث فيها تداخل واضطراب وقتل، وقول أبي موسى: إن الهرج في لسان الحبشة القتل لا يدل على أن العرب أخذتها عن الحبشة، وربما كان العكس ، والثانية مشتقة من النفقاء (راجع ص ٨٨٥م١١) .." [١]

"شرح المفردات

الكوثر: المفرط فى الكثرة، قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر: بم آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر، ويقال للرجل الكثير العطاء هو كوثر، قال الكميت الأسدى:

وأنت كثير يا ابن مروان طيب ... وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

والمراد به هنا النبوة والدين الحق والهدى وما فيه سعادة الدنيا والآخرة، والشانئ:

المبغض، وأصل الأبتر: الحيوان المقطوع الذنب، والمراد به هنا ما لا يبقى له ذكر ولا يدوم له أثر- شبه بقاء الذكر الحسن واستمرار الأثر الجميل بذنب الحيوان من حيث إنه يتبعه وهو زينة له. وشبه الحرمان منه ببتر الذنب وقطعه.

الإيضاح

(إنا أعطيناك الكوثر) أي إنا أعطيناك من المواهب الشيء الكثير الذي يعجز عن بلوغه العد، ومنحناك من الفضائل ما لا سبيل للوصول إلى حقيقته، وإن استخف به أعداؤك واستقلوه، فإنما ذلك من فساد عقولهم، وضعف إدراكهم.

(فصل لربك وانحر) أي اجعل صلاتك لربك وحده، وانحر ذبيحتك وما هو نسك لك لله أيضا، فإنه هو الذي رباك وأسبغ عليك نعمه دون سواه كما قال: تعالى آمرا له: «قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين» .

وبعد أن بشر رسوله صلى الله عليه وسلم بأعظم البشارة، وطالبه بشكره على ذلك، وكان من تمام النعمة أن يصبح عدوه

---

(١) مجلة المنار محمد رشيد رضا ١٣٥/١٢

مقهورا ذليلا، أعقبه بقوله:

(إن شانئك هو الأبتر) أي إن مبغضك كائنا من كان هو المقطوع ذكره من." [(١)]

"(١٠٨) سورة الكوثر مكية وآياتها ثلاث

[سورة الكوثر (١٠٨) : الآيات ١ الى ٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أعطيناك الكوثر (١) فصل لربك وانحر (٢) إن شانئك هو الأبتر (٣)

اللغة:

(الكوثر) في القاموس: «والكوثر الكثير من كل شيء والكثير الملتف من الغبار والإسلام والنبوة وقرية بالطائف كان الحجاج معلما بها والرجل الخير المعطاء كالكثير كصيقل والسيد والنهر ونهر في الجنة تتفجر منه جميع أنهارها» وعبارة الزمخشري: «والكوثر فوعل من الكثرة قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك؟ قالت آب بكوثر وقال:

وأنت كثير يا ابن مروان طيب ... وكان أبوك ابن العقائل كوثرا»

والبيت للكميت والعقائل خيار النساء والكوثر بليغ النهاية في الخير.

وعبارة ابن خالويه: «والكوثر نهر في الجنة حافتاه الذهب وحصباؤه المرجان والدر وحاله المسك يعني الحمأة وماؤه أشد بياضا." [(٢)]

"بينهما زرعا)

جملة جعلنا صفة لرجلين ولأحدهما مفعول ثان لجعلنا وجنتين مفعول أول ومن أعناب صفة لجنتين وحففناهما عطف على جعلنا وهو فعل وفاعل ومفعول به وبنخل متعلقان بحففناهما وجعلنا بينهما زرعا عطف على ما تقدم وقد تقدم إعراب نظيرتها. (كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا) كلتا مبتدأ وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف لأنه اسم مقصور وسيأتي حكم كلا وكلتا في باب الفوائد وجملة آتت أكلها خبر كلتا وقد روعي لفظها فأتى الخبر مفردا ولم تظلم عطف على آتت ومنه حال لأنه كان صفة لشيئا وشيئا إما مفعول به على أن تظلم بمعنى تنقص أو مفعول مطلق وقد تقدم تحقيق ذلك. ومن نوادر كلام العرب: قيل لأعرابي: أتأكل العنب؟ قال: ما ظلمني أن آكله أي ما منعني قال أبو عثمان سعيد بن هارون الاشناندايي: ومنه قول الله عز وجل: «ولم تظلم منه شيئا» أي لم تمنع. (وفجرنا خلالهما نهرا) فجرنا فعل وفاعل وخلالهما ظرف متعلق بفجرنا ونهرا مفعول به.

(وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره) الواو عاطفة وكان فعل ماض ناقص وله خبر كان المقدم وثمر اسمها المؤخر فقال عطف على وكان ولصاحبه متعلقان بقال والواو للحال وهو مبتدأ وجملة يحاوره خبر والجملة حالية والمراد به أحدهما. (أنا

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٢٥٣/٣٠

(٢) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٥٩٥/١٠

أكثر منك مالا وأعز نفرا) الجملة مقول القول وسيأتي أنه قال ثلاث قولات منافية للحق في باب البلاغة وأنا مبتدأ وأكثر خبر ومنك متعلقان بأكثر ومالا تمييز وأعز نفرا عطف على أكثر مالا. (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا) ودخل جنته فعل وفاعل ومفعول به على السعة وهو الواو للحال وهو مبتدأ وظالم خبر والجملة حالية ولنفسه متعلقان بظالم، وقال فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو وجملة ما أظن مقول القول وان وما بعدها سدت مسد مفعولي أظن وهذه فاعل تبيد وأبدا." (١)

"والقول في حب الأوطان كثير، ومما يؤكد ما قلناه في حب الأوطان قول الله عز وجل «ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم» فسوى بين قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم، وقال تعالى: «وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا» .

وقال بعضهم «من أمارات العاقل بره لإخوانه، وحنينه لأوطانه، ومداراته لأهل زمانه» .

وقيل لأعرابي: كيف تصنع في البادية إذا اشتد القيظ وانتعل كل شيء ظله؟ قال: وهل العيش إلا ذاك، يمشي أحدنا ميلا فيرفض عرقا ثم ينصب عصاه ويلقي عليه كساءه ويجلس في فيئه يكتال الريح فكأنه في إيوان كسرى.

وقال يحيى بن طالب الحنفي من شعراء الدولة العباسية:

ألا هل إلى شم الخزامى ونظرة ... إلى قرقرى قبل الممات سبيل

فأشرب من ماء الحجيلاء شربه ... يداوى بها قبل الممات عليل

فيا أثلات القاع قلبي موكل ... بكن وجدوى خيركن قليل." (٢)

"وهنالك نعت ومهزوم الخبر ويجوز أن يكون هنالك اظرفا لمهزوم ومن الأحزاب يجوز أن يكون نعتا لجند وأن يتعلق بمهزوم وأن يكون نعتا لمهزوم» .

[سورة ص (٣٨) : الآيات ١٢ الى ١٥]

كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد (١٢) وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب (١٣) إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب (١٤) وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق (١٥)

اللغة:

(الأوتاد) : في المصباح: «الوتد بكسر التاء في لغة الحجاز وهي الفصحى وجمعه أوتاد وفتح التاء لغة وأهل نجد يسكنون التاء فيدغمون بعد القلب فيبقى ود ووتدت الوتد أتده وتدا من باب وعد أثبته بحائط أو بالأرض وأوتدته بالألف لغة» وفي الأساس: «ضرب الوتد والود والأوتاد بالميتدة ويقال: تد وتدك وأوتده وانتصب كأنه وتد وهو «أذل من وتد» ووتد واتد: ثابت ومن المجاز: وتد الله الأرض بالجبال وأوتدها ووتدها والجبال أوتاد الأرض **وقيل لأعرابي**: ما النطشان؟ فقال:

---

(١) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٥/٥٩٩

(٢) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٣٩٥/٧

يوتد العطشان وروي: شيء نتد به كلامنا» وفي القاموس: «الوتد بالفتح والتحريك وككتف ما رز في الأرض أو الحائط من خشب وما كان في العروض على ثلاثة أحرف." (١)

"بأهلها١. ولهذه الخشونة التي خلقتها طبيعة البادية في الأعرابي، وهو لا دخل له بها الطبع، كما أنه لا يشعر بها ولا يرى أن فيه شيئا منها، كان العرب إذا تحدثوا عن شخص فيه عنجهية وخشونة، قالوا عنه: فيه أعرابية، كالذي ذكروه مثلا عن "عيينة بن حصن الفزاري"، من أنه كان أحمق مطاعا، دخل على النبي من غير إذن وأساء الأدب فصبر النبي "على جفوته وأعرابيته"٢. إلى غير ذلك من نعوت تصف الأعرابي بالغلظ والقسوة والأنانية وما شاكل ذلك من نعوت تحدثت عنها في الجزء الأول من هذا الكتاب. وهي حاصل هذا المحيط الذي ولد فيه وعاش، والظروف التي ألمت به، فعزلته عن العالم الخارجي، وأبعدته عن التحسس بتنوع مظاهر الطبيعة وبتغيرها، فلم ير الثلج في حياته وهو يتساقط من السماء، ولم يتعود على رؤية الأمطار وهي تتساقط عليه على نحو ما يقع في عالم أوروبا أو في البلاد الحارة ذات الأمطار الموسمية الواضحة، حتى يستفيد منها في استغلال أرضه، ولم تعطه الطبيعة أنهارا ومياها جارية، إلى غير ذلك من أمور تحدثت عنها أثناء كلامي على العقلية العربية، في الجزء الأول من هذا الكتاب.

ووصف الأعرابي بالجهل، بل بالجهل المطبق. فهو وثني ولكنه لا يفهم شيئا من أمور الوثنية، وهو نصراني، لكنه نصراني بالاسم، لا يعرف عن النصرانية في الغالب شيئا، وهو مسلم ولكنه لا يعرف عن الإسلام إلا الاسم. ونجد في كتب أهل الأخبار والأدب قصصا مضحكا يمثل هذا الجهل الذي رمي به الأعراب في بعضه حق بعض وفي بعضه باطل؛ لأنه موضوع حمل عليهم حملا للانتقاص منهم وليكون قصصا وتفكهة وتسلية يتسلى بها الحضر في مجالسهم، في أثناء قتلهم للوقت.

وهو حقود، لا يرى أن يغفر ذنب من أساء إليه، بل يظل في نفسه حاقدا عليه حتى يأخذ بثأره منه. "**قيل لأعرابي**: أيسرك أن تدخل الجنة ولا تسيء إلى من أساء إليك؟ فقال: بل يسرني أن أدرك الثأر وأدخل النار"٣.

ويذكر أن الرسول كان يميز بين الأعراب وبين البادية، وهم الذين كانوا

---

١ تاج العروس "٢/ ٢٠٢"، "قح".

٢ تاج العروس "٦/ ٤٥"، "ألف".

٣ نهاية الأرب "٦/ ٦٧".." (٢)

"عن أثر البوادي في صحة أجسام العرب وفي تكوين أخلاقهم، مما جعلهم يختلفون بذلك عن بقية الناس.

والعرب وإن عرفوا بالترحل والتنقل؛ بسبب البداوة، إلا أنهم يحنون إلى أوطانهم، ولا ينسون موطنهم القديم، يستوي في ذلك العربي والأعرابي. وهم يرون أن في الغربة كربة، وأن الإنسان إذا صار في غير أهله ناله نصيب من العذل١. "وكانت العرب إذا غزت وسافرت حملت معها من تربة بلدها رملا وعفرا تستنشقه عند نزلة أو زكام أو صداع"٢، "**وقيل لأعرابي**: كيف

---

(١) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٣٣٥/٨

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢٩٣/٧

تصنع في البادية إذا اشتد القيظ وانتعل كل شيء ظله؟ قال: وهل العيش إلا ذاك، يمشي أحدنا ميلا فيرفض عرقا، ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساءه، ويجلس في فيئة يكتال الريح، فكأنه في إيوان كسرى"٣.

وجاء أن "الوليد بن عبد الملك" استظرف أعرابيا فاحتبسه عنده وحباه، فمرض فبعث إليه "الوليد" بالأطباء، وعالجوه، ورأى من الخليفة كل رعاية، لكن هواه بقي في وطنه، ولم يطق على هذه المعيشة الراضية الطيبة صبرا، فهلك بعد قليل٤، إلى غير ذلك من قصص وشعر ورد في الحنين إلى الأوطان، وفي تفضيل الوطن على كل منزل آخر، ولو كان آية في الجمال ومثالا من الراحة والاطمئنان.

وهو يعجب من لغة أهل الحضر، ولا سيما حضر ريف العراق وريف بلاد الشام، ومن الأكرة الذين لا يفهم عنهم ولا يستطيع إفهامهم، فكان يجد نفسه وكأنه في سجن مطبق، يريد الخلاص منه. حدث ذلك حتى في الإسلام، وقد ذكر "أبو عثمان الجاحظ"، أنه رأى أعرابيا، وكان عبدا حبشيا لبني أسيد، وقد صار "ناظورا"، وكأنه أصيب بمس من الجن، فلما رآه، قال له: لعن الله أرضا ليس بها عرب٥.

---

١ رسالة في الحنين إلى الأوطان "٢/ ٣٩٠ وما بعدها".

٢ رسالة في الحنين إلى الأوطان "٢/ ٣٩٢".

٣ المصدر نفسه.

٤ رساله في الحنين إلى الأوطان "٢/ ٣٩٧ وما بعدها".

٥ رسائل الجاحظ "٢/ ٤٠٣ وما بعدها".." (١)

"ومن عادات العرب، أنهم كانوا يبكرون في الغداء، ويرون أن ذلك أقرب إلى راحة البدن وصحته، ويؤخرون العشاء١.

ومآكل الأعراب قليلة شحيحة مثل شح البادية، خاصة إذا انحبس المطر وهلك الزرع. فإن رزقه يقل وقد يذهب ما معه من زاد فيهلك خلق من الأعراب من شدة الجوع. **قيل لأعرابي**: ما طعامكم؟ قال: "الهبيد، والضباب واليرابيع، والقنافذ والحيات، وربما والله أكلنا القد، واشترينا الجلد، فلا نعلم والله أحدا أخصب منا عيشا"٢. و"الهبيد" حب الحنظل، تنقعه الأعراب في الماء أياما، ثم يطبخ ويؤكل٣. وأما القد، فجلد السخلة. "وفي حديث عمر، رضي الله عنه، كانوا يأكلون القد. يريد جلد السخلة"٤.

وكانوا يفصدون عرق الناقة ليخرج الدم منه فيشرب، يفعلونه أيام الجوع.

كما كانوا يأخذون ذلك الدم ويسخنونه إلى أن يجمد ويقوى فيطعم به الضيف في شدة الزمان، إذا نزل بهم ضيف فلا يكون عندهم ما يقويه، ويشح أن ينحر المضيف راحلته فيفصدها. و"الفصيد" دم كان يوضع في الجاهلية في معي من فصد عرق البعير ويشوى وكان أهل الجاهلية يأكلونه وتطعمه الضيف في الأزمة.

وأما "الفصيدة"، فتمر يعجن ويشاب بدم. وهو دواء يداوى به الصبيان٥.

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٣٠١/٧

ويقال للفصيد: "البجة" كذلك. و"البجة" دم الفصيد، يأكلونها في الأزمة. والبج الطعن غير النافذ، فقد كانوا يفصدون عرق البعير ويأخذون الدم يتبلعون به في السنة المجدبة. جاء في الحديث: "إن الله قد أراحكم من الشجة والبجة"، وورد "أراحكم الله من الجبة والسجة"٦. أي قد أنعم عليكم بالتخلص من مذلة الجاهلية وضيقتها ووسع لكم الرزق وأفاء عليكم الأموال.

وكان أحدهم إذا نال شربة من اللبن الممذوق بالماء، وخمس تميرات صغار، ظن نفسه ملكا، ودب إليه نشاطه، قال الشاعر:

---

١ بلوغ الأرب "١/ ٣٧١".

٢ رسالة في الحنين إلى الأوطان "٢/ ٣٩٤".

٣ المصدر نفسه.

٤ كذلك.

٥ تاج العروس "٢/ ٤٥٣"، "فصد".

٦ تاج العروس "٢/ ٦"، "بج".." (١)

"قيل لأعرابي بم عرفت ربك؟ قال: بنقض العزائم وصرف الهمم. (بنقض العزائم) يعني الإنسان يعزم على الشيء عزما مؤكدا وإذا به ينتقض!! من نقض عزيمته، لا يشعر، أن هناك مرجحا أوجب أن يعدل عن العزيمة الأولى بل بمحض إرادة الله (صرف الهمم) يهم الإنسان بالشيء ويتجه إليه تماما وإذا به يجد نفسه منصرفا عنه سواء كان الصارف مانعا حسيا أو كان الصارف مجرد اختيار.. اختار الإنسان أن ينصرف، كل هذا من الله عز وجل (١) .

فالحاصل أن الله يقول: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ والاستقامة هي الاعتدال، ولا عدل أقوم من عدل الله عز وجل في شريعته، في الشرائع السابقة كانت الشرائع تناسب حال الأمم زمانا ومكانا وحالا، وبعد بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام، كانت شريعته تناسب الأمة التي بعث النبي صلى الله عليه وسلم إليها من أول بعثته إلى نهاية الدنيا. ولهذا كان من العبارات المعروفة «أن الدين الإسلامي صالح لكل زمان ومكان وحال» . لو تمسك الناس به لأصلح الله الخلق. انظر مثلا الإنسان يصلي أولا قائما، فإن عجز فقاعدا، فإن عجز فعلى جنب، إذن الشريعة تتطور بحسب حال الشخص؛ لأن الدين صالح لكل زمان ومكان وحال. يجب على المحدث أن يتطهر بالماء، فإن تعذر استعمال الماء لعجز أو عدم. عدل إلى التيمم، فإن لم يوجد ولا تراب، أو كان عاجزا عن استعمال التراب فإنه يصلي بلا شيء، لا بطهارة ماء ولا بطهارة تيمم، كل هذا لأن شريعة الله عز وجل كلها مبنية على العدل، ليس فيها جور، وليس فيها ظلم، وليس فيها حرج، ليس فيها مشقة، ولهذا قال: ﴿أن يستقيم﴾ وضد

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٥٩/٩

(١) انظر فتاوى القضاء والقدر من كتاب مجموع فتاوى ورسائل فضيلة شيخنا - رحمه الله - ج ٢/ ٧٧ - ١٢٠.." [١]
"التفسير قال الله- تعالى-:

[سورة الكوثر (١٠٨) : الآيات ١ الى ٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أعطيناك الكوثر (١) فصل لربك وانحر (٢) إن شانئك هو الأبتر (٣)

والكوثر: فوعل من الكثرة، مثل النوفل من النفل، ومعناه: الشيء البالغ في الكثرة حد الإفراط، والعرب تسمى كل شيء كثر عدده، وعظم شأنه: كوثرا، وقد **قيل لأعرابية** بعد رجوع ابنها من سفر: بم آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر. أى: بشيء كثير.

قال الإمام القرطبي ما ملخصه: واختلف أهل التأويل في الكوثر الذي أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم على ستة عشر قولا: الأول: أنه نهر في الجنة، رواه البخاري عن أنس، ورواه الترمذي- أيضا- عن ابن عمر ... الثاني: أنه حوض للنبي صلى الله عليه وسلم في الموقف ...

الثالث: أنه النبوة والكتاب ... الرابع: أنه القرآن ... الخامس: الإسلام.

ثم قال- رحمه الله- قلت: أصح هذه الأقوال الأول والثاني، لأنه ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم نص في الكوثر ... وجميع ما قيل بعد ذلك في تفسيره قد أعطيه صلى الله عليه وسلم زيادة على حوضه ... » «١» .

وافتتح- سبحانه- الكلام بحرف التأكيد، للاهتمام بالخبر، وللإشعار بأن المعطى شيء عظيم ... أى: إنا أعطيناك بفضلنا وإحساننا- أيها الرسول الكريم- الكوثر، أى: الخير الكثير الذي من جملته هذا النهر العظيم، والحوض المطهر ... فأبشر بذلك أنت وأمتك، ولا تلتفت إلى ما يقوله أعداؤك في شأنك.

والفاء في قوله- تعالى-: فصل لربك وانحر لترتيب ما بعدها على ما قبلها، والمراد بالصلاة: المداومة عليها.

---

(١) راجع تفسير القرطبي ج ٢٠ ص ٢١٨، وابن كثير ج ٧ ص ٥١٩.." [٢]

"وحكي أن الملك اتهما بأنهما أرادا تسميمه في الطعام والشراب فحبسهما إلى أن ظهرت براءة ساحة الساقي دون الخباز، ويقال: إنهما لم يريا شيئا، وإنما أرادا امتحان يوسف عليه السلام، فأخرج الطبري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال [ج ٢٩ ص ٢٢٨]

لم يريا شيئا، وإنما تحاكما ليجربا، وفي سنده ضعف، وأخرج الحاكم بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه نحوه، وزاد:

---

(١) تفسير العثيمين: جزء عم ابن عثيمين ص/٨٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٥٢٢/١٥

فلما ذكر لهما التأويل قالا: إنما كنا نلعب، قال: ﴿قضي الأمر﴾ الآية.

(﴿قال أحدهما﴾) وهو: الشرابي (﴿إني أراني﴾) في المنام (﴿أعصر خمرا﴾) أي: عنبا تسمية له بما يؤول إليه، أو بلغة، **وقيل لأعرابي** معه عنب: ما معك؟ قال: خمر، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: [1](﴿وقال الآخر﴾) وهو: الخباز (﴿إني أراني﴾) في المنام (﴿أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه﴾) أي: ينتهبن منه (﴿نبئنا بتأويله﴾) أي: أخبرنا بتفسيره وتعبيره وما يؤول إليه أمر هذه الرؤيا (﴿إنا نراك من المحسنين﴾) أي: من العالمين الذين يحسنون عبارة الرؤيا.

قال الزجاج: فيه أن أمر الرؤيا صحيح وأن منها ما يصح، ومن دفعه فليس بمسلم لأنه يدفع القرآن والسنة، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((الرؤيا جزء من أربعين جزءا من النبوة))، وتأويله أن الأنبياء يخبرون عما سيكون والرؤيا تدل على ما سيكون.

(﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾) أي: في نومكما، وإنما قال ذلك؛ لأنه كره أن يعين لهما ما سألاه لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما فأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره، فقال لهما: لا يأتيكما طعام ترزقانه في نومكما (﴿إلا نبأتكما بتأويله﴾) أي: بتفسيره في اليقظة (﴿قبل أن يأتيكما﴾) أو لا يأتيكما في اليقظة طعام ترزقانه وتأكلانه إلا أخبرتكما بقدره ولونه والوقت الذي يصل إليكما قبل أن يصل، وأي طعام أكلتم ومتى أكلتم وكم أكلتم قبل أن يأتيكما، وهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال: وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فقالا له: هذا من فعل العرافين والكهنة، فقال يوسف عليه السلام: ما أنا بكاهن.." [2]

"١٩- كلمات حكيمة للأعراب:

قيل لأعرابي: ما لك لا تشرب النبيذ؟ قال: "الثلاث خلال فيه: لأنه متلف للمال، مذهب للعقل، مسقط للمروءة".

وقال أعرابي: "الدراهم مياسم١، تسم حمدا وذما، فمن حبسها كان لها، ومن أنفقها كانت له، وما كل من أعطي مالا أعطي حمدا، ولا كل عديم ذميم".

وقال أعرابي لأخ له: "يا أخي إن مالك إن لم يكن لك كنت له، وإن لم تفنه أفناك، فكله قبل أن يأكلك".

وقال أعرابي: "إن الموفق من ترك أرفق الحالات به، لأصلحها لدينه، نظرا لنفسه، إذا لم تنظر نفسه لها".

وقال أعرابي: "أن الله مخلف ما أتلف الناس، والدهر متلف ما أخلفوا، وكم من ميتة عليها طلب الحياة، وكم من حياة سببها التعرض للموت".

وقال أعرابي: "إن الآمال قطعت أعناق الرجال، كالسراب غر من رآه، وأخلف من رجاه".

وقال أعرابي لصاحب له: "أصحب من يتناسى معروفه عليك، ويتذكر حقوقك عليه".

وقال أعرابي: "لا تسأل من يفر من أن تسأله، ولكن سل من أمرك أن تسأله، وهو الله تعالى".

وقال أعرابي: "ما بقاء عمر تقطعه الساعات، وسلامة بدن معرض للآفات؟ ولقد عجبت من المؤمن! كيف يكره الموت؟

---

(١) أعصر عنبا

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢٣٩٩٠

وهو ينقله إلى الثواب الذي أحيا له ليله وأظمأ له نهاره".

---

١ مياسم جمع ميسم بالكسر: وهو المكواة.." (١)

"وذكر أهل السلطان عند أعرابي فقال: "أما والله لئن عزوا في الدنيا بالجور، لقد ذلوا في الآخرة بالعدل، ولقد رضوا بقليل فان، عوضا عن كثير باق، وإنما تزل القدم حيث لا ينفع الندم".

وقال أعرابي: "من كانت مطيته الليل والنهار، سارا به وإن لم يسر، وبلغا به وإن لم يبلغ".

وقال أعرابي: "الزهادة في الدنيا مفتاح الرغبة في الآخرة، والزهادة في الآخرة مفتاح الرغبة في الدنيا".

وقيل لأعرابي وقد مرض: إنك تموت! قال: "وإذا مت فإلى أين يذهب بي؟ " قالوا: " إلى الله تعالى"، قال: "فما كراهتي أن يذهب بي إلى من لم أر الخير إلا منه؟ ".

وقال أعرابي: "من خاف الموت بادر الموت، ومن لم ينح النفس عن الشهوات، أسرعت به إلى الهلكات، والجنة والنار أمامك".

وقال أعرابي: "خير لك من الحياة ما إذا فقدته أبغضت له الحياة، وشر من الموت ما إذا نزل بك أحببت له الموت".

وقيل لأعرابي: من أحق الناس بالرحمة؟ قال: "الكريم يسلط عليه اللئيم، والعاقل يسلط عليه الجاهل".

وقيل له: أي الداعين أحق بالإجابة؟ قال: المظلوم، وقيل له: فأي الناس أغنى عن الناس؟ قال: "من أفرد الله بحاجته".

وقال الأصمعي: سمعت أعرابيا يقول: "إذا أشكل عليك أمران، فانظر أيهما أقرب من هواك فخالفه، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى".

وقال أعرابي: "الشر عاجلة لذيذ، وآجله وخيم".." (٢)

"**وقيل لأعرابي**: كيف كتمانك للسر؟ قال: "ما جوفي له إلا قبر".

ومر أعرابيان رجل صلبه بعض الخلفاء، فقال أحدهما: أنبتته الطاعة، وحصدته المعصية، وقال الآخر: "من طلق الدنيا فالآخرة صاحبته، ومن فارق الحق فالجذع راحلته".

وقال أعرابي: "إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل، ودوام عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه".

وقال أعرابي: "إذا كان الرأي عند من لا يقبل منه، والسلاح عند من لا يستعمله، والمال عند من لا ينفقه، ضاعت الأمور".

"العقد الفريد ٢: ٨٥ —٨٧"

وقال أعرابي: "إن الدنيا تنطق بغير لسان، فتخبر عما يكون بما قد كان".

"العقد الفريد ٢: ٨٠".

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٢٤٩/٣

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٢٥٠/٣

وقال الأصمعي: سمعت أعرابيا يقول: "غفلنا ولم يغفل الدهر عنا، فلم نتعظ بغيرنا، حتى وعظ غيرنا بنا، فقد أدركت السعادة من تنبه، وأدركت الشقاوة من غفل، وكفى بالتجربة واعظا".

"زهر الآداب ٢: ٥".

وقال أعرابي لرجل: "اشكر للمنعم عليك، وأنعم على الشاكر لك، تستوجب من ربك زيادته، ومن أخيك مناصحته".

"زهر الآداب ٢: ٦".

وتذاكر قوم صلة الرحم، وأعرابي جالس، فقال: "منسأة١ في العمر، مرضاة للرب، محبة في الأهل".

"الأمالي: ١: ٢١٧".

وقال أعرابي: "لا أعرف ضرا أوصل إلى نياط القلب، من الحاجة إلى من لم تثق بإسعافه، ولا تأمن رده، وأكلم المصائب فقد خليل لا عوض منه".

وقيل لأعرابي: أي شيء أمتع؟ فقال: "ممازحة المحب، ومحادثة الصديق، وأماني تقطع بها أيامك".

---

١ إطالة.." [1]

"٢٤- أجوبة شتى:

وقدم أعرابي إلى السلطان، فقال له: قل الحق، وإلا أوجعتك ضربا، قال له: "وأنت فاعمل به، فوالله ما أوعدك الله على تركه، أعظم مما توعدني به".

ونظر عثمان إلى أعرابي في شملة، غائر العينين، مشرف الحاجبين، ناتئ الجبهة، فقال له: أين ربك؟ قال: بالمرصاد!

وقيل لأعرابي: إنك تحسن الشارة١، قال: "ذلك عنوان نعمة الله عندي".

---

١ الشارة: اللباس والهيئة والزينة.." [2]

"**وقيل لأعرابي**: "كيف أنت في دينك؟ قال: أخرقه بالمعاصي، وأرقعه بالاستغفار".

وسئل أعرابي عن القدر فقال: "الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس، يعرف ضوءها، ولا يقف على حدودها".

وسئل آخر عن القدر، فقال: "علم اختصمت فيه العقول، وتقاول فيه المختلفون، وحق علينا أن يرد إلينا ما التبس علينا من حكمه، إلى ما سبق علينا من علمه".

"العقد الفريد ٢: ٨٦ - ٨٧".

وقيل لأعرابي: من أبلغ الناس؟ قال: "أحسنهم لفظا وأسرعهم بديهة".

وقيل لأعرابي: ملك لا تطيل الهجاء؟ قال: "يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق".

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣/٢٥٢

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣/٢٥٦

وقال معاوية لأعرابية: هل من قرى؟ قالت: نعم، قال: وما هو؟ قالت: "خبز خمير، ولبن فطير، وما نمير١".

وقيل لأعرابي: فيم كنتم؟ قال: "كنا بين قدر تفور، وكأس تدور وحديث لا يحور٢".

وقيل لأعرابي: ما أعددت للبرد؟ قال: "شدة الرعدة، وقرفصاء القعدة، ودرب المعدة٣".

وقيل لأعرابي: "ما لك من الولد؟ قال: "قليل خبيث" قيل له: ما معناه؟ قال: "إنه لا أقل من واحد، ولا أخبث من أنثى".

وقيل لأعرابي -وقد أدخل ناقته في السوق ليبيعها- صف لنا ناقتك، قال:

---

١ الخمير: الذي اختمر، وما نمير: ناجع، عذبا كان أو غير عذب.

٢ أي لا ينقص، وربما كان لا يجور بالجيم.

٣ القرفصاء: أن يجلس على أليتيه، ويلصق فخذيه ببطنه، ويحتبي بيديه يضعهما على ساقيه، أو يجلس على ركبتيه منكبا، ويلصق بطنه بفخذيه، ويتأبط كفيه، والذرب: الحدة، والمعدة ككلمة وكسرة.." [(١)]

"ما طلبت عليها قط إلا أدركت، ولا طلبت إلا فت، وقيل له: فلم تبيعها؟ قال: لقول الشاعر:

وقد تخرج الحاجات يا أم عامر ... كرائم من رب بهن ضنين

وقيل لأعرابي: ماعندكم في البادية طبيب؟ قال: "حمر الوحش لا تحتاج إلى بيطار".

وقيل لشريح القاضي: هل كلمك أحد قط فلم تطق له جوابا؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون أعرابيا، خاصم عندي وهو يشير بيديه، فقلت له: أمسك، فإن لسانك أطول من يدك، قال: "أسامري أنت لا تمس؟ ١".

"العقد الفريد ٢: ٩٧".

وقيل لأعرابي: أي الألوان أحسن؟ قال: "قصور بيض، في حدائق خضر".

وقيل لآخر: أي الألوان أحسن؟ قال: "بيضة٢، في روضة، عن غب سارية، والشمس مكبدة".

"العقد الفريد ٢: ٩٦".

---

١ يشير إلى قوله تعالى: ﴿قال فما خطبك يا سامري، قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي، قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس﴾ .

والسامري: هو موسى بن ظفر السامري نسبة إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها: السامرة، وكان من قوم يعبدون البقر، وقع في مصر، فدخل في بني إسرائيل، وآمن بموسى، وكان منافقا لا يزال في قلبه عبادة البقر، فلما ذهب موسى لمناجاة ربه فتن بني إسرائيل، وكانوا حين خرجوا من مصر حملوا معهم من حلي القبط التي أخذوها منهم رهائن على ما يقرضونهم من المال -فاتخذ لهم منها عجلا جسدا له خوار ... إلى آخر ما هو معروف في القصة، من أثر الرسول: أي من أثر حافر الرسول وهو جبريل، والأثر: التراب الذي تحت حافره، والمساس مصدر ماس، وهو نفي أريد به النهي، أي لا تمسني ولا أمسك.

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣/٢٥٧

٢ البيضة: ساحة القوم ومجتمعهم، والسارية: السحابة تسري ليلا، كبدت الشمس السماء: صارت في كبدها أي وسطها، وفي الأصل "مكيدة" بالياء وهو تصحيف.." [1]

"وخطب أعرابي إلى قوم فقالوا: ما تبذل من الصدق؟ وارتفع السجف١ فرأى شيئا كرهه فقال: "والله ما عندي نقد، وإني لأكره أن يكون علي دين".

"عيون الأخبار م٢: ص٢٠٠".

وقيل لأعرابية مات ابنها: "ما أحسن عزاءك عن ابنك! "، قالت: "إن مصيبته آمنتني من المصائب بعده".

وقال محمد بن حرب الهلالي: قلت لأعرابي: "إني لك لواد"، قال: "وإن لك من قلبي لرائدا".

"البيان والتبيين ١: ١٤٦، والبيان والتبيين ٢: ٩٢".

وقال الأصمعي: رأيت أعرابيا أمامه شاء، فقلت لمن هذه الشاء؟ قال: "هي لله عندي".

"العقد الفريد ٢: ٨٦، وعيون الأخبار م٢ ص٢٠٩".

---

١ السجف بالفتح والكسر: الستر.." [2]

"٦٠- كلمات شتى في الشكوى:

قيل لأعرابية أصيبت بابنها: ما أحسن عزاءك! قالت: "إن فقدي إياه أمنني كل فقد سواه، وإن مصيبتي به هونت علي المصائب بعده"، ثم أنشأت تقول:

من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أحاذر

ليت المنازل والديا ... ر حفائر ومقابر

وقيل لأعرابي: كيف حزنك على ولدك؟ قال: "ما ترك هم الغداء والعشاء لي حزنا".

وقيل لأعرابي: ما أنحل جسمك؟ قال: "سوء الغذاء، وجدوبة المرعى، واختلاف الهموم في صدري"، ثم أنشأ يقول:

الهم ما لم تمضه لسبيله ... داء تضمنه الضلوع عظيم

ولربما استيأست ثم أقول: لا ... إن الذي ضمن النجاح كريم

وقيل لأعرابي قد أخذ به السن: كيف أصبحت؟ قال: "أصبحت تقيدني الشعرة، وأعثر في البعرة، قد أقام الدهر صعري، بعد أن أقمت صعره".." [3]

"وذكر أعرابي رجلا تغيرت حاله فقال: "طويت صحيفته، وذهب رزقه، فالبلاء مسرع إليه، والعيش عنه قابض كفيه".

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٢٥٨/٣

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٢٥٩/٣

(٣) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٢٧٧/٣

وذكر أعرابي رجلا ضاق عيشه بعد سعة فقال: "كان والله في ظل عيش ممدود، فقدحت عليه من الدهر زند غير كابية١".

"العقد الفريد ٢: ٧٩ – ٨٠".

وذكر أعرابي مصيبة نالته، فقال: "مصيبة والله تركت سود الرءوس بيضا، وبيض الوجوه سودا، وهونت المصائب بعدها".

"العقد الفريد ٢: ٧٩، وزهر الآداب ٢: ٥".

وذكر أعرابي قطيعة بعض إخوانه فقال: "صفرت عياب٢ الود بيني وبينه بعد امتلائها، وأقفرت وجوه كانت بمائها، فأدبر ما كان مقبلا، وأقبل ما كان مدبرا".

"العقد الفريد ٢: ٧٩، وزهر الآداب ٢: ٤".

وقيل لأعرابي: ما أذهب شبابك؟ قال: "من طال أمده، وكثر ولده، ودف عدده، وذهب جلده ذهب شبابه".

"العقد الفريد ٢: ٧٩، والبيان والتبيين ٢: ٥٧".

وسئل أعرابي عن سفر أكدى٣ فيه، فقال: "ما غنمنا إلا ما قصرنا في صلاتنا، فأما ما أكلته الهواجر٤، ولقيته منا الأباعز، فأمر استخففناه لما أملناه".

---

١ الزند: العود الذي يقدح به النار، وكبنا الزند: لم يخرج ناره، وفي الأصل "زند عين كابية" وهو تحريف.

٢ صفرت: خلت، وعياب جمع عيبة بالفتح: ما يجعل فيه الثياب.

٣ أصله من "حفر فأكدى" أي صادف الكدية –والكدية كفرصة: الأرض الغليظة، والصفاة العظيمة الشديدة.

٤ الهواجر جمع هاجرة، وهي شدة الحر.." (١)

"وقالت امرأة من الأعراب: "أصبحنا ما يرقد لنا فرس، وما ينام لنا حرس".

"البيان والتبيين ٢: ٨٢"

وقال أعرابي "مضى لنا سلف أهل تواصل، اعتقدوا١ مننا، واتخذوا الأيادي ذخيرة لمن بعدهم، يرون اصطناع المعروف عليهم فرضا لازما، وإظهار البر واجبا، ثم جاء الزمان ببنين، واتخذوا منهم بضاعة، وبرهم مرابحة٢، وأياديهم تجارة، واصطناع المعروف مقارضة، كنقد، خذ مني وهات".

وقيل لأعرابي في مرضه: ما تشتكي؟ قال: "تمام العدة، وانقضاء المدة".

ونظر أعربي إلى رجل يشكو ما هو فيه من الضيق والضر فقال: "يا هذا أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك؟ ".

"العقد الفريد ٢: ٨٥".

ووصف أعرابي الدنيا فقال: "هي رنقة٣ المشارب، جمة المصائب، لا تمتعك الدهر بصاحب".

وقال أعرابي: "حسبك من فساد الدنيا أنك ترى أسمنة٤ توضع، وأخفافا ترفع، والخير يطلب عند غير أهله، والفقير قد حل غير محله".

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣/٢٧٩

"العقد الفريد ٢: ٨٦".

---

١ من اعتقد مالا؛ اقتناء.

٢ رابحة على السلعة: أعطاه ربحا.

٣ كدرة.

٤ جمع سنام، والمراد ما كان عاليا.." [1]

"وقيل لأعرابي: كيف ابنك -وكان به عاقا- قال: "عذاب لا يقاومه الصبر، وفائدة لا يجب فيها الشكر، فليتني قد استودعته القبر".

"العقد الفريد ٢: ٩٧".

عن الأصمعي قال: قيل لأعرابي قدم الحضرة١، ما أقدمك؟ قال: "الحين٢، الذي يغطي العين".

"الأمالي ١: ٢٠٢".

وأصيب أعرابي بابن له، فقال وقد قيل له اصبر: "أعلى الله أتجلد، أم في مصيبتي أتبلد؟ والله للجزع من أمره أحب إلي الآن من الصبر، لأن الجزع استكانة، والصبر قساوة، ولئن لم أجزع من النقص لم أفرح بالمزيد".

"زهر الآداب ٣: ١٦٤".

وقيل لأعرابي: لم لا تضرب في الأرض؟ فقال: "يمنعني من ذلك، طفل بارك ولص سانك، ثم إني لست بعد ذلك واثقا بنجح طلبتي، ولا معتقدا قضاء حاجتي، ولا راجيا عطف قرابتي؛ لأني أقدم على قوم أطغاهم الشيطان، واستمالهم السلطان، وساعدهم الزمان، وأسكرهم حداثة الأسنان".

"زهر الآداب ٣: ٢٤٤".

وقال بعض الأعراب: "نالنا وسمي٣، وخلفه ولي، فالأرض كأنها وشي٤ عبقري ثم أتتنا غيوم جراد، بمناجل حواده، فخربت البلاد، وأهلكت العباد، فسبحان من يهلك القوي الأكول، بالضعيف المأكول".

"زهر الآداب ٣: ٣٤٦".

---

١ الحضرة: خلاف البادية كالحضر بالتحريك.

٢ الهلاك.

٣ الوسمي: مطر الربيع الأول، والولي: المطر الذي يأتي بعد المطر.

٤ الوشي: نقش الثوب، والعبقري: المنقطع النظير، نسبة إلى عبقر، موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن، ثم نسبوا إليه

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣/٢٨٠

كل شيء تعجبوا من حذفه، أو جودة صنعته.

٥ المناجل جمع منجل كمنبر: حديدة يقضب بها الزرع. وحواد جمع حادة أي قاطعة، وفي الأصل "حراد" وأراه محرفا.." [(١)]

"٩٣- أعرابي يصف الجمال:

وقيل لأعرابي ما الجمال؟ قال: "طول القامة، وضخم١ الهامة، ورحب٢ الشدق، وبعد الصوت". وسئل آخر: ما الجمال؟ قال: "غثور العينين، وإشراف الحاجبين، ورحب الشدقين".

"البيان والتبيين ١: ٦٧".

---

١ ضخم ككرم ضخما وضخامة فهو ضخم.

٢ رحب ككرم وسمع رحبا بالضم ورحابة فهو رحب بالفتح.." [(٢)]

"**وقيل لأعرابي**، ما يمنعك أن تغزو؟ قال، والله إني لأبغض الموت على فراشي، فكيف أن أمضي إليه ركضا؟ ".

"وخرج أعرابي إلى الحج مع أصحاب له، فلما كان ببعض الطريق راجعا يريد أهله، لقيه ابن عم له، فسأله عن أهله ومنزله، فقال، اعلم أنك لما خرجت، وكانت لك ثلاثة أيام، وقع في بيتك الحريق، فرفع الأعرابي يديه إلى السماء، وقال: ما أحسن هذا يارب! تأمرنا بعمارة بيتك أنت، وتخرب بيوتنا! ".

وخرجت أعرابية إلى الحج، فلما كانت في بعض الطريق عطبت راحلتها، فرفعت يديها إلى السماء، وقالت، "يا رب أخرجتني من بيتي إلى بيتك، فلا بيتي ولا بيتك".

وعرضت السجون بعد هلاك الحجاج، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفا، لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب، وفيهم أعرابي، أخذ يبول في أصل مدينة واسط، فكان فيمن أطلق، فانشأ يقول:

إذا ما خرجنا من مدينة واسط ... خرينا وبلنا لا نخاف عقابا

ونظر أعرابي إلى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان فقال: "والله لئن آثرتموه لتمسكن منه بذنابي١ عيش أغبر".

ونظر أعرابي إلى رجل سمين فقال "أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك".

---

١ الذنابي: الذنب." [(٣)]

"**وقيل لأعرابي**: عند من تحب أن يكون طعامك؟ قال: "عند أم صبي راضع، أو ابن سبيل شاسع، أو كبير جائع، أو ذي رحم قاطع".

"البيان والتبيين ٢: ٤٩".

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣/٢٨١

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣/٣٢٢

(٣) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣/٣٤٠

وقال أعرابي:

"لولا ثلاث هن عيش الدهر ... الماء والنوم وأم عمرو

لما خشيت من مضيق القبر"

"البيان والتبيين ٢: ١٠١".

وسمع أعرابي رجلا يقرأ سورة براءة فقال: "ينبغي أن يكون هذا آخر القرآن"، قيل له: ولم؟ قال: "رأيت عهودا تنبذ".

"البيان والتبيين ٢: ١٦٩".

وسمع أعرابي رجلا يقرأ: ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر، تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر﴾ ١، قالها بفتح الكاف، فقال الأعرابي: "لا يكون"، فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء، فقال الأعرابي: "يكون".

"البيان والتبيين ٢: ١٧٤".

---

١ ذات الألواح والدسر: هي السفينة، والدسر ما تشد به الألواح من المسامير وغيرها جمع دسار ككتاب، بأعيننا: بمرأى منا أي محفوظة، وقد قرئ كفر بالبناء الفاعل، أي الكافرين: أغرقوا عقابا لهم.." (١)

"وقفة لغوية مع معنى «الكوثر» ..

من معين إعجاز القرآن الكريم

سامي محمد هشام حريز

قال تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ [الكوثر: ١] .

الكوثر في اللغة: هو من الكثرة، وهو المفرط في الكثرة. **قيل لأعرابية** رجع ابنها من السفر: بم آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر، أي: بالعدد الكثير.

وهو كجوهر (الكثير من كل شيء) ، والكوثر: الرجل الخير المعطاء، كثير العطاء والخير وهو السخي الجيد. قال الكميت:

وأنت كثير يا ابن مروان طيب وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

ويقال للغبار إذا سطع وكثر: كوثر (١) .

وأما معنى «الكوثر» في هذه الآية: فهو خاص بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد ذكر له المفسرون ستة عشر قولا أو أكثر، ولا يسع المقام في ذكرها هنا.

والموقف الصحيح للاهتداء إلى مدلول هذا اللفظ القرآني أن نرجع إلى:

. استعمال اللفظ في أصل اللغة.

. وإلى المأثور عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وبالنسبة لاستعمال اللغة: فهو .كما فهمنا. مشتق من الكثرة، فهو دال على الكثرة المبالغ فيها.

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة أحمد زكي صفوت ٣٤٣/٣

وبالنسبة للمأثور دل على أن معنى «الكوثر» : نهر في الجنة. حيث إن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «أتدرون ما الكوثر؟ إنه نهر وعدنيه ربي ـ عز وجل ـ في الجنة عليه خير كثير» (٢) .

فلم يبينه الرسول –صلى الله عليه وسلم– بالنهر فقط، بل نهر عليه خير كثير، فيكون المعنى: أعطيناك الخير الكثير، الزائد في الكثرة على العادة، ومن هذا الخير الكثير ما ادخرناه لك في الجنة، وهو نهر الكوثر.

فالتفسير المأثور واللغة: تطابقا على أن المعنى: الخير الكثير. وهذا الفهم سبقنا إليه الصحابي ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال في الكوثر: «هو الخير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه» (٣) .

وإذا أراد أحد أن يتتبع هذا الكوثر الذي أعطاه الله لنبيه –صلى الله عليه وسلم– فهو واجده حيثما نظر أو تصور، فمن ذلك:

١ ـ فضل الله عليه بالنبوة والرسالة.

٢ ـ فضل الله عليه بإظهار الإسلام.

٣ ـ فضل الله بالقرآن الذي أنزله عليه.

٤ ـ فضل الله عليه بما حصل على يديه من المعجزات.

٥ ـ فضل الله عليه بإجابته لدعوته.

٦ ـ نور القلب والحكمة التي آتاه الله إياها.

٧ ـ أولاده من أمته إلى يوم القيامة.

٨ ـ بقاء ذكره في الملأ الأعلى، الذي يصلي عليه، ويصلي على من يصلي عليه في الأرض؛ حيث يقترن اسمه باسم الله ـ تعالى ـ في الأرض والسماء.

٩ ـ سنته الممتدة على مدار القرون في أرجاء الأرض.

١٠ ـ وجوب شرعه؛ فدينه فريضة لا يخرج عنه إلا خاسر، وشرعه هو الصراط المستقيم، من تركه فإن له معيشة ضنكا في الدنيا ويحشر يوم القيامة أعمى.

١١ ـ وما سوف يعطيه الله إياه في الآخرة ـ مما هو فوق علمنا ـ من المقام المحمود والشفاعة والوسيلة ...

١٢ ـ ومن جملة الكوثر: ما اختصه الله ـ تعالى ـ به من النهر في الجنة، الذي طينته المسك، وآنيته عدد النجوم. وهذا النهر هو كوثر من الكوثر.

إنه الكوثر الذي لا نهاية لفيضه ولا حد لمدلوله، ممتد من الدنيا إلى الآخرة.

فسبحان من اختار هذا اللفظ القرآني المعجز في هذا الموضع الوحيد في القرآن العظيم!

---

(١) السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مجلد (٣) ، حرف الراء، فصل الكاف من باب الراء.. (كثر) .. (الكوثر) ، ص ٥١٧.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: (الصلاة) ، باب: حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، (٤٠٠/٥٣) .

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: التفسير، (٤٩٦٦) .." [١]

"﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ (١) .

والانسان بفطرته اذا نظر الى الكون واستعرض مافيه من الكائنات، حصل له علم ضروري بان هذه الكائنات لم توجد صدفة بل لابد من موجد اوجدها. حتى وان كان اميا او اعرابيا فانه يدرك ذلك بعقله وفطرته وفي نفح الطيب: قيل لأعرابي بم عرفت ربك فقال البعرة تدل على البعير والروث يدل على الحمير وآثار الأقدام تدل على المسير فسماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج أما يدل ذلك على العليم القدير (٢) فالعاقل يدرك ان في الكون دليل وبرهان على وجود الله وان في اختلاف الليل والنهار والشمس والقمر ايات تدل على وجود الله الحكيم الخبير السميع البصير، وفي الذكر الحكيم: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دآبة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ (٣) . وقد ذهب كثير من العلماء الى القول بان فكرة الله او الدين على العموم انما هي فكرة فطرية وجدت في عقل الإنسان ولكن اوجدها فينا موجد وهو

---

(١) – سورة الرعد الآية (٤) .

(٢) – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لمؤلفه العلامة / أحمد بن محمد المقري التلمساني ج٥/ص٢٨٩. الناشر: دار صادر – بيروت، ١٩٦٨ تحقيق: د. إحسان عباس.

(٣) – سورة البقرة الآية (١٦٤) .." [٢]

"وقديما قيل: "إن يكن الشغل مجهدة فإن الفراغ مفسدة". وقال الشاعر:

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ... ندمت على التفريط في زمن البذر

وفي الحديث النبوي: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) (١) .

الحرفة أو الصنعة ضرورة

إن عمل الإنسان اليومي يعد ضرورة لكسب الرزق، واستمرار الحياة، ومن المروءة أن يسعى الإنسان للتكسب على نفسه ومن يعول، واتخاذ حرفة أو صنعة أو وظيفية يعمل فيها المرء، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحترفون العمل، فكان

---

(١) مجلة البيان مجموعة من المؤلفين ٢٨/٢٢٣

(٢) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال حسين بن محمد المهدي ٦٩/١

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يعمل قبل توليه الخلافة تاجرا، وكان خباب بن الأرت حدادا، وعبد الله بن مسعود راعيا، وسعد بن أبي وقاص صانع نعال، وبلال ابن رباح خادما، والزبير بن العوام خياطا، وسلمان الفارسي حلاقا، وروي أن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه سقى بالدلاء على تمرات، فالعمل شرف وعزة مهما رآه البعض وضيعا، فقد روي عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: (لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره؛ خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه) (٢) ، وقد روى الطبراني في الكبير والبيهقي أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (إن الله يحب العبد المؤمن المحترف) (٣) .

وقال أبو العتاهية:

وليس على عبد تقي نقيصة ... إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجم

وقال آخر:

يا بارئ القوس بريا ليس يحسنه ... لا تظلم القوس اعط القوس باريها

فاحترام التخصص واتخاذ حرفة بعينها أو وظيفة بعينها سبب في اتقان العمل، واحكام الصنعة، قال الشاعر:

وكف فتى لم يعرف السلخ قبلها ... تجور يداه في الإهاب وتخرج

وسأل معاوية رجلا من عبد القيس: ما تعدون المروءة فيكم؟ قال: الحرفة والعفة، وكان عمر رضي الله عنه إذا نظر إلى رجل سأله: أله حرفة؟ فإذا قال: لا، سقط من عينه، ونظر عمر رضي الله عنه إلى أبي رافع وهو يقرأ ويصوغ، فقال: يا أبا رافع أنت خير مني تؤدي حق الله تعالى وحق مواليك، **وقيل لأعرابي** ينسج: ألا تستحيي أن تكون نساجا؟ قال: إنما أستحيي أن أكون أخرق لا أنفع أهلي، وحرفة يقال فيها خير من مسألة الناس، وقيل: إن الله يحب التاجر الصدوق، والصانع الناصح لأنه حكيم. (٤)

أصناف الصناعات

إن التصنيع يعتبر حجر الزاوية في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في شتى المجالات، ولهذا تتعدد أنواع الصناعات، فمن صناعة

---

(١) – أخرجه البخاري في صحيحه باب بدء الوحي حديث (١) .

(٢) – صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف من المسألة، حديث (١١٠٤) ، وأورده احمد في مسنده، مسند أبي هريرة، حديث (٧٣١٥) .

(٣) – أورده الإمام السيوطي في جامع الأحاديث والمراسيل، حديث (٥٥٧٠) ، وأورده محمد بن سلامة بن شهاب القضاعي في مسنده، باب إن الله يحب المؤمن المحترف، حديث (١٠٧٢) الناشر مؤسسة الرسالة، وأورده الهيثمي في مجمع

الزوائد، كتاب البيوع، باب الكسب والتجارة، حديث (١٣٢٦) ، ورواه الطبراني والبهقي والحكيم من حديث ابن عمر- وأورده النبهاني في الفتح الكبير في ضم الزيادات إلى الجامع الصغير، ج١ص٣١٢، طبعة١٣٥٠هـ.
(٤) – محاضرات الأدباء ص١٧٦.." [1]

"وقد قال ابو الدرداء رضي الله عنه: اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم. وقال كعب رضي الله عنه: من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها. وقال الحسن رحمه الله: فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا. وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: لايكره الموت الا مليم فهو الذي يقرب الحبيب من الحبيب. وقال الربيع بن خيثم رحمه الله: ماغائب ينتظره المؤمن خير له من الموت.

قصة لأعرابي

قيل لأعرابي اشتد مرضه: انك ستموت، فقال: الى اين يذهب بي بعد الموت؟ قالوا: الى الله، فقال: ويحكم وكيف اخاف الذهاب الى من لاأرى الخير الا عنده؟! وفي الذكر الحكيم: ﴿كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ (١)

ملك وكل بقبض الارواح

اذا كان الموت يعني انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقته والحيلولة بينهما، وتبدل الحال وانتقال من دار الفناء الى دار الخلد، وهو حتم لازم لامناص منه لكل حي من المخلوقات وهو مدرك الإنسان اينما كان قال تعالى: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ (٢) قال ابو العتاهية:

وما هو إلا الموت يأتي لوقته ... فما لك في تأخيره عنك مدفع

---

(١) – سورة الانبياء الآية (٣٥) .
(٢) – سورة السجدة الآية (١١) .." [2]

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال حسين بن محمد المهدي ١/١٨٧
(٢) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال حسين بن محمد المهدي ٢/٤١٠